بيان طريق

٢٧٦ نجی ورقدن صكره بر ورقه نقصان كتابده نكا ورقه توقوزنجی یازلمشدر

الفقیر

T. C.
MİLLİ [illegible]
RAGIP P[illegible] [illegible]LIĞI
M[illegible]Ü
Sayı: 507

سطر
٢١

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
١١٧٥ وكفى اعبده

س

٦٤٥

RAĞIP P.
Ka. N.
638

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

احمد الله اولاً حمداً كثيراً متواليا وان كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين واصلي على رسله ثانيا صلوة تستغرق مع سيد البشر ساير المرسلين واستخيره سبحانه ثالثا فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في احياء علوم الدين وانتدب لقطع تعجبك رابعا ايها العاذل المغالي في العذل من بين زمرة الجاحدين المسرف في التقريع والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهدة الكلام وقلادة النطق ما انت مثابر عليه من عمى عن جلية الحق مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم الى العمل بمقتضى العلم طمعا في نيل ما تعبده الله به من تزكية النفس واصلاح القلب وتداركا لبعض ما فرط من اضاعة العمر يأسا عن تمام التلافي والجبر وانحيازا عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلى الله عليه ان اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لا ينفعه الله بعلمه ولعمري لا سبب لاصرارك على التكبر الا الداء الذي عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الامر والجهل بان الامر ادٌّ والخطب جدٌّ والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والاجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سدٌّ وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير ردٌّ وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فادلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الانبياء وقد شغر عنهم الزمان ولم يبق الا المترسمون وقد استحوذ على اكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان واصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى في اقطار الارض منطمسا ولقد خيلوا الى الخلق ان لا علم الا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهارش الطغام او جدل يتدرع به طالب المباهاة الى الغلبة والافحام او سجع مزخرف يتوسل به الواعظ الى استدراج العوام اذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام فاما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله تعالى في كتابه فقها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد اصبح من بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا ولما كان هذا ثلما في الدين ملما وخطبا مدلهما رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما احياء لعلوم الدين وكشفا عن مناهج الائمة المتقدمين وايضاحا لمباهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين ولقد اسسته على اربعة ارباع ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات وصدرت الجملة بكتاب العلم لانه غاية المهم لاكشف اولا عن العلم الذي تعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعيان بطلبه اذ قال طلب العلم فريضة على كل مسلم واميز فيه العلم النافع عن الضار اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع واحقق ميل اهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن

الباب

اللباب

وبشتمل ربع العبادات على عشرة كتب

١ كتاب العلم ٢ كتاب قواعد العقايد ٣ كتاب اسرار الطهارة ٤ كتاب اسرار الصلوة ٥ كتاب اسرار الزكوة ٦ كتاب اسرار الصيام ٧ كتاب اسرار الحج ٨ كتاب آداب تلاوة القرآن ٩ كتاب الاذكار والدعوات ١٠ كتاب الاوراد في الاوقات

واما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب

١ كتاب آداب الاكل ٢ كتاب آداب النكاح ٣ كتاب احكام الكسب ٤ كتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع اصناف الخلق ٥ كتاب العزلة ٦ كتاب الحلال والحرام ٧ كتاب آداب السفر ٨ كتاب السماع والوجد ٩ كتاب الامر بالمعروف ١٠ كتاب آداب المعيشة

واما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب

١ كتاب شرح عجايب القلب ٢ كتاب رياضة النفس ٣ كتاب آفة الشهوتين البطن والفرج ٤ كتاب آفات اللسان ٥ كتاب آفات الغضب ٦ كتاب ذم الدنيا ٧ كتاب ذم المال والبخل ٨ كتاب ذم الجاه والريا ٩ كتاب ذم الكبر والعجب ١٠ كتاب الغرور

واما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب

١ كتاب التوبة ٢ كتاب الصبر والشكر ٣ كتاب الخوف والرجاء ٤ كتاب الفقر والزهد ٥ كتاب التوحيد والتوكل ٦ كتاب المحبة والشوق والرضا ٧ كتاب النية والصدق والاخلاص ٨ كتاب المراقبة والمحاسبة ٩ كتاب التفكر ١٠ كتاب ذكر الموت

فاما ربع العبادات فاذكر فيها من خفايا آدابها ودقايق سننها واسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليه واكثر ذلك مما اهمل في فن الفقهيات واما ربع العادات فاذكر فيه اسرار المعاملات الجارية بين الخلق واغوارها ودقايق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني متدين عنها واما ربع المهلكات فاذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن باماطته وتزكية النفس وتطهير القلب عنه واذكر من كل واحد من تلك الاخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها تترتب ثم العلامات التي بها تتعرف ثم طرق المعالجة التي بها منها يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والاخبار والآثار واما ربع المنجيات فاذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين واذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تتعرف وفضيلتها التي لاجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف في بعض هذه المعاني كتب ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة امور الاول حل ما عقدوه وكشف ما اجملوه الثاني ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه الثالث ايجاز ما طولوه وضبط ما قرروه الرابع حذف ما كرروه واثبات ما حرروه الخامس تحقيق امور غامضة اعتاصت على الافهام لم يتعرض لها في الكتب اصلا اذ الكل وان تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر ان يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبه لامر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه او لا يغفل عن التنبه ولكن يسهو عن ايراده في الكتب او لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه العلوم وانما حملني على تاسيس هذا على اربعة ارباع امران احدهما وهو الباعث الاصلي ان هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضروري لان العلم الذي يتوجه الى الآخرة ينقسم الى علم المعاملة والى علم المكاشفة واعني بالمكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم

خرج

نقط واعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط
دون علم المكاشفة التي لا رخصة في ابداعها الكتب وان كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين
وعلم المعاملة طريق اليه ولكن لم يتكلم الانبياء مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد اليه واما علم المكاشفة
فلم يتكلموا فيها الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال و
العلماء ورثة الانبياء فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التاسي والاقتداء ثم ان علم المعاملة ينقسم الى علم
ظاهر اعني العلم باعمال الجوارح والى علم باطن اعني العلم باعمال القلوب والجاري على الجوارح اما عبادة واما عادة
والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم فبالواجب انقسم هذا
العلم الى شطرين ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم الى عبادة وعادة والشطر الباطن
المتعلق باحوال القلب واخلاق النفس انقسم الى مذموم ومحمود فكان المجموع اربعة اقسام فلا يشذ نظر في
علم المعاملة عن هذه الاقسام الباعث الثاني اني رايت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي
صلح عند من لا يخاف الله للتدرع به الى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات وهو مرتب
على اربعة ارباع والمتزيي بزي المحبوب محبوب فلم يبعد ان يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا في استدراج
القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء الى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم
موضوعا في الجداول والرقوم فسماه تقويم الصحة ليكون انسهم بذلك الجنس جاذبا لهم الى المطالعة والتلطف
في اجتذاب القلوب الى العلم الذي يفيد حيوة الابد اهم من التلطف في اجتذابها الى الطب الذي لا يفيد الا
صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والارواح للتوصل به الى حيوة تدوم ابد الاباد فاين منها الطب الذي
يعالج به الاجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في اقرب الاماد فنسال الله تعالى الرشاد والسداد انه الكريم
الجواد

كتاب العلم

وفيه ابواب سبعة الباب الاول في فضل العلم والتعليم و
التعلم الباب الثاني في بيان فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام من علم
الدين وبيان علم الاخرة وعلم الدنيا الباب الثالث فيما يعده العامة من علم الدين وليس منه وفيه بيان
جنس علم المذموم وقدره الباب الرابع في آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل
الباب الخامس في آداب المعلم والمتعلم الباب السادس في آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة
بين علماء الدنيا والاخرة الباب السابع في العقل وفضيلته واقسامه وما جاء فيه من الاخبار ه

الباب الاول

في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من العقل والنقل **في فضيلة
العلم** اما شواهدها من القرآن فقوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم فانظر كيف
بدا بنفسه وثنى بالملائكة وثلث باهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلالة ونبلا وقال تعالى يرفع
الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال ابن عباس للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة
درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
وقال تعالى قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به تنبيها على انه اقتدر عليه بقوة العلم وقال تعالى و
قال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير بين ان عظم قدر الاخرة يعلم بالعلم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها

للناس وما يعقلها الا العالمون وقال تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم رد حكمه في الوقائع الى استنباطهم والحق رتبتهم برتبة الانبياء في كشف حكم الله تعالى وقيل في
قوله تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا اليقين ولباس التقوى اي الحياء وقال
تعالى لقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم وقال فلنقصن عليهم بعلم وقال تعالى بل هو آيات بينات في صدور
الذين اوتوا العلم وقال تعالى خلق الانسان علمه البيان وانما ذكر ذلك في معرض الامتنان **الاخبار**
قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده وقال العلماء ورثة الانبياء
ومعلوم انه لا رتبة فوق رتبة النبوة فلا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال يستغفر للعالم ما في
السموات والارض واي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له وقال
صلى الله عليه وسلم ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك وقد نبه بهذا على ثمرته
في الدنيا ومعلوم ان الاخرة خير وابقى وقال صلعم خصلتان لا تكونان في منافق حسن سمت ولا فقه
في الدين ولا تشكن في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فانه ما اراد به الفقه الذي ظننته وسياتي
بيان معنى الفقه وادنى درجات الفقيه ان يعلم ان الاخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت
برأته عن النفاق والرياء وقال صلى الله عليه وسلم افضل الناس المؤمن العالم الذي ان احتيج اليه نفع وان
استغني عنه اغنى نفسه وقال صلعم الايمان عريان فلباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقال
صلى الله عليه وسلم اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد فاما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت
به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل وقال صلى الله عليه وسلم موت قبيلة
ايسر من موت عالم وقال صلعم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا
وقال صلعم يوزن يوم القيمة مداد العلماء ودم الشهداء وقال صلعم من حفظ على امتي اربعين حديثا
من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة وقال صلعم من حمل من امتي اربعين حديثا
لقي الله يوم القيمة فقيها عالما وقال صلى الله عليه وسلم من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا
يحتسب وقال صلى الله عليه وسلم اوحى الله تعالى الى ابرهيم يا ابرهيم اني عليم احب كل عليم وقال صلى الله عليه وسلم
العالم امين الله في الارض وقال صلعم صنفان من امتي اذا صلحوا صلح الناس الامراء والفقهاء و
قال صلى الله عليه وسلم اذا اتى علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني الى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم
وقال في تفضيل العلم على العبادة والشهادة فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من
اصحابي فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد
لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم يكن عبادة وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد
كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال صلعم يشفع يوم القيمة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء
فاعظم برتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة وقال صلى الله عليه وسلم ما عبد
الله بشيء افضل من فقه في دين ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا
الدين الفقه وقال صلعم خير دينكم ايسره وافضل العبادة الفقه وقال فضل المؤمن العالم على المؤمن
العابد سبعون درجة وقال صلى الله عليه وسلم انكم اصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل

فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء صح

معطوم كثير بما يلوه العلم فيه خير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة
درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وقيل يا رسول الله اي الاعمال افضل فقال
العلم بالله عز وجل قيل الاعمال نريد قال العلم بالله فقيل نسال عن العمل وتجيب عن العلم فقال ان قليل
العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وقال صلعم يبعث الله العباد يوم القيمة ثم يبعث
العلماء ثم يقول يا معشر العلماء اني لم اضع علمي فيكم الا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد
غفرت لكم **الآثار** قال علي رضي الله عنه يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس
المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق وقال ايضا العالم
افضل من الصائم القائم المجاهد واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه وقال ايضا
نظما • ما الفخر الا لاهل العلم انهم • على الهدى لمن استهدى ادلاء • وقدر كل امرئ ما كان يحسنه •
والجاهلون لاهل العلم اعداء • وقال ابو الاسود ليس شيء اعز من العلم الملوك حكام على الناس
والعلماء حكام على الملوك وقال ابن عباس خير سليمن بن داود صلوات الله عليهما بين العلم والمال والملك
فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وسئل ابن المبارك عن الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال
الزهاد قيل فمن السفلة قال الذي ياكل بدينه ولم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصة التي تميز
الناس بها عن ساير البهايم هو العلم والانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة شخصه فان
الجمل اقوى منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه ولا بالاكل فان الجمل
اوسع بطنا منه ولا ليجامع فان اخس العصافير اقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم وقال بعض
الحكماء ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فاته من ادرك العلم وقال فتح الموصلي اليس
المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا نعم قال كذلك القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم
ثلاثة ايام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبه حيوته كما ان غذاء الجسد الطعام
ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل احساسه
كما ان غلبة الخوف قد تبطل احساس الم الجرح في الحال وان كان واقعا فاذا حط الموت عنه اعباء
الدنيا احس هلاكه وتحسر تحسرا لا ينفعه وذلك كاحساس المفيق عن سكره بما اصابه من الجراحات
في حال السكر والخوف فنعوذ بالله من كشف يوم الغطاء فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا
وقال الحسن يوزن مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود عليكم بالعلم قبل ان
يرفع ورفعه ان يهلك رواته والذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء ان
يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم وان احدا لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم قال ابن عباس
تذاكر العلم بعض ليلة احب الي من احيائها وكذا عن ابي هريرة واحمد بن حنبل وقال الحسن في قوله
ربنا آتنا في الدنيا حسنة هي العلم والعبادة وفي الآخرة حسنة هي الجنة وقيل لبعض الحكماء اي الاشياء تقتني
قال الاشياء التي اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم وقيل اراد بغرق السفينة هلاك
بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لاحظته
العيون بالوقار وقال الشافعي رضي الله عنه من شرف العلم ان كل من نسب اليه ولو في شيء حقير فرح

ومن

ومن رفع عنه حزن وقال عمر رضي الله عنه ايها الناس عليكم بالعلم فان لله رداء محبة فمن طلب
بابا من العلم رداه الله تعالى بردايه فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب
ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك وان تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال الاحنف
كاد العلماء ان يكونوا اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل مصيره وقال سالم بن ابي الجعد اشتراني
مولاي بثلثمائة درهم واعتقني فقلت باي حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما تمت علي سنة حتى اتاني
امير المدينة زائرا فلم آذن له وقال الزبير بن ابي بكر كتب الي ابي بالعراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت
كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا وحكي ذلك في وصايا لقمن لابنه وقال ايضا يا بني جالس العلماء و
زاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل السماء وقال بعض العلماء اذا مات
العالم بكاه الحوت في الماء والطير في السماء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقال الزهري العلم ذكر ولا
يحبه الا ذكور الرجال **في فضيلة التعلم** اما **الآيات** فقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم
طايفة ليتفقهوا في الدين وقال تعالى فسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون واما **الاخبار** فقال
صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وقال ان الملايكة
لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع وقال لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي مائة
ركعة وقال باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وقال طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال
اطلبوا العلم ولو بالصين وقال العلم خزاين مفاتيحه السؤال فاسئلوا فانه يوجر فيه اربعة السايل
العالم والمستمع والمحب لهم وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان عن ام
يسكت على علمه وفي حديث ابي ذر حضور مجلس علم افضل من صلوة الف ركعة وعيادة الف مريض
وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل ينفع القرآن الا بالعلم وقال
صلى الله عليه وسلم من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه وبين الانبياء في الجنة درجة
واحدة **الآثار** قال ابن عباس ذللت طالبا فعززت مطلوبا ولذلك قال ابن ابي مليكة ما
رايت مثل ابن عباس اذا رايته رايت احسن الناس وجها فاذا تكلم فاعرب الناس لسانا واذا افتى
فاكثر الناس علما وقال ابن المبارك عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة وقال
بعض الحكماء اني لا ارحم رجلا كرحمتي لاحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلب
وقال ابو الدرداء لان اتعلم مسئلة احب الي من قيام ليلة وقال ايضا العالم والمتعلم شريكان
في الخير وساير الناس همج لا خير فيهم وقال ايضا كن عالما او متعلما او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك
وقال عطاء مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر موت الف عابد قايم الليل
والنهار اهون من موت عاقل بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي رضي الله عنه طلب العلم افضل من النافلة
وقال ابن عبد الحكم كنت عند مالك اقرا عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لاصلي فقال يا هذا ما الذي
قمت اليه بافضل مما كنت فيه اذا صحت النية وقال ابو الدرداء من راى ان الغدو الى العلم ليس
بجهاد فقد نقص في رايه وعقله **فضيلة التعليم** اما **الآيات** فقوله تعالى ولينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم والمراد هو التعليم والارشاد وقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب

ليبينه للناس ولا يكتمونه وهو ايجاب للتعليم وقال وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون
وهو تحريم للكتمان كما قال في الشهادة فانه آثم قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ما آتى الله عالما علما الا
اخذ عليه من الميثاق ما اخذ على النبيين ان يبينه ولا يكتمه وقال تع ومن احسن قولا ممن دعا الى الله و
عمل صالحا وقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقال يعلمهم الكتاب والحكمة **اما الاخبار** فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها
وقال من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين نبيا صديقا وقال عيسى عليه السلم
من علم وعمل وعلم يدعى عظيما في ملكوت السموات وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة
يقول الله للعابدين المجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل
انتم عندي كبعض ملايكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون للعلم المتعدي
بالتعليم لا اللازم الذي لا يتعدى وقال ان الله تع لا ينزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان يؤتيهم اياه
ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق الا رؤساء جهالا ان سئلوا
افتوا بغير علم فيضلون ويضلون وقال من علم علما فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من نار وقيل نعم
العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوي عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة
سنة وقال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه او معلما او متعلما وقال ان الله
وملايكته واهل السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس
الخير وقال ما افاد المسلم اخاه فايدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه وقال كلمة من الخير
يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير من عبادة سنة وخرج رسول الله صلعم ذات يوم فراى مجلسين احدهما
يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال اما هؤلاء فيسألون الله ان شاء اعطاهم وان
شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم وقال مثل
ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل غيث كثير اصاب ارضا وكانت منها بقعة امسكت الماء
فنفع الله بها الناس شربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طايفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلا
فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثاني للنافع والثالث للمحروم منهما وقال صلعم اذا مات
ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به وقال صلى الله عليه وسلم الدال على الخير كفاعله وقال لا حسد
الا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها وقال صلعم على خلفائي رحمة الله قيل ومن خلفاؤك
قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله **الآثار** قال عمر رضي الله عنه من حدث بحديث
فعمل به فله اجر مثل ذلك العمل وقال ابن عباس معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وقال
بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل وقد روي ان سفين الثوري قدم عسقلان
فمكث ولا يسأله انسان فقال اكروا لي لاخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وانما قال ذلك
حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء للعلم به وقال عطاء دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت
ما يبكيك فقال ليس احد يسألني عن شيء وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة كل واحد مصباح زمانه
يستضيء به اهل عصره وقال الحسن لولا العلماء لصار الناس كالبهايم اي انهم بالتعليم يخرجون الناس

[illegible]

من

من حد البهيمية الى حد الانسانية وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان تضعه فيمن
يحسن حمله ولا يضيعه وقال يحيى بن معاذ العلماء ارحم بامة محمد من آبائهم وامهاتهم قيل كيف
ذلك قال لان اباءهم وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة وقيل اول العلم
الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم فانك اذا
فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل في التعليم والتعلم ورايته ايضا
مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن
لا يعلم صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على السراء والضراء
والوزير عند الاخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به اقواما فيجعلهم في
الخير قادة هداة يقتدى بهم ادلة في الخير تقتص آثارهم وترمق افعالهم وترغب الملايكة في خلتهم و
باجنحتها تمسحهم كل رطب ويابس لهم مستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه
والسماء ونجومها لان العلم حيوة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف
يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى التفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به
يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه يوصل الارحام هو امام والعمل تابعه يلهمه السعداء
ويحرمه الاشقياء **في الشواهد العقلية** اعلم ان المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم و
نفاسته وما لم يفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن ان يعلم وجودها صفة للعلم او لغيره
من الخصال فلقد ضل عن الطريق من طمع ان يعرف ان زيدا حكيم ام لا وهو بعد لم يعرف معنى الحكمة و
صفتها وحقيقتها فالفضيلة ماخوذة من الفضل وهو الزيادة فاذا تشارك شيئان في امر
واختص احدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء كما يقال الفرس
افضل من الحمار بمعنى انه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة
فلو فرض حمار اختص بسلعة زايدة لم يقل انه افضل لان تلك زيادة في الجسم ونقصان في المعنى
وليس من الكمال في شيء والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه واذا فهمت هذا لم يخف عليك
ان العلم فضيلة ان اخذته بالاضافة الى ساير الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليس فضيلة
على الاطلاق والعلم فضيلة في ذاته وعلى الاطلاق من غير اضافة فانه وصف كمال الله تع وبه
شرف الملايكة والانبياء بل الكيس من الفرس خير من البليد فهي فضيلة على الاطلاق من غير اضافة
واعلم ان الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته ولغيره وما يطلب
لذاته اشرف وافضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فانهما حجران لا منفعة لهما ولولا ان
الله تع يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصى بمثابة واحدة والذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة و
لذة النظر الى وجه الله تع والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مطلوب من حيث
انه سلامة عن الالم ومطلوب للمشي بها والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت
الى العلم رايته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى دار الآخرة وسعادتها وذريعة
الى القرب من الله تع ولا يتوصل اليه الا به واعظم الاشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الابدية وافضل

الاشياء مما هو وسيلة اليها ولن يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل
فاصل السعادات في الدنيا والآخرة هو العلم فهو اذن افضل الاعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء ايضا بشرف
ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين ومقارنة الملا الاعلى هذا في الآخرة فاما في الدنيا فالعز
والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان اغبياء الترك واجلاف العرب يصادفون
طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها
توقر الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف
العلوم كما سيأتي وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها اما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما
ذكرناه فان العلم اذا كان افضل الامور كان تعلمه طلبا للافضل وكان تعليمه افادة للافضل وبيانه
ان مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة
وهي الآلة الموصلة الى الله لمن اتخذها آلة ومنزلا لا لمن يتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم امر الدنيا الا
باعمال الآدميين واعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة اقسام احدها اصول لا قوام للعالم
دونها وهي اربعة الزراعة وهي للمطعم والحياكة وهي للملبس والبناء وهي للمسكن والسياسة وهي
للتألف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها الثاني ما هي مهيئة لكل واحدة من
هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد
آلاتها وكالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد محلها الثالث ما هي متممة للاصول ومزينة
كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام امر العالم الارضي مثل
اجزاء الشخص بالاضافة اليه فانها ثلاثة اضرب اما اصول كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها
كالمعدة والعروق والشرايين والاعصاب والاوردة واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع
والحاجبين واشرف هذه الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح و
لذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم
لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع والسياسة في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق
المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على اربع مراتب الاولى وهي العليا سياسة الانبياء وحكمهم على الخاصة
والعامة في ظاهرهم وباطنهم والثانية الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة
جميعا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم والثالث العلماء بالله وبدينه الذين هم ورثة الانبياء و
حكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة منهم ولا ينتهي قوتهم الى التصرف في
ظواهرهم بالالزام والمنع والرابع الوعاظ وحكمهم على بواطن العامة فقط واشرف هذه السياسات
الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى
الاخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم وانما قلنا ان هذا افضل من سائر الحرف والصناعات
لان شرف الصناعة يعرف بثلاثة امور اما بالالتفات الى الغريزة التي بها يتوصل الى معرفتها
كفضل العلوم العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع واما
بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة

على الدباغة اذ محل احدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة وليس يخفى ان العلوم الدينية وهي فقه طريق
الآخرة انما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل اشرف صفات الانسان كما سيأتي اذ به تقبل
امانة الله تع وبه يتصل الى جوار الله تع واما عموم النفع فلا تستريب فيه فان نفعه وثمرته سعادة
الآخرة واما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم واشرف موجود
على الارض جنس الانس واشرف جزء من جواهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتحليته و
تطهيره وسياقته الى القرب من الله تع فتعليم العلم من وجه عبادة لله تع ومن وجه خلافة لله تع
وهو اجل خلافة فان الله تع قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو اخص صفاته فهو كالخازن لانفس خزائنه
ثم هو مأذون في الانفاق على كل محتاج اليه فاية رتبة اجل من كون العبد واسطة بين ربه وبين خلقه
في تقريبهم الى الله زلفى وسياقتهم الى الجنة المأوى **الباب الثاني في العلم المحمود والمذموم و**
اقسامهما واحكامهما وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان ان موقع الفقه والكلام من
علم الدين الى اي حد هو وتفضيل علم الآخرة **في العلم الذي هو فرض عين** قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم
فريضة على كل مسلم وقال اطلبوا العلم ولو بالصين فاختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل
مسلم وتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة ولا نطول بنقل التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب
على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم به ذات الله تع
وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من
المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه الآحاد دون الوقائع النادرة وقال المفسرون والمحدثون
هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم اي علمنا
فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص و
آفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على
اقوام مخصوصين هم اهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال ابو طالب المكي هو العلم بما تضمنه الحديث
الذي فيه مباني الاسلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس الحديث لان الواجب هذه الخمس
فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب والذي ينبغي ان يقطع به المحصل ولا يستريب فيه
ما نذكره وهو ان العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد
بهذا العلم الا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ ايا ما ثلاث اعتقاد وفعل و
ترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام او السن ضحوة نهار مثلا فاول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة
وفهم معناهما وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه ان يحصل كشف ذلك لنفسه
بالنظر والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب
نفس وقد يحصل ذلك بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان اذ اكتفى رسول الله صلعم من اجلاف
العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل فاذا فعل ذلك فقد ادى واجب الوقت وكان العلم الذي
هو فرض عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه امر وراء هذا في الوقت بدليل انه لو مات عقيب
ذلك مات مطيعا لله غير عاص وانما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا في حق كل

شخص بل يتصور الانفكاك عنها وتلك العوارض اما في الفعل واما في الترك واما في الاعتقاد اما الفعل فبان
يعيش من ضحوة النهار الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلوة فان
كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو
اشتغل بالتعلم فلا يبعد ان يقول الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعليم على الوقت ويحتمل ان يقال
وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية الصلوات فان
عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو ان يعلم ان وقته من الصبح الى غروب الشمس
وان الواجب فيه النية والامساك عن الاكل والوقاع وان ذلك يتمادى الى رؤية الهلال فان تجدد
له مال او كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب من الزكوة ولكن لا يلزمه في الحال انما يلزمه عند تمام
الحول من وقت الاسلام فان لم يملك الا الابل لم يلزمه الا تعلم زكوة الابل وكذلك في ساير الاصناف فاذا
دخل اشهر الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج مع ان فعله على التراخي فلا يكون علمه على الفور ولكن ينبغي
لعلماء الاسلام ان ينبهوه على ان الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو
مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم
اركانه وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك نفل فعلمه ايضا نفل فلا يكون فرض عين وفي تحريم السكوت
عن التنبيه على وجوب اصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج في علم ساير الافعال التي هي فرض
عين واما التروك فيجب علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وانما يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على الابكم
تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوي تعلم ما يحل الجلوس فيه من المساكن
فذلك ايضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم انه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه
فيه كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير او جالسا في الغصب او ناظرا الى غير محرم فيجب تعريفه ذلك
وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالاكل فيجب تعليمه حتى اذا كان في بلد يتعاطى فيه
شرب الخمر واكل الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه واما الاعتقادات
واعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب
عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد ان كلام الله تعالى قديم و
انه مرئي وانه ليس محل الحوادث الى غير ذلك مما يذكر في المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا
ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من اهل البلد فان كان في
بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي ان يصان في اول بلوغه عنها بتلقين الحق فانه لو القي
اليه الباطل لوجب ازالته من قلبه وربما عسر ذلك كما انه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع في البلد معاملة
الربوا وجب عليه تعلم الحذر من الربوا فهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب
فمن علم العمل الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو
ولمة الملك حق ايضا ولكن في حق من يتصدى له اذ كان الغالب ان الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء
والحسد فيلزمه ان يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا اليه وكيف لا يجب وقد قال صلى
الله عليه وسلم ثلاث مهلكات الحديث ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذمومات احوال

القلب

القلب كالكبر والعجب واخواتهما تتبع هذه الثلاث المهلكات وازالتها فرض عين ولا يمكن الا بمعرفة حدودها
ومعرفة اسبابها ومعرفة علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده فكيف
يمكن دون معرفة السبب والمسبب فاكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الاعيان وقد تركه الناس كافة
اشتغالا بما لا يعني ومما ينبغي ان يبادر في القائه اليه اذا لم يكن قد انتقل عن ملة اخرى الايمان بالجنة والنار
والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق وهو من تتمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق بكونه رسولا ينبغي ان يفهم
الرسالة التي هو مبلغها وهو ان من اطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار واذا انتبهت
لهذا التدريج علمت ان المذهب الحق هذا وتحققت ان كل عبد هو في مجاري احواله في يومه وليلته لا يخلو عن
وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة الى
تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا واذا تبين انه صلى الله عليه وسلم اراد بالعلم المعرف بالالف واللام في قوله طلب
العلم فريضة علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير وقد اتضح وجه التدريج في وقت وجوبه

في العلم الذي هو فرض كفاية اعلم ان الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر اقسام العلوم فالعلوم بالاضافة الى الغرض الذي
نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية واعني بالشرعية ما استفيد من الانبياء صلوات الله عليهم ولا يرشد
العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم الى
ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به صلاح الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى
ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة اما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام امور الدنيا
كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا و
المواريث وغيرهما وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى
وسقط الفرض عن الآخرين ولا تتعجب من قولي ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان اصول
الصناعات ايضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة فلو خلا البلد عن الحجام تسارع
الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذي انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله واعد الاسباب
لتعاطيه ولا يجوز التعرض للهلاك باهماله واما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب و
حقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليه واما المذموم منه فعلم السحر
والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات واما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها و
تواريخ الاخبار وما يجري مجراه واما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس
بها ما يظن انها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم الى المحمودة والمذمومة اما المحمودة فلها اصول وفروع و
مقدمات ومتممات فهي اربعة اضرب الضرب الاول الاصول وهي اربعة كتاب الله تعالى وسنة رسوله
واجماع الامة وآثار الصحابة والاجماع اصل من حيث انه يدل على السنة فهو اصل في الدرجة الثانية وكذلك
الاثر فانه يدل ايضا على السنة لان الصحابة قد شاهدوا الوحي والتنزيل وادركوا بقرائن الاحوال ما غاب عن غيرهم
عيانه وربما لا تحيط العبارات بما ادرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك
بشرط مخصوص وعلى وجه مخصوص عند من رآه ولا يليق بيانه بهذا الفن الضرب الثاني الفروع وهو ما فهم
من هذه الاصول لا بموجب الفاظها بل بمعان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ

وغيره كالفهم من قوله لا يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي اذا كان حاقنا او جائعا او متألما بمرض وهذا
على ضربين احدهما ما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه فن الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا و
الثاني ما يتعلق بالآخرة وهو علم احوال القلب واخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي عند الله وما هو
مكروه وهو الذي يحويه الشطر الاخير من هذا الكتاب اعني جملة كتاب احياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من
القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو الذي يحويه الشطر الاول الضرب الثالث المقدمات و
هو الذي يجري منها مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله وسنة رسوله وليس اللغة والنحو من
العلوم الشرعية في انفسهما ولكن لزوم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل
شريعة فلا تظهر الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط الا ان ذلك ليس ضروريا
اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اميا ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغني عن الكتابة
ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضروريا الضرب الرابع المتممات وذلك في علم القرآن فانه ينقسم الى ما يتعلق
باللفظ كعلم القراءات ومخارج الحروف والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل اذ اللغة
بمجردها لا تستقل به والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية
استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه ويتناول السنة ايضا واما المتممات
في الآثار والاخبار فالعلم بالرجال واساميهم وباسامي الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم باحوالهم
ليميز الضعيف عن القوي والعلم باعمارهم ليميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به فهذه هي العلوم الشرعية
وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات فان قلت لم الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء
بعلماء الدنيا فاعلم ان الله تعالى اخرج آدم من التراب واخرج ذريته من سلالة ومن ماء دافق فاخرجهم من
الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض ثم الى الجنة او الى النار فهذا مبدؤهم وهذه
غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل
لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست
الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة
وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق
سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم امورهم في الدنيا ولعمري انه متعلق ايضا بالدين لكن لا
بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين الا بالدنيا والملك والدين توأمان والدين
اصل والسلطان حارس وما لا اصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان
وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه وكما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة
الاولى بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك معرفة طرق السياسة فمعلوم ان الحج لا يتم الا ببذرقة
تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق الى الحج شيء ثان والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج الا بها
شيء ثالث ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة
ويدل على ذلك ما روي مسندا لا يفتي الناس الا ثلاثة امير او مأمور او متكلف فالامير هو الامام وكانوا
هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة

يحترزون

يحترزون عنه حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق
الآخرة وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا
يقصد به الا طلب الجاه والمال فان قلت هذا ان استقام لك في احكام الحدود والجراحات والغرامات
وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلوة ولا فيما يشتمل عليه
ربع المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم ان اقرب ما يتكلم فيه الفقيه من الاعمال التي هي اعمال
الآخرة ثلاثة الاسلام والصلوة والحلال والحرام واذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت انه لا
يجاوز حدود الدنيا الى الآخرة واذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها اظهر اما الاسلام فيتكلم
الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه الا الى اللسان اما القلب فخارج عن
ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال هلا
شققت عن قلبه في الذي قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذرا بانه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم
الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع انه يعلم ان السيف لم يكشف له عن نيته ولم يرفع
عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فان السيف ممتد الى رقبته واليد
ممتدة الى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دامت له رقبة ومال وذلك في الدنيا
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها فقد
عصموا مني دماءهم واموالهم جعل اثر ذلك في الدم والمال واما الآخرة فلا تنفع فيها الاقوال
بل انوار القلوب واسرارها واخلاصها وليس ذلك من فن الفقه وان خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض
في الكلام او الطب وكان خارجا عن فنه واما الصلوة فالفقيه يفتي بالصحة اذا اتى بصورة الاعمال
مع ظاهر الشروط وان كان غافلا في جميع صلوته من اولها الى آخرها مشغولا بالتفكر في حساب معاملاته
في السوق الا عند التكبير وهذه الصلوة لا تنفع في الآخرة كثير نفع كما ان القول باللسان في الاسلام لا ينفع و
لكن الفقيه يفتي بالصحة اي ان ما فعله حصل به امتثال صيغة الامر وانقطع به عنه القتل او التعزير فاما
الخشوع واحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له
كان خارجا من فنه واما الزكوة فالفقيه ينظر الى ما يقطع مطالبة السلطان حتى انه اذا امتنع
فاخذ السلطان قهرا حكم بانه برئت ذمته وحكي ان ابا يوسف كان يهب ماله لزوجته في آخر الحول
ويستوهب مالها اسقاطا للزكوة فحكي ذلك لابي حنيفة فقال ذلك من فقهه وصدق فان ذلك
من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة اعظم من كل جناية ومثل هذا هو العلم الضار واما الحلال و
الحرام فالورع من الحرام من الدين ولكن الورع له اربع مراتب الاولى الورع الذي يشترط في عدالة
الشهادة وهو الذي يخرج به الانسان عن اهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن
الحرام الظاهر الثانية ورع الصالحين وهو التوقي من الشبهات التي تتقابل فيها الاحتمالات قال
صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال الاثم حزاز القلوب الثالثة ورع المتقين
وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه اداؤه الى الحرام قال صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين
حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس وذلك مثل التورع عن التحدث باحوال الناس خيفة من

الانجرار الى الغيبة والتورع عن اكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المودي الى مقارفة
المحظورات الرابعة ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله خوفا من صرف ساعة من
العمر الى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله وان كان يعلم ويتحقق انه لا يفضي الى حرام فهذه الدرجات كلها
خارجة عن نظر الفقيه الا الدرجة الاولى وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة والقيام بذلك
لا ينفي الاثم في الآخرة قال صلعم لوابصة استفت قلبك وان افتوك وافتوك وافتوك والفقيه لا يتكلم في
حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط فاذن جميع نظر الفقيه يرتبط بالدنيا التي بها
صلاح طريق الآخرة فان تكلم في الاثم وصفات القلب واحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل
كما يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام وكما يدخل الحكمة في النحو والشعر وكان سفيان
الثوري وهو امام في علم الظاهر يقول ان طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على ان الشرف
في العلم ليعمل به فكيف تظن انه علم اللعان والظهار والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الامور
ليتقرب بها الى الله تع فهو مجنون وانما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات والشريف هو علم تلك الاعمال
فان قلت فقد سويت بين الفقه والطب اذ الطب ايضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك
يتعلق به ايضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف اجماع المسلمين فاعلم ان التسوية غير لازمة بل بينهما
فرق فان الفقه اشرف منه من ثلاثة اوجه احدها انه علم شرعي اي هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب
فهو ليس من علم الشرع والثاني انه لا يستغني عنه احد من سالكي طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض
واما الطب فلا يحتاج اليه الا المرضى وهم الاقلون والثالث ان علم الفقه مجاور لعلم طريق
الآخرة لانه نظر في اعمال الجوارح ومصدر الاعمال ومنشاها صفات القلوب فالمحمود من الافعال
يصدر من الاخلاق المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح
بالقلب واما الصحة والمرض فمنشاهما صفات في المزاج والاخلاط وذلك من اوصاف البدن لا من
اوصاف القلب فمهما اضيف الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا اضيف علم طريق الآخرة الى الفقه ظهر ايضا
شرف علم الآخرة فان قلت فصل لي علم الآخرة تفصيلا مشيرا الى تراجمه وان لم يمكن استقصاء
تفاصيله فاعلم انه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد
قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منها
التصديق به وتسليمه لاهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له شيء من هذا العلم بدعة
او كبر وقيل من كان محبا للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم واقل
عقوبة من ينكره انه لا يرزق منه وهو علم الصديقين والمقربين اعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور
يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاتها المذمومة ينكشف في ذلك النور امور كان يسمع من
قبل اسماؤها ويتوهم لها معاني مجملة غير متضحة فتتضح اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات
الله تع وبصفاته التامات وبافعاله وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيب الآخرة على
الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية
معاداة الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحي اليهم والمعرفة بملكوت

السموات والارض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين
لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب
ومعنى قوله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ومعنى قوله وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى
لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة
الملأ الاعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات اهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض
كما يرى الكوكب الدري في جو السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله اذ للانسان في معاني هذه الامور بعد
التصديق باصولها مقامات فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذي اعد لعباد الله الصالحين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسماء
وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من الفاظها وكذا يرى ان بعضهم
ان منتهى معرفة الله العجز عن معرفته وبعضهم يدعي امورا عظيمة في المعرفة بالله وبعضهم يقول حد معرفة
الله تع ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو انه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم مريد فنعني بعلم
المكاشفة ان يرتفع الغطاء حتى يتضح له جلية الحق في هذه الامور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك
فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان لولا ان مرآة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا
وانما نعني بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله وعن
معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيته وتطهيره بالكف عن الشهوات والاقتداء بالانبياء في جميع احوالهم
فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلالا فيه حقايقه ولا سبيل اليه الا بالرياضة التي
ياتي تفصيلها في موضعه وبالتعلم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من انعم الله
عليه منها بشيء الا مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار وهذا العلم الخفي هو
الذي اراده صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا
به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله فلا تحقروا عالما آتاه الله علما فان الله تعالى لم يحقره اذ آتاه العلم
واما القسم الثاني وهو علم المعاملة فهو علم احوال القلب اما ما يحمد منها كالصبر والشكر والخوف
والرجاء والرضى والزهد والتقوى والقناعة والسخاوة ومعرفة المنة لله في جميع الاحوال والاحسان
وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص فمعرفة حقايق هذه الاحوال وحدودها
واسبابها التي بها تكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال
حتى يعود من علم الآخرة واما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش
وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والانفة والعداوة
والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالفقراء
والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام
والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال
الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف الانتصار
للحق واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطى والاتكال على الطاعة

والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والاسف على فواتها و الانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها وهي الاخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقايقها واسبابها وثمرتها وعلاجها هو علم الاخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الاخرة والمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الاخرة كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالاضافة الى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح الاخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الاخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شيء منها وان احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها و يكفيه مؤنة التعب فيها ولا يزال يتعب فيه ليلا ونهارا في حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين واذا روجع فيه قال اشتغلت به لانه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلمه و الفطن يعلم انه لو كان غرضه اداء حق الامر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكم من بلدة ليس فيها طبيب الا من اهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالاطباء من احكام الفقه ثم لا نرى احدا يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات و البلد مشحون من الفقهاء ممن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقايع فليت شعري كيف يرخص الدين في الاشتغال في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة واهمال ما لا قائم به هل لهذا سبب الا ان الطب ليس يتيسر التوصل به الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة مال الايتام وتقلد القضاء والحكومة في الحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط على الاعداء هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس علماء السوء فالله المستعان واليه الملاذ في ان يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان اهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وارباب القلوب كان الشافعي يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله كيف يفعل في كذا او كذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوي فيقول ان هذا وفق لما اغفلناه وكان احمد بن حنبل ويحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه كيف نفعل اذا جاءنا امر لم نجده في كتاب الله ولا في السنة فقال سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت وقال الجنيد قال لي السري شيخي اذا قمت من عندي فمن تجالس فقلت المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وادبه ودع عنك تشقيقه للكلام ورده المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب على م حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث اشار الى ان من حصل الحديث والعلم ثم تصوف افلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه فان قلت لم لم تورد في اقسام العلوم الكلام و الفلسفة وتبين انهما مذمومان او محمودان فاعلم ان حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الادلة

التي

التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو اما مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سيأتي بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مألوفا في العصر الاول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الان حكمه اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما مؤلفا فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به المبتدع اذا قصد الدعوة الى البدعة وذلك الى حد محدود سنذكره في الباب الذي يلي هذا واما الفلسفة فليست علما برأسها بل هي اربعة اجزاء احدها الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما الا من يخاف عليه ان يتجاوز بهما الى علوم مذمومة فان اكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما الى البدع فيصان الضعيف عنه لا لعينه كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خيفة من الوقوع في النهر وكما يصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع ان القوي لا يندب الى مخالطتهم والثاني المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام والثالث الالهيات وهو بحث عن ذات الله و صفاته وهو داخل في الكلام والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلسفة والرابع الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في اقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطباء الا ان الطبيب ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه واما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها فاذن الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة وحدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة استيجار البذرقة في طريق الحج لحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استيجار الحراس من شروط طريق الحج فكذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة وليعلم المتكلم حده من الدين وان موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج فان تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج والمتكلم ان تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الاخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين اصلا وليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التي يشاركه سائر العوام فيها وهي من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان وانما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة واما معرفة الله تع وصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا اليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد ان يكون الكلام حجابا ومانعا عنه وانما الوصول اليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فان قلت قد رددت حد المتكلم الى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما ان حد البذرقة حراسة اقمشة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه الى حفظ القانون الذي

به يكف السلطان شر بعض اهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة الى علم الدين وعلماء الامة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله فكيف تنزل درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين فاعلم ان من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهله ان كنت سالكا طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد اجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وانهم لا يدرك في الدين شاؤهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها وما فضل ابو بكر رضي الله عنه بكثرة صلوة وكثرة صيام ولا بكثرة رواية وفتوى وكلام ولكن بسر وقر في صدره كما شهد له سيد البشر صلى الله عليه وسلم فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق اكثر الناس على تفخيمه وتعظيمه لاسباب ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلعم عن آلاف من الصحابة وكلهم علماء بالله اثنى عليهم صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم احد يحسن صنعة الكلام ولم ينصب نفسه للفتوى منهم احد الا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر منهم وكان اذا سئل عن الفتوى يقول اذهب الى هذا الامير الذي تقلد امور الناس وضعها في عنقه اشارة الى ان الفتوى في القضايا والاحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رضي الله عنه مات تسعة اعشار العلم فقيل له اتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لست اريد علم الفتوى والاحكام انما اريد العلم بالله افترى انه اراد صنعة الكلام والجدل فما لك لا تحرص على معرفة العلم الذي مات بموت عمر وهو الذي سد باب الكلام والجدل وضرب صبيغا بالدرة لما اورد عليه سؤالا في تعارض آيتين من كتاب الله تع وهجره وامر الناس بهجره واما قولك ان المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم ان ما ينال به الفضل عند الله شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر فلقد كان شهرة ابي بكر رضي الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في صدره وكان شهرة عمر بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة اعشاره بموته وبقصده والتقرب الى الله تع في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو امر باطن في سره فاما سائر افعاله الظاهرة يتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة فيكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة وقد انقسموا فمنهم من اراد الله بعلمه وفتواه وذبه عن سنته ولم يطلب به رياء ولا سمعة فاولئك اهل رضوان الله وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولارادتهم وجه الله بفتواهم ونظرهم فان كل علم عمل به فانه فعل مكتسب وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على التقرب الى الله بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل لله به والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله لا من حيث انه متكفل بعلم الدين بل هو متقلد لعمل يقصد به التقرب الى الله واقسام ما يتقرب به الى الله ثلاثة علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من علم وعمل وهو علم طريق الآخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر الى نفسك لتكون يوم القيمة في حزب عمال الله او علماء الله او في حزبهما او تضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا اهم لك من التقليد لمجرد

الاشتهاد. خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به . في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل . على انا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به ان الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وانهم من اشد خصمائهم يوم القيمة فانهم ما قصدوا بالعلم الا وجه الله تع وشوهد من احوالهم ما هو علامات علماء الآخرة كما سيأتي بيانه في باب علامات علماء الآخرة وانهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التصنيف والتدريس فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه مع انهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتاوى والصوارف والدواعي متيقنة ولا حاجة الى ذكرها ونحن الآن نورد من احوال فقهاء الاسلام ما تعلم به ان ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن اظهر الاقتداء بهم منتحلا مذهبهم وهو مخالف لهم في عملهم وسيرتهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق اعني الذين كثر اتباعهم في المذاهب خمسة الشافعي ومالك وابو حنيفة واحمد بن حنبل وسفين الثوري رحمهم الله وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقيها في مصالح الخلق ومريدا بفقهه وجه الله تع فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهو التشمر والمبالغة في تفاريع الفقه لان الخصال الاربعة لا تصلح الا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا وللآخرة ان اريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا تشمروا لها وادعوا بها مشابهة اولئك الائمة وهيهات فلا يقاس الملائكة بالحدادين فلنورد من احوالهم ما يدل على هذه الخصال الاربع فان معرفتهم بالفقه ظاهرة اما الشافعي رضي الله عنه فيدل على كونه عابدا ما روي انه كان يقسم الليل ثلاثة اجزاء ثلث للعلم وثلث للصلوة وثلث للنوم وقال الربيع كان الشافعي يختم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلوة وكان البويطي احد اصحابه يختم القرآن في كل يوم مرة وقال الحسين الكرابيسي بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فاذا اكثر فمائة آية فكان لا يمر بآية رحمة الا سأل الله لنفسه ولجميع المؤمنين ولا بآية عذاب الا تعوذ منها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكانما جمع له الرجاء والرهبة معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره في اسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعي ما شبعت منذ ست عشرة سنة لان الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر الى حكمته في ذكر آفات الشبع ثم في جده في العبادة اذ ترك الشبع لاجله وراس التعبد تقليل الطعام وقال الشافعي ما حلفت بالله عز وجل لا صادقا ولا كاذبا فانظر الى حرمته وتوقيره لله ودلالة ذلك على علمه بجلال الله وسئل الشافعي عن مسئلة فسكت فقيل الا تجيب رحمك الله فقال حتى ادري الفضل في سكوتي او في الجواب فانظر في مراقبته للسانه مع انه اشد الاعضاء تسلطا على الفقهاء واعصاها عن الضبط والقهر وبه يستبين انه كان لا يتكلم ولا يسكت الا لنيل الفضل وطلب الثواب وقال احمد بن يحيى بن الوزير خرج الشافعي يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من اهل العلم فالتفت الشافعي الينا فقال نزهوا اسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون السنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وان السفيه لينظر الى اخبث شيء في وعائه فيحرص ان يفرغه في اوعيتكم ولو ردت كلمة

السفينة لسعد زادتها كما يشتقي بها قابلها وقال الشافعي كتب حكيم الى حكيم قد أوتيت علماً فلا تدنس
علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم بنور علمهم اما زهده فقد قال الشافعي
من ادعى انه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب وقال الحميدي خرج الشافعي
الى اليمن مع بعض الولاة وانصرف الى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب خباه في موضع خارج من مكة
فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها وخرج من الحمام مرة فاعطى الحمامي
مالاً كثيراً وسقط سوطه من يده فدفعه اليه انسان فاعطاه جزاء عليه خمسين ديناراً وسخاوة
الشافعي اشهر من ان يحكى وراس الزهد السخاء لان من احب شيئاً امسكه ولم يفارقه فلا يفرق المال
الا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال
همه بالآخرة ما روي انه روى له سفيان بن عيينة حديثاً من الرقائق فغشي على الشافعي فقيل لسفيان
قد مات فقال ان مات فقد مات افضل اهل زمانه وما روى عبد الله بن محمد البلوي قال كنت انا
وعمر بن نباتة جلوساً نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر ما رأيت اورع ولا افصح من محمد بن ادريس
الشافعي خرجت انا وهو والحرث بن لبيد الى الصفا وكان الحارث تلميذ الصالح المري فافتتح يقرأ
وكان حسن الصوت فقرأ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الشافعي وقد تغير لونه و
اقشعر جلده فاضطرب اضطراباً شديداً وخر مغشياً عليه فلما افاق جعل يقول اعوذ بك من مقام
الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت رقاب المشتاقين الهي
هب لي جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك قال ثم قمنا فانصرفنا فلما دخلت
بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط اتهيأ للصلوة اذ مر بي رجل فقال يا غلام احسن وضوءك
احسن الله اليك في الدنيا والآخرة فالتفت فاذا انا برجل يتبعه جماعة فاسرعت في وضوئي وجعلت اقفو
اثره فالتفت الي فقال هل لك حاجة فقلت نعم تعلمني مما علمك الله شيئاً فقال لي اعلم ان من صدق
الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غداً افلا
ازيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الايمان من امر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر
وانتهى وحافظ على حدود الله الا ازيدك قلت بلى قال كن في الدنيا زاهداً وفي الآخرة راغباً و
اصدق الله في جميع امورك تنجو مع الناجين ثم مضى فسألت من هذا فقالوا هو الشافعي فانظر الى
سقوطه مغشياً عليه ثم الى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد
الا من معرفة الله تعالى فانما يخشى الله من عباده العلماء ولم يستفد الشافعي هذا الخوف من علم كتاب السلم
والاجارة وسائر كتب الفقه بل من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والاخبار اذ حكم الاولين و
الآخرين مودعة فيهما واما كونه عالماً باسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه
كما روي انه سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى حيال ابصار قلوب العلماء فنظروا
اليها بسوء اختيار النفوس فاحبطت اعمالهم وقال الشافعي اذا انت خفت على عملك العجب
فاذكر رضى من تطلب وفي اي نعيم ترغب ومن اي عقاب ترهب واي عافية تشكر واي بلاء تذكر فانك
اذا فكرت في واحدة من هذه الخصال صغر في عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب

وهما من كبائر آفات القلب وقال الشافعي من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وقال من اطاع الله بالعلم
نفعه سره وقال ما من احد الا له محب ومبغض فاذا كان كذلك فكن مع اهل طاعة الله وروي ان عبد
القاهر بن عبد العزيز كان رجلاً صالحاً ورعاً وكان يسأل الشافعي عن مسائل في الورع والشافعي يقبل
عليه لورعه فقال للشافعي ايما افضل الصبر او المحنة او التمكين فقال الشافعي التمكين درجة الانبياء ولا
يكون التمكين الا بعد المحنة فاذا امتحن صبر فاذا صبر مكن الا ترى ان الله تعالى امتحن ابرهيم ثم مكنه وامتحن موسى
ثم مكنه وامتحن ايوب ثم مكنه وامتحن سليمن ثم آتاه ملكاً والتمكين افضل الدرجات قال الله تعالى وكذلك مكنا
ليوسف وايوب بعد المحنة العظيمة مكن قال تعالى وآتيناه اهله ومثلهم معهم الآية فهذا الكلام من الشافعي
يدل على تبحره في اسرار القرآن واطلاعه على مقامات السائرين الى الله من الانبياء والاولياء وكل ذلك من
علوم الآخرة وقيل للشافعي متى يكون الرجل عالماً قال اذا تحقق في علم يعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر
فيما فاته فانه قيل لجالينوس انك تأمر للداء الواحد بالادوية الكثيرة المجتمعة قال انما المقصود منه واحد
وانما يجعل معه غيره ليسكن حدته لان الافراد قاتلة فهذا وامثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة
الله وعلوم الآخرة واما ارادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله فيدل عليه ما روي عنه انه قال
وددت ان الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب الي منه شيء فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم
به وكيف كان منزه القلب عن الالتفات اليه بمجرد النية فيه لوجه الله وقال الشافعي ما ناظرت
احداً قط فاحببت ان يخطئ وقال ما كلمت احداً قط الا احببت ان يوفق ويسدد ويعان ويكون
عليه رعاية من الله عز وجل وحفظ وما كلمت احداً قط وانا ابالي ان يبين الله الحق على لساني او على لسانه
وقال ما اوردت الحق والحجة على احد فقبلها مني الا هبته واعتقدت مودته ولا كابرني على الحق احد
ودافع الحجة الا سقط من عيني ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على ارادة الله بالفقه والمناظرة
فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها ولهذا قال
ابو ثور ما رأيت ولا رأى الراؤون مثل الشافعي وقال احمد بن حنبل ما صليت صلوة منذ اربعين سنة
الا وانا ادعو للشافعي فانظروا الى انصاف الداعي والى درجة المدعو له وقس به الاقران والامثال من العلماء
في هذه الاعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال
له ابنه اي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال احمد يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا
وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وقال احمد ما مس احد بيده محبرة الا وللشافعي في
عنقه منة وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلوة منذ اربع سنين الا وانا ادعو فيها
للشافعي لما فتح الله عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من احواله فان ذلك خارج
عن الحصر واكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن ابرهيم المقدسي في مناقب
الشافعي رحمه الله **واما مالك** رحمه الله فانه كان ايضاً متحلياً بهذه الخصال الخمس فانه سئل ما تقول
يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الى الذي يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي فالزمه وكان
رحمه الله في تعظيم علم الدين مبالغاً حتى كان اذا اراد ان يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه و
سرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال احب

ان اعظم حديث رسول الله صلعم وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تع واما ارادته وجه الله تع بالعلم يدل عليه قوله الجدال في الدين ليس بشيء ويدل عليه قول الشافعي اني شهدت مالكا وسئل عن ثمان واربعين مسئلة فقال في ثنتين وثلثين منها لا ادري ومن يريد غير وجه الله بعلمه فلا تسخو نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري ولذلك قال الشافعي اذا ذكر العلماء فمالك النجم وما احد امن علي من مالك وروي ان ابا جعفر من الخلفاء منعه من رواية الحديث من طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله فروى على ملاء من الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث وقال مالك كان رجل صادق في حديثه لا يكذب الا متع بعقله ولم تصبه مع الهرم آفة ولا خرف واما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روي ان المهدي امير المومنين سأله وقال هل لك دار فقال لا ولكن احدثك سمعت ربيعة بن ابي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا فاعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا فاخذها ولم ينفقها فلما اراد الرشيد الشخوص قال لمالك ينبغي ان تخرج معنا فاني عزمت ان احمل الناس على الموطا كما حمل عثمان الناس على القرآن فقال له اما حمل الناس على الموطا فليس لك الى ذلك سبيل لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده في الامصار فحدثوا فعند كل اهل مصر علم وقد قال رسول الله اختلاف امتي رحمة واما الخروج معك فلا سبيل اليه قال صلى الله عليه وسلم المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هي ان شئتم فخذوها وان شئتم فدعوها يعني انك انما تكلفني مفارقة المدينة بما اصطنعته لدي فلا اوثر الدنيا على مدينة رسول الله صلعم فهكذا كان زهد مالك في الدنيا ولما حمل اليه الاموال الكثيرة من اطراف الدنيا لانتشار علمه واصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ودل سخاوه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال وانما الزهد فراغ القلب عنه فلقد كان سليمن عليه السلم في ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ما روي عن الشافعي انه قال رايت على باب مالك كراعا من افراس خراسان وبغال مصر ما رايت احسن منها فقلت لمالك ما احسنه فقال هو هدية مني اليك يا ابا عبد الله فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال اني استحيي من الله عز وجل ان اطا تربة فيها نبي الله عليه السلام بحافر دابة فانظر الى سخاوته اذ وهب جميع ذلك دفعة والى توقيره لتربة المدينة ويدل على ارادته بالعلم وجه الله واستحقاره الدنيا ما روي عنه انه قال دخلت على هرون الرشيد فقال لي يا ابا عبد الله ينبغي ان تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطا قال فقلت اعز الله الامير ان هذا العلم منكم خرج فان انتم اعززتموه عز وان اذللتموه ذل والعلم يوتى ولا ياتي فقال صدقت اخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس واما ابو حنيفة رحمه الله فلقد كان ايضا عابدا زاهدا عارفا بالله خائفا منه مريدا وجه الله تع بعلمه فاما كونه عابدا فيعرف بما روي عن ابن المبارك انه قال كان ابو حنيفة له مروة وكثرة صلوة وروى حماد بن ابي سليمن انه كان يحيي الليل كله وروي انه كان يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان وهو يمشي وقال لغيره هذا هو الذي يحيي كل الليل فلم يزل بعد ذلك يحيي كل الليل وقال انا استحيي من الله ان اوصف

بما ليس في من عبادته واما زهده فقد روي عن الربيع بن عاصم قال ارسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بابي حنيفة عليه فاراده على بيت المال فابى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب وقال الحكم بن هشام الثقفي حدثت بالشام عن ابي حنيفة انه كان من اعظم الناس امانة واراده سلطان على ان يتولى مفاتيح خزائنه او يضرب ظهره فاختار عذابهم على عذاب الله وروي انه ذكر ابو حنيفة عند ابن المبارك فقال اتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وروي عن محمد بن شجاع عن بعض اصحابه انه قيل لابي حنيفة قد امر لك ابو جعفر امير المومنين بعشرة آلاف درهم قال فما رضي ابو حنيفة فلما كان اليوم الذي توقع ان يوتى بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال من حضر ما يكلمنا الا بالكلمة بعد الكلمة اي هذه عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم اوصى ابو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته فقال لابنه اذا مت ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له هذه وديعتك التي اودعتها ابا حنيفة فقال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على ابيك لقد كان شحيحا على دينه وروي انه دعي الى ولاية القضاء فقال انا لا اصلح له فقيل لم فقال ان كنت صادقا فلا اصلح له وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء واما علمه بامور الآخرة وطرق الدين ومعرفته بالله فيدل عليه شدة خوفه من الله وزهده في الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت انه شديد الخوف لله وقال شريك النخعي كان ابو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المخالطة للناس وهذا من اوضح الامارات على العلم الباطن والاشتغال بمهمات الدين فمن اوتي الصمت والزهد فقد اوتي العلم كله وهذا احوال الائمة الثلاثة واما احمد بن حنبل وسفين فاتباعهم اقل من هولاء وسفين اقل اتباعا من احمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد اظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات افعالهما واقوالهما فلا حاجة الى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هولاء الائمة وتامل ان هذه الاحوال والاقوال والاعمال في الاعراض عن الدنيا والتجرد لله تع هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار واللعان او يثمرها علم آخر اعلى واشرف منه وانظر الى الذين ادعوا الاقتداء بهولاء اصدقوا في دعواهم ام لا والسلام ه

فأبى صح

الباب الثالث فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليست منها

وفيه بيان الوجه الذي به يكون بعض العلوم مذموما وبيان تبديل اسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها ه

بيان علة ذم العلم المذموم لعلك تقول العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله تع فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم ان العلم لا يذم لعينه وانما يذم في حق العباد لاحد اسباب ثلاثة الاول ان يكون مؤديا الى ضرر اما لصاحبه واما لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق اذ شهد القرآن له وانه سبب يتوسل به الى التفرقة بين الزوجين وسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى اخبره جبريل واخرج السحر من تحت حجر في قعر بير وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ

من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص في المطالع ويقرن به
كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوسل بها الى الاستعانة بالشياطين ويحصل من
مجموع ذلك بحكم اجراء الله العادة احوال غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها
معرفة ليست مذمومة ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق والوسيلة الى الشر شر فكان ذلك هو السبب
في كونه مذموما بل من اتبع وليا من اولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز اذا سال الظالم
عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه ارشاد وافادة علم بالشيء على ما هو عليه
ولكنه مذموم لادائه الى الضرر الثاني ان يكون مضرا بصاحبه في غالب الامر كعلم النجوم فانه في
نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان قسم حسابي وقد نطق القرآن بان مسير الكواكب محسوب اذ
قال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم والثاني
الاحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب وهو يضاهي استدلال الطبيب
بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة لمجاري سنة الله وعادته في خلقه ولكن قد ذمه الشرع
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا واذا ذكر النجوم
فامسكوا وقال اخاف على امتي بعدي ثلاثا حيف الائمة وايمانا بالنجوم وتكذيبا بالقدر
وقال عمر تعلموا من النجوم ما تهتدوا به في البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه من ثلاثة اوجه
احدها انه مضر باكثر الخلق فانه اذا القي اليهم ان هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب
وقع في نفوسهم ان الكواكب هي المؤثرة وانها الآلهة المدبرة لانها جواهر شريفة سماوية ويعظم وقعها
في القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها ويرى الخير والشر محذورا او مرجوا من جهتها وينمحي ذكر الله من القلب
فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على ان الشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع
الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهو ينظر الى سواد الخط يتجدد فيعتقد
انه فعل القلم ولا يترقى في نظره الى مشاهدة الاصابع ثم منه الى اليد ثم منه الى الارادة المحركة لليد
ثم منه الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى خالق اليد والقدرة والارادة فاكثر نظر الخلق مقصور
على الاسباب القريبة السافلة مقطوع عن الترقي الى مسبب الاسباب هذا احد اسباب النهي
عن النجوم وثانيها ان احكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد الاشخاص لا يقينا ولا ظنا
فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث انه جهل لا من حيث انه علم فلقد كان ذلك معجزة
لادريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس وانمحى ذلك العلم فانمحق وما يتفق من اصابة المنجم على ندور فهو
اتفاق لانه قد يطلع على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس
في قدرة البشر الاطلاع عليها فان اتفق ان قدر الله بقية الاسباب وقعت الاصابة وان
لم يقدر اخطا ويكون ذلك كتخمين الانسان في ان السماء تمطر اليوم مهما راى الغيم يجتمع وينبعث
من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم
ليس كافيا في المطر وبقية الاسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح ان السفينة تسلم اعتمادا

على ما الفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح اسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب في تخمينه
وتارة يخطئ ولهذه العلة يمنع القوي عن النجوم ايضا ثالثها انه لا فائدة فيه فاقل احواله انه خوض
في فضول لا يغني وتضييع العمر الذي هو انفس بضاعة الانسان بغير فائدة غاية الخسران فقد مر
رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا
قالوا بالشعر وانساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال انما العلم آية محكمة او سنة قائمة
او فريضة عادلة فالخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض جهالة من غير فائدة فان ما قدر
كائن والاحتراز غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة اليه واكثر ادلته مما يطلع عليه وبخلاف التعبير
وان كان تخمينا لانه جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ولا خطر فيه السبب الثالث
الخوض في علم لا يستقل الخائض به فانه مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وكالبحث عن
اسرار الالهية اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون اليها ولم يستقلوا بها ولا يستقل بها وبالوقوف على
طرق بعضها الا الانبياء والاولياء فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق الشرع به ففي
ذلك مقنع للموفق وكم من شخص خاض في العلوم فاستضر به ولو لم يخض فيه لكان حاله احسن في
الدين منه ولا تنكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما يضر لحم الطير وانواع الحلاوى اللطيفة بالصبي
الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الامور فلقد حكي ان بعض الناس شكا الى طبيب عقم زوجته
وانها لم تلد فجس الطبيب نبضها فقال لها لا حاجة بك الى دواء الولادة فانك ستموتين الى اربعين
يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت المراة خوفا عظيما وتنغص عليها عيشها واخرجت اموالها
وفرقت واوصت وبقيت لا تاكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب
فقال لم تمت فقال الطبيب علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذلك قال رايتها سمينة
وقد انعقد الشحم على فم رحمها وعلمت انها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال
المانع من الولادة فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم
نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها فلازم
الاقتداء بالصحابة واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث والاستقلال
ولا تكثر اللجج برايك وبعقلك ودليلك وبرهانك وزعمك اني ابحث عن الاشياء لاعرفها على ما هي
عليها فاي ضرر في العلم فان ما يعود عليك من ضرره اكثر وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك
ضررا يكاد يهلكك في الآخرة ان لم يتداركك الله برحمته اعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق على اسرار في
المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذا الانبياء اطباء القلوب والعلماء باسباب الحيوة الاخروية
فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فكم من شخص يصيبه عارض في اصبعه فيقتضي عقله ان يطليه حتى ينبهه
الطبيب الحاذق ان علاجه ان يطلي الكتف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد
من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الاعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الامر في طريق الآخرة
في دقائق سنن الشرع وآدابها وفي عقائدها التي تعبد الناس بها اسرار ولطائف ليس في سعة العقل
وقوته الاحاطة بها كما ان في خواص الاحجار امورا غاب عن اهل الصنعة علمها حتى لم يقدر احد على

ان يعرف السبب الذى به يجذب المغناطيس الحديد والعجايب والغرايب في العقايد والاعمال وافادتها لصفاء القلوب ونقايتها وطهارتها وزكايها واصلاحها للترقى الى جوار الله وتعرضها لنفحات رحمته وفضله اكثر واعظم مما فى الادوية والعقاقير وكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع الادوية مع ان للتجربة سبيلا اليها فالعقول تقصر عن ادراك منافع الادوية مع ان للتجربة سبيلا اليها فالعقول تقصر عن ادراك ما ينفع فى حيوة الآخرة مع ان التجربة غير متطرقة اليها انما كانت التجربة تتطرق اليها لو رجع الينا بعض الاموات فاخبرنا عن الاعمال المقبولة النافعة المقربة الى الله زلفى وعن الاعمال المبعدة عنه وكذا عن العقايد وذلك لا مطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل ان يهديك الى صدق النبى صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد اشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم الا به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم جهلا وان من القول عيالا و معلوم ان العلم لا يكون جهلا ولكنه يوثر تاثير الجهل فى الاضرار وقال ايضا قليل من التوفيق خير من كثير العلم وقال عيسى عليه السلم ما اكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما اكثر الثمر وليس كلها بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع **بيان ما بدل من الفاظ العلوم** اعلم ان منشا التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الاسامى المحمودة وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة الى معان غير ما اراده السلف الصالح والقرن الاول وهى خمسة الفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه اسام محمودة والمتصفون بها ارباب المناصب فى الدين ولكنها نقلت الآن الى معان مذمومة وصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الاسامى عليهم **اللفظ الاول الفقه** فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل اذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة فى الفتاوى والوقوف على دقايق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان اشد تعمقا فيها واكثر اشتغالا بها يقال هو الافقه ولقد كان اسم الفقه فى العصر الاول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقايق آفات النفوس و مفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله تعالى ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وما به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار و تخويف بل التجرد له على الدوام يقسى القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجرد له وقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها واراد معانى الايمان دون الفتاوى ولعمرى الفقه والفهم فى اللغة اسمان لمعنى واحد وانما نتكلم فى عادة الاستعمال قديما وحديثا وقال تعالى لانتم اشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون فاحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى او نتيجة ما ذكرناه من العلوم وقال صلى الله عليه وسلم علماء حكماء فقهاء للذين وفدوا عليه وسيل سعد بن ابراهيم اى اهل المدينة افقه فقال اتقاهم فكانه اشارة الى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوى والاقضية قال صلى الله عليه وسلم الا انبيكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط

الناس من رحمة الله ولم يومنهم من مكر الله ولم يويسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه ولما روى انس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم لان اقعد مع قوم هم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس احب الى من ان اعتق اربع رقاب قال فالتفت الى يزيد الرقاشى وزياد النميرى وقال لم يكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص احدكم ويخطب على اصحابه ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه فى الدين ونعد نعم الله علينا فسمى تدبر القرآن وعد النعم تفقها وقال صلى الله عليه وسلم لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس فى ذات الله و حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة وروى ايضا موقوفا على ابى الدرداء مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا وسال فرقد السبخى الحسن عن شى فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك يا فريقد وهل رايت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل فى جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست اقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى فى الاحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول او بطريق الاستتباع وكان اطلاقهم على علم الآخرة اكثر فثار من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الآخرة واحكام القلب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به الى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك فى القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود فى الشرع به **اللفظ الثانى العلم** وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله وباياته وافعاله فى عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر قال ابن مسعود رضى الله عنهما مات تسعة اعشار العلم فعرفه بالالف واللام وفسره بالعلم بالله وقد تصرفوا فيه ايضا بالتخصيص حتى شهروه فى الاكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم فى المسايل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل فى العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه فى زمرة اهل العلم و هذا ايضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضايل العلم والعلماء اكثره فى العلماء بالله وباحكامه و افعاله وصفاته وصار الآن يطلق على من لا يحيط من علوم الشرع بشى سوى رسوم جدلية فى مسايل خلافية فيعدونه من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والاخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا للخلق كثير من الطلبة **اللفظ الثالث التوحيد** وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام و معرفة طريق المجادلة والاحاطة بمناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الاسولة واثارة الشبهات وتاليف الالزامات حتى لقب طوايف منهم انفسهم باهل العدل والتوحيد وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع ان جميع ما هو خاصية هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شى فى العصر الاول بل كان يشتد النكير منهم على من يفتح ابواب الجدل والمماراة فاما ما يشتمل عليه القرآن من الادلة الظاهرة التى تسبق الاذهان الى قبولها فى اول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن امر آخر لا يفهمه اكثر المتكلمين وان فهموه لم يتصفوا به وهو ان يرى الامور كلها من الله رؤية تقطع التفاته عن الاسباب والوسايط فلا يرى الخير والشر الا منه وهذا مقام

شريف احدى ثمراته التوكل ومن ثمراته ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم
الله وكان احدى ثمراته قول ابي بكر رضي الله عنه لما قيل له في مرضه انطلب لك طبيبا فقال الطبيب امرضني
وقول آخر لما مرض وقيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال اني فعال لما اريد وسيأتي
شواهد ذلك في كتاب التوكل وكان التوحيد جوهر نفيس وله قشران احدهما ابعد عن اللب من الآخر فخصص
الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر واهملوا اللب بالكلية فالقشر الاول هو ان تقول بلسانك
لا اله الا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي يصرح به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق
الذي يخالف سره جهره والقشر الثاني ان لا يكون في القلب مخالفة وانكار لمفهوم هذا القول
بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق
حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة والثالث وهو اللباب ان يرى الامور كلها من الله تعالى
رؤية تقطع التفاته عن الوسايط وان يعبده عبادة يفرده بها ولا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد
اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال تع افرايت من اتخذ الهه هواه وقال
صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد في الارض عند الله هو الهوى وعلى التحقيق من تامل عرف ان عابد الصنم
ليس يعبد الصنم انما يعبد هواه اذ نفسه مايلة الى دين آبايه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المالوفات
احد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات اليهم فان من
يرى الكل من الله كيف يتسخط على غيره فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو من مقامات الصديقين
فانظر الى ماذا حول وباي قشر قنع وكيف اتخذ هذا معتصما في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع
الافلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كافلاس من يصبح بكرة ويتوجه الى القبلة ويقول
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وهو اول كذب يفاتح الله به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها
اليه تع عن ان يحده الجهات والاقطار وان اراد به وجه القلب فهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق
قوله وقلبه متردد في اوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع المال والجاه واستكثار الاسباب
ومتوجه بالكلية اليها فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والارض وهذه الكلمة هي خبر عن حقيقة التوحيد
فالموحد هو الذي لا يرى الا الواحد ولا يتوجه وجهه الا اليه وهو امتثال قوله تع قل الله ثم ذرهم وليس المراد به
القول باللسان انما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب اخرى وانما موقع نظر الله تع المترجم عنه وهو
القلب فهو معدن التوحيد ومنبعه **اللفظ الرابع الذكر والتذكير** وقد قال تع وذكر فان الذكرى
تنفع المومنين وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر اخبار كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض
الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث ان لله ملايكة سياحين في
الهواء سوى ملايكة الخلق اذا راوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا الا هلموا الى بغيتكم فياتونهم و
يحفون بهم ويستمعون الا فاذكروا الله وذكروا انفسكم فنقل ذلك الى ما ترى اكثر الوعاظ في الزمان
يواظبون عليه وهو القصص والاشعار والشطح والطامات اما القصص فهي بدعة وورد نهي السلف
عن الجلوس الى القصاص وقالوا لم يكن ذلك في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمان ابي بكر
وعمر حتى ظهرت الفتنة فظهر القصاص وروي ان ابن عمر خرج من المسجد وقال ما اخرجني الا

القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت للثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا
البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الامير
القصاص ان يقصوا ودخل الاعمش جامع البصرة فراى قاصا يقص ويقول حدثنا الاعمش فتوسط
الحلقة واخذ ينتف شعر ابطه فقال القاص يا شيخ الا تستحيي قال لم انا في سنة وانت في كذب
انا الاعمش وما حدثتك وقال احمد اكثر الناس كذبا القصاص والسؤال واخرج علي
رضي الله عنه القصاص من مسجد البصرة ولما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه اذ كان يتكلم في علم الآخرة و
التذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الاعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر
بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد في شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها وقلة عهدها وخطر
الآخرة واهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذي روي الحث عليه في حديث ابي ذر حيث قال
حضور مجلس ذكر افضل من صلوة الف ركعة وحضور مجلس علم افضل من عيادة الف مريض وحضور
مجلس علم افضل من شهود الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن
الا بالعلم وقال عطاء مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه
الاحاديث حجة على تزكية انفسهم ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود
واشتغلوا بالقصص التي يتطرق اليها الاختلاف والزيادة والنقصان ويخرج عن القصص الواردة
في القرآن ويزيد عليه فان من القصص ما ينفع سماعه ومنه ما يضر وان كان صادقا ومن فتح ذلك
الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فعن هذا نهي عنه ولذلك قال احمد
بن حنبل ما احوج الناس الى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الانبياء فيما يتعلق بامور
دينهم وكان صحيح الرواية فلست ارى به باسا فليحذر الكذب وحكايات احوال تومي الى هفوات او مساهلات
يقصر فهم العوام عن درك معانيها او عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات ومتداركة بحسنات
تغطي عليها فان العامي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بانه حكي كيت و
كيت عن بعض المشايخ وبعض الاكابر فكلنا بصدد المعاصي فلا غرو ان عصيت الله فقد عصى من
هو اكبر مني ويفيده ذلك جراة على الله من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين
فلا باس به وعند ذلك يرجع القصص المحمودة الى ما يشتمل عليه القرآن وصح في الكتب الصحيحة من
الاخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويزعم ان قصده فيه
دعوة الخلق الى الحق وهذا من نزغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما
ذكر الله سبحانه ورسوله غنية عن الاختراع في الوعظ كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من
التصنع قال سعد بن ابي وقاص لابنه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذي يبغضك الي لا قضيت
حاجتك ابدا وقد كان جاءه في حاجة وقد قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من
ثلاث كلمات اياك والسجع يا ابن رواحة فكان السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين ولذلك
لما قال الرجل في دية الجنين كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل
ذلك بطل فقال صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الكهان واما الاشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم

قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وقال وما علمناه الشعر
وما ينبغي له واكثر ما اعتاده الوعاظ من الاشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق
وروح الوصال والم الفراق والمجلس لا يحوي الا اجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات
وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى الصور المليحة فلا تحرك الاشعار من قلوبهم الا ما هي مستكنة
فيها فتشتعل فيها نيران الشهوة فيزعقون ويتواجدون واكثر ذلك او كله يرجع الى نوع فساد فلا
ينبغي ان يستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة او حكمة على سبيل استشهاد واستيناس فقد قال صلى الله عليه وسلم
ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله ولم يكن معهم غيرهم فان
ذلك لا يضرهم الشعر الذي يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولي على قلبه
كما سيأتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان الجنيد يتكلم على بضعة عشر رجلا فان كثروا لم يتكلم وما
تم اهل مجلسه عشرين قط وحضر جماعة على باب دار ابن سالم فقيل له تكلم فقد حضر اصحابك فقال لا ما
هؤلاء اصحابي انما هم اصحاب المجلس ان اصحابي هم الخواص واما الشطح فنعني به صنفين من
الكلام احدثه بعض المتصوفة احدهما الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال
المغني عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية و
المشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين الحلاج الذي
صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق وبما يحكون عن ابي يزيد
البسطامي انه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من
اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوى فان هذا كلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة
في الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلا يعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم
ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما انكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن ان يقولوا ان هذا انكار
مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة
نور الحق فهذا ومثله مما قد استطار في البلاد شرره وعظم ضرره ومن نطق بشيء منه فقتله افضل
في دين الله من احياء عشرة واما ابو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى عنه وان سمع ذلك
منه فلعله كان يحكيه عن الله تعالى في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني
ما كان ينبغي ان يفهم ذلك منه الا على سبيل الحكاية الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومة لها
ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك اما ان تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها
عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان تكون
مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته العلم وعدم تعلمه طريق
التعبير عن المعاني بالالفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلوب ويدهش
العقول ويحير الاذهان او يحمل على ان يفهم منها معان ما اريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى
هواه وطبعه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفهمونه الا
كان فتنة عليهم وقال عليه السلام كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله

ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه القائل دون
السامع فلا يحل ذكره قال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها
اهلها فتظلموهم وكونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ آخر من وضع
الحكمة في غير اهلها جهل ومن منعها اهلها ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذي حق
حقه واما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وامر آخر يخصه وهو صرف الفاظ الشرع
من ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لا يسبق منها الى الافهام شيء كدأب الباطنية في التاويلات
وهذا ايضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل
عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ
وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به
والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من البدع
الشائعة العظيم ضررها وانما قصد اصحابها بها الاغراب فان النفوس مائلة الى الغريب ومستلذة
له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتاويل ظواهرها وتنزيلها على رايهم كما
حكيناه من مذهبهم في كتاب المستظهري المصنف في الرد على الباطنية ومثال
تاويل اهل الطامات قول بعضهم في تاويل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى اشار الى قلبه وقال
هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان وفي قوله تعالى والق عصاك اي كل ما تتوكأ عليه وتعتمده
مما سوى الله تعالى فينبغي ان تلقيه وفي قوله عليه السلام تسحروا فان في السحور بركة اراد به الاستغفار
بالاسحار وامثال ذلك حتى يحرفون القرآن من اوله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول
عن ابن عباس رضي الله عنهما وسائر العلماء وبعض هذه التاويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل
فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا وجوده ودعوة موسى عليه السلام له
كابي لهب وابي جهل وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة وما لم يدرك
بالحس حتى يتطرق التاويل الى الفاظه وكذلك حمل السحور على الاستغفار فانه كان عليه السلام
يتناول الطعام ويقول تسحروا وهلموا الى الغذاء المبارك فهذه امور يدرك بالتواتر والحس بطلانها
وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور لا يتعلق بها الاحساس وكل ذلك حرام وضلالة و
افساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم ولا عن التابعين ولا عن الحسن
البصري مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم ولا يظهر لقوله عليه السلام من فسر القرآن برايه
فليتبوأ مقعده من النار معنى الا هذا النمط وهو ان يكون غرضه ورايه تقرير امر وتحقيقه فيستجر
بشهادة القرآن اليه ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية او نقلية و
لا ينبغي ان يفهم منه انه يجب ان لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فان من الآيات ما نقل
فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ونعلم ان جميعها غير مسموعة عن النبي صلى
الله عليه وسلم فانها تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر و
لهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل

ومن يستجيز من اهل الطامات مثل هذه التاويلات مع علمه بانها غير مرادة بالالفاظ ويزعم انه يقصد به دعوة الخلق الى الحق يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسئلة يراها حقا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله عليه السلام من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار بل الشر في تاويل هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للثقة بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق من العلوم المحمودة الى المذمومة وكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الاسامي فان اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات الى ما عرف في العصر الاول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما في هذه العصر وذلك بالغفلة عن تبديل اللفظ **اللفظ الخامس الحكمة** فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على اكف السوادية في شوارع الطرق والحكمة هي التي اثنى الله تع عليها فقال ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقال عليه السلام كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه والى ماذا نقل وقس عليه بقية الالفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم على الدين اعظم من شر الشياطين اذ الشيطان بواسطتهم يتدرج الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا لما سئل رسول الله صلعم عن شر الخلق ابى وقال اللهم غفرا حتى كرروا عليه فقال هم علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس واليك الخيرة في ان تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف او تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع محدث وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء فقيل ومن الغرباء فقال الذين يصلحون ما افسده الناس من سنتي والذين يحيون ما اماتوه من سنتي وفي خبر آخر هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفي حديث آخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثوري رحمه الله اذا رأيت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق ابغضوه **بيان القدر المحمود من العلم المحمود** اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلاثة اقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان اكثر كان احسن وافضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل احوال البدن فان فيه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنه ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنه ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد وان كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم فالقسم المذموم قليله وكثيره ما لا فايدة فيه في دين ولا دنيا او فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فايدة فيه اصلا وصرف العمر الذي هو انفس ما يملكه الانسان اليه اضاعة واضاعة النفايس مذمومة ومنه ما فيه ضرر يربى على ما يظن انه يحصل به من قضاء وطر في الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل منه واما القسم المحمود الى اقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تع وبصفاته وافعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب

لذاته وللتوصل به الى سعادة الآخرة وبذل المقدور فيه الى اقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذي لا يدرك غوره وانما يحوم المحومون على سواحله واطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض اطرافه الا الانبياء والاولياء والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله عز وجل في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة احوال علماء الآخرة كما سيأتي علامتهم هذا في اول الامر ويعين عليه في الآخر المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيه بانبياء الله عز وجل واوليائه ليتضح منه لكل ساع الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها واما العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهي العلوم التي اوردناها في فروض الكفايات فان في كل علم منها اقتصارا هو الاقل واقتصادا هو الوسط واستقصاء وراء الاقتصاد لا مرد له الى آخر العمر فكن احد رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الصوم والصلوة والطهارة واما الاهم الذي اهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة من الحسد والحرص والرياء والكبر والعجب واخوات هذه الخصال وجميع ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب والدماميل والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالاعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الاطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقطع مغارسها وهي في القلب وانما فزع الاكثرون الى الاعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة اعمال الجوارح واستصعاب اعمال القلوب كما يفزع الى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الادوية المرة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في المواد وتتضاعف به الامراض فان كنت مريدا للآخرة وطالبا للنجاة وهاربا من هلاك الابد فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم ينجر ذلك بك الى المقامات المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والارض اذا انقيت من الحشيش نبت فيها اصناف الزرع والرياحين وان لم تفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفي الخلق من قد قام به فان مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة من دخلت الافاعي والعقارب داخل ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب اذا همت به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا وعادة متيسرة فيك وما ابعد ذلك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله تع ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وساير علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم باصول الفقه

وهكذا الى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طالبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي ان ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شايع علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير اليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس عليها غيرها فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما صنفه علي الواحدي النيسابوري وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة اضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه لا مرد له الى انتهاء العمر واما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث واما حفظ اسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك ان تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة واما الاقتصاد فيه فان تضيف اليه ما خرج منهما مما اورد في المسندات الصحيحة واما الاستقصاء فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة احوال الرجال واساميهم واوصافهم واما الفقه فالاقتصار فيه ما يحويه مختصر المزني وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ منه ثلاثة امثاله وهو القدر الذي اوردناه في الوسيط من المذهب والاستقصاء ما اوردناه في البسيط الى ما وراء ذلك من المطولات واما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من السلف لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الامور من غير طريقه ومقصود حفظ السنة تحصل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي اوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة وهو الذي اوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها من قلب العامي وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم اما المبتدع بعد ان تعلم من الجدل ولو شيئا يسيرا فقلما ينفع معه الكلام فانك ان افحمته لم يترك مذهبه واحال القصور على نفسه وقدر ان عند غيره جوابا ما هو عاجز عنه وانما انت ملبس بقوة المجادلة عليه واما العامي اذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن ان يرد اليه بمثله قبل ان يشتد التعصب للاهواء فاذا اشتد تعصبهم وقع اليأس عنهم اذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس و هذا ايضا من آفات علماء السوء فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون الى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدعوى بالمكافاة والمقابلة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ولو جاؤوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض الغضب والتحقير لانجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ولا يستميل الاتباع شيء مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس واما الخلافيات

التي احدثت في هذه الاعصار المتأخرة وابدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف فاياك ان تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانه الداء العضال وهو الذي رد الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائله وآفاته و هذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس اعداء ما جهلوا ولا تظنن ذلك فعلى الخبير سقطت به فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا طويلا وزاد فيه على الاولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم الهمه الله رشده واطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه ولا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة في المذهب و الزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الاولون ولا الصحابة رضي الله عنهم وقد كانوا اعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هي مع انها غير مفيدة في علم المذهب فهي ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذي يشهد له حدس المفتي اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في اكثر الامر فمن الف طبعه رسوم الجدل اذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بانه يطلب علل المذاهب وقد يمضي عليه العمر ولا تنصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن في امان واحترز من شياطين الانس فانهم اراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضي عند العقلاء ان تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله عز وجل وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا ما انتفعت الا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وفي الحديث في معنى قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ الآية هم اهل الجدل الذين عناهم الله تعالى بقوله فاحذرهم وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان الهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل وفي الخبر المشهور ابغض الخلق الى الله عز وجل الالد الخصم وفي الخبر ما اوتي قوم المنطق الا منعوا العمل

الباب الرابع في سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط اباحتها

اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون وكانوا ائمة وعلماء بالله تعالى وفقهاء في احكامه ومستقلين بالفتاوى والاقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادرا في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام الخلق من الدنيا واقبلوا على الله عز وجل بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا

فاضطر الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار عز العلماء
واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه
قبل الولاة فاكبوا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات
منهم فمنهم من حرم ومنهم من انجح والمنجح لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الابتذال فاصبح الفقهاء بعد
ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الا من
وفقه الله عز وجل في كل عصر من علماء دينه وقد كان اكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى و
الاقضية لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع
مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلم رغبته الى المناظرة والمجادلة
في الكلام فانكب الناس على علم الكلام واكثروا فيها التصانيف ورتبوا فيها طرق المجادلات واستخرجوا
فيها فنون المناقضات في المقالات وزعموا ان غرضنا الذب عن دين الله تع والنضال عن السنة وقمع المبتدعة
كما زعم من قبلهم ان غرضهم الاشتغال بفتاوى الدين وتقلد احكام المسلمين اشفاقا على خلق الله تع ونصيحة لهم
ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من
فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الناشية المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد
ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص فترك
الناس الكلام وفنون العلم واقبلوا على المسايل الخلافية بين ابي حنيفة والشافعي على الخصوص وتساهلوا في الخلاف
مع مالك وسفين واحمد بن حنبل وغيرهم وزعموا ان غرضهم استنباط دقايق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد
اصول الفتاوي واكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات والتصنيفات
وهم مستمرون عليه الى الآن وليس ندري ما الذي قدر الله عز وجل فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث
على الاكباب على الخلافيات والمناظرة لا غير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر
من الائمة او الى علم آخر من العلوم لمالوا ايضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به من علم الدين
وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين **بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات
بمشاورات الصحابة ومناظرات السلف** اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بان
غرضنا من المناظرة المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون على النظر وتوارد الخواطر
مفيد ومؤثر وهكذا كان عادة الصحابة في مشاوراتهم كتشاورهم في مسئلة الجد والاخوة وحد شرب
الخمر ووجوب الغرم على الامام اذا اخطأ كما نقل من اجهاض المراة جنينها خوفا من عمر رضي الله عنه وكما نقل
في مسايل الفرايض وغيرها وما نقل عن الشافعي ومحمد بن الحسن ومالك وابي يوسف وغيرهم من العلماء و
يطلعك على هذا التلبيس ما اذكره وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات
الاول ان لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الاعيان ومن عليه
فرض عين فاشتغل بفرض الكفاية وزعم ان مقصوده الحق فهو كذاب ومثاله من يترك الصلوة في
نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي بذلك ستر عورة من يصلي عاريا ولا يجد الثوب
فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لامور هي فرض عين بالاتفاق

ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وتحرم بالصلوة التي هي اقرب القربات الى الله تع عصى بذلك فلا
يكفي في كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب **الثاني**
ان لا يرى فرض كفاية اهم من المناظرة فان راى ما هو اهم من المناظرة عصى بفعله وكان مثاله من يرى جماعة
من العطاش اشرفوا على الهلاك وقد اهملهم الناس وهو قادر على احيائهم بان يسقيهم الماء فاشتغل
بتعلم الحجامة وزعم انه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها هلك الناس واذا قيل في البلد جماعة
من الحجامين وفيهم غنية فيقول وهذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل
الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض
كفايات مهملة لا قايم بها واما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد عن جملة من الفروض المهملة
لا يلتفت الفقهاء اليها واقربها الطب اذ لا يوجد في اكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول على قول
الطبيب فيه شرعا ولا يرغب احد من الفقهاء في الاشتغال به وكذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه
من فروض الكفايات وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت
ويناظر في مسئلة لا يتفق وقوعها قط وان وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم انه يريد ان يتقرب
الى الله تع بفرض الكفاية وقد روى انس انه قيل يا رسول الله متى يترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فقال اذا ظهرت المداهنة في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صغاركم والفقه في اراذلكم
الثالث ان يكون المناظر مجتهدا يفتي برايه لا بمذهب ابي حنيفة والشافعي وغيرهما حتى اذا ظهر
له الحق في مذهب ابي حنيفة رحمه الله ترك ما يوافق مذهب الشافعي رحمه الله وافتى بما ظهر له كما كان يفعله
الصحابة والائمة رضي الله عنهم فاما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم جميع اهل العصر وانما يفتي فيما
يسأل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له ان يتركه فاي فايدة له في
المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه ان يقول لعل عند صاحب مذهبي
جوابا عن هذا فاني لست مستقلا بالاجتهاد في اصل الشرع ولو كانت مباحثة عن المسايل التي فيها
وجهان او قولان لصاحبه لكان اشبه فانه ربما يفتي باحدهما فيستفيد من البحث ميلا الى احد الجانبين
ولا يرى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسئلة التي فيها وجهان او قولان وطلبت مسئلة
يكون فيها قولان الخلاف فيها مبتوتا **الرابع** ان لا يناظر الا في مسئلة واقعة او قريبة الوقوع
غالبا فان الصحابة ما تشاوروا الا فيما تجدد من الوقايع او ما يغلب وقوعه كالفرايض ولا ترى
المناظرين يهتمون بانتقاد المسايل التي تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطوليات التي يتسع مجال
الجدل فيها كيف ما كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية او هي من
الزوايا وليست من الطبول فلا تطول الكلام فيها والمقصود في الحق ان يقصر الكلام ويبلغ الغاية
على القرب لا ان يطول **الخامس** ان يكون المناظرة في الخلوة احب اليه واهم من المحافل وبين
اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة اجمع للفهم واحرى بصفاء الفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع
ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان او مبطلا وانت تعلم ان
حرصهم على المحافل والمجامع اشد وان الواحد يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا

يجيب فاذا ظهر مقدم او انتظم مجموع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام **السادس** ان يكون في طلب الحق كمنشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة على يده او على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره اذا عرفه الخطأ واظهر له الحق كما لو اخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في موضع آخر فانه يشكره ولا يذمه ويفرح به ولا يكرهه فهكذا كانت مشاورات الصحابة حتى ردت امراة على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملأ من الناس فقال اصابت امراة واخطأ رجل وسأل رجل عليا رضي الله عنه فاجاب فقال ليس كذلك يا امير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال اصبت واخطأت وفوق كل ذي علم عليم واستدرك ابن مسعود على ابي موسى الاشعري رضي الله عنهما فقال ابو موسى لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لما سئل ابو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله تعالى فقتل فقال هو في الجنة وكان امير الكوفة فقال ابن مسعود رضي الله عنه اعد على الامير فلعله لم يفهم فاعاد واعاد الجواب فقال ابن مسعود رضي الله عنه انا اقول ان قتل فاصاب الحق فهو في الجنة فقال ابو موسى رضي الله عنه ما قال هكذا يكون انصاف طالب الحق ولو كان الآن مثل هذا لاقل فقيه لانكره واستبعده وقال لا يحتاج الى ان يقال اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل احد فانظر الى مناظري زمانك كيف يسود وجه احدهم اذا ظهر الحق على لسان الخصم وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاحدته باقصى قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحيي من تشبيه نفسه بالصحابة في تعاونهم على النظر **السابع** ان لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من جميع كلامه دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمني ذكره وهذا يناقض كلامك الاول فلا يقبل منك فان الرجوع الى الحق ابدا يكون مناقضا للباطل ويجب قبوله وانت ترى ان جميع المجالس تنقضي في المجادلات والمدافعات حتى يقيس المستدل على اصل بعلة يظنها فيقال له ما الدليل على ان الحكم في الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح واولى منه فاذكره حتى انظر فيه فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا اذكرها ولا يلزمني ذكرها ويقول المستدل عليك ابراز ما تدعيه وراء هذا ويصر المعترض على انه لا يلزمه و يتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وامثاله ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اني اعرف ولا اذكره اذ لا يلزمني ذكره كذب على الشرع فانه ان كان لا يعرف معنى فانما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله سبحانه وتعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها وان كان صادقا فقد فسق باخفائه ما عرفه من امر الشرع وقد سأله اخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه فان كان قويا رجع اليه وان كان ضعيفا اظهر له ضعفه واخرجه عن ظلمة الجهل ولا خلاف ان اظهار ما علم من علم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني اي في شرع الجدل الذي ابدعناه بحكم التشهي والرغبة في طرق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني والا فهو لازم بالشرع فانه بامتناعه عن الذكر اما كاذب واما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف هل سمعت فيها ما يضاهي هذا الجنس وهل منع احد من الانتقال من دليل الى دليل ومن قياس الى اثر ومن خبر الى آية بل جميع مناظراتهم

هذا الجنس اذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه **الثامن** ان يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفا من ظهور الحق على لسانهم ويرغبون فيمن دونهم طمعا في ترويج الباطل عليهم ووراء هذا شروط دقيقة ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك الى من يناظر لله تعالى ومن يناظر لعلة واعلم بالجملة ان من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدو له ولا يزال يدعوه الى الهلاك ثم يشتغل بمناظرة غيره في مسائل المجتهد فيها مصيب او مساهم للمصيب في الاجر فهو ضحكة للشياطين وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به بما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي نعددها ونذكر تفصيلها

بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الاخلاق

اعلم وتحقق ان المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل والتشرف على الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله تعالى المحمودة عند عدو الله ابليس ونسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما ان الذي خير بين الشرب وبين سائر الفواحش استصغر الشرب فاقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك الى اضمار الخبائث كلها في النفس وهيج فيه جميع الاخلاق المذمومة وهذه الاخلاق ستأتي ادلة مذمتها من الآيات و الاخبار في ربع المهلكات ولكنا نشير الآن الى مجامع ما تهيجه المناظرة **فمنها** الحسد وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وتارة يحمد كلام غيره فما دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوة في العلم والنظر او يظن انه احسن منه كلاما واقوى نظرا فانه يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف الوجوه والقلوب عنه اليه والحسد نار محرقة فمن بلي به فهو في العذاب الاليم في الدنيا ولعذاب الآخرة اشد واعظم ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فانهم يتغايرون كما تتغاير التيوس في الزريبة **ومنها** التكبر والترفع على الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكبر وضعه الله تعالى ومن تواضع رفعه الله تعالى وقال حكاية عن الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار ولا ينفك المناظر عن التكبر على الاقران والامثال والترفع الى فوق قدره حتى انهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيها في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منه والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بانه يبغي صيانة العلم وان المؤمن منهي عن اذلال نفسه فيعبر عن التواضع الذي اثنى الله تعالى به على النبي وعلى سائر انبيائه عليهم السلام بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما **ومنها** الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود و ورد في ذم الحقد ما لا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على ان لا يضمر حقدا على من يحرك رأسه على كلام خصمه

ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك الى اضمار الحقد وتربيته في النفس
وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه الى الظاهر لا محالة في غالب الامر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور
اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع احواله في ايراده واصداره ثم لو صدر من خصمه
ادنى تشبيب فيه او قلة مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا يقلعه ابد الدهر الى آخر العمر
ومنها الغيبة وقد شبهه الله تع باكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا على اكل الميتة فانه لا ينفك
عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغاية تحفظه ان يصدق عليه ولا يكذب في الحكاية فيحكي عنه لا محالة ما
يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة واما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على ان
يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغي الى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه الى الجهل
والحماقة وقلة الفهم والبلادة ومنها تزكية النفس قال الله تع فلا تزكوا انفسكم وقيل لحكيم
ما الصدق القبيح قال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر عن الثناء على نفسه بالقوة والغلبة و
التقدم بالفضل على الاقران ولا ينفك في اثناء المناظرة عن قوله لست ممن يخفى عليه امثال هذه
الامور وانا المتفنن في العلوم والمستقل بالاصول وحفظ الاحاديث وغير ذلك مما يتمدح
به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة الى ترويج كلامه ومعلوم ان الصلف والبذخ مذموم
شرعا وعقلا ومنها التجسس وتتبع عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود مناظر الى البلد
فيطلب من يخبر بواطن احواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه في افضاحه وتخجيله
اذا مست اليه حاجته حتى انه يستكشف عن احوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة
او على عيب من قرع او غيره ثم اذا احس بادنى غلبة من جهته عرض به ان كان متماسكا ويستحسن
ذلك منه ويعد ذلك من لطائف التشبيب ولا يمتنع عن الافصاح ان كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء
كما حكي عن اقوام من اكابر المناظرين والمعدودين من فحولهم ومنها الفرح بمساءة الناس والغم
بما يسرهم ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد عن اخلاق المؤمنين وكل من طلب المباهاة باظهار
الفضل يسره لا محالة ما يسوء اقرانه واشكاله الذين يساوونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما
بين الضرات فكما ان احدى الضرات اذا رات صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها
فكذا المناظر اذا رأى مناظرا فيتغير لونه ويضطرب عليه فكره كانه شاهد شيطانا او سبعا
ضاريا فاين الاستيناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من
المواخاة والتناصر والتساهم في السراء والضراء حتى قال الشافعي العلم بين اهل العقل رحم
متصل فلا ادري كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور ان
ينشب الانس مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات فناهيك بالشيء شرا ان يلزمك
اخلاق المنافقين ويبريك عن اخلاق المؤمنين والمتقين ومنها النفاق ولا يحتاج الى
ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم واشياعهم ولا يجدون
بدا من التودد باللسان واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم واحوالهم ويعلم المخاطب والمخاطب
وكل من يسمع ذلك منهم ان ذلك كذب وزور ونفاق وفجور وانهم متوادون بالالسنة متباغضون بالقلوب

نعوذ بالله من ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن و
تباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم رواه الحسن
وقد صح ذلك بمشاهدة الحال ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى ان
ابغض شيء الى المناظر ان يظهر الحق على لسان خصمه ومهما ظهر تشمر لجحده وانكاره باقصى جهده و
بذل غاية امكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه ثم تصير المماراة عادة فيه طبيعية فلا يسمع كلاما الا و
ينبعث من طبعه داعية الى الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في ادلة القرآن والفاظ الشرع فيضرب
البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور اذ ندب رسول الله صلعم الى ترك المراء بالحق على
الباطل فقال من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى له بيت في
اعلى الجنة وقد سوى الله تع بين من افترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق فقال ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه وقال فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ومنها الرياء
وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم اليه والرياء هو الداء العضال الذي
يدعو الى اكبر الكبائر كما سياتي في كتاب الرياء والمناظر لا يقصد الا الظهور عند الخلق واطلاق
السنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خلال من امهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين
منهم من الخصام المؤدي الى الضرب واللكم وتمزيق الثياب والاخذ باللحى وسب الوالدين وشتم
الاستاذين والقذف الصريح فان اولئك ليسوا معدودين في زمرة الناس المعتبرين وانما الاكابر و
العقلاء منهم لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم قد يسلم بعضهم عن بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه
او ظاهر الارتفاع عليه او هو بعيد عن بلده واسباب معيشته ولا ينفك احد منهم مع اشكاله
المقارنين له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشرة عشرة اخرى من الرذائل
لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب المال
والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والسلاطين والتردد اليهم و
الاخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة والاستحقار للناس بالفخر والخيلاء
والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه
عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلوته ما الذي يقرؤه ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع من
قلبه واستغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظرة مع انها لا تنفع في الآخرة من تحسين العبارة
وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر الى غير ذلك من امور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على درجات شتى
ولا ينفك اعظمهم دينا واكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه الاخلاق وانما غايته اخفاؤها ومجاهدة النفس بها
واعلم ان هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ ايضا اذا كان قصده طلب القبول واقامة
الجاه ونيل الثروة والعز وهي لازمة ايضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى اذا كان قصده طلب
القضاء وولاية الاوقاف والتقدم على الاقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الآخرة
فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد او يحييه حيوة الابد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس
عذابا يوم القيمة عالم لا ينفعه الله بعلمه فلقد ضره مع انه لم ينفعه وليته نجا منه راسا براس وهيهات

فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك او الهلك وهو كطالب
الملك في الدنيا فان لم يتفق الاصابة لم يطمع في سلامة الاذلال بل لا بد من لزوم افضح الاحوال فان
قلت في الرخصة في المناظرة فائدة وهو ترغيب الناس في طلب العلم اذ لولا حب الرياسة لاندرست
العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان
واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان في المكتب وذلك لا يدل على ان الرغبة فيه محمود ولولا حب الرياسة
لاندرس العلم ولا يدل على ان طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال صلى الله عليه وسلم ان الله
ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر
فطالب الرياسة في نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن كان
حاله في ظاهر الاحوال حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه
ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله النار المحرقة
التي تاكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة اما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا و
المقبلون عليها واما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الى الله عن الدنيا ظاهرا وباطنا و
اما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو الى الاخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن
قبول الخلق واقامة الجاه فانظر من اي الاقسام انت ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له ولا تظنن
ان الله يقبل غير الخالص لوجهه من العلم والعمل وسياتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات
ما ينفي عنك الريبة فيه ان شاء الله تعالى ه **الباب الخامس في اداب المتعلم
والمعلم** اما المتعلم فادابه ووظائفه كثيرة ولكن ينظم تفاريقها تسع جمل **الوظيفة الاولى**
تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلوة
السر وقربة الباطن الى الله تعالى وكما لا تصح الصلوة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر
عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن
خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف قال النبي صلى الله عليه وسلم بني الدين على النظافة وهو
كذلك ظاهرا وباطنا وقال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة
على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر اي
باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن
اهم بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل
الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط اثرهم ومحل استقرارهم والصفات
الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى تدخله
الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله في القلب الا بواسطة الملائكة فما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى
القلوب انما يتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤون عن المذمومات
فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما عندهم من رحمة الله الا طاهرا ولست اقول المراد

البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات ولكني اقول هو تنبيه عليه وفرق بين
تعبير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية
بهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والابرار اذ معنى الاعتبار ان تعبر مما ذكر
الى غيره ولا تقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة بغيره فيكون له فيها عبرة بان يعبر منها الى التنبه لكونه
ايضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره عن غيره الى نفسه ومن نفسه
الى اصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر انت ايضا من البيت الذي هو بناء الخلق الى القلب الذي
هو بيت من بناء الله سبحانه ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة
الى روح الكلبية وهو السبعية واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا و
التكالب عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة ونور البصيرة يلاحظ
المعاني دون الصور والصور في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الاخرة تتبع
الصور المعاني وتغلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية فيحشر الممزق لاعراض
الناس كلبا ضاريا والشره باموالهم ذئبا والمتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة
اسد وقد وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوي البصائر والابصار فان قلت كم من
طالب رديء الاخلاق حصل العلوم فهيهات ما ابعدك عن العلم الحقيقي النافع في الاخرة الجالب
للسعادة فان من اوائل ذلك العلم ان يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة وهل رايت من يتناول
سما مع علمه بكونه سما انما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه يرددونه بلسانهم مرة ويرددونه
بقلبهم اخرى وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف في
القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية اذ قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكانه اشارة
الى اخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين في معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون
الا لله ان العلم ابى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه والفاظه
فان قلت اني ارى جماعة من الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والاصول وعدوا من جملة
الفحول واخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الاخرة استبان
لك ان ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله اذا
قصد به التقرب الى الله وقد سبق الى هذا اشارة وسياتيك فيه مزيد بيان **الوظيفة الثانية**
ان يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة ما جعل الله
لرجل من قلبين في جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك
بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه اياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة
على امور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الارض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما
يجتمع ويبلغ المزدرع **الوظيفة الثالثة** ان لا يتكبر على العلم ولا يتامر على المعلم بل يلقي اليه زمام
امره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي
ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة

فقربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله
فقال ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا
امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم ليس من اخلاق
المومن التملق الا في طلب العلم فلا ينبغي للطالب ان يتكبر على العلم ومن تكبره على العلم ان يستنكف
من الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة
ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين ان يرشده الى المهرب مشهور او خامل
وضراوة سباع النار بالجهال بالله اشد من ضراوة كل سبع فالحكمة ضالة المومن يغتنمها حيث
يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من كان ولذلك قيل العلم حرب للمتعالي كالسيل
حرب للمكان العالي فلا ينال العلم الا بالتواضع والقاء السمع قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان
له قلب او القى السمع وهو شهيد ومعنى كونه ذا قلب ان يكون قابلا للعلم فهما ثم لا يعينه القدرة
على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب يستقبل كل ما يلقى اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر
والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كارض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت جميع اجزائها و
اذعنت بالكلية لقبوله ومهما اشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رايه فان خطا
مرشده انفع له من صوابه في نفسه اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع انه يعظم نفعها
فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض اوقاته بالحرارة ليزيد في قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج
فيتعجب منه من لا خبرة له وقد نبه الله تع بقصة الخضر وموسى صلوات الله عليهما حيث قال
الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال
فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل في مراودته الى ان كان ذلك
سبب فراق ما بينهما وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رايا واختيارا وراء اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق
والخسران فان قلت فقد قال الله تع فاسالوا اهل الذكر فالسؤال مامور به فاعلم انه كذلك ولكن
فيما ياذن المعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم يبلغ رتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى عن
السؤال اي دع السؤال قبل اوانه فالمعلم اعلم بما انت اهل له وباوان الكشف وما لم يدخل اوان الكشف
في كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل اوان السؤال وقد قال علي رضي الله عنه ان من حق العالم
ان لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه اذا كسل ولا تاخذ بثوبه اذا نهض ولا
تفشي له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تطلبن عثرته وان زل قبلت معذرته وعليك ان توقره و
تعظمه لله ما دام يحفظ امر الله ولا تجلس امامه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته
الوظيفة الرابعة ان يحترز الخائض في العلم في مبدا الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء
كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او علوم الاخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رايه و
يويسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولا الطريقة الواحدة المرضية عند استاذه ثم بعد ذلك
يصغي الى المذاهب والشبه فان لم يكن استاذه مستقلا باختيار راي واحد وانما عادته نقل المذاهب
وما قيل فيها فليحترز منه فان اضلاله اكثر من ارشاده ولا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم و

من هذا حاله فهو بعد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد
بالاسلام عن مخالطة الكفار وندب القوي الى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة
الكفار ولذلك يمنع العاجز عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة
ظن بعض الضعفاء ان الاقتداء بالاقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدر ان وظائف
الاقوياء تخالف وظائف الضعفاء ولذلك قال بعضهم من رآني في البداية صار صديقا ومن رآني
في النهاية صار زنديقا اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرائض
فيتراءى للناظر انه بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور
وملازمة الذكر الذي هو افضل الاعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوي فيما يرى في ظاهره انه
هفوة يضاهي اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء بان اضعاف هذه النجاسة قد تلقى في البحر و
البحر اعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو اجوز للكوز ولا يدري المسكين ان البحر بقوته يحيل النجاسة ماء
وينقلب النجاسة باستيلائه الى صفته والقليل يغلب الكوز ويحيله الى صفته وبمثل هذا جوز
للنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يجوز لغيره حتى ابيح له تسع نسوة اذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة
العدل الى نسائه وان كثرن واما غيره فلا يقدر على العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار اليه حتى يجر الى
معصية الله في طلب رضاهن فما افلح من قاس الملائكة بالحدادين الوظيفة الخامسة ان لا يدع
طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ونوعا من انواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته
ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم فاستوفاه وتطرف من البقية فان
العلوم متعاونة وبعضها مرتبطة بالبعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم
بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا قال تع واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم
وقال الشاعر ۝ ومن يك ذا فم مر مريض ۝ يجد مرا به الماء الزلالا ۝ فالعلوم على درجاتها
اما سالكة بالعبد الى الله او معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب
والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفظة الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله
بحسب درجته اجر في الاخرة اذا قصد به وجه الله الوظيفة السادسة ان العمر اذا كان
لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان ياخذ من كل شيء احسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف جمام
قوته في الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم الاخرة اعني قسمي المعاملة و
المكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تع ولست اعني به الاعتقاد
الذي يتلقفه العامي وراثة او تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصين ذلك عن مراوغات
الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه
عن الخبائث حتى ينتهي الى رتبة ايمان ابي بكر رضي الله عنه الذي لو وزن بايمان العالمين لرجح كما
شهد له به سيد البشر صلى الله عليه وسلم فما عندي ان ما يعتقده العامي ويرتبه المتكلم الذي لا
يزيد على العامي الا في الكلام ولاجله سميت صناعته كلاما كان يعجز عنه عمر وعلي وسائر الصحابة

رضي الله عنهم حتى كان يفضلهم ابو بكر بالسر الذي وقر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الاقوال
من صاحب الشرع صلوات الله عليه ثم يزدري ما يسمعه على وفقه ويزعم انه من ترهات الصوفية
وان ذلك غير معقول فينبغي ان تتانى في هذا فعنده ضيعت راس المال وكن حريصا على معرفة
ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين فلا يرشدك اليه الا حرصك في الطلب واعلم ان اشرف
العلوم وغايتها معرفة الله تع وهي بحر لا يدرك منتهى غوره واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبياء ثم
الاولياء ثم الذين يلونهم وقد روي انه رئي صورة حكيمين متعبدين في مسجد وفي يد احدهما رقعة
وفيها ان احسنت كل شي فلا تظنن انك احسنت شيئا حتى تعرف الله تع وتعلم انه مسبب الاسباب
وموجد الاشياء وفي يد الاخر كنت قبل ان عرفت الله سبحانه اشرب واظما حتى اذا عرفته رويت بلا شرب
الوظيفة السابعة ان تعرف السبب الذي به يدرك شرف العلوم وان ذلك يراد به شيان احدهما
شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة احدهما الحيوة الابد
وثمرة الاخرى الحيوة الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب وعلم النحو فان الحساب اشرف
لوثاقة ادلته وقوتها واذا نسب الحساب الى الطب كان الطب اشرف باعتبار ثمرته والحساب
اشرف باعتبار ادلته وملاحظة الثمرة اولى فلذلك كان الطب اشرف وان كان اكثره بالتخمين
وبهذا تبين ان اشرف العلوم العلم بالله وملايكته ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم
واياك وان ترغب الا فيه وان تحرص الا عليه الوظيفة الثامنة ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية
باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المال القرب من الله سبحانه والترقي الى جوار الملا الاعلى من الملايكة و
المقربين ولا يقصد به الرياسة والمال ومباراة السفهاء ومماراة الاقران واذا كان هذا مقصده
طلب لا محالة الاقرب الى مقصوده وهو علم الاخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقارة الى ساير العلوم
اعني علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما اوردناه في المقدمات
والمتممات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية ولا تفهمن من غلونا في الثناء على علم الاخرة تهجين
هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدون في
سبيل الله فمنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم
ويتعهدهم ولا ينفك واحد منهم عن اجر اذا كان قصده اعلاء كلمة الله دون حيازة الغنايم فكذلك
العلماء قال الله تع يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تع هم درجات
عند الله والفضيلة نسبية واستحقارنا الصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم
اذا قيسوا بالكناسين ولا تظنن ان ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا
للانبياء ثم للاولياء ثم للعلماء الراسخين ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن قصد الله بالعلم اي علم كان نفعه ورفعه لا محالة الوظيفة التاسعة ان يعلم نسبة العلوم
الى المقصد كيلا يوثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا
شانك في الدنيا والاخرة واذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الاخرة كما نطق به القران وشهد له

من نور البصاير ما يجري مجرى العيان فالاهم ما يبقى ابد الاباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا و
البدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف
في هذا العالم قدره الا الاقلون والعلوم بالاضافة الى سعادة لقاء الله والنظر الى وجهه الكريم
اعني النظر الذي طلبه الانبياء وفهموه دون ما يسبق الى فهم العوام والمتكلمين على ثلاث مراتب
تفهمها بالموازنة بمثال وهو ان العبد الذي علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له ان
حججت وتممت وصلت الى العتق والملك جميعا وان ابتدات بطريق الحج والاستعداد له وعاقك
في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله
ثلاثة اصناف من الشغل الاول تهيئة الاسباب بشرا الناقة وخرز الراوية واعداد الزاد
والراحلة والاخر السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل والثالث
الاشتغال باعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد النزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحق
التعرض للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من اول اعداد الاسباب الى اخره ومن اول
سلوك البوادي الى اخره ومن اول اركان الحج الى اخره وليس قرب من ابتدا باركان الحج من السعادة
كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدا بالسلوك بل هو اقرب منه فالعلوم
ايضا ثلاثة اقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشرا الناقة وهو علم الطب
والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات
وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها
الاولون والاخرون الا الموفقون فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطرق
ومنازله وكما لا يغني علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها لا يغني علم تهذيب الاخلاق
دون مباشرة التهذيب لكن المباشرة دون العلم غير ممكن وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج و
اركانه وهو العلم بالله وصفاته وملايكته وافعاله وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وههنا
نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق اذا كان غرضه المقصد وهو السلامة
واما الفوز بالسعادة لا ينالها الا العارفون فهم المقربون المنعمون في جوار الله بالروح
والريحان وجنة النعيم واما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال تع
فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين
وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض له او انتهض الى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل
لغرض عاجل فهو من اصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم واعلم ان هذا هو حق
اليقين عند العلماء الراسخين اعني انهم ادركوه بمشاهدة من الباطن اقوى واجلى من مشاهدة الابصار
وترقوا فيه عن حد التقليد بمجرد السماع وحالهم حال من اخبر فصدق ثم شاهد فتحقق وحال
غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء
علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء المعاملة التي هي سلوك طريق الاخرة وقطع عقبات الصفات
وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك

وذلك وراء سلامة البدن ومساعدة اسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتو
به الى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على منهج العدل والسياسة
في ناحية الفقيه واما اسباب الصحة ففي ناحية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان
واشار الى الفقه اراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة **فان قلت** لم شبهت
علم الفقه والطب باعداد الزاد والراحلة **فاعلم** ان الساعي الى الله لينال قربه هو القلب دون
البدن ولست اعني بالقلب اللحم المحسوس بل سرا من اسرار الله لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة
يعبر عنه بالروح واخرى بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لانه المطية لذلك السر وبواسطته الاولى
صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون
به بل لا رخصة في ذكره وغاية المأذون فيه ان يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز اشرف من هذه الاجرام
المرئية وانما هو امر الهي كما قال تع ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وكل المخلوقات منسوبة
الى الله تع ولكن نسبته اشرف من نسبة سائر اعضاء البدن فلله الخلق والامر جميعا والامر اعلى من
الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لامانة الله المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والجبال و
الارضين اذ ابين ان يحملنها واشفقن منها من عالم الامر ولا تفهم من هذا تعريضا بقدمه فالقائل
بقدم الارواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول ولنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما
نحن بصدده والمقصود ان هذه اللطيفة هي الساعية الى قرب الرب لانه من امر الرب فمنه مصدره
واليه مرجعه واما البدن فمطيته التي يركبها ويسعى بواسطتها فالبدن لها في الطريق الى الله كالناقة
للبدن في طريق الحج وكالراوية الجارية للماء الذي يفتقر اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن
فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى ان الطب كذلك فانه يحتاج اليه في حفظ الصحة على البدن ولو كان
الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه يفارقه في انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغني عنه و
لكنه خلق على وجه لا يمكنه ان يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعي في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والطبخ
وفي تحصيل الملبس والمسكن وفي اعداد آلات ذلك كله فاضطر الى المخالطة والاستعانة ومهما اختلط
الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم
بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل وبالطب يحفظ
الاعتدال في الاخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس من
خارج وعلم طرق اعتدال الاخلاط طب وعلم طرق اعتدال احوال الناس في المعاملات والافعال
فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه او الطب اذا لم يجاهد نفسه
ولم يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق
عمره في دقائق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الاسباب التي
بها تستحكم الخيوط التي بها تخرز راوية الحج ونسبة هؤلاء الى السالك لطريق اصلاح القلب او
الواصل الى علم المكاشفة كنسبة اولئك الى سالكي طريق الحج او ملابسي اركانه فتأمل هذا اولا و
اقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غاليا ولم يصل اليه الا بعد جهد شديد وجراءة تامة على

مباينة

مباينة الخلق الخاصة والعامة في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف في وظائف المتعلم
بيان وظائف المرشد المعلم اعلم ان للانسان في علمه اربعة احوال كحاله في اقتناء
الاموال اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا
عن السؤال وحال انفاق على نفسه فيكون به منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا و
هو اشرف احواله فكذلك العلم يقتنى كالمال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال
وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو اشرف الاحوال فمن علم وعمل
وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السماء فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة وكالمسك الذي يطيب
وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذي يشحذ
غيره ولا يقطع والابرة التي تكسو غيرها وهي عريانة وذبالة المصباح تضيء غيرها وهي تحترق كما
قيل • ما هي الا ذبالة وقدت • تضيء للناس وهي تحترق • ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا
عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه **الوظيفة الاولى** الشفقة على المتعلمين وان
يجريهم مجرى بنيه قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده فان قصده انقاذهم من نار الآخرة
وهو اهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان
الوالد سبب الوجود الحاضر والحيوة الفانية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الاب الى
الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحيوة الاخروية الدائمة اعني معلم علوم الآخرة او علوم الدنيا
على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه وكما
ان حق ابناء الرجل الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد فحق تلامذة الرجل الواحد التحاب
ولا يكون الا كذلك ان كان مقصودهم الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم
الدنيا فان العلماء وابناء الآخرة مسافرون الى الله وسالكون اليه الطريق والدنيا وسنوها وشهورها
منازل الطريق والترافق في الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر
الى الفردوس الاعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادات الآخرة فلذلك لا يكون بين ابناء الآخرة
تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فلذلك لا تنفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم
خارجون عن موجب قوله انما المؤمنون اخوة وداخلون في مقتضى قوله تع الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين **الوظيفة الثانية** ان يقتدي بصاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ولا يطلب على افاضة
العلم اجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكورا بل يعلم لوجه الله تع وطلبا للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان
كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم اذا هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله بزراعة العلوم
فيها كالذي يعير الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض فكيف تقلده
منة وثوابك في التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا
من الله قال الله تع قل لا اسألكم عليه اجرا فان المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها
والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح اسفل مداسه بمحاسنه
لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على ام الراس ومثله هو الذي

يقوم في العرض الاكبر مع المجرمين ناكسوا رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم وانظر كيف انتهى
امر الذين يزعمون ان مقصودهم التقرب الى الله بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما
فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون اصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات
ولو تركوا ذلك تركوا ولم يختلف اليهم ثم يتوقع المتعلم من المعلم ان يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويعادي
عدوه وينتهض حمارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في اوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار
من اعدى اعدائه فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيي من ان يقول غرضي من
التدريس نشر العلم تقربا الى الله ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى ضروب الاغترارات الوظيفة
الثالثة ان لا يدخر من نصح المتعلم شيئا وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل الاستحقاق و
التشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على ان مطلب العلوم القرب من الله تعالى دون الرياسة
والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر اكثر
مما يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم
الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان هذه
العلوم ليست من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير
وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به وعلم الآخرة ومعرفة اخلاق النفس وكيفية تهذيبها
فاذا تعلمه الطالب وقصده الدنيا فلا باس ان يتركه فانه يثمر له طمعا في الوعظ والاستتباع ولكن
يتنبه في اثناء الامر او آخره اذ فيه العلوم المخوفة من الله المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك يوشك
ان يؤديه الى الصواب في الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب الجاه والقبول مجرى الحب الذي
ينثر حوالي الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده اذ خلق الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء
النسل وخلق ايضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فاما
الخلاف المحض ومجادلة الكلام ومعرفة التفريعات الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن
غيرها الا قسوة في القلب وغفلة عن الله تعالى وتماديا في الضلال وطلبا للجاه الا من تداركه الله برحمته
او مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر
لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله اعلم وقد رئي سفيان الثوري حزينا فقيل له ما لك
فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا يلزمنا احدهم حتى اذا تعلم جعل عاملا او قاضيا او قهرمانا
الوظيفة الرابعة وهي من دقائق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض
ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث
الجراة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم
لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء وينبهك على هذا قصة
آدم وحواء وما نهيا عنه فما ذكرت القصة لك لتكون سمرا بل لتتنبه به على سبيل العبرة ولان
التعريض ايضا يميل النفوس الفاضلة والاذهان الذكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح
التفطن لمعناه رغبة في العمل به ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته الوظيفة الخامسة ان المتكفل

ببعض العلوم لا ينبغي ان يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة اذ عادته تقبيح
الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وان ذلك نقل محض وسماع وهو شان
العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فرع وهو كلام في حيض النسوان
فاين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي ان تجتنب بل
المتكفل بعلم واحد ينبغي ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره فان كان متكفلا بعلوم ينبغي ان
يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة الوظيفة السادسة ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه
فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره او يخبط عليه عقله اقتداء بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث
قال نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على قدر عقولهم فليبث
اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها قال صلى الله عليه وسلم ما احد يحدث قوما بحديث لا تبلغه
عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال علي رضي الله عنه واشار الى صدره ان ههنا علوما جمة
لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار ولا ينبغي ان يفشي العالم
كل ما يعلمه الى كل احد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن من اهل الانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقال
عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجوهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر
من الخنزير ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا
وقع الانكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل اما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب
فان جاء من يفقهه فكتمته فليلجمني وقول الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيه على ان حفظ
العلم ممن يفسده ويضره اولى وليس الظلم في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق
من منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم الوظيفة السابعة ان المتعلم القاصر
ينبغي ان يلقى اليه الجلي اللائق به ولا يذكر له ان وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر
رغبته في الجلي ويشوش قلبه ويوهم اليه البخل اذ يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق فما من احد الا
وهو راض عن الله في كمال عقله واشد الناس حماقة واضعفهم عقلا هو افرحهم بكمال
عقله وبهذا يعلم ان من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد الماثورة عن السلف
من غير تشبيه ومن غير تاويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله اكثر من ذلك فلا ينبغي ان يشوش
عليه اعتقاده بل ينبغي ان يخلى وحرفته فانه لو ذكر له تاويلات الظواهر انحل عنه قيد العوام ولم
يتيسر تقييده بقيد الخواص فيرتفع السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه
وغيره بل لا ينبغي ان يخاض بالعوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم
الامانة في الصناعة التي هم بصددها ويملا قلبه من الرغبة والرهبة بالجنة والنار كما نطق به القرآن
ولا يحرك عليه شبهة فانه ربما تعلق الشبهة بقلبه ويعسر حلها فيشقى ويهلك فى الجملة لا ينبغي
ان يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص
الوظيفة الثامنة ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لان العلم يدرك بالبصائر

والعمل بالابصار وارباب الابصار اكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيا و
قال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم عليه فيقولون لولا
انه اطيب الاشياء والذها لما كان يستاثر به ومثل المعلم المرشد من المسترشد مثل النقش من
الطين والعود من الظل وكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه وكيف استوى الظل والعود اعوج
ولذلك قيل ۞ لا تنه عن خلق وتاتي مثله ۞ عار عليك اذا فعلت عظيم ۞ وقال تع اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم ولذلك كان وزر العالم في معاصيه اكثر اذ يزل بزلته عالم فيقتدون
به ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي رضي الله عنه قصم ظهري
رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه

الباب السادس في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء

قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على انهم
اشد الخلق عذابا يوم القيمة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامة الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء
الآخرة ونعني بعلماء الدنيا العلماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى
الجاه والمنزلة عند اهلها قال صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لا ينفعه الله
بعلمه ويروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال ايضا العلم
علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع وقال ايضا يكون
في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به
السفهاء ولتصرفوا وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال من كتم علما عنده الجمه الله بلجام
من نار وقال ايضا لانا من غير الدجال اخوف عليكم من الدجال فقيل وما ذاك فقال ائمة مضلون
وقال ايضا من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى عليه السلم
الى متى تصفون طريق المدلجين وانتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الاخبار يدل على عظم
خطر العلم وان العالم اما متعرض لهلاك الابد او لسعادة الابد وانه بالخوض في العلم قد حرم
السلامة ان لم يدرك السعادة واما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه ان اخوف ما اخاف على
هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل
وقال الحسن لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء وقال
رجل لابي هريرة اريد ان اتعلم العلم واخاف ان اضيعه فقال كفى بتركك العلم اضاعة له وقيل
لابرهيم بن عيينة اي الناس اطول ندامة فقال اما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره
واما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن احمد الرجال اربعة رجل يدري ويدري انه
يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك نائم فايقظوه ورجل لا يدري ويدري
انه لا يدري فذلك مسترشد فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه و
قال الثوري يهتف العلم بالعمل فان اجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما
طلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل وقال الفضيل اني لارحم ثلاثا عزيز قوم ذل وغنيا افتقر

وعلما

وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وانشدوا ۞ عجبت لمبتاع
الضلالة بالهدى ۞ ومن يشتري دنياه بالدين اعجب ۞ وقال صلى الله عليه وسلم ان العالم
يعذب عذابا يطيف به اهل النار استعظاما لشدة عذابه اراد به العالم الفاجر وقال اسامة بن
زيد سمعت رسول الله صلعم يقول يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها
كما يدور الحمار في الرحى فيطوف به اهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى
عن الشر وآتيه وانما يضاعف عذاب العالم في معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال تع ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع انهم ما جعلوا لله
ولدا ولا قالوا انه ثالث ثلاثة ولكن انكروا بعد المعرفة اذ قال تع يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال تع في بلعم بن باعورا واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ
منها حتى قال فمثله كمثل الكلب وكذلك العالم الفاجر فان بلعم اوتي كتاب الله فاخلد الى الشهوات
فشبه بالكلب اي سواء اوتي الحكمة او لم يؤت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه السلم
مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى
الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها
عامرة وباطنها عظام الموتى فهذه الاخبار والآثار تبين لك ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا
اخس حالا واشد عذابا من الجاهل وان الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات
فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها و
كدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادتان و
انهما كالضرتين مهما ارضيت احديهما اسخطت الاخرى وانهما ككفتي الميزان مهما رجحت احديهما خفت
الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من احدهما بعدت من الاخرى وانهما كقدحين
واحدهما مملو فبقدر ما تصب منه في الآخر حتى يمتلي تفرغ الآخر فان من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها
وامتزاج لذتها بالمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد الى ذلك
فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم امر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان
فكيف يكون من العلماء من لا ايمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وان الجمع بينهما طمع في غير مطمع
فهو جاهل بشريعة الانبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن من اوله الى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء
ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته
فكيف يعد من احزاب العلماء من هذه درجته وفي اخبار داود عليه السلم ان ادنى ما اصنع
بالعالم اذا آثر شهوته على محبتي ان احرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسال عني عالما قد اسكرته
الدنيا فيصدك عن طريق محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي يا داود اذا رايت لي طالبا فكن له
خادما يا داود من رد الي هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم اعذبه ابدا ولذلك قال
الحسن رضي الله عنه عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ولذلك
قال يحيى بن معاذ الرازي انما يذهب بهاء العلم والحكمة اذا طلب بهما الدنيا وقال عمر رضي

الله عنه اذا رايتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما احب وقال مالك بن
دينار قرات في بعض الكتب ان الله عز وجل يقول ان اهون ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج
حلاوة مناجاتي من قلبه وكتب رجل الى اخ له انك قد اوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة
الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم في نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازي يقول للعلماء الدنيا
يا اصحاب الدنيا قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية واثوابكم ظاهرية واخفافكم جالوتية ومراكبكم
قارونية واوانيكم فرعونية ومآتمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فاين المحمدية وانشدوا
وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذئاب وقيل يا معشر القراء يا ملح البلد
ما يصلح الملح اذا الملح فسد وقيل لبعض العارفين اترى ان من تكون المعاصي قرة عينه
لا يعرف الله قال ما اشك ان من تكون الدنيا آثر عنده من الآخرة انه لا يعرف الله وهذا دون
ذاك بكثير ولا تظنن ان ترك المال يكفي للحوق بعلماء الآخرة فان الجاه اضر من المال ولذلك قال
بشر حدثنا باب من ابواب الدنيا واذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول اوسعوا لي و
دفن بشر بن الحارث بضعة عشر ما بين قمطر وقوصرة من الكتب وكان يقول انا اشتهي ان
احدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث لحدثت وقال هو وغيره اذا اشتهيت ان تحدث فلا
تحدث واذا لم تشتهه فحدث وهذا لان التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد اعظم من
كل تنعم في الدنيا فمن اجاب شهوته فيه فهو من ابناء الدنيا فلذلك قال الثوري فتنة الحديث
اشد من فتنة الاهل والمال والولد وكيف لا يخاف فتنته وقيل لسيد البشر صلى الله عليه وسلم ولولا ان
ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا وقال سهل العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء الا
الا الاخلاص وقال الناس موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون مغرورون الا
المخلصين والمخلص على وجل حتى يختم له به وقال ابو سليمان الداراني اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او
سافر في طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا وانما اراد به طلب الاسانيد العالية او طلب الحديث الذي لا يحتاج
اليه في طريق الآخرة وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على دنياه
وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به وقال صالح بن حسان البصري ادركت الشيوخ
وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة روى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال من طلب علما
مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة وقد وصف الله علماء السوء باكل
الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال في علماء الدنيا واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى قوله ثمنا قليلا وقال في علماء الآخرة وان من اهل
الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الى قوله اجرهم عند ربهم وقال بعض السلف العلماء يحشرون
في زمرة الانبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا
بعلمه وروى ابو الدرداء انه صلى الله عليه وسلم قال اوحى الله تعالى الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير
الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب
الذئاب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر اياي يخادعون وبي يستهزؤون

لايغترهم فتنة تذر الحليم حيران وروى الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال علماء
هذه الامة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم ياخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه
طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله تع يوم القيمة سيدا شريفا حتى
يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما في الدنيا فضن به عن عباد الله واخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا ياتي آتاه
يوم القيمة ملجما بلجام من نار ينادي مناد على رؤس الخلايق هذا فلان بن فلان آتاه الله علما في الدنيا فضن
به عن عباد الله واخذ به طمعا واشترى به ثمنا يعذب حتى يفرغ من حساب الناس واشد من هذا ما روي
ان رجلا كان يخدم موسى فجعل يقول حدثني موسى صفي الله حدثني موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله حتى
اثرى وكثر ماله ففقده موسى فجعل يسال عنه فلا يحس له اثرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير
وفي عنقه حبل اسود فقال له موسى اتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يا رب اسالك
ان ترده الى حاله حتى اساله فيما اصابه هذا فاوحى الله اليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما
اجبتك فيه ولكن اخبرك لم صنعت هذا به لانه كان يطلب الدنيا بالدين وا غلظ من هذا
ما روي عن معاذ بن جبل موقوفا ومرفوعا في رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتنة العالم ان
يكون الكلام احب اليه من الاستماع وفي الكلام زيادة وتنميق ولا يؤمن على صاحبه الخطا وفي الصمت
سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب ان يوجد عند غيره فذلك في الدرك الاول من النار
ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شيء من علمه او تهوون بشيء من حقه غضب
فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لاهل الشرف واليسار
ولا يرى اهل الحاجة له اهلا فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا
فيفتي بالخطا والله يبغض المتكلفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام
اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروة و
نبلا وذكرا في الناس فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو
والعجب فان وعظ عنف وان وعظ انف فذلك في الدرك السابع من النار عليك بالصمت فبه
تغلب الشيطان واياك ان تضحك من غير عجب او تمشي في غير ارب وفي خبر آخر ان العبد
لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وروي ان الحسن انصرف
من مجلسه فحمل اليه رجل من خراسان كيسا فيه خمسة آلاف درهم وعشرة اثواب من دقيق
البز وقال يا ابا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله ضم اليك نفقتك وكسوتك
فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تع يوم يلقاه ولا خلاق
له وروي عن جابر موقوفا ومرفوعا عن رسول الله صلعم انه قال لا تجلسوا عند كل عالم الا عند عالم يدعوكم
من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع
ومن العداوة الى النصيحة وقال تع فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت
لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن فعرف
اهل العلم بايثار الآخرة على الدنيا ومنها ان لا يخالف فعله قوله بل لا يامر بالشيء ما لم يكن هو اول

اول عامل به قال الله تع أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال تع كبر مقتا عند الله ان
تقولوا ما لا تفعلون وقال في قصة شعيب وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه وقال تع واتقوا
الله ويعلمكم الله واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا وقال الله تع لعيسى عليه السلم يا ابن مريم
عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مررت ليلة اسري بي بقوم كان تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت من انتم قالوا
انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلاك امتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر
الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء وقال الاوزاعي شكت النواويس ما تجد من
نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه قال الفضيل بلغني ان
الفسقة من العلماء يبدا بهم قبل عبدة الاوثان وقال ابو الدرداء ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم
ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة على قوم من اهل النار فيقولون لهم ما
ادخلكم النار وانما ادخلنا الله الجنة بفضل تاديبكم وتعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله
وقال حاتم الاصم ليس في القيمة اشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا
بسببه وهلك وقال مالك بن دينار ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما تزل
القطر عن الصفا وانشدوا يا واعظ الناس قد اصبحت متهما . اذ عبت منهم امورا انت تاتيها .
وقيل . لا تنه عن خلق وتاتي مثله . عار عليك اذا فعلت عظيم . وقال ابرهيم بن ادهم
مررت بحجر مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته فاذا عليه مكتوب انت بما تعلم لا تعمل فكيف
تطلب علم ما لا تعلم وقال ابن السماك كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جري على الله
وكم من مقرب الى الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من تال لكتاب الله منسلخ من
آيات الله وقال ابرهيم بن ادهم لقد اعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في اعمالنا فلم نعرب . وروى
مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه قال حدثني عشرة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا نتعلم
من العلم في مسجد قباء اذ خرج علينا رسول الله فقال تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن ياجركم الله حتى
تعملوا وقال الاوزاعي اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع وقال عيسى عليه السلم مثل الذي
يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امراة زنت في السر فحملت وظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل
بعلمه يفضحه الله تبارك وتعالى يوم القيمة على رؤس الاشهاد وقال معاذ احذروا زلة العالم لان
قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر رضي الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من
الخلق وقال ثلاث بهن تهدم الزمان احدهن زلة عالم وقال ابن مسعود سياتي
على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم
مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء ولا يوجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب
العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة ويطفي مصابيح
الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه انه يخشى الله بلسانه والفجور بين في عمله فما اخصب الالسن
يومئذ واجدب القلوب فوالله الذي لا اله الا هو ما ذلك الا لان المعلمين علموا لغير الله والمتعلمين

تعلموا

تعلموا لغير الله وفي الانجيل مكتوب لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة انكم في
زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك وسياتي زمان من عمل بعشر ما علم نجا وذلك لكثرة البطالين . واعلم
ان مثل العالم مثل القاضي فقد قال صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذاك في الجنة
وقاض قضى بالجور وهو يعلم او لا يعلم فهما في النار وقال كعب يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس
في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتون يؤثرون الدنيا
على الآخرة ياكلون بالسنتهم يقربون الاغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما يتغاير النساء على الرجال
يغضب احدهم على جليسه اذا جالس غيره اولئك الجبارون اعداء الرحمن وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم
قال ان الشيطان ربما يسبقكم بالعلم فقيل يا رسول الله فكيف ذلك قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم
فلا يزال في العلم قايلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل قال سري السقطي اعتزل للتعبد رجل كان
حريصا على طلب علم الظاهر فسالته فقال رايت في النوم قايلا يقول لي الى كم تضيع العلم ضيعك الله فقلت
اني لاحفظه فقال ان حفظ العلم العمل به فتركت الطلب واقبلت على العمل وقال ابن مسعود
ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن اعلموا ما شئتم ان تعلموا فوالله لا ياجركم الله حتى
تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية وقال مالك ان طلب العلم لحسن وان نشره
لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي ولا تؤثرن عليه شيئا وقال
ابن مسعود انزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسياتي قوم يثقفونه مثل القنا ليسوا بخياركم
فالعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء والجايع الذي يصف لذايذ الاطعمة ولا يجدها وفي
مثله يقال ولكم الويل مما تصفون وفي الخبر مما اخاف على امتي زلة العالم وجدال المنافق في القرآن
ومنها ان يكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعة متجنبا للعلوم التي يقل
نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال من يعرض عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال مثال
رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن
خاصية العقاقير والادوية وغرايب الطب وترك مهمه الذي هو مواخذ به وذلك محض السفه وقد
روي ان رجلا جاء الى رسول الله صلعم وقال علمني من غرايب العلم فقال له ما صنعت في راس العلم قال وما راس
العلم قال هل عرفت الرب قال نعم قال وما صنعت في حقه قال ما شاء الله قال هل عرفت الموت قال
نعم قال ما اعددت له قال ما شاء الله قال اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعال نعلمك غرايب العلم بل ينبغي ان
يكون التعلم من جنس ما روي عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي انه قال له شقيق منذ كم صحبتني فقال
حاتم منذ ثلاث وثلثين سنة فقال فما تعلمت مني في هذه المدة فقال ثماني مسايل قال شقيق انا لله
وانا اليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثماني مسايل قال يا استاذ لم اتعلم غيرها ولا احب
ان اكذب فقال هات هذه الثماني مسايل حتى اسمعها قال حاتم نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد
يحب محبوبا فهو مع محبوبه الى القبر واذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت
القبر دخل محبوبي معي فقال احسنت يا حاتم فما الثانية قال نظرت في قوله تع واما من خاف
مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فعلمت ان قوله سبحانه هو الحق فاجهدت نفسي في

دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله الثالثة انى نظرت الى هذا الخلق فرايت كل من معه شى له قيمة
ومقدار عنده رفعه وحفظه ثم نظرت فى قول الله سبحانه وتعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكلما
وقع معى شى له مقدار وقيمة وجهته اليه ليبقى لى عنده الرابعة انى نظرت الى هذا الخلق فرايت
كل واحد منهم يرجع الى المال والحسب والشرف والنسب فنظرت فاذا هى لا شى ثم نظرت الى قول الله تع
ان اكرمكم عند الله اتقيكم فعملت فى التقوى حتى اكون عند الله كريما الخامسة نظرت الى هذا
الخلق وهم يطعن بعضهم فى بعض ويلعن بعضهم بعضا واصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قول
الله عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت ان
القسم من عند الله وتركت عداوة الخلق عنى السادسة نظرت الى هذا الخلق يبغى بعضهم على بعض و
يقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قوله سبحانه ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته
وحده واجتهدت فى اخذ حذرى منه لان الله تع شهد عليه انه عدوى فتركت عداوة الخلق غيره
السابعة نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما
لا يحل له ثم نظرت الى قوله تع وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فعلمت انى واحد من هذه الدواب
التى على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى على وتركت ما لى عنده الثامنة نظرت الى هذا الخلق
فرايتهم متوكلين هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل
مخلوق متوكل على مخلوق فرجعت الى قوله تع ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت على الله فهو حسبى
قال شقيق يا حاتم وفقك الله فانى نظرت فى علم التورية والانجيل والزبور والقرآن العظيم وهو
يدور على هذه الثمان فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم لم يهتم بادراكه
والتفطن له الا علماء الاخرة واما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال و
الجاه ويهملون امثال هذه العلوم التى بعث بها الانبياء كلهم وقال الضحاك بن مزاحم
ادركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام ومنها ان يكون
غير مائل الى الترفه فى المطعم والتنعم فى الملبس والتجمل فى الاثاث والمسكن بل يوثر الاقتصاد فى
جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف ويميل الى الاكتفاء بالاقل فى جميع ذلك وكلما ازداد الى طرف
القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع فى علماء الاخرة درجته ويشهد لذلك ما حكى عن ابى عبد الله
الخواص وكان من اصحاب حاتم الاصم قال دخلت مع حاتم الرى ومعنا ثلاثمائة وعشرون رجلا
نريد الحج وعليهم الزرنبانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار
متقشف يحب المساكين فاضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم الك حاجة فانى اريد ان
اعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر الى الفقيه عبادة فانا ايضا
اجى معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى فلما جينا الى الباب فاذا هو مشرف حسن
فبقى حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحال ثم اذن لهم فدخلوا فاذا دار قوراء واذا بزة وامتعة
وستور فبقى حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذى هو فيه فاذا بفرش وطية وهو راقد عليها
وعند راسه غلام وبيده مذبة فقعد الرازى فسال وحاتم قايم فاومى اليه ابن مقاتل ان اجلس فقال

لا اجلس فقال العل لك حاجة فقال نعم فقال وما هى قال مسئلة اسالك عنها قال سلنى قال قم
فاستو جالسا حتى اسالك فاستوى قال حاتم علمك هذا من اين اخذته قال الثقات حدثونى به قال
عمن قال عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واصحاب رسول الله صلعم عمن قال عن رسول الله
قال ورسول الله عمن قال عن جبريل عن الله سبحانه وتع قال حاتم ففيما اداه جبريل عن الله تع الى
رسول الله واداه رسول الله الى اصحابه واصحابه الى الثقات واداه الثقات اليك هل سمعت فى العلم
من كان فى داره اميرا وكانت سعته اكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة اكثر قال لا قال فكيف سمعت
قال سمعت من زهد فى الدنيا ورغب فى الاخرة واحب المساكين وقدم لاخرته كان له عند الله عز و
جل المنزلة قال له حاتم فانت بمن اقتديت ابالنبى صلى الله عليه وسلم ام بفرعون ونمرود اول من
بنى بالجص والاجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه
الحالة لا اكون انا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ اهل الرى ما جرى بينه وبين
ابن مقاتل فقالوا له ان الطنافسى بقزوين اكثر شيأ منه فسار حاتم اليه متعمدا فدخل عليه فقال
رحمك الله انا رجل عجمى احب ان تعلمنى مبتدا دينى ومفتاح صلوتى كيف اتوضا للصلوة قال نعم و
كرامة يا غلام هات اناء فيه ماء فاتى به فقعد الطنافسى فتوضا ثلثا ثلثا ثم قال
هكذا فتوضا قال حاتم مكانك حتى اتوضا بين يديك فيكون اوكد لما اريد فقام الطنافسى وقعد حاتم
فتوضا ثم غسل الذراعين اربعا فقال له الطنافسى يا هذا اسرفت قال له حاتم فيماذا قال غسلت
ذراعك اربعا قال حاتم يا سبحان الله انا فى كف من ماء اسرفت وانت فى هذا الجميع كله لم تسرف
فعلم الطنافسى انه قصد ذلك دون التعلم فدخل البيت ولم يخرج الى الناس اربعين يوما فلما دخل حاتم
بغداد اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا يا ابا عبد الرحمن انت رجل الكن اعجمى ليس يكلمك احد الا قطعته
قال لان معى ثلاث خصال بهن اظهر على خصمى افرح اذا اصاب خصمى واحزن اذا اخطا واحفظ
نفسى ان لا اجهل عليه فبلغ ذلك احمد بن حنبل رحمه الله فقال يا سبحان الله ما اعقله قوموا بنا اليه
فلما دخلوا عليه قالوا يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا ابا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون
معك اربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كنت
هكذا سلمت ثم سار الى المدينة فاستقبله اهل المدينة فقال يا قوم اية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فاين قصر رسول الله صلعم حتى اصلى فيه قالوا ما كان له قصر انما كان له بيت لاطى
بالارض قال فاين قصور اصحابه رضى الله عنهم قالوا ما كانت لهم قصور انما كانت لهم بيوت لاطية فقال
حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فاخذوه وذهبوا به الى السلطان وقالوا هذا العجمى يقول هذه
مدينة فرعون قال الوالى ولم ذاك قال حاتم لا تعجل على انا رجل عجمى غريب دخلت المدينة فقلت مدينة
من هذه فقالوا مدينة الرسول فقلت اين قصره وقص القصة وقد قال الله تع لقد كان لكم فى
رسول الله اسوة حسنة فانتم بمن تاسيتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ام بفرعون وهو اول من بنى
بالجص والاجر فخلوا عنه وتركوه هذه حكاية حاتم وسياتى من سيرة السلف فى البذاذة وترك
التجمل ما يشهد لذلك فى مواضعه والتحقيق فيه ان التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض

فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا تمكن الا بمباشرة اسباب يلزم في الغالب
من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراآتهم وامور اخر هي محظورة
والحزم اجتناب ذلك لان من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة
مع الخوض لكان صلى الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم ونزع خاتم الذهب
في اثناء الخطبة الى غير ذلك مما سيأتي فقد حكي ان يحيى بن يزيد النوفلي كتب الى مالك بن
انس بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد في الاولين والاخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك
الى مالك بن انس اما بعد فقد بلغني انك تلبس الدقاق وتاكل الرقاق وتجلس على الوطاء
وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وضربت اليك المطايا وارتحل اليك الناس فاتخذوك
اماما ورضوا بقولك فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة مني كتابا ما اطلع
عليه الا الله والسلام فكتب اليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن انس الى
يحيى بن يزيد سلام عليك اما بعد فقد وصل الي كتابك فوقع مني موقع النصيحة والشفقة و
الادب امتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا واسأل الله التوفيق ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي فاما ما ذكرت لي اني آكل الرقاق والبس الدقاق واحتجب واجلس على الوطاء فنحن نفعل ذلك و
نستغفر الله تعالى وقد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق واني
لاعلم ان ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام
فانظر الى انصاف مالك اذ اعترف بان ترك ذلك خير وافتى بانه مباح وقد صدق فيهما جميعا
ومثل مالك في منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى
ايضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراءاة والمداهنة والتجاوز الى
المكروهات واما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم في المباح خطر عظيم وهو بعيد من
الخوف والخشية وخاصية علماء الله الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر
ومنها ان يكون مستقصيا عن السلاطين لا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا
بل ينبغي ان يحترز عن مخالطتهم وان جاؤا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين
والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين
الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت
الى تجملهم فيزدري نعمة الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا او يتكلف في
كلامه لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع في ان ينال من دنياهم وذلك
هو السحت وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز ان يؤخذ من اموال السلاطين وما لا يجوز
من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء الاخرة طريقهم
الاحتياط وقد قال صلى الله عليه وسلم من بدا جفا يعني من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد
غفل ومن اتى السلطان افتتن وقال صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم امراء تعرفون منهم
وتنكرون فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده الله قيل افلا نقاتلهم

قال

قال لا ما صلوا وقال سفين في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك وقال
حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب
ويقول ما ليس فيه وقال صلى الله عليه وسلم العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان
فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس وقيل للاعمش لقد احييت
العلم لكثرة من ياخذ عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون السلطان فهم
شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منهم الا القليل وقال سعيد بن المسيب اذا رأيتم العالم
يغشى الامراء فاحترزوا عنه فانه لص وقال الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله تعالى من عالم يزور عاملا
وقال صلى الله عليه وسلم شرار العلماء الذين يأتون الامراء وخيار الامراء الذين يأتون العلماء وقال
مكحول الدمشقي من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا لما في يديه خاض
في نار جهنم بعدد خطاه وقال سحنون ما اسمج بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال انه
عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت
اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك وانتم
ترون ما القاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه لوددت اني انجو من الدخول كفافا مع اني
لا آخذ منهم شيئا ولا اشرب لهم شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني اسرائيل يخبرون السلطان
بالرخص وما يوافق هواهم ولو اخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم وكان
ذلك نجاة عند ربهم وقال الحسن كان فيمن قبلكم رجل كان له قدم في الاسلام وصحبة لرسول الله صلعم
قال ابن المبارك عني به سعد بن ابي وقاص قال كان لا يغشى السلطان فقعد عنهم فقال له بنوه يأتي
هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بني آتي جيفة قد احاط بها
قوم والله لئن استطعت لا شاركتهم فيها قالوا يا ابانا اذا نهلك هزلا فقال يا بني لان اموت
مؤمنا مهزولا احب الي من ان اموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم الله والله اذ علم ان التراب
ياكل اللحم والسمن دون الايمان وفي هذا اشارة الى ان الدخول على السلطان لا يسلم من النفاق البتة
وهو مضاد للايمان وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك لا تصيب من
دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا
سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقي اليه ان في وعظك لهم ودخولك عليهم
ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع الى ان يخيل اليه ان الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل
لم يلبث ان يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والاطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال
العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا
وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن رحمهما الله اما بعد فاشر علي بقوم استعين بهم على امر الله
تعالى فكتب اما اهل الدين فلن يريدوك واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم
يصونون شرفهم ان يدنسوا بالخيانة هذا في عمر بن عبد العزيز وكان ازهد اهل زمانه فاذا كان شرط اهل
الدين الهرب منه فكيف يستتب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف مثل الحسن والثوري وابن المبارك

والفضيل بن عياض وابرهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط يتكلمون في علماء الدنيا من اهل مكة والشام
اما لميلهم الى الدنيا او لمخالطتهم للسلاطين ومنها ان لا يكون متسارعا الى الفتوى بل يكون
متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب او نص حديث او
اجماع او قياس جلي افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادري وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط
ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان في غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر
العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا ادري وقال الشعبي لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث لا
يدري لله ليس اقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل اشد على النفس وهكذا كانت عادة الصحابة و
السلف وقال ابن مسعود ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة
العالم لا ادري فاذا اخطأها اصيبت مقاتله قال ابرهيم بن ادهم ليس شيء اشد على الشيطان من
عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشد علي من كلامه ووصف بعضهم الابدال فقال
اكلهم فاقة وكلامهم ضرورة اي لا يتكلمون حتى يسألوا واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا
فان اضطروا اجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومر علي و
عبد الله برجل يتكلم فقالا هذا يقول اعرفوني وقال بعضهم انما العالم الذي اذا سئل عن المسئلة
فكأنما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم وقال
ابو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال ان يقال له يوم القيمة من اين اجبت وكان
ابرهيم التيمي اذا سئل عن مسئلة يبكي ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم الي وقال ابو العالية الرياحي
وابرهيم والثوري وابرهيم بن ادهم رحمهم الله يتكلمون على اثنين وثلاثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا
وقال صلى الله عليه وسلم ما ادري أعزير نبي ام لا وما ادري أتبع ملعون ام لا وذو القرنين نبي ام لا ولما
سئل عن خير البقاع وشرها قال لا ادري حتى نزل جبرئيل وسأله وقال لا ادري حتى اعلمه الله تعالى ان
خير البقاع المساجد وشر البقاع الاسواق وكان ابن عمر يسأل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة
ويسكت عن تسعة وكان ابن عباس يجيب عن تسعة ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء من
يقول لا ادري اكثر من ان يقول ادري منهم سفين الثوري ومالك بن انس واحمد بن حنبل وفضيل
بن عياض وبشر بن الحارث وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من احد يسأل عن حديث او فتوى الا ود ان
اخاه كفاه ذلك وفي لفظ آخر كانت المسئلة تعرض على احدهم فيردها الى الآخر ويردها الآخر الى آخر
حتى تعود الى الاول وروي ان اصحاب الصفة اهدي الى واحد منهم رأس مشوي وهو في غاية الضر
فاهداه الى آخر واهدى الآخر الى آخر وهكذا دار بينهم حتى رجع الى الاول فانظر الآن كيف انعكس امر العلماء
فصار المهروب عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتوى ما روي
مسندا انه لا يفتي الناس الا ثلثة امير او مأمور او متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون
اربعة اشياء الامامة والوديعة والوصية والفتوى وقال بعضهم كان اسرعهم الى الفتوى اقلهم علما
واشدهم دفعا لها اورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين في خمسة قراءة القرآن وعمارة

المساجد وذكر الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوا من قوله صلى الله عليه وسلم
كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ثلاثا امر بمعروف ونهي عن منكر او ذكر الله تعالى وقال الله تعالى لا خير في كثير
من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس الآية ورأى بعض العلماء بعض
اصحاب الرأي من الكوفة في المنام فقال ما رأيت فيما كنت عليه من الرأي والفتوى فكره وجهه واعرض
وقال لما وجدناه شيئا وما حمدنا عاقبته وقال ابو حصين ان احدهم ليفتي في مسئلة لو
وردت على عمر رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر فلم يزل السكوت دأب اهل العلم الا عند الضرورة و
في الخبر اذا رأيتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقن الحكمة وقيل العالم اما عالم
عامة وهو المفتي وهم اصحاب السلاطين او عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد واعمال القلوب وهم
ارباب الزوايا المتفردون ويقال مثل احمد بن حنبل مثل دجلة كل احد يغترف منه ومثل بشر بن الحارث
مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم و
فلان اكثر كلاما وفلان اكثر علما وقال ابو سليمن الداراني المعرفة الى السكوت اقرب منها
الى الكلام وقال بعضهم اذا كثر العلم قل الكلام وكتب سلمان الى ابي الدرداء وكان قد آخى
بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخي بلغني انك اقعدت طبيبا تداوي المرضى فان كنت طبيبا
فتكلم فان كلامك شفاء وان كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان ابو الدرداء يتوقف
بعد ذلك اذا سئل وكان انس اذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وابن عباس يقول سلوا جابر
بن زيد وابن عمر يقول سلوا سعيد بن المسيب وحكي انه روى صحابي في حضور الحسن عشرين حديثا
فسئل عن تفسيره فقال ما عندي الا ما رويت فاخذ الحسن في تفسيره حديثا حديثا فتعجبوا من
حسن حفظه ومن حسن تفسيره فاخذ الصحابي كفا من حصى ورماهم به وقال تسألوني عن العلم وهذا
الحبر بين اظهركم ومنها ان يكون اكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق
الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضي الى مشاهدة
في دقائق علم القلوب وتتفجر به ينابيع الحكمة من القلب اما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك بل الحكمة
الخارجة عن الحصر والعد انما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة و
الجلوس مع الله في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكر والانقطاع الى الله تعالى عما سواه فذلك
مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم
من مقتصر على المهم في التعلم متوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكم ما تحار فيه
عقول ذوي الالباب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
وفي بعض الكتب السالفة يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الارض من
يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر ياتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين
وتخلقوا الي باخلاق الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وقال سهل
التستري خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم يفتح الا قلوب الصديقين و
الشهداء ثم تلا قوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ولولا ان ادراك قلب من له قلب بالنور

الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال استفت قلبك وان افتوك وافتوك وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الله تعالى من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي عبد بشيء افضل
من اداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا
وبصرا ويدا ومؤيدا بي يسمع وبي يبصر الحديث فكم من معان دقيقة من اسرار القرآن يخطر على قلب
المتجرد للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها افاضل المفسرين واذا انكشف
ذلك للمراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا ان ذلك من تنبيهات القلوب الزكية المقبلة
الى الله تعالى بالهمم المتوجهة اليه وكذلك في علوم المكاشفة واسرار علوم المعاملات ودقائق خواطر
القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق وبحسب
ما وفق له من حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال علي رضي الله عنه في حديث طويل القلوب
اوعية وخيرها اوعاها والناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع كل
ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك
وانت تحرس المال والعلم يزكيه العمل والمال تنقصه النفقة محبة العالم دين يدان به يكسبه الطاعة
في حياته وجميل الاحدوثة بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات
خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعداء فقال هاه ان هاهنا
علما جما لو وجدت له حملة بل اجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل
بنعم الله على اوليائه ويستظهر بحججه على خلقه او منقادا لاهل الحق ينزرع الشك في قلبه باول
عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك فمنهوم باللذة سلس القياد في طلب الشهوات او
مغري بجمع الاموال والادخار منقاد لهواه اقرب شبها بهما الانعام السائمة اللهم هكذا يموت
العلم اذا مات حاملوه بل لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهر مكشوف واما خائف مقهور
لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم واين اولئك الاقلون عددا الاعظمون قدرا اعيانهم مفقودة و
امثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم
هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا
بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك اولياء الله
من خلقه وعماله في ارضه والدعاة الى دينه ثم بكى وقال واشوقاه الى رؤيتهم فهذا الذي ذكره آخرا هو
وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد اكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة ومنها ان
يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو راس مال الدين قال صلى الله عليه وسلم اليقين
الايمان كله ولا بد من تعلم علم اليقين اعني اوائله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم
كما قوي يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين
كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمي الا وله ذنوب ولكن من كان
غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب تاب واستغفر وندم فيكفر ذنوبه و

يبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر و
من اعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا
يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى
بن معاذ ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد احرق لسيئات الموحدين من نار الشرك
لحسنات المشركين واراد به اليقين وقد اشار القرآن الى ذكر الموقنين في مواضع دل به على ان اليقين
هو الرابطة للخيرات والسعادات فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد
من فهمه اولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان ما لا يفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم ان اليقين
لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين اما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك
اذ ميل النفس الى التصديق بالشيء له اربع مقامات الاول ان يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر
عنه بالشك كما اذا سئلت عن شخص معين ان الله يعاقبه ام لا وهو مجهول الحال عندك فان
نفسك لا تميل الى الحكم فيه باثبات ولا نفي بل يستوي عندك امكان الامرين فيسمى هذا شكا الثاني
ان تميل نفسك الى احد الامرين مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه امكان لا يمنع ترجيح الاول
كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى انه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب فان
نفسك تميل الى انه لا يعاقب اكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فانت
تجوز اختفاء امر موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساو لذلك الميل ولكنه
غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا الثالث ان تميل النفس الى التصديق بشيء بحيث يغلب
عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة
اذ لو احسن صاحب هذا المقام التأمل والاصغاء الى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز وهذا
يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها اذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى
ان كل فرقة تثق بصحة مذهبها واصابة امامها ومتبوعها ولو ذكر لها امكان خطائه نفرت عن قبوله
الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فاذا
امتنع وجود الشك وامكانه يسمى يقينا عند هؤلاء ومثاله انه اذا قيل للعاقل هل في الوجود شيء
هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لان القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما
بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم اوليا ضروريا مثل العلم بان الاثنين اكثر من الواحد بل مثل العلم
بان حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا ايضا ضروري فحق غريزة العقل ان تتوقف عن
التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع
تصديقا جزما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق
بالبرهان وهو ان يقال ان لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب
او فيها حادث بلا سبب وذلك محال فالمؤدي الى المحال محال فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء
قديم بالضرورة لان الاقسام ثلاثة وهو ان تكون الموجودات كلها قديمة او كلها حادثة او بعضها
قديمة وبعضها حادثة فان كان كلها قديما فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة قديم وان كان الكل

حادثا فهو محال اذ يؤدي الى حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثاني او الاول وكل علم حصل على هذا الوجه
يسمى يقينا سواء حصل بنظر مثل ما ذكرنا او حصل بحس او بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب
او بتواتر كالعلم بوجود مكة او بتجربة كالعلم بان المطبوخ يسهل او بدليل كما ذكرناه فشرط اطلاق الاسم عند هم
عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف اذ لا تفاوت
في نفي الشك الاصطلاح الثاني للفقهاء والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان لا يلتفت فيه الى اعتبار
التجويز والشك بل الى استيلائه وغلبته على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع انه لا يشك
فيه ويقال فلان قوي اليقين في اتيان الرزق مع انه قد يجوز انه لا ياتيه فمهما مال النفس الى التصديق
بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف في النفس بالتحريض والمنع سمي ذلك يقينا
ولا شك في ان الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت اليه
والى الاستعداد له فكانه غير موقن به ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق همه بالاستعداد له
ولم يغادر فيه متسعا لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رايت يقينا
لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف
والقوة ونحن اردنا بقولنا ان من شان علماء الآخرة صرف العناية الى تقوية اليقين اليقين بالمعنيين
جميعا وهو نفي الشك ثم تسليطه على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم وهو المتصرف واذا فهمت
هذا علمت المراد من قولنا اذ قلنا ان اليقين ينقسم ثلاثة انقسامات بالقوة والضعف والقلة و
الكثرة والخفاء والجلاء فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة و
الاستيلاء على القلب ودرجات اليقين في القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق في الاستعداد
للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني واما التفاوت بالخفاء والجلاء فلا ينكر
ايضا اما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر اعني الاصطلاح الثاني وفيما انتفى الشك عنه ايضا لا
سبيل الى انكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلا وبين تصديقك
بوجود موسى ووجود يوشع مع انك لا تشك في الامرين جميعا اذ مستندهما التواتر ولكن ترى احدهما
اجلى واوضح في قلبك من الثاني لان السبب في احدهما اقوى وهو كثرة المخبرين وكذلك يدرك
الناظر هذا في النظريات المعلومة بالادلة فانه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح بادلة
كثيرة مع تساويهما في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي ياخذ العلم من الكتب والسماع ولا
يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الاحوال واما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين
كما يقال فلان اكثر علما اي معلوماته اكثر فكذلك قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد به الشرع
وقد يكون قوي اليقين في بعضه فان قلت فقد فهمت اليقين وقوته وضعفه وقلته وكثرته و
جلاءه وخفاءه بمعنى نفي الشك وبمعنى الاستيلاء على القلب فما متعلقات اليقين ومجاريه و
فيماذا يطلب اليقين فاني ما لم اعرف ما يطلب فيه اليقين لم اقدر على طلبه فاعلم ان جميع ما ورد
به الانبياء من اوله الى آخره هو من مجاري اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه
المعلومات التي وردت بها الشرائع ولا مطمع في احصائها ولكني اشير الى بعض امهاتها فمن ذلك

التوحيد وهو ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة
لا حكم لها فالمصدق بهذا مؤمن فان انتفى عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن باحد المعنيين
فان غلب على قلبه غلبة ازالت عنه الغضب على الوسائط والرضى منهم والشكر لهم ونزل الوسائط في
قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين
وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الاول وروحه وفائدته و
مهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بامره حسب
تسخر القلم في يد الكاتب وان القدرة الازلية هي المصدر للكل استولى على قلبه التوكل والرضى والتسليم
وصار بريئا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا احد ابواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان
الله للرزق في قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واليقين بان ذلك ياتيه وان ما قدر له سيسوقه
اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتاسفه على ما يفوته و
اثمر هذا اليقين جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك ان يغلب على قلبه ان من يعمل
مثقال ذرة خيرا يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى
الشبع ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك فكما يحرص على تحصيل الخبز طلب
الشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعة قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها
يجتنب قليل المعاصي وكثيرها وصغيرها وكبيرها واليقين بالمعنى الاول يوجد لعموم المؤمنين اما
بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات
والمبالغة في التقوى والاحتراز عن السيئات وكلما كان اليقين اغلب كان الاحتراز اشد والتشمر ابلغ
ومن ذلك اليقين بان الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك
وفكرك وهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم الشك فاما بالمعنى الثاني وهو المقصود
فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته ان يكون الانسان في خلوته متادبا في جميع احواله كالجالس بمشهد
ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا متادبا متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الادب و
يكون في فكرته الباطنة كهو في اعماله الظاهرة اذ يتحقق ان الله مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على علانيته
فيكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله تعالى الكالئة اشد من مبالغته في تزيين
علانيته لسائر الناس وهذا المقام يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع و
جملة من الاخلاق المحمودة وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب
من هذه الابواب كالشجرة وهذه الاخلاق في القلب كالاغصان المتفرعة منها وهذه الاعمال و
الطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار والانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاس و
الاصل وله مجار وابواب اكثر مما عددناه وسياتي ذلك في ربع المنجيات وهذا القدر كاف في تفهيم
معنى اللفظ الآن ومنها ان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية على هيئته وكسوته
وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره مذكرا لله وكانت صورته دليلا
على عمله فالجواد عينه مرآته فعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم في السكينة والذلة والتواضع وقد قيل ما البس

الله تع لبسة احسن من خشوع في سكينة فهي لبسة الانبياء وسيما الصديقين والعلماء فاما التهافت في الكلام والتشدق والاستغراب في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والامن والغفلة عن عظم عقاب الله تع وشديد سخطه وهو داب ابناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به وهذا لان العلماء ثلاثة كما قاله سهل التستري رحمه الله عالم بامر الله لا بايام الله وهم المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله لا بامر الله ولا بايام الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله وبايام الله وهم الصديقون والخشية والخشوع انما تغلب عليهم واراد بايام الله انواع عقوباته الغامضة ونقمه الباطنة التي افاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن احاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال ما آتى الله عبدا علما الا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفي الاثر من آتاه الله زهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وفي الخبر ان من خيار امتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه ابدانهم في الارض وقلوبهم في السماء ارواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق ابوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحارث من طلب الرياسة بالعلم فتقرب الى الله ببغضه فانه ممقوت في السماء والارض وروي في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى وصف بالحكيم فاوحى الله تع الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض نفاقا ولم تردني بشيء من ذلك واني لا اقبل من نفاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الاسواق وواكل بني اسرائيل وتواضع في نفسه فاوحى الله تع الى النبي قل له الآن وافقت رضائي وحكى الاوزاعي عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر احدكم الى الشرطي فيستعيذ بالله منه وينظر الى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوفين الى الرياسة فلا يمقته وهذا احق بالمقت من ذلك الشرطي وروي انه قيل يا رسول الله اي الاعمال خير قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله قيل فاي الاصحاب خير قال صاحب ان ذكرت الله اعانك وان نسيت ذكرك قيل فاي الاصحاب شر قال صاحب ان سكت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل فاي الناس اعلم قال اشدهم لله خشية قالوا فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الذين اذا رأوا ذكر الله قالوا فاي الناس شر قال اللهم غفرا قالوا اخبرنا يا رسول الله قال العلماء اذا فسدوا وقال صلى الله عليه وسلم ان اكثر الناس امانا يوم القيمة اكثرهم فكرا في الدنيا واكثر الناس ضحكا في الآخرة اكثرهم بكاء في الدنيا واشد الناس فرحا في الآخرة اطولهم حزنا في الدنيا وقال علي رضي الله عنه في خطبة ذمتي رهينة وانا به زعيم لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ اصل وان اجهل الناس من لا يعرف قدره وان ابغض الخلق الى الله رجل قمش علما اغار في اغباش الفتنة سماه اشباه الناس وارذالهم عالما ولم يغن في العلم يوما سالما بكر فاستكثر ما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من آجن واكثر من غير طائل جلس للناس معلما لتخليص ما التبس على غيره وان نزلت به احدى المهمات هيأ حشو الرأي من رأيه فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري اخطأ ام اصاب ركاب جهالات خباط

عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم يبكي منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام فلا ملي بالله باصدار ما ورد عليه ولا هو اهل لما فرط به اولئك الذين حلت عليهم المثلات وحقت عليهم النياحة والبكاء ايام حيوة الدنيا وقال علي رضي الله عنه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بالهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل اذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة به على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة به على المعلم العقل والادب وحسن الفهم وعلى الجملة الاخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لانهم يتعلمون القرآن للعمل لا للدراسة قال ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وان احدنا يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة ونعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي ان يوقف عنده منها ولقد رأيت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحته الى خاتمته لا يدري ما آمره وما زاجره وما ينبغي ان يقف عنده وينثره نثر الدقل وفي خبر آخر بمثل معناه كنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتينا الايمان قبل القرآن وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده يقولون قرأنا فمن اقرأ منا وعلمنا فمن اعلم منا فذلك حظهم وفي لفظ آخر اولئك شرار هذه الامة وقيل خمس من الاخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد اما الخشية فمن قوله تع انما يخشى الله من عباده العلماء واما الخشوع فمن قوله تع خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا واما التواضع فمن قوله تع واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين واما حسن الخلق فمن قوله تع فبما رحمة من الله لنت لهم واما الزهد فمن قوله تع وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن ولما نزل على رسول الله صلعم قوله تع فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل ما هذا الشرح فقال ان النور اذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ومنها ان يكون بحثه في علم الاعمال عما يفسد الاعمال ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر فان اصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولان الاعمال الفعلية قريبة واقصاها المواظبة على ذكر الله بالقلب واللسان وانما الشأن في معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما يكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة اليه ويعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة واما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريع في الحكومات والاقضية ويتعبون في وضع صور ينقضي الدهر ولا تقع وان وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم واذا وقعت كان في القائمين بها كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل واطراف النهار في خواطرهم ووساوسهم واعمالهم وما ابعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله وشرها في ان يسميه البطالون من ابناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله ان لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيمة مفلسا

متحسّراً اعلم ما يشاهد من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد كان الحسن
البصري اشبه الناس كلاماً بكلام النبي صلى الله عليه وسلم واقربهم هدياً من الصحابة اتفقت
الكلمات في حقه على ذلك وكان اكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس النفوس
والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس وقيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام لا يسمع من
غيرك من اين اخذته قال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا نسمع من غيرك من
الصحابة فمن اين اخذته فقال خصّني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت
اسأله عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني فقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف
الخير وفي لفظ آخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا فيسألونه عن فضائل الاعمال
وكنت اقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني اسأل عن آفات الاعمال خصّني بهذا العلم وكان
حذيفة قد خُصّ ايضاً بعلم المنافقين وافرد بمعرفة علم النفاق واسبابه ودقائق الفتن وكان عمر وعثمان
واكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يُسأل عن المنافقين فيخبر باعداد
من بقي ولا يخبر باسمائهم وكان عمر يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئاً من النفاق فبرّأه من ذلك
وكان عمر اذا دُعي الى جنازة نظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك وكان يسمى صاحب السر فالعناية
بمقامات القلب واحواله دأب علماء الآخرة لان القلب هو الساعي الى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن
غريباً مندرساً واذا تعرض العالم لشيء منه استُغرب واستُبعد وقيل هذا تزويق المذكرين
فاين التحقيق ويرون التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال الطرق شتى وطرق الحق
مفردة والسالكون طريق الحق افراد لا يُعرفون ولا يُدرى مقصدهم فهم على مهل يمشون قصداً
والناس في غفلة عما يراد بهم فجلّهم عن طريق الحق رقّاد وعلى الجملة لا يميل اكثر الخلق الا الى الاسهل
والاوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وادراكه شديد وطريقه مستوعر ولا سيما
معرفة صفات القلب وتطهيره عن الاخلاق المذمومة فان ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل
منزلة شارب الدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو
يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة في مثل هذا الطريق ولذلك قيل كان في
البصرة مائة وعشرون متكلماً في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين واحوال القلوب وصفات
الباطن الا ثلاثة مثل سهل التستري والصبيحي وعبد الرحيم وكان يجلس الى اولئك الخلق الكثير الذي لا
يحصى والى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لان النفيس العزيز لا يصلح الا لاهل الخصوص وما يبذل
للعوام فامره قريب **ومنها** ان يكون اعتماده في علومه على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على
الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلَّد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم فيما امر به
وقاله وانما تقليد الصحابة من حيث ان فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا قلد صاحب
الشرع عليه السلام في تلقي اقواله وافعاله بالقبول فينبغي ان يكون حريصاً على فهم اسراره فان المقلد
انما يفعل الفعل لان الرسول صلى الله عليه وسلم فعله فالرسول عليه السلام لم فعله لا بد وان يكون لسر
فيه فينبغي ان يكون شديد البحث عن اسرار الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم

ولم يكن عالماً ولذلك كان يقال فلان من اوعية العلم وكان لا يسمى عالماً اذا كان شأنه الحفظ من
غير اطلاع على الحكم والاسرار ومن انكشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعاً
مقلَّداً فلا ينبغي ان يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس ما من احد الا يؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي بن كعب ثم خالفهما في الفقه و
القراءة وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن
الصحابة فناخذ ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال **وانما** فضل الصحابة لمشاهدتهم
قرائن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق قلوبهم امورا ادركت بالقرائن فسددهم ذلك الى الصواب من
حيث لا يدخل في الرواية والعبارة اذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الاكثر عن الخطأ
واذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليداً غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف ابعد بل الكتب
والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين وانما حدثت بعد سنة مائة و
عشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن و
خيار التابعين بل كان الاولون يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها
عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره ابو بكر الصديق
رضي الله عنه وجماعة من الصحابة تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصحف وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين
والاقراء ليكون هو شغلهم وهمهم حتى اشار عمر وبقية الاصحاب رضي الله عنهم بكتبه القرآن خوفا من
تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليه في كلمة او قراءة من المتشابهات
فانشرح صدر ابي بكر رضي الله عنه لذلك فجمع القرآن في مصحف واحد وكان احمد بن حنبل ينكر على مالك
بن انس تصنيفه الموطأ ويقول ابتدع ما لم تفعله الصحابة **وقيل** اول كتاب صنف في الاسلام كتاب
ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن
راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سننا منثورة مبوبة ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع
سفيان الثوري ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والغوص في ابطال
المقالات ثم مال الناس اليه والى القصص والوعظ بها فاخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان
فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعرض
عن ذلك الا الاقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة
عالما **وهذا** لان العوام هم المستمعون اليهم وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم عن غيره ولم يكن سيرة الصحابة و
علومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب
خلف عن سلف واصبح علم الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام الا عن الخواص منهم كانوا
اذا قيل لهم فلان اعلم ام فلان يقول فلان اكثر علما وفلان اكثر كلاما فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم
وبين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الامر الى ان
مظهر الانكار يستهدف لنسبته الى الجنون فالاولى ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت **ومنها**

ان يكون شديد التوقي من محدثات الامور وان اتفق عليه الجمهور فلا يغرنه اطباق الخلق على ما احدث بعد الصحابة وليكن حريصا على التفتيش عن احوال الصحابة وسيرتهم واعمالهم وما كان فيه اكثر همهم اكان في التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولي الاوقاف والوصايا واكل مال الايتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة او في الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن و اجتناب دقيق الاثم وجليله والحرص على ادراك خفايا شهوات النفس ومكايد الشيطان الى غير ذلك من علوم الباطن ويعلم تحقيقا ان اعلم اهل الزمان واقربهم الى الحق اشبههم بالصحابة واعرفهم بطريق السلف فمنهم اخذ الدين ولذلك قال علي رضي الله عنه خيرنا اتبعنا لهذا الدين لما ان قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي ان تكترث بمخالفة اهل العصر في موافقة اهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الناس راوا رايا فيما هم لميل طباعهم اليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بان ذلك سبب الحرمان عن الجنة فادعوا انه لا سبيل الى الجنة سواه ولذلك قال الحسن محدثان احدثا في الاسلام رجل ذو راي سوء زعم ان الجنة لمن راى مثل رايه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار وان رجلا اصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه الى دنياه وصاحب هوى يدعوه الى هواه وقد عصمه الله منهما يحن الى السلف الصالح يسال عن افعالهم ويقتص آثارهم متعرض لاجر عظيم فكذلك فكونوا وقد روي عن ابن مسعود موقوفا ومسندا انه قال انما هما اثنتان الكلام والهدي فاحسن الكلام كلام الله تعالى واحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم الا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ان كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة الا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم الا كل ما هو آت قريب الا ان البعيد ما ليس بآت وفي خطبة النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط اهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وكان ابن مسعود يقول حسن الهدي في آخر الزمان خير من كثير من العمل و قال انتم في زمان خيركم فيه المسارع في الامور وسياتي بعدكم زمان يكون خيرهم المتثبت لكثرة الشبهات ولقد صدق فمن لم يتثبت في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا هلك كما هلكوا وقال حذيفة اعجب من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان قد اتى وانكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فاكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة اذ من غرر المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتجديدها وانفاق الاموال العظيمة في دقائق عمارتها وفرش البسط الرفيعة فيها وقد كان يعد فرش البواري في المساجد بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من اجل علوم الزمان ويزعمون انه اعظم القربات وقد كان ذلك من المنكرات ومن ذلك التلحين في الاذان والقرآن ومن ذلك التعسف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حل الاطعمة وتحريمها الى نظائر لذلك ولقد صدق ابن مسعود حيث قال انتم

اليوم

اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسياتي زمان يكون العلم تابعا للهوى وكان احمد بن حنبل يقول تركوا العلم واقبلوا على الغرائب ما اقل الفقه فيهم والله المستعان وقال مالك بن انس رحمه الله لم يكن الناس فيما مضى يسالون عن هذه الامور كما يسال الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام و لا حلال ادركتهم يقولون مكروه ومستحب معناه انهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهية والاستحباب فاما الحرام فكان فحشه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسالوهم اليوم عما احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان ابو سليمان الداراني رحمه الله يقول لا ينبغي لمن الهم شيئا من الخير ان يعمل به حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذ وافق ما في نفسه وانما قال هذا لان ما ابدع من الآراء قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب فربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما احدث مروان المنبر في صلوة العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري رضي الله عنه وقال يا مروان ما هذه البدعة فقال انها ليست بدعة هي خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد والله لا تاتون بخير مما اعلم ابدا والله لا صليت وراءك اليوم وانما انكر ذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكا في خطبة العيد والاستسقاء على قوس او عصا لا على المنبر وفي الحديث المشهور من احدث في امرنا هذا ما ليس فيه فهو رد وفي خبر آخر من غش امتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله وما غش امتك قال ان يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وقال صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته ومثال الجاني على الدين بابداع ما يخالف سنة رسول الله صلعم بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة الى من خالف امر الملك في خدمة معينة وذلك قد يغفر فاما قلب الدولة فلا وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال آخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه العالي ويرتفع اليه التالي وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الضلالة لها حلاوة في قلوب اهلها قال الله تعالى اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فكل ما احدث بعد الصحابة مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللهو واللعب و حكي عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شانكم فقالوا ما راينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا قد اتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم صلى الله عليه وسلم وشهدوا تنزيل ربهم تعالى ولكن سياتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما راينا اعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب فاذا كان آخر النهار اخذوا في الاستغفار فيبدل سيئاتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيئا لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ولكن سياتي بعد هؤلاء قوم تقر اعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة اهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل سيئاتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرون الاولى فبث فيهم الاهواء

وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط اليهم الاعداء فقادهم اين شاء وافان قلت فمن اين عرف قايل هذا ما قاله ولم يشاهد ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم ان ارباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرويا الصادقة وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الامثلة كما يكون في المنام وهذا اعلى الدرجات وهي من درجات النبوة العالية كما ان الرويا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فاياك ان يكون حظك من العلم انكار كل ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمين انهم احاطوا بعلوم المعقول والجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور للاولياء الله تع ومن انكر ذلك للاولياء لزمه انكاره للانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية وقال بعض العارفين انما انقطع الابدال في اطراف الارض واستتروا عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تع وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التستري رحمه الله ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان يخوض فيما احب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولهذا قال الله تع ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا والعوام العصاة اسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العاصي معترف بتقصيره فيستغفر الله ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم وان ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسايله الى الدنيا من سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت واذا غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله عز وجل وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم للدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما سياتي في كتاب العزلة بيانه ولذلك كتب يوسف بن اسباط الى حذيفة المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد احدا يذكر الله تع معه الا كان اثما وكانت مذاكرته معصية وذلك لانه لا يجد اهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا ينفك عن غيبة او عن سماع غيبة او عن سكوت على منكر واحسن احواله ان يفيد علما ولو تامل علم ان المستفيد انما يريد ان يجعل ذلك آلة في طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له وردءا وظهيرا ومهيئا لاسبابه كالذي يبيع السيف من قاطع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو وذلك لا يرخص في البيع ممن يعلم بقراين احواله انه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملا من اخلاق علماء السلف فكن احد رجلين اما متصفا بهذه الصفات او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلبس على نفسك بان تلقب آلة الدنيا بالدين وسيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشياطين فبها هلك الجمهور فنسال الله تع ان يجعلنا ممن لا تغره الحيوة الدنيا ولا يغره بالله الغرور ه

الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه

بيان شرف العقل

اعلم ان هذا لا يحتاج الى تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل والعقل منبع العلم ومطلعه واساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من

الشمس والرؤية من العين وكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة او كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان اعظم البهايم بدنا واشدها ضراوة واقواها سطوة اذا راى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه بما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الشيخ في قومه كالنبي في امته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الاتراك والاكراد واجلاف الخلق مع قرب رتبتهم من البهايم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقعت اعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنا في نفسه وشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد ان نورد ما وردت به الاخبار والآيات في ذكر شرفه وقد سماه الله تع نورا في قوله الله نور السموات والارض وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحيوة فقال تع وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقال تع اومن كان ميتا فاحييناه وحيث ذكر النور والظلمة اراد به العلم والجهل كقوله تع يخرجهم من الظلمات الى النور وقال صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله تع وان كان دميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله تعالى وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم فانكم من الخاسرين وقال صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله تع العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب فان قلت فهذا العقل ان كان عرضا فكيف يكون قبل خلق الاجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهر قايم بنفسه فاعلم ان هذا من علم المكاشفة ولا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا علم المعاملة وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال اثنى قوم على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال عليه السلام كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتسالنا عن عقله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم وعن عمر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله وقال صلعم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصايم القايم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه واطاع ربه تع وعصى عدوه ابليس لعنه الله وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء دعامة ودعامة المومن عقله فبقدر عقله يكون عبادته اما سمعتم قول الفاجر لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وعن عمر رضي الله عنه انه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سالتك فقال كما قلت ثم قال سالت جبريل ما السودد فقال العقل وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال كثرت المسايل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان لكل

شيء مطية و احسنهم دلالة و معرفة بالحجة افضلهم عقلا • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غزوة احد سمع الناس يقولون كان فلان اشجع من فلان وفلان ابلى ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال انهم قاتلوا على قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم • وعن البراء بن عازب رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله تع بالعقل وجد المومنون من بني آدم على قدر عقولهم فاعملهم بطاعة الله تع اوفرهم عقلا • وعن عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله باي شيء تفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت الليس انما يجزون باعمالهم فقال يا عايشه وهل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله تع من العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون • وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شيء آلة وعدة وان آلة المومن العقل ولكل شيء مطية ومطية المرء عقله ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرء عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المومنين العقل وقال صلى الله عليه وسلم ان احب المومنين الى الله تع من نصب في طاعة الله ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فابصر وعمل به ايام حيوته فافلح وانجح وقال صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا •

بيان حقيقة العقل واقسامه

اعلم ان الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته وذهل الاكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه ان العقل اسم يطلق بالاشتراك على اربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجري هذا المجرى فلا ينبغي ان يطلب لجميع اقسامه حد واحد بل نفرد كل قسم منه بالكشف عنه فالاول الوصف الذي يفارق الانسان ساير البهايم وهو الذي به استعد لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي اراده الحارث المحاسبي حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيا بها درك العلوم النظرية وتدبير الصناعات وكانه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء ولم ينصف من انكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنايم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم وكما ان الحيوة غريزة يتهيا الجسم بها للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها تتهيا بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز ان يسوى بين الانسان والحمار في الغريزة ويقال لا فرق بينهما الا ان الله تع بحكم اجراء العادة يخلق في الانسان علوما وليس يخلقها في الحمار والبهايم لجاز ان يسوى بين الحمار والجماد في الحيوة ويقال لا فرق الا ان الله تع يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة فانه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بان كل

حركة نشاهدها منه فالله تع قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب ان يقال لم يكن مفارقته للجماد في الحركة الا لغريزة اختصت به عبر عنها بالحيوة فكذا مفارقة الانسان للبهيمة في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة التي تفارق غيرها من الاجسام في حكاية الصور والالوان لصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة في هيات وصفات بها استعدت للروية فنسبة هذه الغريزة الى العلوم كنسبة العين الى الروية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة الثاني فهي العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون في مكانين وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل انه بعض العلوم الضرورية بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح في نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد ان ينكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم الثالث علوم تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف به يقال انه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا الرابع ان تنتهي قوة تلك الغريزة الى ان تعرف عواقب الامور وتقمع الشهوة الداعية الى اللذة العاجلة وتقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه ايضا من خواص الانسان التي بها يتميز عن ساير الحيوان فالاول هو الاس والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع الاقرب اليه والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هي الثمرة الاخيرة وهي الغاية القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال علي رضي الله عنه

العقل عقلان مطبوع ومسموع • ولا ينفع المسموع اذا لم يك مطبوع • كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع •

والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى خلقا اكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم اذا تقرب الناس بابواب البر فتقرب انت بعقلك وهو المراد بقوله عليه السلام لابي الدرداء رضي الله عنه ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابي انت وامي وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله تع وادّ فرايض الله تع تكن عاقلا واعمل بالصالحات تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعز • وعن سعيد بن المسيب ان عمر وابي بن كعب وابا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس قال العاقل قالوا فمن اعبد الناس قال العاقل قالوا فمن افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه السلم ان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا دنيا وقال في حديث آخر انما العاقل من آمن بالله عز وجل وصدق رسله وعمل بطاعته ويشبه ان يكون الاسم في اصل اللغة لتلك الغريزة وكذا في الاستعمال وانما اطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم

من يخشى الله تعالى فان الخشية ثمرة العلم فيكون كالمجاز لتلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود
ان هذه الاقسام الاربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها الا في القسم
الاول والصحيح وجودها بل هي الاصل وهذه العلوم كانها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر
الى الوجود اذا جرى سبب يخرجها الى الوجود حتى كان هذه العلوم ليست شيئا واردا عليها من خارج
وكانها كانت مستكنة فيه فظهرت ومثاله الماء في الارض فانه يظهر بحفر القني ويجتمع ويتميز
بالحس لا بان يساق اليها شيء جديد وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد ولذلك قال تعالى واذ اخذ
ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فالمراد به اقرار نفوسهم
لا اقرار الالسنة فانهم انقسموا الى اقرار الالسنة حيث وجدت الالسنة والاشخاص ولذلك
قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله معناه ان اعتبرت احوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم
فطرة الله التي فطر الناس عليها اي كل آدمي فطر على الايمان بالله عز وجل بل على معرفة الاشياء على ما هي عليه اعني
انها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك ثم لما كان الايمان مركوزا في النفوس بالفطرة انقسم الناس الى من
اعرض فنسي وهم الكفار والى من اجال خاطره فتذكر وكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها
ولذلك قال تعالى لعلهم يتذكرون وليتذكر اولوا الالباب واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم
به ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد وكان التذكر ضربان احدهما
ان تذكر صورة كانت حاضرة الوجود في القلب لكن غابت بعد الوجود والآخر ان يكون عن صورة كانت
مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من مستروحه السماع والتقليد
دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الآيات ويتعسف في تأويل التذكر واقرار النفوس
انواعا من التعسفات ويتخايل اليه في الاخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى
ينظر اليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الاعمى الذي يدخل دارا فيعثر فيها
بالاواني المصفوفة في الدار فيقول ما لهذه الاواني لا ترفع من الطريق وترد الى مواضعها وانما الخلل في
بصره فكذلك خلل البصيرة يجري مجراه واطم منه واعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس
اضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصر الظاهر قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقال تعالى
وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وسمى ضده عمى فقال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي
في الصدور وقال تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا وهذه الامور التي كشفت
للانبياء بعضها كان بالبصر وبعضها بالبصيرة وسمى الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق
به من الدين الا قشوره وامثلته دون لبابه وحقائقه فهذه اقسام ما ينطلق اسم العقل عليه

بيان تفاوت الناس في العقل

قد اختلف الناس في العقل ولا معنى للاشتغال بنقل
كلام من قل تحصيله بل الاولى المبادرة الى التصريح بالحق والحق الصريح فيه ان التفاوت يتطرق الى الاقسام
الاربعة سوى القسم الثاني وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان من
عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحالة كون الجسم في مكانين وكون الشيء الواحد قديما
حادثا وكذا سائر النظائر وكل ما يدركه ادراكا محققا من غير شك واما الاقسام الثلاثة فالتفاوت

يتطرق اليها اما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل
لا يخفى تفاوت احوال الشخص الواحد وهذا التفاوت تارة يكون لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر
العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك
الزنا فاذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الزنا والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه
التفاوت في العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الاطعمة
المضرة وقد لا يقدر من يساويه في العقل اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن اذا كان
علم الطبيب اتم كان خوفه اشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة له في قمع الشهوة وكسرها ولذلك
يكون العالم اقدر على ترك المعاصي من الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصي واعني به العالم الحقيقي دون
ارباب الطيالسة واصحاب الهذيان فان كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل
وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا ايضا فانه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما
رجعت التسمية اليه وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا
محالة اشد واما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم يتفاوتون
بكثرة الاصابة وسرعة الادراك ويكون سببه اما تفاوت في الغريزة واما تفاوت في الممارسة فاما
الاول وهو الاصل اعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل الى جحده فانه مثل نور يشرق على النفس
ويطلع صبحه ومبادئ اشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفي التدريج الى ان
يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان اوائله تخفى خفاء يشق ادراكه ثم يتدرج الى
الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين
الاعمش وبين حاد البصر بل سنة الله تعالى جارية في جميع خلقه بالتدريج في الايجاد حتى ان غريزة الشهوة
لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذا جميع القوى والصفات
من انكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكانه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل
عقل آحاد السوادية واجلاف البوادي فهو اخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت
الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل
من المعلم والى ذكي يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقائق الامور دون التعليم يكاد
زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبياء عليهم السلام اذ يتضح لهم في باطنهم امور غامضة من غير
تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر نبينا صلى الله عليه وسلم حيث قال ان روح القدس
نفث في روعي احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به
وهذا النمط من تعريف الملائكة للانبياء عليهم السلام يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة
الاذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك اخبر عن هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة
والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظنن ان معرفة درجات الوحي تستدعي
منصب الوحي اذ لا يبعد ان يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعرف العالم الفاسق درجات العدالة
وان كان خاليا عنها والعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا

ولا كل من عرف الورع والتقوى ودقايقه كان تقياً وانقسام الناس الى من يتنبه من نفسه ويفهم والى من لا يفهم الا بتنبيه وتعليم والى من لا ينفعه التعليم ولا التنبيه كانقسام الارض الى ما يجتمع فيه الماء ويقوى فيتفجر بنفسه عيوناً والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج الى القنوات والى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الارض في صفاتها فكذلك هذا لاختلاف النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روى ان ابن سلام سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وان الملائكة قالت يا رب هل خلقت شيئاً اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال فاني خلقت العقل اصنافاً شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطي حبة ومنهم من اعطي حبتين ومنهم الثلاث والاربع ومنهم من اعطي فرقاً ومنهم وسقاً ومنهم اكثر من ذلك **فان قلت** فما بال اقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول **فاعلم** ان السبب فيه ان الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على ان يقرروا عندهم انكم اخطاتم في التسمية اذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الالسنة فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم فاما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله عز وجل ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد اثنى الله تعالى عليه وان ذم فما الذي يحمد فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع ايضاً مذموماً ولا يلتفت الى من يقول انه يدرك بعين اليقين ونور الايمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما يريده بعين اليقين ونور الايمان وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي عن البهائم حتى ادرك بها حقايق الامور واكثر هذه التخبطات انما ثارت من جهل اقوام طلبوا الحقايق من الالفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس في الالفاظ وهذا القدر كاف في بيان العقل والله اعلم بالصواب تم كتاب العلم والحمد لله

كتاب قواعد العقايد وهو الكتاب الثاني من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين

وفيه اربعة فصول **الفصل الاول** في ترجمة عقيدة اهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي احد مباني الاسلام فنقول وبالله التوفيق بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المبدي المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش الشديد الهادي صفوة العبيد الى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقايدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم واقتفاء آثار صحبه الاكرمين المكرمين بالتاييد والتسديد المتجلي لهم في ذاته وافعاله بمحاسن اوصافه التي لا يدركها الا من القى السمع وهو شهيد المعرف اياهم في ذاته انه واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وانه قديم لا اول له ازلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له ابدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دايم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء تصرم الآماد وانقراض الآجال بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن **التنزيه** وانه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدور وانه لا يماثل الاجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجوداً ولا يماثله موجود وليس

كمثله شيء ولا هو مثل شيء وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه السموات وانه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وعلى المعنى الذي اراده استواء منزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء الى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قرباً الى العرش والسماء بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما انه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو اقرب الى العبيد من حبل الوريد وهو على كل شيء شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام وانه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن ان يحويه مكان كما تقدس عن ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وانه باين من خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وانه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزهاً عن الزوال وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالابصار نعمة منه ولطفاً بالابرار في دار القرار واتماماً منه للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم **الحياة والقدرة** وانه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تاخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وانه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والامر والسموات مطويات بيمينه والخلايق مقهورون في قبضته وانه المتفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته **العلم** وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الارضين الى اعلى السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر واخفى ويطلع على هواجس الضماير وحركات الخواطر وخفيات السراير بعلم قديم ازلي لم يزل موصوفاً به في ازل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال **الارادة** وانه مريد للكاينات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل ولا كثير صغير او كبير خير او شر نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر فوز او خسر زيادة او نقصان طاعة او عصيان الا بقضايه وقدره وحكمه ومشيته فما شاء كان وما لم يشا لم يكن لا يخرج عن مشيته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدي المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضايه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمحبته وارادته ومشيته لو اجتمع الانس والجن والملايكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته ومشيته عجزوا عنه وان ارادته قايمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفاً بها مريداً في ازله لوجود الاشياء في اوقاتها التي قدرها فوجدت في اوقاتها كما اراده في ازله من غير تقدم ولا تاخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا تغير دبر الامور لا بترتيب افكار وتربص زمان فلذلك لم يشغله شان عن شان **السمع والبصر** وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق لا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة واجفان

ويسمع من غير اصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة لا يشبه صفاته صفات
الخلق كما لا يشبه ذاته ذات الخلق **الكلام** وانه متكلم آمر وناه وواعد ومتوعد بكلام ازلي قديم
قايم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال الهواء واصطكاك الاجرام ولا بحرف
يتقطع باطباق شفة او تحريك لسان وان القرآن والتورية والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله
وان القرآن مقرو بالالسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وانه مع ذلك قديم قايم
بذات الله عز وجل لا يقبل الانفصال والفراق بالانتقال الى القلوب والاوراق وان موسى سمع
كلام الله تع بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله تع من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له
هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحيوة والعلم والقدرة والارادة
والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات **الافعال** وانه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله
وفايض من عدله على احسن الوجوه واكملها واتمها واعدلها وانه حكيم في افعاله عادل في اقضيته ولا يقاس
عدله بعدل العباد اذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تع فانه لا يصادف
لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من جن وانس وشيطان وملك وسماء وارض وحيوان
ونبات وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشاه انشاء بعد ان
لم يكن شيا اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث الخلق بعده اظهارا لقدرته و
تحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته وانه متفضل بالخلق
والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان
والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على ان يصب على عباده انواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام
والاوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن قبيحا ولا ظلما وانه يثيب عباده على الطاعات
بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم اذ لا يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لاحد عليه
حق وان حقه في الطاعات واجب على الخلق بايجابه على لسان انبيائه عليهم السلم لا بمجرد العقل ولكنه
بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق
تصديقهم فيما جاؤا به **معنى الكلمة الثانية** وهي شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم وانه بعث النبي الامي
القرشي محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة الخلق العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرايع الا ما
قرره الله تع وفضله على ساير الانبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهو
قول لا اله الا الله ما لم يقترن بها شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله والزم الخلق تصديقه
في جميع ما اخبر عنه في الدنيا والآخرة وانه لا يتقبل ايمان عبد حتى يوقن بما اخبر به بعد الموت واوله
سوال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هايلان يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد
فيسالانه عن التوحيد والرسالة ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر وسوالهما
اول فتنة بعد الموت وان يومن بعذاب القبر وانه حق وحكم وعدل على الجسم والروح كما يشاء ويومن
بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته في العظم انه مثل طباق السموات والارض يوزن فيه الاعمال
بقدرة الله تع والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحايف الحسنات

في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله تع بفضل الله تع وتطرح صحايف السيآت
في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله تع ويومن بان الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم
احد من السيف وادق من الشعر تزل عنه اقدام الكافرين بحكم الله تع فتهوي بهم الى النار ويثبت عليه
اقدام المومنين فيساقون الى دار القرار ويومن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم يشرب
منه المومنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظما بعدها ابدا عرضه
مسيرة شهر اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل حوله اباريق عدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان
من الكوثر ويومن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل
الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسال من شاء من الانبياء عن التبليغ والرسالة ومن شاء من الكفار
عن تكذيب المرسلين ويسال المبتدعة عن السنة ويسال المسلمون عن الاعمال ويومن باخراج الموحدين
عن النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تع ويومن بشفاعة الانبياء ثم العلماء ثم
الشهداء ثم ساير المومنين كل على حسب جاهه ومنزلته ومن بقي من المومنين ولم يكن له شفيع
اخرج بفضل الله تع فلا يخلد في النار مومن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وان
يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم وان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان
رضي الله عنهم وان يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما اثنى الله تع ورسوله عليهم فكل ذلك مما ورد
به الاخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من اهل الحق وعصابة السنة
وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسال الله تع كمال اليقين والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين
انه ارحم الراحمين **الفصل الثاني** في وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات
الاعتقاد ، ما ذكرناه من ترجمة العقيدة ينبغي ان يقدم الى الصبي في اول نشوه ليحفظه حفظا ثم
لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيا فشيا فابتداوه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد ثم الايقان و
التصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله تع على قلب الانسان ان شرحه في اول نشوه
للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقايد العوام مباديها التلقين المجرد والتقليد
المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى انه
يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه فلا بد من تقويته واثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل و
ليس الطريق في تقويته واثباته ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره و
قراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظايف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع
سمعه من ادلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الحديث وفوايده وبما يسطع عليه من انوار
العبادات ووظايفها وبما يسري عليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وهيآتهم في
الخضوع لله تع والخوف منه والاستكانة له فيكون اول التلقين كالقاء بذر في الصدر وتكون هذه
الاسباب كالسقي والتربية حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة اصلها راسخة اصلها
ثابت وفرعها في السماء وينبغي ان يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل
اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجا

تقويتها بان يكثر اجزاؤها وربما يغنيها ذلك ويفسدها وهو الاغلب والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا
فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة اهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين
وترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس
اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا الا من سمع
منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا ولا فرق بين التقليد في تعلم
الدليل او تعلم المدلول فتلقين الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوه على
هذه العقيدة ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد الحق اذ لم يكلف
الشرع اجلاف العرب اكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فاما البحث والتفتيش وتكلف نظم
الادلة فلم يكلفوا اصلا وان اراد ان يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل
ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له ابواب من الهداية تكشف
عن حقائق هذه العقيدة بنور الهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده تع اذ قال والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية ايمان الصديقين والمقربين واليه الاشارة
بالسر الذي وقر في قلب ابي بكر الصديق رضي الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك
الاسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله تع
وبالاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه وسائر العلوم اذ يختلف
ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه

مسئلة فان قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم او هو مباح او مندوب اليه
فاعلم ان للناس في هذا غلوا واسرافا فمن قائل انه بدعة وحرام وان العبد ان يلقى الله تع بكل ذنب سوى
الشرك خير له من ان يلقاه بالكلام ومن قائل انه واجب وفرض اما على الكفاية او على الاعيان فانه افضل
الاعمال واعلى القربات فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تع والى التحريم ذهب الشافعي ومالك واحمد
بن حنبل وسفين وجميع اهل الحديث رحمهم الله وقال ابو عبد الاعلى سمعت الشافعي رضي الله عنه يوم ناظر
ابا حفص الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول لان يلقى الله تع العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير من ان
يلقاه بشيء من الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا اقدر ان احكيه وقال ايضا قد اطلعت من اهل
الكلام على شيء ما ظننته قط ولان يبتلى العبد بكل ما نهى الله تع عنه ما عدا الشرك خير له من ان ينظر في الكلام و
حكى الكرابيسي ان الشافعي رحمه الله سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد و
اصحابه اخزاهم الله ولما مرض الشافعي رحمه الله دخل عليه حفص الفرد فقال من انت فقال حفص الفرد قال لا
حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما انت فيه وقال ايضا لو علم الناس ما في الكلام من الاهواء لفروا منه
فرارهم من الاسد وقال اذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهد انه من اهل الكلام ولا
دين له وقال الزعفراني قال الشافعي رضي الله عنه حكمي في اهل الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم في
العشائر والقبائل وينادى هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واخذ في الكلام وقال احمد بن حنبل
لا يفلح صاحب كلام ابدا ولا يكاد يرى احد نظر في الكلام الا وفي قلبه دغل وبالغ فيه حتى هجر الحارث المحاسبي

مع

مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة وقال ويحك الست تحكي بدعتهم اولا
ثم ترد عليهم الست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك
الى الرأي والبحث وقال احمد علماء الكلام زنادقة وقال مالك ارايت ان جاءه من هو اجدل منه ايدع
دينه كل يوم لدين جديد يعني ان اقوال المتجادلين تتفاوت وقال مالك لا تجوز شهادة اهل البدع و
الاهواء فقال بعض اصحابه في تاويله اراد باهل الاهواء اهل الكلام على اي مذهب كانوا وقال ابو يوسف
من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجالسوا اهل الاهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق
اهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع
انهم اعرف بالحقائق وافصح بترتيب الالفاظ من غيرهم الا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون اي المتعمقون في البحث والاستقصاء
واحتجوا ايضا بان ذلك لو كان من الدين لكان ذلك اهم ما يامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه
ويثني على اربابه فقد علمهم الاستنجاء وندبهم الى حفظ الفرائض واثنى عليهم ونهاهم عن الكلام في القدر و
قال امسكوا وعلى هذا استمر الصحابة رضي الله عنهم فالزيادة على الاستاذ طغيان وظلم وهم الاستاذون
والقدوة ونحن الاتباع والتلامذة واما الفرقة الاخرى فاحتجوا بان المحذور من الكلام ان كان هو لفظ
العرض والجوهر وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم يعهدها الصحابة فالامر فيه قريب اذ ما من علم الا وقد
احدث فيه اصطلاحات لاجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر و
التركيب والتعدية وفساد الوضع لما كانوا يفهمونه فاحداث عبارة للدلالة على مقصود صحيح كاحداث آنية على
هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وان كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به الا معرفة الدليل على حدث العالم و
وحدانية الخالق وصفاته كما جاء به الشرع فمن اين تحرم معرفة الله بالدليل وان كان المحذور هو التشعب
والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي اليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما ان الكبر والرياء و
طلب الرياسة مما يفضي اليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لاجل
ادائه اليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله سبحانه قل هاتوا برهانكم ان كنتم
صادقين وقال تع ليهلك من هلك عن بينة وقال تع هل عندكم من سلطان اي حجة وبرهان وقال تع فلله
الحجة البالغة وقال تع الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه الى قوله فبهت الذي كفر اذ ذكر احتجاج ابرهيم ومجادلته
وافحام خصمه في معرض الثناء عليه وقال تع وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه وقال تع قالوا يا نوح قد جادلتنا
فاكثرت جدالنا وقال تع في قصة فرعون وما رب العالمين الى قوله اولو جئتك بشيء مبين وعلى الجملة فالقرآن
من اوله الى آخره محاجة مع الكفار فعمدة ادلة المتكلمين في التوحيد قوله تع لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
وفي البعث قوله تع قل يحييها الذي انشاها اول مرة الى غير ذلك من الادلة ولم يزل الرسل يحاجون المنكرين و
يجادلونهم قال الله تع وجادلهم بالتي هي احسن والصحابة ايضا كانوا يجادلون ولكن عند الحاجة وكانت
الحاجة اليه قليلة في زمانهم واول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق علي رضي الله عنه اذ بعث ابن
عباس رضي الله عنهما الى الخوارج فكلمهم فقال ما تنقمون على امامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم فقال ذلك في
قتال الكفار ارايتم لو سبيت عائشة رضي الله عنها في يوم الجمل فوقعت في سهم احدكم اتستحلون منها

ما تستحلون من ملكهم ودمائكم في نص كتاب الله تعالى فقالوا لا ورجع منهم الى الطاعة بمجادلته الفان و
روي ان الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر، وناظر علي بن ابي طالب رضي الله عنه رجلا من القدرية، و
ناظر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يزيد بن عميرة في الايمان فقال عبد الله لو قلت اني مؤمن لقلت اني في الجنة
فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله هذه زلة منك وهل الايمان الا ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه
والبعث والميزان وتقيم الصلوة والصوم والزكوة ولنا ذنوب لو نعلم انها تغفر لنا لعلمنا انا من اهل
الجنة فمن اجل ذلك نقول انا مؤمنون ولا نقول انا من اهل الجنة فقال ابن مسعود رضي الله عنه صدقت والله
انها مني زلة، فينبغي ان يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق
التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة فيقال اما قلة خوضهم كانت لقلة الحاجة اذ لم تكن البدعة
تظهر في ذلك الزمان واما القصير فكان الغاية افحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق فلو طال اشكال
الخصم او لجاجه لطال لا محالة الزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع
فيها واما عدم تصديهم للتصنيف والتدريس فهكذا كان في الفقه والتفسير والحديث ايضا فان جاز
تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تتفق الا على الندور اما ادخارا ليوم وقوعها وان كانت
نادرة او تشحيذا للخاطر فنحن ايضا نرتب طرق المحاجة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة وهيجان مبتدع
او لتشحيذ الخاطر او لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح
قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن ان يذكر للفريقين فان قلت فما المختار فيه عندك فاعلم
ان الحق فيه ان اطلاق القول بذمه في كل حال او بحمده في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل فاعلم
اولا ان الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة واعني بقولي لذاته ان علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار
والموت وهذا اذا سئلنا عنه اطلقنا القول بانه حرام ولا يلتفت الى اباحة الميتة عند الاضطرار
واباحة تجرع الخمر لاساغة من غص بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر والى ما يحرم لغيره كالبيع على
بيع اخيك في وقت الخيار والبيع وقت النداء وكاكل الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم الى
ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول بانه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره والى ما يضر عند الكثرة فيطلق
القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره يضر بالمحرور وكاكل الطين وكان اطلاق التحريم على الطين والتحليل
على العسل التفاتا الى الاغلب الاحوال فان تصدى شيء تقابلت فيه الاحوال فالاولى والابعد عن
الالتباس ان نفصل فنعود الى علم الكلام فنقول فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته
في وقت الانتفاع حلال او مندوب اليه او واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت
الاستضرار ومحله حرام اما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقائد وازالتها عن الجزم والتصميم
فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص فهذا ضرره في
الاعتقاد الحق وله ضرر في تاكيد اعتقاد المبتدعة وتثبيته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم و
يشتد حرصهم على الاصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل فلذلك
ترى المبتدع العامي يمكن ان يزال اعتقاده باللطف في اسرع زمان الا اذا كان نشوؤه في بلد
يظهر فيها الجدل والتعصب فانه لو اجتمع عليه الاولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة عن صدره

بل الهوى والتعصب وبغض خصومه المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من
ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد ان يكشف الله لك الغطاء فيعرفك بالعيان ان الحق مع خصمك
كره ذلك خيفة من ان يفرح به خصمه وهذا هو الداء العظيم الذي استطار في البلاد والعباد
وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره واما منفعته فقد يظن ان فائدته
كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف
ولعل التخبيط والتضليل فيه اكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعته من محدث او حشوي
ربما خطر ببالك ان الناس اعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة و
بعد التغلغل فيه الى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق في علوم اخر تناسب نوع الكلام و
تحقق ان الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف
وايضاح لبعض الامور ولكن على الندور وفي امور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل
منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة
بانواع الجدل فان العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا ومعارضة الفاسد
بالفاسد يدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها اذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح
دينهم ودنياهم واجمع السلف عليها والعلماء متعبدون بحفظ ذلك على العوام من تلبيسات المبتدعة
لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم كما تعبد السلاطين بحفظ اموالهم عن هجمات الظلمة والغصاب
واذا وقعت الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغي ان يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر
اذ لا يضعه الا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة، وتفصيله ان العوام المشتغلون
بالحرف والصناعات ينبغي ان يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق
الذي ذكرناه فان تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم اذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد
ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح واما العامي المعتقد للبدعة فينبغي ان يدعى الى الحق بالتلطف
لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق ادلة القرآن و
الحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فان ذلك انفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين اذ العامي
اذا سمع ذلك اعتقد انه نوع صنعة تعلمها المتكلم ليستدرج الناس الى اعتقاده فان عجز عن الجواب
قدر ان المجادلين من مذهبه ايضا يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الاول حرام وكذا مع
من وقع له شك اذ يجب ازالته باللطف والوعظ والادلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام
واستقصاء الجدل وانما ينفع في موضع واحد وهو ان يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل
سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود الى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الانس بالمجادلة ما يمنعه
عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا الى حالة لا يشفيه الا دواء الجدل
فجاز ان يلقى اليه وهذا في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة
الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للادلة ويتربص وقوع شبهة فان وقعت ذكر بقدر الحاجة
فان كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان ان يخدعوا فلا باس ان يعلموا القدر الذي

اودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تاثير مجادلات المبتدعة ان وقعت اليهم و
هذا المقدار مختصر وقد اودعناه هذا الكتاب لاختصاره فان كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع
سؤال وثار في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا باس ان يرقى منه
الى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر رماية ورقة وليس فيه خروج عن النظر في
قواعد العقائد الى غير ذلك من مباحث المتكلمين فان اقنعه ذلك كف عنه وان لم يقنعه ذلك فقد صارت
العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فيتلطف به الطبيب بقدر امكانه وينتظر قضاء الله تعالى
فيه الى ان ينكشف له الحق بتنبيه من الله تع او يستمر على الشك والشبهة الى ما قدر له فالقدر الذي يحويه
ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه فاما الخارج منه فقسمان احدهما
بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات والاكوان والادراكات والخوض في ان الرؤية
هل لها ضد يسمى المنع او العمى وان كان فذلك واحد وهو منع عن جميع ما لا يرى او ثبت لكل مرئي يمكن رؤيته
بحسب عدده الى غير ذلك من الترهات المضلة ٠ القسم الثاني زيادة تقرير لتلك الادلة في غير
تلك القواعد وزيادة اسولة واجوبة وذلك ايضا استقصاء لا يزيد الا ضلالا وجهلا في حق
من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الاطناب والتقرير غموضا ولو قال قائل البحث عن حكم
الادراكات والاعتمادات فيها فائدة تشحيذ الخواطر والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا باس
بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين وذلك هوس فان الخاطر يتشحذ بسائر
علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام
والحال التي يذم فيها والحال التي يحمد فيها والشخص الذي ينتفع به والذي لا ينتفع فان قلت
فمهما اعترفت بالحاجة اليه في دفع المبتدع والآن فقد ثارت البدع وعمت البلوى وارهقت الحاجة
فلا بد ان يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الاموال وسائر الحقوق بالقضاء
والولاية وغيرهما وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية
لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي ان يكون التدريس فيه من
فروض الكفايات بخلاف زمان الصحابة فان الحاجة لم تكن ماسة اليه فاعلم ان الحق
انه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة و
ذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فان هذا
مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من انواع
الضرر فالعالم ينبغي ان يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال احدها التجرد للعلم والحرص عليه
فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وازالة الشكوك اذا عرضت والثانية الذكاء والفطنة
والفصاحة فان البليد لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى
فيه نفعه والثالثة ان يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه
فان الفاسق بادنى شبهة ينخلع عن الدين فان ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد بينه وبين الملاذ
فلا يحرص على ازالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من اعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم اكثر

مما يصلح واذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك ان الحجة المحمودة في الكلام انما هي من جنس حجج
القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل في التقسيمات
والتدقيقات التي لا يفهمها اكثر الناس واذا فهموها اعتقدوا انها شعوذة وصنعة تعلمها صاحبها
للتلبيس فاذا قابله مثله في الصنعة قاومه وعرفت ان الشافعي وكافة السلف رضي الله عنهم انما منعوا
من الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نبهنا عليه وان ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من
مناظرة الخوارج وما نقل عن علي رضي الله عنه من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر
وفي محل الحاجة وذلك محمود في كل حال نعم قد تختلف الاعصار في كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد ان يختلف
الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فاما ازالة الشبهة و
كشف الحقائق ومعرفة الاشياء على ما هي عليه ودرك الاسرار الذي يترجمه ظاهر الفاظ هذه العقيدة فلا
مفتاح له الا المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالكلية على الله عز وجل وملازمة الفكر الصافي عن شوائب
المجادلات وهي رحمة من الله تع تفيض على من تعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبحسب
قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله مسيلة فان قلت
هذا الكلام مشير الى ان هذه العلوم لها ظواهر واسرار وبعضها جلي يبدو اولا وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة
والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شيء من اشغال الدنيا سوى المطلوب
وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع اذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن
واحد فاعلم ان انقسام هذه العلوم الى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وانما ينكرها القاصرون
الذين تلقفوا في اوائل الصبى شيئا وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترق الى شأو العلى ومقامات العلماء والاولياء
وذلك ظاهر من ادلة الشرع قال صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا وقال
علي رضي الله عنه واشار الى صدره ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وقال صلى الله عليه وسلم
نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم وقال ما حدث احد قوما بحديث لم تبلغه
عقولهم الا كان فتنة عليهم وقال الله تع وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون و
قال صلعم ان من العلم كهيئة المكنون لا يعرفها الا العالمون بالله الحديث الى آخره كما اوردناه في كتاب العلم
وقال صلعم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعري ان لم يكن ذلك سرا منع من افشائه لقصور
الافهام عن دركه او لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم فلا شك في انهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله تع الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لو ذكرت
تفسيره لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم انه كافر وقال صلعم ما فضلكم ابو بكر رضي الله عنه بكثرة صيام ولا
صلوة ولكن بسر وقر في صدره ولا شك في ان ذلك السر كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان
من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره وقال سهل التستري رحمه الله للعالم ثلثة علوم علم ظاهر
يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه اظهاره الا لاهله وعلم هو بينه وبين الله تع لا يظهره لاحد وقال
بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة وللنبوة
سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله تع سر لو اظهروه لبطلت الاحكام وهذا القائل ان لم يرد بذلك

بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح انه لا تناقض وان الكامل
من لا يطفى نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة مسئلة فان قلت فهذه
الاخبار والآيات يتطرق اليها تاويلات فبين كيفية اختلاف الظاهر والباطن فان الباطن ان كان
مناقضا للظاهر ففيه ابطال الشرع وهو قول من قال ان الحقيقة خلاف الشرع وهو كفر لان الشرع
عبارة عن الظاهر والحقيقة عن الباطن وان كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون
للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا فاعلم ان هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر الى
علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فان العقائد التي ذكرناها من اعمال
القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بان يتوصل الى ان ينكشف لنا حقائقها
فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا انه من الاعمال لما اوردناه في هذا الكتاب ولولا انه عمل ظاهر
القلب لا عمل باطنه لما اوردناه في الشطر الاول من الكتاب وانما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب
باطنه ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فمن قال
ان الحقيقة بخلاف الشريعة او الباطن بخلاف الظاهر فهو الى الكفر اقرب منه الى الايمان بل الاسرار التي يختص
المقربون بدركها ولا يشاركهم الاكثرون في علمها ويمتنعون من افشائها اليهم يرجع الى خمسة اقسام القسم الاول
ان يكون الشيء في نفسه دقيقا يكل اكثر الافهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوه الى غير
اهله اذ يصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر افهامهم عن الدرك واخفاء سر الروح وكف رسول الله صلى الله عليه و
سلم عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما تكل الافهام عن دركه وتقصر الاوهام عن بلوغ كنهه ولا تظنن
ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلعم فان من لم يعرف الروح فكانه لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه تع ولا
يبعد ان يكون ذلك مكشوفا لبعض الاولياء والعلماء وان لم يكونوا انبياء ولكنهم يتادبون باداب الشرع
فيسكتون عما سكت عنه بل في صفات الله تع من الخفايا ما تقصر افهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم منها الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها
الى علمهم وقدرتهم اذ كانت لهم من الاوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من
صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة لم يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكرت للصبي او العنين لم يفهمها
الا بمناسبة الى لذة المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله وقدرته
وعلم الخلق وقدرتهم اكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل وبالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه وصفات
نفسه مما هو حاضر له في الحال او مما كان له من قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بان بينهما
تفاوتا في الشرف والكمال فليس في قوة البشر الا ان يثبت لله تع ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة
وغيرها من الصفات مع التصديق بان ذلك اكمل واشرف فيكون معظم تحويمه على صفات نفسه لا على ما
اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
وليس المعنى به اني عاجز عن التعبير عما ادركته بل هو اعتراف بالقصور عن ادراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ما
عرف الله تع بالحقيقة سوى الله تع وقال الصديق رضي الله عنه الحمد لله الذي لم يجعل سبيلا الى معرفته الا
بالعجز عن معرفته ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض وهو ان احد الاقسام ما يكل الافهام

عن دركه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تع ولعل الاشارة الى مثله في قوله صلى الله عليه وسلم
ان لله تع سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره القسم الثاني
من الخفيات التي يمتنع الانبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره
يضر باكثر المستمعين ولا يضر بالانبياء والصديقين وسر القدر الذي منع اهل العلم من افشائه من هذا القسم
فلا يبعد ان يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش وكما يضر رياح
الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر والمعاصي والزنا والشرور بقضاء الله تع وارادته ومشيته
حق في نفسه وقد اضر سماعه بقوم اذ اوهم ذلك عندهم دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضى بالقبيح
والظلم وقد الحد ابن الراوندي وطائفة من المخذولين بمثل ذلك فكذلك سر القدر لو افشي لاوهم عند اكثر
الخلق عجزا اذ تقصر افهامهم عن درك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل ان القيامة لو ذكر ميقاتها
وانها بعد الف سنة او اكثر او اقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل
المدة اليها بعيدة فيطول الامد واذا استبطات النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت
قريبة في علم الله تع ولو ذكرت لعظم الخوف واعرض الناس عن الاعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه
وصح فيكون مثالا لهذا القسم القسم الثالث ان يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه
ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان
يعظم وقع ذلك الامر في قلبه كما لو قال قائل رايت فلانا يقلد الدر في اعناق الخنازير وكنى به عن افشاء
العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان
لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس في ذلك ومن هذا
قول الشاعر رجلان خياط وآخر حائك متقابلان على السماء الاول لا زال ينسج ذاك خرقة
مدبر ويخيط صاحبه ثياب المقبل فانه عبر عن سبب سماوي في الاقبال والادبار برجلين
صانعين وهذا النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى او مثله ومنه قوله صلى الله عليه و
سلم ان المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة في النار وانت ترى ان ساحة المسجد لا تنقبض
من النخامة ومعناه ان روح المسجد ومعناه كونه معظما ورمي النخامة تحقير له فيضاد معنى المسجدية
مضادة النار لاتصال اجزاء الجلدة وكذلك قوله صلعم اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله
راسه راس حمار وذلك من حيث الصورة قط لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن اذ
راس الحمار لم يكن بحقيقته للونه وشكله بل لخاصيته وهو البلادة والحمق ومن رفع راسه قبل الامام فقد
صار راسه راس حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من
غاية الحمق ان يجمع بين الاقتداء والتقدم فانهما متناقضان وانما يعرف هذا السر على خلاف الظاهر
اما بدليل عقلي او شرعي اما العقلي بان يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن
بين اصبعين من اصابع الرحمن اذ فتشنا عن صدور المؤمنين فلم نجد فيها اصابع فعلم انه كناية عن القدرة
التي هي سر الاصابع وروحها الخفي وكنى بالاصابع عن القدرة لان ذلك اعظم وقعا في تفهيم تمام الاقتدار
ومن هذا القبيل كنايته عن الاقتدار بقوله تع انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فان

ظاهره ممتنع اذ قوله كن ان كان خطابا مع الشيء قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم لا يفهم الخطاب
حتى يمتثل وان كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية اوقع في
النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل اليه واما المدرك بالشرع فهو ان يكون اجراؤه على الظاهر
ممكنا ولكن يروى انه اريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية
بقدرها الآية وان معنى الماء هو القرآن ومعنى الاودية القلوب وان بعضها احتمل شيئا كثيرا وبعضها
شيئا قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل للكفر فانه وان ظهر وطفا على راس الماء فانه لا يثبت و
الهداية التي تنفع الناس تمكث وفي هذا القسم تعمق جماعة فاولوا ما ورد في الآخرة من الميزان
والصراط وغيرهما وهو بدعة اذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية واجراؤه على الظاهر غير محال فيجب اجراؤه على الظاهر
القسم الرابع ان يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا
له فيتفاوت العلمان ويكون الاول كالقشر والثاني كاللب والاول كالظاهر والآخر كالباطن وذلك
كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة او على البعد فيحصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب او بعد زوال
الظلام ادرك تفرقة بينهما ولا يكون الاخير ضد الاول بل هو استكمال له وكذلك في العلم والايمان والتصديق
اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع اكمل
من تحققه قبل الوقوع بل للانسان في الشهوة والعشق وسائر الاحوال ثلاثة احوال متفاوتة و
ادراكات متباينة الاول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والآخر عند وقوعه والآخر بعد تصرمه فان
تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال فكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل
فيكون ذلك كالباطن بالاضافة الى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي
هذه الاقسام الاربعة تتفاوت الخلق وليس في شيء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم
اللب القشر. القسم الخامس ان يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف
على الظاهر ويعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل قال الجدار للوتد
لم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان
المقال ومن هذا قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فالبليد يفتقر
في فهمه الى ان يقدر لهما حياة وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه الارض
فتجيب بصوت وحرف وتقول اتينا طائعين والبصير يعلم ان ذلك لسان الحال وانه انبا عن
كونها مسخرة بالضرورة ومضطرة الى التسخير ومن هذا قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده فالبليد
يفتقر فيه الى ان يقدر للجماد حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحان
الله ليتحقق تسبيحه والبصير يعلم انه ما اريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا
بذاته وشاهدا بوحدانية الله تعالى كما قيل . وفي كل شيء له آية . تدل على انه واحد . وكما يقال
هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى انها تقول اشهد ولكن
بالذات والحال وكذلك ما من شيء الا وهو محتاج في نفسه الى موجد يوجده ويبقيه ويديم اوصافه و
يردده في اطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين

على الظواهر ولذلك قال تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم اما القاصرون فلا يفهمون كنهه وكماله
اذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس الله تعالى وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر رزقه وبصيرته و
تعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة فهذا الفن ايضا مما يتفاوت ارباب الظواهر وارباب
البصائر في علمه ويظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفي هذا المقام لارباب المقامات اسراف و
اقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر او اكثرها حتى حملوا قوله تعالى وتكلمنا ايديهم و
تشهد ارجلهم وقوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وكذلك
المخاطبات التي تجري من منكر ونكير وفي الميزان وفي الحساب ومناظرات اهل النار واهل الجنة
في قولهم افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله زعموا ان كل ذلك لسان الحال وغلا آخرون في حسم
الباب منهم احمد بن حنبل حتى منع من تاويل قوله تعالى كن فيكون وزعموا ان ذلك خطاب بحرف وصوت
يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كل مكون حتى سمعت بعض اصحابه انه حسم باب التاويل الا لثلاثة
الفاظ قوله عليه السلام الحجر الاسود يمين الله في الارض وقوله قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
وقوله اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن ومال الى حسم الباب ارباب الظواهر والظن
باحمد بن حنبل انه علم ان الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من
التاويل حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق على الراقع وخرج
الامر عن الضبط وجاوز الاقتصاد اذ حد الاقتصاد لا ينضبط ولا باس بهذا الزجر ويشهد له
سيرة السلف فانهم كانوا يقولون امروها كما جاءت حتى قال مالك لما سئل عن الاستواء الاستواء
معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طايفة الى الاقتصاد
ففتحوا باب التاويل في كل ما يتعلق بصفات الله تعالى وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا من
التاويل وهم الاشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى اولوا من صفاته تعالى الرؤية واولوا كونه سميعا بصيرا
واولوا المعراج وزعموا انه لم يكن بالجسد واولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من احكام
الآخرة ولكن اقروا بحشر الاجساد وبالجنة واشتمالها على الماكولات والمشروبات والمنكوحات
والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم و
من ترقيهم الى هذا الحد زاد الفلاسفة فاولوا كل ما ورد في الآخرة وردوه الى آلام عقلية روحانية
ولذات عقلية وانكروا حشر الاجساد وقالوا ببقاء النفوس وانها تكون اما معذبة واما منعمة
بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال وبين جمود
الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون الذين يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع ثم اذا
انكشف لهم اسرار الامور على ما هي عليه نظروا الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين
قرروه وما خالف اولوه فاما من ياخذ معرفة هذه الامور من السمع المجرد فلا يستقر له فيه قدم و
لا يتعين له موقف والاليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام احمد بن حنبل والآن فكشف الغطاء
عن حد الاقتصاد في هذه الامور داخل في علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه و
الغرض بيان موافقة الباطن للظاهر ومخالفته له وقد انكشف بهذه الاقسام الخمسة

اذ راينا ان نقتصر لكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وانهم لا يكلفون غير ذلك
في الدرجة الاولى الا اذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيترقى في الدرجة الثانية الى عقيدة
فيها لوامع من الادلة مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على
ما حررناه لاهل القدس وسميناه الرسالة القدسية وهي مودعة في هذا الفصل الثالث من الكتاب

الفصل الثالث من الكتاب في لوامع الادلة للعقيدة التي ترجمناها فنقول

بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بانوار
اليقين وآثر رهط الحق بالهداية الى دعائم الدين • وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين • و
وفقهم للاقتداء بسيد المرسلين • وسددهم للتاسي بصحبه الاكرمين • ويسر لهم اقتفاء
آثار السلف الصالحين • حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين • ومن سير الاولين
وعقائدهم بالمنهج المبين • فجمعوا بالقبول بين نتائج العقول • وقضايا الشرع المنقول • وتحققوا
ان النطق بما تعبدوا به من قول لا اله الا الله محمد رسول الله ليس له طائل ومحصول • ان لم تتحقق
الاحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الاقطاب والاصول • وعرفوا ان كلمتي الشهادة على ايجازها
تتضمن اثبات ذات الاله واثبات صفاته واثبات افعاله واثبات صدق الرسول • فعلموا ان بناء الايمان
على هذه الاركان وهي اربعة ويدور كل ركن على عشرة اصول • **الركن الاول** في معرفة ذات الله
ومداره على عشرة اصول وهي العلم بوجود الله وقدمه وبقائه وانه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض
وانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وانه مرئي وانه واحد **الركن الثاني** في صفاته و
يشتمل على عشرة اصول وهي العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول
الحوادث وانه قديم الكلام والعلم والارادة **الركن الثالث** في افعاله تع ومداره على عشرة اصول
وهي ان افعال العباد مخلوقة له تع وانها مكتسبة للعباد وانها مرادة له تع وانه متفضل
بالخلق وان له تكليف ما لا يطاق وله ايلام البريء ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب
الا بالشرع وان بعثة الانبياء جائز وان نبوة نبينا عليه السلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات ه
الركن الرابع في السمعيات وهي اثبات الحشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط
وخلق الجنة والنار واحكام الامامة **فالركن الاول** من اركان الايمان معرفة ذات الله
تع ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول** معرفة وجوده تع واول ما يستضاء به من الانوار و
يسلك من طريق الاعتبار ما ارشد اليه القرآن فليس بعد بيان الله تع بيان وقد قال الله تع الم
نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا
وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات
ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا وقال تع ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيى به الارض
بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون
وقال الله تع الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس

سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وقال الله تع افرايتم ما تمنون ءانتم
تخلقونه ام نحن الخالقون الى قوله نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فليس يخفى على من معه ادنى مسكة
اذا تامل بادنى فكرة مضمون هذه الآيات وادار نظره على عجايب خلق الله تع في الارض والسموات
وبدايع فطرة الحيوان والنبات ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم الغريب لا يستغنى عن صانع
يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة
بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تع افي الله شك فاطر السموات والارض ولهذا بعث الانبياء كلهم
لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا الله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وما
امروا ان يقولوا لنا اله وللعالم اله فان ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدا نشوهم وفي
عنفوان شبابهم ولذلك قال الله تع ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال
الله تع فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم فاذا
في فطرة الانسان وشواهد القرآن ما يغني عن اقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار و
الاقتداء بالعلماء النظار نقول من بداية العقول ان الحادث لا يستغني في حدوثه عن
سبب يحدثه والعالم حادث فاذا لا يستغني في حدوثه عن سبب اما قولنا الحادث
لا يستغني عن سبب فجلي فان كل حادث فهو مختص بوقت يجوز في العقل تقدير تقدمه وتاخره
فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة الى المخصص واما قولنا العالم
حادث فبرهانه ان اجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن
الحوادث فهو حادث • ففي هذا البرهان ثلاث دعاو • الاولى ان الاجسام لا تخلو عن الحركة و
السكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيه الى تامل وافتكار فان من عقل جسما
لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا والثانية قولنا انهما حادثان
ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الاجسام و
ما لم يشاهد فما من ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك الا والعقل قاض بجواز سكونه
فالطاري منهما حادث لطريانه والسابق حادث لانه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سياتي
بيانه وبرهانه في اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس والثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث
فهو حادث وبرهانه انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا اول لها وما لم تنقض تلك
بجملتها لا تنتهي النوبة الى وجود الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولانه لو كان
للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو اعدادها من ان تكون شفعا او وترا او شفعا ووترا
جميعا او لا شفعا ولا وترا ومحال ان تكون شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا فان ذلك
جمع بين النفي والاثبات اذ في اثبات احدهما نفي الآخر وفي نفي احدهما اثبات الآخر ومحال ان تكون
شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحد فكيف يعوزها ما لا نهاية له واحد ومحال ان تكون وترا
اذ الوتر يصير شفعا بزيادة واحد فكيف يعوزها واحد مع انه لا نهاية لاعدادها فيحصل من هذا ان
العالم لا يخلو عن الحوادث فهو اذا حادث واذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث من

المدركات بالضرورة الاصل الثاني العلم بان الباري تعالى قديم لم يزل ازلي ليس لوجوده اول
بل هو اول كل شي وقبل كل ميت وحي وبرهانه انه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو ايضا
الى محدث وافتقر محدثه الى محدث وتسلسل ذلك الى غير نهاية وما تسلسل لم يتحصل او ينتهي الى
محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم وباديه ومحدثه ومبديه
الاصل الثالث العلم بانه مع كونه ازليا ابدي ليس لوجوده آخر فهو الاول والآخر والظاهر
والباطن لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم لكان لا يخلو اما ان ينعدم
بنفسه او بمعدم يضاده ولو جاز ان ينعدم شي يتصور دوامه بنفسه لجاز ان يوجد شي بنفسه
فكما يحتاج طريان الوجود الى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم الى سبب وباطل ان ينعدم بمعدم يضاده
لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده وقدمه
فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده وان كان الضد المعدم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث في
مضادته للقديم حتى يقطع وجوده باولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع اهون
من القطع والقديم اقوى من الحادث الاصل الرابع العلم بانه ليس بجوهر متحيز بل يتعالى ويتقدس
عن مناسبة الحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان يكون ساكنا
فيه او متحركا عنه ولا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو
تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسم جوهرا ولم يرد به المتحيز كان
مخطئا من حيث اللفظ لا من حيث المعنى الاصل الخامس العلم بانه تع ليس بجسم مؤلف من
الجواهر اذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر واذا بطل كونه جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما
لان كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر وجوهر ويستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة
والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدث ولو جاز ان يعتقد ان صانع العالم جسم لجاز
ان يعتقد الالهية للشمس والقمر او لشي آخر من اقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تع جسما
من غير ارادة التاليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم الاصل السادس
العلم بانه تع ليس بعرض قائم بجسم او حال في محل لان العرض ما يحل في الجسم وكل جسم فهو حادث و
يكون محله موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الازل وحده وما معه غيره ثم
احدث الاجسام والاعراض بعده ولانه عالم قادر مريد خالق كما سياتي بيانه وهذه الاوصاف
تستحيل على الاعراض بل لا تعقل الا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الاصول
انه قائم موجود بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر واعراض واجسام فاذا
لا يشبه شيا ولا يشبهه شي بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شي وانى يشبه المخلوق خالقه والمقدر
المصور مقدره ومصوره والاجسام والاعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته
ومشابهته الاصل السابع العلم بان الله تع منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فان الجهة اما فوق
واما اسفل واما يمين واما شمال او قدام او خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها واحدثها بواسطة
خلق الانسان اذ خلق له طرفين احدهما يعتمد على الارض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى راسا فحدث

اسم الفوق لما يلي جهة الراس واسم السفل لما يلي جهة الارض حتى ان النملة التي تدب منتكسة تحت
السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا وان كان في حقنا فوقا وخلق للانسان اليدين احديهما
اقوى من الاخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلي اليمين يمينا
والاخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من احدهما ويتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم
اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابله فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه
الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان في الازل مختصا بجهة و
الجهة حادثة او كيف صار بجهة بعد ان لم يكن بان خلق العالم تحته وتعالى ان يكون له تحت اذ تعالى
ان يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولان المعقول من
كونه بجهة انه مختص بحيز اختصاص الجوهر او مختص بالجوهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه
جوهرا او عرضا فاستحال كونه مختصا بجهة وان اريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا في الاسم مع
المساعدة على المعنى ولانه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم فاما ان يكون مثله او
اصغر منه او اكبر وكل ذلك تقدير يحوج الى مقدر ويتعالى عنه الخالق المدبر فاما رفع الايدي
عند السؤال الى جهة السماء فهو لانها قبلة الدعاء وفيه ايضا اشارة الى ما هو وصف للمدعو
من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تع فوق كل موجود بالقهر
والاستيلاء الاصل الثامن العلم بانه تع مستو على عرشه بالمعنى الذي اراده الله تع بالاستواء
وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه سمات الحدوث والفناء وهو الذي اريد بالاستواء
الى السماء حيث قال في القرآن ثم استوى الى السماء وهي دخان وليس ذلك الا بطريق القهر والاستيلاء
كما قال الشاعر قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق فاضطر اهل الحق الى هذا
التاويل كما اضطر اهل الباطل الى تاويل قوله تع وهو معكم اينما كنتم اذ حمل بالاتفاق على الاحاطة و
العلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله
صلعم الحجر الاسود يمين الله في ارضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا
الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله او اكبر او
اصغر وذلك محال وما يؤدي الى المحال فهو محال الاصل التاسع العلم بانه تع مع كونه منزها عن
الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والاقطار مرئي بالاعين والابصار في الدار الآخرة لقوله تع
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله تع لا تدركه الابصار ولقوله تع في
خطاب موسى عليه السلام لن تراني وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفة رب الارباب ما جهله موسى
عليه السلم او كيف سال موسى الرؤية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوي البدع والاهواء من الجهلة الاغبياء
اولى من الجهل بالانبياء واما وجه اجراء الرؤية على الظاهر انه غير مؤد الى المحال فان الرؤية نوع كشف
وعلم الا انه اتم واوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية وكما يجوز ان يرى الله
تع الخلق وليس في مقابلتهم جاز ان يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز ان يعلم من غير كيفية وصورة جاز
ان يرى كذلك من غير كيفية وصورة الاصل العاشر العلم بان الله تع واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد

بالخلق والابداع واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه
وبرهانه قوله تع لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيانه انه لو كانا اثنين واراد احدهما امرا فالثاني
ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا فلم يكن الها قادرا وان كان قادرا على مخالفته
ومدافعته كان الثاني قويا قاهرا والاول ضعيفا قاصرا فلم يكن الها قادرا **الركن الثاني**
العلم بصفات الله تع ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول** العلم بان صانع العالم قادر وانه تع
في قوله وهو على كل شيء قدير صادق لان العالم محكم في صنعته مرتب في خلقته ومن رأى ثوبا من ديباج حسن
النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه من ميت لا استطاعة له او انسان لا
قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك اهل الغباوة والجهل **الاصل الثاني** العلم بانه تع
عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض والسموات صادق
في قوله وهو بكل شيء عليم ومرشد الى صدقه بقوله الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ارشدك الى الاستدلال
بالخلق على العلم لانك لا تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو في الشيء الحقير
الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله عز وجل هو المنتهى في الهداية والتعريف
الاصل الثالث العلم بكونه حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حيوته ولو تصور قادر عالم فاعل
مدبر دون ان يكون حيا لجاز ان يشك في حيوة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات بل في
حيوة ارباب الحرف والصناعات وذلك انغماس في غمرة الجهالات **الاصل الرابع** العلم بكونه تع مريدا
لافعاله فلا موجود الا وهو مستند الى مشيته وصادر عن ارادته فهو المبدئ المعيد والفعال لما يريد
وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه امكن ان يصدر منه ضده وما لا ضد له امكن ان يصدر منه ذلك
بعينه قبله وبعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من ارادة صارفة
للقدرة الى احد المقدورين ولو اغنى العلم عن الارادة في تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد في الوقت الذي
سبق العلم بوجوده لجاز ان يغني عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لانه سبق العلم بوجوده **الاصل الخامس**
انه تع سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب
النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة
وليس بنقص فكيف يكون المخلوق اكمل من الخالق والمصنوع اشرف واتم من الصانع وكيف تعتدل القسمة
مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعته او كيف تستقيم حجة ابرهيم عليه السلم على ابيه اذ
كان يعبد الاصنام جهلا وغيا فقال له لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ولو انقلب
عليه ذلك في معبوده لاضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تع وتلك حجتنا آتيناها
ابرهيم على قومه وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة و
سميعا بلا اذن اذ لا فرق بينهما **الاصل السادس** انه تع متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بحرف
ولا صوت بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره فالكلام بالحقيقة كلام النفس
وانما الاصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والاشارات وكيف التبس هذا
على طايفة من الاغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حتى قال قايلهم ، ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل

اللسان على الفؤاد دليلا ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن ان يقول لساني حادث ولكن ما
يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم ان القديم
عبارة عما ليس قبله شيء وان الباء قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون السين المتأخر عن الباء قديما
فنزه عن الالتفات اليه قلبك ولله تع سر في ابعاد بعض العباد ومن يضلل الله فما له من هاد ومن
استبعد ان يسمع موسى عليه السلام في الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستنكر ان يرى في الآخرة موجودا
ليس بجسم ولا لون وان عقل ان يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو الى الآن لم ير غيره فليعقل
في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وان عقل ان يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات
فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات وان عقل كون السموات السبع
وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في مقدار ذرة من القلب وان كل ذلك مرئي
في مقدار عدسة من الحدقة من غير ان تحل ذات السموات والجنة والنار في الحدقة والورقة فليعقل كون الكلام
مقروا بالالسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها اذ لو حلت
ذات الله تع بكتبة اسمه في الورق لحلت ذات النار بكتبة اسمها في الورق ولاحترق **الاصل السابع**
ان كلامه القايم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته من نعوت القدم اذ يستحيل ان يكون محلا للحوادث
داخلا تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات و
لا تحله الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال في ابده كذلك منزها عن تغير
الحالات لان ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وانما ثبت نعت الحدث
للاجسام من حيث تعرضها للتغاير وتقلب الاوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير
ويبتني على هذا ان كلامه قديم قايم بذاته وانما الحادث هي الاصوات الدالة عليه وكما عقل قيام
طلب التعلم وارادته بذات الوالد للولد قبل ان يخلق ولده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله تعالى له علما
بما في قلب ابيه من الطلب صار مامورا بذلك الطلب الذي قام بذات ابيه ودام وجوده الى
وقت معرفة ولده فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله تع اخلع نعليك بذات الله تع ومصير
موسى عليه السلم مخاطبا به بعد وجوده اذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم
الاصل الثامن ان علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت
المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلي اذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد
عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند الطلوع معلوما لنا
بذلك العلم من غير تجدد علم آخر فهكذا ينبغي ان يفهم قدم علم الله تع **الاصل التاسع** ان ارادته قديمة
وهي في القدم تعلقت باحداث الحوادث في اوقاتها اللايقة بها على وفق سبق العلم الازلي اذ
لو كانت حادثة لصار محلا للحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا بها كما لا تكون انت متحركا
بحركة ليست في ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة اخرى وكذا الارادة
الاخرى تفتقر الى اخرى ويتسلسل الامر الى غير نهاية ولو جاز ان تحدث ارادة بغير ارادة لجاز
ان يحدث العالم بغير ارادة **الاصل العاشر** ان الله تع عالم بعلم حي بحيوة قادر بقدرة مريد

بارادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر وله هذه الاوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القايل عالم بلا
علم كقوله غني بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والمعلوم والعالم متلازمات كالقتل و
المقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل فكيف يتصور عالم بلا
علم وعلم بلا معلوم ومعلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعضها عن البعض فمن
جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم اذ لا فرق بين هذه الاضافا
الركن الثالث العلم بافعال الله تع ومداره على عشرة اصول الاصل الاول العلم بان كل حادث
في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا محدث له سواه خلق الخلق وصنعهم واوجد
قدرتهم وحركتهم فجميع افعال عباده مخلوقة ومتعلقة بقدرته تصديقا له في قوله تع خالق كل شي
والله خلقكم وما تعملون وفي قوله واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
امر العباد بالتحرز في اقوالهم واسرارهم واضمارهم لعلمه بموارد افعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف
لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركات ابدان العباد فالحركات
متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر بقصر تعلقها عن بعض الحركات دون بعض مع تماثلها او كيف
يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وساير الحيوانات من لطايف الصناعات
ما يتحير فيه عقول ذوي الالباب فكيف انفردت هي باختراعه دون رب الارباب وهي غير عالمة
بتفصيل ما يصدر عنها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار
السموات الاصل الثاني ان انفراد الله تع باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة
للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تع خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار واما القدرة
فوصف للعبد وخلق للرب جل جلاله وليس بكسب له واما الحركة فخلق للرب ووصف للعبد وكسب
له فانها خلقت بقدرة هي وصفه فكانت للحركة نسبة الى صفة اخرى تسمى قدرة فسميت باعتبار تلك النسبة كسبا
وكيف يكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية او كيف يكون
خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل اجزاء الحركات المكتسبة واعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق
الا الاقتصاد في الاعتقاد وهو انها مقدورة بقدرة الله تع اختراعا وبقدرة العبد على وجه اخر من التعلق
يعبر عنها بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور ان يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله تع في
الازل كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعا اخر من
التعلق فيه يظهر ان تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها الاصل الثالث ان فعل
العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله تع فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا
فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله تع وقدرته وبارادته ومشيته فمنه الخير والشر والنفع والضر و
الاسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسر والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك و
الايمان لا راد لقضايه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسال عما يفعل وهم يسالون
ويدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن وقوله تع ولو يشاء الله لهدى الناس
جميعا وقوله تع ولو شينا لاتينا كل نفس هديها ويدل من جهة العقل ان المعاصي والجرايم ان كان

الله يكرهها ولا يريدها وانما هي جارية على وفق ارادة ابليس لعنه الله مع انه عدو الله تع فالجاري على وفق
ارادة العدو اكثر من الجاري على وفق ارادته فليت شعري كيف يستجيز المسلم ان يرد ملك
الجبار ذي الجلال والاكرام الى رتبة لو ردت اليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها اذ لو كان
ما يستتب لعدو الزعيم في القرية اكثر مما يستتب له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته والمعصية
هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف ارادة الحق وهذا غاية الضعف و
العجز تعالى رب الارباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر ان افعال العباد مخلوقة لله تع صح انها
مرادة له فان قيل فكيف ينهى عما يريد ويامر بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك اذا ضرب السيد
عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه وكذبه السلطان فاراد اظهار حجته بان يامر
عبده بفعل ويخالفه بين يديه فقال له اسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يامره بما لا يريد امتثاله
ولو لم يكن امرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه
وهو محال الاصل الرابع ان الله تع متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق
والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال اذ هو الموجب
والامر والناهي فكيف يتهدف لايجاب او يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب احد امرين اما
الفعل الذي في تركه ضرر اما اجل كما يقال يجب على العبد ان يطيع الله تع او ضرر عاجل كما يقال يجب على
العطشان ان يشرب حتى لا يموت واما ان يراد به الذي عدمه يودي الى المحال كما يقال وجود المعلوم
واجب اذ عدمه يودي الى محال وهو ان يصير العلم جهلا فان اراد الخصم بان الخلق واجب على الله تع
بالمعنى الاول فقد عرضه للضرار وان اراد به المعنى الثاني فهو مسلم اذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم
وان اراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذا لم يتضرر بترك مصلحة
العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم مصلحة العباد في ان يخلقهم في الجنة فاما ان يخلقهم في دار البلايا
ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الالباب
الاصل الخامس انه يجوز على الله تع ان يكلف عباده ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال
سوال دفعه وقد سالوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولان الله تع اخبر نبيه بان ابا جهل
لا يصدقه ثم امره بان يصدقه في جميع اقواله وكان من جملة اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه في انه لا
يصدقه وهل هذا الا محال وجوده الاصل السادس ان لله تع ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق
ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه متصرف في ملكه ولا يتصور ان يعدو تصرفه في ملكه ظلما والظلم
هو عبارة عن التصرف في ملك الغير وهو محال على الله تع فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما و
يدل على جواز ذلك وجوده فان ذبح البهايم ايلام لها وما صب عليها من انواع العذاب من جهة
الادميين لم يتقدمها جريمة فان قيل ان الله تع يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الالام و
يجب ذلك على الله تع فنقول من زعم انه يجب على الله تع احياء كل نملة وطيت وكل بقة عركت حتى
يثيبها على الامها فقد خرج عن الشرع والعقل اذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه ان كان
المراد به انه يتضرر بتركه فهو محال وان اريد به غيره فقد سبق انه غير مفهوم اذ خرج عن المعاني المذكورة

للواجب **الاصل السابع** انه يفعل بعباده ما شاء فلا يجب عليه رعاية الاصلح لعباده لما ذكرنا من انه لا يجب عليه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب فانه لا يسال عما يفعل وهم يسالون وليت شعري بم يجيب المعتزلي في قوله ان الاصلح واجب عليه عن مسئلة نعرضها عليه وهو ان نفرض مناظرة في الآخرة بين صبي مات مسلما وبين بالغ مات مسلما فان الله يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لانه تعب بالايمان والطاعات بعد البلوغ ويجب ذلك عليه عند المعتزلي فلو قال الصبي يا رب لم رفعت منزلته علي فيقول لانه بلغ واجتهد في الطاعة فيقول الصبي انت امتني في الصبى فكان يجب ان تديم حيوتي حتى ابلغ واجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بتطويل العمر دوني فلم فضلته فيقول الله عز وجل فيقول سبحانه وتعالى لاني علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان الاصلح لك الموت في الصبى هذا عذر المعتزلي عن الله تعالى وعند هذا تنادي الكفار من دركات لظى ويقولون اما علمت اننا اذا بلغنا اشركنا فهلا امتنا في الصبى فانا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا القطع بان الامور الالهية تتعالى بحكم الجلال عن ان توزن بميزان اهل الاعتزال فان قيل مهما قدر على رعاية صلاح العباد ثم سلط عليهم اسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة قلنا القبيح ما لا يوافق الغرض حتى قد يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند شخص اذا وافق غرض احدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص اولياؤه ويستحسنه اعداؤه فان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري فهو محال اذ لا غرض له فلا يتصور منه قبيح كما لا يتصور منه ظلم اذ لا يمكنه التصرف في ملك الغير وان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم ان ذلك عليه محال وهل هذا الا مجرد تشه يشهد بخلافه ما فرضناه من مخاصمة اهل النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الاشياء والقادر على احكام فعلها على وفق ارادته وهذا من اين يوجب رعاية الاصلح واما الحكيم منا يراعي الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء وفي الآخرة ثوابا او يدفع به عن نفسه آفة وكل ذلك على الله عز وجل محال **الاصل الثامن** ان معرفة الله تعالى وطاعته واجب بايجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لان العقل ان اوجب الطاعة فلا يخلو اما ان يوجبها لغير فائدة وهو محال فان العقل لا يوجب العبث واما ان يوجبها لفائدة وغرض وذلك لا يخلو اما ان يرجع الى المعبود وذلك محال فانه يتقدس عن الاغراض والفوائد بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى سيان واما ان يرجع الى غرض العبد وهو محال لانه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات بسببه وليس في المآل الا الثواب ومن اين يعلم ان الله تعالى يثيب على المعرفة والطاعة ولا يعاقب عليهما مع ان الطاعة والمعصية في حقه يتساويان اذ ليس له الى احدهما ميل ولا لاحدهما به اختصاص وانما عرف تمييز ذلك بالشرع ولقد زل من اخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق المخلوق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ باحدهما دون الآخر فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي ان العقل ليس يوجب علي والشرع لا يثبت الا بالنظر ولست اقدم على النظر ادى الى افحام الرسول قلنا هذا يضاهي قول القائل للواقف في موضع من المواضع ان وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح من المكان قتلك وان

التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم التفت ورائي ولا التفت ورائي ولا انظر ما لم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادي المرشد فكذلك النبي عليه السلام يقول وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة ان لم تاخذوا منها حذركم وتعرفون صدقي بالالتفات الى معجزتي فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت واصر هلك وتردى ولا ضرر علي ان هلك الناس كلهم اجمعون وانما علي البلاغ المبين فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقوله في المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشيء واجبا ان في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا انه معرف للضرر المتوقع فان العقل لا يهدي الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتاثيرهما في تقرير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا معنى للواجب الا ما يرتبط بتركه ضرر في الآخرة **الاصل التاسع** انه ليس يستحيل بعثة الانبياء خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة في بعثتهم اذ في العقل مندوحة عنهم لان العقل لا يهدي الى الافعال المنجية في الآخرة كما لا يهدي الى الادوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق الى الانبياء كحاجتهم الى الاطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة **الاصل العاشر** ان الله تعالى قد ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصابئين وايده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر وتسبيح الحصى وانطاق العجماء وما تفجر من بين اصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التي تحدى بها مع كافة العرب القرآن فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبيه ونهبه وقتله ولم يقدروا على معارضته بمثله اذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من اخبار الاولين مع كونه اميا غير ممارس للكتب والانباء عن الغيب في امور تحقق صدقه فيها في المستقبل كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين وكقوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسول ان كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدي النبي صلى الله عليه وسلم نزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القائم بين يدي الملك المدعي على رعيته انه رسول الملك اليهم فانه مهما قال للملك ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بان ذلك نازل منزلة قوله صدقت **الركن الرابع** السمعيات وهو تصديقه صلى الله عليه وسلم فيما اخبر عنه ومداره على عشرة اصول **الاصل الاول** الحشر والنشر وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق به واجب لانه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال الله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الاول **الاصل الثاني** سؤال منكر ونكير وقد ورد به الاخبار فيجب التصديق به لانه ممكن اذ ليس يستدعي الا اعادة الحيوة الى جزء من

الاجزاء الذي به فهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون اجزاء
الميت وعدم سماعنا السؤال فان النائم ساكن بظاهره ومدرك بباطنه من الآلام واللذات
ما يحس باثره عند التنبه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع كلام جبريل عليه السلم و
يشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فاذا لم يخلق لهم
السمع والرؤية لم يدركوه **الاصل الثالث** عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال الله تعالى النار
يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب واشتهر
من رسول الله صلعم ومن السلف الصالحين الاستعاذة من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق
به ولا يمنع من التصديق به تفرق اجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطيور فان المدرك
لالم العذاب من الحيوان اجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على اعادة الادراك اليها **الاصل الرابع**
الميزان حق قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وقال الله تعالى فمن ثقلت موازينه و
وجهه ان الله تعالى يحدث في صحائف الاعمال وزنا بحسب درجات الاعمال عند الله تعالى فتصير مقادير
اعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب او الفضل في العفو وتضعيف الثواب
الاصل الخامس الصراط وهو جسر ممدود على متن النار ادق من الشعر واحد من السيف قال
الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر
على ان يطير الطير في الهواء قادر على ان يسير الانسان على الصراط **الاصل السادس** ان
الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض
اعدت للمتقين فقوله اعدت دليل على انها مخلوقة فيجب اجراؤه على الظاهر اذ لا استحالة فيه ولا
يقال لا فائدة في خلقهما قبل يوم الجزاء لان الله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون **الاصل
السابع** ان الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم
ولم يكن نص رسول الله صلعم على امام اصلا اذ لو كان لكان اولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة و
الامراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وان ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل الينا
فلم يكن ابو بكر رضي الله عنه اماما الا بالاختيار والبيعة واما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة
كلهم الى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الاجماع وذلك مما لا يستجرئ على اختراعه الا الروافض
واعتقاد اهل السنة تزكية الصحابة والثناء عليهم كما اثنى الله تعالى ورسوله عليهم وما جرى
بين معوية وعلي كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معوية في الامامة اذ ظن علي رضي الله عنه
ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب امر الامامة في
بدايتها فرأى التأخير اصوب وظن معوية رضي الله عنه ان تأخير امرهم مع عظم جنايتهم يوجب
الاغراء بالائمة ويعرض الدماء للسفك وقد قال افاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال
قائلون المصيب واحد ولم يذهب الى تخطئة علي رضي الله عنه ذو تحصيل اصلا **الاصل
الثامن** ان فضل الصحابة على قدر ترتيبهم في الخلافة اذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز و
جل وذلك لا يطلع عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الثناء عليهم اجمعين اخبار وانما

يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحي والتنزيل بقرائن الاحوال فلولا فهمهم
ذلك لما رتبوا الامر كذلك اذ كانوا لا يأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف
الاصل التاسع ان شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الذكورة والورع والعلم و
الكفاية ونسب قريش لقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش واذا اجتمع عدد من الموصوفين
بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من اكثر الخلق والمخالف للاكثر باغ يجب رده
الى الانقياد للحق **الاصل العاشر** انه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للامامة وكان
في صرفه اثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد امامته لانا بين ان نحرك فتنة بالاستبدال فما
يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي اثبتت لمزية المصلحة
فلا نهدم اصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا وبين ان نحكم بخلو البلاد
عن الامام وبفساد الاقضية وذلك محال ونحن نقضي بنفوذ قضاء اهل البغي في بلادهم لمسيس
حاجتهم فكيف لا نقضي بصحة الامامة عند الحاجة والضرورة فهذه الاركان الاربعة
الحاوية للاصول الاربعين هي قواعد العقائد فمن اعتقدها كان موافقا لاهل السنة ومباينا
لرهط البدعة والله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده وفضله
الفصل الرابع من قواعد العقائد في الايمان والاسلام وما بينهما من الاتصال و
الانفصال وما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث
مسائل **مسئلة** اختلفوا في ان الاسلام هو الايمان او غيره وان كان غيره فهو منفصل
يوجد دونه او مرتبط به يلازمه فقيل انهما شيء واحد وقيل انهما شيئان لا يتواصلان و
قيل انهما شيئان ولكن يرتبط احدهما بالآخر وقد اورد ابو طالب المكي في هذا كلاما شديد الاضطراب
كثير التطويل فلنهجم على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل له فنقول في هذا
ثلاثة مباحث بحث عن موجب اللفظين في اللغة وبحث عن المراد بهما في اطلاق الشرع وبحث
عن حكمهما في الدنيا والآخرة والبحث الاول لغوي والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي **البحث
الاول** في موجب اللغة والحق فيه ان الايمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى وما انت
بمؤمن لنا اي بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك
التمرد والاباء والعناد وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمانه واما التسليم فانه
عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك للاباء والجحود وكذلك
الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان اخص
وكان الايمان عبارة عن اشرف اجزاء الاسلام فاذا كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا
البحث الثاني عن اطلاق الشرع والحق فيه ان الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف
والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل اما الترادف ففي قوله تعالى فاخرجنا
من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد
وقال الله تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام

على خمس وسئل مرة عن الايمان فاجاب بهذه الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى قالت الاعراب آمنا
قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ومعناه استسلمنا في الظاهر فاراد بالايمان ههنا تصديق القلب
فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح وفي حديث جبريل عليه السلام لما سأله
عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت وبالحساب
وبالقدر خيره وشره فقال فما الاسلام فذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول
والعمل وفي حديث سعد رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر
فقال له سعد يا رسول الله تركته فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال او مسلم فاعاد عليه فاعاده
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ايضا انه سئل عليه السلام فقيل له اي الاعمال افضل فقال الاسلام
فقيل اي الاسلام افضل فقال الايمان وهذا دليل على الاختلاف والتداخل وهو اوفق الاستعمالات
في اللغة لان الايمان عمل من الاعمال وهو افضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب واما باللسان
واما بالجوارح وافضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى ايمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف
وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة اما الاختلاف
فهو ان يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط فهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا
وباطنا وهو ايضا موافق للغة فان التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من
شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن ان يوجد المعنى فيه فان من لمس غيره ببعض بدنه يسمى
لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن
مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى قالت الاعراب آمنا وقوله في حديث سعد او مسلم
لانه فضل احدهما عن الآخر ويريد بالاختلاف تفاصل المسميين واما التداخل فموافق ايضا
للغة وهو ان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة
عن بعض ما دخل في الاسلام وهو القلب وهو الذي عنيناه بالتداخل وهذا موافق للغة في خصوص
الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الايمان في جواب قول السائل اي الاسلام
افضل لانه جعل الايمان خصوصا من الاسلام فادخله فيه واما استعماله على سبيل
الترادف بان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكذا
الايمان ويكون التصرف في الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال الظاهر في معناه وهو جائز لان
تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر
مع ثمره على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد
عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله تعالى فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين. البحث الثاني عن
الحكم الشرعي وللاسلام وللايمان حكمان اخروي ودنيوي اما الاخروي فهو الاخراج من النار ومنع
التخليد اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان
وقد اختلفوا في ان هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بان الايمان ماذا هو فمن قائل يقول انه مجرد العقد
ومن قائل يقول انه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان

ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلاث فلا خلاف في ان مستقره الجنة
وهذه درجة. الدرجة الثانية ان يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد
وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة او بعض الكبائر فعند هذا قالت المعتزلة خرج
بهذا عن الايمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه الفاسق وهو على منزلة بين منزلتين وهو مخلد في
النار وهذا باطل كما سنذكره. الدرجة الثالثة ان يوجد التصديق بالقلب والشهادة
باللسان دون الاعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال ابو طالب المكي العمل من الايمان
ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بادلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى الذين آمنوا و
عملوا الصالحات اذ هذا يدل على ان العمل وراء الايمان لا من نفس الايمان والا فيكون العمل
في حكم المعاد والعجب انه ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله عليه السلام لا يكفر احد
الا بجحوده لما اقر به وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل
بعين مذهب المعتزلة اذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو في الجنة
فلا بد وان يقول نعم وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل فنزيد ونقول لو بقي حيا حتى
دخل عليه وقت صلوة فتركها ثم مات او زنى ثم مات فهل يخلد في النار فان قال نعم فهذا مراد
المعتزلة وان قال لا فهو تصريح بان العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا في وجوده ولا
في استحقاق الجنة به وان قال اردت به ان يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم على شيء من
الاعمال الشرعية فما ضبط تلك المدة وما عدد تلك الطاعات التي بتركها يبطل الايمان وما عدد
الكبائر التي بارتكابها يبطل الايمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر اليه صائر اصلا. الدرجة
الرابعة ان يوجد التصديق بالقلب قبل ان ينطق باللسان او يشتغل بالاعمال ومات
فهل نقول مات مؤمنا بينه وبين الله تعالى وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام الايمان يقول
هذا مات قبل الايمان وهذا فاسد اذ قال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال
ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد ولم يشترط في حديث جبريل عليه السلام للايمان
الا التصديق بالله وملائكته واليوم الآخر الحديث كما سبق. الدرجة الخامسة ان يصدق
بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل ان
يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلوة ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار والايمان هو التصديق
المحض واللسان ترجمان الايمان فلا بد ان يكون الايمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه
اللسان وهذا هو الاظهر اذ لا مستند الا اتباع موجب الالفاظ ووضع اللسان ان الايمان عبارة
عن التصديق بالقلب وقد قال عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان
ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قائلون القول ركن اذ
ليس كلمة الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشاء عقد وابتداء شهادة والتزام والاول
اظهر وقد غلا في هذا الطائفة المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار اصلا وقالوا ان المؤمن و
ان عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم. الدرجة السادسة ان يقول بلسانه لا اله

الا الله محمد رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك في ان هذا في حكم الآخرة من الكفار وانه
مخلد في النار ولا نشك في انه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالائمة والولاة من المسلمين لان قلبه لا
نطلع عليه وعلينا ان نظن به انه ما قاله بلسانه الا وهو منطو عليه بقلبه وانما نشك في امر ثالث
وهو الحكم الدنيوي فيما بينه وبين الله تع وذلك بان يموت له في هذه الحالة قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك
بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن في يدي فهل يحل
لي بيني وبين الله تعالى او نكح مسلمة ثم صدق فهل يلزمه اعادة النكاح هذا في محل النظر فيحتمل ان يقال
احكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا او باطنا ويحتمل ان يقال تناط بالظاهر في حق غيره لان
باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله والاظهر والعلم عند الله تع انه لا يحل
له ذلك الميراث ويلزمه اعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه لا يحضر جنازة من يموت
من المنافقين وعمر رضي الله عنه كان يراعي ذلك منه فلا يحضر اذا لم يحضر حذيفة رضي الله عنه
والصلوة فعل ظاهر في الدنيا وان كان في العبادات والتوقي عن الحرام ايضا من جملة ما يجب
لله تع كالصلوة وليس هذا مناقضا لقولنا ان الارث حكم الاسلام وهو الاستسلام بل الاستسلام
التام ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الالفاظ والعمومات
والاقيسة فلا ينبغي ان يظن القاصر في العلوم ان المطلب فيه القطع من حيث جرت العادة
بايراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع فما افلح من نظر الى العادات والمراسم في العلوم فان
قلت فما شبهة المعتزلة والمرجئة وما حجة بطلان قولهم فاقول شبهتهم عمومات القرآن
اما المرجئة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وان اتى بكل المعاصي لقوله تع فمن يؤمن بربه فلا يخاف
بخسا ولا رهقا ولقوله تع والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون ولقوله تع كلما القي فيها فوج سالهم
خزنتها الم يأتكم نذير الى قوله فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء وقوله كلما القي عام فينبغي ان يكون كل من القي فيها مكذبا
ولقوله تع لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وهذا حصر واثبات ونفي ولقوله تع من جاء
بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون والايمان راس الحسنات ولقوله تع والله يحب المحسنين
وقال الله تع انا لا نضيع اجر من احسن عملا ولا حجة لهم في ذلك فانه حيث ذكر الايمان في هذه
الآيات اريد به الايمان مع العمل اذ بينا ان الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة
بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التاويل اخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العقاب
وقوله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان فكيف يخرج اذا لم يدخل ومن القرآن
قوله تع ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فالاستثناء بالمشية يدل على الانقسام
وقوله تع ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تع الا ان الظالمين في عذاب
مقيم وقال تع من جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار فهذه العمومات في معارضة
عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتاويل على الجانبين لان الاخبار مصرحة بان العصاة
يعذبون بل قوله تع وان منكم الا واردها كالصريح في ان ذلك لا بد منه للكل اذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه
وقوله لا يصليها الا الاشقى اراد به جماعة مخصوصين او اراد بالاشقى شخصا معينا ايضا وقوله تع كلما

القي فيها فوج اي فوج من الكفار وتخصيص العمومات قريب وعن هذه الآية وقع للاشعري
وطايفة من المتكلمين انكار صيغ العموم وان هذه الالفاظ يتوقف فيها الى ان ترد قرينة تدل على
معناها واما المعتزلة فشبهتهم قوله تع واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وقوله تع والعصر
ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقوله تع وان منكم الا واردها ثم قال تع ثم ننجي
الذين اتقوا وقوله تع ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وكل آية ذكر العمل الصالح مقرونا فيها
بالايمان وقوله تع ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم وهذه العمومات ايضا مخصوصة بدليل قوله
تع ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فينبغي ان يبقى له مشية في مغفرة ما سوى الشرك وكذلك قوله
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وقوله تع ان الله لا يضيع اجر المحسنين
فكيف يضيع اصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة وقوله تع ومن يقتل مؤمنا متعمدا اي
لايمانه وقد ورد على مثل هذا السبب فان قلت فقد مال الاختيار الى ان الايمان حاصل دون
العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الايمان عقد وقول وعمل فما معناه قلنا لا يبعد ان يعد
العمل من الايمان لانه مكمل له ومتمم كما يقال الراس واليدان من الانسان ومعلوم انه يخرج عن كونه
انسانا بعدم الراس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من
الصلوة وان كانت لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان كالقلب من وجود
الانسان اذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالاطراف وبعضها اعلى من بعض وقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن والصحابة رضي الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في
الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف
هذا ليس بانسان اي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الانسانية مسئلة فان قلت
فقد اتفق السلف على ان الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فان كان التصديق
هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ونقصان فاقول السلف هم الشهود العدول وما لاحد
عن قولهم عدول فما ذكروه حق وانما الشان في فهمه وفيه دليل على ان العمل ليس من اجزاء الايمان
واركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزايد موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز
ان يقال الانسان يزيد براسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولا يجوز ان يقال الصلوة تزيد بالركوع والسجود
بل تزيد بالآداب والسنن فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة
والنقصان فان قلت فالاشكال قائم في ان التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة
فاقول اذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من يتشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال
فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة اوجه الاول انه يطلق للتصديق بالقلب على
سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام بل الخلق كلهم الا الخواص
وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي كالعقدة على الخيط
مثلا ولا تستبعد هذا واعتبر باليهودي في صلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير
ولا تخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذا النصارى والمبتدعة ومنهم من يمكن تشكيكه بادنى كلام

ويمكن استنزاله عن اعتقاده بادنى استمالة او تخويف مع انه غير شاك فى عقده كالاول ولكنهما يتفاوتان
فى شدة التصميم وهذا موجود فى الاعتقاد الحق ايضا والعمل يؤثر فى نماء هذا التصميم وزيادته كما
يؤثر سقى الماء فى نماء الاشجار ولذلك قال تعـ فزادتهم ايمانا وقال تعـ ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما يروى فى بعض الاخبار الايمان يزيد وينقص وذلك بتاثير الطاعات
فى القلب وهذا لا يدركه الا من راقب احوال نفسه فى اوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب
مع اوقات الفتور وادراك التفاوت فى السكون الى عقايد الايمان فى هذه الاحوال حتى يزيد عقده استعصاء
على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد فى اليتيم معنى الرحمة اذا عمل بموجب اعتقاده فمسح راسه وتلطف به ادرك
من باطنه تاكد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع اذا عمل بموجبه مقبلا او ساجدا
لغيره احس من قلبه بالتواضع عند اقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب يصدر منها اعمال
الجوارح ثم يعود اثر الاعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسياتى هذا فى ربع المهلكات والمنجيات عند بيان
وجه تعلق الباطن بالظاهر والاعمال بالعقايد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت واعنى
بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس واعنى بالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم
الملكوت والاعضاء واعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض
الناس اتحاد احدهما بالآخر وظن آخرون انه لا عالم الا عالم الشهادة وهو هذه الاجسام المحسوسة ومن
ادرك الامرين وادرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه وقال ، رق الزجاج ورقت الخمر ، فتشابها
وتشاكل الامر ، فكانما خمر ولا قدح ، وكانما قدح ولا خمر ، ولنرجع الى المقصود فان هذا عرض
خارج عن علم المعاملة ولكن بين العلمين ايضا اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق
كل ساعة على علوم المعاملة الى ان تنكف عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب
هذا الاطلاق ولهذا قال على رضى الله عنه ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات
نمت وزادت حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت
حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم وتلا قوله تعـ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، الاطلاق
الثانى ان يراد به التصديق والعمل جميعا كما قال الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال لا يزنى
الزانى حين يزنى وهو مؤمن واذا ادخل العمل فى مقتضى لفظ الايمان لم تخف زيادته ونقصانه
وهل يؤثر ذلك فى زيادة الايمان الذى هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد اشرنا الى انه مؤثر فيه ، الاطلاق
الثالث ان يراد به التصديق اليقينى على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور
البصيرة وهذا ابعد الاقسام عن قبول الزيادة ولكنى اقول الامر اليقينى الذى لا شك فيه تختلف طمانينة
النفس اليه فليس طمانينة النفس الى ان الاثنين اكثر من واحد كطمانينتها الى ان العالم
مصنوع حادث وان كان لا شك فى كل واحد منهما بل اليقينيات تختلف فى درجات الايضاح
ودرجات طمانينة النفس اليه وقد تعرضنا لهذا فى فصل اليقين من كتاب العلم فى باب علامات علماء
الآخرة فلا حاجة الى الاعادة وقد ظهر فى جميع الاطلاقات ان ما قالوه من زيادة الايمان و
نقصانه حق وكيف لا وفى الاخبار انه يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان وفى

بعض المواضع فى خبر آخر مثقال دينار فاى معنى لاختلاف مقاديره ان كان ما فى القلب لا
يتفاوت فان قلت ما وجه قول السلف انا مؤمن ان شاء الله والاستثناء شك والشك
فى الايمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون منه فقال
سفين الثورى رحمه الله من قال انا مؤمن عند الله فهو من الكاذبين ومن قال انا مؤمن حقا
فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم انه مؤمن فى نفسه ومن كان مؤمنا فى نفسه كان مؤمنا
عند الله كما ان من كان طويلا او سخيا فى نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله تعـ وكذا من كان
مسرورا او حزينا او سميعا او بصيرا ولو قيل للانسان هل انت حيوان لم يحسن ان يقول
انا حيوان ان شاء الله ولما قال سفين ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا آمنا بالله وما انزل
الينا واى فرق بين ان تقول آمنا وبين ان تقول انا مؤمن وقيل للحسن رحمه الله امؤمن
انت فقال ان شاء الله فقيل له تستثنى يا ابا سعيد فى الايمان فقال اخاف ان اقول نعم فيقول
الله تعـ كذبت يا حسن فتحق على الكلمة وكان يقول ما يؤمننى ان يكون الله تعـ قد اطلع على فى بعض
ما يكره فمقتنى وقال اذهب لا اقبل لك عملا فانا اعمل فى غير معمل وقال ابرهيم اذا قيل
لك امؤمن انت فقل لا اله الا الله وقال مرة قل انا لا اشك فى الايمان وسؤالك اياى بدعة و
قيل لعلقمة رحمه الله امؤمن انت فقال ارجو ان شاء الله وقال الثورى نحن مؤمنون
بالله وملايكته وكتبه ورسله وما ندرى ما نحن عند الله تعـ فما معنى هذه الاستثناءات فالجواب
ان هذا الاستثناء صحيح وله اربعة اوجه وجهان لا يستندان الى شك ووجهان مستندان
الى شك لا فى اصل الايمان ولكن فى خاتمته او كماله الوجه الاول الذى لا يستند الى الشك
الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعـ فلا تزكوا انفسكم وقال الله تعـ الم تر الى
الذين يزكون انفسهم ثم قال تعـ انظر كيف يفترون على الله الكذب وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال
ثناء الانسان على نفسه والايمان من اعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء
كانها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان انت طبيب او فقيه او مفسر فيقول نعم ان شاء
الله لا فى معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن التزكية فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف
لنفس الخبر ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التاويل لو سئل عن
وصف ذم لم يحسن الاستثناء الوجه الثانى التادب بذكر الله تعـ فى كل حال واحالة
الامور كلها الى مشية الله تعـ فقد ادب الله سبحانه وتعالى نبيه فقال ولا تقولن لشىء انى فاعل
ذلك غدا الا ان يشاء الله ثم لم يقتصر على ذلك فيما يشك فيه بل قال تعـ لتدخلن المسجد الحرام ان شاء
الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين وكان الله تعـ عالما بانهم يدخلونه لا محالة وانه شاءه ولكن المقصود
تعليمه ذلك فتادب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ما يخبر عنه معلوما كان او مشكوكا حتى
قال لما دخل المقابر السلام عليكم اهل دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون واللحوق
بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الادب ذكر الله تعـ وربط الامور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار
بعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمنى فاذا قيل لك ان فلانا يموت سريعا فتقول

ان شاء الله فنفهم منك رغبتك لا تشككك واذا قيل فلان سيزول مرضه ويصح فتقول ان شاء الله بمعنى الرغبة وقد صارت الكلمة معزولة عن معنى التشكك الى معنى الرغبة فكذلك العدول الى معنى التأدب بذكر الله عز وجل كيف كان الامر **الوجه الثالث** مستنده الشك ومعناه انا مومن حقا ان شاء الله اذ قال الله تع لقوم مخصوصين باعيانهم اولئك هم المومنون حقا فانقسموا الى قسمين ويرجع هذا الى الشك في كمال الايمان لا في اصله وكل انسان شاك في كمال ايمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الايمان حق من وجهين احدهما من حيث ان النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفي لا يتحقق البراءة منه والثاني انه يكمل بكمال الطاعات ولا يدري وجودها على الكمال اما العمل قال الله تع انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال تع ولكن البر من آمن بالله واليوم فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال تع اولئك الذين صدقوا وقد قال الله تع يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال الله تع لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل الآية وقال تع هم درجات عند الله وقال صلى الله عليه وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال الايمان بضع وسبعون بابا ادناها اماطة الاذى عن الطريق فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال واما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مومن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان واذا خاصم فجر وفي بعض الروايات واذا عاهد غدر وفي حديث ابي سعيد الخدري القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المومن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كالبقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي لفظ آخر غلب عليه ذهب به وقال صلى الله عليه وسلم اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وفي حديث الشرك اخفى في امتي من دبيب النملة على الصفا وقال حذيفة رضي الله عنه كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى ان يموت واني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء اقرب الناس من النفاق من يرى انه بريء منه وقال حذيفة رضي الله عنه المنافقون اليوم اكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله وهو خفي فابعد الناس منه من يتخوفه واقربهم منه من يرى انه بريء منه فقد قيل للحسن يقولون ان لا نفاق اليوم فقال يا اخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطرق وقال هو او غيره لو نبتت للمنافقين اذناب ما قدرنا ان نطأ على الارض وسمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال ارايت لو كان حاضرا اكنت تتكلم فيه فقال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله تع ذا لسانين في الآخرة وقال ايضا شر الناس ذو الوجهين

الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون لا نخاف النفاق فقال والله لان اكون اعلم اني بريء من النفاق احب الي من طلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه اني اخاف ان اكون منافقا فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق لان المنافق قد امن من النفاق وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلثين ومائة وفي رواية خمسمائة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من اصحابه فذكروا عنده رجلا واكثروا الثناء عليه فبينا هم كذلك اذ طلع الرجل عليهم ووجهه يقطر ماء من اثر الوضوء قد علق نعله بيده وبين عينيه اثر السجود فقالوا يا رسول الله هذا هو الرجل الذي وصفناه فقال عليه السلام ارى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال عليه السلام نشدتك الله هل حدثت نفسك حين اشرفت على القوم انه ليس فيهم خير منك قال اللهم نعم والسفعة علامة من سواد والاسفع الذي اصاب خده علامة سواد وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني استغفرك لما علمت وما لم اعلم فقيل له اتخاف يا رسول الله فقال وما يؤمنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال الله تع وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات فكانت في كفة السيئات وقال سري السقطي لو ان رجلا دخل الى بستان فيه جميع الاشجار عليها من جميع الاطيار فخاطبه كل طير منها بلغته فقال السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا في يدها فهذه الاخبار والآثار تعرفك خطر الامر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وانه لا يؤمن منه حتى كان عمر رضي الله عنه يسال عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين قال ابو سليمن الداراني سمعت من بعض الامراء شيئا فاردت ان انكره فخفت ان يامر بقتلي ولم اخف من الموت ولكن خشيت ان يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا اصله فالنفاق نفاقان احدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة الملحدين في النار والثاني يفضي الى النار الى مدة او ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه فلذلك حسن الاستثناء واصل هذا النفاق تفاوت السر والعلانية والامن من مكر الله تع والعجب وامور اخر لا يخلو عنها الا الصديقون **الوجه الرابع** هو ايضا مستند الى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لا يدري ايسلم له الايمان عند الموت ام لا فان ختم بالكفر نعوذ بالله حبط الايمان السابق لانه موقوف على سلامة الآخر ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال انا صائم قطعا فلو افطر بعد ذلك تبين كذبه اذ كانت الصحة موقوفة على التمام الى غروب الشمس من آخر النهار وكما ان النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الايمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو

مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولاجلها كان اكثر بكاء الخائفين لاجل انها ثمرة القضية السابقة
والمشية الازلية التي لا تظهر الا بظهور المقضي به ولا مطلع عليه لاحد من البشر فخوف
الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري انه
الذي سبقت له من الله الحسنى وقيل في معنى قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق اي
بالسابقة يعني اظهرتها وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال خواتيمها وكان
ابو الدرداء رضي الله عنه يحلف بالله تعالى ما امن احد ان يسلب ايمانه الا سلبه ويقال من
الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك وقيل هي عقوبة دعوى الولاية
والكرامة بالافتراء وقال بعض العارفين لو عرضت علي الشهادة عند باب الدار و
الموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على باب الحجرة لاني لا ادري ما يعرض لقلبي
من التغير عن التوحيد الى باب الدار وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين
سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم احكم انه مات على التوحيد وفي الحديث
من قال انا مؤمن فهو كافر ومن قال انا عالم فهو جاهل وقيل في قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا
وعدلا صدقا لمن مات على الايمان وعدلا لمن مات على الشرك وقد قال الله تعالى ولله عاقبة الامور
فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لان الايمان عبارة عما يفيد الجنة
كما ان الصوم عبارة عما يبرئ الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوما
فكذلك الايمان بل ينقدح ان يسال عن الصوم الماضي الذي لا شك فيه بعد الفراغ فيقال
اصمت بالامس فيقول نعم ان شاء الله اذ الصوم الحقيقي هو المقبول والمقبول مغيب عنه
لا يطلع عليه الا الله فمن هذا الوجه يحسن الاستثناء في جميع اعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول
اذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة باسباب خفية لا يطلع عليها الا رب الارباب
فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الايمان وهي اخر ما نختم به
كتاب قواعد العقائد والله تعالى هو الموفق تم كتاب قواعد العقائد والحمد لله رب العالمين

كتاب اسرار الطهارة وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة وافاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم انوارة
والطافة واعد لظواهرهم تطهيرا لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة والصلوة على محمد
المستغرق بنور الهدى اطراف العالم واكنافه وعلى اله الطيبين الطاهرين صلوة تنجينا
بركاتها يوم المخافة وتنتصب جنة بيننا وبين كل افة اما بعد فقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم بني الدين على النظافة وقال مفتاح الصلوة الطهور وقال الله تعالى فيه رجال يحبون
ان يتطهروا والله يحب المطهرين وقال صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان وقال الله تعالى
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر ان اهم

الامور تطهير السرائر اذ يبعد ان يكون المراد بقوله الطهور نصف الايمان عمارة الظاهر
بالتنظيف بافاضة الماء وتخريب الباطن وابقاؤه مشحونا بالاخباث والاقذار هيهات
هيهات فالطهارة لها اربع مراتب الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث
والفضلات والثانية تطهير الجوارح عن الاثام والجرائم والثالثة تطهير القلب عن الاخلاق
المذمومة والرذائل الممقوتة والرابعة تطهير السر عما سوى الله تعالى وهي طهارة الانبياء
والصديقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فان الغاية القصوى في عمل السر
ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله عز وجل بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى
الله تعالى ولذلك قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم لانهما لا يجتمعان في قلب وما جعل الله لرجل من قلبين
في جوفه واما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالاخلاق المحمودة والعقائد المشروعة
ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل المذمومة فتطهيرها
احد الشطرين وهو الشطر الاول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شطر الايمان بهذا
المعنى وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي احد الشطرين وعمارتها بالطاعات في الشطر الثاني
وهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز
الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة من
لم يفرغ عن طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالمحمود ولن يصل الى ذلك من
لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف صعب
مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته ولا تظنن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم
من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة
التي هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن ويستقصي في مجاريه ويستوعب
جميع اوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا
منه بحكم الوسوسة وخبل العقل ان الطهارة المطلوبة هي هذه فقط وجهالة بسيرة الاولين
واستغراقهم جميع الهم في تطهير القلوب وتساهلهم في امر الظاهر حتى ان عمر رضي الله عنه
مع علو منصبه توضأ بماء في جرة نصرانية وحتى انهم ما كانوا يغسلون اليد عن الدسوم
والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة
ولقد كانوا يصلون على الارض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ومن كان لا يجعل
بينه وبين التراب حاجزا في مضجعه كان من اكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء
وقال ابو هريرة رضي الله عنه وغيره من اهل الصفة كنا ناكل الشواء فيقام الصلوة فندخل
اصابعنا في الحصى ثم نفركها بالتراب ونكبر وقال عمر رضي الله عنه ما كنا نعرف الاشنان على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كانت مناديلنا بواطن ارجلنا كنا اذا اكلنا الغمر مسحنا بها و
يقال اول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة المناخل والاشنان و
الموائد والشبع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلوة في النعلين

افضل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع نعله في صلوته اذ اخبره جبريل عليه السلام ان عليه نجاسة
وخلع الناس نعالهم قال صلى الله عليه وسلم لم خلعتم نعالكم قال النخعي رحمه الله في الذين يخلعون نعالهم
وددت لو ان محتاجا جاء واخذه منكرا لخلع النعل فهكذا كان تساهلهم في هذه الامور بل
كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الارض وياكلون من دقيق
البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليها ولا يحترزون من عرق الابل والفرس مع كثرة تمرغها
في النجاسات ولم ينقل قط عن واحد منهم سؤال في دقائق النجاسات فهكذا كان تساهلهم فيها
وقد انتهت النوبة الآن الى طائفة يسمون الرعونة نظافة ويقولون هي مبنى الدين واكثر اوقاتهم
في تزيين الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء
والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر او مشى على الارض
حافيا او صلى على الارض او بواري المسجد من غير سجادة مفروشة او مشى على الفرش من غير غلاف للقدم
من الادم او توضأ من آنية عجوز او رجل غير متقشف اقاموا عليه القيامة وشددوا النكير و
لقبوه بالقذر واخرجوه من زمرتهم واستنكفوا من مؤاكلته ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان
قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه
كما اندرس تحقيقه وعلمه **فان قلت** افتقول ان هذه العادات التي احدثها الصوفية في هيآتهم و
نظافتهم من المحظورات او المنكرات **فاقول** حاش لله ان اطلق القول فيه من غير تفصيل و
لكني اقول ان هذه التكلفات واعداد الاواني والآلات واستعمال غلاف القدم والازار المقنع
به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الاسباب ان وقع النظر الى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات
وقد يقترن بها احوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فاما كونها مباحا في نفسه
فلا يخفى اذ صاحبه متصرف به في ماله وبدنه وثيابه فليفعل به ما يريد اذا لم يكن فيه اضاعة واسراف
واما مصيره منكرا فبان يجعل ذلك اصل الدين ويفسر قوله عليه السلام بني الدين على النظافة حتى
ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الاولين او ان يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين
موقع نظرهم فان ذلك هو الرياء المحذور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين واما كونه معروفا
فبان يكون القصد منه الخير دون التزيين وان لا ينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلوة
عن اوائل الاوقات ولا يشتغل به عن عمل هو افضل منه او عن تربية علم او غيره فاذا لم يقترن
به شيء من ذلك فهو مباح يمكن ان يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك الا للبطالين الذين
لو لم يشتغلوا بصرف الاوقات اليه لاشتغلوا بنوم او حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به اولى
لان التشاغل بالطهارات يجدد ذكر الله تع وذكر العبادات فلا باس اذا لم يخرج الى منكر او اسراف
واما اهل العلم والعمل فلا ينبغي ان يصرفوا من اوقاتهم اليه الا قدر الحاجة والزيادة عليه منكر في
حقهم وتضييع للعمر الذي هو انفس الجواهر واعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب
من ذلك فان حسنات الابرار سيئات المقربين فلا ينبغي للبطال ان يترك النظافة وينكر على
المتصوفة ويزعم انه يتشبه بالصحابة رضي الله عنهم اذ التشبه بهم في ان لا يتفرغ الا لما هو اهم منه كما

قيل لداود الطائي رحمه الله لم لا تسرح لحيتك قال اني اذا لفارغ فلهذا لا ارى للعالم ولا للعامل
ان يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من ان يلبس الثياب المقصورة وتوهما بالقصار تقصيره
في الغسل فقد كانوا في العصر الاول يصلون في الفراء المدبوغة وكم من الفرق بين المدبغة والمقصرة
في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة اذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في استنباط
الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتاملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفين الثوري لرفيق له كان يمشي
معه فنظر الى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فان الناس لو لم ينظروا اليه لكان صاحبه
لا يتعاطى هذا الاسراف فالناظر اليه معين له على الاسراف فكانوا يعدون جمام الذهن لاستنباط
مثل هذه الدقائق لا في احتمال النجاسات ولو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثوب محتاطا
فهو افضل فانه بالاضافة الى التساهل خير وذلك العامي ينتفع بتعاطيه اذ يشغل نفسه الامارة
بالسوء بعمل مباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال والنفس ان لم تشغل شغلت
صاحبها واذا قصد به التقرب الى العالم صار ذلك عنده من افضل القربات فوقت العالم
اشرف من ان يصرف الى مثله فيبقى محفوظا عليه واشرف وقت العامي ان يشتغل بمثله
فيتوفر الخير من الجوانب وليتفطن بهذا المثال لنظائره من الاعمال وترتيب فضائلها
ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها الى
الافضل اهم من التدقيق في اموال الدنيا بحذافيرها واذا عرفت هذه المقدمة و
استبنت ان الطهارة لها اربع مراتب فاعلم انا في هذا الكتاب لسنا نتكلم الا في
المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر لانا في الشطر الاول من الكتاب لا نتعرض قصدا الا للظواهر
فنقول طهارة الظاهر ثلاثة اقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن
فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره **القسم الاول**
في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة **الطرف الاول** في المزال وهي النجاسات و
الاعيان ثلاثة جمادات وحيوانات واجزاء الحيوانات اما الجمادات فطاهرة كلها الا الخمر وكل
مشتد مسكر والحيوانات طاهرة الا الكلب والخنزير وما تولد منهما فاذا ماتت فكلها نجسة الا خمسة
الآدمي والسمك والجراد ودود التفاح وفي معناه كل ما يستحيل اليه الاطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة
كالذباب والخنفساء وغيرهما ولا ينجس الماء بوقوع شيء منها فيه واما اجزاء الحيوانات فقسمان
احدهما ما يقطع منه فحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجز والموت والعظم ينجس الثاني
الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب
والمخاط وما له مقر وهو مستحيل فنجس الا ما هو مادة الحيوان كالمني والبيض واما القيح و
الدم والروث والبول فنجس من الحيوانات ولا يعفى عن هذه النجاسات قليلها وكثيرها الا عن
خمسة الاول اثر النجو بعد الاستجمار بالاحجار يعفى عنه ما لم يعد المخرج والثاني طين الشوارع و
غبار الروث في الطرق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب المتلطخ
به الى تفريط او سقطة الثالث ما على اسفل الخف من نجاسة لا تخلو الطرق عنها فيعفى عنه بعد

ذلك لحاجة الرابع دم البراغيث قل منه اوكثر الا اذا جاوز حد العادة سوآء كان في ثوبك او ثوب غيرك فلبسته الخامس دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد ذلك ابن عمر رضي عنه عصر بثرة على وجهه وخرج منه الدم وصلى ولم يغسل وفي معناه لطخات الدماميل التي تدوم غالبا وكذا اثر الفصد الا ما يقع نادرا من جراح او غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يخلو الانسان عنها في احواله ومسامحة الشرع في هذه النجاسات الخمسة تعرفك ان امر الطهارات على التساهل وما ابدع فيها وسوسة لا اصل لها الطرف الثاني في المزال به اما جامدا او مائع اما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط ان يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم واما المائعات فلا تزال النجاسة بشيء منها الا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذي لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بان يتغير بملاقاة النجاسة طعمه او لونه او ريحه فان لم يتغير وكان قريبا من مايتين وخمسين منا وهو خمسماية رطل برطل العراق لم ينجس لقوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وان كان دونه صار نجسا عند الشافعي رضي الله عنه هذا في الماء الراكد اما الجاري اذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لان جريات الماء متفاصلة وكذا النجاسة الجارية اذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها اذا تقاصر عن قلتين وان كان جري الماء اقوى من جري النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما سفل عنها نجس وان تباعد وكثر الا اذا اجتمع في حوض قدر قلتين واذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا مذهب الشافعي رحمه الله وكنت اود ان يكون مذهبه كمذهب مالك رحمه الله في ان الماء وان قل فلا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة ماسة اليه ومثار الوسواس من اشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من جربه وتامله ومما لا اشك فيه ان ذلك لو كان مشروطا لكان اولى المواضع بتعذر الطهارة مكة والمدينة ولا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن اول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخر عصر الصحابة لم ينقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت اواني مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء والذين لا يحترزون عن النجاسات وتوضى عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية كالصريح في انه لم يعول الا على عدم تغير الماء والا فنجاسة النصرانية وانائها غالب يعلم بظن قريب فاذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال في تلك الاعصار دليل اول وفعل عمر دليل ثان والدليل الثالث اصغاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء للهرة وعدم تغطيتهم الاواني منها بعد ان يرى انها تاكل الفار ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل في الآبار والرابع ان الشافعي رضي الله عنه نص على ان غسالة النجاسة طاهرة اذا لم تتغير ونجسة ان تغيرت واي فرق بين ان يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها او بورودها عليه واي معنى لقول القايل ان قوة الورود تدفع النجاسة مع ان قوة الورود لم تمنع مخالطة النجاسة وان احيل ذلك على الحاجة فالحاجة ايضا ماسة الى هذا فلا فرق بين طرح الماء في اجانة فيها ثوب نجس او طرح الثوب النجس في الاجانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والاواني

الخامس انهم كانوا يستنجون على اطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي انه اذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير انه يجوز التوضي به وان كان قليلا واي فرق بين الجاري والراكد وليت شعري الحوالة على عدم التغير اولى او على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة اتجري في المياه الجارية في انابيب الحمامات ام لا فان لم تجر فما الفرق وان جرت فما الفرق بين ما يقع فيها وما يقع في مجرى الماء من الاواني على الابدان وهي ايضا جارية ثم البول اشد اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة اذ يقضي بان ما يجري عليها وان لم يتغير نجس الى ان يجتمع في مستنقع قلتان فاي فرق بين الجامد والمايع والماء واحد والاختلاط اشد من الجوار السادس انه اذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقتا فكل كوز يغترف منه فهو طاهر ومعلوم ان البول منتشر فيه وهو قليل فليت شعري تعليل طهارته لعدم التغير اولى او لقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء اجزاء النجاسة فيها السابع ان الحمامات لم تزل في الاعصار الخالية يتوضا فيها المتقشفون ويغمسون الايدي والاواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بان الايدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليه فهذه الامور مع الحاجة الشديدة تقوى في النفس انهم كانوا ينظرون الى عدم التغير معولين على قوله صلعم خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او لونه او ريحه وهذا فيه تحقيق وهو ان طبع كل مايع ان يقلب الى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما يرى الكلب يقع في الملح فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته بصيرورته ملحا وزوال صفة الكلبية عنه فكذلك الخل يقع في الماء واللبن يقع فيه وهو قليل فيبطل صفته ويتصور بصفة الماء ويتطبع بطبعه الا اذا كثر وغلب ويعرف غلبته بغلبة طعمه او لونه او ريحه فهذا المعيار وقد اشار الشرع اليه في الماء القوي على ازالة النجاسة جدير بان يندفع عليه فيندفع به الحرج فيظهر معنى كونه طهورا اذ يغلب غيره فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي اصغاء الهرة للهرة ولا تظنن ان ذلك عفو اذ لو كان كذلك لكان كاثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقي له نجسا ولا ينجس بالغسالة ولا بولوغ السنور في الماء القليل واما قوله عليه السلم لا يحمل خبثا في نفسه فمبهم فانه يحمل اذا تغير فان قيل اراد به اذا لم يتغير فيمكن ان يقال اراد به انه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما اذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم باقل من الادلة التي ذكرناها ممكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهره نفي الحمل اي يقلبه الى صفة نفسه كما يقال المملحة لا تحمل كلبا ولا غيره اي يقلب وذلك لان الناس قد يستنجون في المياه القليلة في الغدران ويغمسون الاواني النجسة فيها ثم يترددون في انها تغيرت تغيرا موثرا ام لا فتبين انه اذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات فان قلت فقد قال خبثا ومهما كثرت حملها ايضا حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا وعلى الجملة فميلي في امور النجاسات الى المساهلة فهما من سيرة الاولين وحسما لمادة الوسواس ولذلك افتيت بالطهارة فيما وقع فيه الخلاف فيه من هذه المسايل الطرف الثالث في كيفية الازالة فالنجاسة ان كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي اجراء الماء على جميع مواردها وان كانت عينية فلا بد من ازالة العين وبقاء الطعم يدل على بقاء العين ولا يعفى عنها الا اذا كان الشيء له رايحة فايحة يعسر ازالتها فالدلك والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحت والعرض في اللون والمزيل للوسواس ان يعلم

ان الاشياء خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يقينا يصلي معه ولا ينبغي
ان يتوصل بالاستنباط الى تقدير النجاسات **القسم الثاني** طهارة الاحداث فمنها
الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء فنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها
مبتدئين بسبب الوضوء وهو قضاء الحاجة **آداب** قضاء الحاجة ينبغي ان يبعد عن
اعين الناظرين في الصحراء وان يستتر بشيء ان وجده وان لا يكشف عورته قبل الانتهاء الى موضع
الجلوس وان لا يستقبل الشمس والقمر وان لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها الا اذا كان في بناء
والعدول عنها في البناء ايضا احب وان تستر في الصحراء براحلته جاز وكذا بذيله ويتقي الجلوس
في متحدث الناس وان لا يبول في الماء الراكد وتحت الشجرة المثمرة وفي الجحر وان يتقي الموضع الصلب
ومهاب الرياح في البول استنزاها من رشاشه وان يتكي في جلوسه على الرجل اليسرى وان كان في
بنيان يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى عند الخروج ولا يبول قايما وقالت عايشة رضي الله
عنها من حدثكم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول قايما فلا تصدقوه وقال عمر رضي الله عنه
رآني النبي صلى الله عليه وسلم وانا ابول قايما فقال يا عمر لا تبل قايما وفيه رخصة اذ روى حذيفة رضي الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم بال قايما فاتيته بوضوء فتوضا ومسح على خفيه ولا يبول في المغتسل قال صلعم
عامة الوسواس منه قال ابن المبارك ان كان الماء جاريا فلا باس ولا يستصحب شيئا عليه اسم الله
تعالى ورسوله ولا يدخل بيت الماء حاسر الراس وان يقول عند الدخول بسم الله اعوذ بالله من الخبث والخبائث
الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي اذهب عني ما يوذيني وابقى علي ما ينفعني وان يعد النبل
قبل الجلوس وان لا يستنجي بالماء في موضع الحاجة وان يستبري من البول بالتنحنح والنتر ثلثا و
امرار اليد على اسفل القضيب ولا يكثر التفكر في الاستبراء فيوسوس ويشق عليه الامر وما يحس
به من ذلك فليقدر انه بقية الماء وان كان يوذيه ذلك فليرش الماء عليه حتى يقوى في نفسه ذلك
ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم فعله اعني رش الماء و
كان اخفهم استبراء افقههم فيدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفي حديث سلمان رضي الله عنه
علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة امرنا ان لا نستنجي بعظم ولا روث ونهانا ان
نستقبل القبلة بغايط او بول وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا احسبك
تحسن الخراءة فقال بلى وابيك اني بها لحاذق ابعد الاثر واعد المدر واستقبل الشيح واستدبر
الريح واقعي اقعاء الظبي واجفل اجفال النعام الشيح نبت طيب الرائحة بالبادية والاقعاء
ههنا ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه ومن الرخصة ان يبول الانسان
قريبا من صاحبه مستترا عنه فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شدة حيائه ليبين للناس ه
كيفية الاستنجاء ثم يستنجي لمقعده بثلاثة احجار فان انقى كفى والا استعمل رابعا فان انقى
استعمل خامسا لان الايتار مستحب قال صلى الله عليه وسلم من استجمر فليوتر ويأخذ الحجر بيساره و
يضعها على مقدم المتعقد قبل موضع النجاسة ويمدها بالمسح والادارة الى الموخر ويأخذ الثانية ويضعها
على الموخر كذلك ويمدها الى المقدم ويأخذ الثالثة فيديرها حول المسربة ادارة وان عسرت الادارة

ومسح من المقدمة او الموخرة اجزاه ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه
ويحرك اليسار فيمسح ثلثا في ثلاث مواضع او في ثلاثة احجار او في ثلاثة مواضع من جدار الى ان لا
يرى الرطوبة في محل المسح فان حصل ذلك بمرتين اتى بالثالثة ووجب ذلك ان اراد الاقتصار على
الحجر وان حصل بالرابعة استحب الخامسة للايتار ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجي
بالماء بان يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى اثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك
الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس وليعلم ان كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن
ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم تبرز وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد
ظهوره ان يصل الماء اليه فيزيله فلا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من
النفاق وحصن فرجي من الفواحش ويدلك يده بحايط او بالارض ازالة للرايحة ان بقيت والجمع بين
الماء والحجر مستحب فقد روي انه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ما هذه الطهارة التي اثنى الله تعالى بها عليكم قالوا انا نجمع بين الماء
والحجر **كيفية الوضوء** اذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلعم قط خارجا من
الغايط الا توضا ويبتدي بالسواك فقد قال رسول الله صلعم ان افواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك
فينبغي عند السواك تطهير فمه لقراءة الفاتحة وذكر الله تعالى في الصلوة وقال صلى الله عليه وسلم صلوة على اثر
السواك افضل من خمسة وسبعين صلوة بغير سواك وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم
بالسواك عند كل صلوة وقال ما لي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا اي صفر الاسنان وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يستاك في الليلة مرارا وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لم يزل يأمرنا بالسواك حتى ظننا
انه سينزل عليه فيه شيء وقال صلعم عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب وقال علي رضي الله عنه
السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب رسول الله صلعم يروحون والسواك على آذانهم وكيفيته
ان يستاك بخشبة الاراك او غيره من قضبان الاشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك عرضا وطولا وان
اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند كل صلوة وعند كل وضوء وان لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة
بالنوم او طول الازم او اكل ما يكره رايحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء ويقول بسم الله الرحمن الرحيم
قال صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يسم الله اي لا وضوء كاملا ثم يقول عند ذلك اعوذ بك من همزات
الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ثم يغسل يديه ثلثا قبل ان يدخلهما الاناء ويقول اللهم اني
اسالك اليمن والبركة واعوذ بك من الشوم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث او استباحة الصلوة ويستديم
النية الى غسل الوجه فان نسيها عند غسل الوجه لم يجزه ثم يأخذ غرفة لفيه ويتمضمض بها ثلثا ويغرغر
بان يرد الماء الى الغلصمة الا ان يكون صايما فيرفق ويقول اللهم اعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك
ثم يأخذ غرفة لانفه ويستنشق ثلثا ويصعد الماء بالنفس الى خياشيمه ويستنثر ما فيه ويقول في
الاستنشاق اللهم ارحني رايحة الجنة وانت عني راض وفي الاستنثار اللهم اني اعوذ بك من روايح
النار ومن سوء الدار لان الاستنشاق ايصال والاستنثار ازالة ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من
مبتدا تسطيح الجبهة الى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الاذن الى الاذن في العرض ولا يدخل في الوجه

النزعتان على طرفي الجبين فهما من الراس ويوصل الماء الى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر
عنه وهو القدر الذى يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على راس الاذن والطرف الثاني على
زاوية الجبين ويوصل الماء الى منابت الشعور الاربعة الحاجبان والشاربان والاهداب والعذاران لانها
خفيفة في الغالب والعذاران هما ما يوازي الاذنين من مبتدا اللحية ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية
الخفيفة اعني ما يقبل من الوجه واما الكثيف فلا وحكم العنفقة حكم اللحية في الكثافة والخفة ثم يفعل
ذلك ثلثا ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الاصبع في محاجر العينين في موضع الرمص
ومجمع الكحل وينقيهما فقد روي انه عليه السلم فعل ذلك ويامل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك
عند كل وضوء ويقول عنده اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك
يوم تسود وجوه اعدائك ويخلل اللحية عند غسل الوجه فهو مستحب ثم يغسل يديه الى مرفقيه ثلثا ويحرك
الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء الى اعالي العضد فانهم يحشرون يوم القيمة غرا محجلين من آثار الوضوء كذلك ورد
الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يطيل غرته فليفعل وروي ان الحلية تبلغ مواضع صح
الوضوء ويبدا باليمين ويقول اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم اني اعوذ
بك ان تعطيني كتابي بشمالي او من وراء ظهري ثم يستوعب راسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق رؤس اصابع
اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الراس ويمدهما الى القفا ثم يردهما الى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك
ثلثا ويقول اللهم غشني برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح
اذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بان يدخل مسبحتيه في صماخي اذنيه ويدير ابهاميه على ظاهر اذنيه ثم يضع
الكف على الاذنين استظهارا ويكرره ثلثا ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
اللهم اسمعني منادي الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته لقوله صلى الله عليه وسلم مسح الرقبة امان من الغل يوم القيمة
ويقول اللهم فك رقبتي من النار واعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلثا ويخلل
باليد اليسرى من اسفل اصابع الرجل اليمنى ويبدا بالخنصر من اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم
تزل الاقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى اعوذ بك ان تزل قدمي عن الصراط يوم تزل اقدام المنافقين ويرفع
الماء الى انصاف الساقين فاذا فرغ رفع راسه الى السماء وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد
ان محمدا عبده ورسوله سبحانك وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك
فاغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من
عبادك الصالحين واجعلني صبورا شكورا واجعلني اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال ان من
قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله عز وجل ويقدسه ويكتب له
ثواب ذلك الى يوم القيمة ويكره في الوضوء امور ان يزيد على الثلاث وان يسرف في الماء توضا صلى الله
عليه وسلم ثلثا فقال من زاد فقد ظلم واساء وقال سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعاء
والطهور ويقال ان من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور وقال ابرهيم بن ادهم رحمه الله
يقال اول ما يبتدا الوسواس من قبل الطهور وقال الحسن ان شيطانا يضحك بالناس في الوضوء
يقال له الولهان ويكره ان ينفض اليد فيرش الماء وان يتكلم في اثناء وضوئه وان يلطم وجهه بالماء لطما

وكره قوم التنشف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهري رحمهما الله ولكن روى معاذ انه
صلى الله عليه وسلم مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عايشة رضي الله عنها ولكن طعن في الرواية عن عايشة
رضي الله عنها • ويكره ان يتوضا من اناء صفر وان يتوضا بالمشمس وذلك من جهة الطب وقد روي
عن ابن عمر وابي هريرة رضي الله عنهما كراهة الاناء الصفر قال بعضهم اخرجت لشعبة ماء في اناء صفر
فابى ان يتوضا ونقل كراهة ذلك من ابن عمر رضي الله عنه ومهما فرغ من وضوئه واقبل على الصلوة
فينبغي ان يخطر بباله انه طهر ظاهره وهو مطرح نظر الخلق فينبغي ان يستحيي من مناجاة الله تع من غير تطهير
قلبه وهو موقع نظر الرب تع وليتحقق ان طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الاخلاق المذمومة وان
من اقتصر على طهارة الظاهر كمن اراد ان يدعو ملكا الى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص
ظاهر الباب البراني من الدار وما اجدره للتعرض للبوار **فضيلة الوضوء** قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من توضا فاسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من
ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ اخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال ايضا الا انبيكم
بما يكفر الله تع به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء في المكاره ونقل الاقدام الى المساجد
وانتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط وتوضا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مرة فقال هذا
وضوء لا يقبل الله تع الصلوة الا به وتوضا مرتين مرتين وقال من توضا مرتين اتاه الله اجره مرتين
وتوضا ثلثا ثلثا وقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء قبلي ووضوء خليلي ابرهيم عليه السلم وقال
صلى الله عليه وسلم من ذكر الله تع عند وضوئه طهر الله تع جسده كله ومن لم يذكر الله تع لم يطهر منه الا
ما اصاب به الماء وقال من توضا على طهر كتب الله تع له به عشر حسنات وقال الوضوء على الوضوء
نور على نور وهذا حث على تجديد الوضوء وقال اذا توضا العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من
فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من
اشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت اظفار يديه فاذا مسح براسه
خرجت الخطايا من راسه حتى تخرج من اذنيه فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من
تحت اظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلوته نافلة له ويروى ان الطاهر كالصائم وقال
صلى الله عليه وسلم من توضا فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وقال عمر رضي
الله عنه ان الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع ان لا يبيت الا طاهرا ذاكرا
مستغفرا فليفعل فان الارواح تبعث على ما قبضت عليه **كيفية الغسل** وهو ان يضع الاناء
عن يمينه ثم يسمي الله تع ويغسل يديه ثلثا ثم يستنجي كما وصفناه ويزيل ما على بدنه من نجاسة ان كانت
ثم يتوضا وضوءه للصلوة كما سبق الا غسل قدميه فانه يوخرهما فان غسلهما ثم وضعهما على الارض كان
كالاضاعة للماء ثم يصب الماء على شقه الايمن ثلثا ثم على شقه الايسر ثلثا ثم يدلك ما اقبل من
بدنه وما ادبر ويخلل شعر الراس ويوصل الماء الى منابتها ما كثف منها او خف وليس على المراة نقض
الضفاير الا اذا علمت ان الماء لا يصل الى خلال الشعور ويتعهد معاطف البدن وليتق ان يمس

ذكره في اثناء ذلك فان فعل ذلك فليعد الوضوء وان توضأ قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل
فهذه سنة الوضوء والغسل ذكرنا منهما ما لابد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وما عداه من
المسائل يحتاج اليها في عوارض الاحوال فيرجع فيها الى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الغسل
امران النية واستيعاب البدن بالغسل وفي الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين الى
المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الراس وغسل الرجلين الى الكعبين والترتيب اما الموالاة
فليست واجبة والغسل الواجب اربعة الغسل لخروج المني والتقاء الختانين والحيض والنفاس
وما عداه من الاغسال سنة كالغسل للجمعة والعيدين والاحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة
وثلاثة اغسال ايام التشريق ولطواف الوداع على قول والكافر اذا اسلم غير جنب والمجنون اذا
افاق وان غسل ميتا فكل ذلك مستحب **كيفية التيمم** من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد
الطلب او بمانع له من الوصول اليه من سبع وحابس او كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه او عطش
رفيقه او كان ملكا لغيره ولم يبع منه الا باكثر من ثمن مثله او كان به جراحة او مرض وخاف من
استعماله فساد العضو او شدة الضنا فينبغي ان يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا
طيبا عليه تراب خالص لين بحيث يثور منه غبار فيضرب عليه كفيه ضاما بين اصابعه ويمسح بهما جميع
وجهه مرة واحدة وينوي عنده استباحة الصلوة ولا يتكلف ايصال الغبار الى ما تحت الشعور خفت
او كثفت ويجتهد ان يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لا
يزيد على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج فيها بين
اصابعه ثم يلصق ظهور اصابع يده اليمنى ببطون اصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز اطراف الانامل من
احدى اليدين عرض المسبحة من الاخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده اليمنى الى
المرفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده اليمنى ويمرها الى الكوع ويمر بطن ابهامه اليسرى على ظهر ابهام
اليمنى ثم يفعل باليد اليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل اصابعه وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب
الى المرفقين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك فلا باس بان يستوعب بضربتين وزيادة فاذا صلى
الفرض فله ان يتنفل كيف شاء وان جمع بين فرضين فينبغي ان يعيد التيمم ثانيا وهكذا يفرد كل
فريضة بتيمم **القسم الثالث** من النظافة التنظيف من الفضلات الظاهرة وهي نوعان
اوساخ واجزاء **النوع الاول** الاوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية الاول ما يجتمع في
شعر الراس من الدرن والقمل فالتنظف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين ازالة للشعث
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله غبا ويامر به ويقول ادهنوا غبا وقال
صلى الله عليه وسلم من كانت له شعرة فليكرمها اي ليصنها عن الاوساخ ودخل عليه رجل ثائر الراس اشعث
اللحية فقال اما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل احدكم كانه شيطان الثاني ما
يجتمع من الوسخ في معاطف الاذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصماخ فينبغي ان ينظف
برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما يضر بالسمع الثالث ما يجتمع في داخل الانف
من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبها ويزيلها الاستنشاق والاستنثار الرابع ما

يجتمع على الاسنان واطراف اللسان من القلح ويزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناهما الخامس
ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل اذا لم يتعهد ويستحب ازالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط وفي
الخبر المشهور انه صلى الله عليه وسلم كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر ولا حضر وهي سنة العرب
وفي حديث غريب انه صلى الله عليه وسلم كان يسرح لحيته في اليوم مرتين وكان صلى الله عليه وسلم كث
اللحية وكذلك كان ابو بكر رضي الله عنه وكان عثمان رضي الله عنه طويل اللحية رقيقها وكان علي رضي الله عنه
عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه وفي حديث اغرب منه قالت عائشة رضي الله عنها اجتمع قوم
بباب رسول الله صلعم فخرج اليهم فرايته يطلع في الحب يسوي من راسه ولحيته فقلت او تفعل ذلك يا
رسول الله فقال نعم ان الله يحب من عبده ان يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم فالجاهل ربما يظن ان ذلك
من حب التزين للناس قياسا على اخلاق غيره وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات فقد كان
صلى الله عليه وسلم مامورا بالدعوة وكان من وظايفه ان يسعى في تعظيم امر نفسه في قلوبهم كيلا تزدريه
نفوسهم وتحسين صورته في اعينهم كيلا تستصغره اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك
في تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الله تع وهو ان يراعي من ظاهره
ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الامور على النية فانها اعمال في انفسها تكتسب
الاوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية اظهارا للزهد و
قلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو اهم منه محبوب وهذه احوال باطنة بين العبد وبين الله
والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الامور التفاتا الى الخلق وهو
يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم ان قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة
ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمجادلين والتقرب الى الله تع به وهذا امر ينكشف
يوم تبلى السرائر ويوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة
من البهرج فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر السادس وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الانامل
كانت العرب لا تكثر غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع في تلك الغضون وسخ فامرهم صلى الله عليه وسلم
بغسل البراجم السابع تنظيف الرواجب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم العرب وهي رؤس
الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ لانها كانت لا تحضرها المقراض في كل وقت فيجتمع فيها
اوساخ فوقت لهم رسول الله صلعم قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة اربعين يوما لكنه امر بتنظيف
ما تحت الاظفار وجاء في الاثر ان النبي صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبريل
عليه السلم قال له كيف ننزل عليكم وانتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لا تستاكون
كون
مر امتك بذلك والاف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن وقوله تع ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما
اي لا تعبهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتاذ بهما كما يتاذى بما تحت الظفر الثامن الدرن
الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام فلا باس بدخول الحمام دخل
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر
البدن ويذكر النار روي ذلك عن ابي الدرداء وابي ايوب الانصاري رضي الله عنهما وقال بعضهم

يتبين البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفة وذلك لفائدة فلا بأس بطلب فائدة عند الاحتراز عن آفة ولكن على داخل الحمام وظايف من السنن والواجبات فعليه واجبان في عورته وواجبان في عورة غيره اما الواجبان في عورته فهو ان يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة الى العانة وفي اباحة مس ما ليس بسوأة لازالة الوسخ احتمال لكن الاقيس التحريم اذ الحق مس السوأتين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي ان تكون بقية العورة اعني الفخذ والواجبان في عورة الغير ان يغض بصر نفسه عنها وان ينهى عن كشفها لان النهي عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر الا لخوف ضرب او شتم او ما يجري عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه ان ينكر ما يرهق المنكر عليه الى مباشرة حرام آخر فاما قوله اعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بد من الذكر فلا يخلو قلبه عن التأثر بسماع الانكار واستشعار الاحتراز عند التعيير بالمعاصي وذلك يوثر في تقبيح الامر في عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الاوقات اذ لا يخلو عن عورات مكشوفة لا سيما ما تحت السرة الى فوق العانة اذ الناس لا يعدونها عورة وقد الحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم له ولهذا يستحب تخلية الحمام قال بشر بن الحارث رحمه الله ما اعنف رجلا لا يملك الا درهما دفعه ليخلي له الحمام ورئي ابن عمر رضي الله عنه في الحمام ووجهه الى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لا بأس بدخول الحمام ولكن بازارين ازار للعورة وازار للرأس يتقنع به ويحفظ عينيه واما السنن فعشرة الاول النية وهو ان لا يدخل لعاجل دنيا ولا لاجل هوى بل يقصد به التنظيف المحبوب تزينا للصلوة ثم يعطي الحمامي الاجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره الحمامي فتسليم الاجرة دفع للجهالة من احد العوضين وتطييب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة او يتكلف تخلية الحمام فانه وان لم يكن في الحمام الا اهل الدين والمحتاطين للعورات فالنظر الى الابدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكر للتأمل في العورات ثم لا يخلو الناس في الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف في اطراف الازار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولاجله عصب ابن عمر عينيه ويغسل جناحيه عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الاول وان لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه المأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه لا سيما الماء الحار وله مؤنة وفيه تعب وان يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيسه الى جهنم فانه اشبه بيت بجهنم النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله منه بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء او نار او غيرهما عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار وحائك وبناء دارا معمورة مفروشة فاذا تفقدتهم رأيت البزاز ينظر الى الفرش يتأمل قيمتها والحائك ينظر الى الثياب ونسجها والنجار الى السقف يتأمل كيفية تركيبها والبناء الى الحيطان يتأمل كيفية احكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الآخرة لا

يرى

يرى من الاشياء الا ما يكون له موعظة من الآخرة بل لا ينظر الى شيء الا ويفتح الله له طريق عبرة فان نظر الى سواد تذكر به ظلمة اللحد وان نظر الى حية تذكر بها افاعي جهنم وان نظر الى صورة قبيحة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وان رأى شيئا حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد او قبول في سوق او دار تذكر ما ينكشف من آخر امره بعد الحساب من الرد والقبول وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل اذ لا يصرفه عنه الا مهمات الدنيا فاذا اقيس مدة المقام في الدنيا الى مدة المقام في الآخرة استحقرها ان لم يكن ممن اقفل على قلبه واعميت بصيرته. و من السنن ان لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره وان احب قال عافاك الله ولا بأس بان يصافح الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام ولا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن الا سرا ولا بأس باظهار الاستعاذة ويكره دخول الحمام بين العشائين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا بأس بان يدلكه غيره فقد نقل عن يوسف بن اسباط انه اوصى بان يغسله انسان لم يكن من اصحابه وقال انه دلكني في الحمام مرة فاردت ان اكافيه بما يفرح به وانه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت بي ومهما فرغ من الحمام شكر الله تعالى على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار في الشتاء من النعم التي يسأل الله تعالى عنه وقال ابن عمر رضي الله عنه الحمام من النعيم الذي احدثوه هذا من جهة الشرع اما من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد النورة امان من الجذام وقيل ان النورة في كل شهر مرة تطفئ المرة وتنقي اللون وتزيد في الجماع وقيل بولة في الحمام قائما في الشتاء انفع من شربة دواء وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام امان من النقرس ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال اما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يحل للرجل ان يدخل حليلته الحمام الا في البيت المستتر والمشهور حرام على الرجال دخول الحمام الا بمئزر وحرام على المرأة دخول الحمام الا نفساء او مريضة ودخلت عائشة رضي الله عنها حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل الا بمئزر سابغ ويكره للرجل ان يعطيها اجرة الحمام فيكون معينا لها على المكروه **النوع الثاني** مما يحدث من البدن الاجزاء وهي ثمانية الاول شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن اراد التنظيف ولا بتركه لمن يدهن ويرجل الا اذا تركه قزعا قطعا فهو دأب اهل الشطارة او ارسل الذوائب على هيئة اهل الشرف حيث صار شعارا لهم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا الثاني شعر الشارب قال صلى الله عليه وسلم قصوا الشوارب وفي لفظ آخر حفوا الشوارب واعفوا اللحى اي اجعلوها حفافي الشفة اي حولها وحفاف الشيء حوله ومنه قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش وفي لفظ آخر احفوا وهذا يشعر بالاستيصال وقوله صلى الله عليه وسلم حفوا يدل على ما دون ذلك قال الله تعالى ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا اي يستقصي عليكم واما الحلق فلم يرد والاحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين الى رجل احفى شاربه فقال ذكرتني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

المغيرة بن شعبة نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طال شاربي فقال تعال فقصه لي على سواك
ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر
الطعام اذ لا يصل اليه وقوله صلى الله عليه وسلم اعفوا اللحى اي كثروها وفي الخبر ان اليهود يعفون شواربهم
ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة. الثالث شعر الابط ويستحب نتفه
في كل اربعين يوما مرة وذلك سهل على من تعوده في الابتداء نتفه واما من تعود الحلق فيكفيه الحلق اذ في
النتف تعذيب وايلام والمقصود النظافة وان لا يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالحلق. الرابع
شعر العانة ويستحب ذلك اما بالحلق او بالنورة ولا ينبغي ان يتاخر عن اربعين يوما. الخامس الاظفار
وتقليمها مستحب لشناعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابا هريرة قلم اظفارك فان الشيطان يقعد على ما طال منها ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة
الوضوء لانه لا يمنع وصول الماء او لانه يتساهل فيه للحاجة لا سيما في اظفار الرجل وفي الاوساخ التي تجتمع
على البراجم وظهور الارجل والايدي للعرب واهل السواد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرهم بالقلم و
ينكر ما يرى تحت اظفارهم من الاوساخ ولم يامرهم باعادة الصلوات ولو امر به لكان فيه فائدة اخرى وهو
التغليظ والزجر عنه ولم ار في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روي انه صلى
الله عليه وسلم بدأ بمسبحة اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدأ في اليسرى بالخنصر الى الابهام وفي اليمنى من المسبحة الى
الخنصر والختم بابهام اليمنى ولما تاملت في هذا خطر لي من المعنى ما يدل على ان الرواية فيه صحيحة اذ
مثل هذا المعنى لا ينكشف الا بنور النبوة واما العالم ذو البصيرة فغايته ان يستنبط من النقل
بعد نقل الفعل اليه والذي لاح لي فيه والعلم عند الله تعالى انه لا بد من قلم اظفار الرجل واليد واليد اشرف
من الرجل فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة اصابع والمسبحة اشرفها اذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الاصابع
ثم بعدها ينبغي ان يبتدئ بما على يمينها اذ الشرع يستحب ادارة الطهور وغيره على اليمين وان وضعت ظهر
اليد على الارض فالابهام هو اليمين وان وضعت الكف فالوسطى هي اليمين واليد اذا تركت بطبعها
كان الكف مائلا الى جهة الارض اذ جهة حركة اليمنى الى اليسار واستتمام الحركة الى اليسار يجعل
ظهر الكف عاليا فما يقتضيه الطبع اولى ثم اذا وضعت الكف على الكف صارت الاصابع في حكم حلقة
دائرة فيقتضي ترتيب الدور الذهاب من يمين المسبحة الى ان يعود الى المسبحة فيقع البداية بخنصر
اليسرى والختم بابهامها ويبقى ابهام اليمنى وانما قدرت الكف موضوعا على الكف حتى تصير الاصابع
كاشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك اولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف او وضع
ظهر الكف على ظهر الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع واما اصابع الرجل فالاولى عندي ان لم يثبت
فيه نقل ان يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل فان المعاني التي ذكرناها لا تتجه هنا اذ لا
مسبحة في الرجل وهذه الاصابع في حكم صف واحد ثابت على الارض فيبدأ من جانب اليمين فان
تقديرها حلقة بوضع الاخمص على الاخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق في الترتيب
تنكشف بنور النبوة في لحظة وانما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتداء ربما لم يخطر لنا
واذا ذكر لنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ربما تيسر لنا باعانته صلى الله عليه وسلم وبشهادة الحكم

وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تظنن ان افعاله صلعم في جميع حركاته كانت خارجة عن
وزن وقانون وترتيب بل جميع الامور الاختيارية التي يتردد فيها الفاعل بين قسمين او اقسام كان
لا يتقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضي الاقدام والتقديم فان الاسترسال مهملا كيف
ما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعاني سجية اولياء الله تعالى وكلما كانت حركات الانسان
وخطراته الى الضبط اقرب وعن الاهمال وتركه سدى ابعد كان قربه الى رتبة الاولياء والانبياء اكثر
وكان قربه من الله تعالى اظهر اذ القريب من النبي صلعم هو القريب من الله تعالى ولا بد وان يكون قريبا فالقريب
من القريب قريب بالاضافة الى غيره فنعوذ بالله ان يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في يد الشيطان بواسطة
الهوى واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله صلعم فانه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين فبدايته
باليمنى لشرفها وتفاوته بين العينين ليكون الجملة وترا فان الوتر افضل من الزوج فان الله وتر يحب الوتر
فلا ينبغي ان يخلو فعل العبد عن مناسبة لوصف من اوصاف الرب ولذلك استحب الايتار في الاستجمار
وانما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لان اليسرى لا تخصها الا واحدة والغالب ان الواحدة لا تستوعب
اصول الاجفان بالكحل وانما خص اليمين بالثلاث لان التفضيل لا بد منه للايتار واليمين افضل
فهو بالزيادة احق فان قلت فلم اقتصر على اثنين لليسرى وهو زوج فلماذا فاعلم انه
ضرورة اذ لو جعل لكل واحدة وترا كان المجموع شفعا اذ الوتر مع الوتر زوج ورعاية الايتار في مجموع
الفعل وهو في حكم الخصلة الواحدة احب من رعايته في الآحاد ولذلك ايضا وجه وهو ان يكتحل في كل
واحدة ثلاثا على قياس الوضوء وقد نقل ذلك في الصحيح وهو الاولى ولو ذهبت استقصي لما راعاه
صلى الله عليه وسلم في حركاته لطال الامر فقس بما سمعته ما لم تسمعه واعلم ان العالم لا يكون وارثا للنبي عليه السلام
الا اذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي الا درجة وهي درجة النبوة و
هي الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث اذ الموروث هو الذي حصل المال له واشتغل بتحصيله
واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل اليه وتلقاه منه بعد حصوله
فامثال هذه المعاني مع سهولة امرها بالاضافة الى الاغوار والاسرار لا يستقل بدركها ابتداء الا
الانبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الانبياء عليهم السلام عليها الا العلماء الذين
هم ورثة الانبياء. السادس والسابع زيادة السرة وقلفة الحشفة اما السرة فتقطع
في اول الولادة واما التطهير بالختان فعادة اليهود اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم تحصل
بالتأخير الى ان يثغر الولد احب وابعد عن الخطر قال صلى الله عليه وسلم الختان سنة للرجال
مكرمة للنساء وينبغي ان لا يبالغ في خفض المرأة قال صلعم لام عطية وكانت تخفض يا ام عطية
اشمي ولا تنهكي فانه اسرى للوجه واحظى عند الزوج اي اكثر لماء الوجه ودمه واحسن في جماعها
فانظر الى جزالة لفظه صلى الله عليه وسلم في الكناية والى اشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التي هي
اهم مقاصد النبوة الى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو امي من هذا الامر التافه قدر ما لو وقعت
الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان من ارسله رحمة للعالمين ليجمع لهم ببركة بعثته مصالح الدنيا والدين
صلى الله عليه وسلم وعلى آله اجمعين. الثامن ما طال من اللحية وانما اخرناه لنلحق بها ما في اللحية

من السنن والبدع اذ هو اقرب موضع يليق بذكرها وقد اختلفوا فيما طال منه فقيل ان قبض الرجل
على لحيته واخذ ما تحت القبضة فلا بأس قد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن
سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالا تركها عافية احب لقوله صلعم اعفوا اللحى والامر في هذا قريب اذا
لم ينته الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فان الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق ألسنة
المغتابين اليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية وقال النخعي عجبت لرجل عاقل طويل اللحية
كيف لا يأخذ من لحيته ويجعلها ما بين لحيتين فان التوسط في كل شيء حسن ولذلك قيل كلما طالت
اللحية تشمر العقل **فصل** وفي اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها اشد من بعض وهو خضابها
بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة فيها وتسريحها تصنعا
لاجل الرياء وتركها شعثة اظهارا للزهد والنظر الى سوادها عجبا بالشباب والى بياضها تكبرا بعلو
السن وخضابها بالحمرة والصفرة تشبها بالصالحين اما الاول وهو الخضاب بالسواد
فهو منهي عنه قال صلى الله عليه وسلم خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم
والمراد بالتشبه بالشيوخ التشبه في الوقار لا في تبييض الشعر ونهى عن الخضاب بالسواد وقال هو
خضاب اهل النار وفي لفظ آخر الخضاب بالسواد خضاب الكفار وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه
وكان خضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه اهل المرأة الى عمر فرد نكاحه واوجعه
ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك ويقال اول من خضب بالسواد فرعون
لعنه الله وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد
كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة الثاني الخضاب بالصفرة والحمرة جائز تلبيسا للشيب على
الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم وقد قال صلى الله عليه و
سلم الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم
للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لاجل الغزو وذلك لا بأس به اذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة
الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا لاظهار علو السن توصلا الى التوقير وقبول الشهادة
والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا على الشبان واظهارا لكثرة العلم ظنا بان كثرة الايام تعطيه
فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل الا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة لا يؤثر الشيب فيها
ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان
عمر رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على اكابر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس ما
آتى الله تعالى عبده علما الا شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم
وقوله انهم فتية آمنوا بربهم وقوله وآتيناه الحكم صبيا وكان انس يقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في
رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا ابا حمزة وقد اسن فقال لم يشنه الله تعالى بالشيب فقيل او شين
هو فقال كلكم يكرهونه ويقال ان يحيى بن اكثم ولي القضاء وهو ابن احد وعشرين سنة فقال له رجل
في مجلسه يريد ان يخجله بصغر سنه كم سن القاضي ايده الله فقال مثل سن عتاب بن اسيد حين
ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة مكة وقضاءها فافحمه وروي عن مالك رضي الله عنه انه قال

قرأت في بعض الكتب لا يغرنكم اللحى فان التيس له لحية وقال ابو عمرو بن العلاء اذا رأيت طويل القامة
صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان امية بن عبد شمس وقال ايوب السختياني
ادركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه وقال علي بن الحسين من سبق الى العلم قبلك فهو
امامك فيه وان كان اصغر سنا منك وقيل لابي عمرو بن العلاء أيحسن بالشيخ ان يتعلم من الصغير
قال ان كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لاحمد بن حنبل وقد رآه خلف بغلة الشافعي
رضي الله عنه يا ابا عبد الله تركت حديث سفين بعلو وتمشي خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال له احمد
لو عرفت لكنت تمشي من الجانب الآخر ان علم سفين لو فاتني بعلو ادركته بنزول وان عقل هذا الشاب ان
فاتني لم ادركه بعلو ولا بنزول الرابع نتف بياضها استنكافا من الشيب وقد نهى صلى الله عليه وسلم
عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهية ما سبق والشيب
نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور الخامس نتفها او نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه
وشوه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة وهما جنبتا العنفقة شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف
فنيكيه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب وابن ابي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان ينتف لحيته واما
نتفها في اول النبات تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار فان اللحية زينة الرجال وان لله تعالى ملائكة يقسمون
والذي زين بني آدم باللحى وهي من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء وقيل في غريب التأويل اللحية هي
المراد بقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء وقال اصحاب الاحنف وددنا ان نشتري للاحنف لحية ولو بعشرين
الفا وقال شريح القاضي وددت ان لي لحية بعشرة آلاف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل
والنظر اليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس واقبال الوجوه اليه والتقدم على الجماعة ووقاية العرض فان
من يشتم يعرض باللحية اذا كان للمشتوم لحية وقيل ان اهل الجنة مرد الا هارون اخو موسى عليهما السلام
فان له لحية الى سرته تخصيصا وتفضيلا لان موسى عليه السلام اخذ بلحيته في الدنيا السادس تقصيصها
كالتعبية طاقة على طاقة للتزين للنساء والتصنع قال كعب يكون في آخر الزمان اقوام يقصون لحاهم
كذنب الحمامة ويعرقبون نعالهم كالمناجل اولئك لا خلاق لهم السابع الزيادة فيها وهو ان يزيد في شعر
العارضين من الصدغ وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحى الى نصف الخد وذلك يباين هيئة اهل الصلاح
الثامن تسريحها لاجل الناس قال بشر رحمه الله في اللحية شركان تسريحها لاجل الناس وتركها منتفشة
لاظهار الزهد التاسع والعاشر النظر الى سوادها وبياضها بعين العجب وذلك مذموم في جميع اجزاء
البدن بل في جميع الاخلاق والافعال على ما سيأتي بيانه فهذا ما اردنا ان نذكره من انواع التزين والنظافة
وقد حصل من ثلاثة احاديث من سنن الجسد اثنا عشر خمس منها في الرأس وهي فرق شعر الرأس والمضمضة
والاستنشاق والسواك وقص الشارب وثلاثة في اليد والرجل وهي قلم الاظفار وغسل البراجم و
التنظيف للرواجب واربعة في الجسد وهو نتف الابط والاستحداد والختان والاستنجاء بالماء
فقد وردت الاخبار بمجموع ذلك واذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة
فلنقتصر على هذا ولنتحقق ان فضلات الباطن واوساخه التي يجب التنظيف منها اكثر من ان تحصى وسيأتي
تفصيلها في ربع المهلكات مع تعريف الطريق في ازالتها وتطهير القلب منها ان شاء الله تعالى تم كتاب

اسرار الطهارة من كتب احياء علوم الدين وهو الثالث من ربع العبادات والحمد لله رب العالمين

كتاب اسرار الصلوة ومهماتها

وهو الكتاب الرابع من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي غمر العباد بلطايفه • وعمر قلوبهم بانوار الدين ووظايفه • الذي النزول عن عرش الجلال الى السماء الدنيا من درجات الرحمة احدى عواطفه • فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في السوال والدعاء فقال هل من داع فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب • رخص للعباد في المناجاة بالصلوات كيف ما تقلبت بهم الاحوال في الجماعات والخلوات • ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة الا بعد تقديم الهدية والرشوة • فسبحانه ما اعظم شانه واقوى سلطانه • واتم لطفه واعم احسانه • والصلوة على نبيه المصطفى ووليه المجتبى • وعلى آله واصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى • وسلم تسليما **اما بعد** فان الصلوة عماد الدين وعصام اليقين • وسيد القربات وغرة الطاعات • وقد استقصينا في فن الفقه في بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه اصولها وفروعها صارفين جمام العناية الى تفاريعها النادرة ووقايعها الشاذة ليكون خزانة للمفتي منها يستمد ومعوّله اليها يفزع ويرجع • ونحن الآن في هذا الكتاب مقتصرون على ما لا بد للمريد منه من اعمالها الظاهرة واسرارها الباطنة وكاشفون من دقايق معانيها الخفية في معاني الخشوع والاخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكره في الفقه ومرتبون للكتاب على سبعة ابواب • الباب الاول في فضايل الصلوات الباب الثاني في تفصيل الاعمال الظاهرة من الصلوة • الباب الثالث في تفصيل الاعمال الباطنة منها • الباب الرابع في الامامة والقدوة الباب الخامس في صلوة الجمعة وآدابها الباب السادس في مسايل متفرقة تعم بها البلوى الباب السابع في التطوعات **الباب الاول في فضايل الصلوات** والسجود والجماعة والاذان وغيرها **فضيلة الاذان** قال رسول الله صلعم ثلثة يوم القيمة على كثيب من مسك اسود لا يهمهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرا القرآن ابتغاء وجه الله تع وام بقوم وهم به راضون ورجل اذن في مسجد ودعا الى الله ابتغاء وجه الله ورجل ابتلي بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شي الا شهد له يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم يد الرحمن على راس المؤذن حتى يفرغ من اذانه وقيل في قوله تع ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين نزلت في المؤذنين وقال صلعم اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن وذلك محبوب الا في الحيعلتين فانه يقول في الاولى لا حول ولا قوة الا بالله وفي الثانية كذلك وفي قوله قد قامت الصلوة اقامها الله وادامها ما دامت السموات والارض وفي التثويب صدقت وبررت وعند فراغ المؤذن يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القايمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته وقال سعيد بن المسيب من صلى بارض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فاذا اذن واقام صلى وراءه امثال الجبال من الملايكة **فضيلة المكتوبة** قال الله تع ان الصلوة كانت على المومنين كتابا موقوتا وقال صلعم خمس صلوات كتبهن الله تع على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله عز وجل عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون في ذلك يبقى من درنه قالوا لا شي قال فان الصلوات الخمس تذهب بالذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال ايضا ان الصلوات كفارات لما بينهن ما اجتنب الكباير وقال عليه السلم بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال صلى الله عليه وسلم من لقي الله عز وجل وهو مضيع للصلوة لم يعبا الله بشي من حسناته وقال صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين فمن تركها هدم الدين وسيل عليه السلام اي الاعمال افضل قال الصلوة لمواقيتها وقال صلى الله عليه وسلم من حافظ على الصلوات الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيمة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال عليه السلام مفتاح الجنة الصلوة وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد احب اليه من الصلوة ولو كان شي احب اليه منها لتعبد به ملايكته فمنهم راكع وساجد وقايم وقاعد وقال عليه السلم من ترك صلوة متعمدا فقد كفر اي قارب ان ينخلع عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة انه بلغها ودخلها وقال صلى الله عليه وسلم من ترك صلوة متعمدا فقد بري من ذمة محمد صلعم وقال ابو هريرة رضي الله عنه من توضا فاحسن وضوءه ثم خرج عامدا الى الصلوة فانه في صلوة ما كان يعمد الى الصلوة وانه يكتب له باحدى خطوتيه حسنة ويمحى عنه بالاخرى سيية فاذا سمع احدكم الاقامة فلا يسع فان اعظمكم اجرا ابعدكم دارا قالوا لم يا ابا هريرة قال من اجل كثرة الخطى • ويروى ان اول ما ينظر فيه يوم القيمة من عمل العبد الصلوة فان وجدت تامة قبلت منه وساير عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وساير عمله وقال صلعم يا ابا هريرة مر اهلك بالصلوة فان الله تع ياتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له راس المال وكذلك المصلي لا يقبل له نافلة حتى يودي الفريضة وكان ابو بكر رضي الله عنه يقول اذا حضرت الصلوة قوموا الى ناركم التي اوقدتموها فاطفيوها **فضيلة اتمام الاركان** قال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوة المكتوبة مثل الميزان من اوفى استوفى وقال يزيد الرقاشي كانت صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستوية كانها موزونة وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجلين من امتي ليقومان الى الصلوة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلوتيهما ما بين السماء والارض واشار الى الخشوع وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله عز وجل يوم القيمة الى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال صلعم اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلوة ان يحول الله تع وجهه وجه حمار وقال صلى الله عليه وسلم من صلى الصلوة لوقتها فاسبغ وضوءها واتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها فلم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال صلى الله عليه وسلم اسوء الناس سرقة من يسرق من صلوته

وقال ابن مسعود وسلمان رضي الله عنهما الصلوة مكيال فمن اوفى وفي له ومن طفف فقد علم
ما قال الله تع في المطففين فضيلة الجماعة قال صلى الله عليه وسلم الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع
وعشرين درجة وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم فقد ناسا في بعض الصلوة فقال لقد هممت
ان آمر رجلا يصلي بالناس ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فيحرقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم
ولو علم احدهم انه يجد عظما سمينا لشهدها يعني صلوة العشاء وقال عثمان رضي الله عنه وروي
مرفوعا من شهد العشاء فكانما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكانما قام ليلة وقال
صلى الله عليه وسلم من صلى صلوة في جماعة فقد ملى نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما اذن
موذن منذ عشرين سنة الا وانا في المسجد وقال محمد بن واسع ما اشتهي من الدنيا الا ثلثة اخا
في الله تع ان تعوجت قومني وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلوة في جماعة يرفع عني سهوها وتكتب
لي فضلها وروي ان ابا عبيدة بن الجراح ام قوما مرة فلما انصرف قال ما زال الشيطان بي آنفا حتى اريت
ان لي فضلا على غيري لا اوم ابدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال
النخعي مثل الذي يوم بالناس بغير علم كمثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه وقال
حاتم الاصم فاتتني الجماعة فعزاني ابو اسحق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني اكثر من عشرة الف
لان مصيبة الدين اهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس من سمع المنادي
ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وقال ابو هريرة لان تملأ اذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من ان
يسمع النداء ثم لا يجيب ويروى ان ميمون بن مهران اتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله
لفضل هذه الصلوة احب الي من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم من صلى اربعين يوما الصلوات
في جماعة لا يفوته منها تكبيرة الاحرام كتب له براءتان براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال انه
اذا كان يوم القيمة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فتقول لهم الملايكة ما اعمالكم فيقولون كنا اذا
سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طايفة وجوههم كالشموس فيقولون بعد
السوال كنا نسمع الاذان في المسجد ويروى ان السلف كانوا يعزون انفسهم ثلثة ايام اذا فاتهم
التكبير الاول ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة فضيلة السجود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تقرب العبد الى الله تع بشي افضل من سجود خفي وقال ما من مسلم يسجد لله عز وجل سجدة الا رفعه الله بها
درجة وحط عنه بها خطيئة وروي ان رجلا قال لرسول الله صلعم ادع الله ان يجعلني من اهل شفاعتك
ويرزقني مرافقتك في الجنة قال اعني بكثرة السجود وقيل ان اقرب ما يكون العبد الى الله تع اذا كان ساجدا
وهو معنى قوله تع واسجد واقترب وقال عز وجل سيماهم في وجوههم من اثر السجود فقيل هو ما يلتصق
بوجوههم من الارض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الاصح
وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيمة من اثر الوضوء وقال صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن
آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي وقال يا ويلاه امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت
بالسجود فعصيت فلي النار ويروى عن علي بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد في كل يوم الف سجدة وكانوا
يسمونه السجاد ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان لا يسجد الا على التراب وكان يوسف بن اسباط

يقول يا معشر الشباب بادروا الى الصحة قبل المرض فما بقي احد احسده الا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد
حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شي من الدنيا الا على السجود وقال عقبة
بن مسلم ما من خصلة في العبد احب الى الله من رجل يحب لقاء الله وما من ساعة العبد فيها اقرب
الى الله منه حيث يخر ساجدا وقال ابو هريرة اقرب ما يكون العبد الى الله تع اذا سجد فاكثروا
الدعاء عند ذلك فضيلة الخشوع قال الله تع واقم الصلوة لذكري وقال تع ولا تكن من الغافلين
وقال تع لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من
حب الدنيا وهب ان المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة فقال حتى تعلموا ما
تقولون وكم من مصل لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلوته وقال النبي صلى الله عليه وسلم
من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشي من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وهو مذكور في الصحيح
قال صلى الله عليه وسلم انما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع وتباوس وتنادم وتقنع يديك فتقول
اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وروى في الكتب السالفة ان الله تع قال ليس كل مصل اتقبل صلوته
انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر علي واطعم الفقير الجايع لوجهي وقال رسول الله صلعم
انما فرضت الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك للمذكور
الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال صلى الله عليه وسلم اذا صليت صلوة
فصل صلوة مودع اي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سايرا الى مولاه كما قال تع يا ايها
الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال تع واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال صلعم
من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله تع الا بعدا والصلوة مناجاة فكيف تكون
مع الغفلة قال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن وتكلمه بغير ترجمان
وعن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا
ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله تع وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله تع الى صلوة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع
بدنه وكان ابرهيم الخليل عليه السلم اذا قام الى الصلوة سمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخي
اذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال
لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ويروى ان الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصا ويقول اللهم زوجني
الحور العين فقال بيس الخاطب انت تخطب الحور العين وانت تعبث وقيل لخلف بن ايوب الا
يوذيك الذباب في الصلوة فتطرده فقال لا اعود نفسي شيئا يفسد علي صلوتي قيل له وكيف تصبر
على ذلك قال بلغني ان الفساق يصبرون على اسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك
فانا قايم بين يدي ربي افاتحرك لذبابة ويروى عن مسلم بن يسار انه كان اذا اراد الصلوة قال لاهله
تحدثوا انتم واني لست اسمعكم ويروى عنه انه كان يصلي في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد
فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلوة وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا حضرت
الصلوة يتزلزل ويتلون فقيل له ما لك يا امير المومنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله تع على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها ويروى عن علي بن الحسين رضي الله عنهما انه كان اذا توضا

اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم
ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال داود عليه السلام الهي من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلوة فاوحى
الله تعالى اليه يا داود انما يسكن بيتي واتقبل الصلوة ممن تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه
عن الشهوات من اجلي يطعم الغريب الجائع ويؤوي الغريب ويرحم المصاب فذلك الذي يضيء نوره في
السماء كالشمس ان دعاني لبيته وان سألني اعطيته اجعل له في الجهل حلما وفي الغفلة ذكرا وفي الظلمة
نورا وانما مثله في الناس كالفردوس في الجنان لا تيبس انهارها ولا تتغير ثمارها ويروى عن حاتم الاصم
انه سئل عن صلوته فقال اذا حانت الصلوة اسبغت الوضوء واتيت الموضع الذي اريد الصلوة فيه
فاقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم اقوم الى صلوتي فاجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة عن
يميني والنار عن يساري وملك الموت ورائي واظنها آخر صلوتي ثم اقوم بين الرجاء والخوف واكبر
تكبيرا بتحقق واقرأ قراءة بترتيل واركع ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخشع واقعد على الورك اليسرى وافترش
ظهر قدمها وانصب القدم اليمنى على الابهام واتبعها الاخلاص ثم لا ادري اقبلت مني ام لا وقال ابن عباس
رضي الله عنه ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه **فضيلة المسجد** وموضع
الصلوة قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى مسجدا لله ولو مثل
مفحص قطاة بنى الله له قصرا في الجنة وقال عليه السلام من الف المسجد الفه الله تعالى وقال عليه السلام اذا
دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وقال صلى الله عليه وسلم لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد وقال
صلعم الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث او يخرج
من المسجد وقال صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون
فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله عز وجل فيهم حاجة وقال صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني
في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وقال صلعم اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وقال
سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فانما يجالس ربه فما احقه ان لا يقول الا خيرا ويروى في الاثر او في
الخبر الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال النخعي كانوا يرون ان المشي في الليلة
المظلمة الى المسجد موجب اي للجنة وقال انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة
العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوءه وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا مات العبد
بكى عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا
منظرين وقال ابن عباس تبكي عليه الارض اربعين صباحا وقال عطاء الخراساني ما من عبد
يسجد لله عز وجل سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت له بها يوم القيمة وبكت عليه يوم يموت وقال
انس بن مالك رضي الله عنه ما من بقعة يذكر الله عز وجل عليها بصلوة او ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع
واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع ارضين وما من عبد يقوم فيصلي الا تزخرف له
الارض ويقال ما من منزل ينزله قوم الا اصبح ذلك المنزل يصلي عليهم او يلعنهم **الباب**
الثاني في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلوة والبداية بالتكبير وما قبله ينبغي للمصلي اذا فرغ من

الوضوء وطهارة الخبث في البدن والثياب والمكان ومن ستر العورة من السرة الى الركبة ان
ينتصب قائما متوجها الى القبلة ويراوح بين قدميه فلا يضمهما فان ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل
وقد نهى عليه السلام عن الصفن والصفد في الصلوة والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين
في الاصفاد والصفن هو رفع احدى الرجلين ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد هذا ما يراعى في
رجليه عند القيام ويراعى في ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب واما رأسه فان شاء تركه على استواء
القيام وان شاء اطرق والاطراق اقرب الى الخشوع واغض للبصر وليكن بصره محصورا على مصلاه الذي
يصلي عليه فان لم يكن مصلاه فليقترب من جدار وليخط خطا فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق
الفكر وليحجر على بصره ان يجاوز اطراف المصلى وحدود الخط وليدم هذا القيام كذلك الى الركوع من
غير التفات هذا ادب القيام فاذا استوى قيامه واستقباله واطراقه كذلك فليقرأ قل اعوذ
برب الناس تحصنا به من الشيطان ثم ليأت بالاقامة وان كان يرجو حضور من يقتدي به
فليؤذن اولا ثم ليحضر النية وهو ان ينوي في الظهر مثلا ويقول بقلبه اؤدي فريضة الظهر لله تعالى
ليميزه بقوله اؤدي عن القضاء وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره ولتكن معاني هذه الالفاظ
حاصلة في قلبه فان النية والالفاظ مذكرات واسباب لحضورها ويجتهد ان يستديم ذلك الى آخر التكبير
حتى لا يعزب فاذا حضر في قلبه ذلك فليرفع يديه الى حذو منكبيه بعد ارسالهما بحيث يحاذي بكفيه منكبيه
وبابهاميه شحمتي اذنيه وبرؤوس اصابعه رؤوس اذنيه ليكون جامعا بين الاخبار الواردة فيه ويكون
مقبلا بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما بل يتركها على مقتضى
طبعها اذ نقل في الاثر النشر والضم وهذا بينهما فهو اولى فاذا استقرت اليدان في مقرهما ابتدأ التكبير
مع ارسالهما واحضار النية ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى
اكراما لليمنى بان تكون محمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالخنصر والبنصر
على كوع اليسرى وقد روي التكبير مع رفع اليد ومع استقرارهما ومع الارسال وكل ذلك لا حرج فيه واراه
بالارسال اليق فانه كلمة العقد ووضع احدى اليدين على الاخرى في صورة العقد ومبدؤه الارسال
وآخره الوضع ومبدأ التكبير الالف وآخره الراء فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد واما
رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية ثم لا ينبغي ان يرفع يديه الى قدام دفعا عند الفراغ عن التكبير ولا يردهما
الى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضا اذا فرغ من التكبير ويرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا
ويستأنف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال وفي بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم كان اذا كبر ارسل
يديه فاذا اراد ان يقرأ وضع اليمنى على اليسرى وان صح هذا فهو اولى مما ذكرناه **واما** التكبير فينبغي ان يضم
الهاء من الله عز وجل ضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين الهاء واللام شبه الواو وذلك ينساق اليه
بالمبالغة ولا يدخل بين باء اكبر وراءه الفا كانه يقول اكبار ويجزم راء التكبير ولا يضمها فهذه هيئة
التكبير وما معه **القراءة** ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح وحسن ان يقول عقيب قوله الله اكبر كبيرا
والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وجهت وجهي الى قوله وانا من المسلمين ثم يقول سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد في الاخبار وان

وان كان خلف الامام اختصر ان لم يكن للامام سكتة طويلة يقرا فيها الفاتحة ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم ثم يقرا الفاتحة يبتدي فيها ببسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد في الفرق
بين الضاد والظاء ويقول آمين في آخر الفاتحة ويمدها مدا ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلا
ويجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء الا ان يكون ماموما ويجهر بالتامين ثم يقرا السورة او
قدر ثلاث آيات من القرآن فما فوقها ولا يصل آخر السورة بتكبير الهوي بل يفصل بينهما بقدر قوله
سبحان الله ويقرا في الصبح من السور من طوال المفصل وفي المغرب قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء
نحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفي الصبح في السفر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكذلك
في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفناه في اول
الصلوة **الركوع** ولواحقه ثم يركع ويراعي فيه امورا وهو ان يكبر للركوع وان يرفع يديه مع تكبيرة الركوع
وان يمد التكبير مدا الى الانتهاء الى الركوع وان يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع واصابعه منشورة موجهة
نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وان يمد ظهره مستويا وان يكون عنقه
وراسه مع ظهره كالصفيحة الواحدة لا يكون راسه اخفض ولا ارفع وان يجافي مرفقيه عن جنبيه وتضم المراة
مرفقيها الى جنبيها وان يقول سبحان ربي العظيم ثلثا والزيادة الى السبعة والى العشرة حسن ان لم
يكن اماما ثم يرتفع من الركوع الى القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمئن في الاعتدال ويقول ربنا
لك الحمد ملء السموات والارض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام الا في صلوة التسبيح ويقنت
في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات الماثورة **السجود** ثم يهوي الى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الارض
ويضع جبهته وكفيه مكشوفة ويكبر عند الهوي ولا يرفع يديه مع غير الركوع وينبغي ان يكون اول ما يقع منه
على الارض ركبتاه وان يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدهما وجهه وان يضع انفه على الارض وان يجافي مرفقيه
عن جنبيه ولا تفعل المراة ذلك وان يفرج بين رجليه ولا تفعل المراة ذلك وان يكون مخويا ولا تكون المراة
مخوية والتخوية رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الفخذين وان يضع يديه على الارض حذو منكبيه و
ان لا يفرج بين اصابعهما بل يضمهما ويضم الابهام اليهما وان لم يضم الابهام فلا باس ولا يفترش ذراعيه
على الارض كما يفترش الكلب فانه منهي عنه وان يقول سبحان ربي الاعلى ثلثا فان زاد فحسن الا ان يكون اماما
ثم يرتفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا ويرفع راسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه
اليمنى ويضع يديه على فخذيه والاصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول رب اغفر لي وارحمني و
ارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطول هذه الجلسة الا في صلوة التسبيح وياتي بالسجدة
الثانية كذلك ويستوي فيه جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة ولا يتشهد عقيبها ثم يقوم
فيضع اليد على الارض ولا يقدم احدى رجليه في حالة الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه
عن القعود الى وسط ارتفاعه الى القعود حتى يقع التكبير في وسط انتقاله ولا يخلو عنه الا طرفاه فهو اقرب
الى التعميم ويصلي الركعة الثانية كالاولى ويعيد التعوذ في الابتداء **التشهد** ثم يتشهد في الركعة الثانية
التشهد الاول ثم يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض اصابع
اليمنى الا المسبحة ولا باس بارسال الابهام ايضا ويشير بمسبحة يمناه وحدها عند قوله الا الله لا عند قوله
لا اله ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين وفي التشهد الاخير يستكمل الدعاء الماثور
بعد الصلوة على الآل **وسننه** كسنن التشهد الاول لكن يجلس في الاخير على وركه الايسر لانه ليس
مستوفزا للقيام بل هو مستقر ويضجع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى ويخرج راس
الابهام الى جهة القبلة ان لم يشق عليه ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى
خده الايمن من وراءه من جانب اليمين ويلتفت شمالا كذلك ويسلم تسليمة ثانية وينوي الخروج بالسلام
من الصلوة وينوي السلام على من على يمينه من الملائكة والمسلمين في الاولى وينوي مثل ذلك في الثانية
ويحذف السلام فلا يمده مدا فهو السنة هذه هيأة صلوة المنفرد **المنهيات** نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الصلوة عن الصفن والصفد وقد ذكرناهما وعن الاقعاء والسدل والكف وعن
الاختصار وعن الصلب وعن المواصلة وعن صلوة الحاقن والحاقب والحازق وعن صلوة الجائع والغضبان
والملثم وهو ستر الوجه اما الاقعاء فهو عند اهل اللغة ان يجلس على وركيه وينصب ركبتيه وعند
اهل الحديث ان يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الارض الا رؤس اصابع الرجلين واما السدل
فمذهب اهل الحديث فيه ان يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود
في صلوتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص في معناه فلا ينبغي ان يركع ويسجد ويداه في بدن القميص وقيل معناه
ان يضع وسط الازار على راسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير ان يجعلهما على كتفيه والاول اقرب
واما الكف فهو ان يرفع ثيابه من بين يديه او من خلفه اذا اراد السجود وقد يكون الكف في شعر
الراس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهي للرجال وفي الحديث امرت ان اسجد على سبعة
اعضاء ولا اكف شعرا ولا ثوبا وكره احمد بن حنبل رحمه الله ان يأتزر فوق القميص في الصلوة
وراه من الكف واما الاختصار فهو ان يضع يديه على خاصرته ويجافي بين عضديه في القيام و
اما المواصلة فهي خمسة اثنان على الامام ان لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ولا ركوعه بقراءته
واثنان على الماموم ان لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما
ان لا يصل تسليم الفرض بالتسليمة الثانية وليفصل بينهما واما الحاقن فمن البول والحاقب من
الغائط والحازق صاحب الخف الضيق فان كل ذلك يمنع الخشوع وفي معناه الجائع والمهتم ونهي
نهي الجائع من قوله صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشاء واقيمت الصلوة فابدءوا بالعشاء الا ان يضيق
الوقت او يكون ساكن القلب وفي الخبر لا يدخلن احدكم الصلوة وهو مقطب ولا يصلين احدكم وهو
غضبان وقال الحسن كل صلوة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وفي الخبر سبعة اشياء
في الصلوة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاوب والحكاك والالتفات و
العبث بالشيء وزاد بعضهم والسهو والشك وقال بعض السلف اربعة في الصلوة من
الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصى وان تصلي بطريق من يمر بين يديك ونهي ايضا عن ان
يشبك اصابعه او يفرقع اصابعه او يستر وجهه او يضع احدى كفيه على الاخرى ويدخلهما بين فخذيه
في الركوع قال بعض الصحابة كنا نفعل ذلك فنهينا عنه ويكره ايضا ان ينفخ في الارض عند
السجود للتطهير وان يسوي الحصى بيده فانها افعال مستغنى عنها ولا يرفع احدى قدميه فيضعها

على فخذه ولا يستند في قيامه الى حائط وان استند بحيث لو سل ما يستند عليه لسقط
فالاظهر بطلان صلوته **تمييز الفرايض والسنن** جملة ما ذكرناه اشتمل على السنن والهيآت
والآداب التي ينبغي ان يراعيها مريد طريق الآخرة جميعها والفرض من جملتها اثنا عشر النية
وقوله الله اكبر والقيام والفاتحة والانحناء في الركوع الى ان تنال راحتاه ركبتيه مع الطمانينة والاعتدال
عنه قايما والسجود مع الطمانينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قايما والسجود مع الطمانينة
قاعدا والجلوس للتشهد الاخير والتشهد الاخير والصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم والسلام الاول
فاما نية الخروج فلا تجب وما عدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيآت في السنن والفرايض
اما السنن فمن الافعال اربعة رفع اليدين في تكبيرة الاحرام وعند الهوي الى الركوع وعند الارتفاع
والجلسة للتشهد الاول واما ما ذكرناه من كيفية نشر الاصابع وحد رفعها فهي هيآت تابعة لهذه السنة
والتورك والافتراش هيئة تابعة للجلسة والاطراق وترك الالتفات هيئة القيام وتحسين صورته وجلسة
الاستراحة لم نعدها من اصول السنن في الافعال لانها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود الى القيام لانها
ليست مقصودة في نفسها ولذلك لم نفرد بذكرها واما السنن من الاذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ
ثم قوله آمين فانه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقال ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم
التشهد الاول والصلوة فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ثم الدعاء في آخر التشهد الاخير ثم التسليمة الثانية
وهذه وان جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة اذ يجبر من جملتها بسجود السهو اربعة اما من
الافعال فواحد وهو الجلسة الاولى للتشهد الاول فانها مؤثرة في ترتيب نظم الصلوة في اعين الناظرين
حتى يعرف بها انها رباعية ام لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يؤثر في تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض وقيل
الابعاض تجبر بالسجود واما الاذكار فكلها لا يقتضي سجود السهو الا ثلاثة القنوت والتشهد الاول
والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات واذكار الركوع والسجود و
الاعتدال عنهما لان الركوع والسجود في صورتهما مخالف للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت
عن الاذكار وعن تكبيرات الانتقالات فعدم تلك الاذكار لا يغير صورة العبادة واما الجلسة
للتشهد الاول فهو فعل معتاد وما زيدت الا للتشهد فتركه ظاهر التاثير واما دعاء الاستفتاح و
السورة فتركهما لا يؤثر مع ان القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة بها وكذلك الدعاء في
التشهد الاخير والقنوت ابعد ما يجبر بالسجود ولكنه يشرع مع الاعتدال في الصبح لاجله وكان كجلسة
الاستراحة اذ صارت بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الاول فبقي هذا قياما ممدودا معتادا ليس فيه
ذكر واجب وفي الممدود احتراز عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن اصل القيام في الصلوة
فان قلت تمييز السنن عن الفرايض معقول اذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب
به دونها فاما تمييز سنة عن سنة والكل مامور على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب
مرجو على الكل فما معناه **فاعلم** ان اشتراكها في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتها
وينكشف لك ذلك بمثال وهو ان الانسان لا يكون انسانا موجودا كاملا الا بمعنى باطن واعضاء
ظاهرة فاما المعنى الباطن فهو الحيوة والروح والظاهر اجسام اعضائه ثم بعض تلك الاعضاء ينعدم الانسان

بعدمه كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحيوة بفواته وبعضها لا يفوت بها الحيوة ولكن
يفوت بها مقاصد الحيوة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت بها الحيوة ولا مقاصدها
ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها اصل الجمال
ولكن يفوت كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية وتناسب خلقة الاعضاء وامتزاج
الحمرة بالبياض في اللون وهذه درجات متفاوتة وكذلك العبادة صورة صورها الشرع وتعبدنا
باكتسابها فروحها وحيوتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سياتي ونحن
الآن في اجزائها الظاهرة والركوع والسجود والقيام وساير الاركان تجري منها مجرى القلب والراس و
الكبد اذ يفوت وجود الصلوة بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح
والتشهد الاول تجري منها مجرى اليدين والعينين والرجلين ولا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت
الحيوة بفوات هذه الاعضاء ولكن يصير الشخص بسببه مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك
من اقتصر على اقل ما يجزي من الصلوة كان كمن اهدى الى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع
الاطراف واما الهيآت وهي ما وراء السنن فتجري مجرى اسباب الحسن من الحاجبين واللحية
والاهداب وحسن اللون واما لطائف الآداب في تلك السنن فهي مكملات للحسن كاستقواس
الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلوة عندك قربة وتحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك
كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين اليهم وهذه التحفة تعرض على الله ثم ترد عليك في يوم العرض
الاكبر فاليك الخيرة في تحسين صورتها وتقبيحها فان احسنت فلنفسك وان اسات فعليها ولا
ينبغي ان يكون حظك من ممارسة الفقه ان يتميز لك السنة عن الفرض فلا يتعلق بفهمك من اوصاف
السنة الا انه يجوز تركها فتتركها فان ذلك يضاهي قول الطبيب ان فقء العينين لا يبطل وجود
الانسان ولكن يخرجه عن ان يصدق رجاء المتقرب في قبول السلطان اذا اخرجه في معرض الهدية
فهكذا ينبغي ان تفهم مراتب السنن والهيآت والآداب وكل صلوة لم يتم الانسان ركوعها و
سجودها فهي الخصم الاول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتني فطالع الاخبار التي اوردناها في
اكمال اركان الصلوة ليظهر لك وقعها **الباب الثالث في الشروط الباطنة**
من اعمال القلب ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلوة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعاني
الباطنة وحدودها واسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي ان يحضر في كل ركن من الصلوة لتكون
صالحة لزاد الآخرة **بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب** اعلم ان ادلة ذلك كثيرة فمن ذلك
قوله تع واقم الصلوة لذكري فظاهر الامر يقتضي الوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلوته
كيف يكون مقيما للصلوة لذكره وقوله ولا تكن من الغافلين نهي وظاهره التحريم وقوله تع حتى تعلموا ما
تقولون تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وافكار الدنيا وقوله
صلى الله عليه وسلم انما الصلوة تمسكن وتواضع حصر بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق والتحقيق
وقد فهم الفقهاء من قوله صلعم انما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والاثبات والنفي وقوله صلى الله عليه وسلم
من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وصلوة الغافل لا تمنع من الفحشاء

وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم حظه من صلوته التعب والنصب وما اراد به الا الغافل وقال
ايضا ليس للعبد من صلوته الا ما عقل والتحقيق فيه ان المصلي يناجي ربه كما ورد الخبر به والكلام
مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه ان الزكوة ان غفل الانسان عنها مثلا فهي في نفسها مخالفة
للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى التي هي آلة الشيطان عدو الله
فلا يبعد ان يحصل منهما مقصود مع الغفلة وكذلك الحج افعاله شاقة على البدن شديدة وفيه من
المجاهدة ما يحصل به الابتلاء كان القلب حاضرا مع افعاله او لم يكن اما الصلوة فليس فيها الا ذكر
وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود اما الذكر فانه محاورة ومناجاة مع الله تع فاما ان يكون
المقصود منه كونه خطابا ومحاورة او المقصود الحروف والاصوات امتحانا للسان بالعمل كما يمتحن
المعدة والفرج بالامساك في الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة اخراج الزكوة
واقتطاع المال المعشوق ولا نشك في ان هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما اخفه
على الغافل فليس فيه امتحان من حيث انه عمل بل المقصود الحروف من حيث انه نطق ولا يكون نطقا
الا اذا اعرب عما في الضمير ولا يكون معربا الا بحضور القلب فاي سؤال في قوله تع اهدنا الصراط المستقيم
اذا كان القلب غافلا وان لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فاي مشقة في حركة اللسان به في الغفلة لا سيما
بعد الاعتياد هذا حكم الاذكار بل اقول لو حلف الانسان وقال لاشكرن فلانا واثني عليه و
اسأله حاجة ثم جرت الالفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم لم يبر في يمينه ولو جرى
على لسانه في ظلمة الليل وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا في يمينه
اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن هو حاضرا في قلبه فلو كان تجري هذه الكلمات على لسانه
وهو حاضر الا انه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد
توجيه الخطاب عليه عند نطقه لم يصر بارا في يمينه ولا نشك في ان المقصود من القرآن و
الاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تع وقلبه محجوب بحجاب الغفلة
عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود
بالصلوة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله تع ورسوخ عقد الايمان به هذا حكم القراءة
والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل الى انكارها في النطق وتمييزه بها عن الفعل وقال
قائل في الركوع التعظيم وهو المحو والفناء وفي السجود القربة وهو الاثبات والبقاء واما الركوع
والسجود فالمقصود التعظيم بهما قطعا ولو جاز ان يكون معظما لله تع بفعله وهو غافل عنه
لجاز ان يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه او يكون معظما للحائط الذي بين يديه
وهو غافل واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والراس وليس فيه من المشقة ما يقصد
الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات
ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما ارى ان هذه العظمة كلها للصلوة من حيث اعمالها الظاهرة
الا ان يضاف اليها مقصود المناجاة فان ذلك يتقدم على الصوم والزكوة والحج وغيرها بل الضحايا و
القرابين التي هي مجاهدة النفس بتنقيص المال قال الله تع فيها لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله

التقوى منكم اي الصفة التي استولت على القلب حتى حملته على امتثال الاوامر التي هي المطلوبة وكيف
الامر في الصلوة ولا ارب في افعالها فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب
فان قلت ان حكمت ببطلان الصلوة وجعلت حضور القلب شرطا في صحتها خالفت اجماع
الفقهاء فانهم لم يشترطوا الا حضور القلب عند التكبير فاعلم انه قد تقدم في كتاب العلم ان الفقهاء
لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا في طريق الآخرة بل يبنون ظاهر احكام الدين
على ظاهر اعمال الجوارح وظاهر الاعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان فاما انه ينفع في
الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على انه لا يمكن ان يدعى الاجماع فيه فقد نقل عن بشر بن الحارث فيما
رواه عنه ابو طالب المكي عن سفين الثوري انه قال من لم يخشع فسدت صلوته وروي عن الحسن
انه قال كل صلوة لا يحضر القلب فيها فهي الى العقوبة اقرب وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه
وشماله متعمدا وهو في الصلوة فلا صلوة له وروي ايضا مسندا وقال عليه السلم ان العبد
ليصلي الصلوة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلوته الا ما عقل منها وهذا
لو نقل من غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد اجمعت العلماء على انه ليس
للعبد من صلوته الا ما عقل منها فجعله اجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين و
عن علماء الآخرة اكثر من ان يحصى والحق الرجوع الى ادلة الشرع والاخبار والآثار الظاهرة
في هذا الشرط الا ان مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقيد بقدر قصور الخلق فلا يمكن ان يشرط
على الناس احضار القلب في جميع الصلوة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يمكن اشتراط
الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة و
اولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال
الغافل في جميع صلوته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب
لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلوته باطلة عند الله ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى
قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى ان يكون حاله اشد من حال التارك وكيف لا والذي
يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالا من الذي يعرض عن الخدمة
اذا تعارض اسباب الخوف والرجاء وصار الامر مخطرا في نفسه فاليك الخيرة بعده في الاحتياط و
التساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك ضرورة
الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلوة علم ان الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا في الفرق
بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد ان قصور الخلق احد الاسباب المانعة عن التصريح
بكل ما ينكشف من اسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد الطالب
لطريق الآخرة واما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن وحاصل الكلام ان حضور
القلب هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان فيه هلاك
وبقدر الزيادة عليه ينبسط الروح في اجزاء الصلوة فكم من حي لا حراك به قريب من ميت فصلوة
الغافل في جميعها الا عند التكبير حي لا حراك به

بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حيوة الصلوة

اعلم ان هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم اسبابها ثم العلاج في اكتسابها **اما التفاصيل** فالاول حضور القلب ونعني به ان يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام امر آخر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي اردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه اذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في اثناء صلوته ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم امورا تلك الامور تمنع من الفحشاء لا محالة واما التعظيم فهو امر وراء حضور القلب والفهم اذ الرجل يخاطب عبده بكلام وهو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم زائد عليهما واما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشأه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الاسباب الخسيسة لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة فالهيبة خوف مصدره الاجلال واما الرجاء فلا شك في انه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه اذ يخاف سطوته ولكن لا يرجو مبرته والعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلوته ثواب الله كما انه يخاف بتقصيره عقاب الله واما الحياء فهو زائد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب فيتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب **واما اسباب** هذه المعاني الستة فاعلم ان حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شاء ام ابى فهو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلوة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا فيما الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلوة والهمة لا تنصرف اليها ما لم يتبين ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الآخرة خير وابقى وان الصلوة وسيلة اليها فاذا اضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعهما حضور القلب في الصلوة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك اذا حضرت بين يدي بعض الاكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن ان له سببا سوى ضعف الايمان فاجتهد الآن في تقوية الايمان وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع واما التفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها اعني النزوع عن تلك الاسباب التي تجذب الخواطر اليها وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن احب شيئا اكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى ان من احب غير الله لا تصفو له صلوة عن الخواطر واما

التعظيم فهو حالة للقلب تتولد من معرفتين احداهما معرفة جلال الله وعظمته وهو من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم وما لم يمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب لا ينتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره الآمن على نفسه بان لا يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لان القرينة الاخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن اليها واما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الانبياء والاولياء من المصائب وانواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الارض وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة وسنأتي اسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات واما الرجاء فسببه معرفة لطف الله تع وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلوة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعها الرجاء لا محالة واما الحياء فباستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بتعظيم حق الله تع ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل في جميع افعالها مع العلم بعظم ما يقتضيه جلال الله والعلم بانه مطلع على السريرة وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه اسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه احضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الاسباب الايمان واليقين واعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضر وقت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وقد روي ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى اذا ذكرتني فاذكرني وانت تنتفض اعضاؤك وكن عند ذكري خاشعا مطمئنا واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق وروي انه اوحي اليه قل لعصاة امتك لا تذكروني فاني آليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته فاذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم الناس الى غافل يتم صلوته ولم يحضر قلبه في لحظة والى من يتم ولم يغب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم به بحيث لا يحس بما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط اسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ووجيب قلب ابرهيم كان يسمع على ميلين وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم فكل ذلك غير مستبعد فان اضعافه مشاهدة في همم الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع ضعفهم

وعجزهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد منهم على ملك ووزير ويحدثه بمهمه و يخرج ولو سئل عن حواليه او عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار عنه لاشتغال همه عن ثوبه والحاضرين حوله ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلوته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موضع نظر الله القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيمة على مثال هيئاتهم في الصلوة من الطمانينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الاخرة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم

بيان الدواء النافع في حضور القلب

اعلم ان المومن لا بد وان يكون معظما لله وخائفا منه وراجيا له ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلوة ولا يلهي عن الصلوة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء الا بدفع سببه فلتعلم سببه وسبب موارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا اما الخارج فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تجر منه الفكر الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافكار ثم يصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت رتبته وعلت همته لم يلهه ما يجري على حواسه ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق به فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره او يصلي في بيت مظلم او لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من حائط عند صلوته حتى لا يتسع مسافة بصره ويحترز من الصلوة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون ذلك اجمع للهم والاقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم وكان ابن عمر لا يدع في موضع الصلوة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه واما الاسباب الباطنة فهي اشد فان من تشعبت به الهموم في اودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهرا الى فهم ما يقراه في الصلوة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الاخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله سبحانه وتعالى وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلوة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره قال النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان بن شيبة اني نسيت ان اقول لك تخمر القدر الذي في البيت فانه لا ينبغي ان يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلوتهم فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا يسكن هائج افكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الداء من اعماق العروق وهو ان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شك في انها تعود الى مهماته وانها انما صارت مهمة بشهواته فليعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق وكل ما يشغله عن صلوته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه فامساكه اضر عليه من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه كما روي انه صلى الله عليه وسلم لما لبس الخميصة

التي اتاه بها ابو جهم وعليها علم وصلى فيها فنزعها بعد صلوته وقال اذهبوا بها الى ابي جهم فانها الهتني انفا عن صلوتي وائتوني بانبجانية ابي جهم وامر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه في الصلوة اذ كان جديدا فامر ان ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان عليه السلام قد احتذى نعلا فاعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي كيلا يمقتني ثم خرج بها فدفعها الى اول سائل لقيه ثم امر عليا رضي الله عنه ان يشتري له نعلين سبتيتين جرداوين وكان في يده خاتم ذهب قبل التحريم فكان على المنبر فرماه وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وروي ان طلحة صلى في حائط له فيه شجر فاعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت وعن رجل اخر انه صلى في حائط والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليها فاعجبته فلم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه وقال هو صدقة فاجعله في سبيل الله فباعه عثمان بخمسين الفا وكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلوة وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يغني غيره واما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل الا حواشي القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وينقضي جميع صلوتك في شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة هي في يده ويعود الى فكره فتعود العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السواني ولا ينقطع فان اردت الخلاص فاقلع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا استعلت وتفرقت اغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما ذب آب ولاجله سمي ذبابا فكذا الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها اصل واحد وهو حب الدنيا وهو راس كل خطيئة واساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شيء منها لا ليتزود منها ويستعين بها على الاخرة فلا تطمعن في ان تصفو له لذة المناجاة في الصلوة فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة اليه همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلوة وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو الدواء ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدثون نفوسهم فيها بامور الدنيا فعجزوا وذلك لا مطمع فيه لامثالنا وليته سلم لنا من الصلوة شطرها او ثلثها من الوساوس لنكون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الاخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح مملوء بخل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج الخل لا محالة ولا يجتمعان

بيان تفصيل ما ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من اعمال الصلوة

فنقول حقك ان كنت من المريدين للاخرة ان لا تغفل اولا عن التنبيهات التي في شروط الصلوة واركانها اما الشروط والسوابق

فهي الاذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية فاذا سمعت
نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيمة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة
فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا
النداء فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه ياتيك النداء
بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحنا يا بلال اي ارحنا بها وبالنداء اليها
اذ كان قرة عينه فيها واما الطهارة فاذا اتيت بها في مكانك وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك
وهو غلافك الاقرب ثم في بشرتك وهي قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك
فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهر بها باطنك
فانه موقع نظر معبودك واما ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن ابصار الخلق
فان ظاهر بدنك موضع نظر الخلق فما رايك في عورات باطنك وفضائح سرك الذي لا يطلع عليه الا
ربك فاحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر عن عين الله ساتر و
انما يكفرها الندم والحياء والخوف واما استقبال القبلة فهو صرف لظاهر وجهك فتستفيد
باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما فتذل به نفسك ويستكين تحت
الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا
راسه من الحياء والخوف واما استقبال القبلة فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات
الى جهة بيت الله افترى ان صرف القلب من سائر الامور الى امر الله ليس مطلوبا منك هيهات
فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات
في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها الى جهاتها
استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انه
كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله الا بالتفرغ عما
سوى الله وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قام العبد الى صلوته وكان هواه ووجهه وقلبه الى الله
انصرف كيوم ولدته امه واما القيام فانما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله فليكن
راسك الذي هو ارفع اعضائك مطرقا متطاطئا مستكينا وليكن وضع الراس عن ارتفاعه
تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا
خطر المقام بين يدي الله تع في هول المطلع عند التعرض للسؤال واعلم في الحال انك قائم بين
يدي الله تع وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض الملوك من ملوك الزمان ان كنت
تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلوتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من
رجل صالح من اهلك او ممن ترغب في ان يعرفك بالصلاح فانه تهدا عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك
ويسكن جميع اجزائك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع واذا احسست
من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل انك تدعين معرفة الله
وحبه افلا تستحيين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده او تخشين الناس ولا تخشاه وهو

احق ان يخشى ولذلك لما قال ابو هريرة كيف الحياء من الله قال صلى الله عليه وسلم تستحيي منه كما تستحيي
من الرجل الصالح من اهلك واما النية فاعزم على اجابة الله في امتثال امره بالصلوة واتمامها
والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله تع رجاء لثوابه وخوفا من عقابه
وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة باذنه اياك في المناجاة مع سوء ادبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك
قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي ان يعرق جبينك من الخجلة
وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف واما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغي ان
لا يكذبه قلبك وان كان في قلبك شيء هو اكبر من الله تع فالله يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقا
كما شهد على المنافقين في قولهم انه صلى الله عليه وسلم رسول الله فان كان هواك اغلب عليك من امر الله
وانت اطوع له منك لله فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان يكون قولك الله اكبر كلاما باللسان
المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن
الظن بكرم الله وعفوه واما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك وجهت وجهي للذي
فطر السموات والارض وليس المراد بالوجه وجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه
وتعالى يتقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذي تتوجه
به الى فاطر السموات فانظر اليه امتوجه الى امانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات او
مقبل على فاطر السموات واياك ان يكون اول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن
ينصرف الوجه الى الله الا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام
ليكون قولك في الحال صادقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي ان يخطر ببالك ان المسلم هو الذي
سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال
وتندم على ما سبق من الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفي فان
قوله تع فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يقصد بعبادته
وجه الله وحمد الناس وكن متقيا من هذا الشرك واستشعر الخجلة في قلبك ان وصفت نفسك
بانك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه
واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان
صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحيوة ورهبته من الموت لامور الدنيا
لم يكن ملائما للحال واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد لصرف
قلبك عن الله حسدا لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها
ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله لا بمجرد قولك وان من قصده
سبع او عدو ليفترسه او يقتله فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه ان
ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه الا تبدل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان
ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر
الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ قال تع فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله حصني

والمتخصص به من لا معبود له سوى الله فاما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن
الله واعلم ان من مكايده ان يشغلك في الصلوة بفكر الاخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن
فهم ما تقرا فاعلم ان كل ما شغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة
بل المقصود معانيها واما القراءة فالناس فيها ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل
يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه كانه يسمعه من غيره وهو درجة اصحاب اليمين ورجل
يسبق قلبه الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب
او يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب وتفصيل
ترجمة المعاني انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانوبه التبرك لابتداء القراءة لكلام الله وافهم
ان معناه ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم هٰهنا هو المسمى واذا كانت الامور بالله تعالى فلا
جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله تع اذ النعم من الله تع ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد غير الله
بشكر لا من حيث انه مسخر من الله ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن
الرحيم فاحضر في قلبك انواع لطفه ليتضح لك رحمته فينبعث به رجاوك ثم استثر من قلبك التعظيم
والخوف بقولك مالك يوم الدين اما العظمة فلانه لا ملك الا له واما الخوف فلهول يوم الجزاء
والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد واياك نستعين وجدد الاحتياج والعجز
والتبري عن الحول والقوة بقولك اياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان
له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت
من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت عن التعويض بقولك بسم الله وعن التحميد وعن
اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سوالك ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط
المستقيم الذي يسوقنا الى جوارك ويفضي بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتاكيدا و
استشهادا بالذين افاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون
الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الاستجابة وقل
امين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فتشبه ان تكون ممن قال الله تع فيهم قسمت الصلوة بيني وبين عبدي
نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله حمدني عبدي
واثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الى اخره فان لم يكن لك من صلوتك حظ سوى
ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف بما ترجو من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي
ان تفهم ما تقراه من السورة كما سياتي في كتاب تلاوة القرآن ولا تغفل عن امره ونهيه ووعده ووعيده
ومواعظه واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه فلكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق
الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار
حق اخبار الانبياء عليهم السلام وروي ان زرارة بن ابي اوفى انتهى الى قوله تع فاذا نقر في الناقور
فخر ميتا وكان ابرهيم اذا سمع قوله اذا السماء انشقت اضطرب حتى تضطرب اوصاله وقال
عبد الله بن واقد رايت ابن عمر يصلي مغلوبا وحق له ان يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فانه

عبد ذليل مذنب بين يدي جبار قاهر وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم
وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلوة مفتاح القلوب فيها ينكشف اسرار الكلمات فهذا حق
القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات ايضا ثم يراعي الهيئة في القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك ايسر للتامل
ويفرق بين نغماته في اية الرحمة واية العذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم كان النخعي رحمه الله اذا مر بمثل
قوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله يغض صوته كالمستحيي عن ان يذكره بكل شيء ويروى انه يقال لصاحب
القرآن اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا واما دوام القيام فهو تنبيه على اقامة القلب مع الله تع على
نعت واحد من الحضور وقال صلى الله عليه وسلم ان الله مقبل على المصلي ما لم يلتفت وكما يجب حراسة الراس
والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك يجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلوة فان التفت الى غيره
فذكره باطلاع الله عليك وقبح التهاون بالمناجاة عند غفلة المناجي ليعود اليه والزم الخشوع القلب
فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله
عليه وسلم وقد راى مصليا يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعي و
لهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكان الصديق رضي الله عنه في صلوته
كانه وتد وابن الزبير كانه عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كانه جماد
وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من ابناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند
من يعرف ملك الملوك ومن يطمئن بين يدي غير الله خاشعا ويضطرب اطرافه بين يدي الله فذلك لقصور
معرفته عن جلال الله وعن اطلاعه على سره وضميره وقال عكرمة رضي الله عنه في قوله تع الذي يراك حين تقوم
وتقلبك في الساجدين قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه واما الركوع والسجود فينبغي ان تجدد
ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيرا بعفو الله من عقابه ومتبعا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثم تستانف
له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك
واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة
وانه اعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع عن ركوعك راجيا انه راحم لذلك
وموكدا للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اي اجاب الله لمن شكره ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد
فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء السموات والارض ثم تهوي الى السجود وهو اعلى درجات
الاستكانة فتمكن اعز اعضائك وهو الوجه من اذل الاشياء وهو التراب وان امكنك ان لا تجعل بينهما حائلا
فتسجد على الارض فافعل فانه اجلب للخشوع والخضوع وادل على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل
فاعلم انك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى اصله فانك من التراب خلقت واليه رددت فعند هذا
جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي الاعلى واكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الاثار فاذا
رق قلبك وظهر ذلك فليصدق رجاوك في رحمة ربك فان رحمته تتسارع الى الضعيف والذليل
لا الى المتكبر والبطر فارفع راسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم او ما اردت
من الدعاء ثم اكد التواضع بالتكرار فعد الى السجود ثانيا كذلك واما التشهد فاذا جلست له
فاجلس متادبا وصرح بان جميع ما يدلى به من الصلوات والطيبات الى الاخلاق الطاهرة لله وكذا الملك

تعالى وهو معنى التحيات واحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل السلام عليك ايها النبي
وليصدق املك في انه يبلغه ويرد عليك ما هو اوفى منه ثم سلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين
وتامل ان يرد الله عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له بالوحدانية ولمحمد صلى الله
عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله باعادة كلمتي الشهادة ومستانفا للتحصن به ثم ادع في اخر صلوتك
بالدعاء الماثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالاجابة واشرك في دعائك
ابويك وسائر المومنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلوة به واستشعر
شكر الله على توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهم انك مودع لصلوتك هذه وانك ربما لا تعيش لمثلها
قال صلى الله عليه وسلم صل صلوة مودع ثم اشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلوة وخف
ان لا تقبل صلوتك وان تكون ممقوتا بذنب ظاهر او باطن فترد صلوتك في وجهك وترجو مع ذلك ان
يقبلها بفضله وكرمه. كان يحيى بن وثاب اذا صلى مكث ما شاء الله يعرف كابة الصلوة وكان ابرهيم يمكث
بعد الصلوة ساعة كانه مريض هذا تفصيل صلوة الخاشعين الذين هم على صلوتهم يحافظون والذين هم
على صلوتهم دائمون والذين هم يناجون الله تعالى على قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض الانسان نفسه
على هذه الصلوة فبالقدر الذي تيسر له منها ينبغي ان يفرح وعلى ما يفوته ينبغي ان يتحسر وفي مداومة
ذلك ينبغي ان يجتهد واما صلوة الغافلين فانها مخطرة الا ان يتغمدهم الله تعالى برحمته والرحمة
واسعة والكرم فايض فنسال الله تعالى ان يتغمدنا برحمته ويغمرنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا الا الاعتراف
بالعجز عن القيام بطاعته واعلم ان تخليص الصلوة عن الافات واخلاصها لوجه الله واداءها بالشروط
الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول انوار في القلب تكون تلك الانوار مفاتيح
علوم المكاشفة فاولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والارض واسرار الربوبية انما يكاشفون في
الصلوة لا سيما في السجود اذ يتقرب العبد بالسجود ولذلك قال تعالى واسجد واقترب ويكون مكاشفة كل
مصل على قدر صفائه عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء
والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه وينكشف لبعضهم الشيء بمثال كما لو كوشف لبعضهم الدنيا
في صورة جيفة والشيطان في صورة كلب جاثم عليها يدعو اليها ويختلف ايضا بما فيه المكاشفة فبعضهم
ينكشف له من صفات الله وجلاله ولبعضهم من افعاله ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة ويكون
لتعيين تلك المعاني في كل وقت اسباب خفية لا تحصى واشدها مناسبة الهمة فانها اذا كانت مصروفة
الى شيء معين كان ذلك اولى بالانكشاف ولما كانت هذه الامور لا تترائى الا في المرايا الصقيلة وكانت
المرايا كلها صدية فاحتجب عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث متراكم على مصب الهداية
تسارعت الالسنة الى انكار مثل ذلك اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل لانكر
امكان وجود انسان في متسع الهواء ولو كان للطفل تمييز ما ربما انكر ما يزعم العقلاء ادراكه من
ملكوت السموات والارض وهكذا الانسان في كل طور يكاد ينكر ما بعده ومن انكر طور الولاية لزمه ان
ينكر طور النبوة وقد خلق اطوارا فلا ينبغي ان ينكر كل واحد ما وراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة
والمباحث المشوشة ولم يطلبوها من تصفية القلب عما سوى الله تعالى فقدوه فانكروه ومن لم يكن من

اهل المكاشفة فلا اقل من ان يؤمن بالغيب ويصدق به الى ان يشاهد بالتجربة ففي الخبر ان العبد اذا
قام في الصلوة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه
الى الهواء يصلون بصلوته ويؤمنون على دعائه وان المصلي لينثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق
راسه وينادي مناد لو علم المصلي من يناجي ما التفت وان ابواب السماء تفتح للمصلين وان الله تعالى
يباهي ملائكته بصدق المصلي ففتح ابواب السماء ومواجهة الله اياه بوجهه كناية عن الكشف الذي ذكرناه
وفي التورية مكتوب يا ابن آدم لا تعجز ان تقوم بين يدي باكيا فانا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب
رايت نوري قال الراوي فكنا نرى ان تلك الرقة والبكاء والفتوح الذي يجده المصلي في قلبه من دنو الرب
تعالى من القلب واذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له الا الدنو بالهداية والرحمة وكشف
الحجاب ويقال ان العبد اذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف منهم
عشرة آلاف وباهى الله تعالى به مائة الف ملك وذلك ان العبد قد جمع في صلوته بين القيام والقعود
والركوع والسجود وقد فرق ذلك على اربعين الف ملك فالقائمون لا يركعون الى يوم القيمة والساجدون
لا يرفعون الى يوم القيمة وهكذا الراكعون والقاعدون فان ما رزق الله تعالى الملائكة من القرب والرتبة لازم
لهم مستمر على حالة واحدة لا يزيد ولا ينقص ولذلك اخبر الله عنهم انهم قالوا وما منا الا له مقام معلوم وفارق
الانسان الملائكة في الترقي من درجة الى درجات فانه لا يزال يتقرب الى الله تعالى فيستفيد مزيدا
وباب المزيد مسدود عليهم وليس لكل واحد الا رتبته التي هي وقف عليه وعبادته التي هو مشغول بها لا
ينتقل الى غيرها ولا يفتر عنها ولا يستحسرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون ومفتاح مزيد الدرجات
هي الصلوات قال الله تعالى قد افلح المومنون الذين هم في صلوتهم خاشعون فمدحهم بعد الايمان
بصلوة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلوة ايضا فقال في اخرها والذين هم
على صلوتهم يحافظون ثم قال تعالى في ثمرة تلك الصفات اوليك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس فوصفهم
بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس آخرا وما عندي ان هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهي درجة
الى هذا الحد ولذلك قال الله تعالى في اضدادهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين فالمصلون هم ورثة
الفردوس وهم المشاهدون لنور الله والمتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم فنسال الله تعالى ان يجعلنا
منهم وان يعيذنا من عقوبة من تزينت اقواله وقبحت افعاله انه الكريم المنان القديم الاحسان

حكايات واخبار

في صلوة الخاشعين اعلم ان الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل
بجلال الله تعالى ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلوة وفي غير الصلوة بل في خلوته وفي بيت الماء
عند قضاء حاجته فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد
فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلوة ولذلك روي عن بعضهم انه لم يرفع راسه
الى السماء اربعين سنة حياء من الله تعالى وخشوعا له وكان الربيع بن خثيم رحمه الله من شدة غضه للبصر واطراقه
يظن بعض الناس انه اعمى وكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة فاذا راته جاريته قالت
لابن مسعود صديقك ذلك الاعمى قد جاء وكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان اذا دق الباب تخرج
الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول وبشر المخبتين اما والله لو

رآك محمد لفرح بك وفي لفظ آخر لاحبك ومشى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدادين فلما نظر الى الاكوار
تنفخ والى النيران تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند راسه الى وقت الصلوة فلم
يفق فحمله على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه الى الساعة التي صعق فيها ففاته خمس صلوات وابن مسعود
عند راسه يقول هذا والله الخوف وكان الربيع يقول ما دخلت في صلوة قط فاهمني فيها الا ما اقول
وما يقال لي وكان عامر بن عبد الله من خاشعي المصلين كان اذا صلى ضربت ابنته بالدف وتحدث النسا
في البيت بما يردن ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدث نفسك في الصلوة
بشيء قال نعم بوقوفي بين يدي الله تع ومنصرفي الى احدى الدارين قيل فهل تجد شيئا مما نجد من امور الدنيا
فقال لان تختلف الاسنة في احب الي من ان اجد في الصلوة ما تجدون وكان يقول لو كشف الغطاء ما
ازددت يقينا وقد كان مسلم بن يسار منهم ونقلنا انه لم يشعر بسقوط اسطوانة المسجد وتاكل طرف من
اطراف بعضهم واحتيج الى القطع فلم يمكن منه فقيل انه في الصلوة لا يحس بما يجري عليه فقطعت وهو في
الصلوة وقال بعضهم الصلوة من الآخرة فاذا دخلت في الصلوة خرجت من الدنيا وقيل لآخر
هل تحدث نفسك في الصلوة بشيء من الدنيا قال لا لا في الصلوة ولا في غيرها وسئل بعضهم هل تذكر في الصلوة
شيئا فقال وهل شيء احب الي من الصلوة فاذكره فيها وكان ابو الدرداء يقول من فقه الرجل ان يبدا بحاجته
قبل دخوله في الصلوة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلوة خيفة الوسواس وروي ان عمار بن
ياسر صلى صلوة فاخفها فقيل له خففت يا ابا اليقظان فقال هل رايتموني نقصت من حدودها شيئا قالوا
لا قال اني بادرت سهو الشيطان وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليصلي الصلوة
لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول انما يكتب للعبد
من صلوته ما عقل منها ويقال ان طلحة والزبير وطايفة من الصحابة كانوا اخف الناس صلوة و
قالوا نبادر بها وسوسة الشيطان وروي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ان الرجل ليشيب
عارضاه في الاسلام وما اكمل الله تع صلوة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله تع
فيها وسئل ابو العالية عن قوله تع الذين هم عن صلوتهم ساهون قال هو الذي يسهو في صلوته فلا يدري على
كم ينصرف اعلى شفع او على وتر وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلوة حتى تخرج وقيل هو
الذي ان صلاها في اول الوقت لم يفرح وان اخرها من الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها برا ولا تاخيرها اثما
واعلم ان الصلوة قد يحسب بعضها ويكتب دون بعض كما دلت الاخبار عليه وان كان الفقيه
يقول ان الصلوة في الصحة لا تتجزى ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الاحاديث و
قد ورد جبر نقصان الفرايض بالنوافل في الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تع بالفرايض نجا مني عبدي وبالنوافل
تقرب الي وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تع لا ينجو مني عبدي الا باداء ما افترضت عليه وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلوة فترك من قراءتها آية فلما انفتل قال ماذا قرات فسكت القوم فسال
ابي بن كعب فقال قرات سورة كذا وتركت آية كذا فما ادري انسخت ام رفعت فقال انت لها يا ابي ثم
اقبل على الآخرين فقال ما بال اقوام يحضرون صلوتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين ايديهم لا يدرون
ما يتلو عليهم من كتاب ربهم الا ان بني اسرائيل كذا فعلوا فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لقومك تحضروني

ابدانكم وتعطوني السنتكم وتغيبون قلوبكم عني باطل ما تذهبون وهذا يدل على ان استماع ما
يقرا الامام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم ان العبد ليسجد السجدة وعنده انه
يتقرب بها الى الله تع ولو قسمت ذنوبه في سجدته على اهل مدينته هلكوا قيل وكيف ذاك قال يكون ساجدا
عند الله وقلبه مصغ الى الهوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه فهذه صفة الخاشعين فقد دلت هذه
الحكايات والاخبار مع ما سبق على ان الاصل في الصلوة الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات
مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد والله اعلم بالصواب

الباب الرابع في الامامة والقدوة

وعلى الامام وظايف قبل الصلوة وفي القراءة وفي اركان الصلوة وبعد السلام **اما الوظايف** قبل
الصلوة فستة **اولها** ان لا يتقدم للامامة على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان النظر الى الاكثرين
فان كان الاقلون هم اهل الخير والدين فالنظر اليهم اولى وفي الحديث ثلاثة لا تجاوز صلوتهم رؤسهم
العبد الآبق وامراة زوجها ساخط عليها وامام قوم وهم له كارهون وكما ينهى عن تقدمه مع
كراهيتهم فينهى عنه ان كان وراءه من هو افقه منه واقرا منه الا اذا امتنع من هو اولى به فله
التقدم فان لم يكن شيء من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الامامة ويكره عند
ذلك المدافعة فقد قيل ان قوما تدافعوا الامامة بعد اقامة الصلوة فخسف بهم وما روي من تدافع
الامامة من الصحابة فسببه ايثارهم من راوه اولى به واحرى او خوفهم على انفسهم السهو وخطر ضمان
صلوتهم فان الايمة ضمناء وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الاخلاص في
الصلوة حياء من المقتدين لا سيما في جهره بالقراءة فكان احتراز من احترز لاسباب من هذا الجنس
الثانية اذا خير المريد بين الاذان والامامة فينبغي ان يختار الامامة فان لكل واحد فضلا
ولكن الجمع مكروه بل ينبغي ان يكون الامام غير المؤذن واذا تعذر الجمع فالامامة اولى وقال قايلون
الاذان اولى لما نقلناه في فضيلة الاذان ولقوله صلى الله عليه وسلم الامام ضامن والمؤذن مؤتمن
فقالوا فيه خطر الضمان وقال صلى الله عليه وسلم الامام امين فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا
وفي الحديث فان اتم فله ولهم وان نقص فعليه لا عليهم ولانه صلى الله عليه وسلم قال اللهم ارشد
الايمة واغفر للمؤذنين والمغفرة اولى بالطلب فان الرشد يراد للمغفرة وفي الخبر من اذن في مسجد
سبع سنين وجبت له الجنة ومن اذن اربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ولذلك نقل
من الصحابة انهم كانوا يتدافعون الامامة والصحيح ان الامامة افضل اذ واظب عليها رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما والايمة نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما ان
رتبة الامارة والخلافة افضل لقوله صلى الله عليه وسلم ليوم من سلطان عادل افضل من عبادة
سبعين سنة ولكن فيه خطر ولذلك وجب تقديم الافضل والافقه قال صلى الله عليه وسلم ايمتكم وفدكم
الى الله تع فان اردتم ان تزكو صلوتكم فقدموا خياركم وقال بعض السلف ليس بعد الانبياء
افضل من العلماء ولا بعد العلماء افضل من الايمة المصلين لان هؤلاء قاموا بين يدي الله و
بين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلوة وبهذه الحجة احتج الصحابة
في تقديم ابي بكر للخلافة اذ قالوا انظرنا فاذا الصلوة عماد الدين فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله

صلى الله عليه وسلم لدينا وما قدموا بلالا الا احتجاجا بانه رضيه للاذان وما روي انه قال رجل يا
رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة فقال كن مؤذنا فقال لا استطيع فقال عليه السلم كن اماما
قال لا استطيع قال عليه السلم صل بازاء الماموم فلعله ظن انه لا يرضى بامامته اذ الاذان اليه و
الامامة الى الجماعة وتقديمهم له ثم بعد ذلك توهم انه ربما يقدر عليه **الثالثة** ان يراعي
الامام اوقات الصلوة فيصلي في اوايلها ليدرك رضوان الله تع ففضل اول الوقت على آخره كفضل
الآخرة على الدنيا هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث ان العبد ليصلي الصلوة في
آخر وقتها ولم يفته ولما فاته من اول وقتها خير من الدنيا وما فيها ولا ينبغي ان تؤخر الصلوة لانتظا
ر كثرة الجمع بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة اول الوقت فهي افضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة و
قد قيل كانوا اذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث واذا حضر اربعة في الجنازة لم ينتظروا الخا
مس وقد تاخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلوة الفجر وكانوا في سفر وانما تاخر للطهارة فلم ينتظر و
قدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها قال فا شفقنا
من ذلك فقال عليه السلم قد احسنتم هكذا فافعلوا وقد تاخر في صلوة الظهر فقدموا ابا بكر حتى جاء وهم
في الصلوة فقام الى جانبه وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على المؤذن انتظار الامام للاقامة
فاذا حضر فلا ينتظر غيره **الرابعة** ان يؤم مخلصا لوجه الله ومؤديا امانة الله تع في طهارته
وجميع شروط صلوته اما الاخلاص فبان لا ياخذ عليها اجرة فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
عثمان بن ابي العاص الثقفي وان يتخذ مؤذنا لا ياخذ على الاذان اجرا والاذان طريق الى الصلوة فهي
اولى بان لا يؤخذ عليها اجر فان اخذ رزقا من المسجد قد وقف على من يقوم بامامته او من السلطان
او من آحاد الناس فلا نحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهة في الفرايض اشد منها في التراويح و
يكون اجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبته مصالح المساجد في اقامة الجماعة لا على نفس
الصلوة واما الامانة فهو الطهارة باطنا عن الفسوق والكباير والاصرار على الصغاير فالمترشح
للامامة ينبغي ان يحترز عن ذلك بجهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي ان يكون خير القوم وكذا
الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر في اثناء صلوته حدثا او
خرج منه ريح فلا ينبغي ان يستحيي بل ياخذ بيد من يقرب منه وليستخلفه فقد تذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الجنابة في اثناء صلوته فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلوة وقال
سفين صل خلف كل بر وفاجر الا مدمن خمر او معلن بالفسق او عاق لوالديه او صاحب بدعة
او عبد آبق **الخامسة** ان لا يكبر حتى تستوي الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان راى خللا
امر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون في المناكب ويتضامون في الكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن
من الاقامة والمؤذن يؤخر الاقامة عن الاذان بقدر استعداد الناس للصلوة ففي الخبر ليتمهل
المؤذن بين الاذان والاقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره وذلك لانه
نهي عن مدافعة الاخبثين وامر بتقديم العشاء على العشاء طلبا لفراغ القلب **السادسة**
ان يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وساير التكبيرات ولا يرفع الماموم صوته الا بقدر ما يسمع نفسه

وينوي الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلوته وصلوة القوم اذا نووا الاقتداء
ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الامامة وليؤخر تكبيره عن تكبير الامام ينبدئ
بعد فراغه **وظايف** القراءة ثلاثة **فاولها** ان يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد
ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح ولركعتي المغرب والعشاء الآخر وكذا المنفرد ويجهر
بقوله آمين في الصلوة الجهرية وكذا الماموم ويقرن الماموم تامينه بتامين الامام معا لا تعقيبا
ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاخبار فيه متعارضة واختيار الشافعي رحمه الله الجهر **الثانية**
ان يكون للامام في القيام ثلاث سكتات هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن حصين عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اولهن اذا كبر وهي الطولى منهن مقدار ما يقرا من خلفه فاتحة الكتاب وذلك
وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فانه ان لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من
صلوتهم فان لم يقرؤوا الفاتحة في سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليهم لا عليه والسكتة الثانية
اذا فرغ من الفاتحة ليتم من لم يقرا الفاتحة في السكتة الاولى فاتحته وهي نصف السكتة الاولى
السكتة الثالثة اذا فرغ من السورة قبل ان يركع وهي اخفها وذلك بقدر ما ينفصل القراءة
عن التكبير فقد نهي عن الوصل فيه ولا يقرا الماموم وراء الامام الا الفاتحة فان لم يسكت الامام
قرا الفاتحة معه والمقصر هو الامام وان لم يسمع الماموم في الجهرية لبعده او كان في السرية
فلا باس بقراءة السورة **الثالثة** ان يقرا في الصبح سورتين من المثاني ما دون المائة
فان الاطالة في قراءة الفجر والتغليس بها سنة ولا يضر الخروج منها مع الاسفار ولا باس
ان يقرا في الثانية باواخر السور نحو الثلثين او العشرين الى ان يختمها لان ذلك لا يتكرر على
الاسماع كثيرا فيكون ابلغ في الوعظ وادعى الى التفكر وانما كره بعض العلماء قراءة اول السورة
وقطعها وقد روي انه صلى الله عليه وسلم قرا في الفجر آية من البقرة وهي قوله تع قولوا آمنا بالله الآية
وفي الثانية ربنا آمنا بما انزلت وسمع صلى الله عليه وسلم بلالا يقرا من ههنا وههنا فساله
عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال عليه السلم احسنت ويقرا في الظهر بطوال
المفصل الى ثلثين آية وفي العصر بنصف ذلك وفي المغرب باواخر المفصل وآخر صلوة
صلاها رسول الله صلعم المغرب قرا فيها سورة المرسلات ما صلى بعدها الجماعة حتى قبض
وبالجملة التخفيف اولى لا سيما اذا كثر الجمع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة
اذا صلى احدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة واذا صلى
بنفسه فليطول ما شاء وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم العشاء فقرا البقرة فخرج رجل
من الصلوة واتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر
رسول الله صلعم معاذا وقال افتان انت يا معاذ اقرا سورة سبح والسماء والطارق
والشمس وضحيها **وظايف** الاركان ثلاثة **اولها** ان يخفف الركوع والسجود ولا
يزيد في التسبيحات على ثلاث قال انس ما رايت اخف صلوة من رسول الله صلعم في تمام
ثم روي ايضا انس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان اميرا بالمدينة فقال ما صليت

وراء احد اشبه بصلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب قال وكنا نسبح وراءه عشرا
عشرا وروي مجملا انهم قالوا كنا نسبح وراء رسول الله صلعم في الركوع والسجود عشرا وذلك حسن و
لكن الثلاث اذا كثر الجمع احسن فاما اذا لم يحضر الا المتجردون لله فلا بأس بالعشر هذا وجه
الجمع بين الروايات وينبغي ان يقول الامام عند رفع راسه من الركوع سمع الله لمن حمده **الثانية**
الماموم ينبغي ان لا يسابق الامام في الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوي الى السجود الا اذا وصلت جبهة
الامام الى موضع السجود هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يهوي للركوع حتى
يستوي الامام راكعا وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلوة على ثلاثة اقسام طايفة بخمس و
عشرين صلوة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد ركوع الامام وطايفة بصلوة واحدة وهم الذين
يساوقونه وطايفة بلا صلوة وهم الذين يسبقون الامام وقد اختلف في ان الامام في الركوع
هل ينتظر لحوق من دخل لينال به فضل جماعتهم وادراكهم لتلك الركعة ولعل الاولى ان ذلك مع
الاخلاص لا بأس به اذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فان حقهم مرعي في ترك التطويل عليهم
الثالثة لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص في الدعاء
نفسه بل ياتي بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لي فقد كره للامام ان يخص
نفسه ولا بأس ان يستعيذ في تشهده بالكلمات الخمس الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول
نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال
واذا اردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين وقيل سمي مسيحا لانه يمسح الارض بطولها
وقيل لانه ممسوح العين اي مطموسها **وظايف** التحليل ثلاثة **اولها** ان ينوي بالتسليمتين
السلام على القوم والملائكة **الثانية** ان يثبت عقيب السلام كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمر رضي الله عنهما فيصلي النافلة في موضع آخر فان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن
وفي الخبر المشهور انه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقعد الا قدر قوله اللهم انت السلام ومنك السلام
تباركت يا ذا الجلال والاكرام **الثالثة** اذا وثب فينبغي ان يقبل بوجهه على الناس ويكره
للماموم القيام قبل انفتال الامام فقد روي عن طلحة والزبير انهما صليا خلف امام فلما سلما
قالا للامام ما احسن صلوتك واتمها الا شيئا واحدا انك لما سلمت لم تنفتل بوجهك ثم قالا للناس
ما احسن ما صليتم الا انكم انصرفتم قبل ان ينفتل امامكم ثم ينصرف الامام حيث شاء من
يمينه وشماله واليمين احب هذه وظيفة الصلوات اما الصبح فيزيد فيها القنوت
فيقول الامام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدني ويؤمن الماموم فاذا انتهى الى قوله انك تقضي
ولا يقضى عليك فلا يليق به التامين لانه ثناء فيقرأ معه او يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين
او صدقت وبررت وما اشبه ذلك وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت فاذا صح
الحديث استحب ذلك وان كان على خلاف الدعوات في آخر التشهد اذ لا ترفع بسببها اليد
بل التعويل على التوقيف وبينهما ايضا فرق وهو ان لليد وظيفة في التشهد وهو الوضع على
الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لها ههنا فلا يبعد ان يكون رفع اليد هو الوظيفة

في القنوت فانه لايق بالدعاء والله اعلم فهذه جمل آداب القدوة والامامة

الباب الخامس في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها فضيلة الجمعة

اعلم ان هذا يوم عظم الله به الاسلام وخصص به المسلمين وقال الله تعالى اذا نودي للصلوة من
يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع حرم الاشتغال بامور الدنيا وبكل صارف عن السعي
الى الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا وقال
صلعم من ترك الجمعة ثلثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفي لفظ آخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره
واختلف رجل الى ابن عباس رضي الله عنه فساله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال
في النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يساله عن ذلك وهو يقول في النار وفي الخبر ان اهل الكتابين
اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله تعالى له واخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم اولى
الناس به سبقا واهل الكتابين لهم تبع وفي حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اتاني جبريل عليه السلم في كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا
ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير له قسم اعطاه الله
تع او ليس له قسم ذخر له ما هو اعظم منه او تعوذ من شر هو مكتوب عليه الا اعاذه الله تع من اعظم
منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك اتخذ
في الجنة واديا افيح من مسك ابيض فاذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسيه فيتجلى
لهم حتى ينظروا الى وجهه وقال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق
آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله تع يوم المزيد كذلك
تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر الى الله تع في الجنة وفي الخبر ان لله تع في كل جمعة ستمائة
الف عتيق من النار وفي حديث انس انه صلى الله عليه وسلم قال اذا سلمت الجمعة سلمت الايام
وقال صلعم ان الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا
في هذه الساعة الا يوم الجمعة فانها صلوة كلها وان جهنم لا تسعر فيه وقال كعب ان الله
تع فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة ومن الليالي ليلة القدر و
يقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا يوم الجمعة فيقول سلام سلام يوم صالح وقال
عليه السلم من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر **بيان شروط
الجمعة** اعلم انها تشارك ساير الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط الاول
الوقت فلو وقعت تسليمة الامام في وقت العصر فاتت الجمعة فعليه ان يتمها ظهرا والمسبوق
اذا وقعت ركعته الاخيرة خارجة من الوقت ففيه خلاف الثاني المكان فلا تصح في
الصحاري والبوادي وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لابنية لا تنقل يجمع اربعين ممن
تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط حضور السلطان ولا اذنه ولكن الاحب
استيذانه الثالث العدد فلا تنعقد باقل من اربعين ذكورا مكلفين احرارا مقيمين لا يظعنون
عنه شتاء ولا صيفا فان نقصوا حتى نقص العدد اما في الخطبة او في الصلوة لم تصح الجمعة بل

بل لا بد منهم من الاول الى الاخر الرابع الجماعة فلو صلى اربعون في قرية او بلد متفرقين لم
تصح جمعتهم ولكن المسبوق اذا ادرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية وان لم يدرك
ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر واذا سلم الامام تممه ظهرا الخامس ان لا تكون
الجمعة مسبوقة باخرى في ذلك البلد فان تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز في جامعين و
ثلاثة بقدر الحاجة وان لم يكن حاجة فالصحيح الجمعة التي وقع بها التحريم اولا واذا تحققت الحاجة
فالافضل الصلوة خلف الافضل من الامامين فان تساويا ففي المسجد الاقدم فان تساويا فبالقرب
الاقرب ولكثرة الناس ايضا فضل يرعى السادس الخطبتان فهما فريضتان والقيام
فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفي الاولى اربع فرايض التحميد واقله الحمد لله والثانية
الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والثالثة الوصية بتقوى الله والرابعة قراءة آية
من القرآن وكذا فرايض الثانية اربعة الا انه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واستماع الخطبة
واجب من الاربعين واما السنن فاذا زالت الشمس واذن المؤذن وجلس الامام على المنبر
انقطعت الصلوة سوى التحية والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس اذا اقبل عليهم
بوجهه ويردون عليه السلام فاذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه ولا يلتفت ويشغل يديه بقائمة
السيف او العنزة كيلا يعبث بهما او يضع احديهما على الاخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة
ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ولا يتغنى ويكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ويستحب ان يقرا
آية في الثانية ايضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فان سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب
حسن ولا يشمت العاطس ايضا هذه شروط الصحة فاما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة الا على
ذكر بالغ عاقل مسلم حر مقيم في قرية تشتمل على اربعين جامعين لهذه الصفات او في قرية من سواد البلد
يبلغها نداء البلد من طرف يليها والاصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى اذا
نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ويرخص طولا في ترك الجمعة بعذر المطر والوحل و
الفزع والمرض والتمريض اذا لم يكن للمريض قيم غيره ثم يستحب لهم تاخير الظهر الى ان يفرغ الناس من الجمعة
فان حضر الجمعة مريض او مسافر او عبد او امراة صحت جمعتهم واجزأت عن الظهر بيان
آداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر جمل الاول ان يستعد لها يوم الخميس عزما عليها
واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لانها ساعة
قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة قال بعض السلف ان لله فضلا سوى ارزاق العباد لا يعطي
من ذلك الفضل الا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة ويغسل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب ان
لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الاشغال التي تمنعه من البكور الى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة
فان له فضلا ولكن مضموما الى يوم الخميس او السبت لا مفردا فانه مكروه ويشتغل باحياء هذه الليلة
بالصلوة وختم القرآن فلها فضل كثير ويستحب عليها فضل يوم الجمعة ويجامع اهله في هذه
الليلة او في يوم الجمعة فقد استحب ذلك قوم وحملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله من بكر وابتكر
وغسل واغتسل وهو حمل الاهل على الغسل وقيل معناه غسل ثيابه وروي بالتخفيف واغتسل

جسده وبهذا يتم ادب الاستقبال ويخرج عن زمرة الغافلين الذين اذا اصبحوا قالوا ما هذا اليوم
قال بعض السلف اوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها وراعاها من الامس واخسهم
نصيبا من اصبح فيقول ايش اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لاجلها الثاني
اذا اصبح ابتدا بالغسل بعد طلوع الفجر فان كان لا يبكر فاقربه الى الرواح ليكون اقرب عهدا
الى النظافة والغسل مستحب استحبابا موكدا وقد ذهب بعض العلماء الى وجوبه قال صلعم
غسل الجمعة واجب على كل محتلم والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر من اتى الجمعة فليغتسل وقال
صلى الله عليه وسلم من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا وكان اهل المدينة يتسابون بينهم
فيقولون لانت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقال عمر لعثمان رضي الله عنهما وهو يخطب اهذه
الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال ما زدت بعد ان سمعت الاذان على ان توضأت وخرجت فقال
والوضوء ايضا وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يامر بالغسل وقد عرف جواز ترك الغسل
بوضوء عثمان رضي الله عنه وبما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من توضا يوم الجمعة فبها و
نعمت ومن اغتسل فالغسل افضل ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرة اخرى على نية غسل
الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزاه وحصل له الفضل اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة
وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال اللجمعة فقال لا بل من جنابة فقال اعد غسلا ثانيا
وروى الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم وانما امره به لانه لم يكن نواه وكان لا يبعد ان يقال
المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا ينقدح في الوضوء ايضا وقد جعل في
الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم احدث توضا ولم يبطل غسله والاحب ان يحترز
عن ذلك الثالث الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي في ثلثة الكسوة والنظافة و
تطييب الرائحة اما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب و
سائر ما سبق في كتاب الطهارة قال ابن مسعود رضي الله عنه من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج
الله منه داء وادخل فيه شفاء فان كان قد دخل الحمام في الخميس او الاربعاء فقد حصل المقصود و
ليتطيب في هذا اليوم باطيب طيب عنده ليغلب بها الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والراحة
الى مشام الحاضرين في جواره واحب طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر
لونه وخفي ريحه روي ذلك في الاثر وقال الشافعي رضي الله عنه من نظف ثوبه قل همه ومن طاب
ريحه زاد عقله واما الكسوة فاحبها البيض من الثياب اذ احب الثياب الى الله تعالى البيض
ولا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر اليه لانه بدعة
محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامة مستحبة في هذا اليوم روى واثلة بن الاسقع
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى وملائكته يصلون على اصحاب العمائم يوم الجمعة فان اكربه
الحر فلا باس بنزعها قبل الصلوة وبعدها ولكن لا ينزع في وقت السعي من المنزل الى الجمعة وفي
وقت الصلوة وعند صعود الامام المنبر وفي خطبته الرابع البكور ويستحب ان
يقصد الجامع من فرسخين وثلاثة وليبكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم

وينبغي ان يكون في سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد الى الصلوة قاصدا
للمبادرة الى جواب نداء الله تع اياه الى الجمعة والمسارعة الى مغفرته ورضوانه وقد قال
صلى الله عليه وسلم من راح الى الجمعة في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية
فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة الرابعة
فكانما اهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما اهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت
الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملايكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما
جاء لحق الصلوة ليس له من الفضل شيء والساعة الاولى من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والثانية
الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حين ترمض الاقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الاعلى
الى الزوال وفضلها قليل ووقت الزوال حق الصلوة ولا فضل فيه وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث
لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا الابل في طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة قال
احمد بن حنبل افضلهن الغدو الى الجمعة وفي الخبر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملايكة على ابواب المسجد
بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وجاء في الاثر ان
الملايكة يتفقدون العبد اذا تاخر عن وقته يوم الجمعة فيسال بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان
وما الذي اخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره فقر فاغنه وان كان اخره مرض فاشفه
وان كان اخره شغل ففرغه لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك وكان يرى في
القرن الاول سحرا وبعد الفجر الطرقات مملوة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها الى
الجامع كايام العيد حتى اندرس ذلك فقيل اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجامع
وكيف لا يستحيي المومنون من اليهود والنصارى وهم يبكرون الى البيع والكنايس يوم السبت
والاحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون الى رحاب الجوامع للبيع والشرا والربح فلم لا يسابقهم طلاب
الاخرة ويقال ان الناس يكونون في قربهم عند النظر الى وجه الله تع على قدر بكورهم الى الجمعة
ودخل ابن مسعود رضي الله عنه في الجامع بكرة فراى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك
وجعل يعاتب نفسه رابع اربعة وما رابع اربعة ببعيد الخامس في هيئة الدخول
فينبغي ان لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين ايديهم والبكور يسهل عليه ذلك فقد ورد وعيد
شديد في تخطي الرقاب وهو انه يجعل جسرا يوم القيمة يتخطاه الناس وروى ابن جريج مرسلا ان
النبي صلى الله عليه وسلم بينا هو يخطب يوم الجمعة اذ راى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم
فجلس فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلوته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك
ان تجمع اليوم معنا فقال يا نبي الله قد جمعت فقال الم اراك تتخطى رقاب الناس اشار الى انه احبط
عمله وفي حديث مسند انه قال صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تصلي معنا فقال اولم ترني فقال
رايتك تانيت واذيت اي تاخرت عن البكور واذيت الحضور ومهما كان الصف الاول متروكا خاليا
فله ان يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن تخطوا رقاب
الناس الذين يقعدون على ابواب الجامع يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم واذا لم يكن في المسجد الا من يصلي فينبغي

ان لا يسلم فانه تكليف جواب في غير محله السادس ان لا يمر بين يدي الناس ويجلس حيث هو الى قرب
اسطوانة او حايط حتى لا يمرون بين يديه اعني بين يدي المصلي وقال لان يكون الرجل رمادا او مدرا تذروه الرياح
خير له من ان يمر بين يدي المصلي وروى في حديث آخر بين المار والمصلي حيث صلى على الطريق او قصر في
الدفع فقال لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان ان يقف اربعين سنة خير
له من ان يمر بين يديه والاسطوانة والحايط والمصلى المفروش حد المصلي فمن اجتاز به فينبغي ان يدفعه
قال صلى الله عليه وسلم ليدفعه فان ابى فليدفعه فان ابى فليقاتله فانه شيطان وكان ابو سعيد
الخدري يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه مروان فيخبره ان النبي
صلى الله عليه وسلم امره بذلك فان لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيئا طوله قدر الذراع ليكون ذلك
علامة لحده السابع ان يطلب الصف الاول فان فضله كثير كما رويناه وفي الخبر من غسل واغتسل
وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان له كفارة لما بين الجمعة الى الجمعة وزيادة ثلاثة ايام وفي لفظ آخر غفر الله
له الى الجمعة الاخرى وقد اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس ولا يغفل في طلب الصف الاول عن ثلثة
امور اولها انه ان كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام او غيره او
صلوة في سلاح كثير ثقيل شاغل او سلاح مذهب او غير ذلك مما يجب الانكار عليه فالتاخر له اسلم
واجمع للهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحارث نراك تبكر وتصلي في آخر الصفوف
قال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد واشار به الى ان ذلك اسلم لقلبه ونظر سفين الثوري الى
شعيب بن حرب عند المنبر يستمع الى الخطبة من ابي جعفر فلما فرغ من الصلوة قال شغل قلبي قربك من هذا هل
امنت ان تسمع كلاما يجب عليك انكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما احدثوا من لبس السواد قال يا ابا عبد الله اليس في
الخبر ادن فاستمع فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فاما هولاء فكلما بعدت عنهم ولم
تنظر اليهم كان اقرب الى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر صليت الى جنب ابي الدرداء فجعل يتاخر في
الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا قلت له اليس يقال خير الصفوف اولها فقال نعم الا ان
هذه امة مرحومة منظور اليها من بين الامم فان الله تع اذا نظر الى عبد في الصلوة غفر لمن وراءه من
الناس فانما تاخرت رجاء ان يغفر لي بواحد منهم ينظر الله اليه وروى بعض الرواة انه قال سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم قال ذلك فمن تاخر على هذه النية ايثارا واظهارا لحسن الخلق فلا باس وعند هذا يقال
الاعمال بالنيات ثانيها انه ان لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين فالصف
الاول محبوب والا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة كان الحسن وبكر المزني لا يصليان في
المقصورة ورايا انها حجرت للسلاطين وهي بدعة احدثت بعد رسول الله صلعم في المساجد والمسجد
مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلى انس بن مالك وعمران بن الحصين في المقصورة ولم
يكرهوا ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع فاما مجرد المقصورة اذا لم
يكن منع لا يوجب كراهية ثالثها ان المنبر يقطع بعض الصفوف وانما الصف الاول الواحد المتصل
الذي في فناء المنبر وما على طرفيه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الاول هو الخارج بين يدي
المنبر وهو متجه لانه متصل ولان الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع ولا يبعد ان يقال الاقرب

الى القبلة هو الصف الاول ولا ابرعي هذا المعنى وتكره الصلوة في الاسواق والرحاب الخارجة من المسجد
وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب الثاني ان يقطع الصلوة عند خروج
الامام ويقطع الكلام ايضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام
بسجود عند قيام المؤذنين ولا يثبت له اصل في اثر وخبر لكنه ان وافق سجوده سجود تلاوة فلا باس
ان يعدّ الدعاء لانه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فانه لا سبب لتحريمه وقد روي عن علي وعثمان
رضي الله عنهما انهما قالا من استمع وانصت فله اجران ومن لم يستمع وانصت فله اجر ومن سمع ولغا فعليه
وزر واحد ومن لم يستمع ولغا فعليه وزران وقال صلى الله عليه وسلم من قال لصاحبه والامام
يخطب انصت او صه فقد لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له وهذا يدل على ان الاسكات ينبغي
ان يكون باشارة او رمي حصاة لا بالنطق وفي حديث ابي ذر لما سال ابيّا والنبي صلى الله عليه وسلم
يخطب فقال متى انزلت هذه السورة فاومى اليه ان اسكت فلما نزل صلى الله عليه وسلم قال له اذهب
فلا جمعة لك فشكاه ابو ذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صدق ابيّ وان كان بعيدا من الامام
فلا ينبغي ان يتكلم في العلم وغيره بل يسكت لان ذلك يتسلسل ويفضي الى هيمنة تنتهي الى المستمعين
ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب واذا كان يكره
الصلوة في وقت خطبة الامام فالكلام اولى قال علي رضي الله عنه تكره الصلوة في اربع ساعات بعد
الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلوة والامام يخطب الثالث ان يراعي في قدوة
الجمعة ما ذكرناه في غيرها فاذا سمع قراءة الامام لم يقرا سوى الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرا الحمد
سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا فقد روي عن بعض
السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب ان يقول
بعد صلوة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدي يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني بحلالك عن حرامك
وبفضلك عمن سواك فيقال من داوم على هذا الدعاء اغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب
ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات روى ابن عمر انه عليه السلم انه كان يصلي بعد الجمعة ركعتين و
روى ابو هريرة اربعا وروى علي وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ستا والكل صحيح في احوال مختلفة و
الاكمل افضل الرابع ان يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان وقف الى المغرب فهو الافضل
يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب عمرة فان لم يامن التصنع و
دخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه او خاف الخوض فيما لا يعنيه فالافضل ان يرجع الى منزله
ذاكرا لله تع مفكرا في آلائه شاكرا على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب
الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي ان يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث
الدنيا قال صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم امر دنياهم ليس
لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم **بيان الآداب والسنن** الخارجة عن الترتيب الذي يعم
جميع النهار وهي سبعة **الاول** ان يحضر مجالس العلم بكرة او بعد العصر ولا يحضر
مجالس القصاص فلا خير في كلامهم ولا ينبغي ان يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات و

الدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو في خير ولا ينبغي ان يحضر الحلق قبل الصلوة روى
عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلوة الا ان يكون عالما بالله
تع يذكر بايام الله تع ويفقه في دين الله تع يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين
التبكير وبين الاستماع للعلم واستماع العلم النافع في الآخرة افضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى ابو ذر
ان حضور مجلس علم افضل من صلوة الف ركعة قال انس بن مالك رضي الله عنه في قوله تع فاذا قضيت الصلوة
فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اما انه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة
اخ في الله تع وقد سمى الله تع العلم فضلا في مواضع قال تع وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال
تع ولقد آتينا داود منا فضلا يعني العلم فتعليم العلم في هذا اليوم وتعلمه من افضل القربات والصلوة افضل من
مجالس القصاص اذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع حضر ابن عمر الى مجلسه في المسجد فاذا
قاص يقص في موضعه فقال قم عن مجلسي فقال لا اقوم وقد سبقتك وجلست اليه فارسل ابن عمر الى
صاحب الشرطة فاقامه ولو كان ذلك من السنة لما حل اقامته فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقيمن احدكم
اخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى
يعود اليه وروي ان قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضي الله عنها فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد
آذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده الثاني ان يكون
حسن المراقبة للساعة الشريفة ففي الخبر المشهور ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله تع فيها
شيئا الا اعطاه وفي خبر لا يصادفها عبد يصلي واختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل عند
الزوال وقيل مع الاذان وقيل اذا صعد الخطيب المنبر واخذ في الخطبة وقيل اذا قام الناس الى الصلوة
وقيل آخر وقت العصر اعني وقت الاختيار وقيل قبل غروب الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك
الوقت وكانت تامر خادمها تنظر الى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتاخذ في الدعاء والاستغفار الى
ان تغرب الشمس وتخبر بان تلك الساعة هي المنتظرة وتاثره عن ابيها صلى الله عليه وسلم وقال بعض
العلماء هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها وقد قيل انها تنتقل في
ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الاشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغي
ان يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من تلك
الايام فينبغي ان يكون العبد في جميع نهاره متعرضا لها باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن
وساوس الدنيا فعساه ان يحظى بشيء من تلك النفحات وقد قال كعب الاحبار انها في آخر ساعة من
يوم الجمعة وذلك عند الغروب وقال ابو هريرة كيف يكون آخر ساعة وقد سمعت النبي صلعم يقول
لا يوافقها عبد يصلي ولات حين صلوة فقال كعب الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر
الصلوة فهو في الصلوة قال بلى فقال فذاك صلوة فسكت ابو هريرة وكان كعب مائلا الى انها رحمة
من الله للقائمين بحق اليوم واوان ارسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف
مع وقت صعود الامام المنبر فليكثر الدعاء فيهما **الثالث** يستحب ان يكثر الصلوة على
رسول الله صلعم في هذا اليوم فقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له

ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلوة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك
ورسولك النبي الامي وتعقد واحدة وان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلوة تكون لك رضى ولحقه اداء
واعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه افضل ما جزيت
نبيا عن امته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا ارحم الراحمين تقول هذا سبع مرات
فقد قيل من قالها في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم وان اراد
ان يزيد اتى بالصلوات المأثورة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وشرائف
زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب
العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه و
تقر به عينه يغبطه به الاولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة
الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم اعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله اول شافع و
اول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وابلج حجته وارفع في اعلى المقربين درجته اللهم احشرنا
في زمرته واجعلنا من اهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته واوردنا حوضه واسقنا
بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين رب العالمين
وعلى الجملة كل ما اتى به من الفاظ الصلوة ولو بالمشهور في التشهد كان مصليا وينبغي ان يضيف اليه
الاستغفار فان ذلك ايضا مستحب في هذا اليوم **الرابع** قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ
سورة الكهف خاصة فقد روى ابن عباس وابو هريرة رضي الله عنهما من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة
او يوم الجمعة اعطي نورا من حيث يقرأها الى مكة وغفر له الى الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه
سبعون الف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة
الدجال ويستحب ان يختم القرآن في يوم الجمعة وليلتها ان قدر وليكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر ان
قرأ بالليل وفي ركعتي المغرب وبين الاذان والاقامة للجمعة فله فضل عظيم وكان العابدون يستحبون
ان يقرأوا يوم الجمعة قل هو الله احد الف مرة ويقال ان من قرأها في عشر ركعات او عشرين
فهو افضل من ختمه وكانوا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الف مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله و
لا اله الا الله والله اكبر الف مرة وان قرأ المسبحات الست في يوم الجمعة وليلتها فحسن وليس يروى
انه صلعم كان يقرأ سورا باعيانها الا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرأ في صلوة المغرب ليلة الجمعة قل يا
ايها الكافرون وقل هو الله احد وكان يقرأ في صلوة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة وسورة المنافقين
وروي انه كان يقرأهما في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل اتى على
الانسان **الخامس** الصلوات يستحب اذا دخل الجامع ان لا يجلس حتى يصلي اربع ركعات يقرأ فيهن
قل هو الله احد مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من فعله لم
يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له ولا يدع ركعتي التحية وان كان الامام يخطب ولكن يخفف امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك وفي حديث غريب انه صلى الله عليه وسلم سكت للداخل حتى فرغ فقال الكوفيون ان سكت
له الامام صلاهما ويستحب في هذا اليوم ان يصلي اربع ركعات باربع سور الانعام والكهف وطه ويس

فان لم يحسن قرأ يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع السور
في ليلة الجمعة ففيه فضل كثير ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة ختمه ويكثر من سورة الاخلاص
ويستحب ان يصلي صلوة التسبيح كما سيأتي في باب التطوعات كيفيتها وروي انه صلى الله عليه وسلم صلاها
في كل جمعة وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلوة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والاحسن
ان يجعل وقته الى الزوال للصلوة وبعد الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعده الى المغرب للتسبيح والاستغفار
السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تتضاعف الا على من سأل والامام يخطب
وكان يتكلم في كلام الامام وهذا مكروه قال صالح بن احمد سأل مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان
الى جنب ابي فاعطى رجل ابي قطعة ولم يعرفه ليناوله اياها فلم يأخذها منه ابي وقال ابن مسعود اذا
سأل الرجل في المسجد فقد استحق ان لا يعطى واذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره
الصدقة على سؤال الجامع الذين يتخطون رقاب الناس الا ان يسأل قائما او قاعدا في مكانه من غير تخطي
وقال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع
ركعتين يتم ركوعهما وخشوعهما ثم يقول اللهم اني اسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا
هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه وقال بعض السلف من اطعم
مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم اسألك
ان تغفر لي وترحمني وان تعافيني من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له **السابع** ان يجعل يوم الجمعة للآخرة
فيكف فيه عن جميع اشغال الدنيا ويكثر فيه الاوراد ولا يبتدي فيه السفر فقد روي ان من سافر في ليلة الجمعة
دعا عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر حرام الا اذا كانت الرفقة تفوت وكره بعض السلف شرى الماء
في المسجد من السقاء ليشربه او يسبله حتى لا يكون مبتاعا في المسجد فان البيع والشراء مكروه في المسجد
وقالوا لا بأس لو اعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب او سبل في المسجد وبالجملة ينبغي ان يزيد في الجمعة
في اوراده وانواع خيراته فان الله تعالى اذا احب عبدا استعمله في الاوقات الفاضلة بفواضل الاعمال
واذا مقته استعمله في الاوقات الفاضلة بسيء الاعمال ليكون اوجع في عقابه واشد لمقته لحرمانه
بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ويستحب في الجمعة دعوات وسيأتي ذكرها في كتاب الدعوات

الباب السادس في مسائل متفرقة تعم البلوى بها ويحتاج المريد الى معرفتها

فاما المسائل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه **مسئلة** الفعل القليل وان كان لا يبطل
الصلوة فهو مكروه الا لحاجة وذلك في دفع المار او قتل العقرب ويمكن قتله بضربة او ضربتين فاذا
صار ثلثا كثر وبطلت الصلوة وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما وكذا حاجته
الى الحك الذي يشوش عليه الخشوع كان معاذ رضي الله عنه يأخذ القملة والبراغيث في الصلوة وان
عمر رضي الله عنه كان يقتل القملة في الصلوة حتى يظهر الدم على يده وقال النخعي يأخذها ويوهنها
ولا شيء عليه ان قتلها وقال ابن المسيب يأخذها فيخدرها ثم يطرحها وقال مجاهد الاحب
الى ان يدعها الا ان تؤذيه فتشغله عن صلوته فيوهنها قدر ما لا تؤذي ثم يلقيها وهذه رخصة
والا فالكمال الاحتراز عن الفعل وان قل ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب وقال لا اعود نفسي

الصلوة ذلك فيفسد على الصلوة وقد سمعت ان الفساق يصبرون بين يدي الملوك على اذى
كثير ولا يتحركون ومهما تثاوب فلا باس ان يضع يده على فيه وهو الاولى وان عطس حمد الله في
نفسه ولم يحرك لسانه وان تجشا فينبغي ان لا يرفع راسه الى السماء وان سقط رداؤه فلا ينبغي
ان يسويه وكذا طرف عمامته وكل ذلك مكروه الا لضرورة مسئلة الصلوة في النعلين جائزة
وان كان نزع النعلين سهلا وليست الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي
معناها المداس صلى رسول الله صلعم في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال لم خلعتم قالوا رايناك خلعت
فخلعنا فقال ان جبرئيل اتاني فاخبرني ان بهما خبثا فاذا اراد احدكم المسجد فليقلب نعليه
ولينظر فيهما فان راى خبثا فليمسحه بالارض وليصل بهما وقال بعضهم الصلوة في النعلين افضل
لانه قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة فانه سالهم ليبين لهم سبب خلعه اذ علم انهم خلعوا على
موافقته وقد روى عبد الله بن السائب ان النبي صلى الله عليه وسلم خلع نعليه فاذا قد فعل كليهما
فمن خلع فينبغي ان لا يضع عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعه بين يديه ولا
يتركه وراءه فيكون قلبه متعلقا اليه ولعل من راى الصلوة فيه افضل راعى هذا المعنى وهو التفات
القلب اليه وروى ابو هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا صلى احدكم فليجعل نعليه
بين رجليه وقال ابو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعه رسول الله صلعم
على يساره وكان اماما فللامام ان يفعل ذلك اذ لا يقف احد على يساره والاولى ان لا يضعهما بين
قدميه فيشغلاه ولكن قدام قدميه ولعله المراد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه
بين قدميه بدعة مسئلة اذا بزق في صلوته لم تبطل صلوته لانه فعل قليل وما يحصل به من صوت
لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام الا انه مكروه فينبغي ان يحترز عنه الا كما اذن رسول الله صلعم
اذ روى بعض الصحابة انه صلى الله عليه وسلم راى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون
كان في يده وقال ائتوني بعبير فلطخ اثرها بزعفران ثم التفت الينا وقال ايكم يحب ان يبزق في وجهه
فقلنا لا اينا قال فان احدكم اذا دخل في صلوته فان الله عز وجل بينه وبين القبلة وفي لفظ آخر
واجهه الله تعالى فلا يبزقن احدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله او تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة
فليبصق في ثوبه وليقل به هكذا وذلك بعضه ببعض مسئلة لوقوف المقتدي سنة وفرض اما
السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا والمراة الواحدة تقف خلف الامام فان وقفت بجنب
الامام لم يضر ولكن خالفت السنة فان كان معها رجل وقف الرجل على اليمين وهي خلف الرجل ولا يقف
احد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف او يجر الى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت
صلوته مع الكراهة واما الفرض فاتصال الصف وهو ان يكون بين المقتدي والامام رابطة جامعة
فانهما في جماعة فان كانا في مسجد كفى ذلك جامعا لانه بني له فلا يحتاج الى اتصال صف بل الى ان يعرف افعال
الامام صلى ابو هريرة على ظهر المسجد بصلوة الامام واذا كان الماموم على فناء المسجد في طريق او صحراء
مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر غلوة سهم وهي رابطة اذ يصل فعل احدهما
الى الآخر وانما يشترط اذا وقف في صحن دار على يمين المسجد او يساره وبابها لافظ في المسجد فالشرط

ان

ان يمتد صف المسجد في دهليزها من غير انقطاع الى الصحن ثم تصح صلوة من في ذلك الصف ومن
خلفه دون من تقدم عليه وهكذا حكم الابنية المختلفة فاما البناء الواحد والعرصة الواحدة
كالصحراء مسئلة المسبوق اذا ادرك آخر صلوة الامام فهو اول صلوته فليوافق الامام و
ليبن عليه وليقنت في الصبح في آخر صلوة نفسه وان قنت مع الامام وان ادرك مع الامام بعض
القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالفاتحة وليخففها فان ركع الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه في
اعتداله عن الركوع فليتم فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فيسقط عنه بالسبق
وان ركع الامام وهو في السورة فليقطعها وان ادرك الامام في السجود او التشهد كبر للاحرام وجلس ولم
يكبر بخلاف ما اذا ادركه في الركوع فانه يكبر ثانيا في الهوي لان ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات
للانتقال الاصلية في الصلوة لا للعوارض بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة ما لم يطمئن في الركوع
والامام بعد في حد الراكعين فان لم يتم طمانينته الا بعد مجاوزة الامام حد الراكعين فاتته تلك الركعة
مسئلة من فاته الظهر الى وقت العصر فليصل الظهر اولا ثم العصر فان ابتدأ بالعصر اجزاه
ولكن ترك الاولى واقتحم شبهة الخلاف فان وجد اماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فان الجماعة
بالاداء اولى وان صلى منفردا في اول الوقت ثم ادرك جماعة صلى بالجماعة ونوى صلوة الوقت والله
يحتسب اكملهما فان نوى فائتة او تطوعا جاز وان كان قد صلى بالجماعة فادرك جماعة اخرى فلينو
الفائتة او النافلة فاعادة المؤداة بالجماعة مرة اخرى لا وجه له وانما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة
مسئلة من صلى ثم راى على ثوبه نجاسة فالاحب قضاء الصلوة ولا يلزمه ولو راى النجاسة في
اثناء الصلوة رمى الثوب واتم والاحب الاستيناف واصل هذا قصة خلع النعلين حيث
اخبره جبرئيل بان عليه نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم لم يستانف الصلوة مسئلة من ترك
التشهد الاول او القنوت او ترك الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشهد الاول او فعل
فعلا سهوا وكان يبطل الصلوة بعمده او شك فلم يدر اصلى ثلاثا ام اربعا اخذ باليقين وسجد
سجدتي السهو قبل السلام فان نسي فبعد السلام مهما تذكر على القرب فان سجد بعد السلام واحدث
بطلت صلوته فانه لما رغب في السجود كانه جعل سلامه نسيانا في غير محله فلم يحصل التحلل به وعاد
الى الصلوة فلذلك يستانف السلام بعد السجود وان تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد او بعد طول
الفصل فقد فات مسئلة الوسوسة في نية الصلوة سببها خلل في العقل او جهل بالشرع لان امتثال
امر الله مثل امتثال امر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت ان
انتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لاجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهي سفه في عقله بل
كما يراه ويعلم من فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه معظما الا اذا قام لشغل آخر او في غفلة واشتراط
كون الصلوة ظهرا اداء فرضا في كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه
على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو قام مدبرا عليه او صبر فقام
بعد ذلك بمدة لم يكن معظما ثم هذه الصفات لا بد وان تكون معلومة وان تكون مقصودة ثم لا يطول
حضورها في النفس في لحظة واحدة وانما يطول نظم الالفاظ الدالة عليها اما تلفظا باللسان واما

تفكرا بالقلب فمن لم يفهم نية الصلوة على هذا الوجه فكانه لم يفهم النية فليس فيها الا انك دعيت الى ان تصلي في وقت فاجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل فان هذه القصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة الآحاد في الذهن بحيث تطالعها النفس وتتاملها وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للعزوب والغفلة وان لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا فيعلمه بعلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما هي حاضرة وان لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدم والتاخر والزمان وان التقدم للعدم وان التاخر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل ان العالم بالحادث اذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط او التاخر او العدم او تقدم العدم او تاخر الوجود او الزمان المنقسم الى المتقدم والمتاخر فقال لم اعرفه قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله اني اعلم الحادث ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فان الموسوس يكلف نفسه ان يحضر في قلبه الظهرية والادائية والفرضية في حالة واحدة فيفصلها بالفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام لاجل العلم لتعذر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو ان يعلم ان امتثال امر الله تعالى في النية كامتثال امر غيره ثم ازيد عليه على سبيل التسهيل والرخصة فاقول لو لم يفهم الموسوس النية الا باحضار هذه الامور مفصلة ولم يتمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة واحضر جملة ذلك في اثناء التكبير من اوله الى آخره بحيث لم يفرغ من التكبير الا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه ان يقرن الجميع باول التكبير او آخره فان ذلك تكليف شطط ولو كان مامورا به لوقع للاولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة في النية فعدم وقوع ذلك دليل على ان الامر على التساهل فكيف ما تيسرت النية للموسوس ينبغي ان يقنع به حتى يتعود ذلك وتفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فان التحقيق يزيده في الوسوسة وقد ذكرنا في الفتاوى وجوها من التحقيق في تفصيل العلوم والقصود المتعلقة بالنية يفتقر العالم الى معرفتها فاما العامي فربما يضره سماعه ويهيج عليه الوسواس فلذلك تركناه

مسئلة لا ينبغي ان يتقدم المأموم على الامام في الركوع والسجود والرفع منهما وفي سائر الاعمال ولا ينبغي ان يساويه بل يتبعه ويقفو اثره فهذا معنى الاقتداء فان ساواه عمدا لم تبطل صلوته كما لو وقف بجنبه غير متاخر عنه وان تقدم عليه ففي بطلان صلوته خلاف ولا يبعد ان يقضى بالبطلان تشبيها بما لو تقدم في الموقف على الامام بل هذا اولى لان الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف فالتبعية في الفعل اهم وانما شرط ترك التقدم في الموقف تسهيلا للمتابعة في الفعل وتحصيلا لصورة التبعية اذ اللائق بالمقتدي ان لا يتقدم فالتقدم عليه في الفعل لا وجه له الا ان يكون سهوا ولذلك شدد النبي صلى الله عليه وسلم النكير وقال اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار واما التاخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلوة وذلك بان يعتدل الامام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التاخر الى هذا الحد مكروه فان وضع الامام جبهته على الارض وهو بعد لم ينته الى حد الراكعين بطلت صلوته وكذا ان وضع الامام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الاول

مسئلة حق على من حضر الصلوة اذا رأى من غيره اساءة في صلوته ان يغيره وينكر عليه فان صدر عن جهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الامر بتسوية الصفوف ومنع

المنفرد بالوقوف خارج الصف والانكار على من يرفع راسه قبل الامام الى غير ذلك من الامور فقد قال صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود من رأى من يسيء صلوته فلم ينهه فهو شريكه في وزرها وعن بلال بن سعد انه قال الخطيئة اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا اظهرت فلم تغير اضرت بالعامة وجاء في الحديث ان بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة وقال عمر تفقدوا اخوانكم في الصلوة فاذا فقدتموهم فان كانوا مرضى فعودوهم وان كانوا اصحاء فعاتبوهم والعتاب انكار على ترك الجماعة ولا ينبغي ان يتساهل فيه فقد كان الاولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة الى باب من تخلف عن الجماعة اشارة الى ان الميت هو الذي يتاخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد ينبغي ان يقصد يمين الصف ولذلك تزاحم الناس عليه في زمان النبي صلى الله عليه وسلم حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الاجر ومهما وجد غلاما في الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله ان يخرجه الى خلف ويدخل فيه اعني اذا لم يكن بالغا هذا ما اردنا ان نذكره من المسائل التي تعم البلوى بها وسياتي احكام الصلوات المتفرقة في كتاب الاوراد ان شاء الله تعالى

الباب السابع في النوافل من الصلوات

اعلم ان ما عدا الفرائض من الصلوات تنقسم الى ثلاثة اقسام سنن ومستحبات وتطوعات واعني بالسنن ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلوة الضحى والوتر والتهجد وغيره لان السنة عبارة عن الطريقة المسلوكة ونعني بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم تنقل المواظبة عليه كما سننقله في صلوات الايام والليالي في الاسبوع وكالصلوة عند الخروج من المنزل او الدخول فيه وامثاله واعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه خبر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله تعالى بالصلوة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا وكانه متبرع به اذ لم يندب الى تلك الصلوة بعينها وان ندب الى الصلوة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع وتسمى الاقسام الثلاثة نوافل من حيث ان النفل هو الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع اردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الالفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الاقسام تتفاوت درجاتها في الفضل بحسب ما ورد فيها من الاخبار والآثار المعرفة لفضلها وبحسب طول مواظبته عليه السلام عليها وبحسب صحة الاخبار الواردة فيها واشتهارها ولذلك نقول سنن الجماعات افضل من سنن الانفراد وافضل سنن الجماعة صلوة العيد ثم الخسوف ثم الاستسقاء وافضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم بعدهما الرواتب على تفاوتها واعلم ان النوافل باعتبار الاضافة الى متعلقاتها تنقسم الى ما يتعلق باسباب كالخسوف والاستسقاء والى ما يتعلق باوقات والمتعلق بالاوقات ينقسم الى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة او بتكرر الاسبوع او بتكرر السنة فالجملة اربعة اقسام **الاول** ما يتكرر بتكرر الايام والليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوات الخمس وثلاثة هي وراءها وهي صلوة الضحى واحياء ما بين العشائين والتهجد

الاولى راتبة الصبح وهي ركعتان قال صلى الله عليه وسلم ركعتا الصبح خير من الدنيا وما فيها

ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وادراك ذلك بالمشاهدة عسير
في اوله الا ان يتعلم منازل القمر اذ يعلم اقتراب طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب
عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فان القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع
الصبح مع غروب القمر ليلة الثاني عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق اليه تفاوت في بعض البروج
وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الاوقات بالليل و
على الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة
اداؤهما قبل الفرض فان دخل المسجد وقد قامت الصلوة فليشتغل بالمكتوبة قال صلى الله عليه وسلم
اذا اقيمت الصلوة فلا صلوة الا المكتوبة ثم اذا فرغ من المكتوبة قام اليهما وصلاهما والصحيح انه اداء
ما وقع قبل طلوع الشمس لانه تابع للفرض في وقته وانما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتاخير اذا
لم يصادف جماعة فاذا صادف انقلب الترتيب وبقي اداء والمستحب ان يصليهما في المنزل
ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتي التحية ثم يجلس ولا يصلي الى ان يصلي المكتوبة فما بين الصبح الى
طلوع الشمس الاحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة الثانية راتبة الظهر
وهي ست ركعات ركعتان بعدها سنة مؤكدة واربع قبلها وهي ايضا سنة وان كانت دون
الركعتين الاخريين روى ابوهريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى اربع ركعات بعد
زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون الف ملك يستغفرون له حتى
الليل وكان صلى الله عليه وسلم لا يدع اربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول ان ابواب السماء تفتح في هذه
الساعة فاحب ان يرفع لي فيها عمل رواه ابوايوب الانصاري وتفرد به ودل عليه ايضا ما روت
ام حبيبة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بني له بيت في
الجنة ركعتين قبل الفجر واربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب و
قال ابن عمر حفظت من النبي صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات فذكر ما ذكرته ام حبيبة الا ركعتي
الفجر فانه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم احد ولكن حدثتني اختي حفصة
انه كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء فصارت
الركعتان قبل الظهر آكد من الاربع ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الاشخاص
المنتصبة مائلا الى جهة المشرق اذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب مستطيل فلا تزال
الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب الى ان تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف
النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع اخذ الظل في الزيادة
فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ونعلم قطعا ان الزوال في علم الله وقع
قبله ولكن التكاليف لا ترتبط الا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة
يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس اول الجدي ومنتهى قصره بلوغها
اول السرطان ويعرف ذلك بالاقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن احسن
مراعاته ان يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الارض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث

يكون احد اضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب الى الارض ثم توهمت خطا من
مسقط الحجر الى الضلع الذي يليه من اللوح لكان الخط على الضلع على زاويتين قائمتين اي لا يكون الخط
مائلا الى احد الضلعين ثم ينصب عمودا على اللوح نصبا مستويا في علامة د وهو بازاء القطب
فيقع ظله في اول النهار مائلا الى جهة الغرب في صوب خط آ ثم لا يزال يميل الى ان ينطبق على خط
ب بحيث لو مد راسه لانتهى على الاستقامة الى مسقط الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقي والغربي
غير مائل الى احدهما فاذا بطل ميله الى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فاذا انحرف الظل عن
الخط الذي على اللوح الى الجانب الشرقي فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقا في وقت هو
قريب من اول الزوال في علم الله ثم يعلم على راس الظل عند انحرافه علامة فاذا صار الظل من تلك
العلامة مثل العمود دخل وقت العصر مثاله



فهذا القدر
لا باس بمعرفته في علم الزوال الثالثة راتبة العصر وهي اربع
ركعات قبل العصر روى ابوهريرة عنه عليه السلام انه قال رحم الله
عبدا صلى اربعا قبل العصر فيفعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة
النبي صلى الله عليه وسلم مستحب استحبابا مؤكدا فان دعوته تستجاب لا محالة ولم تكن مواظبته على
السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر الرابعة راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة
لم تختلف الرواية فيهما واما ركعتان قبلها بين اذان المؤذن واقامته على سبيل المبادرة فقد نقل عن
جماعة من الصحابة كابي بن كعب وعبادة بن الصامت وابي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة او
غيره كان المؤذن اذا اذن لصلوة المغرب ابتدر اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيصلون ركعتين وقال
بعضهم كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب انا صلينا فيسال اصليتم المغرب وذلك
يدخل في عموم قوله بين كل اذانين صلوة لمن شاء وكان احمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فقال لم ار
الناس يصلونهما فتركهما وقال لئن صلاهما الرجل في بيته او حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل
وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الابصار في الاراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال فان كانت
محفوفة بها في جهة المغرب فيتوقف الى ان يرى اقبال السواد من جانب المشرق قال صلى الله عليه وسلم
اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا فقد افطر الصائم والاحب المبادرة في صلوة المغرب
خاصة وان اخر وادى قبل غيبوبة الشفق وقع اداء ولكنه مكروه واخر عمر رضي الله عنه صلوة المغرب
ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبة واخر ابن عمر حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين الخامسة راتبة
العشاء الاخرة وهي اربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بعد
العشاء الآخرة اربع ركعات ثم ينام واختار بعض العلماء من مجموع الاخبار ان يكون عدد الرواتب
سبعة عشر كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح واربع قبل الظهر وركعتان بعده واربع قبل العصر وركعتان
بعد المغرب وثلاث بعد العشاء وهو الوتر ومهما عرفت الاحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير فقد
قال صلى الله عليه وسلم الصلوة خير موضوع فمن شاء اكثر ومن شاء اقل فاذن اختيار كل مريد
من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير وقد ظهر فيما ذكرناه ان بعضها آكد من بعض وترك الآكد ابعد لا سيما

والفرايض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك ان لا تسلم له فرايضه من غير جابر **السادس**
الوتر قال انس بن مالك كان النبي صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الاولى
سبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل يا ايها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله احد وجاء في خبر آخر انه صلى
الله عليه وسلم كان يصلي بعد الوتر جالسا ركعتين وفي بعضها متربعا وفي بعض الاخبار اذا اراد ان يدخل
الى فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين قبل ان يرقد يقرأ فيهما اذا زلزلت وسورة الهيكم التكاثر وفي
رواية اخرى قل يا ايها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد اوتر
النبي صلى الله عليه وسلم بركعة وثلاث وخمس وهكذا بالاوتار الى احدى عشرة والرواية مترددة في
ثلاث عشرة وفي حديث شاذ سبع عشرة ركعة وكانت هذه الركعات التي سميناها جملتها وترا صلوته
بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة موكدة وسياتي فضلها في كتاب الاوراد وفي الافضل خلاف
فقيل الايتار بركعة فردة افضل اذ صح انه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على الايتار بركعة فردة
افضل اذ صح وقيل الموصول افضل للخروج عن شبهة الخلاف لا سيما للامام اذ يقتدي به من لا
يرى الركعة الفردة فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر فان اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء
وبعد فرض العشاء نوى الوتر وصح لان شرط الوتر ان يكون في نفسه وترا وان يكون موترا لغيره مما سبق
قبله وقد اوتر الفرض ولو اوتر قبل العشاء لم يصح اي لا ينال فضيلة الوتر الذي هو خير من حمر النعم
كما ورد به الخبر والا فركعة فردة صحيحة في اي وقت كان وانما لم تصح لانه خرق اجماع الخلق في
الفعل ولانه لم يتقدم ما يصير به وترا فاما اذا اراد ان يوتر بثلاث مفصولة ففي نيته في الركعتين نظر فانه
ان نوى به التهجد او سنة العشاء لم يكن هو من الوتر وان نوى الوتر لم يكن هو في نفسه وترا وانما الوتر
ما بعده ولكن الاظهر انه ينوي الوتر كما ينوي في الثلاث الموصول الوتر ولكن للوتر معنيان احدهما
ان يكون في نفسه وترا والآخر ان ينشأ ليجعل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وترا والركعتان
من جملة الثلاث الا ان وتريته موقوفة على الركعة الثالثة فاذا كان هو على عزم ان يوترهما بثالثة كان
له ان ينوي به الوتر فالركعة الثالثة وتر في نفسها بنفسها وموترة لغيرها والركعتان لا توتران غيرهما
وليستا وترا بانفسهما ولكنهما موتران بغيرهما والوتر ان يكون آخر صلوة الليل فيقع بعد التهجد و
سياتي فضايل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما في كتاب ترتيب الاوراد **السابعة** صلوة
الضحى فالمواظبة عليها من عزايم الافعال وفواضلها **اما** عدد ركعاتها فاكثر ما نقل فيه ثماني ركعات
روت ام هاني اخت علي رضي الله عنهما انه صلى الضحى ثماني ركعات اطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا
العدد غيرها فاما عايشة فانها ذكرت انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى اربعا ويزيد ما شاء
الله فلم تحد الزيادة اي انه كان يواظب على الاربع ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروي في حديث
مفرد انه عليه السلام كان يصلي الضحى ست ركعات **واما** وقتها فقد روى علي كرم الله وجهه انه
صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ربعا في وقتين اذا اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين
وهو اول الورد الثاني من اوراد النهار كما سياتي واذا انبسطت الشمس وكانت في ربع النهار
من جانب الشرق صلى اربعا فالاول انما يكون اذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثاني اذا

معنى

يمضي من النهار ربعه بازاء صلوة العصر فان وقتها ان يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف
النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال كما ان العصر على منتصف ما بين
الزوال الى الغروب هذا افضل الاوقات ومن وقت ارتفاع الشمس الى ما قبل الزوال وقت
الضحى على الجملة **الثامنة** احياء ما بين العشائين سنة موكدة ومما نقل عدده من فعله
صلى الله عليه وسلم بين العشائين ست ركعات ولهذه الصلوة فضل عظيم **وقيل** انها المراد
بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وروي عنه عليه السلام انه قال من صلى ما بين المغرب والعشاء
فانها من صلوة الاوابين **وقال** صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد
جماعة لم يتكلم الا بصلوة او قرآن كان حقا على الله تعالى ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما
مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وسياتي بقية فضايلها في كتاب
الاوراد ان شاء الله تعالى **القسم الثاني** ما يتكرر بتكرر الاسابيع وهي صلوة ايام الاسبوع
ولياليه لكل يوم وكل ليلة **اما الايام** فنبتدئ فيها **بيوم الاحد** روى ابو هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاحد اربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول
مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات واعطاه ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل
ركعة الف صلوة واعطاه الله تعالى في الجنة بكل حرف مدينة من مسك اذفر وروي عن علي كرم الله وجهه
عن النبي صلعم قال وحدوا الله بكثرة الصلوة يوم الاحد فانه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الاحد
بعد صلوة الظهر اربع ركعات بعد الفريضة والسنة قرأ في الركعة الاولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة
وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الذي بيده الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين اخريين يقرأ
فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله حاجته كان حقا على الله ان يقضي حاجته **يوم الاثنين**
روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين
يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد والمعوذتين مرة فاذا سلم استغفر
الله عشر مرات وصلى على النبي صلعم عشر مرات غفر الله له ذنوبه كلها **وروى** انس بن مالك عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية
الكرسي مرة فاذا فرغ قرأ قل هو الله احد اثنتي عشرة مرة واستغفر الله تعالى اثنتي عشرة مرة ينادى
به يوم القيمة اين فلان بن فلان ليقم فليأخذ ثوابه من الله تعالى فاول ما يعطى من الثواب الف حلة و
يتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة الف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على
الف قصر من نور يتلألأ **يوم الثلثاء** روى يزيد الرقاشي عن انس بن مالك عن النبي صلعم انه قال من صلى
يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار وفي حديث آخر عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة
الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات لم يكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان
مات الى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة **يوم الاربعاء** ابو ادريس الخولاني
عن معاذ بن جبل قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع
النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلاث مرات والمعوذتين

ثلاث مرات نادى به ملك عند العرش يا عبد الله استانف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ودفع
الله عنه عذاب القبر وضيقه وظلمته ودفع عنه شدايد القيمة ودفع له من يومه عمل نبي **يوم الخميس**
عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين
يقرا في الاولى فاتحة الكتاب مرة واية الكرسي مائة مرة وفي الثانية الفاتحة مرة وقل هو الله احد
مائة مرة ويصلي علي مائة مرة اعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له
من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله وتوكل عليه حسنة **يوم الجمعة** روي عن
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في يوم الجمعة صلوة ما من عبد مومن قام
اذا استقبلت الشمس وارتفعت قيد رمح او اكثر من ذلك فتوضا ثم اسبغ الوضوء فصلى ركعتين تسبيحة
الضحى ايمانا واحتسابا الا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ومن صلى اربع ركعات
رفع الله له في الجنة اربعماية درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله له في الجنان ثمانماية درجة وغفر
له ذنوبه كلها ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله له الفا ومايتي حسنة ومحا عنه الفا ومايتي
سيئة ورفع له في الجنة الفا ومايتي درجة وعن نافع عن ابن عمر عن النبي صلعم انه قال من دخل الجامع يوم
الجمعة فصلى اربع ركعات قبل الجمعة قرا في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد خمسين مرة لم يمت حتى يرى صلوة
مقعده من الجنة او يرى له **يوم السبت** روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى
يوم السبت اربع ركعات يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا ايها الكافرون ثلاث مرات فاذا
فرغ قرا آية الكرسي كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف اجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها
واعطاه الله بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء **اما الليالي**
ليلة الاحد فقد روى انس بن مالك في ليلة الاحد انه صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة
قرا في كل ركعة الحمد لله مرة وقل هو الله احد خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله مائة مرة و
استغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي عليه السلام مائة مرة وتبرا من حوله وقوته مائة مرة
والتجا الى حول الله وقوته ثم قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان آدم صفوة الله وفطرته وابرهيم
خليل الله وموسى كليم وعيسى روح الله ومحمد حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا وبعثه
الله يوم القيمة مع الآمنين وكان حقا على الله ان يدخله الجنة مع النبيين **ليلة الاثنين** روي
الاعمش عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين اربع ركعات قرا في
الركعة الاولى الحمد لله وقل هو الله احد عشر مرات وفي الركعة الثانية الفاتحة وقل هو الله احد عشرين
مرة وفي الثالثة الفاتحة وقل هو الله احد ثلاثين مرة وفي الرابعة اربعين مرة ثم سلم وقرا قل هو الله احد
خمسا وسبعين مرة وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم خمسا وسبعين مرة ثم يسال الله تعالى حاجته كان
حقا على الله ان يعطيه سوله وهي تسمى صلوة الحاجة **ليلة الثلاثا** يصلي ركعتين في كل ركعة فاتحة
الكتاب وقل هو الله احد والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرا بعد السلام اية الكرسي خمس عشرة مرة
واستغفر الله خمس عشرة مرة **ليلة الاربعا** روت فاطمة قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى
ست ركعات يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك الى آخر الاية فاذا فرغ من صلوته يقول

سبعين مرة جزى الله محمدا عنا ما هو اهله غفر الله له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار وروي
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ليلة الاربعاء ركعتين يقرا في الركعة الاولى فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ
برب الفلق عشر مرات وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل اعوذ برب الناس عشر مرات نزل من كل
سماء سبعون الف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيمة **ليلة الخميس** قال ابو هريرة قال النبي صلى الله
عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسي
خمس مرات وقل هو الله احد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلوته استغفر الله خمس
عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد ادى حقهما عليه وان كان عاقا لهما واعطاه الله ما يعطي الصديقين
والشهداء **ليلة الجمعة** قال جابر قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي
عشرة ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد احدى عشرة مرة فكانما عبد الله اثنتي
عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة
صلوة العشاء الاخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات قرا في كل ركعة الفاتحة
وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة ثم اوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة
فكانما احيى ليلة القدر وقد قال صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلوة علي في الليلة الغراء وفي اليوم
الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة **ليلة السبت** قال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة السبت
بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بني له قصر في الجنة وكانما تصدق على كل مومن ومومنة وتبرا من اليهود
وكان حقا على الله ان يغفر له **القسم الثالث** ما يتكرر بتكرر السنين وهي اربعة صلوة العيدين
والتراويح وصلوة رجب وصلوة شعبان **الاول** صلوة العيدين وهي سنة موكدة وشعار من
شعاير الدين وينبغي ان يراعي فيهما سبعة امور **الاول** التكبير ثلثا نسقا فيقول الله اكبر الله اكبر
الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين
ولو كره الكافرون ويبتدئ التكبير ليلة الفطر الى الشروع في صلوة العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقيب
الصبح يوم عرفة الى آخر النهار يوم الثالث عشر هذا اكمل الاقاويل ويكبر عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل
وهو عقيب الفرايض آكد **الثاني** اذا اصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والرداء
والعمامة هو الافضل للرجال وليجنب الصبيان الحرير والعجايز التزين عند الخروج **الثالث** ان يخرج من
طريق ويرجع من طريق آخر هكذا فعله النبي صلى الله عليه وسلم وكان يامر باخراج العواتق وذوات الخدور
الرابع المستحب الخروج الى الصحراء الا بمكة او بيت المقدس وان كان يوم مطر فلا باس بالصلوة في
المسجد ويجوز في يوم الصحو ان يامر الامام رجلا يصلي بالضعفة في مسجد ويخرج بالاقوياء مكبرين **الخامس**
يراعي الوقت فوقت العيد ما بين طلوع الشمس الى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس
بقدر ركعتين وخطبتين الى آخر اليوم الثالث عشر ويستحب تعجيل صلوة الاضحى لاجل الذبح وتاخير صلوة الفطر
لاجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة النبي صلى الله عليه وسلم **السادس** في كيفية الصلوة
فليخرج الناس مكبرين في الطريق واذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل وللناس التنفل ثم ينادي مناد
الصلوة جامعة ويصلي الامام ركعتين يكبر في الاولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات يقول

بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ويقول وجهت وجهي عقيب تكبيرة الافتتاح
ويؤخر الاستعاذة الى ما وراء الثامنة ويقرا سورة ق في الاولى بعد الفاتحة واقتربت في الثانية والتكبيرات الزوايد
في الثانية خمس سوى تكبيرة القيام والركوع ويقول بين كل تكبيرتين ما ذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة
ومن فاتته صلوة العيد قضاها السابع ان يضحي بكبش ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبش وذبح
بيده وقال بسم الله والله اكبر هذا عني وعمن لم يضح من امتي وقال من راى هلال ذي الحجة واراد ان
يضحي فلا ياخذ من شعره ولا من اظفاره وقال ابو ايوب الانصاري كان الرجل يضحي على عهد النبي صلعم
بالشاة عن اهل بيته فياكلون ويطعمون وله ان ياكل من الضحية بعد ثلاثة ايام فما فوق ذلك وردت فيه
الرخصة بعد النهي عنه وقال سفين الثوري يستحب ان يصلي بعد عيد الفطر اثنى عشرة ركعة وبعد
عيد الاضحى ست ركعات وقال هو من السنة واما صلوة التراويح فهي عشرون ركعة وكيفيتها
مشهورة وهي سنة موكدة وان كانت دون ركعتي العيدين واختلفوا في ان الجماعة فيها افضل ام الانفراد
وخرج النبي صلى الله عليه وسلم ليلتين او ثلثا للجماعة ثم لم يخرج وقال اخاف ان يوجب عليكم وجمع عمر رضي
الناس عليها في الجماعة حيث امن من الوجوب بانقطاع الوحي فقيل ان الجماعة افضل لفعل عمر رضي الله
ولان الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولانه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة
الجمع وقيل الانفراد افضل لان هذه سنة ليست من الشعاير كالعيدين فالحاقها بصلوة الضحى
وتحية المسجد اولى ولم يشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بان يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية
بالجماعة ولقوله صلى الله عليه وسلم فضل صلوة التطوع في بيته على صلوة في المسجد كفضل صلوة المكتوبة في المسجد
على صلوة في البيت وروي انه قال صلوة في مسجدي هذا افضل من مائة صلوة في غيره من المساجد وصلوة
في المسجد الحرام افضل من الف صلوة في مسجدي والافضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية ركعتين لا يعلمهما الا
الله وهذا لان الرياء والتصنع ربما يتطرق اليه في الجمع ويامن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه والمختار
ان الجماعة افضل كما راه عمر فان بعض النوافل قد شرع فيه الجماعة وهذا جدير بان يكون من الشعاير التي تظهر
واما الالتفات الى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث
انه جماعة وكان قايله يقول الصلوة خير من تركها بالكسل والاخلاص خير من الرياء فلنفرض المسئلة فيمن يثق
بنفسه انه لا يكسل لو انفرد ولا يرائي لو حضر الجمع فايهما افضل له فيدور النظر بين بركة الجمع ومزيد قوة الاخلاص
وحضور القلب في الوحدة فيجوز ان يكون في تفضيل احدهما على الآخر تردد ومما يستحب القنوت في الوتر في
النصف الاخير من رمضان واما صلوة رجب فقد روي بالاسناد عن النبي صلعم انه قال ما من احد
يصوم اول خميس من رجب ثم يصلي ما بين العشاء والعتمة اثنى عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرا
في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وانا انزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله احد اثنى عشرة مرة فاذا
فرغ من صلوته صلى علي سبعين مرة ويقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده
سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع راسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز
عما تعلم فانك انت العلي الاعظم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول فيها مثل ما قال في السجدة الاولى ثم يسال حاجته
في سجوده فانها تقضى قال النبي صلعم لا يصلي احد هذه الصلوة الا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت

مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الاشجار ويشفع يوم القيمة في سبعمائة من اهل بيته
ممن قد استوجب النار فهذه صلوة مستحبة وانما اوردناها في هذا القسم لانها تتكرر بتكرر السنين
وان كان لا يبلغ رتبتها رتبة التراويح وصلوة العيد لان هذه الصلوة نقلها الآحاد ولكني رايت اهل
القدس باجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فاحببت ايرادها واما صلوة شعبان فليلة
الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله احد عشر مرات
وان شاء صلى عشر ركعات يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله احد هذا ايضا مروي
في جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلوة ويسمون هذه الصلوة صلوة الخير ويجتمعون فيها
وربما صلوها جماعة وروى عن الحسن انه قال حدثني ثلثون من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان من
صلى هذه الصلوة في هذه الليلة نظر الله اليه سبعين نظرة قضى له بكل نظرة سبعين حاجة ادناها
المغفرة القسم الرابع من النوافل ما يتعلق باسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة
كصلوة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتي الوضوء وركعتين بين الاذان والاقامة
وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظاير لذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن الاولى صلوة
الخسوف قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت احد
ولا لحيوته فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله والصلوة قال ذلك لما مات ولده ابرهيم وكسفت
الشمس فقال الناس انما كسفت لموته والنظر في كيفيتها ووقتها اما الكيفية فاذا خسفت الشمس
في وقت الصلوة فيه مكروهة او غير مكروهة نودي الصلوة جامعة وصلى الامام بالناس في المسجد
ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين اوائلهما اطول من اواخرهما ولا يجهر فيقرا في الاولى من قيامي الركعة الاولى
الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وآل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفي الرابعة الفاتحة
والمائدة او مقدار ذلك من القرآن من حيث اراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام اجزاه ولو اقتصر
على سور قصار فلا باس ومقصود التطويل دوام الصلوة الى الانجلاء ويسبح في الركوع الاول قدر مائة آية
وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع
في كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلوة بينهما جلسة خفيفة ويامر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك
يفعل بخسوف القمر الا انه يجهر فيها لانها ليلية اما وقتها فعند ابتداء الخسوف الى تمام
الانجلاء ويخرج وقتها بان تغرب الشمس خاسفة ويفوت صلوة خسوف القمر بان يطلع قرص الشمس اذ يبطل
سلطان القمر ولا تفوت بغروب القمر خاسفا لان الليل كله سلطان القمر وان انجلى في اثناء الصلوة
اتمها مخففة ومن ادرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاتته تلك الركعة لان الاصل هو الركوع الاول
الثانية صلوة الاستسقاء فاذا غارت الانهار وانقطعت الامطار وانهارت القناة
فيستحب للامام ان يامر الناس اولا بصيام ثلاثة ايام وما اطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة
من المعاصي ثم يخرج بهم اليوم الرابع وبالعجايز والصبيان متنظفين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين
بخلاف العيد وقيل يستحب اخراج الدواب لمشاركتهم في الحاجة ولقوله عليه السلام لولا صبيان
رضع ومشايخ ركع وبهايم رتع لصب عليكم العذاب صبا ولو خرج اهل الذمة متميزين لم يمنعوا

فاذا اجتمعوا الى المصلى الواسع من الصحراء نودي الصلوة جامعة وصلى بهم الامام ركعتين مثل صلوة
العيد من غير فرق ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في
وسط الخطبة الثانية ان يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في هذه الساعة تفاؤلا بتحويل
الحال كذلك فعل النبي صلى الله عليه وسلم فيجعل اعلاه اسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال
على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سرا ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون
ارديتهم محولة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب ويقول في الدعاء اللهم امرتنا بدعائك ووعدتنا
اجابتك فقد دعوناك كما امرتنا فاجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا واجابة
في سقيانا وسعة رزقنا ولا بأس بالدعاء ادبار الصلوات في الايام الثلاثة قبل الخروج ولهذا الدعاء
آداب باطنة وشرايط من التوبة ورد المظالم وغيرها وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات **الثالثة**
صلوة الجنازة وكيفيتها مأثورة واجمع دعاء مأثور ما روي في الصحيح عن عوف بن مالك قال صلى النبي
صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم
نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس
وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من
عذاب القبر ومن عذاب النار حتى قال عوف تمنيت ان اكون ذلك الميت ومن ادرك التكبيرة الثانية
فينبغي ان يراعي ترتيب صلوة نفسه ويكبر مع تكبيرات الامام فاذا سلم الامام قضى تكبيره الذي
فات كفعل المسبوق فانه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلوة معنى فالتكبيرات
هي الاركان الظاهرة وجدير بان يقام مقام الركعات في سائر الصلوات هذا هو الاوجه عندي
وان كان غيره محتملا والاخبار الواردة في فضل صلوة الجنازة وتشييعها مشهورة فلا نطول بايرادها
وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفايات وانما تصير نفلا في حق من لم يتعين عليه لحضور غيره ثم ينال
به فضل فرض الكفاية وان لم يتعين لانهم بجملتهم قاموا بهذا الفرض واسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون
ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن احد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والادعية واشتماله على
ذي دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس انه مات ابن له فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من
الناس فخرجت فاذا اناس قد اجتمعوا له فاخبرته فقال هم اربعون قلت نعم قال اخرجوه فاني
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون
بالله شيئا الا شفعهم الله فيه واذا شيع الجنازة فوصل المقابر او دخلها ابتداء قال
السلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وانا ان
شاء الله بكم للاحقون والاولى ان لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوي على الميت قبره قام عليه
وقال اللهم عبدك رد اليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبه وافتح ابواب السماء
لروحه وتقبله فيه بقبول حسن اللهم ان كان محسنا فضاعف له في حسناته وان كان مسيئا فتجاوز
عنه **الرابعة** تحية المسجد ركعتين فصاعدا سنة مؤكدة حتى انها لا تسقط وان كان الخطيب في
الخطبة يوم الجمعة مع تأكد وجوب الاصغاء الى الخطيب ولو اشتغل بفرض او قضاء تأدى به

التحية

التحية وحصل الفرض اذ المقصود ان لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما
بحق المسجد ولهذا يكره ان يدخل المسجد على غير وضوء فاذا دخل لعبور او جلوس فليقل سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات فيقال انها عدل ركعتين في الفضل ومذهب
الشافعي انه لا يكره التحية في اوقات الكراهية وهي بعد العصر والصبح ووقت الزوال ووقت
الطلوع والغروب لما روي انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين بعد العصر فقيل له اما نهيتنا عن
هذا فقال هما ركعتان كنت اصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد فافاد هذا الحديث فائدتين
احديهما ان الكراهية مقصورة على صلوة لا سبب لها ومن اضعف الاسباب قضاء النوافل
اذ اختلف العلماء في ان النوافل هل تقضى واذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء فاذا انتفت الكراهية باضعف
الاسباب فبالحري ان تنتفي بدخول المسجد وهو سبب قوي ولذلك لا يكره صلوة الجنازة اذا حضرت ولا
صلوة الخسوف والاستسقاء في هذه الاوقات لان لها اسبابا **الفايدة الثانية** قضاء
النوافل اذ قضى رسول الله صلعم ذلك ولنا فيه اسوة حسنة وقالت عايشة رضي الله عنها كان
رسول الله صلعم اذا غلبه نوم او مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة وقد قال العلماء
من كان في الصلوة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى واجاب وان كان المؤذن يسكت ولا معنى
الآن لقول من يقول ان ذلك مثل الاول وليس بقضاء اذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله صلعم في وقت
الكراهية نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغي ان لا يرخص لنفسه في تركها بل يتداركها في وقت
آخر كيلا تميل نفسه الى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل المجاهدة ولانه قال عليه السلم
احب الاعمال الى الله ادومها وان قل فيقصد به ان لا يفتر دوام عمله وروت عايشة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقته الله فيجتهد ان يدخل تحت هذا الوعيد
وتحقيق هذا الخبر انه مقته الله فتركها ملالة فلولا المقت والابعاد لما سلطت الملالة عليه
الخامسة ركعتان بعد الوضوء مستحبتان لان الوضوء قربة ومقصودها الصلوة و
الاحداث عارضة فربما يطرأ الحدث قبل صلوة فينتقض الوضوء ويضيع السعي فالمبادرة الى
ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال صلى الله عليه وسلم
دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت لبلال بم سبقتني الى الجنة فقال بلال لا اعرف شيئا الا اني
لا احدث وضوءا الا اصلي عقيبه ركعتين او كما قال **السادسة** ركعتان عند دخول المنزل
وعند الخروج منه روى ابو سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين
تمنعانك مخرج السوء واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين تمنعانك مدخل السوء وهذا في معنى هذا
كل امر يبتدأ به مما له وقع ولذلك ورد ركعتان عند الاحرام وركعتان عند ابتداء السفر وركعتان عند
الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت وكل ذلك مأثور من فعل رسول الله صلعم وكان بعض
الصالحين اذا اكل اكلة صلى ركعتين واذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل امر يحدثه وبداية
الامور ينبغي ان يتبرك فيها باسم الله وهي على ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالاكل والشرب
فيبدأ فيها باسم الله قال صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر الثانية ما لا

يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب فيها ان يصدر بحمد الله سبحانه
فيقول المزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله زوجتك ابنتي وكانت عادة الصحابة في ابتداء اداء الرسائل
والنصيحة والمشورة تقديم التحميد **الثالثة** ما لا يتكرر كثيرا واذا وقع دام وكان له وقع كالسفر و
شراء دار جديدة والاحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وادناه الخروج من المنزل والدخول
اليه فانه نوع سفر خفيف **السابعة** صلوة الاستخارة فمن هم بامر وكان لا يدري عاقبته و
لا يعرف ان الخيرة تركه او في الاقدام عليه فقد امره رسول الله صلعم بان يصلي ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة
الكتاب وقل يا ايها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله احد فاذا فرغ دعا وقال اللهم اني
استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت
تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله وآجله فقدره لي ثم يسره لي وان كنت تعلم
ان هذا الامر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله وآجله فاصرفني عنه واصرفه عني وقدر لي
الخير حيث كان انك على كل شيء قدير رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلعم يعلمنا الاستخارة في
الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال اذا هم احدكم بامر فليصل ركعتين ثم يسم الامر ويدع
بما ذكرناه وقال بعض الحكماء من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة
لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب **الثامنة**
صلوة الحاجة فمن ضاق عليه الامر ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه الى امر تعذر عليه فليصل هذه
الصلوة فقد روي عن وهيب بن الورد انه قال ان من الدعاء الذي لا يرد ان يصلي العبد اثنتي عشرة ركعة
يقرأ في كل ركعة بام القرآن وآية الكرسي وقل هو الله احد فاذا فرغ خر ساجدا ثم قال سبحان الذي
لبس العز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذي احصى كل شيء بعلمه سبحان
الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي المن والفضل سبحان ذي العز والكرم سبحان ذي الطول
اسالك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات
التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ان تصلي على محمد وعلى آله ثم يسال حاجته التي لا معصية فيها فيجاب ان
شاء الله قال وهيب وبلغنا انه كان يقال لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونون بها على معصية
الله تع وهذه الصلوة رواها ابن مسعود عن رسول الله صلعم **التاسعة** صلوة التسبيح وهذه
الصلوة ماثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب ان لا يخلو الاسبوع عنها مرة
واحدة او الشهر فقد روى عكرمة عن ابن عباس انه قال صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب الا اعطيك
الا امنحك الا احبوك بشيء اذا انت فعلته غفر الله لك ذنبك اوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده سره
وعلانيته تصلي اربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة في اول ركعة
وانت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع
راسك فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات ان استطعت ان
تصليها في كل يوم فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة وفي رواية اخرى انه
يقول في اول الصلوة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة

فتقولها عشرا ثم ترفع راسك
... فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها
ثم ترفع راسك من السجود فتقولها
...

تسبيحة

تسبيحة قبل القراءة وعشرا بعد القراءة والباقي كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجدة الاخيرة قاعدا
وهذا هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع في الروايتين ثلاثمائة تسبيحة فان صلاها نهارا
فبتسليمة واحدة وان صلاها ليلا فبتسليمتين احسن اذ ورد ان صلوة الليل مثنى مثنى وان زاد
بعد التسبيح قوله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فهذه
هي الصلوات الماثورة ولا يستحب شيء من هذه النوافل في الاوقات المكروهة الا تحية المسجد وما
اوردناه قبلها وما اوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلوة السفر والخروج من المنزل والاستخارة
فلا لان النهي مؤكد وهذه الاسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية
وقد رايت بعض المتصوفة يصلي في الاوقات المكروهة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد لان الوضوء
لا يكون سببا للصلوة بل الصلوة سبب للوضوء فينبغي ان يتوضأ ليصلي لا انه يصلي لانه توضأ وكل
محدث يصلي في وقت الكراهة فلا سبيل له الا ان يتوضأ ويصلي فلا يبقى للكراهة معنى ولا ينبغي ان
ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية بل اذا توضأ صلى ركعتين تطوعا كيلا يتعطل وضوءه كما كان
يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال لم يدل على ان الوضوء سبب كالخسوف و
التحية حتى ينوي ركعتي الوضوء فيستحيل ان ينوي بالصلوة الوضوء وكيف ينتظم ان يقول في وضوءه اتوضأ
لصلوتي وفي صلوته يقول اصلي لوضوئي بل من اراد ان يحرس وضوءه عن التعطل في وقت الكراهة فلينو
قضاء ان كان يجوز ان يكون في ذمته قضاء صلوة تطرق الخلل اليها بسبب من الاسباب فان قضاء الصلوات
في اوقات الكراهة غير مكروه فاما نية التطوع فلا وجه له ففي النهي في اوقات الكراهة مهمات ثلاثة
احدها التوقي عن مضاهاة عبدة الشمس والثاني الاحتراز من انتشار الشيطان اذ قال عليه السلم ان الشمس
لتطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها
فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلوة في هذه الاوقات و
نبه به على العلة والثالث ان سالكي طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوة في جميع الاوقات
والمواظبة على نمط واحد من العبادات تورث الملال ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعث
الدواعي والانسان حريص على ما منع منه ففي تعطيل هذه الاوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء
الوقت فخصصت هذه الاوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا عن الملال بالمداومة وتفرجا بالانتقال
من نوع عبادة الى نوع آخر ففي الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفي الاستمرار على شيء واحد
استثقال وملال ولذلك لم يكن الصلوة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادات
من اعمال مختلفة واذكار متباينة فان القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال اليها ولو
واظب على الشيء الواحد لتسارع اليه الملال فاذا كانت هذه امورا مهمة في النهي عن اوقات الكراهة الى غير
ذلك من اسرار اخر ليس في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله اعلم بها فهذه المهمات لا تترك الا
باسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات وصلوة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد فاما
ما ضعف عنها فلا ينبغي ان يصادم بها مقصود النهي هذا هو الاوجه عندنا والله اعلم بالصواب
تم كتاب اسرار الصلوة ويتلوه كتاب اسرار الزكوة والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله اجمعين

كتاب اسرار الزكوة وهو الكتاب الخامس من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي اسعد واشقى، وامات واحيى واضحك وابكى، واوجد وافنى وافقر واغنى واضر وافنى، الذي خلق الحيوان من نطفة تمنى، ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى، ثم خصص بعض عباده بالحسنى، فافاض عليه من نعمه ما يسر به واستغنى، واحوج اليه من اخفق في رزقه واكدى، اظهارا للامتحان والابتلاء، ثم جعل الزكوة للدين مبنى، وبين ان بفضله تزكى من عباده من تزكى، ومن غناه زكى ماله من زكى، والصلوة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى، وعلى آله المخصوصين بالعلم والتقى، وسلم كثيرا

اما بعد فان الله تعالى جعل الزكوة احدى مباني الاسلام، واردف بذكره الصلوة التي هي اعلى الاعلام فقال تعالى اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وقال صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وشدد الوعيد على المقصرين فيه فقال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ومعنى الانفاق في سبيل الله اخراج حق الزكوة قال الاحنف بن قيس كنت في نفر من قريش فمر ابو ذر فقال بشر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكي من قبل اقفائهم يخرج من جباههم وفي رواية انه يوضع على حلمة ثدي احدهم فيخرج من نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل وقال ابو ذر انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت من هم قال الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكوتها الا جاءت يوم القيمة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطاه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس واذا كان هذا التشديد مخرجا في الصحيحين فصار من مهمات الدين الكشف عن اسرار الزكوة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغنى عن معرفته مؤدي الزكوة وقابضها وينكشف ذلك في اربعة فصول الاول في انواع الزكوة واسباب وجوبها الثاني في ادابها وشروطها الظاهرة والباطنة الثالث في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه الرابع في صدقة التطوع وفضلها

الفصل الاول في انواع الزكوات واسباب الوجوب

والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة انواع زكوة النعم والنقدين والتجارة وزكوة الركاز والمعادن وزكوة المعشرات وزكوة الفطر

النوع الاول زكوة النعم ولا تجب هذه الزكوة وغيرها الا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب في مال الصبي والمجنون هذا شرط من عليه فاما المال فشروطه خمسة ان يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال الشرط الاول كونه نعما فلا زكوة الا في الابل والبقر والغنم فلا زكوة فيها الثاني السوم فلا زكوة في المعلوفة واذا اسيم في وقت واعلف في وقت يظهر مؤنته فلا زكوة فيه الثالث الحول قال صلى الله عليه وسلم لا زكوة في مال حتى يحول عليه الحول ويستثنى عن هذا نتاج المال فانه ينسحب عليها حكم المال وتجب الزكوة فيها بحول الاصول ومهما باع المال في اثناء الحول او وهب انقطع الحول الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكوة في الماشية المرهونة لانه الذي حجر على نفسه فيه ولا تجب

الزكوة في الضال والمغصوب الا اذا عاد بجميع نمائه فتجب زكوة ما مضى عند عوده ولو كان عليه دين مستغرق لماله فلا زكوة عليه فانه ليس غنيا به اذ الغني ما يفضل عن الحاجة الخامس كمال النصاب اما الابل فلا شيء فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضان والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية او ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة وفي عشر شاتان وفي خمس عشر ثلاث شياه وفي عشرين اربع وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثانية فان لم يكن في ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وان كان قادرا على شرائه وفي ست وثلثين بنت لبون ثم اذا بلغت ستا واربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة فاذا صارت احدى وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة فاذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فاذا صارت احدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت احدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فاذا صارت مائة وثلاثين فقد استوى الحساب ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين بنت لبون واما البقر فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهي التي في السنة الثانية ثم في اربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة ثم في الستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك ففي كل اربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع واما الغنم فلا زكوة فيها حتى تبلغ اربعين ففيها شاة جذعة من الضان او ثنية من المعز ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان الى مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه الى اربعمائة ففيها اربع شياه ثم استقر الحساب في كل مائة شاة وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد في النصب فاذا كان بين رجلين اربعون من الغنم ففيها شاة واذا كان بين ثلاثة نفر مائة وعشرون ففيها شاة على جميعهم وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن يشترط ان يرعيا معا ويسقيا معا ويحلبا معا ويسرحا معا ويكون المرعى معا ويكون انزاء الفحل معا وان يكونا جميعا من اهل الزكوة فلا حكم للخلطة مع الذمي والمكاتب ومهما نزل في واجب الابل من سن الى سن فهو جائز ما لم يجاوز بنت المخاض في النزول ولكن يضم اليه جبران السن لسنة واحدة شاتين او عشرين درهما ولسنتين اربع شياه او اربعين درهما وله ان يصعد في السن ما لم يجاوز الجذعة في الصعود وياخذ الجبران من الساعي من بيت المال ولا تؤخذ في الزكوة مريضة اذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة وتؤخذ من الكرام كريمة ومن اللئام لئيمة ولا يؤخذ من المال الاكولة ولا الماخض ولا الربا ولا الفحل ولا غذاء المال

النوع الثاني زكوة المعشرات فيجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة من ولا شيء فيما دونها ولا في الفواكه والقطن ولكن في الحبوب التي تقتات ولا في التمر والزبيب ويعتبران يكون ثمانمائة من تمرا وزبيبا لا رطبا وعنبا ويخرج بعد التجفيف ويكمل احد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة لجميعهم ثمانمائة من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت فانه نوع منه هذا قدر الواجب ان كان يسقى بسيح او قناة فان كان يسقى بنضح او دالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فالاغلب يعتبر واما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ عنب ولا رطب الا اذا حلت بالاشجار آفة وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الادراك فيؤخذ الرطب فيكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع

من هذه القسمة قولنا ان القسمة تبع بل يرخص في مثل هذا الحاجة ووقت الوجوب ان يبدو الصلاح في
الثمار وان يشتد الحب ووقت الاداء بعد الجفاف **النوع الثالث** زكوة النقدين فاذا تم
الحول على مايتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو درهم و
نصاب الذهب عشرون دينارا خالصا بوزن مكة ففيها ربع العشر وما زاد فبحسابه وان نقص من
النصاب حبة فلا زكوة وتجب على من معه دراهم مغشوشة اذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة
وتجب الزكوة في التبر وفي الحلي المحظور كاواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب
في الحلي المباح وتجب في الدين الذي هو على مليء ولكن تجب عند الاستيفاء وان كان مؤجلا فلا تجب الا
عند حلول الاجل **النوع الرابع** زكوة التجارة وهي كزكوة النقدين وانما ينعقد الحول من وقت ملك
النقد الذي به اشترى البضاعة ان كان النقد نصابا فان كان ناقصا او اشترى بعرض على نية التجارة فالحول
من وقت الشراء ويؤدي الزكوة من نقد البلد ومن نوى التجارة في مال القنية لا ينعقد الحول بمجرد النية حتى يشتري
به شيئا ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقط الزكوة والاولى ان يؤدي زكوة تلك السنة وما كان من
ربح في السلعة في آخر الحول وجبت الزكوة فيها بحول راس المال ولم يستانف له حول كما في النتاج واموال
الصيارفة ولا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كساير التجارات وزكوة ربح مال القراض على العامل وان
كان قبل القسمة هذا هو الاقيس **النوع الخامس** الركاز والمعدن والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد
في ارض لم يجر عليها في الاسلام ملك فعلى واجده في الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر والاولى ان
لا يعتبر النصاب ايضا لان ايجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة واعتباره ايضا ليس بعيد لان مصرفه مصرف
الزكوات ولذلك يخصص على الصحيح بالنقدين **واما** المعادن فلا زكوة فيما استخرج منها سوى الذهب
والفضة ففيهما بعد الطحن والتحصيل ربع العشر على اصح القولين وعلى هذا يعتبر النصاب وفي الحول قولان
وفي قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر الحول وفي النصاب قولان والاشبه والعلم عند الله ان يلحق في قدر الواجب
بزكوة التجارة فانه نوع اكتساب وفي الحول بالعشرات لا يعتبر لاجل ان النمو ويعتبر النصاب كالعشرات و
الاحتياط ان يخرج الخمس من القليل والكثير من غير النقدين ايضا خروجا عن شبهة هذه الاختلافات فانها
ظنون قريبة من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشباه **النوع السادس** صدقة الفطر
وهي واجبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر
وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله صلعم وهو منوان وثلثا من يخرجه من جنس قوته او افضل منه
فان اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن ايها اخرج اجزأه وقسمتها كقسمة زكوة الاموال فيجب فيها
استيعاب الاصناف ولا يجوز اخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه
واولاده وكل قريب هو في نفقته اعني من يجب عليه نفقته من الاباء والامهات والاولاد قال صلى الله
عليه وسلم ادوا صدقة الفطر عمن تمونون ويجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا يجب صدقة العبد الكافر
وان تبرعت الزوجة بالاخراج عن نفسها اجزأه وللزوج الاخراج عنها دون اذنها وان فضل عنه ما يؤدي
عن بعضهم ادى عن بعضهم والاولى ان يقدم من كان نفقته آكد وقد قدم رسول الله صلعم نفقة الولد على نفقة الزوجة
ونفقتها على نفقة الخادم فهذه احكام فقهية لا بد للغني من معرفتها وقد تعرض له وقايع نادرة خارجة عن

هذا فلذلك يتكل فيه على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد احاطته بهذا المقدار **الفصل الثاني**
في الاداء وشروطه الظاهرة والباطنة **بيان الشروط الظاهرة** اعلم انه يجب على مؤدي الزكوة مراعاة
خمسة امور **الاول** النية وهو ان ينوي بقلبه زكوة الفرض وليس عليه تعيين الاموال فان كان له مال
غايب فقال هذا عن مالي الغايب ان كان سالما والا فهو نافلة جاز لانه ان لم يصرح به فكذلك
يكون عند اطلاقه ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي ونية السلطان تقوم مقام نية المالك
الممتنع عن الزكوة ولكن في ظاهر حكم الدنيا اعني في قطع المطالبة عنه اما في الآخرة فلا بل تبقى ذمته
مشغولة الى ان تستانف الزكوة واذا وكل باداء الزكوة ونوى عند التوكيل او وكل الوكيل بالنية
كفاه لان توكيله بالنية نية **الثاني** البدار عقيب الحول وفي زكوة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر
ويدخل وجوبها بغروب الشمس آخر يوم رمضان ووقت تعجيله شهر رمضان كله ومن اخر زكوة ماله مع التمكن
عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق وان اخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت
الزكوة عنه وتعجيل الزكوة جائز بشرط ان يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز تعجيل زكوة حولين
ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول او صار غنيا بغير ما عجل اليه او تلف مال المالك او مات فالمدفوع ليس
بزكوة واسترجاعه غير ممكن الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا آخر الامر وسلامة العاقبة
الثالث ان لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزي ورق عن ذهب ولا ذهب
عن ورق وان زاد عليه في القيمة ولعل بعض من لا يدرك غوص الشافعي يتساهل في ذلك ويلاحظ المقصود
من سد الخلة وما ابعده عن التحصيل فان سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة
اقسام **قسم** هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والاغراض فيه وذلك كرمي الجمرات مثلا اذ لا حظ للجمرة
في وصول الحصى اليها فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى
لان ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية اذ العبودية
تظهر بان تكون الحركة لحق امر المعبود فقط لا لمعنى آخر واكثر اعمال الحج كذلك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
في احرامه لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تنبيها على ان ذلك اظهارا للعبودية بالانقياد لمجرد الامر وامتثاله كما
امر من غير استيناس العقل منه بما يميل اليه ويحث عليه **والقسم** الثاني من واجبات الشرع ما المقصود
منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله
ونيته ومهما وصل الحق الى مستحقه باخذ المستحق او ببدل عنه عند رضاه تادى الوجوب وسقط خطاب
الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس **والقسم** الثالث هو المركب الذي
يقصد منه الامران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ
رد الحقوق فهذا قسم في نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي ان ينسى
ادق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب اجلاهما ولعل الادق هو الاهم والزكوة من هذا القبيل
ولم ينتبه له غير الشافعي فحظ الفقير مقصود في سد الخلة وهو جلي سابق الى الافهام وحق التعبد
في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكوة قرينة الصلوة والحج في كونها من مباني الاسلام
ولا شك في ان على المكلف تعبا في تمييز اجناس ماله واخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم

توزيعه على الاصناف الثمانية كما سياتي والتساهل فيه غير قادح في حظ الفقير ولكنه قادح في التعبد ويدل على ان التعبد مقصود بتعيين الانواع امور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهيات ومن اوضحها ان الشرع اوجب في خمس من الابل شاة فعدل عن الابل ولم يعدل الى النقدين والتقويم وان قدر ان ذلك لقلة النقود في ايدي العرب بطل بذكره عشرين درهما في الجبران مع الشاتين فلم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وشاتين ان كانت الثياب والامتعة كلها في معناها فهذا وامثاله من التخصيصات يدل على ان الزكوة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج ولكن جمع بين المعنيين والاذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا منشاء للغلط فيه الرابع ان لا ينقل الصدقة الى بلد آخر فان اعين المساكين في كل بلدة تمتد الى اموالها وفي النقل تخييب للظنون فان فعل ذلك اجزاه في قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف اولى فليخرج زكوة كل مال في تلك البلدة ثم لا باس ان تصرف الى الغرباء في تلك البلدة الخامس ان يقسم ماله بعدد الاصناف الموجودين في البلدة فان استيعاب الاصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين وذلك يشبه التشريك في التمليك والعبادات ينبغي ان يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان في اكثر البلاد وهم المؤلفة والعاملون على الزكوة ويوجد في جميع البلاد اربعة اصناف الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون اعني ابناء السبيل وصنفان يوجد في بعض البلاد دون بعض وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة اصناف مثلا قسم زكوة ماله بخمسة اقسام متساوية وعين لكل صنف قسما ثم قسم كل قسم بثلاثة اسهم فما فوقه اما متساوية او متفاوتة وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف فان له ان يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد واما الاصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي ان ينقص في كل صنف من ثلاثة ان وجد ولو لم يجب الا صاع للفطرة ووجد خمسة اصناف فعليه ان يوصله الى خمسة عشر نفرا ولو نقص منه واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليشارك جماعة ممن عليهم الزكوة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم اليهم حتى يتساهموا فيه فان ذلك لا بد منه

بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكوة

اعلم ان على مريد طريق الآخرة بزكوته وظائف الاولى فهم وجوب الزكوة ومعناه ووجه الامتحان فيه وانه لم جعل من مباني الاسلام مع انه تصرف مالي وليس من عبادات الابدان وفيه ثلاثة معان الاول ان التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء به ان لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوب والاموال محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يانسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء الله والمسامحة بالمال اهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الاموال انقسم الناس ثلاثة اقسام فقسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع اموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما ولم

ان يتعرضوا

يتعرضوا لوجوب الزكوة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكوة في مائتي درهم فقال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا تصدق ابو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم ما ذا ابقيت لاهلك فقال مثله فقال لابي بكر ما ذا ابقيت لاهلك قال الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم بينكما ما بين كلمتيكما فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله القسم الثاني درجتهم دون درجة هذا وهم الممسكون اموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه البر مهما ظهر وجوهها وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكوة وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان في المال حقوقا سوى الزكوة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد قال الشعبي بعد ان قيل له هل في المال حق سوى الزكوة قال نعم اما سمعت قوله تعالى وآتى المال على حبه الآية واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وبقوله انفقوا مما رزقناكم وزعموا ان ذلك غير منسوخ بآية الزكوة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكوة والذي يصح في الفقه من هذا انه مهما ارهقت حاجة كانت ازالتها فرض كفاية اذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل ان يقال ليس يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الاقراض وهذا مختلف فيه والاقراض نزول الى الدرجة الاخيرة من الدرجات للعوام وهي درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على اداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهو اقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم اليه وضعف حبهم للآخرة قال الله تعالى ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا اي يستقصي عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بان له الجنة وبين عبد لا يستقصي وبين عبد يستقصي عليه لبخله فهذا احد معاني امر الله سبحانه ببذل الاموال المعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وسياتي في ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التفصي منه وانما تزول صفة البخل بان يتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكوة بهذا المعنى طهرة اي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى المعنى الثالث شكر النعمة فان لله على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وما اخس من ينظر الى الفقير وقد ضيق الرزق عليه واحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال واحوج غيره اليه ربع العشر او العشر من ماله الوظيفة الثانية في وقت الاداء ومن آداب ذوي الدين التعجيل على وقت الوجوب اظهارا للرغبة في الامتثال وايصالا للسرور الى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان ان تعوق عن الخيرات وعلما بان في التاخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو اخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي ان يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فما اسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويامر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكوته ان كان

يؤديه جميعا شهرا معلوما وليجتهد ان يكون من افضل الاوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته
وتضاعف زكوته وذلك كشهر المحرم فانه اول السنة وهو من الاشهر الحرم او رمضان وقد كان صلى
الله عليه وسلم اجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيها شيا ولرمضان فضيلة
ليلة القدر وانه انزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من اسماء الله تع ولكن
قولوا شهر رمضان وذو الحجة ايضا من الشهور الكثيرة الفضل شهر حرام وفيه الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات
وهي العشر الاول والايام المعدودات وهي ايام التشريق وافضل ايام شهر رمضان العشر الاواخر و
افضل ايام ذي الحجة العشر الاول الوظيفة الثالثة الاسرار فان ذلك ابعد من الرياء والسمعة قال
صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال بعض العلماء ثلاث من كنوز البر اخفاء
الصدقة وقد روي مسندا وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله تع له سرا فان
اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء وفي الحديث
المشهور سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما اعطته يمينه
وفي الخبر صدقة السر تطفي غضب الرب تع وقال تع وان تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم وفائدة الاخفاء
الاخلاص من آفة الرياء والسمعة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا
منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطي في ملاء من الناس يبغي الرياء والاخفاء و
السكوت هو المخلص منه وقد بالغ في قصد الاخفاء جماعة حتى اجتهدوا ان لا يعرف القابض المعطي فكان
بعضهم يلقيه في يد اعمى وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وهو في موضع جلوسه حيث يراه ولا يراه المعطي
وبعضهم كان يصر في ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف
المعطي وكان يستكتم المتوسط شانه ويوصيه بان لا يفشيه كل ذلك توصلا الى اطفاء غضب الرب
واحترازا من الرياء والسمعة ومهما لم يتمكن الا بان يعرفه شخص واحد فتسليمه الى وكيل ليسلم الى المسكين
والمسكين لا يعرف اولى اذ في معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس في معرفة المتوسط الا الرياء
ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لان الزكوة ازالة للبخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه
اشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب في
القبر في حكم المثال عقربا لادغا وصفة الرياء تنقلب افعى من الافاعي وهو مامور بتضعيفهما
او قتلهما لدفع اذاهما او تخفيف اذاهما فمهما قصد الرياء والسمعة فكانه جعل بعض اطراف العقرب
قوتا للحية فبقدر ما ضعف من العقرب زاد في قوة الحية ولو ترك الامر كما كان لكان الامر اهون عليه
وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل وقوت
بخلاف مقتضاها فاي فائدة في ان يخالف داعي البخل ويجيب داعي الرياء فيضعف الادنى ويقوي الاقوى
وستاتي اسرار هذه المعاني في ربع المهلكات الوظيفة الرابعة ان يظهر حيث يعلم ان في الاظهار
ترغيبا للناس في الاقتداء ويحرس سره عن داعية الرياء بالطريق الذي سنذكره في معالجة الرياء و
قد قال تع ان تبدوا الصدقات فنعما هي وذلك حيث يقتضي الحال الابداء اما للاقتداء واما
لان السائل انما سال على ملاء من الناس فلا ينبغي ان يترك التصدق خيفة من الرياء في الاظهار بل ينبغي

ان يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا لان في الاظهار محذورا ثالثا سوى
المن والرياء وهو هتك ستر الفقير لانه ربما يتاذى بان يرى في صورة المحتاج فمن اظهر السؤال فهو
الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في اظهاره وهو كاظهار الفسق على من يتستر به فانه
محظور والتجسس فيه والاغتياب بذكره منهي عنه فاما من اظهره فاقامة الحد عليه اشاعة و
لكن هو السبب فيها ولمثل هذا المعنى قال صلعم من القى جلباب الحياء فلا غيبة له وقال الله تع وانفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية ندب الى العلانية ايضا لما فيه من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التامل
في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيه فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فقد يكون الاعلان
في بعض الاحوال لبعض الاشخاص افضل فمن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له
الاولى والاليق بكل حال الوظيفة الخامسة ان لا يفسد صدقته بالمن والاذى قال الله تع
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واختلفوا في حقيقة المن والاذى فقيل المن ان يذكرها والاذى
ان يظهرها وقال سفين من من فسدت صدقته فقيل كيف المن فقال ان يذكره ويتحدث
به وقيل المن ان يستخدمه بالعطاء والاذى ان يعيره بالفقر وقيل المن ان يتكبر
عليه لاجل عطائه والاذى ان ينتهره ويوبخه بالمسئلة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل
الله صدقة منان وعندي ان المن له اصل ومغرس هو من احوال القلب وصفاته ثم يتفرع
عليه اعمال ظاهرة على اللسان والجوارح واصله ان يرى نفسه محسنا اليه ومنعما عليه وحقه ان
يرى الفقير محسنا اليه ومتفضلا عليه وحقه لا الى نفسه بقبول حق الله منه الذي هو طهرته ونجاته
من النار وانه لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه ان يتقلد منة من الفقير اذ جعل كفه نائبا عن الله
في قبض حق الله قال رسول الله صلعم ان الصدقة تقع بيد الله قبل ان تقع في يد السائل فليتحقق
انه مسلم الى الله حقه والفقير اخذ من الله رزقه بعد صيرورته مسلما الى الله ولو كان عليه دين
لانسان فاحال به صاحب الدين عبده او خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مودي
الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا فان المحسن اليه المتكفل برزقه فاما هو فانما
يقضي الدين الذي لزمه بشراء ما احبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعاني
الثلث التي ذكرناها في فهم وجوب الزكوة واخذها لم ير نفسه محسنة الا الى نفسه اما ببذل ماله
اظهارا لحب الله او تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل او شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد وكيفما كان
فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا اليه ومهما جهل بان راى نفسه محسنا اليه تفرع
منه على ظاهره ما ذكر في معنى المن وهو التحدث به واظهاره وطلب المكافاة منه بالشكر والدعاء
والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقدم في المجالس والمتابعة في الامور فهذه
كلها ثمرات المنة ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه واما الاذى فظاهره التوبيخ والتعيير و
تخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالاظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهو منبعه
امران احدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فان ذلك يضيق الخلق
لا محالة والثاني رؤيته انه خير من الفقير وان الفقير بسبب حاجته اخس رتبة منه وكلاهما

معناه الجهل اما كراهة تسليم المال فهو حمق لان من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي الفا فهو شديد
الحماقة ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضاء الله والثواب في الدار الاخرة وذلك اشرف مما بذله او يبذله
لتطهير نفسه عن رذيلة البخل او شكرا لطلب المزيد وكيف ما فرض فالكراهة لا وجه لها واما الثاني فهو ايضا
جهل لانه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الاغنياء لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته فصلحاء
الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمس مائة عام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم هم الاخسرون ورب الكعبة
قال ابو ذر ومن هم قال الاكثرون اموالا الحديث ثم كيف يستحقر الفقير وقد سخره الله له اذ يكتسب المال
بجهده ويستكثر منه ويجتهد في حفظه بمقدار الحاجة وقد الزم ان يسلم الى الفقير قدر حاجته ويكف عنه
الفاضل الذي يضره لو سلم اليه فالغني مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عنه بتقلد المظالم و
التزام المشاق وحراسة الفضلات الى ان يموت فياكله اعداؤه فاذا مهما انتفت الكراهة وتبدلت
بالسرور والفرح بتوفيق الله له في اداء الواجب واقاضه للفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه انتفى
الاذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة فهذا منشأ المن والاذى
فان قلت فرؤيته نفسه في درجة المحسن امر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف به انه لم ير نفسه
محسنا فاعلم ان له علامة دقيقة واضحة وهو ان يقدر ان الفقير لو جنى عليه جناية او مالأ عدوا له
عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق فان زاد لم تخل صدقته عن شائبة
المنة لانه توقع بسببها ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك فان قلت فهذا امر غامض ولا ينفك قلب احد عنه
فما دواؤه فاعلم ان له دواء باطنا ودواء ظاهرا اما الباطن فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في فهم
الوجوب وان الفقير هو المحسن اليه في تطهيره بالقبول واما الظاهر فالاعمال التي يتعاطاها متقلد
المنة فان الافعال التي تصدر عن الاخلاق تصبغ القلب بالاخلاق كما سياتي اسراره في الشطر الاخير
من الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى يكون
هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لو رده وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير
من كفه وتكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وام سلمة رضي الله عنهما اذا ارسلتا معروفا الى
فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا
صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لانه شبه المكافاة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله وهكذا فعل عمر بن
الخطاب وابنه عبد الله فهكذا كان ارباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر الا هذه
الاعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها هذا من حيث العمل
وذاك من حيث العلم ولا يعالج القلب الا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع
من الصلوة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم ليس للمرء من صلوته الا ما عقل وهذا بقوله لا يقبل
الله صدقة منان وبقوله تع لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى واما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها
وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط فحديث آخر وقد اشرنا الى معناه في كتاب الصلوة الوظيفة السادسة
ان يستصغر العطية فانه ان استعظمها اعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للاعمال قال
تع ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله والمعصية كلما

كبرت صغرت عند الله والمعصية كلما كبرت صغرت عند الله وقيل لا يتم المعروف الا بثلاث تصغيره
وتعجيله وستره وليس الاستعظام هو المن والاذى فانه لو صرف ماله الى عمارة مسجد او رباط
امكن فيه الاستعظام ولا يمكن المن والاذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات ودواؤه
علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم ان العشر او ربع العشر قليل من كثير وانه قد قنع لنفسه باخس درجات البذل
كما ذكرناه في فهم الوجوب فهو جدير بان يستحيي منه فكيف يستعظمه وان ارتقى الى الدرجة العليا
فبذل كل ماله او اكثره فليتامل انه من اين له المال والى ماذا يصرفه فالمال لله وله المنة عليه اذ اعطاه ثم وفقه
لبذله فلم يستعظم في حق الله ما هو عين حق الله وان كان مقامه يقتضي ان ينظر الى الآخرة وانه يبذله
للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه واما العمل فهو ان يعطيه عطاء الخجل من بخله بامساك
بقية ماله عن الله تع فيكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد
البعض لان المال كله لله وبذل جميعه هو الاحب عند الله وانما لم يامر به عبده لانه يشق عليه بسبب بخله
كما قال ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا الوظيفة السابعة ان ينتقي من ماله اجوده واحبه اليه واجله واطيبه
فان الله طيب لا يقبل الا طيبا واذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع و
في حديث ابان عن انس طوبى لعبد انفق من مال اكتسبه من غير معصية واذا لم يكن المخرج من جيد
المال فهو من سوء الادب اذ يمسك الجيد لنفسه او لعبده او اهله فيكون قد آثر على الله غيره ولو فعل
هذا بضيفه وقدم اليه اردى طعام في بيته لاوغر به صدره هذا ان كان نظره الى الله وان كان
نظره الى نفسه وثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق به فابقى او
اكل فافنى والذي ياكله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصور النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال
تع يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون
ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه اي لا تأخذونه الا مع كراهة وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم
وفي الخبر سبق درهم مائة الف درهم وذلك بان يخرجه الانسان وهو من احل ماله واجوده فيصدر
ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره من ماله فيدل على انه ليس يؤثر الله بشيء
مما يحبه وكذلك ذم الله تع قوما جعلوا لله ما يكرهون فقال ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم
الكذب ان لهم الحسنى لا وقف بعض القراء على النفي تكذيبا لهم ثم ابتدأ وقال جرم ان لهم النار اي كسب
لهم جعلهم لله ما يكرهون النار الوظيفة الثامنة ان يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفي بان
يكون من عموم الاصناف الثمانية فان في عمومهم خصوصا فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة
الصفة الاولى ان يطلب الاتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة قال صلعم لا
تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي وهذا لان التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكا له في
طاعته باعانتك اياه وقال صلى الله عليه وسلم اطعموا طعامكم الاتقياء واولوا معروفكم المؤمنين
وفي لفظ آخر اضف بطعامك من تحبه في الله وكان بعض العلماء يؤثر بالعطاء فقراء الصوفية دون غيرهم
فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء كان افضل فقال لا هؤلاء قوم همهم لله سبحانه فاذا طرقتهم
فاقة تشتت هم احدهم فلان ارد همة واحد الى الله احب الي من ان اعطي الفا ممن همته الدنيا فذكر ذلك

الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولي من اولياء الله تع وقال ما سمعت منذ زمان كلاما احسن
من هذا ثم حكي ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله
بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا ياخذ من
الفقراء ثمن ما يبتاعون منه الصفة الثانية ان يكون من اهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له
على العلم والعلم اشرف العبادات مهما صحت فيه النية وقال ابن المبارك يخصص بمعروفه اهل العلم فقيل وكان
لو عممت فقال اني لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب احدهم
بحاجة لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعليم فتفريغهم للعلم افضل الصفة الثالثة ان يكون
صادقا في تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده انه اذا اخذ العطاء حمد الله وشكره ورأى النعمة منه ولم
ينظر الى واسطة فهذا هو اشكر العباد لله وهو ان يرى النعمة كلها منه وفي وصية لقمن لابنه لا تجعل
بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله فكانه لم يعرف المنعم ولم يتيقن ان
الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله اذ سلط الله عليه دواعي الفعل ويسر له الاسباب فاعطى وهو
مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد ان القى الله تع في قلبه ان صلاح دينه ودنياه في فعله فمهما قوي
الباعث اوجب ذلك جزم الارادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوي
الذي لا تردد فيه والله خالق البواعث ومهيجها ومزيل الضعف والتردد عنها ومسخر القدرة
للانتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الاسباب ويتيقن مثل هذا العبد
انفع للمعطي من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل في الاكثر جدواه واعانة مثل هذا الموحد لا تضيع
فاما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الايذاء واحواله متقاربة وقد روي
انه صلى الله عليه وسلم بعث معروفا الى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما اخذ قال الحمد لله
الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعني نفسه فاجعل فلانا لا ينساك
فاخبر رسول الله صلعم بذلك فسر وقال علمت انه يقول ذلك فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده وقال
صلى الله عليه وسلم لرجل تب فقال اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فقال صلعم عرف الحق لاهله ولما نزلت
براءة عائشة في قصة الافك قال ابو بكر قومي فقبلي راس رسول الله فقالت والله لا افعل ولا احمد الا
الله فقال رسول الله صلعم دعها يا ابا بكر وفي لفظ آخر انها قالت لابي بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك
فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك مع ان الوحي وصل اليها على لسان رسول الله صلعم ورؤية الاشياء
من غير الله وصف الكافرين قال الله تع واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا
ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط
فكانه لم ينفك عن الشرك الخفي سره فليتق الله في تصفية توحيده عن كدورة الشرك وشوائبه الصفة الرابعة
ان يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى او يكون من اهل المروءة وممن ذهبت نعمته و
بقيت عادته وهو يتعيش في جلباب التجمل قال الله تع يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم
لا يسألون الناس الحافا اي لا يلحون في السؤال لانهم اغنياء بيقينهم اعزة بصبرهم وهذا ينبغي ان يطلب
بالتفحص عن اهل الدين في كل محلة ويستكشف عن بواطن احوال اهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف

اليهم

اليهم اضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسؤال الصفة الخامسة ان يكون معيلا او محبوسا بمرض
او بسبب من الاسباب فيوجد فيه معنى قوله تع للفقراء الذين احصروا في سبيل الله اي حبسوا في طريق
الآخرة بعيلة او ضيق معيشة او اصلاح قلب لا يستطيعون ضربا في الارض لانهم مقصوصو الجناح مقيدو
الاطراف بهذه الاسباب كان عمر يعطي اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان عليه السلام يعطي
العطاء على قدر العيلة وسئل عمر عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال الصفة السادسة
ان يكون من الاقارب وذوي الرحم فيكون صدقة وصلة وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى قال علي
رضي الله عنه لان اصل اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصله بعشرين
درهما احب الي من ان اتصدق بمائة درهم ولان اصله بمائة درهم احب الي من ان اعتق رقبة والاصدقاء
واخوان الخير ايضا يتقدمون على المعارف كما يتقدم الاقارب على الاجانب فليراع هذه الدقائق فهذه
هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات فينبغي ان يطلب اعلاها فان وجد من جمع جملة من الصفات
فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد في ذلك فاصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر واحد
فان احد اجريه في الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتاكيده حب الله في قلبه واجتهاده في طاعته وهذه
الصفات هي التي تقوى في قلبه فتشوقه الى لقاء الله تع والاجر الثاني ما يعود اليه من فائدة دعوة الآخذ
وهمته فان قلوب الابرار لها آثار في الحال والمآل فان اصاب حصل الاجران وان اخطأ حصل الاول
دون الثاني فهذا معنى تضاعف اجر المصيب في الاجتهاد هاهنا وفي سائر المواضع والله اعلم

الفصل الثالث في القابض واسباب استحقاقه ووظائف قبضه بيان اسباب الاستحقاق

اعلم انه لا يستحق الزكوة الا حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي اتصف بصفة من صفات الاصناف
الثمانية المذكورين في كتاب الله فلا يصرف زكوة الى كافر ولا الى عبد ولا الى هاشمي ومطلبي اما الصبي و
المجنون فيجوز الصرف اليهما اذا قبض وليهما فلنذكر صفات الاصناف الثمانية الصنف الاول الفقراء
والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه
مسكين وان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وان كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا
سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير لانه في الحال قد عدم ما هو
محتاج اليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغي ان يشترط في الفقير ان لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فان
هذا غلو والغالب انه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه معتادا للسؤال فلا يجعل السؤال كسبا بخلاف
ما لو قدر على كسب فان ذلك يخرجه عن الفقر فان قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز ان يشترى له الآلة
فان قدر على كسب لا يليق بمروته وبحال مثله فهو فقير وان كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب
عن التفقه فهو فقير ولا يعتبر قدرته وان كان متعبدا يمنعه الكسب عن وظائف العبادات و
اوراد الاوقات فليكتسب لان الكسب اولى منه قال صلى الله عليه وسلم الكسب فريضة بعد الفريضة
وقال عمر كسب في شبهة خير من مسألة وان كان مكتفيا بنفقة ابيه او من تجب عليه نفقته فهذا اهون
من الكسب فليس بفقير الصنف الثاني المساكين والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك
الف درهم وهو مسكين وقد لا يملك الا فاسا او حبلا وهو غني والدويرة التي يسكنها والثوب الذي

يستر على قدر حاله لا يسلب اسم المسكين وكذا اثاث البيت اعني ما يحتاج اليه وذلك ما يليق به وكذا كتب الفقيه لا تخرجه عن المسكنة واذا لم يملك سوى الكتب فلا يلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب واثاث البيت فانه يحتاج اليه ولكن ينبغي ان يحتاط في فهم الحاجة فالكتاب يحتاج اليه لثلاثة اغراض للتعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة اما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الاشعار و تواريخ الاخبار وامثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجري في الدنيا الا مجرى التفرج والاستيناس فهذا يباع في الكفارة وزكوة الفطر ويمنع اسم المسكنة واما حاجة التعليم ان كان لاجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس باجرة فهذه آلة فلا تباع في الفطرة كادوات الخياط وساير المحترفين فان كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكنة لانه حاجة مهمة واما حاجة الاستفادة و التعلم من الكتاب كادخاره كتاب طب ليعالج به نفسه او كتاب وعظ ليطالع به ويتعظ به فان كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه وان لم يكن فهو محتاج اليه ثم ربما لا يحتاج الى مطالعة الكتاب الا بعد مدة فينبغي ان يضبط مدة الحاجة والاقرب ان يقال ما لا يحتاج اليه في السنة فهو مستغنى عنه فان من فضل من قوت يومه شيء لزمه الفطرة فاذا قدرنا حاجة القوت باليوم فحاجة اثاث البيت وثياب البدن ينبغي ان تقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء ولا اثاث الشتاء في الصيف والكتب بالثياب والاثاث اشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة الى احدهما فان قال احدهما اصح والاخرى احسن فانا محتاج اليهما قلنا اكتف بالاصح ودع الاحسن ودع التفرج والترفه وان كانت نسختان من علم واحد احدهما بسيط والاخرى وجيز فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وان كان قصده التدريس فيحتاج اليهما اذ في كل واحدة فائدة ليست في الاخرى وامثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض له في فن الفقه وانما اوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره فان استقصاء هذه الصور غير ممكن اذ يتصدى مثل هذا النظر في اثاث البيت في مقدارها ونوعها وفي ثياب البدن وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الامور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيه رايه ويقرب في التحديد بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والمتورع ياخذ بالاحوط ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه والدرجات المتوسطة المشكلة بين الاطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجي منها الا الاحتياط **الصنف الثالث** العاملون وهم السعاة الذين يجمعون الزكوة سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على اجر المثل فان فضل شيء من الثمن عن اجر مثلهم رد على بقية الاصناف وان نقص كمل من مال المصالح **الصنف الرابع** المؤلفة قلوبهم وهو الشريف الذي اسلم وهو مطاع في قومه وفي اعطائه تقريره على الاسلام وترغيب نظرائه واتباعه **الصنف الخامس** المكاتبون ويدفع الى السيد سهم المكاتب وان دفع الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكوته الى مكاتب نفسه لانه بعد عبده **الصنف السادس** الغارمون والغارم هو الذي استقرض في طاعة او مباح وهو فقير فان استقرض في معصية فلا يعطى الا اذا تاب وان كان غنيا لم يقض دينه الا اذا كان قد استقرض لمصلحة او اطفاء فتنة **الصنف السابع** الغزاة الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة فيصرف اليهم سهم وان كانوا اغنياء اعانة لهم على الغزو **الصنف الثامن** ابن السبيل وهو الذي شخص من بلده ليسافر في غير معصية او اجتاز بها فيعطى ان كان فقيرا وان كان له مال ببلد آخر اعطي قدر بلغته فان قلت فبم يعرف هذه الصفات قلنا اما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز الاعتماد على قوله اذا لم يعلم كذبه واما الغزو والسفر فهو امر مستقبل فيعطى بقوله اني غازم فان لم يف به استرد واما بقية الاوصاف فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق فاما مقدار ما يصرف الى كل واحد فسياتي بيانه ان شاء الله تعالى

بيان وظايف القابض وهي خمسة

الاولى ان يعلم ان الله اوجب صرفه اليه ليكفيه مهمه ويجعل همومه هما واحدا وقد تعبد الله الخلق بان تكون همهم واحدة وهو الله واليوم الآخر وهو المعني بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولكن لما اقتضت الحكمة ان يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم افاضة نعمة تكفي الحاجات فاكثر الاموال وصبها في ايدي عباده لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعتهم فمنهم من اكثر ماله فتنة وبلية فاقحمه متن الخطر ومنهم من احبه فحماه الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق اليه قدر حاجته على يد الاغنياء ليكون شغل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم وفائدته تنصب الى الفقراء فيتجردون لعبادة الله و الاستعداد لما بعد الموت فلا يصرفهم عنها فضول الدنيا ولا يشغلهم عنها الفاقة وهذا منتهى النعمة فحق الفقير ان يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله عليه فيما زواه عنه اكثر من فضله فيما اعطاه كما سياتي في كتاب الفقر تحقيقه وبيانه فليأخذ ما ياخذه من الله رزقا له وعونا على الطاعة فليكن نيته فيه ان يتقوى به على طاعة فان لم يقدر عليه فليصرفه الى ما اباحه الله تعالى فان استعان به على معصية الله كان كافرا لانعم الله مستحقا للبعد والمقت من الله **الثانية** ان يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله اليه وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله فقد قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد اثنى الله على عباده في مواضع على اعمالهم وهو خالقها وخالق القدرة عليها نحو قوله نعم العبد انه اواب الى غير ذلك وليقل القابض في دعائه طهر الله تعالى قلبك في قلوب الابرار وزكى عملك في عمل الاخيار وصلى على روحك في ارواح الشهداء وقد قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافأتموه ومن تمام الشكر ان يستر عيوب العطاء ان كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع اذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطي الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه اذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض والنافع للمعطي ملاحظة اسباب التصغير ويضره خلافه و الآخذ بالعكس وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله فان من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر ان يرى الواسطة اصلا **الثالثة** ان ينظر فيما ياخذه فان لم يكن من حله تورع عنه فمن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال فلا ياخذ من اموال الاتراك و الجنود وعمال السلطان ومن اكثر ماله كسبه من الحرام الا اذا ضاق عليه الامر وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا معينا فله ان ياخذ بقدر الحاجة فان فتوى الشرع في مثل هذا ان يتصدق به على ما سياتي بيانه

في كتاب الحلال والحرام وذلك اذا عجز عن الحلال فاذا اخذ لم يكن اخذه اخذ زكوة اذ لا يقع زكوة عن مؤد وهو حرام **الرابعة** ان يتوقى مواقع الريبة والاشتباه في مقدار ما ياخذ فلا ياخذ الا القدر المباح ولا ياخذ الا اذا تحقق انه موصوف بصفة الاستحقاق فان كان ياخذ بالكتابة او بالغرامة فلا يزيد على قدر الدين وان كان ياخذ بالعمل فلا يزيد على اجرة المثل فان اعطي زيادة ابى وامتنع اذ ليس المال للمعطي حتى يتبرع به وان كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة الى مقصده وان كان غازيا لم ياخذ الا ما يحتاج اليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة وذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريبه الى ما لا يريبه وان اخذ بالمسكنة فلينظر اولا الى اثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغني عنه ما بعينه او يستغني عن نفاسته فيمكن ان يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك الى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق معه انه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه انه غير مستحق وبينهما اوساط مشتبهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والاعتماد في هذا على قول الاخذ ظاهرا وللمحتاج في تقدير الحاجة مقامات في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع الى التضييق وميل المتساهل الى التوسع حتى يرى نفسه محتاجا الى فنون من التوسع وهو ممقوت في الشرع ثم اذا تحققت حاجته فلا ياخذن مالا كثيرا بل ما يتم كفايته من وقت اخذه الى سنة فهذا اقصى ما يرخص فيه من حيث ان السنة اذا تكررت تكررت اسباب الدخل ومن حيث ان رسول الله صلعم ادخر لعياله قوت سنة فهذا اقرب ما يحد به حق الفقير والمسكين على حاجة شهر او حاجة يومه فهو اقرب للتقوى ومذاهب العلماء في قدر الماخوذ بحكم الزكوة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل الى حد اوجب الاقتصاد على قوت يومه وليلة وتمسك بما روى سهل بن حنظلة انه عليه السلام نهى عن السؤال مع الغنى فسئل عن غناه فقال غداؤه وعشاؤه وقال آخرون ياخذ الى الغنى وحد الغنى نصاب الزكوة اذ لم يوجب الله تع الزكوة الا على الاغنياء فقالوا له ان ياخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكوة وقال قايلون حد الغنى خمسون درهما لما روى ابن مسعود انه عليه السلام قال من سال وله مال يغنيه جاء يوم القيمة وفي وجهه خموش قيل وما غناه قال خمسون او قيمتها من الذهب وقيل راويه ليس بقوي وقال قوم اربعون لما روى عطاء بن يسار منقطعا انه عليه السلام قال من سال وله اوقية فقد الحف في السؤال وبالغ آخرون في التوسع فقالوا له ان ياخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني به طول عمره او يهيئ بضاعة ليتجر فيها لانه هذا هو الغنى وقد قال عمر رضي الله عنه اذا اعطيتم فاغنوا حتى ذهب قوم الى ان من افتقر فله ان ياخذ بقدر ما يعود به الى مثل حاله ولو عشرة الف درهم الا اذا خرج عن حد الاعتدال ولما شغل طلحة بستانه عن الصلوة قال جعلته صدقة فقال عليه السلام اجعله في قرابتك فهو خير لك فاعطاه حسان وابا قتادة فحايط من نخل لرجلين كثير مغن واعطى عمر اعرابيا ناقة معها ظئرا فهذا ما حكي فيه اما التقليل الى قوت اليوم او الاوقية فذلك ورد في كراهة السؤال والتردد على الابواب وذلك مستنكر وله حكم آخر بل التجويز ان يشتري ضيعة فيستغني بها اقرب الى الاحتمال وهو ايضا مائل الى الاسراف والاقرب الى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضييق وهذه الامور اذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس للمجتهد الا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع استفت قلبك وان افتوك وافتوك وقال صلى الله عليه وسلم الاثم حزاز القلوب واذا وجد القابض في نفسه شيئا مما ياخذ

فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر فان لفتاويهم قيودا ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقي من الشبهات من شيم ذوي الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة **الخامسة** ان يسال صاحب المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن فلا ياخذ منه لانه لا يستحق مع شريكه الا الثمن فلينقص من الثمن مقدار ما يصرف الى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب لاكثر الخلق فانهم لا يراعون هذه القسمة اما لجهل او لتساهل وانما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الامور اذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم وسياتي مظان السؤال ودرجات الاحتمال في كتاب الحلال والحرام ان شاء الله تع

الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وآداب اخذها واعطائها

بيان فضيلة الصدقة

من الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجايع وتطفي الخطيئة كما يطفي الماء النار وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا كان الله عز و جل ياخذها بيمينه فيربيها كما يربي احدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل احد وقال لابي الدرداء اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر اهل بيت من جيرانك فاصبهم منه بمعروف وقال ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله الخلافة على تركته وقال كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وقال الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وقال صدقة السر تطفي غضب الرب وقال ما المعطي من سعة بافضل اجرا من الذي يقبل من حاجة ولعل المراد به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين ليكون مساويا للمعطي الذي يقصد باعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله صلعم اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تامل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان و[قد] قال صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل ان عندي دينارا قال انفقه على نفسك قال ان عندي آخر قال انفقه على زوجتك قال ان عندي آخر قال انفقه على ولدك قال ان عندي آخر قال انفقه على خادمك قال ان عندي آخر قال انت ابصر به وقال صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لآل محمد انما هي اوساخ الناس وقال ردوا مذمة السايل ولو بمثل راس الطاير من الطعام وقال لو صدق السايل ما افلح من رده وقال عيسى عليه السلام من رد سايلا خايبا لم تغش الملايكة ذلك البيت سبعة ايام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده وقال ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقرأوا ان شئتم لا يسالون الناس الحافا وقال عليه السلام ما من مسلم يكسو مسلما الا كان في حفظ الله عز وجل ما دامت عليه منه رقعة

الآثار قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عايشة رضي الله عنها بخمسين الفا وان درعها لمرقع وقال مجاهد في قول الله تع ويطعمون الطعام على حبه قال وهم يشتهونه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون على اولي الحاجة منا وقال عبد العزيز بن عمير الصلوة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن ابي الجعد ان الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها سبعون ضعفا وانها لتفك لحيي سبعين شيطانا وقال ابن مسعود ان رجلا عبد الله سبعين سنة ثم اصاب

فاحشة فاحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمله السبعين سنة وقال لقمان لابنه اذا اخطات خطيئة فاعط صدقة وقال يحيى بن معاذ ما اعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن ابي رواد كان يقال ثلاثة من كنوز البر كتمان المرض وكتمان المصائب وكتمان الصدقة وروي مسندا وقال عمر بن الخطاب ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة انا افضلكن وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والله يعلم اني احب السكر وقال النخعي اذا كان الشيء لله لا يسرني ان يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيمة اجوع ما كانوا قط واعطش ما كانوا قط فمن اطعم لله اشبعه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كسا لله كساه الله وقال الحسن لو شاء الله لجعلكم اغنياء لا فقير فيكم ولكن ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة احوج من الفقير الى صدقته فقد ابطل صدقته وضرب بها وجهه وقال مالك لا نرى بشرب الموسر من الماء الذي يتصدق به ويسقى في المسجد باسا لانه انما جعل للعطشان من كان ولم يرد به اهل الحاجة والمسكنة على الخصوص ويقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس اترضى في ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله عز وجل رضي في الحور العين بالفلس واللقمة **بيان الاخفاء اخذ الصدقة واظهاره** فقد اختلف طرق طلاب الاخلاص في ذلك فمال قوم الى ان الاخفاء افضل ومال قوم الى ان الاظهار افضل ونحن نشير الى ما في كل واحد من المعاني والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه اما الاخفاء ففيه خمسة معان الاول انه ابقى للستر على الآخذ فان اخذه ظاهرا هتك ستر المروة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذي يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف الثاني انه اسلم لقلوب الناس ولالسنتهم فانهم ربما يحسدون او ينكرون عليه اخذه ويظنون انه اخذ مع الاستغناء او ينسبونه الى اخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر وصيانتهم عن هذه الجرائم اولى وقال ايوب السختياني اني لاترك لبس الثوب الجديد خشية ان يحدث في جيراني حسد وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشيء لاجل اخواني يقولون من اين له هذا وعن ابرهيم التيمي انه رؤي عليه قميص جديد فقال له بعض اخوانه من اين لك هذا فقال كسانيه اخي خيثمة ولو علمت ان اهله علموا به لما قبلته الثالث اعانة المعطي على اسرار العمل فان فضل السر على الجهر في الاعطاء اكثر والاعانة على اتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم الا باثنين فمهما ظهر هذا انكشف امر المعطي ودفع رجل الى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده ودفع اليه آخر شيئا في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال ان هذا عمل بالادب في اخفاء معروفه فقبلته وذلك اساء ادبه في عمله فرددت عليه واعطى رجل بعض الصوفية شيئا في الملا فرده فقال لم ترد على الله ما اعطاك فقال انك اشركت غير الله فيما كان لله ولم تقنع بعين الله عز وجل فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين في السر شيئا كان يرده في العلانية فقيل له في ذلك فقال عصيت الله في الجهر فلم اكن عونا لك على المعصية واطعته بالاخفاء فاعنتك على برك وقال الثوري لو علمت ان احدهم لا يذكر صدقته ولا يتحدث بها لقبلت صدقته الرابع ان في اظهار الاخذ ذلا وامتهانا وليس للمؤمن ان يذل نفسه كان بعض العلماء ياخذ في السر ولا ياخذ في العلانية ويقول ان في اظهاره اذلالا للعلم وامتهانا لاهله فما كنت

بالذي يرفع شيئا من الدنيا بوضع العلم واذلال اهله الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة قال صلى الله عليه وسلم من اهدي اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها وبان يكون ورقا او ذهبا لا يخرج عن كونه هدية قال صلى الله عليه وسلم افضل ما اهدى الرجل الى اخيه ورقا او يطعمه خبزا فجعل الورق هدية فالانفراد بما يعطى في الملا مكروه الا برضا جميعهم ولا يخلو عن شبهة فاذا انفرد سلم عن هذه الشبهة **واما** الاظهار والتحدث به ففيه معان اربعة الاول الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراياة والثاني اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبري عن الكبرياء ودعوى الاستغناء واسقاط النفس عن اعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه اظهر الاخذ على كل حال ان كنت آخذا فانك لا تخلو من احد رجلين رجل تسقط من قلبه اذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لانه اسلم لدينك واقل لآفات نفسك او رجل تزداد في قلبه باظهارك الصدق فذلك هو الذي يريد اخوك لانه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه اياك فتوجر انت اذ كنت سبب مزيد ثوابه الثالث هو ان العارف لا نظر له الا الى الله والسر والعلانية في حقه واحد فاختلاف الحال شرك في التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبا بدعاء من ياخذ في السر ويرد في العلانية والالتفات الى الخلق حضروا ام غابوا نقصان في الحال بل ينبغي ان يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد يحكى ان بعض الشيوخ كان كثير الميل الى واحد من جملة المريدين فشق على الآخرين فاراد ان يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فاعطى كل واحد منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه احد فانفرد كل واحد وذبح الا ذلك المريد فانه رد الدجاجة فسالهم فقالوا فعلنا ما امرنا به الشيخ وقال ذلك المريد لم اجد مكانا لا يراني فيه احد فان الله كان يراني في كل موضع فقال الشيخ لهذا اميل اليه لانه لا يلتفت الى غير الله الرابع ان الاظهار اقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى واما بنعمة ربك فحدث والكتمان كفران للنعمة وقد ذم الله تعالى من كتم ما آتاه الله وقرنه بالبخل وقال الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله عز وجل على عبد نعمة احب ان ترى عليه واعطى رجل بعض العارفين شيئا في السر فرفع به يده وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها افضل والسر في امور الآخرة افضل ولذلك قال بعضهم اذا اعطيت في الملا فخذ ثم اردد في السر والشكر محثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله والشكر قائم مقام المكافاة حتى قال صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فاثنوا به خيرا وادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافاتموه ولما قالت المهاجرون في الشكر يا رسول الله ما راينا خيرا من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الاموال حتى خفنا ان يذهبوا بالاجر كله فقال كلا ما شكرتم لهم واثنيتم به عليهم اي هو مكافاة فالآن اذا عرفت هذه المعاني **فاعلم** ان ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في المسئلة بل هو اختلاف حال فكشف الغطاء في هذا انا لا نحكم حكما بتا بان الاخفاء افضل في كل حال او الاظهار افضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الاحوال والاشخاص فينبغي ان يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان والمكر والخداع اغلب في معاني الاخفاء منه في الاظهار مع ان له دخلا في كل واحد منهما فاما مدخل الخداع في الاسرار فمن ميل الطبع اليه لما فيه من حفظ الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن اعين الناس ونظر الخلق اليه بعين الازدراء والى المعطي بعين المنعم المحسن اليه فهذا هو الداء الدفين ويستكن في

النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتى يتعلل بالمعاني الخمسة التي ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه
امر واحد وهو ان يكون تألمه بانكشاف اخذه الصدقة كتألمه بانكشاف صدقة اخذها بعض اقرانه وامثاله
فانه ان كان يبغي صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن او يتقي انهتاك الستر او يبغي اعانة المعطي
على الاسرار او صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة اخيه فان كان انكشاف امره اثقل
عليه من انكشاف امر غيره فتقديره الحذر من هذه المعاني اغاليط واباطيل من مكر الشيطان وخدعه
فان اذلال العلم محذور من حيث انه علم لا من حيث انه علم زيد او علم عمرو والغيبة محذورة من حيث انها تعرض
لعرض مصون لا من حيث انها تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن احسن ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان
عنه والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ واما جانب الاظهار وميل الطبع اليه من حيث انه تطييب
لقلب المعطي واستحثاث له على مثله واظهار عند غيره انه من المبالغين في الشكر حتى يرغبون في اكرامه و
تفقده وهذا داء دفين في الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين الا بان يروج عليه هذا الخبث في
معرض السنة ويقول له الشكر من السنة والاخفاء من الرياء ويورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله
على الاظهار وقصده الباطن على ما ذكرنا ومعيار ذلك ومحكه ان ينظر الى ميل نفسه الى الشكر
حيث لا ينتهي الخبر الى المعطي ولا الى من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون في
اخفائها وعادتهم انهم لا يعطون الا من يخفي ولا يشكر فاذا استوت هذه الاحوال عنده فليعلم ان
باعثه هو اقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة والا فهو مغرور ثم اذا علم ان باعث السنة فلا ينبغي ان
يغفل عن قضاء حق المعطي فلينظر فان كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغي ان يخفي ولا يشكر لان قضاء حقه
ان لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم واذا علم من حاله انه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره و
يظهر صدقته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي مدح بين يديه ضربت عنقه لو سمعها ما افلح مع
انه عليه السلام كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بان ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير
فقال لواحد انه سيد اهل الوبر وقال اذا جاءكم كريم قوم فاكرموه وسمع كلام رجل فاعجبه فقال ان من البيان
لسحرا وقال اذا علم احدكم من اخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير وقال اذا مدح المؤمن ربا الايمان
في قلبه وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس وقال ايضا ليوسف بن اسباط اذا
اوليتك معروفا فكنت انا اسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله علي فاشكر والا فلا تشكر فدقائق هذه المعاني
ينبغي ان يلاحظها من يراعي قلبه فان اعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له
لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه ان تعلم مسألة واحدة منه افضل من عبادة
سنة اذ بهذا العلم تحيى عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر وتتعطل وعلى الجملة فالاخذ في
الملا والرد في السر احسن المسالك واسلمها فلا ينبغي ان يندفع بالتزويقات الا ان تكمل المعرفة بحيث يستوي
السر والعلانية وذلك هو الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى **بيان الافضل من اخذ الصدقة او الزكوة**
كان ابرهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون ان الاخذ من الصدقة افضل فان في اخذ الزكوة مزاحمة المساكين
والتضييق عليهم ولانه ربما لا يكمل في اخذها صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب فاما الصدقة
فالامر فيها اوسع وقال قائلون ياخذ الزكوة دون الصدقة لانها اعانة على واجب ولو ترك المساكين

كلهم اخذ الزكوة لأثموا ولان الزكوة لا منة فيها وانما هو حق واجب لله تع رزقا لعباده المحتاجين
ولانه اخذ بالحاجة والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا واخذ الصدقة اخذ بالدين فان الغالب
ان المتصدق يعطي من يعتقد فيه خيرا ولان موافقة المساكين ادخل في الذل والمسكنة و
ابعد عن التكبر اذ قد ياخذ الانسان الصدقة في معرض الهدية فلا يتميز عنها وهذا تنصيص على
ذل الآخذ وحاجته والقول الحق في هذا ان هذا يختلف باحوال الشخص وما يغلب عليه ويحضره
من النية فان كان في شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي ان ياخذ الزكوة واذا علم انه
مستحق قطعا كما اذا حصل عليه دين صرفه الى خير وليس له وجه في قضائه فهو مستحق قطعا فاذا خير هذا
بين الزكوة وبين الصدقة فان كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لو لم ياخذ هو فلياخذ الصدقة
فان الزكوة الواجبة يصرفها صاحبها الى مستحقها ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين وان كان
المال معرضا للصدقة ولم يكن في اخذ الزكوة تضييق على المساكين فهو مخير والامر فيهما متقارب و
اخذ الزكوة اشد في كسر النفس واذلالها في اغلب الاحوال والله اعلم بالصواب تم كتاب اسرار
الزكوة ويتلوه كتاب الصوم والحمد لله رب العالمين والصلوة على محمد وآله اجمعين

كتاب اسرار الصوم ومهماته وهو الكتاب السادس من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين
الحمد لله الذي اعظم على عباده المنة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ورد امله وخيب ظنه اذ
جعل الصوم حصنا لاوليائه وجنة وفتح لهم ابواب الجنة وعرفهم ان وسيلة الشيطان الى قلوبهم
الشهوات المستكنة وان بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها قوية المنة
والصلوة على محمد قائد الحق وممهد السنة وعلى آله واصحابه ذوي الابصار الثاقبة والعقول المرجحة
وسلم كثيرا **اما بعد** فان الصوم ربع الايمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم الصوم نصف الصبر
وبمقتضى قوله الصبر نصف الايمان ثم هو متميز بخاصية النسبة الى الله تع من بين سائر الاركان اذ
قال الله تع فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم كل حسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه
لي وانا اجزي به وقد قال الله تع انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والصوم نصف الصبر فقد جاوز
ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك في معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك يقول الله تع انما يذر شهوته وطعامه وشرابه لاجلي
فالصيام لي وانا اجزي به وقال صلى الله عليه وسلم للجنة باب يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون
وهو موعود بلقاء الله في جزاء صومه قال صلعم للصائم فرحتان فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء ربه
وقال صلعم لكل شيء باب وباب العبادة الصوم وقال عليه السلم نوم الصائم عبادة وروى ابو هريرة
انه صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت
الشياطين ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر وقال وكيع في قوله تع كلوا واشربوا هنيئا
بما اسلفتم في الايام الخالية هي ايام الصيام اذ تركوا فيها الاكل والشرب وقد جمع رسول الله صلعم في

بينه المباهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال ان الله تبارك وتعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد
فيقول ايها الشاب التارك شهوته لاجلي المبتذل شبابه لي انت عندي كبعض ملائكتي وقال في الصائم
يقول الله تعالى يا ملائكتي انظروا الى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من اجلي وقيل في قوله تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قيل عملهم الصيام لانه قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير
حساب فيفرغ للصائم جزاؤه افراغا ويجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم وتقدير وجدير بان يكون كذلك
لان الصوم انما كان له ومشرفا بالنسبة اليه وان كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة الى
نفسه والارض كلها له لمعنيين احدهما ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع
جميع الطاعات يشاهد من الخلق ويرى والصوم لا يراه الا الله تعالى فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد و
الثاني انه قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل
والشرب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع و
لذلك قال لعائشة رضي الله عنها داومي قرع باب الجنة قالت بماذا قال بالجوع وسياتي فضائل الجوع
في كتاب شره الطعام وعلاجه من ربع المهلكات فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا
لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة الى الله ففي قمع عدو الله نصرة الله ونصرة الله موقوفة
على النصرة له قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية
من الله ولذلك قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما
بانفسهم وانما التغيير بكسر الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم
وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله وكان محجوبا عن لقائه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء فمن هذا الوجه صار الصوم باب
العبادة وصار جنة واذ عظمت فضيلته الى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر اركانه
وسننه وشروطه الباطنة ويتبين ذلك بثلاثة فصول **الفصل الاول** في الواجبات والسنن
الظاهرة واللوازم بافساده **اما** الواجبات الظاهرة فستة الاول مراقبة اول شهر رمضان
وذلك برؤية الهلال فان غم فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان ونعني بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول
عدل واحد ولا يثبت هلال شوال الا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب
على ظنه صدقه لزمه الصوم وان لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه واذا رئي الهلال
ببلدة ولم ير باخرى وكان بينهما اقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وان كان اكثر كان لكل بلدة حكمها
ولا يتعدى الوجوب الثاني النية ولا بد من نية مبيتة معينة جازمة فلو نوى ان يصوم شهر رمضان
دفعة واحدة لم تكفه وهو الذي عنينا بقولنا كل ليلة ولو نوى بالنهار لم تجز لصوم رمضان والصوم الفرض
الا التطوع وهو الذي عنينا بقولنا كل ليلة ولو نوى بالنهار مبيتة ولو نوى الصوم مطلقا او الفرض
مطلقا لم يجز حتى ينوي فريضة الله صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك ان يصوم غدا ان كان
من رمضان لم يجز فانها ليست بنية جازمة الا ان تستند نيته الى قول شاهد عدل فاحتمال غلط
العدل او كذبه لا يبطل الجزم او تستند نيته الى قول شاهد عدل الى الاستصحاب كالشك في الليلة الاخيرة

من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية او تستند الى اجتهاد كالمحبوس في المطمورة اذا غلب على
ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنع من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه
النية باللسان فان النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان
اصوم غدا ان كان من رمضان فان ذلك لا يضره لانه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه التردد
بل هو قاطع بانه من رمضان وعاقد ومن نوى ليلا ثم اكل لم تفسد نيته ولو نوت في الحيض ثم طهرت
قبل الفجر صح صومها الثالث الامساك عن ايصال شيء الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه
بالاكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وادخال الميل في الاذن
والاحليل الا ان يقطر فيه ما يبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق او ذبابة تسبق
الى جوفه او في المضمضة فلا يفطر الا اذا بالغ في المضمضة فيفطر لانه مقصر وهو الذي اردنا بقولنا
عمدا فاما ذكر الصوم فاردنا به الاحتراز عن الناسي فانه لا يفطر اما من اكل عامدا في طرفي النهار
ثم ظهر له انه اكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وان بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا
ينبغي ان ياكل في طرفي النهار الا بنظر واجتهاد الرابع الامساك عن الجماع وحده تغييب الحشفة
في الفرج فان جامع ناسيا لم يفطر وان جامع ليلا او احتلم فاصبح جنبا لم يفطر وان طلع الفجر وهو
مخالط اهله فنزع في الحال صح صومه وان صبر فسد ولزمته الكفارة الخامس الامساك عن الاستمناء
وهو اخراج المني قصدا بجماع او بغير جماع فان ذلك مفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما
لم ينزل ولكن يكره ذلك الا ان يكون شيخا او مالكا لاربه فلا باس بالتقبيل وتركه اولى وان كان
يخاف من التقبيل ان ينزل فقبل وسبق المني افطر لتقصيره السادس الامساك عن اخراج القيء
فالاستقاءة تفسد الصوم وان ذرعه القيء لم يفسد صومه وان ابتلع نخامة من حلقه او
صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى بها الا ان يبتلعها بعد وصولها الى فيه فانها تفطر
عند ذلك **واما** لوازم الافطار فاربعة القضاء والكفارة والفدية والامساك بقية النهار
تشبيها بالصائمين اما القضاء فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر او بغير عذر
فالحائض تقضي الصوم وكذا المرتد اما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع
في قضاء رمضان ولكن يقضي كيف شاء مفرقا ومجموعا واما الكفارة فلا تجب الا بالجماع
اما الاستمناء والاكل والشرب وما عدا الجماع فلا تجب به كفارة والكفارة عتق رقبة فان اعسر
فصوم شهرين فان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا واما الامساك بقية النهار فيجب على من
عصى بالفطر او قصر فيه ولا يجب على الحائض اذا طهرت امساك بقية نهارها ولا على المسافر اذا
قدم مفطرا من سفر بالغ مرحلتين ويجب الامساك اذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك و
الصوم في السفر افضل من الفطر الا اذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما في اوله ولا يوم يقدم اذا
قدم صائما واما الفدية فتجب على الحامل والمرضع اذا افطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة
لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهم اذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا **واما** السنن فستة
تاخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر او الماء قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجود في شهر رمضان

لما سبق من فضايله في الزكوة ومدارسة القرآن والاعتكاف في المسجد لا سيما في العشر الاخير فهي عادة
رسول الله صلعم كان اذا دخل العشر الاواخر طوى الفراش وشد المئزر وداب اهله اي اداموا النصب
في العبادة اذ فيها ليلة القدر والاغلب انها في اوتارها واشبه الاوتار ليلة احد وثلاث وسبع
والتتابع في هذا الاعتكاف اولى فان نذر اعتكافا متتابعا او نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير
ضرورة كما لو خرج لعيادة مريض او شهادة او جنازة او زيارة او تجديد طهارة وان خرج لقضاء الحاجة
لم ينقطع وله ان يتوضأ في البيت ولا ينبغي ان يعرج على شغل آخر كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج الا لحاجة الانسان
ولا يسال عن المريض الا مارا وينقطع تتابعه بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل ولا باس في المسجد بالتطيب وعقد
النكاح وبالاكل والنوم وغسل اليدين في الطست فكل ذلك قد يحتاج اليه في التتابع ولا ينقطع التتابع
بخروج بعض بدنه كان رسول الله صلعم يدني راسه فترجله عائشة رضي الله عنها وهي في الحجرة ومهما خرج المعتكف
لقضاء حاجة فاذا عاد ينبغي ان يستانف النية الا اذا كان قد نوى اولا عشرة ايام مثلا والافضل مع
ذلك التجديد **الفصل الثاني** في اسرار الصوم وشروطه الباطنة اعلم ان للصوم ثلاث درجات
صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص اما صوم العموم فهو كف البطن و
الفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد
والرجل وساير الجوارح عن الآثام واما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار
الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الآخر وبالفكر
في الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال ارباب القلوب من تحركت
همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله
وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الانبياء والصديقين والمقربين ولا نطول النظر في تفصيله
قولا ولكن في تحقيقه عملا فانه اقبال بكنه الهمة على الله وانصراف عن غير الله وتلبس بمعنى قوله قل الله ثم ذرهم
واما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وساير الجوارح عن الآثام واما
صوم خصوص الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة امور الاول
غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله قال صلعم
النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله آتاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وروى جابر
عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خمس يفطرن الصايم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظرة
بشهوة الثاني حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة و
الزامه السكوت وشغله بذكر الله وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان الغيبة تفسد
الصوم رواه بشر بن الحارث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم الغيبة والكذب
وقد قال صلى الله عليه وسلم انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صايما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله
او شاتمه فليقل اني صايم اني صايم وجاء في الخبر ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلعم تستاذنانه
في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قل لهما قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احداهما نصفه دما

عبيطا ولحما غريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فتعجب الناس من ذلك فقال النبي صلعم
هاتان صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما قعدت احداهما على الاخرى فجعلتا
تغتابان الناس فهذا ما اكلتا من لحومهم الثالث كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لان
ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذلك سوى الله بين المستمع وآكل السحت فقال سماعون للكذب
اكالون للسحت وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت فالسكوت
على الغيبة حرام وقال ايضا انكم اذا مثلهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم المغتاب والمستمع شريكان
الرابع كف بقية الجوارح من اليد والرجل عن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار
فلا معنى للصوم وهو كف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصايم مثال من
يبني قصرا ويهدم مصرا فان الطعام الحلال انما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار
من الدواء خوفا من ضرره اذا عدل الى تناول السم كان سفيها والحرام سم يهلك الدين والحلال
دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال صلى الله عليه وسلم كم من صايم ليس له من
صومه الا الجوع والعطش فقيل هو الذي يفطر على الحرام وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال و
يفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام الخامس
ان لا يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلي فما من وعاء ابغض الى الله من بطن ملئ من حلال
فكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصايم عند فطره ما فاته ضحوة
نهاره وربما يزيد عليه في الوان الطعام حتى استمرت العادات بان يدخر جميع الاطعمة لرمضان
فيوكل من الاطعمة ما لا يوكل في عدة اشهر ومعلوم ان مقصود الصوم الخوى وكسر الهوى لتقوى
النفس على التقوى واذا دفعت المعدة ضحوة النهار الى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها
ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات
ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسايل
الشيطان في العود الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وهو ان ياكل اكلته التي كان ياكلها كل
ليلة لو لم يصم فاما اذا جمع ما كان ياكل ضحوة الى ما كان ياكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من
الآداب ان لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفو
عند ذلك قلبه ويستديم في ليله قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده واوراده فعسى الشيطان
لا يحوم على قلبه فينظر الى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء
من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة
من الطعام فهو عنه محجوب ومن اخلى معدته فلا يكفي ذلك لرفع الحجاب ما لم تخل همته عن غير الله وذلك
هو الامر كله ومبدا جميع ذلك تقليل الطعام وسياتي له مزيد بيان في كتاب الاطعمة ان شاء الله
السادس ان يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدري
ايقبل صومه فهو من المقربين او يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها
فقد روي عن الحسن البصري انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال ان الله عز وجل جعل شهر رمضان

مضماراً لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل العجب
للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون وخاب فيه المبطلون اما والله لو كشف
الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه والمسيء باساءته اي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة
المردود تسد عليه باب الضحك وعن الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك
فقال اني اعده لشر طويل والصبر على طاعة الله اهون من الصبر على عذابه هذه هي المعاني الباطنة
في الصوم فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال
الفقهاء صومه صحيح فما معناه فاعلم ان فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بادلة هي اضعف
من هذه الادلة التي اوردناها في هذه الشروط الباطنة لاسيما الغيبة وامثالها ولكن ليس الى فقهاء الظاهر
من التكليفات الا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته فاما علماء الآخرة فيعنون
بالصحة القبول وبالقبول الوصول الى المقصود ويفهمون ان المقصود من الصوم التخلق بخلق من
اخلاق الله وهو الصمدية والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الامكان فانهم منزهون
عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة
الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات انحط الى اسفل
السافلين والتحق بغمار البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع الى اعلى عليين والتحق بافق الملائكة و
الملائكة مقربون من الله والذي يقتدي بهم ويتشبه باخلاقهم يقرب من الله كقربهم فان الشبيه من
القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات واذا كان هذا سر الصوم عند ارباب
الالباب واصحاب القلوب فاي جدوى لتاخير اكلة وجمع اكلتين عند العشاء مع الانهماك
في الشهوات الاخر طول النهار ولو كان لمثله جدوى فاي معنى لقوله صلعم كم من صائم ليس له من
صومه الا الجوع والعطش ولهذا قال ابو الدرداء يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون
صوم الحمقى وسهرهم ولذرة من ذي يقين وتقوى افضل وارجح من امثال الجبال عبادة من
المغترين ولذلك قال العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم فالمفطر الصائم هو الذي يحفظ
جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ومن
فهم معنى الصوم وسره علم ان مثل من كف عن الاكل والجماع وافطر بمقارفة الآثام كمن مسح كل عضو من
اعضائه في الوضوء ثلاث مرات فقد وافق في ظاهر العدد الا انه ترك المهم وهو الغسل فصلوته
مردودة عليه بجهله ومثل من افطر بالاكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل اعضاءه مرة مرة
فصلوته متقبلة لاحكامه الاصل وان ترك الفضل ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث
مرات فجمع بين الاصل والفضل وهو الكمال وقد قال صلى الله عليه وسلم انما الصوم امانة
فليحفظ احدكم امانته ولما تلا قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وضع
يده على سمعه وبصره فقال السمع امانة والبصر امانة ولولا انه من امانات الصوم لما قال فليقل
اني صائم اي اني اودعت لساني لاحفظه فكيف اطلقه بجوابك فاذن قد ظهر لك ان لكل
عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبابا ولقشورها درجات ولكل درجة طبقات فاليك الخيرة

الآن في ان تقنع بالقشر عن اللباب او تتحيز الى غمار ارباب الالباب **الفصل الثالث**
في التطوع بالصيام وترتيب الاوراد فيه اعلم ان استحباب الصوم يتاكد في الايام الفاضلة
وفواضل الايام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها في كل شهر وبعضها في كل اسبوع اما في السنة
بعد ايام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الاول من ذي الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع
الاشهر الحرم مظان الصوم وهي اوقات فاضلة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم
شعبان حتى كان يظن انه من رمضان وفي الخبر افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم
ولانه ابتداء السنة فبناؤه على الخير احب وارجى لدوام بركته وقال صلى الله عليه وسلم صوم
يوم من شهر حرام افضل من صوم ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان افضل من ثلاثين من
شهر حرام وفي الحديث من صام ثلاثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له عبادة
سبعمائة عام وفي الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان ولهذا يستحب ان
يفطر قبل رمضان اياما فان وصل شعبان برمضان فجائز فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم مرة وفصل مرارا كثيرة ولا يجوز ان يقصد استقبال رمضان بيومين او ثلاثة الا ان
يوافق وردا له وكره بعض الصحابة ان يصام رجب كله حتى لا يضاهي شهر رمضان فالاشهر
الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان والاشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
واحد فرد وثلاثة سرد وافضلها ذو الحجة لان فيه الحج والايام المعلومات والمعدودات
وذو الحجة من الاشهر الحرام واشهر الحج وشوال من اشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من
اشهر الحج وفي الخبر ما من ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله من ايام عشر ذي الحجة ان صوم يوم
منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله قال
ولا الجهاد الا من عقر جواده واهريق دمه واما ما يتكرر في الشهر فاول الشهر واوسطه
وآخره ووسطه الايام البيض وهو الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر واما في الاسبوع
فالاثنين والخميس والجمعة فهذه هي الايام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات
لتضاعف اجورها ببركة هذه الاوقات واما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة
للسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك اذ وردت اخبار تدل على كراهته والصحيح انه انما
يكره لشيئين احدهما انه لا يفطر في العيدين وايام التشريق فهو الدهر كله والآخر ان يرغب
عن السنة في الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله يحب ان يؤتى رخصه فاذا
لم يكن شيء من ذلك وراى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة
والتابعين لهم باحسان وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو موسى الاشعري من صام
الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين معناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة اخرى
وهو صوم نصف الدهر بان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك اشد على النفس واقوى في قهرها وقد
ورد في فضله اخبار لان العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال صلى الله عليه وسلم عرضت
علي مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الارض فرددتها وقلت اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا

شبعت واتضرع اليك اذا جعت وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصيام صوم اخي داود كان يصوم
يوما ويفطر يوما ومن ذلك منازلته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو في الصوم وهو يقول اني اريد افضل
من ذلك فقال عليه السلام صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من ذلك فقال لا افضل من ذلك وقد روي
انه صلى الله عليه وسلم ما صام شهرا كاملا قط الا رمضان بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف
الدهر فلا باس بثلثه وهو ان يصوم يوما ويفطر يومين واذا صام ثلاثة من اول الشهر وثلاثة من
الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلث وواقع في الاوقات الفاضلة وان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو
قريب من الثلث واذا ظهرت اوقات الفضيلة والكمال في ان يفهم الانسان معنى الصوم وان مقصوده
تصفية القلب وتفريغ الهم لله والفقيه بدقايق الباطن ينظر الى احواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم وقد
يقتضي دوام مزج الافطار بالصوم فاذا فهم المعنى وتحقق حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف
عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ولذلك روي انه صلى الله عليه وسلم كان يصوم حتى يقال
لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام وكان ذلك بحسب
ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات وقد كره العلماء ان يوالي بين الافطار اكثر
من اربعة ايام تقديرا بيوم العيد وايام التشريق وذكروا ان ذلك يقسي القلب ويولد رديء العادات
ويفتح ابواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق اكثر الخلق لا سيما من ياكل في اليوم والليلة مرتين
فهذا ما اردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به تم كتاب اسرار الصوم ويتلوه كتاب اسرار الحج و
الحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله اجمعين

كتاب اسرار الحج ومهماته وهو الكتاب السابع من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وامنا واكرمه
بالنسبة الى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب
ومجنا والصلوة على محمد نبي الرحمة وسيد الامة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم كثيرا
اما بعد فان الحج من بين اركان الاسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الامر وتمام الاسلام
وكمال الدين فيه انزل الله تع قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه
قال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا فاعظم بعبادة يعدم
الدين بفقدها الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال واجدر بها ان تصرف العناية
الى شرحها وتفصيل اركانها وسننها وآدابها وفضايلها واسرارها وجملة ذلك تنكشف بتوفيق الله
في ثلاثة ابواب الباب الاول في فضايلها وفضايل مكة والبيت العتيق وجملة اركانها وشرايط وجوبها
الباب الثاني في الاعمال الظاهرة على الترتيب من مبدا السفر الى الرجوع الباب الثالث في آدابها
الدقيقة واسرارها الخفية واعمالها الباطنة فلنبدا بالباب الاول وفيه فصلان الفصل الاول
في فضايل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة وشد الرحال الى المشاهد فضيلة الحج قال الله تع

واذن

واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر قال قتادة لما امر الله عز وجل ابرهيم صلى الله عليه وسلم
ان يؤذن في الناس بالحج نادى يا ايها الناس ان لله بيتا فحجوه وقال تع ليشهدوا منافع لهم
قيل التجارة في الموسم والاجر في الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وقيل
في تفسير قوله تع لاقعدن لهم صراطك المستقيم انه طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها و
قال صلعم من حج البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقال ايضا ما رئي
الشيطان في يوم هو اصغر وادحر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من تنزل
الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام اذ يقال ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة و
قد اسنده جعفر بن محمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض المكاشفين من المقربين ان ابليس ظهر
له في صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوف الظهر فقال له ما الذي
ابكى عينك قال خروج الحاج اليه بلا تجارة اقول قد قصدوه اخاف ان لا يخيبهم فيحزنني ذلك قال
فما الذي انحل جسمك قال صهيل الخيل في سبيل الله ولو كانت في سبيلي كان احب الي قال فما الذي
غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان احب الي قال فما الذي قصف
ظهرك قال قول العبد اسالك حسن الخاتمة اقول يا ويلتي متى يعجب هذا بعمله اخاف ان يكون قد فطن
وقال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا او معتمرا فمات اجري له اجر الحاج المعتمر الى يوم
القيمة ومن مات في احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وقال ايضا حجة مبرورة
خير من الدنيا بما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة وقال الحجاج والعمار وفد الله وزواره ان سالوه
اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوا استجيب لهم وان شفعوا شفعوا وفي حديث مسند من
طريق اهل البيت اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة وظن ان الله عز وجل لم يغفر له وروى ابن عباس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينزل على هذا البيت في كل يوم ماية وعشرون رحمة ستون للطايفين
واربعون للمصلين وعشرون للناظرين وفي الخبر استكثروا من الطواف بالبيت فانه من اقل شيء تجدونه
في صحفكم يوم القيمة واغبط عمل تجدونه ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفي الخبر
من طاف اسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف اسبوعا في المطر غفر له ما سلف
من ذنوبه ويقال ان الله عز وجل اذا غفر ذنبا لعبد في الموقف غفره لكل من اصابه في ذلك الموقف
وقال بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة غفر لكل اهل عرفة وهو افضل يوم في الدنيا وفيه
حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان واقفا اذ نزل قوله تع اليوم اكملت لكم دينكم فقال
اهل الكتاب لو انزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضي الله عنه اشهد لقد انزلت في يوم
عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلعم وهو واقف بعرفة وقال صلعم اللهم اغفر للحاج ولمن
استغفر له الحاج وروي ان علي بن الموفق حج عن رسول الله صلعم حججا قال فرايت رسول الله صلعم في المنام
فقال لي يا ابن موفق حججت عني قلت نعم قال ولبيت عني قلت نعم قال فاني اكافيك بها يوم القيمة آخذ
بيدك في الموقف فادخلك الجنة والخلايق في كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحاج
اذا قدموا مكة تلقتهم الملايكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا

فا

وقال الحسن من مات عقيب رمضان او عقيب غزو او حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله عنه الحاج
مغفور له ولمن استغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرا من ربيع الاول وقد كان من سنة السلف
ان يشيعوا الغزاة وان يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين اعينهم ويسالوهم الدعاء لهم ويبادرون ذلك قبل
ان يتدنسوا بالآثام وروي عن علي بن الموفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى في
مسجد الخيف فرايت في المنام كان ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى احدهما صاحبه
يا عبد الله فقال الآخر لبيك يا عبد الله قال تدري كم حج بيت ربنا في هذه السنة قال لا ادري
قال حج بيت ربنا ستمائة الف فتدري كم قبل منهم قال لا قال قبل منهم ستة انفس قال ثم
ارتفعا في الهواء فغابا عني فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا واهمني امري فقلت اذا قبل حج ستة
انفس فاين اكون انا في ستة انفس فلما افضت من عرفة وبت عند المشعر جعلت افكر في كثرة
الخلق وفي قلة من قبل منهم فحملني النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى صاحبه واعادا
ذلك الكلام بعينه ثم قال افتدري ماذا حكم ربنا في هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من
الستة مائة الف قال فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن الوصف وعنه ايضا انه قال حججت
سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لا يتقبل حجه فقلت اللهم اني قد وهبت حجتي وجعلت ثوابها
لمن لم يتقبل حجه قال فرايت رب العزة في النوم فقال لي يا علي تتسخى علي وانا خلقت السخاء و
الاسخياء انا اجود الاجودين واكرم الاكرمين واحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل
من لم اقبل حجه لمن قبلته **فضيلة البيت ومكة** قال صلعم ان الله قد وعد هذا البيت ان
يحجه في كل سنة ستمائة الف فان نقصوا اكملهم الله تعالى بالملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة
وكل من حجها متعلق باستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبر ان الحجر ياقوتة
من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيمة وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق
وكان صلعم يقبله كثيرا وروي انه سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف
المحجن وقبله عمر رضي الله عنه ثم قال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه و
سلم يقبلك لما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت الى ورائه فراى عليا رضي الله عنه فقال يا ابا حسن
ههنا تسكب العبرات فقال علي يا امير المومنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله عز وجل
لما اخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم القمه هذا الحجر فهو يشهد للمومنين بالوفاء ويشهد على
الكافرين بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك
ووفاء بعهدك وروي عن الحسن البصري ان صوم يوم فيها بمائة الف وصدقة درهم بمائة الف درهم
وكذا كل حسنة بمائة الف ويقال طواف سبعة اسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة وفي
الخبر الصحيح عمرة في رمضان تعدل حجة مشكورة مبرورة ويروى كحجة معي وقال صلعم انا اول
من تنشق عنه الارض ثم آتي اهل البقيع فيحشرون معي ثم آتي اهل مكة فاحشر بين الحرمين وفي الخبر ان
آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة وقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام و
جاء في الاثر ان الله تعالى ينظر في كل ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليه من اهل الحرم اهل المسجد الحرام

لمن

فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه قائما مستقبل الكعبة غفر له وكوشف
بعض الاولياء قال رايت الثغور كلها تسجد لعبادان ورايت عبادان تسجد لجدة ويقال
لا تغرب الشمس من يوم الا ويطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به
واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة
لا يرى لها اثر وهذا اذا اتى عليها سبع سنين لم يحجها احد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح
الناس فاذا الورق ابيض ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس
الى الاشعار والاغاني واخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى بن مريم فيقتله والساعة عند
ذلك بمنزلة الحامل المقرب تتوقع ولادتها وفي الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان
يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة وروي علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
قال الله تعالى اذا اردت ان اخرب الدنيا بدات ببيتي فخربته ثم اخرب الدنيا على اثره **فضيلة
المقام بمكة وكراهته** كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلثة احدها خوف
التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يوثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام ولهذا كان عمر رضي الله عنه
يضرب الحاج اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم ولذلك هم
عمر بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت ان يانس الناس بهذا البيت الثاني تهييج الشوق
بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس اي يثوبون ويعودون اليه
مرة بعد اخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم لان تكون في بلد وقلبك مشتاق الى مكة متعلق
بهذا البيت خير لك من ان تكون فيه وانت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر وقال بعض السلف
كم من رجل بخراسان وهو اقرب الى هذا البيت ممن يطوف به ويقال ان لله تعالى عبادا تطوف
بهم الكعبة تقربا الى الله عز وجل الثالث الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك مخطور و
بالحري ان يورث مقت الله لشرف الموضع وروي عن وهيب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة في
الحجر اصلي فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار يقول الى الله تعالى اشكو ثم اليك يا جبرئيل ما القى من
الطائفين حولي من تفكههم في الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة
يرجع كل حجر مني الى الجبل الذي قطع منه وقال ابن مسعود ما من بلد يواخذ العبد فيه بالهمة قبل
العمل الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم اي انه على مجرد الارادة ويقال
ان السيآت تضاعف فيها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس يقول لان اذنب سبعين ذنبا
بركية احب الي من ان اذنب ذنبا واحدا بمكة وركية منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك
انتهى بعض المقيمين الى انه لم يقض حاجته في الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم
اقام شهرا وما وضع جنبه على الارض وللمنع من الاقامة كره بعض العلماء اجور دور مكة ولا تظنن
ان كراهة المقام تناقض فضل البقعة لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام
بحق الموضع فمعنى قولنا ان ترك المقام به افضل اي بالاضافة الى مقام مع التقصير والتبرم اما
ان يكون افضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات وكيف لا ولما عاد صلى الله عليه وسلم الى مكة استقبل

الكعبة وقال انك لخير ارض الله واحب بلاد الله الي ولولا اني اخرجت عنك ما خرجت وكيف
لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة **فضيلة المدينة وساير البلاد**
ما بعد مكة بقعة افضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعمال فيها ايضا تضاعف قال
صلعم صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام وكذلك كل عمل بالمدينة
بالف وبعد المدينة الارض المقدسة فان الصلوة فيها بخمس ماية وكذا ساير الاعمال وروى ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صلوة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلوة وصلوة في
المسجد الاقصى بالف صلوة وصلوة في المسجد الحرام بماية الف صلوة وقال صلى الله عليه وسلم لم
يصبر على شدتها ولأوائها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وقال من استطاع ان يموت
بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها احد الا كنت له شفيعا يوم القيمة وما بعد هذه الثلاثة
فالمواضع فيها متساوية الا الثغور فان المقام بها للمرابطة افضل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد ذهب
بعض العلماء الى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحا
وما تبين لي ان الامر كذلك بل الزيارة مامور بها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة
القبور فزوروها والحديث ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد
الثلاثة متماثلة ولا بلد الا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد آخر واما المشاهد فلا تتساوى بل بركة
زيارتها على قدر درجاتهم عند الله نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله ان يشد الرحال الى موضع فيه
مسجد وينتقل اليه بالكلية ان شاء ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال الى قبور
الانبياء مثل ابرهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام فالمنع من ذلك في غاية الاحالة واذا جوز
ذلك فقبور العلماء والاولياء والصلحا في معناها فلا يبعد ان يكون ذلك من اغراض الرحلة كما ان زيارة
العلماء في الحيوة من المقاصد هذا في الرحلة اما المقام فالاولى بالمريد ان يلازم مكانه اذا لم
يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم فليطلب من المواضع ما
هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ للقلب وايسر للعبادة فهو افضل المواضع وقال صلعم البلاد
بلاد الله والخلق عباده فاي موضع رايت فيه رفقا فاقم واحمد الله تعالى وفي الخبر من رزق من شي
فليلزمه ومن جعلت معيشته في شي فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه وقال ابو نعيم رايت الثوري
قد جعل جرابه على كتفه واخذ قلته بيده فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال الى بلد املا فيه جرابي بدرهم
وفي حكاية اخرى بلغني قرية فيها رخص اقيم بها قال فقلت وتفعل هذا يا ابا عبد الله فقال نعم اذا
سمعت في بلد برخص فاقصده فانه اسلم لدينك واقل لهمك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على
الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل ينتقل الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن وحكي عنه انه
قال والله ما ادري اي البلاد اسكن فقيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة قيل فالشام
قال يشار اليك بالاصابع اراد الشهرة قيل فالعراق قال بلد الجبابرة قيل فمكة قال مكة تذيب الكيس والبدن
وقال له رجل عزمت على المجاورة بمكة فاوصني قال اوصيك بثلاث لا تصلين في الصف الاول

ولا تصحبن

ولا تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقة وانما كره الصف الاول لانه يشتهر فيفتقد اذا غاب فيختلط
بعمله التصنع والتزين **الفصل الثاني** في شرط وجوب الحج وصحته واركانه وواجباته و
محظوراته اما الشرط فشرط صحة الحج شيئان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه ان
كان مميزا ويحرم عنه وليه ان كان صغيرا ويفعل به ما يفعل في الحج من الطواف والسعي وغيره واما
الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر فمن احرم بالحج في غير هذه المدة
فهي عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكوفا على النسك ايام منى فلا ينبغي ان يحرم بالعمرة لانه لا
يتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله باعمال منى واما شرط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة الاسلام والحرية
والبلوغ والعقل والوقت فان احرم الصبي والعبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة او بمزدلفة وعاد
الى عرفة قبل طلوع الفجر اجزاهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة وليس عليهما دم الاساءة ويشترط هذه
الشرائط في وقوع العمرة عن فرض الاسلام الا الوقت واما شرط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ فهو براءة
ذمته عن حجة الاسلام فحجة الاسلام متقدم ثم القضاء لمن افسده في حالة الوقوف ثم النذر ثم النيابة ثم النفل
وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وان نوى خلافه واما شرط لزوم الحج فخمسة الاسلام والبلوغ و
العقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن اراد دخول مكة لزيارة او تجارة
ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة او حج واما الاستطاعة فنوعان احدهما
المباشر وذلك اسباب اما في نفسه فالصحة واما في الطريق فان يكون خصبة آمنة بلا بحر مخطر ولا عدو
قاهر واما في المال فبان يجد نفقة ذهابه وايابه الى وطنه كان له اهل او لم يكن لان مفارقة الوطن شديد
وان يملك نفقة من يلزمه نفقته في هذه المدة وان يملك ما يقضي به ديونه وان يقدر على راحلة او كراها
بمحمل او زاملة ان استمسك على الزاملة واما النوع الثاني فاستطاعة المعضوب بماله وهو
ان يستاجر من يحج عنه بعد فراغ الاجير عن حجة الاسلام نفسه ويكفي نفقة الذهاب بزاملة في هذا النوع
والابن اذا عرض طاعته على الاب الزمن صار به مستطيعا ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا لان
الخدمة بالبدن فيه شرف للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التاخير ولكنه فيه على
خطر فان تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه وان مات قبل الحج لقي الله عاصيا بترك الحج وكان الحج في تركته
يحج عنه وان لم يوص كساير ديونه وان استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس فهلك ماله في تلك السنة قبل حج
الناس ثم مات لقي الله ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد عند الله تعالى قال عمر
رضي الله عنه لقد هممت ان اكتب في الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد
بن جبير وابرهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ما صليت
عليه وكان بعضهم له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك
ولم يحج سال الرجعة الى الدنيا وقرا قوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت قال الحج اما الاركان
التي لا يصح الحج دونها فخمسة الاحرام والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق على قول واركان
العمرة كذلك الا الوقوف **والواجبات** المجبورة بالدم خمسة الاحرام من الميقات فمن تركه وجاوز
الميقات محلا فعليه شاة والرمي ففيه الدم قولا واحدا واما الصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت

مزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الاربعة يجبر تركها بالدم على احد القولين وفي القول
الثاني فيها دم على وجه الاستحباب واما وجوه اداء الحج والعمرة فثلاثة الاول الافراد
وهو الافضل وذلك ان يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل فاحرم واعتمر وافضل الحل لاحرام العمرة
الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم الا ان يتطوع الثاني القران وهو ان يجمع فيقول
لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما فيكفيه اعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل
الا انه اذا طاف وسعى قبل الوقوف فسعيه محسوب من النسكين واما طوافه فغير محسوب لان شرط
طواف الفرض في الحج ان يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة الا ان يكون مكيا فلا شيء عليه لانه لم يترك
ميقاته اذ ميقاته مكة الثالث التمتع وهو ان يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات
الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا الا بخمس شرائط احدها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام
وحاضره من كان منه على مسافة لا يقصر فيها الصلوة الثاني ان يقدم العمرة على الحج الثالث ان يكون
عمرته في اشهر الحج الرابع ان لا يرجع الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج الخامس ان يكون
حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه الاوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلاثة
ايام في الحج قبل يوم النحر متفرقة او متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن وان لم يصم الثلاثة حتى رجع الى الوطن
صام العشرة تتابعا او متفرقا وبدل دم القران والتمتع سواء والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران واما
محظورات الحج والعمرة فستة الاول اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي ان يلبس ازارا
ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فمكعبا فان لم يجد ازارا فسراويلا ولا بأس بالمنطقة والاستظلال بالمحمل
لكن لا ينبغي ان يغطي رأسه فان احرامه في الرأس وللمرأة ان تلبس كل مخيط بعد ان لا تستر وجهها بما يماسه
فان احرامها في وجهها الثاني الطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب او لبس فعليه
دم شاة الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية اعني دم شاة ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والفصد و
الحجامة وترجيل الشعر الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة او بقرة او سبع شياه وان كان
بعد التحلل الاول لزمه البدنة ولم يفسد حجه الخامس مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التي تنقض الطهر
مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناء ويحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد السادس
قتل صيد البر اعني ما يؤكل او ما هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب
في الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه

الباب الثاني في ترتيب الاعمال الظاهرة

من اول السفر الى الرجوع وهي عشر جمل **الجملة الاولى** في السنن من اول الخروج الى الاحرام وهي ثمانية الاولى
في المال فينبغي ان يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من يلزمه نفقته الى وقت
الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على
وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة
قوية على الحمل لا تضعف او يكتريها فان اكترى فليظهر للمكاري كل ما يريد ان يحمله من قليل او كثير ويحصل رضاه
به الثانية في الرفيق ينبغي ان يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وان
جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره ويودع رفقاءه المقيمين واخوانه فيودعهم ويلتمس ادعيتهم فان

الله تع جاعل في دعائهم خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وكان
صلى الله عليه وسلم يقول لمن اراد السفر في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وجنبك الردى وغفر ذنبك
ووجهك للخير اينما توجهت الثالثة في الخروج من الدار ينبغي اذا هم بالخروج ان يصلي اولا ركعتين يقرأ في
الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله عن اخلاص صاف
ونية صادقة وقال اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل والمال والولد والاصحاب احفظنا
واياهم من كل آفة وعاهة اللهم انا نسألك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم انا نسألك
ان تطوي لنا الارض وتهون علينا السفر وان ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا
حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء
المنظر في الاهل والمال والولد والاصحاب اللهم اجعلنا واياهم في جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا
تغير ما بنا وبهم من عافيتك الرابعة اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا
بالله رب اعوذ بك ان اضل او اضل او اذل او اذل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي اللهم اني لم اخرج اشرا ولا
بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا
الى لقائك فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي و
انت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اللهم زودني
التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه الخامسة في
الركوب فاذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون
اللهم اني وجهت وجهي اليك وفوضت امري كله اليك وتوكلت في جميع اموري عليك انت حسبي ونعم الوكيل
فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات وقال
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان
على الامور السادسة في النزول والسنة ان لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون اكثر سيره في الليل قال
صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار وليقلل نومه بالليل حتى يكون عونا له على
السير ومهما اشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن
ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسألك خير هذا المنزل وخير اهله
واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم فاذا نزل المنزل صلى فيه ركعتين ثم قال
اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل
يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد و
اسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم
السابعة في الحراسة ينبغي ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع
ويكون متحفظا بالليل عند النوم فان نام في ابتداء الليل افترش ذراعه وان نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا
وجعل رأسه في كفه هكذا كان ينام رسول الله صلعم في اسفاره فانه ربما يستثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا

يدري فيكون ما يقويه من الصلوة افضل مما ينال من الحج والاحب بالليل ان يتناوب الرفيقان في الحراسة
فاذا نام احدهما حرس الآخر فهو سنة فان قصده عدو او سبع في ليل او نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله
والاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى لا قوة الا
بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا يأتي بالخيرات الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله
وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لأغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز
تحصنت بالله العظيم واستغثت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام
اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا ورجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك و
امائك برأفة ورحمة انك انت ارحم الراحمين الثامنة مهما علا نشزا من الارض في الطريق فيستحب ان
يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة
في سفره قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت **الجملة الثانية**
آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهي خمسة الاول ان يغتسل وينوي به غسل الاحرام اعني اذا
انتهى الى الميقات المشهور الذي يحرم الناس منه ويتم غسله بالتنظف فيسرح رأسه ويقلم اظفاره ويقص
شاربه ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة الثاني ان يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوب الاحرام
فيرتدي ويتزر بثوبين ابيضين فالابيض هو احب الثياب الى الله ويتطيب في بدنه وثيابه ولا بأس
بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام فقد رئي وبيص المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام
كما كان يستعمله قبل الاحرام الثالث ان يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته ان كان راكبا او
يبتدي بالسير ان كان راجلا فعند ذلك ينوي الاحرام بالحج او بالعمرة قرانا او افرادا كما اراد ويكفي مجرد
النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة ان يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك
لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك وان زاد قال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغبى اليك
لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الرابع اذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة
يستحب ان يقول اللهم اني اريد الحج فيسره لي واعني على اداء فرضه وتقبله مني اللهم اني نويت
اداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا امرك واجعلني من وفدك
الذين رضيت وارتضيت وقبلت اللهم فيسر لي اداء ما نويت من الحج اللهم قد احرم لك شعري
ولحمي ودمي وعصبي ومخي وعظامي وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار
الآخرة ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها الخامس يستحب
تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود و
هبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر فانه لا ينادي اصم ولا غائبا
كما ورد في الحديث ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلاثة فانها مظنة المناسك اعني المسجد
الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات واما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت
وكان صلى الله عليه وسلم اذا اعجبه شيء قال لبيك ان العيش عيش الآخرة **الجملة الثالثة** في آداب دخول مكة الى
الطواف وهي ستة الاول ان يغتسل بذي طوى لدخول مكة والاغسال المستحبة المسنونة في الحج

تسعة الاول للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة
ثم ثلاثة اغسال لرمي الجمرات الثلاث ولا غسل لرمي جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعي
في الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فتعود الى سبعة الثاني ان يقول عند الدخول
الى اول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وامنك فحرم لحمي ودمي وبشري على النار وآمني من عذابك
يوم تبعث عبادك واجعلني من اوليائك واهل طاعتك الثالث ان تدخل مكة من جانب الابطح و
هي من ثنية كداء بفتح الكاف عدل رسول الله صلعم من جادة الطريق اليها فالتأسي به اولى واذا خرج
خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى والاولى هي العليا الرابع اذا دخل مكة وانتهى
الى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل لا اله الا الله والله اكبر اللهم انت السلام ومنك
السلام ودارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم
فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة اللهم افتح لي ابواب رحمتك
وادخلني جنتك واعذني من الشيطان الرجيم الخامس اذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني
شيبة وليقل بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلعم فاذا قرب
من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك
وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع انبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم اني اسألك في مقامي هذا
في اول مناسكي ان تقبل توبتي وتتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام
الذي جعله مثابة للناس وامنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم اني عبدك والبلد بلدك
والحرم حرمك والبيت بيتك جئت اطلب رحمتك اسألك مسألة المضطر الخائف لعقوبتك
الراجي لرحمتك الطالب لمرضاتك السادس انه يقصد الحجر الاسود بعد ذلك ويمسه بيده
اليمنى ويقبله ويقول اللهم امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته اشهد لي بالموافاة فان لم يستطع
التقبيل وقف في مقابلته ويقول ذلك ثم لا يعرج على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم الا ان
يجد الناس في المكتوبة فيصلي معهم ثم يطوف **الجملة الرابعة** في الطواف فاذا اراد افتتاح
الطواف اما للقدوم او لغيره فينبغي ان يراعي شروط الصلوة من طهارة الحدث والخبث في الثوب والبدن و
المطاف وستر العورة فالطواف بالبيت صلوة ولكن الله اباح الكلام فيه وليضطبع قبل ابتداء الطواف
وهو ان يجعل ازاره تحت ابطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الايسر فيرخي طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره
ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالادعية التي سنذكرها الثاني اذا فرغ من الاضطباع
فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه
في ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه افضل ولكيلا
يكون طائفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود قد يتصل الشاذروان بالارض ويلتبس
والطائف عليه لا يصح طوافه لانه طائف في البيت والشاذروان هو الذي فضل عن عرض جدار البيت
بعد ان ضيق اعلى الجدار ومن هذا الموقف يبتدئ الطواف الثالث ان يقول قبل مجاوزة الحجر بل في
ابتداء الطواف بسم الله والله اكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة

بيتك محمد صلى الله عليه وسلم ويطوف فاول ما يجاوز الحجر ينتهي الى باب البيت فيقول اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الامن امنك وهذا مقام العايذ بك من النار وعند ذكر المقام يشير بعينه الى مقام ابرهيم عليه السلام ويقول اللهم بيتك عظيم ووجهك كريم وانت ارحم الراحمين فاعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمي ودمي على النار وآمني من اهوال يوم القيمه واكفني مؤنة الدنيا والآخرة ثم يسبح الله ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي فعنده يقول اللهم اني اعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الاخلاق وسوء المنظر في الاهل والمال والولد فاذا بلغ الميزاب قال اللهم اظلنا تحت عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك اللهم اسقني بكاس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا اظما بعدها ابدا فاذا بلغ الركن الشامي قال اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم فاذا بلغ الركن اليماني قال اللهم اني اعوذ بك من الكفر واعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات واعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة ويقول بين الركن اليماني والحجر الاسود ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب القبر وعذاب النار فاذا بلغ الى الحجر قال اللهم اغفر لي برحمتك اعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة اشواط ويدعو بهذه الادعية في كل شوط الرابع ان يرمل في ثلاثة اشواط ويمشي في الاربع الاخر على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الاسراع في المشي مع تقارب الخطى وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد والمقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد اولا قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة والافضل الرمل مع الدنو من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد افضل فليخرج الى حاشية المطاف وليرمل ثلاثا ثم ليقرب الى البيت في المزدحم وليمش اربعا وان امكنه استلام الحجر في كل شوط فهو الاحب وان منعته الزحمة اشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن اليماني مستحب من بين ساير الاركان روي انه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الركن اليماني ويقبله ويضع خده عليه ومن اراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر في الركن اليماني على الاستلام اعني اللمس باليد فهو الاولى اذ هو الاشهر في الرواية الخامس اذا تم الطواف سبعا فليات الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزق بالبيت وليتعلق بالاستار وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الايمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم يا رب البيت العتيق اعتق رقبتي من النار واعذني من الشيطان الرجيم واعذني من كل سوء وقنعني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العايذ بك من النار اللهم اجعلني من اكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا في هذا الموضع وليصل على محمد رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل عليهم السلام كثيرا وليدع بحوايجه الخاصة وليستغفر الله من ذنوبه كان بعض السلف في هذا الموضع يقول لمواليه تنحوا عني حتى اقر لربي بذنوبي السادس اذا فرغ من ذلك ينبغي ان يصلي خلف المقام ركعتين يقرا في الاولى قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف قال الزهري مضت السنة ان يصلي لكل سبع ركعتين وان قرن بين الاسابيع وصلى ركعتين جاز فعل ذلك رسول الله صلعم وكل اسبوع طواف وليدع بعد ركعتي

الطواف وليقل اللهم يسر لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي في الآخرة والاولى اللهم اعصمني بالطافك حتى لا اعصيك واعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك واجعلني ممن يحبك ويحب ملايكك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم حببني الى ملايكتك ورسلك والى عبادك الصالحين اللهم فكما هديتني للاسلام فثبتني عليه بالطافك وولايتك واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك واجرني من مضلات الفتن ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف قال صلعم من طاف بالبيت اسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة هذا كيفية الطواف والواجب من جملة بعد شروط الصلوة ان يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وان يبتدي بالحجر ويجعل البيت على يساره وان يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا في الحجر وان يوالي بين الاشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهي سنن وهيآت الجملة الخامسة في السعي فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذاة الضلع بين الركن اليماني والحجر فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى الى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجا في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقى رسول الله صلعم حتى بدت له الكعبة وابتداء السعي من اصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة فينبغي ان لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعي واذا ابتدا من هاهنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه في الصفا ينبغي ان يقبل على البيت ويقول الله اكبر الله اكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شي قدير لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره المشركون لا اله الا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون اللهم اني اسالك ايمانا دايما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا واسالك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة ويصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو الله بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ينزل ويبتدي السعي وهو يقول رب اغفر وارحم واعف عما تعلم وانت الاعز الاكرم اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشي على هينته حتى ينتهي الى الميل الاخضر وهو على زاوية المسجد الحرام فاذا بقي بينه وبين الميل ستة اذرع اخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهي الى الميلين الاخضرين ثم يعود الى الهينة فاذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا واقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء وقد حصل السعي مرة واحدة فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان يفعل ذلك سبعا ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق وفي كل نوبة يصعد الصفا والمروة فاذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف واذا سعى فينبغي ان لا يعيد السعي بعد الوقوف ويكتفي بهذا ركنا فانه ليس من شرط السعي ان يتاخر عن الوقوف وانما ذلك شرط في طواف

الركن ثم شرط كل سعي ان يقع بعد طواف اي طواف كان **الجملة السادسة** في الوقوف وما قبله الحاج
ان انتهى يوم عرفة الى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم و دخول مكة قبل الوقوف واذا وصل قبل ذلك
بايام وطاف طواف القدوم فيمكث محرما الى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر
عند الكعبة ويامر الناس بالاستعداد للخروج الى منى يوم التروية والمبيت بها والغدو منها الى عرفة لاقامة
فرض الوقوف بعد زوال الشمس اذ وقت الوقوف من الزوال الى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغي ان
يخرج الى منى ملبيا ويستحب له المشي من مكة في المناسك الى انقضاء حجه ان قدر عليه والمشي من مسجد
ابرهيم عليه السلام الى الموقف افضل وآكد فاذا انتهى الى منى قال اللهم هذا منى فامنن علي بما مننت به
على اوليائك واهل طاعتك وليمكث بها الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فاذا اصبح يوم عرفة صلى
الصبح فاذا طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات ويقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها واقربها من
رضوانك وابعدها من سخطك اللهم اليك غدوت واياك اعتمدت ووجهك اردت فاجعلني ممن تباهي
به اليوم من هو خير مني وافضل فاذا اتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد ثم ضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبته ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف فاذا زالت
الشمس خطب الامام خطبة وجيزة وقعد واخذ المؤذن في الاذان والامام في الخطبة الثانية ووصل
الاقامة بالاذان وفرغ الامام مع تمام اقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر باذان واقامتين
وقصر الصلوة وراح الى الموقف فليقف بعرفة ولا يقفن في وادي عرنة واما مسجد ابرهيم عليه السلام
صدره في الوادي واخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ويتميز مكان عرفة
من المسجد بصخرات كبار فرشت هناك والافضل ان يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبلا للقبلة
راكبا وليكثر من انواع التسبيح والتحميد والتهليل والثناء على الله تعالى والدعاء والتوبة ولا يصوم في
هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الاحب ان يلبي تارة ويكب على الدعاء
اخرى ولا ينبغي ان ينفصل من طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار وان امكنه الوقوف
يوم الثامن ساعة عند امكان الغلط في الهلال فهو الحزم وبه الامن من الفوات ومن فاته الوقوف حتى
طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعليه ان يتحلل عن احرامه باعمال العمرة ثم يريق دما لاجل الفوات ثم يقضي
ولكن اهم اشتغاله في هذا اليوم الدعاء ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع يرجى اجابة الدعوات والدعاء
الماثور عن الرسول صلعم وعن السلف في يوم عرفة اولى ما يدعو به فليقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا
وفي بصري نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي امري ويقول اللهم رب الحمد لك كما تقول وخيرا مما نقول
لك صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي واليك ثوابي اللهم اني اعوذ بك من وساوس الصدر وشتات
الامر وعذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من شر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهار وشر ما تهب به الرياح وشر
بوائق الدهر اللهم اني اعوذ بك من تحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدني بالهدى و
اغفرلي في الآخرة والاولى يا خير مقصود وابر منزول عليه واكرم مسئول ما لديه اعطني العشية افضل
ما اوتي احدا من خلقك وحجاج بيتك يا ارحم الراحمين اللهم يا رفيع الدرجات ومنزل البركات ويا

فاطر السموات والارضين ضجت اليك الاصوات بصنوف اللغات نسالك الحاجات وحاجتي ان
لا تنساني في دار البلاء اذا نسيني اهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي بنى
ولا يخفى عليك شيء من امري انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه اسالك
مسئلة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت
لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك انفه اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا
وكن بي رؤفا رحيما يا خير المسئولين واكرم المعطين الهي من مدح اليك نفسه فاني لائم لنفسي الهي
اخرست المعاصي لساني فما لي وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الامل الهي اني اعلم ان ذنوبي لم تبق لي عندك
جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك اكرم الاكرمين الهي ان لم اكن اهلا ان ابلغ رحمتك فان رحمتك
اهل ان تبلغني رحمتك وسعت كل شيء وانا شيء الهي ان ذنوبي وان كانت عظاما ولكنها صغار في
جنب عفوك فاغفرها لي يا كريم الهي انت انت وانا انا انا العواد الى الذنوب وانت العواد الى المغفرة
الهي ان كنت لا ترحم الا اهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون الهي تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت
الى معصيتك قصدا فسبحانك ما اعظم حجتك علي واكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي
وفقري اليك وغناك عني الا غفرت لي يا خير من دعاه داع وافضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة
محمد عليه السلام اتوسل اليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني عن موقفي هذا مقضي الحوائج وهب لي ما سالت
وحقق رجائي فيما تمنيت الهي دعوتك بالدعاء الذي علمتنيه فلا تحرمني الرجاء الذي عرفتنيه الهي ما انت
صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه خاشع لك بذلة مستكين بجرمه متضرع اليك من عمله تائب اليك
من اقترافه مستغفر لك من ظلمه مبتهل اليك في العفو عنه طالب اليك في نجاح حوائجه راج اليك في موقفه
مع كثرة ذنوبه فيا ملجا كل حي وولي كل مؤمن من احسن فبرحمتك يفوز ومن اساء فبخطيئته يهلك اللهم
اليك خرجنا وبفنائك انخنا واياك املنا وما عندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن
عذابك اشفقنا ولبيتك الحرام حججنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يا من ليس معه
رب يدعى ويا من ليس فوقه خالق يخشى ويا من ليس له وزير يؤتى ولا حاجب يرشى يا من لا يزداد على السؤال
الا كرما وجودا وعلى كثرة الحوائج الا تفضلا واحسانا اللهم انك جعلت لكل ضيف قرى ونحن اضيافك
فاجعل قرانا منك الجنة اللهم ان لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج ثوابا
ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب اليك زلفة ولكل متوسل اليك عفوا
وقد وفدنا الى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشاهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك
فلا تخيب رجاءنا الهنا تابعت النعم حتى اطمانت الانفس بتتابع نعمك واظهرت العبر حتى نطقت الصوامت
بحجتك وظاهرت المنن حتى اعترف اولياوك بالتقصير عن حقك واظهرت الآيات حتى افصحت السموات
والارضون بادلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا اساءت
عبادك حلمت وامهلت واذا احسنوا تفضلت وقبلت واذا عصينا سترت واذا اذنبنا عفوت
وغفرت واذا دعونا اجبت واذا نادينا سمعت واذا اقبلنا اليك قربت واذا ولينا عنك دعوت
الهنا انك قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

فارضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا فيه انقص من حظ من دخل في الاسلام الهنا انك احببت التقرب اليك بعتق ما ملكت ايماننا ونحن عبيدك وانت اولى بالتفضل فاعتقنا وانك امرتنا ان نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وانت احق بالتطول فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا انفسنا فانت احق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا انت مولانا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو ان يقول يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات يا من لا يغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يبرمه الحاح الملحين ولا يضجره مسئلة السائلين اذقنا برد عفوك وحلاوة رحمتك وليدع بما بدا له وليستغفر لنفسه ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات وليلح في الدعاء وليعظم المسئلة فان الله تعالى لا يتعاظمه شيء قال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة اللهم لا ترد الجميع من اجلي قال بكر المزني لما نظرت الى اهل عرفات ظننت انهم قد غفر لهم لولا اني كنت فيهم

الجملة السابعة في بقية اعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمي والنحر والحلق والطواف فاذا افاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغي ان يكون على السكينة والوقار وليجتنب وجيف الخيل كما يعتاده بعض الناس فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن وجيف الخيل وايضاع الابل وقال صلعم اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا توطؤا مسلما فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لان المزدلفة من الحرم فليدخله بغسل وان قدر على دخوله ماشيا فهو افضل واقرب الى توقير الحرم ويكون في الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم ان هذه مزدلفة جمعت فيها السنة مختلفة تسالك حوائج مؤتنفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء قاصرا باذان واقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ويبدا بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الفرضين وهكذا يفعل الجامع في السفر فان ترك النوافل في السفر خسران ظاهر وتكليف ايقاعها في الاوقات اضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرائض واذا جاز ان يؤدي النوافل مع الفرض بتيمم واحد بحكم التبعية فبان يجوز اداؤها على حكم الجمع بالتبعية اولى ولا يمنع من هذا مفارقة النفل الفرض في جواز ادائه على الراحلة لما اومانا اليه من التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن خرج منها في النصف الاول من الليل ولم يبت فعليه دم واحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم مهما انتصف الليل ياخذ في التاهب للرحيل ويتزود الحصى منها ففيها احجار رخوة فلياخذ سبعين حصاة فانه قدر الحاجة ولا باس بان يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضه وليكن الحصى خفافا بحيث تحتوي عليها اطراف البراجم ثم ليغلس بصلاة الصبح ولياخذ في السير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو الى الاسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام بلغ روح محمد منا التحية والسلام وادخلنا دار السلام يا ذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهي الى موضع يقال له وادي محسر فيستحب ان يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وان كان راجلا اسرع في المشي ثم اذا

اصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي تارة ويكبر اخرى فينتهي الى منى ومواضع الجمرات وهي ثلاث فيتجاوز الاولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهي الى جمرة العقبة وهي على يمين مستقبل القبلة في الجادة والمرمى مرتفع قليلا في سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقيد رمح وكيفيته ان يقف مستقبل القبلة وان استقبل الجمرة فلا باس ويرمي سبع حصيات رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك فاذا رمى قطع التلبية والتكبير الا التكبير عقيب فرائض الصلوات من الظهر يوم النحر الى عقيب الصبح آخر ايام التشريق ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله وصيغة التكبير ان يقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا لا اله الا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده لا اله الا الله والله اكبر ثم ليذبح الهدي ان كان معه والاولى ان يذبح بنفسه وليقل بسم الله والله اكبر اللهم منك وبك ولك تقبل مني كما تقبلت من خليلك ابرهيم عليه السلم والتضحية بالبدن افضل ثم بالبقر ثم بالشاة والشاة افضل من مشاركة ستة في البدنة او البقرة والضان افضل من المعز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاضحية الكبش الاقرن والبيضاء افضل من الغبراء والسوداء قال ابو هريرة البيضاء افضل في الاضحى من دم سوداوين وليأكل منه ان كان هدي تطوع ولا يضحين بالجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء والجدع في الانف والاذن القطع منهما والعضب في القرن وفي نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة الاذن من فوق والخرقاء من اسفل والمقابلة المخروقة الاذن من قدام والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة التي لا تنقي اي لا مخ لها من الهزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة ان يستقبل القبلة ويبتدي بمقدم راسه فيحلق الشق الايمن الى العظمين المشرفين على القفا ثم يحلق الباقي ويقول اللهم اثبت لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة وارفع لي بها عندك درجة والمراة تقصر الشعر والاصلع يستحب له امرار الموسى على راسه ومهما حلق بعد رمي الجمرة فقد حصل له التحلل الاول وحل له كل المحظورات الا النساء والصيد ثم يفيض الى مكة ويطوف كما وصفناه وهذا الطواف طواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة واول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وافضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له ان يؤخر الى اي وقت شاء ولكن يبقى متقيدا بعلقة الاحرام فلا تحل له النساء الى ان يطوف فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق الا رمي ايام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف مع الركعتين كما سبق في طواف القدوم فاذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا ان لم يكن سعى بعد طواف القدوم وان كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا ولا ينبغي ان يعيد السعي واسباب التحلل ثلاثة الرمي والحلق والطواف الذي هو ركن ومهما اتى باثنين من هذه الثلاث فقد تحلل احد التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتاخير لهذه الثلاث مع الذبح ولكن الاحسن ان يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام في هذا اليوم ان يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الحج اربع خطب خطبة يوم السابع وخطبة

يوم عرفة فانهما خطبتان بينهما جلسة ثم اذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت والرمي فيبيت تلك الليلة
بمنى وتسمى ليلة القر لان الناس في غد يقرون بمنى ولا ينفرون بمنى فاذا اصبح اليوم الثاني من العيد وزالت
الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الاولى التي تلي عرفة وهي على يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة و
حمد الله وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة
سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يتقدم الى الجمرة الوسطى ويرمي كما رمى الاولى ويقف كما وقف للاولى
ثم يتقدم الى جمرة العقبة ويرمي سبعا ولا يعرج على شغل بل يرجع الى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى تلك
الليلة ليلة النفر الاول ويصبح فاذا صلى الظهر في اليوم الثاني من ايام التشريق رمى في هذا اليوم احدا
وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود الى مكة فان خرج من منى قبل غروب
الشمس فلا شيء عليه وان صبر الى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني احدا
وعشرين حجرا كما سبق وفي ترك المبيت والرمي اراقة دم للتصدق باللحم وله ان يزور البيت في ليالي منى
بشرط ان لا يبيت الا بمنى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ولا يترك حضور الفرائض مع الامام
في مسجد الخيف فان فضله عظيم فاذا افاض من منى فالاولى ان يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر والمغرب
والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة رواه جماعة من الصحابة وان لم يفعل فلا شيء عليه **الجملة الثامنة**
في صفة العمرة وما بعدها الى طواف الوداع من اراد ان يعتمر بعد حجه او قبله كيف اراد فليغتسل
ويلبس ثياب الاحرام كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وافضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم
ثم الحديبية وينوي العمرة ويلبي ويقصد مسجد عايشة رضي الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء
ثم يعود الى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا
كما وصفناه فاذا فرغ حلق راسه وقد تمت عمرته والمقيم بمكة ينبغي ان يكثر الاعتمار والطواف وليكثر
النظر الى البيت واذا دخله فليصل بين العمودين فهو الافضل وليدخله حافيا موقرا قيل لبعضهم
هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما ارى هاتين القدمين اهلا للطواف حول بيتي فكيف اراهما
اهلا بان اطأ بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشتا والى اين مشتا وليكثر شرب ماء زمزم ويستقي
بيده من غير استنابة ان امكنه وليرتو منه حتى يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم و
ارزقني الاخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له
اي يشفي ما قصد به **الجملة التاسعة** في طواف الوداع مهما عن له الرجوع الى الوطن بعد الفراغ من
اتمام الحج والعمرة فلينجز اولا اشغاله وليشد رحاله وليجعل آخر اشغاله وداع البيت ووداعه بان
يطوف سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب
ماء زمزم ثم ياتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن امتك حملتني
على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى اعنتني على قضاء مناسكك فان
كنت رضيت عني فازدد عني رضى والا فمن الآن قبل ان تنأى عن بيتك داري هذا اوان انصرافي ان اذنت
لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم اصحبني العافية في بدني والعصمة في
ديني واحسن منقلبي وارزقني طاعتك ما ابقيتني واجمع لي خير الدنيا والآخرة انك على كل شيء قدير اللهم لا تجعل

هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وان جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة والاحب ان لا ينصرف بصره
عن البيت حتى يغيب عنه **الجملة العاشرة** في زيارة المدينة وآدابها قال صلى الله عليه وسلم من زارني
بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي وقال عليه السلام من وجد سعة ولم يفد الي فقد جفاني وقال
صلى الله عليه وسلم من جاءني زائرا لا يهمه الا زيارتي كان حقا على الله ان اكون له شفيعا ومن قصد زيارة المدينة
فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه كثيرا فاذا وقع بصره على حيطان المدينة واشجارها قال اللهم
هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وامانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول
من بئر الحرة وليتطيب وليلبس انظف ثيابه فاذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله
وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك
سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذاء
منكبه الايمن ويستقبل السارية التي الى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه
فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يغير المسجد وليجتهد ان يصلي في مسجده الاول
قبل ان يزاد فيه ثم ياتي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه وذلك بان يستدبر
القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو اربعة اذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل
القنديل على راسه وليس من السنة ان يمس الجدار ولا ان يقبله بل الوقوف من بعد اقرب الى الاحترام
فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا امين الله السلام عليك
يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا طهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك يا
خيرة الله السلام عليك يا احمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا ابا القاسم السلام عليك يا
ماحي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا طهر السلام
عليك يا طاهر السلام عليك يا اكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين
السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك
يا نبي الرحمة السلام عليك يا هادي الامة السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى اهل بيتك الذين اذهب
الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى اصحابك الطيبين وازواجك الطاهرات امهات المومنين
جزاك الله عنا افضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن امته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك
الغافلون وصلى عليك في الاولين والآخرين افضل واكمل واعلى واجل واطيب واطهر ما صلى على احد من خلقه
كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وانك عبده ورسوله وامينه وصفيه وخيرته من خلقه واشهد انك قد بلغت الرسالة واديت
الامانة ونصحت الامة وجاهدت عدوك وهديت امتك وعبدت ربك حتى اتاك اليقين فصلى الله
عليك وعلى اهل بيتك الطيبين وسلم وكرم وشرف وعظم وان كان قد اوصي بتبليغ سلام فيقول
السلام عليك من فلان ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على الصديق رضي الله عنه لان راسه عند منكب
رسول الله صلعم وراس عمر عند منكب ابي بكر رضي الله عنهما ثم يتاخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق رضي الله عنه
ويقول السلام عليكما يا وزيري رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا

والقايمين في امته بعده بامور الدين متبعان في ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزى
وزراء نبي على دينه ثم يرجع فيقف عند راس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل
القبلة ويحمد الله تع ويمجده وليكثر من الصلوة على رسول الله صلعم ثم يقول اللهم انك قلت ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم انا قد سمعنا قولك
واطعنا امرك وقصدنا نبيك مستشفعين به اليك في ذنوبنا وما اثقل ظهورنا من اوزارنا تائبين من
زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه
عليك اللهم اغفر للمهاجرين والانصار واغفر لاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله آخر العهد
من قبر نبيك ومن حرمك يا ارحم الراحمين ثم ياتي الروضة فيصلي فيها ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله صلعم
ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ويدعو عند المنبر ويستحب ان
يضع يده على الرمانة التي كان صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب ان ياتي احدا يوم
الخميس ويزور قبور الشهداء فيصلي الغداة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حتى يخرج ويعود الى المسجد لصلوة
الظهر فلا يفوته فريضة في الجماعة في المسجد ويستحب ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله صلعم
ويزور قبر عثمان رضي الله عنه وقبر الحسن بن علي رضي الله عنهما وفيه ايضا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر
بن محمد ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها ويزور قبر ابرهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية
عمة رسول الله صلعم فذلك كله بالبقيع ويستحب ان ياتي مسجد قبا في كل يوم سبت ويصلي فيه لما روي ان
رسول الله صلعم قال من خرج من بيته حتى ياتي مسجد قبا ويصلي فيه كان عدل عمرة وياتي بير اريس يقال
ان النبي صلعم تفل فيها وهي بير عند المسجد فيتوضا منها ويشرب من مائها وياتي مسجد الفتح وهو على الخندق
وكذا ياتي ساير المساجد والمشاهد ويقال ان جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلثون موضعا
يعرفها اهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبار التي كان النبي صلعم يتوضا منها ويغتسل و
يشرب منها وهي سبعة آبار طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم وان امكنه الاقامة بالمدينة مع
مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم قال صلعم لم يصبر على لاوائها وشدتها احد الا كنت له شفيعا وشهيدا
يوم القيمة ثم اذا فرغ من اشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب ان ياتي القبر ويعيد دعاء
الزيارة كما سبق ويودع رسول الله صلعم ويسال الله ان يرزقه العود اليه ويسال السلامة في سفره ثم
يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله صلعم قبل ان زيدت المقصورة في المسجد فاذا
خرج فليخرج رجله اليسرى اولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك
وحط اوزاري بزيارته واصحبني في سفري السلامة ويسر رجوعي الى اهلي سالمين يا ارحم الراحمين وليتصدق
على جيران رسول الله صلعم بما قدر عليه وليتتبع المساجد التي بين مدينة ومكة فيصلي فيها وهي عشرون
موضعا **فصل** في سنن الرجوع من السفر كان صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو او حج او عمرة
يكبر على كل شرف من الارض ثلث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب
وحده وفي بعض الروايات وكل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فينبغي ان يستعمل هذه السنة في

رجوعه واذا اشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل
الى اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا ينبغي ان يطرق اهله ليلا فاذا
دخل البلد فليقصد المسجد اولا وليصل ركعتين فهو السنة كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
دخل بيته قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر في منزله فلا ينبغي ان ينسى ما انعم الله عليه
من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بان يعود الى الغفلة واللهو والخوض في
المعاصي فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته ان يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة متاهبا للقاء رب
البيت بعد لقاء البيت **الباب الثالث في الآداب الدقيقة** والاعمال الباطنة **بيان
دقايق الآداب** وهي عشرة **الاول** ان تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل
القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله تع والقلب مطمينا منصرفا الى ذكر الله تع وتعظيم شعايره و
قد روي في خبر من طريق اهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج الناس للحج اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة
واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم للسمعة وفي الخبر اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي يتصور
ان تتصل بالحج وكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لا سيما اذا كان متجردا بنفس الحج بان يحج
لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وارباب القلوب ذلك الا ان يكون قصده المقام
بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا باس ان ياخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا بل بالدنيا
الى الدين وعند ذلك ينبغي ان يكون قصده زيارة بيت الله تع ومعاونة اخيه المسلم باسقاط الفرض
عنه وفي مثله ينزل قوله صلى الله عليه وسلم يدخل الله تع بالحجة الواحدة ثلثة الجنة الموصي بها والمنفذ
لها ومن حج بها عن اخيه ولست اقول لا تحل الاجرة او يحرم ذلك بعد ان اسقط فرض الاسلام
عن نفسه ولكن الاولى ان لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبة ومتجرة فان الله تع يعطي الدنيا بالدين
ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر مثل الذي يغزو في سبيل الله وياخذ اجرا مثل ام موسى ترضع
ولدها وتاخذ اجرها فمن كان مثاله في اخذ الاجرة على الحج مثال ام موسى فلا باس باخذه انه ياخذ
ليتمكن من الحج والزيارة فيه ليس يحج لياخذ الاجرة بل كانت ام موسى تاخذ ليتيسر لها الارضاع
بتلبيس حالها عليهم **الثاني** ان لا يعاون اعداء الله بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد
الحرام من امراء مكة والاعراب المترصدين في الطرق فان تسليم المال اليهم اعانة على الظلم وتيسير
لاسبابه عليهم فهو كالاعانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض
العلماء ولا باس بما قاله ان ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق افضل من اعانة الظلمة فان
هذه بدعة احدثت وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين
ببذل جزية ولا معنى لقول القايل ان ذلك يوخذ مني وانا مضطر فانه لو قعد في البيت او رجع
عن الطريق لم يوخذ بل ربما يظهر اسباب الترفه فيكثر مطالبته ولو كان في زي الفقراء لم يطالب
فهو الذي ساق نفسه الى حالة الاضطرار **الثالث** التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل و
الانفاق من غير تقتير ولا اسراف بل على الاقتصاد واعني بالاسراف التنعم باطايب الاطعمة والترفه
بشرب انواعها على عادة المترفين فاما كثرة البذل فلا سرف فيه اذ لا خير في السرف ولا

سرف في الخبز كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله والدرهم بسبعمائة درهم قال
ابن عمر رضي الله عنه من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول افضل الحجاج اخلصهم نية
وازكاهم نفقة واحسنهم يقينا وقال صلعم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل له يا رسول الله
ما بر الحج فقال طيب الكلام واطعام الطعام الرابع ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به
القرآن والرفث اسم جامع لكل لغو وخنا وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن
والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعي الى المحظور
محظور والفسوق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله تع والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة
بما يورث الضغائن ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفين رحمه الله من رفث
فسد حجه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع اطعام الطعام من بر الحج والمماراة تناقض
طيب الكلام فلا ينبغي ان يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيرهم من اصحابه بل يلين جانبه
ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الاذى بل احتمال
الاذى وقيل سمي السفر سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم انه
يعرف رجلا هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا فقال ما اراك تعرفه
الخامس ان يحج ماشيا ان قدر عليه فذلك افضل اوصى عبد الله بن عباس بنيه عند موته فقال
يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل
وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف والاستحباب في المشي في المناسك والتردد من مكة الى
الموقف والى منى آكد منه في الطريق وان اضاف الى المشي الاحرام من دويرة اهله فقد قيل ان
ذلك من اتمام الحج قال عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله تع واتموا الحج والعمرة لله وقال
بعض العلماء الركوب افضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ولانه ابعد من ضجر النفس واقل لاذاه و
اقرب الى سلامته وتمام حجه وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للاول بل ينبغي ان يفصل ويقال
من سهل عليه المشي فهو افضل فان كان يضعف ويؤدي ذلك به الى سوء خلق وقصور عن عمل
فالركوب له افضل كما ان الصوم افضل للمسافر والمريض ما لم يفض الى ضعف وسوء خلق و
سئل بعض العلماء عن العمرة المشي فيها افضل او يكتري حمارا بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم
اشد عليه فالكراء افضل من المشي وان كان المشي عليه اشد كالاغنياء فالمشي له افضل وكانه
ذهب فيه الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الافضل ان يمشي ويصرف ذلك الدرهم الى
خير فهو اولى من صرفه الى المكاري عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كان لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة
النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه السادس ان لا يركب الا زاملة اما المحمل
فليجتنب الا اذا كان يخاف على الزاملة او لا يستمسك عليها لعذر وفيه معنيان احدهما
التخفيف عن البعير فان المحمل يؤذيه والثاني اجتناب زي المترفين والمتكبرين حج رسول الله
صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربع دراهم وطاف
على الراحلة لينظر الناس الى هديه وشمائله وقال خذوا عني مناسككم وقيل ان هذه المحامل

احدثها الحجاج وكان العلماء في وقته ينكرونها وروى سفين الثوري عن ابيه انه قال برزت من الكوفة
الى القادسية للحج ووافت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل
وما رأيت في جميعهم الا محملين وكان ابن عمر رضي الله عنه اذا نظر الى ما احدث الحاج من الزي والمحامل
يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر الى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من
الحاج السابع ان يكون رث الهيئة اشعث اغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل الى اسباب
التفاخر والتكاثر فيكتب في ديوان المتكبرين والمترفين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص
الصالحين فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعث والاحتفاء ونهى عن التنعم والرفاهية في
حديث فضالة بن عبيد وفي الخبر انما الحاج الشعث التفل يقول الله تع انظروا الى زوار بيتي قد جاءوا
شعثا غبرا من كل فج عميق وقال تع ثم ليقضوا تفثهم والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه
بالحلق وقص الاظفار وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى امراء الاجناد اخلولقوا و
اخشوشنوا اي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الاشياء وقد قيل زين الحجيج اهل اليمن
لانهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف وينبغي ان يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص
والشهرة كيف ما كان على العموم وقد روي انه صلعم كان في سفر فنزل اصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر
الى اكسية حمر على الاقتاب فقال ارى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنا اليها ونزعناها عن
ظهورها حتى شرد بعض الابل الثامن ان يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا يطيق والمحمل خارج عن
حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان اهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن
قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور دوابكم
كراسي ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف
كان بعضهم يكتري بشرط ان لا ينزل ويوفي الاجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيكون
في حسناته ويوضع في ميزانه لا في ميزان المكاري وكل من آذى بهيمة وحملها ما لا تطيق طولب به في
القيمة قال ابو الدرداء رضي الله عنه لبعيره عند الموت يا ايها البعير لا تخاصمني الى ربك
فاني لم اكن احملك فوق طاقتك وعلى الجملة لكل كبد حرى اجر فليراع حق الدابة وحق المكاري جميعا و
في نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكاري قال رجل لابن المبارك احمل هذا الكتاب
معك لتوصله الى فلان فقال حتى استأمر الجمال فاني قد اكتريت فانظر كيف تورع من استصحاب
كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فانه اذا فتح باب القليل انجر الى الكثير يسيرا يسيرا التاسع
ان يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه ويجتهد ان يكون من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه
ان كان تطوعا ولا يأكل ان كان واجبا قيل في تفسير قوله تع ذلك ومن يعظم شعائر الله انه
تحسينه وتسمينه وسوق الهدي من الميقات افضل ان كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس في
شرائه فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة فان افضل
ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله وروى ابن عمر ان عمر رضي الله عنهما اهدى نجيبة فطلبت منه
بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك

وقال بل اهدها وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وفي ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم انما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله تع فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد ام قل وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال العج والثج والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن وروت عائشة ان رسول الله صلعم قال ما من عمل آدمي يوم النحر احب الى الله عز وجل من اهراقه دما وانها لتاتي يوم القيمة بقرونها واظلافها فان الدم يقع من الله تع بمكان قبل ان يقع بالارض فطيبوا بها نفسا وفي الخبر لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فابشروا **العاشر** ان يكون طيب النفس بما انفقه من نفقة وهدي وبما اصابه من خسران ومصيبة في مال وبدن ان اصابه ذلك فان ذلك من دلائل قبول حجه فان المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله تع الدرهم بسبعمائة وهو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فانه بكل اذى احتمله وخسران اصابه ثواب ولا يضيع منه شيء عند الله تع ويقال ان من علامة قبول الحج ايضا ترك ما كان عليه من المعاصي وان يستبدل باخوانه البطالين اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة

بيان الاعمال الباطنة ووجه الاخلاص في النية وطرق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها من اول الحج الى آخره

اعلم ان اول الحج الفهم اعني فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم السير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الامور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف واشارة للفطن فلنرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح بابها وعرفت اسبابها انكشف لكل حاج من اسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة علمه **اما الفهم** فاعلم انه لا وصول الى الله سبحانه وتع الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله وتركوا لله اللذات الحاضرة والزموا انفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة واثنى الله عليهم في كتابه فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله تع وفتروا عنه بعث الله سبحانه وتع محمدا صلى الله عليه وسلم لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسأله اهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال صلى الله عليه وسلم ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل رسول الله صلعم عن السائحين فقال عليه السلام هم الصائمون فانعم الله سبحانه على هذه الامة بان جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لامره وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل اوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن ان يحويه بيت او يكتنفه بلد ليكون

ذلك

ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم واتم في اذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تانس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكوة ارفاق ووجهه معلوم مفهوم وللعقل اليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي عدو الله تع والصلوة تفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلوة تواضع لله سبحانه وتع بافعال هي هيئة التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله تع **فاما** ترددات السعي ورمي الجمار وامثال هذه الاعمال فلا حظ للنفوس ولا انس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون في الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه فان كل ما ادرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك **قال** صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في صلوة وغيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بان تكون اعمالهم على خلاف هوى طباعهم وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ انواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والاخلاق الى مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت لهذا فهمت ان تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن اسرار التعبدات وهذا القدر كاف في تفهيم اصل الحج **واما الشوق** فانما ينبعث بعد الفهم والتحقق بان البيت بيت الله تع وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد الى الله تع وزائر له وان من قصد البيت في الدنيا جدير بان لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له وهو النظر الى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية في دار الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر الى وجه الله تع ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وانها ان امدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن اسباب التغير والفناء استعدت للنظر والابصار ولكنها بقصد البيت والنظر اليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق الى لقاء الله تع يشوقه الى اسباب اللقاء لا محالة هذا مع ان المحب مشتاق الى مجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل **واما العزم** فليعلم انه بعزمه قاصد الى مفارقة الاهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها الى زيارة بيت الله فليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم انه عزم على امر رفيع شانه خطير امره وان من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله تع بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقق انه لا يقبل من قصده وعمله الا الخالص وان من افحش الفواحش ان يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه واخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة وليحذر ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير **واما** قطع العلائق فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة عن جملة المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلبيبه ينادي عليه ويقول له الى اين تتوجه اتقصد بيت ملك الملوك وانت مضيع امره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له او لا تستحيي من ان تقدم قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فان كنت راغبا في قبول زيارتك فنفذ اوامره ورد المظالم وتب اليه اولا من جميع المعاصي واقطع علاقة

قلبك عن الالتفات الى ما وراءك لتكون متوجها اليك بوجه قلبك كما انك متوجه الى بيتك بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك اولا الا النصب والشقاء وآخرا الا الطرد والرد ولتقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر انه لا يعود اليه وليكتب وصيته لاهله واولاده فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله تع وليتذكر عند قطع العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما تقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر واليه المصير فلا ينبغي ان يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر واما الزاد فليطلبه من موضع حلال واذا احس من نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر ان سفر الآخرة اطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه مما يظن انه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في اول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له فليحذر ان يكون اعماله التي هي زاده الى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير واما الراحلة اذا احضرها فليشكر الله بقلبه على تسخير الله له الدواب ليتحمل عنه الاذى ويخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذي يركبه الى الدار الآخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها فان امر الحج من وجه يوازي امر السفر الى الآخرة ولينظر ايصلح سفره على هذا المركب بان يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب فما اقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه على الجمل وركوب الجنازة مقطوع به وتيسير اسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في اسباب السفر المشكوك ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل امر السفر المستيقن واما شراء ثوب الاحرام فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فانه سيرتدي ويتزر بثوبي الاحرام عند القرب من بيت الله تع وربما لا يتم سفره اليه وانه سيلقى الله تع ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله الا مخالفا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله بعد الموت الا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيه مخيط ولا محيط كما في الكفن واما الخروج من البلد فليعلم عنده انه يفارق الاهل والوطن متوجها الى الله تع في سفر لا يضاهي اسفار الدنيا فليحضر في قلبه انه ماذا يريد واين يتوجه وزيارة من يقصد وانه متوجه الى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق واقبلوا على بيت الله الذي فخم امره وعظم شانه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت الى ان يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر الى مولاهم وليحضر رجاء القبول والوصول لا ادلالا بالاعمال في الارتحال ومفارقة الاهل والمال ولكن ثقة بفضل الله ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج انه وان لم يصل وادركته المنية في الطريق لقي الله وافدا اليه اذ قال عز وجل ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله واما دخول البادية الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات القيمة وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعي والحيات ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في اعماله واقواله متزودا لمخاوف القبر واما الاحرام والتلبية بالميقات فليعلم ان معناه اجابة نداء الله تع فارج ان تكون مقبولا واخش ان يقال لك لا لبيك ولا

سعديك

سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه وقال احمد بن ابي الحواري كنت مع ابي سليمن الداراني حين اراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا واخذته كالغشية ثم افاق وقال يا احمد ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلم مر ظلمة بني اسرائيل ان يقلوا من ذكري فاني اذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك يا احمد بلغني ان من حج من غير حله ثم لبى قال الله تع لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما نامن ان يقال لنا ذلك وليتذكر عند رفع الاصوات بالتلبية في الميقات اجابة لنداء الله تع اذ قال تع واذن في الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيمة مجيبين لنداء الله ومنقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في اول الامر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم اتمام الحج وقبوله ام لا واما دخول مكة فليتذكر عندها انه قد انتهى الى حرم آمن وليرج عنده ان يامن بدخوله من عقاب الله وليخش ان لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخول الحرم خائبا مستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الاوقات غالبا فالكرم عميم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع واما وقوع البصر على البيت فينبغي ان يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقدر كانه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه وارج ان يرزقك الله النظر الى وجهه الكريم كما رزقك النظر الى بيته العظيم واشكر الله تع على تبليغه اياك هذه الرتبة والحاقه اياك بزمرة الوافدين اليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيمة الى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم الى ماذونين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج الى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر امور الآخرة في شيء مما تراه فان كل احوال الحاج دليل على احوال الآخرة واما الطواف بالبيت فاعلم انه صلوة واحضر قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلوة واعلم انك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا يبتدي الذكر الا منه ولا يختم الا به كما يبتدي الطواف بالبيت ويختم بالبيت واعلم ان الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي في عالم الملكوت كما ان البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السموات بازاء الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من تشبه بقوم فهو منهم والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض اولياء الله تع واما الاستلام فاعتقد عنده انك مبايع لله تع على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت وقد روى ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الحجر يمين الله في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل اخاه واما التعلق باستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فليكن نيتك في الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا

الملبي

بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار في كل جزء لا في البيت وليكن نيتك في التعلق بالستر الالحاح في
طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من اذنب اليه المتضرع اليه في عفوه عنه المظهر
له انه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الامن
في المستقبل واما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فانها تضاهي تردد العبد بفناء دار الملك
جائيا وذاهبا مرة بعد اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي
دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول او رد فلا يزال يتردد
على فناء الدار مرة بعد اخرى يرجو ان يرحم في الثانية ان لم يرحم في الاولى وليتذكر عند تردده
بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيمة وليمثل الصفا بكفة الحسنات و
المروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا الى الرجحان والنقصان مترددا بين
العذاب والغفران واما الوقوف بعرفة فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات
واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات
القيمة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك
الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال الى الله تع ليحشرك في
زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاءك بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال
الى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من اوتاد الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الابدال والاوتاد
وطبقات من الصالحين وارباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت
الى الله تع ايديهم وامتدت اليه اعناقهم وشخصت نحو السماء ابصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة
فلا تظنن انه يخيب املهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان من اعظم الذنوب ان
يحضر عرفات ويظن ان الله تع لم يغفر له وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الابدال والاوتاد
المجتمعين من اقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق الى استدرار رحمة الله تع مثل اجتماع
الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد واما رمي الجمار فاقصد به الانقياد للامر
اظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ثم اقصد به التشبه بابرهيم
عليه السلام حيث عرض له ابليس في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله تعالى
ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فان خطر لك ان الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه
واما انا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان وانه الذي القاه في قلبك
ليفتر عزمك في الرمي ويخيل اليك انه فعل لا فائدة فيه وانه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك
بالجد والتشمير في الرمي فبه ترغم انف الشيطان واعلم انك في الظاهر ترمي الحصى الى العقبة وفي
الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثالك امر الله تع تعظيما
لمجرد الامر من غير حظ النفس والعقل فيه واما ذبح الهدي فاعلم انه تقرب الى الله بحكم الامتثال فاكمل
الهدي واجزاءه وارج ان يعتق بكل جزء منها جزء منك من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي
اكبر واجزاؤه اوفر كان فداؤك من النار به اعم واما زيارة المدينة فاذا وقع بصرك على حيطانها

فتذكر

فتذكر انها البلدة التي اختارها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل اليها هجرته وانها داره التي فيها
شرع فرائض ربه جل جلاله وسننه وجاهد عدوه واظهر بها دينه الى ان توفاه الله تع ثم جعل تربته فيها
وتربة وزيريه القائمين بالحق من بعده ثم مثل في نفسك مواقع اقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند
ترداده فيها وانه ما من موضع قدم تطؤه الا وهو موقع قدمه العزيز فلا تضع قدمك عليه الا على سكينة
ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله قلبه
من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره حتى قرنه بذكر نفسه واحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق
صوته ثم تذكر ما من الله به على الذين ادركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه واعظم تاسفك
على ما فاتك من صحبته وصحبة اصحابه رضي الله عنهم ثم اذكر انه قد فاتتك رؤيته في الدنيا وانك من رؤيته
في الآخرة على خطر وانك ربما لا تراه الا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله اياك بسوء عملك كما قال صلى الله عليه
وسلم يرفع الي اقوام فيقولون يا محمد يا محمد فاقول يا رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول
بعدا وسحقا فان تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تامن ان يحال بينك وبينه بعدولك
عن محجته وليعظم مع ذلك رجاؤك ان لا يحول الله بينك وبينه بعد ان رزقك الايمان واشخصك من
وطنك لاجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في الدنيا بل لمحض حبك له وشوقك الى ان تنظر الى آثاره والى حائط
قبره اذ سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما اجدرك بان ينظر الله تع اليك بعين الرحمة فاذا
بلغت المسجد فاذكر انها العرصة التي اختارها الله تع لنبيه صلى الله عليه وسلم ولاول المسلمين وافضلهم
عصابة وان فرائض الله اول ما اقيمت في تلك العرصة وانها جمعت افضل خلق الله حيا وميتا فليعظم املك
في الله عز وجل ان يرحمك بدخولك اياها فادخلها خاشعا معظما وما اجدر هذا المكان بان
يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكي عن ابي سليمان انه قال حج اويس القرني ودخل المدينة
فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشي عليه فلما افاق قال
اخرجوني فليس يلذ لي بلد محمد صلى الله عليه وسلم فيه مدفون واما زيارة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فينبغي ان تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره الا
كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة في ان لا تمس شخصه ولا تقبله
بل تقف من بعيد ماثلا بين يديه فكذلك فافعل فان المس والتقبيل للمشاهد عادة اليهود
والنصارى واعلم انه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك وصلواتك
فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في اللحد بازائك واحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روي
عنه صلى الله عليه وسلم ان الله تع وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته هذا في
حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة
مشهده الكريم اذ فاتته مشاهدة غرته الكريمة وقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة
صلى الله عليه عشرا فهذا جزاؤه في الصلوة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ثم ائت منبر
رسول الله صلعم وتوهم صعود النبي عليه السلام المنبر ومثل في قلبك طلعته البهية قائما على المنبر
وقد احدق به المهاجرون والانصار وهو يحثهم على طاعة الله تع بخطبته وسل الله تع ان لا يفرق

في القيمة بينك وبينه صلى الله عليه وسلم هذا وظيفة القلب في اعمال الحج فاذا فرغ منها كلها فينبغي ان يلزم قلبه الهم والحزن والخوف فانه ليس يدري أقبل منه حجه وأثبت في زمرة المحبوبين ام رد حجه و
الحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه ومن اعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى الانس بالله تعالى ووجد اعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله تعالى لا يقبل الا من احبه ومن احبه تولاه واظهر عليه آثار محبته وصرف عنه سطوة عدوه ابليس فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان كان الامر بخلافه فيوشك ان يكون حظه من سفره العناء والتعب نعوذ بالله منه
تم كتاب الحج بفضل الله وكرمه ويتلوه كتاب فهم تلاوة القرآن والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله

كتاب فهم تلاوة القرآن وآدابها وهو الكتاب الثامن من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وكتابه المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى اتسع على اهل الافكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والاخبار واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الاحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما في الصدور من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الاوفى هو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا تنقضي عجائبه ولا تتناهى غرائبه لا يحيط بفوائده عند اهل الفهم تحديد و لا يخلقه عند اهل التلاوة كثرة الترديد هو الذي ارشد الاولين والآخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا ان ولوا الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدي ومن عمل به فقد فاز وقد قال الله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن اسباب حفظه في القلوب والمصاحف تلاوته والمواظبة على درسه مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الاعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه و تفصيله وينكشف مقاصده في اربعة ابواب الباب الاول في فضل القرآن واهله الباب الثاني في آداب التلاوة في الظاهر الباب الثالث في الاعمال الباطنة عند التلاوة الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي وغيره

الباب الاول في فضل القرآن واهله وذم المقصرين في تلاوته

فضيلة القرآن قال صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظمه الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من شفيع افضل منزلة عند الله تعالى يوم القيمة من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال صلى الله عليه وسلم لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار وقال عليه السلم افضل عبادة امتي قراءة القرآن وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قرأ طه ويس قبل ان يخلق الخلق بالف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لامة ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا وقال صلى الله عليه وسلم خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال عليه السلم يقول الله تعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسئلتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين وقال عليه السلام
ثلثة يوم القيمة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ فيما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله تعالى وأم به قوما هم به راضون وقال صلى الله عليه وسلم اهل القرآن اهل الله وخاصته وقال صلى الله عليه وسلم ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يا رسول الله وما جلاؤها فقال تلاوة القرآن وذكر الموت وقال صلى الله عليه وسلم لله اشد اذنا الى قارئ القرآن من صاحب القينة الى قينته

الآثار قال ابو امامة الباهلي اقرؤا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء القرآن وقال ابن مسعود اذا اردتم العلم فانثروا القرآن فان فيه علم الاولين والآخرين وقال ايضا اقرؤا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات اما اني لا اقول الحرف الم ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وقال ايضا لا يسأل احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله ورسوله وان كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله وقال عمرو بن العاص كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم وقال ايضا من قرأ القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه وقال ابو هريرة رضي الله عنه ان البيت الذي يتلى فيه كتاب الله اتسع باهله وكثر خيره وحضرته الملائكة و خرجت منه الشياطين وان البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق باهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال احمد بن حنبل رحمه الله رأيت الله عز وجل في المنام فقلت يا رب ما افضل ما تقرب به المتقربون اليك قال بكلامي يا احمد قال قلت يا رب بفهم او بغير فهم فقال بفهم وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظي اذا سمع الناس القرآن من الرحمن عز وجل يوم القيمة فكانهم لم يسمعوه قط وقال الفضيل بن عياض ينبغي لحامل القرآن ان لا يكون له الى احد حاجة ولا الى الخلفاء فمن دونهم وينبغي ان يكون حوائج الخلق اليه وقال ايضا حامل القرآن حامل راية الاسلام لا ينبغي ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال سفيان الثوري رحمه الله اذا قرأ الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلي الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله له مثل عمل جميع الدنيا ويروى ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلعم وقال اقرأ علي فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الآية فقال له اعد فاعاد صلى الله عليه وسلم فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وقال الحسن والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ههنا احد نستأنس به فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصيام وقراءة القرآن

ما قيل في ذم تلاوة الغافلين قال انس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلعنه وقال ميسرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وقال ابو سليمن الداراني الزبانية اسرع الى حملة القرآن الذين يعصون الله تعالى منهم الى عبدة الاوثان

حين عصوا الله بعد القرآن وقال بعض العلماء اذا قرا ابن آدم القرآن ثم خلطه ثم عاد ثم قرا قيل له
مالك ولكلامي وقال ابن الرماح ندمت على استظهاري القرآن لانه بلغني ان اصحاب
القرآن يسألون عما يسأل عنه الانبياء يوم القيمة وقال ابن مسعود رضي الله عنه ينبغي لحامل
القرآن ان يعرف بليله اذا الناس نائمون وبنهاره اذا الناس يفرطون وبحزنه اذا الناس
يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس
يختالون وينبغي لحامل القرآن ان يكون مستكينا لينا ولا ينبغي ان يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا
ولا صخابا ولا حديدا وقد قال صلى الله عليه وسلم اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وقال صلعم
اقرا القرآن ما نهاك فاذا لم ينهك فلست تقراه وقال صلعم ما آمن بالقرآن من استحل محارمه وقال
بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح
سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل وكيف ذلك قال اذا احل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا
لعنته وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقرا الا لعنة الله على الظالمين
وهو ظالم نفسه الا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن انما اتخذتم قراءة القرآن مراحل
وجعلتم الليل جملا فانتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم راوه رسائل من ربهم فكانوا
يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود رضي الله عنه انزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا يتغزونها
دراسته عملا ان احدهم ليقرا القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به
وفي حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرا واحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل
السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حرامها وحلالها وآمرها وزاجرها وما ينبغي ان يقف عنده
منها ثم لقد رايت رجالا يؤتى احدهم القرآن قبل الايمان فيقرا ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري
ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي ان يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التورية يا عبدي
اما تستحيي مني ياتيك كتاب من بعض اخوانك وانت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد
لاجله وتقراه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك منه شيء وهذا كتابي انزلته اليك انظر كم وصلت
لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتامل طوله وعرضه ثم انت معرض عنه افكنت اهون
عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى
حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك شاغل عن حديثه اومات اليه ان كف وها انا ذا
مقبل عليك ومحدث لك وانت معرض بقلبك عني فجعلتني اهون عندك من بعض اخوانك

الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة الاول في حال القاري وهو
ان يكون على الوضوء واقفا على هيئة الادب والسكون اما قائما واما جالسا مستقبل
القبلة مطرقا راسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة المتكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه
بين يدي استاذه وافضل الاحوال ان يقراه في الصلوة قائما وان يكون في المسجد فذلك من
افضل الاعمال فان قرا على غير وضوء وكان مضطجعا في الفراش فله ايضا فضل ولكنه دون
ذلك قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاثنى على الكل ولكن قدم القيام

في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال علي رضي الله عنه من قرا القرآن وهو قائم في الصلوة كان له
بكل حرف مائة حسنة ومن قرا وهو جالس في الصلوة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرا في غير صلوة وهو
على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرا على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو
افضل لانه افرغ للقلب قال ابو ذر الغفاري رضي الله عنه ان كثرة السجود بالنهار وان طول القيام
بالليل افضل الثاني في مقدار القراءة وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاقتصار فمنهم من
يختم في اليوم والليلة مرة ومنهم مرتين وانتهى بعضهم الى ثلاث مرات ومنهم من يختم في الشهر مرة و
اولى ما يرجع اليه في التقديرات قول رسول الله صلعم وقد قال عليه السلام من قرا القرآن في اقل من ثلاث
لم يفقهه وذلك لان الزيادة عليه تمنع الترتيل وقالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلا يهذ
القرآن هذا ان هذا ما قرا القرآن ولا سكت وامر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمر ان
يختم القرآن في سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن
مسعود وابي بن كعب رضي الله عنهم ففي الختم اربع درجات الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في
شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزءا وكانه مبالغة في الاقتصار كما ان الاول مبالغة في الاستكثار وبينهما
درجتان معتدلتان احديهما في الاسبوع مرة والثانية في الاسبوع مرتين تقريبا من الثلث و
الاحب ان يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمة بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر او بعدهما ويختم
ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب او بعدهما ليستقبل بختمتيه اول النهار واول الليل فان الملائكة
تصلي عليه ان كانت ختمته ليلا حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسي فيشتمل بركتهما جميع الليل والنهار و
التفصيل في مقدار القراءة انه ان كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي ان ينقص عن
ختمتين في الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر او من المشغولين بنشر العلم
فلا باس ان يقتصر في الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر بمرة
لحاجته الى كثرة الترديد والتامل الثالث في وجه القسمة اما من ختم في الاسبوع مرة فيقسم
القرآن سبعة احزاب فقد حزب الصحابة القرآن احزابا فروي ان عثمان رضي الله عنه كان يفتتح ليلة
الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة
الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلثا بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتنزيل الى
الرحمن وليلة الخميس يختم وابن مسعود رضي الله عنه كان يقسمه بسبعة اقسام لا على هذا الترتيب وقيل
احزاب القرآن سبعة فالحزب الاول ثلاث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور
والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع المفصل
من ق فهكذا حزبه الصحابة رضي الله عنهم وكانوا يقرؤنه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلعم وهذا قبل
ان عمل الاخماس والاعشار والاجزاء وروي عن الشعبي وابرهيم النخعي انهما سوى هذا فهو محدث
الرابع في الكتبة يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا باس بالنقط والعلامات بالحمرة
وغيرها فانه تزيين وتبيين وصد عن اللحن والخطا لمن يقروه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكران
الاخماس والعواشر والاجزاء وروي عن الشعبي وابرهيم النخعي كراهية النقط بالحمرة واخذ الاجرة على ذلك

وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهولاء انهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من ان يؤدي
الى احداث زيادات وحسما للباب وشوقا الى قراءة حراسة القرآن عما تطرق اليه تغيير واذا لم
يؤد الى محذور واستقر الامر فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا باس به ولا يمنع منه كونه محدثا فكم من محدث
حسن كما قيل في اقامة الجماعات في التراويح انها من محدثات عمر رضي الله عنه وانها بدعة حسنة انما
البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة او تكاد تفضي الى تغييرها وبعضهم كان يقول اقرأ من المصحف
المنقوط ولا انقط بنفسي وقال الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير كان القرآن مجردا في المصاحف فاول
ما احدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا باس به فانه نور له ثم احدثوا بعده نقطا كبارا عند
منتهى الآي وقالوا لا باس به يعرف به راس الآية ثم احدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح قال ابو بكر الهذلي
سالت الحسن عن تنقيط المصاحف بالاحمر فقال وما تنقيطها قلت يعربون الكلمة بالعربية فقال
اما اعراب القرآن فلا باس به وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرايته يقرا في مصحف
منقوط وقد كان يكره النقط وقد قيل ان الحجاج هو الذي احدث ذلك واحضر القراء حتى عدوا
كلمات القرآن وحروفه وسووا اجزاءه وقسموه الى ثلاثين جزءا والى اقسام اخر **الخامس**
الترتيل هو المستحب في هيئة القراءة لانا سنبين ان المقصود من القراءة التفكر والترتيل
يعين عليه ولذلك نعتت ام سلمة قراءة رسول الله صلعم فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا وقال
ابن عباس رضي الله عنه لان اقرا البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرا البقرة وآل عمران
تهذيرا وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في صلوة فكان قيامهما واحدا الا ان احدهما قرا البقرة
فقط وقرا الآخر القرآن كله فقال هما في الاجر سواء واعلم ان الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر
فان العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له ايضا في القراءة الترتيل والتؤدة لان ذلك اقرب الى التوقير
والاحترام واشد تاثيرا في القلب من الهذرمة والاستعجال **السادس** البكاء مستحب
مع القراءة قال رسول الله صلعم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال صلى الله عليه وسلم
ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال صالح المري قرات القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام
فقال لي يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وقال ابن عباس رضي الله عنه اذا قراتم سجدة سبحان فلا
تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وانما طريق تكلف البكاء ان يحضر قلبه الحزن
فمن الحزن ينشا البكاء قال صلعم ان القرآن نزل بحزن فاذا قراتموه فتحازنوا ووجه احضار الحزن
ان يتامل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتامل تقصيره في اوامره وزواجره فيحزن
لا محالة ويبكي فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن
فان ذلك اعظم المصائب **السابع** ان يراعي حق الآيات فاذا مر بآية سجود سجد وكذلك اذا سمع
من غيره سجدة اذا سجد التالي ولا يسجد الا اذا كان على طهارة وفي القرآن اربع عشرة سجدة وفي الحج وليس في
ص سجدة واقله ان يسجد بوضع جبهته على الارض واكمله ان يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق
بالآية التي قراها مثل ان يقرا قوله تعالى خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني
من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين على امرك او على اوليائك

واذا قرا قوله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فليقل اللهم اجعلني من الباكين اليك
الخاشعين لك وكذلك في كل سجدة ويشترط في هذه السجدة شروط الصلوة من ستر العورة واستقبال
القبلة وطهارة الحدث والخبث ومن لم يكن على الطهارة عند السماع فاذا تطهر يسجد وقد قيل
في كمالها انه يكبر رافعا يديه للتحريم ثم يكبر للهوي ثم يسلم وزاد زايدون التشهد ولا اصل لهذا الا
القياس على سجود الصلوة وهو بعيد فانه ورد الامر بالسجود فليتبع فيه الامر وتكبيرة الهوي اقرب
للبداية وما عدا ذلك ففيه بعد ثم الماموم ينبغي ان يسجد عند سجود الامام ولا يسجد لتلاوة نفسه **الثامن**
ان يقول في مبدا قراءته اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين
واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرا قل اعوذ برب الناس وسورة الحمد وليقل عند فراغه من كل
سورة صدق الله وبلغ رسول الله اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر الله
الحي القيوم وفي اثناء القراءة اذا مر بآية التسبيح سبح وكبر واذا مر بآية دعاء واستغفار دعا
واستغفر وان مر بمرجو سال وان مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه او بقلبه فيقول
سبحان الله تعالى الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة صليت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فابتدا بسورة البقرة فكان لا يمر بآية عذاب الا استعاذ ولا بآية رحمة الا سال
ولا بآية تنزيه الا سبح واذا فرغ قال ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم عند ختم القرآن اللهم ارحمني
بالقرآن واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت
وارزقني تلاوته آناء الليل والنهار واجعله حجة لي يا رب العالمين **التاسع** في الجهر بالقراءة
ولا شك في انه لا بد وان يجهر به الى حد يسمع نفسه اذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف
ولا بد من صوت واقله ما يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلوته فاما الجهر بحيث يسمع غيره
فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الاسرار ما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفي لفظ آخر الجاهر بالقرآن
كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة وفي الخبر يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا
وكذلك قوله صلعم خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين
المغرب والعشاء وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز
يجهر بالقراءة في صلوته وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلي فمره بان يخفض
من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال يا ايها المصلي
ان كنت تريد الله عز وجل بصلوتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله
شيئا فسكت عمر وخفف ركعته فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ امير المدينة ويدل على
استحباب الجهر ما روي انه صلعم سمع جماعة من اصحابه يجهرون في صلوة الليل فصوب ذلك وقد قال
عليه السلام اذا قام احدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون بصلوته
ومر صلى الله عليه وسلم على ثلاثة من اصحابه مختلفي الاحوال فمر على ابي بكر رضي الله عنه وهو
يخافت فساله عن ذلك فقال ان الذي اناجيه هو يسمعني ومر على عمر رضي الله عنه وهو يجهر فساله عن

ذلك فقال اوقظ الوسنان واذجر الشيطان ومر على بلال رضي الله عنه وهو يقرأ آيا من هذه السورة
وآيا من هذه فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال كلكم قد احسن واصاب فالوجه
في الجمع بين هذه الاحاديث ان الاسرار ابعد عن الرياء والتصنع فهو افضل في حق من يخاف ذلك على نفسه
فان لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر افضل لان العمل فيه اكثر ولان فائدته
تتعلق ايضا بغيره والخير المتعدي افضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه الى الفكر فيه ويصرف
سمعه اليه ولانه يطرد النوم برفع الصوت ولانه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره
تيقظ نائم فيكون هو سبب احيائه ولانه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق الى الخدمة
فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر افضل وان اجتمعت هذه النيات تضاعف الاجر وبكثرة
النيات يزكو عمل الابرار وتتضاعف اجورهم فان كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر اجور ولـ
هذا نقول قراءة القرآن في المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر وتامل المصحف وحمله فيزيد الاجر بسببه
وقد قيل الختمة من المصحف بسبع لان النظر في المصحف ايضا عبادة وخرق عثمان رضي الله عنه مصحفين
لكثرة قراءته فيهما وكان كثير من الصحابة يقرؤون من المصحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف
ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رحمه الله في السحر وبين يديه المصحف فقال شغلكم الفقه عن القرآن
اني لاصلي العتمة واضع المصحف بين يدي فما اطبقه حتى اصبح **العاشر** تحسين القراءة وترتيبها
بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة قال صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن
باصواتكم وقال صلى الله عليه وسلم ما اذن الله تع لشيء اذنه لحسن الصوت بالقرآن وقال عليه السلم
ليس منا من لم يتغن بالقرآن فقيل اراد به الاستغناء وقيل اراد به الترنم وترديد الالحان به وهو اقرب
عند اهل اللغة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر عائشة رضي الله عنه فابطأت عليه
فقال ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام صلى الله عليه و
سلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله و
استمع صلى الله عليه وسلم ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا
طويلا ثم قال عليه السلم من اراد ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأه على قراءة ابن ام عبد وقال
رسول الله صلعم لابن مسعود رضي الله عنه اقرأ فقال يا رسول الله اقرأ وعليك انزل القرآن فقال
اني احب ان اسمعه من غيري فكان يقرأ ورسول الله عيناه تفيضان واستمع صلى الله عليه وسلم الى
قراءة ابي موسى فقال لقد اوتي هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك ابا موسى فقال يا رسول الله لو
اعلم انك كنت تسمع لحبرته لك تحبيرا ورأى هيثم القارئ النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال انت
الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك قال نعم قال جزاك الله خيرا وفي الخبر كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرأ سورة من القرآن وقد كان عمر يقول لابي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربنا
فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلوة ان يتوسط فيقال يا امير المومنين الصلوة الصلوة فيقول اولسنا
في الصلوة اشارة الى قوله تع ولذكر الله اكبر وقال صلى الله عليه وسلم من استمع الى آية من كتاب الله
تع كانت له نورا يوم القيمة وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم اجر الاستماع وكان التالي هو السبب

فيه كان شريكا في الاجر الا ان يكون قصده الرياء والسمعة والتصنع **الباب الثالث**
في اعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة فهم اصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم
ثم التخلي عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقي ثم التبري **الاول** فهم عظمة الكلام
وعلوه وفضل الله سبحانه وتع ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام خلقه فلينظر كيف
لطف بخلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته الى افهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك
الصفة في طي حروف واصوات هي صفات البشر اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله تع الا بوسيلة
صفات نفسه ولولا استتار كنه جلال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى
ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله تع موسى عليه السلام لما اطاق
سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام الا بامثلة على حد
فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال ان كل حرف من كلام الله تع في اللوح اعظم من جبل قاف
وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يقلوه ما اطاقوه حتى ياتي اسرافيل وهو ملك اللوح فيرفعه
فيقله باذن الله ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله تع طوقه ذلك واستعمله به ولقد تانق بعض
الحكماء في التعبير عن وجه التلطف في ايصال معاني الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان مع قصور
رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك انه دعا بعض الملوك الى شريعة الانبياء فسأله الملك
عن امور فاجاب بما احتمله فهمه فقال الملك ارأيت ما يأتي به الانبياء اذا ادعيت انه ليس بكلام الناس
وانه كلام الله تع فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم انا رأينا الناس لما ارادوا ان يفهموا بعض الدواب
والطير ما يريدون من تقدمها وتأخرها واقبالها وادبارها وراوا الدواب يقصر تمييزهم عن فهم
كلامهم الصادر عن انوار عقولهم مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه فنزلوا الى درجة تمييز البهائم واوصلوا
مقاصدهم الى بواطن البهائم باصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير والاصوات القريبة من
اصواتهم التي يطيقون حملها وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما
تراجعوا بينهم من الاصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من
الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوة في تلك الصفات من ان يشرف الكلام اي الاصوات لشرفها
ويعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما ان اجساد
البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف بشرف الحكمة التي فيها والكلام عالي المنزلة رفيع
الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العدل والشاهد المرتضى يامر وينهى ولا
طاقة للباطل ان يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة
للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من
عين الشمس ما تحيى به ابصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه
المشاهد امره وكالشمس العزيزة الظاهرة المكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدي بها
من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحيوة الذي من شرب منه لم يمت ودواء
الاسقام الذي من سقي منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه

لا تليق بعلم المعاملة فينبغي ان يقتصر عليه **الثاني** التعظيم للمتكلم فالقارئ عند البداية بتلاوة
القرآن ينبغي ان يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقرؤه ليس من كلام البشر وان في تلاوة كلام الله
غاية الخطر فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة
اللامس الا اذا كان متطهرا فباطن معناه ايضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب الا اذا كان
متطهرا عن كل رجس مستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه
كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه
ويقول هو كلام ربي فتعظيم الكلام بتعظيم المتكلم ولن يحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وافعاله فاذا
خطر بباله العرش والكرسي والسموات والارض وما بينهما من الجن والانس والدواب والاشجار وعلم
ان الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد وان الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته
وبين نقمته وسطوته ان انعم فبفضله وان عاقب فبعدله وانه الذي يقول هؤلاء في الجنة ولا ابالي و
هؤلاء في النار ولا ابالي وهذا غاية العظمة والتعالي فبالتفكر في امثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم
الكلام **الثالث** حضور القلب وترك حديث النفس قيل في التفسير في قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة
اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة اليه عن غيره وقيل لبعضهم
اذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء فقال او شيء احب الي من القرآن اني احدث به نفسي و
كان بعض السلف اذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها اعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من
التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستأنس
به القلب ان كان التالي اهلا له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي
يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل ان في القرآن ميادين وبساتين وعرائس وديابيج
ورياضا وخانات فالميمات ميادين القرآن والراءات بساتين القرآن والحاءات مقاصيره
والمسبحات عرائس القرآن والحاميمات ديباج القرآن والمفصل رياضه والخانات ما سوى
ذلك فاذا دخل القارئ الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس
الديباج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق
فكره **الرابع** التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن
من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر
ليتمكن من التدبر بالباطن قال علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها فاذا لم
يتمكن من التدبر الا بترديد فليردد الا ان يكون خلف امام فانه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الامام
بآية اخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك اذا كان
في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها امامه فهذا وسواس فقد روي عن عامر بن عبد قيس انه قال الوسواس
يعتريني في الصلاة فقيل في امر الدنيا فقال لان تختلف في الاسنة احب الي من ذلك ولكن يشتغل
قلبي بموقفي بين يدي ربي واني كيف انصرف فعد ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ما هو فيه
والشيطان لا يقدر على مثله الا بان يشغله بمهم ديني ولكن يمنعه به عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن

فقال ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا وروي انه صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن
الرحيم فرددها عشرين مرة فانما رددها لتدبره في معانيها وعن ابي ذر قال قام رسول الله صلعم بنا ليلة
فقام بآية يرددها قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وقام تميم الداري
ليلة بهذه الآية ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية
وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقال بعضهم اني لافتتح السورة فيوقفني بعض ما اشهد فيها عن الفراغ
منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم يقول كل آية لا افهمها ولا يكون قلبي فيها لا اعد لها ثوابا وحكي عن
ابي سليمان الداراني انه قال اني لاتلو الآية فاقيم فيها اربع ليال وخمس ليال ولولا اني اقطع الفكر فيها
ما جاوزتها الى غيرها وعن بعض السلف انه بقي في سورة هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها
وقال بعض العارفين لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلاثين
سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه وكان هذا ايضا يقول اقمت نفسي
مقام الاجراء فانا اعمل مياومة ومشاهرة ومجامعة ومسانهة **الخامس** التفهم وهو ان يستوضح
من كل آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله وذكر افعاله وذكر احوال المكذبين لهم و
انهم كيف اهلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار اما صفات الله تعالى فكقوله ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير وكقوله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر فليتأمل معاني هذه الاسماء
والصفات لتنكشف له اسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه اشار علي
رضي الله عنه بقوله ما اسر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا كتمه الناس الا ان يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه
فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود رضي الله عنه من اراد علم الاولين والآخرين
فليثور القرآن واعظم علوم القرآن تحت اسماء الله وصفاته اذ لم يدرك اكثر الخلق منها الا امورا لائقة
بافهامهم ولم يعثروا على اغوارها واما افعاله فكذكره خلق السموات والارض وغيرها فليفهم التالي منها
صفات الله وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبغي ان يشهد في الفعل الفاعل
دون الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شيء اذ كل شيء فهو منه واليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه
في كل ما يراه فكأنه ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شيء ما خلا الله باطل وان كل شيء هالك الا وجهه لا انه سيبطل
في ثاني الحال بل هو الآن باطل ان اعتبر ذاته من حيث هو الا ان يعتبر وجوده من حيث انه موجود بالله
وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادي
علم المكاشفة ولهذا ينبغي اذا قرأ التالي قوله تعالى افرأيتم ما تحرثون افرأيتم الماء الذي تشربون افرأيتم النار
التي تورون افرأيتم ما تمنون فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمني بل يتأمل في المني وهي نطفة
متشابهة الاجزاء ثم ينظر في كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعرق والعصب وكيفية تشكل اعضائها
بالاشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة
من السمع والبصر والعقل وغيرها ثم الى ما ظهر فيه من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر و
الجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين
فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها الى عجب العجائب وهو الصفة التي صدرت منها هذه الاعاجيب

فلا يزال ينظر الى الصنعة ويرى الصانع واما احوال الانبياء عليهم السلام فاذا سمع منها انهم كيف
كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله تعالى عن الرسل والمرسل اليهم وانه لو اهلك
جميعهم لم يؤثر في ملكه واذا سمع نصرتهم في آخر الامر فليفهم قدرة الله وارادته لنصرة الحق واما احوال
المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه
منه الاعتبار في نفسه وانه ان غفل واساء الادب واغتر بما امهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية
وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لان ذلك لا
نهاية له لان لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت
سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه فاما
الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القرآن ولو في ادنى الدرجات دخل في قوله تعالى ومنهم من
يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا فقال تعالى اولئك الذين طبع الله
على قلوبهم والطابع هي الموانع التي سنذكرها من الفهم وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرآن كل
ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد **السادس** التخلي عن موانع الفهم
فان اكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لاسباب وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم
عجائب اسرار القرآن قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى
الملكوت ومعاني القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك الا بنور البصيرة فهو من
الملكوت وحجب الفهم اربعة اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها
وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن معاني كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف
يخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تامله مقصورا على مخارج الحروف فانى تنكشف له المعاني واعظم
ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس ثانيها ان يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد
وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة
فهذا شخص قيده معتقده عن ان يجاوزه فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا
على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد
حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى ان ذلك من غرور الشيطان
فيتباعد منه ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية ان العلم حجاب وارادوا بالعلم العقائد التي
استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها
اليهم فاما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى
المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكن والاستقرار
فان خطر له مثلا في القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من ان يستقر ذلك في
نفسه ولو استقر في نفسه لانجر الى كشف ثان وثالث ولتواصل لكن يسارع الى دفع ذلك عن
خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الفهم والكشف لان الحق الذي

كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدا ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر
يمنع من الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن في كتاب قواعد العقائد
ثالثها ان يكون مصرا على ذنب او متصفا بكبر او مبتلى على الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب
ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب للقلب وبه
حجب الاكثرون وكلما كانت الشهوات اشد تراكما كانت معاني الكلام اشد احتجابا وكلما خف عن
القلب اثقال الدنيا قرب تجلي المعاني فيه فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل الصدا ومعاني القرآن
مثل الصور التي تتراءى في المرآة والرياضة للقلب باماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف
حرموا بركة الوحي قال الفضيل رحمه الله حرموا فهم القرآن وقد شرط الله سبحانه الانابة في الفهم والتذكر وقال
تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال تعالى وما يتذكر الا من ينيب وقال تعالى انما يتذكر اولوا الالباب والذي
آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الالباب فلذلك لا تنكشف له اسرار الكتاب رابعها ان يكون
قد قرا تفسيرا ظاهرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القرآن الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما و
ان ما وراء ذلك تفسير بالراي وان من فسر القرآن بالراي فقد تبوا مقعده من النار فهذا ايضا من
الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالراي في الباب الرابع وان ذلك لا يناقض قول علي رضي الله عنه الا ان
يؤتي الله عبدا فهما في القرآن وانه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه **السابع** التخصيص
وهو ان يقدر انه المقصود بكل خطاب في القرآن فان سمع امرا او نهيا قدر انه المنهي والمامور وان سمع
وعدا ووعيدا فكمثله وان سمع قصص الاولين والانبياء عليهم السلام علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود
ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج اليه فما من قصة في القرآن الا وسياقها لفائدة في حق النبي صلعم
وامته ولذلك قال تعالى ما نثبت به فؤادك فليقدر العبد ان الله تعالى يثبت فؤاده بما يقصه عليه من احوال
الانبياء عليهم السلام وصبرهم على الايذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله عز وجل وكيف لا يقدر هذا والقرآن
ما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم له خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك امر الله تعالى
الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة وقال تعالى لقد
انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب الله للناس
امثالهم وقال تعالى واتبعوا ما انزل اليكم من ربكم هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون وقال تعالى
هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا الواحد
القارئ مقصود فما له ولسائر الناس فليقدر انه المقصود قال تعالى واوحي الي هذا القرآن لانذركم به و
من بلغ قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكانما كلمه الله تعالى واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن
عمله بل يقرؤه كما يقرا العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتامله ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض الحكماء
هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات
وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن في قلوبكم يا اهل القرآن
ان القرآن ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس احد هذا القرآن الا قام بزيادة

او نقصان قال الله تعالى هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا **الثامن** التأثر وهو
ان يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم وجد يتصف به قلبه من الحزن و
الخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على آيات
القرآن فلا ترى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله تعالى واني لغفار لمن
تاب ثم اتبع ذلك باربع شروط لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله عز وجل والعصر ان الانسان
لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر اربع شروط وحيث اقتصر ذكر
شرطا جامعا فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القرآن من اوله
الى آخره ومن فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما اصبح اليوم عبد
يتلو هذا القرآن يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت
راحته وبطالته وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الاحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا ارق
للقلوب ولا اشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة ان يصير
بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كانه يكاد يموت وعند
التوسيع ووعد المغفرة يستبشر كانه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطأطأ خضوعا
لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله سبحانه كذكرهم لله ولدا وصاحبة يغض
صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند وصف
النار ترتعد فرائصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ علي قال افتتحت سورة
النساء فلما بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا رأيت عينيه تذرفان بالدمع
فقال لي حسبك الآن وهذا لان مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان في الخائفين من
خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات فمثل هذه الاحوال يخرج عن ان يكون
حاكيا واذا قال عليك توكلنا واليك انبنا ولم يكن حاله التوكل والانابة كان حاكيا واذا قرأ ولنصبرن على
ما آذيتمونا فليكن حاله الصبر او العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه
بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة لسانه مع صريح اللعن على نفسه في قوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين
وفي قوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وفي قوله وهم في غفلة معرضون وفي قوله فاعرض
عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا وفي قوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الى غير ذلك من الآيات
وكان داخلا في معنى قوله ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني التلاوة المجردة وفي قوله وكأين من
آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون لان القرآن هو المبين لتلك الآيات في السموات
والارض ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل ان من لم يكن متصفا باخلاق
القرآن فاذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى ما لك ولكلامي وانت معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب
الي ومثال العاصي اذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب اليه
في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان
ابعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن اسباط اني لأهم بقراءة القرآن فاذا

ذكرت

ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح والاستغفار والمعرض عن العمل به اريد بقوله تعالى فنبذوه
وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون ولذلك قال رسول الله صلعم اقرؤوا القرآن ما ائتلفت
عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤونه وفي رواية اذا اختلفتم فقوموا عنه
وقال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وقال صلعم ان احسن
الناس صوتا بالقرآن الذي اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله عز وجل وقال عليه السلام لا يسمع
القرآن من احد اشهى منه ممن يخشى الله عز وجل فالقرآن يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب والعمل به
والا فالمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة قال بعض القراء قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لاقرأ ثانيا
فانتهرني وقال جعلت القراءة علي عملا اذهب فاقرأ على الله تعالى فانظر بماذا يأمرك وعن ماذا ينهاك
وماذا يفهمك وهكذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الاحوال والاعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة اختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم يحفظ
السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم ولما جاء واحد ليتعلم القرآن
فانتهى الى قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفيني هذا وانصرف فقال
صلعم انصرف الرجل وهو فقيه فانما العزيز مثل تلك الحالة التي يمن الله بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية فاما
مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله تعالى
ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وبقوله تعالى كذلك اتتك آياتنا فنسيتها
وكذلك اليوم تنسى اي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها فان المقصر في الامر يقال انه نسي الامر وتلاوة
القرآن حق تلاوته ان يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ
العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار واللسان واعظ والعقل
مترجم والقلب متعظ **التاسع** الترقي واعني به ان يترقى الى ان يسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه
فدرجات القراءة ثلاثة ادناها ان يقدر العبد كانه يقرؤه على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه
ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال **الثانية** ان
يشهد بقلبه كأن ربه يخاطبه بألطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء
والفهم **الثالثة** ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى
تعلق الانعام به من حيث انه منعم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق
بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما قبله درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو
درجات الغافلين وعن الدرجة العليا اخبر جعفر بن محمد الصادق فقال والله لقد تجلى الله
لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال ايضا عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه
فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي
لمعاينة قدرته وفي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت اقرأ
القرآن فلا اجد له حلاوة حتى تلوته كأني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه
ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كأني اسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلعم ثم جاء

الله تع بمنزلة اخرى فانا الآن اسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا اصبر عنه وقد
قال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وانما قالا ذلك
لانها بالطهارة ترتقي الى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن
عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله تع ففروا
الى الله ولقوله تع ولا تجعلوا مع الله الها آخر فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره وكل ما التفت اليه العبد
تضمن التفاته شيئا من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص ان لا يرى في كل شيء الا الله عز وجل العاشر
التبري واعني به ان يتبرأ من حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا آيات
الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوق
ان يلحقه الله بهم واذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب
خوفا واشفاقا ولذلك كان عمر رضي الله عنه يقول اللهم اني استغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا
الظلم فما بال الكفر فتلا قوله تع ان الانسان لظلوم كفار وقيل ليوسف بن اسباط اذا قرأت
القرآن بماذا تدعو قال بماذا ادعو استغفر الله عن تقصيري سبعين مرة فاذا رأى نفسه بصورة
التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى
يسوقه الى درجة اخرى في القرب وراءه ومن شهد القرب في البعد مكر به بالامن الذي يفضيه
الى درجة اخرى في البعد اسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه
واذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد الا الله في قراءته انكشف له الملكوت قال
سليمن بن ابي سليمن الداراني وعد ابن ثوبان اخا له ان يفطر عنده فابطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه اخوه
من الغد فقال له وعدتني ان تفطر عندي فاخلفت فقال له لولا ميعادك ما اخبرتك بالذي حبسني
عنك اني لما صليت العتمة قلت اوتر قبل ان اجيئك لاني لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في
الدعاء من الوتر رفعت لي روضة خضراء فيها انواع الزهر من الجنة فما زلت انظر اليها حتى اصبحت
وهذه المكاشفات لا تكون الا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات اليها والى هواها ثم
تتخصص هذه المكاشفات بحسب احوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار
ينكشف له صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى
انواع عذابها وذلك لان كلام الله تع يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو
والمخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة
الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة
بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ
فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان
متعطف لا يهمل **الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالراي من
غير نقل** لعلك تقول عظمت الامر فيما سبق في فهم اسرار القرآن وما ينكشف لارباب القلوب
الزكية من معانيها فكيف يستحب ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برايه فليتبوأ

مقعده من النار ومن هذا شنع اهل العلم بظاهر التفسير على اهل التصوف من المنسوبين الى
التصوف في تاويل كلمات القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا الى انه
كفر فان صح ما قاله اهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وان لم يصح ذلك فما معنى
قوله صلعم من فسر القرآن برايه فليتبوأ مقعده من النار فاعلم ان من زعم ان لا معنى للقرآن
الا ما يترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ
في الحكم برد الخلق كافة الى درجته التي هي حده ومحطه بل الاخبار والآثار تدل على ان في
معاني القرآن متسعا لارباب الفهم قال علي كرم الله وجهه الا ان يؤتي الله عبدا فهما في القرآن
فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظهرا وبطنا
وحدا ومطلعا ويروى ايضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر
والبطن والحد والمطلع وقال علي كرم الله وجهه ولو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من
تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار وقال ابو الدرداء لا
يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون الف فهم وما
بقي من فهمها اكثر وقال آخر القرآن يحوي سبعة وسبعين الف علم ومائتي علم اذ لكل كلمة علم ثم
يتضاعف ذلك اربعة اضعاف اذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله صلعم
بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون الا لتدبره باطن معانيه والا فترجمته وتفسيره ظاهر لا
يحتاج مثله الى تكرير وقول ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن وذلك
لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في افعال الله وصفاته وفي القرآن
شرح ذاته وصفاته وافعاله وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن اشارة الى مجامعها والمقامات
في التعمق في تفصيله راجعة الى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل ما اشكل
على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن رموز اليه ودلالات
عليه يختص اهل الفهم بدركها فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال عليه السلام
اقرءوا القرآن والتمسوا غرائبه وقال صلعم في حديث علي رضي الله عنه والذي بعثني بالحق لتفترقن
امتي عن اصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان
ذلك فعليكم بكتاب الله فان فيه نبأ من كان قبلكم ونبأ ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من
الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه
النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضي عجائبه ولا
يخلقه كثرة الرد الحديث وفي حديث حذيفة لما اخبره رسول الله صلعم بالاختلاف والفرقة
بعده قال فقلت يا رسول الله فما تأمرني ان ادركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ففيه
النجاة وقال علي كرم الله وجهه من فهم القرآن فسر جمل العلم اشار به الى ان القرآن يشير الى
مجامع العلوم كلها وقال ابن عباس في قوله تع ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا يعني الفهم
في القرآن وقال تع ففهمناها سليمن وكلا آتينا حكما وعلما سمى ما آتاهما علما وحكما وخص ما انفرد

سليمن بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما على العلم والحكم فهذه الامور تدل على ان في فهم معاني
القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وان المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه
فاما قوله صلى الله عليه وسلم من فسر القرآن برايه ونهيه عنه وقول ابي بكر رضي الله عنه
اي ارض تقلني واي سماء تظلني اذا قلت في القرآن برايي الى غير ذلك مما ورد في الاخبار والآثار
من النهي عن تفسير القرآن بالراي فلا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك
الاستنباط والاستقلال بالفهم او المراد به امر آخر وباطل قطعا ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد
في القرآن الا بما سمعه لوجوه احدها انه يشترط ان يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلعم
ومسندا اليه وذلك مما لا يصادف الا في بعض القرآن فاما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من انفسهم
فينبغي ان لا يقبل ويقال هو تفسير بالراي لانهم لم يسمعوه من رسول الله صلعم وكذا غيرهم من الصحابة
والثاني ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها اقاويل مختلفة
لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان الواحد مسموعا
لترك الباقي فتبين على القطع ان كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا في الحروف التي
هي اوائل السور سبعة اقاويل فقيل الر حروف من الرحمن وقيل ان الالف الله واللام لطيف و
الراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا والثالث انه صلعم
دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فان كان التاويل مسموعا كالتنزيل و
محفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك والرابع انه قال تع لعلمه الذين يستنبطونه منهم اثبت
لاهل العلم استنباطا ومعلوم انه وراء السماع وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض
هذا الخيال فبطل ان يشترط السماع في التاويل وجاز لكل واحد ان يستنبط من القرآن بقدر
فهمه وحد عقله واما النهي فانه ينزل على احد وجهين احدهما ان يكون له في الشيء راي
وميل اليه من طبعه وهواه فيتاول القرآن على وفق رايه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو
لم يكن له ذلك الراي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم
كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم ان ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس
به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق
غرضه ويرجح ذلك الجانب برايه وهواه فيكون قد فسر برايه اي رايه هو الذي حمله على ذلك التفسير
ولولا رايه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن
ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله عليه السلم
تسحروا فان في السحور بركة ويزعم ان المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم ان المراد به الاكل وكالذي
يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تع اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى قلبه و
يومي الى انه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا
للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس
ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رايهم ومذهبهم على امور يعلمون قطعا

انها غير مرادة به فهذه الفنون احد وجهي المنع من التفسير بالراي ويكون المراد بالراي الراي الفاسد
الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والراي يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص
باسم الراي الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع
والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف و
الاضمار والتقديم والتاخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه
ودخل في زمرة من فسر القرآن برايه فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع الغلط
ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة ونحن نرمز الى جمل منها
ليستدل بها على امثالها ويعلم انه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر ولا مطمع في الوصول الى الباطن طن
قبل احكام الظاهر ومن ادعى فهم اسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر كمن يدعي البلوغ الى صدر
البيت قبل مجاوزة الباب او يدعي فهم مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر
التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لا بد منها للفهم وما لا بد فيه من السماع فنون كثيرة منها
الايجاز بالحذف والاضمار كقوله تع وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا
انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن ان المراد به ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء
ولا يدري انهم بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم او انفسهم وقوله واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اي حب
العجل فحذف الحب وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي ضعف عذاب الاحياء
وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وابدل الاحياء والموتى بذكر الحيوة والموت وكل ذلك
جائز في فصيح اللغة وقوله واسئل القرية التي كنا فيها والاهل محذوف مضمر وقوله ثقلت في السموات
والارض معناه خفيت على اهل السموات والارض فالشيء اذا خفي ثقل فابدل اللفظ به واقيم في مقام
على واضمر الاهل وحذف وقوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم وقوله وآتنا ما وعدتنا
على رسلك اي على السنة رسلك فحذف الالسنة وقوله انا انزلناه في ليلة القدر اراد القرآن وما سبق
له ذكر وقال تع حتى توارت بالحجاب اراد الشمس وما سبق لها ذكر وقوله والذين اتخذوا من دونه
اولياء ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم وقوله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما اصابك
من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون يقولون ما اصابك فان لم يرد به
كان مناقضا لقوله تع قل كل من عند الله ويسبق الى الفهم منه مذهب القدرية ومنها المنقول
المنقلب كقوله تع وطور سينين اي طور سيناء وقوله تع سلام على الياسين اي الياس وقيل
ادريس لان في حروف ابن مسعود سلام على ادراسين ومنها المكرر القاطع لوصول الكلام
في الظاهر كقوله تع وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن معناه وما
يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء الا الظن وقوله قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين
استضعفوا لمن آمن منهم معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا ومنها المقدم
والموخر وهو مظنة الغلط كقوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى معناه لولا كلمة و
اجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام وقوله يسالونك كانك حفي عنها اي يسالونك عنها

كانك حفي عنها وقوله لهم مغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من بيتك بالحق فهذا الكلام غير متصل
وانما هو عايد الى قوله السابق قل الانفال لله والرسول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اي فصارت
انفال الغنايم لك اذ انت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى وغيره و
من هذا النوع قوله تع حتى تومنوا بالله وحده الا قول ابرهيم لابيه **ومنها** المبهم وهو اللفظ المشترك
بين معان من كلمة او حرف اما الكلمة فكالشي والقرين والامة والروح ونظايرها قال تع ضرب الله
مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شي اراد به النفقة مما رزق وقوله ضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم
لا يقدر على شي اي الامر بالعدل والاستقامة وقوله فان اتبعتني فلا تسالني عن شي اراد به من صفات
الربوبية وهي العلوم التي لا يحل السوال حتى يبتدي بها العارف بها في اوان الاستحقاق وقوله ام
خلقوا من غير شي ام هم الخالقون اي من غير خالق وربما يتوهم به انه يدل على انه لا يخلق شي الا من شي و
اما القرين فقوله تع قال قرينه هذا ما لدي عتيد اراد به الملك الموكل به وقال قرينه ربنا ما اطغيته
اراد به الشيطان واما الامة فيطلق على ثمانية اوجه الامة الجماعة كقوله تع وجد عليه امة من
الناس يسقون واتباع الانبيا كقولنا نحن من امة محمد صلى الله عليه وسلم ورجل جامع للخير يقتدى به
كقوله تع ان ابرهيم كان امة قانتا لله والامة الدين كقوله تع انا وجدنا اباءنا على امة والامة الحين
والزمان كقوله تع الى امة معدودة وكقوله وادكر بعد امة والامة القامة يقال فلان حسن الامة
اي القامة وامة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه احد قال صلعم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده و
الامة الام يقال هذه امة زيد اي ام زيد واما الروح فقد ورد في القرآن بمعان كثيرة فلا نطول بايرادها
وكذلك قد يقع الابهام في الحروف مثل قوله تع فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا فالهاء الاولى كناية عن
الحوافر وهي الموريات اي اثرن بالحوافر نقعا والثانية كناية عن الاغارة وهي المغيرات صبحا وسطن به جمعا
جمع المشركين فاغاروا بجمعهم وقوله فانزلنا به الماء يعني بالسحاب فاخرجنا به من كل الثمرات يعني بالماء
وامثال هذا في القرآن لا تحصر **ومنها** التدريج في البيان كقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن
اذ لم يظهر به انه ليل ام نهار وبان بقوله تع انا انزلناه في ليلة القدر وربما يتصور في الظاهر الاختلاف
بين هذه الاية فهذا وامثاله لا يغني فيه الا النقل والسماع والقرآن من اوله الى اخره غير خال عن هذا الجنس
لانه انزل بلغة العرب فكان مشتملا على اصناف كلامهم من ايجاز وتطويل واضمار وحذف وابدال
وتقديم وتاخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير
القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الامور فهو داخل فيمن فسر القرآن برايه مثل ان يفهم
للامة المعنى الاشهر منه فيميل طبعه ورايه اليه فاذا سمعه في موضع اخر مال رايه الى ما سمعه من مشهور
معناه وترك تتبع النقل في كثرة معانيه فهذا ما يمكن ان يكون منهيا دون الفهم لاسرار المعاني
كما سبق فاذا حصل السماع بامثال هذه الامور علم ظاهر التفسير وهو ظاهر ترجمة الالفاظ ولا
يكفي ذلك في فهم حقايق الامور ويدرك الفرق بين حقايق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو ان الله
تعالى قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فظاهر تفسيره واضح وباطن معناه غامض فانه اثبات
للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي

لم يرم

لم يرم رماه الله وكذلك قال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله هو
المعذب وان كان الله هو المعذب بتحريك ايديهم فما معنى امرهم بالقتال فحقيقة هذا تستمد من بحر
عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو ان يعلم وجه ارتباط الافعال بالقدرة
الحادثة ووجه ارتباط القدرة بقدرة الله حتى ينكشف بعد ايضاح امور كثيرة غامضة صدق قوله
تع وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى **ولعل** العمر لو انفق في استكشاف اسرار هذا المعنى وما
يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقطع العمر قبل استيفاء جميع لواحقه وما من كلمة من القرآن الا وتحقيقها
محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين في العلم من اسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم
وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي الى درجة منه فاما الاستيفاء
فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا لكلمات الله والاشجار اقلاما فاسرار كلمات الله لا نهاية لها فتنفد
الابحر قبل ان تنفد كلمات ربي فمن هذا الوجه يتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة
ظاهر التفسير فظاهر التفسير لا يغني عنه **ومثاله** فهم بعض ارباب القلوب من قوله عليه السلم في
سجوده اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك انه قيل له واسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر الى الصفات
فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضى والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول
فيه فرقي الى الذات **وقال** اعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيى به عن الاستعاذة على بساط القرب
فالتجا الى الثناء فاثنى بقوله لا احصي ثناء عليك ثم علم ان ذلك قصور فقال انت كما اثنيت
على نفسك **فهذه** خواطر تنفتح لارباب القلوب ثم لها اغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب
واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به واسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير
ظاهر اللفظ عليها وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول الى لبابه عن ظاهره
فهذا ما نريده بفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله اعلم تم كتاب اداب التلاوة والحمد لله
رب العالمين وصلواته على محمد واله اجمعين

كتاب الاذكار والدعوات وهو الكتاب التاسع من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين
الحمد لله الشامل رافته العامة رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تع فاذكروني اذكركم
ورغبهم في السوال والدعاء بامره فقال ادعوني استجب لكم واطمع المطيع والعاصي والقاصي والداني
في الانبساط الى حضرة جلاله برفع الدرجات والاماني بقوله تع فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان
والصلوة على محمد سيد الانبياء وعلى اله واصحابه وسلم كثيرا **اما بعد** فليس بعد تلاوة كتاب الله
تع عبادة تؤدى باللسان افضل من ذكر الله ورفع الحاجات بالادعية الخالصة الى الله فلا بد من
شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في اعيان الاذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه واداب
ونقل الماثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة بسوال المغفرة او

الاستعاذة او غيرها وتيحرز المقصود من ذلك بذكر ابواب خمسة الباب الاول
في فضيلة الذكر وفايدته جملة وتفصيلاً الباب الثاني في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار
والصلوة على رسول الله الباب الثالث في الادعية المأثورة معزية الى اصحابها واسبابها
الباب الرابع في ادعية منتخبة محذوفة الاسانيد من الادعية المأثورة الباب الخامس في الادعية
المأثورة عند حدوث الحوادث

الباب الاول في فضيلة الذكر على الجملة والتفصيل

من الآيات والاخبار والآثار ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله تع فاذكروني
اذكركم قال ثابت البناني اني اعلم متى يذكرني ربي ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال اذا
ذكرته ذكرني وقال تع واذكروا الله ذكراً كثيراً وقال تع فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر
الحرام واذكروه كما هداكم الآية وقال فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكراً
وقال تع الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم قال ابن عباس اي بالليل والنهار في البر والبحر في
السفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال الله تع في ذم المنافقين
ولا يذكرون الله الا قليلاً وقال تع واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول
بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال تع ولذكر الله اكبر قال ابن عباس له وجهان احدهما
ان ذكر الله لكم اكبر من ذكركم اياه والآخر ان ذكر الله اكبر من عبادة سواه الى غير ذلك من الآيات
واما الاخبار فقد قال رسول الله صلعم ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم وقال
عليه السلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين وقال صلعم يقول الله تع انا مع عبدي ما ذكرني
وتحركت بي شفتاه وقال ايضا ما عمل ابن آدم من عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا
رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا ان تضرب بسيفك حتى ينقطع
ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال صلعم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر
ذكر الله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل قال ان تموت ولسانك رطب بذكر
الله وقال صلعم اصبح وامس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة وقال
صلى الله عليه وسلم لذكر الله بالغداة والعشي افضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطاء المال
سحاً وقال عليه السلم قال الله عز وجل اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في
ملأ ذكرته في ملأ خير من ملائه واذا تقرب الي شبراً تقربت منه ذراعاً واذا تقرب مني ذراعاً تقربت
منه باعاً واذا مشى الي هرولت اليه يعني بالهرولة سرعة الاجابة وقال صلعم سبعة يظلهم الله
يوم لا ظل الا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله وقال ابو الدرداء
قال رسول صلعم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق
والذهب وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربون اعناقهم ويضربون اعناقكم قالوا وما ذلك يا رسول الله
قال ذكر الله دائماً وقال صلعم قال الله تع من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين
واما الآثار فقد قال الفضيل بلغنا ان الله عز وجل قال ابن آدم اذكرني بعد الصبح ساعة
وبعد العصر ساعة اكفك ما بينهما وقال بعض العلماء ان الله عز وجل يقول ايما عبد اطلعت على قلبه

فرايت

فرايت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال
الحسن الذكر ذكران ذكر الله بين نفسك وبين الله ما احسنه واعظم اجره وافضل من ذلك ذكر الله
عند ما حرم الله ويروى ان كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله تع وقال معاذ بن جبل
ليس يتحسر اهل الجنة على شيء الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها **فضيلة مجالس الذكر**
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة و
غشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده وقال ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لا يريدون بذلك
الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات وقال
ايضا ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله فيه ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة يوم القيمة
وقال داود عليه السلم الهي اذا رايتني اجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم
فانها نعمة تنعم بها علي وقال المجلس الصالح يكفر عن المومن الفي الف مجلس من مجالس السوء وقال
ابو هريرة ان اهل السماء ليتراءون بيوت اهل الارض التي يذكر فيها اسم الله كما يترا ءى النجوم وقال
سفين بن عيينة اذا اجتمع قوم يذكرون الله عز وجل اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا
الا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا اخذت باعناقهم اليك وعن ابي هريرة
انه دخل السوق وقال اراكم هٰهنا وميراث رسول الله يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد و
تركوا السوق فلم يروا ميراثاً فقالوا يا ابا هريرة ما راينا ميراثاً يقسم قال فما ذا رايتم قالوا راينا
قوماً يذكرون الله عز وجل ويقرءون القرآن قال فذلك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم وروى الاعمش
عن ابي صالح عن ابي هريرة او ابي سعيد الخدري عن النبي صلعم انه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين
في الارض فضلاً عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا الى بغيتكم
فيجيئون فيحفون بهم الى السماء الدنيا فيقول الله عز وجل اي شيء تركتم عبادي يصنعون فيقولون
تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك فيقول وهل راوني فيقولون لا فيقول كيف لو راوني
فيقولون لو راوك لكانوا اشد تسبيحاً وتحميداً وتمجيداً فيقول لهم من اي شيء يتعوذون فيقولون من
النار فيقول هل راوها فيقولون لا فيقول فكيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد هرباً منها
واشد تعوذاً فيقول واي شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول وهل راوها فيقولون لا فيقول
كيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد عليها حرصاً فيقول فاني اشهدكم اني قد غفرت لهم
فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم انما جاء لحاجة فيقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم **فضيلة
التهليل** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا
الله وحده لا شريك له وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد و
هو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه
مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه حتى يمسي ولم يات احد بافضل مما جاء به الا احد عمل
اكثر من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما من عبد توضا فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى
السماء وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله الا فتحت له

ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وقال عليه السلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا
في النشور كاني انظر اليهم عند الصيحة ينفضون رؤسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال ايضا لابي هريرة يا ابا هريرة ان كل حسنة تعملها
توزن يوم القيمة الا شهادة ان لا اله الا الله فانها لا توضع في ميزان لانها لو وضعت في ميزان
من قالها صادقا ووضعت السموات والارضون السبع وما فيهن كان لا اله الا الله ارجح من
ذلك وقال لو جاء قايل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له وقال عليه السلم يا
ابا هريرة لقن الموتى شهادة ان لا اله الا الله فانها تهدم الذنوب هدما قلت يا رسول الله هذا للموتى
فكيف للاحياء فقال هي اهدم واهدم وقال عليه السلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة و
قال عليه السلم ليدخلن الجنة الا من تابى وشرد على الله شرود البعير على اهله فقيل يا رسول الله من
الذي تابى قال من لم يقل لا اله الا الله فاكثروا من قول لا اله الا الله قبل ان يحال بينكم وبينها فانها
كلمة التوحيد وهي كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى
وهي ثمن الجنة وقال الله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقيل الاحسان في الدنيا قول لا
اله الا الله وفي الآخرة الجنة وكذا قوله تع للذين احسنوا الحسنى وزيادة وروى البراء بن عازب
انه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
عشر مرات كان له عدل رقبة او نسمة وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه قال من قال في يوم
مائتي مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه احد كان
قبله ولا يدركه احد كان بعده الا من عمل بافضل من عمله وقال عمر من قال في سوق من الاسواق
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير كتب له الف الف حسنة
ومحي عنه الف الف سيئة وبني له بيت في الجنة ويروى ان العبد اذا قال لا اله الا الله اتت الى
صحيفته فلا تمر على خطيئة الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جنبها وفي الصحيح عن ابي ايوب
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل
شيء قدير عشر مرات كان كمن اعتق اربعة انفس من ولد اسمعيل وفي الصحيح ايضا عن عبادة بن الصامت
عن النبي صلعم انه قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على
كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لي او دعا
استجيب له فان توضا وصلى قبلت صلوته فصل التسبيح والتحميد وبقية الاذكار وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح دبر كل صلوة ثلثا وثلثين وكبر ثلثا وثلثين وحمد ثلثا و
ثلثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه
ولو كانت مثل زبد البحر وروى ان رجلا جاء الى رسول الله صلعم وقال تولت عني الدنيا وقلت ذات
يدي فقال رسول الله صلعم فاين انت عن صلوة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت
وما ذا يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع
الفجر الى ان تصلي الصبح تاتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله الى يوم القيمة

وقال صلعم من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر

لك ثوابه وقال صلى الله عليه وسلم اذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والارض فاذا قال الحمد لله
الثانية ملأت ما بين السماء السابعة الى الارض فاذا قال الحمد لله الثالثة قال الله سل تعطه وقال
رفاعة الزرقي كنا يوما نصلي وراء رسول الله صلعم فلما رفع راسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل
وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلوته قال لقد
رايت بضعة وثلثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها اولا وقال صلعم الباقيات الصالحات هن لا اله الا
الله وسبحان الله والله اكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وقال صلى الله عليه وسلم ما على الارض رجل
يقول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت
مثل زبد البحر رواه ابن عمر وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الذين يذكرون الله
من جلال الله وتسبيحه وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوي كدوي النحل يذكر بصاحبه اولا يحب
احدكم ان لا يزال عند الله يذكر به وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم انه قال لان اقول سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت عليه الشمس وفي رواية وزاد ولا حول ولا
قوة الا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها وقال صلعم احب الكلام الى الله اربع سبحان الله والحمد لله و
لا اله الا الله والله اكبر لا يضرك بايهن بدات رواه سمرة بن جندب وروى ابو مالك الاشعري ان
رسول الله صلعم كان يقول الطهور شطر الايمان والحمد لله تملا الميزان وسبحان الله والله اكبر يملان
ما بين السماء والارض والصلوة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك او عليك كل
الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها وقال ابو هريرة قال صلعم كلمتان خفيفتان على
اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال ابو ذر
قلت لرسول الله صلعم اي الكلام احب الى الله قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر فاذا قال العبد سبحان الله كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة و
اذا قال الله اكبر فمثل ذلك وذكر الى آخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال
سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة وعن ابي ذر انه قال قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب
اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول اموالهم فقال اوليس قد
جعل الله لكم ما تصدقون ان لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة و
امر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ويضع احدكم اللقمة في في اهله فهي له صدقة وفي بضع احدكم صدقة
قالوا يا رسول الله ياتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال ارايت لو وضعها في حرام كان عليه
فيها وزر كذلك ان وضعها في الحلال كان له فيها اجر قال ابو ذر قلت لرسول الله صلعم سبق
اهل الاموال بالاجر يقولون ما نقول وينفقون ولا ننفق فقال صلى الله عليه وسلم افلا ادلك على عمل
اذا انت عملته ادركت من قبلك وفت من بعدك الا من قال مثل قولك تسبح بعد كل صلوة ثلاثا و
ثلثين وتحمد ثلثا وثلثين وتكبر اربعا وثلثين وروت بسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكن
بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات يعني بالشهادة في

الميتة وقال ابن عمر رأيته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شهد عليه ابو هريرة وابو سعيد الخدري اذ شهدا انه عليه السلم قال اذا قال العبد لا اله الا الله والله اكبر قال الله صدق عبدي لا اله الا انا وانا اكبر واذا قال العبد لا اله الا الله والله اكبر وحده لا شريك له قال الله صدق عبدي لا اله الا انا لا شريك لي واذا قال لا اله الا الله له الملك وله الحمد قال لا اله الا انا لي الملك ولي الحمد واذا قال لا اله الا الله لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله صدق عبدي لا حول ولا قوة الا بالله ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار وروى مصعب بن سعد عن ابيه عنه صلعم انه قال أيعجز احدكم ان يكسب كل يوم الف حسنة فقيل كيف ذلك قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف سيئة وقال صلعم يا عبد الله بن قيس او يا ابا موسى او لا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله يقول الله تع اسلم عبدي واستسلم وقال صلعم من قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلعم نبيا كان حقا على الله ان يرضيه يوم القيمة وفي رواية من قال ذلك رضي الله عنه وقال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت واذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين يقولون لا سبيل لكم اليه قد هدي وكفي ووقي فان قلت فما بال ذكر الله مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار افضل وانفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها فاعلم ان تحقيق هذا لا يليق الا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة ان المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فاما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفي الاخبار ما يدل عليه ايضا وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله تع مع الاشتغال بالدنيا ايضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله على الدوام او في اكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وذلك غاية ثمرة العبادات العملية وللذكر اول وآخر فاوله يوجب الانس والحب يصدر عنه والمطلوب ذلك الانس فان المريد في بداية الامر قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس الى ذكر الله فان وفق للمداومة انس به وانغرس في قلبه حب المذكور ولا ينبغي ان يتعجب من هذا فان من المشاهد في العادات ان يذكر غائب غير مشاهد بين يدي شخص ويكرر ذكر خصاله عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف اولا صار مضطرا الى كثرة الذكر آخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر من ذكره ومن اكثر ذكر شيء وان كان تكلفا احبه فكذلك اول الذكر متكلف الى ان يثمر الانس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب موجبا والثمرة مثمرا وهذا معنى قولهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا من الانس والحب ولا يصدر الا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا وكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه اولا ويكابد اكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تكلف، هي النفس ما عودتها تتعود، اي ما كلفتها اولا يصير لها طبعا آخرا ثم اذا حصل الانس بذكر الله انقطع عن غير الله وما سوى الله هو الذي يفارقه عند الموت ولا يبقى معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا ذكر الله فان كان قد انس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه اذ ضرورات الحاجات في الحيوة تصد عن ذكر الله ولا يبقى بعد الموت

عائق فكأنه خلي بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به انسه ولذلك قال صلعم روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه اراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان ذلك يفنى في حقه بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وانما تفنى الدنيا بالموت في حقه الى ان يفنى في نفسه عند بلوغ الكتاب اجله وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته الى ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر الى اللقاء وذلك بعد ان يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا تنكرن بقاء ذكر الله معه بعد الموت فتقول انه اعدم فكيف يبقى معه ذكر الله بعد الموت فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت والى ما ذكرناه الاشارة بقوله صلعم القبر اما حفرة من حفر النيران واما روضة من رياض الجنة وبقوله عليه السلم ارواح الشهداء في حواصل طير خضر وبقوله لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم اني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فسمع عمر قوله فقال يا رسول الله كيف يسمعون وانى يجيبون وقد جيفوا فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع منهم لكلامي ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا والحديث في الصحيح هذا قوله في المشركين واما المؤمنون والشهداء فقد قال تع ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية ولاجل شرف ذكر الله تع عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله منقطع العلائق عن غيره وان قدر عبد على ان يجعل همه مستغرقا بالله فلا يقدر على ان يموت على تلك الحالة الا في صف القتال فانه قطع الطمع عن مهجته واهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فانه يريدها لحيوته وقد هون على قلبه حيوته في حب الله وطلب مرضاته فلا تجرد لله اعظم من ذلك ولذلك عظم امر الشهادة وورد فيه من الفضايل ما لا يحصى فمن ذلك انه لما استشهد عبد الله الانصاري يوم احد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر الا ابشرك يا جابر قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله احيى اباك فاقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تع تمن علي يا عبدي ما شئت اعطيكه فقال يا رب تردني الى الدنيا حتى اقتل فيك وفي نبيك مرة اخرى فقال تع سبق القضاء مني بانهم اليها لا يرجعون ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فانه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا وغلب ما استولى على قلبه من ذكر الله ولهذا عظم خوف اهل المعرفة من الخاتمة فان القلب وان الزم ذكر الله فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فاذا تمثل في آخر الحال في قلبه امر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك ان يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت اليه ويتمنى الرجوع الى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة اذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه واسلم الاحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال او ان يقال شجاع او غير ذلك كما ورد به الخبر بل حب الله واعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا اله الا الله فانه لا مقصود له سوى الله وكل مقصود معبود وكل معبود اله فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا اله الا الله اذ لا مقصود له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فامره في

مشيئة الله ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل قول لا اله الا الله على سائر الاذكار وذكر ذلك مطلقا في مواضع للترغيب ثم ذكر في بعض المواضع معه الصدق والاخلاص فقال من قال لا اله الا الله مخلصا ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال فنسأل الله تعالى ان يجعلنا في الخاتمة من اهل لا اله الا الله حالا ومقالا وظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير ملتفتين اليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله فان من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه مرامز الى معنى الذكر لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة **الباب الثاني في آداب الدعاء** وفضل بعض الادعية المأثورة **فضيلة الدعاء** قال الله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وقال تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وروى النعمان بن بشير عن النبي صلعم انه قال ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعوني استجب لكم وقال عليه السلم الدعاء مخ العبادة وروى ابو هريرة انه قال ليس شيء اكرم عند الله من الدعاء وقال صلعم ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له وقال ابو ذر يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي مع الطعام من الملح وقال صلعم سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج **آداب الدعاء** وهي عشرة **الاول** ان يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الشهور ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وقوله صلعم ينزل الله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وقيل ان يعقوب عليه السلم انما قال سوف استغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقيل انه قام في وقت السحر يدعو واولاده يؤمنون خلفه فاوحى الله اليه اني قد غفرت لهم وجعلتهم انبياء **الثاني** ان يغتنم الاحوال الشريفة قال ابو هريرة رضي الله عنه ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلوة المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها وقال مجاهد ان الصلوة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات وقال صلعم الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد وقال ايضا الصائم لا ترد دعوته وبالحقيقة يرجع شرف الاوقات الى شرف الحالات ايضا اذ وقت السحر وقت صفاء القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله فهذا احد اسباب شرف الاوقات سوى ما فيها من اسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود ايضا اجدر بالاجابة قال ابو هريرة قال النبي صلعم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء وروى ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اني نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا فاما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فانه قمن ان يستجاب لكم **الثالث** ان يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه روى جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وقال سلمان قال رسول الله صلعم ان ربكم حي كريم يستحيي من عبده اذا

رفع يديه اليه ان يردهما صفرا وروى انس انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه في الدعاء ولا يشير باصبعيه وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم مر على انسان يدعو باصبعيه السبابتين فقال رسول الله صلعم احد احد اي اقتصر على الواحدة وقال ابو الدرداء ارفعوا هذه الايدي قبل ان تغل بالاغلال ثم ينبغي ان يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء قال عمر رضي الله عنه كان رسول الله صلعم اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وقال ابن عباس كان صلعم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه فهذه هيئات اليد ولا يرفع بصره الى السماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء او لتخطفن ابصارهم **الرابع** خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي ان ابا موسى الاشعري قال قدمنا مع رسول الله صلعم فلما دنونا من المدينة كبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان الذي تدعون ليس باصم ولا غائب ان الذي تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم وقالت عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها اي بدعائك وقد اثنى الله تعالى على نبيه زكريا حيث قال اذ نادى ربه نداء خفيا وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية **الخامس** ان لا يتكلف السجع فان حال الداعي ينبغي ان يكون متضرعا والتكلف لا يناسب قال صلعم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وقد قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين قيل معناه التكلف للاسجاع والاولى ان لا يجاوز الدعوات المأثورة فانه قد يعتدي في دعائه فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته فما كل احد يحسن الدعاء ولذلك ورد في الخبر والآثار ان العلماء يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلمون من العلماء وقد قال صلعم اياكم والسجع في الدعاء بحسب احدكم ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وفي الخبر سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور وقد مر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال اعلى الله تبالغ اشهد لقد رأيت حبيبا العجمي يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيمة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال ان العلماء والابدال لا يزيد احدهم في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد له آخر سورة البقرة فان الله لم يخبر في موضع من الادعية عباده اكثر من ذلك واعلم ان المراد بالسجع المتكلف من الكلام فان ذلك لا يلائم الضراعة والذلة والا ففي الادعية المأثورة عن رسول الله صلعم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله عليه السلم اسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد وامثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات او يلتمس بلسان التضرع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله **السادس** التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال تضرعا وخفية وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه **السابع** ان يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه قال صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم اذا دعا اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسألة فانه لا مكره له وقال اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شيء وقال صلعم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله عز وجل

لا يستجيب دعاء من قلب غافل وقال سفين بن عيينة لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه
فان الله عز وجل اجاب شر الخلق ابليس اذ قال رب انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الثامن
ان يلح في الدعاء ويكرره ثلثا قال ابن مسعود كان عليه السلم اذا دعا دعا ثلثا واذا سال سال ثلثا
وينبغي ان لا يستبطي الاجابة لقوله صلى الله عليه وسلم يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم
يستجب لي فاذا دعوت فسل الله كثيرا فانك تدعو كريما وقال بعضهم اني اسال الله تع منذ
عشرين سنة حاجة وما اجابني وانا ارجو الاجابة سالت الله ان يوفقني لترك ما لا يعنيني وقال
صلى الله عليه وسلم اذا سال احدكم ربه مسئلة فيعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
ومن ابطا عنه من ذلك شي فليقل الحمد لله على كل حال التاسع ان يفتتح الدعاء بذكر الله فلا يبدا
بالسوال قال سلمة بن الاكوع ما سمعت رسول الله صلعم يستفتح الدعاء الا استفتحه وقال سبحان
ربي العلي الاعلى الوهاب وقال ابو سليمن الداراني من اراد ان يسال الله عز وجل حاجة فليبدا
بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسال حاجته ثم يختم بالصلوة عليه فان الله يقبل الصلوتين وهو
اكرم من ان يدع ما بينهما وروي في الخبر عن رسول الله صلعم قال اذا سالتم حاجة الله فابدءوا بالصلوة
علي فان الله تع اكرم من ان يسال حاجتين فيقضي احديهما ويرد الاخرى رواه ابو طالب المكي
رحمه الله العاشر وهو الادب الباطن وهو الاصل في الاجابة التوبة ورد المظالم والاقبال
على الله بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة يروى عن كعب الاحبار انه قال اصاب الناس
قحط شديد على عهد موسى عليه السلم فخرج موسى ببني اسرائيل يستسقي بهم فلم يسقوا ثم خرج ثلث مرات و
لم يسقوا فاوحى الله الى موسى اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام فقال موسى يا رب ومن هو
حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله اليه يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فقال موسى لبني اسرائيل
توبوا باجمعكم من النميمة فتابوا فارسل الله عليهم الغيث وقال سعيد بن جبير قحط الناس في زمن ملك
من ملوك بني اسرائيل فاستسقوا فقال الملك ليرسلن الله علينا السماء او لنوذينه فقيل له و
كيف تقدر ان توذيه وهو في السماء فقال اقتل اولياءه واهل طاعته فيكون ذلك اذى له فارسل
الله السماء وقال سفين الثوري بلغني ان بني اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة من
المزابل واكلوا الاطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال ويتضرعون فاوحى الله الى انبيائهم لو مشيتم
الي باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم عن الدعاء فاني لا اجيب
لكم داعيا ولا ارحم منكم باكيا حتى تردوا المظالم الى اهلها ففعلوا فمطروا من يومهم وقال
مالك بن دينار اصاب الناس في بني اسرائيل قحط فخرجوا مرارا فاوحى الى نبيهم ان اخبرهم انكم
تخرجون الي بابدان نجسة وترفعون الي اكفا قد سفكتم بها الدماء وملاتم بطونكم من الحرام الان
قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا وقال ابو الصديق الناجي خرج سليمن عليه السلم
يستسقي فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك
ولا غنى بنا عن رزقك ولا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمن ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم وقال
الاوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا معشر من حضر

الستم مقرين بالاساءة قالوا اللهم نعم فقال اللهم انا سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل و
قد اقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه و
رفعوا ايديهم فسقوا وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال انتم تستبطون المطر وانا استبطي
الحجر ويروى ان عيسى عليه السلام خرج يستسقي فلما اضجروا قال لهم عيسى عليه السلم من اصاب منكم ذنبا
فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه الا رجل واحد فقال له عيسى اما لك من ذنب فقال والله ما علم
من شي غير اني كنت يوما اصلي فمرت بي امراة فنظرت اليها بعيني هذه فلما جاوزت ادخلت
اصبعي في عيني فانتزعتها واتبعت المراة بها فقال له عيسى فادع حتى اؤمن على دعائك فدعا فتجللت
السماء سحابا ثم صبت فسقوا وقال يحيى الغساني اصاب الناس قحط على عهد داود النبي صلعم
فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقون بهم فقال احدهم اللهم انك انزلت في توريتك ان
نعفو عمن ظلمنا اللهم انا قد ظلمنا انفسنا فاعف عنا وقال الثاني اللهم انك انزلت في توريتك ان
نعتق رقابنا اللهم انا ارقاوك فاعتقنا وقال الثالث اللهم انك انزلت في توريتك ان لا نرد المساكين
اذا وقفوا بابوابنا اللهم انا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء
السلمي منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فاذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر الي فقال يا عطاء
هذا يوم النشور او بعثر ما في القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال يا عطاء بقلوب
ارضية او بقلوب سماوية فقال هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان الناقد بصير ثم
رمق السماء بطرفه وقال الهي وسيدي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالمكنون من اسمائك
وما وارت الحجب من الائك الا ما سقيتنا ماء غدقا تحيي به العباد وتروي به البلاد يا من هو على
كل شي قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى ارعدت السماء وابرقت وجادت بمطر كافواه
القرب فولى وهو يقول نعم الزاهدون والعابدونا اذ لمولاهم اجاعوا البطونا اسهروا
الاعين العليلة فيه فانقضى ليلهم وهم ساهرونا شغلتهم عبادة الله حتى قيل في الناس
ان فيهم جنونا وقال ابن المبارك قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون
وخرجت معهم اذ اقبل غلام اسود عليه قطعتا خيش قد اتزر باحديهما والقى الاخرى على عاتقه فجلس
الى جنبي فسمعته يقول الهي اخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوي الاعمال وقد احتبست
عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فاسالك يا حليما ذا اناة يا من لا يعرف عباده منه
الا الجميل ان تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام و
اقبل المطر من كل مكان قال ابن المبارك فجئت الى الفضيل فقال لي اراك كئيبا فقلت سبقنا
اليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه ويروى
ان عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من
السماء الا بذنب ولن يكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك صلى الله عليه وسلم
وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وانت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير
بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم

فاغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قال
فما تم كلامه حتى رتعت السماء مثل الجبال فضيلة الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفضله قال الله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
وروي انه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال انه جاءني جبرئيل عليه السلام فقال
اما ترضى يا محمد ان لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك
الا سلمت عليه عشرا وقال عليه السلام من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل عبد من
ذلك او ليكثر وقال ايضا ان اولى الناس بي اكثرهم صلوة علي وقال بحسب المؤمن من
البخل ان اذكر عنده فلا يصلي علي وقال صلعم اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة وقال من صلى
علي من امتي كتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات وقال من قال حين يسمع الاذان و
الاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك و
اعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيمة حلت له شفاعتي وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي
في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب وقال صلى الله عليه وسلم ان في
الارض ملائكة سياحين يبلغوني عن امتي السلام وقال صلعم ليس احد يسلم علي الا رد الله
علي روحي حتى ارد عليه السلام وقيل له يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على
محمد وعلى آله وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
سمع بعد موت رسول الله صلعم يبكي ويقول بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس
عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك كانت
اولى بالحنين عليك لما فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اخبرك
~~بالعفو عنك قبل ان اخبرك بالذنب~~ جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله
بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اخبرك بالعفو عنك قبل ان اخبرك
بالذنب فقال عفا الله عنك لم اذنت لهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ فضيلتك عنده ا
بعثك آخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم
الآية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا قد
اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول بابي انت
وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك لئن كان موسى بن عمران اعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار
فما كان ذلك باعجب من اصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بابي انت وامي يا رسول الله
لئن كان سليمن اعطاه الله ريحا غدوها شهر ورواحها شهر فما ذلك باعجب من البراق حتى
سريت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابي انت و
امي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم اعطاه الله احياء الموتى فما ذلك باعجب من الشاة المسمومة
حين كلمتك وهي مشوية فقال الذراع لا تاكلني فاني مسموم بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح
على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا كلنا

فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة
سنه وطول عمره ولقد آمن بك كثير وما آمن معه الا قليل بابي انت وامي يا رسول الله لو لم تجالس الا
كفوا لك ما جالستنا ولو لم تنكح الا كفوا لك ما نكحت الينا ولو لم تواكل الا كفوا لك ما واكلتنا ولقد
والله جالستنا ونكحت الينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار واردفت خلفك ووضعت
طعامك بالارض ولعقت اصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وقال بعضهم كنت اكتب الحديث
واصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ولا اسلم فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال اما تتم الصلوة
علي في كتابك فما كتبت بعد ذلك الا صليت وسلمت وروي عن ابي الحسن الشافعي قال رايت النبي
صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله بما جزي الشافعي عنك حيث يقول في كتاب الرسالة وصلى
الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عنه الغافلون فقال جزي عني انه لا يوقف للحساب فضيلة
الاستغفار قال الله تع والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم
قال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود في كتاب الله عز وجل آيتان ما اذنب عبد ذنبا فقراهما فاستغفر
الله الا غفر له والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الاية وقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال عز وجل والمستغفرين بالاسحار وقال تع فسبح بحمد ربك
واستغفره انه كان توابا وكان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك
انت التواب الرحيم وقال صلى الله عليه وسلم من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل
ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم
سبعين مرة هذا مع انه كان قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقال صلى الله عليه وسلم انه ليغان
على قلبي حتى اني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين ياوي الى فراشه
استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر او
عدد رمل عالج او عدد ورق الشجر او عدد ايام الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر من قال
ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف وقال حذيفة كنت ذرب اللسان على اهلي
فقلت يا رسول الله لقد خشيت ان يدخلني لساني النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاين انت عن الاستغفار
في اليوم مائة مرة وقالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت الممت بذنب فاستغفري
الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الاستغفار اللهم اغفر
لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطائي وعمدي
وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت
المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير وقال علي كرم الله وجهه كنت رجلا اذا سمعت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله بما شاء ان ينفعني منه واذا حدثني احد من اصحابه استحلفته
فاذا حلف صدقته قال وحدثني ابو بكر وصدق ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله

لهم ثم تلا قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الآية وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الذي ذكر الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك وروت عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساؤوا استغفروا وقال صلى الله عليه وسلم اذا اذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي يقول الله عز وجل اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال ان لي ربا يا رب اغفر لي فقال الله عز وجل قد غفرت لك وقال صلى الله عليه وسلم من اذنب ذنبا فعلم ان الله قد اطلع عليه غفر له وان لم يستغفر وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله يا عبادي كلكم مذنب الا من قد عافيته فاستغفروني اغفر لكم ومن علم اني ذو قدرة على ان اغفر له غفرت له ولا ابالي وقال صلى الله عليه وسلم من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت غفرت ذنوبه ولو كانت كدبيب النمل ويروى ان افضل الاستغفار اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء على نفسي بذنبي وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما اخرت انه لا يغفر الذنوب جميعا الا انت

الآثار قال خالد بن معدان قال الله تعالى ان احب عبادي الي المتحابون بحبي والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار اولئك الذين اذا اردت اهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم وقال قتادة القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم اما داؤكم فالذنوب واما دواؤكم فالاستغفار وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وما هو قال الاستغفار وكان يقول ما الهم الله عبدا الاستغفار وهو يريد ان يعذبه وقال الفضيل قول العبد استغفر الله تفسيرها اقلني وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما الا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خثيم لا يقولن احدكم استغفر الله واتوب اليه فيكون ذنبا وكذبا ان لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب علي وقال الفضيل الاستغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله وهو لا يعلم وسمع اعرابي وهو متعلق باستار الكعبة يقول اللهم ان استغفاري مع اصراري للؤم وان تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب الي بالنعم مع غناك عني واتبغض اليك بالمعاصي مع فقري اليك يا من اذا وعد وفى واذا توعد عفا ادخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا ارحم الراحمين وقال ابو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك اذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله اللهم اني استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ثم لم اوف لك به واستغفرك من كل عمل اردت به وجهك فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة انعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك واستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب اتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملأ وخلاء وسر وعلانية يا حليم ويقال انه استغفار الخضر عليه السلام

الباب الثالث في ادعية مأثورة

ومعزية الى اسبابها وارباها مما يستحب ان يدعو به المريد صباحا ومساء وبعقب كل صلوة **فمنها** دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتي الفجر قال ابن عباس بعثني العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى الركعتين قبل صلوة الفجر قال اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها الفتي وتصلح بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم اني اسالك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء اللهم اني انزل بك حاجتي وان قصر رايي وضعف عملي وافتقرت الى رحمتك فاسالك يا قاضي الامور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رايي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وامنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسالكه يا رب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك سلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله ذي الحبل الشديد والامر الرشيد اسالك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد سبحان الذي تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي العزة والكرم سبحان الذي احصى كل شيء بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في لساني ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي نورا

دعاء عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم اني اسالك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واسالك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل واسالك من الخير ما سالك عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم واسالك ما قضيت لي من امر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك يا ارحم الراحمين

دعاء فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمنعك ان تسمعي ما اوصيك به ان تقولي يا حي يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله

دعاء الصديق رضي الله عنه علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الصديق رضي الله عنه ان يقول اللهم اني اسالك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى كليمك وعيسى نجيك وروحك وبكلام موسى وانجيل عيسى وزبور داود وقرآن محمد صلى الله عليه وسلم وكل وحي اوحيته او قضاء قضيته او سائل اعطيته او غني افقرته او فقير اغنيته او ضال هديته واسالك باسمك الذي انزلته على موسى صلى الله عليه وسلم واسالك باسمك الذي بثثت به ارزاق العباد واسالك باسمك الذي وضعته على الارض فاستقرت واسالك باسمك الذي

وضعته على السموات فاستقلت واسالك باسمك الذي وضعته على الجبال فرست واسالك باسمك الذي
به استقل عرشك واسالك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور
المبين واسالك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك
ان ترزقني القرآن والعلم وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فانه لا حول
ولا قوة الا بك يا ارحم الراحمين **دعاء بريدة الاسلمي** روي انه قال له رسول الله صلعم يا بريدة الا اعلمك كلمات
من اراد الله به خيرا علمهن اياه ثم لم ينسهن اياه ابدا قال قلت بلى يا رسول الله قال قل اللهم اني ضعيف فقو
برضاك ضعفي وخذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رضائي اللهم اني ضعيف فقوني واني ذليل
فاعزني واني فقير فاغنني **دعاء قبيصة بن المخارق** اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمني كلمات ينفعني الله بها
فقد كبرت سني وعجزت عن اشياء كنت اعملها فقال عليه السلام اما لدنياك فاذا صليت الغداة فقل ثلاث
مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده لا حول ولا قوة الا بالله فانك اذا قلتهن امنت كل
غم وجذام وبرص وفالج واما لآخرتك فقل اللهم اهدني من عندك وافض علي من فضلك وانشر علي
من رحمتك وانزل علي من بركاتك ثم قال عليه السلام اما انه اذا وافا بهن عبد يوم القيمة لم يدعهن فتح له اربعة
ابواب من الجنة يدخل من ايها شاء **دعاء ابي الدرداء رضه** قيل لابي الدرداء ذات يوم قد احترقت دارك
وكانت النار قد وقعت في محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلثا وهو يقول ما كان الله ليفعل
ذلك ثم اتاه آت وقال يا ابا الدرداء ان النار حيث دنت من دارك طفئت فقال قد علمت فقيل له
ما ندري اي قوليك اعجب قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال هؤلاء الكلمات
في ليل او نهار لم يضره شيء وقد قلتهن وهي اللهم انت ربي لا اله الا انت عليك توكلت وانت
رب العرش العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن اعلم ان الله على كل
شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما اللهم اني اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها
ان ربي على صراط مستقيم **دعاء الخليل ابرهيم عليه السلام** كان يقول اذا اصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه
علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت
فيه من سيئة فاغفرها لي انك غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء اذا اصبح فقد ادى
شكر يومه **دعاء عيسى عليه السلام** كان يقول اللهم اصبحت لا استطيع دفع ما اكره ولا املك نفع ما ارجو
واصبح الامر بيد غيري واصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير افقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسوء
بي صديقي ولا تجعل الدنيا اكبر همي ولا تسلط علي من لا يرحمني **دعاء الخضر عليه السلام** يقال ان الخضر
والياس اذا التقيا في كل موسم لم يتفرقا الا عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء
الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله من قالها ثلثا
اذا اصبح امن من الحرق والغرق والسرق **دعاء معروف الكرخي** قال محمد بن حسان قال لي معروف
الكرخي الا اعلمك عشر كلمات خمسة للدنيا وخمسة للآخرة من دعا الله بهن وجد الله عندهن قلت
اكتبها قال ولكن اردد ما عليك كما ردد علي بكر بن خنيس حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي حسبي
الله الكريم لما اهمني حسبي الله الحليم القوي لمن بغى علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله

الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤف عند المسائلة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله
اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب
العرش العظيم كفاه الله ما اهمه من امر آخرته صادقا كان بها او كاذبا **دعاء عتبة الغلام** رئي عتبة
في المنام بعد موته فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات الكثيرة يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ومقيل عثرات
العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم اجمعين واجعلنا من الاحياء المرزوقين الذين
انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين امين رب العالمين **دعاء آدم عليه السلام** قالت
عائشة رضي الله عنها لما اراد الله ان يتوب على آدم طاف سبعا بالبيت وهو يومئذ ليس ببني ربوة
حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني
سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم
انه لن يصيبني الا ما كتبته علي فارضني بما قسمت لي فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولم ياتيني
احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت
الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وان كان لا يريدها **دعاء علي رضه**
رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل يمجد نفسه كل يوم ويقول اني انا الله رب العالمين
اني انا الله لا اله الا انا الحي القيوم اني انا الله لا اله الا انا العفو الغفور مبدي كل شيء واليه يعود
اني انا الله لا اله الا انا العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار
الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة
الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الكبير المتعال المقتدر
القهار الحليم الكريم اهل الثناء والمجد عالم السر واخفى الغفار الرازق فوق الخلق والخليقة وذكر
قبل كل كلمة اني انا الله لا اله الا انا كما اوردناه في الاول فمن دعا بهذه الاسماء فليقل انك انت الله لا اله
الا انت كذا وكذا فمن دعا بها كتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمدا وابرهيم وموسى و
عيسى والنبيين في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والارضين **دعاء ابي المعتمر وهو ابن سليمن التيمي**
وتسبيحاته روي ان يونس بن عبيد راى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال له ما افضل
ما رايت ثم من الاعمال قال رايت تسبيحات ابي المعتمر بمكان من الله وهي هذه سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة
ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وملء الارضين ومثل ذلك واضعاف ذلك
وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه حتى يرضى واذا رضي وعدد
ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة
من الساعات ونسيم ونفس من ابد الى الابد ابد الدنيا وابد الآخرة واكثر من ذلك لا ينقطع اوله و
لا ينفد آخره **دعاء ابرهيم بن ادهم** روى ابرهيم بن يسار خادمه انه كان يقول هذا الدعاء في يوم الجمعة
اذا اصبح واذا امسى مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد
اكتبا لنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد اصبحت بالله مؤمنا

وبلقائه مصدقا وبحجة معترفا ومن ذنبي مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله في الالهية جاحدا
والى الله فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله منيبا اشهد الله واشهد ملائكته وانبياءه ورسله وحملة
عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بانه هو الله لا اله الا هو وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى
الله عليه وسلم تسليما وان الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك
حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وعلى ذلك احيى وعليه اموت و
عليه ابعث ان شاء الله اللهم انت ربي لا رب لي الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك و
وعدك ما استطعت اعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر اللهم اني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر
الذنوب الا انت واهدني لاحسن الاخلاق فانه لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها
فانه لا يصرف سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله بيديك انا بك واليك استغفرك واتوب
اليك آمنت اللهم بما ارسلت من رسول وآمنت اللهم بما انزلت من كتاب وصلى الله على محمد
النبي وعلى آله وسلم كثيرا خاتمة كلامي ومفتاحه وعلى انبيائه ورسله اجمعين آمين رب العالمين
اللهم اوردنا حوضه واسقنا بكاسه مشربا رويا سائغا هنيئا لا نظما بعده ابدا واحشرنا في
زمرته غير خزايا ولا ناكثين ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمنا
من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى واصلح لي شاني كله وثبتني بالقول الثابت في الحيوة
الدنيا وفي الآخرة ولا تضلني وان كنت ظالما سبحانك يا علي يا عظيم يا بار يا رحيم يا عزيز يا
جبار سبحان من سبحت له السموات باكنافها والارضون باقطارها وسبحان من سبحت
له الجبال باصدائها وسبحان من سبحت له البحار بامواجها وسبحان من سبحت له الحيتان
بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بابراجها وسبحان من سبحت له الاشجار باصولها
ونضارتها وسبحان من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن
سبحانك سبحانك يا حي يا حليم سبحانك لا اله الا انت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وانت حي لا
تموت بيدك الخير وانت على كل شيء قدير **الباب الرابع عن ادعية مأثورة** عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه محذوفة الاسانيد منتخبة من جملة ما جمعه ابو طالب المكي وابن
خزيمة وابن المنذر رحمهم الله يستحب للمريد اذا اصبح ان يكون احد اوراده الدعاء كما سياتي
في كتاب الاوراد فان كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما
دعا به فقل في مفتتح دعواتك عقيب صلواتك سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد
صلى الله عليه وسلم نبيا ثلاث مرات وقل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب
كل شيء ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وقل اللهم اني
اسالك العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واقل
عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال
من تحتي اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من

الغافلين اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت وقال
اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا اله الا انت ثلاث مرات وقال اللهم اني
اسالك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك وشوقا الى لقائك من غير
ضراء مضرة ولا فتنة مضلة واعوذ بك ان اظلم او اظلم او اعتدي او يعتدى علي او اكتسب
خطيئة او ذنبا لا تغفره اللهم اني اسالك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد اسالك شكر نعمتك وحسن
عبادتك واسالك قلبا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا واسالك من خير ما
تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم اغفر لي
ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت فانك انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شيء قدير وعلى
كل غيب شهيد اللهم اني اسالك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد في اعلى
جنة الخلد اللهم اني اسالك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين اسالك حبك
وحب من احبك وحب كل عمل يقرب الى حبك وان تتوب علي وتغفر لي وترحمني واذا اردت بقوم
فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما كانت الحيوة خيرا لي
وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي اسالك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب
والقصد في الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك واعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة
اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين
معصيتك ومن طاعتك ما تدخلنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم املا
وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحا واسكن في نفوسنا من عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك و
اجعل ذكرك احب الينا مما سواك واجعلنا اخشى لك مما سواك اللهم اجعل اول يومنا هذا صلاحا
واوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل اوله رحمة واوسطه نعمة وآخره تكرمة الحمد لله الذي تواضع
كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل
شيء لهيبته واظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه اللهم صل على محمد وعلى آله وازواجه وذريته و
بارك على محمد وعلى آله وازواجه وذريته كما باركت على ابرهيم وآل ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد
اللهم اجعلنا من اوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاتك عنا و
وفقنا لمحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك انا نسالك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه اللهم بقدرتك علي
تب علي انك انت التواب الرحيم وبحلمك عني اعف عني انت الملك الجبار سبحانك وبحمدك لا اله الا انت
عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي انك انت ربي انه لا يغفر الذنوب الا انت اللهم الهمني رشدي
وقني شر نفسي اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني
اسالك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة
هب لي ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين توفني مسلما والحقني بالصالحين
انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة

ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة الآية ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان الى قوله انك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا الى آخر السورة رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمومنين والمومنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وانت الاعز الاكرم وانت خير الراحمين وخير الغافرين وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل **انواع الاستعاذة المأثورة** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك من ان اردّ الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا واعوذ بك من عذاب القبر اللهم اني اعوذ بك من طمع يهدي الى طبع وطمع في غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع ومن الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن ان اردّ الى ارذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم انا نسالك قلوبا اواهة مخبتة منيبة في سبيلك اللهم انا نسالك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم اني اعوذ بك من التردي واعوذ بك من الغم والغرق والهرم واعوذ بك ان اموت في سبيلك مدبرا واعوذ بك ان اموت لطلب الدنيا اللهم اني اعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم اعلم اللهم جنبني منكرات الاخلاق والاعمال والادواء والاهواء اللهم اني اعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء اللهم اني اعوذ بك من الكفر والدين والفقر واعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من فتنة الدجال اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وشر لساني وقلبي وشر منيي اللهم اني اعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فان جار البادية يتحول اللهم اني اعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة واعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء واعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيئ الاسقام اللهم اني اعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك ومن فجاة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم اني اعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من المغرم والماثم اللهم اني اعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلوة لا تنفع ودعوة لا تستجاب واعوذ بك من شر الغم وفتنة الصدر اللهم اني اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء

الباب الخامس في الادعية المأثورة عند كل حادثة من الحوادث اذا اصبحت وسمعت الاذان يستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا ادعية دخول الخلاء والخروج منه وادعية الوضوء في كتاب الطهارة فاذا خرجت الى المسجد فقل اللهم اجعل في قلبي نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا واجعل في خلفي نورا ومن امامي نورا واجعل من فوقي نورا اللهم اعطني نورا وقل ايضا اللهم اني اسالك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسالك ان تنقذني من النار

وان

وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت واذا خرجت من المنزل فقل بسم الله اعوذ بك ان اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي بسم الله الرحمن الرحيم لا قوة الا بالله التكلان على الله فاذا انتهيت الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم صل على محمد وسلم اللهم اغفر لي جميع ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وقدم رجلك اليمنى في الدخول وان رايت في المسجد من يبيع او يبتاع فقل لا اربح الله تجارتك واذا رايت من ينشد ضالة في المسجد فقل لا رد الله عليك امر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا صليت ركعتي الصبح فقل اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الدعاء الى آخره كما اوردناه عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ركعت فقل في ركوعك اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك اسلمت وعليك توكلت انت ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين وان احببت فقل سبحان ربي العظيم ثلاث مرات او سبوح قدوس رب الملائكة والروح فاذا رفعت راسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد اهل الثناء والمجد كلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد فاذا سجدت فقل اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك اسلمت سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره تبارك الله احسن الخالقين اللهم سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي ابوء بنعمتك علي وابوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت او يقول سبحان ربي الاعلى ثلاث مرات فاذا فرغت من الصلوة فقل اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام وتدعو بسائر الادعية التي ذكرناها فاذا قمت من المجلس واردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت فاذا دخلت السوق فقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير بسم الله اللهم اني اسالك خير هذا السوق وخير ما فيها اللهم اني اعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني اعوذ بك ان اصيب فيها يمينا فاجرة او صفقة خاسرة فان كان عليك دين فقل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك فاذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد اسالك من خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له واذا رايت شيئا من الطيرة تكرهه فقل اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت ولا حول ولا قوة الا بالله واذا رايت الهلال فكبر الله ثلاثا وقل اللهم اهله علينا بالامن والايمان والسلامة والاسلام ربي وربك الله ويقول هلال رشد وخير آمنت بخالقك اللهم اني اسالك خير هذا الشهر وخير القدر واعوذ بك من شره يوم الحشر فاذا هبت الريح فقل اللهم اني اسالك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به فاذا بلغك وفاة احد فقل انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله وتقول عند التصدق ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ويقول عند الخسران عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون وتقول عند ابتداء الامور ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وتقول عند النظر الى السماء

ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار تبارك الذي جعل في السماء بروجا و
جعل فيها سراجا وقمرا منيرا فاذا سمعت صوت الرعد ورايت الصواعق فقل اللهم لا تقتلنا
بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته فاذا
كعب فاذا امطرت السماء فقل اللهم سيبا هنيا وصيبا نافعا اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله
سيب عذاب واذا غضبت فقل اللهم اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من الشيطان الرجيم فاذا خفت
قوما فقل اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم واذا غزوت فقل اللهم انت عضدي
ونصيري وبك اقاتل واذا طنت اذنك فصل على محمد وقل ذكر الله من ذكرني فاذا رايت
استجابة دعائك فقل الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات وان ابطأت فقل الحمد لله على كل حال
فاذا سمعت اذان المغرب فقل اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعاتك وحضور
صلواتك اسالك ان تغفر لي فاذا اصابك هم فقل اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك ناصيتي
بيدك ماض في حكمك نافذ في قضاؤك اسالك بكل اسم سميت به نفسك وانزلته في كتابك او
اعطيته احدا من خلقك واستاثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري
وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي قال صلى الله عليه وسلم ما اصاب احدا حزن فقال ذلك الا اذهب الله
همه وابدل مكانه فرحا فقيل له يا رسول الله افلا نتعلمها فقال بلى ينبغي لمن سمعها ان يتعلمها واذا وجدت
وجعا في جسدك او جسد غيرك فارق برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى الانسان قرحة
او جرحا وضع سبابته على الارض ثم رفعها وقال بسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا يشفى به سقيمنا
باذن ربنا واذا وجدت وجعا في جسدك فضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل بسم الله ثلثا
وقل سبع مرات اعوذ بالله وقدرته من شر ما اجد واحاذر واذا اصابك كرب فقل لا اله الا
الله العلي الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات والارض ورب العرش الكريم واذا
اردت النوم فتوضأ اولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله اربعا وثلثين وسبحه ثلثا و
ثلاثين وحمده ثلاثا وثلثين ثم قل اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ
بك منك اللهم لا استطيع ان ابلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن انت كما اثنيت على نفسك اللهم
باسمك احيى واموت اللهم رب السموات ورب الارض ورب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل
التورية والانجيل والقرآن واعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها انت الاول
فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك
شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر اللهم انك خلقت نفسي وانت تتوفاها لك مماتها ومحياها
اللهم ان امتها فاغفر لها وان احييتها فاحفظها اللهم اني اسالك العافية باسمك اللهم وضعت
جنبي فاغفر لي ذنبي اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك اللهم اسلمت نفسي اليك وفوضت امري اليك والجأت
ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا منجا ولا ملجا منك الا اليك آمنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي ارسلت
ويكون هذا آخر دعائك فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقل قبل ذلك اللهم ايقظني في
احب الساعات اليك واستعملني باحب الاعمال لديك تقربني اليك زلفى وتبعدني من سخطك بعدا

اسالك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي فاذا استيقظت من نومك عند الصباح
فقل الحمد لله الذي احيانا بعدما اماتنا واليه النشور اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة والسلطان
لله والعزة والقدرة لله اصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلعم وملة ابرهيم حنيفا
وما كان من المشركين اللهم بك اصبحنا وبك امسينا وبك نحيى وبك نموت واليك المصير اللهم
انا نسالك ان تبعثنا في هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح فيه سوءا او نجره الى مسلم فانك قلت و
هو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى اللهم فالق الاصباح وجاعل
الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اسالك خير هذا اليوم وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ما
شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا
الله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير واذا
امسيت قلت ذلك الا انك تقول امسينا وتقول مع ذلك اعوذ بكلمات الله التامات واسمائه
كلها من شر ما ذرا وبرا ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فاذا
نظرت في المرآة فقل الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرم صورة وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين
واذا اشتريت خادما او غلاما او دابة فخذ بناصيتها وقل اللهم اني اسالك خيره وخير ما جبل عليه و
اعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه واذا هنيت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في
خير فاذا قضيت الدين فقل للمقضي له بارك الله لك في اهلك ومالك اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما جزاء السلف الحمد والاداء فهذه ادعية لا يستغني المريد عن حفظها وما سوى ذلك من ادعية
السفر والوضوء والصلوة فقد ذكرناه في كتاب الحج والصلوة والطهارة فان قلت فما فائدة
الدعاء والقضاء لا مرد له فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء والدعاء سبب لرد البلاء و
استجلاب الرحمة كما ان الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس
يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله ان
لا يحمل السلاح وقد قال تعالى خذوا حذركم وان لا يسقى الارض بعد بث البذر فيقال ان سبق القضاء
بالنبات نبت بل ربط الاسباب بالمسببات هو القضاء الاول الذي هو كلمح البصر وترتب تفصيل المسببات
على الاسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لدفعه
سببا ولا تناقض بين هذه الامور عند من انفتحت بصيرته ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فانه يستدعي
حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة و
الغالب على الخلق انه لا تنصرف قلوبهم الى ذكر الله الا عند المام حاجة او ارهاق ملمة فالانسان اذا مسه
الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعاء والدعاء يرد القلب الى الله بالتضرع والاستكانة فيحصل به
الذكر الذي هو اشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل
لانه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله ويمنع من نسيانه واما الغنى فسبب البطر في غالب الامر
فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فهذا ما اردنا ان نورده من جملة الاذكار والدعوات والله
الموفق للخير واما بقية الدعوات في الاكل والسفر وعيادة المريض وغيره فسيأتي في مواضعها ان

ان شاء الله تعالى تم كتاب الدعوات والاذكار والحمد لله رب العالمين

كتاب ترتيب الاوراد وتفصيل احياء الليل
وهو الكتاب العاشر من ربع العبادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

نحمد الله على آلائه حمداً كثيراً ونذكره ذكراً لا يغادر في القلب استكباراً ولا نفوراً ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكوراً ونصلي على محمد الذي بعثه بالحق بشيراً ونذيراً وعلى آله وصحبه الذين اجتهدوا في عبادة الله غدواً وعشياً وبكرة واصيلا حتى اصبح كل واحد منهم نجماً في الدين هادياً وسراجاً منيراً **اما بعد** فان الله جعل الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودون منها محترزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققون ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر واول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة او النار والعمر هو مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وايامه اميال وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته واوقاته رؤس امواله وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل عن نفس من انفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه الى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الاوقات وظايف الاوراد حرصاً على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي الى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الاوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين الباب الاول في فضيلة الاوراد وترتيبها في الليل والنهار الباب الثاني في كيفية احياء الليل وما يتعلق به

وفضيلة م

الباب الاول في فضيلة الاوراد وترتيبها واحكامها

فضيلة الاوراد وبيان ان المواظبة عليها هو الطريق الى الله تعالى اعلم ان الناظرين بنور البصيرة علموا انه لا نجاة الا في لقاء الله وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محباً لله وعارفاً بالله وان المحبة والانس لا تحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة لا تحصل الا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وافعاله وليس في الوجود سوى الله وافعاله ولن يتيسر دوام الفكر والذكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل والنهار في وظايف الاذكار والافكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد اظهرت الملال والاستثقال وان الله لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت ليغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها ويدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الاوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغي ان يستغرقا جميع الاوقات او اكثرها فان النفس بطبعها مايلة الى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطر اوقاته الى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا و

الشطر الآخر الى العبادات رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقته للطبع اذ يكون الوقت متساوياً فانى يتقاومان والطبع لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن يساعد على امور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد واما الرد الى العبادات فتكلف ولا يسلم اخلاص القلب وحضوره الا في بعض الاوقات فمن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته في الطاعة ومن اراد ان يترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعات اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحاً وآخر سيئاً فامره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله ان يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فان لم تكن من اهله فانظر الى خطاب الله سبحانه لرسوله واقتبسه بنور الايمان فقد قال تعالى لاقرب عباده اليه وارفعهم درجة لديه ان لك في النهار سبحاً طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود وقال تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا وقال تعالى ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقال تعالى اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال امن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وقال عز وجل والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً وقال عز من قايل كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشياً وحين تظهرون وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فهذا كله يبين لك ان الطريق الى الله مراقبة الاوقات وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم احب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله وقد قال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضاً يسيراً وقال تعالى والقمر قدرناه منازل وقال وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فلا تظنن ان المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان بحساب منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم ان يستعان بها على امور الدنيا بل ليعرف مقادير الاوقات فيشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة يدلك عليه قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكوراً اي يخلف احدهما الآخر ليتدارك في احدهما ما فات في الآخر وبين ان ذلك للذكر والشكر لا لغيره وقد قال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين الى قوله لتبتغوا فضلا من ربكم وانما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة

بيان اعداد الاوراد وترتيبها اعلم ان اوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان وما بين الزوال الى وقت العصر وردان وما بين العصر الى الغروب وردان والليل ينقسم باوراد اربعة وردان من المغرب الى وقت نوم الناس

وورد ان في النصف الاخير من الليل الى طلوع الصبح فلنذكر وظيفة كل ورد وفضيلته وما يتعلق به فالورد الاول بين طلوع الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله اقسام الله تع به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال الله فالق الاصباح وقل اعوذ برب الفلق واظهار القدرة بقبض الظل فيه اذ قال ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو وقت قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وارشاده الناس الى التسبيح فيه بقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقوله ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار وقوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا واما ترتيبه فلناخذ من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه فينبغي ان يبتدي بذكر الله فيقول الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر الادعية والآيات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات ويلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي ستر عورته امتثالا لامر الله واستعانة على عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه الى بيت الماء ان كان به حاجة ويدخل اولا رجله اليسرى ويدعو بالادعية التي ذكرناها في الطهارة عند الدخول والخروج ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضا مراعيا لجميع السنن والادعية التي ذكرناها في الطهارة فانا انما قدمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فاذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الصبح اعني السنة في منزله كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرا بعد الركعتين سواء اداهما في البيت او في المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس ويقول اللهم اني اسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى آخر الدعاء ثم يخرج من البيت متوجها الى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج الى المسجد ولا يسعى الى الصلوة بل يمشي وعليه السكينة كما ورد به الحديث ولا يشبك بين اصابعه فيدخل المسجد ثم يطلب من المسجد الصف الاول ان وجد متسعا ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق ذكره في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر ان لم يكن صلاهما في منزله ويشتغل بالدعاء المذكور بعده وان كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا للجماعة والاحب التغليس بالجماعة فقد كان صلى الله عليه وسلم يغلس بالصبح ولا ينبغي ان يدع الجماعة في الصلوة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فان لهما زيادة فضل روى انس بن مالك عن رسول الله صلعم انه قال في صلوة الصبح من توضا ثم توجه الى المسجد فيصلي فيه الصلوة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر امثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فالفيت ابا هريرة قد سبقني فقال يا ابن اخي لاي شيء خرجت من منزلك هذه الساعة فقلت لصلوة الغداة فقال ابشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله او قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علي كرم الله وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال الا تصلون فقال علي فقلت يا رسول الله انما انفسنا بيد الله فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعته وهو منصرف يضرب فخذه ويقول وكان الانسان اكثر شيء جدلا ثم بعد ركعتي الفجر والدعاء ينبغي ان

يشتغل

يشتغل بالاستغفار والتسبيح الى ان يقام الصلوة فيقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه سبعين مرة وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ثم يصلي الفريضة مراعيا جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة في الصلوة والقدوة ثم يقعد في المسجد الى طلوع الشمس في ذكر الله كما سنبينه فقد قال صلى الله عليه وسلم لان اقعد في مجلس اذكر الله فيه من صلوة الغداة الى طلوع الشمس احب الي من ان اعتق اربع رقاب وروي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها ويصلي ركعتين اي بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى وروى الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما يذكر من رحمة ربه يقول يا ابن آدم اذكرني من بعد صلوة الفجر ساعة وبعد صلوة العصر ساعة اكفك ما بينهما فاظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم الى طلوع الشمس بل ينبغي ان يكون وظيفته الى الطلوع اربعة انواع ادعية واذكار يكررها في سبحة وقراءة قرآن وتفكر اما الادعية فكما يفرغ من صلوته فليبدا وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وادخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله اهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم يبتدي بالادعية التي اوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الدعوات فيدعو بجميعها ان قدر او يحفظ من جملتها ما يراه اوفق بحاله وارق لقلبه واخف على لسانه واما الاذكار المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطول بايرادها واقل ما ينبغي ان يكرر كل واحد منها ثلثا او سبعا واكثره مائة او سبعين واوسطه عشرا وليكرره بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الاكثر اكثر والاوسط الاقصد ان يكررها عشر مرات فهو اجدر بان يدوم عليه وخير الامور ادومها وان قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة افضل واشد تاثيرا في القلب من كثيرها ومثال القليل الدائم مثال قطرات ماء تتقاطر على الارض على التوالي فتحدث فيها حفيرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة او دفعات متفرقة متباعدة الاوقات فلا يتبين لها اثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة الاولى قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير الثانية قوله سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله الثالثة قوله سبوح قدوس رب الملائكة والروح الرابعة قوله سبحان الله العظيم وبحمده الخامسة قوله استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واساله التوبة السادسة قوله اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد السابعة قوله لا اله الا الله الملك الحق المبين الثامنة قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم التاسعة قوله اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آل محمد العاشرة قوله اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم اعوذ بك من همزات

الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون لهذه العشر كلمات اذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل
له مائة مرة فهو افضل من ان يكرر ذكرا واحدا مائة مرة لان لكل واحد من هذه الكلمات فضلا
على حياله وللقلب بكل واحد نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة الى كلمة نوع استراحة
وامن من الملال واما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الآيات وردت الاخبار بفضلها
وهو ان يقرا سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله آمن الرسول وشهد الله انه لا اله
الا هو وقل اللهم مالك الملك الآيتين وقوله تع لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخرها وقوله لقد صدق
الله رسوله الرؤيا بالحق الى آخرها وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وخمس آيات من اول
الحديد وثلثا من آخر سورة الحشر وان قرا المسبعات العشر التي اهداها الخضر الى ابرهيم
التيمي ووصاه ان يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الاذكار
المذكورة فقد روي عن كرز بن وبرة وكان من الابدال قال اتاني اخ لي من اهل الشام فاهدى لي
هدية وقال يا كرز اقبل مني هذه الهدية فانها نعم الهدية فقلت يا اخي من اهدى لك هذه الهدية
فقال اعطانيها ابرهيم التيمي قلت افلم تسال ابرهيم التيمي من اعطاه قال بلى قال قد كنت جالسا
في فناء الكعبة وانا في التسبيح والتهليل والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم
ار في زماني احسن منه وجها ولا احسن منه ثيابا ولا اشد بياضا واطيب رائحة منه فقلت
يا عبد الله من انت ومن اين جئت فقال انا الخضر فقلت في اي شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك
وحبا لك في الله وعندي هدية اريد ان اهديها اليك فقلت ما هي فقال هي ان تقرا قبل
طلوع الشمس وانبساطها على الارض وقبل الغروب سورة الفاتحة وقل اعوذ برب الناس وقل اعوذ
برب الفلق وقل هو الله احد وقل يا ايها الكافرون وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر
للمومنين والمومنات سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا
وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له اهل انك غفور رحيم جواد كريم
سبع مرات وانظر ان لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت احب ان تخبرني من اعطاك هذه العطية
فقال اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم فقلت اخبرني بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فسله
عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر ابرهيم التيمي انه راى ذات يوم في منامه كان الملائكة جاءته فاحتملته حتى
ادخلوه الجنة فراى ما فيها ووصف امورا عظيمة مما رآه في الجنة قال فسالت الملائكة فقلت لمن هذا كله
فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر انه اكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم
ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم علي واخذ
بيدي فقلت يا رسول الله ان الخضر اخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر صدق
الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم اهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله في الارض فقلت
يا رسول الله فمن فعل هذا وعمله ولم ير مثل الذي رايت في منامي هل يعطى شيئا مما اعطيته فقال
والذي بعثني بالحق انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع الكبائر

التي عملها ويرفع الله عنه غضبه ومقته ويومر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيئا من السيئات الى
سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا الا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه الا من خلقه الله شقيا
وكان ابرهيم التيمي مكث اربعة اشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا فهذه
وظيفة القراءة فان اضاف اليها شيئا مما انتهى اليه ورده من القرآن او اقتصر عليها فحسن فان القراءة
جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وادابه في كتاب التلاوة
واما الافكار فليكن ذلك احد وظايفه وسياتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر
من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع الى فنين احدهما ان يتفكر فيما ينفعه من المعاملة بان
يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظايف يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف
والعوايق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق اليه الخلل من اعماله ليصلحه ويحضر في قلبه
النيات الصالحة في اعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين والفن الثاني فيما ينفعه في علم المكاشفة
وذلك بان يتفكر مرة في نعم الله وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته به ويكثر شكره عليها
او في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الله واستغنائه ويزيد خوفه منها ولكل واحد من
هذه الامور شعب كثيرة يتسع الفكر فيها على بعض الخلق دون بعض وانما يستقصى ذلك في كتاب
التفكر ومهما تيسر الفكر فهو اشرف العبادات اذ فيه معنى الذكر لله وزيادة امرين احدهما
زيادة المعرفة اذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثاني زيادة المحبة اذ لا يحب القلب الا من
اعتقد تعظيمه ولا ينكشف عظمة الله تع وجلاله الا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجايب افعاله
فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة والذكر ايضا يورث الانس وهو
نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة اقوى واثبت واعظم ونسبة معرفة العارف الى
انس الذاكر من غير تمام الاستبصار نسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن اخلاقه
وافعاله وفضايله وخصايله الحميدة بالتجربة الى انس من كرر على سمعه وصف شخص غايب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته له كمحبة المشاهد وليس الخبر
كالمعاينة والعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين صدقوا بما جاءت به الرسل بالايمان
التقليدي ليس لهم من محاسن صفات الله الا امور جلية اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون
هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التي هي اقوى من البصر الظاهر لان احدا ما احاط
بكنه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لاحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولا
نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها وانما عدد حجبها التي استحقت ان تسمى نورا وكاد ان يظن الواصل
اليه انه قد تم وصوله الى الاصل سبعون قال صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت
سبحات وجهه كل ما ادرك بصره وتلك الحجب ايضا مترتبة وتلك الانوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر
والكواكب ويبدو في الاول اصغرها ثم ما يليه وعليه اول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لابرهيم عليه السلم
في ترقيه وقال لما جن عليه الليل اي اظلم عليه الامر راى كوكبا اي وصل الى حجاب من حجب النور فعبر عنه
بالكوكب وما اريد به هذه الاجسام المضيئة فان آحاد العوام لا يخفى عليهم ان الربوبية لا تليق بالاجسام بل

يدركون ذلك بل واول نظرهم فما لا يضل العوام لا يضل الخليل والحجب المسماة انوارا ما اريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل اريد بها ما اريد بقوله تع الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح الآية ولنتجاوز هذه المعاني فانها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل الى حقايقها الا بالكشف التابع للفكر الصافي وقل ما ينفتح بابه والمتيسر على جماهير الخلق الفكر فيما يفيد من علوم المعاملة وذلك ايضا مما يغزر فايدته ويعظم نفعه فهذه الوظايف الاربعة الدعاء والذكر والفكر والقراءة ينبغي ان تكون وظيفة المريد بعد صلوة الصبح بل في كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلوة فليس بعد الصلوة وظيفة سوى هذه الاربع ويقوى على ذلك بان ياخذ سلاحه ومجنه والصوم هو الجنة التي تضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلوة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يشتغلون في هذا الوقت بالاذكار فهو اولى الآن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع الا بالصلوة فلو صلى لذلك فلا باس **الورد الثاني** ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار واعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال وذلك يمضي ثلاث ساعات من النهار اذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الربع وفي هذا الربع من النهار وظيفتان زايدتان احديهما صلوة الضحى وقد ذكرنا في كتاب الصلوة ان الاولى ان يصلي ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قيد نصف رمح ويصلي اربعا او ستا او ثمانيا اذا رمضت الفصال وضحيت الاقدام لحر الشمس فوقت الركعتين هو الذي اراده الله تعالى بقوله يسبحن بالعشي والاشراق فانه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التي على وجه الارض فانها تمنع اشراقها التام ووقت الركعات الاربع هو الضحى الذي اقسم الله به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلى صوته الا ان صلوة الاوابين اذا رمضت الفصال فلذلك نقول اذا كان يقتصر على مرة واحدة في الصلوة فهذا الوقت افضل لصلوة الضحى وان كان اصل الفضل يحصل بالصلوة بين طرفي وقتي الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب الى ما قبل الزوال في ساعة الاستواء فاسم الضحى ينطلق على الكل ولان ركعتي الاشراق يقع في مبدأ وقت الاذان في الصلوة وانقضاء الكراهية اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها فاقل ارتفاعها ان ترتفع عن حجاب الارض وغبارها وهذا يراعى بالتقريب ٥ الوظيفة الثانية في هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شي من ذلك عاد الى الوظايف الاربع التي قدمناها من الادعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات المتطوع بها ان شاء فانها مكروهة بعد صلوة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلوة قسما خامسا من جملة وظايف هذا الوقت لمن اراده واما ما بعد فريضة الصبح فيكره كل صلوة لا سبب لها وبعد الصبح الاحب ان يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلوة بل بالاذكار والقراءة والدعاء والفكر **الورد الثالث** من ضحوة النهار الى الزوال ونعني بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل وكان بعد كل ثلاث ساعات امر بصلوة فاذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها وقبل مضيها صلوة الضحى فاذا مضت ثلاث اخرى فالظهر فاذا مضت ثلاث اخرى فالعصر فاذا مضت ثلاث اخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والمغرب الا ان الضحى لم تفرض لانه وقت انكباب الناس على اشغالهم فخفف عنهم والوظيفة في هذا الوقت الاقسام الاربعة ويزيد امران احدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعاش وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغي ان يتجر بصدق وامانة وان كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله في جميع اشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على الكسب في كل يوم لوقته فاذا حصلت كفاية يومه فليرجع الى بيت ربه وليتزود لآخرته فان الحاجة الى زاد الآخرة اشد والتمتع به ادوم فالاشتغال بكسبه من طلب الزيادة لحاجة الوقت فقد قيل لا يوجد المؤمن الا في ثلاثة مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل اكثر الناس يقدرون ما عنه بد انه لا بد لهم منه وذلك لان الشيطان يعدهم الفقر ويامرهم بالفحشاء فيصغون اليه ويجمعون ما لا ياكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه الامر الثاني القيلولة وهي سنة ليستعين بها على قيام الليل كما ان التسحر سنة ليستعين به على صيام النهار فاذا كان لا يقوم بالليل ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط اهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم احب له اذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى الاذكار والوظايف المذكورة اذ في النوم الصمت والسلامة وقد قال بعضهم ياتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه افضل اعمالهم وكم من عابد احسن احواله النوم وذلك اذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق وقال سفين الثوري كان يعجبهم اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة فاذن نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل قربة ولكن ينبغي ان يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلوة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلوة فان ذلك من فضايل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلوة والذكر فهو افضل اعمال النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض العبيد عن بابه جدير بان يزكيه الله تع ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل احياء الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا واحد معنيي قوله تع وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي يخلف احدهما الآخر في الفضل والثاني انه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في الآخر **الورد الرابع** ما بين الزوال الى الفراغ من صلوة الظهر وراتبته وهو اقصر اوراد النهار وافضلها فاذا كان قد توضا قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدا المؤذن الاذان فليصبر الى الفراغ من جواب اذانه ثم ليقم الى احياء ما بين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذي اراده الله تع بقوله وحين تظهرون وليصل في هذا الوقت اربع ركعات بتسليمة واحدة وهذه الصلوة وحدها من بين ساير صلوات النهار نقل انه يصليها بتسليمة واحدة لكن طعن في تلك الرواية هكذا قاله بعض العلماء ومذهب الشافعي رحمه الله انه

يصلي مثنى مثنى كسائر النوافل وليطول هذه الركعات اذ فيها يفتح ابواب السماء كما اوردناه
الخبر في باب صلوة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة او سورتين من المائين او اربعًا من المثاني فهذه
ساعة يستجاب فيها الدعاء واحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرفع له فيها عمل ثم يصلي الظهر
جماعة بعد اربع ركعات طويلة كما سبق او قصيرة لا ينبغي ان يدعها ثم يصلي بعد الظهر ركعتين
ثم اربعًا اذ كره ابن مسعود ان يتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل ويستحب ان يقرأ في هذه النافلة
آية الكرسي وآخر البقرة والآيات التي اوردناها في الورد الاول ليكون ذلك جامعًا له بين الذكر والدعاء
والقراءة والصلوة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت الورد الخامس ما بعد ذلك الى العصر ويستحب
فيه العكوف في المسجد مشغولًا بالذكر والصلوة او فنون الخير ويكون في انتظار الصلوة معتكفًا فمن
فضايل الاعمال انتظار الصلوة بعد الصلوة وكان ذلك سنة السلف كان الداخل يدخل المساجد
بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويًا كدوي النحل من التلاوة فان كان بيته اسلم لدينه واجمع
لهمه فالبيت افضل في حقه واحياء هذا الورد وهو وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث
في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومتان بالنهار قال بعض
العلماء ثلاثة يمقت الله عليها الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع ونوم بالنهار من غير سهر بالليل و
الحد في النوم ان الليل والنهار اربعة وعشرون ساعة فالاعتدال في نومه ثماني ساعات في الليل والنهار
جميعًا فان نام هذا القدر في الليل فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منه مقدارًا استوفاه بالنهار
فحسب ابن آدم ان عاش ستين سنة ان ينقص من عمره عشرين سنة ومهما نام ثماني ساعات وهو
الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما ان الطعام غذاء للبدن وكما
ان العلم والذكر غذاء للقلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضي الى
اضطراب البدن الا ان يتعود السهر تدريجًا فقد تمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا
الورد هو من اطول الاوراد وامتعها للعباد وهو الآصال التي ذكرها الله تعالى اذ قال ولله يسجد من في
السموات والارض طوعًا وكرهًا وظلالهم بالغدو والآصال واذا سجد لله الجمادات فكيف يجوز ان
يغفل العبد العاقل عن انواع العبادات الورد السادس اذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد
السادس وهو الذي اقسم الله تعالى به اذ قال تعالى والعصر وهذا احد معنيي الآية وهو المراد بالآصال
في احد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله وعشيًا وفي قوله بالعشي والاشراق وليس في هذا الورد صلوة
الا اربع ركعات بين الاذانين كما سبق في الظهر ثم يصلي الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة
في الورد الاول الى ان ترتفع الشمس الى رؤس الحيطان وتصفر والافضل فيه اذ منع من الصلوة
تلاوة القرآن بتدبر وتفهم اذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعاء والفكر فيندرج في هذا القسم اكثر مقاصد
الاقسام الثلاثة الورد السابع اذا اصفرت الشمس بان تقرب من الارض بحيث يغطي نورها
الغبارات والبخارات التي على وجه الارض وترى صفرة في ضوئها فيدخل هذا الورد وهو مثل الورد
الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى فسبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون وهو الطرف الثاني المراد بقوله تعالى واطراف النهار وقال بعض

السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا وآخره للآخرة ويستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار
خاصة وساير ما ذكرناه في الورد الاول مثل ان يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم و
اساله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده من قوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي و
الابكار والاستغفار على الاسماء التي في القرآن احب كقوله استغفروا الله انه كان غفارًا استغفر
الله انه كان توابًا يا رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ويستحب
ان يقرأ قبل غروب الشمس والشمس وضحيها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب الشمس عنه وهو في الاستغفار
فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك الدعاء كما سبق ثم يجيب المؤذن ويشتغل
بصلوة المغرب وبالغروب تنتهي اوراد النهار فينبغي ان يلاحظ العبد احواله ويحاسب نفسه
فقد انقضى من طريقه مرحلة فان ساوى يومه امسه فيكون مغبونًا وان كان شرًا منه فيكون
ملعونًا فقد قال صلعم لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرًا فان راى نفسه متوفرًا على الخير
جميع نهاره مترفهًا عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله على توفيقه وتسديده اياه لطريقه وان يكن
الاخرى فالليل خلفة للنهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيئات
فليشكر الله على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه ركم
ان نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحيوة فلا يكون لها بعد ذلك طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك
والاعتذار فليس العمر الا ايامًا معدودة تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء آحادها بيان
اوراد الليل وهي خمسة الاول اذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء
ما بين العشائين فآخر هذا الورد غيبوبة الشفق اعني الحمرة التي بغيبتها يدخل وقت العتمة وقد اقسم
الله تعالى به فقال فلا اقسم بالشفق والصلوة فيه ناشئة الليل لانه اول نشو ساعاته وهو آنٍ من
الآناء المذكورة في قوله تعالى ومن اناء الليل فسبح وهي صلوة الاوابين وهي المرادة بقوله تعالى تتجافى جنوبهم
عن المضاجع روى ذلك عن الحسن رحمه الله واسنده ابن ابي الزناد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه
الآية فقال صلى الله عليه وسلم الصلوة بين العشائين ثم قال عليكم بالصلوة بين العشائين فانها
تذهب بملاغاة النهار وتهذب آخره والملاغات جمع ملغاة من اللغو وسئل انس عمن ينام
بين العشائين فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وسيأتي فضل
احياء ما بين العشائين في الباب الثاني وترتيب هذا الورد ان يصلي بعد المغرب ركعتين اولًا
يقرأ فيهما قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل
ثم يصلي اربعًا يطيلها ثم يصلي الى غيبوبة الشفق ما تيسر له وان كان المسجد قريبًا من المنزل فلا بأس ان
يصليها في بيته ان لم يكن عزمه الاعتكاف في المسجد وان عزم على الاعتكاف لانتظار العشاء الآخرة
فهو الافضل اذا كان آمنًا من التصنع والرياء الورد الثاني يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة الى
الحد نومة الناس وهو اول استحكام الظلام وقد اقسم الله تعالى به اذ قال والليل وما وسق وما جمع
من ظلمة وقال الى غسق الليل فهناك يغسق الليل ويستوسق ظلمته وترتيب هذا الورد بمراعاة
ثلاثة امور الاول ان يصلي سوى فرض العشاء عشر ركعات اربعًا قبل الفرض احياءً لما بين الاذانين

وستا بعد الفرض ركعتين ثم اربعًا ويقرا فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي واول
الحديد وغيرها الثاني ان يصلي ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فانه اكثر ما روى ان النبي صلى الله
عليه وسلم صلى به من الليل والاكياس ياخذون اوقاتهم من اول الليل والاقوياء من آخره والحزم التقديم فانه ربما
لا يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فآخر الليل افضل ثم ليقرا في هذه الصلوة قدر
ثلثمائة آية من السور المخصوصة التي كان صلى الله عليه وسلم يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمن وسورة الدخان
وتبارك الملك والزمر والواقعة فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور او بعضها قبل النوم فقد روى
في ثلاثة احاديث مما كان يقراه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ليلة اشهرها السجدة وتبارك الملك والزمر
وبني اسرائيل وفي اخرى انه كان يقرا المسبحات في كل ليلة ويقول فيها آية افضل من الف آية وكان
العلماء يجعلونها ستا فيزيدون سبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون والاخلاص فاذا فرغ قال سبحان
الملك القدوس ثلاث مرات الثالث الوتر وليوتر قبل النوم ان لم يكن عادته القيام قال ابو هريرة
اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انام الا على وتر وان كان معتادا لصلوة الليل فالتاخير افضل
قال صلى الله عليه وسلم صلوة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة قالت عائشة رضي الله عنها
اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الليل واوسطه وآخره وانتهى وتره الى السحر وقال علي رضي الله عنه
الوتر على ثلاثة انحاء ان شئت اوترت اول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني انه يصير وترا بما مضى و
ان شئت اوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت اليها اخرى ثم اوترت من آخر الليل وان شئت
اخرت الوتر ليكون آخر صلوتك هذا ما روي عنه والطريق الاول والثالث لا باس به واما نقض
الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي ان ينقض وروي مطلقا انه عليه السلام قال لا وتران في ليلة ولمن يتردد في
استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلماء وهو ان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند
النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزحف الى فراشه ويصليهما ويقرا فيهما اذا زلزلت والهيكم التكاثر
لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا ايها الكافرون لما فيها من التبرئة وافراد العبادة لله فقيل
ان استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان له ان يوتر في آخر صلوته وكانه صار ما مضى شفعا بهما
وحسن استيناف الوتر فاستحسن هذا ابو طالب المكي وقال فيه ثلاثة اعمال قصر الامل وتحصيل الوتر
والوتر من آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما يخطر انهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك وان لم يستيقظ
ويبطل وتر الاول فكونه شافعا ان استيقظ غير شافع ان نام فيه نظر الا انه صح من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايتانه قبلهما واعادته الوتر فيفهم منه ان الركعتين شفع بصورتهما وتر بمعناهما فيحسب وترا ان
استيقظ وشفعا ان لم يستيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر ان يقول سبحان الملك القدوس
رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد
بالموت وروي انه عليه السلام ما مات حتى كان اكثر صلوته جالسا الا المكتوبة وقد قال للقاعد
نصف اجر القائم وللنائم نصف اجر القاعد وهذا يدل على صحة النافلة نائما الورد الثالث
النوم ولا باس بان يعد ذلك في الاوراد فانه اذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد نقل انه اذا نام
العبد على طهارة ذاكرا لله يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر

الله دعا له الملك واستغفر له وفي الخبر انه اذا نام على الطهارة رفع روحه الى العرش هذا في العوام فكيف
في العلماء وارباب القلوب الصافية فانهم يكاشفون بالاسرار في النوم ولذلك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وقال معاذ لابي موسى كيف تصنع في قيام الليل
فقال اقوم الليل اجمع لا انام منه شيئا واتفوق القرآن فيه تفوقا قال معاذ لكني انام ثم اقوم واحتسب
في نومتي ما احتسب في قومتي فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاذ افقه منك
وآداب النوم عشرة الاول الطهارة والسواك قال صلى الله عليه وسلم اذا نام العبد
على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ
فتلك المنامات اضغاث احلام لا تصدق وهذا اريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة
الباطن هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيب الثاني ان يعد عند راسه سواكه وطهوره وينوي القيام
للعبادة عند التيقظ وكلما تنبه استاك كذلك كان يفعله بعض السلف وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه كان يستاك في كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها وان لم يتيسر له الطهارة
فيستحب له مسح الاعضاء بالماء فان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء
والتفكر في آلاء الله وقدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال صلى الله عليه وسلم من اتى فراشه
وهو ينوي ان يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من
ربه الثالث ان لا يبيت من له وصية الا ووصيته مكتوبة عنده فانه لا يامن القبض في
النوم يقال ان من مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ الى يوم القيمة يزوره الاموات
ويتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية وذلك مستحب
خوفا من موت الفجاة وموت الفجاة تخفيف الا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم
الرابع ان ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم احد ولا يحقد
على احد عزم له ما اجترم الخامس ان لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك او يقتصد فيه
كان بعض السلف يكره التمهيد ويرى ذلك تكلفا للنوم وكان اهل الصفة لا يجعلون بينهم وبين
التراب حاجزا ويقولون منها خلقنا واليها نرد وكانوا يرون ذلك ادق لقلوبهم واجدر بتواضع نفوسهم
فمن لا تسمح بذلك نفسه فليقتصد السادس ان لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه
الا اذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل فقد كان نومهم غلبة واكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك
وصفوا بانهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وان غلبه النوم عن الصلوة والذكر وصار لا يدري ما
يقول فلينم حتى يعقل ما يقول كان ابن عباس يكره النوم قاعدا وفي الخبر لا تكابدوا الليل وقيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلي بالليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك
وقال ليصل احدكم من الليل ما تيسر له فاذا غلبه النوم فليرقد وقال تكلفوا من العمل ما تطيقون
فان الله لا يمل حتى تملوا وقال خير هذا الدين ايسره وقيل له ان فلانا يصلي فلا ينام ويصوم فلا يفطر
فقال لكني اصلي وانام واصوم وافطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال لا تشادوا
هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه فلا تبغض الى نفسك عبادة الله السابع ان ينام

مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين احدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله
ان يكون وجهه واخمصاه الى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو لمن ينام على جنب بان يكون
وجهه اليها مع قبالة بدنه اذا نام على الشق الايمن **الثامن** الدعاء عند النوم فيقول باسمك ربي
وضعت جنبي وباسمك ارفعه الى آخر الدعوات المأثورة التي اوردناها في كتاب الدعوات ويستحب
ان يقرا الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرها ويقرا قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو
الرحمن الرحيم الى قوله يعقلون يقال ان من قراها عند النوم حفظ عليه القرآن فلم ينسه ويقرا من
سورة الاعراف هذه الآية ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وآخر بني اسرائيل قل ادعوا الله
الآيتين فانه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه يستغفر له ويقرا المعوذتين وينفث بهن
في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روي من فعل رسول الله صلعم وليقرا عشرا من اول الكهف
وعشرا من آخرها وهذه الآية للاستيقاظ لقيام الليل وكان علي كرم الله وجهه يقول ما ارى ان رجلا
مستكملا عقله ينام قبل ان يقرا الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الاربع مائة مرة **التاسع** ان يتذكر عند النوم
ان النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
فسماه توفيا وكما ان المتيقظ ينكشف له مشاهدات لا تناسب احواله في النوم فكذلك المبعوث يرى
ما لم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحيوة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة
وقال لقمن لابنه يا بني ان كنت تشك في الموت فلا تنم فكما انك تنام كذلك تموت وان كنت
تشك في البعث فلا تنتبه فكما تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الاحبار
اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة وقالت عائشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى انه ميت
في ليلته تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكه الدعاء الى آخره كما
ذكرناه في الدعوات فحق على العبد ان يفتش عن قلبه عند نومه انه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله
وحب لقائه او حب الدنيا وليتحقق انه يتوفى على ما هو الغالب ويحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع من
احب ومع ما احب **العاشر** الدعاء عند التنبه فليقل في تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار
وليجتهد ان يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله واول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله فهو علامة
الحب ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين الا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه فانها علامة تكشف عن باطن
القلب وانما استحبت هذه الاذكار ليستجر القلب الى ذكر الله فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذي
احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور الى آخر ما اوردناه من ادعية التيقظ **الورد الرابع** يدخل
بمضي النصف الاول من الليل الى ان يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص
بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار
وبه اقسم الله تعالى فقال والليل اذا سجى اي اذا سكن وسكونه هدوه في هذا الوقت فلا يبقى عين الا

نائمة سوى الحي القيوم الذي لا تاخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال وقيل اذا اظلم
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الليل اسمع فقال جوف الليل وقال داود عليه السلام الهي اني احب
ان اتعبد لك فاي وقت افضل فاوحى الله اليه يا داود لا تقم اول الليل ولا آخره فان من قام اوله
نام آخره ومن قام آخره لم يقم اوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي واخلو بك وارفع الي حوائجك
وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الليل افضل فقال نصف الليل الغابر يعني الباقي وفي آخر الليل وردت
الاخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار الى سماء الدنيا وغيره
من الاخبار وترتيب هذا الورد انه بعد الفراغ من الادعية التي للاستيقاظ يتوضا وضوءا كما سبق
سننه وآدابه وادعيته ثم يتوجه الى مصلاه ويقوم مستقبلا للقبلة ويقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا
وسبحان الله بكرة واصيلا ثم ليسبح عشرا وليحمد الله عشرا وليهلل عشرا وليقل الله اكبر ذو الملكوت و
الجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد انت بهاء
السموات والارض ولك الحمد انت زين السموات والارض ولك الحمد انت قيوم السموات والارض
ومن فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق اللهم لك اسلمت وبك آمنت وعليك
توكلت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت
المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت اللهم آت نفسي تقويها وزكها انت خير من زكاها انت
وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها
لا يصرف سيئها الا انت اسألك مسألة البائس المسكين وادعوك دعاء المفتقر الذليل فلا
تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسئولين واكرم المعطين وقالت عائشة
رضي الله عنها كان رسول الله اذا قام من الليل افتتح صلوته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني
لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلوة ويصلي ركعتين
خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر ويستحب ان
يفصل بين الصلوتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلوة وقد صح في صلوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل انه صلى اولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين
دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقتصر بالتدريج الى ثلاث عشرة ركعة وسئلت عائشة رضي الله عنها
اكان يجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل ام يسر فقالت ربما جهر وربما اسر وقال
عليه السلام صلوة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وقال عليه السلام صلوة المغرب
اوترت صلوة النهار فاوتروا صلوة الليل واكثر ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل
ثلث عشرة ركعة ويقرا في هذه الركعات من ورده من القرآن ومن السور المخصوصة ما خف عليه وهو
في حكم هذا الورد الى قريب من السدس الاخير من الليل **الورد الخامس** السدس الاخير من آخر
الليل وهو وقت السحر قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون قيل يصلون لما فيها من الاستغفار

اتيان الملائكة

وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل والنهار وقد امر بهذا الورد سلمان اخاه ابا الدرداء ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب ابو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال ان لنفسك عليك حقا وان لضيفك عليك حقا فاعط كل ذي حق حقه وذلك ان امرأة ابي الدرداء اخبرت سلمان انه لا ينام الليل قال فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر والوظيفة في هذين الوردين الصلوة فاذا طلع الفجر انقضت اوراد الليل ودخل اوراد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله فسبحه وادبار النجوم ثم يقرأ شهد الله انه لا اله الا هو الى آخرها ثم يقول وانا اشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت له ملائكته واولو العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة واسأله حفظها حتى يتوفاني عليها اللهم احطط بها عني وزرا واجعل لي بها عندك ذخرا واحفظها علي وتوفني عليها حتى القاك بها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الاوراد للعباد وقد كانوا يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين اربعة امور صوم وصدقة وان قلت وعيادة مريض وشهود جنازة ففي الخبر من جمع بين هذه الاربعة في يوم غفر له وفي رواية دخل الجنة فان اتفق بعضها وعجز عن الآخر كان له اجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون ان ينقضي اليوم ولم يتصدقوا ولو بتمرة او بصلة او كسرة خبز لقوله صلى الله عليه وسلم الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس ولقوله اتقوا النار ولو بشق تمرة ودفعت عائشة رضي الله عنها الى سائل عنبة واحدة فاخذها فنظر من كان عندها بعضهم الى بعض فقالت ما لكم ان فيها لمثاقيل ذر كثير وكانوا يكرهون رد السائل اذ كان من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ما سأله احد شيئا فقال لا لكنه ان لم يقدر عليه سكت وفي الخبر يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعني المفصل وفي جسد الانسان ثلثمائة وستون مفصلا فامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تأتي على ذلك كله او تجمع لك ذلك ه

بيان اختلاف الاوراد لاختلاف الاحوال اعلم ان المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة احوال فانه اما عابد واما عالم واما متعلم واما وال واما محترف واما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره **الاول** العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له اصلا غيرها ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب اوراده ما قد ذكرناه نعم لا يبعد ان يختلف وظائفه بان يستغرق اكثر الوقت اما في الصلوة او في القراءة او في التسبيحات فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثنى عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلثون الفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة الى ستمائة والى الف ركعة واقل ما نقل في اورادهم من الصلوة مائة ركعة في اليوم والليلة وكان بعضهم اكثر ورده القرآن فكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة وروي مرتين عن بعضهم وكان بعضهم

يقضي اليوم والليلة في التفكر في آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة وكان يطوف في كل يوم سبعين اسبوعا وفي كل ليلة سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ **فان قلت** فما الاولى ان يصرف اليه اكثر الاوقات من هذه الاوراد **فاعلم** ان قراءة القرآن في الصلوة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما يعسر المواظبة عليه فالافضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله وايناسه به فلينظر المريد الى قلبه فما يراه اشد تأثيرا فيه فليواظب عليه فاذا احس بملالة منه فلينتقل الى غيره ولذلك يرى الاصوب لاكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات كما سبق والانتقال من نوع منها الى نوع لان الملال هو الغالب على الطبع واحوال الشخص الواحد ايضا في ذلك تختلف ولكن اذا فهم فقه الاوراد وسرها فليتبع المعنى فان سمع تسبيحة مثلا واحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها ما دام يجد لها وقعا وقد روي عن ابراهيم بن ادهم عن بعض الابدال انه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير احدا فقال من انت اسمع صوتك ولا ارى شخصك فقال انا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر اسبح الله بهذا التسبيح منذ خلقت قلت فما اسمك قال مهلهيائيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له والتسبيح قوله سبحان الله العلي الديان سبحان الله الشديد الاركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار سبحان من لا يشغله شأن عن شأن سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح في كل مكان فهذا وامثاله اذا سمعه المريد ووجد في قلبه له وقعا فليلازمه واياما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه **الثاني** العالم الذي ينفع الناس بعلمه في فتوى او تدريس او تصنيف فترتيبه للاوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج الى المطالعة للكتب والى التصنيف والافادة ويحتاج الى مدة لها لا محالة فان امكنه استغراق الاوقات فيه فهو افضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعليم والعلم في كتاب العلم وكيف لا وفي العلم المواظبة على ذكر الله وتأمل ما قال الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الآخرة ورب مسألة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعا وانما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويزهدهم في الدنيا والعلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة اذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق والاولى بالعالم ان يقسم اوقاته ايضا فان استغراق الاوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغي ان يخصص ما بعد الصبح الى طلوع الشمس بالاذكار والاوراد كما ذكرناه في الورد الاول وبعد الطلوع الى الضحوة في الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لاجل الآخرة وان لم يكن فيصرفه الى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن

للمشكلات ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركه الا في وقت اكل وطهارة و
مكتوبة وقيلولة خفيفة ان طال النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين
يديه من تفسير او حديث او علم نافع ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل بالاستغفار والتسبيح فيكون
ورده الاول قبل طلوع الشمس في عمل اللسان وورده الثاني في عمل القلب بالفكر الى الضحوة وورده
الثالث الى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتب وورده الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروح ح
فيه العين واليد فان المطالعة والكتابة بعد العصر ربما اضرت بالعين وعند الاصفرار يعود الى ذكر
اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع واما بالليل
فاحسن قسمة فيه قسمة الشافعي رحمه الله اذ كان يقسم الليل ثلاثة اجزاء ثلث للمطالعة وترتيب العلم
وهو الاول وثلث للصلوة وهو الوسط وثلث للنوم وهو الاخير وهذا يتيسر في ليالي
الشتاء فاما الصيف فربما لا يحتمل ذلك الا اذا اكثر النوم بالنهار فهذا ما نستحبه من
ترتيب اوراد العالم **الثالث** المتعلم والاشتغال بالتعلم افضل من الاشتغال بالاذكار
والنوافل فحكمه حكم العالم في ترتيب الاوراد لكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم
بالافادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف وترتيب اوقاته كما ذكرناه وكل ما
ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على ان ذلك افضل بل ان لم يكن متعلما على معنى
انه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والعلم والوعظ افضل
من اشتغاله بالاوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الاوقات ففي حديث ابي
ان حضور مجلس ذكر افضل من صلوة الف ركعة وشهود الف جنازة وعيادة الف مريض
وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل يا رسول الله وما رياض الجنة
قال مجالس الذكر وقال كعب الاحبار لو ان ثواب المجالس بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك
كل ذي امارة امارته وكل ذي سوق سوقه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الرجل ليخرج
من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العلم خاف واسترجع على ذنوبه
انصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجلس العلماء فان الله عز وجل لم يخلق على وجه
الارض تربة اكرم من مجالس العلماء وقال رجل للحسن اشكو اليك قساوة قلبي فقال
ادنه من مجالس الذكر ورأى عمار الراهب مسكينة الطفاوية في المنام وكانت من المواظبات
على حلق الذكر فقال مرحبا يا مسكينة فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى
فقال هيه فقالت ما تسأل عمن ابيح لها الجنة بحذافيرها قال وبم ذاك قالت بمجالسة الذكر و
على الجملة فما يحل عن القلب من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة اشرف
وانفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا **الرابع** المحترف الذي يحتاج الى
الكسب لعياله فليس له ان يضيع العيال ويستغرق الاوقات في العبادات بل ورده في
وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي ان لا ينسى الله في صناعته
فيواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن فان ذلك يمكن ان يجمع الى العمل وانما

لا يتيسر مع العمل الصلوة الا ان يكون تطوعا فانه لا يعجز عن اقامة اوراد الصلوة مع ذلك
ثم مهما فرغ من كفايته ينبغي ان يعود الى ترتيب الاوراد وان داوم على الكسب وتصدق بما
فضل عن حاجته فهو افضل من سائر الاوراد التي ذكرناها لان العبادة المتعدية فائدتها انفع
من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه تقربه الى الله ثم تحصل به فائدة
للغير وتجذب اليه بركة دعوات المسلمين فيتضاعف به الاجر **الخامس** الوالي مثل الامام
والقاضي والمتولي للنظر في امور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين واغراضهم على وفق الشرع
وقصد الاخلاص افضل من الاوراد المذكورة فحقه ان يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر
على المكتوبة ويقيم الاوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضي الله عنه يفعله اذ قال ما لي وللنوم لو
نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسي وقد فهمت بما ذكرناه انه يقدم
على العبادات البدنية امران احدهما العلم والاخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد من العلم وفعل
المعروف عمل في نفسه وعبادة ويفضل سائر العبادات بتعدي فائدته وانتشار جدواه
فكانا مقدمين عليه **السادس** الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذي اصبح وهمومه هم واحد
فلا يحب الا الله ولا يخاف الا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء الا ويرى الله فيه فمن ارتفعت
رتبته الى هذه الدرجة لم يفتقر الى تنويع الاوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو
حضور القلب مع الله في كل حال فلا يخطر بقلبهم امر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لابصارهم
لائح الا كان لهم فيه عبرة وفكرة ومزيد فلا محرك لهم ولا مسكن الا الله فهؤلاء جميع احوالهم يصلح ان
يكون سببا لازديادهم فلا يتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا الى الله كما قال الله تعالى
لعلكم تذكرون ففروا الى الله وتحقق فيهم قوله تع واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف
ينشر لكم ربكم من رحمته واليه الاشارة بقوله اني ذاهب الى ربي سيهدين وهذه منتهى درجات
الصديقين ولا وصول اليها الا بعد ترتيب الاوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا فلا ينبغي
ان يغتر المريد بما يسمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف عباداته فذلك علامته ان لا
يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر بقلبه معصية ولا يزعجه هواجم الاهوال ولا يستفزه عظائم الاشغال
وانى يرزق هذه الرتبة كل احد فيتعين على الكافة ترتيب الاوراد كما ذكرناه وجميع ما ذكرناه طرق
الى الله تع قال الله تع قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا وكلهم مهتدون
وبعضهم اهدى وفي الخبر الايمان ثلاث وثلثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله تع بالشهادة على
طريقة منها دخل الجنة وقال بعض العلماء الايمان ثلثمائة وثلثة عشر خلقا بعدد الانبياء فكل
مومن هو على خلق منها فهو سالك للطريق الى الله فاذن الناس وان اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم
على الصراط المستقيم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب وانما يتفاوتون في درجات
القرب لا في اصله واقربهم الى الله اعرفهم به واعرفهم به لا بد وان يكون اعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره و
الاصل في الاوراد في حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد منه تغيير صفات الباطن و
آحاد الاعمال يقل آثارها بل لا يحس باثارها وانما يترتب الاثر على المجموع فاذا لم يعقب العمل الواحد

اثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحى اثر الاول وكان كالفقيه لا يصير فقيه النفس
الا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهرا او اسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا
فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لاثر فيه ولهذا السر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احب الاعمال الى الله ادومها وان قل وسئلت عايشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا اثبته ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عوده الله عبادة
فتركها ملالة مقته الله وهذا كان السبب في صلوته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين
شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كيلا يقتدى به
دون عايشة وام سلمة **فان قلت** فهل لغيره ان يقتدي به في ذلك مع ان الوقت وقت
كراهية **فاعلم** ان المعاني الثلاثة التي ذكرناها في الكراهية من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس
والسجود وقت ظهور قرن الشيطان والاستراحة عن العبادة حذرا عن الملال لا يتحقق في حقه
فلا يقاس عليه في ذلك غيره ويشهد لذلك فعله في المنزل حتى لا يقتدى به **الباب الثاني في**
الاسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب احياؤها وفي فضيلة احياء الليل وفي
ما بين العشائين وكيفية قسم الليل **فضيلة ما بين العشائين** قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما روت
عايشة رضي الله عنها ان افضل الصلوات عند الله صلوة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها
صلوة الليل وختم بها صلوة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة
قال الراوي لا ادري من ذهب او فضة ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين
او قال اربعين سنة وروت ام سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى
ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة او كانه صلى ليلة القدر وعن سعيد بن جبير
عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في
مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلوة او قرآن كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل
قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه اهل الدنيا لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم
من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة فقال عمر اذن يكثر قصورنا يا رسول الله
فقال الله اكبر وافضل او قال اطيب وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
المغرب في جماعة ثم يصلي بعدها ركعتين ولا يتكلم بشيء فيما بين ذلك من امر الدنيا ويقرأ في الركعة الاولى
بفاتحة الكتاب وعشر آيات من اول البقرة وآيتين من وسطها والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن
الرحيم ان في خلق السموات والارض واختلاف الى آخر الآية وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ثم
يركع ويسجد فاذا قام في الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها الى قوله اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون وثلاث آيات من آخر البقرة من قوله لله ما في السموات وما في
الارض الى آخرها وقل هو الله احد خمس عشرة مرة ووصف من ثوابه في الحديث ما يخرج عن الحصر وقال
كرز بن وبرة وهو من الابدال قلت للخضر علمني شيئا اعمله في ليلي فقال اذا صليت المغرب فقم الى
وقت صلوة العشاء مصليا من غير ان تكلم احدا واقبل على صلوتك التي انت فيها وسلم في كل

ركعتين واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله احد ثلثا فاذا فرغت من صلوتك
فانصرف الى منزلك ولا تكلم احدا وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله احد سبع مرات
في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع راسك من السجود واستو
جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا اله الاولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة
ورحيمهما يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وانت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم
حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي صلى الله عليه وسلم وادم الصلوة عليه حتى
يذهب بك النوم فقلت له احب ان تعلمني ممن سمعت هذا فقال اني حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم
حيث علم هذا الدعاء واوحي اليه به وكنت عنده وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه اياه ويقال
ان من هذا الدعاء وهذه الصلوة من داوم عليهما بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في منامه قبل ان يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى انه ادخل الجنة ورأى فيها الانبياء ورأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه وعلى الجملة ما ورد في فضل احياء ما بين العشائين كثير حتى قيل لعبيد
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بصلوة غير المكتوبة قال ما بين المغرب
والعشاء وقال صلى الله عليه وسلم من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلوة الاوابين وقال الاسود
ما اتيت ابن مسعود في هذا الوقت الا ورأيته يصلي فسألته فقال نعم هي ساعة الغفلة وكان انس يواظب
عليها ويقول هي ناشئة الليل ويقول فيه نزل قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال احمد بن ابي الحواري
قلت لابي سليمان الداراني اصوم النهار واتعشى بين المغرب والعشاء احب اليك او افطر بالنهار واحيي
ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت ان لم يتيسر فقال افطر وصل ما بينهما **فضيلة قيام الليل**
اما من الآيات فقوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه الآية وقوله ان ناشئة
الليل هي اشد وطأ وقوله تتجافى جنوبهم وقوله امن هو قانت آناء الليل الآية وقوله والذين يبيتون لربهم
سجدا وقياما وقوله واستعينوا بالصبر والصلوة قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة
النفس ومن الاخبار قوله صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية احدكم اذا هو نام ثلاث عقد
يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله عز وجل انحلت عقدة فان
توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان
وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الآخر خير له من الدنيا وما فيها ولولا
ان اشق على امتي لفرضتهما عليهم وفي الخبر انه ذكر عنده رجل نام كل الليل حتى اصبح فقال ذاك بال
الشيطان في اذنه وفي الخبر ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا اسعط العبد ساء خلقه
واذا العقه ذرب لسانه بالشر واذا ذره نام الليل كله حتى يصبح وقال المغيرة بن شعبة قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه فقيل يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما
تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا ويظهر من معناه ان ذلك كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر
سبب المزيد قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة اتريد ان تكون

رحمة الله عليك حيًّا ومقبورًا ومبعوثًا قم من الليل فصلّ وانت تريد رضى ربك يا ابا هريرة صلّ
في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند اهل الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم
عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله عز وجل وتكفير للذنوب
مطردة للداء عن الجسد منهاة عن الاثم وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يكون له صلوة بالليل
يغلبه عليها نوم الا كتب الله له اجر صلوته وكان نومه صدقة عليه وقال عليه السلام لابي ذر لو اردت
سفرًا اعددت له عدة فكيف سفر طريق القيمة الا انبئك يا ابا ذر ما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بابي
انت وامي قال صم يومًا شديد الحر ليوم النشور وصلّ ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور و
حج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين او كلمة حق تقولها او كلمة شر تسكت عنها وروي
انه كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم رجل اذا اخذت الناس مضاجعهم وهدأت العيون
قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول يا رب النار اجرني منها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
اذا كان ذلك فآذنوني فاتاه فاستمع فلما اصبح قال يا فلان هلا سألت الجنة فقال يا رسول الله
اني لست هناك ولا يبلغ عملي ذلك فلم يلبث الا يسيرًا حتى نزل جبرئيل وقال اخبر فلانًا ان الله قد
اجاره من النار وادخله الجنة • ويروى ان جبرئيل قال للنبي صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ابن عمر لو كان
يصلي بالليل فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وكان يداوم بعده على قيام الليل قال نافع كان
يصلي بالليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعود لصلوته ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول نعم فيقعد
يستغفر الله حتى يطلع الفجر وقال علي بن ابي الحرث شبع يحيى بن زكريا من خبز شعير فنام عن
ورده حتى اصبح فاوحى الله اليه يا يحيى اوجدت دارًا خيرًا لك من داري ام وجدت جوارًا خيرًا لك
من جواري فوعزتي يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقًا
ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد
المسوح وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانًا يصلي بالليل فاذا اصبح سرق فقال سينهاه ما
يفعل وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرءًا قام من الليل فصلى ثم ايقظ زوجته فصلت فان ابت
نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم ايقظت زوجها فصلى فان ابى نضحت
في وجهه الماء وقال عليه السلام من استيقظ من الليل وايقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من
الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات وقال عليه السلام افضل الصلوة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر قال
النبي عليه السلام من نام عن ورده او عن شيء منه بالليل فقرأه بين صلوة الفجر والظهر كتب له كانما قرأه
من الليل الاثار يروى ان عمر رضي الله عنه كان يمر بالآية في ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها
اياما كثيرة كما يعاد المريض وكان ابن مسعود اذا هدأت العيون قام فيسمع له دوي كدوي
النحل حتى يصبح ويقال ان سفين الثوري شبع ليلة فقال ان الحمار اذا زيد في علفه زيد في عمله
فقام تلك الليلة حتى اصبح وكان طاوس اذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب
ويصلي الى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين وقال الحسن ما نعلم عملًا اشد من مكابدة الليل و
نفقة المال وقيل له ما بال المتهجدين احسن الناس وجوهًا فقال انهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورًا

من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراشه فنام عليه حتى فاته ورده فحلف ان لا ينام
بعدها على فراش ابدًا وكان عبد العزيز بن ابي رواد اذا جن عليه الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول
انك للين والله ان في الجنة الين منك ولا يزال يصلي الليل كله وقال الفضيل اني لاستقبل الليل من
اوله فيهولني طوله فافتتح القرآن فاصبح وما قضيت نهمتي وقال الحسن ان الرجل ليذنب الذنب
فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم
وقد كثرت خطيئتك • وكان صلة بن اشيم يصلي الليل كله فاذا كان في السحر قال الهي ليس مثلي يطلب
الجنة ولكن اجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء اني لاضعف عن قيام الليل فقال
يا اخي لا تعص الله بالنهار ولا تقم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما
كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا اهل الدار الصلوة الصلوة فقالوا اصبحنا اطلع الفجر فقالت
وما تصلون الا المكتوبة فقالوا لا فرجعت الى الحسن فقالت يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون
بالليل رُدّني فردها وقال الربيع بت في منزل الشافعي رحمه الله ليالي كثيرة فلم يكن ينام
من الليل الا يسيرًا وقال ابو الجويرية لقد صحبت ابا حنيفة ستة اشهر فما فيها ليلة وضع جنبه
وكان ابو حنيفة رحمه الله يحيي نصف الليل فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيي الليل كله فقال اني لاوصف
بما لا افعل فكان بعد ذلك يحيي الليل كله ويروى انه ما كان له فراش بالليل ويقال ان مالك
بن دينار قام يردد هذه الآية ليلته حتى الصباح ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار فتوضأ
بعد العشاء ثم قام الى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك
على النار الهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فاي الرجلين مالك واي الدارين دار مالك
فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي ونمت فاذا انا
في المنام بجارية كاحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي احسن تقرأ فقلت نعم فدفعت الي الرقعة
فاذا فيها • الهتك اللذائذ والاماني • عن البيض الاوانس في الجنان • تعيش مخلدًا لا موت فيها
وتلهو في الجنان مع الحسان • تنبه من منامك ان خيرًا من النوم التهجد بالقران • وقيل ما حج
مسروق فما بات الا ساجدًا • ويروى عن ازهر بن مغيث وكان من القوامين انه قال رأيت في
المنام امرأة لا تشبه نساء اهل الدنيا فقلت لها من انت فقالت حوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت
اخطبني الى سيدي وامهرني فقلت وما مهرك فقالت طول التهجد وقال يوسف بن مهران
بلغني ان تحت العرش ملكًا في صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصيصيته من زبرجد اخضر فاذا مضى
ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا
وقال ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلثا الليل ضرب وقال ليقم المصلون فاذا طلع الصبح ضرب وقال
ليقم الغافلون وعليهم اوزارهم ويقال ان وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه الى الارض ثلثين سنة
وكان يقول لان ارى في بيتي شيطانًا احب الي من ان ارى وسادة لانها تدعو الى النوم وكانت له
مسورة من ادم اذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع الى القيام وقال

بعضهم رايت رب العزة في النوم فسمعته يقول وعزتي وجلالي لاكرمن مثوى سليمن التيمي فانه صلى الغداة بوضوء
العشاء الآخرة اربعين سنة ويقال كان مذهبه ان النوم اذا خامر القلب بطل الوضوء ويروى
عن اسمع انه قال ان عبدي الذي هو عبدي حقا الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديك **بيان**
الاسباب التي بها يتيسر قيام الليل اعلم ان قيام الليل عسير على الخلق الا على من وفق للقيام بشروطه
الميسرة له ظاهرا وباطنا فاما الظاهر فاربعة امور الاول ان لا يكثر الاكل فيكثر الشرب
فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر المريدين لا تاكلوا
كثيرا فتشربوا كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الاصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن
ثقل الطعام الثاني ان لا يتعب نفسه بالنهار في الاعمال التي تعيى بها الجوارح وتضعف بها الاعصاب
فان ذلك ايضا مجلبة للنوم الثالث ان لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة للاستعانة على القيام
بالليل الرابع ان لا يحتقب الاوزار بالنهار فان ذلك يقسي القلب ويحول بينه وبين اسباب
الرحمة قال رجل للحسن يا با سعيد اني ابيت معافى واحب قيام الليل واعد طهوري فما بالي لا
اقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول اظن ليل هؤلاء
ليل سوء فانهم ما يقيلون وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وما
ذلك الذنب قال رايت رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة
وهو يبكي فقلت اتاك نعي بعض اهلك فقال اشد فقلت وجع يؤلمك قال اشد قلت فما ذاك قال
بابي مغلق وستري مسبل ولم اقرا حزبي البارحة وما ذاك الا بذنب احدثته وهذا لان الخير
يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير ولذلك قال ابو سليمن
الداراني رحمه الله لا يفوت احدا صلوة جماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة
البعد وقال بعض العلماء اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى اي شيء تفطر فان
العبد ليأكل اكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حالته الاولى فالذنوب كلها تورث قساوة
القلب وتمنع من قيام الليل واخصها بالتاثير تناول الحرام ويؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب و
تحريكه الى الخير ما لا يؤثر غيرها ويعرف ذلك اهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك
قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل
اكلة او يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذا الفحشاء
تنهى عن الصلوة وسائر الخيرات وقال بعض السجانين بدينور بقيت سجانا نيفا وثلثين سنة
اسال عن كل ماخوذ بالليل انه هل صلى العشاء في جماعة وكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على ان بركة الجماعة
تمنع من تعاطي الفحشاء والمنكر واما الميسرات الباطنة فاربعة الاول سلامة القلب
عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام
وان قام فلا يتفكر في صلوته الا في مهماته ولا يجول الا في وساوسه وفي مثل ذلك يقال وانت
اذا استيقظت ايضا فنائم الثاني خوف غالب يلزم القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر في
اهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابد

وكما حكي ان غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته ان قيامك بالليل
يضر بعملك بالنهار فقال ان صهيبا اذا ذكر النار لا ياتيه النوم وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل
الليل فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فما اقدر ان انام وقال
ذو النون المصري في ذلك منع القران بوعده ووعيده مقل العيون بليلها ان تهجعا
وانشدوا يا طويل الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الحسرات ان في القبر ان نزلت اليه
لرقادا يطول بعد الممات ومهادا ممهدا لك فيه بذنوب عملت او حسنات
أأمنت البيات من ملك الموت وكم نال آمنا ببيات الثالث ان يعرف فضل قيام
الليل بسماع هذه الآيات والاخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق
لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان كما حكي ان بعض الصالحين رجع من غزوته وكانت امراته
تنتظر فراشه تلك الليلة فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى اصبح فقالت زوجته كنا ننتظرك مدة
فلما قدمت صليت الى الصبح قال والله اني كنت اتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت
الزوجة والمنزل فقمت طول ليلي شوقا اليها الرابع وهو اشرف البواعث الحب لله وقوة
الايمان بانه في قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر
بقلبه وان تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فاذا احب الله احب لا محالة الخلوة به وتلذذ
بالمناجاة للحبيب على طول القيام ولا ينبغي ان يستبعد هذه اللذة اذ يشهد لها العقل والنقل
واما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله او لملك بسبب انعامه وامواله انه
كيف يتلذذ بالخلوة به ومناجاته حتى لا ياتيه النوم طول ليله فان قلت ان الجميل يتلذذ
بالنظر اليه وان الله لا يرى فاعلم انه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر او كان في بيت مظلم لكان
المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع في امر آخر سواه وكان يتنعم باظهار
حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه وان كان ذلك ايضا معلوما عنده فان قلت انه ينتظر جوابه
فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله فاعلم انه وان كان يعلم انه لا يجيبه ويسكت عنه فقد
بقيت له لذة في عرض احواله عليه ورفع سريرته اليه كيف والموقن يسمع من الله كل ما يرد على خاطره
في اثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ
به في رجاء انعامه والرجاء في حق الله اصدق وما عند الله ابقى وانفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ
بعرض الحاجات عليه في الخلوات واما النقل فيشهد له احوال قوام الليل في تلذذهم
بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف انت
والليل قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تاملته بعد وقال آخر انا والليل
فرسا رهان مرة يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال
ساعة انا فيها بين حالين افرح بظلمته اذا جاء واغتم بفجره اذا طلع ما تم فرحي به قط وقال
علي بن بكار منذ اربعين سنة ما احزنني شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض اذا
غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي واذا طلعت حزنت لدخول الناس علي وقال

ابو سليمن اهل الليل في ليلهم الذ من اهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء في الدنيا و
قال ايضا لو عوض الله اهل الليل من ثواب اعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك اكثر اعمالهم و
قال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق في قلوبهم بالليل
من حلاوة المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة ليست من الدنيا انما هي من الجنة اظهرها
الله لاوليائه لا يجدها سواهم وقال ابن المنكدر ما بقي من لذات الدنيا الا ثلاث قيام الليل
ولقاء الاخوان والصلوة في جماعة وقال بعض العارفين ان الله ينظر بالاسحار الى قلوب
المتيقظين فيملاها نورا فترد الفوايد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم الفوايد الى قلوب
الغافلين وقال بعض العلماء من القدماء ان الله تع اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا
من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون
الي وانظر اليهم فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم
قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى
اوكارها فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا
لي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوني بانعامي فبين صارخ وباك ومتاوه وشاك بعيني
ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم
فيخبرون عني كما اخبر عنهم والثانية لو كانت السموات السبع والارضون وما فيهما في موازينهم
لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهي عليهم فترى من اقبلت بوجهي عليه يعلم احد ما اريد
ان اعطيه وقال مالك بن دينار اذا كان العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار قال
وكانوا يرون ما يجدون في قلوبهم من الرقة والحلاوة والانوار من قرب الرب من القلب وهذا
له سر وتحقيق سياتي الاشارة اليه في كتاب المحبة وفي الاخبار عن الله سبحانه اي عبدي انا الله
الذي اقتربت لقلبك وبالغيب رايت نوري وشكا بعض المريدين الى استاذه طول سهر
الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال استاذه يا بني ان لله نفحات في الليل والنهار تصيب
القلوب المتيقظة وتخطي القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال يا استاذ تركتني لا انام بالليل
ولا بالنهار واعلم ان هذه النفحات بالليل ادجى لها في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل
وفي الخبر الصحيح عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال
الله خيرا الا اعطاه اياه وفي رواية اخرى يسال الله خيرا من امر الدنيا والاخرة الا اعطاه اياه وذلك
كل ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كليلة القدر في رمضان وكساعة يوم
الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة **بيان طريق القسمة لاجزاء الليل** اعلم ان احياء
الليل من حيث المقدار له سبع مراتب **المرتبة الاولى** احياء كل الليلة وهذا شان الاقوياء الذين
تجردوا لعبادة الله وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحيوة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام
وردوا المنام الى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون
الصبح بوضوء العشاء حكى ابو طالب المكي ان ذلك حكي على سبيل التواتر والاشتهار عن اربعين

من التابعين وكان فيهم من واظب عليه اربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان
بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه
اليمانيان والربيع بن خثيم والحكم الكوفيان وابو سليمن الداراني وعلي بن بكار الشاميان
وابو عبد الله الخواص وابو عاصم العبادانيان وحبيب ابو محمد وابو جابر السلماني الفارسيان
ومالك بن دينار وسليمن التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن ابي ثابت ويحيى البكاء البصريون و
كهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقراه مرة اخرى وايضا من
اهل المدينة ابو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم **المرتبة الثانية** ان يقوم نصف
الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف واحسن طريق فيه ان ينام الثلث الاول من
الليل والسدس الاخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الافضل **المرتبة الثالثة** ان
يقوم ثلث الليل فينبغي ان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم اخر الليل محبوب لانه
يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام اكثر الليل
ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه وقالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اوتر من اخر الليل فان كانت له حاجة الى اهله دنا منهن والا اضطجع في مصلاه
حتى ياتيه بلال فيوذنه بالصلوة وقالت ايضا ما الفيته السحر الا عندي نائما حتى قال بعض
السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم ابو هريرة وكان نوم هذا الوقت سبب المكاشفة و
المشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لارباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الاول من اوراد
النهار وقيام ثلث الليل من النصف الاخير ونوم السدس الاخير قيام داود عليه السلم **المرتبة الرابعة**
ان يقوم سدس الليل او خمسه وافضله ان يكون في النصف الاخير وقبل السدس الاخير منه **الخامسة**
ان لا يراعي التقدير فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى اليه او لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه
ويوقظه ثم ربما يضطرب ذلك في ليالي الغيم ولكنه يقوم من اول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا
غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل واشد الاعمال وافضلها
وقد كان هذا من اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طريقة ابن عمر واولي العزم من الصحابة وجماعة من
التابعين وكان بعض السلف يقول هي اول نومة فان انتبهت ثم عدت الى النوم فلا انام الله عيني
فاما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم من
نصف الليل او ثلثه او ثلثيه او سدسه يختلف ذلك في الليالي ودل عليه قوله تع في الموضعين من سورة
المزمل فقوله تع ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فادنى من ثلثي الليل كانه نصفه
ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع
وان نصب كان نصف الليل وثلثه وقد قالت عايشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم
اذا سمع الصارخ يعني الديك وهذا يكون السدس فما دونه وروي عن واقد انه قال رايت صلوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر ليلا فقام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا
ما خلقت هذا باطلا حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك وتوضا و

صلى حتى قلت صلى مثل ما نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ ففعل كذلك قال اول مرة وفعل ما فعل اول مرة **السادسة** وهي الاقل ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين او يتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبلا للقبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الاثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذه طرق القسمة فليتخير المريد لنفسه ما يراه ايسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي ان يهمل احياء ما بين العشائين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ويقوم بطرفي الليل وهذه هي الرتبة السابعة ومهما كان النظر الى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره واما في الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما الى القدر فليس يجري امرهما في التقدم والتاخر على الترتيب المذكور اذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة ولوم

بيان الليالي والايام الفاضلة اعلم ان الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي تاكد فيها استحباب الاحياء في السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغي ان يغفل المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الاوقات لم ينجح فستة من هذه الليالي في شهر رمضان خمسة هي في اوتار العشر الاخير اذ فيها يطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير هي ليلة القدر واما التسع الاخر فاول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء واول ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وفيها صلوة ماثورة فقد قال صلى الله عليه وسلم للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى فيها اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن يتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ويدعو لنفسه ما شاء من امر دنياه وآخرته ويصبح صائما فان الله يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو في معصية واما ليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركون ذلك كما اوردناه في صلوة التطوع وليلة عرفة وليلتا العيدين قال صلى الله عليه وسلم من احيى ليلتي العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب **واما** الايام الفاضلة فهي تسعة عشر يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وفيه كانت وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوما العيدين والايام المعلومات وهي عشر من ذي الحجة والايام المعدودات وهي ايام التشريق وقد روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض العلماء من اخذ مهناه في الايام الخمسة في الدنيا لم ينل مهناه في الآخرة واراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء ومن فواضل الايام في الاسبوع الخميس والاثنين ترفع فيهما الاعمال الى الله تعالى وقد ذكرنا فضائل الاشهر والايام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة الى الاعادة وهذا آخر كتاب الاوراد وبه تم الربع الاول من كتاب احياء علوم الدين والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله الطيبين الطاهرين اجمعين

كتاب آداب الاكل وهو الكتاب الاول من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي احسن تدبير الكائنات فخلق الارض والسموات وانزل الماء الفرات من المعصرات فانبت الحب والنبات وقدر الارزاق والاقوات وحفظ بالماكولات قوى الحيوانات واعان على الطاعات والاعمال الصالحات باكل الطيبات والصلوة على محمد ذي المعجزات الباهرات وعلى آله واصحابه صلوة تتوالى على ممر الاوقات وتتضاعف بتعاقب الساعات وسلم كثيرا

اما بعد فان مقصد ذوي الالباب لقاء الله سبحانه في دار الثواب ولا طريق للوصول الى اللقاء الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة عليهما الا بسلامة البدن ولا تصفو سلامة البدن الا بالاطعمة والاقوات والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الاوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين ان الاكل من الدين وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو اصدق القائلين كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن يقدم على الاكل ليستعين به على العلم والعمل ويتقوى به على التقوى فلا ينبغي ان يترك نفسه مهملا سدى يسترسل في الاكل استرسال البهائم في المرعى فان ما هو ذريعة الى الدين ووسيلة اليه ينبغي ان يظهر انوار الدين عليه وانما انوار الدين آدابه وسننه التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقي بلجامها حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام في اقدامها واحجامها فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للاجر وان كان فيها اوفى حظ للنفس قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليوجر حتى في اللقمة يرفعها الى فيه والى في امراته وانما ذلك اذا رفعها بالدين وللدين مراعيا فيه آدابه ووظائفه وها نحن نرشد الى وظائف الدين في الاكل فرائضها وسننها وآدابها ومروآتها وهيآتها في اربعة ابواب وفصل في آخرها **الباب الاول** فيما لا بد للاكل من مراعاته وان انفرد بالاكل **الباب الثاني** فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الاكل **الباب الثالث** فيما يختص بتقديم الطعام الى الاخوان الزائرين **الباب الرابع** فيما يختص بالدعوة والضيافة واسبابها

الباب الاول فيما لا بد للمنفرد منه وهو ثلاثة اقسام قسم قبل الاكل وقسم مع الاكل وقسم بعد الفراغ منه

القسم الاول في الآداب التي تتقدم على الاكل وهي سبعة **الاول** ان يكون الطعام بعد كونه حلالا في نفسه طيبا في جهة مكسبه موافقا للسنة والورع لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع ولا بحكم هوى ومداهنة في دين على ما سياتي في معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام وقد امر الله تعالى باكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الاكل بالباطل على القتل تفخيما لامر الحرام وتعظيما لبركة الحلال فقال تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الآية فالاصل في الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض واصول الدين **الثاني** غسل اليد قال صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وفي رواية ينفي الفقر قبل الطعام وبعده ولان اليد لا تخلو عن لوث في تعاطي الاعمال فغسلها اقرب الى النظافة والنزاهة ولا

الاكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بان يقدم عليه ما يجري مجرى الطهارة من الصلوة الثاني
ان يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الارض فهو اقرب الى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه
على المائدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اصبح اتى بطعام وضعه على الارض فهذا اقرب الى
التواضع فان لم يكن فعلى السفرة فانه يذكر السفر ويتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته الى زاد التقوى
وقال انس ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة قيل فعلى ما ذا كنتم تاكلون قال
على السفر وقيل اربع احدثت بعد رسول الله صلعم الموائد والمناخل والاشنان والشبع واعلم
انا وان قلنا الاكل على السفرة اولى فلسنا نقول الاكل على المائدة منهي عنها نهي كراهة او تحريم اذ لم
يثبت فيه نهي وما يقال انه ابدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما ابدع منهيا عنه بل المنهي بدعة تضاد
سنة ثابتة وترفع امرا من الشرع مع بقاء علته بل الابداع قد يجب في بعض الاحوال اذا تغيرت الاسباب
وليس في المائدة الا رفع الطعام عن الارض لتيسير الاكل وامثال ذلك مما لا كراهة فيه والاربعة التي
جمعت في انها مبدعة ليست متساوية بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب
للنظافة والاشنان اتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لا يعتاد عندهم او لا يتيسر
او كانوا مشغولين بامور اهم من المبالغات في النظافة فقد كانوا لا يغسلون اليد ايضا وكان مناديلهم
اخمص اقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا واما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك
مباح ما لم ينته الى التنعم المفرط واما المائدة فتيسير الاكل وهو ايضا مباح واما الشبع فهو اشد
هذه الاربع فانه يدعو الى تهييج الشهوات وتحريك الادواء في البدن فلتدرك التفرقة بين هذه
المبدعات الرابع ان يحسن الجلسة على السفرة في اول جلوسه ويستديمها كذلك كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ربما جثى للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه وربما نصب رجله اليمنى وجلس
على اليسرى وكان يقول لا آكل متكئا انما انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد والشرب
متكئا مكروه للمعدة ايضا ويكره الاكل نائما ومتكئا الا ما يتنقل به من الحبوب وروي عن علي رضي الله
عنه انه اكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطحا على بطنه والعرب قد تفعله الخامس ان
ينوي باكله ان يتقوى به على طاعة الله ليكون مطيعا بالاكل ولا يقصد التلذذ والتنعم بالاكل
قال ابراهيم بن شيبان منذ ثمانين سنة ما اكلت شيئا بشهوتي ويعزم مع ذلك على تقليل الاكل فانه
اذا اكل لاجل قوة العبادة لم تصدق نيته الا باكل ما دون الشبع فان الشبع يمنع من العبادة ولا يقوي
عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وايثار القناعة على الاتساع قال صلى الله عليه وسلم ما ملأ
آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب
وثلث للنفس ومن ضرورة هذه النية ان لا يمد اليد الى الطعام الا وهو جائع فيكون الجوع احد
ما لا بد من تقديمه على الاكل ثم ينبغي ان يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب وسياتي
فائدة قلة الاكل وكيفية التدريج في التقليل منه في كتاب كسر شره الطعام من ربع المهلكات السادس
ان يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التنعم وطلب الزيادة وانتظار الادم
بل من كرامة الخبز ان لا ينتظر به الادم وقد ورد الامر باكرام الخبز فكل ما يديم الرمق ويقوي على العبادة

مؤخر كثير لا ينبغي ان يستعجل بل لا ينتظر بالخبز الصلوة وان حضر وقتها اذا كان في الوقت متسع قال
صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشاء والعشاء فابدءوا بالعشاء وكان ابن عمر ربما سمع قراءة الامام و
لا يقوم من عشائه ومهما كانت النفس لا تتوق الى الطعام ولم يكن في تاخير الطعام ضرر فالاولى
تقديم الصلوة فاما اذا حضر الطعام واقيمت الصلوة وكان في التاخير ما يبرد الطعام او يشوش
امره فتقديمه احب عند اتساع الوقت تاقت النفس ولم تتق لعموم الخبر ولان القلب لا يخلو
عن الالتفات الى الطعام الموضوع وان لم يكن الجوع غالبا السابع ان يجتهد في تكثير الايدي
على الطعام ولو من اهله وولده قال صلى الله عليه وسلم اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه وقال
انس كان عليه السلام لا ياكل وحده القسم الثاني في آداب حالة الاكل وهو ان يبدا ببسم الله
في اوله وبالحمد لله في آخره ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو احسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله ويقول
مع اللقمة الاولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ويجهر به ليذكر غيره
وياكل باليمين ويبدا بالملح ويختم به ويصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يبتلعها لم يمد اليد الى الاخرى
فان ذلك عجلة في الاكل ولا يذم ماكولا كان صلى الله عليه وسلم لا يعيب ماكولا كان ان اعجبه اكله والا
تركه وان ياكل مما يليه الا الفاكهة فان له ان يجيل يده قال صلى الله عليه وسلم كل مما يليك ثم كان يدور على
الفاكهة فقيل له في ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا وان لا ياكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام
بل ياكل من استدارة الرغيف الا اذا قل الخبز ولا يقطع بالسكين ولا يقطع اللحم ايضا فقد نهي عنه قال
انهسوه نهشا ولا يوضع على الخبز قصعة ولا غيرها الا ما يوكل به قال صلى الله عليه وسلم اكرموا الخبز فان
الله انزله من بركات السماء ولا يمسح يده بالخبز وقال عليه السلام اذا وقعت لقمة احدكم فلياخذها
وليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لا يدري
في اي طعامه البركة ولا ينفخ في طعامه الحار فهو منهي عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله وياكل من التمر وترا
سبعا او احدى عشرة او احدى وعشرين او ما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع بين
التمر والنوى في كفه بل يضعه من فيه على ظهر كفه ثم يلقيها وكذا ما له عجم وثفل وان لا يترك ما استرذله
من الطعام واطرحه في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فياكله وان لا يكثر الشرب
في اثناء الطعام الا اذا غص بلقمة او صدق عطشه فقد يقال ان ذلك مستحب في الطب وانه
دباغ المعدة واما الشرب فادبه ان ياخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصا لا عبا
قال صلى الله عليه وسلم مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا فان الكباد من العب ولا يشرب قائما ومضطجعا
فانه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائما وروي انه عليه السلام شرب قائما ولعله كان لعذر ويراعي
اسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشى في الكوز بل ينحيه عن فيه بالحمد ويرده
بالتسمية وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد الشرب الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله
ملحا اجاجا بذنوبنا والكوز يدار على قوم يدار يمنة شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا وابو بكر عن
شماله واعرابي عن يمينه وعمر ناحية فقال عمر اعط ابا بكر فناول الاعرابي وقال الايمن فالايمن
ويشرب ثلاثة انفاس يحمد الله في آخرها ويسمي الله في اوائلها ويقول في آخر النفس الاول الحمد لله وفي

الثاني يزيد رب العالمين وفي الثالثة يزيد الرحمن الرحيم فهذا قريب من عشرين أدبا في حالة الأكل والشرب دل عليه الآثار والأخبار **القسم الثالث** ما يستحب بعد الطعام وهو أن يمسك قبل الشبع ويلعق أصابعه ثم يمسحها بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الطعام قال عليه السلام من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده ويتخلل ولا يبتلع ما يخرج من بين أسنانه بالخلال إلا ما يجتمع من أصول أسنانه بلسانه أما المخرج بالخلال يرميه وليتمضمض بعد الخلال ففيه أثر عن أهل البيت وأن يلعق القصعة يقال من لعق القصعة وشرب ماءها كان له عتق رقبة وأن التقاط الفتات مهور الحور العين وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه قال الله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ومهما أكل حلالا قال الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتتنزل البركات اللهم أطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا وإن أكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك ويقرأ بعد الطعام قل هو الله أحد ولإيلاف قريش ولا يقوم من المائدة حتى ترفع أولا فإن أكل طعاما للغير فليدع له وليقل اللهم بارك له فيما رزقته ويسر له أن يفعل منه خيرا وقنعه بما أعطيته واجعلنا وإياه من الشاكرين وإن أفطر عند قوم فليقل أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبهة ليطفئ بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها بقوله صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به وليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويلهو وليقل إذا أكل لبنا اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه وإن أكل غيره قال اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه فذلك الدعاء مما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن لعموم نفعه ويستحب عقيب الطعام الحمد لله أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافيا من كل شيء ولا يكفي منه شيء أطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد آويت من يتم وهديت من ضلالة وأغنيت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه كما أنت أهله ومستحقه اللهم أطعمتنا طيبا فاستعملنا صالحا اجعله عونا لنا على طاعتك ونعوذ بك أن نستعين به على معاصيك **وأما** غسل اليد بالأشنان فيكفيه أن يجعل الأشنان على كفه الأيسر ويغسل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أولا ويضرب أصابعه على الأشنان اليابس فيمسح به شفتيه ثم يبالغ غسل الفم بإصبعه ويدلك ظاهر أسنانه وباطنها والحنك واللسان ثم يغسل أصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك ببقية الأشنان اليابس أصابعه ظهرا وبطنا ويستغني بذلك عن إعادة الأشنان إلى الفم وإعادة غسله **الباب الثاني فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الأكل** وهي ستة **الأول** أن لا يبتدئ بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن أو زيادة فضل إلا أن يكون هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغي أن لا يطول عليهم الانتظار إذا اشرأبوا للأكل واجتمعوا له **والثاني** أن لا يسكتوا على الطعام فإن ذلك من سير العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها **الثالث** أن يرفق برفيقه في القصعة فلا يقصد أن يأكل زيادة على ما يأكله فإن ذلك حرام إن لم يكن موافقا لرضى رفيقه مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي أن يقصد الإيثار ولا يأكل تمرتين في دفعة إلا إذا

فعلوا ذلك واستأذنهم فإن قلل رفيقه نشطه ورغبه في الأكل وقال له كل ولا يزيد في قوله كل على ثلاث مرات فإن ذلك الإلحاح وإفراط كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خوطب في شيء ثلثا لم يراجع بعد ثلاث وكان عليه السلام يكرر الكلام ثلثا فليس من الأدب الزيادة عليه فأما الحلف بالأكل فممنوع قال الحسن بن علي رضي الله عنهما الطعام أهون من أن يحلف عليه **الرابع** أن لا يحوج رفيقه إلى أن يقول له كل قال بعض الأدباء أحسن الآكلين أكلا من لا يحوج صاحبه إلى تفقده في الأكل وحمل عن أخيه مؤنة القول ولا ينبغي أن يدع شيئا مما يشتهيه لأجل نظر الغير إليه فإن ذلك تصنع بل يجري على المعتاد ولا ينقص من عادته في الوحدة ولكن يعود نفسه حسن الأدب في الوحدة حتى لا يحتاج إلى التصنع عند الاجتماع نعم لو قلل من أكله إيثارا لإخوانه ونظرا لهم عند الحاجة إلى ذلك فهو حسن وإن زاد في الأكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الأكل فلا بأس به بل هو حسن وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب إلى إخوانه ويقول من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهما وكان يعد النوى فيعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لكسر الحياء وزيادة النشاط في الانبساط وقال جعفر بن محمد أحب إخواني إلي أكثرهم أكلا وأعظمهم لقمة وأثقلهم علي من يحوجني إلى تفقده في الأكل كل هذا إشارة إلى الجري على المعتاد وترك التصنع وقال جعفر أيضا تتبين محبة الرجل لأخيه بجودة أكله في منزله **الخامس** أن غسل اليد في الطست لا بأس به وله أن يتنخم فيه إن أكل وحده وإن كان معه غيره فلا ينبغي أن يفعل ذلك وإذا قدم الطست إليه غيره إكراما فليقبله اجتمع أنس بن مالك وثابت البناني على طعام فقدم أنس الطست إليه فامتنع ثابت فقال أنس إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها فإنما يكرم الله عز وجل وروي أن هرون الرشيد دعا أبا معوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا أبا معوية تدري من صب عليك فقال لا قال صبه أمير المؤمنين فقال يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجللته فأجلك الله وأكرمك كما أجللت العلم وأهله ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة فهو أقرب إلى التواضع وأبعد عن طول الانتظار فإن لم يفعلوا فلا ينبغي أن يصب ماء كل واحد بل يجمع الماء في الطست قال صلى الله عليه وسلم اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم قيل إن المراد به هذا وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار لا يرفع طست من بين يدي القوم إلا مملوءا ولا تشبهوا بالعجم وقال ابن مسعود اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستنوا بسنة الأعاجم والخادم الذي يصب على اليد كره بعضهم أن يكون قائما والأحب أن يكون جالسا لأنه أقرب إلى التواضع وكره بعضهم جلوسه فروي أنه صبت على يد واحد خادم جالسا فقام المصبوب على يده فقيل له لم قمت فقال أحدنا لا بد وأن يكون قائما وهذا أولى لأنه أيسر للصب والغسل وأقرب إلى التواضع الذي يصب وإذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فإن العادة جارية بذلك ففي الطست إذن سبعة آداب أن لا يبزق فيه وأن يقدم به المتبوع وأن يقبل الإكرام بالتقديم وأن يداريه وأن يجمع فيه جماعة وأن يجمع فيه الماء وأن يكون الخادم قائما وأن يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى أصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه هكذا فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما في أول نزوله

عليه وقال لا يزعكار ايت عيني لخدمة الضيف فرض السادس ان لا ينظر الى اصحابه ولا
يراقب اكلهم فيستحيون بل يغض بصره ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون
الاكل بعده بل يمد اليد ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الى ان يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف
في الابتداء وقلل الاكل حتى اذا توسعوا في الطعام اكل معهم آخرا فقد فعل ذلك كثير من الصحابة
وان امتنع بسبب فليعتذر اليهم دفعا للخجلة عنهم والسابع ان لا يفعل ما يستقذره غيره فلا
ينفض يده في القصعة ولا يقدم راسه اليها عند وضع اللقمة في فيه واذا اخرج شيا من فيه صرف
وجهه عن الطعام واخذه بيساره ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة فقد يكرهه غيره
واللقمة التي قطعها بسنه لا يغمس بقيتها في المرقة والخل ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات ه

الباب الثالث في ادب تقديم الطعام الى الاخوان الزائرين تقديم الطعام الى
الاخوان له فضل كثير قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما اذا قعدتم مع الاخوان على المائدة فاطيلوا
الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من اعمالكم وقال الحسن كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه
وابويه فمن دونهم يحاسب عليها الا نفقة الرجل على اخوانه في الطعام فان الله يستحيي ان يساله عن
ذلك هذا مع ما ورد من الاخبار في الاطعام قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الملائكة تصلي على احدكم
ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع وروي عن بعض علماء خراسان انه كان يقدم الى اخوانه
طعاما كثيرا لا يقدرون على اكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الاخوان
اذا رفعوا ايديهم عن الطعام لم يحاسب العبد على ما ياكله مع اخوانه وكان بعضهم يكثر الاكل مع الجماعة
لذلك ويقلل اذا اكل وحده وفي الخبر ثلاث لا يحاسب عليها العبد اكلة السحور وما افطر عليه وما
اكله مع الاخوان وقال علي رضي الله عنه لان اجمع اخواني على صاع من الطعام احب الي من ان اعتق رقبة
وكان ابن عمر يقول من كرم المرء طيب زاده في سفره وبذله لاصحابه وكان الصحابة يقولون
الاجتماع على الطعام من مكارم الاخلاق وكانوا يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرقون
الا عن ذواق وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية مع الانس والالفة ليس هو من الدنيا وفي
الخبر يقول الله تعالى للعبد يوم القيمة يا ابن آدم جعت فلم تطعمني فيقول كيف اطعمك وانت رب العالمين
فيقول جاع اخوك المسلم فلم تطعمه ولو اطعمته كنت اطعمتني وقال عليه السلام اذا جاءكم الزائر
فاكرموه وقال عليه السلام ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها لمن
الان الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال عليه السلام خيركم من اطعم الطعام و
قال من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار بسبع خنادق ما بين
كل خندقين مسيرة خمسمائة عام واما آدابه فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام اما
الدخول فليس من السنة ان يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الاكل فان
ذلك من المفاجاة وقد نهي عنه قال الله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير
ناظرين اناه يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا واكل حراما
ولكن حق الداخل اذا لم يتربص واتفق ان صادفهم على الطعام ان لا ياكل ما لم يؤذن له فاذا

قيل له كل نظر فان علم انهم يقولون عن محبة لمساعدته فليساعد وان كانوا يقولون حياء منه فلا
ينبغي ان ياكل بل ينبغي ان يتعلل اما اذا كان جائعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه ولم يتربص وقت
اكله فلا باس به قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل ابي الهيثم بن التيهان
وابي ايوب الانصاري لاجل طعام ياكلونه وكانوا جياعا والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك
المسلم على حيازة ثواب الطعام وهي عادة السلف كان عون بن عبد الله المسعودي له ثلثمائة وستون
صديقا يدور عليهم في السنة ولآخر ثلثون يدور عليهم في الشهر ولآخر سبعة وكان اخوانهم معلومهم
وبدلا عن كسبهم وكان قيام اوليك بهم على قصد التبرك عبادة لهم فان دخل ولم يجد صاحب الدار
وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه اذا اكل من طعامه فله ان ياكل بغير اذنه اذ المراد من الاذن
الرضى لا سيما في الاطعمة وامرها على السعة فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فاكل
طعامه مكروه ورب غائب لم ياذن واكل طعامه محبوب وقد قال تعالى او صديقكم ودخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم دار بريرة واكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت
الصدقة محلها وذلك لعلمه بسرورها بذلك ولذلك يجوز ان يدخل الدار بغير استيذان اكتفاء
بعلمه بالاذن فان لم يعلم فلابد من الاستيذان اولا ثم الدخول وكان محمد بن واسع واصحابه يدخلون
منزل الحسن فياكلون ما يجدون بغير اذن وكان الحسن يدخل فيرى ذلك فيسر ويقول هكذا
كنا وروي عن الحسن رضي الله عنه انه كان قايما ياكل من متاع بقال ياخذ من هذه الجونة تينة و
من هذه فستقة فقال هشام ما بدا لك يا ابا سعيد من الورع تاكل متاع الرجل بغير اذنه فقال
يا لكع اتل علي آية الاكل فتلا الى قوله او صديقكم فقال فمن الصديق يا ابا سعيد فقال من استروحت
اليه النفس واطمان اليه القلب وجاء قوم الى منزل سفين الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب
انزلوا السفرة وجعلوا ياكلون فدخل الثوري فجعل يقول ذكرتموني اخلاق السلف هكذا كانوا
وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه
في المنزل فدخل فنظر الى قدر قد طبخها والى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله فقدمه الى اصحابه وقال
كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل له قد اخذه فلان فقال قد احسن فلما لقيه قال يا اخي
ان عادوا فعد فهذه آداب الدخول فاما آداب التقديم فترك التكلف اولا وتقديم ما حضر
فان لم يحضره شيء ولم يملك شيا فلا يستقرض لاجل ذلك فيشق على نفسه وان حضره ما هو محتاج
اليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغي ان يقدمه دخل بعضهم على زاهد وهو ياكل فقال
لولا اني اخذته بدين لاطعمتكم وقال بعض السلف في تفسير التكلف ان تطعم اخاك ما لا تاكله انت
بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس بالتكلف يدعو
احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه وقال بعضهم ما ابالي من اتاني من اخواني
فاني لا اتكلف له انما اقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته وقال بعضهم كنت
ادخل على اخ لي فيتكلف فقلت له انك لا تاكل وحدك هذا ولا انا فما بالنا اذا اجتمعنا اكلناه
اما ان تقطع هذا التكلف او اقطع المجيء فقطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه ومن التكلف

ان يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم روي ان رجلا دعا عليا كرم الله وجهه فقال
اجيبك على ثلاث شرايط لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بالعيال وكان بعضهم
يقدم من كل ما في بيته شيئا ولا يترك نوعا الا ويحضر شيئا منه وقال بعضهم دخلنا على جابر
بن عبد الله فقدم الينا خبزا وخلا وقال لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم قال بعضهم
اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر واذا استزرت فلا تبق ولا تذر وقال سلمان امرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وان نقدم اليه ما حضرنا وفي حديث
يونس النبي انه زاره اخوانه فقدم اليهم كسرا وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم قال كلوا لولا ان الله لعن
المتكلفين لتكلفت لكم وعن انس بن مالك وغيره من الصحابة انهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة
وحشف التمر ويقولون لا ندري ايهما اعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم اليه او الذي يحتقر ما عنده
ان يقدمه **الادب الثاني** وهو للزاير ان لا يقترح ولا يتحكم بشي بعينه فربما يشق على المزور احضاره
فان خيره اخوه بين طعامين فليتخير ايسرهما عليه كذلك السنة في الخبر انه ما خير رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين شيئين الا اختار ايسرهما وروى الاعمش عن ابي وايل انه قال مضيت مع صاحب لي
نزور سلمان فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر لكان اطيب
فخرج سلمان ورهن مطهرته واخذ سعترا فلما اكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال
سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة هذا اذا توهم تعذر ذلك على اخيه او كراهيته له فان
علم انه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح فعل الشافعي ذلك مع الزعفراني اذ كان
نازلا عليه ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويسلمها الى الجارية فاخذ
الشافعي الرقعة في بعض الايام والحق بها لونا آخر بخطه فلما راى الزعفراني ذلك اللون انكر وقال
ما امرت بهذا فعرضت عليه خط الشافعي ملحقا بالرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك و
اعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي عليه قال ابو بكر الكتاني دخلت على السري فجاء بفتيت و
جعل نصفه في القدح فقلت له ايش هذا تعمل انا اشربه كله في مرة فضحك وقال هذا افضل لك
من حجة وقال بعضهم الاكل على ثلاثة انواع مع الفقراء بالايثار ومع الاخوان بالانبساط و
مع ابناء الدنيا بالادب **الادب الثالث** ان يشتهي المزور اخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح
مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح فذلك حسن وفيه اجر وفضل جزيل قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من صادف من اخيه شهوة غفر له ومن سر اخاه المومن فقد سر الله وقال
عليه السلام فيما رواه جابر من لذذ اخاه بما يشتهي كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف
الف سيئة ورفع له الف الف درجة واطعمه الله من ثلاث جنان جنة الفردوس وجنة عدن وجنة
الخلد **الادب الرابع** ان لا يقول له هل اقدم لك طعاما بل ينبغي ان يقدم ان كان قال الثوري
اذا زارك اخوك فلا تقل له اتاكل او اقدم اليك ولكن قدم فان اكل والا فارفع وان كان لا يريد
ان يطعمهم طعاما فلا ينبغي ان يظهره عليهم او يصفه لهم قال الثوري اذا اردت ان لا تطعم
عيالك مما تاكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك وقال بعض الصوفية اذا دخل عليكم الفقراء فقدموا

اليهم طعاما واذا دخلوا الفقهاء فسلوهم عن مسيلة واذا دخل القراء فدلوهم على المحراب
الباب الرابع في آداب الضيافة ومظان الآداب فيها ستة الدعوة اولا ثم
الاجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الاكل ثم الانصراف ولنقدم على شرحها **فضيلة الضيافة**
قال صلى الله عليه وسلم لا تتكلفوا للضيف فتبغضوه فانه من ابغض الضيف فقد ابغض الله ومن
ابغض الله ابغضه الله وقال عليه السلام لا خير فيمن لا يضيف ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل له
ابل وبقر كثير فلم يضفه ومر بامراة لها شويهات فذبحت له فقال عليه السلام انظروا اليهما انما هذه
الاخلاق بيد الله فمن شاء ان يمنحه خلقا حسنا فعل وقال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه نزل به صلى الله عليه وسلم ضيف فقال قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فاسلفني شيئا من الدقيق
الى رجب فقال اليهودي والله لا اسلفته الا برهن فاخبرته فقال والله اني لامين في السماء امين
في الارض ولو اسلفني لاديته فاذهب بدرعي وارهنه عنده وكان ابراهيم الخليل صلوات
الله عليه اذا اراد ان ياكل خرج ميلا او ميلين يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى ابا الضيفان و
لصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهده الى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة الا وياكل عنده جماعة من
بين ثلاثة الى عشرة الى ماية وقال قوام الموضع انه لم يخل الى الآن ليلة عن ضيف وسئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام وقال صلى الله عليه وسلم في
الكفارات والدرجات اطعام الطعام وطيب الكلام وقال انس كل بيت لا يدخله ضيف لا
تدخله الملائكة والاخبار الواردة في فضل الضيافة والاطعام لا تحصى فلنذكر آدابها **اما** الدعوة فينبغي
للداعي ان يقصد بدعوته الاتقياء دون الفساق قال صلى الله عليه وسلم اكل طعامك الابرار في دعائه
لمن دعا له وقال لا ياكل طعامك الا تقي ويقصد الفقراء دون الاغنياء على الخصوص قال صلى الله عليه وسلم
شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليه الاغنياء دون الفقراء وينبغي ان لا يهمل اقاربه في ضيافته فان اهمالهم
ايحاش وقطع رحم وكذلك يراعي الترتيب في اصدقائه ومعارفه فان تخصيص البعض ايحاش الباقين
وينبغي ان لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر بل استمالة قلوب الاخوان والتسنن بسنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم في اطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المومنين وينبغي ان لا يدعو من يعلم انه يشق عليه
الاجابة واذا حضر تاذى بالحاضرين بسبب من الاسباب وينبغي ان لا يدعو الا من يحب اجابته
قال سفين الثوري من دعا الى طعام وهو يكره الاجابة فعليه خطية فان اجاب المدعو فعليه خطيتان
لانه حمله على الاكل مع كراهة ولو علم ما كان ياكله واطعام التقي اعانة له على الطاعة واطعام الفاسق
تقوية له على الفسق قال رجل خياط لابن المبارك انا اخيط ثياب السلاطين فهل تخاف ان اكون من
اعوان الظلمة قال لا اعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والابرة اما انت فمن الظلمة انفسهم **واما**
الاجابة فهي سنة موكدة وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع قال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع
لاجبت ولو اهدي الي ذراع لقبلت وللاجابة خمسة آداب الاول ان لا يميز الغني بالاجابة
عن الفقير فذلك هو التكبر المنهي عنه ولاجل ذلك امتنع بعضهم عن اصل الاجابة وقال انتظار المرقة ذل
وقال آخر اذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي ومن المتكبرين من يجيب الاغنياء

دون الفقراء وهو خلاف السنة كان عليه السلام يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ومر الحسن
بن علي رضي الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نشروا كسرا على الارض
في الرمل وهم يأكلون وكان على بغلته فسلم عليهم فقالوا هلم الغداء يا ابن رسول الله فقال نعم ان الله لا يحب
المستكبرين فنزل وقعد معهم على الارض واكل ثم سلم عليهم وركب وقال قد اجبتكم فاجيبوني
قالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم اليهم فاخر الطعام وجلس يأكل معهم واما قول
القائل ان من وضعت يدي في قصعته فقد ذلت له رقبتي فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة و
ليس كذلك فانه ذل اذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها منة وكان يرى ذلك يدا عند المدعو و
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعلمه بان الداعي قد تقلد منة ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا
والآخرة وهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به انه يستثقل الاطعام وانما يفعل ذلك مباهاة او
تكلفا فليس من السنة اجابته بل الاولى التعلل قال بعض الصوفية لا تجب الا دعوة من يرى انك اكلت
رزقك وانه سلم اليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه وقال
سري السقطي آه على لقمة ليس فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة فاذا علم المدعو انه لا منة فلا ينبغي ان يرد
قال ابو تراب النخشبي عرض علي طعام فامتنعت فابتليت بالجوع اربعة عشر يوما فعلمت انه عقوبته
وقيل لمعروف الكرخي كل من دعاك تمر اليه فقال انا ضيف انزل حيث انزلوني الثاني انه لا ينبغي
ان يمتنع عن الاجابة لبعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها في
العادة لا ينبغي ان يمتنع لاجلها يقال في التوراة او في بعض الكتب سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع
جنازة سر ثلاثة اميال اجب دعوة سر اربعة اميال زر اخا في الله وانما قدم اجابة الدعوة والزيارة
لان فيهما قضاء حق الحي فهو اولى من الميت وقال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع الغميم لاجبت
وهو موضع على اميال من المدينة افطر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان لما بلغه وقصر عنده في
سفره الثالث ان لا يمتنع لكونه صائما بل يحضر فان كان يسر اخاه افطاره فليفطر وليحتسب
في افطاره بنية ادخال السرور على قلب اخيه ما يحتسب في الصوم وافضل ذلك في صوم التطوع و
ان لم يتحقق سرور قلبه فليصدقه بالظاهر وليفطر وان تحقق انه متكلف فليتعلل وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك اخوك وتقول اني صائم وقد قال ابن عباس من
افضل الحسنات اكرام الجلساء فالافطار بهذه النية عبادة وحسن خلق وثوابه فوق ثواب الصوم
ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب وقد قيل الكحل والدهن احد القرايين
الرابع ان يمتنع من الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة او الموضع او البساط المفروش غير حلال
او كان في الموضع منكر من فرش ديباج واناء فضة او تصوير حيوان على سقف او حائط او سماع شيء
من المزامير والملاهي والتشاغل بنوع من اللهو والهزل واللعب فكل ذلك مما يمنع الاجابة واستحبابها
ويوجب تحريمها او كراهيتها وكذا اذا كان الداعي ظالما او مبتدعا او فاسقا او شريرا او متكلفا
طالبا للمباهاة والفخر الخامس ان لا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملا في ابواب
الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملا للآخرة وذلك بان ينوي الاقتداء بسنة رسول الله صلى

الله عليه وسلم في قوله لو دعيت الى كراع لاجبت وينوي الحذر عن معصية الله لقوله صلى الله عليه
وسلم من لم يجب الداعي فقد عصى الله ورسوله وينوي اكرام اخيه المؤمن اتباعا لقوله عليه السلام من اكرم
اخاه المؤمن فانما يكرم الله وينوي ادخال السرور على قلبه امتثالا لقوله عليه السلام من سر مؤمنا
فقد سر الله وينوي مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين في الله اذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
التزاور والتباذل لله وقد حصل البذل من احد الجانبين فتحصل الزيارة من جانبه ايضا وينوي
صيانة نفسه عن ان يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بان يحمل على تكبر او سوء خلق
او استحقار اخ مسلم وما يجري مجراه فهذه ست نيات تلحق اجابته بالقربات آحادها فكيف
مجموعها وكان بعض السلف يقول انا احب ان يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والشراب
وفي مثل هذا قال عليه السلام انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله و
رسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر
اليه والنية انما تؤثر في المباحات والطاعات اما المنهيات فلا فانه لو نوى ان يسر
اخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر او حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز ان يقال الاعمال بالنية بل لو
قصد بالغزو الذي هو طاعة المباهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعات وكذا المباح
المردد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنيات فتؤثر النية في هذين القسمين
لا في القسم الثالث واما الحضور فادبه ان يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ احسن الاماكن
بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ولا
يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة بل ان اشار اليه صاحب الدار بموضع لم يخالفه البتة فانه
يكون قد رتب في نفسه موضع كل واحد فمخالفته تشوش عليه وان اشار اليه بعض الضيفان
بالارتفاع اكراما فليتواضع قال صلى الله عليه وسلم ان من التواضع لله الرضا بالدون من
المجلس ولا ينبغي ان يجلس في مقابلة باب حجرة النساء وسترهن ولا يكثر النظر الى الموضع الذي
يخرج منه الطعام فانه دليل على الشره ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه اذا جلس واذا
دخل ضيف للمبيت فليعرفه صاحب الدار عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء
كذلك فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال الغسل
قبل الطعام لرب البيت اولى لانه يدعو الناس الى كرمه فحكمه ان يتقدم بالغسل وفي
آخر الطعام يتأخر بالغسل لينتظر ان يدخل من يأكل معه واذا دخل فرأى منكرا غيره ان قدر
والا انكره بلسانه وانصرف والمنكر فرش الديباج واستعمال اواني الذهب والفضة والتصوير
على الحيطان وسماع الملاهي والمزامير وحضور النساء المتكشفات الوجوه وغير ذلك من
المحرمات حتى قال احمد بن حنبل اذا رأى مكحلة رأسها مفضض ينبغي ان يخرج ولم يأذن في
الجلوس الا في ضبة وقال اذا رأى كلة ينبغي ان يخرج فان ذلك تكلف بلا فائدة لا تدفع
حرا ولا بردا ولا تستر شيئا وكذا قال يخرج اذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر
الكعبة وقال اذا اكترى بيتا فيه صورة او دخل الحمام ورأى صورة ينبغي ان يحكها فان لم يقدر

خرج وكل ما ذكر صحيح وانما النظر في الكلة وتزيين الحيطان بالديباج فان ذلك لا ينتهي الى التحريم اذ
الحرير محرم على الرجال قال عليه السلام هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وما على الحايط ليس منسوبا الى
الذكور ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة بل الاولى اباحته بموجب قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده لا
سيما وقت الزينة اذا لم يتخذ عادة للتفاخر وان تخيل ان الرجال يستمتعون بالنظر اليه فلا يحرم على الرجال
الانتفاع بالنظر الى الديباج مهما لبسه الجواري والنساء فالحيطان في معنى النساء اذ ليس هو موصوفا
بالذكورة فاما احضار الطعام فله خمسة آداب الاول تعجيل الطعام فذلك من اكرام الضيف
وقد قال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومهما حضر الاكثرون وغاب واحد
او اثنان وتأخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين في التعجيل اولى من حق اولئك في التاخير الا ان يكون
المتاخر فقيرا او ينكسر قلبه بذلك فلا باس بالتاخير واحد المعنيين في قوله تعالى هل اتيك حديث ضيف ابرهيم المكرمين
انهم اكرموا بتعجيل الطعام اليهم دل عليه قوله فما لبث ان جاء بعجل حنيذ وقوله فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين
والروغان الذهاب بسرعة وقيل في خفية وقيل جاء بفخذ من لحم وانما سمي عجلا لانه عجله ولم يلبث
قال حاتم الاصم العجلة من الشيطان الا في خمسة فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعام الضيف
وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب ويستحب التعجيل في الوليمة وقيل الوليمة
في اول يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء الثاني ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكهة اولا
ان كانت فذلك اوفق في الطب فانها اسرع استحالة فينبغي ان تقع في اسفل المعدة وفي القرآن
تنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ثم افضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد
فقد قال عليه السلام فضل عايشة على النساء كفضل الثريد على ساير الطعام فان جمع اليه حلاوة بعده فقد جمع
الطيبات ودل على حصول الاكرام باللحم قوله تعالى في ضيف ابرهيم اذ احضر العجل الحنيذ اي المحنوذ وهو الذي
اجيد نضجه وهو احد معنيي الاكرام اعني تقديم اللحم وقال تعالى في وصف الطيبات وانزلنا عليكم المن والسلوى
المن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادم ولا يقوم غيره مقامه ولذلك قال صلى
الله عليه وسلم سيد الادام اللحم ثم قال بعد ذكر المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم فاللحم والحلاوة
من الطيبات قال ابو سليمن الداراني اكل الطيبات يورث الرضا عن الله وتتم هذه الطيبات بشرب
الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل قال المامون شرب الماء بثلج يخلص الشكر
لله تع وقال بعض الادباء اذا دعوت اخوانك فاطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماء
باردا فقد اكملت الضيافة وانفق بعضهم دراهم في ضيافة فقال بعض الحكماء لم تكن محتاجا الى هذا
اذا كان خبزك جيدا وماؤك باردا وخلك حامضا فهو كفاية وقال بعضهم الحلاوة بعد الطعام
خير من كثرة الالوان والتمكن على المايدة خير من زيادة لونين ويقال ان الملايكة تحضر المايدة اذا
كان عليها بقل فذلك ايضا مستحب ولما فيه من التزيين بالخضرة وفي الخبر ان المايدة التي انزلت على بني
اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند راسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة
ارغفة على كل رغيف زيتون وحب الرمان فهذا اذا جمع حسن للموافقة الثالث ان يقدم من الالوان
الطفها حتى يستوفي منها من يريد ولا يكثر الاكل بعده وعادة المترفين تقديم الغليظ ليستانف حركة

الشهوة بمصادفة اللطيف بعده وهو خلاف السنة فانه حيلة في استكثار الاكل وكان من سنة المتقدمين
ان يقدموا جملة الالوان دفعة واحدة ويصففون القصاع على المايدة لياكل كل واحد مما يشتهي وان
لم يكن عنده الا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا اطيب منه ويحكى عن بعض ارباب المروات
انه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الالوان ويعرضه على الضيفان وقال بعض الشيوخ قدم الي
بعض المشايخ لونا بالشام فقلت عندنا بالعراق انما يقدم هذا آخرا فقال وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون
غيره فخجلت منه وقال آخر كنا جماعة في ضيافة فقدم الينا الوان من الرؤوس طبيخا وقديدا فكنا
لا ناكل ننتظر بعدها لونا او حملا فجيء بالطست ولم يقدم غيرها فنظر بعضنا الى بعض فقال بعض الشيوخ
وكان مزاحا ان الله تعالى يقدر ان يخلق رؤوسا بلا ابدان قال فبتنا تلك الليلة جياعا نطلب فتيتا للسحور
فلهذا يستحب ان يحضر الجميع او يخبر بما عنده الرابع ان لا يبادر الى رفع الالوان بل يمكنهم من الاستيفاء
حتى يرفعوا الايدي عنها فلعل فيهم من يكون بقية ذلك اللون اشهى عنده مما يستحضر او بقي فيه حاجة
الى الاكل فيتنغص عليه بالمبادرة وهو من التمكن على المايدة الذي يقال انه خير من لونين فيحتمل ان يكون المراد
به قطع الاستعجال ويحتمل ان يراد به سعة المكان حكي عن السنوري وكان صوفيا مزاحا وكان
حضر عند واحد من ابناء الدنيا على مايدة وقدم اليهم حملا وكان في صاحب المايدة بخل فلما راى القوم
قد مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال يا غلام ارفع الى الصبيان فرفع الحمل الى داخل الدار فقام
السنوري يعدو خلف الحمل فقيل له الى اين فقال آكل مع الصبيان فاستحيى الرجل وامر برد الحمل ومن
هذا الفن ان لا يرفع صاحب المايدة يده قبل القوم لانهم يستحيون بل ينبغي ان يكون آخرهم اكلا كان
بعض الكرام يخبر القوم بجميع الالوان ويتركهم يستوفون فاذا قاربوا الفراغ جثى على ركبتيه ومد يده الى
الطعام واكل وقال بسم الله ساعدوني يا قوم بارك الله عليكم فكان السلف يستحسنون ذلك منهم
الخامس ان يقدم من الطعام قدر الكفاية فان القليل عن الكفاية نقص في المروة والزيادة عليه
تصنع ومراياة لا سيما اذا كان لا تسمح نفسه بان ياكلوا الكل الا ان يقدم الكثير وهو طيب النفس لو اخذوا
الجميع ونوى ان يتبرك بفضلة طعامهم اذ في الحديث انه لا يحاسب عليه احضر ابرهيم بن ادهم طعاما
كثيرا على مايدته فقال له سفين يا ابا اسحق اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ابرهيم ليس في الطعام
سرف فان لم تكن هذه النية فالتكثير تكلف قال ابن مسعود نهينا ان نجيب دعوة من يباهي بطعامه
وكره جماعة من الصحابة اكل طعام المباهاة ومن ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه و
سلم فضلة طعام قط لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا ياكلون تمام الشبع وينبغي ان يعزل
اولا نصيب اهل البيت حتى لا تكون اعينهم طامحة الى رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق
في الضيفان السنتهم ويكون قد اطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم وما بقي
من الاطعمة فليس للضيفان اخذه وهو الذي تسميه الصوفية الزلة الا اذا صرح صاحب الطعام بالاذن
فيه عن قلب راض او علم ذلك بقرينة حاله وانه يفرح به فاذا كان يظن كراهيته فلا ينبغي ان يوخذ واذا علم
رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغي ان ياخذ الواحد الا ما يخصه او ما يرضى به
رفيقه عن طوع لا عن حياء واما الانصراف فله آداب ثلاثة الاول ان يخرج مع الضيف الى باب

الزاد فهو سنة وذلك من اكرام الضيف وقد امر باكرامه قال عليه السلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليكرم ضيفه وقال عليه السلم ان من سنة الضيف ان يشيع الى باب الدار قال ابو قتادة قدم وفد
النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال له اصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال
انهم كانوا لاصحابي مكرمين وانا احب ان اكافيهم وتمام الاكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند
الدخول والخروج وعلى المائدة قيل للاوزاعي ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وقال يزيد بن ابي
زياد ما دخلت على عبد الرحمن بن ابي ليلى الا حدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما حسنا السادس
ان ينصرف الضيف طيب النفس وان جرى في حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع قال صلى الله عليه
وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم . ودعي بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول
فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا فخرج اليه صاحب المنزل وقال قد خرج القوم قال هل بقي قال
لا قال فكسرة ان بقيت قال لم تبق قال فالقدور امسحها قال قد غسلنا فانصرف يحمد الله تع
فقيل له في ذلك فقال احسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق وحكي
ان استاذ ابي القسم الجنيد دعاه صبي الى دعوة ابيه اربع مرات فرده الاب في المرات الاربع وهو
يرجع في كل مرة تطييبا لقلب الصبي في الحضور ولقلب الاب في الانصراف فهذه نفوس قد ذللت
بالتواضع مدة فاطمانت بالتوحيد وصار رضاها يشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما بينه وعند ربه
فلا ينكسر بما يجري من العباد من الاذلال كما لا يستبشر بما يجري منهم من اكرام بل يرون الكل من الواحد
القهار ولذلك قال بعضهم اني لا اجيب الدعوة الا لاني اتذكر بها طعام الجنة اي هو طعام طيب تحمل
عنا كده ومؤنته وحسابه . الثالث ان لا يخرج الا برضا صاحب المنزل واذنه ويراعي قلبه في قدر الاقامة
واذا نزل ضيفا فلا يزيد على ثلاثة ايام فربما يتبرم به ويحتاج الى اخراجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الضيافة ثلاثة فما زاد فصدقة نعم لو الح رب المنزل عليه عن خلوص قلب فله المقام اذ ذاك ويستحب ان
يكون عنده فراش للضيف النازل قال صلى الله عليه وسلم فراش للرجل وفراش للمراة وفراش للضيف والرابع
للشيطان **فصل** يجمع آدابا ومناهي طبية وشرعية متفرقة **الاول** حكي عن ابرهيم النخعي انه
قال الاكل في السوق دناءة واسنده هذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناده غريب وقد نقل ضده
عن ابن عمر انه قال كنا ناكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام ورئي
بعض المشايخ من الصوفية المعروفين ياكل في السوق فقيل له في ذلك فقال ويحك اجوع في السوق
واكل في البيت فقيل تدخل المسجد فقال استحيي منه ان ادخل بيته للاكل ووجه الجمع ان الاكل
في السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروة من بعضهم فهو مكروه و
يختلف ذلك بعادات البلاد واحوال الاشخاص فمن لا يليق ذلك بسائر اعماله حمل ذلك منه
على قلة المروة وفرط الشره ويقدح ذلك في الشهادة ومن يليق ذلك بجميع اعماله واحواله في
ترك التكلف كان ذلك منه تواضعا **الثاني** قال علي رضي الله عنه من ابتدا غداءه بالملح اذهب
الله تع عنه سبعين نوعا من البلاء ومن اكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن
اكل كل يوم عشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب

احري وم

والبشقارجات تعظم البطن وترخي الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء
والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفي النفساء بشيء افضل من الرطب والسمك يذيب الجسد
وقراءة القرآن والسواك يذهب البلغم ومن اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقل غشيان
النساء وليخفف الرداء وهو الدين **الثالث** قال الحجاج لبعض الاطباء صف لي صفة
آخذ بها ولا اعدوها قال لا تنكح من النساء الا فتاة ولا تاكل من اللحم الا فتيا ولا تاكل المطبوخ
حتى ينعم نضجه ولا تشربن دواء الا من علة ولا تاكل من الفاكهة الا نضيجها ولا تاكل طعاما الا اذا
اجدت مضغه وكل ما احببت من الطعام ولا تشربن عليه فاذا شربت فلا تاكل عليه شيئا ولا تحبس الغائط
والبول واذا اكلت فنم واذا اكلت بالليل فامش قبل ان تنام ولو مائة خطوة وفي معناه قول العرب
تغد وتمد وتعش وتمش يعني تمدد كما قال اشربع الى اهله يتمطى اي يتمطط ويقال ان حبس البول
يفسد من الجسد كما يفسد النهر ما حوله اذا سد مجراه **الرابع** في الخبر قطع العروق مسقمة وترك العشاء
مهرمة والعرب تقول ترك الغداء يذهب بلحم الكاذة يعني الالية قال بعض الحكماء لابنه يا بني لا
تخرج من منزلك حتى تاخذ حلمك اي تتغدى اذ به يبقى الحلم ويزول الطيش وهو ايضا اقل لشهوة ما
يرى في السوق وقال حكيم لسمين ارى عليك قطيفة من نسج اضراسك فما هي قال اكل لباب
البر وصغار المعز وادهن بخام بنفسج والبس الكتان **الخامس** الحمية تضر بالصحيح كما يضر
تركها بالمريض كذا قيل وقال بعضهم من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوافي و
هذا حسن في حال الصحة ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا ياكل تمرا واحدى عينيه رمدة
فقال تاكل التمر وانت رمد فقال يا رسول الله انما امضغ بالشق الآخر يعني جانب السليمة فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم **السادس** يستحب ان يحمل طعام الى اهل الميت ولما جاء نعي جعفر
بن ابي طالب قال عليه السلم ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنيع طعامهم فاحملوا اليهم ما ياكلون
فذلك سنة واذا قدم ذلك الى الجمع حل الاكل منه الا ما هيئ للنوائح والمعينات عليه بالبكاء و
الجزع فلا ينبغي ان يوكل معهم **السابع** لا ينبغي ان يحضر طعام ظالم فان اكره فليقلل الاكل ولا يقصد
الطعام الاطيب رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال
رايتك تقصد الاطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها عليه واجبر السلطان هذا المزكي على الاكل
فقال اما ان اكل واخلي التزكية او ازكي ولا اكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه . وحكي ان ذا النون
المصري حبس فلم ياكل اياما في السجن وكانت له اخت في الله فبعثت اليه من مغزلها طعاما على يد
السجان فامتنع ولم ياكل فعاتبته المراة بعد ذلك فقال كان حلالا ولكن جاءني على طبق ظالم واشار
به الى يد السجان وهذا غاية الورع **الثامن** حكي عن فتح الموصلي انه دخل على بشر الحافي زائرا
فاخرج بشر درهما ودفعه الى احمد الجلاء خادمه قال له اشتر به طعاما جيدا وادما طيبا قال
قال فاشتريت خبزا نظيفا وقلت لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لشيء اللهم بارك لنا فيه وزدنا
منه سوى اللبن فاشتريت اللبن واشتريت تمرا جيدا فقدمت اليه فاكل واخذ الباقي فقال
بشر تدرون لم قلت اشتر طعاما طيبا لان الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر لله تعالى

والبشقارجات

تدرون لم لم يقل بي كل لانه ليس للضيف ان يقول لصاحب الدار كل تدرون لم حمل ما بقي لانه اذا صح التوكل
لم يضر الحمل • وحكى ابو علي الروذباري عن رجل انه اتخذ ضيافة فاوقد فيها الف سراج فقال له رجل
اسرفت فقال ادخل فكل ما اوقدته لغير الله فاطفه فدخل الرجل فلم يقدر على اطفاء واحد منها فانقطع
واشترى ابو علي الروذباري احمالا من السكر وامر الحلاويين حتى بنوا جدارا من السكر عليه شرف و
محاريب على اعمدة منقوشة كلها من سكر ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها التاسع
قال الشافعي الاكل على اربعة انحاء الاكل باصبع من المقت وباصبعين من الكبر وبثلاث اصابع من
السنة وباربع وخمس من الشره واربع تقوي البدن اكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من
غير جماع ولبس الكتان واربع توهن البدن كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق و
كثرة اكل الحموضة واربع توهن البصر النظر الى القذر والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج المراة والقعود
في استدبار القبلة واربع تزيد في الجماع اكل العصافير واكل الاطريفل الاكبر واكل الفستق واكل
الجرجير والنوم على اربعة انحاء النوم على القفا وهو نوم الانبياء عليهم السلام يتفكرون في خلق
السموات والارض ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والعباد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليهضم
طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين واربع تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك
ومجالسة الصالحين والعلماء واربع هن من العبادة ان لا تخطو خطوة الا على وضوء وكثرة السجود و
لزوم المساجد وكثرة قراءة القرآن وقال ايضا عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الاكل
بعد ان يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الاكل كيف لا يموت وقال لم ار شيئا انفع في
الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب • تم كتاب آداب الاكل والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد

كتاب آداب النكاح وهو الكتاب
الثاني من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الاوهام في عجائب صنعه مجرى • ولا ترجع العقول عن اوائل
بدائعها الا والهة حيرى • ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى • فهي تتوالى عليهم اختيارا و
قهرا • ومن بدائع الطافه ان خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا • وسلط على الخلق شهوة
اضطرهم بها الى الحراثة جبرا • واستبقى بها نسلهم اقهارا وقسرا • ثم عظم امر الانساب
وجعل لها قدرا • فحرم بسببها السفاح وبالغ في تقبيحه ردعا وزجرا • وجعل اقتحامه جريمة فاحشة
وامرا امرا • وندب الى النكاح وحث عليه استحبابا وامرا • فسبحان من كتب الموت على عباده
فاذلهم به هدما وكسرا • ثم بث بذور النطف في اراضي الارحام وانشا منها خلقا وجعله
لكسر الموت جبرا • تنبيها على ان بحار المقادير فياضة على العالمين نفعا وضرا وخيرا وشرا وعسرا
ويسرا وطيا ونشرا • والصلوة على محمد المبعوث بالانذار والبشرى • وعلى آله واصحابه صلوة
لا تستطيع لها الحساب عدا ولا حصرا • وسلم كثيرا اما بعد فان النكاح معين على الدين
ومهين للشياطين وحصن دون عدو الله حصين وسبب للتكثير الذي به مباهاة سيد المرسلين

لسائر النبيين فما احراه بان تتحرى اسبابه وتحفظ سننه وآدابه وتشرح مقاصده وآدابه وتفصل
فصوله وابوابه • والقدر المهم من احكامه ينكشف في ثلاثة ابواب الباب الاول في الترغيب فيه
وعنه الباب الثاني في الآداب المرعية في العقد والعاقدين الباب الثالث في آداب المعيشة
بعد العقد الى الفراق

الباب الاول في الترغيب في النكاح والترغيب عنه

اعلم ان العلماء قد اختلفوا في
فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم انه افضل من التخلي لعبادة الله واعترف آخرون بفضله ولكن قدموا
عليه التخلي لعبادة الله مهما لم تتق النفس الى النكاح توقانا يشوش الحال ويدعو الى الوقاع وقال آخرون
الافضل تركه في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل اذ لم تكن الاكساب محظورة واخلاق النساء
مذمومة ولا ينكشف الحق فيه الا بان يقدم اولا ما ورد من الاخبار والآثار في الترغيب فيه والترغيب
عنه ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق من سلم من غوائله و
لم يسلم

الترغيب في النكاح

اما من الآيات فقال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم وهذا امر وقال تعالى
فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن وهذا منع من العضل ونهي عنه وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم ولقد
ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فذكر ذلك في معرض الامتنان واظهار الفضل ومدح
اولياءه بسؤال ذلك في الدعاء فقال والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين الآية
ويقال ان الله تعالى لم يذكر في كتابه من الانبياء الا المتاهلين فقالوا ان يحيى عليه السلام قد تزوج ولم
يجامع قيل انما فعل ذلك لنيل الفضل واقامة السنة وقيل لغض البصر واما عيسى عليه السلام فانه
سينكح اذا نزل من السماء الى الارض ويولد له اما الاخبار فقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي فمن
احب فطرتي فليستن بسنتي وقال ايضا تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيمة حتى بالسقط
وقال ايضا من رغب عن سنتي فليس مني وان من سنتي النكاح فمن احبني فليستن بسنتي و
قال صلى الله عليه وسلم من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا وهذا ذم لعلة الامتناع لا لاصل
الترك وقال صلى الله عليه وسلم من كان ذا طول فليتزوج وقال من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه
اغض للبصر واحصن للفرج ومن لا فليصم فان الصوم له وجاء وهذا يدل على ان سبب الترغيب
فيه خوف الفساد في العين والفرج والوجاء عبارة عن رض الخصيتين من الفحل حتى تزول فحولته
فهو مستعار للضعف عن الوقاع بالصوم وقال عليه السلام اذا اتاكم من ترضون دينه وامانته
فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير وهذا ايضا تعليل الترغيب لخوف الفساد وقال
عليه السلام من نكح لله وانكح لله استحق ولاية الله وقال عليه السلام من تزوج فقد احرز شطر دينه فليتق
الله في الشطر الثاني وهذا ايضا اشارة الى ان فضيلته لاجل التحرز من المخالفة تحصنا من الفساد
وكان المفسد لدين المرء في الاغلب فرجه وبطنه وقد كفي بالتزويج احدهما وقال عليه السلام
كل عمل ابن آدم ينقطع الا ثلاث فذكر فيه وولد صالح يدعو له الحديث ولا يوصل الى هذا الا بالنكاح
واما الآثار فقد قال عمر رضي الله عنه لا يمنع من النكاح الا عجز او فجور فبين ان الدين غير مانع
منه وحصر المانع في امرين مذمومين وقال ابن عباس رضي الله عنه لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج
ويحتمل انه جعله من النسك وتتمة له ولكن الظاهر انه اراد به انه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة الا

بالتزوج ولا يتم النسك الا بفراغ القلب ولذلك كان يجمع غلمانه لما ادركوا عكرمة وكريبا وغيرهما
ويقول ان اردتم النكاح انكحتكم فان العبد اذا زنى نزع الايمان من قلبه وكان يقول ابن مسعود
رضي الله عنه لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لكيلا القى الله عزبا وماتت امرأتان
لمعاذ بن جبل في الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا وهذا
منهما يدل على انهما رايا في النكاح فضلا لا من حيث التحرز عن غائلة الشهوة وكان عمر رضي الله عنه يكثر
النكاح ويقول ما اتزوج الا لاجل الولد وكان بعض الصحابة قد انقطع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخدمه ويبيت عنده لحاجة ان طرقته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تتزوج فقال يا رسول الله
اني فقير لا شيء لي وانقطع عن خدمتك فسكت ثم اعاد ثانيا فاعاد الجواب ثم تفكر الصحابي وقال
والله لرسول الله اعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي وما يقربني الى الله مني ولئن قال لي الثالثة لافعلن
فقال له الثالثة الا تتزوج قال فقلت يا رسول الله زوجني فقال اذهب الى بني فلان فقل ان رسول الله
يامركم ان تزوجوني فتاتكم قال فقلت يا رسول الله لا شيء لي فقال لاصحابه اجمعوا لاخيكم وزن
نواة من ذهب فجمعوا له فذهب به الى القوم فانكحوه فقال اولم وجمع له من الاصحاب شاة للوليمة و
هذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويدل على انه توهم فيه الحاجة الى النكاح وحكي ان بعض
العباد في الامم السالفة فاق اهل زمانه في العبادة فذكر لنبي زمانه حسن عبادته فقال نعم الرجل
هو لولا انه تارك لشيء من السنة فاغتم العابد لما سمع ذلك فسال النبي عن ذلك فقال انت تارك
للتزويج فقال لست احرمه ولكني فقير وانا عيال على الناس قال فانا ازوجك ابنتي فزوجه النبي ابنته
وقال بشر بن الحارث فضل احمد بن حنبل علي بثلاث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وانا
اطلبه لنفسي فقط ولاتساعه في النكاح وضيقي عنه ولانه نصب اماما للعامة ويقال
ان احمد تزوج في اليوم الثاني من وفاة ام ولده عبد الله وقال اكره ان ابيت عزبا واما بشر
فانه لما قيل له ان الناس يتكلمون فيك بتركك النكاح ويقولون هو تارك للسنة فقال قل لهم
هو مشغول بالفرض عن السنة وعوتب مرة اخرى فقال ما يمنعني من التزويج الا قوله ولهن مثل الذي
عليهن بالمعروف فذكر ذلك لاحمد فقال واين مثل بشر انه قعد على مثل حد السنان ومع ذلك
فقد روي انه رئي بعد وفاته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رفعت منازلي في الجنة واشرف بي
على مقامات الانبياء ولم ابلغ منازل المتأهلين وفي رواية قال لي ما كنت احب ان تلقاني عزبا
قال فقلنا له ما فعل ابو نصر التمار فقال رفع فوقي بسبعين درجة قلنا بماذا فقد كنا نراك فوقه قال
بصبره على بنياته والعيال وقال سفين بن عيينة كثرة النساء ليست من الدنيا لان عليا رضي الله عنه
كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع نسوة وسبع عشرة سرية فالنكاح سنة
ماضية وخلق من اخلاق الانبياء وقال رجل لابرهيم بن ادهم طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة
فقال لروعة منك بسبب العيال افضل من جميع ما انا فيه فقال فما الذي يمنعك من النكاح قال ما لي حاجة
في امراة وما اريد ان اغر امراة بنفسي وقد قيل فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد
وركعة من متأهل افضل من سبعين ركعة من عزب **واما ما جاء في الترغيب عن النكاح** فقد قال

صلى الله عليه وسلم خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لا اهل له ولا ولد وقال عليه السلام
ياتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وابويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق
فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك وفي الخبر قلة العيال احد اليسارين وكثرته احد الفقرين
وسئل ابو سليمن الداراني عن النكاح فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر
على النار وقال ايضا الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتأهل وقال
مرة ما رايت احدا من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الاولى وقال ايضا ثلاث من طلبهن فقد
ركن الى الدنيا من طلب معاشا او تزوج امراة او كتب الحديث وقال الحسن اذا اراد الله بعبد
خيرا لم يشغله باهل ولا مال تناظر جماعة في هذا الحديث فاستقر رايهم على انه ليس معناه ان لا يكونا
له بل معناه ان يكونا له ولا يشغلانه وهو اشارة الى قول ابي سليمن الداراني ما شغلك عن الله من اهل و
مال وولد فهو عليك مشؤم وبالجملة لم ينقل عن احد الترغيب عن النكاح مطلقا الا مقرونا بشرط واما
الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف عن الغطاء بحصر آفات النكاح وفوائده

آفات النكاح وفوائده وفيه فوائد خمسة الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وكثرة العشيرة ومجاهدة
النفس بالقيام بهن **الفائدة الاولى** الولد وهو الاصل وله وضع النكاح والمقصود ابقاء النسل وان
لا يخلو العالم عن جنس الانس وانما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في اخراج البذر
وبالانثى في التمكين من الحرث تلطفا بهما في السياقة الى اقتناص الولد بسبب الوقاع كالتلطف بالطير
في بث الحب الذي يشتهيه ليساق الى الشبكة وكانت القدرة الازلية غير قاصرة عن اختراع الاشخاص
من غير حراثة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الاسباب مع الاستغناء عنها اظهارا
للقدرة واتماما لعجائب الصنعة وتحقيقا لما سبقت به المشية وحقت به الكلمة وجرى به القلم وفي
التوصل الى الولد قربة من اربعة اوجه هي الاصل في الترغيب فيه عند الامن من غوائل الشهوة حتى لم يحب
احدهم ان يلقى الله عزبا الاول موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لابقاء جنس الانسان
والثاني طلب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تكثير من به مباهاته الثالث طلب التبرك بدعاء
الولد الصالح بعده الرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله **اما** الوجه الاول
فهو ادق الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير وهو احقها واقواها عند ذوي البصائر النافذة في
عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمه وبيانه ان السيد اذا سلم الى عبده البذر وآلات الحرث وهيا له
ارضا مهياة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها فان تكاسل وعطل آلة الحرث
وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقا للمقت والعتاب
من سيده والله سبحانه وتعالى خلق الزوجين خلق الذكر والانثيين وخلق النطفة في الفقار وهيا لها
في الانثيين عروقا ومجاري وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط متقاضي الشهوة على كل واحد
من الذكر والانثى فهذه الافعال والآلات تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي
ارباب الالباب بتعريف ما اعدت له هذا ان لم يصرح به الخالق على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالمراد
حيث قال تناكحوا تكثروا فكيف وقد صرح بالامر وباح بالسر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة

مضيع للبذر ومعطل لما خلق من الآلات المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من
شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهي ليس برقم حروف واصوات يقرأه كل من له بصيرة
ربانية نافذة في ادراك دقايق الحكمة الازلية ولذلك عظم الشرع الامر في قتل الاولاد وفي الوأد لانه منع
اتمام الوجود واليه اشار من قال العزل احد الوأدين فالناكح ساع في اتمام ما احب الله تمامه و
المعطل ومضيع لما كره الله ضياعه ولاجل محبة الله لبقاء النفوس امر بالاطعام وحث عليه وعبر عنه
بعبارة القرض فقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا **فان قلت** قولك ان بقاء النفوس والنسل
محبوب يوهم ان فناءها مكروه عند الله وهو فرق بين الموت والحيوة بالاضافة الى ارادة الله تعالى و
معلوم ان الكل بمشية الله وان الله غني عن العالمين فمن اين يتميز عنده موتهم عن حيوتهم وبقاؤهم
عن فنائهم **فاعلم** ان هذه كلمة حق اريد بها باطل فان ما ذكرناه لا ينافي اضافة الكاينات كلها الى
ارادة الله تعالى خيرها وشرها ونفعها وضرها ولكن المحبة والكراهة تتضادان وكلاهما لا يضاد الارادة
فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب فالمعاصي مكروهة وهي مع الكراهة مرادة والطاعات مرادة
وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية اما الكفر والشر فلا نقول انه محبوب ومرضي بل هو مراد وقد قال
الله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وكيف يكون الفناء بالاضافة الى محبة الله تعالى وكراهته كالبقاء وهو تعالى يقول
ما ترددت في شيء كترددي في قبض روح عبدي المومن يكره الموت وانا اكره مساءته ولا بد له منه
فقوله لا بد له منه اشارة الى سبق الارادة والتقدير المذكور في قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وفي
قوله الذي خلق الموت والحيوة ولا مناقضة بين قوله قدرنا بينكم الموت وبين قوله وانا اكره مساءته
ولكن ايضاح الحق يستدعي تحقيق معنى الارادة والمحبة والكراهة وبيان حقايقها فان السابق الى فيه م
الافهام منها امور تناسب ارادة الخلق ومحبتهم وكراهيتهم وهيهات فبين صفات الله و
صفات الخلق من البعد ما بين ذاته وذواتهم وكما ان ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه
ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض فكذا صفات الله لا تناسب صفات الخلق وهذه
الحقايق داخلة في علم المكاشفة ووراءها سر القدر الذي منع من افشائه فلنقبض عنان الكلام عن ذكره
ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الاقدام على النكاح والاحجام عنه فان احدهما مضيع نسلا ادام الله
وجوده من لدن آدم عليه السلام عقبا بعد عقب الى ان انتهى اليه فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام
من وجود آدم على نفسه فمات ابتر لا عقب له ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال
معاذ في الطاعون زوجوني لا القى الله عزبا **فان قلت** فما كان معاذ يتوقع ولدا في ذلك الوقت فما
وجه رغبته فيه **فاقول** الولد يحصل بالوقاع ويحصل الوقاع بباعث الشهوة وذلك امر لا يدخل
في الاختيار انما المتعلق باختيار العبد احضار المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن عقد فقد ادى
ما عليه وفعل ما اليه والباقي خارج عن اختياره ولذلك يستحب النكاح للعنين ايضا فان نهضات الشهوة
خفية لا يطلع عليها حتى ان الممسوح الذي لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب ايضا في حقه على الوجه
الذي يستحب للاصلع امرار الموسى على راسه اقتداء بغيره وتشبها بالسلف الصالحين وكما يستحب
الرمل والاضطباع في الحج الآن وقد كان المراد منه اولا اظهار الجلد للكفار فصار الاقتداء والتشبه

بالذين

بالذين اظهروا الجلد سنة في حق من بعدهم ويضعف هذا الاستحباب بالاضافة الى الاستحباب في حق
القادر على الحرث وربما يزداد ضعفا بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع الى قضاء
الوطر فان ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر فهذا المعنى هو الذي ينبه على شدة انكارهم لترك النكاح مع فتور
الشهوة **الوجه الثاني** السعي في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه بتكثير ما به مباهاته اذ قد
صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويدل على مراعاة امر الولد جملة بالوجوه كلها ما روي عن عمر رضي الله
عنه انه كان ينكح كثيرا ويقول انما انكح للولد وما روي من الاخبار في مذمة المرأة العقيم اذ قال عليه السلام لحصير
في ناحية البيت خير من امرأة لا تلد وقال خير نسائكم الولود الودود وقال سوداء ولود خير
من حسناء عقيم وهذا يدل على ان طلب الولد ادخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة
لان الحسناء اصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة **الوجه الثالث** ان يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له
كما ورد في الخبر ان جميع عمل ابن آدم ينقطع الا ثلاث وفي الخبر ان الادعية تعرض على الموتى على اطباق من
نور وقول القائل ان الولد ربما لم يكن صالحا لا يوثر فانه مومن والصلاح هو الغالب على اولاد
ذوي الدين لا سيما اذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح وبالجملة دعاء المومن لابويه مفيد برا كان او
فاجرا فهو مثاب على دعواته وحسناته فانه من كسبه وغير مواخذ بسيئاته فانه لا تزر وازرة وزر اخرى
ولذلك قال تعالى الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين اي ما نقصناهم من
اعمالهم وجعلنا اولادهم مزيدا في احسانهم **الوجه الرابع** ان يموت الولد قبله فيكون له شفيعا فقد ورد
في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الطفل يجر بابويه الى الجنة وفي بعض الاخبار ياخذ بثوبه
كما انا الآن آخذ بثوبك وقال ايضا ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل
محبنطيا اي ممتليا غيظا وغضبا ويقول لا ادخل الجنة الا وابواي معي فيقال ادخلوا ابويه معه الجنة
وفي خبر آخر ان الاطفال يجتمعون في موقف القيمة عند عرض الخلايق للحساب فيقال للملايكة اذهبوا
بهولاء الى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون
فاين آباؤنا وامهاتنا فتقول الخزنة ان آباءكم وامهاتكم ليسوا مثلكم انهم كانت لهم ذنوب وسيئات
فهم يحاسبون عليها ويطالبون فيتضاغون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو اعلم ويفيحون م
بهم ما هذه الضجة فيقولون ربنا اطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة الا مع آبائنا فيقول الله تعالى تخللوا الجمع
فخذوا بايدي آبائهم فادخلوهم الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من مات له اثنان من الولد فقد
احتظر بحظار من النار وقال عليه السلام من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث ادخله الله الجنة بفضل
رحمته اياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان وحكي ان بعض الصالحين يعرض عليه التزويج فيابى
برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوجوني زوجوني فزوجوه فسئل عن ذلك فقال
لعل الله يرزقني ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ثم قال رايت في المنام كان القيمة قد قامت
وكاني في جملة الخلايق في الموقف وبي من العطش ما كاد ان يقطع عنقي وكذا الخلايق في شدة
العطش والكرب فنحن كذلك اذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبايديهم اباريق من فضة
واكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويجاوزون اكثر الناس فمددت

بين يدي الى الحرم وقلت اسقني فقد اجهدني العطش فقال ليس لك فينا ولد انما نسقي آباءنا فقلت وما
انتم قالوا نحن من مات من اطفال المسلمين واحد المعاني المذكورة في قوله تع فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا
لانفسكم تقديم الاطفال الى الآخرة فقد ظهر بهذه الوجوه المذكورة الاربعة ان اكثر فضل النكاح لاجل
كونه سببا للولد **الفائدة الثانية** التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض
البصر وحفظ الفرج واليه الاشارة بقوله عليه السلام من تزوج فقد احرز نصف دينه فليتق الله في
النصف الآخر واليه الاشارة بقوله عليه السلم عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له
وجاء واكثر ما نقلناه من الآثار والاخبار اشارة الى هذا المعنى وهذا المعنى دون الاول لان
الشهوة موكل متقاض بتحصيل الولد فالنكاح كاف وداع لجنده وصارف لشر سطوته وليس من
يجيب مولاه رغبة في تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكل فالشهوة والولد مقدران
وبينهما ارتباط وليس يجوز ان يقال المقصود اللذة والولد لازم منها كما يلزم مثلا قضاء الحاجة من
الاكل وليس مقصودا في ذاته بل المقصود بالفطرة والحكمة والشهوة باعثة عليه ولعمري في الشهوة
حكمة اخرى سوى الارهاق الى الايلاد وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لو دامت فهي منبهة
على اللذات الموعودة في الجنان اذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواق لا ينفع فلو رغب العنين في لذة الجماع
او الصبي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب فاحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها
في الجنة ليكون باعثا على عبادة الله فانظر الى الحكمة ثم الى الرحمة ثم الى التعبية الالهية كيف عبيت
تحت شهوة واحدة حيوتان حيوة ظاهرة وحيوة باطنة فالحيوة الظاهرة حيوة المرء ببقاء نسله فانه
نوع من دوام الوجود والحيوة الباطنة هي الحيوة الاخروية فان هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام
تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام فتستحث على العبادة الموصلة اليها فيستفيد العبد بشدة
الرغبة فيها تيسر المواظبة على ما يوصله الى نعيم الجنان وما من ذرة من ذرات بدن الانسان ظاهرا
وباطنا بل من ذرات ملكوت السموات والارض الا وتحتها من لطائف الحكم وعجائبها ما تحار العقول
فيه ولكن انما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها و
غوائلها والنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لكل من لا يؤتى من عجز وعنة وهم غالب الخلق
فان الشهوة ان غلبت ولم يقاومها قوة التقوى جرت الى اقتحام الفواحش واليه اشار بقوله عليه
السلم الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير وان كان ملجما بلجام التقوى فغايته ان يكف
الجوارح عن اجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج فاما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا
يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بامور الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس
اليه في اكثر الاوقات وقد يعرض له ذلك في اثناء الصلوة حتى يجري على خاطره من امور الوقاع ما
لو صرح به بين يدي اخس الخلق لاستحيى منه والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في
حق الخلق وراس الامر للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه والمواظبة على الصوم لا تقطع مادة الوسوسة
في حق اكثر الخلق الا ان ينضاف اليه ضعف في البدن وفساد في المزاج ولذلك قال ابن عباس
لا يتم نسك الناسك الا بالنكاح وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها قال قتادة في معنى

قوله تع ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو الغلمة وعن عكرمة ومجاهد انهما قالا وخلق الانسان ضعيفا
انه لا يصبر عن النساء وقال فياض بن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول
ذهب ثلث دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس ومن شر غاسق اذا وقب قال قيام الذكر وهذه
بلية غالبة اذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين وهي مع انها صالحة لان تكون باعثة على الحيوتين
كما سبق فهي اقوى آلة الشيطان على بني آدم واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله ما رايت من ناقصات
عقل ودين اغلب لذوي الالباب منكن وانما ذلك لهيجان الشهوة وقال عليه السلم في دعائه اللهم
اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي وشر منيي وقال اسالك ان تطهر قلبي وتحفظ فرجي فما يستعيذ
منه رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يجوز التساهل فيه لغيره وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا
يخلو من اثنتين وثلاث فانكر عليه بعض الصوفية فقال هل يعرف احد منكم انه جلس بين يدي الله جلسة
او وقف بين يديه موقفا في معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير فقال لو
رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي
الا نفذته لاستريح منه وارجع الى شغلي ومنذ اربعين سنة ما خطر على قلبي معصية وانكر بعض
الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوي الدين ما الذي تنكر منهم قال يأكلون كثيرا قال و
انت ايضا لو تجوع كما يجوعون لاكلت كما يأكلون قال ينكحون كثيرا قال وانت ايضا لو حفظت عينك و
فرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون وكان الجنيد يقول احتاج الى الجماع كما احتاج الى القوت فالزوجة
على التحقيق قوت وسبب لطهارة القلب ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره
على امراة فتاقت نفسه اليها ان يجامع اهله لان ذلك يدفع الوسواس عن النفس وروى
جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امراة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المراة
اذا اقبلت اقبلت في صورة شيطان فاذا راى احدكم امراة فاعجبته فليات اهله فان معها مثل
الذي معها وقال عليه السلم لا تدخلوا على المغيبات التي غاب عنها زوجها فان الشيطان
يجري من احدكم مجرى الدم قلنا ومنك قال ومني ولكن الله اعانني عليه فاسلم قال سفيان بن
عيينة فاسلم انا منه هذا معناه فان الشيطان لا يسلم وكذلك يحكى عن ابن عمر وكان من زهاد
الصحابة وعلمائهم انه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلي المغرب
ثم يغتسل ويصلي وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله واخراج عدة الشيطان منه وروي انه جامع ثلاثة
من جواريه في شهر رمضان قبل العشاء الآخرة وقال ابن عباس خير هذه الامة اكثرها نساء ولما
كانت الشهوة اغلب على امزجة العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح اشد ولاجل
فراغ القلب ابيح نكاح الامة عند خوف العنت مع ان فيه ارقاقا للولد وهو نوع اهلاك وهو
محرم على كل من قدر على حرة ولكن ارقاق الولد اهون من اهلاك الدين وليس فيه الا تنغيص الحيوة
على الولد مدة وفي اقتحام الفاحشة تفويت الحيوة الاخروية التي تستحقر الاعمار الطويلة بالاضافة
الى يوم من ايامها وروي انه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس رضي الله عنه وبقي شاب
لم يبرح فقال هل من حاجة قال نعم اردت ان اسال مسئلة فاستحييت من الناس وانا الآن اهابك

واجلك فقال ابن عباس ان العالم بمنزلة الوالد فما افضيته الى ابيك فافض به الي قال اني شاب
لا زوجة لي وربما خشيت العنت على نفسي فربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض
عنه ابن عباس ثم قال اف وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا وهذا تنبيه على ان العزب
المغتلم مردد بين ثلاثة شرور ادناها نكاح الامة وفيه ارقاق الولد واشد منه الاستمناء باليد
وافحشه الزنا ولم يطلق ابن عباس رضي الله عنه الاباحة في شيء منه لانهما محذوران يفزع اليهما حذرا
من الوقوع في محذور اشد منه كما يفزع الى تناول الميتة حذرا من هلاك النفس فليس ترجيح اهون الشرين
في معنى الاباحة المطلقة ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتآكلة من الخيرات وان كان يؤذن
فيه عند اشراف النفس على الهلاك فاذن في النكاح فضل من هذا الوجه لكن هذا لا يعم الكل بل الاكثر فرب
شخص فترت شهوته بكبر سن او مرض او غيره فينعدم هذا الباعث في حقه ويبقى ما سبق من امر
الولد فان ذلك عام الا للممسوح وهو نادر ومن الطباع ما يغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصنه المرأة
الواحدة فيستحب لصاحبه الزيادة على الواحدة الى الاربع فان يسر الله له مودة ورحمة واطمان
قلبه بهن والا فيستحب له الاستبدال فقد نكح علي رضي الله عنه بعد وفاة فاطمة بسبع ليال ويقال
ان الحسن بن علي رضي الله عنهما كان منكاحا حتى نكح زيادة على مايتي امراة وكان ربما عقد
على اربع في عقد واحد وربما طلق اربعا في وقت واحد واستبدل بهن وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم للحسن اشبهت خلقي وخلقي وقال حسن مني وحسين من علي فقيل ان كثرة نكاحه احد
ما اشبه به خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امراة وكان في بعض
الصحابة من له الثلاث والاربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوما فينبغي
ان يكون العلاج بقدر العلة والمراد تسكين النفس فلينظر اليه في الكثرة والقلة **الفايدة الثالثة**
ترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة اراحة للقلب وتقوية له على العبادة فان النفس
ملول وهي عن الحق نفور لانه على خلاف طبعها فلو كلفت المداومة بالاكراه على ما يخالفها جمحت وثابت
واذا روحت باللذات في بعض الاوقات قويت ونشطت وفي الاستيناس بالنساء من الاستراحة
ما يزيل الكرب ويروح القلب وينبغي ان يكون لنفوس المتقين استراحات الى المباحات ولذلك
قال تعالى ليسكن اليها وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها اذا اكرهت عميت وفي الخبر
على العاقل ان يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه و
ساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فان في هذه الساعة عونا على تلك الساعات ومثله بلفظ اخر
لا يكون العاقل طامعا الا في ثلاث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وقال صلى
الله عليه وسلم لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى سنتي فقد اهتدى والشرة الجد
والمكابدة بحدة وقوة وذلك في ابتداء الارادة والفترة الوقوف للاستراحة وكان ابو الدردا
يقول اني لاستجم نفسي بشيء من اللهو لا تقوى بذلك على الحق وفي بعض الاخبار عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال شكوت الى جبريل ضعفي عن الوقاع فدلني على الهريسة فهذا ان صح لا محمل
له الا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة لانه استثارة للشهوة ومن عدم

الشهوة عدم الاكثر من هذا الانس وقال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء
وقرة عيني في الصلوة فهذه ايضا فايدة لا ينكرها من جرب اتعاب نفسه في الافكار والاذكار وصنوف
الاعمال وهي خارجة عن الفايدتين السابقتين حتى انها لتطرد في حق الممسوح ومن لا شهوة له الا ان
هذه الفايدة تجعل النكاح فضيلة بالاضافة الى هذه النية وقل من يقصد بالنكاح ذلك فاما قصد
الولد وقصد دفع الشهوة فمما يكثر ثم رب شخص يستانس بالنظر الى الماء الجاري والخضرة وامثالها
ولا يحتاج الى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الاحوال والاشخاص
فليتنبه له **الفايدة الرابعة** تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش و
تنظيف الاواني وتهيئة اسباب المعيشة فان الانسان لو لم يكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش
في منزله وحده اذ لو تكفل بجميع اشغال المنزل لضاع اكثر اوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل فالمراة الصالحة
المصلحة للمنزل عون على الدين بهذا الطريق واختلال هذه الاسباب شواغل ومشوشات للقلب
ومنغصات للعيش ولذلك قال ابو سليمن الداراني الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها تفرغك
للاخرة انما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعا وقال محمد بن كعب القرظي في معنى
قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال المراة الصالحة وقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ احدكم لسانا
ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مومنة تعينه على آخرته فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر وفي
بعض التفاسير فلنحيينه حيوة طيبة الزوجة الصالحة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما اعطي
عبد بعد الايمان بالله خيرا من امراة صالحة وان منهن غنما لا يحذى منه ومنهن غلا لا يفدى منه وقوله
لا يحذى اي لا يعتاض عنه بعطاء وقال صلى الله عليه وسلم فضلت على آدم بخصلتين كانت له
زوجة عونا على المعصية وازواجي اعوان لي على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا
يامر الا بخير فعد معاونتها على الطاعة فضيلة فهذه ايضا من الفوايد التي يقصدها الصالحون الا
انها تخص بعض الاشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر ولا تدعو الى امراتين بل الجمع ربما ينغص
المعيشة ويضطرب به امور المنزل ويدخل في هذه الفايدة قصد الاستكثار بعشيرتها وما يحصل
من القوة بسبب تداخل العشاير فان ذلك مما يحتاج اليه في دفع الشرور وطلب السلامة ولذلك
قيل ذل من لا ناصر له ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فان الذل
مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل **الفايدة الخامسة** مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية و
الولاية والقيام بحقوق الاهل والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن والسعي في اصلاحهن وارشادهن
الى طريق الدين والاجتهاد في كسب الحلال لاجلهن والقيام بتربية الاولاد فكل هذه اعمال
عظيمة الفضل فانها رعاية وولاية والاهل والولد رعية وفضل الرعاية عظيم وانما يحترز منها
من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها والا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم من
وال عادل افضل من عبادة سبعين سنة ثم قال الا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وليس من اشتغل
باصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل باصلاح نفسه فقط ولا من صبر على الاذى كمن رفه نفسه واراحها
فمقاساة الاهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله ولذلك قال بشر رحمه الله فضل علي احمد بن حنبل

ثلاث احديها انه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وقد قال صلى الله عليه وسلم ما انفق الرجل على اهله
فهو صدقة وان الرجل ليوجر في رفع اللقمة الى في امراته وقال بعضهم لبعض العلماء من كل
عمل قد اعطاني الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له اين انت من عمل الابدال قال وما هو
قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك وهو مع اخوانه في الغزو تعلمون عملا
افضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك قال انا اعلم رجل متعفف ذو عيلة قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما
متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله افضل مما نحن فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسنت
صلوته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين وفي حديث آخر ان الله يحب
الفقير المتعفف ابا العيال وفي الحديث اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم ليكفرها وقال
بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الغم بالعيال وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وقال صلى الله عليه وسلم من كان له ثلاث بنات
فانفق عليهن واحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه اوجب الله له الجنة البتة الا ان يعمل عملا لا يغفر له
كان ابن عباس اذا حدث بهذا الحديث قال هو والله من غرائب الحديث وغرره وروي ان بعض المتعبد
كان يحسن القيام على زوجته الى ان ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال الوحدة اروح لقلبي واجمع
لهمتي قال فرايت في المنام بعد جمعة من وفاتها كان ابواب السماء فتحت وكان رجالا ينزلون ويسيرون
في الهواء يتبع بعضهم بعضا فكلما نزل واحد نظر الي فقال لمن وراءه هذا هو المشوم فيقول الاخر نعم و
يقول الثالث كذلك فيقول الرابع نعم وخفت ان اسالهم هيبة من ذلك الى ان مر بي آخرهم وكان غلاما
فقلت له يا هذا من المشوم الذي تومون اليه فقال انت قلت ولم ذلك قال كنا نرفع عملك في اعمال المجاهدين
في سبيل الله فمنذ جمعة امرنا ان نضع عملك مع الخالفين فلا ندري ما احدثت فقال لاخوانه زوجوني
زوجوني فلم يكن تفارقه زوجتان او ثلاث وفي اخبار الانبياء ان قوما دخلوا على يونس عليه السلم فاضافهم
وكان يدخل ويخرج الى منزله فتوذيه امراته فتسلط عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني
سالت الله وقلت ما انت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال ان عقوبتك بنت فلان تتزوج
بها فتزوجت بها وانا صابر على ما ترون منها وفي الصبر على ذلك رياضة للنفس وكسر للغضب وتحسين
للخلق فان المنفرد بنفسه او المشارك لمن حسن خلقه لا يترشح منه خبائث باطنه ولا تنكشف بواطن
عيوبه فحق على سالك طريق الآخرة ان يجرب نفسه بالتعرض لامثال هذه المحركات واعتياد الصبر عليها
ليعتدل اخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه والصبر على العيال مع انه رياضة و
مجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسه فهذه ايضا من الفوائد ولكنه لا ينتفع بها الا احد
رجلين اما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الاخلاق لكونه في بداية الطريق فلا يبعد ان يرى هذا
طريقا في المجاهدة ويرتاض به واما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب وانما
عمله عمل الجوارح بصلوة او حج او غيره فعمله لاهله واولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم افضل
من العبادات اللازمة لبدنه التي لا يتعدى خيرها الى غيره فاما الرجل المهذب الاخلاق اما بكفاية في اصل
الخلقة واما بمجاهدة سابقة اذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم والمكاشفات

فلا ينبغي

فلا ينبغي ان يتزوج لهذا الغرض فان الرياضة هو مكفي فيها واما العبادة بالعمل في الكسب لهم فالعلم افضل
من ذلك لانه ايضا عمل وفائدته اعم واشمل لساير الخلق من فائدة الكسب على العيال فهذه فوايد النكاح في الدين
التي بها يحكم له بالفضيلة **واما آفات النكاح** فثلاث **الاولى** وهي اقواها العجز عن طلب
الحلال فان ذلك لا يتيسر لكل احد لا سيما في هذه الاوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سببا
للتوسع في الطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاكه وهلاك اهله والمتعزب في امن من ذلك واما المتزوج
ففي الاكثر يدخل في مداخل السوء ويتبع هوى زوجته ويبيع آخرته بدنياه وفي الخبر ان العبد ليوقف
عند الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسال عن رعاية عياله والقيام بهن وعن ماله من اين اكتسبه
وفيما انفقه حتى يستغرق بتلك المطالبات كل اعماله فلا يبقى له حسنة فتنادي الملائكة هذا الذي اكل
عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم باعماله ويقال ان اول ما يتعلق بالرجل في القيمة اهله وولده
فيوقفونه بين يدي الله ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام
ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه وقال بعض السلف اذا اراد الله بعبد شرا سلط عليه في الدنيا انيابا
تنهشه يعني العيال وقال صلى الله عليه وسلم لا يلقى الله عبد بذنب اعظم من جهالة اهله فهذه آفة عامة
قل من يتخلص منها الا من له مال موروث او مكتسب من الحلال يفي به وباهله وكان له من القناعة ما
يمنعه من الزيادة فان ذلك يتخلص من هذه الآفة او من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من المباحات
باحتطاب او اصطياد او كان في صناعة لا تتعلق بالسلاطين ويقدر على ان يعامل بها اهل الخير
من ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال وقال ابن سالم وقد سئل عن التزويج فقال هو افضل في
زماننا لمن ادركه شبق غالب مثل الحمار يرى الاتان فلا ينتهي عنها بالضرب ولا يملك نفسه فان
ملك نفسه فتركه اولى **الآفة الثانية** القصور عن القيام بحقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال
الاذى منهن وهذه دون الاولى في العموم فان القدرة على هذا ايسر من القدرة على الاولى وتحسين
الخلق مع النساء والقيام بحظوظهن اهون من طلب الحلال وفي هذا ايضا خطر لانه راع ومسئول
عن رعيته قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول وروي ان الهارب من عياله
بمنزلة العبد الهارب الآبق لا يقبل له صلوة ولا صيام حتى يرجع اليهم ومن يقصر في القيام بحقهن وان
كان حاضرا فهو هارب وقد قال تع قوا انفسكم واهليكم نارا امرنا ان نقيهم النار كما نقي انفسنا و
الانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه واذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف الى نفسه نفس اخرى والنفس
امارة بالسوء واذا كثرت كثر الامر بالسوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم عن التزويج وقال انا مبتلى بنفسي
فكيف اضيف اليها نفسا اخرى ولذلك اعتذر ابرهيم بن ادهم وقال لا اغر امراة بنفسي ولا حاجة
لي فيهن اي من القيام بحقهن بتحصينهن وامتاعهن وانا عاجز عنه ولذلك امتنع بشر وقال يمنعني من
النكاح قوله تع ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وكان يقول لو كنت اعول دجاجة لخفت ان اصير
جلادا على الجسر ورئي سفين على باب السلطان فقيل له ما هذا موقفك فقال وهل رايت ذا عيال
افلح وكان سفين يقول يا حبذا العزبة والمفتاح ومسكن تخرقه الرياح لا ضجة فيه ولا صياح فهذه
آفة عامة ايضا وان كان دون عموم الاولى لا يسلم منها الا حكيم عاقل حسن الاخلاق بصير بعادات النساء

صبور على لسنتهن وتاف على اتباع شهواتهن حريص على الوفاء بحقهن يتغافل عن زللهن ويداري بعقله
اخلاقهن والاغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب
تمام الانصاف ومثل هذا يزداد بالنكاح فسادًا من هذا الوجه لا محالة فالوحدة اسلم له **الآفة الثالثة**
وهي دون الاولى والثانية ان يكون الاهل والولد شاغلا له عن الله تع وجاذبًا الى طلب الدنيا وتدبير حسن
المعيشة للاولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما يشغل عن الله تع من اهل
ومال وولد فهو مشوم على صاحبه ولست اعني بهذا ان يدعوه الى محظور فان ذلك مما اندرج تحت الآفة
الاولى والثانية بل ان يدعوه الى التنعم بالمباح بل الى الاغراق في ملاعبة النساء ومؤانستهن والامعان
في التمتع بهن ويثور من النكاح انواع من الشواغل من هذا الجنس يستغرق القلب فينقضي الليل والنهار ولا
يتفرغ المريد فيهما للفكر في الآخرة والاستعداد لها ولذلك قال ابرهيم بن ادهم من تعود افخاذ النساء
لم يجيء منه شيء وقال ابو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا فهذه مجامع الآفات والفوايد
فالحكم على شخص واحد بان الافضل له النكاح او العزوبة مطلقًا قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الامور بل
تتخذ هذه الفوايد والآفات معتبرًا ومحكًا ويعرض المريد عليه نفسه فان انتفت في حقه الآفات و
اجتمعت الفوايد بان كان له مال حلال وخلق حسن وجد في الدين تام لا يشغله النكاح عن الله تع و
هو مع ذلك شاب يحتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج الى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة فلا يتمارى في ان
النكاح افضل له مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد وان انتفت الفوايد واجتمعت الآفات فالعزوبة افضل
له وان تقابل الامر وهو الغالب فينبغي ان يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفايدة في الزيادة من دينه
وحظ تلك الفايدة في النقصان منه فاذا غلب على الظن رجحان احدهما حكم به واظهر الفوايد الولد وتسكين
الشهوة واظهر الآفات الحاجة الى كسب الحرام والاشتغال عن الله فلنفرض تقابل هذه الامور فنقول من
لم يكن في اذية من الشهوة وكانت فايدة نكاحه في السعي لتحصيل الولد وكانت الآفة الحاجة الى كسب الحرام
والاشتغال عن الله تع فالعزوبة له اولى فلا خير فيما يشغل عن الله ولا خير في كسب الحرام ولا يفي بنقصان
هذين الامرين امر الولد لان النكاح للولد سعي في طلب حيوة للولد موهومة وهذا نقصان في الدين ناجز
لحفظ حيوة نفسه وصونها عن الهلاك اهم من السعي في الولد وذلك ربح والدين راس المال وفي فساد
الدين بطلان الحيوة الاخروية وذهاب راس المال فلا يقاوم هذه الفايدة احدى هاتين الآفتين واما اذا انضاف
الى الولد حاجة كسر الشهوتين لتوقان النفس الى النكاح نظر فان لم يقو لجام التقوى في راسه وخاف على نفسه
بالزنا فالنكاح له اولى لانه متردد بين ان يقتحم الزنا او ياكل الحرام والكسب الحرام اهون الشرين وان كان
يثق بنفسه انه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر من الحرام فترك النكاح اولى له لان النظر
حرام والكسب يقع دايما وفيه عصيانه وعصيان اهله والنظر يقع احيانا وهو يخصه وينصرم على قرب
والنظر زنا العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو اقرب الى العفو من اكل الحرام الا ان يخاف افضاء
النظر الى معصية الفرج فيرجع ذلك الى خوف العنت واذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو ان يقوى
على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع الافكار الشاغلة للقلب اولى بترك النكاح لان عمل القلب الى العفو
اقرب وانما يراد فراغ القلب للعبادة ولا يتم عبادة مع الكسب الحرام واكله واطعامه فهكذا ينبغي ان توزن

هذه الآفات بالفوايد ويحكم بحسبها ومن احاط بهذا لم يشكل عليه شيء مما نقل عن السلف من ترغيب في
النكاح مرة ورغبة عنه اخرى اذ ذلك بحسب الاحوال صحيح **فان قلت** فمن امن الآفات فالافضل له
التخلي لعبادة الله ام النكاح **فاقول** يجمع بينهما لان النكاح ليس مانعا من التخلي لعبادة الله من حيث
انه عقد ولكن من حيث الحاجة الى الكسب فان قدر على الكسب الحلال فالنكاح له ايضا افضل لان
الليل وساير اوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن فان
فرض كونه مستغرق الاوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى اوقات المكتوبة والنوم والاكل
وقضاء الحاجة فان كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة الا بالصلوة النافلة او بالحج او ما يجري مجراه
من الاعمال البدنية فالنكاح له افضل لان في كسب الحلال والقيام بالاهل والسعي في تحصيل الولد والصبر
على اخلاق النساء انواعا من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات وان كانت عبادته بالعلم
والفكر وسير الباطن والكسب يشوش عليه ذلك فترك النكاح افضل **فان قلت** فلم ترك عيسى
عليه السلم النكاح مع فضله وان كان الافضل التخلي لعبادة الله فلم استكثر رسولنا صلى الله عليه وسلم
من الازواج **فاعلم** ان الافضل الجمع بينهما في حق من قدر وقويت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله
تع شاغل ورسولنا صلى الله عليه وسلم اخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح فلقد كان مع تسع
من النسوة متخليا لعبادة الله تع وكان قضاء الوطر في النكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة
في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم عن التدبير حتى يشتغلون في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم
مستغرقة بهمومهم غير غافلة عن مهماتهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلو درجته لا يمنعه امر هذا العالم
عن حضور القلب مع الله تع وكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امراته ومتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره فلا
يبعد ان يغير السواقي ما لا يغير البحر الخضم فلا ينبغي ان يقاس عليه غيره واما عيسى صلوات الله عليه
فانه اخذ بالحزم لا بالقوة فاحتاط لنفسه ولعل حالته كانت حالة يوثر فيها الاشتغال بالاهل
او يتعذر معها طلب الحلال ولا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة وهم اعلم باسرار احوالهم
واحكام اعصارهم في طيب المكاسب واخلاق النساء وما على الناكح من غوايل النكاح وما له فيه ومهما
كانت الاحوال منقسمة حتى يكون النكاح في بعضها افضل وتركه في بعضها افضل فحقنا ان ننزل
افعال الانبياء عليهم السلم على الافضل في كل حال والسلام

الباب الثاني فيما يراعى حالة العقد

من احوال المراة وشروط العقد **اما العقد** فاركانه وشروطه لينعقد ويفيد
الحل اربعة **الاول** اذن الولي فان لم يكن فالسلطان **الثاني** رضا المراة ان كانت ثيبا بالغة
او كانت بكرا بالغة ولكن يزوجها غير الاب والجد **الثالث** حضور شاهدين ظاهري العدالة فان
كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة **الرابع** ايجاب وقبول متصل به بلفظ الانكاح او التزويج
او معناهما الخاص بكل لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امراة سواء كان هو الزوج او الولي
او وكيلهما **واما آدابه** فتقديم الخطبة مع الولي لا في حالة عدة المراة بل بعد انقضائها ان كانت
معتدة ولا في حالة سبق غيره بالخطبة اذ نهي عن الخطبة على الخطبة **ومن آدابه** الخطبة قبل النكاح
ومزج التحميد بالايجاب والقبول فيقول المزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة

فيقول الزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق وليكن الصداق معلوما
وخفيفا والتحميد قبل الخطبة ايضا مستحب ومن آداب ان يلقي امر الزوج الى سمع المراة وان كانت
بكرا فذلك اولى بالالفة ولذلك يستحب النظر اليها قبل النكاح فانه احرى ان يودم بينهما ومن الآداب
احضار جمع من اهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة ومن آدابه ان ينوي
بالنكاح اقامة السنة وغض البصر وطلب الولد وساير الفوايد التي ذكرناها فلا يكون قصده مجرد الهوى
والتمتع فيصير عمله من اعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات فرب حق يوافق الهوى قال عمر بن
عبد العزيز اذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان ولا يستحيل ان يكون كل واحد من حظ
النفس وحق الدين باعثا معا ومن آدابه ان يعقد في المسجد وفي شهر شوال قالت عايشة رضي الله
عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبني بي في شوال اما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان
احدهما للحل والثاني لطيب العشرة وحصول المقاصد النوع الاول ما يعتبر فيها للحل و
هي ان تكون خلية عن موانع النكاح والموانع تسعة عشر الاول ان تكون منكوحة للغير الثاني ان
تكون معتدة عن الغير سواء كانت عدة وفاة او طلاق او وطي شبهة او كان في استبراء وطي عن ملك
يمين الثالث ان تكون مرتدة عن الدين بجريان كلمة في لسانها من كلمات الكفر الرابع ان تكون مجوسية
الخامس ان تكون وثنية او زنديقة لا تنتسب الى نبي وكتاب ومنهن المعتقدات لمذهب الاباحة فلا يحل
نكاحهن وكذلك كل معتقدة مذهبا فاسدا يحكم بكفر معتقده السادس ان تكون كتابية قد دانت
بدينهم بعد التبديل او بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فليست من نسب بني اسرائيل
فاذا عدمت كلتا الفضيلتين لم يحل نكاحها وان عدمت النسب فقط ففيه خلاف السابع ان
تكون رقيقة والناكح حر قادر على طول حرة او غير خايف من العنت الثامن ان يكون كلها او بعضها
مملوكا للناكح ملك يمين التاسع ان تكون قريبة للزوج بان تكون من اصوله او فصوله او فصول
اول اصوله او من اول فصل من كل اصل بعده اصل واعني باصوله الامهات والجدات وبفصوله
الاولاد والاحفاد وبفصول اول اصوله الاخوة واولادهم وباول فصل من كل اصل بعده اصل العمات
والخالات دون اولادهن العاشر ان تكون محرمة بالرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
من الاصول والفصول كما سبق ولكن المحرم خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم الحادي عشر ان
المحرمة بالمصاهرة وهو ان يكون الناكح قد نكح ابنتها او حفدتها من قبل او وطيهن بالشبهة في عقد
او وطي امها او احدى جداتها بعقد او شبهة عقد فمجرد العقد على المراة يحرم امهاتها ولا يحرم فروعها
الا بالوطي الثاني عشر ان تكون المنكوحة خامسة اي يكون تحت الناكح اختها او عمتها اربع سواها
اما في نفس النكاح او في عدة الرجعة فان كانت في عدة بينونة لم يمنع الخامسة الثالث عشر ان تكون تحت
الناكح اختها او عمتها او خالتها فيكون بالنكاح جامعا بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان احدهما ذكرا
والآخر انثى لم يجز بينهما النكاح فلا يجوز ان يجمع بينهما الرابع عشر ان يكون هذا الناكح قد طلقها من قبل
ثلثا فلا تحل له ما لم يطاها زوج آخر في نكاح صحيح الخامس عشر ان يكون الناكح قد لاعن عنها فانها
تحرم عليه ابدا بعد اللعان السادس عشر ان تكون محرمة بحج او عمرة او كان الزوج كذلك فلا ينعقد

النكاح

النكاح الا بعد تمام التحلل السابع عشر ان تكون ثيبا صغيرة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ الثامن
عشر ان تكون يتيمة فلا يصح نكاحها الا بعد البلوغ التاسع عشر ان تكون من ازواج رسول الله صلى الله عليه و
سلم ممن توفي عنها او دخل بها فانهن امهات المومنين وذلك لا يوجد في زماننا فهذه هي الموانع المحرمة
واما الخصال المطيبة للعيش التي لا بد من مراعاتها في المراة ليدوم العقد ويتوفر مقاصده فهي ثمانية
الدين والخلق والحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وان لا تكون قرابة قريبة الاولى
ان تكون صالحة ذات دين فهذا هو الاصل وبه ينبغي ان يقع الاعتناء فانها ان كانت ضعيفة الدين
في صيانة نفسها وفرجها ازرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وتشوش بالغيرة قلبه وتنغص بذلك
عيشه فان سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة وان سلك سبيل التساهل كان متهاونا بدينه
وعرضه ومنسوبا الى قلة الحمية والانفة واذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها اشد اذ تشق على
الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالذي جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ان لي امراة لا ترد يد لامس قال طلقها قال فاني احبها قال امسكها وانما امره بامساكها خوفا عليه بانه
ان طلقها اتبعها وفسد هو ايضا معها فراى ما في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه اولى
وان كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله او بوجه آخر لم يزل العيش مشوشا معه فان سكت ولم ينكر
كان شريكا في المعصية مخالفا لقوله تع قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة وان انكر وخاصم تنغص
عيشه ولهذا بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكح المراة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين
وفي حديث آخر من نكح المراة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها و
جمالها وقال ايضا لا تنكح المراة لجمالها فلعل جمالها يرديها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها وانكح المراة
لدينها وانما بالغ في الحث على الدين لان مثل هذه المراة تكون عونا على الدين فاما اذا لم تكن متدينة كانت
شاغلة عن الدين مشوشة له الثانية حسن الخلق وذلك اصل مهم في طلب الفراغ والاستعانة على الدين
فانها اذا كانت سليطة بذية اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم كان الضرر منها اكثر من النفع والصبر
على لسان المراة مما يمتحن به الاولياء قال بعض العرب لا تنكحوا من النساء ستا لا انانة ولا منانة ولا
حنانة ولا حداقة ولا براقة ولا شداقة اما الانانة فهي التي تكثر الانين والتشكي وتعصب راسها كل
ساعة فنكاح الممراضة والمتمارضة لا خير فيه والمنانة هي التي تمن على زوجها فتقول فعلت لاجلك كذا وكذا
والحنانة هي التي تحن الى زوج آخر او الى ولدها من زوج آخر وهذا ايضا مما يجب اجتنابه والحداقة التي ترمي الى
كل شي بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراه والبراقة تحتمل معنيين احدهما ان يكون طول النهار
في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق يحصل بالتصنع والثاني ان تغضب على الطعام ولا تاكل الا
وحدها وتستقل نصيبها من كل شي وهذه لغة يمانية يقولون برقت المراة وبرق الصبي الطعام اذا
غضب عليه والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قوله عليه السلام ان الله يبغض الثرثارين المتشدقين
ويحكى ان السايح الازدي لقي الياس عليه السلم في سياحة فامره بالتزوج ونهاه عن التبتل ثم قال لا تنكح
اربعا المختلعة والمبارية والعاهرة والناشزة اما المختلعة التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب
والمبارية المباهية لغيرها المفاخرة باسباب الدنيا والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن

وهو الذي قال الله تعالى ولا متخذات اخدان والناشزة التي تعلو على زوجها في الفعال والمقال من النشز
وهو العالي من الارض وكان علي رضي الله عنه يقول شر خصال الرجال خيار خصال النساء البخل والزهو والجبن
فان المراة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت ان تكلم كل احد
بكلام لين مريب واذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهم خيفة من
زوجها فهذه الحكايات ترشد الى مجامع الاخلاق المطلوبة في النكاح الثالثة حسن الوجه فذلك
ايضا مطلوب اذ به يحصل التحصن والطبع لا يكتفي بالدميمة غالبا كيف والغالب ان حسن الخلق والخلق
لا يفترقان وما نقلناه من الحث على الدين وان المراة لا تنكح لجمالها ليس زجرا عن رعاية الجمال بل هو زجر
عن النكاح لاجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في غالب الامر يرغب في النكاح ويهون امر
الدين ويدل على الالتفات الى معنى الجمال ان الالف والمودة تحصل به غالبا وقد ندب الشرع الى مراعاة
اسباب الالفة ولذلك استحب النظر فقال اذا اوقع الله في نفس احدكم من امراة فلينظر اليها فانه احرى ان
يودم بينهما اي يولف بينهما من وقوع الادمة على الادمة وهي الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وانما
ذكر ذلك للمبالغة في الايتلاف وقال صلى الله عليه وسلم ان في اعين الانصار شيئا فاذا اراد احدكم
ان يتزوج منهن فلينظر اليهن قيل كان في اعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الورعين لا ينكحون
كرائمهم الا بعد النظر احترازا من الغرور وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره غم وهم ومعلوم
ان النظر لا يعرف الخلق والدين والمال وانما يعرف الجمال والقبح وروي ان رجلا تزوج على عهد عمر رضي الله عنه
وكان قد خضب فنصل خضابه فاستعدى عليه اهل المراة الى عمر وقالوا حسبناه شابا فاوجعه عمر ضربا
وقال غررت بالقوم وروي ان بلالا وصهيبا اتيا اهل بيت من العرب فخطبا اليهم فقيل لهما من
انتما فقال بلال انا بلال وهذا اخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فاعتقنا الله وكنا
عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان تردونا فسبحان الله فقالوا بل تزوجان والحمد لله فقال
صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسكت فقد صدقت
فانكحك الصدق والغرور يقع في الجمال والخلق جميعا فيستحب ازالة الغرور في الجمال بالنظر وفي الخلق بالوصف
والاستيصاف وينبغي ان يقدم ذلك على النكاح ولا يستوصف في اخلاقها وجمالها الا من هو بصير
صادق خبير بالظاهر والباطن لا يميل اليها فيفرط في الثناء ولا يحسدها فيقصر فالطباع مائلة في مبادي
النكاح ووصف المنكوحات الى الافراط والتفريط وقل من يصدق فيه ويقتصد بل الخداع والاغراء اغلب
فالاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوف الى غير زوجته فاما من اراد من الزوجة مجرد السنة او الولد
او تدبير المنزل فلو رغب عن الجمال فهو الى الزهد اقرب لانه على الجملة باب من الدنيا وان كان قد يعين على الدين
في حق بعض الاشخاص قال ابو سليمان الداراني الزهد في كل شيء حتى في المراة يتزوج الرجل العجوز ايثارا
للزهد في الدنيا وقد كان مالك بن دينار يقول يترك احدكم ان يتزوج يتيمة فيؤجر فيها ان اطعمها
وكساها تكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني ابناء الدنيا فتشتهي
عليه الشهوات وتقول اكسني كذا وكذا واختار احمد بن حنبل عوراء على اختها وكانت اختها جميلة
فسال من اعقلهما فقيل العوراء فقال زوجوني اياها فهذا داب من لم يقصد التمتع فاما من لا يامن

على دينه ما لم يكن له مستمتع فليطلب الجمال فالتلذذ بالمباح حصن للدين وقد قيل اذا كانت
المراة حسناء خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة
الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فان الله تعالى وصف نساء الجنة بهذه الاوصاف في قوله تعالى
خيرات حسان اراد بالخيرة حسن الخلق وفي قوله قاصرات الطرف وفي قوله عربا اترابا فالعروب هي
العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبه تتم اللذة والحور البيض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها
في سواد الشعر والعيناء الكبيرة العين وقال صلى الله عليه وسلم خير نسائكم التي اذا نظر اليها زوجها سرته
واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله وانما يسر بالنظر اذا كانت محبة للزوج
الرابعة ان تكون خفيفة المهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء احسنهن وجوها وارخصهن
مهورا وقد نهى عن المغالاة في المهر تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم واثاث البيت
وكان رحى يد وجرة ووسادة من ادم حشوها ليف واولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض نسائه بمدين
من شعير وعلى اخرى بمدي تمر ومدي سويق وكان عمر ينهى عن المغالاة ويقول ما تزوج رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا زوج بناته باكثر من اربعمائة درهم ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق اليها
رسول الله صلعم وقد تزوج بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم
وزوج سعيد بن المسيب ابنته من ابي هريرة على درهمين ثم حملها اليه ليلا فادخلها هو من الباب
ثم انصرف ثم جاءها من بعد سبعة ايام فسلم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج من خلاف العلماء
فلا باس وفي الخبر من بركة المراة سرعة تزويجها وسرعة رحمها اي الولادة وتيسير مهرها وقال ايضا
ابركهن اقلهن مهرا وكما يكره المغالاة في المهر من جهة المراة فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل فلا
ينبغي ان ينكح طمعا في المال قال الثوري اذا تزوج وقال اي شيء للمراة فاعلم انه لص واذا اهدى شيئا
فلا ينبغي ان يهدي ليضطرهم الى المقابلة باكثر منه وكذلك اذا اهدوا اليه فنية طلب الزيادة نية سوء
فاما التهادي فمستحب وهو سبب المودة قال عليه السلام تهادوا تحابوا واما طلب الزيادة فداخل
في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي تعطي لتطلب اكثر وتحت قوله وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فان
الربا هو الزيادة وهذا طلب زيادة في الجملة وان لم يكن في الاموال الربوية وكل ذلك مكروه وبدعة
في النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح الخامسة ان تكون المراة ولودا
فان عرفت بالعقم فليمتنع من تزوجها قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالولود الودود وان لم يكن لها
زوج ولم يعرف حالها فيراعى صحتها وشبابها فانها تكون ولودا في الغالب مع هذين الوصفين
السادسة ان تكون بكرا قال صلى الله عليه وسلم لجابر وقد نكح ثيبا هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وفي
البكارة ثلاث فوائد احديها ان تحب الزوج وتالفه فيؤثر في معنى الودود وقد قال عليه السلام عليكم
بالودود والطباع مجبولة على الانس باول مالوف واما التي اختبرت الرجال ومارست الاحوال
فربما لا ترضى بعض الاوصاف التي تخالف ما الفته فتقلي الزوج الفائدة الثانية ان ذلك اكمل في مودته
لها فان الطبع ينفر عن التي مسها غير الزوج نفرة ما وذلك يثقل على الطبع مهما تذكر وبعض الطباع في هذا
اشد نفورا الثالثة انها لا تحن الى الزوج الاول وآكد الحب ما يقع مع الحبيب الاول غالبا السابعة

ان تكون نسيبة واعنى بها ان تكون من اهل بيت الدين والصلاح فانها ستربي بناتها وبنيها واذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التاديب والتربية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن فقال المراة الحسناء في المنبت السوء وقال عليه السلام تخيروا لنطفكم فان العرق نزاع الثامنة ان لا تكون من القرابة القريبة فان ذلك يقلل الشهوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا اي نحيفا وذلك لتاثيره في تضعيف الشهوة فان الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللمس وانما يقوى الاحساس بالامر الغريب الجديد فاما المعهود الذي دام النظر اليه مدة فانه يضعف الحس عن تمام ادراكه والتاثر به فلا تنبعث به الشهوة فهذه هي الخصال المرغبة في النساء ويجب على الولي ايضا ان يراعي خصال الزوج ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه او خلقه او ضعف دينه او قصر عن القيام بحقها او كان لا يكافيها في نسبها قال صلى الله عليه وسلم النكاح رق فلينظر احدكم اين يضع كريمته والاحتياط في حقها اهم لانها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها والزوج قادر على الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته من ظالم او فاسق او مبتدع او شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله بما قطع من حق الرحم وبسوء الاختيار وقال رجل للحسين قد خطب ابنتي جماعة فممن ازوجها فقال ممن يتقي الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها وقال صلى الله عليه وسلم من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها

الباب الثالث في آداب المعاشرة

وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة **اما الزوج** فعليه مراعاة الاعتدال والادب في اثني عشر امرا في الوليمة والمعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتاديب بالنشوز وفي الوقاع والمفارقة بالطلاق

الادب الاول الوليمة وهي مستحبة قال انس رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف اثر صفرة فقال ما هذا قال تزوجت امراة على وزن نواة من ذهب فقال بارك الله لك اولم ولو بشاة واولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية بسويق وتمر وقال عليه السلام طعام اول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة ومن سمع سمع الله به ولم يرفعه الا زياد بن عبد الله وهو غريب ويستحب التهنية فيقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك الله عليك وجمع بينكما في خير وروى ابو هريرة انه عليه السلام امر بذلك ويستحب اظهار النكاح قال عليه السلام فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت وقال عليه السلام اعلنوا هذا النكاح واجعلوا في المساجد واضربوا عليه بالدفوف وعن الربيع بنت معوذ قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل علي غداة بني بي فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفهن ويندبن من قتل الى ان قالت احديهن وفينا نبي يعلم ما في غد فقال لها اسكتي عن هذه وقولي التي كنت تقولين قبله

الادب الثاني حسن الخلق معهن واحتمال الاذى منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن قال الله تعالى وعاشروهن بالمعروف وقال في تعظيم حقهن واخذن منكم ميثاقا غليظا وقال تعالى والصاحب بالجنب قيل هي المراة وآخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلوة وما ملكت ايمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان عندكم يعني اسراء في ايديكم اخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال صلى الله عليه وسلم من صبرت على سوء خلق زوجها اعطاه الله مثل ثواب آسية

امراة

امراة فرعون واعلم انه ليس حسن الخلق معها كف الاذى عنها بل احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان ازواجه يراجعنه في الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل وراجعت امراة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال اتراجعيني يا لكعاء فقالت ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وهو خير منك فقال خابت حفصة وخسرت ان راجعته ثم جاء الى حفصة فقال لا تغتري بابنة ابي قحافة فانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخوفها من المراجعة وروي انها دفعت احديهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها امها فقال عليه السلام دعيها فانهن يصنعن اكثر من ذلك وجرى بينه وبين عايشة كلام حتى ادخل النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه حكما بينهما واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين او اتكلم فقالت بل تكلم انت ولكن لا تقل الا حقا فلطمها ابو بكر رضي الله عنه حتى دمي فوها وقال يا عدية نفسها او يقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك وقالت له مرة في كلام غضبت عنده انت الذي تزعم انك نبي الله فتبسم صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما وكان يقول لها اني لاعرف غضبك علي من رضاك قالت وكيف يا رسول الله تعرفه قال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا اغضبت قلت لا واله ابرهيم قالت صدقت انما اهجر اسمك ويقال اول حب وقع في الاسلام حب رسول الله صلى الله عليه وسلم عايشة رضي الله عنها وكان يقول لها كنت لك كابي زرع لام زرع غير اني لا اطلقك وكان يقول لنسائه لا تؤذيني في عايشة فانه والله ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امراة منكن غيرها وقال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم الناس بالنساء والصبيان والثالث ان يزيد على احتمال الاذى بالمداعبة والمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق حتى روي انه سابق عايشة في العدو فسبقته يوما وسبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الايام فقال عليه السلام هذه بتلك وفي الخبر انه كان من افكه الناس مع نسائه وقالت عايشة رضي الله عنها سمعت اصوات اناس من الحبشة وغيرهم يلعبون في يوم عاشوراء فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحبين ان تري لعبهم قالت قلت نعم فارسل اليهم فجاؤا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وانا انظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك واقول اسكت مرتين او ثلثا ثم قال يا عايشة حسبك فقلت نعم فاشار اليهم فانصرفوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله وقال عليه السلام خياركم خيركم لنسائه وانا خياركم لنسائي وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته ينبغي للرجل ان يكون في اهله مثل الصبي فاذا التمسوا ما عنده وجد رجلا وقال لقمن ينبغي للعاقل ان يكون في اهله كالصبي فاذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير الخبر المروي ان الله تعالى يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على اهله المتكبر في نفسه وهو احد ما قيل في معنى قوله تعالى عتل قيل العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على اهله وقال عليه السلام

لقد كان

لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك ووصفت اعرابية زوجها وقد مات فقالت والله ضحوكا اذا
ولج سكوتا اذا خرج آكلا ما وجد غير سايل عما فقد الرابع ان لا ينبسط فى الدعابة وحسن
الخلق والموافقة باتباع هواها الى حد يفسد خلقها وتسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعي
الاعتدال فى ذلك فلا يدع الهيبة والانقباض مهما راى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات
البتة بل مهما راى ما يخالف الشرع والمروة تنمر وامتعض قال الحسن والله ما اصبح رجل يطيع
امراته فيما تهوى الا اكبه الله فى النار وقال عمر رضى الله عنه خالفوا النساء فان فى خلافهن
البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وقال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك
لانه اذا اطاعها فى هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله ملكه المراة فملكها نفسه فقد عكس الامر وقلب
القضية واطاع الشيطان لما قال ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل ان يكون متبوعا لا تا بعا
وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء وسمى الرجل سيدا فقال والفيا سيدها لدى الباب فاذا
انقلب السيد مسخرا فقد بدل نعمة الله كفرا ونفس المراة على مثال نفسك ان ارسلت عنانها
قليلا جمحت بك طويلا وان ارخيت عذارها فترا جذبتك ذراعا وان كبحتها وشددت يدك
عليها فى محل الشدة ملكتها قال الشافعى رحمه الله ثلاثة ان اكرمتهم اهانوك وان اهنتهم
اكرموك المراة والخادم والنبطى اراد به ان محضت الاكرام ولم تمزج غلظتك بلينك وفظاظتك
برفقك وكان نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الازواج كانت المراة تقول لابنتها اختبري
زوجك قبل الاقدام والجراة عليه انزعي زج رمحه فان سكت لذلك فقطعي اللحم على ترسه فان سكت
فكسري العظام بسيفه فان صبر فاجعلي الاكاف على ظهره وامتطيه فانما هو حمارك
وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والارض وكل ما جاوز حده انعكس على ضده فينبغى ان يسلك
سبيل الاقتصاد فى المخالفة والموافقة ويتبع الحق فى جميع ذلك ليسلم من شرهن فان كيدهن عظيم
وشرهن فاش والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن الا بنوع لطف
ممزوج بسياسة قال عليه السلام مثل المراة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الاعصم من مائة غراب
والاعصم الابيض البطن وفى وصية لقمن لابنه يا بنى اتق المراة السوء فانها تشيبك قبل المشيب
واتق شرار النساء فانهن لا يدعون الى خير وكن من خيارهن على حذر وقال صلى الله عليه وسلم
استعيذوا من الفواقر الثلاث وعد منهن المراة السوء فانها المشيبة قبل المشيب وفى لفظ
آخر ان دخلت عليها لسبتك وان غبت عنها خانتك وقد قال صلى الله عليه وسلم فى خيرات النساء
انكن صواحبات يوسف يعنى ان صرفكن ابا بكر عن التقدم فى الصلوة ميل منكن عن الحق الى الهوى
وقال الله تع حين افشين سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما اى مالت وقال
ذلك فى خير ازواجه وقال صلى الله عليه وسلم لا يفلح قوم تملكهم امراة وقد زبر عمر رضى الله عنه امراته يوما
وقد راجعته وقال ما انت الا لعبة فى جانب البيت ان كانت لنا اليك حاجة والا جلست كما
انت فاذن فيهن شر وفيهن ضعف فالسياسة والخشونة علاج الشر والمطايبة والرحمة علاج
الضعف والطبيب الحاذق هو الذي يقدر العلاج بقدر الداء فليتفطن الرجل اولا لاخلاقها

بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها **الخامس** الاعتدال فى الغيرة وهو ان لا يتغافل
عن مبادى الامور التى تخشى غوائلها ولا يبالغ فى اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتبع عورات النساء وفى لفظ آخر ان يتعنت النساء ولما قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم من سفره قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا اهلكم ليلا فخالفه رجلان فسبقا فرأى
كل واحد فى منزله ما يكره وفى الخبر المشهور المراة كالضلع ان اردت تقويمه كسرته فدعه تستمتع
به على عوج وهذا فى تهذيب اخلاقها وقال عليه السلام غيرة يبغضها الله وهى غيرة الرجل على اهله من
غير ريبة ولا بد من سوء الظن الذي نهينا عنه فان بعض الظن اثم وقال على رضى الله عنه لا
تكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك واما الغيرة فى محلها فلا بد منها محمودة قال صلى وهي
الله عليه وسلم ان الله يغار والمومن يغار وغيرة الله ان ياتى المومن ما حرم الله عليه وقال عليه
السلام اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير منى ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله ولذلك بعث المنذرين والمبشرين
ولا احد احب اليه المدح من الله ومن اجل ذلك وعد الجنة وقال صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسرى
بى فى الجنة قصرا وبفنائه جارية فقلت لمن هذا القصر فقيل لعمر فاردت ان انظر اليها فذكرت
غيرتك يا عمر فبكى عمر رضى الله عنه وقال اعليك اغار يا رسول الله وكان الحسن يقول اتدعون نساءكم
يزاحمن العلوج فى الاسواق قبح الله من لا يغار وقال عليه السلام ان من الغيرة ما يحب الله فالغيرة فى
غير ريبة والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة والاختيال
الذي يبغضه الله الاختيال فى الباطل وقال عليه السلام انى لغيور وما من امرى لا يغار الا منكوس
القلب والطريق المغنى عن الغيرة ان لا يدخل عليها الرجال وهى لا تخرج الى الاسواق قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضوان الله عليها اى شى خير للمراة قالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها
اليه وقال ذرية بعضها من بعض واستحسن قولها وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدون
الثقب والكوى فى الحيطان كيلا يطلع النساء الى الرجال وراى معاذ امراته تطلع فى الكوة فضربها
وراى امراته دفعت الى غلام له تفاحة قد اكلت بعضها فضربها وقال عمر رضى الله عنه اعروا
النساء يلزمن الحجال وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن فى الخروج فى الهيئة الرثة وقال ايضا عودوا
نساءكم لا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن للنساء فى حضور المساجد والصواب الآن
المنع الا للعجائز وقد استصوب ذلك فى زمان الصحابة رضى الله عنهم حتى قالت عايشة رضى الله عنها
لو علم النبى صلى الله عليه وسلم ما احدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج ولما قال ابن عمر رضى الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله لنمنعهن فضربه و
غضب عليه وقال تسمعنى اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فتقول بلى وانما استجرا على المخالفة
لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر وكذلك
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اذن لهن فى الاعياد خاصة ان يخرجن ولكن لا يخرجن الا برضا ازواجهن
والخروج الآن ايضا مباح للمراة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود اسلم وينبغى ان لا تخرج الا لمهم

لان الخروج للنظارات والامور التي ليست مهمة تقدح في المروة وربما يفضي الى الفساد فا
اذا خرجت فينبغي ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل في حقها عورة كوجه
المراة في حقه بل هو كوجه الصبي الامرد في حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط فان لم تكن فتنة فلا
اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن منتقبات ولو كان وجوه الرجال
عورة في حق النساء لامروا بالتنقب ومنعن من الخروج الا لضرورة **السادس** الاعتدال
في النفقة فلا ينبغي ان يقتر عليهن في الانفاق ولا ينبغي ان يسرف بل يقتصد قال الله تع كلوا واشربوا
ولا تسرفوا وقال تع ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقد قال صلى الله عليه وسلم
خيركم خيركم لاهله وقال عليه السلم دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار تصدقت
به على مسكين ودينار انفقته على اهلك اعظمها اجرا الدينار الذي انفقته على اهلك وقيل كان
لعلي اربع نسوة فكان يشتري لكل واحدة في اربعة ايام لحما بدرهم وقال الحسن كانوا في الرجال
مخاصيب وفي الاثاث والثياب مجاديب وقال ابن سيرين استحب للرجل ان يعمل لاهله في
كل جمعة فالوذجة وكان الحلاوة وان لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة
وينبغي ان يامرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك فهذا اقل درجات الخير وللمراة ان
تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح اذن من الزوج ولا ينبغي ان يستاثر عن اهله بماكول طيب فلا
يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف فان ازمع على ذلك فلياكله في خفية
بحيث لا يعرف اهله ولا ينبغي ان يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه واذا اكل فيقعد العيال
كلهم على مائدته قال سفين بلغنا ان الله وملائكته يصلون على اهل بيت ياكلون في جماعة و
اهم ما يجب عليه مراعاته في الانفاق ان يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل السوء لاجلها فان ذلك
جناية عليها لا مراعاة لها وقد اوردنا الاخبار الواردة في ذلك عند ذكرنا آفات النكاح ۵
السابع ان يتعلم المتزوج من علم الحيض واحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ويعلم زوجته احكام
الصلوة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى فانه امر بان يقيها النار بقوله تع قوا انفسكم واهليكم
نارا فعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن قلبها كل بدعة ان استمعت اليها ويخوفها بالله
اذا تساهلت في امر الدين ويعلمها من احكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج اليه وعلم الاستحاضة
يطول فاما الذي لا بد من ارشاد النساء اليه في امر الحيض بيان الصلوات التي تقضيها فانها مهما
انقطع دمها قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة
فعليها قضاء المغرب والعشاء وهذا اقل ما يراعيه النساء فان كان الرجل قائما بتعليمها فليس لها
الخروج فان لم يكن ذلك فلها الخروج لسؤال بل عليها ذلك ويعصي الرجل بمنعها ومهما تعلمت ما
هو من الفرايض عليها فليس لها ان تخرج الى مجلس ذكر ولا الى تعلم فضل الا برضاه ومهما اهملت المراة
حكما من احكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الرجل خرج الرجل معها وشاركها في الاثم **الثامن**
اذا كان له نسوة فينبغي ان يعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن فان خرج الى سفر واراد استصحاب
واحدة اقرع بينهن كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ظلم امراة بليلتها قضى لها فان القضاء

واجب عليه وعند ذلك يحتاج الى معرفة احكام القسم وذلك يطول ذكره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كان له امراتان فمال الى احديهما دون الاخرى وفي لفظ آخر ولم يعدل بينهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مايل
وانما عليه العدل في العطاء والمبيت اما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت الاختيار قال الله تع ولن
تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم اي لا تعدلون في شهوة القلب وميل النفس ويتبع ذلك
التفاوت في الوقاع وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي ويقول
اللهم هذا جهدي فيما املك ولا طاقة لي فيما تملك ولا املك يعني الحب وقد كانت عايشة رضي الله عنها
احب نسائه اليه وساير نسائه يعرفن ذلك فكان يطاف به محمولا في مرضه في كل يوم وفي كل ليلة فيبيت
عند كل واحدة ويقول اين انا غدا ففطنت امراة منهن فقالت انما يسال عن يوم عايشة فقلن يا رسول
الله قد اذنا لك ان تكون في بيت عايشة فانه يشق عليك ان تحمل في كل ليلة فقال وقد رضيتن بذلك
فقلن نعم فقال فحولوني الى بيت عايشة ومهما وهبت واحدة منهن ليلتها لصاحبتها ورضي الزوج بذلك
ثبت الحق لها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فقصد ان يطلق سودة بنت زمعة
لما كبرت فوهبت ليلتها من عايشة رضي الله عنها وسالته ان يقرها على الزوجية حتى تحشر في زمرة نسائه
فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعايشة ليلتين ولساير ازواجه ليلة ليلة ولكنه صلى الله عليه وسلم
لحسن عدله وقوته كانت اذا تاقت نفسه الى احدى نسايه في غير نوبتها فجامعها طاف من يومه
او ليلته على ساير نسايه فمن ذلك ما روي عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على
نسايه في ليلة واحدة وعن انس انه عليه السلم طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار **التاسع** في النشوز
ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم امرهما فان كان من جانبهما جميعا او من الرجل فلا تسلط الزوجة
على زوجها ولا يقدر على اصلاحه فلا بد من حكمين احدهما من اهله والآخر من اهلها لينظرا بينهما
ويصلحا امرهما وان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وقد بعث عمر رضي الله عنه حكمين الى زوجين فعادا ولم
يصلحا امرهما فعلاهما بالدرة وقال ان الله تعالى يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فعادا و
احسنا النية وتلطفا في الامر فاصلح ما بينهما اما اذا كان من المراة خاصة فالرجال قوامون على النساء
فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة قهرا ولكن ينبغي ان يتدرج في تاديبها وهو ان يقدم اولا الوعظ
والتحذير والتخويف فان لم ينجع ولاها ظهره في المضجع او انفرد عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت من ليلة
الى ثلاث ليال فان لم ينفعها ضربها ضربا غير مبرح بحيث يولمها ولا يكسر لها عظما ولا يدمي لها جسما
ولا يضرب وجهها فذلك منهي عنه وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما حق المراة على الرجل فقال يطعمها
اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الا ضربا غير مبرح ولا يهجر الا في البيت وله ان يغضب
عليها ويهجرها في امر من امور الدين الى عشر والى شهر فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ارسل بهدية الى زينب
فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد اقماتك اذ ردت عليك هديتك اي اذلتك واستصغرتك
فقال صلى الله عليه وسلم انتن اهون على الله ان تقمئنني ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد اليهن ۵
العاشر في آداب الجماع ويستحب ان يبدأ باسم الله تع ويقرا قل هو الله احد اولا ويكبر ويهلل
ويقول بسم الله العلي العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت ان تخرج ذلك من صلبي وقال

عليه السلام لو ان احدهم اذا اتى اهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما
ولد لم يضره الشيطان واذا قربت من الانزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك الحمد لله الذي خلق من
الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا الآية وكان بعض اهل الحديث يكبر حتى يسمع اهل الدار صوته ثم
ينحرف عن القبلة فلا يستقبل القبلة بالوقاع اكراما للقبلة وليغط نفسه واهله بثوب كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمراة عليك بالسكينة وفي الخبر اذا جامع احدكم اهله
فلا يتجردا تجرد العيرين اي الحمارين وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل قال صلى الله عليه وسلم لا يقع
احدكم على امراته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول فقال القبلة والكلام وقال صلى
الله عليه وسلم ثلاث من العجز في الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعلم اسمه ونسبه والثاني ان
يكرمه اخوه فيرد عليه كرامته والثالث ان يقارب الرجل جاريته فيصيبها قبل ان يحادثها ويؤانسها
ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل ان تقضي حاجتها منه ويكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر ليلة اوله
وآخره والنصف منه يقال ان الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي ويقال ان الشياطين يجامعون فيها
وروي كراهة ذلك عن علي ومعوية وابي هريرة ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلته تحقيقا لاحد التاويلين
من قوله عليه السلام رحم الله من غسل واغتسل ثم اذا قضى وطره فليتمهل على اهله حتى تقضي هي وطرها ايضا
فان انزالها ربما يتاخر فتهيج شهوتها ثم القعود عنها ايذاء لها والاختلاف في طبع الانزال يوجب
التنافر مهما كان الزوج سابقا الى الانزال والتوافق في وقت الانزال الذ عندها ليشتغل الرجل بنفسه
عنها فانها ربما تستحيي وينبغي ان يأتيها في كل اربع ليال مرة اذ عدد النساء اربع فجاز التاخير الى هذا
الحد نعم ينبغي ان يزيد او ينقص بحسب حاجتها في التحصين فان تحصينها واجب عليه وان كان لا تثبت المطالبة
بالوطء فذلك لعسر المطالبة والوفاء به ولا يأتيها في الحيض ولا بعد انقطاعه وقبل الغسل فهو
محرم بنص الكتاب وقيل ان ذلك يورث الجذام في الولد وله ان يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها
في غير المأتى اذ حرم غشيان الحائض لاجل الاذى والاذى في غير المأتى دائم فهو اشد تحريما من اتيان الحائض
وقوله تعالى فأتوا حرثكم انى شئتم يعني اي وقت شئتم وله ان يستمني بيدها وان يستمتع بما تحت الازار
منها سوى الوقاع وينبغي ان تتزر المراة بازار من حقوها الى فوق الركبة في حالة الحيض فهذا من الادب
وله ان يواكل الحائض ويخالطها في المضاجعة وغيرها وليس عليه اجتنابها فان اراد ان يجامع ثانيا بعد
اول فليغسل فرجه اولا وان احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه ويبول ويكره الجماع في اول الليل حتى لا ينام
على غير طهارة فان اراد النوم والاكل فليتوضأ وضوءه للصلوة فهو سنة قال ابن عمر قلت للنبي صلى
الله عليه وسلم اينام احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضأ ولكن فيه رخصة قالت عائشة رضي الله عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام جنبا لا يمس ماء ومهما عاد الى فراشه فليمسح وجه فراشه ولينفضه فانه
لا يدري ما حدث عليه بعده ولا ينبغي ان يحلق او يقلم او يستحد او يخرج دما او يبين من نفسه جزءا وهو
جنب اذ ترد اليه سائر اجزائه في الآخرة فيعود جنبا ويقال ان كل شعرة تطالبه بجنابتها ومن الآداب
ان لا يعزل بل لا يسرح الماء الا الى محل الحرث وهو الرحم فما من نسمة قدر الله كونها الا وهي كائنة هكذا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان عزل فقد اختلف العلماء في اباحته وكراهته على اربعة مذاهب فمن

مبيح

مبيح مطلقا بكل حال ومن محرم بكل حال ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها وكان هذا القائل
يحرم الايذاء دون العزل ومن قائل يباح في المملوكة دون الحرة والصحيح عندنا ان ذلك مباح واما الكراهية
فانها تطلق لنهي التحريم ولنهي التنزيه ولترك الفضيلة فهو مكروه بالمعنى الثالث اي فيه ترك فضيلة كما يقال
يكره للقاعد في المسجد ان يقعد فارغا لا يشتغل بذكر او صلوة وللحاضر في مكة مقيما بها ان لا يحج كل
سنة والمراد بهذه الكراهية ترك الاولى والفضيلة فقط وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة في الولد ولما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليجامع اهله فيكتب له من جماعه اجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله
فقتل وانما قال ذلك لانه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له اجر التسبب اليه مع ان الله خالقه ومحييه
ومقويه على الجهاد والذي اليه من التسبب فقد فعله وهو الوقاع وذلك عند الامناء في الرحم وانما قلنا (وانما)
لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه لان اثبات النهي انما يمكن بنص او قياس على منصوص ولا نص ولا اصل يقاس
عليه بل ههنا اصل يقاس عليه وهو ترك النكاح اصلا او ترك الجماع بعد النكاح او ترك الانزال بعد الايلاج
فكل ذلك ترك للافضل وليس ارتكابا لنهي ولا فرق اذ الولد يتكون بوقوع النطفة في الرحم ولها اربعة اسباب
النكاح ثم الوقاع ثم الصبر الى الانزال ثم الوقوف لينصب المني في الرحم وبعض هذه الاسباب اقرب من
بعض فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث وكذا الثالث كالثاني والثاني كالاول وليس هذا كالاجهاض
والوأد لان ذلك جناية على موجود حاصل وله ايضا مراتب واول مراتب الوجود ان تقع النطفة في
الرحم وتختلط بماء المراة فتستعد لقبول الحيوة فافساد ذلك جناية فان صارت مضغة وعلقة
كانت الجناية افحش فان نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشا ومنتهى التفاحش
في الجناية بعد الانفصال حيا وانما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث الوقوع في الرحم لا من حيث
الخروج من الاحليل لان الولد لا يخلق من الرجل وحده بل من الزوجين جميعا اما من مائه ومائها او
من مائه ودم الحيض قال بعض اهل التشريح المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض وان الدم منها
كاللبن من الرائب والنطفة من الرجال شرط في خثورة دم الحيض وانعقاده كالانفحة للبن اذ بها
ينعقد وكيف ما كان فماء المراة ركن في الانعقاد فيجري الماءان مجرى الايجاب والقبول في الوجود الحكمي
في العقود فمن اوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانيا على العقد بالنقض والفسخ ومهما اجتمع الايجاب
والقبول كان الرجوع بعده رفعا وفسخا وقطعا وكما ان النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد
فكذا بعد الخروج من الاحليل ما لم يمتزج بماء المراة او دمها فهذا هو القياس الجلي فان قلت
فان لم يكن العزل مكروها من حيث انه دفع لوجود الولد فلا يبعد ان يكره لاجل النية الباعثة عليه اذ لا
يبعث عليه الا نية فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفي فاقول النيات الباعثة على العزل خمس الاولى
في السراري وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الاعتاق
ودفع اسبابه ليس بمنهي عنه الثانية استبقاء جمال المراة وسمنها لدوام التمتع واستبقاء حيوتها
خوفا من خطر الطلق وهذا ايضا ليس منهيا عنه الثالثة الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الاولاد
والاحتراز من الحاجة الى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء وهذا ايضا غير منهي عنه فان قلة الحرج
معين على الدين نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله حيث قال وما من دابة في الارض الا على

الله ذوقها فلا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الافضل ولكن النظر الى العواقب وحفظ المال وادخاره مع
كونه مناقضا للتوكل لا نقول انه منهي عنه الرابع الخوف من الاولاد الاناث لما يعتقد في تزويجهن
من المعرة كما كانت من عادات العرب في قتلهم الاناث فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها اصل النكاح
او اصل الوقاع اثم بها لا بترك النكاح والوطء فكذا في العزل والفساد في اعتقاد المعرة في سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وينزل منزلة امراة تركت النكاح استنكافا من ان يعلوها رجل وكانت تتشبه بالرجال
فلا ترجع الكراهة الى عين ترك النكاح الخامسة ان يمتنع المراة لتعززها ومبالغتها في النظافة
والتحرز من الطلق والولادة والنفاس والرضاع وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن في استعمال
المياه حتى كن يقضين صلوات ايام الحيض ولا يدخلن الخلاء الا عراة فهذه بدعة تخالف السنة
فهي نية فاسدة واستاذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تاذن لها فيكون
القصد هو الفاسد دون منع الولادة فان قلت فقد قال عليه السلام من ترك النكاح مخافة العيال فليس
منا قلنا فالعزل كترك النكاح وقوله ليس منا اي ليس موافقا لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا
فعل الافضل فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم في العزل ذلك الواد الخفي كقوله الشرك الخفي واذا
الموءودة سئلت وهذا في الصحيح قلنا وفي الصحيح ايضا اخبار صحيحة في الاباحة وقوله الواد الخفي
كقوله الشرك الخفي وذلك يوجب كراهة لا تحريما فان قلت فقد قال ابن عباس رضي الله عنه العزل هو
الواد الاصغر وان الممنوع وجوده به هي الموءودة الصغرى قلنا هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه
وهو قياس ضعيف ولذلك انكره عليه علي رضي الله عنه لما سمع وقال لا تكون موءودة الا بعد سبعة
اطوار وتلا الاية الواردة في اطوار الخلقة وهو قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم
جعلناه نطفة في قرار مكين الى قوله ثم انشاناه خلقا اخر اي نفخنا فيه الروح ثم تلا قوله في الاية الاخرى واذا
الموءودة سئلت واذا نظرت الى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب
علي وابن عباس رضي الله عنهما في الغوص على المعاني ودرك العلوم كيف ومن المتفق عليه في الصحيحين عن
جابر رضي الله عنه انه قال كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقران ينزل وفي لفظ اخر كنا
نعزل فبلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا وفيه ايضا عن جابر انه قال ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال عليه السلام اعزل
عنها ان شئت فانه سياتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال ان الجارية قد حملت فقال
قد اخبرتكم انه سياتيها ما قدر لها وهذا كله في الصحيحين الحادي عشر في اداب الولادة وهي
خمسة الاول ان لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالانثى فانه لا يدري الخيرة في ايهما فكم من صاحب ابن
يتمنى ان لا يكون له او يكون بنتا بل السلامة منهن اكثر والثواب فيهن اجزل قال صلى الله عليه وسلم
من كان له ابنة فادبها واحسن ادبها وغذاها فاحسن غذاءها واسبغ عليها من النعمة التي اسبغ الله عليه كانت له ميمنة و
ميسرة من النار الى الجنة وقال ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يدرك
ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه الا ادخلتاه الجنة وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج
الى سوق من اسواق المسلمين من كان له ابنتان او اختان فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت انا وهو في الجنة كهاتين

وقال انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج الى السوق من اسواق المسلمين
فاشترى شيئا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه
وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمل طرفة من السوق الى عياله فكانما حمل اليهم صدقة
حتى يضعها فيهم وليبدا بالاناث قبل الذكور فانه من فرح انثى فكانما بكى من خشية الله ومن بكى
من خشية الله حرم الله بدنه على النار وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت
له ثلاث بنات او اخوات فصبر على لاوائهن وضرائهن وسرائهن ادخله الله الجنة بفضل رحمته
اياهن فقال رجل واثنتان يا رسول الله فقال واثنتان فقال رجل او واحدة فقال او واحدة
الادب الثاني ان يؤذن في اذن المولود روى رافع عن ابيه قال رايت رسول الله صلى الله عليه و
سلم اذن في اذن الحسن حين ولدته فاطمة رضي الله عنها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من
ولد له مولود فاذن في اذنه اليمنى واقام في اذنه اليسرى رفعت عنه ام الصبيان ويستحب ان
يلقن الصبي اول انطلاق لسانه لا اله الا الله ليكون ذلك اول حديثه والختان في اليوم السابع ورد
فيه خبر الادب الثالث ان يسميه باسم حسن فذلك حق الولد وقد قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم اذا سميتم فعبدوا وقال عليه السلام احب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وقال عليه السلام
سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي قال العلماء كان ذلك في عصره اذ كان ينادي يا ابا القاسم واما الان
فلا باس وسمى رجل ابا عيسى فقال عليه السلام ان عيسى لا اب له فكره ذلك والسقط ينبغي ان يسمى
قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية بلغني ان السقط يصرخ يوم القيامة وراء ابيه فيقول انت ضيعتني
وتركتني لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يدرى انه غلام او جارية فقال عبد الرحمن
من الاسماء ما يجمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة وقال صلى الله عليه وسلم انكم تدعون يوم
القيامة باسمائكم واسماء ابائكم فاحسنوا اسماءكم ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله بدل رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسم العاص بعبد الله وقال عليه السلام لزينب وكان اسمها برة تزكي نفسها فسماها
زينب وقد ورد نهي في تسمية افلح ويسار ونافع وبركة لانه يقال اثم هو فيقال لا الادب الرابع
العقيقة عن الذكر بشاتين وعن الانثى بشاة ولا باس بالشاة ان يكون ذكرا او انثى روت عائشة رضي
الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر في الغلام بشاتين مكافئتين وعن الجارية بشاة وروي
انه عليه السلام عق عن الحسين بشاة وهذا رخصة في الاقتصار على واحدة وقال صلى الله عليه وسلم
مع الغلام عقيقته فاهريقوا عنه دما واميطوا عنه الاذى ومن السنة ان يتصدق بوزن
شعره ذهبا او فضة فقد ورد فيه خبر روي انه عليه السلام امر فاطمة رضوان الله عليها يوم سابع حسين
ان تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة وقالت عائشة رضي الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم
الادب الخامس ان يحنكه بتمرة او حلاوة روي عن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما انها
قالت ولدت عبد الله بن الزبير بقباء ثم اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا
بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة
ثم دعا له وبرك عليه وكان اول مولود ولد في الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا لانهم قيل لهم ان

اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم الثاني عشر في الطلاق وليعلم انه مباح ولكنه ابغض المباحات
الى الله تع فانما يكون مباحا اذا لم يكن فيه ايذاء بالباطل ومهما طلقها فقد آذاها ولا يباح ايذاء
الغير الا بجناية من جانبها او بضرورة من جانبه لموذي قال الله تع فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا
اي لا تطلبوا حيلة الفراق وان كرهها ابوه فليطلقها وقال ابن عمر رضي الله عنه كانت تحتي امراة
احبها وكان ابي يكرهها ويامرني بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق
امراتك فهذا يدل على ان حق الوالد مقدم ولكن والد يكرهها لا لغرض فاسد مثل عمر رضي الله عنه ومهما
آذت زوجها وبذت على اهله فهي خائنة وكذلك مهما كانت سيئة الخلق او فاسدة الدين قال
ابن مسعود في قوله تع ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة مهما بذت على اهل زوجها وآذته فهو فاحشة
وهذا اريد به في العدة ولكنه تنبيه على المقصود وان كان الاذى من الزوج فلها ان تفتدي ببذل مال
ويكره للرجل ان ياخذ منها اكثر مما اعطى فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها ونوع تجارة على البضع قال
تعالى لا جناح عليهما فيما افتدت به فرد ما اخذته فما دونه لائق بالفداء فان سالت الطلاق لغير ما باس
فهي آثمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امراة سالت زوجها طلاقها من غير ما باس لم ترح
رائحة الجنة وفي لفظ آخر فالجنة عليها حرام وقال عليه السلم المختلعات هن المنافقات ثم
ليراع الزوج في الطلاق اربعة امور الاول ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه فان الطلاق
في الحيض والطهر الذي جامعها فيه بدعي حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة عليها فان
فعل ذلك فليراجعها طلق ابن عمر رضي الله عنه في العدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مره فليراجعها
حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء امسكها فتلك العدة التي امر الله تع ان يطلق
لها النساء وانما امره بالصبر بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط الثاني
ان يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث لان الطلقة الواحدة بعد العدة تفيد المقصود و
يستفيد بها الرجعة ان ندم في العدة وتجديد النكاح ان اراد بعد العدة واذا طلق ثلثا ربما
ندم فيحتاج الى ان يتزوجها محلل والى الصبر مدة وعقد المحلل منهي عنه ويكون هو الساعي فيه ثم يكون
قلبه معلقا بزوجة الغير وتطليقه اياها اعني زوجة المحلل بعد ان تزوج منه ثم يورث ذلك تنفيرا من الزوجة
وكل ذلك ثمرة الجمع وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محذور ولست اقول الجمع حرام ولكنه مكروه
لهذه المعاني فاعني بالكراهة ترك النظر لنفسه الثالث ان يتلطف في التعلل بتطليقها من غير
تعنيف واستخفاف ويطيب قلبها بهدية على سبيل الامتاع والجبر لما فجعها به من اذى الفراق
قال تع ومتعوهن وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر في اصل النكاح كان الحسن بن علي رضي الله عنهما
مطلاقا ومنكاحا فوجه ذات يوم بعض اصحابه بطلاق امراتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وامره
ان يدفع الى كل واحدة منهما عشرة الاف درهم ففعل فلما رجع اليه قال ماذا فعلت فقال اما احداهما فنكست
راسها وسكتت واما الاخرى فبكت وانتحبت فسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق فاطرق الحسن
وترحم لها وقال لو كنت مراجعا امراة بعد ما فارقتها لراجعتها ودخل الحسن رضي الله عنه ذات يوم
على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضي

اذعنا

الله عنها حيث قالت لولا امر مسيري ذلك لكان احب الي من ان يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحرث فدخل عليه في بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه في مجلسه
وقال الا ارسلت الي فكنت اجيئك قال الحاجة لنا فقال وما هي قال جئتك خاطبا ابنتك فاطرق
عبد الرحمن ثم رفع راسه وقال والله ما على وجه الارض احد يمشي عليها اعز علي منك وانك تعلم ان
ابنتي بضعة مني وانت مطلاق فاخاف ان تطلقها وان فعلت خشيت ان يتغير قلبي في محبتك
واكره ان يتغير قلبي عليك لانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت ان لا تطلقها
زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج فقال بعض اهل بيته سمعته وهو يمشي ويقول ما اراد عبد الرحمن
الا ان يجعل ابنته طوقا في عنقي وكان علي كرم الله وجهه يضجر من كثرة تطليقه فكان يعتذر منه على
المنبر ويقول في خطبته ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله يا
امير المومنين لننكحنه ما شاء فان احب امسك وان احب ترك فسر ذلك عليا رضي الله عنه فقال
ولو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام وهذا تنبيه على ان من طعن في
حبيبه من اهل وولد بنوع حياء فلا ينبغي ان يوافق عليه فهذه الموافقة قبيحة بل الادب المخالفة
ما امكن فان ذلك اسر لقلبه واوفق لباطن رايه والقصد من هذا بيان ان الطلاق مباح
وقد وعد الله الغنى في الفراق والنكاح جميعا فقال تع وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال سبحانه وان يتفرقا يغن الله كلا من
سعته الرابع ان لا يفشي سرها لا في الطلاق ولا عند النكاح فقد ورد في افشاء سر النساء في الخبر
الصحيح وعيد عظيم ويروى عن بعض الصالحين انه اراد طلاق امراة فقيل له ما الذي يريبك منها فقال
العاقل لا يهتك ستر امراته فلما طلقها قيل له لم طلقتها فقال ما لي ولامراة غيري هذا بيان
ما على الزوج القسم الثاني من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها والقول الشافي
فيه ان النكاح نوع رق فهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها
مما لا معصية فيه وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها اخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم ايما امراة
ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل قد خرج الى سفر وعهد الى امراته ان لا تنزل من
العلو الى السفل وكان ابوها في السفل فمرض فارسلت المراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
تستاذن في النزول الى ابيها فقال صلى الله عليه وسلم اطيعي زوجك فمات فاستامرته فقال
اطيعي زوجك فدفن ابوها فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخبرها ان الله عز وجل قد غفر لابيها
بطاعتها لزوجها وقال عليه السلم اذا صلت المراة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها
واطاعت زوجها دخلت جنة ربها فاضاف طاعة الزوج الى مباني الاسلام وذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم النساء فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات باولادهن لولا ما ياتين الى
ازواجهن دخل مصلياتهن الجنة وقال عليه السلام اطلعت في النار فاذا اكثر اهلها
النساء فقلن لم يا رسول الله فقال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر وفي خبر آخر اطلعت
في الجنة فاذا اقل اهلها النساء فقلت اين النساء فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران يعني

الحلي ومصبغات الثياب وقالت عايشة رضي الله عنها اتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت يا نبي الله اني فتاة اخطب واني اكره التزويج فما حق الزوج على المراة قال لو كان من
قرنه الى قدمه صديد فلحسته ما ادت شكره قالت فلا اتزوج اذن قال بلى تزوجي فانه خير
قال ابن عباس رضي الله عنه اتت امراة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت اني امراة ايم
واريد ان اتزوج فما حق الزوج فقال ان من حق الزوج على الزوجة اذا اراد ها على نفسها وهي على ظهر بعير
ان لا تمنعه ومن حقه ان لا تعطي شيا من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها و
الاجر له ومن حقه ان لا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها ومن
حقه ان لا تخرج من بيتها الا باذنه فان فعلت لعنتها الملايكة حتى ترجع الى بيتها او تتوب وقال
صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها
وقال صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون المراة من وجه ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلوتها
في صحن دارها افضل من صلوتها في المسجد وصلوتها في بيتها افضل من صلوتها في صحن دارها وصلوتها
في مخدعها افضل من صلوتها في بيتها والمخدع بيت في بيت وذلك للستر ولذلك قال صلى الله عليه و
سلم المراة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وقال ايضا للمراة عشر عورات فاذا تزوجت
ستر الزوج عورة واحدة فاذا ماتت ستر القبر العشر العورات فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة
واهمها امران احدهما الصيانة والستر والاخر ترك المطالبة بما وراء الحاجة والتعفف عن
كسبه اذا كان حراما وهكذا كانت عادة النساء في السلف كان الرجل اذا خرج من منزله تقول
له امراته او ابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من
السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة فقالت
زوجي منذ عرفته عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولي رزاق يذهب الاكال ويبقى الرزاق وخطبت
رابعة بنت اسمعيل احمد بن ابي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها والله ما لي همة
في النساء لشغلي بحالي فقالت اني لاشغل بحالي منك وما لي شهوة ولكني ورثت مالا جزيلا من زوجي
فاردت ان انفقه على اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون لي ذلك طريقا الى الله تعالى فقال حتى
استاذن استاذي فرجع الى ابي سليمن الداراني قال وكان ينهاني عن التزويج ويقول ما تزوج
احد من اصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها قال تزوج بها فانها ولية الله هذا كلام الصديقين
قال فتزوجتها فكان في منزلنا كر من جص ففني من غسل ايدي المستعجلين للخروج بعد الاكل
فضلا عمن غسل بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات و
تطيبني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى ازواجك وكانت هذه تشبه في اهل الشام برابعة
العدوية في البصرة ومن الواجبات عليها ان لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يحل لها ان تطعم من بيته الا باذنه الا الرطب الذي يخاف فساده فان
اطعمت عن رضاه كان لها مثل اجره وان اطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر ومن حقها
على الوالدين تعليمها حسن المعيشة واداب العشرة مع الزوج روي ان اسماء بنت خارجة الفزاري

قال لابنته عند التزوج انك خرجت من العش الذي فيه درجت وصرت الى فراش لا تعرفينه وقرين
لم تالفيه فكوني له ارضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له امة يكن لك عبدا
لا تلحفي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك ان دنا فاقربي منه وان ناى فابعدي عنه واحفظي
انفه وسمعه وعينه لا يشم منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا وقال رجل لزوجته
خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب ولا تنقريني نقرك الدف مرة
فانك لا تدرين كيف المغيب واني رايت الحب في القلب والاذى اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب
والقول الجامع في اداب المراة من غير تطويل ان تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزلها لا تكثر
صعودها واطلاعها قليلة الكلام لجيرانها لا تدخل عليهم الا في حال توجب الدخول تحفظ بعلها في غيبته
وحضره وتطلب مسرته في جميع امورها ولا تخونه في نفسها وماله لا تخرج من بيتها وان خرجت باذنه
مختفية في هيئة رثة تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والاسواق محترزة من ان يسمع غريب
صوتها او يعرفها بشخصها لا تتعرف الى صديق بعلها في حاجاتها بل تتنكر على من تظن انه
يعرفها همتها صلاح شانها وتدبير بيتها مقبلة على صلوتها وصيامها اذا استاذن صديق
لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم تستفهمه ولم تعاوده في الكلام غيرة على نفسها وبعلها
وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله ومقدمة حقه على حق نفسها وحق ساير اقاربها متنظفة
في نفسها مستعدة في الاحوال كلها ليستمتع بها ان شاء مشفقة على اولادها حافظة للستر عليهم
قصيرة اللسان عن سب الاولاد ومراجعة الزوج وقد قال صلى الله عليه وسلم انا وامراة
سفعاء الخدين كهاتين في الجنة امراة امت من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى بانوا
او ماتوا وقال عليه السلم حرم الله على كل ادمي دخول الجنة قبلي غير اني انظر عن يميني فارى امراة تبادرني
الى باب الجنة فاقول ما لهذه تبادرني فيقال يا محمد هذه امراة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى
فصبرت عليهن حتى بلغ امرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك ومن ادابها ان لا تتفاخر على الزوج
بجمالها ولا تزدري زوجها لقبحه فقد روي ان الاصمعي قال دخلت البادية فاذا انا بامراة من
احسن الناس وجها تحت رجل من اقبح الناس وجها فقلت لها يا هذه اترضين ان تكوني تحت مثله لنفسك
فقالت يا هذا اسكت اسات في قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ولعلي انا اسات فيما بيني
وبين خالقي فجعله عقوبتي افلا ارضى بما رضي الله لي فاسكتتني وقال الاصمعي رايت في البادية امراة عليها
قميص احمر وهي مختضبة وبيدها سبحة فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت ولله مني جانب لا اضيعه
وللهو مني والبطالة جانب فمن اداب المراة ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع
الى اللعب والانبساط واسباب اللذة في حضور زوجها ولا ينبغي ان تؤذي زوجها بحال روي عن معاذ
بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذي امراة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين
لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا ومما يجب عليها من حقوق
النكاح اذا مات عنها زوجها ان لا تحد عليه اكثر من اربعة اشهر وعشر وتجتنب الطيب والزينة
في هذه المدة قالت زينب بنت ابي سلمة دخلت على ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي

ابوها ابو سفين بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر ان تحد على امراة اكثر من ثلاثة ايام الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ويلزمها لزوم مسكن النكاح الى اخر العدة وليس لها الانتقال الى اهلها ولا الخروج الا لضرورة ومن ادابها ان تقوم بكل خدمة في الدار ما تقدر عليها روي عن اسماء بنت الصديق رضي الله عنهما انها قالت تزوجني الزبير وما له في الارض من مال ولا مملوك ولا شي غير فرسه وناضحه فكنت اعلف فرسه واكفيه مونته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقي الماء واخرز غربه واعجن وكنت انقل النوى على راسي من ثلثي فرسخ حتى ارسل الي ابو بكر بخادم فكفتني سياسة الفرس فكانما اعتقتني ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه اصحابه والنوى على راسي فقال صلى الله عليه وسلم اخ اخ لينيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان اغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد استحييت فجئت الى الزبير فحكيت ما جرى فقال والله لحملك النوى على راسك اشد علي من ركوبك معه. تم كتاب النكاح ويتلوه كتاب آداب الكسب والحمد لله رب العالمين

كتاب آداب الكسب والمعيشة وهو الكتاب الثالث من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله حمد موحد انمحق في توحيده ما سوى الواحد الحق وتلاشى، ونمجده تمجيد من يصرح بان كل شي ما سوى الله باطل ولا يتحاشى، وان كل من في السموات والارض لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولا فراشا، ونشكره اذ رفع السماء لعباده سقفا مبنيا ومهد الارض بساطا لهم وفراشا، وكور الليل على النهار فجعل الليل لباسا وجعل النهار معاشا، لينتشروا في ابتغاء فضله وينتعشوا به عن ضرعة الحاجات انتعاشا، ونصلي على رسوله الذي يصدر المومنون عن حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشا، وعلى آله واصحابه الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمرا وانكماشا، وسلم كثيرا. اما بعد فان رب الارباب ومسبب الاسباب، جعل الآخرة دار الثواب والعقاب، والدنيا دار التمحل والاضطراب والتشمر والاكتساب، وليس التشمر في الدنيا مقصورا على المعاش بل المعاش ذريعة الى المعاد ومعين عليه فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة اليها والناس ثلاثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين والاقرب الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد ولن ينتهض طلب الدنيا وسيلة الى الآخرة وذريعة ما لم يتادب في طلبها باداب الشريعة وها نحن نورد آداب التجارات والصناعات وضروب الاكتساب وسننها ونشرحها في خمسة ابواب ان شاء الله. الباب الاول في فضل الكسب والحث عليه الباب الثاني في علم صحيح البيع والشرى والمعاملات الباب الثالث في بيان العدل في المعاملات الباب الرابع في بيان الاحسان فيها الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه

الباب الاول في فضل الكسب والحث عليه

اما من الآيات فقوله تعالى وجعلنا

النهار معاشا فذكره في معرض الامتنان وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون فجعلها نعمة وطلب الشكر عليها وقال تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم وقال تعالى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقال تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واما الاخبار فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة وقال عليه السلام التاجر الصدوق يحشر يوم القيمة مع الصديقين والشهداء وقال عليه السلام من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر وكان عليه السلام جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغني بها عن الناس ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة وفي الخبر ان الله تعالى يحب المومن المحترف وقال عليه السلام احل ما اكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور وفي خبر آخر احل ما اكل العبد كسب يد الصانع اذا نصح وقال عليه السلام عليكم بالتجارة فان فيها تسعة اعشار الرزق وروي ان عيسى عليه السلام راى رجلا فقال له ما تصنع قال اتعبد قال من يعولك قال اخي قال اخوك اعبد منك وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اني لا اعلم شيا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار الا امرتكم به ولا اعلم شيا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار الا نهيتكم عنه وان الروح الامين نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وان ابطا عنها فاتقوا الله واجملوا في الطلب امر بالاجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال في آخره ولا يحملنكم استبطاء شي من الرزق على ان تطلبوه بمعصية الله تعالى فان الله عز وجل لا ينال ما عنده بمعصيته وقال صلى الله عليه وسلم الاسواق موائد الله عز وجل فمن اتاها اصاب منها وقال عليه السلام لان ياخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من ان ياتي رجلا اعطاه الله من فضله فيساله اعطاه او منعه وقال عليه السلام من فتح على نفسه بابا من السوال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر واما الآثار فقد قال لقمن الحكيم لابنه يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروته واعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به وقال عمر رضي الله عنه لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، وكان زيد بن مسلمة يغرس في ارضه فقال له عمر اصبت استغن عن الناس يكن اصون لدينك واكرم لك عليهم كما قال صاحبكم احيحة، فلن ازال على الزوراء اعمرها، ان الكريم على الاخوان ذو مال، وقال ابن مسعود اني لاكره ان ارى الرجل فارغا لا في امر دينه ولا في امر دنياه وسيل ابرهيم عن التاجر الصدوق اهو احب اليك او المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق احب الي لانه في جهاد ياتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والعطاء فيجاهده وخالفه الحسن البصري في هذا وقال عمر

رضي الله عنه ما من موضع يأتيني الموت فيه احب الي من موطن اتسوق فيه لاهلي ابيع واشتري
وقال الهيثم ربما يبلغني عن الرجل يقع في فاذكر استغنائي عنه فيهون ذلك علي وقال
ايوب كسب فيه شدة احب الي من سؤال الناس وجاءت ريح عاصف في البحر فقال اهل
السفينة لابرهيم بن ادهم اما ترى هذه الشدة فقال ما هي شدة انما الشدة الحاجة الى الناس وقال
ايوب قال لي ابو قلابة الزم السوق فان الغنى من العافية يعني الغنى عن الناس وقيل لاحمد ما تقول
فيمن جلس في بيته او مسجده وقال لا اعمل شيئا حتى يأتيني رزقي فقال احمد هذا رجل جهل العلم اما
سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي وقوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال
تغدو خماصا وتروح بطانا فذكر انها تغدو في طلب الرزق وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتجرون في البحر والبر ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم وقال ابو قلابة لرجل لان اراك
تطلب معاشك احب الي من ان اراك في زاوية المسجد وروي ان الاوزاعي لقي ابرهيم بن ادهم وعلى
عنقه حزمة حطب فقال له يا ابا اسحق الى متى هذا اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا ابا عمرو فانه
بلغني ان من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة وقال ابو سليمن ليس العبادة
عندنا ان تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد وقال
معاذ بن جبل ينادي يوم القيمة اين بغضاء الله في ارضه فيقوم سؤال المساجد فهذه مذمة
الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الاغيار ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه عن ذلك الا الكسب و
التجارة **فان قلت** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي ان اجمع المال وكن من التاجرين
ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقيل لسلمان
الفارسي اوصنا فقال من استطاع منكم ان يموت حاجا او غازيا او عامرا لمسجد ربه فليفعل
ولا يموتن تاجرا ولا خائنا **فالجواب** ان وجه الجمع بين هذه الاخبار تفصيل الاحوال فنقول
لسنا نقول ان التجارة افضل مطلقا من كل شيء ولكن التجارة اما ان يطلب بها الكفاية او الثروة و
الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لا للتصرف الى الخيرات والصدقات فهي مذمومة
لانه اقبال على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة فان كان مع ذلك خائنا فهو ظلم وفسق وهذا ما اراد
سلمان بقوله لا تمت تاجرا ولا خائنا واراد بالتجارة طلب الزيادة فاما اذا طلب بها الكفاية
لنفسه واولاده وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال فالتجارة تعففا عن السؤال افضل وان كان لا
يحتاج الى السؤال وكان يعطى من غير سؤال فالكسب افضل لانه انما يعطى لانه سائل بلسان حاله ومناد
بين الناس بفقره فالتعفف والتستر اولى من البطالة بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك
الكسب افضل لاربعة عابد بالعبادات البدنية او رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الاحوال
والمكاشفات او عالم يشتغل بتربية العلم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر و
المحدث وامثالهم او رجل مشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل امورهم كالسلطان والقاضي والشاهد
فهؤلاء اذا كانوا يكفون من الاموال المرصدة للمصالح والاوقاف المسبلة على العلماء والفقراء
فاقبالهم على ما هم فيه افضل من الاشتغال بالكسب ولهذا اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح بحمد

ربك وكن من الساجدين ولم يوح اليه ان كن من التاجرين لانه كان جامعا لهذه المعاني الاربع
الى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا اشار الصحابة على ابي بكر رضي الله عنه بترك التجارة لما ولي
الخلافة اذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ورأى ذلك اولى ثم
لما توفي اوصى برده الى بيت المال ولكنه رآه في الابتداء اولى ولهؤلاء الاربع حالتان اخريان
احديهما ان تكون كفايتهم عند ترك الكسب من ايدي الناس وما يتصدق به عليهم من زكوة او صدقة
من غير حاجة الى سؤال فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه اولى اذ فيه اعانة للناس على الخيرات وقبول
منهم لما هو حق عليهم واوفق لهم الحالة الثانية الحاجة الى السؤال وهذا في محل النظر والتشديدات
التي رويناها في السؤال وذمه تدل ظاهرا على ان التعفف عن السؤال اولى واطلاق القول فيه من غير ملاحظة
الاحوال والاشخاص عسير بل هو موكول الى اجتهاد العبد ونظره لنفسه بان يقابل ما يلقى في السؤال
من المذمة وهتك المروة والحاجة الى التثقيل والالحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعمل من الفائدة
له ولغيره فرب شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته في اشتغاله بالعلم او العمل ويهون عليه بادنى تعريض في
السؤال تحصيل الكفاية وربما يكون بالعكس وربما يتقابل المطلوب والمحذور فينبغي ان يستفتي
المريد فيه قلبه وان افتاه المفتون فان الفتاوى لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الاحوال
فقد كان في السلف من له ثلثمائة وستون صديقا ينزل على كل واحد في ليلة ومن له ثلثون وكانوا
يشتغلون بالعبادة لعلمهم بان المتكفلين يتقلدون منة من قبولهم لمبراتهم فكان قبولهم لمبراتهم
خيرا مضافا الى عباداتهم فينبغي ان يدقق النظر في هذه الامور فان اجر الاخذ كاجر المعطي مهما كان
الاخذ يستعين به على الدين والمعطي يعطيه عن طيبة قلب ومن اطلع على هذه المعاني امكنه ان يتعرف
حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الافضل له بالاضافة الى حاله ووقته فهذه فضيلة الكسب
وليكن العقد الذي به الاكتساب جامعا لاربعة امور الصحة والعدل والاحسان والشفقة على الدين
ونحن نعقد في كل واحد بابا ونبتدي بذكر اسباب الصحة في الباب الثاني ان شاء الله **الباب
الثاني في علم الكسب** بطريق البيع والربوا والسلم والاجارة والقراض والشركة وبيان شروط
الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار المكاسب في الشرع اعلم ان تحصيل علم هذا الباب
واجب على كل مكتسب لان طلب العلم فريضة على كل مسلم وانما هو طلب العلم المحتاج اليه والمكتسب يحتاج
الى علم الكسب ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها وما شذ عنه
من الفروع المشكلة فيقع على سبب اشكالها فيتوقف فيها الى ان يسأل فانه اذا لم يعلم اسباب الفساد
بعلم جملي فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ولو قال لا اقدم العلم ولكني اصبر الى ان تقع
لي الواقعة فعندها اتعلم واستفتي فيقال له وبم تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود
فانه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له
المباح عن المحظور وموضع الاشكال عن موضع الوضوح ولذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه كان
يطوف في السوق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا الا من يفقه والا اكل الربوا
شاء ام ابى وعلم العقود كثير ولكن هذه الستة لا تنفك المكاسب عنها وهو البيع والربوا والسلم

الاجارة والشركة والقراض فلنشرح شروطها. العقد الاول البيع وهو احله الله وله ثلاثة اركان العاقد والمعقود عليه واللفظ. الركن الاول العاقد ينبغي للتاجر ان لا يعامل بالبيع اربعة الصبي والمجنون والعبد والاعمى لان الصبي غير مكلف وكذا المجنون وبيعهما باطل فلا يصح بيع الصبي وان اذن فيه الولي عند الشافعي رحمه الله وما اخذ منهما مضمون عليه لهما وما سلمه في المعاملة اليهما فضاع في ايديهما فهو المضيع له. واما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه الا باذن سيده فعلى البقال والخباز والقصاب وغيرهم ان لا يعاملوا العبيد ما لم ياذن لهم السادة في معاملتهم وذلك بان يسمعه صريحا او ينتشر في البلد انه ماذون في الشراء لسيده وفي البيع له فيعول على الاستفاضة او على قول عدل يخبره بذلك فان عامله بغير اذن السيد فعقده باطل وما اخذ منه مضمون عليه لسيده وما سلمه ان ضاع في يد العبد لا يتعلق برقبته ولا يضمنه سيده بل ليس له الا المطالبة به اذا عتق. واما الاعمى فانه يبيع ويشتري ما لا يرى فلا يصح فليامره بان يوكل وكيلا بصيرا ليشتري له او يبيع فيصح توكيله ويصح بيع وكيله فان عامله بنفسه فالمعاملة فاسدة وما اخذ منه مضمون عليه بقيمته وما سلمه اليه ايضا مضمون له بقيمته. واما الكافر فتجوز معاملته لكن لا يباع منه المصحف ولا العبد المسلم ولا يباع منه السلاح ان كان من اهل الحرب فان فعل فهي معاملات مردودة وهو عاص بها ربه. واما الجندية من الاتراك والتركمانية والعرب والاكراد والسراق والخونة واكلة الربوا والظلمة وكل من اكثر ماله حرام فلا ينبغي ان تملك مما في ايديهم شيئا لاجل انه حرام الا اذا عرف شيئا بعينه انه حلال وسياتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام. الركن الثاني المعقود عليه وهو المال المقصود نقله من احد المتعاقدين الى الاخر ثمنا كان او مثمنا فيعتبر فيه ستة شروط. الاول ان لا يكون نجسا في عينه فلا يصح بيع كلب ولا خنزير ولا بيع زبل ولا عذرة ولا بيع العاج ولا الاواني المتخذة منه فان العظم ينجس بالموت ولا يطهر الفيل بالذبح ولا يطهر عظمه بالتذكية ولا يجوز بيع الخمر ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا تؤكل وان يصلح للاستصباح او طلي السفن ولا باس ببيع الدهن الطاهر في عينه الذي نجس بوقوع نجاسة او موت فارة فيه فانه يجوز الانتفاع به في غير الاكل وهو في عينه ليس بنجس وكذلك لا ارى باسا ببيع بزر القز فانه اصل حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو اصل حيوان اولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فارة المسك ويقضى بطهارتها اذا انفصلت من الظبية في حال الحيوة.

الثاني ان يكون منتفعا به فلا يجوز بيع الحشرات والفارة والحية ولا التفات الى انتفاع المشعوذ بالحية وكذلك انتفاع ارباب الحلق في اخراجها من السلة وعرضها على الناس ويجوز بيع الهرة والنحل وبيع الفهد والاسد وما يصلح لصيد او ينتفع بجلده ويجوز بيع الفيل لاجل الحمل ويجوز بيع الببغاء والطاوس والطيور المليحة الصور وان كانت لا تؤكل فان التفرج باصواتها والنظر اليها غرض مقصود مباح وانما الكلب هو الذي لا يجوز ان يقتنى اعجابا بصورته لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهي فانه لا منفعة فيها شرعا وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحيوانات التي تباع في الاعياد للعب الصبيان فان كسرها واجب شرعا وصور الاشجار يتسامح بها

فاما الثياب والاطباق التي عليها صور الحيوانات يصح بيعها وكذا الستور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها اتخذي منه نمارق فلا يجوز استعمالها منصوبة ويجوز موضوعة واذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه. الثالث ان يكون المتصرف فيه مملوكا للعاقد او ماذونا من جهة المالك فلا يجوز ان يشتري من غير المالك انتظارا للاذن من المالك بل لو رضي بعد ذلك وجب استيناف العقد فلا ينبغي ان يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة ولا من الولد مال الوالد اعتمادا على انه لو عرف لرضي به فانه اذا لم يكن الرضى متقدما لم يصح البيع وامثال ذلك مما يكثر في الاسواق فواجب على العبد المتدين ان يحترز منه. الرابع ان يكون المعقود عليه مقدورا على تسليمه شرعا وحسا فما لا يصح بيعه كالآبق والسمك في الماء والجنين في البطن وعسب الفحل وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن في الضرع لا يجوز فانه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع به والمعجوز عن تسليمه شرعا كالمرهون والموقوف والمستولدة فلا يصح بيعه ايضا وكذا بيع الام دون الولد اذا كان الولد صغيرا وكذا بيع الولد دون الام لان تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع. الخامس ان يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف اما العلم بالعين فبان يشير اليه بعينه فلو قال بعتك شاة من هذا القطيع اي شاة اردت او ثوبا من هذه الثياب التي بين يديك او ذراعا من هذا الكرباس وخذه من اي جانب شئت او عشرة اذرع من هذه الارض وخذ من اي طرف شئت فالبيع باطل وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون في الدين الا ان يبيع شائعا مثل ان يبيع نصف الشيء او عشره فان ذلك جائز واما العلم بالمقدار فانما يحصل بالكيل او الوزن او النظر اليه فلو قال بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لا يعلمان ذلك فهو باطل ولو قال بعتك بزنة هذه الصنجة فهو باطل اذا لم تكن الصنجة معلومة ولو قال بعتك هذه الصبرة من الحنطة او بعتك هذه الصبرة من الدراهم او هذه القطعة من الذهب وهو يراها صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافيا في معرفة المقدار واما العلم بالوصف فيحصل بالرؤية في الاعيان فلا يصح بيع الغائب الا اذا سبقت رؤيته منذ مدة لا يغلب التغير فيها والوصف لا يقوم مقام العيان هذا اسد المذهبين فلا يجوز بيع النوى في التمر اعتمادا على الرؤية ولا بيع الحنطة في سنبلها ويجوز بيع الارز في قشرته التي يدخر فيها وكذا بيع اللوز في القشرة السفلى ولا يجوز في القشرتين ويجوز بيع الباقلى الرطب في قشرته للحاجة ويتسامح ببيع الفقاع لجريان العادة به ولكن يجعل اباحة بعوض فلو اشتراه ليبيعه فالقياس بطلانه لانه مستتر خلقة ولا يبعد ان يتسامح به اذ في اخراجه افساده كالرمان وما يستتر خلقة. السادس ان يكون المبيع مقبوضا ان كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهذا شرط خاص فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع ما لم يقبض ويستوي فيه العقار والمنقول فكل ما اشتراه او باعه قبل القبض فبيعه باطل وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية وقبض ما ابتاعه بشرط الكيل لا يتم الا بان يكتاله اما بيع الميراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصلا فيه بمعاوضة فهو جائز قبل القبض. الركن الثالث لفظ العقد ولا بد من جريان ايجاب وقبول متصل به بلفظ دال على المقصود مفهم اما صريحا او كناية فلو قال اعطيتك هذا بذاك بدل قوله بعتك فقال قبلت جاز مهما قصدا به البيع فانه قد يحتمل الاعارة اذا كان في ثوبين او دابتين والنية تدفع الاحتمال والتصريح اقطع

للخصومة ولكن الكناية تفيد الملك والحل ايضا فيما نختاره ولا ينبغي ان يقرن بالبيع شرط على خلاف مقتضى
العقد فلو شرط ان يزيد شيئا آخر او ان يحمل المبيع الى داره او اشترى الحطب بشرط النقل الى بيته
فكل ذلك فاسد الا اذا افرد استيجاره على النقل باجرة معلومة مفردة عن الشراء للمنقول ومهما لم يجر بينهما
الا المعاطاة بالفعل دون التلفظ باللسان لم ينعقد بيع عند الشافعي رحمه الله اصلا وانعقد عند ابي
حنيفة رحمه الله ان كانت في المحقرات ثم ضبط المحقرات عسير فان رد الامر الى العادات فقد جاوز
الناس المحقرات في المعاطاة اذ يتقدم الدلال الى البزاز فيأخذ منه ثوب ديباج قيمته عشرة دنانير مثلا
ويحمله الى المشتري ويعود اليه بانه ارتضاه فيقول له خذ عشرة فيأخذ من صاحبه العشرة ويسلمها الى البزاز
فيأخذه ويتصرف فيه ومشتري الثوب يقطعه ولم يجر بينهما ايجاب ولا قبول اصلا وكذلك يجتمع المجهزون
على حانوت البياع فيعرض متاع قيمته مائة دينار مثلا فيمن يزيد فيقول هذا علي بتسعين ويقول الآخر علي
بخمسة وتسعين ويقول الآخر بمائة فيقال له زن فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير ايجاب وقبول وقد
استمرت بهذا العادات وهذه من المعضلات التي ليست تقبل العلاج اذ الاحتمالات ثلاثة اما فتح باب
المعاطاة مطلقا في الحقير والنفيس وهو محال اذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه وقد احل الله البيع والبيع
اسم للايجاب والقبول ولم يجر ولا ينطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسليم فبماذا يحكم بانتقال الملك من
الجانبين لا سيما في الجواري والعبيد والعقارات والدواب النفيسة ومما يكثر التنازع فيه اذ للمسلم ان
يرجع ويقول قد ندمت وما بعته اذ لم يصدر مني الا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع **الاحتمال الثاني** ان يسد
الباب كما قاله الشافعي رحمه الله من بطلان العقد وفيه اشكال من وجهين احدهما انه يشبه ان
يكون ذلك في المحقرات معتادا في زمان الصحابة ولو كانوا يتكلفون الايجاب والقبول مع البقال و
الخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ولنقل ذلك نقلا منتشرا ولكان يشتهر وقت الاعراض عنه بالكلية عن
تلك العادة فان الاعصار في مثل هذا تتفاوت والثاني ان الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشتري
الانسان شيئا من الاطعمة وغيرها الا ويعلم ان البائع قد تملكه بالمعاطاة فاي فائدة في تلفظه بالعقد
اذا كان الامر كذلك **الاحتمال الثالث** ان يفصل بين المحقرات وغيرها كما قاله ابو حنيفة رحمه الله و
عند ذلك يتعسر الضبط في المحقرات ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه وقد ذهب ابن سريج
الى تخريج قول للشافعي رحمه الله على وفقه وهو اقرب الاحتمالات الى الاعتدال فلا بأس لو ملنا اليه لمسيس
الحاجة ولعموم ذلك بين الخلق ولما يغلب على الظن بان ذلك كان معتادا في الاعصار الاول فاما
الجواب عن الاشكالين فهو ان نقول اما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه
بالتقدير فان ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحان اذ لا يخفى ان شراء البقل وقليل الفاكهة والخبز واللحم
المعدود في المحقرات التي لا يعتاد فيها الا المعاطاة وطالب الايجاب والقبول فيه يعد مستقصيا و
يستبرد تكلفه لذلك ويستثقل وينسب الى انه يقيم الوزن لامر حقير لا وزن له فهذا طرف الحقارة
والطرف الثاني العبيد والدواب والعقارات والثياب النفيسة فذلك مما يستبعد تكلف الايجاب
والقبول فيه وبينهما اوساط متشابهة يشك فيها هي في محل الشبهة فحق ذي الدين ان يميل فيها الى الاحتياط
وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة كذلك ينقسم الى اطراف واضحة واوساط مشكلة واما الثاني

وهو طلب سبب لنقل الملك فهو ان يجعل الفعل باليد اخذا وتسليما سببا اذ اللفظ لم يكن سببا
لعينه بل للدلالة وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة وانضم اليه مسيس
الحاجة وعادة الاولين واطراد جميع العادات لقبول الهدايا من غير ايجاب وقبول مع التصرف فيها
واي فرق بين ان يكون فيه عوض او لا يكون اذ الملك لا بد من نقله في الهبة ايضا الا ان العادة السالفة لم
تفرق في الهدايا بين الحقير والنفيس بل كان طلب الايجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان وفي البيع لم يستقبح
في غير المحقرات هذا ما نراه اعدل الاحتمالات وحق الورع المتدين ان لا يدع الايجاب والقبول
للخروج عن شبهة الخلاف فلا ينبغي ان يمتنع بان البائع قد تملكه بغير ايجاب وقبول فان ذلك لا يعرف تحقيقا
فربما اشتراه بايجاب وقبول فان كان حاضرا عند شرائه او اقر البائع به فليمتنع منه وليشتر من غيره
فان كان الشيء محقرا وهو اليه محتاج فليتلفظ به فانه يستفيد به قطع الخصومة في المستقبل معه اذ الرجوع
من التلفظ الصريح غير ممكن ومن الفعل ممكن **فان قلت** ان امكن هذا فيما يشتريه فكيف يفعل اذا حضر
في ضيافة او على مائدة وهو يعلم ان اصحابها يقنعون بالمعاطاة في البيع والشراء او سمع منهم ذلك
او رآه ايجب عليه الامتناع من الاكل **فاقول** يجب عليه الامتناع من الشراء اذا كان ذلك الشيء
الذي اشتروه مقدارا نفيسا ولم يكن من المحقرات واما الاكل فلا يجب عليه الامتناع منه فاني اقول
ان ترددنا في جعل الفعل دلالة على نقل الملك فلا ينبغي ان لا نجعله دلالة على الاباحة فان امر الاباحة
اوسع وامر نقل الملك اضيق فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البائع اذن في الاكل يعلم ذلك
بقرينة الحال كاذن الحمامي في دخول الحمام واذن البائع في الاطعام لمن يريد المشتري فينزل منزلة ما لو
قال ابحت لك ان تأكل هذا الطعام ثم اغرم لي عوضه فيحل الاكل ويلزمه الضمان بعد الاكل هذا قياس
الفقه عندي ولكنه بعد المعاطاة اكل ملكه ومتلف له فعليه الضمان وذلك في ذمته والثمن الذي
تسلمه ان كان مثل قيمته فقد ظفر المستحق بمثل حقه فله ان يتملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه وان
كان قادرا على مطالبته فانه لا يتملك ما ظفر به من ملكه لانه ربما لا يرضى بتلك العين ان يصرفها الى دينه
فعليه المراجعة واما ههنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد ان يجعل الفعل دلالة
على الرضى بان يستوفي دينه مما يسلم اليه فيأخذه بحقه لكن على الاحوال كلها جانب البائع اغمض لان
ما اخذه فقد يريد الملك فيه ليتصرف ولا يمكنه التملك الا اذا تلف عين طعامه في يد المشتري ثم
ربما يفتقر الى استيناف قصد التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضى استفاده من الفعل دون القول
واما جانب المشتري للطعام وهو لا يريد الا الاكل فهين فان ذلك يباح بالاباحة المفهومة من
قرينة الحال ولكن يلزم من ساق هذا ان الضيف يضمن ما اتلفه وانما يسقط الضمان عنه اذا ملك
البائع ما اخذه من المشتري فيكون كالقاضي دينه والمتحمل عنه فهذا ما نراه في قاعدة المعاطاة على
غموضها والعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون رددناها ولا يمكن بناء الفتوى الا على هذه
الظنون واما الورع فينبغي ان يستفتي قلبه ويتقي مواضع الشبهة

العقد الثاني

عقد الربوا وقد حرمه الله تع وشدد الامر فيه ويجب الاحتراز منه على الصيارفة والمتعاملين على النقدين
وعلى المتعاملين على الاطعمة اذ لا ربوا الا في نقد او طعام وعلى الصيرفي ان يحترز من النسيئة والفضل

اما النسيئة فان لا يبيع شيئا من جوهر النقدين بشيء من جوهر النقدين الا يدا بيد وهو ان يجري التقابض في المجلس وهذا احتراز من النسيئة وتسليم الصيارفة الذهب الى دار الضرب وشراء الدنانير المضروبة به حرام من حيث النساء ومن حيث ان الغالب ان يجري فيه تفاضل اذ لا يرد المضروب بمثل وزنه و اما الفضل فليحترز منه في ثلاثة امور في بيع المكسر بالصحيح فلا يجوز المقابلة بينهما الا مع المماثلة و في بيع الجيد بالرديء فلا ينبغي ان يشتري رديئا بجيد دونه في الوزن او يبيع رديئا بجيد فوقه في الوزن اعني اذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فان اختلف الجنسان فلا حرج في الفضل والثالث في المركبات من الذهب والفضة والدنانير المخلوطة من الذهب والفضة والدنانير المخلوطة من الذهب والفضة ان كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليها اصلا الا اذا كان نقدا جاريا في البلد فانا نرخص في المعاملة عليه اذا لم يقابل بالنقد وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس ان لم تكن رائجة في البلد لم تصح المعاملة عليها لان المقصود منها النقرة وهي مجهولة وان كانت نقدا رائجا في البلد رخصنا في المعاملة لاجل الحاجة وخروج النقرة عن ان يقصد استخراجها ولكن لا يقابل بالنقرة اصلا وكذلك كل حلي مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة بل ينبغي ان يشتري بمتاع آخر ان كان قدر الذهب منه معلوما الا اذا كان مموها بالذهب تمويها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بمثلها من النقرة وبما اريد من غير النقرة وكذلك لا يجوز للصيرفي ان يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب ولا ان يبيع ذلك بل بالفضة ان لم يكن فيها فضة ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب ويجوز بالفضة وغيرها واما المتعاملون على الاطعمة فعليهم التقابض في المجلس اختلف جنس الطعام المبيع والمشترى او لم يختلف وان اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة والمعتاد في هذا معاملة القصاب بان يسلم الغنم ويشتري بها اللحم نقدا او نسيئة وهو حرام ومعاملة الخباز بان يسلم اليه الحنطة ويشتري بها الخبز نسيئة او نقدا وهو حرام ومعاملة العصار اذ يسلم اليه الجوز والسمسم والزيتون او غير ذلك ليوخذ منه الادهان فهو حرام وكذا اللبان يعطي اللبن ليوخذ منه الجبن والسمن والزبد وساير اجزاء اللبن فهو ايضا حرام فلا يباع الطعام بغير جنسه الا نقدا وبجنسه الا نقدا ومتماثلا وكل ما يتخذ من الشيء المطعوم فلا يجوز ان يباع به متماثلا ولا متفاضلا فلا تباع الحنطة بدقيق ولا سويق ولا خبز ولا العنب والتمر بدبس ولا خل ولا عصير ولا اللبن بسمن ولا زبد ولا مخيض ولا مصل ولا جبن والمماثلة لا تفيد اذا لم يكن الطعام في حال كمال الادخار فلا يباع الرطب بالرطب ولا العنب بالعنب متماثلا ولا متفاضلا فهذه جمل مقنعة في تعريف البيع والتنبيه على ما يشعر التاجر بمثارات الفساد حتى يستفتي فيها اذا تشكك والتبس عليه واذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال واقتحم الربوا والحرام وهو لا يدري **العقد الثالث** السلم وليراع التاجر فيه عشرة شروط الاول ان يكون راس المال معلوما على مثله حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه امكن الرجوع الى قيمة راس المال فان اسلم كفا من الدراهم جزافا في كر حنطة لم يصح في احد القولين الثاني ان يسلم راس المال في مجلس العقد قبل التفرق فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم الثالث ان يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف اوصافه مثل الحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والابريسم والالبان واللحوم ومتاع العطارين واشباهها ولا يجوز في المعجونات والمركبات وما يختلف اجزاؤه كالقسي المصنوعة والنبل المعمولة

والخفاف

والخفاف والنعال المختلفة اجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات ويجوز السلم في الخبز وما يتطرق اليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه الرابع ان يستقصي وصف هذه الامور القابلة للوصف حتى لا يبقى وصف يتفاوت به القيمة تفاوتا لا يتغابن بمثله الا ذكره فان ذلك هو القائم مقام الرؤية في البيع الخامس ان يجعل الاجل معلوما ان كان مؤجلا فلا يؤجل الى الحصاد ولا الى ادراك الثمار بل الى الاشهر والايام فان الادراك قد يتقدم ويتاخر السادس ان يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه عدمه غالبا فلا ينبغي ان يسلم في العنب الى اجل لا يدرك فيه وكذا ساير الفواكه فان كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب آفة فله ان يمهل ان شاء او يفسخ ويرجع في راس المال ان شاء السابع ان يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به كيلا يثير ذلك نزاعا الثامن ان لا يعلقه بعين فيقول من حنطة هذا الزرع او من ثمرة هذا البستان فان ذلك يبطل كونه دينا نعم لو اضاف الى ثمرة بلد او قرية كبيرة لم يضر ذلك التاسع ان لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز مثلها او جارية حسناء معها ولدها او غير ذلك مما لا يقدر عليه غالبا العاشر ان لا يسلم في طعام مهما كان راس المال طعاما سواء كان من جنسه او لم يكن ولا يسلم في نقد اذا كان راس المال نقدا وقد ذكرنا هذا في الربوا **العقد الرابع** الاجارة وله ركنان الاجرة والمنفعة فاما العاقد واللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع والاجرة كالثمن فينبغي ان تكون معلومة موصوفة بكل ما شرطناه في البيع ان كان عينا وان كان دينا وان كان عينا فينبغي ان يكون معلوم الصفة والقدر وليحترز فيه عن امور جرت العادة بها وهو كراء الدار بعمارتها فذلك باطل اذ قدر العمارة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على المكتري ان يصرفها الى العمارة لم يجز لان عمله في الصرف الى العمارة مجهول ومنها استيجار السلاخ على ان ياخذ الجلد بعد السلخ واستيجار حمال الجيفة بجلدها واستيجار الطحان بالنخالة او ببعض الدقيق فهو باطل وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الاجير فلا يجوز ان يجعل اجرة ومنها ان يقدر في اجارة الدور والحوانيت مبلغ الاجرة فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر اشهر الاجارة كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الاجارة الركن الثاني المنفعة المقصودة بالاجارة وهي العمل وحده اذ كل عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستيجار عليه وجملة فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة ولكنا لا نطول بشرحها فقد طولنا القول فيها في الفقهيات وانما نشير الى ما يعم به البلوى فليراع في العمل المستاجر عليه امور خمسة الاول ان يكون متقوما بان يكون فيه كلفة وتعب فلو استاجر طعاما ليزين به الدكان واشجارا ليجفف عليها الثياب او دراهم ليزين به الدكان لم يجز فان هذه المنافع تجري مجرى حبة سمسم وحبة بر من الاعيان وذلك لا يجوز بيعه ولهذا لو استاجر بياعا على ان يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز وما ياخذه البياع عوضا من جاههم وحشمتهم وقبول قولهم في ترويج السلع فهو حرام اذ ليس يصدر منهم الا كلمة لا تعب فيها ولا قيمة لها وانما يحل لهم اذا تعبوا اما بكثرة التردد واما بكثرة الكلام في تاليف امر المعاملة ثم لا يستحقون الا اجرة المثل فاما ما تواطئوا عليه الباعة فهو ظلم وليس ماخوذا بالحق الثاني ان لا يتضمن الاجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز اجارة الكرم لارتفاعه ولا اجارة

البساتين لثمارها ويجوز استئجار المرضعة ويكون اللبن تابعا لان افراده غير ممكن وكذا يتسامح
بحبر الوراق وخيط الخياط لانهما لا يقصدان على حيالهما الثالث ان يكون العمل مقدورا
على تسليمه حسا وشرعا فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استئجار الاخرس على التعليم
ونحوه وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستئجار على قلع سن سليمة وقطع عضو لا يرخص الشرع في
قطعه او استئجار الحائض على كنس المسجد او المعلم على تعليم السحر والفحش او استئجار زوجة الغير على
الارضاع دون اذن زوجها او استئجار المصور على صور الحيوانات او استئجار الصائغ على صيغة الاواني
من الذهب والفضة فكل ذلك باطل الرابع ان لا يكون العمل واجبا على الاجير او لا يكون بحيث لا تجري النيابة
فيه عن المستاجر فلا يجوز اخذ الاجرة على الجهاد وعلى سائر العبادات التي لا نيابة فيها اذ لا يقع عن
المستاجر ويجوز على الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز وفي اخذ الاجرة على امامة
صلوة التراويح وعلى الاذان وعلى التصدي للتدريس واقراء القرآن خلاف اما الاستئجار على
تعليم مسئلة واحدة بعينها او تعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح الخامس ان يكون العمل والمنفعة
معلوما فالخياط يعرف عمله بالثوب والمعلم يعرف عمله بالثوب بتعيين السورة ومقدارها وحمل الدواب
يعرف بمقدار المحمول وبمقدار المسافة وكل ما يثير خصومة في العادة فلا يجوز اهماله وتفصيل ذلك
يطول وانما ذكرنا هذا القدر لتعرف به الاحكام ويتفطن به لمواقع الاشكال فيسال فان الاستقصاء
شان المفتي لا شان العوام **العقد الخامس** القراض وليراع فيه ثلاثة اركان الركن الاول
راس المال وشرطه ان يكون نقدا معلوما مسلما الى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض
فان التجارة تضيق فيها ولا يجوز على صرة من الدراهم لان قدر الربح لا يتبين فيه ولو شرط المالك اليد
لنفسه لم يجز لانه يضيق طريق التجارة الركن الثاني الربح وليكن معلوما بالجزئية بان يشرط له الثلث
او النصف او ما شاء فلو قال على ان لك من الربح مائة والباقي لي لم يجز اذ ربما لا يكون الربح اكثر
من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع الركن الثالث العمل الذي على العامل وشرطه ان
يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتاقيت فلو شرط ان يشتري بالمال ماشية ليأخذ نسلها فيتقاسمان
النسل وحنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح لم يصح لان القراض ماذون فيه في التجارة وهو البيع والشراء وما
يقع من ضروراتهما فقط وهذه حرفة اعني الخبز ورعاية المواشي ولو ضيق عليه وشرط ان لا يشتري الا
من فلان او لا يتجر الا في الخز الاحمر او شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد ثم مهما انعقد فالعامل
وكيل فيتصرف بالغبطة تصرف الوكلاء ومهما اراد المالك الفسخ فله ذلك فاذا فسخ في حالة المال كله
نقد لم يخف وجه القسمة وان كان عرضا ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تكليفه ان يرده الى النقد
لان العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئا وان قال العامل ابيعه وابى المالك فالمتبوع راي المالك الا اذا
وجد العامل زبونا يظهر بسببه ربح على راس المال ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار راس المال بجنس راس
المال لا بنقد آخر حتى يتميز الفاضل ربحا فيشتركان فيه وليس عليه بيع الفاضل على راس المال ومهما كان
راس السنة فعليه تعرف قيمة المال لاجل الزكوة فاذا كان قد ظهر من الربح شيء فالاقيس ان زكوة نصيب
العامل على العامل وانه يملك الربح بالظهور وليس للعامل ان يسافر بمال القراض دون اذن المالك فان فعل

صحت تصرفاته ولكنه يضمن الاعيان والاثمان جميعا لان عدوانه بالنقل يتعدى الى الثمن المنقول وان
سافر بالاذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض كما ان نفقة الوزن والكيل والحمل الذي يعتاد
التاجر مثله على راس المال فاما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له ان يبذل عليه اجرة وعلى
العامل نفقته وسكناه في البلد وليس عليه اجرة الحانوت ومهما تجرد في السفر لمال القراض فنفقته
في السفر على مال القراض واذا رجع فعليه ان يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرهما
العقد السادس الشركة وهي اربعة انواع ثلاثة منها باطلة الاولى شركة المفاوضة وهو ان يقولا
تفاوضنا لنشترك في كل ما لنا وعلينا ومالاهما متمايزان فهي باطلة الثانية شركة الابدان وهو ان
يتشارطا الاشتراك في اجرة العمل الثالثة شركة الوجوه وهو ان يكون لاحدهما حشمة وقول مقبول
فيكون من جهته التنفيذ ومن جهة غيره العمل فهي باطلة واما الصحيح فالعقد الرابع المسمى شركة العنان
وهو ان يختلط مالاهما بحيث يتعذر التمييز الا بقسمة ويأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف ثم حكمهما
توزيع الربح والخسران على قدر المالين ولا يجوز ان يغير ذلك بالشرط ثم بالعزل يمتنع التصرف على المعزول و
بالقسمة ينفصل الملك عن الملك والصحيح انه يجوز عقد الشركة على العروض المشتركة ولا يشترط النقد
بخلاف القراض فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب والا اقتحم الحرام من حيث لا يدري و
اما معاملة القصاب والخباز والبقال فلا يستغني عنها المكتسب وغير المكتسب والخلل فيها
من ثلاثة وجوه من اهمال شروط البيع واهمال شروط السلم والاقتصار على المعاطاة اذ العادات جارية
بكتبة الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم ثم المحاسبة في كل مدة ثم التقويم بحسب ما يقع عليه التراضي و
ذلك مما نرى القضاء باباحته للحاجة ويحمل تسليمهم على اباحة التناول مع انتظار العوض فيحل اكله ولكن
يجب الضمان باكله ويلزم قيمته يوم الاتلاف فيجتمع في الذمة تلك القيمة فاذا وقع التراضي على مقدار فينبغي
ان يلتمس منهم الابراء المطلق حتى لا يبقى عهدة ان تطرق اليه تفاوت في التقويم فهذا ما يجب القناعة به
فان تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج في كل يوم وكل ساعة تكليف شطط وكذا التكليف للايجاب و
القبول وتقدير الثمن كل قدر يسير من ذلك فيه عسر واذا كثر كل نوع سهل تقويمه

الباب الثالث في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة اعلم ان المعاملة قد تجري على وجه يحكم المفتي
بصحتها وانعقادها ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله اذ ليس كل نهي مقتضيا فساد العقد
وهذا الظلم نعني به ما يستضر به الغير وهو منقسم الى ما يعم ضرره والى ما يخص المعامل **القسم الاول**
فيما يعم ضرره وهو انواع **الاول** الاحتكار فبائع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الاسعار و
هو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتكر الطعام اربعين يوما ثم
تصدق به لم يكن صدقته كفارة لاحتكاره وروى ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من احتكر الطعام اربعين
يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه وقيل فكانما قتل نفسا وعن عكرمة عن علي رضي الله عنه انه قال من احتكر
الطعام اربعين يوما قسا قلبه وعنه ايضا انه احرق طعام محتكر بالنار وروي في فضل ترك الاحتكار عنه
صلى الله عليه وسلم من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكانما تصدق به وفي لفظ آخر فكانما اعتق رقبة وقيل
في قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم ان الاحتكار من الظلم وداخل تحته وعن بعض

السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة ولا تؤخره الى غد فوافق سعة في السعر فقال له التجار ان اخرته جمعة ربحت فيه اضعافه فاخره جمعة فربح فيه امثاله وكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا انا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وانك قد خالفت وما نحب ان نربح اضعافه بذهاب شيء من الدين وقد جنيت علينا جناية فاذا اتاك كتابي هذا فخذ المال كله وتصدق به على فقراء البصرة وليتني انجو من الاحتكار كفافا لا علي ولا لي
واعلم ان النهي مطلق ويتعلق النظر به في الوقت والجنس اما الجنس فيطرد النهي في اجناس الاقوات فاما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالادوية والعقاقير والزعفران وامثاله فلا يتعدى النهي اليه وان كان مطعوما واما ما يعين على القوت كاللحم والفواكه وما يسد مسدا يغني عن القوت في بعض الاحوال وان كان لا يمكن المداومة عليه فهذا في محل النظر فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجري مجراه واما الوقت فيحتمل ايضا طرد النهي في جميع الاوقات وعليه يدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف في البصرة سعة في السعر ويحتمل ان يخصص بوقت قلة الاطعمة وحاجة الناس اليه حتى يكون في تاخير بيعه ضرر فاما اذا اتسعت الاطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها الا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطا فليس في هذا اضرار واذا كان الزمان زمان قحط كان في ادخار العسل والسمن والشيرج وامثالها اضرار فينبغي ان يقضى بتحريمه ويعول في اثبات التحريم ونفيه على الضرار فانه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام واذا لم يكن ضرار فلا يخلو احتكار الاقوات عن كراهية لانه ينتظر مبادي الضرار وهو ارتفاع الاسعار وانتظار مبادي الضرار محذور كانتظار عين الضرار ولكنه دونه وانتظار عين الضرار هو دون الاضرار فبقدر درجات الاضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم وبالجملة التجارة في الاقوات مما لا يستحب لانه طلب ربح والاقوات اصول خلقت قواما والربح من المزايا فينبغي ان يطلب الربح فيما خلق من جملة المزايا التي لا ضرورة بالخلق اليها ولذلك اوصى بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس واما الصنعتان ان يكون جزارا فانها صنعة تقسي القلب او صواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة **النوع الثاني** ترويج الزائف من الدراهم في اثناء النقد فانه ظلم اذ يستضر به المعامل ان لم يعرف وان عرف فسيروجه على غيره وكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الايدي ويعم الضرر به ويتسع الفساد ويكون وزر الكل ووباله راجعا اليه فانه الذي فتح ذلك الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيء وقال بعضهم انفاق درهم زائف اشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزائف بدعة اظهرها في الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة ومائتي سنة الى ان يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد ونقص من اموال الناس بسببه فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة يعذب بها في قبره ويسأل عنها الى آخر انقراضها قال الله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم اي نكتب ايضا ما اخروه من آثار اعمالهم كما نكتب ما قدموه وفي مثله قوله تعالى ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر وانما اخر آثار اعماله من سنة سيئة عمل بها غيره وليعلم في الزائف خمسة امور **الاول** انه اذا رد عليه شيء منه فينبغي ان يطرحه في بئر بحيث لا تمتد اليه اليد واياه ان يروجه في بيع آخر وان افسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز **الثاني** انه يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصي لنفسه ولكن كيلا يسلم الى مسلم زائفا وهو لا يدري فيكون آثما بتقصيره في تعلم ذلك العلم فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله ولمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظرا لدينهم لا لدنياهم **الثالث** انه ان سلم وعرف المعامل انه زائف لم يخرج عن الاثم لانه ليس ياخذه الا ليروجه على غيره ولا يخبره ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في اخذه اصلا فانما يتخلص من اثم الضرر الذي يخص معامله فقط **الرابع** ان اخذ الزائف ليعمل بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء فهو داخل في بركة هذا الدعاء ان عزم على طرحه في بئر وان كان يعزم على ان يروجه في معاملة فهذا شر روجه الشيطان عليه في معرض خير فلا يدخل تحت من ساهل في الاقتضاء **الخامس** ان الزائف نعني به ما لا نقرة فيه اصلا بل هو مموه او ما لا ذهب فيه من الدنانير اما ما فيه نقرة فاذا كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه وقد راينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة او لم يعلم وان لم يكن هو نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فان كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فان كان عليه ان يخبر به معامله وان لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد فهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذ الخمر وذلك محظور واعانة على الشر ومشاركة فيه وسلوك طريق الحق بامثال هذا في التجارة اشد من المواظبة على نوافل العبادات والتخلي لها فلذلك قال بعضهم التاجر الصدوق افضل من المتعبد وقد كان السلف يحتاطون في مثل ذلك حتى روي عن بعض الغزاة في سبيل الله انه قال حملت على فرسي لاقتل علجا فقصر بي فرسي فرجعت ثم دنا مني العلج فحملت ثانية فقصر فرسي ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي وكنت لا اعتاد ذلك منه فرجعت حزينا وجلست منكس الراس منكسر القلب لما فاتني من العلج وما ظهر لي من خلق فرسي فوضعت راسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم فرايت في النوم كان الفرس يخاطبني ويقول بالله عليك اردت ان تاخذ علي العلج ثلاث مرات وانت بالامس اشتريت لي علفا ودفعت في ثمنه درهما زائفا لا يكون هذا ابدا قال فانتبهت فزعا فذهبت الى العلاف وابدلت ذلك الدرهم فهذا مثال ما يعم ضرره وليقس عليه امثاله **القسم الثاني** ما يخص ضرره المعامل فكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم وانما العدل ان لا يضر باخيه المسلم والضابط الكلي فيه ان لا يحب له الا ما يحب لنفسه فكل ما لو عومل به لشق عليه وثقل على قلبه فينبغي ان لا يعامل غيره به بل ينبغي ان يستوي عنده درهمه ودرهم غيره قال بعضهم من باع اخاه شيئا بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه الا بخمسة دوانيق فانه قد ترك النصح المامور به في المعاملة ولم يحب لاخيه ما يحب لنفسه هذه جملته فاما تفصيله ففي اربعة امور ان لا يثني على السلعة بما ليس فيها وان لا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئا اصلا وان لا يكتم في وزنها ومقدارها شيئا وان لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع عنه اما **الاول** فهو ترك الثناء

فان وصف السلعة ان كان بما ليس فيها فهو كذب فان قبل فهو تلبيس وظلم مع كونه كذبا وان لم يقبل فهو كذب
واسقاط مروءة اذ الكذب الذي يروج قد لا يقدح في ظاهر المروءة وان اثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم
بكلام لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه انه لم تكلم بها قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
الا ان يثني على السلعة بما فيها ولا يعرفه المشتري ما لم يذكره كما يصفه من خفي اخلاق العبيد والجواري والدواب
فلا بأس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة واطناب وليكن قصده منه ان يعرفه اخوه المسلم فيرغب فيه و
ينقضي بسببه حاجته ولا ينبغي ان يحلف عليه البتة فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر
التي تذر الديار بلاقع وان كان صادقا فقد جعل الله عرضة لايمانه وقد اساء فيه اذ الدنيا اخس من ان يقصد
ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة وفي الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من غد وبعد غد وفي
الخبر اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و
سلم انه قال ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيمة عتل مستكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه واذا كان الثناء
على السلعة مع الصدق مكروها من حيث انه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التغليظ في امر اليمين وقد
روي عن يونس بن عبيد وكان خزازا انه طلب منه خز للشراء فاخرج غلامه سفط الخز ونشره ونظر اليه و
قال اللهم ارزقنا الجنة فقال لغلامه رده الى موضعه ولم يبعه وخاف ان يكون ذلك تعريضا بالثناء على
السلعة فمثل هؤلاء هم الذين اتجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجاراتهم بل علموا ان ربح الآخرة اولى بالطلب
من ربح الدنيا الثاني ان يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولا يكتم منها شيئا فذلك واجب فان
اخفاه كان ظالما غاشا والغش حرام وكان تاركا للنصح في المعاملة والنصح واجب ومهما اظهر احسن وجهي
الثوب واخفى الثاني كان غاشا وكذلك اذا عرض الثياب في المواضع المظلمة وكذلك اذا عرض احسن فردي
الخف والنعل وامثاله ويدل على تحريم الغش ما روي انه عليه السلام مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل
يده فيه فرأى بللا فقال ما هذا فقال اصابته السماء فقال فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا
فليس منا ويدل على وجوب النصح باظهار العيوب ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بايع جريرا على الاسلام
ذهب لينصرف فجذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير اذا قام الى السلعة يبيعها بصر عيوبها
ثم خيره وقال ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقيل له انك ان فعلت هذا لم ينفذ لك بيع قال انا بايعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وكان واثلة بن الاسقع واقفا فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم
وغفل واثلة فذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به وقال يا هذا اشتريتها للحم او للظهر فقال
بل للظهر فقال ان بخفها نقبا قد رأيته وانها لا تتابع السير فعاد فردها فنقصه البايع مائة درهم وقال لوا
ثلة رحمك الله افسدت علي بيعي فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لاحد يبيع بيعا الا بين آفته ولا يحل لمن يعلم ذلك الا تبيينه فقد فهموا
من النصح ان لا يرضى لاخيه الا ما يرضاه لنفسه ولم يعتقدوا ان ذلك من الفضائل وزيادة المقامات بل اعتقدوا
انه من شروط الاسلام الداخلة تحت بيعتهم وهذا امر يشق على اكثر الخلق فلذلك يختارون التخلي للعبادة
والاعتزال عن الناس لان القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لا يقوم بها الا الصديقون ولن
يتيسر ذلك على العبد الا بان يعتقد امرين احدهما ان تلبيسه العيوب وترويجه السلع لا يزيد في رزقه

بل يمحقه ويذهب بركته وما يجمعه من متفرقات التلبيس يهلكه الله دفعة واحدة فقد حكي ان واحدا
كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيعه فجاء سيل فغرق البقرة فقال بعض اولاده ان تلك المياه
المتفرقة التي صببناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة واخذت البقرة كيف وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم البيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما واذا كذبا وكتما نزعت بركة بيعهما و
في الحديث يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما فاذن لا يزيد مال من خيانة كما لا
ينقص من صدقة ومن لا يعرف الزيادة والنقصان بالميزان لم يصدق بهذا الحديث ومن عرف ان الدرهم
الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان في الدين والدنيا والالاف المؤلفة قد ينزع الله البركة
منها حتى يكون سببا لهلاك مالكها بحيث يتمنى الافلاس منها ويراه اصلح له في بعض احواله فيعرف معنى قولنا ان
الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه والمعنى الثاني الذي لا بد من اعتقاده ليتم له النصح
ويتيسر عليه ان يعلم ان ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا وان فوائد اموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر
وتبقى مظالمها واوزارها فكيف يستجيز العاقل ان يستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير والخير كله في
سلامة الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال لا اله الا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا
صفقة دنياهم على آخرتهم وفي لفظ آخر ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم فاذا فعلوا ذلك
وقالوا لا اله الا الله قال الله كذبتم لستم بها صادقين وفي حديث آخر من قال لا اله الا الله مخلصا
دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال ان تحجزه عما حرم الله وقال ايضا ما آمن بالقرآن من استحل
محارمه ومن علم ان هذه الامور قادحة في ايمانه وان ايمانه رأس ماله في تجارة الآخرة لم يضيع رأس
ماله المعد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينتفع به اياما معدودة وعن بعض التابعين قال لو دخلت
الجامع وهو غاص باهله فقيل لي من خير هؤلاء لقلت من انصحهم لهم فاذا قالوا هذا قلت هو خيرهم
واذا قالوا من شرهم قلت من اغشهم لهم فاذا قيل هذا قلت هو شرهم والغش حرام في البيوع والصنائع
جميعا فلا ينبغي ان يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه بل ينبغي
ان يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيها عيب فبه يتخلص وسأل رجل حذاء
ابن سالم فقال كيف لي ان اسلم في بيع النعال فقال اجعل الوجهين سواء ولا تفضل اليمنى على
الاخرى وجود الحشو وليكن شيئا واحدا تاما وقارب بين الخرز ولا تطبق احدى النعلين على
الاخرى ومن هذا الفن ما سئل عنه احمد من الرفو بحيث لا يتبين فقال لا يجوز ان يبيعه ويخفيه
وانما يحل للرفاء اذا علم انه يظهره وانه لا يريده للبيع فان قلت فلا تتم المعاملة مهما وجب على
الانسان ان يذكر عيوب المبيع فاقول ليس كذلك اذ شرط التاجر ان لا يشتري للبيع
الا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو امسكه ثم يقنع في بيعه بربح يسير فيبارك الله فيه ولا يحتاج الى
تلبيس وانما تعذر هذا لانهم لا يقنعون بالربح اليسير وليس يسلم الكثير الا بتلبيس فمن تعود هذا لم
يشتر المعيب فان وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليقنع بقيمته باع ابن سيرين شاة فقال
للمشتري ابرأ اليك من عيب فيها انها تقلب العلف برجلها وباع الحسن بن صالح جارية فقال
للمشتري انها تنخمت مرة عندنا دما فهكذا كانت سيرة اهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك المعاملة

او ليوطن نفسه على عذاب الآخرة. الثالث ان لا يكتم في المقدار وذلك بتعديل الميزان والاحتياط
فيه وفي الكيل فينبغي ان يكيل كما يكتال قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون
واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ولا يخلص من هذا الا بان يرجح اذا اعطى وينقص اذا اخذ اذ العدل
الحقيقي قلما يتصور فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فان من استقصى حقه بكماله يوشك
ان يتعداه وكان بعضهم يقول لا اشتري الويل من الله بحبة وكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا
اعطى زاد حبة وكان يقول ويل لمن يبيع بحبة جنة عرضها السموات والارض وما اخسر من باع
طوبى بويل وانما بالغوا في الاحتراز منه لانها مظالم لا يمكن التوبة منها اذ لا يعرف اصحاب الحبات
حتى يجمعهم ويؤدي حقوقهم ولذلك لما اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوازن زن وارجح
ونظر فضيل الى ابنه وهو يغسل دينارا يريد ان يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسبب
تكحيله فقال يا بني فعلك هذا افضل من حجتين وعشرين عمرة وقال بعض السلف عجبا للتاجر و
البايع كيف ينجو يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمن صلى الله عليه وسلم لابنه كما تدخل
الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخطية بين المتبايعين وصلى بعض الصالحين على مخنث فقيل له انه
كان فاسقا فسكت فاعيد عليه فقال كانك قلت لي كان صاحب ميزانين يعطي باحدهما وياخذ
بالآخر اشار به الى ان فسقه مظلمة بينه وبين الله وهذا من مظالم العباد والمسامحة والعفو فيه ابعد
والتشديد في امر الميزان عظيم والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة وفي قراءة عبد الله بن مسعود
الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان اي لسان الميزان فان النقصان و
الرجحان يظهر بميله وبالجملة كل من ينتصف من غيره لنفسه ولو في كلمة ولا ينصف بمثل ما ينتصف فهو
داخل تحت قوله ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون فان تحريم ذلك في الكيل ليس لكونه
مكيلا بل لكونه امرا مقصودا بترك العدل والنصفة فيه فهو جار في جميع الاعمال فصاحب الميزان في
خطر الويل فكل مكلف فهو صاحب موازين في افعاله واقواله وخطراته فالويل له ان عدل عن العدل
ومال عن الاستقامة ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على
ربك حتما مقضيا فلا ينفك عبد ليس معصوما عن الميل عن الاستقامة الا ان درجات الميل تتفاوت
تفاوتا عظيما فبذلك تتفاوت مدة مقامهم في النار الى اوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم الا بقدر تحلة
القسم ويبقى بعضهم الفا والوف سنين فنسال الله تعالى ان يقربنا من الاستقامة والعدل فان
الاستداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل غير مطموع فانه ادق من الشعر واحد من السيف ولولاه
لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذي من صفته انه ادق من
الشعر واحد من السيف وبقدر الاستقامة على الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيمة على الصراط
وكل من خلط بالطعام ترابا او غيره ثم كاله فهو من المطففين في الكيل وكل قصاب وزن مع اللحم عظما لم تجر
العادة بمثله فهو من المطففين في الوزن وقس على هذا ساير التقديرات حتى في الذرع الذي
يتعاطاه البزاز فانه اذا اشترى ارسل الثوب في وقت الذرع ولم يمده مدا فاذا باعه مده في
الذرع ليظهر تفاوتا في القدر فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل. الرابع ان يصدق

في سعر الوقت ولا يخفي منه شيئا فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلقي الركبان ونهى عن النجش
اما تلقي الركبان فهو ان يستقبل الرفقة ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد فقد قال صلى الله
عليه وسلم لا تتلقوا الركبان ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد ان يقدم السوق وهذا
الشرى منعقد ولكنه ان ظهر كذبه ثبت للبايع الخيار وان كان صادقا ففي الخيار خلاف
لتعارض عموم الخبر مع زوال التلبيس ونهى ايضا ان يبيع حاضر لباد وهو ان يقدم البدوي
البلد ومعه قوت يريد ان يبادر الى بيعه فيقول له الحضري اتركه عندي حتى اغالي في ثمنه و
انتظر ارتفاع سعره وهذا في القوت محرم وفي ساير السلع خلاف والاظهر تحريمه لعموم النهي و
لانه تاخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فايدة للفضولي المضيق واما النجش فهو ان يتقدم الى
البايع بين يدي المشتري الراغب ويطلب السلعة بزيادة وهو لا يريدها انما يريد تحريك رغبة المشتري
فيها فهذا ان لم تجر مواطاة مع البايع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد وان جرى مواطاة
ففي ثبوت الخيار خلاف والاولى اثبات الخيار لانه تغرير بفعل يضاهي التغرير في المصراة وتلقي
الركبان فهذه المناهي تدل على انه لا يجوز ان يلبس على البايع والمشتري سعر الوقت ويكتم منه امرا
لو علمه لما اقدم على العقد ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب وقد حكي عن رجل من
التابعين انه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز اليه السكر فكتب اليه غلامه ان قصب السكر
قد اصابته في هذه السنة آفة فاشتر السكر قال فاشترى سكرا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه
ثلثين الفا فانصرف الى منزله فافتكر ليلته فقال ربحت ثلثين الفا وخسرت نصح رجل من
المسلمين فلما اصبح غدا الى بايع السكر فدفع اليه الثلثين الفا وقال بارك الله لك فيها فقال ومن
اين صارت لي فقال اني كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت فقال
رحمك الله قد اعلمتني الآن وقد طيبتها لك قال فرجع بها الى منزله وتفكر وبات ساهرا وقال
ما نصحته فلعله استحيى مني فتركها لي فبكر اليه من الغد وقال عافاك الله خذ مالك اليك فهو
اطيب لقلبي فاخذ منه ثلاثين الفا فهذه الاخبار في المناهي والحكايات تدل على انه ليس له
ان يغتنم غفلة صاحب المتاع ويخفي من البايع غلاء السعر ومن المشتري تراجع الاسعار فان
فعل ذلك كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين ومهما باع مرابحة بان يقول بعت بما قام علي
او بما اشتريته فعليه ان يصدق ثم يجب ان يخبر بما حدث بعد العقد من عيب ونقصان ولو
اشترى باجل وجب ذكره ولو اشترى بمسامحة من صديقه او ولده يجب ذكره لان المعامل
يعول على عادته في الاستقصاء انه لا يترك النظر لنفسه فاذا تركه بسبب من الاسباب فيجب
اخباره اذ الاعتماد فيه على امانته

الباب الرابع في الاحسان في المعاملة

وقد امر الله تعالى بالعدل والاحسان جميعا والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة مجرى
سلامة راس المال والاحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح و
لا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا براس ماله فكذا في معاملات الآخرة فلا ينبغي للمتدين
ان يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع ابواب الاحسان وقد قال الله تعالى واحسن كما احسن الله

اليك وقال ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين ونعني
بالاحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل في باب
العدل وترك الظلم وقد ذكرناه وتنال رتبة الاحسان بواحد من ستة امور الاول
في المغابنة فينبغي ان لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن بمثله في العادات فاما اصل المغابنة فمأذون
فيه لان البيع للربح ولا يمكن ذلك الا بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب فان بذل المشتري زيادة
على الربح المعتاد اما لشدة رغبته او لشدة حاجاته في الحال فينبغي ان يمتنع عن قبوله فذلك من
الاحسان ومهما لم يكن تلبيس لم يكن اخذ الزيادة ظلما وقد ذهب بعض العلماء الى ان الغبن
بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان ان يحط ذلك الغبن يروى
انه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الاثمان ضرب قيمة كل واحد منها اربعمائة وضرب قيمتها
مائتان فمر الى الصلوة وخلف ابن اخيه في الدكان فجاء اعرابي وطلب حلة باربعمائة فعرض عليه من حلل
المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها منه فمشى بها وهي على يديه فاستقبله يونس فعرف حلته
فقال بكم اشتريت فقال باربعمائة قال لا تساوي اكثر من مائتين فارجع حتى تردها فقال هذه تساوي
ببلدنا خمسمائة وانا ارتضيها فقال له يونس انصرف فان النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها
ثم رده الى الدكان ورد عليه مائتي درهم وخاصم ابن اخيه وقاتله وقال اما استحييت اما اتقيت
الله تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين فقال والله ما اخذها الا وهو راض بها قال فهلا رضيت له
ما رضيت لنفسك وهذا ان كان فيه اخفاء سعر وتلبيس فهو من باب الظلم وقد سبق وفي
الحديث غبن المسترسل حرام وقال الزبير بن عدي ادركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم احد
يحسن يشتري لحما بدرهم فغبن مثل هؤلاء المسترسلين حرام وظلم وان كان من غير تلبيس فهو من
الاحسان وقلما يتم هذا الا بنوع تلبيس واخفاء لسعر الوقت وانما الاحسان المحض ما نقل عن سري
السقطي رحمه الله انه اشترى كر لوز بستين دينارا وكتبه في روزنامجه وكان رأى ان يربح
على العشرة نصف دينار فصار اللوز بتسعين فأتاه الدلال وطلب اللوز فقال خذه فقال بكم
فقال بثلاثة وستين فقال وانا عقدت عقدا بيني وبين الله ان لا اغش مسلما لست آخذ منك
الا بتسعين قال فلا الدلال اشترى منه ولا سري باعه فهذا محض الاحسان من الجانبين فانه
مع العلم بحقيقة الحال وروي عن محمد بن المنكدر انه كان له شقاق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة
فباع غلامه في غيبته شقة من الخمسيات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الاعرابي المشتري
طول النهار حتى وجده فقال له ان الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة فقال يا هذا
قد رضيت فقال وان رضيت فانا لا نرضى لك الا ما نرضاه لانفسنا فاختر احدى ثلاث
خصال اما ان تأخذ شقة من العشريات بدراهمك واما ان نرد عليك خمسة واما ان ترد
شقتنا وتأخذ دراهمك فقال اعطني خمسة فانصرف الاعرابي يسأل ويقول من هذا الشيخ
فقيل هذا محمد بن المنكدر فقال لا اله الا الله هذا الذي نستسقي به في البوادي اذا قحطنا فهذا
احسان في ان لا يربح على العشرة الا نصفا او درهما على ما جرت به العادة في مثل ذلك المتاع

في ذلك المكان ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها ربحا كثيرا وبه تظهر
البركة كان علي كرم الله وجهه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول معاشر التجار خذوا الحق واعطوا
الحق تسلموا لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره وقيل لعبد الرحمن بن عوف ما سبب يسارك
قال ثلاث ما رددت ربحا قط ولا طلب مني حيوان فأخرت بيعه ولا بعت بنسيئة ويقال
انه باع الف ناقة فما ربح الا عقالها باع كل عقال بدرهم فربح فيها الف درهم وربح من نفقته عليها
ليومه الف درهم الثاني في احتمال الغبن فالمشتري ان اشترى طعاما من ضعيف او شيئا من
فقير فلا بأس ان يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسنا وداخلا في قوله رحم الله سهل البيع سهل
الشرى فاما اذا اشترى من غني تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس محمودا
بل هو تضييع مال من غير اجر ولا حمد فقد ورد في حديث من طريق اهل البيت المغبون لا محمود
ولا مأجور وكان اياس بن معاوية قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين كان يقول لست بخب
والخب لا يغبنني ولا يغبن ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن ابي يعني معوية بن قرة والكمال في ان
لا يغبن ولا يغبن كما وصف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال كان اكرم من ان يخدع واعقل من ان
يخدع وكان الحسن والحسين وغيرهما من خيار السلف يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك
الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي فقال ان
الواهب يعطي فضله وان المغبون يغبن عقله وقال بعضهم انما اغبن عقلي وبصيري فلا امكن
الغابن منه واذا وهبت فاعطي لله ولا استكثر له شيئا الثالث في استيفاء الثمن وسائر الديون
والاحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالامهال والتأخير ومرة بالمساهلة في طلب جودة
النقد وكل ذلك مندوب اليه ومحثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم رحم الله سهل البيع سهل الشرى
سهل القضاء سهل الاقتضاء فليغتنم دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمح يسمح لك وقال
صلى الله عليه وسلم من انظر معسرا او ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي لفظ آخر اظله الله في ظل عرشه
يوم لا ظل الا ظله وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم توجد له حسنة
فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا اني كنت رجلا اداين الناس فاقول لفتياني سامحوا الموسر
وانظروا المعسر وفي لفظ آخر وتجاوزوا عن المعسر فقال الله تعالى نحن احق بذلك منك فتجاوز عنه وغفر له و
قال صلى الله عليه وسلم من اقرض دينارا الى اجل فله بكل يوم صدقة الى اجله فاذا حل الاجل فانظره بعده
فله بكل يوم صدقة الى اجله مثل ذلك الدين صدقة وقد كان من السلف من لا يحب ان يقضي غريمه الدين
لاجل هذا الخبر حتى يكون كالمتصدق بجميعه كل يوم وقال صلى الله عليه وسلم رأيت على باب الجنة مكتوبا الصدقة
بعشر امثالها والقرض بثمانية عشر فقيل في معناه ان الصدقة تقع في يد المحتاج وغير المحتاج ولا يتحمل ذل
الاستقراض الا محتاج ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل يلازم رجلا بدين فاومى الى صاحب الدين
ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فاعطه وكل من باع شيئا وترك ثمنه في الحال ولم يرهقه الى طلبه فهو في معنى القرض
وروي ان الحسن البصري رحمه الله باع بغلة له باربعمائة درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اسمح يا ابا سعيد
فقال قد اسقطت عنك مائة فقال له فاحسن يا ابا سعيد فقال قد وهبت لك مائة اخرى فقبض من حقه مائتي

درهم فقيل يا ابا سعيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الاحسان والا فلا وفي الخبر خذ حقك في عفاف واف
او غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا **الرابع** في توفية الدين ومن الاحسان فيه حسن القضاء وذلك بان
يمشي الى صاحب الحق ولا يكلفه ان يمشي اليه يتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم خيركم احسنكم قضاء
ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر اليه ولو قبل وقته وليسلم اجود مما شرط عليه واحسن وان عجز
فلينو قضاءه مهما قدر قال صلى الله عليه وسلم من ادان دينا وهو ينوي قضاءه وكل الله به ملائكة يحفظونه
ويدعون له حتى يقضيه وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الحديث ومهما كلمه
صاحب الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه صاحب
دين عند حلول الاجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهم به اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالاحسان
ان يكون الميل الاكثر من المتوسط الى من عليه الدين فان المقرض يقرض عن الغنى والمستقرض يستقرض
عن حاجة وكذا ينبغي ان يكون الاعانة للمشتري اكثر فان البائع راغب عن السلعة يبتغي ترويجها وربحها
والمشتري محتاج هذا هو الاحسن الا ان يتعدى من عليه الدين حده فعند ذلك نصرته في منعه عن تعديه
واعانة صاحبه اذ قال صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ننصره ظالما فقال
منعك اياه من الظلم نصرة له **الخامس** ان يقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا متندم مستضر بالبيع
فلا ينبغي ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضرار اخيه قال صلى الله عليه وسلم من اقال نادما صفقته
اقاله الله عثرته يوم القيمة او كما قال **السادس** ان يقصد في معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة وهو
في الحال عازم على ان لا يطالبهم ان لم يظهر لهم ميسرة فقد كان في صالحي السلف من له دفتران للحساب
احدهما ترجمته مجهولة فيه اسماء من لا يعرف من الضعفاء والفقراء وذلك ان الفقير كان يرى الطعام
او الفاكهة فيشتهيه فيقول احتاج الى خمسة ارطال من هذا مثلا وليس معي ثمنه فكان يقول خذه واقض
ثمنه عند الميسرة ولم يكن يعد هذا من الخيار بل انما عد من الخيار من لم يكن يثبت اسمه في الدفتر اصلا
ولا يجعله دينا لكن يقول خذ ما تريد فان تيسر لك فاقض والا فانت في حل منه وسعة فهذه طرق
تجارات السلف وقد اندرست والقائم بذلك محيي لهذه السنة وبالجملة التجارة محك الرجال وبها
يمتحن دين الرجل فلذلك قيل لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق عظم الساق منه رفعه
ولدى الدرهم فانظر غيه او ورعه ولذلك قيل اذا اثنى على الرجل جيرانه في الحضر واصحابه في السفر
ومعاملوه في السوق فلا تشكوا في صلاحه وشهد شاهد عند عمر رضي الله عنه فقال انت جاره الذي
تعرف مدخله ومخرجه فقال لا فقال كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا
فقال فعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل فقال لا قال اظنك رايته قائما في المسجد
يهمهم بالقرآن يخفض راسه طورا ويرفعه اخرى قال فاذهب ثم فقال اذهب فلست تعرفه وقال
للرجل اذهب فائتني بمن يعرفك

الباب الخامس في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته

لا ينبغي للتاجر ان يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضائعا وصفقته خاسرة وما يفوته
من الربح في الآخرة لا يفي به ما ينال في الدنيا فيكون ممن اشترى الحيوة الدنيا بالآخرة بل العاقل ينبغي ان
يشفق على نفسه وشفقته على نفسه بحفظ راس ماله وراس ماله دينه وتجارته فيه قال بعض السلف
اولى الاشياء بالعاقل احوجه اليه في العاجل واحوج شيء اليه في العاجل احمده عاقبة في الآجل وقال
معاذ بن جبل في وصيته انه لا بد لك من نصيبك من الدنيا وانت الى نصيبك من الآخرة احوج فابدأ بنصيبك
من الآخرة فخذه فانك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنظمه قال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا
تنس في الدنيا نصيبك منها للآخرة فانها مزرعة الآخرة وفيها تكتسب الحسنات وانما تتم شفقة التاجر
على دينه بمراعاة سبعة امور **الاول** حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة فلينو بها الاستعفاف
عن السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم واستعانة بما يكسبه على الدين وقياما بكفاية
العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينو النصح للمسلمين وان يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه ولينو
اتباع طريق العدل والاحسان في معاملته كما ذكرناه ولينو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما
يراه في السوق فاذا اضمر هذه العقائد والنيات كان عاملا في طريق الآخرة فاذا استفاد مالا فهو مزيد
وان خسر في الدنيا ربح في الآخرة **الثاني** ان يقصد القيام في صنعته او تجارته بفرض من فروض الكفايات
فان الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك اكثر الخلق فانتظام امر الكل بتعاون الكل وتكفل
كل فريق بعمل ولو اقبلوا كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا وعلى هذا حمل بعض الناس قوله عليه
السلام اختلاف امتي رحمة اي اختلاف هممهم في الصناعات والحرف ومن الصناعات ما هو مهم و
منها ما يستغنى عنه لرجوعه الى طلب التنعم والتزين في الدنيا فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافيا
عن المسلمين مهما في الدين وليجتنب صناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجص وجميع ما تصنع
به الزخارف الدنيا فكل ذلك قد كرهه ذوو الدين فاما عمل الملاهي والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب
ذلك من قبيل ترك الظلم ومن جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الابريسم للرجال وصياغة الصائغ مراكب
الذهب او خواتيم الذهب للرجال فكل ذلك من المعاصي والاجرة المأخوذة عليه حرام ولذلك اوجبنا الزكوة
فيها وان كنا لا نوجب الزكوة في الحلي لانها اذا قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مهيأة للنساء لا يلحقها
بالحلي المباح ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد وقد ذكرنا ان بيع الطعام وبيع الاكفان مكروه
لانه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بغلاء الاسعار ويكره ان يكون جزارا لما فيه من قساوة القلب
وان يكون حجاما او كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة وكذا الدباغ وما في معناه وكره ابن سيرين الدلالة
وكره قتادة اجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والافراط في الثناء على السلعة
لترويجها ولان العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر ولا ينظر في مقدار الاجرة الى عمله بل الى قدر قيمة الثوب
هذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي ان ينظر الى قدر التعب وكرهوا شراء الحيوان للتجارة لان المشتري
يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذي هو بصدده لا محالة وخلوده وقيل بع الحيوان واشتر الموتان
وكرهوا الصرف لان الاحتراز فيه عن دقائق الربوا عسير ولانه طلب لدقائق الصفات فيما لا يقصد
اعيانها وانما يقصد رواجها وقلما يتم للصيرفي ربح الا باعتماد جهالة معامله بدقائق النقد فقلما يسلم
الصيرفي وان احتاط ويكره للصيرفي وغيره كسر الدرهم الصحيح والدينار الا عند شك في جودته او عند
ضرورة قال احمد بن حنبل رحمه الله ورد نهي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه في الصياغة من

الصحاح وانا اكره الكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري ذهبا ويصوغه واستحبوا تجارة
البز قال سعيد بن المسيب ما من تجارة احب الي من البزازة ان لم يكن فيها ايمان وقد روي خير تجارتكم
البز وخير صناعتكم الخرز وفي حديث آخر لو اتجر اهل الجنة لاتجروا في البز ولو اتجر اهل النار لاتجروا
في الصرف وقد كان غالب اعمال الاخيار من السلف عشر صنائع الخرز والتجارة والحمل والخياطة والحذو
والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة قال عبد الرزا
الوراق قال لي احمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة فقال كسب طيب ولو كنت صانعا بيدي لصنعت
صنعتك ثم قال لا تكتب الا مواصفة واستبق الحواشي وظهور الاجزاء واربعة من الصناع موسومون
عند الناس بضعف الرأي الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لان اكثر مخالطتهم
مع النساء والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل كما ان مخالطة العقلاء تزيد في العقل وعن
مجاهد ان مريم عليها السلام مرت في طلبها لعيسى عليه السلم بحاكة فطلبت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع
البركة من كسبهم وامتهم فقراء وحقرهم في اعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف اخذ الاجرة على
كل ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الاموات ودفنهم وكذا الاذان وصلوة التراويح وان
حكم بصحة الاستيجار على ذلك وكذا تعليم القرآن وتعليم علوم الشرع فان هذه اعمال حقها ان يتجر بها للآخرة
واخذ الاجرة عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة فلا يستحب ذلك **الثالث** ان لا يمنعه سوق الدنيا
عن سوق الآخرة واسواق الآخرة المساجد قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام
الصلوة وايتاء الزكوة وقال تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فينبغي ان يجعل اول النهار
الى وقت دخول السوق لآخرته فيلازم المسجد ويواظب على الاوراد وكان عمر رضي الله عنه يقول للتجار اجعلوا
اول نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحوا السلف يجعلون اول النهار وآخره للآخرة والوسط
للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤوس بكرة الا الصبيان واهل الذمة لانهم كانوا في المساجد بعد وفي الخبر
ان الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد وفي اول النهار وفي آخره ذكر وخير كفر الله تعالى عنه ما بينهما من سيء
الاعمال وفي الخبر تلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلوة العصر فيقول الله تعالى كيف تركتم عبادي
فيقولون تركناهم يصلون وجئناهم يصلون فيقول الله سبحانه وتعالى اشهدكم اني قد غفرت لهم ثم مهما سمع
الاذان في وسط النهار للاولى والعصر فينبغي ان لا يعرج على شغل وينزعج عن مكانه ويدع كل ما كان فيه فما
يفوته من فضيلة التكبيرة مع الامام في اول الوقت لا توازيه الدنيا بما فيها ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض
العلماء وقد كان السلف يبتدرون عند الاذان ويخلون الاسواق للصبيان واهل الذمة وكانوا
يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت وكان ذلك معيشة لهم وقد جاء في تفسير قوله تعالى لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله انهم كانوا حدادين وخرازين فكان احدهم اذا رفع المطرقة او غرز الاشفى فسمع الاذان
لم يخرج الاشفى من المغرز ولم يضرب المطرقة ورمى بها وقام الى الصلوة **الرابع** ان لا يقتصر على هذا
بل يلازم ذكر الله تعالى في السوق ويشتغل بالتسبيح والتهليل فذكر الله في السوق بين الغافلين افضل قال النبي
صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين وكالحي بين الاموات وفي لفظ آخر كالشجرة الخضراء
بين الهشيم وقال صلى الله عليه وسلم من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد

يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له الفي الف حسنة وكان ابن عمر وسالم
بن عبد الله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر وقال الحسن
ذاكر الله في السوق يجيء يوم القيمة له ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله في السوق
غفر الله له بعدد اهلها وكان عمر رضي الله عنه اذا دخل السوق يقول اللهم اني اعوذ بك من الكفر والفسوق
ومن شر ما احاطت به السوق اللهم اني اعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة وقال ابو جعفر الفرغاني
كنا يوما عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب
عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو في السوق حكمه ان يدخل المسجد ويأخذ
باذن بعض من فيه فيخرجه ويجلس مكانه اني لاعرف رجلا يدخل السوق ورده كل يوم ثلثمائة ركعة وثلثون
الف تسبيحة قال فسبق الى وهمي انه يعني نفسه فهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لا للتنعم في
الدنيا فان من طلب الدنيا للاستعانة على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة والسوق والمسجد والبيت له حكم
واحد وانما النجاة بالتقوى قال صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت فوظيفة التقوى لا تنقطع عن المتجردين
للدين كيف ما تقلبت بهم الاحوال وبها تكون حيوتهم وعيشهم اذ فيها يرون تجارتهم وربحهم وقد قيل
من احب الآخرة عاش ومن احب الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح في لاش **الخامس** ان لا يكون
شديد الحرص على السوق والتجارة وذلك بان يكون اول داخل وآخر خارج وبان يركب البحر في التجارة فهما
مكروهان يقال من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق وفي الخبر لا يركب البحر الا لحج او عمرة او غزو وكان
عبد الله بن عمرو بن العاص يقول لا تكن اول داخل في السوق ولا آخر خارج منها فان بها باض الشيطان
وفرخ وروي عن معاذ بن جبل وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان ابليس يقول لولده زلنبور سر
بكتائبك فأت اصحاب السوق زين لهم الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة وكن مع اول داخل
وآخر خارج منها وفي الخبر شر البقاع الاسواق وشر اهلها اولهم دخولا وآخرهم خروجا وتمام هذا الاحتراز
ان يراقب وقت كفايته فاذا حصل كفاية وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة هكذا كان صالحوا السلف
فقد كان منهم من اذا ربح دانقا انصرف قناعة به وكان حماد بن سلمة يبيع الخمر في سفط بين يديه
فكان اذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف وقال ابرهيم بن بشار قلت لابرهيم بن ادهم امر
اليوم اعمل في الطين فقال يا ابن بشار انك طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب ما قد كفيته
اما رأيت حريصا محروما وضعيفا مرزوقا فقلت ان لي دانقا عند البقال فقال عز علي بك تملك دانقا
وتطلب العمل وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لا يعمل في الاسبوع الا يوما
او يومين وكانوا يكتفون بذلك **السادس** ان لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقي مواقع الشبهة
ومظان الريبة ولا ينظر الى الفتاوى بل يستفتي قلبه فما وجد فيه حزازة اجتنبه واذا حمل اليه
سلعة رابه امرها سأل عنها حتى يعرف والا اكل الشبهة وقد حمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن
فقال من اين لكم هذا فقيل من الشاة فقال ومن اين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم
قال انا معاشر الانبياء امرنا ان لا ناكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا وقال ان الله تعالى امر المؤمنين
بما امر به المرسلين فقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فقال صلى الله عليه وسلم عن

اصل الشيء واصل اصله ولم يرد لان ما وراء ذلك يتعذر وسنبين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب
هذا السؤال فانه عليه السلم كان لا يسال عن كل ما يحمل اليه وانما الواجب ان ينظر التاجر الى من يعامله فكل
منسوب الى ظلم وخيانة او سرقة او ربوا فلا يعامله وكذا الاجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل اصحابهم
واعوانهم لانه يكون معينا لهم بذلك على الظلم حكي عن رجل انه تولى عمل سور لثغر من الثغور فوقع
في نفسي من ذلك شيء وان كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الاسلام لكن كان الامير الذي تولى
عن جهة من الظلمة قال فسالت سفين فقال لا تكن عونا لهم على قليل ولا كثير فقلت هذا سور في سبيل
الله للمسلمين فقال نعم ولكن اقل ما يدخل عليك ان تحب بقاءهم ليوفوك اجرك فتكون قد احببت بقاء من يعصي
الله وقد جاء في الخبر من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه وفي الحديث ان الله ليغضب اذا
مدح الفاسق وفي خبر آخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام وقد ادخل سفين الثوري على المهدي
وبيده درج ابيض فقال يا سفين اعطني الدواة حتى اكتب فقال اخبرني باي شيء تكتب فان كان
حقا اعطيتك وطلب بعض الامراء من بعض العلماء المحبوسين عنده ان يناوله طينا ليختم به الكتاب
فقال ناولني الكتاب اولا حتى انظر فيه فهكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة ومعاملتهم اشد انواع الاعانة
فينبغي ان يقسم الناس عنده الى من يعامل والى من لا يعامل وليكن من يعامله اقل ممن لا يعامله في هذا
الزمان قال بعضهم اتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول من ترون الى ان اعامل
من الناس فيقال عامل من شئت ثم اتى زمان آخر كان يقال عامل من شئت الا فلانا وفلانا ثم اتى وقت آخر
فكان يقال لا تعامل احدا الا فلانا وفلانا واخشى ان ياتي زمان يذهب هذا ايضا وكانه قد كان الذي خاف
ان يكون انا الى الله راجعون السابع ينبغي ان يراقب جميع مجاري معاملته مع كل واحد من معامليه
فانه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل فعل وقول انه لم اقدم عليه ولاجل
ماذا فانه يقال انه يوقف التاجر يوم القيمة مع كل رجل كان باعه شيئا وقفة ويحاسب عن كل واحد
محاسبة على عدد من عامله قال بعضهم رايت بعض التجار في النوم فقلت ما ذا فعل الله بك فقال نشر علي
خمسون الف صحيفة فقلت اهذه كلها ذنوب فقيل هذه معاملات الناس عدد من كنت عاملته
في الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بينك وبينه من اول المعاملة الى آخرها فهذا على المكتسب في
معاملته من العدل والاحسان والشفقة على الدين فان اقتصر على العدل كان من الصالحين
ان اضاف اليه الاحسان كان من المقربين وان راعى مع ذلك الوظايف التي ذكرناها في الباب الخامس
كان من الصديقين تم كتاب آداب الكسب والمعيشة ويتلوه كتاب الحلال والحرام والحمد لله رب العالمين

كتاب الحلال والحرام وهو الكتاب
الرابع من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين
الحمد لله الذي خلق الانسان من طين لازب وصلصال ثم ركب صورته في احسن تقويم واتم اعتدال
ثم غذاه في اول نشوه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سائغا كالماء الزلال ثم حماه بما آتاه من
طيبات الرزق عن دواعي الضعف والانحلال ثم قيد شهوته المعادية عن السطوة والصيال

قال م

وقهر بما افترضه عليه من طلب القوت الحلال وهزم بكسرها جند الشيطان المتشمر للاضلال فلقد كان
يجري من ابن آدم مجرى الدم السيال فضيق عليه عز الحلال المجرى والمجال اذ كان لا يجد رقة الى اعماق
العروق الا الشهوات المائلة الى الغلبة والاسترسال فبقيت لما زمت بزمام الحلال خائبا خاسرا
ما له من ناصر ولا وال والصلوة على محمد الهادي من الضلال وعلى آله خير آل وسلم كثيرا اما بعد
فقد قال صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة على كل مسلم رواه عنه ابن مسعود رضي الله عنه وهذه الفريضة
من بين ساير الفرايض اعصاها على العقول فهما واثقلها على الجوارح فعلا ولذلك اندرس بالكلية علما وعملا
وصار غموض علمه سببا لاندراس عمله اذ ظن الجهال ان الحلال مفقود وان السبيل دون الوصول اليه
مسدود وانه لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات والحشيش النابت في الموات وما عداه فقد
خبثته الايدي العادية وافسدته المعاملات الفاسدة واذا تعذرت القناعة بالحشيش من
النبات لم يبق وجه سوى الاتساع في المحرمات فرفضوا هذا القطب من الدين اضلالا ولم يدركوا
بين الاموال فرقا وفصلا وهيهات هيهات فالحلال بين والحرام بين وما بينهما امور متشابهات
ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيف ما تقلبت الحالات ولما كانت هذه بدعة عم في الدين ضررها و
استطار في الخلق شررها وجب كشف الغطاء عن فسادها بالارشاد الى مدرك الفرق بين الحلال و
الحرام والشبهة على وجه في التحقيق والبيان لا يخرجه التضييق عن حيز الامكان ونحن نوضح ذلك في
سبعة ابواب ان شاء الله الباب الاول في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال و
الحرام الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام الباب الثالث
في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانها في الحلال والحرام الباب الرابع في كيفية خروج التائب
عن المظالم المالية الباب الخامس في ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم الباب
السادس في الدخول على السلاطين ومخالطتهم الباب السابع في مسائل متفرقة

الباب الاول في الحلال والحرام وفيه فضيلة الحلال ومذمة الحرام وبيان اصناف
الحلال ودرجاته واصناف الحرام ودرجات الورع فيه فضيلة الحلال ومذمة الحرام
قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا امر بالاكل من الطيبات قبل العمل وقيل ان المراد الحلال
وقال تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقال تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون
في بطونهم نارا وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مومنين ثم قال
فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ثم قال وان تبتم فلكم رؤس اموالكم ثم قال ومن عاد فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون جعل آكل الربوا في اول الامر موذنا بمحاربة الله وفي آخره متعرضا للنار
والآيات الواردة في الحلال والحرام لا تحصى وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال طلب الحلال فريضة على كل مسلم ولما قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم قال
بعض العلماء اراد به طلب علم الحلال والحرام وجعل المراد بالحديثين واحدا وقال صلى الله عليه وسلم
من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة
الشهداء وقال صلى الله عليه وسلم من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة

من قلبه على لسانه وفي رواية وزهده في الدنيا. وروي ان سعدا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يسأل الله تعالى ان يجعله مجاب الدعوة فقال له اطب طعمتك تستجب دعوتك ولما ذكر صلى الله
عليه وسلم الحريص على الدنيا رب اشعث اغبر مشرد في الاسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي
بالحرام يرفع يديه فيقول يا رب فانى يستجاب لذلك وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل فقيل الصرف
النافلة والعدل الفريضة وقال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم
يقبل الله صلوته ما دام عليه شيء منه وقال صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وقال عليه السلام
من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله من اين ادخله النار وقال صلى الله عليه وسلم العبادة
عشرة اجزاء فتسعة منها في طلب الحلال روي هذا مرفوعا وموقوفا على بعض الصحابة ايضا وقال عليه السلام
من امسى وانيا من طلب الحلال بات مغفورا له واصبح والله راض عنه وقال صلى الله عليه وسلم من
اصاب مالا من مأثم فوصل به رحما او تصدق به او انفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذفه في
النار وقال عليه السلام خير دينكم الورع وقال عليه السلام من لقي الله عز وجل ورعا اعطاه الله ثواب
الاسلام كله ويروى ان الله عز وجل قال واما الورعون فاني استحيي ان احاسبهم وقال صلى الله عليه
وسلم درهم من ربوا اشد عند الله من ثلثين زنية في الاسلام وفي حديث ابي هريرة المعدة حوض
البدن والعروق اليه واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا سقمت صدرت
بالسقم ومثل الطعمة من الدين مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت الاساس وقوي استقام البناء
وارتفع واذا ضعف الاساس واعوج انهار البنيان ووقع وقد قال الله تعالى افمن اسس بنيانه
على تقوى من الله ورضوان خير الآية وفي الحديث من اكتسب مالا من حرام فان تصدق به لم تقبل
منه فان تركه وراءه كان زاده الى النار وقد ذكرنا جملة من الاخبار في كتاب آداب الكسب تكشف
عن فضيلة كسب الحلال واما الآثار فقد روي ان الصديق رضي الله عنه شرب لبنا من
كسب عبده ثم سأله فقال تكهنت لقوم فاعطوني فادخل اصابعه في فيه وجعل يقيء قال حتى
ظننت ان نفسه ستخرج ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء
وفي بعض الاخبار انه اخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال او ما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه
الا طيبا وكذلك شرب عمر رضي الله عنه من ابل الصدقة غلطا فادخل اصبعه وتقيأ وقالت عائشة
رضي الله عنها انكم لتغفلون عن افضل العبادة الورع وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه لو صليتم حتى
تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار ما تقبل ذلك منكم الا بورع حاجز وقال ابرهيم
بن ادهم لم يدرك من ادرك الا من كان يعقل ما يدخل جوفه وقال الفضيل من عرف ما يدخل جوفه
كتبه الله صديقا فانظر عند من تفطر يا مسكين وقيل لابرهيم بن ادهم الا تشرب من ماء زمزم
قال لو كان لي دلو شربت وقال سفين الثوري من انفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب
بالبول والثوب لا يطهره الا الماء والذنب لا يكفره الا الحلال وقال يحيى بن معاذ رحمه الله الطاعة
خزانة من خزائن الله ومفتاحها الدعاء واسنانه لقم الحلال وقال ابن عباس رضي الله عنه لا يقبل

الله صلوة امرئ في جوفه حرام وقال سهل التستري لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه اربع خصال
اداء الفرائض بالسنة واكل الحلال بالورع واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى
الموت وقال من احب ان يكاشف بآيات الصديقين فلا يأكل الا حلالا ولا يعمل الا في سنة او ضرورة و
يقال من اكل الشبهة اربعين يوما اظلم قلبه وهو تأويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال
ابن المبارك رد درهم من شبهة احب الي من ان اتصدق بمائة الف ومائة الف حتى بلغ ستمائة
الف وقال بعض السلف ان العبد يأكل اكلة فينقلب قلبه فينغل كما ينغل الاديم فلا يعود الى حاله ابدا
وقال سهل من اكل الحرام عصت جوارحه شاء ام ابى علم او لم يعلم ومن كانت طعمته حلالا اطاعته جوارحه
ووفقت للخيرات وقال بعض السلف ان اول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر له بها ما سلف من
ذنوبه ومن اقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما تساقط ورق الشجر وروي في آثار السلف
ان الواعظ كان اذا جلس للناس قال العلماء تفقدوا منه ثلثا فان كان معتقدا لبدعة فلا تجالسوه فانه
عن لسان الشيطان ينطق وان كان سيء الطعمة فعن الهوى ينطق وان لم يكن مكين العقل فانه يفسد بكلامه
اكثر مما يصلح فلا تجالسوه وفي الاخبار المشهورة عن علي وغيره ان الدنيا حلالها حساب وحرامها
عذاب وزاد آخرون وشبهها عتاب وروي ان بعض الصالحين دفع طعاما الى بعض الابدال فلم يأكل
فسأله عنه فقال نحن لا نأكل الا حلالا فلذلك تستقيم قلوبنا وتدوم حالنا ونكاشف بالملكوت ونـ
ـشاهد الآخرة ولو اكلنا مما تأكلون ثلاثة ايام لما رجعنا الى شيء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة
من قلوبنا فقال له الرجل فاني اصوم الدهر واختم القرآن في كل شهر ثلاثين ختمة فقال له البدل هذه الشربة
من اللبن التي رأيتني شربتها احب الي من ثلثين ختمة في ثلاثمائة ركعة من اعمالك وكانت شربة لبن من ظبية
وحشية وقد كان بين احمد بن حنبل ويحيى بن معين رحمة الله عليهما صحبة طويلة فهجره احمد اذ سمعه يقول اني لا
اسأل احدا شيئا ولو اعطاني الشيطان شيئا لاكلته حتى اعتذر يحيى وقال كنت امزح فقال تمزح بالدين
اما علمت ان الاكل من الدين قدمه الله على العمل الصالح فقال كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وفي الخبر
انه مكتوب في التوراة من لم يبال من اين مطعمه لم يبال الله من اي ابواب النار ادخله وعن علي كرم الله وجهه
انه لم يأكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاما الا مختوما حذرا من الشبهة واجتمع فضيل بن عياض وابن
عيينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو من احب الطعام الي
الا اني لا آكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زبيدة وغيرها فقال ابن المبارك ان نظرت في مثل هذا
ضاق عليك الخبز قال وما سببه قال ان اصول الضياع قد اختلطت بالصوافي فغشي على وهيب فقال سفين
قتلت الرجل فقال ابن المبارك ما اردت الا ان اهون عليه فلما افاق قال لله علي ان لا آكل خبزا
ابدا حتى القاه فكان يشرب اللبن فاتته امه بلبن فسألها فقالت هو من شاة بني فلان فسأل عن
ثمنها وانه من اين لهم فلما ادناه من فيه قال بقي انها من اين كانت ترعى فسكتت فلم يشرب لانها كانت
ترعى من موضع للمسلمين فيه حق فقالت له امه اشرب فان الله يغفر لك فقال ما احب ان يغفر الله لي
وقد شربته فانال مغفرته بمعصيته وكان بشر الحافي من الورعين فقيل له من اين تأكل فقال من حيث
تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك وقال يد اقصر من يد ولقمة اصغر من

لهم فهكذا كانوا يحترزون من الشبهات **اصناف الحلال ومداخله** اعلم ان تفصيل الحلال و
الحرام انما يتولى بيانه كتب الفقه ويستغني المريد عن تطويله بان يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها وكان
لا ياكل من غيرها فاما من يتوسع في الاكل من وجوه متفرقة فيفتقر الى علم الحلال والحرام كله على ما فصلناه في كتب
الفقه ونحن الآن نشير الى مجامعه في سياق تقسيم وهو ان المال انما يحرم اما لمعنى في عينه او لخلل في جهة
اكتسابه **القسم الاول** الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرهما وتفصيله ان الاعيان الماكولة على وجه
الارض لا تعدو ثلاثة اقسام فانها اما ان تكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما او من النبات او من الحيوانات
اما المعادن وهي اجزاء الارض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم اكله الا من حيث انه يضر وفائدة قولنا انها لا تحرم مع
انها لا تؤكل انه لو وقع شيء منها في مرقة او طعام لم يصر به محرما واما النبات فلا يحرم منه الا ما يزيل العقل
او يزيل الحيوة او الصحة فمزيل العقل البنج والخمر وسائر المسكرات ومزيل الحيوة السموم ومزيل الصحة الادوية
في غير وقتها وكان مجموع هذا يرجع الى الضرر الا الخمر والمسكرات فان الذي لا يسكر منها ايضا حرام مع قلته
لعينه وصفته وهي الشدة المطربة واما السم فاذا خرج عن كونه مضرا لقلته او لعجنه بغيره فلا يحرم واما
الحيوانات فتنقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل وتفصيله في كتاب الاطعمة والنظر يطول في تفصيله لا سيما
في الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر وما يحل اكله فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا او مات فهو حرام ولا تحل
الا ميتتان السمك والجراد وفي معناهما ما يستحيل من الاطعمة كدود التفاح والجبن فان الاحتراز عنه غير
ممكن فاما اذا افردت واكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة ولا سبب
في تحريمها الا الاستقذار ولو لم يكن لكان لا يكره وان وجد شخص لا يستقذره لم يلتفت الى خصوص طبعه
فانه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار فيكره اكله كما لو جمع المخاط وشربه كره ذلك وليست الكراهة لنجاستها
فان الصحيح انها لا تنجس بالموت اذ امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يمقل الذباب في الطعام اذا وقع
فيه وربما يكون حارا ويكون ذلك سبب موته ولو تهرت نملة او ذبابة في قدر لم تجب اراقتها اذ المستقذر
جرمه اذا بقي له جرم ولم ينجس حتى يحرم بالنجاسة وهذا يدل على ان تحريمه للاستقذار ولذلك نقول
لو وقع جزء من آدمي ميت في قدر ولو وزن دانق حرم الكل لا لنجاسته فان الصحيح ان الآدمي لا ينجس بالموت
ولكن لان اكله محرم احتراما لا استقذارا واما الحيوانات الماكولة اذا ذبحت بشرط الشرع فلا تحل
جميع اجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضي بنجاسته منها بل تناول النجاسة مطلقا محرم ولكن
ليس في الاعيان شيء نجس الا من الحيوانات واما من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل
ولا يسكر كالبنج فان نجاسة المسكر تغليظ للزجر عنه لكونه في مظنة التشوف ومهما وقعت قطرة من
النجاسة او جزء من نجاسة جامدة في مرقة او طعام او دهن حرم اكل جميعه ولا يحرم الانتفاع به لغير الاكل
فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها فهذه مجامع ما يحرم لصفة
في ذاته **القسم الثاني** ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه وفيه يتسع النظر فنقول اخذ المال
اما ان يكون باختيار المتملك او بغير اختياره فالذي بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما ان
لا يكون من مالك كنيل المعادن او يكون من مالك والذي يؤخذ من مالك فاما ان يؤخذ قهرا او يؤخذ تراضيا
والماخوذ قهرا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين و

النفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يؤخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما ان يؤخذ
بغير عوض كالهبة والوصية فيحصل من هذا السياق ستة اقسام **الاول** ما لا يؤخذ من مالك كنيل المعادن
واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط
ان لا يكون الماخوذ مختصا بذي حرمة من الآدميين فاذا انفك عن الاختصاصات ملكه آخذه وتفصيل
ذلك في كتاب احياء الموات **الثاني** الماخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر اموال
الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين اذا اخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم
ياخذوها من كافر له حرمة وامان وعهد وتفصيل هذه الشروط في كتاب السير من كتاب الفيء والغنيمة
وكتاب الجزية **الثالث** ما يؤخذ قهرا باستحقاق عند امتناع من عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك
حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه واقتصر على القدر المستحق و
استوفاه من يملك الاستيفاء من قاض او سلطان او مستحق وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات
وكتاب الوقف وكتاب النفقات اذ فيها النظر في صفة المستحقين للزكوة والوقف والنفقة وغيرها
من الحقوق فاذا استوفيت شرايطها كان الماخوذ حلالا **الرابع** ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك
حلال اذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظين اعني الايجاب والقبول مع ما تعبد الشرع
به من اجتناب الشروط المفسدة وبيان ذلك في كتاب البيع والسلم والاجارة والحوالة والضمان والقراض
والشركة والمساقاة والشفعة والصلح والخلع والكتابة والصداق وسائر المعاوضات **الخامس**
ما يؤخذ بالرضا من غير عوض وهو حلال اذا روعي شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم
يؤد الى ضرر بوارث او غيره وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات **السادس**
ما يحصل بغير اختيار كالميراث وهو حلال اذا كان المورث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمسة على وجه
حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة واخراج الزكوة والحج والكفارة
ان كان واجبا وذلك مذكور في كتاب الوصايا والفرايض فهذه مجامع مداخل الحلال اوردناها الى جملتها
ليعلم المريد انه ان كانت طعمته متفرقة لا من جهة معينة فلا يستغني عن علم هذه الامور فكل ما ياكله من
هذه الجهات ينبغي ان يستفتي فيه اهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فانه كما يقال للعالم لم خالفت
علمك يقال للجاهل لم لازمت جهلك ولم تتعلم بعد ان قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم **درجات
الحلال والحرام** اعلم ان الحرام كله خبيث ولكن بعضه اخبث من بعض والحلال كله طيب ولكن بعضه
اطيب من بعض وكما ان الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الاولى كالسكر
وبعضها في الثانية كالفانيذ وبعضها في الثالثة كالدبس وبعضها في الرابعة كالعسل فكذلك الحرام بعضها
خبيث في الدرجة الاولى وبعضها في الثانية او الثالثة او الرابعة وكذلك الحلال تتفاوت درجات صفائه
وطيبه ولنقتد باهل الطب بالاصطلاح على اربع درجات تقريبا وان كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر
اذ يتطرق الى كل درجة من الدرجات ايضا تفاوت لا ينحصر فكم من سكر اشد حرارة من سكر وكذا غيره
فكذلك نقول الورع عن الحرام على اربع درجات ورع العدول وهو الذي يجب الفسق باقتحامه وتسقط
العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء

الثانية ورع الصالحين وهو الامتناع عما يتطرق اليه احتمال التحريم وان كان المفتي يرخص في التناول بناء
على الظاهر فهو من مواقع الشبهة على الجملة فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية الثالثة
ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ولكن يخاف منه اداؤه الى محرم وهو ترك ما لا باس به مخافة مما به باس وهذا
ورع المتقين قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به مخافة ما به باس
الرابعة ما لا باس به اصلا ولا يخاف منه ان يؤدي الى ما به باس ولكنه يتناول لغير الله وعلى غير نية التقوى
به على عبادة الله او يتطرق الى اسبابه المسهلة له كراهية او معصية والامتناع منه ورع الصديقين فهذه
درجات الحلال جملة الى ان نفصلها بالامثلة والشواهد اما الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الاولى وهو
الذي يشترط التورع عنه في العدالة واطراح سمة الفسق فهو ايضا على درجات في الخبث فالماخوذ بعقد
فاسد كالمعاطاة مثلا فيما لا يجوز فيه المعاطاة حرام ولكن ليس في درجة المغصوب على سبيل القهر بل
المغصوب اغلظ اذ فيه ترك طريق الشرع في الاكتساب وايذاء وليس في المعاطاة ايذاء وانما فيه ترك
طريق التعبد فقط ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة اهون من تركه بالربوا وهذا التفاوت يدرك بتشديد
الشرع ووعيده وتاكيده في بعض المناهي على ما سياتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الصغيرة والكبيرة
بل الماخوذ ظلما من فقير او صالح او يتيم اخبث واغلظ من الماخوذ من قوي او غني او فاسق لان درجات
الايذاء تختلف باختلاف درجات المؤذى فهذه دقائق في تفصيل الخبائث لا ينبغي ان يذهل عنها فلولا
اختلاف درجات العصاة لما اختلف درجات النار واذا عرفت مثارات التغليظ فلا
حاجة الى الحصر في درجات ثلاث او اربع فان ذلك جار مجرى التحكم والتشهي وهو طلب حصر
فيما لا حاصر له ويدلك على اختلاف درجات الحرام في الخبث ما سياتي في تعارض المحذورات
وترجيح بعضها على بعض حتى اذا اضطر الى الميتة او اكل طعام الغير او اكل صيد الحرم فانا نقدم
بعضها على بعض

امثلة الدرجات الاربع في الورع وشواهدها

اما الدرجة الاولى
وهي ورع العدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريمه مما يدخل في المداخل الستة التي ذكرناها من مداخل
الحرام بفقد شرط من الشروط فهو الحرام المطلق الذي ينسب مقتحمه الى الفسق والمعصية وهو الذي نريده
بالحرام المطلق فلا يحتاج الى امثلة وشواهد واما الدرجة الثانية فامثلتها كل شبهة لا
يجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها مما سياتي في كتاب الشبهات اذ من الشبهات ما يجب
اجتنابه فيلتحق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابه والورع عنه ورع الموسوسين كمن يمتنع عن
الاصطياد خوفا من ان يكون الصيد قد افلت من انسان اخذه وملكه وهذا وسواس ومنها
ما يستحب اجتنابه ولا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك
ونحمله على نهي التنزيه وكذلك قوله كل ما اصميت ودع ما انميت والانماء ان تجرح الصيد فيغيب
عنه ثم يدركه ميتا اذ يحتمل انه مات بسقطة او بسبب آخر فالذي نختاره كما سياتي ان هذا ليس
بحرام ولكن تركه ورع الصالحين وقوله دع امر تنزيه اذ ورد في بعض الروايات كل منه وان غاب
عنك ما لم تجد فيه اثر غير سهمك وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم في الكلب المعلم وان اكل
فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه على سبيل التنزيه لاجل الخوف اذ قال لابي ثعلبة

الخشني

الخشني كل منه فقال وان اكل فقال وان اكل وذلك لان حال ابي ثعلبة وهو فقير مكتسب
لا يحتمل هذا الورع وحال عدي كان يحتمله ويحكى عن ابن سيرين انه ترك لشريك له اربعة آلاف درهم
لانه حاك في قلبه شيء مع اتفاق العلماء انه لا باس به وامثلة هذه الدرجات نذكرها عند التعرض
لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة ولا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة اما الدرجة
الثالثة وهي ورع المتقين فيشهد لها قوله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد درجة المتقين
حتى يدع ما لا باس به مخافة مما به باس وقال عمر كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة ان نقع
في الحرام وقال ابو الدرداء ان من تمام التقوى ان يتقي العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض
ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما ليكون حجابا بينه وبين النار ولهذا كان لبعضهم مائة درهم
على انسان فحملها اليه فاخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة وكان بعضهم
يتحرى فكل ما يستوفيه ياخذه بنقصان حبة وما يعطيه يزنه بزيادة حبة ليكون ذلك حاجزا من
النار ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح الناس به فان ذلك حلال في الفتوى ولكن يخاف
من فتح بابه ان ينجر الى غيره وتالف النفس الاسترسال فتترك الورع فمن ذلك ما روي عن علي
بن معبد انه قال كنت ساكنا في بيت بكرا فكتبت كتابا واردت ان آخذ من تراب الحائط لاتربه
واجففه ثم قلت الحائط ليس لي فقالت نفسي وما قدر تراب من حائط فاخذت من التراب
حاجتي فلما نمت فاذا انا بشخص واقف يقول يا علي سيعلم غدا الذين يقولون وما قدر تراب من حائط
ولعل معنى ذلك انه يرى كيف يحط منزلته فان للتقوى منزلة تفوت بفوات ورع المتقين وليس المراد
انه يستحق عقوبة على فعله ومن ذلك ما روي ان عمر وصله مسك من البحرين فقال وددت لو
ان امراة وزنت حتى اقسمه بين المسلمين فقالت امراته عاتكة انا اجيد الوزن فقال لا احب ان
تضعيه في الكفة ثم تقولين فيها اثر الغبار فتمسحين بها عنقك فاصيب بذلك فضلا على المسلمين وكان
يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين فاخذ بانفه حتى لا تصيبه الرائحة وقال هل ينتفع الا بريحه
لما استبعد ذلك منه واخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من الصدقة وكان صغيرا فقال صلى الله عليه وسلم
كخ كخ القها ومن ذلك ما روي عن بعضهم انه كان عند محتضر فمات ليلا فقال اطفئوا السراج فقد حدث
للورثة حق في الدهن وروى سليمن التيمي عن نعيم العطارة قالت كان عمر يدفع الى امراته طيبا من طيب المسلمين
قالت فتبيعه امراته فباعتني طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسر باسنانها فيعلق باصبعها شيء منه فقالت
به هكذا باصبعها ثم مسحت به خمارها فدخل عمر رضي الله عنه فقال ما هذه الريح فاخبرته فقال طيب المسلمين تاخذينه
فانتزع الخمار من راسها واخذ جرة من ماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ثم يصب الماء
ثم يدلكه في التراب ويشمه حتى لم يبق له ريح قالت ثم اتيتها مرة اخرى فلما وزنت علق باصبعها منه شيء
فادخلت اصبعها في فيها ثم مسحت بها التراب فهذا من عمر رضي الله عنه ورع التقوى لخوف اداء
ذلك الى الغير والا فغسل الخمار ما كان يعيد الطيب الى المسلمين ولكن اتلفه عليها زجرا وردعا وابقاء
من ان يتعدى الامر ومن ذلك ما سئل احمد بن حنبل رحمه الله عن رجل يكون في المسجد فيحمل مجمرة
لبعض السلاطين ويبخر المسجد بالعود فقال ينبغي ان يخرج من المسجد فانه لا ينتفع من العود الا برائحته وهذا

قد يقارب الحرام فان القدر الذي يعلق بثوبه من رائحة الطيب قد يقصد وقد يبخل به فلا يدرى ان صاحبه يتسامح به ام لا وسئل احمد عن سقط منه ورقة من احاديث فهل لمن وجدها ان يكتب منها ثم يردها فقال لا يستاذن ثم يكتب وهذا ايضا قد يشك في ان صاحبه يرضى به ام لا فما هو في محل الشك فالاصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الاولى ومن ذلك التورع عن الزينة لانه يخاف منها ان تدعو الى غيرها وان كانت الزينة مباحة في نفسها وقد سئل احمد بن حنبل عن النعال السندية فقال اما انا فلا استعملها ولكن ان كان للطين فارجو واما من اراد الزينة فلا ومن ذلك ان عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة ان تشير عليه بشفاعة في باطل فيطيعها ويطلب رضاها وهذا من ترك ما لا باس به مخافة مما به باس اي مخافة من ان يفضي اليه واكثر المباحات داعية الى المحظورات حتى استكثار الاكل واستعمال الطيب للمتعزب فانه يحرك الشهوة والشهوة تدعو الى الفكر والفكر الى النظر والنظر الى غيره وكذلك النظر الى دور الاغنياء وتجملهم مباح في نفسه ولكنه يهيج الحرص ويدعو الى طلب مثله ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله وهكذا المباحات كلها اذا لم تؤخذ بقدر الحاجة وفي وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة اولا ثم بالحذر ثانيا فقلما تخلو عن خطر وكذا كل ما اخذ بالشهوة فقلما يخلو عن خطر حتى كره عاقبته احمد بن حنبل رحمه الله تجصيص الحيطان فقال اما تجصيص الارض فيمنع التراب واما تجصيص الحيطان فزينة لا فائدة فيه حتى انكر تجصيص المسجد وتزيينه واستدل بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل ان يكحل المسجد فقال لا عريش كعريش موسى وانما هو شيء مثل الكحل يطلى به فلم يرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وكره السلف الثوب الرقيق وقالوا من رق ثوبه رق دينه وكل ذلك خوفا من سريان اتباع الشهوات في المباحات الى غيرها فان المحظور والمباح تشتهيهما شهوة واحدة واذا تعودت الشهوة المسامحة استرسلت فاقتضى خوف التقوى الورع من هذا كله فكل حلال انفك عن مثل هذه المخافة فهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة وهو كل ما لا يخاف اداؤه الى معصية البتة واما الدرجة الثالثة وهي درجة الصديقين فالحلال المطلق عندهم كل ما لا يتقدم في اسبابه معصية ولا يستعان به على معصية ولا يقصد منه في الحال والمال قضاء وطر بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوى على عبادته واستبقاء الحيوة لاجله وهؤلاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حراما امتثالا لقوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهذه رتبة الموحدين المتجردين عن حظوظ انفسهم المفردين لله بالقصد ولا شك في ان من يتورع عما يوصل اليه بمعصية او يستعان عليه بمعصية فيتورع عما يقترن بسبب اكتسابه معصية او كراهية فمن ذلك ما روي عن يحيى بن يحيى انه شرب الدواء فقالت له امراته لو مشيت في الدار قليلا حتى يعمل الدواء فقال هذه مشية لا اعرفها وانا احاسب نفسي منذ ثلثين سنة فكانه لم تحضره نية في هذه المشية تتعلق بالدين فلم يجوز الاقدام عليها وعن سري انه قال انتهيت الى حشيش في جبل وماء يخرج منه فتناولت من ذلك الحشيش وشربت من الماء وقلت في نفسي ان كنت قد اكلت حلالا طيبا يوما فهو هذا اليوم فهتف بي هاتف ان القوة التي اوصلتك الى هذا الموضع من اين هي فرجعت وندمت ومن هذا ما روي عن ذي النون المصري انه كان جائعا محبوسا فبعثت له امراة صالحة طعاما على يد السجان فلم ياكل منه ثم اعتذر وقال جاءني على طبق ظالم يعني ان القوة التي اوصلت الطعام الي لم تكن طيبة وهذه الغاية القصوى في الورع ومن ذلك ان بشرا رحمه الله كان لا يشرب الماء من الانهار التي يحفرها الامراء فان النهر سبب لجريان الماء ووصوله اليه وان كان الماء مباحا في نفسه فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور باعمال الاجراء وقد اعطوا اجرتهم من الحرام ولذلك امتنع بعضهم من العنب الحلال من كرم حلال وقال لصاحبه افسدته اذ سقيته مما يجري في النهر الذي حفرته الظلمة وهذا ابعد عن الظلم من شرب نفس الماء لانه احتراز من استمداد العنب من ذلك الماء وكان بعضهم اذا مر في طريق الحج لم يشرب من المصانع التي عملتها الظلمة مع ان الماء مباح ولكنه بقي محفوظا بالمصنع والمصنع عمل بالمال الحرام فكانه انتفاع به وامتناع ذي النون من الطعام على يد السجان اعظم من هذا كله لان يد السجان لا توصف بانها حرام بخلاف الطبق المغصوب اذا حمل عليه ولكنه وصل اليه بقوة اكتسبت بالغذاء الحرام ولذلك تقيا الصديق من اللبن خيفة من ان يحدث الحرام فيه قوة مع انه شربه على جهل وكان لا يجب اخراجه ولكن تخلية الباطن من الخبث من ورع الصديقين ومن ذلك التورع عن كسب حلال اكتسبه خياط يخيط في المسجد فان احمد رحمه الله كره جلوس الخياط في المسجد وسئل عن المغازلي يجلس في قبة من المقابر في وقت يخاف من المطر فقال المقابر انما هي من امر الاخرة واطفا بعضهم سراجا اسرجه غلامه من قوم يكره مالهم وامتنع من تسجير تنور للخبز وقد بقي فيه جمر من حطب مكروه وامتنع من ان يحكم شسع نعله في مشعل سلطان فهذه دقائق الورع عند سالكي طريق الاخرة والتحقيق فيه ان الورع له اول وهو الامتناع مما حرمه الفتوى وهو ورع العدول وله غاية وهو ورع الصديقين وذلك هو الامتناع من كل ما ليس لله مما اخذ بشهوة او توصل اليه بمكروه او اتصل بسببه مكروه وبينهما درجات في الاحتياط فكلما كان العبد اشد تشديدا على نفسه كان اخف ظهرا يوم القيمة واسرع جوازا على متن الصراط وابعد عن ان ترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وتتفاوت المنازل في الاخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع كما تتفاوت دركات النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الخبث واذا علمت حقيقة ذلك فاليك الخيرة فان شئت فاستكثر من الاحتياط وان شئت فترخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص

الباب الثاني في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك ان يقع فيه فهذا الحديث نص في اثبات الاقسام الثلاثة والمشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها فان ما لا يعرفه الكثير قد يعرفه القليل فنقول الحلال المطلق هو الذي انحل عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم في عينه وانحل عن اسبابه ما تطرق اليه تحريم او كراهة ومثاله الماء الذي ياخذه الانسان من المطر قبل ان يقع على ملك احد ويكون هو واقفا عند جمعه واخذه من الهواء في ملك نفسه او في ارض مباحة والحرام المحض ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة في الخمر والنجاسة في البول او حصل بسبب منهي عنه قطعا كالمحصل بالظلم والربا ونظائره فهذان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق امره ولكن احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه

فان صيد البر والبحر حلال ومن اخذ ظبية فيحتمل ان يكون قد ملكها صياد ثم افلتت منه وكذلك
السمك يتصور ان يكون قد تزلق من الصياد بعد وقوعه في يده وخريطته فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق
الى ماء المطر المختطف من الهواء ولكنه في معنى ماء المطر والاحتراز منه وسواس فلنسم هذا الفن ورع
الموسوسين حتى يلحق به امثاله وذلك لان هذا وهم مجرد لا دلالة عليه نعم لو دل عليه دليل فان كان
قاطعا كما لو وجد حلقة في اذن السمكة او كان محتملا كما لو وجد على الظبية جراحة تحتمل ان تكون كيا
لا يقدر عليه الا بعد الضبط ويحتمل ان يكون جرحا فهذا موضع الورع واذا انتفت الدلالة من
كل وجه فالاحتمال المعدوم دلالته كالاحتمال المعدوم في نفسه ومن هذا الجنس من يستعير آنية فيغيب
عنه المعير فيخرج منها ويقول لعله مات وصار الحق للوارث وهذا وسواس اذا لم يدل على موته سبب
قاطع او مشكل اذ الشبهة المحذورة ما ينشأ عن الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين
نشآ عن سببين فما لا سبب له لا يثبت عقده في النفس حتى يساوي العقد المقابل له فيصير شكا ولهذا
نقول من شك انه صلى ثلثا او اربعا اخذ بالثلاث اذ الاصل عدم الزيادة ولو سئل الانسان
ان صلوة الظهر التي اداها قبل هذا بعشر سنين كانت اربعا او ثلثا لم يتحقق قطعا انه اربع و
اذا لم يقطع جوز ان يكون ثلثا وهذا التجويز لا يكون شكا اذ لم يحضره سبب اوجب اعتقاد كونه
ثلثا فليفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه بالوهم والتجويز بغير سبب فهذا يلتحق بالحلال المطلق
ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وامكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام لمورثه
الذي لا وارث له سواه فغاب عنه فقال يحتمل انه مات وقد انتقل الملك الي فآكله فاقدامه عليه
اقدام على حرام محض لانه احتمال لا مستند له فلا ينبغي ان يعد هذا النمط من اقسام الشبهات
وانما الشبهة نعني بها ما اشتبه علينا امره بان تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين
للاعتقادين ومثارات الشبهة خمسة الاول الشك في السبب المحلل والمحرم وذلك
لا يخلو اما ان يكون متعادلا او غلب احد الاحتمالين فان تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف
قبله فيستصحب ولا يترك بالشك وان غلب احد الاحتمالين عليه بان صدر عن دلالة معتبرة كان
الحكم للغالب ولا يتبين هذا الا بالامثلة والشواهد فلنقسمه الى اقسام اربعة القسم الاول
ان لا يكون التحليل معلوما من قبل ثم يقع الشك في المحلل فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الاقدام عليها
مثاله ان يرمي الى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتا ولا يدري انه مات بالغرق
او بالجرح فهذا حرام لان الاصل التحريم الا اذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق المعين
فلا يترك اليقين بالشك كما في الاحداث والنجاسات وركعات الصلوات وغيرها وعلى هذا ينزل
قوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم لا تأكله فلعله قتله غير كلبك ولذلك كان صلى الله عليه وسلم
اذا اتي بشيء اشتبه عليه انه صدقة او هدية سأل عنه حتى يعلم ايهما هو وروي انه ارق ذات
ليلة فقال له بعض نسائه ارقت يا رسول الله قال اجل وجدت تمرة فخشيت ان تكون من الصدقة
وفي رواية فاكلتها فخشيت ان تكون من الصدقة ومن ذلك ما روي عن بعضهم انه قال كنا
في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابنا الجوع فنزلنا منزلا كثير الضباب فبينا القدور

تغلي بها اذ قال صلى الله عليه وسلم امة مسخت من بني اسرائيل فاخاف ان تكون هذه فاكفأنا القدور
ثم اعلمه الله بعد ذلك انه لم يمسخ الله خلقا فيجعل له نسلا وكان امتناعه اولا لان الاصل عدم الحل وشك
في كون الذبح محللا القسم الثاني ان يعرف الحل ويشك في المحرم فالاصل الحل وله الحكم كما
اذا نكح رجلان امرأتين وطار طائر فقال احدهما ان كان هذا غرابا فامرأتي طالق وقال الآخر ان لم
يكن غرابا فامرأتي طالق والتبس امر الطائر فلا يقضى بالتحريم في واحدة منهما ولا يلزمهما اجتنابهما ولكن
الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى تحل لسائر الازواج وقد امر مكحول بالاجتناب في هذه المسئلة
وافتى الشعبي بالاجتناب في رجلين كانا قد تنازعا فقال احدهما للآخر انت حسود فقال الآخر
احسدنا زوجته طالق ثلثا فقال الآخر نعم واشكل الامر وهذا ان اراد به اجتناب الورع فصحيح
وان اراد التحريم المحقق فلا وجه له اذ ثبت في المياه والنجاسات والاحداث والصلوات ان
اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا في معناه فان قلت واي مناسبة بين هذا وبين ذلك فاعلم
انه لا يحتاج الى المناسبة لانه لازم من غير ذلك في بعض الصور فانه مهما تيقن الطهارة في الماء ثم شك
في نجاسته جاز له ان يتوضأ به فكيف لا يجوز ان يشربه واذا جوز الشرب فقد سلم ان اليقين لا يترك
بالشك الا ان ههنا دقيقة وهو ان وزان الماء ان يشك في انه طلق زوجته ام لا فيقال
الاصل انه ما طلق ووزان مسئلة الطائر ان يتحقق نجاسة احد الانائين ويشتبه عينه فلا يجوز
له ان يستعمل احدهما بغير اجتهاد لانه قابل يقين النجاسة يقين الطهارة فبطل الاستصحاب
فكذلك ههنا قد وقع الطلاق على احدى الزوجتين قطعا والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فنقول
اختلف اصحاب الشافعي رحمه الله في الانائين على ثلاثة اوجه فقال قوم يستصحب بغير اجتهاد
وقال قوم بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يغني الاجتهاد
وقال المقتصدون يجتهد وهو الصحيح ولكن وزانه ان يكون له زوجتان فيقول ان كان غرابا فزينب
طالق وان لم يكن فعمرة طالق فلا جرم لا يجوز غشيانهما بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد اذ لا علامة
ونحرمهما عليه لانه لو وطئهما كان مقتحما للحرام قطعا وان وطئ احداهما وقال اقتصر على هذه كان متحكما
بتعيينها من غير ترجيح ففي هذا افترق حكم شخص واحد وشخصين لان التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف
الشخصين اذ كل واحد يشك في التحريم في حق نفسه فان قيل فلو كان الاناءان لشخصين فينبغي ان
يستغني عن الاجتهاد ويتوضأ كل واحد من انائه لانه تيقن طهارته وقد شك الآن فيه فنقول
هذا محتمل في الفقه والارجح في الظن المنع وان تعدد الشخص ههنا كاتحاده لان صحة الوضوء
لا تستدعي ملكا بل وضوء الانسان بماء غيره في دفع الحدث كوضوئه بمائه فلا يتبين لاختلاف
الملك واتحاده اثر بخلاف الوطء لزوجة الغير فانه لا يحل ولان للعلامات مدخلا في النجاسات
والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب تقوية الاستصحاب بعلامة ليدفع به قوة يقين
النجاسة المقابلة ليقين الطهارة وابواب الاستصحابات والترجيحات من غوامض
الفقه ودقائقه وقد استقصيناها في الكتب الفقهية ولسنا نقصد الآن الا التنبيه على قواعدها
القسم الثالث ان يكون الاصل التحريم ولكن طرأ ما اوجب تحليله بظن غالب فهو مشكوك فيه

والغالب حله فهذا ينظر فيه فان استند غلبة الظن الى سبب معتبر شرعا فالذي نختاره فيه انه يحل و
ان اجتنابه من الورع مثاله ان يرمي الى صيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا وليس عليه اثر سوى سهمه
ولكن يحتمل انه مات بسقطة او بسبب آخر فان ظهر عليه اثر صدمة او جراحة اخرى التحق بالقسم الاول
وقد اختلف قول الشافعي رحمه الله في هذا القسم والمختار انه حلال لان الجرح سبب ظاهر وقد
تحقق والاصل انه لم يطرأ غيره عليه فطريانه مشكوك فيه فلا يدفع اليقين بالشك **فان قيل** فقد
قال ابن عباس رضي الله عنه كل ما اصميت ودع ما انميت وروت عائشة رضي الله عنها ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم بارنب فقال رميتي عرفت فيها سهمي فقال اصميت ام انميت فقال بل انميت
قال ان الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره الا الذي خلقه لعله اعان على قتله شيء وكذلك قال
صلى الله عليه وسلم لعدي في كلبه المعلم وان اكل فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه والغالب
ان الكلب المعلم لا يسيء خلقه ولا يمسك الا على صاحبه ومع ذلك نهى عنه وهذا التحقيق هو ان الحل انما
يتحقق بتمام السبب وتمام السبب بان يفضي الى الموت سليما من طريان غيره عليه وقد شك فيه فهو شك في تمام
السبب حتى اشتبه ان موته على الحل او على الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعته ثم شك
فيما يطرأ عليه **فالجواب** ان نهي ابن عباس رضي الله عنه ونهي رسول الله صلى الله عليه وسلم محمول على
الورع والتنزيه بدليل ما روي في بعض الروايات انه قال كل منه وان غاب عنك ما لم تجد فيه اثرا غير سهمك وهذا
تنبيه على المعنى الذي ذكرناه وهو انه ان وجد اثرا آخر فقد تعارض السبب فتعارض الظن وان لم يجد
سوى جرحه حصل غلبة الظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس
المظنون والعمومات المظنونة وغيرها واما قول القائل انه لم يتحقق موته على الحل في ساعته فيكون
شكا في السبب فليس كذلك بل السبب قد تحقق اذ الجرح سبب الموت وطريان المغير شك فيه ويدل
على صحة هذا الاجماع على ان من جرح وغاب فوجد ميتا فيجب القصاص على جارحه بل ان لم يغب يحتمل ان
يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يموت الانسان فجاة فينبغي ان لا يجب القصاص الا في حز الرقبة والجرح
المذفف لان العلل القاتلة في الباطن لا تؤمن ولاجلها يموت الصحيح فجاة ولا قائل بذلك مع ان القصاص
مبناه على السقوط بالشبهة وكذلك جنين المذكى حلال ولعله مات قبل ذبح الاصل لا بسبب ذبحه او لم
ينفخ فيه الروح وغرة الجنين تجب ولعل الروح لم تنفخ فيه او كان قد مات قبل الجناية بسبب آخر ولكن بني على
الاسباب الظاهرة فان الاحتمال الآخر اذا لم يستند الى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه
فكذلك هذا واما قوله صلى الله عليه وسلم اخاف ان يكون انما امسك على نفسه فللشافعي رحمه الله في
هذه الصورة قولان والذي نختاره الحكم بالتحريم لان السبب قد تعارض اذ الكلب المعلم كالآلة والوكيل
يمسك على صاحبه فيحل ولو استرسل المعلم بنفسه فاخذ لم يحل لانه يتصور منه ان يصطاد لنفسه ومهما
انبعث باشارته ثم اكل دل ذلك الابتداء انبعاثه على انه نازل منزلة آلة وانه يسعى في وكالة ونيابة ودل
اكله آخرا على انه امسك لنفسه لا لصاحبه فقد تعارض السبب الدال فتعارض الاحتمال والاصل التحريم
فيستصحب ولا يزال بالشك وهو كما لو وكل رجلا بان يشتري له جارية فاشترى جارية ومات قبل
ان يبين انه اشتراها لنفسه او لموكله لم يحل للوكيل وطؤها لان للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعا

ولا دليل

ولا دليل يرجح والاصل التحريم فهذا يلتحق بالقسم الاول لا بالقسم الثالث **القسم الرابع** ان
يكون الحل معلوما ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعا فيرفع الاستصحاب
ونقضي بالتحريم اذ بان لنا ان الاستصحاب ضعيف ولا يبقى له حكم مع غالب الظن **ومثاله** ان
يؤدي اجتهاده الى نجاسة احد الانائين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن فيوجب تحريم
شربه كما اوجب منع الوضوء به وكذا اذا قال ان قتل زيد عمرا او قتل زيد صيدا منفردا بقتله فامراتي
طالق فجرحه وغاب فوجد ميتا حرمت زوجته لان الظاهر انه منفرد بقتله كما سبق وقد نص الشافعي
رحمه الله ان من وجد في الغدران ماء متغيرا احتمل ان يكون بطول المكث او بالنجاسة فيستعمله و
لو راى ظبية بالت فيه ثم وجده متغيرا واحتمل ان يكون بالبول وبطول المكث لم يجز له استعماله
اذ صار البول المشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ما ذكرناه وهذا في غلبة ظن استند
الى علامة متعلقة بعين الشيء فاما غلبة الظن لا من جهة علامة تتعلق بعين الشيء فقد اختلف
قول الشافعي رحمه الله في ان اصل الحال هل يزال به اذ اختلف قوله في التوضي من اواني المشركين ومدمني
الخمر والصلاة في المقابر المنبوشة والصلاة مع طين الشوارع اعني المقدار الزائد على ما يتعذر الاحتراز
عنه وعبر الاصحاب عنه بانه اذا تعارض الاصل والغالب فايهما يعتبر وهذا جار في حل الشرب من
اواني مدمني الخمر والمشركين لان النجس لا يحل شربه فاذن ماخذ النجاسة والحل واحد فالتردد في احدهما
يوجب التردد في الآخر والذي اختاره ان الاصل هو المعتبر وان العلامة اذا لم تتعلق بعين المتناول
لم يوجب رفع الاصل وسياتي بيان ذلك وبرهانه في المثار الثاني للشبهة وهي شبهة الخلط فقد
اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه او ظن وحكم حرام شك في طريان محلل عليه او ظن
وبان فرق بين ظن يستند الى علامة في عين الشيء وبين ما لا يستند اليه وكل ما حكمنا في هذه الاقسام الاربعة
بحله فهو حلال في الدرجة الاولى والاحتياط تركه فالمقدم عليه لا يكون من زمرة المتقين والصالحين
بل من زمرة العدول الذين لا يقضى في فتوى الشرع بفسقه وعصيانه واستحقاقه العقوبة الا ما الحقناه
برتبة الوسواس فان الاحتراز عنه ليس من الورع اصلا **المثار الثاني** للشبهة شك
منشاه الاختلاط وذلك بان يختلط الحرام بالحلال ويشتبه الامر فلا يتميز والخلط لا يخلو اما ان
يقع بعدد لا يحصر من الجانبين او من احدهما او بعدد محصور فان اختلط بمحصور فلا يخلو اما ان يكون
اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالاشارة كاختلاط المائعات او يكون اختلاط استبهام مع تميز
الاعيان كاختلاط الاعبد والدور والافراس والذي يختلط بالاستبهام فلا يخلو اما ان يكون
مما يقصد عينه كالعروض او لا يقصد كالنقود فيخرج من هذا التقسيم سبعة اقسام **القسم الاول**
ان تشتبه العين بعدد محصور كما لو اختلطت الميتة بذكية او بعشر ذكيات او تختلط رضيعة بعشر نسوة
او يتزوج احدى الاختين ثم يلتبس فهذه شبهة يجب اجتنابها بالاجماع لانه لا مجال للاجتهاد والعلامات
في هذا واذا اختلط بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل ولا فرق
في هذا بين ان يثبت حل فيطرأ اختلاط بمحرم كما لو وقع الطلاق على احدى زوجتيه في مسئلة او يختلط
قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضيعة باجنبية فاراد استحلال واحدة وهذا قد يشكل في طريان التحريم

كطلاق احدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب وقد نبهنا على وجه الجواب وهو ان يقين التحريم
قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب الحظر اغلب في نظر الشرع فلذلك يرجح وهذا اذا
اختلط حلال محصور بحرام غير محصور فلا يخفى ان وجوب الاجتناب اولى القسم الثاني حرام
محصور بحلال غير محصور كما لو اختلطت رضيعة او عشر رضايع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب
نكاح اهل البلد بل له ان ينكح من شاء منهن وهذا لا يجوز ان يعلل بكثرة الحلال اذ يلزم عليه ان يجوز
النكاح اذا اختلطت واحدة حرام بتسعة حلال ولا قايل به بل العلة الغلبة والحاجة جميعا اذ كل من
ضاع له رضيع او قريب او محرم بمصاهرة او سبب من الاسباب لا يمكن ان يسد عليه باب النكاح وكذلك
من علم ان مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه ترك الشراء والاكل فان ذلك حرج وما في الدين من حرج و
نعلم هذا بانه لما سرق في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم مجن وغل واحد في الغنيمة عباءة لم يمتنع احد
من شراء المجن والعباءة في الدنيا وكذلك كل ما سرق وكذلك يعرف ان في الناس من يربي في الدراهم و
الدنانير وما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الناس الدراهم بالكلية وبالجملة انما تنفك الدنيا عن الحرام
اذا عصم الخلق كلهم عن المعاصي وهو محال واذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط ايضا في بلد اذا
وقع بين جماعة محصورين بل اجتناب هذا من ورع الموسوسين اذ لم ينقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه و
سلم ولا عن احد من الصحابة ولا يتصور الوفاء به في ملة من الملل ولا في عصر من الاعصار فان قلت
وكل عدد محصور في علم الله فما حد المحصور ولو اراد الانسان ان يحصر اهل بلد لقدر عليه ايضا ان امكن منه
فاعلم ان تحديد امثال هذه الامور غير ممكن وانما يضبط بالتقريب فنقول كل عدد لو اجتمع على
صعيد واحد لعسر على الناظرين عدهم بمجرد النظر كالالف والالفين فهو غير محصور وما سهل كالعشرة
والعشرين فهو محصور وبين الطرفين اوساط متشابهة تلحق باحد الطرفين بالظن وما وقع الشك فيه استفتي
فيه القلب فان الاثم حزاز القلوب وفي مثل هذا المقام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت
قلبك وان افتوك وافتوك وافتوك وكذلك الاقسام الاربعة التي ذكرناها في المثار الاول تقع فيها
اطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات واوساط متشابهة فالمفتي يفتي بالظن وعلى المستفتي
ان يستفتي قلبه فان حاك في صدره شيء فهو الاثم بينه وبين الله تعالى فلا ينجيه في الاخرة فتوى المفتي فانه
يفتي بالظاهر والله يتولى السرائر القسم الثالث ان يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الاموال
في زماننا هذا فالذي ياخذ الاحكام من الصور قد يظن ان نسبة غير المحصور الى غير المحصور كنسبة المحصور
الى المحصور وقد حكمنا ثمة بالتحريم فليحكم ههنا والذي نختاره خلاف ذلك وهو انه لا يحرم بهذا الاختلاط
ان يتناول شيئا بعينه احتمل انه حرام وانه حلال الا ان يقترن بتلك العين علامة تدل على انه من الحرام فان
لم يكن في العين علامة فتركه ورع واخذه حلال لا يفسق به آكله ومن العلامات ان ياخذه من يد سلطان
ظالم الى غير ذلك من العلامات التي سياتي ذكرها ويدل عليه الاثر والقياس اما الاثر فما علم في زمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بعده اذ كانت اثمان الخمور ودراهم الربوا من ايدي اهل
الذمة مختلطة بالاموال وكذا غلول الغنيمة ومن الوقت الذي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الربوا اذ
قال اول ربوا اضعه ربى العباس ما ترك الناس الربوا باجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمر وساير المعاصي حتى

روي ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باع الخمر فقال عمر لعن الله فلانا هو اول من سن بيع
الخمر اذ لم يكن فهموا ان تحريم الخمر تحريم لثمنها وقال صلى الله عليه وسلم ان فلانا يجر في النار عباءة
قد غلها وقتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين قد غله وكذلك
ادرك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمة الظلمة ولم يمتنع احد منهم عن الشراء في السوق بسبب نهب
المدينة وقد نهبها اصحاب يزيد ثلاثة ايام وكان من يمتنع من تلك الاموال مشارا اليه في الورع والاكثرون
لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الاموال المنهوبة في ايام الظلمة ومن اوجب ما لم يوجبه السلف الصالحون
وزعم انه تفطن من الشرع ما لم يتفطنوا له فهو موسوس مختل العقل ولو جاز ان يزاد عليهم في امثال هذا
لجاز مخالفتهم في مسايل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم ان الجدة كالام في التحريم وابن الابن كالابن
وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور في القرآن والربوا جار فيما عدا الاشياء الستة وذلك محال فانهم اولى
بفهم الشرع من غيرهم واما القياس فهو انه لو فتح هذا الباب لانسد باب جميع التصرفات
وخرب العالم اذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه في شروط الشرع في العقود ويؤدي ذلك
لا محالة الى الاختلاط فان قيل فقد نقلتم انه امتنع من الضب وقال اخشى ان يكون مما مسخه الله و
هو في اختلاط غير المحصور قلنا نحمل ذلك على الورع والتنزه اذ نقول للضب شكل غريب ربما يدل
على انه من المسخ فهي دلالة في عين المتناول فان قيل فهذا معلوم من زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وزمان الصحابة بسبب الربوا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها ولكن كانت هي الاقل بالاضافة
الى الحلال فماذا تقول في زماننا وقد صار الحرام اكثر مما في ايدي الناس لفساد المعاملات واهمال شروطها
وكثرة الربوا وكثرة السلاطين الظلمة فمن اخذ مالا لم يشهد علامة معينة في عينه للتحريم فهو حرام ام لا
فاقول ليس ذلك حراما بل الورع تركه وهذا الورع اهم من الورع اذ كان قليلا ولكن الجواب عن هذا
ان قول القايل اكثر الاموال الحرام في زماننا غلط محض ومنشاه الغفلة عن الفرق بين الكثير و
الاكثر فاكثر الناس بل اكثر الفقهاء يظنون ان ما ليس بنادر فهو الاكثر ويتوهمون انهما قسمان
متقابلان وليس بينهما ثالث وليس الامر كذلك بل الاقسام ثلاثة قليل وهو النادر وكثير واكثر و
مثاله ان الخنثى فيما بين الخلق نادر فاذا اضيف اليه المريض وجد كثيرا وكذا السفر حتى يقال
المرض والسفر من الاعذار العامة والاستحاضة من الاعذار النادرة ومعلوم ان المرض ليس بنادر
وليس بالاكثر ايضا بل هو كثير والفقيه اذا تساهل وقال المرض والسفر غالب وهو عذر عام اراد
به انه ليس بنادر فان لم يرد هذا فهو غلط فالصحيح والمقيم هو الاكثر والمسافر والمريض كثير والمستحاضة
والخنثى نادر فاذا فهم هذا فنقول قول القايل الحرام اكثر باطل لان مستند هذا القايل اما ان يكون
كثرة الظلمة والاجناد او كثرة الربوا والمعاملات الفاسدة او كثرة الايدي التي تكررت من اول الاسلام
الى زماننا هذا على اصول الاموال الموجودة اليوم اما المستند الاول فباطل فان الظالم كثير وليس
هو الاكثر فانهم الجندية اذ لا يظلم الا ذو غلبة وشوكة وهم اذا اضيفوا الى كل العالم لم يبلغوا عشر عشيرهم
فكل سلطان يجتمع عليه من الجنود ماية الف مثلا فيملك اقليما يجمع الف الف وزيادة ولعل بلدة واحدة
من بلاد مملكته يزيد عددهم على جميع عسكره ولو كان عدد السلاطين اكثر من عدد الرعايا لهلك الكل اذ كان

يجب على كل واحد من الرعية ان يقوم بعشرة منهم مثلاً تنعمهم في المعيشة ولا يتصور ذلك بل الكفاية الواحد
منهم لجمع من الف وزيادة وكذا القول في الرزاق فان البلدة الكثيرة تشتمل منهم على عدد قليل **واما**
المستند الثاني وهو كثرة الربوا والمعاملات الفاسدة فهي ايضاً كثيرة وليس ذلك بالاكثر اذ اكثر المسلمين
يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء اكثر والذي يعامل بالربوا وغيره فلو عددت معاملاته وحده لكان
عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد الآن يطلب الانسان بوهمه في البلد مخصوصاً بالمجانة والخبث وقلة الديانة حتى يتصور ان يقال معاملاته الفاسدة اكثر ومثل ذلك المخصوص نادر وان كان كثيراً فليس بالاكثر
لو كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخلو هو عن معاملة صحيحة تساوي الفاسدة او تزيد عليها وهذا
مقطوع به لمن تأمله وانما غلب هذا على النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستبعادها اياه واستعظامها له وان كان نادراً حتى ربما يظن ان الزنا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل انهم الاكثرون وهو
خطأ فانهم الاقلون وان كان فيهم كثرة **واما** المستند الثالث وهو اخيلها ان يقال الاموال انما
تحصل من المعادن والنبات والحيوان والنبات والحيوان حاصل بالتوالد فاذا نظرنا الى شاة مثلاً
وهي تلد في كل سنة فيكون عدد اصولها الى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قريباً من خمسمائة ولا يخلو
هذا ان تطرق الى واحد من تلك الاصول غصب او معاملة فاسدة فكيف يقدر ان تسلم اصولها عن
تصرف باطل الى زماننا هذا وكذا بذور الحبوب والفواكه تحتاج الى خمسمائة اصل او الف اصل مثلاً الى
اول الشرع ولا يكون هذا حلالاً ما لم يكن اصله واصل اصله وكذلك الى اول زمان النبوة حلالاً **واما**
المعادن فهي التي يمكن نيلها على سبيل الابتداء وهي اقل الاموال واكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير
ولا تخرج الا من دار الضرب وهي في ايدي الظلمة يمنعون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالاعمال
الشاقة ثم يأخذونها منهم غصباً فاذا نظر الى هذا علم ان بقاء دينار واحد بحيث لم يتطرق اليه عقد فاسد
او ظلم وقت النيل ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف والربوا بعيد نادر
او محال فلا يبقى اذاً حلال الا الصيد والحشيش في الصحاري الموات والحطب المباح ثم من يحصله لا
يقدر ان يأكله فيفتقر الى ان يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل الا بالاستنبات والتوالد علي م
فيكون قد بذل حلالاً في مقابلة حرام فهذا من اشد الطرق تخييلاً **والجواب** ان هذه الغلبة
لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن النمط الذي نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض
الاصل والغالب اذ الاصل في هذه الاموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي عليها وقد عارضه
سبب غالب يخرجه عن الصلاح فيضاهي هذا محل القولين للشافعي رحمه الله في حكم النجاسات **والصحيح**
عندنا انه يجوز الصلوة في الشوارع اذا لم تر نجاسة وان طين الشوارع طاهر وان الوضوء من اواني المشركين
جائز وان الصلوة في المقابر المنبوشة جائزة فنثبت هذا اولاً ثم نقيس عليه ما نحن فيه **ويدل** على ذلك
توضؤ عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية مع ان مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا فكيف تسلم اوانيهم
من ايديهم بل نقول **نعلم** قطعاً انهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة ومن
تأمل احوال الدباغين والقصارين والصباغين علم ان الغالب عليهم النجاسة وان الطهارة في تلك الثياب
محال او نادر بل نقول **نعلم** قطعاً انهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونها مع انها تداس

بالبقر والدواب وهي تبول عليها وتروث وقلما تخلص من ذلك وكانوا يركبون الدواب وهي تعرق
وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسة بل كل دابة تخرج من بطن امها وعليها رطوبات
نجسة قد تزيلها الامطار وقد لا تزيلها وما كانوا يحترزون عن ذلك وكانوا يمشون حفاة في الطرق
وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين من غير حاجة وكانوا لا يمشون
في البول والعذرة ولا يجلسون عليها ويستنزهون منها ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة
الكلاب وابوالها وكثرة الدواب وارواثها ولا ينبغي ان يظن ان الاعصار والامصار تختلف في
مثل هذا حتى يظن ان الشوارع كانت تغسل في عصرهم او كانت تحرس عن الدواب هيهات فذلك
معلوم استحالته بالعادة قطعاً فدل انهم لم يحترزوا الا من نجاسة مشاهدة او علامة على النجاسة دالة
على العين **فاما** الظن الغالب الذي يستثار من رد الوهم الى مجاري الاحوال فلم يعتبروه وهذا عند
الشافعي رحمه الله وهو يرى ان الماء القليل ينجس من غير تغير اذ لم تزل الصحابة رضي الله عنهم يدخلون
الحمامات ويتوضؤن من الحياض وفيها المياه القليلة والايدي المختلفة تغمس فيها على الدوام وهذا
قاطع في هذا الغرض ومهما ثبت جواز التوضي من جرة نصرانية ثبت جواز الشرب منها والتحق حكم الحل
بحكم النجاسة **فان قيل** لا يجوز قياس الحل على النجاسة اذ كانوا يتوسعون في امور الطهارات
ويحترزون في شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليه **فنقول** ان اريد به انهم صلوا مع
النجاسة والصلوة معها معصية وهي عماد الدين فبئس الظن بل يجب ان يعتقد فيهم انهم احترزوا
عن كل نجاسة وجب اجتنابها وانما تسامحوا حيث لم يجب وكان من محل تسامحهم هذه الصور التي
تعارض فيها الاصل والغالب فبان ان الغالب الذي لا يستند الى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر
مطرح **فاما** تورعهم في الحلال فان كان بطريق التقوى وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس لان
امر الاموال مخوف والنفس تميل اليها ان لم تضبط عنها وامر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة
منهم عن الحلال المحض خيفة ان يشغل قلبه **وهل** حكي عن واحد انه احترز عن الوضوء من ماء البحر و
هو الطهور المحض فالافتراق في ذلك لا يقدح في الغرض الذي جمعنا فيه على انا نجري في هذا المستند
على الجواب الذي قدمناه في المستندين السابقين ولا نسلم ما ذكروه من ان الاكثر هو الحرام
لان المال وان كثرت اصوله فليس بواجب ان يكون في اصوله حرام بل الاموال الموجودة اليوم مما
تطرق الظلم الى اصول بعضها وكما ان الذي يبتدئ غصبه اليوم هو الاقل بالاضافة الى ما لا يغصب
ولا يسرق فهكذا كل مال في كل عصر وفي كل اصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول بالفساد في
كل زمان بالاضافة الى غيره اقل ولسنا ندري ان هذا الفرع بعينه من اي القسمين فلا نسلم ان
الغالب تحريمه فانه كما يزيد المغصوب بالتوالد فيكون فرع الاكثر لا محالة اكثر في كل عصر وزمان
بل الغالب ان الحبوب المغصوبة تغصب للاكل لا للبذر وكذا الحيوانات المغصوبة اكثرها يؤكل
ولا يقتنى للتوالد فكيف يقال ان فروع الحرام اكثر ولم تزل اصول الحلال اكثر من اصول الحرام و
ليتفهم المسترشد من هذا طريق معرفة الاكثر فانه مزلة قدم واكثر العلماء يغلطون فيه فكيف
العوام هذا في المتولدات من الحبوب والحيوانات **اما** المعادن فانها مخلاة يأخذها في

بلاد الترك وغيرها من شاء ولكن قد ياخذ السلاطين بعضها منهم ويأخذون الاكثر لا محالة لا الاكثر
ومن حاز من السلاطين معدنا فظلمه منع الناس منه فاما ما ياخذه الآخذ منه فيأخذه السلطان
باجرة والصحيح انه يجوز الاستنابة في اثبات اليد على المباحات والاستيجار عليها فالمستأجر على
الاستقاء اذا احاز الماء دخل في ملك المستقى له واستحق الاجرة فكذا النيل فاذا فرعنا على
هذا لم يحرم عين الذهب الا ان يقدر ظلمه بنقصان اجرة العمل وذلك قليل بالاضافة ثم لا يوجب تحريم عين
الذهب بل يكون ظالما ببقاء الاجرة في ذمته واما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها عين
ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس بل التجار يحملون اليهم الذهب المسبوك والنقد الردي
ويستاجرونهم على السبك والضرب ياخذون مثل وزن ما سلموه الا شيئا قليلا يتركونه اجرة لهم على
العمل وذلك جائز وان فرض دنانير مضروبة من ذهب السلطان فهي بالاضافة الى مال التجار اقل لا
محالة نعم السلطان يظلم اجراء دار الضرب بان ياخذ منهم ضريبة لانه خصصهم بها من بين سائر الناس
حتى توفر عليهم مال بحشمة السلطان فما ياخذه عوض عن حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالاضافة
الى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لاهل دار الضرب وللسلطان من جملة ما يخرج منها من المائة واحد وهو عشر
العشر فكيف يكون هو الاكثر فهذه اغاليط سبقت الى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة
رق دينهم حتى يقبحوا الورع ويسدوا بابه ويستقبحوا تمييز من يميز بين مال ومال وذلك عين
البدعة والضلال فان قيل فلو قدر غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فماذا يقولون
فيه اذا لم يكن في العين المتناولة علامة خاصة فنقول الذي نراه ان تركه ورع وان اخذه ليس بحرام لان
الاصل الحل ولا يرفع الا بعلامة معينة كما في طين الشوارع ونظائره بل ازيد واقول لو طبق الحرام الدنيا
حتى علم يقينا انه لم يبق في الدنيا حلال لكنت اقول نستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف
ونقول ما جاوز حده انعكس الى ضده فمهما حرم الكل حل الكل وبرهانه انه اذا وقعت هذه الواقعة فالاحتمالات
خمسة احدها ان يقال يدع الناس الاكل حتى يموتوا من عند آخرهم الثاني ان يقتصروا منها على
قدر الضرورة وسد الرمق يزجون عليها اياما الى الموت الثالث ان يقال يتناولون قدر الحاجة كيف
شاؤا سرقة وغصبا وتراضيا من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة الرابع ان يتبعوا شروط
الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار على الحاجة الخامس ان يقتصر مع شروط الشرع على قدر الحاجة
اما الاول فلا يخفى بطلانه واما الثاني فباطل قطعا لانه اذا اقتصر الناس على سد الرمق وزجوا
اوقاتهم مع الضعف فشا فيهم الموتان وبطلت الاعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية وفي
خراب الدنيا خراب الدين لانها مزرعة الآخرة واحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل اكثر
احكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم بها مصالح الدين واما الثالث وهو الاقتصار
على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع عدم التسوية بين مال ومال بالغصب والسرقة والتراضي وكيف ما
اتفق فهو رفع لسد الشرع بين المفسدين وبين انواع الفساد فتمتد الايدي بالغصب والسرقة وانواع
الظلم ولا يمكن زجرهم عنه اذ يقولون ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عنا فانه حرام عليه وعلينا و
ذو اليد له قدر الحاجة فقط فان كان هو محتاجا فانا ايضا محتاجون وان كان في حقي زائدا على الحاجة فقد

سرقة ممن هو زائد على حاجة يومه واذا لم نراع حاجة اليوم او السنة فما الذي نراعي وكيف يضبط و
هذا يؤدي الى بطلان سياسة الشرع واغراء اهل الفساد بالفساد فلا يبقى الا الاحتمال الرابع وهو ان
يقال كل ذي يد على ما في يده وهو اولى به لا يجوز ان يؤخذ منه سرقة ولا غصبا بل يؤخذ برضاه والتراضي
طريق الشرع واذا لم يجز الا بالتراضي فللتراضي ايضا منهاج في الشرع يتعلق به المصالح فان لم يعتبر اصل التراضي
وتعطل تفصيله واما الاحتمال الخامس وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع
من اصحاب الايدي فهو الذي نراه لائقا بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة ولكن لا وجه لايجابه على الكافة
وادخاله في فتوى العامة لان ايدي الظلمة تمتد الى الزيادة على قدر الحاجة في ايدي الناس وكذا ايدي السراق
وكل من غلب سلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول لا حق له الا في قدر الحاجة وانا محتاج فلا يبقى الا ان
يجب على السلطان ان يخرج كل زيادة على الحاجة من ايدي الملاك ويستوعب بها اهل الحاجة و
يدر على الكل الاموال يوما فيوما او سنة فسنة وفيه تكليف شطط وتضييع اموال اما تكليف الشطط
فهو ان السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك اصلا واما التضييع فهو ان
ما فضل عن الحاجة من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفههم فكيف على قدر حاجاتهم ثم
يؤدي ذلك الى سقوط الحج والزكوة والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالغنى عن الناس لا يملكون
الا قدر حاجاتهم وهو في غاية القبح بل اقول لو ورد نبي في مثل هذا الزمان ضربا بالمثل لوجب عليه
ان يستأنف الامر ويمهد تفصيل اسباب الاملاك بالتراضي وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد
جميع الاموال حلالا من غير فرق واعني بقولي يجب عليه اذا كان النبي ممن بعث لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم
اذ لا يتم الصلاح برد الكافة الى قدر الضرورة والحاجة الماسة فان لم يبعث للصلاح لم يجب هذا ونحن
نجوز ان يقدر الله سببا يهلك به الخلق عن آخرهم فيفوت دنياهم ويضلون في دينهم فانه يهدي من
يشاء ويضل من يشاء ويميت من يشاء ويحيي من يشاء ولكنا نقدر الامر جاريا على ما ألف من سنة
الله تعالى في بعثة الانبياء لصلاح الدين والدنيا ومالي اقدر هذا وقد كان ما اقدره فلقد بعث نبينا
صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وكان شرع عيسى صلوات الله عليه قد مضى عليه قريب ستماية سنة
والناس مكذبون له من عبدة الاوثان واليهود والى مصدقين له قد شاع الفسق فيهم كما شاع في
زماننا الآن والكفار مخاطبون بفروع الشريعة وكانت الاموال في ايدي المكذبين له والمصدقين
اما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام واما المصدقون فتساهلوا مع اصل
التصديق كما تساهل الآن المسلمون مع ان العهد بالنبوة اقرب فكانت الاموال كلها او اكثرها او
كثير منها حراما وعفا صلى الله عليه وسلم عما سلف ولم يتعرض له وخصص اصحاب الايدي بالاموال و
مهد الشرع وما ثبت تحريمه في شرع لا ينقلب حلالا لبعثة رسول ولا ينقلب حلالا بان يسلم الذي في يده
الحرام فانا لا ناخذ في الجزية من اهل الذمة ما نعرف بعينه انه من ثمن خمر ومال ربوا وقد كانت اموالهم
في ذلك الزمان كاموالنا الآن وامر العرب كان اشد لعموم النهب والغارة فيهم فبان ان الاحتمال
الرابع متعين في الفتوى والاحتمال الخامس هو طريق الورع بل تمام الورع الاقتصار في المباح على قدر الحاجة
وترك التوسع في الدنيا بالكلية وذلك طريق الآخرة ونحن الآن نتكلم في الفقه المنوط بمصالح الخلق وفتوى الظاهر

حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين لا يقدر على سلوكه الا الآحاد ولو اشتغل الخلق كلهم به بطل النظام وخرب العالم فان ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدنية والصناعات الخسيسة لبطل النظام ثم يبطل ببطلانه الملك ايضا فالمحترفون انما سخروا لينتظم الملك للملوك وكذلك المقبلون على الدنيا سخروا ليسلم طريق الآخرة لذوي الدين وهو ملك الآخرة ولولاه لما سلم لذوي الدين ايضا دينهم فشرط سلامة الدين لهم ان يعرض الاكثرون عن طريقهم ويشتغلون بامور الدنيا وتلك قسمة سبقت بها المشيئة الازلية واليه الاشارة بقوله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فان قيل لا حاجة الى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال فان ذلك غير واقع وهو معلوم ولا شك في ان البعض حرام وذلك البعض هو الاقل او الاكثر فيه نظر وما ذكر من ان الاقل بالاضافة الى الكل جلي ولكن لا بد من دليل محصل على تجويزه ليس من المصالح المرسلة وما ذكرتموه من التقسيمات كانها مصالح مرسلة فلا بد لها من شاهد معين تقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولا بالاتفاق فان بعض العلماء لا يقبل المصالح المرسلة فاقول ان سلم ان الحرام هو الاقل فيكفينا برهانا عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة مع وجود الربوا والسرقة والغلول والنهب وان قدر زمان يكون الاكثر هو الحرام فيحل التناول ايضا وبرهانه ثلاثة امور الاول التقسيم الذي حصرناه وابطلنا منه اربعة اقسام واثبتنا القسم الخامس فان ذلك اذا اجري فيما اذا كان الكل حراما كان اجرى فيما اذا كان الحرام هو الاكثر او الاقل وقول القائل هو مصلحة مرسلة هوس فان ذلك انما تخيل من تخيله في امور مظنونة وهذا مقطوع به فانا لا نشك في ان مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم بالضرورة وليس بمظنون ولا نشك في ان رد كافة الناس الى قدر الضرورة او الحاجة او الى الصيد والحشيش مخرب للدنيا اولا وللدين بواسطة الدنيا ثانيا فما لا يشك فيه لا يحتاج الى اصل يشهد له وانما يستشهد على الخيالات المظنونة المتعلقة باحاد الاشخاص البرهان الثاني ان يعلل بقياس محرر مردود الى اصل يتفق الفقهاء الآنسون بالاقيسة الجزئية عليه وان كانت الجزئيات مستحقرة عند المحصلين بالاضافة الى مثل ما ذكرناه من الامر الكلي الذي هو ضرورة النبي لو بعث في زمان عم التحريم حتى لو حكم بغيره لخرب العالم والقياس المحرر الجزئي هو انه قد تعارض اصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة من الامور التي ليست محصورة فيحكم بالاصل لا بالغالب قياسا على طين الشوارع وجرة النصرانية واواني المشركين وذلك قد اثبتناه من قبل بفعل الصحابة وقولنا انقطعت العلامات المعينة احترازا عن الاواني التي يتطرق اليها الاجتهاد وقولنا ليست محصورة احترازا عن التباس الميتة والرضيعة بالذكية والاجنبية فان قيل كون الماء طهورا مستيقن وهو الاصل ومن يسلم ان الاصل في الاموال الحل بل الاصل فيها التحريم فنقول الاموال التي لا تحرم لصفة في عينها حرمة الخمر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول المعاملات بالتراضي كما خلق الماء مستعدا للوضوء وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منها فلا فرق بين الامرين فانها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه فلا فرق والجواب الثاني ان اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب واقوى منه بدليل ان الشرع الحقه به اذ من ادعي عليه دين فالقول قوله لان الاصل براءة

ذمته وهذا استصحاب ومن ادعي عليه ملك في يده فالقول ايضا قوله اقامة لليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد انسان فالاصل انه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة البرهان الثالث هو ان ما دل على جنس لا يحصر ولم يدل على عين لم يعتبر وان كان قطعا فبان لا يعتبر اذا كان يدل بطريق الظن اولى وبيانه انا اذا علمنا انه ملك زيد لحقته يمنع من التصرف فيه بغير اذنه ولو علم ان له مالكا في العالم ولكن وقع الياس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصد لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة ولو دل على ان له مالكا محصورا في عشرة اشخاص مثلا او عشرين امتنع التصرف فالذي يشك في ان له مالكا سوى صاحب اليد لا يزيد على الذي يتيقن قطعا ان له مالكا ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه في الاقسام الخمسة فيكون هذا الاصل شاهدا له وكيف لا وكل مال ضائع فقد مالكه يصرفه السلطان الى المصالح ومن المصالح الفقراء وغيرهم فلو صرف الى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه ولو سرق منه سارق قطعت يده فكيف نفذ تصرفه في ملك الغير ليس ذلك الا لحكمنا بان المصلحة تقتضي ان ينتقل الملك اليه ويحل له فقضينا بموجب المصلحة فان قيل ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان فنقول والسلطان لم يجوز له التصرف في ملك غيره بغير اذنه لا سبب له الا المصلحة وهو انه لو ترك لضاع فهو مردد بين تضييعه وبين صرفه الى مهم والصرف الى مهم اصلح من التضييع فرجح عليه المصلحة فيما يشك فيه ولا يعلم تحريمه ان نحكم بدلالة اليد ونترك على ارباب الايدي اذ انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار على الحاجة يؤدي الى الضرر الذي ذكرناه وجهات المصلحة تختلف فان السلطان تارة يرى من المصلحة ان يبني بذلك المال قنطرة وتارة يرى ان يصرفه الى جند الاسلام وتارة الى الفقراء ويدور مع المصلحة كيف ما دارت فكذلك الفتوى في مثل هذا يدور على المصلحة وقد خرج من هذا ان الخلق غير ماخوذين في اعيان الاموال بظنون لا تستند الى خصوص دلالة في تلك الاعيان كما لم يؤاخذ السلطان والفقراء الآخذون منه بعلمهم ان المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار اليه ولا فرق بين عين الاملاك في هذا المعنى فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق الا النظر في امتزاج المائعات والدراهم والعروض في يد المالك الواحد وسياتي بيانه في باب تفصيل طريق الخروج من المظالم المثار الثالث للشبهة ان يتصل بالسبب المحلل معصية اما في قرائنه واما في لواحقه واما في سوابقه او في عوضه وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد العقد وابطال السبب المحلل مثال المعصية في القرائن البيع في وقت النداء يوم الجمعة والذبح بالسكين المغصوبة والاحتطاب بالفاس المغصوبة والبيع على بيع الغير والسوم على سومه وكل نهي ورد في العقود ولم يدل على فساد العقد فان الامتناع من جميع ذلك ورع وان لم يكن المستفاد بهذه الاسباب محكوما بتحريمه وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح لان الشبهة في غالب الامر تطلق لارادة الاشتباه والجهل ولا اشتباه ههنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة معلوم ايضا ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة وتناول الحاصل من هذه الامور مكروه والكراهية تشبه التحريم فان اريد بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له وجه والا فينبغي ان يسمى هذا كراهية لا شبهة واذا عرف المعنى فلا مشاحة في الاسامي فعادة الفقهاء التسامح في الاطلاقات ثم اعلم ان هذه الكراهية لها ثلاث درجات الاولى

منها يقرب من الحرام والورع منه مهم والاخيرة ينتهي الى نوع من المبالغة تكاد تلتحق بورع الموسوسين وبينهما اوساط نازعة الى الطرفين فالكراهة في صيد كلب مغصوب اشد من الذبيحة بسكين مغصوب والمقتنص بسهم مغصوب اذ الكلب له اختيار وقد اختلف في ان الحاصل به لمالك الكلب او للصياد ويليه البذر المزروع في ارض مغصوبة فان الزرع لمالك البذر ولكن فيه شبهة ولو اثبتنا حق الحبس لمالك الارض في الزرع لكان كالثمن الحرام ولكن الاقيس ان لا يثبت حق حبس كما لو طحن بطاحونة مغصوبة واقتنص بشبكة مغصوبة اذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منفعتها بالصيد ويليه الاحتطاب بالفاس المغصوبة ثم ذبح ملك نفسه بالسكين المغصوبة اذ لم يذهب احد الى تحريم الذبيحة ويليه البيع في وقت النداء فانه ضعيف التعلق بمقصود العقد وان ذهب قوم الى فساد العقد اذ ليس فيه الا انه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه ولو افسد البيع بمثله لافسد بيع كل من عليه زكوة درهم او صلوة فايتة وجوبها على الفور او في ذمته مظلمة دانق فان الاشتغال بالبيع مانع عن القيام بالواجبات فليس للجمعة الا الوجوب بعد النداء ويجر ذلك الى ان لا يصح نكاح اولاد الظلمة وكل من في ذمته درهم لانه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه الا انه من حيث ورد في يوم الجمعة نهي على الخصوص ربما يسبق الى الافهام خصوص فيه فتكون الكراهة اشد ولا باس بالحذر منه ولكن قد يجر الى الوسواس حتى يتحرج عن نكاح بنات ارباب المظالم وسائر معاملاتهم وقد حكي عن بعضهم انه اشترى شيئا فسمع انهم اشتروه يوم الجمعة فرده خيفة ان يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهذا غاية المبالغة لانه رد بالشك ومثل هذا الوهم في تقدير المناهي والمفسدات لا ينقطع عن يوم السبت وسائر الايام والورع حسن والمبالغة فيه احسن ولكن الى حد معلوم فقد قال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون فليحذر عن امثال هذه المبالغات فانها وان كانت لا تضر صاحبها ربما اوهم عند الغير ان ذلك مهم ثم يعجز عما هو ايسر منه فيترك اصل الورع وهو مستند اكثر الناس في زماننا هذا اذ ضيق عليهم الطريق فايسوا عن القيام به فاطرحوه فكما ان الموسوس في الطهارة قد يعجز عن الطهارة فيتركها فكذلك بعض الموسوسين في الحلال سبق الى اوهامهم ان مال الدنيا كله حرام فتوسعوا وتركوا التمييز وهو عين الضلال واما مثال اللواحق فهو كل تصرف يفضي الى معصية واعلاه بيع العنب من الخمار وبيع الغلام من المعروف بالفجور بالغلمان وبيع السيف من قطاع الطريق وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن الماخوذ منه والاقيس ان ذلك صحيح والماخوذ حلال والرجل عاص بعقده كما يعصي بالذبح بالسكين المغصوب والذبيحة حلال فانه يعصي عصيان الاعانة على المعصية ولا يتعلق ذلك بعين العقد فالماخوذ من هذا مكروه كراهة شديدة وتركه من الورع المهم وليس بحرام ويليه في الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خمارا وبيع السيف ممن يغزو ويظلم ايضا لان الاحتمال قد تعارض وقد كره بيع السيف في وقت الفتنة خيفة ان يشتريه ظالم فهذا ورع فوق الاول والكراهة فيه اخف ويليه ما هو مبالغة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة انه لا يجوز معاملة الفلاحين بآلات الحرث لانهم يستعينون بها على الحراثة ويبيعون الطعام من الظلمة فلا يباع منهم البقر وآلات الحرث وهذا ورع الوسوسة اذ يجر الى ان لا يباع من الفلاح طعام لانه يتقوى به على الحراثة ولا يسقى من الماء العام لذلك

وينتهي

وينتهي الى حد التنطع المنهي عنه وكل متوجه الى شيء على قصد خير لا بد وان يسرف ان لم يزمه العلم المحقق وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين ليستضر الناس بعده بها وهو يظن انه مشغول بالخير ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي والمتنطعون هم الذين يخشى عليهم ان يكونوا ممن قيل فيهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وبالجملة فلا ينبغي ان يشتغل الانسان بدقائق الورع الا بحضرة عالم متقن فانه اذا جاوز ما رسم له وتصرف بذهنه من غير سماع كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وقد روي عن سعد بن ابي وقاص انه احرق كرمه خوفا من ان يباع العنب ممن يتخذه خمرا وهذا لا اعرف له وجها ان لم يعرف هو سببا خاصا يوجب الاحراق اذ ما احرق نخيله وكرمه من كان ارفع قدرا منه من الصحابة ولو جاز هذا لجاز قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب الى غير ذلك من الاتلافات واما المقدمات فلتطرق المعصية اليها ثلاث درجات الدرجة العليا التي تشتد الكراهة فيها ما بقي اثره في المتناول كالاكل من شاة اعلفت بعلف مغصوب او رعت في مرعى حرام فان ذلك معصية وقد كان سببا لبقائها وربما يكون الباقي من لحمها ودمها واجزائها من ذلك العلف وهذا الورع مهم وان لم يكن واجبا ونقل ذلك عن جماعة من السلف وكان لابي عبد الله الطوسي التروغندي شاة يحملها على رقبته كل يوم الى الصحراء ويرعاها وهو يصلي وكان ياكل من لبنها فغفل عنها ساعة فتناولت من ورق كرم على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل اخذها فان قيل فقد روي عن عبد الله بن عمر وعبيد الله رضي الله عنهما انهما اشتريا ابلا فبعثا بها الى الحمى فرعت فيه ابلهما حتى سمنت فقال عمر رضي الله عنه ارعيتما في الحمى فشاطرهما فهذا يدل على انه راى اللحم الحاصل من العلف لصاحب العلف فليوجب هذا تحريما قلنا ليس كذلك فان العلف يفسد بالاكل واللحم خلق جديد وليس هو عين العلف فلا شركة لصاحب العلف شرعا ولكن عمر رضي الله عنه غرمهما قيمة الكلا وراى ذلك مثل شطر الابل فاخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن ابي وقاص ماله لما ان قدم من الكوفة وكذلك شاطر ابا هريرة اذ راى ان كل ذلك لا يستحقه العامل وراى شطر ذلك كافيا على حق عمله وقدره بالشطر اجتهادا الرتبة الوسطى ما نقل عن بشر من امتناعه عن الماء الذي يساق في نهر الظلمة لان النهر موصل اليه وقد عصى الله بحفره وامتناع آخر من عنب كرم يسقى بماء يجري في نهر حفر ظلما وهو ارفع منه وابلغ في الورع وامتناع آخر من الشرب من مصانع السلاطين في الطرق واعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال اوصل اليه على يد سجان وقال انه جاءني على طبق ظالم ودرجات هذه الرتب لا تنحصر الرتبة الثالثة وهي قريب من الوسواس والمبالغة ان يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله تعالى بالزنا او القذف وليس هذا كما لو عصى باكل الحرام فان الموصل قوته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوة يستعان بها على الحمل بل الامتناع من اخذ حلال وصل على يد كافر وسواس بخلاف اكل الحرام اذ الكفر لا يتعلق بحمل الطعام وينجر هذا الى ان لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بغيبة او كذب وهو غاية التنطع والاسراف فليضبط ما

عُرف من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب الموصل كالنهر وقوة اليد المستفادة بالغذاء الحرام ولو امتنع عن الشرب من كوز لان الصانع الذي عمل الكوز كان قد عصى الله يوما بضرب انسان او شتمه لكان هذا وسواسا ولو امتنع من لحم شاة ساقها اكل حرام فهذا ابعد من السجان لان الطعام يسوقه قوة السجان والشاة تمشي بنفسها والسائق يمنعها عن العدول عن الطريق فقط فهذا قريب من الوسواس فانظر كيف تدرجنا في بيان ما يتداعى اليه هذه الامور فاعلم ان كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فان فتوى الفقيه يختص بالدرجة الاولى التي يمكن تكليف كافة الخلق به ولو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم دون ما عداه من ورع المتقين والصالحين والفتوى في هذا ما قاله صلى الله عليه وسلم لوابصة اذ قال استفت قلبك وان افتوك وافتوك وعرفوك اذ قال الاثم حزاز القلوب فكل ما حاك في صدر المريد من هذه الاسباب فلو اقدم عليه مع حزازة القلب استضر به و اظلم قلبه بقدر الحزازة التي يجدها بل لو اقدم على حرام في علم الله وهو يظن انه حلال لم يؤثر ذلك في قساوة قلبه ولو اقدم على ما هو حلال في فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حزازة في قلبه فذلك يضره وانما الذي ذكرناه في النهي عن المبالغة اردنا به ان القلب الصافي المعتدل هو الذي لا يجد حزازة في مثل تلك الامور فان مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فاقدم مع ما يجد في قلبه فذلك يضره لانه ماخوذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه ولذلك يشدد على الموسوسين في الطهارة و نية الصلوة فانه اذا غلب على قلبه ان الماء لم يصل الى جميع اجزاء عضو الطهارة بثلاث مرات لغلبة الوسوسة عليه فيجب عليه ان يستعمل الرابعة وصار ذلك حكما في حقه وان كان مخطئا في نفسه واولئك قوم شددوا فشدد الله عليهم ولذلك شدد على اصحاب موسى لما استقصوا في السؤال عن البقرة ولو اخذوا اولا بعموم لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم لاجزاهم فلا تغفل عن هذه الدقائق التي رددناها نفيا واثباتا فان من لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه يوشك ان يزل في درك مقاصده **واما المعصية** في العوض فلها ايضا درجات الدرجة العليا التي تشتد الكراهية فيها ان يشتري شيئا في الذمة ويقضي ثمنه من غصب او مال حرام فينظر فان سلم البايع اليه الطعام قبل قبض الثمن بطيبة قلبه فاكله قبل قضاء الثمن فهو حلال و تركه ليس بواجب بالاجماع اعني قبل قضاء الثمن ولا هو ايضا من الورع المؤكد فان قضى الثمن بعد الاكل من الحرام فكانه لم يقض الثمن ولو لم يقض الثمن اصلا لكان متقلدا للمظلمة بترك ذمته مرتهنة بالدين ولا ينقلب ذلك حراما بان قضى الثمن من الحرام وان ابراه البايع مع العلم بانه حرام فقد برئت ذمته ولم تبق عليه الا مظلمة تصرفه في الدراهم الحرام بصرفها الى البايع وان ابراه على ظن ان الثمن حلال فلا تحصل البراءة لانه يبريه بما اخذه ابراء استيفاء فلا يصلح ذلك للابراء هذا حكم المشتري والاكل منه وحكم الذمة وان لم يسلم اليه بطيبة قلب ولكن اخذه فاكله حرام سواء اكله قبل توفية الثمن من الحرام او بعده لان الذي نرى الفتوى به ثبوت حق الحبس للبايع حتى يتعين ملكه باقباض النقد كما تعين ملك المشتري وانما يبطل حق حبسه اما بالابراء او الاستيفاء ولم يجر شيء منهما ولكنه اكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن

للطعام اذا اكله بغير اذن المرتهن وبينه وبين اكل طعام الغير فرق ولكن اصل التحريم شامل هذا كله اذا قبض قبل توفية الثمن اما بطيبة قلب البايع او من غير طيبة قلبه فاما اذا وفى الثمن الحرام اولا ثم قبض فان كان البايع عالما بان الثمن حرام ومع هذا اقبض المبيع بطل حقه من الحبس وبقي له الثمن في ذمته اذ ما اخذه ليس بثمن ولا يصير اكل المبيع حراما بسبب بقاء الثمن فاما اذا لم يعلم انه حرام وكان بحيث لو علم لما رضي به ولا اقبض المبيع فحق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس فاكله حرام تحريم اكل المرهون الى ان يبريه او يوفي من حلال او يرضى هو بالحرام ويبري فيصح ابراؤه ولا يصح رضاه بالحرام فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الاولى من الحل والحرمة فاما الامتناع عنه فمن الورع المهم لان المعصية اذا تمكنت من السبب الموصل الى الشيء تشتد الكراهية فيه كما سبق واقوى الاسباب الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضي البايع بتسليمه اليه فرضاه به لا يخرجه عن كونه مكروها كراهية شديدة ولكن العدالة لا تنخرم به وتزول به درجة التقوى والورع ولو اشترى سلطان مثلا ثوبا او ارضا في الذمة وقبضه برضى البايع قبل توفية الثمن وسلمه الى فقيه او غيره صلة او خلعة وهو شاك في انه سيقضي ثمنه من الحلال او الحرام فهذا اخف اذ وقع الشك في تطرق المعصية الى الثمن وتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقلته في مال ذلك السلطان وما يغلب على الظن فيه وبعضه اشد من بعض والرجوع فيه الى ما ينقدح في القلب الرتبة الوسطى ان لا يكون العوض غصبا وحراما ولكن ينهيها المعصية كما لو سلم عوضا من الثمن عنبا والآخذ شارب خمر او سيفا وهو قاطع طريق فهذا لا يوجب تحريما في مبيع اشتراه في الذمة ولكن يقتضي فيه كراهية دون الكراهية التي في الغصب وتتفاوت درجات هذه الرتبة ايضا بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن وندورها ومهما كان العوض مالا حراما فبذله حرام وان احتمل تحريمه ولكن ابيح بظن فبذله مكروه وعليه ينزل عندي النهي عن كسب الحجام وكراهيته اذ نهى صلى الله عليه وسلم عنه مرات ثم امر بان يعلفه الناضح وما يسبق الى الوهم من ان سببه مباشرة النجاسة والقذر فهو فاسد اذ يجب طرده في الدباغ والكناس ولا قائل به ولا يمكن طرده في القصاب اذ كيف يكون كسبه مكروها وهو بدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه ومخامرة القصاب للنجاسة اكثر من الحجام والفصاد فان الحجام ياخذ الدم بالمحجمة ويمسح بالقطنة ولكن السبب ان في الحجامة والفصد جراحة هي تخريب لبنية الحيوان واخراج لدمه وبه قوام حيوته والاصل فيه التحريم وانما تحل لضرورة ويعلم الحاجة والضرورة بحدس واجتهاد وربما يظن نافعا ويكون ضارا فيكون حراما عند الله ولكن حكم بحله بالظن والحدس ولذلك لا يجوز للفصاد فصد عبد ولا صبي ولا معتوه الا باذن وليه وقول طبيب ولولا انه حلال في الظاهر لما اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اجرة الحجام ولولا انه يحتمل التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين عطائه ونهيه الا باستنباط هذا المعنى وكان ينبغي ان نذكر في القرائن المقرونة بالسبب فانه اقرب اليها **الرتبة** السفلى وهي درجة الوسواس وذلك في ان يحلف انسان على ان لا يلبس من غزل امه فباع غزلها واشترى به ثوبا فهذا لا كراهة فيه والورع عنه وسوسة وروي عن المغيرة انه قال في هذه الواقعة لا يجوز واستشهد بان النبي صلى الله عليه وسلم لعن اليهود اذ حرمت عليهم الخمور فباعوها وهذا غلط لان بيع الخمر باطل اذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع وثمن المبيع الباطل حرام

وليس هذا من ذاك بل مثاله هذا ان يملك الرجل جارية هي اخته من الرضاع فباعها بجارية اجنبية
فليس لاحد ان يتورع عنها ويشبه ذلك ببيع الخمر فهذا غاية الترف في هذا الطرف وقد عرفنا جميع الدرجات
وكيفية التدرج فيها وان كان تفاوت هذه الدرجات لا تنحصر في ثلاث واربع ولا في عدد ولكن المقصود
من التعديد التقريب والتفهيم فان قيل فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة
دراهم وفيها درهم حرام لم يقبل الله له صلوة ما دام عليه وادخل ابن عمر رضي الله عنه اصبعيه في اذنيه وقال
صمتا ان لم اكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة
بعينها لا في الذمة واذا اشترى في الذمة فقد حكمنا بالتحريم في اكثر الصور فليحمل عليها ثم كم من ملك يتوعد
عليه بمنع قبول الصلوة لمعصية تطرقت الى سببه وان لم يدل ذلك على فساد العقد كالمشتري في وقت
النداء وغيره المثار الرابع الاختلاف في الادلة فان ذلك كالاختلاف في السبب لان
السبب سبب حكم الحل والحرمة والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في
معرفة العبد فلا فائدة لثبوته في نفسه وان جرى سببه في علم الله وهي اما ان تكون لتعارض ادلة الشرع او
لتعارض العلامات الدالة او لتعارض التشابه القسم الاول ان تتعارض ادلة الشرع مثل تعارض
عمومين من القرآن او السنة او تعارض قياس وعموم وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه الى الاستصحاب
او الاصل المعلوم قبله ان لم يظهر ترجيح فان ظهر ترجيح في جانب الحظر وجب الاخذ به ولكن الورع تركه
فاتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق المفتي والمقلد وان كان المقلد يجوز له ان ياخذ بما افتى له
مقلده الذي يظن انه افضل علماء بلده ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف افضل اطباء البلد بالتسامع و
القرائن وان كان لا يحسن الطب وليس للمستفتي ان ينتقد من المذاهب اسهلها عليه واوسعها بل عليه
ان يبحث حتى يغلب على ظنه الافضل ثم يتبعه فلا يخالفه اصلا نعم ان افتى له امامه بشيء ولامامه فيه مخالف
فالفرار من الخلاف الى الاجماع من الورع المؤكد وكذا المجتهد اذا تعارضت عنده الادلة ورجح جانب
الحل بحدس وتخمين وظن فالورع له الاجتناب فلقد كان المفتون يفتون بحل اشياء لا يقدمون
عليها قط تورعا عنها وحذرا من الشبهة فيها ولنقسم هذا ايضا على ثلاث مراتب المرتبة
الاولى ما يتأكد الاستحباب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب
الآخر عليه فمن المهمات التورع من فريسة الكلب المعلم اذا اكل منها وان افتى المفتي بانه حلال لان
الترجيح فيه غامض وقد اخترنا ان ذلك حرام وهو اقيس قولي الشافعي رحمه الله ومهما وجد للشافعي رحمه
الله قول جديد موافق لمذهب ابي حنيفة او غيره من الائمة كان الورع فيه مهما وان افتى المفتي بالقول
الآخر ومن ذلك الورع عن متروك التسمية وان لم يختلف فيه قول الشافعي رحمه الله لان الآية ظاهرة في
ايجابها والاخبار متواترة فيها فانه صلى الله عليه وسلم قال لكل من سأله عن الصيد اذا ارسلت كلبك
المعلم وذكرت عليه اسم الله فكل ونقل ذلك على التكرر وقد شهر الذبح بالبسملة وكل ذلك يقوي دليل الاشتراط
ولكن لما صح قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن يذبح على اسم الله سمى او لم يسم واحتمل ان يكون هذا عاما موجبا
لصرف الآية وسائر الاخبار عن ظواهرها ويحتمل ان يخصص هذا بالناسي ويترك الظواهر ولا تأويل و
كان حمله على الناسي ممكنا امكانا اقرب رجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال المقابل له فالورع عن مثل

فهذا اهم واقع في الدرجة الاولى المرتبة الثانية وهو متاخم درجة الوسواس ان يتورع الانسان
عن اكل الجنين الذي يصادف في بطن الحيوان المذبوح وعن الضب وقد صح في الصحاح من الاخبار
حديث الجنين ان ذكاته ذكاة امه صحة لا يتطرق احتمال الى متنه ولا ضعف الى سنده وكذلك
صح انه اكل الضب على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نقل ذلك في الصحيحين فالظن بابي حنيفة
رحمه الله انه لم تبلغه هذه الاحاديث ولو بلغته لقال بها ان انصف وان لم ينصف منصف في
ذلك كان خلافه غلطا لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء بخبر الواحد المرتبة
الثالثة ان لا يشتهر في المسئلة خلاف اصلا ولكن يكون الحل معلوما بخبر الواحد فيقول القائل
قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فانا اتورع فان النقلة وان كانوا عدولا فالغلط
جائز عليهم والكذب لغرض خفي جائز عليهم فان العدل ايضا قد يكذب والوهم جائز عليهم فانه قد يسبق
الى سمعهم خلاف ما يقوله القائل وكذا الى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعونه
من عدل تسكن نفوسهم اليه فاما اذا تطرق اليه بسبب خاص ودلالة معينة في حق الراوي فللتوقف
وجه ظاهر وان كان عدلا وخلاف من خالف في اخبار الآحاد غير معتد به وهو كخلاف النظام في
اصل الاجماع وقوله انه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع ان يمتنع الانسان من ان يأخذ
ميراث الجد ابي الاب ويقول ليس في كتاب الله ذكر الا البنين والحاق ابن الابن بالابن من اجماع الصحابة
وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز اذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى الى ان يترك ما علم
بعمومات القرآن اذ من المتكلمين من ذهب الى ان العمومات لا صيغة لها وانما يحتج بما فهمه الصحابة
منها بالقرائن والدلالات وكل ذلك وسواس فلنخل الطرف من اطراف الشبهات الاولى فيه غلو و
اسراف فليفهم ذلك ومهما اشكل امر من هذه الامور فليستفت فيه القلب وليدع الورع ما
يريبه الى ما لا يريبه وليترك حزاز القلب وما حاك في الصدر وذلك يختلف بالاشخاص والوقائع
ولكن ينبغي ان يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم الا بالحق فلا ينطوي على حزازة في مظان الوسواس
ولا يخلو عن الحزازة في مظان الكراهة وما اعز مثل هذا القلب ولذلك لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل احد الى فتوى القلب وانما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرفه من حاله القسم الثاني ان تتعارض
المعاملات الدالة على الحرمة والحل فانه قد ينهب نوع من المتاع في وقت ويندر وقوع مثله من غير النهب
فيرى مثلا في يد رجل من اهل الصلاح فيدل صلاحه على انه حلال ويدل نوع المتاع وندوره من غير المنهوب
على انه حرام فيتعارض الامر وكذلك يخبر عدل بانه حرام وآخر بانه حلال او تتعارض شهادة فاسقين
او قول صبي وبالغ فان ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب وان لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسيأتي
تفصيله في باب التعرف بالبحث والسؤال القسم الثالث تعارض الاشباه في الصفات التي بها
تناط الاحكام مثاله ان يوصي بمال للفقهاء فيعلم ان الفاضل في الفقه داخل فيه وان الذي ابتدأ
التعلم منذ يوم او شهر لا يدخل وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها فالمفتي يفتي بحسب الظن و
الورع الاجتناب وهذا اغمض مثارات الشبهة فان فيها صورا يتحير المفتي فيها تحيرا لازما
لا حيلة له فيه اذ يكون المتصف بالصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لا يظهر له ميله

الى احدهما وكذلك الصدقات المصروفة الى المحتاجين فان من لا شيء له معلوم انه محتاج ومن له مال
كثير معلوم انه غني ويتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار واثاث وثياب وكتب فان قدر الحاجة منه
لا يمنع من الصرف اليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وانما تدرك بالتقريب ويتعدى
النظر فيه الى مقدار سعة الدار وابنيتها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها
وكذلك في نوع اثاث البيت اذا كان من الصفريات لا من الخزف وكذلك في عددها وكذلك في
قيمتها وكذلك فيما يحتاج اليه كل يوم وما يحتاج اليه كل سنة كآلات الشتاء وما لا يحتاج اليه الا في
سنين وشيء من ذلك لا حد له والوجه في مثل هذا ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال دع ما يريبك
الى ما لا يريبك وكل ذلك في محل الريب فان توقف المفتي فلا وجه الا التوقف وان افتى المفتي بظن و
تخمين فالورع التوقف وهو اهم مواضع الورع وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الاقارب وكسوة
الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء في بيت المال اذ فيه طرفان يعلم ان احدهما قاصر والآخر زائد وبينهما
امور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال والمطلع على الحاجات هو الله تعالى وليس للبشر وقوف
على حدودها فما دون الرطل المكي في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة ارطال زائد على
الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد فليدع الورع ما يريبه الى ما لا يريبه وهذا جار في كل حكم نيط بسبب
يعرف ذلك السبب بلفظ العرب وسائر اهل اللغات لم يقدروا متضمنات اللغات بحدود محدودة
تنقطع اطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فانه لا يحتمل ما دونها وما فوقها من الاعداد وسائر الفاظ الحساب
والتقديرات فليست الالفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا ويتطرق الشك الى اوساط في مقتضياتها تدور بين اطراف متقابلة وتعظم الحاجة الى هذا الفن في
الوصايا والاوقاف فالوقف على الصوفية مثلا مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ هذا من الغوامض
وكذلك سائر الالفاظ وسنشير الى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص ليعلم به طريق التصرف في الالفاظ
والا فلا مطمع في استيفائها فهذه اشتباهات تثور من علامات متعارضة تجذب الى طرفين
متقابلين وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابه اذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تغلب على الظن او
باستصحاب بموجب قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وبموجب سائر الادلة التي
ذكرناها سبق ذكرها فهذه مثارات الشبهات وبعضها اشد من بعض ولو تظاهرت شبهات
شتى على شيء واحد كان الامر اغلظ مثل ان يأخذ طعاما مختلفا فيه عوضا عن عنب باعه من خمار بعد
النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله الحرام وليس هو اكثر ماله ولكنه صار مشتبها به فقد يؤدي ترادف
الشبهات الى ان يشتد الامر في اقتحامه فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر
حصرها فما اتضح من هذا الشرح اخذ به وما التبس فليجتنب فان الاثم حزاز القلوب وحيث قضينا
باستفتاء القلب اردنا به حيث اباح المفتي اما حيث حرمه فيجب الامتناع ثم لا يعول على كل قلب فرب
موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن الى كل شيء فلا اعتبار بهذين القلبين وانما الاعتبار
بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الاحوال وهو المحك الذي يمتحن به خفايا الامور وما اعز هذا القلب
في القلوب فمن لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته ويقال

في الزبور ان الله عز وجل اوحى الى داود عليه السلام قل لبني اسرائيل اني لا انظر الى صلاتكم وصيامكم ولكن انظر الى
من شك في شيء فتركه لاجلي فذلك الذي اؤيده بنصري واباهي به ملائكتي

الباب الثالث في البحث والسؤال والهجوم والاهمال ومظانها

اعلم ان كل من قدم اليك طعاما او هدية او اردت ان تشتري
منه او تتهب فليس لك ان تفتش عنه وتسأل وتقول هذا مما لا اتحقق حله فلا آخذه بل افتش عنه وليس
لك ان تترك البحث فتأخذ كل ما لا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة فلا بد من
تفصيله والقول الشافي فيه هو ان مظنة السؤال مواقع الريبة ومنشأ الريبة ومثارها اما امر
يتعلق بالمال او يتعلق بصاحب المال

المثار الاول احوال المالك وله بالاضافة الى معرفتك ثلاثة
احوال ان يكون مجهولا او مشكوكا فيه او معلوما بنوع ظن يستند الى دلالة

الحالة الاولى ان يكون
مجهولا والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزي الاجناد ولا ما يدل على صلاحه كثياب
اهل التصوف والتجارة والعلم وغير ذلك من العلامات فاذا دخلت قرية لا تعرفها فرأيت رجلا لا تعرف
من حاله شيئا ولا عليه علامة تنسبه الى اهل صلاح او اهل فساد فهو مجهول واذا دخلت بلدة غريبا
ودخلت سوقا ووجدت رجلا خبازا او قصابا او غيره ولا علامة تدل على كونه مريبا او خائنا
ولا ما يدل على نفيه فهذا مجهول لا تدري حاله ولا نقول انه مشكوك فيه لان الشك عبارة عن اعتقادين
متقابلين لهما سببان متقابلان واكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدري وبين ما يشك فيه وقد
عرفت بما سبق ان الورع ترك ما لا يدري قال يوسف بن اسباط منذ ثلاثين سنة ما حاك في
قلبي شيء الا تركته وتكلم جماعة في اشد الاعمال فقالوا هو الورع فقال لهم حسان بن ابي سنان ما
شيء عندي اسهل من الورع اذا حاك في صدري شيء تركته فهذا شرط الورع وانما نذكر الآن حكم الورع
الظاهر فنقول حكم هذه الحالة ان المجهول ان قدم اليك طعاما او حمل اليك هدية او اردت ان
تشتري من دكانه شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دلالتان كافيتان في الهجوم
على اخذه وليس لك ان تقول الفساد والظلم غالب على الناس فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا
المسلم بعينه وان بعض الظن اثم وهذا المسلم يستحق باسلامه عليك ان لا تسيء الظن به فان اسأت
الظن به في عينه لانك رأيت فسادا من غيره فقد جنيت عليه واثمت به في الحال نقدا من غير شك
ولو اخذت المال لكان كونه حراما مشكوكا فيه ويدل عليه انا نعلم ان الصحابة في غزواتهم واسفارهم
كانوا ينزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يحترزون من الاسواق وكان الحرام ايضا
موجودا في زمانهم وما نقل عنهم سؤال الا عن ريبة اذ كان صلى الله عليه وسلم لا يسأل عن كل ما يحمل اليه بل
سأل في اول قدومه عن المدينة عما يحمل اليه اصدقة ام هدية لان قرينة الحال وهو دخول المهاجرين
المدينة وهم فقراء يغلب على الظن ان ما يحمل اليهم يحمل بطريق الصدقة ثم اسلام المعطي ويده لا يدلان
على انه ليس بصدقة وكان عليه السلام يدعى الى الضيافة فيجيب ولا يسأل اصدقة هو ام لا اذ العادة
ما جرت بالتصدق بالضيافة ولذلك دعته ام سليم ودعاه الخياط فيما رواه انس بن
مالك وقدم اليه طعاما فيه قرع ودعاه الرجل الفارسي فقال صلى الله عليه وسلم انا وعائشة فقال
لا فقال فلا ثم اجابه بعد فذهب هو وعائشة يتساوقان فقرب اليهما اهالة ولم ينقل السؤال

فى شئ من ذلك، وسأل ابو بكر رضى الله عنه عبده عن كسبه لما رابه من امره شئ وسأل عمر رضى الله عنه الذى
سقاه من ابل الصدقة اذ رابه فانه اعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يألفه كل ليلة وهذه اسباب الريبة
فكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصيا باجابته من غير تفتيش بل لو راى فى داره تجملا و
مالا كثيرا فليس له ان يقول الحلال عزيز وهذا كثير فمن اين يجتمع هذا من الحلال بل هذا الشخص بعينه اذا
احتمل ان يكون ورث مالا او اكتسبه فهو بعينه مستحق احسان الظن به واريد على هذا فاقول
ليس له ان يسأل بل اذا كان يتورع ولا يدخل جوفه الا ما يدرى من اين هو فهو حسن فليتلطف فى
الترك وان كان لابد له من اكله فليأكل بغير سؤال اذ السؤال ايذاء وهتك ستر وايحاش وهو حرام بلا
شك فان قلت لعله لا يتأذى فاقول لعله يتأذى وانت تسأل حذرا من لعله فان قنعت
بلعل فلعل ماله حلال وليس الاثم المحذور فى ايذاء مسلم باقل من الاثم فى اكل الشبهة والحرام والغالب
على الناس الاستيحاش بالتفتيش ولا يجوز ان يسأل من غيره من حيث لا يدرى هو به لان الايذاء
فى ذلك اكثر وان سأل من حيث لا يدرى هو ففيه اساءة ظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تشبث بالغيبة
وان لم يكن صريحا وكل ذلك منهى عنه فى آية واحدة قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا
تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكم من زاهد جاهل يوحش القلوب فى التفتيش ويتكلم بالكلام الخشن المؤذى
وانما يحسن الشيطان عنده ذلك طلبا للشهرة باكل الحلال ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم
ان يتأذى اشد من خوفه على بطنه ان يدخله ما لا يدرى وهو غير مؤاخذ بما لا يدريه اذ لم يكن علامة توجب
الاجتناب فليعلم ان طريق الورع الترك دون التجسس واذا لم يكن بد من الاكل فالورع الاكل واحسان
الظن هذا هو المألوف من الصحابة رضى الله عنهم ومن زاد عليهم فى الورع فهو ضال مبتدع وليس بمتبع فلن يبلغ
احد مد احدهم ولا نصيفه ولو انفق ما فى الارض جميعا كيف وقد اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام بريرة
فقيل انه صدقة فقال هو لها صدقة ولنا هدية ولم يسأل عن المتصدق عليها فكان المتصدق مجهولا عنده
ولم يمتنع **الحالة الثانية** ان يكون مشكوكا فيه بسبب دلالة اورثت ريبة فلنذكر صورته ثم حكمه
اما الصورة فهو ان يدل على تحريم ما فى يده دلالة اما من خلقته او من زيه وثيابه او من فعله وقوله اما
الخلقة فان يكون على خلقة الاتراك واهل البوادى والمعروفين بالظلم وقطع الطريق وان يكون طويل
الشارب وان يكون الشعر مفرقا على راسه على دأب اهل الفساد واما الثياب فالقباء والقلنسوة
وزى اهل الفساد من الاجناد والظلمة وغيرهم واما الفعل والقول فهو ان يشاهد منه الاقدام على ما لا يحل فان
ذلك يدل على انه يتساهل ايضا فى المال ويأخذ ما لا يحل فهذه مواضع الريبة فاذا اراد ان يشترى من مثل
هذا شيئا او يأخذ منه هدية او يجيبه فى ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه الا هذه العلامات
فيحتمل ان يقال اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه الدلالة فاورث ذلك ريبة فالهجوم غير
جائز وهو الذى نختاره ونفتى به لقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وظاهره امر وان
كان يحتمل الاستحباب ولقوله صلى الله عليه وسلم الاثم حزاز القلوب وهذا له وقع فى القلوب لا ينكر ولان
النبى صلى الله عليه وسلم سأل اصدقة ام هدية وسأل ابو بكر رضى الله عنه غلامه وسأل عمر رضى الله عنه وكل
ذلك فى موضع الريبة وحمله على الورع وان كان ممكنا ولكن لا يحمل عليه الا بقياس والقياس ليس يشهد بتحليل

هذا فان دلالة اليد والاسلام عارضها هذه الدلالات فاذا تقابلا فالاستحلال لا مستند له وانما
لا يترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند الى علامة كما اذا وجدنا الماء متغيرا واحتمل ان
يكون بطول المكث فان راينا ظبية بالت فيه ثم احتمل التغير به وبغيره تركنا الاستصحاب وهذا قريب
منه ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فان طول الشوارب ولبس القباء وهيئة الاجناد تدل
على الظلم بالمال اما القول والفعل المخالف للشرع ان تعلق بظلم المال فهو ايضا دليل ظاهر كما لو
سمعه يأمر بالغصب والظلم ويعقد عقد الربوا فاما اذا رآه وقد شتم غيره فى غضبه او اتبع نظره امرأة
مرت به فهذه الدلالة ضعيفة فكم من انسان يتحرج فى طلب المال ولا يكتسب الا الحلال ومع ذلك فلا
يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن ان يضبط هذا بحد
ع فليستفت العبد فى مثل هذا قلبه واقول ان هذا ان رآه من مجهول فله حكم وان رآه ممن عرفه بالورع
فى الطهارة والصلوة وقراءة القرآن فله حكم آخر اذا تعارضت الدلالتان بالاضافة الى المال فتساقطا
وعاد الرجل كالمجهول اذ ليست احدى الدلالتين تناسب المال على الخصوص فكم من متحرج فى المال لا يتحرج
فى غيره وكم من محسن للصلوة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث يجد فالحكم فى مثل هذه المواقع ما يميل اليه القلب
فان هذا امر بين العبد وبين الله فلا يبعد ان يناط بسبب خفى لا يطلع عليه الا هو ورب الارباب وهو حكم
حزازة القلب ثم ليتنبه لدقيقة اخرى وهو ان هذه الدلالة ينبغى ان تكون بحيث تدل على ان اكثر ماله حرام
بان يكون جنديا او عامل سلطان او نائحة او مغنية فان دل على ان فى ماله حراما قليلا لم يكن السؤال واجبا
بل كان السؤال من الورع **الحالة الثالثة** ان يكون الحال معلوما بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك
ظنا فى حل المال وتحريمه مثل ان يعرف صلاح الرجل وديانته وعدالته فى الظاهر وجوز ان يكون الباطن بخلافه
فههنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما فى المجهول بل اولى والاقدام ههنا ابعد عن الشبهة من الاقدام على طعام
المجهول فان ذلك بعيد عن الورع وان لم يكن حراما فاما اكل طعام اهل الصلاح فدأب الانبياء والاولياء
قال صلى الله عليه وسلم لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى فاما اذا علم بالخبرة انه جندى او
مغن او مرب واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والثياب فههنا السؤال واجب لا محالة كما
فى موضع الريبة بل اولى **المثار الثانى** ما يستند الشك فيه الى سبب فى المال لا فى حال المالك
وذلك بان يختلط الحلال والحرام كما اذا طرح فى السوق احمال من طعام غصب واشتراها اهل السوق
فليس يجب على من يشترى فى تلك البلدة والسوق ان يسأل عما يشتريه الا ان يظهر ان اكثر ما فى ايديهم
حرام فعند ذلك يجب السؤال فان لم يكن هو الاكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب والسوق الكبير حكمه
حكم بلد والدليل على انه لا يجب السؤال والتفتيش اذا لم يكن الاغلب الحرام ان الصحابة لم يمتنعوا عن الشراء
فى الاسواق وفيها دراهم الربوا وغلول الغنيمة وغيرها وكانوا لا يسألون فى كل عقد وانما السؤال ينقل
عن آحادهم نادرا فى بعض الاحوال وهى محل الريبة فى حق شخص معين ولذلك كانوا يأخذون الغنائم من
الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين وربما اخذوا اموالهم واحتمل ان يكون فى تلك الغنائم شئ مما اخذوه
من المسلمين وكذلك لا يحل اخذه مجانا بالاتفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعى رحمه الله وعند ابى حنيفة رحمه الله
صاحبه اولى به بالثمن ولم ينقل التفتيش عن هذا وكتب عمر رضى الله عنه الى اذربيجان انكم فى بلاد يذبح

فيها الميتة فانظروا ذكية من ميتة اذن في السؤال وامر به ولم يامر بالسؤال عن الدراهم التي هي اثمانها
لان اكثر دراهمهم لم يكن اثمان الجلود وان كانت هي ايضا تباع واكثر الجلود كان كذلك وكذلك قال
ابن مسعود انكم في بلاد اكثر قصابيها المجوس فانظروا الذكي من الميتة فخص بالاكثر الامر بالسؤال ولا يتضح
مقصود هذا الباب الا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها **مسئلة** شخص
معين خالط ماله الحرام مثل ان يباع على دكان يباع فيه طعام مغصوب او مال منهوب ومثل ان يكون
القاضي او الرئيس او العامل او الفقيه الذي له ادرار على سلطان ظالم له ايضا مال موروث ودهقنة
او تجارة او رجل يتجر يعامل معاملات صحيحة ويربي ايضا فان كان الاكثر من ماله حراما لا يجوز
الاكل في ضيافته ولا قبول هديته وصدقته الا بعد التفتيش فان ظهر ان الماخوذ من وجه حلال
فذاك والا ترك وان الحرام اقل والماخوذ مشتبه فهذا في محل النظر لانه على رتبة بين رتبتين اذ قضينا بانه (كان)
لو اشتبه ذكية بعشر ميتات مثلا وجب اجتناب الكل وهذا يشبهه من وجه من حيث ان مال الرجل
الواحد كالمحصور لا سيما اذا لم يكن كثير المال مثل السلطان ويخالفه من وجه اذ الميتة يعلم وجودها
في الحال يقينا والحرام الذي خالط ماله يحتمل ان يكون قد خرج من يده وليس موجودا في الحال فان كان
المال قليلا وعلم قطعا ان الحرام موجود في الحال فهو مسئلة اختلاط الميتة واحد وان كثر المال و
احتمل ان يكون الحرام غير موجود في الحال فهو اخف من ذلك ويشبه من وجه الاختلاط بغير محصور
كما في الاسواق والبلاد ولكنه اغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد ولا شك في ان الهجوم عليه بعيد من
الورع جدا ولكن النظر في كونه فسقا مناقضا للعدالة وهذا من حيث المعنى غامض لتجاذب
الاشتباه ومن حيث النقل غامض لان ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع في مثل هذا وكذا عن السلف
يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم وما ينقل من الاقدام على الاكل كاكل ابي هريرة طعام
معوية مثلا ان قدر ان جملة ما في يده حرام فذلك ايضا محتمل ان يكون اقدامه بعد التفتيش واستبانة
ان عين ما ياكله من وجه مباح فالافعال في هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء المتاخرين مختلفة حتى
قال بعضهم لو اعطاني السلطان شيئا لاخذته وطرد الاباحة فيما اذا كان الاكثر ايضا حراما مهما لم يعرف
عين الماخوذ واحتمل ان يكون حلالا واستدل باخذ بعض السلف جوائز السلطان كما سياتي في
باب بيان اموال السلاطين فاذن اذا كان الحرام هو الاقل واحتمل ان لا يكون موجودا في الحال لم يكن
الاكل حراما وان تحقق وجوده في الحال كما في مسئلة اشتباه الميتة بالذكية فهذا مما لا ادري ما اقول
فيه وهي من المتشابهات التي يتحير المفتي فيها لانها مترددة بين مشابهة المحصور وغير المحصور و
الرضيعة اذا اشتبهت بنسوة قرية فيها عشرة وجب الاجتناب وان كان ببلدة فيها عشرة الف لم
يجب وبينهما اعداد لو سئلت عنها لكنت لا ادري ما اقول فيها ولقد توقف العلماء في مسائل هي
اوضح من هذا اذ سئل احمد بن حنبل رحمه الله عن رجل رمى صيدا فوقع في ملك غيره ايكون الصيد للرامي
او لمالك الارض فقال لا ادري فروجع فيه مرات فقال لا ادري وكثيرا من ذلك حكيناه عن السلف في
كتاب العلم فليقطع المفتي طمعه عن دركه الحكم في جميع الصور وقد سال ابن المبارك صاحبه من البصرة
عن معاملة قوم يعاملون السلاطين فقال ان لم يعاملوا سوى السلاطين فلا تعاملهم وان عاملوا

السلطان وغيره فعاملهم وهذا يدل على المسامحة في الاقل ويحتمل المسامحة في الاكثر ايضا وبالجملة فلم
ينقل عن الصحابة انهم كانوا يهجرون بالكلية معاملة قصاب وخباز وتاجر لتعاطيه عقدا واحدا فاسدا او
لمعاملة السلطان مرة وتقدير ذلك فيه بعد والمسئلة مشكلة في نفسها **فان قيل** فقد روي
عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه رخص فيه وقال خذ ما يعطيك السلطان فانما يعطيك من
الحلال وما ياخذ من الحلال اكثر من الحرام وسئل ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك فقال السائل ان لي جارا
لا اعلمه الا خبيثا يدعونا ونحتاج فنستسلفه فقال اذا دعاك فاجبه وان احتجت فاستسلفه
فان لك المهنا وعليه الماثم وافتى سلمان بمثل ذلك وقد علل علي رضي الله عنه بالكثرة وعلل ابن مسعود
بطريق الاشارة بان عليه الماثم لانه يعرفه ولك المهنا اي انت لا تعرفه وروي انه قال رجل لابن مسعود
ان لي جارا ياكل الربوا فيدعونا الى طعامه افنأتيه فقال نعم وروي ذلك عن ابن مسعود بروايات
كثيرة مختلفة واخذ مالك والشافعي جوائز الخلفاء والسلاطين مع العلم بانه قد خالط مالهم الحرام
قلنا اما ما روي عن علي كرم الله وجهه فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف
ذلك فانه كان يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه ولا يكون له الا قميص واحد في وقت
الغسل لا يجد غيره ولست انكر ان رخصته صريح في الجواز وفعله محتمل للورع ولكنه ان
صح فمال السلطان له حكم آخر فانه بحكم كثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر وسياتي بيان ذلك و
كذلك فعل الشافعي ومالك رحمهما الله متعلق بمال السلطان وسياتي حكمه وانما كلامنا في
آحاد الخلق واموالهم واموالهم قريبة من الحصر واما قول ابن مسعود فقيل انما نقله خوات
التيمي وهو ضعيف الحفظ والمشهور منه ما يدل على توقي الشبهات اذ قال لا يقولن
احدكم اخاف وارجو فان الحلال بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات فدع ما يريبك الى
ما لا يريبك وقال اجتنبوا الحكاكات فيها الاثم **فان قيل** فلم قلتم اذا كان الحرام الاقل
لم يحرم الاخذ مع ان الماخوذ ليس فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص واليد علامة على
الملك حتى ان من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده والكثرة توجب ظنا مرسلا لا يتعلق بالعين
فليكن كغالب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور اذا كان الاكثر هو
الحرام ولا يجوز ان يستدل على هذا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ولانه
مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو ان يريبه بعلامة في عين المال بدليل اختلاط القليل
بغير المحصور فان ذلك يوجب ريبة مع ذلك قطعتم بانه لا يحرم **والجواب** ان اليد دلالة ضعيفة
كالاستصحاب وانما يؤثر اذا سلم عن معارض قوي فاذا تحققنا الاختلاط وتحققنا ان
الحرام المخالط موجود في الحال والمال غير خال عنه وتحققنا ان الاكثر هو الحرام وذلك
في حق شخص معين يقرب ماله من الحصر ظهر وجوب الاعراض عن مقتضى اليد وان لم يحمل عليه قوله
صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك لا يبقى له محمل اذ لا يمكن ان يحمل على اختلاط قليل
بحلال غير محصور اذ كان ذلك موجودا في زمانه وكان لا يدعه وعلى اي موضع حمل هذا كان
هذا في معناه وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس فان تحريم هذا بعيد عن قياس العلا

والاستصحابات وللكثرة تاثير في تحقق الظن وكذا للحصر وقد اجتمعا حتى قال ابو حنيفة
رحمه الله لا يجتهد في الاواني الا اذا كان الطاهر هو الاكثر فاشترط اجتماع الاستصحاب
والاجتهاد والعلامة وقوة الكثرة ومن قال باخذ اي آنية اراد بلا اجتهاد بناء على مجرد
الاستصحاب فيجوز الشرب ايضا فيلزمه التجويز ههنا بمجرد علامة اليد ولا يجري ذلك في
بول اشتبه بماء اذ لا استصحاب فيه ولا يطرده ايضا في ميتة اشتبهت بذكية اذ لا استصحاب
في الميتة اذ اليد لا تدل على انه غير ميتة وتدل في الطعام المباح على انه ملكه فههنا اربع
متعلقات استصحاب وقلة في المخلوط او كثرة وانحصار واتساع في المخلوط به وعلامة
خاصة في عين الشيء يتعلق بها الاجتهاد فمن يغفل عن مجموع الاربعة ربما يغلط فيشبه بعض
المسائل بما لا يشبهه فتحصل مما ذكرناه ان المختلط في ملك شخص واحد اما ان يكون الحرام الاكثر
او اقل وكل واحد اما ان يعلم بيقين او بظن عن علامة او توهم والسؤال يجب في موضعين وهو
ان يكون الحرام اكثر يقينا او ظنا كما لو راى تركيا مجهولا يحتمل ان يكون ماله عن غنيمة وان كان
الاقل معلوما باليقين فهو محل التوقف ويكاد يشير سير اكثر السلف وضرورة الاحوال الى
الميل الى الرخصة واما الاقسام الثلاثة الباقية فالسؤال فيها غير واجب اصلا مسئلة
اذا احضر طعام انسان علم انه دخل في يده حرام من ادرار كان قد اخذه او وجه آخر ولا يدري
انه بقي الى الآن ام لا فله الاكل ولا يلزمه التفتيش وانما التفتيش فيه من الورع ولو علم انه قد
بقي منه شيء ولكن لم يدر انه الاكثر ام الاقل فله ان ياخذ بانه الاقل وقد سبق ان امر
الاقل مشكل وهذا يقرب منه مسئلة اذا كان في يد المتولي لسبل الخيرات من الاوقاف
او الوصايا مالان يستحق هو احدهما ولا يستحق الثاني لانه غير موصوف بتلك الصفة فهل له
ان ياخذ ما يسلمه اليه صاحب الوقف نظر فيه فان كانت تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولي و
كان المتولي ظاهر العدالة فله ان ياخذ بغير بحث لان الظن بالمتولي انه لا يصرف اليه ما يصرفه الا
من المال الذي يستحقه وان كانت الصفة خفية او كان المتولي ممن عرف من حاله انه يخلط و
لا يبالي كيف يفعل فعليه السؤال اذ ليس ههنا يد ولا استصحاب يعول عليه وهو وزان سؤال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة والهدية عند تردده فيهما لان اليد لا تخصص الهدية
عن الصدقة ولا الاستصحاب فلا ينجي منه الا السؤال فان السؤال حيث اسقطناه في المجهول
اسقطناه بعلامة اليد والاسلام حتى لو لم يعلم انه مسلم اذ اليد لا تدل في الميتة ولا الصورة تدل
على الاسلام الا اذا كان اكثر اهل البلد مسلمين فيجوز ان يظن بالذي ليس عليه علامة الكفر انه
مسلم واذا كان الخطا ممكنا فيه فلا ينبغي ان تلتبس المواضع التي تشهد فيها اليد والحال بالتي
لا تشهد مسئلة له ان يشتري في البلد دارا وان علم انها تشتمل على دور مغصوبة لان
ذلك اختلاط بغير محصور ولكن السؤال احتياط وورع وان كان في سكة عشر دور مثلا احدها
مغصوبة او وقف لم يجز الشراء ما لم يتميز ويجب البحث عنها ومن دخل بلدة وفيها رباطات يختص
بوقفها ارباب المذاهب فليس له ان يسكن بها ما شاء ويأكل من وقفها بغير سؤال لان ذلك

ومن باب

من باب الاختلاط في المحصور فلا بد من التمييز ولا يجوز الهجوم مع الابهام لان الرباطات المدارس
في البلد لا بد وان تكون محصورة مسئلة حيث جعلنا السؤال عن الورع فليس له ان
يسال صاحب الطعام والمال الا اذا امن غضبه ولا يامن غضبه وانما اوجبنا السؤال اذا
تحقق ان اكثر ماله حرام وعند ذلك لا يبالي بغضب مثله اذ يجب ايذاء الظالم باكثر من ذلك و
الغالب ان مثل هذا لا يغضب من السؤال نعم ان كان ياخذ من يد وكيله او غلامه او تلميذه او بعض اهله
ممن هو تحت رعايته فله ان يسال مهما استراب لانهم لا يغضبون من سؤاله ولان عليه ان يسال ليعلمهم
طريق الحلال ولذلك سال ابو بكر رضي الله عنه غلامه وسال عمر من سقاه من ابل الصدقة وسال ابا هريرة
ايضا لما ان قدم عليه بمال كثير فقال ويحك اكل هذا طيب من حيث انه تعجب من كثرته وكان هو من
من رعيته لا سيما وقد دفع في ضيعة السؤال ولذلك قال علي كرم الله وجهه ليس شيء احب
الى الله من عدل امام ورفقه ولا شيء ابغض اليه من جوره وخرقه مسئلة قال الحارث
المحاسبي رحمه الله لو كان له اخ او صديق وهو يامن غضبه لو ساله فلا ينبغي ان يساله لاجل الورع
لانه ربما يبدو ما كان مستورا عنه فيكون قد حمله على هتك الستر ثم يؤدي الى البغضاء وما
ذكره حسن لان السؤال اذا كان من الورع لا من الوجوب فالورع في مثل هذه الامور احترازا عن هتك
الستر واثارة البغضاء اهم وزاد على هذا فقال وان رابه منه شيء ايضا لم يساله ويظن به
ان يطعمه من الطيب ويجنبه الخبيث فان كان لا يطمئن قلبه اليه فيحترز متلطفا ولا يهتك
ستره بالسؤال قال لاني لم ار احدا من العلماء فعله هذا منه مع ما اشتهر به من الزهد يدل
على مسامحة فيما اذا خالطه المال الحرام القليل ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقق لان لفظ الريبة
يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا يوجب اليقين فلنراع هذه الدقائق في السؤال مسئلة ربما
يقول القائل اي فائدة في السؤال ممن بعض ماله حرام ومن يستحل المال ربما يكذب فان وثق بامانته
فليثق بديانته فنقول مهما علم بمخالطة الحرام لمال انسان وكان له غرض في حضورك في
ضيافته او قبولك هديته فلا تحصل الثقة بقوله انه حلال ولا فائدة في السؤال منه وانما
يسال من غيره وانما يسال من صاحب اليد اذا لم يكن متهما كما يسال المتولي عن المال الذي يسلمه انه
من اي جهة وكما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهدية والصدقة فان ذلك لا يؤذي ولا
يتهم القائل فيه وكذلك اذا اتهمه بانه ليس يدري طريق الكسب الحلال فلا يتهم في قوله اذا اخبر عن طريق
صحيح وكذلك يسال عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه فههنا يفيد السؤال واذا كان صاحب
المال متهما فليسال من غيره فاذا اخبره عدل واحد قبله وان اخبره فاسق يعلم من قرينة حاله
انه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله لان هذا امر بينه وبين الله تعالى والمطلوب ثقة النفس
وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل في بعض الاحوال وليس كل من فسق
يكذب ولا كل من ترى العدالة في ظاهره يصدق وانما نيطت الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة
الحكم فان البواطن لا يطلع عليها وقد قبل ابو حنيفة شهادة الفاسق وكم من شخص تعرفه و
تعرف انه قد يقتحم المعاصي ثم اذا اخبرك بشيء وثقت به وكذلك اذا اخبر به صبي مميز عرفته

ما تثبت فقد تحصل الثقة بقوله فيحصل الاعتماد فاما اذا اخبر به مجهول لا تدرى من حاله
شيئا اصلا فهذا مما جوزنا الاكل من يده لان يده دلالة ظاهرة على ملكه وربما يقال اسلامه
دلالة على صدقه وهذا فيه نظر ولا يخلو قوله عن اثر ما فى النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة افاد ذلك
ظنا قويا الا ان اثر الواحد فيه فى غاية الضعف فلينظر الى حد تاثيره فى القلب فان المفتى هو
القلب فى مثل هذا الموضع وللقلب التفاتات الى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فليتامل
فيه ويدل على وجوب الالتفات اليه ما روى عن عقبة بن الحرث انه جاء الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال انى تزوجت امراة فجاءتنا امة سوداء فزعمت انها قد ارضعتنا فقال دعها
فقال انها سوداء يصغر من شانها فقال صلى الله عليه وسلم كيف وقد زعمت انها ارضعتكما لا
خير لك فيها دعها عنك وفى لفظ آخر كيف وقد قيل ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم يظهر امارة
غرض له فيه كان له وقع فى القلب لا محالة فلذلك يتاكد الامر بالاحتراز فان اطمأن اليه القلب كان
الاحتراز حتما واجبا **مسئلة** حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا قول
فاسقين ويجوز ان يترجح فى قلبه احد العدلين واحد الفاسقين ويجوز ان يرجح احد الجانبين بالكثرة
او بالاختصاص بالخبرة والمعرفة وذلك مما يتشعب تصويره **مسئلة** لو نهب متاع مخصوص
فصادف من ذلك النوع متاعا فى يد انسان واراد ان يشتريه واحتمل ان يكون من المغصوب
فان كان ذلك الشخص ممن عرفه بالصلاح جاز الشراء وكان تركه من الورع وان كان الرجل مجهولا لا
يعرف منه شيئا فان كان يكثر نوع ذلك المتاع من غير المغصوب فله ان يشترى وان كان لا يوجد
ذلك المتاع فى تلك البقعة الا نادرا وانما كثر بسبب الغصب فليس يدل على الحل الا اليد وقد
عارضها علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه والامتناع من شرائه من الورع المهم ولكن فى الوجوب
فيه نظر فان العلامة متعارضة ولست اقدر على ان احكم فيه بحكم الا ان ارده الى قلب
المستفتى لينظر ما الاقوى فى نفسه فان الاقوى خصوصا لزمه تركه والا حل له شراؤه واكثر
هذه الوقائع يلتبس الامر فيها فهى من المتشابهات التى لا يعرفها كثير من الناس فمن توقاها فقد
استبرأ لعرضه ودينه ومن اقتحمها فقد حام حول الحمى وخاطر بنفسه **مسئلة** لو قال
قائل قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبن قدم اليه فذكر انه من شاة فسأل عن الشاة من اين
هى فذكر له فسكت عن السؤال افيجب السؤال عن اصل المال ام لا وان وجب فعن اصل واحد او اثنين
او ثلثة واما الضبط فيه فاقول لا ضبط فيه ولا تقدير بل ينظر الى الريبة المقتضية للسؤال
اما وجوبا او ورعا ولا غاية للسؤال الا حيث ينقطع الريبة المقتضية له وذلك يختلف باختلاف
الاحوال فان كانت التهمة من حيث لا يدرى صاحب اليد كيف طريق كسب الحلال فان قال
اشتريت انقطع بسؤال واحد وان قال من شاتى وقع الشك فى الشاة فاذا قال اشتريت
انقطع وان كانت الريبة من الظلم وذلك فيما بين العرب ويتوالد فى ايديهم المغصوب فلا ينقطع
بقوله انه من شاتى ولا بقوله ان الشاة ولدتها شاتى فان اسنده الى الوراثة من ابيه وحال
ابيه مجهولة انقطع السؤال وان كان يعلم ان جميع مال ابيه حرام فقد ظهر التحريم وان كان يعلم ان

اكثره حرام فكثرة التوالد وطول الزمان وتطرق الارث اليه لا يغير حكمه فلينظر الى هذه المعانى
مسئلة سئل عن جماعة من سكان خانقاه للصوفية وفى يد خادمهم الذى يقدم الطعام
اليهم وقف على ذلك المسكن ووقف آخر على جهة اخرى غير هؤلاء وهو يخلط وينفق الكل على
هؤلاء فاكل طعامه حلال ام حرام او شبهة فقلت هذا يلتفت على سبعة اصول **الاصل الاول**
ان الطعام الذى يقدمه اليهم فى الغالب يشتريه بالمعاطاة والذى اخترناه صحة المعاطاة
لا سيما فى الاطعمة والمستحقرات فليس فى هذا الا شبهة الخلاف **الاصل الثانى** ان ينظر ان
الخادم يشتريه بعين المال الحرام او فى الذمة فان اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام وان لم يعرف
فالغالب انه يشترى فى الذمة ويجوز الاخذ بالغالب ولا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال
بعيد وهو شراؤه بعين مال الحرام **الاصل الثالث** انه ممن يشتريه فان اشتراه ممن اكثر ماله
حرام لم يجز وان كان اقل ماله ففيه نظر وقد سبق واذا لم يعرف جاز له الاخذ بانه يشترى
ممن ماله حلال او ممن لا يدرى المشترى حاله بعينه كالمجهول وقد سبق جواز الشراء من
المجهول لان ذلك هو الغالب فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال **الرابع** انه يشترى
لنفسه او للقوم فان المتولى والخادم كالنائب وله ان يشترى لهم ولنفسه ولكن يكون
ذلك بالنية او بصريح اللفظ واذا كان يجرى بالمعاطاة فلا يجرى اللفظ والغالب انه لا ينوى
عند المعاطاة والقصاب والخباز ومن يعامله يعول عليه ويقصد البيع منه لا ممن لا يحضر فيقع
عن جهته ويدخل فى ملكه وهذا الاصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن ثبت انهم ياكلون من
ملك الخادم **الاصل الخامس** ان الخادم يقدمه اليهم ولا يمكن ان يجعل ضيافة وهدية بغير عوض
فانه لا يرضى بذلك وانما يقدمه اعتمادا على عوضه من الوقف فهو معاوضة ولكن ليس ببيع ولا
اقراض لانه لو انتقص لطالبهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل على ذلك فاشبه اصل
ينزل عليه من الحال الهبة بشرط الثواب اعنى هدية لا لفظ فيها من شخص تقتضى قرينة حاله انه
يطمع فى ثواب وذلك صحيح والثواب لازم وههنا ما طمع الخادم فى ان ياخذوا ثوابا عما قدمه
الا من حقهم من الوقف ليقضى به دينه من القصاب والخباز والبقال وغيرهم فهذا ليس فيه شبهة
اذ لا يشترط لفظ فى الهدية ولا فى تقديم الطعام وان كان مع انتظار الثواب ولا مبالاة
بقول من لا يصحح هدية فى انتظار ثواب **الاصل السادس** الثواب الذى يلزم فيه خلاف فقيل
انه اقل متمول وقيل قدر القيمة وقيل ما يرضى به الواهب حتى له ان لا يرضى باضعاف القيمة والصحيح
انه يتبع رضاه فاذا لم يرض يرد عليه وههنا الخادم قد رضى بما اخذ من حق السكان على الوقف
فان كان لهم من الحق بقدر ما اكلوه فقد تم الامر وان كان ناقصا ورضى به الخادم صح ايضا وان
علم ان الخادم لا يرضى لولا ان فى يده الوقف الآخر الذى ياخذ بقوته هؤلاء السكان فكانه رضى
فى الثواب بمقدار بعضه حلال وبعضه حرام والحرام لم يدخل فى يد السكان فهذا كالخلل المتطرق
الى الثمن وقد ذكرنا حكمه من قبل وانه متى يقتضى التحريم ومتى يقتضى الشبهة وهذا لا يقتضى تحريما على
ما فصلناه فلا تنقلب الهدية حراما بتوصل المهدى بسبب الهدية الى الحرام **الاصل السابع**

انه يقضي دين القصاب والخباز والبقال باي ثمن كان حراما كان او حلالا فهذا خلل يتطرق الى ثمن الطعام ايضا فيلتفت الى ما قدمناه من الشراء في الذمة ثم قضاء الثمن من حرام فان احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة ابعد فقد خرج من هذا ان اكل هذا ليس بحرام ولكنه اكل شبهة وهو بعيد من الورع لان هذه الاصول اذا كثرت وتطرق الى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام بكثرته اقوى في النفس كما ان الخبر اذا طال اسناده صار احتمال الكذب والغلط فيه اقوى مما اذا قرب اسناده فهذا حكم هذه الواقعة وهي من الفتاوى وانما اوردناه ليعرف كيفية تخريج الوقائع الملتفة الملتبسة وانها كيف ترد الى الاصول فان ذلك مما يعجز عنه اكثر المفتين

الباب الرابع في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

اعلم ان من تاب وفي يده مال مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام واخراجه ووظيفة اخرى في مصرف المخرج فلينظر فيهما النظر الاول في كيفية التمييز والاخراج اعلم ان كل من تاب وفي يده ما هو حرام معلوم العين من غصب او وديعة او غيره فامره سهل فعليه تمييز الحرام وان كان ملتبسا مختلطا فلا يخلو اما ان يكون في مال هو من ذوات الامثال كالحبوب والنقود والادهان واما ان يكون في اعيان متمايزة كالعبيد والثياب والدور فان كان في المتماثلات او كان شايعا في المال كله كمن اكتسب بتجارة يعلم انه كذب في بعضها في المرابحة وصدق في بعضها او من غصب دهنا وخلطه بدهن نفسه او فعل ذلك في الحبوب او الدراهم والدنانير فلا يخلو اما ان يكون معلوم القدر او مجهولا فان كان معلوم القدر مثل ان يعلم ان قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف وان اشكل فله طريقان احدهما الاخذ باليقين والآخر الاخذ بغالب الظن وكلاهما قد قال به العلماء في اشتباه ركعات الصلوة ونحن لا نجوز في الصلوة الا الاخذ باليقين لان الاصل اشتغال الذمة فيستصحب ولا يغير الا بعلامة قوية وليس في اعداد الركعات علامات يوثق بها واما ههنا فلا يمكن ان يقال الاصل ان ما في يده حرام بل هو مشكل فيجوز له الاخذ بغالب الظن اجتهادا ولكن الورع في الاخذ باليقين فان اراد الورع فطريق التحري والاجتهاد ان لا يستبقي الا القدر الذي يتيقن انه حلال وان اراد الاخذ بالظن فطريقه مثلا ان يكون في يده مال التجارة فسد بعضه فيتيقن ان النصف حلال وان الثلث مثلا حرام ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن وهكذا طريق التحري في كل مال وهو ان يقتطع القدر المتيقن من الجانبين في الحل والحرمة والقدر المتردد فيه ان غلب على ظنه التحريم اخرجه وان غلب الحل جاز له الامساك والورع اخراجه وهذا الورع آكد لانه صار مشكوكا فيه وكان امساكه اعتمادا على انه في يده فيكون الحل اغلب عليه وقد صار ضعيفا بعد تيقن اختلاط الحرام ويحتمل ان يقال الاصل التحريم فلا ياخذ الا ما يغلب على ظنه انه حلال وليس احد الجانبين باولى من الآخر وليس يتبين لي في الحال ترجيح وهو من المشكلات فان قيل هب انه اخذ باليقين لكن الذي يخرجه ليس يدري انه عين الحرام فلعل الحرام ما بقي في يده فكيف يقدم عليه ولو جاز هذا لجاز ان يقال اذا اختلطت ميتة بتسع مذكيات فهي العشر فله ان يطرح واحدة اي واحدة كانت وياخذ الباقي ويستحلها ولكن يقال لعل الميتة فيما استبقاه بل لو طرح التسعة واستبقى واحدة لم تحل لاحتمال انها هي الحرام فنقول هذه الموازنة كانت تصح لولا ان المال يحل باخراج البدل لتطرق المعاوضة اليه واما الميتة فلا تتطرق المعاوضة اليها

فلنكشف الغطاء عن هذا الاشكال بالفرض في درهم معين اشتبه بدرهم آخر لمن له درهمان احدهما حرام وقد اشتبه عينه فقد سئل احمد بن حنبل رحمه الله عن هذا فقال يدع الكل حتى يتبين وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين حمل المرتهن اليه آنيتين وقال لا ادري ايتهما آنيتك فترك كلتيهما فقال المرتهن هذا هو الذي لك وانما كنت اختبرتك فقضى دينه ولم ياخذ الرهن وهذا ورع ولكنا نقول انه غير واجب فلنفرض في درهم له مالك معين خاص فنقول اذا رد احد الدرهمين عليه ورضي به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الآخر لانه لا يخلو اما ان يكون المردود في علم الله هو المأخوذ فقد حصل المقصود وان كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم في يد صاحبه فالاحتياط ان يتبايعا باللفظ فان لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة وكان المغصوب منه قد فات له درهم في يد الغاصب وعسر الوصول الى عينه واستحق ضمانه فما اخذه وقع عن الضمان وهذا في جانبه واضح فان المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والاشكال في الجانب الآخر انه لم يدخل في ملكه فنقول لانه ايضا ان كان قد سلم درهم نفسه فقد فات له ايضا درهم هو في يد الآخر وليس يمكن الوصول اليه فهو كالفائت فيقع هذا بدلا عنه في علم الله ان كان الامر كذلك ويقع هذا التبادل في علم الله عما يقع التقاص ولو اتلف رجلان كل واحد درهما على صاحبه بل في عين مسئلتنا لو اوقع كل واحد ما في يده في البحر او احرقه كان قد اتلف ولم يكن عليه ضمان الآخر بطريق التقاص وكذا اذا لم يتلف فان القول بهذا اولى من المصير الى ان من ياخذ درهما حراما ويطرحه في الف الف درهم لرجل آخر يصير كل المال محجورا عليه لا يجوز التصرف فيه وهذا المذهب يؤدي اليه فانظر ما في هذا من البعد وليس فيما ذكرنا الا ترك اللفظ والمعاطاة بيع ومن لم يجعلها بيعا فحيث يتطرق اليها احتمال اذ الفعل تضعف دلالته حيث يمكن التلفظ وههنا هذا التسليم والتسلم للتبادل قطعا والبيع غير ممكن لان المبيع غير مشار اليه ولا معلوم في عينه وقد يكون مما لا يقبل البيع كما لو خلط رطل دقيق بالف رطل دقيق لغيره وكذا الدبس وكل ما لا يباع البعض منه بالبعض فان قيل فانتم جوزتم تسليم قدر حقه في مثل هذه الصورة وجعلتموه بيعا قلنا لا نجعله بيعا بل نقول هو بدل عما فات في يده فيملكه كما يملك المتلف عليه من الرطب اذا اخذ مثله هذا اذا ساعده صاحب المال وان لم يساعده واصر وقال لا آخذ درهما اصلا الا عين ملكي فان استبهم فاتركه ولا اهبه واعطل عليك مالك فاقول على القاضي ان ينوب عنه في القبض حتى يطيب للرجل ماله فان هذا محض التعنت والتضييق والشرع لا يرد به فان عجز عن القاضي ولم يجده فيحكم رجلا متدينا لقبض عنه فان عجز فيتولى هو بنفسه ويفرد على نية الصرف اليه درهما ويتعين ذلك له ويطيب له الباقي وهذا في خلط المائعات اظهر والزم فان قيل فينبغي ان لا يحل له الاخذ وينتقل الحق الى ذمته فاي حاجة الى الاخراج اولا ثم التصرف في الباقي قلنا قال قائلون يحل له ان ياخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الابدال وقال آخرون يجوز للآخذ في التصرف ان ياخذ منه واما هو فلا يعطي فان اعطي عصي هو دون الآخذ واحق ما جوز اخذ الكل وذلك لان المالك لو ظهر فله ان يطلب حقه من هذه الجملة اذ يقول لعل المصروف الى ان يقع عن حقي لهذا المال يترجح بهذا الاحتمال على غيره وما هو اقرب الى الحق مقدم كما يقدم المثل على القيمة والعين على المثل فكذلك ما يحتمله في رجوع العين يقدم على ما لا يحتمل ولو جاز هذا لجاز ان يقول ذلك

جاز لصاحب الدرهم الآخر ان ياخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول على قضاء حقك موضع آخر اذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك احدنا بان يقدر فانيا باولى من الآخر الآن ينظر الى الاقل فيقدر انه فات او ينظر الى الذي خلط فيجعل بفعله متلفا لحق غيره وكلاهما بعيدان جدا وهذا واضح في ذوات الامثال فانها تقع عوضا في الاتلاف من غير عقد اما اذا اشتبه دار بدور او عبد بعبيد فلا سبيل الا المصالحة والتراضي فان ابى ان ياخذ الا عين حقه ولم يقدر عليه واراد ان يعوق عليه جميع ملكه فان كانت متماثلة القيم فالطريق ان يبيع القاضي جميع الدور ويوزع الثمن عليها بقدر النسبة فان كانت متفاوتة اخذ من طالب البيع قيمة انفس الدور وصرف الى الممتنع منه مقدار قيمة الاقل وتوقف في قدر التفاوت الى البيان او الاصطلاح لانه مشكل فان لم يوجد القاضي فللذي يريد الخلاص وفي يده الكل ان يتولى ذلك بنفسه هذه هي المصلحة وما عداها من الاحتمالات ضعيفة لا نختارها وفيما سبق تنبيه على العلة وهذا في الخلط ظاهر وفي النقود دونه وفي العروض اغمض اذ لا يقع البعض بدلا عن البعض فلذلك احتيج الى البيع ولنرسم مسائل لها يتم بيان هذا الاصل **مسئلة** اذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيعة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة فهي لجميع الورثة ولو رد من الضيعة نصفها وهو قدر حقه فقد ساهمه الورثة فان النصف الذي له لا يتميز حتى يقال هو المردود والباقي هو المغصوب ولا يصير مميزا بنية السلطان وقصده حصر الغصب في نصيب الآخرين **مسئلة** اذا وقع في يده مال اخذ من سلطان ظالم ثم تاب والمال عقار وكان قد حصل منه ارتفاع فينبغي ان يحسب اجرة مثله لطول تلك المدة وكذلك كل مغصوب له منفعة او حصل منه زيادة فلا يصح توبته ما لم يخرج اجرة المغصوب وكل زيادة حصلت منه وتقدير اجرة العبد والثياب والاواني وامثال ذلك مما لا يعتاد اجارتها مما يتعسر ولا يدرك ذلك الا باجتهاد وتخمين وهكذا كل التقويمات يقع بالاجتهاد وطريق الورع الاخذ بالاقصى وما ربح على المال المغصوب في عقود عقدها على الذمة وقضى الثمن منه فهو ملكه ولكن فيه الشبهة اذ كان ثمنه حراما كما سبق حكمه وان كان باعيان تلك الاموال فالعقود كانت فاسدة وقد قيل تنفذ باجازة المغصوب منه للمصلحة فيكون المغصوب منه اولى به والقياس ان تلك العقود تنفسخ و تسترد الثمن وترد الاعواض وان عجز عنه لكثرته فهي اموال حرام حصلت في يده فللمغصوب منه قدر راس ماله والفضل حرام يجب اخراجه ليتصدق به فلا يحل للغاصب ولا للمغصوب منه بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده **مسئلة** من ورث مالا ولم يدر ان مورثه من اين اكتسبه من حلال او حرام ولم يكن ثم علامة فهو حلال باتفاق العلماء وان علم ان فيه حراما وشك في قدره اخرج مقدار الحرام بالتحري وان لم يعلم ذلك ولكن علم ان مورثه كان يتولى اعمالا للسلطان واحتمل انه لم يكن ياخذ في عمله شيئا او كان قد اخذ ولم يبق في يده منه شيء لطول المدة فهذه شبهة يحسن التورع منها ولا يجب وان علم ان بعض ماله كان من الظلم فيلزمه اخراج ذلك القدر بالاجتهاد وقال بعض العلماء لا يلزمه بل الاثم على المورث واستدل بما روي ان رجلا ممن ولي عمل السلطان مات فقال صحابي الآن طاب ماله اي لوارثه وهذا ضعيف لانه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من متساهل فقد كان فيهم كان في الصحابة من يتساهل ولكن لا نذكره لحرمة الصحبة وكيف يكون موت الرجل مبيحا للحرام المتيقن

المختلط ومن اين يؤخذ هذا نعم اذا لم يتبين يجوز ان يقال هو غير ماخوذ بما لا يدري فيطيب للوارث لا يدري ان فيه حراما يقينا **النظر الثاني** في المصرف فاذا اخرج الحرام فله ثلاثة احوال اما ان يكون له مالك معين فيجب الصرف اليه او الى وارثه وان كان غائبا فينتظر حضوره او الايصال اليه فان كانت له زيادة ومنفعة فلتجمع له فوائده الى وقت حضوره واما ان يكون لمالك غير معين وقع الياس عن الوقوف على عينه ولا يدري انه مات عن وارث ام لا وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك كغلول الغنيمة فانها بعد تفرق الغزاة كيف يقدر على جمعهم وان قدر فكيف يفرق دينارا واحدا مثلا على الف والفين فهذا ينبغي ان يتصدق به **واما** ان يكون من اموال الفيء والاموال المرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك الى القناطر والمساجد والرباطات ومصانع طريق مكة وامثال هذه الامور التي يشترك في الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين ليكون عاما للمسلمين وحكم القسم الاول لا شبهة فيه اما التصدق وبناء القناطر فينبغي ان يتولى ذلك القاضي فليسلم اليه المال ان وجد قاضيا متدينا وان كان القاضي مستحلا فهو بالتسليم اليه ضامن لو ابتدأ به فيما لا يضمنه فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه بل يحكم من اهل البلد عالما متدينا فان التحكيم اولى من الانفراد فان عجز عن ذلك فليتول ذلك بنفسه فان المقصود الصرف واما عين الصارف فانما يطلبه لمصارف دقيقة في المصالح فلا يترك اصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو اولى عند القدرة عليه **فان قيل** ما دليل جواز التصدق بما هو حرام وكيف يتصدق بما لا يملك وقد ذهب جماعة الى ان ذلك غير جائز لانه حرام وحكي عن الفضيل انه وقع في يده درهمان فلما علم انهما من غير وجههما رماهما بين الحجارة و قال لا اتصدق الا بالطيب ولا ارضى لغيري ما لا ارضاه لنفسي **فنقول** نعم ذلك له وجه واحتمال وانما اخترنا خلافه للخبر والاثر والقياس **اما الخبر** فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت اليه فكلمته بانها حرام اذ قال اطعموها الاسارى ولما نزل قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون كذبه المشركون وقالوا للصديق الا ترون ما يقول صاحبكم يزعم ان الروم ستغلب فخاطرهم ابو بكر رضي الله عنه باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حقق الله صدقه جاء ابو بكر رضي الله عنه بما قامرهم به فقال عليه السلام هذا سحت فتصدق به وفرح المؤمنون بنصر الله تعالى وكان قد نزل تحريم القمار بعد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم له في المخاطرة مع الكفار **واما الاثر** فما روي ان ابن مسعود رضي الله عنه اشترى جارية ولم يظفر بمالكها لينقده الثمن فطلبه كثيرا فلم يجده فتصدق بالثمن وقال اللهم هذا عنه ان رضي والا فالاجر لي وسئل الحسن عن توبة الغال بعد تفرق الجيش قال يتصدق به وروي ان رجلا سولت له نفسه فغل مائة دينار من الغنيمة ثم اتى اميره ليردها عليه فابى ان يقبضها و قال تفرق الناس فاتى معاوية فابى ان يقبضها فاتى بعض النساك فقال ادفع خمسه الى معاوية و تصدق بما بقي فبلغ معاوية قوله فتلهف اذ لم يخطر له ذلك وقد ذهب احمد بن حنبل والحارث المحاسبي رحمة الله عليهما وجماعة من الورعين الى ذلك **واما القياس** فهو ان هذا المال مردد بين ان يضيع وبين ان يصرف الى خير اذ وقع الياس عن مالكه وبالضرورة يعلم ان صرفه الى خير اولى

من القائه في البحر فانا اذا رميناه في البحر فقد فوتناه على انفسنا وعلى المالك ولم يحصل منه
فايدة واذا رميناه في يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سد حاجته
وحصول الاجر للمالك بغير اختياره في التصدق لا ينبغي ان ينكر فان في الخبر الصحيح ان للزارع و
الغارس اجرا في كل ما يصيبه الناس والطيور من ثماره واما قول القائل لا نتصدق الا
بالطيب فذلك اذا طلبنا الاجر لانفسنا ونحن الآن نطلب الخلاص من المظلمة لا الاجر وقد
ترددنا بين التضييع وبين التصدق وقول القائل لا نرضى لغيرنا ما لا نرضاه لانفسنا فهو
كذلك ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه وللفقير حلال اذ احله دليل الشرع فاذا اقتضت
المصلحة التحليل وجب التحليل واذا حل فقد رضينا له الحلال ونقول ان له ان يتصدق
على نفسه وعياله اذا كان فقيرا اما عياله واهله فلا يخفى لان الفقر لا ينتفي بكونهم من عياله
واهله بل هم اولى من يتصدق عليهم واما هو فله ان ياخذ منه قدر حاجته لانه ايضا فقير ولو
تصدق به على فقير لجاز فكذا اذا كان هو الفقير ولنرسم في بيان هذا الاصل ايضا مسايل
مسئلة اذا وقع في يده مال من يد سلطان قال قوم يرده الى السلطان فهو اعلم بما تولاه
فليقلده ما تقلده وهو خير من ان يتصدق به واختار الحارث المحاسبي رحمه الله ذلك وقال كيف
يتصدق به ولعل له مالكا معينا ولو جاز ذلك لجاز ان يسرق من السلطان ويتصدق به وقال
قوم يتصدق به اذا علم ان السلطان لا يرده الى المالك لان ذلك اعانة للظالم وتكثير لاسباب
ظلمه فالرد اليه تضييع لحق المالك والمختار انه اذا علم من عادة السلطان انه لا يرده الى مالكه
فيتصدق به عن المالك فهو خير للمالك ان كان له مالك معين من ان يرده على السلطان لانه ربما
لا يكون له مالك معين ويكون حق المسلمين فرده على السلطان تضييع وان كان له مالك معين فالرد
على السلطان تضييع واعانة للسلطان الظالم وتضييع تفويت لبركة دعاء الفقير للمالك وهذا
ظاهر اذا وقع في يده من ميراث ولم يتعد هو بالاخذ من السلطان فانه شبيه باللقطة التي ايس
عن معرفة صاحبها اذ له ان يتصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له ان يتملكها وان كان غنيا من
حيث انه اكتسبه بجهة مباحة فيوثر في منعه من التملك ولا يوثر في المنع من التصدق مسئلة
اذا حصل في يده مال لا مالك له وجوزنا له ان ياخذ قدر حاجته لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه
في كتاب اسرار الزكوة فقد قال قوم ياخذ قدر كفاية سنة لنفسه وعياله وان قدر على شراء ضيعة
او تجارة يكتسب بها لعياله فعل هذا ما اختاره المحاسبي رحمه الله ولكنه قال الاولى ان يتصدق
بالكل ان وجد من نفسه قوة التوكل وينتظر لطف الله في الحلال فان لم يقدر فله ان يشتري ضيعة
او يتخذ راس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالا امسك ذلك اليوم عنه فاذا فني
عاد اليه فاذا وجد حلالا تصدق بمثل ما انفقه منه من قبل ويكون ذلك قرضا عنده ثم ياكل
الخبز ويترك اللحم ان قوي عليه والا اكل اللحم من غير تنعم وتوسع وما ذكره لا مزيد عليه ولكن جعل ما انفقه قرضا
عنه فيه نظر ولا شك في ان الورع ان يجعله قرضا فاذا وجد حلالا تصدق بمثله ولكن مهما
لم يجب ذلك على الفقير الذي يتصدق به عليه فلا يبعد ان لا يجب عليه ايضا اذا اخذه لفقره لا سيما

اذا وقع

اذا وقع في يده من ميراث ولم يكن معتديا بغصبه وكسبه حتى يغلظ الامر عليه فيه مسئلة
اذا كان في يده حلال وحرام او شبهة ولم يفضل الكل عن حاجته فاذا كان له عيال فليخص نفسه
بالحلال لان الحجة عليه آكد في نفسه منه في عبده وعياله واولاده الصغار والكبار من اولاده
يحرسهم من الحرام ان كان لا يفضي بهم ذلك الى ما هو اشد منه فان افضى فيطعمهم بقدر الحاجة وبالجملة
كل ما يحذر في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة وهو انه يتناول مع العلم والعيال ربما يعذر في نفسه
اذا لم يعلم ولم يتول الامر بنفسه فليبدا بالحلال بنفسه ثم بمن يعول واذا تردد في حق نفسه بين ما
يخص قوته وكسوته وبين غيره من المؤن كاجرة الحجام والصباغ والقصار والحمال والطلاء بالنورة و
الدهن وعمارة المنزل وتعهد الدابة وتسجير التنور وثمن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته و
لباسه فان ما يتعلق ببدنه ولا غناء به عنه فهو اولى بان يكون طيبا واذا دار بين القوت واللباس
فيحتمل ان يقال يخص القوت بالحلال لانه الممتزج بلحمه ودمه وكل لحم نبت من حرام فالنار اولى به
واما الكسوة ففائدتها ستر عورته ودفع الحر والبرد والابصار عن بشرته هذا هو الاظهر عندي
وقال الحارث المحاسبي رحمه الله يقدم اللباس لانه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما روي
انه لا يقبل صلوة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم فيها درهم حرام وهذا محتمل ولكن امثال هذا
قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام فمراعاة اللحم والعظم ان ينبت من الحلال اولى ولذلك
تقيا الصديق ما شربه مع الجهل حتى لا ينبت منه لحم ينبت ويبقى فان قيل فاذا كان الكل منصرفا
الى اغراضه فاي فرق بين نفسه وغيره وبين جهة وجهة وما مدرك هذا الفرق قلنا عرف ذلك بما
روي ان رافع بن خديج مات وخلف ناضحا وعبدا حجاما فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فمنع عن كسب الحجام فروجع مرات فمنع فقيل له ان له ايتاما فقال اعلفوه الناضح فهذا يدل
على الفرق بين ما ياكله هو ودابته فاذا انفتح سبيل الفرق فقس عليه التفصيل الذي ذكرناه مسئلة
الحرام الذي في يده لو تصدق به على الفقراء فله ان يوسع عليهم واذا انفق على نفسه فليضيق ما قدر و
ما انفق على عياله فليقتصد وليكن وسطا بين التوسيع والتضييق فيكون الامر على ثلاث مراتب و
ان انفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه وان كان غنيا فلا يطعمه الا اذا كان في برية
او قدم ليلا ولم يجد شيئا فانه في ذلك الوقت فقير وان كان الفقير الذي حضر ضيفا تقيا لو علم ذلك
لتورع عنه فليعرض الطعام عليه وليخبره جمعا بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغي ان يكرم
اخاه بما يكره ولا ينبغي ان يعول على انه لا يدري فلا يضره لان الحرام اذا حصل في المعدة اثر
في قساوة القلب وان لم يعرفه صاحبه ولذلك تقيا ابو بكر الصديق رضي الله عنهما وكانا قد شربا على وعمره
جهل وهذا وان افتينا بانه حلال للفقير احللناه بحكم الحاجة فهو كالخنزير والخمر اذا احللناه
بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات مسئلة اذا كان الحرام او الشبهة في يد ابويه فليمتنع من
مؤاكلتهما فان كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق في معصية
الله تعالى وان كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه ان الورع طلب رضاهما بل
هو واجب فليتلطف في الامتناع فان لم يقدر فليوافق وليقلل الاكل بان يصغر اللقمة ويطيل

المضغ ولا يتوسع فان ذلك غرور والاخ والاخت قريب من ذلك لان حقهما ايضا مؤكد وكذلك اذا البسته
امه ثوبا من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل وليلبس بين يديها ولينزعه في غيبتها وليجتهد ان لا يصلي
فيه الا عند حضورها فيصلي فيه صلوة المضطر وعند تعارض اسباب الورع ينبغي ان يتفقد هذه الدقايق
وقد حكي عن بشر انه سلمت اليه امه رطبة وقالت بحقي عليك الا ما اكلتها وكان يكرهه فاكلها ثم صعد غرفته
فصعدت امه وراءه فرأته يتقيأ وانما فعل ذلك لانه اراد ان يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة وقد قيل
لاحمد سئل بشر هل للوالدين طاعة في الشبهة فقال لا فقال احمد هذا شديد فقيل له سئل محمد بن مقاتل
العباداني عنها فقال بر والديك فماذا تقول فقال احب ان تعفيني فقد سمعت ما قالا ثم قال ما احسن
ان تداريهما مسئلة من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية لانه مفلس ولا
يجب الزكوة اذ معنى الزكوة وجوب اخراج ربع العشر مثلا وهذا يجب عليه اخراج الكل اما ردا على المالك
ان عرفه او صرفا الى الفقراء ان لم يعرف المالك واما اذا كان مال شبهة يحتمل انه حلال فاذا لم يخرجه من
يده لزمه الحج لان كونه حلالا ممكن ولا يسقط الحج الا بالفقر ولا يتحقق فقره وقد قال تعالى ولله على الناس
حج البيت من استطاع واذا وجب عليه التصدق بما يزيد على حاجته حيث يغلب تحريمه فالزكوة اولى بالوجوب
وان لزمته كفارة فليجمع بين الاعتاق والصوم ليتخلص بيقين وقد قال قوم يلزمه الصوم دون الاطعام
اذ ليس له يسار معلوم وقال المحاسبي رحمه الله يكفيه الاطعام والذي نختار ان كل شبهة حكمنا بوجوب
اجتنابها والزمناه اخراجها من يده لكون احتمال الحرام اغلب على ما ذكرناه فعليه الجمع بين الصوم والاطعام
اما الصوم فلانه مفلس حكما واما الاطعام فلانه قد وجب عليه التصدق بالجميع ويحتمل ان يكون له فيكون
اللزوم من جهة الكفارة مسئلة من في يده مال حرام امسكه للحاجة فاراد ان يتطوع بالحج فان
كان ماشيا فلا بأس لانه سيأكل هذا المال في غير عبادة فاكله في عبادة اولى وان كان لا يقدر على ان
يمشي ويحتاج الى زيادة للركوب فلا يجوز الاخذ بمثل هذه الحاجة في الطريق كما لا يجوز شراء المركوب في
البلد وان كان يتوقع القدرة على حلال لو اقام بحيث يستغني به ويستغني عن بقية الحرام فالاقامة في انتظاره
اولى من الحج ماشيا بالمال مسئلة من خرج لحج واجب بمال فيه شبهة فليجتهد ان يكون قوته من
الطيب فان لم يقدر فمن وقت الاحرام الى التحلل فان لم يقدر فليجتهد ان يكون قوته من الطيب فان لم يقدر
فمن وقت الاحرام الى التحلل فان لم يقدر فليجتهد يوم عرفة ان لا يكون قيامه بين يدي الله ودعاؤه في وقت
مطعمه حرام وملبسه حرام فليجتهد ان لا يكون في بطنه حرام فانا وان جوزنا هذا بالحاجة فهو نوع ضرورة و
ما الحقناه بالطيبات فان لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر اليه من تناول ما ليس بطيب
فعساه ينظر اليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب خوفه وحزنه وكراهته مسئلة سئل احمد بن حنبل
رحمه الله فقال له قايل مات ابي وترك مالا وكان يعامل من يكره معاملته فقال تدع من ماله بقدر ما
ربح فقال له دين وعليه دين فقال تقضي وتقتضي فقال افترى ذلك فقال تدعه محتسبا بدينه وما ذكره
صحيح وهو يدل على انه رأى التحري باخراج مقدار الحرام اذ قال يخرج قدر الربح وانه رأى ان اعيان
ماله ملك له بدلا عما بذله في المعاوضات الفاسدة بطريق التقاص والتقابل مهما كثر التصرف وعسر الرد
وعول في قضاء دينه على انه يقين فلا يترك بسبب الشبهة الباب الخامس في

ادرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم اعلم ان من اخذ مالا من سلطان فلا بد له من النظر
في ثلاثة امور في مدخل ذلك الى يد السلطان من اين هو وفي صفته التي بها يستحق الاخذ وفي المقدار الذي
ياخذه هل يستحقه اذا اضيف الى حاله وحال شركائه في الاستحقاق النظر الاول في جهات
الدخل للسلطان وكل ما يحل للسلطان سوى الاحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان ماخوذ من الكفار
وهو الغنيمة الماخوذة بالقهر والفيء وهو الذي حصل من مالهم في يده من غير قتال والجزية واموال المصالحة
وهي التي توخذ بالشرط والمعاقدة والقسم الثاني الماخوذ من المسلمين ولا يحل منه الا قسمان المواريث
وساير الاموال الضايعة التي لا يتعين لها مالك والاوقاف التي لا متولي لها اما الصدقات فليس
يوجد في هذا الزمان وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وانواع الرشوة كلها حرام
فاذا كتب لفقيه او غيره ادرار او صلة او خلعة على جهة فلا يخلو من احوال ثمانية فانه اما ان يكتب له
على الجزية او على المواريث او على الاوقاف او على ملك احياه السلطان او على ملك اشتراه او على عامل خراج
المسلمين او على بياع من جملة التجار او على الخزانة فالاول هو الجزية واربعة اخماسها للمصالح و
خمسها لجهات معينة فما يكتب على الخمس من تلك الجهات او على الاخماس الاربعة لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط
في القدر فهو حلال بشرط ان لا يكون الجزية الا مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار او اربعة دنانير
فانه ايضا في محل الاجتهاد وللسلطان ان يفعل ما هو في محل الاجتهاد وبشرط ان يكون الذمي الذي يوخذ
منه مكتسبا من وجه لا يعلم تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالم ولا بياع خمر ولا يكون صبيا ولا امرأة
اذ لا جزية عليهما فهذه امور تراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من تصرف اليه ومقدار ما
يصرف فيجب النظر في جميع ذلك الثاني المواريث والاموال الضايعة فهي للمصالح والنظر في ان الذي
خلف هل كان ماله كله حراما او اكثره او اقله وقد سبق حكمه فان لم يكن حراما بقي النظر في صفة من يصرف
اليه بان يكون في الصرف اليه مصلحة ثم في المقدار المصروف الثالث الاوقاف وكذا يجري النظر فيها كما
يجري في الميراث مع زيادة امر وهو شرط الواقف حتى لا يكون الماخوذ الا موافقا له في جميع شرايطه الرابع
ما احياه السلطان وهذا لا يعتبر فيه شرط اذ له ان يعطي من ملكه ما شاء لمن شاء اي قدر شاء وانما النظر
في ان الغالب انه احياه باكراه الاجراء او باداء اجرتهم من حرام فان الاحياء يحصل بحفر القني والانهار
وبناء الجدران وتسوية الارض ولا يتولاه السلطان بنفسه فان كانوا مكرهين على الفعل لم يملكه السلطان
وهو حرام وان كانوا مستاجرين ثم قضيت اجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة وقد نبهنا عليه في تعلق
الكراهة بالاعواض الخامس ما اشتراه السلطان في الذمة من ارض او ثياب خلعة او فرس او غيره فهو
ملكه وله ان يتصرف فيه ولكنه سيقضي ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة اخرى وقد
سبق تفصيله السادس ان يكتب على عامل خراج المسلمين او من يجمع اموال العشر والمصادرات
وهو الحرام المحض الذي لا شبهة فيه وهو اكثر الادرارات في هذا الزمان الا ما على اراضي العراق فانها
وقف عند الشافعي رحمه الله على مصالح المسلمين السابع ما يكتب على بياع يعامل السلطان فان
كان لا يعامل غيره فماله كمال خزانة السلطان وان كان معاملته مع غير السلطان اكثر فما يعطيه قرض
على السلطان وسياخذ بدله من الحرام فالخلل يتطرق الى العوض وقد سبق حكم الثمن الحرام الثامن

ما يكتب على الخزانة او على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام فان لم يعرف للسلطان دخل الا من الحرام فهو
سحت محض وان عرف يقينا ان الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل ان يكون من الحرام وهو الاغلب
لان اغلب اموال السلاطين حرام في هذه الاعصار والحلال في ايديهم معدوم او عزيز وقد اختلف الناس في
هذا فقال قوم كل ما لا يتيقن انه حرام فله ان ياخذه وقال آخرون لا يحل ان يوخذ ما لم يتحقق انه حلال فلا
تحل شبهة اصلا وكلاهما اسراف والاعتدال ما قدمناه ذكره وهو الحكم بان الاغلب اذا كان حراما حرم
وان كان الاغلب حلالا وفيه يقين حرام فهو موضع توقف كما سبق ولقد احتج من جوز اخذ مال السلاطين
اذا كان فيه حلال وحرام مهما لم يتحقق ان عين الماخوذ حرام بما روي عن جماعة من الصحابة انهم ادركوا ايام الائمة
الظلمة واخذوا الاموال منهم ابو هريرة وابو سعيد الخدري وزيد بن ثابت وابو ايوب وجرير بن عبد الله
وجابر وانس والمسور بن مخرمة فاخذ ابو سعيد وابو هريرة من مروان ويزيد ومن عبد الملك اخذ
ابن عمر وابن عباس من الحجاج واخذ كثير من التابعين منهم كالشعبي وابرهيم والحسن وابن ابي ليلى واخذ
الشافعي من هرون الف دينار في دفعة واخذ مالك من الخلفاء اموالا جمة وقال علي كرم الله وجهه
خذ ما يعطيك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما ياخذ من الحلال اكثر وانما ترك من ترك منهم العطاء تورعا
مخافة على دينه ان يحمل على ما لا يحل الا ترى قول ابي ذر للاحنف بن قيس خذ العطاء ما كان نحلة فاذا
كان اثمان دينكم فدعوه وقال ابو هريرة اذا اعطينا قبلنا واذا منعنا لم نسال وعن سعيد بن المسيب
عن ابي هريرة انه كان اذا اعطاه معوية سكت وان منعه وقع فيه وعن الشعبي عن ابي مسروق لا يزال العطاء
باهل العطاء حتى يدخلهم النار اي يحملهم ذلك على الحرام لا انه في نفسه حرام وروي نافع عن ابن عمر ان المختار كان
يبعث اليه المال فيقبله ثم يقول لا اسال احدا ولا ارد ما رزقني الله واهدي اليه ناقة فقبلها وكان يقال
لها ناقة المختار ولكن هذا يعارضه ما روي ان ابن عمر لم يرد هدية احد الا هدية المختار والاسناد في رد
اثبت وعن نافع انه بعث ابن معمر الى ابن عمر ستين الفا فقسمها على الناس ثم جاءه سايل فاستقرض من
بعض من اعطاه واعطى السايل ولما قدم الحسن بن علي على معوية رضي الله عنهما فقال لاجيزنك بجايزة لم
اجزها احدا من العرب قبلك ولا اجيز بها احدا من العرب بعدك قال فاعطاه اربعماية الف فاخذها وعن حبيب
بن ابي ثابت قال لقد رايت جايزة المختار لابن عمر وابن عباس فقبلاها فقيل ما هي قال مال وكسوة وعن
الزبير بن عدي قال قال سلمان اذا كان لك صديق عامل او تاجر يقارف الربوا فدعاك الى الطعام او نحوه او اعطاك
شيا فاقبل فان المهنا لك وعليه الوزر واذا ثبت هذا في المربي فالظالم في معناه وعن جعفر عن ابيه عن
الحسين والحسن رضي الله عنهم اجمعين كانا يقبلان جوائز معوية رضي الله عنه وقال حكيم بن جبير مررنا على سعيد
بن جبير وقد جعل عاشرا على اسفل الفرات فارسل الى العشارين اطعمونا مما عندكم فارسلوا بطعام فاكل
واكلنا معه وقال العلاء بن زهير الازدي اتى ابرهيم ابي وهو عامل على حلوان فاجازه فقبل وقال
ابرهيم لا باس بجايزة العمال ان للعامل مونة ورزقا ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما اعطاك
فهو من طيب ماله فقد اخذ هولاء كلهم جوائز السلاطين وكلهم طعنوا على من اطاعهم في معصية الله
وزعمت هذه الفرقة ان ما ينقل من امتناع جماعة لا يدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين و
ابي ذر وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذي يخاف افضاوه الى محذور

ورعا وتقوى فاقدام هولاء يدل على الجواز وامتناع اوليك لا يدل على التحريم وما نقل عن سعيد بن
المسيب انه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع نيفا وثلثين الفا وما نقل عن الحسن من قوله لا اتوضا
من ماء صيرفي وان ضاق وقت الصلوة لاني لا ادري اصل ماله كل ذلك ورع لا ينكر واتباعهم عليه احسن
من اتباعهم على الاتساع ايضا فهذه شبهة من جوز اخذ مال السلطان الظالم والجواب ان ما نقل
من اخذ هولاء محصور قليل بالاضافة الى ما نقل من ردهم وانكارهم فان كان يتطرق الى امتناعهم احتمال الورع
فيتطرق الى اخذ من اخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة في الدرجة بتفاوتهم في الورع فان للورع في حق السلاطين
اربع درجات الدرجة الاولى ان لا ياخذ من مالهم شيا اصلا كما فعله الورعون منهم وكما كان يفعله
الخلفاء الراشدون حتى ان ابا بكر رضي الله عنه حسب جميع ما كان اخذه من بيت المال فبلغ ستة الاف
درهم فغرمها لبيت المال وحتى ان عمر رضي الله عنه كان يقسم بيت المال فدخلت ابنة له واخذت درهما
من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة عن احد منكبيه ودخلت الصبية الى بيت اهلها
تبكي وجعلت الدرهم في فيها فادخل عمر رضي الله عنه اصبعه فاخرجه من فيها وطرحه على الخراج وقال
ايها الناس ليس لعمر ولا لال عمر الا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم وكسح ابو موسى الاشعري رضي الله عنه بيت
المال فوجد درهما فمر بني لعمر فاعطاه اياه فراه عمر رضي الله عنه في يد الغلام فقال اعطانيه ابو موسى الاشعري
فقال يا ابا موسى ما كان في اهل المدينة بيت اهون عليك من ال عمر اردت ان لا يبقى من امة محمد صلى الله عليه و
سلم احد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال هذا مع ان المال كان حلالا ولكن خاف ان لا يستحق
هو ذلك القدر فكان يستبري لدينه ويقتصر على الاقل امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك
الى ما لا يريبك ولقوله من تركها فقد استبرا لعرضه ودينه ولما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من
التشديدات في الاموال السلطانية حتى قال صلى الله عليه وسلم حين بعث عبادة بن الصامت الى
الصدقة اتق الله يا ابا الوليد لا تجي يوم القيمة ببعير تحمله على رقبتك له رغاء او بقرة لها خوار او شاة لها
ثواج قال يا رسول الله هكذا يكون قال نعم والذي نفسي بيده الا من رحم الله قال فوالذي بعثك لا اعمل على
شي ابدا وقال صلى الله عليه وسلم اني لا اخاف عليكم ان تشركوا بعدي اخاف عليكم ان تنافسوا وانما
اخاف التنافس في المال وكذلك قال عمر رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه بيت المال اني لم اجد نفسي
الا كالولي مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف وروي ان ابنا
لطاوس افتعل كتابا عن لسانه الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فاعطاه ثلثماية دينار فباع طاوس ضيعة له
فبعث به الى عمر هذا مع ان السلطان مثل عمر بن عبد العزيز فهذه هي الدرجة العليا في الورع الدرجة
الثانية هي ان ياخذ مال السلطان ولكن انما ياخذ اذا علم ان ما ياخذه من جهة حلال فاشتمال يد السلطان
على حرام آخر لا يضره وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الآثار او اكثرها او ما اختص منها باكابر الصحابة و
الورعين منهم مثل ابن عمر فانه كان من المبالغين في الورع فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من
اشدهم انكارا عليهم واشدهم ذما لاموالهم وذلك انهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه واشفق على
نفسه من ولايته وكونه ماخوذا عند الله بها فقالوا له انا لنرجو لك حفرت الآبار وسقيت الحاج
وصنعت وابن عمر ساكت فقال ما ذا تقول يا ابن عمر فقال اقول ذلك اذا طاب المكسب وزكت

النفقة وسترد فترى وفي حديث آخر انه قال ان الخبيث لا يكفر الخبيث وانك قد وليت البصرة
ولا احسبك الا وقد اصبت منها شرا فقال له ابن عامر الا تدعو لي فقال ابن عمر سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبل الله صلوة بغير طهور ولا صدقة من غلول وقد وليت البصرة فهذا
قوله فيما صرفه الى الخيرات وعن ابن عمر انه قال في ايام الحجاج ما شبعت من الطعام منذ انتهبت الدار الى
يومي هذا وروي عن علي كرم الله وجهه انه كان له سويق في اناء مختوم يشرب منه فقيل له اتفعل هذا
بالعراق مع كثرة طعامه فقال اما اني لا اختمه بخلا به ولكن اكره ان يجعل فيه ما ليس منه واكره ان يدخل
بطني غير طيب فهذا هو المألوف منهم وكان ابن عمر لا يجيئه احد الا خرج منه فطلب منه نافع بثلاثين الفا
فقال اني اخاف ان يفتنني دراهم ابن عامر وكان هو الطالب له اذهب فانت حر وقال ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه ما منا احد الا وقد مالت به الدنيا الا ابن عمر فبهذا يتضح انه لا يظن به وبمن كان في
منصبه انه اخذ ما لا يدرى انه حلال الدرجة الثالثة ان ياخذ ليتصدق به على الفقراء ويفرقه على
المستحقين فان ما لا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه فاذا كان السلطان ان لم يؤخذ منه لم يفرقه و
استعان به على ظلم فقد يقول اخذه منه وتفرقته اولى من تركه في يده وهذا قد رآه بعض العلماء وسياتي
وجهه وعلى هذا ينزل ما اخذه اكثرهم ولذلك قال ابن المبارك ان الذين ياخذون الجوائز اليوم ويحتجون
بابن عمر وعايشة ما يقتدون بهم لان ابن عمر فرق ما اخذ حتى استقرض في مجلسه بعد تفرقه ستين الفا
وعايشة فعلت مثل ذلك وجابر بن زيد قبل وتصدق به وقال رايت ان آخذ منهم واتصدق احب
الي من ان ادعها في ايديهم وهكذا فعل الشافعي رحمه الله بما قبل من هرون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى
لم يمسك لنفسه حبة الدرجة الرابعة ان لا يتحقق انه حلال ولا يفرق بل يستنفق ولكن ياخذ من
سلطان اكثر ماله حلال وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم
يكن اكثر مالهم حراما ويدل عليه تعليل علي كرم الله وجهه حيث قال فان ما ياخذ من الحلال اكثر وهذا
مما قد جوزه جماعة من العلماء تعويلا على الاكثر ونحن توقفنا فيه في حق آحاد الناس ومال السلطان اشبه
بالخروج عن الحصر فلا يبعد ان يؤدي اجتهاد مجتهد الى جواز اخذ ما لم يعلم انه حرام اعتمادا على الاغلب وانما
منعنا اذا كان الاكثر حراما فاذا فهمت هذه الدرجات تحققت ان ادرارات الظلمة في زماننا لا
تجري مجراه وانها تفارقه من وجهين قاطعين احدهما ان اموال السلاطين في عصرنا حرام كلها او اكثرها
وكيف لا والحلال هو الصدقات والفيء والغنيمة ولا وجود لها وليس يدخل منها شيء في يدي السلاطين
ولم يبق الا الجزية وانها تؤخذ بانواع من الظلم لا يحل اخذها به فانهم يجاوزون حدود الشرع في المأخوذ
منه والوفاء له بالشرط ثم اذا نسبت ذلك الى ما ينصب اليهم من الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات
والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشيره الوجه الثاني ان الظلمة في العصر الاول لقرب عهدهم
بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم ومتشوقين الى استمالة قلوب الصحابة والتابعين
وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم وكانوا يبعثون اليهم من غير سؤال واذلال بل كانوا يتقلدون
المنة بقبولها ويفرحون به فكانوا ياخذون منهم ويفرقون ولا يطيعون السلاطين في اغراضهم ولا يغشون
مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات

منهم فما كان يحذر ان يصيبوا من دينهم بقدر ما اصابوا من دنياهم فلم يكن باخذهم باس فاما الآن فلا تسمح
نفوس السلاطين بعطية الا لمن طمعوا في استخدامه والتكثر به والاستعانة به على اغراضهم والتجمل
بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية والاطراء في حضورهم وغيبتهم فلو لم
يذل الآخذ نفسه بالسؤال اولا وبالتردد في الخدمة ثانيا وبالدعاء والثناء ثالثا وبالمساعدة
على اغراضه عند الاستعانة رابعا وبتكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامسا وباظهار الحب والموالاة
والمناصرة له على اعدائه سادسا وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوي اعماله سابعا لم ينعم عليه بدرهم
واحد ولو كان في فضل الشافعي مثلا فاذن لا يجوز ان يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم انه حلال لافضائه
الى هذه المعاني فكيف ما يعلم انه حرام او يشك فيه فمن استجرأ على اموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين
فقد قاس الملائكة بالحدادين ففي اخذ الاموال منهم حاجة الى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال
الذل منهم والثناء عليهم والتردد الى ابوابهم وكل ذلك معصية على ما سنبين في الباب الذي يلي هذا فاذن
قد تبين مما تقدم مداخل اموالهم وما يحل منها وما يحرم فلو تصور ان ياخذ الانسان منها ما يحل بقدر
استحقاقه وهو جالس في بيته يساق اليه ذلك لا يحتاج فيه الى تفقد عامل وخدمته ولا الى الثناء عليهم و
تزكيتهم ولا الى مساعدتهم فلا يحرم الاخذ ولكن يكره لمعان سننبه عليها في الباب الذي يلي هذا ان شاء
الله **النظر الثاني من هذا الباب** في قدر المأخوذ وصفة الآخذ ولنفرض المال من اموال
المصالح كاربعة اخماس الفيء والمواريث فان ما عداه مما قد تعين مستحقه ان كان من وقف او صدقة او
خمس فيء او خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان مما احياه واشتراه فله ان يعطي ما شاء وانما
النظر في الاموال الضائعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه الا لمن فيه مصلحة عامة او هو محتاج اليه عاجز عن
الكسب فاما الغني الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه هذا هو الصحيح وان كان العلماء
قد اختلفوا فيه وفي كلام عمر رضي الله عنه ما يدل على ان لكل مسلم حقا في مال بيت المال لكونه مسلما مكثرا
جمع الاسلام ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت هذا
فكل من يتولى امرا يقوم به تتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في
بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم اعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير
والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وطلبة هذه العلوم ايضا يدخلون فيه فانهم ان لم يكفوا
لم يتمكنوا من الطلب ويدخل فيه العمال وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا باعمالهم وهم الاجناد المرتزقة الذين
يحرسون المملكة بالسيوف عن اهل العرامة واهل البغي وعن اعداء الاسلام ويدخل فيهم الكتاب و
الحساب والوكلاء وكل من يحتاج اليه في ترتيب ديوان الخراج اعني العمال على الاموال الحلال لا على الحرام
فان هذا المال للمصالح والمصلحة اما ان تتعلق بالدين او بالدنيا فبالعلماء حراسة الدين وبالاجناد حراسة
الدنيا والدين والملك توأمان فلا يستغني احدهما عن الآخر والطبيب وان كان لا يرتبط بعلمه امر ديني و
لكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه فيجوز ان يكون له ولمن يجري مجراه في العلوم التي يحتاج اليها في مصلحة
الابدان او مصلحة البلاد ادرار من هذه الاموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين اعني من يعالج منهم بغير اجرة
وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع الغنى فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون

فقراء المهاجرين والانصار ولم يعرفوا بالحاجة وليس يتقدر ايضا بمقدار بل هو الى اجتهاد الامام وله ان يوسع ويغني وله ان يقتصر على الكفاية على ما تقتضيه الحال وسعة المال فقد اخذ الحسن رضي الله عنه من معوية في دفعة اربعمائة الف درهم وقد كان عمر يعطي لجماعة اثني عشر الف درهم نقرة في السنة واثبت عايشة في هذه الجريدة ولجماعة عشرة آلاف ولجماعة ستة آلاف وهكذا فهذا مال هؤلاء فيوزع عليهم حتى لا يبقى منه شيء فان خص كل واحد بمال كثير فلا باس به وكذلك للسلطان ان يخص من هذا المال ذوي الخصايص بالخلع والجوائز فقد كان يفعل ذلك في السلف ولكن ينبغي ان يلتفت فيه الى المصلحة ومهما خص عالم او شجاع بصلة كان فيه بعث للناس وتحريض على الاشتغال والتشبه به فهذه فائدة الخلع والصلات وضروب التخصيصات فكل ذلك منوط باجتهاد السلطان وانما النظر في السلاطين الظلمة في شيئين احدهما ان السلطان الظالم عليه ان يكف عن ولايته وهو اما معزول او واجب العزل فكيف يجوز ان ياخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان والثاني انه ليس يعم بماله جميع المستحقين فكيف يجوز للآحاد ان ياخذوا افيجوز الاخذ بقدر حصتهم ام لا يجوز اصلا ام يجوز ان ياخذ كل ما اعطي اما الاول فالذي نراه انه لا يمنع اخذ الحق لان السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكان في الاستبدال به فتنة ثائرة لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما تجب طاعة الامراء وقد ورد في الامر بطاعة الامراء والمنع من سل اليد عن مساعدتهم اوامر وزواجر فالذي نراه ان الخلافة منعقدة للمتكفل بها من بني العباس رضي الله عنه وان الولاية نافذة للسلاطين في اقطار البلاد المبايعين للخليفة وقد ذكرنا في كتاب المستظهري ما يشير الى وجه المصلحة فيه والقول الوجيز انا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوفا الى مزايا المصالح ولو قضينا ببطلان الولايات الآن لبطلت المصالح راسا فكيف يفوت راس المال في طلب الربح بل الولاية الآن لا تتبع الا الشوكة فمن بايعه صاحب الشوكة فهو الخليفة ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في اصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء في اقطار الارض ولاية نافذة الاحكام وتحقيق هذا قد ذكرناه في احكام الامامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلسنا نطول الآن به واما الاشكال الآخر وهو ان السلطان اذا لم يعم بالعطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد ان ياخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على اربع مراتب فغلا بعضهم وقال كل ما ياخذه فالمسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدري ان حصته منه دانق او حبة فليترك الكل وقال قوم له ان ياخذ قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه بحاجته على المسلمين وقال قوم له قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق في هذا المال فكيف يتركه وقال قوم انه ياخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لان المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الورثة لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم يتفق قسمته حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطي الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع بظلم المالك بقية الاصناف بمنع حقهم هذا اذا لم يصرف اليه كل المال بل صرف اليه من المال ما لو صرف اليه بطريق الايثار والتفصيل مع تعميم الآخرين لجاز له ان ياخذه

والتفصيل

والتفضيل جائز في العطاء سوى ابو بكر رضي الله عنه فراجعه عمر رضي الله عنه وقال انما فضلهم عند الله وانما الدنيا بلاغ وفضل عمر رضي الله عنه في زمانه فاعطى عايشة رضي الله عنها اثني عشر الفا وزينب عشرة آلاف وجويرية ستة آلاف وكذلك صفية واقطع عمر لعلي خاصة رضي الله عنهما واقطع عثمان ايضا من السواد خمس جنات وآثر عثمان عليا رضي الله عنهما فقبل منه ولم ينكر وكل ذلك جايز فانه في محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التي اقول فيها ان كل مجتهد مصيب وهي كل مسئلة لا نص على عينها ولا على مسئلة تقرب منها فتكون في معناها بقياس جلي كهذه المسئلة ومسئلة حد الشرب فانهم جلدوا اربعين وثمانين والكل سنة وحق وآية ان كل واحد من ابي بكر وعمر رضي الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة ان المفضول ما رد في زمان عمر شيئا الى الفاضل مما كان قد اخذه في زمان ابي بكر ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمن عمر واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا كل واحد من الرأيين حقا فليؤخذ هذا الجنس دستورا للاختلافات التي يصوب فيها كل مجتهد فاما كل مسئلة شذ عن مجتهد فيها نص او قياس جلي لغفلة او سوء راي وكان في القوة بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا نقول فيها ان كل واحد مصيب بل المصيب من اصاب النص او ما في معنى النص وقد تحصل من مجموع هذا ان من وجد من اهل الخصوص الموصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين والدنيا واخذ من السلطان خلعة وادرارا على التركات او الجزية لم يصر فاسقا بمجرد اخذه وانما يفسق بخدمته لهم ومعاونته اياهم ودخوله عليهم وثنائه واطرائه لهم الى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالبا الا بها كما سنبينه

الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم

وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم اعلم ان لك من الامراء والعلماء الظلمة ثلاثة احوال الحالة الاولى وهي شرها ان تدخل عليهم والثانية وهي دونها ان يدخلوا عليك والثالثة وهي الاسلم ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك اما الحالة الاولى وهي الدخول عليهم فهو مذموم جدا في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الاخبار والآثار فننقلها ليعرف ذم الشرع له ثم نتعرض لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما يقتضيه الفتوى في ظاهر العلم فاما الاخبار فلما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراء الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم او كاد يسلم ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم وذلك لان من اعتزلهم سلم من اثمهم ولكن لا يسلم من عذاب يعمهم ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة وقال صلى الله عليه وسلم سيكون بعدي امراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد علي الحوض وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ابغض القراء الى الله عز وجل الذين يزورون الامراء وفي الخبر العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس رضي الله عنه واما الآثار فقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وقال سفين رحمه الله في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزوارون للملوك وقال الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وقال سمنون ما اسمج بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسال عنه فيقال انه عند الامير وكنت اسمع انه يقال اذا

رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك بعد ما اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم وقال عبادة بن الصامت حب القاري الناسك للامراء نفاق وحبه للاغنياء رياء وقال ابو ذر من كثر سواد قوم فهو منهم اي من كثر سواد الظلمة وقال ابن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له قيل له ولم قال لانه يرضيه بسخط الله واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلا فقيل كان عاملا للحجاج فعزله فقال الرجل انما عملت له على شيء يسير فقال له عمر حسبك بصحبته يوما او بعض يوم شوما وشرا وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذي سلطان قربا الا ازداد من الله بعدا وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت ويقول ان في هذا لغنى عن هولاء السلاطين وقال وهيب هولاء الذين يدخلون على الملوك لهم اضر على الامة من المقامرين وقال محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قاري على باب هولاء ولما خالط الزهري السلطان كتب اخ له في الدين اليه عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات الاية وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله شيء في الارض ولا في السماء والسلام فهذه الاخبار والآثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وانواع الفساد ولكنا نفصل ذلك تفصيلا فقهيا نميز فيه المحظور عن المكروه والمباح فنقول الداخل على السلطان متعرض لان يعصي الله تعالى اما بفعله واما بسكوته واما بقوله واما باعتقاده ولا ينفك عن احد هذه الامور اما الفعل فالدخول اليهم في غالب الاحوال يكون الى دور مغصوبة وتخطيها والدخول فيها بغير اذن المالك حرام ولا يغرنك قول القايل ان ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة او فتات خبز فان ذلك صحيح في غير المغصوب اما المغصوب فلا لانه ان قيل ان كل جلسة خفيفة لا تنقص الملك فهي في محل التسامح وكذلك الاجتياز فيجري هذا في كل واحد فيجري في المجموع والغصب انما تم بفعل الجميع وانما يتسامح به اذا انفرد اذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه فاما اذا كان ذلك طريقا الى الاستغراق بالاشتراك فحكم التحريم ينسحب على الكل فلا يجوز ان يؤخذ ملك الرجل طريقا اعتمادا على ان كل واحد انما يخطو خطوة لا تنقص الملك لان المجموع مفوت للملك وهو كضربة خفيفة في التعليم مباح ولكن بشرط الانفراد فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع ان كل واحد من الضربات لو انفرد لكان لا يوجب قصاصا فان فرض الظالم في موضع غير مغصوب كالموات مثلا فان كان تحت خيمة او مظلة من ماله فهو حرام والدخول اليه غير جايز لانه انتفاع بالحرام واستظلال به فان فرض كل واحد

حلالا

حلالا فلا يعصي بالدخول من حيث انه دخول ولا بقوله السلام عليك ولكن ان سجد او ركع او مثل قايما في سلامه وخدمته كان مكرما للظالم بسبب ولايته التي هي آلة ظلمه والتواضع للظالم معصية بل من تواضع لغني ليس بظالم لاجل غناه لا لمعنى آخر يقتضي التواضع ذهب ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم فلا يباح الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فهي معصية الا عند خوف او لامام عادل او لعالم او لمن يستحق ذلك بامر ديني قبل ابو عبيدة بن الجراح يد عمر رضي الله عنهما لما ان لقيه بالشام فلم ينكر عليه وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام والاعراض عنهم استحقارا لهم من محاسن القربات فاما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر لان ذلك واجب فلا ينبغي ان يسقط بالظلم فان ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو من الجلوس على بساطهم واذا كان اغلب اموالهم حراما فلا يجوز الجلوس على فرشهم هذا من حيث الفعل فاما السكوت فهو انه سيرى في مجلسهم من الفرش الحرير واواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام وكل من راى سيئة وسكت عليها فهو شريك فيها بل يسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وايذاء والسكوت عن جميع ذلك حرام بل يراهم لابسين للثياب وآكلين للطعام وجميع ما في ايديهم حرام والسكوت عن ذلك غير جايز فيجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه ان لم يقدر بفعله فان قلت انه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق ولكنه مستغن عن ان يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح الا بعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا اقول من علم فسادا في موضع وعلم انه لا يقدر على ازالته فلا يجوز له ان يحضر ليجري ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت بل ينبغي ان يحترز عن مشاهدته واما القول فهو ان يدعو للظالم او يثني عليه او يصدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله او بتحريك راسه او باستبشار في وجهه او يظهر له الحب والموالاة والاشتياق الى لقايه والحرص على طول عمره وبقايه فانه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه هذه الاقسام اما دعاؤه فلا يحل له الا ان يقول اصلحك الله او وفقك الله للخيرات او طول الله عمرك في طاعته وما يجري هذا المجرى فاما الدعاء بالحراسة وطول البقاء واسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فغير جايز قال صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه فان جاوز الدعاء الى الثناء فسيذكر ما ليس فيه فيكون به كاذبا ومنافقا ومكرما للظالم وهذه ثلاث معاصي وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من اكرم فاسقا فقد اعان على هدم الاسلام فان جاوز ذلك الى التصديق له فيما يقول والتزكية على ما يعمل كان عاصيا بالتصديق وبالاعانة فان التزكية والثناء اعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيه كما ان التكذيب والمذمة والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه والاعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة ولقد سئل سفين عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت فان ذلك اعانة له وقال غيره يسقى الى ان تثوب اليه نفسه ثم يعرض عنه فان جاوز ذلك الى اظهار الحب والشوق الى لقايه وطول بقايه فان كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقاء ظالم وحقه ان يبغضه في الله ويمقته فالبغض في الله واجب ومحب المعصية والراضي بها عاص ومن احب

ظالماً فان احبه لظلمه فهو عاصٍ بمحبته وان احبه لسبب آخر فهو عاصٍ من حيث انه لم يبغضه وكان الواجب عليه
ان يبغضه وان اجتمع في شخص خير وشر وجب ان يحب لاجل ذلك الخير ويبغض لاجل ذلك الشر وسيأتي في كتاب
الاخوة والمتحابين في الله وجه الجمع بين البغض والحب فان سلم من ذلك كله وهيهات فلا يسلم من فساد يتطرق
الى قلبه فانه ينظر الى توسعه في النعمة ويزدري نعم الله عليه ويكون مقتحماً نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على اهل الدنيا فانها مسخطة للرزق هذا مع ما فيه من اقتداء غيره به في الدخول
ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله اياهم ان كان ممن يتجمل به وكل ذلك اما مكروهات او محظورات
دعي سعيد بن المسيب الى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فقال لا ابايع لاثنين ما اختلف
الليل والنهار فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين فقيل ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر فقال
لا والله لا يقتدي بي احد من الناس فجلد مائة والبس المسوح فلا يجوز الدخول عليهم الا بعذرين احدهما
ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام وعلم انه لو امتنع اوذي او فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب
امر السياسة فيجب عليه الاجابة طاعة لهم ومراعاة لمصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية الثاني
ان يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم سواه او عن نفسه اما بطريق الحسبة او بطريق التظلم فذلك رخصة بشرط
ان لا يكذب ولا يثني ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولاً فهذا حكم الدخول **الحالة الثانية** ان يدخل
عليك السلطان الظالم زائراً فجواب السلام لا بد منه واما القيام والاكرام فلا يحرم مقابلة له على اكرامه فانه
باكرام العلم والدين مستحق للاحماد كما انه بالظلم مستحق للابعاد فالاكرام بالاكرام والجواب بالسلام ولكن
الاولى ان لا يقوم ان كان معه في خلوة ليظهر له به عز الدين وحقارة الظلم ويظهر به غضبه للدين و
اعراضه عمن اعرض عن الله فاعرض الله تعالى عنه وان كان الداخل عليه في جمع فمراعاة حشمة ارباب
الولايات فيما بين الرعايا مهمة فلا بأس بالقيام على هذه النية وان علم ان ذلك لا يورث فساداً في الرعية
ولا يناله اذاً من غضبه فترك الاكرام بالقيام اولى ثم يجب عليه بعد ان وقع اللقاء ان كان ينصحه
فان كان يقارف ما لا يعلم تحريمه وهو يتوقع ان يتركه اذا عرف فليعرفه فذلك واجب واما ذكر تحريم ما
يعلم تحريمه من الشرب والظلم فلا فائدة فيه بل عليه ان يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن ان التخويف يؤثر
فيه وعليه ان يرشده الى طريق المصلحة ان كان يعرف طريقاً على وفق الشرع بحيث يحصل فيه غرض الظالم
من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول الى غرضه بالظلم فاذن يجب عليه التعريف في محل جهله والتخويف فيما
هو مستجرئ عليه والارشاد الى ما هو غافل عنه مما يغنيه عن الظلم فهذه ثلاثة امور تلزمه اذا توقع للكلام
فيه اثراً وهو ايضاً لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعذر او بغير عذر روي عن محمد بن صالح
قال كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس في البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب
فيه علمه ومطهرة يتوضأ فيها فبينا انا عنده اذ دق داق الباب واذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل
وجلس بين يديه ثم قال ما لي اذا رأيتك امتلأت منك رعباً فقال حماد لانه عليه السلام قال ان العالم اذا
اراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء فان اراد ان يكنز به الكنوز هاب من كل شيء ثم عرض عليه اربعين الف درهم
وقال تأخذها وتستعين بها قال ارددها على من ظلمته بها قال والله ما اعطيك الا مما ورثته قال لا حاجة
لي فيها قال فتأخذها فتقسمها قال لعلي ان عدلت في قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل

في قسمتها فيأثم فازوها عني **الحالة الثالثة** ان يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب
اذ لا سلامة الا فيه فعليه ان يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثني عليهم ولا يستخبر عن
احوالهم ولا يتقرب الى المتصلين بهم ولا يتأسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم وذلك اذا خطر بباله
امرهم وان غفل عنهم فهو الاحسن واذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قال حاتم الاصم انما بيني وبين
الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته واني واياهم من غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان يكون
في اليوم وما قال ابو الدرداء رضي الله عنه اذ قال اهل الاموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب
ويلبسون ونلبس ولهم فضول اموال ينظرون اليها فننظر معهم اليها وعليهم حسابها ونحن منها براء وكل من
احاط علمه بظلم ظالم او معصية عاصٍ فينبغي ان يحط ذلك من درجته في قلبه فهذا واجب عليه
لان من صدر منه ما يكره نقص من رتبته في القلب لا محالة والمعصية ينبغي ان تكره فانه اما ان يغفل
عنها او يرضى بها او يكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بد من الكراهة فلتكن جناية كل احد على حق الله
كجنايته على حقك **فان قلت** الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف تجب **قلنا** ليس كذلك
فان المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له فان من لا يكره معصية الله من لا يحب
الله وانما لا يحب الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة والمحبة لله واجبة واذا احبه كره ما كرهه واحب
ما احبه وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا ان شاء الله **فان قلت** فقد كان علماء
السلف يدخلون على السلاطين **فاقول** نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد حكي ان هشام بن
عبد الملك قدم حاجاً الى مكة فلما دخلها قال ائتوني برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين قد تفانوا
قال من التابعين فاتي بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بامرة المؤمنين
ولكن قال السلام عليك ولم يكنه ولكن جلس بازائه وقال كيف انت يا هشام فغضب هشام
غضباً شديداً حتى هم بقتله فقيل له انت في حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذي
حملك على ما صنعت قال وما الذي صنعت فازداد غيظاً وغضباً فقال خلعت نعليك بحاشية
بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم بامرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بازائي بغير اذني وقلت كيف
انت يا هشام فقال اما ما خلعت نعلي بحاشية بساطك فاني اخلعها بين يدي رب العزة
كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب علي واما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت امير المؤمنين
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يقول لا يحل لرجل ان يقبل يد احد الا امرأته من شهوة او ولده برحمة
واما قولك لم تسلم بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامرتك فكرهت ان اكذب واما
قولك لم تكنني فان الله سمى اولياءه وقال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى اعداءه فقال تبت يدا
ابي لهب واما قولك جلست بازائي فاني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يقول
اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال هشام
عظني قال سمعت من امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب
كالبغال تلدغ كل امير لا يعدل في رعيته ثم قام وهرب وعن سفين الثوري قال ادخلت على ابي جعفر
بمنى فقال ارفع الينا حاجتك فقلت له اتق الله قد ملأت الارض ظلماً وجوراً قال فطأطأ

ثم دفعه وقال ادفع الينا حاجتك قلت انما نزلت بهذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم
يموتون جوعًا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم قال فطأطأ راسه ثم دفعه وقال ادفع الينا حاجتك
فقلت حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لخازنه كم انفقت فقال بضعة عشر درهمًا وارى ههنا
امورًا لا تطيقها الجمال هكذا كانوا يدخلون على السلاطين اذا اكرهوا فكانوا يغررون بارواحهم
في الانتقام لله من ظلمهم ودخل ابن ابي شميلة على عبد الملك بن مروان فقال له تكلم فقال ان
الناس لا ينجون في القيمة من غصصها ومرارتها ومعاينة الردى فيها الا من ارضى الله بسخط نفسه فبكى
عبد الملك وقال لاجعلن هذه الكلمة مثالا نصب عيني ما عشت ولما استعمل عثمان بن عفان
العباس اتاه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول ان الرجل اذا ولي ولاية تباعد الله عنه ود
دخل مالك بن دينار على امير البصرة فقال ايها الامير قرأت في بعض الكتب من احمق من السلطان ومن
من اجهل ممن عصاني ومن اعز ممن اعتز بي ايها الراعي السوء دفعت اليك غنمًا سمانًا صحاحًا
فاكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظامًا تتقعقع فقال له والي البصرة اتدري ما الذي
يجرئك علينا ويجنبنا عنك قال لا قال قلة الطمع الينا وترك الامساك لما في ايدينا وكان عمر بن
عبد العزيز واقفًا مع سليمن بن عبد الملك فسمع سليمن صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدم
الرحل فقال عمر هذا صوت رحمته فكيف اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان الى الناس فقال
ما اكثر الناس فقال عمر خصماؤك يوم القيمة يا امير المومنين فقال سليمن ابتلاك الله بهم وحكي ان
سليمن بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فارسل الى ابي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له
سليمن يا ابا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم خربتم آخرتكم وعمرتم الدنيا فكرهتم ان تنقلوا من
العمران الى الخراب قال يا ابا حازم كيف القدوم على الله قال يا امير المومنين اما المحسن فكالغائب
يقدم على اهله واما المسيء فكالآبق يقدم به على مولاه فبكى سليمن وقال ليت شعري ما لي عند الله
فقال ابو حازم اعرض نفسك على كتاب الله عز وجل حيث قال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
قال سليمن فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال سليمن يا ابا حازم اي عباد الله اكرم قال
اهل المروة والتقى قال فاي الاعمال افضل قال اداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فاي الدعاء
اسمع قال قول الحق عند من يخاف ويرجى قال فاي المومنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا
الناس اليها قال فاي المومنين اخسر قال رجل خطا في هوى اخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره
قال سليمن ما تقول فيما نحن فيه قال او تعفيني قال لا ولكن نصيحة تلقيها الي قال يا امير المومنين
قهروا الناس بالسيف واخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى منهم حتى
قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بئس
ما قلت قال ابو حازم ان الله تبارك وتعالى قد اخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه
قال فكيف لنا ان نصلح هذا الفساد قال ان تاخذ من حله فتضعه في حقه فقال سليمن ومن
يقدر عليه فقال من يطلب الجنة ويخاف من النار فقال سليمن ادع لي قال ابو حازم اللهم ان كان
سليمن وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى فقال

سليمن اوصني فقال اوصيك واوجز عظم ربك ونزهه ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث
امرك وقال عمر بن عبد العزيز لابي حازم عظني فقال اضطجع ثم اجعل الموت عند راسك
ثم انظر ما تحب ان يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن وما تكره ان يكون فيك تلك الساعة
فدعه الآن فلعل تلك الساعة قريبة ودخل اعرابي على سليمن بن عبد الملك فقال تكلم يا
اعرابي فقال يا امير المومنين اني مكلمك بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته
قال يا اعرابي انا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نامن غشه قال الاعرابي
يا امير المومنين انه قد تكنفك رجال اساؤا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم و
رضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك حرب للآخرة سلم للدنيا فلا تامنهم على ما
ائتمنك الله عليه فانهم لن يالوا في الامانة تضييعًا وفي الامة خسفًا وعسفًا وانت مسؤل
عما اجترحوا وليسوا مسؤلين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس
غبنا من باع آخرته بدنيا غيره فقال سليمن اما انك يا اعرابي قد سللت لسانك وهو اقطع من
سيفك قال اجل يا امير المومنين ولكن لك لا عليك وحكي ان ابا بكرة دخل على معوية فقال
اتق الله يا معوية واعلم انك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تاتي عليك لا تزداد من الدنيا الا
بعدًا ومن الآخرة الا قربًا وعلى اثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علم لا تجوزه فما اسرع ما تبلغ
العلم وما اوشك ما يلحق بك وانا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن صائرون اليه باق ان خيرًا فخير وان
شرًا فشر فهكذا كان دخول اهل العلم على السلاطين اعني علماء الآخرة واما علماء الدنيا
فيدخلون ليتقربوا الى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون بدقائق الحيل طرق السعة فيما
فيما يوافق اغراضهم وان تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصدهم الاصلاح بل اكتساب
الجاه والقبول عندهم وفي هذا غروران يغتر بهما الحمقى احدهما ان يظهر ان قصدي في
الدخول عليهم اصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على انفسهم ذلك وانما الباعث لهم شهوة خفية
للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق في طلب الاصلاح انه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن
هو من اقرانه في العلم ووقع موقع القبول وظهر به اثر الصلاح فينبغي ان يفرح به ويشكر الله على كفاية
هذا المهم كمن وجب عليه ان يعالج مريضًا ضايعًا فقام بمعالجته غيره فانه يعظم به فرحه فان كان
يصادف في قلبه ترجيحًا لكلامه على كلام غيره فهو مغرور والثاني ان يزعم اني اقصد الشفاعة انه صح
لمسلم في دفع ظلامة وهذا ايضًا مظنة الغرور ومعيارها ما تقدم ذكره واذا ظهر طريق الدخول
عليهم فلنرسم في الاحوال العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة اموالهم مسايل مسيلة
اذا بعث اليك السلطان مالا لتفرقه على الفقراء فان كان له مالك معين فلا يحل اخذه وان لم يكن
بل كان حكمه انه يجب التصدق به على المساكين كما سبق فلك ان تاخذه وتتولى التفرقة ولا تعصي
باخذه ولكن من العلماء من امتنع عنه فعند هذا يتصدى نظر في الاولى فنقول الاولى ان
تاخذه ان امنت ثلاث غوائل الغائلة الاولى ان يظن السلطان بسبب اخذك ان ماله
طيب ولولاه لكنت لا تمد اليد اليه ولا تدخله في ضمانك فان كان كذلك فلا تاخذه فان ذلك

محذور ولا يبقى الحرج في مباشرتك التفرقة بما يحصل لك من الجراة على كسب الحرام. الفايدة الثانية ان ينظر
اليك غيرك من العلماء والجهال فيقتدون بك في الاخذ ويستدلون به على جوازه ثم لا يفرقون فهذا
اعظم من الاول فان جماعة يستدلون باخذ الشافعي رحمه الله على جواز الاخذ ويغفلون عن تفرقته
واخذه على نية التفرقة فالمقتدي والمتشبه به ينبغي ان يحترز منه غاية الاحتراز فانه يكون فعله
سبب ضلال الخلق كثير. وقد حكى وهب بن منبه ان رجلا اتي به الى ملك بمشهد من الناس ليكرهه
على اكل لحم الخنزير فلم ياكل فقدم اليه لحم غنم واكره بالسيف فلم ياكل وقال ان الناس قد اعتقدوا باني
طولبت باكل لحم الخنزير فاذا خرجت سالما وقد اكلت فلا يعلمون ماذا اكلت. ودخل وهب
بن منبه وطاوس على محمد بن يوسف اخي الحجاج وكان غداة وكان في غداة باردة فقال لغلامه هلم ذلك
الطيلسان والقه على ابي عبد الرحمن اي طاوس وكان قد قعد على الكرسي فالقى عليه فلم يزل يحرك كتفيه
حتى القى الطيلسان عنه وغضب محمد بن يوسف فقال وهب كنت غنيا عن ان تغضبه لو
اخذت الطيلسان وتصدقت به قال نعم لولا ان يقول من بعدي اخذه طاوس ثم لا يصنع
به ما اصنع به اذن لفعلت. الفايدة الثالثة ان يتحرك قلبك الى حبه لتخصيصه اياك
وايثاره لك بما انفذه اليك فان كان كذلك فلا تقبل فان ذلك هو السم القاتل والداء الدفين
اعني ما يحبب الظلمة اليك فان ما احببته لا بد وان تحرص عليه وتداهن فيه قالت عايشة رضي الله عنها
جبلت القلوب على حب من احسن اليها وقال عليه السلام اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه
قلبي بين عليه السلام ان القلب لا يكاد يمتنع من ذلك وروي ان بعض الامراء ارسل الى مالك بن دينار
بعشرة الاف فاخرجها كلها فاتاه محمد بن واسع وقال ما صنعت بما اعطاك هذا المخلوق فقال
سل اصحابي فقالوا اخرجه كله فقال انشدك الله اقلبك اشد حبا له الان ام قبل ان ارسل
اليك فقال لا بل الان فقال انما كنت اخاف هذا وقد صدق فانه اذا احبه احب بقاءه وكره
عزله ونكبته وموته واحب اتساع ولايته وكثرة ماله وكل ذلك حب لاسباب الظلم وهو مذموم ٥
قال سلمان وابن مسعود من رضي بامر وان غاب عنه كان كمن شهده وقال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين
ظلموا فتمسكم النار قيل لا ترضوا باعمالهم فان كان في القوة بحيث لا يزداد حبا بذلك فلا باس
بالاخذ. وقد حكي عن بعض عباد البصرة انه كان ياخذ اموالا ويفرقها فقيل له الا تخاف ان تحبهم فقال
لو اخذ رجل بيدي فادخلني الجنة ثم عصى ربه ما احبه قلبي لان الذي سخره للاخذ بيدي هو الذي
ابغضه لاجله شكرا له على تسخيره اياه وبهذا يتبين ان اخذ المال الان منهم وان كان ذلك المال بعينه
من وجه حلالا محذور مذموم لانه لا ينفك عن هذه الغايلة مسيلة ان قال قايل اذا جاز
اخذ ماله وتفرقته فهل يجوز ان يسرق ماله ويخفي وديعته وينكر ويفرق على الناس فنقول ذلك غير
جايز لانه ربما يكون له مالك معين وهو على عزم ان يرده عليه وليس هذا كما بعثه اليك فان العاقل
لا يظن به ان يتصدق بما يعلم مالكه فيدل تسليمه على انه لا يعرف مالكه فان كان ممن يشكل عليه مثله فلا يجوز
ان يقبل منه المال ما لم يعرف ذلك ثم كيف يسرق ويحتمل ان يكون ملكه قد حصل له بشرى في ذمته فان
اليد دلالة على الملك فهذا لا سبيل اليه بل لو وجدت لقطة وظهر ان صاحبها جندي احتمل ان

يكون له بشرى في الذمة او غيره وجب الرد عليه فاذن لا يجوز سرقة مالهم لا منهم ولا ممن اودع عنده ولا
يجوز انكار وديعتهم ويجب الحد على سارق مالهم الا اذا ادعى السارق انه ليس ملكا لهم فعند ذلك يسقط الحد
بالدعوى مسيلة المعاملة معهم حرام لان اكثر مالهم حرام فما يوخذ عوضا فهو حرام فان ادى الثمن
من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما يسلم اليهم فان علم انهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم انهم
يلبسونه فذلك حرام كبيع العنب من الخمار وانما الخلاف في الصحة وان امكن ذلك وامكن ان
يلبسها نساوهم فهو شبهة مكروهة هذا فيما يعصى في عينه من الاموال وفي معناه بيع الفرس منهم لا سيما
وقت ركوبهم الى قتال المسلمين او جباية اموالهم فان ذلك اعانة قريبة وهي محظورة فاما بيع الدراهم و
الدنانير منهم وما يجري مجراه مما لا يعصى في عينه بل يتوصل به فهو مكروه لما فيه من اعانتهم على الظلم لانهم يستعينون
على ظلمهم بالاموال والدواب وساير الاسباب وهذه الكراهة جارية في الاهداء اليهم وفي العمل لهم من
غير اجرة حتى في تعليمهم وتعليم اولادهم الكتابة والترسل والحساب واما تعليم القران فلا يكره الا من
حيث اخذ الاجرة فان ذلك حرام الا من وجه يعلم حله ولو انتصب وكيلا لهم يشتري لهم في السوق من غير
جعل واجرة فهو مكروه من حيث الاعانة وان اشترى لهم ما يعلم انهم يقصدون به المعصية كالغلام و
الديباج للبس والفرس للركوب الى الظلم والقتل فذلك حرام فمهما ظهر قصد المعصية بالمبتاع حصل التحريم
ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلالتها عليها حصلت الكراهة مسيلة الاسواق التي بنوها
بالمال الحرام تحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فان سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي لم يحرم كسبه
وكان عاصيا بسكناه وللناس ان يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا اخرى فالاولى الشراء منها فان
ذلك اعانة لسكانهم وتكثير لكرا حوانيتهم وكذلك معاملة السوق التي لا خراج لهم عليها احب من معاملة
سوق لهم عليها خراج وقد بالغ قوم حتى لم يجوزوا معاملة الفلاحين واصحاب الاراضي التي عليها
خراج لانهم ربما يصرفون ما ياخذون الى الخراج فيحصل به الاعانة وهذا غلو في الدين وحرج على المسلمين
فان الخراج قد عم الاراضي ولا غنى بالناس عن ارتفاع الارض فلا معنى للمنع منه ولو جاز هذا لحرم على المالك
زراعة الارض حتى لا يطلب خراجها وذلك مما يطول ويتداعى الى حسم باب المعايش مسيلة
معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم كمعاملتهم بل اشد اما القضاة فلانهم ياخذون من اموالهم الحرام
الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزيهم فانهم على زي العلماء ويختلطون بهم وياخذون من اموالهم
والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بذوي الجاه والحشمة فهو سبب انقياد الخلق اليهم واما
الخدم والحشم فاكثر اموالهم من الغصب الصريح ولا يقع في ايديهم مال مصلحة وجزية وميراث ووجه حلال
حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال بالحرام قال طاوس رحمه الله لا اشهد عندهم وان تحققت لاني
اخاف تعديهم على من شهدت عليه وبالجملة انما فسدت الرعية بفساد الملوك وفسد الملوك بفساد العلماء
فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفا من انكارهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تزال
هذه الامة تحت يد الله وكنفه ما لم تمل قراؤها الى امرائها وانما ذكر القراء لانهم كانوا هم العلماء وانما كان
علمهم بالقران ومعانيه المفهومة بالسنة وما وراء ذلك من العلوم محدثة بعدهم وقد قال سفين لا تخالط
السلطان ولا من يخالطهم وقال صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرطاس وصاحب الليطة

بعضهم شركاء ببعض وقد صدق فان النبي صلى الله عليه وسلم لعن في الخمر عشرة حتى العاصر والمعتصر وقال
ابن مسعود آكل الربوا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقال
ابن سيرين لا تحمل للسلطان كتابا حتى تعلم ما فيه وامتنع سفين من مناولة الخليفة في زمانه دواة بين يديه
وقال حتى اعلم ما يكتب به فكل من حوالهم من خدمهم ظلمة مثلهم يجب بغضهم في الله جميعا وروي عن عثمان بن
زايدة انه سأله واحد من الجنود وقال اين الطريق فسكت واظهر انه به صمما وخاف ان يكون متوجها الى
ظلم فيكون هو بارشاده الى الطريق معينا وهذه المبالغة لم تنقل من السلف مع الفساق من التجار والحاكة
والحجامين واهل الحمامات والصاغة والصباغين فارباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم بل مع
الكفار من اهل الذمة وانما هذا في الظلمة خاصة الآكلين لاموال اليتامى والمساكين والمواظبين على ايذاء
المسلمين الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعايرها وهذا لان المعصية منقسمة الى لازمة ومتعدية
فالفسق لازم لا يتعدى وكذا الكفر وهو جناية على حق الله وحسابه على الله واما معصية الولاة بالظلم وهو
متعد فانما تغلظ امرهم لذلك وبقدر عموم الظلم وعموم التعدي يزدادون من الله مقتا فيجب ان تزداد
منهم اجتنابا ومن معاملتهم احترازا فقد قال صلى الله عليه وسلم يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار
وقال عليه السلم من اشراط الساعة رجال معهم سياط كاذناب البقر فهذا حكمهم ومن عرف بذلك
فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القبا وطول الشوارب وساير الهيآت المشهورة فمن رئي على تلك الهيئة
يجب اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لانه الذي جنى على نفسه وتزيا بزيهم ومساواة الزي تدل على
مساواة القلب فلا يتجانن الا مجنون ولا يتشبه بالفساق الا فاسق نعم الفاسق قد يلبس فيتشبه
باهل الصلاح فاما الصالح فليس له ان يتشبه باهل الفساد لان ذلك تكثير لسوادهم وانما نزل قوله تع ان
الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم في قوم من المسلمين كانوا يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة وقد روي ان الله تع اوحى
الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين الفا من شرارهم فقال ما بال الاخيار فقال
انهم لم يغضبوا لغضبي فكانوا يواكلونهم ويشاربونهم وبهذا يتبين ان بغض الظلمة والغضب لله عليهم واجب
وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تع لعن علماء بني اسرايل اذ خالطوا الظالمين في معاشهم
مسئلة المواضع التي بناها الظلمة كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغي ان
يحتاط فيها وينظر اما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز ما امكن وان وجد عنه معدلا
تاكد الورع وانما جوزنا العبور وان وجد معدلا لانه اذا لم يعرف لتلك الاعيان مالكا كان حكمها ان
ترصد للخيرات وهذا خير فاما اذا عرف ان الآجر والحجر قد نقل من دار معلومة او مقبرة او مسجد
معين فهذا لا يجوز العبور عليه اصلا الا لضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير ثم يجب عليه الاستحلال
من المالك الذي يعرفه واما المسجد فان بني من ارض مغصوبة او خشب مغصوب من مسجد آخر
او ملك معين فلا يجوز دخوله اصلا ولا للجمعة بل لو وقف الامام فيه فليصل هو خلف الامام وليقف خارج
المسجد فان الصلوة في الارض المغصوبة تسقط الفرض وتنعقد في حق الاقتداء وان عصى صاحبها بالوقوف
في الغصب وان كان من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول الى مسجد آخر ان وجد فان لم يجد غيره فلا
يترك الجمعة والجماعة به لانه يحتمل ان يكون من ملك الذي بناه ولو على بعد وان لا يكون له مالك معين فهو

لمصالح المسلمين ومهما كان في المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن يصلي فيه مع اتساع المسجد
اعني في الورع قيل لاحمد بن حنبل رحمه الله ما حجتك في ترك الخروج الى الصلوة ونحن بالعسكر فقال
حجتي الحسن وابرهيم التيمي خافوا ان يفتنهم الحجاج وانا اخاف ان افتن ايضا اما الحلوف
والتجصيص فلا يمنع من الدخول فانه غير منتفع بها في الصلوة انما هي زينة والاولى ان لا ينظر اليها واما
البواري التي فرشوها فان كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها والا فبعد ان ارصدت لمصلحة
عامة يجوز افتراشها ولكن الورع العدول عنها فانه محل شبهة واما السقاية فحكمها ما ذكرنا
وليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول فيها الا اذا كان يخشى فوات الصلوة فيتوضأ
وكذا مصانع طريق مكة واما الرباطات والمدارس فان كانت رقبة الارض مغصوبة و
الآجر منقولا من موضع معين يمكن الرد الى مستحقه فلا رخصة للدخول فيه وان التبس المالك فقد
ارصد بجهة من الخير فالورع اجتنابه ولكن لا يلزم الفسق بدخوله وهذه الابنية ان صدرت
من حرمة السلطان فالامر فيها اشد اذ ليس لهم صرف الاموال الضايعة الى المصالح ولان الحرام
اغلب على اموالهم اذ ليس لهم اخذ مال المصالح وانما يجوز ذلك للولاة وارباب الامر مسئلة
الارض المغصوبة اذا حصلت شارعا لم يجز ان تتخطى البتة وان لم يكن لها مالك معين جاز والورع
العدول ان امكن فان كان الشارع مباحا وفوقه ساباط جاز العبور ويجوز الجلوس تحت الساباط
على وجه لا يحتاج فيه الى السقف كما يقف في الشارع لشغل فان انتفع بالسقف في دفع حر الشمس او
اذى المطر وغيره فهو حرام لان السقف لا يراد الا لذلك وهذا حكم من يدخل مسجدا او ارضا مباحة
سقف ذلك وحوط بغصب فانه بمجرد التخطي لا يكون منتفعا بالحيطان والسقف لحر او برد او تستر
عن بصر او غيره فذلك حرام لانه انتفاع بالحرام اذ لم يحرم الجلوس على الغصب لما فيه من المماسة بل للانتفاع
والارض تراد للاستقرار والسقف للاستظلال فلا تفرقة بينهما الباب السابع
في مسايل متفرقة يكثر مسيس الحاجة اليها وقد سئل عنها في الفتوى مسئلة
سئل عن خادم الصوفية يخرج الى السوق يجمع طعاما او نقدا ويشترى به طعاما فما الذي يحل
له ان ياكل منه وهل يختص بالصوفية ام لا فقلت اما الصوفية فلا شبهة في حقهم اذا اكلوه
واما غيرهم فيحل لهم اذا اكلوه برضى الخادم ولكن لا يخلو عن شبهة اما الحل فلانه يعطى خادم
الصوفية انما يعطى بسبب الصوفية ولكن هو المعطى لا الصوفية فهو كالرجل المعيل يعطى بسبب
عياله لانه متكفل بهم وما ياخذه يقع ملكا له لا للعيال وله ان يطعم غير العيال اذ يبعد انتقال الملك
يخرج عن ملك المعطي ولا يتسلط الخادم على الشراء به والتصرف فيه لان ذلك يصير الى ان المعاطاة
لا تكفي وهو ضعيف ثم لا صاير اليه في الصدقات والهدايا ويبعد ان يقال زال الملك الى الصوفية
الحاضرين الذين هم وقت سؤاله في الخانقاه اذ لا خلاف ان له ان يطعم منه من يقدم بعدهم ولو ماتوا
كلهم او واحد منهم لا يجب صرف نصيبه الى وارثه ولا يمكن ان يقال انه وقع لجهة التصوف ولا يتعين
له مستحق لان ازالة الملك لا لجهة لا توجب تسليط الآحاد على التصرف فان الداخلين فيه لا ينحصر
بل يدخل فيه من يولد الى القيمة فانما يتصرف فيه الولاة والخادم لا يجوز ان ينتصب نايبا عن الجهة

فلا وجه الا ان يقال هو ملكه وانما يطعم الصوفية بوفاء شرط التصوف والمرقعة فان منعهم
عنه ممنوع ان يظهر نفسه في معرض التكفل بهم حتى ينقطع دفعه كما ينقطع عنهم مات عياله مسئلة
سئل عن المال الموصى به للصوفية فمن الذي يجوز ان يصرف اليه فقلت التصوف امر باطن لا يطلع
عليه فلا يمكن ربط الحكم بحقيقته بل بامور ظاهرة يعول عليها اهل العرف في اطلاق اسم الصوفي و
الضابط الكلي ان كل من هو بصفة اذا نزل في خانقاه الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكرا
عندهم فهو داخل في غمارهم والتفصيل ان يلاحظ خمس صفات الصلاح والفقر وزي الصوفية وان
لا يكون مشتغلا بحرفة وان يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة في الخانقاهات ثم بعض هذه الصفات مما
يوجب زوالها زوال الاسم وبعضها ينجبر بالبعض فالفسق يمنع هذا الاستحقاق لان الصوفي بالجملة عبارة عن
رجل من اهل الصلاح بصفة مخصوصة فالذي يظهر فسقه وان كان على زيهم لا يستحق ما اوصي للصوفية و
لسنا نعتبر فيه الصغائر واما الحرفة والاشتغال بالكسب فيمنع هذا الاستحقاق فالدهقان و
العامل والتاجر والصانع في حانوته او داره والاجير الذي يخدم باجرة كل هؤلاء لا يستحقون ولا ينجبر
هذا بالزي والمخالطة فاما الوراقة والخياطة وما يقرب منهما مما يليق بالصوفية تعاطيها فاذا تعاطاها
لا في حانوت ولا على جهة الاكتساب وحرفة فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجبر بمساكنته اياهم مع
بقية الصفات واما القدرة على الحرف من غير مباشرة لا تمنع واما الوعظ والتدريس فلا
ينافي اسم التصوف اذا وجدت بقية الخصال من الزي والمساكنة والفقر اذ لا يتناقض ان يقال
صوفي مقرئ وصوفي واعظ وصوفي عالم ومدرس ويتناقض ان يقال صوفي دهقان وصوفي تاجر وصوفي
عامل واما الفقر فان زال بغنى مفرط ينسب الرجل به الى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه اخذ وصية
الصوفية وان كان له مال ولا يفي خرجه بدخله لم يبطل حقه وكذا اذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكوة
وان لم يكن له خرج وهذه امور لا دليل لها الا العادات واما المخالطة معهم ومساكنتهم
فله اثر ولكن من لا يخالطهم وهو في داره او في مسجد على زيهم ومتخلق باخلاقهم فهو شريك في سهمهم وكان
ترك المخالطة يجبره ملازمة الزي فان لم يكن على زيهم ووجد فيه بقية الصفات فلا يستحق الا اذا
كان مساكنا لهم في الرباط فلا ينسحب عليه حكمهم بالتبعية فالمخالطة والزي ينوب كل واحد منهما
عن الاخر والفقيه الذي ليس على زيهم هذا حكمه فان كان خارجا لم يعد صوفيا وان كان ساكنا
معهم ووجدت بقية الصفات لم يبعد ان ينسحب بالتبعية عليه حكمهم واما لبس المرقع من يد
شيخ من مشايخ فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعدمه لا يضر مع وجود الشرائط المذكورة و
اما المتاهل المتردد بين الرباط والمسكن لا يخرج من جملتهم مسئلة ما وقف على رباط
الصوفية وسكانه فالامر فيه اوسع مما اوصي به للصوفية لان معنى الوقف الصرف الى مصالحهم فلغير
الصوفي ان ياكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة او مرتين فان امر الاطعمة مبناه على التسامح حتى جاز
الانفراد به في الغنائم المشتركة وللقوال ان ياكل معهم في دعوتهم من ذلك الوقف وكان ذلك من مصالح
معايشهم وما اوصي به للصوفية لا يجوز ان يصرف الى قوال الصوفية بخلاف الوقف وكذلك من
احضروه من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض في استمالة قلبه يحل لهم الاكل برضاهم

فان

فان الواقف لا يقف الا معتقدا فيه ما جرت به عادات الصوفية فينزل على العرف ولكن ليس
هذا على الدوام فلا يجوز لمن ليس صوفيا ان يسكن معهم على الدوام وياكل وان رضوا به اذ ليس لهم
تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم واما الفقيه اذا كان على زيهم واخلاقهم فله النزول عليهم
وكونه فقيها لا ينافي كونه صوفيا والجهل ليس بشرط في التصوف عند من يعرف التصوف ولا
يلتفت الى خرافات بعض الحمقى بان العلم حجاب فان الجهل هو الحجاب وقد ذكرنا تاويل هذه الكلمة
في كتاب العلم وان الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود وذكرنا المحمود والمذموم وشرحهما واما الفقيه
اذا لم يكن على زيهم واخلاقهم فلهم منعه من النزول عليهم وان رضوا بنزوله فيحل الاكل معهم بطريق
التبعية وكان عدم الزي تجبره المساكنة ولكن برضا اهل الزي وهذه امور تشهد لها العادات
وفيها امور متقابلة لا تخفى اطرافها في النفي والاثبات وتتشابه اوساطها فمن احترز في موضع
الاشتباه فقد استبرأ لدينه كما نبهنا عليه في باب الشبهات مسئلة سئل عن الفرق
بين الرشوة والهدية مع ان كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض وقد حرم احدهما
دون الاخر فقلت باذل المال لا يبذله قط الا لغرض ولكن الغرض اما اجل كالثواب واما
عاجل والعاجل اما مال واما فعل واعانة على مقصود معين واما تقرب الى قلب المهدى
اليه بطلب محبته اما للمحبة في عينها واما التوصل بالمحبة الى غرض وراءها فالاقسام الحاصلة
من هذا خمسة الاول ما غرضه الثواب في الاخرة وذلك اما ان يكون لكون المصروف اليه محتاجا
او عالما او نسيبا بنسب ديني او صالحا في نفسه متدينا فما علم الاخذ انه يعطى لحاجته لا يحل
له اخذه ان لم يكن محتاجا وما علم انه يعطى لشرف نسبه فلا يحل له ان علم انه كاذب في دعوى النسب
وما يعطى لعلمه فلا يحل ان ياخذه الا ان يكون في العلم كما يعتقده المعطي فان كان خيل اليه كمالا
في العلم حتى يبعثه بذلك على التقرب ولم يكن كاملا لم يحل له وما يعطى لدينه وصلاحه لا يحل له ان
ياخذه ان كان فاسقا في الباطن فسقا لو علمه المعطي لما اعطاه وقلما يكون الصالح بحيث لو
انكشف لبقيت القلوب مائلة اليه وانما ستر الله الجميل هو الذي يحبب الخلق الى الخلق والمتورعون
وكلوا في الشراء من لا يعرف انه وكيلهم حتى لا يتسامحوا في البيع خيفة من ان يكون ذلك اكلا بالدين
فان ذلك مخطر والتقوى خفي لا كالعلم والنسب والفقر فينبغي ان يجتنب الاخذ بالدين ما امكن
القسم الثاني ما يقصد به في العاجل غرض معين كالفقير يهدي الى الغني طمعا في خلعته فهذه
هبة بشرط ثواب ولا يخفى حكمها وانما تحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود شرط العقود
الثالث ان يكون المراد اعانة بفعل معين كالمحتاج الى السلطان يهدي الى وكيل السلطان و
خاصته ومن له مكانة عنده فهذه هبة بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال فينظر في ذلك العمل الذي هو
الثواب فان كان حراما كالسعي في تنجيز ادرار حرام او ظلم انسان او غيره حرم الاخذ وان كان
واجبا كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه او شهادة متعينة فيحرم ما ياخذه وهي الرشوة التي لا يشك
في تحريمها وان كان مباحا لا واجبا ولا حراما وكان فيه تعب بحيث لو عرف لجاز الاستئجار عليه
فما ياخذه حلال مهما وفى بالغرض وهو جار مجرى الجعالة كقوله اوصل هذه القصة الى يد السلطان

ولك دينار وكان بحيث يحتاج الى تعب وعمل متقوم او قال اقترح على فلان ان يعينني في غرض
كذا او ينعم علي بكذا او افتقر في تنجيز غرضه الى كلام طويل فذلك جعل كما ياخذه الوكيل في الخصومة
بين يدي القاضي فليس بحرام اذا كان لا يسعى في حرام وان كان مقصوده يحصل بكلمة لا تعب فيها و
لكن تلك الكلمة من ذي الجاه او تلك الفعلة من ذي الجاه تفيد كقوله للبواب لا تغلق دونه باب السلطان
او كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط فهذا حرام لانه عوض عن الجاه ولم يثبت في الشرع جواز ذلك
بل ثبت ما يدل على النهي عنه كما سيأتي في هدايا الملوك واذا كان لا يجوز العوض عن اسقاط الشفعة
والرد بالعيب ودخول الاغصان في هواء الملك وجملة من الاغراض مع كونها مقصودة فكيف
يؤخذ عن الجاه ويقرب من هذا اخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته
كواحد ينفرد بالعلم بنبت يقلع البواسير او غيره فلا يذكره الا بعوض فان عمله في التلفظ به غير متقوم
كحبة من سمسم فلا يجوز العوض عليه ولا على علمه اذ ليس ينتقل علمه الى غيره وانما يحصل لغيره مثل علمه
ويبقى هو عالما به ودون هذا الحاذق في الصناعة كالصيقل مثلا الذي يزيل اعوجاج السيف
او المرآة بدقة واحدة لحسن معرفته بموقع الخلل ولحذقه باصابته فقد يزيد بدقة واحدة مال كثير
في قيمة السيف والمرآة فهذا لا ارى باسا باخذ الاجرة عليه لان مثل هذه الصناعات يتعب
الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل **الرابع** ما يقصد به المحبة وجلبها من
قلب المهدى اليه لا لغرض معين ولكن طلبا للاستيناس وتاكيدا للصحبة وتوددا الى القلوب فذلك
مقصود للعقلاء ومندوب اليه في الشرع قال صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا وعلى الجملة فلا
يقصد الانسان في الغالب ايضا محبة غيره لعين المحبة بل لفائدة في محبته ولكن اذا لم تتعين تلك
الفائدة ولم يتمثل في نفسه غرض معين يبعثه في الحال او المآل سمي ذلك هدية وحل اخذها **الخامس**
ان يطلب التقرب الى قلبه وتحصيل محبته لا لمحبته ولا للانس به من حيث انه انس فقط بل ليتوصل
بجاهه الى اغراض له ينحصر جنسها وان لم ينحصر عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لا يهدي
اليه فان كان جاهه لاجل علم او نسب فالامر فيه اخف واخذه مكروه فان فيه مشابهة الرشوة
ولكنها هدية في ظاهرها وان كان جاهه بولاية تولاها من قضاء او عمل او ولاية صدقة او جباية
مال او غيره من الاعمال السلطانية حتى ولاية الاوقاف مثلا وكان لولا تلك الولاية لكان لا يهدى
اليه فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية اذ القصد بها في الحال طلب التقرب واكتساب المحبة
ولكن لامر ينحصر جنسه اذ ما يمكن التوصل اليه بالولاة لا يخفى وآية انه لا يبغي المحبة انه لو ولي في الحال
غيره لسلم المال الى غيره فهذا اتفقوا على ان الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حراما و
المعنى فيه متعارض فانه دائر بين الهدية المحضة وبين الرشوة المبذولة في مقابلة جاه محض في
غرض معين واذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الاخبار والآثار احدهما
تعين الميل اليه وقد دلت الاخبار على تشديد الامر فيها قال صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس
زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البريء ليوعظ به العامة وسئل
ابن مسعود عن السحت فقال يقضي الرجل الحاجة فيهدى له الهدية ولعله اراد قضاء الحاجة

بكلمة لا تعب فيها او تبرع بها لا على قصد اجرة فلا يجوز ان ياخذ بعده شيئا في معرض العوض
وشفع مسروق شفاعة فاهدى له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت
في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وسئل طاوس عن هدايا السلطان فقال سحت واخذ
عمر رضي الله عنه ربح مال القراض الذي اخذه ولداه من مال بيت المال وقال انما اعطيتما لمكانكما
مني وعلم انهما اعطيا لاجل جاه الولاية واهدت امراة ابي عبيدة بن الجراح الى خاتون
ملكة الروم خلوقا فكافاتها بجوهر فاخذه عمر فباعه واعطاها ثمن خلوقها ورد باقيه في
بيت مال المسلمين وقال جابر وابو هريرة هدايا الملوك غلول ولما رد عمر بن عبد العزيز
الهدية قيل له قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية فقال كان ذلك له هدية وهو لنا رشوة
اي كان يتقرب اليه لنبوته لا لولايته ونحن انما نعطى للولاية واعظم من ذلك كله ما روى
ابو حميد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث واليا الى صدقات الازد فلما جاء الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم امسك بعض ما معه وقال هذا لكم وهذا لي هدية فقال عليه السلام الا جلست
في بيت ابيك وبيت امك حتى تاتيك هديتك ان كنت صادقا ثم قال ما لي استعمل منكم الرجل
فيقول هذا لكم وهذه هدية لي الا جلس في بيت امه ليهدى له والذي نفسي بيده لا ياخذ منكم احد
شيئا بغير حقه الا اتى الله يحمله فلا ياتين احدكم يوم القيامة ببعير له رغاء او بقرة لها خوار او شاة
تيعر ثم رفع يديه حتى رايت بياض ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت واذا ثبتت هذه
التشديدات فالقاضي والوالي ينبغي ان يقدر نفسه في بيت امه وابيه فما كان يعطى بعد العزل
وهو في بيت امه يجوز له ان ياخذه في ولايته وما يعلم انه يعطى لولايته فحرام اخذه وما اشكل عليه
في اصدقائه انهم هل كانوا يعطونه ذلك لو كان معزولا فهو شبهة فليجتنبه والله اعلم تم كتاب
الحلال والحرام والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله

كتاب آداب الصحبة والاخوة والمعاشرة مع الخلق
وهو الكتاب الخامس من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولا وامتنانا والف بين قلوبهم فاصبحوا
بنعمة الله اخوانا ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا اصدقاء واخوانا وفي الآخرة رفقاء
وخلانا والصلوة على محمد المصطفى وعلى آله واصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولا وفعلا و
عدلا واحسانا **اما بعد** فان التحابب في الله تعالى والاخوة في دينه من افضل القربات والطف
ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين
في الله تعالى وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الاخوة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان
فبالقيام بحقوقها يتقرب الى الله زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى ونحن نبين مقاصد
هذا الكتاب في ثلاثة ابواب الباب الاول في فضيلة الالفة والاخوة في الله وفي شروطها
ودرجاتها وفوائدها الباب الثاني في حقوق الصحبة وآدابها ولوازمها الباب الثالث

في حقوق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الاسباب ٥

الباب الاول في فضيلة الالفة والاخوة في الله وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها

فضيلة الالفة والاخوة اعلم ان الالفة ثمرة حسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق
وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ومهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن
الخلق لا تخفى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه صلى الله عليه وسلم اذ قال وانك لعلى
خلق عظيم وقال النبي صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق وقال اسامة
بن شريك قلنا يا رسول الله ما خير ما اعطي الانسان فقال خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن آلف مألوف وقال صلى الله عليه و
سلم اثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن وقال عليه السلم ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه
النار وقال عليه السلم يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق قال ابو هريرة وما حسن الخلق يا رسول
الله قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك ولا يخفى ان ثمرة الخلق الحسن
الالفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة كيف وقد ورد في الثناء على نفس
الالفة سيما اذا كانت الرابطة هي الدين والتقوى وحب الله من الآيات والاخبار والآثار ما فيه
كفاية ومقنع قال الله سبحانه وتعالى مظهرا عظيم منته على الخلق بنعمة الالفة لو انفقت ما في الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال تع فاصبحتم بنعمته اخوانا اي بالالفة ثم ذم
الفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الى قوله لعلكم تهتدون
وقال صلى الله عليه وسلم اقربكم مني مجلسا احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون
وقال عليه السلم المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وقال عليه السلم في الثناء على
الاخوة في الدين من اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وقال صلى
الله عليه وسلم مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احديهما الاخرى وما التقى مؤمنان قط
الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا وقال عليه السلم في الترغيب في الاخوة في الله من آخا اخا
في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله وقال ابو ادريس الخولاني لمعاذ اني
احبك في الله فقال له ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطائفة من الناس
كراسي حول العرش يوم القيمة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف
الناس وهم لا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله
فقال هم المتحابون في الله ورواه ابو هريرة وقال فيه ان حول العرش منابر من نور عليها قوم
لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله
حلهم لنا فقال هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله وقال عليه السلم
ما تحاب اثنان في الله الا كان احبهما الى الله اشدهما حبا لصاحبه ويقال ان الاخوين في
الله اذا كان احدهما اعلى مقاما من الآخر رفع الآخر معه الى مقامه وانه يلتحق به كما تلتحق الذرية
بالابوين والاهل بعضهم ببعض لان الاخوة اذا اكتسبت في الله لم تكن دون اخوة الولادة وقد قال

تعالى

تعالى الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم من شيء وقال عليه السلم ان الله عز وجل يقول حقت محبتي
للذين يتزاورون من اجلي وحقت محبتي للذين يتحابون من اجلي وحقت محبتي للذين يتباذلون من
اجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من اجلي وقال عليه السلم ان الله عز وجل يقول يوم القيمة اين
المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي وقال عليه السلم سبعة يظلهم الله يوم لا ظل
الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه متعلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه
ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته
امرأة ذات حسب وجمال فقال اني اخاف الله تع ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق
يمينه وقال صلى الله عليه وسلم ما زار رجل رجلا في الله شوقا اليه ورغبة في لقائه الا ناداه ملك من
خلفه طبت وطابت لك الجنة وقال عليه السلم ان رجلا زار اخا له في الله فارصد الله له ملكا فقال
اين تريد قال اريد ان ازور اخي فلانا قال لحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال
فبنعمة له عندك قال لا قال فبم قال احبه في الله قال فان الله تع ارسلني اليك يخبرك بانه يحبك
لحبك اياه وقد اوجب لك الجنة وقال عليه السلم اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله فلهذا
يجب ان يكون للرجل اعداء يبغضهم في الله كما يكون له اصدقاء واخوان يحبهم في الله ويروى ان الله عز وجل
اوحى الى نبي من الانبياء اما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة واما انقطاعك الي فقد تعززت
بي وهل عاديت في عدوا او هل واليت في وليا وقال عليه السلم اللهم لا تجعل لفاجر علي منة فترزقه لكن
مني محبة ويروى ان الله عز وجل اوحى الى عيسى عليه السلم لو انك عبدتني بعبادة اهل السموات والارض
وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما اغنى عنك ذلك شيئا وقال عيسى عليه السلم تحببوا الى الله ببغض
اهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا يا روح الله فمن نجالس قال
جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد في علمكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله وروي في الاخبار
السالفة ان الله تع اوحى الى موسى عليه السلم يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخدانا وكل خدين
وصاحب لا يؤازرك على مسرتي فهو لك عدو واوحى الله تع الى داود عليه السلم فقال يا داود ما لي اراك
منتبذا وحدانا قال الهي قليت الخلق من اجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك اخدانا
وكل خدين لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فانه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وفي اخبار داود
عليه السلم قال يا رب كيف لي ان يحبني الناس كلهم واسلم فيما بيني وبينك قال خالق الناس باخلاقهم
واحسن فيما بيني وبينك وفي بعضها خالق اهل الدنيا باخلاق اهل الدنيا وخالق اهل الآخرة باخلاق
اهل الآخرة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان احبكم الى الله الذين يألفون ويؤلفون وان ابغضكم الى
الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان وقال صلى الله عليه وسلم ان لله تع ملكا نصفه من
النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما الفت بين الثلج والنار كذلك الف بين قلوب الصالحين
وقال ايضا ما احدث عبد اخا في الله الا احدث الله له درجة في الجنة وقال عليه السلم
المتحابون في الله تع على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون الف غرفة يشرفون على اهل الجنة
يضيء حسنهم لاهل الجنة كما تضيء الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله

الآثار قال على كرم الله وجهه عليكم بالاخوان فانهم عدة فى الدنيا والآخرة الا تسمع الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال عبد الله بن عمر والله لو صمت النهار لا افطر وقمت الليل لا انام وانفقت مالى علقا فى سبيل الله اموت يوم اموت وليس فى قلبى حب لاهل طاعة الله وبغض لاهل معصية الله ما نفعنى ذلك شيئا وقال ابن السماك عند موته اللهم انك تعلم انى اذ كنت اعصيك كنت احب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لى اليك وقال الحسن على ضده يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق الابرار الا باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم وهذه اشارة الى ان مجرد ذلك من غير موافقة فى بعض الاعمال او كلها لا ينفع وقال الفضيل فى بعض كلامه هاه تريد ان تسكن الفردوس وتجاور الرحمن فى داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين باى عمل عملته باى شهوة تركتها باى غيظ كظمته باى رحم قاطع وصلتها باى زلة لاخيك غفرتها باى قريب باعدته فى الله باى بعيد قاربته فى الله. ويروى ان الله عز وجل اوحى الى موسى عليه السلام هل عملت لى عملا قط فقال الهى صليت لك وصمت وتصدقت فقال ان الصلوة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والذكر نور فاى عمل عملت لى قال موسى عليه السلام الهى دلنى على عمل هو لك قال يا موسى هل واليت لى وليا قط هل عاديت لى عدوا قط فعلم موسى ان افضل الاعمال الحب فى الله والبغض فى الله وقال ابن مسعود رضى الله عنه لو ان رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله تعالى يوم القيمة مع من يحب وقال الحسن رحمه الله عليه مصارمة الفاسق قربان الى الله وقال رجل لمحمد بن واسع انى لاحبك فى الله فقال احبك الذى احببتنى لاجله ثم حول وجهه وقال اللهم انى اعوذ بك ان احب فيك وانت لى مبغض. ودخل رجل على داود الطائى فقال له ما حاجتك فقال زيارتك فقال اما انت فقد عملت خيرا حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بى انا اذا قيل لى من انت فتزار امن الزهاد انت لا والله امن العباد انت لا والله امن الصالحين انت لا والله ثم اقبل يوبخ على نفسه ويقول كنت فى الشبيبة فاسقا فلما شخت صرت مرائيا والله لمرائى اشر من الفاسق وقال عمر رضى الله عنه اذا اصاب احدكم ودا من اخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك وقال مجاهد المتحابون فى الله تعالى اذا التقوا فكشر بعضهم الى بعض تتحات عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر فى الشتاء اذا يبس وقال الفضيل نظر الرجل الى وجه اخيه على المودة والرحمة عبادة

بيان معنى الاخوة فى الله وتمييزها عن الاخوة فى الدنيا اعلم ان الحب فى الله والبغض فى الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما نذكره وهو ان الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار وبسبب الاجتماع فى المكتب او فى المدرسة او فى السوق او على باب السلطان او فى الاسفار والى ما ينشا اختيارا ويقصد وهو الذى نريد بيانه اذ الاخوة فى الدين واقعة فى هذا القسم لا محالة اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية فلا ترغيب الا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهذه الامور لا يقصد الانسان بها غيره الا اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا يقصد مخالطته والذى يحب فاما ان يحب لذاته لا ليتوصل به الى محبوب ومقصود وراءه واما ان يحب للتوصل به الى مقصود وذلك المقصود اما ان يكون مقصورا على الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا بالآخرة واما ان يكون متعلقا بالله تعالى فهذه اربعة

اقسام **اما القسم الاول** وهو حبك الانسان لذاته فذلك ممكن وهو ان يكون هو فى ذاته محبوبا عندك على معنى انك تتلذذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة اخلاقه لاستحسانك له فان كل جميل لذيذ فى حق من ادرك جماله وكل لذيذ محبوب واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة والملائمة والموافقة بين الطباع ثم ذلك المستحسن اما ان يكون هو الصورة الظاهرة اعنى حسن الخلقة واما ان يكون هو الصورة الباطنة اعنى كمال العقل وحسن الخلق ويتبع حسن الاخلاق حسن الافعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم وكل مستحسن فمستلذ به ومحبوب بل فى ائتلاف القلوب امر اغمض من هذا فانه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة فى صورة وحسن خلق وحسن خلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة والموافقة فان شبه الشئ ينجذب اليه بالطبع والاشباه الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها وعنه عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذى عبر عنه بالتعارف وفى بعض الالفاظ تلتقى فتتشام فى الهواء وقد كنى بعض العلماء عن هذا بان قال ان الله تعالى خلق الارواح ففلق بعضها فلقا واطافها حول العرش فاى روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا فى الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان ارواح المومنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما راى احدهما صاحبه قط وروى ان امراة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة رضى الله عنها فاضحكتها فقالت اين نزلت فذكرت لها فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة الحديث والحق فى هذا ان المشاهدة والتجربة تشهد بالائتلاف عند التناسب فى الطباع والاخلاق باطنا وظاهرا هذا امر مفهوم واما الاسباب التى اوجبت تلك المناسبة فليس فى قوة البشر الاطلاع عليها وغاية هذيان المنجم ان يقول اذا كان طالعه على تسديس طالع غيره او تثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة فيقتضى التناسب والتوادد واذا كان على مقابلته او تربيعه فيقتضى التباغض والعداوة وهذا لو صدق بكونه كذلك فى مجارى سنة الله تعالى فى خلق السموات والارض لكان الاشكال فيه اكثر من الاشكال فى اصل التناسب فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر فما اوتينا من العلم الا قليلا ويكفينا فى التصديق بذلك التجربة والمشاهدة وقد ورد الخبر به قال صلى الله عليه وسلم لو ان مومنا دخل الى مجلس وفيه مائة منافق ومومن واحد لجاء حتى يجلس اليه وهذا يدل على ان شبه الشئ منجذب اليه بالطبع وان كان هو لا يشعر به وكان مالك بن دينار يقول لا يتفق اثنان فى عشرة الا وفى احدهما وصف من الآخر وان اشكال الناس كاجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير فى الطيران الا وبينهما مناسبة قال فراى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك فقال اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذا هما اعرجان فقال من ههنا اتفقا وكذلك قال بعض الحكماء كل انسان يانس الى شكله كما ان كل طير يطير مع جنسه واذا اصطحب اثنان برهة من الزمان ولم يتشاكلا فى الحال فلا بد ان يفترقا وهذا معنى خفى تفطن له بعض

الشعراء حتى قال قايلهم ٭ وقايل كيف تفرقتما ٭ فقلت قولًا فيه انصاف ٭ لم يك من شكلي ففارقته
والناس اشكال والّاف ٭ فقد ظهر من هذا ان الانسان قد يحب لذاته لا لفايدة تنال
منه فى حال او مآل بل لمجرد المجانسة والمناسبة فى الطباع الباطنة والاخلاق الخفية ويدخل فى هذا
القسم الحب للجمال اذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فان الصورة الجميلة مستلذة فى عينها وان
قدر فقد اصل الشهوة حتى يستلذ النظر الى الفواكه والانوار والازهار والتفاح المشرب بالحمرة
والى الماء والخضرة من غير غرض سوى عينها وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل حب الطبع وشهوة
النفس ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله الا انه ان اتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا
ذم اذ الحب اما محمود واما مذموم واما مباح لا يحمد ولا يذم القسم الثاني ان يحبه لينال من ذاته
غير ذاته فيكون وسيلة الى محبوب غيره والوسيلة الى المحبوب محبوبة وما يحب لغيره كان ذلك الغير
هو المحبوب بالحقيقة ولكن الطريق الى المحبوب محبوب ولذلك احب الناس الذهب والفضة ولا
غرض فيهما اذ لا تطعم ولا تلبس ولكنهما وسيلتان الى المحبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة
من حيث انه وسيلة الى المقصود اذ يتوصل به الى نيل جاه او مال او علم كما يحب الرجل سلطانا لانتفاعه
بماله او جاهه ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم امره فى قلبه فالمتوسل اليه ان كان مقصور
الفايدة على الدنيا لم يكن من جملة الحب فى الله وان لم يكن مقصور الفايدة على الدنيا لم يكن من جملة الحب
فى الله وان لم يكن مقصور الفايدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به الا الدنيا كحب التلميذ لاستاذه فهو
ايضا خارج عن الحب لله فانه انما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم فاذا كان لا يقصد العلم للتقرب
الى الله بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فمحبوبه الجاه والقبول والعلم وسيلة اليه
والاستاذ وسيلة الى العلم فليس فى شىء من ذلك حب لله اذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله اصلا ثم
ينقسم هذا ايضا الى مذموم ومباح فان كان يقصد به التوصل الى مقاصد مذمومة من قهر الاقران
وحيازة اموال اليتامى وظلم الرعية بولاية القضاء او غيره كان الحب مذموما وان كان يقصد به
التوصل الى مباح فهو مباح وانما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوسل اليه فانها تابعة له
غير قايمة بنفسها القسم الثالث ان يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه فى الآخرة
فهذا ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لانه يتوسل به الى تحصيل العلم وتحسين
العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز فى الآخرة فهذا من جملة المحبين فى الله وكذلك من يحب تلميذه
لانه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به الى درجة التعظيم فى ملكوت السماء اذ قال
عيسى عليه السلم من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السماء ولا يتم التعليم الا بمتعلم فهو اذن آلة فى
تحصيل هذا الكمال فان احبه لانه آلة له اذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذى هو سبب ترقيه الى رتبة
العظمة فى ملكوت السماء فهو محب فى الله بل الذى يتصدق باموال لله ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الاطعمة
اللذيذة الغريبة تقربا الى الله فاحب طباخا لحسن صنعته فى الطبخ فهو فى جملة المحبين فى الله عز وجل وكذا
لو احب من يتولى له ايصال الصدقة الى المستحقين فقد احبه فى الله بل نزيد على هذا ونقول اذا
احب من يخدمه بنفسه فى غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ بيته ويفرغه بذلك للعلم او العمل ومقصوده من

استخدامه فى هذه الاعمال الفراغ للعبادة فهو محب فى الله بل نزيد عليه ونقول اذا احب من ينفق
عليه ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع اغراضه التى يقصدها فى دنياه ومقصوده من
جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب الى الله فهو محب فى الله فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة
من اولى الثروة وكان المواسى والمواسى جميعا من المتحابين فى الله بل نزيد على ذلك ونقول من نكح
امراة صالحة ليتحصن بها عن وساوس الشيطان ويصون بها دينه وليولد له ولد صالح يدعو له و
احب زوجته لانها آلته فى هذه المقاصد الدينية فهو محب فى الله ولذلك ورد فى الاخبار وفور الاجر و
الثواب على الانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل فى فى امراته بل نقول كل من استهتر بحب الله
وحب رضاه وحب لقايه فى الدار الآخرة فاذا احب غيره كان محبا فى الله لانه لا يتصور ان يحب شيا
الا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضا الله بل ازيد على هذا واقول اذا اجتمع فى قلبه محبتان محبة
الله ومحبة الدنيا واجتمع فى شخص واحد المعنيان جميعا حتى صلح لان يتوسل به الى الله والى الدنيا فاذا احبه
لصلاحه للامرين فهو من المحبين فى الله كمن يحب استاذه الذى يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة
فى المال فاحبه من حيث ان فى طبعه طلب الراحة فى الدنيا والسعادة فى الآخرة وهو وسيلة اليهما فهو
محب فى الله وليس من شرط حب الله ان لا يحب فى العاجل حظا البتة اذ الدعاء الذى امر به الانبياء فيه جمع
بين الدنيا والآخرة فمن ذلك قولهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وقال
عيسى عليه السلم فى دعايه اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسؤ بى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا
تجعل الدنيا اكبر همى وقال نبينا صلوات الله عليه فى دعايه اللهم انى اسالك رحمة انال بها شرف
كرامتك فى الدنيا والآخرة وقال اللهم عافنى من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة وعلى الجملة فاذا لم يكن حب
السعادة فى الآخرة مناقضا لحب الله والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين احديهما اقرب من الاخرى فكيف
يتصور ان يحب الانسان حظوظ نفسه غدا ولا يحبها اليوم وانما يحبها غدا لان الغد سيصير حالا
راهنة فالحالة الراهنة لا بد وان تكون مطلوبة ايضا الا ان الحظوظ العاجلة منقسمة الى ما يضاد
حظوظ الآخرة ويمنع منها وهو الذى احترز عنه الانبياء والاولياء وامروا بالاحتراز عنه والى
ما لا يضاد وهو الذى لم يمتنعوا عنه كالنكاح الصحيح واكل الحلال وغير ذلك فما يضاد حظوظ الآخرة
فحق العاقل ان يكرهه ولا يحبه اعنى انه يكرهه بعقله لا بطبعه كما يكره التناول من طعام لذيذ لملك من الملوك
يعلم انه لو اقدم عليه لقطعت يده او حزت رقبته لا بمعنى ان الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه
ولا يستلذه لو اكله فان ذلك محال ولكن على معنى انه يزجره عقله عن الاقدام عليه ويحصل فيه كراهة
للضرر المتعلق به والمقصود من هذا انه لو احب استاذه لانه يواسيه ويعلمه او تلميذه لانه يتعلم منه و
يخدمه واحدهما حظ عاجل والآخر آجل فيكون فى زمرة المتحابين فى الله ولكن بشرط واحد وهو ان يكون
بحيث لو منعه العلم مثلا او تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذى ينقص بسبب فقده
هو لله تعالى وله على ذلك القدر ثواب الحب فى الله تعالى وليس بمستنكر ان يشتد حبك لانسان لجملة اغراض
ترتبط لك به فان امتنع بعضها نقص حبك وان زاد زاد الحب فليس حبك للذهب كحبك للفضة اذا تساوى
مقدارهما لان الذهب يوصل الى الاغراض هى اكثر مما توصل اليه الفضة فاذن يزيد الحب بزيادة الغرض

ولا يستحيل اجتماع الاغراض الدنيوية والاخروية فهو داخل في جملة الحب لله وحده وهو ان كل حب لولا
الايمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب في الله وكذلك كل زيادة في الحب لولا الايمان بالله لم
يكن تلك الزيادة فتلك الزيادة من الحب في الله فذلك ان دق فهو عزيز قال الجريري تعامل الناس في
القرن الاول بالدين حتى رق الدين فتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء ثم تعاملوا في
الثالث بالمروة حتى ذهبت المروة ولم تبق الا الرغبة والرهبة القسم الثالث ان يحب لله وفي الله لا
لينال منه علما او عملا او يتوسل به الى امر وراء ذاته وهذا اعلى الدرجات وهو ادقها واغمضها و
هذا القسم ايضا ممكن فان من آثار غلبة الحب ان يتعدى من المحبوب الى كل ما يتعلق بالمحبوب ويناسبه
ولو من بعد فمن احب انسانا حبا شديدا احب محب ذلك الانسان واحب محبوبه واحب من يخدمه
واحب من يثني عليه محبوبه واحب من يتسارع الى رضا محبوبه حتى قال بقية بن الوليد ان المؤمن اذا
احب المؤمن احب كلبه وهو كما قال ويشهد له التجربة في احوال العشاق ويدل عليه اشعار الشعراء و
لذلك يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال امر على
جدار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا فما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا
فاذن المشاهدة والتجربة تدل على ان الحب يتعدى من ذات المحبوب الى ما يحيط به ويتعلق باسبابه
ويناسبه ولو من بعد ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة فاصل المحبة لا يكفي فيه ويكون اتساع الحب في
تعديه من المحبوب الى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق باسبابه بحسب افراط المحبة وقوتها فكذلك حب الله سبحانه
وتعالى اذا قوي وغلب على القلب واستولى عليه حتى انتهى الى حد الاستهتار فيتعدى الى كل موجود سواه
فان كل موجود سواه اثر من آثار قدرته ومن احب انسانا احب خطه وجميع افعاله ولذلك كان صلى الله
عليه وسلم اذا حمل اليه باكورة مسح بها عينيه واكرمها وقال انه قريب العهد بربنا وحب الله تارة يكون
لصدق الرجاء في مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعمه وتارة لما سلف من اياديه وصنوف نعمه و
تارة لذاته لا لامر آخر وهو ادق ضروب المحبة واعلاها وسياتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة من ربع
المنجيات ان شاء الله وكيف ما تفقت محبة الله فاذا قويت تعدت الى كل متعلق به ضربا من التعلق
حتى يتعدى الى ما هو في نفسه مؤلم مكروه ولكن فرط الحب يضعف الاحساس بالالم والفرح بفعل المحبوب
وقصده اياه بالايلام يغمر ادراك الالم وذلك كالفرح بضربة من المحبوب او قرصة فيها نوع معاتبة فان
قوة المحبة تثير فرحا يغمر الالم فيها وقد انتهت محبة الله باقوام الى ان قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة
فان الكل من الله ولا يفرح الا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم لا اريد ان انال مغفرة الله بمعصية الله وقال
سمنون رحمه الله وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرني وسياتي تحقيق ذلك في
كتاب المحبة ان شاء الله والمقصود ان حب الله اذا قوي اثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله في علم
او عمل واثمر حب كل من فيه صفة هي مرضية عند الله من خلق حسن او تادب باداب الشرع وما من مؤمن
محب للآخرة ومحب لله الا اذا اخبر عن حال رجلين احدهما عالم عابد والآخر جاهل فاسق الا وجد في
نفسه ميلا الى العالم العابد ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف ايمانه وقوته وبحسب ضعف حبه
لله وقوته وهذا الميل حاصل وان كانا غائبين عنه بحيث يعلم انه لا يصيبه منهما خير ولا شر في

الدنيا ولا في الآخرة فذلك الميل هو حب في الله ولله عز وجل من غير حظ فانه انما يحبه لان الله يحبه و
لانه مرضي عند الله تعالى ولانه يحب الله ولانه مشغول بعبادة الله تعالى الا انه اذا ضعف لم يظهر اثره
فلا يظهر به ثواب واجر فاذا قوي حمل على الموالاة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان ويتفاوت
الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله ولو كان الحب مقصورا على حظ ينال من المحبوب في الحال و
المآل لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد ومن الصحابة والتابعين بل من الانبياء المتقدمين ضين
صلوات الله عليهم فحب جميعهم مكتوب في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك بغضبه عند طعن
اعدائهم في واحد منهم وبفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله لانهم خواص
عباد الله ومن احب ملكا او شخصا جميلا احب خواصه وخدمه واحب من احبه الا انه يمتحن
الحب بالمقابلة بحظوظ النفس وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ الا فيما هو حظ المحبوب
وعنه عبر قول من قال اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد وقول من قال
وما لجرح اذا ارضاكم الم وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض كمن تسمح نفسه
بان يشاطر محبوبه في نصف ماله او في ثلثه او عشره فمقادير الاموال موازين المحبة اذ لا تعرف
درجة المحبوب الا بمحبوب يترك في مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا
يمسك لنفسه شيئا مثل ابي بكر الصديق رضي الله عنه فانه لم يترك لنفسه اهلا ولا مالا فسلم ابنته التي
هي قرة عينه وبذل جميع ماله وقال ابن عمر بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس وعنده ابو بكر
الصديق عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح اذ نزل
جبريل عليه السلام فاقراه من الله السلام وقال له يا رسول الله ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها على
صدره بخلال فقال انفق ماله علي قبل الفتح قال فاقرئه من الله السلام وقل له يقول لك ربك اراض
انت عني في فقرك هذا ام ساخط قال فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر وقال يا ابا بكر هذا
جبريل يقرئك السلام من الله ويقول اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط قال فبكى ابو بكر وقال
اعلى ربي اسخط انا عن ربي راض انا عن ربي راض فتحصل من هذا ان كل من احب عالما او عابدا او احب شخصا
راغبا في علم او عبادة او في خير فانما احبه لله وفي الله وله من الاجر والثواب بقدر قوة حبه فهذا شرح الحب
في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله ايضا ولكن نزيده بيانا **بيان البغض في الله**
اعلم ان من يحب في الله لا بد وان يبغض في الله فانك ان احببت انسانا لانه مطيع لله ومحبوب عند
الله فان عصاه فلا بد وان يبغضه لانه عاص لله وممقوت عند الله ومن احب لسبب فبالضرورة
يبغض لضده وهذان متلازمان لا ينفصل احدهما عن الآخر وهو مطرد في الحب والبغض في
العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض دفين في القلب وانما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور
افعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة وفي المخالفة والموافقة فاذا ظهر في الفعل
سمي موالاة ومعاداة ولذلك قال الله تعالى هل واليت في وليا او عاديت في عدوا كما نقلناه وهذا
واضح في حق من لم يظهر لك الا طاعته اذ تقدر على ان تحبه او لم يظهر الا فسقه وفجوره و
اخلاقه السيئة فتقدر على ان تبغضه وانما المشكل اذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك

تقول كيف اجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان وكذلك تتناقض ثمرتهما من الموافقة والمخالفة
والموالاة والمعاداة فاقول ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا تناقض في الحظوظ البشرية
فانه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها فانك تبغضه من وجه وتحبه من وجه فمن له زوجة
حسناء فاجرة او ولد ذكي خدوم ولكنه فاسق فانه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ويكون معه
على حالة بين حالتين اذ لو فرض له ثلاثة اولاد احدهم ذكي بار والآخر بليد عاق والآخر بليد بار او
ذكي عاق فانه يصادف نفسه معهم على ثلاثة احوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم فكذلك
ينبغي ان يكون حالك بالاضافة الى من غلب عليه الفجور ومن غلب عليه الطاعة ومن اجتمع فيه كلاهما
متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بان تعطي كل صفة حظها من البغض والحب والاعراض والاقبال
والصحبة والقطيعة وسائر الافعال الصادرة منه فان قلت فكل مسلم فاسلامه طاعة منه فكيف
ابغضه مع الاسلام فاقول تحبه لاسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة لو قستها
بحال كافر او فاجر ادركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب للاسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله والطاعة له
كالجناية على حقك والطاعة لك فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فتكون معه على حالة متوسطة
بين الانقباض والاسترسال وبين الاقبال والاعراض وبين التودد اليه والتوحش منه فلا تبالغ في اكرامه
مبالغتك في اكرام من يوافقك على جميع اغراضك ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله الى طرف الاهانة عند غلبة
الجناية وتارة الى طرف المجاملة والاكرام عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي ان يكون فيمن يطيع الله تعالى و
يعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه اخرى فان قلت فبماذا يمكن اظهار البغض فاقول
اما في القول فبكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة وبالاستخفاف والتغليظ في القول اخرى واما
في الفعل فبقطع السعي في اعانته مرة وبالسعي في اساءته وافساد مآربه اخرى وبعض هذا اشد من
بعض وهو بحسب درجات الفسق الصادرة منه اما ما جرى مجرى الهفوة التي يعلم انه متندم عليها
ولا يصر عليها فالاولى فيه الاغماض والستر اما ما اصر عليه من صغيرة او كبيرة فان كان ممن تأكدت بينك
وبينه مودة وصحبة فله حكم آخر وسيأتي وفيه خلاف بين العلماء واما اذا لم تتأكد اخوة وصحبة
فلا بد من اظهار اثر البغض اما في الاعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات اليه واما في الاستخفاف وتغليظ
القول عليه وهذا اشد من الاعراض وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها وكذلك في الفعل ايضا رتبتان احديهما
قطع المعونة والرفق والنصرة عنه وهو اقل الدرجات والآخر السعي في افساد اغراضه عليه كفعل الاعداء
المبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية اما ما لا يؤثر فيه فلا مثاله رجل عصى
الله بشرب الخمر وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطا فيها بالمال والجاه والجمال الا ان ذلك
لا يؤثر في منعه من شرب الخمر ولا في تحريض عليه فاذا قدرت على اعانته ليتم له مقصوده و
قدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعي في تشويشه اما الاعانة فلو تركها اظهارا للغضب
عليه في فسقه فلا بأس وليس يجب تركها اذ ربما يكون لك نية في ان تتلطف باعانته واظهار
الشفقة عليه ليعتقد مودتك ويقبل نصحك فهذا حسن وان لم يظهر لك ذلك ولكن رأيت ان تعينه
على غرضه قضاء لحق اسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الاحسن ان كان معصيته بالجناية على حقك او حق

من

ممن يتعلق بك وفيه نزل قوله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم اذ
تكلم مسطح بن اثاثة في واقعة الافك فحلف ابو بكر رضي الله عنه ان يقطع عنه رفقه وقد كان يواسيه
بالمال فنزلت هذه الآية وآية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم واطالة اللسان
في مثل عائشة رضي الله عنها الا ان الصديق رضي الله عنه كان كالمجني عليه في نفسه بتلك الواقعة و
العفو عمن ظلم والاحسان الى من اساء من اخلاق الصديقين وانما يحسن الاحسان الى من ظلمك فاما
من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الاحسان اليه لان في الاحسان الى الظالم اساءة الى المظلوم
وحق المظلوم اولى بالمراعاة وتقوية قلبه بالاعراض عن الظالم احب الى الله من تقوية قلب الظالم فاما
اذا كنت انت المظلوم فالاحسن في حقك العفو والصفح وطرق السلف رحمهم الله قد اختلفت في
اظهار البغض مع اهل المعاصي وكلهم اتفقوا على اظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من
عصى الله تعالى بمعصية متعدية منه الى غيره فاما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى
العصاة كلهم ومنهم من شدد الانكار واختار المهاجرة فقد كان احمد بن حنبل رحمه الله يهجر الاكابر
في ادنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين في قوله اني لا اسأل احدا شيئا ولو حمل السلطان الي شيئا لاخذته و
هجر الحارث المحاسبي رحمه الله في تصنيفه في الرد على المعتزلة وقال انك تورد اولا شبههم
وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم وهجر ابا ثور في تأويله قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق
آدم على صورته وهذا امر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال فان كان الغالب على
القلب النظر الى اضطرار الخلق وعجزهم وانهم مسخرون لما قدروا له اورث هذا تساهلا في المعاداة
والبغض وله وجه لكن يلتبس به المداهنة فاكثر البواعث على الاغضاء على المعاصي المداهنة ومراعاة
القلوب والخوف من وحشتها ونفارها وقد يلبس الشيطان ذلك على الغبي الاحمق بانه ينظر بعين
الرحمة ومحك ذلك ان ينظر اليه بعين الرحمة ان جنى على خاص نفسه ويقول انه قد قدر له والقدر لا
ينفع منه الحذر وكيف لا يفعله وقد كتب عليه فمثل هذا قد تصح له نية في الاغماض عن الجناية
على حق الله وان كان يغتاظ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهو مداهن مغرور
بمكيدة من مكايد الشيطان فليتنبه له فان قلت فاقل الدرجات في اظهار البغض الهجر و
الاعراض وقطع الرفق والاعانة فهل يجب ذلك حتى يعصي العبد بتركه فاقول لا يدخل ذلك في ظاهر
العلم تحت التكليف والايجاب فانا نعلم ان الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش في زمان رسول الله صلى
الله عليه وسلم والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم الى من يغلظ القول ويظهر
البغض والى من يعرض عنه ولا يتعرض له والى من ينظر اليه بعين الرحمة ولا يؤثر المقاطعة والتباعد
فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما تقتضيه حاله
ووقته ومقتضى الاحوال في هذه الامور اما مكروهة او مندوبة فيكون في رتبة الفضائل ولا ينتهي
الى التحريم والايجاب فان الداخل تحت التكليف اصل المعرفة لله تعالى واصل الحب وذلك قد لا يتعدى
من المحبوب الى غيره وانما المتعدي افراط الحب واستيلاؤه وذلك لا يدخل في الفتوى تحت ظاهر التكليف
في حق عوام الخلق اصلا

بيان مراتب الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم

فان قلت اظهار البغض والعداوة بالفعل ان لم يكن واجبا فلا شك انه مندوب اليه و
ان لم يكن واجبا فلا شك انه مندوب اليه والفساق والعصاة على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم
وهل يسلك بجميعهم مسلكا واحدا ام لا فاعلم ان المخالف لامر الله سبحانه لا يخلو اما ان يكون مخالفا
في عقده او في عمله والمخالف في العقد اما مبتدع او كافر والمبتدع اما داع الى بدعته او ساكت اما بعجزه
او باختياره فاقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة الاول الكفر والكافر ان كان محاربا فهو مستحق
القتل والارقاق وليس بعد هذين الامرين اهانة واما الذمي فانه لا يجوز ايذاؤه الا بالاعراض عنه والتحقير
له بالاضطرار الى اضيق الطرق وبترك المفاتحة بالسلام فاذا قال السلام عليك قلت وعليك والاولى الكف
عن مخالطته ومعاملته ومواكلته فاما الانبساط معه والاسترسال اليه كما يسترسل الى الاصدقاء
فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهي ما يقوى منها الى حد التحريم قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله و
اليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم الآية وقال تع يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الآية وقال صلى الله عليه وسلم المومن والمشرك لا تتراءى ناراهما
الثاني المبتدع الذي يدعو الى بدعته فان كانت البدعة بحيث يكفر بها فامره اشد من الذمي
لانه لا يقر بجزية ولا يسامح بعقد ذمة وان كان لا يكفر بها فامره بينه وبين الله اخف من امر الكافر
لا محالة ولكن الامر في الانكار عليه اشد منه على الانكار فان شر الكافر غير متعد فان المسلمين اعتقدوا
كفره فلا يلتفتون الى قوله اذ لا يدعي لنفسه الاسلام واعتقاد الحق اما المبتدع الذي يدعو الى
البدعة ويزعم ان ما يدعو اليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد فالاستحباب في اظهار
بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه اشد
وان سلم في خلوة فلا باس برد جوابه وان علم ان الاعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح في نفسه
بدعته ويؤثر في زجره فترك الجواب اولى لان جواب السلام وان كان واجبا فيسقط بادنى غرض حتى
يسقط بكون الانسان في الحمام وفي قضاء حاجة وغرض الزجر اهم من هذه الاغراض وان كان في ملأ
فترك الجواب اولى تنفيرا للناس عنه وتقبيحا لبدعته في اعينهم وكذلك الاولى كف الاحسان اليه و
الاعانة له لا سيما فيما يظهر للخلق قال عليه السلام من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه امنا وايمانا
ومن اهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن الان له واكرمه او لقيه ببشر فقد استخف
بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم الثالث المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف
الاقتداء به فامره اهون فالاولى ان لا يفاتح بالتغليظ والاهانة بل يتلطف به في النصح فان قلوب
العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح وكان في الاعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه تأكد الاستحباب
في حقه بالاعراض وان علم ان ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض اولى
لان البدعة اذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها واما العاصي بفعله وعمله
لا باعتقاده فلا يخلو اما ان يكون بحيث يتاذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة و
التضريب بين الناس والمشي بالنميمة وامثالها او كان مما لا يقتصر عليه ويؤذي غيره وذلك ينقسم الى ما يدعو
غيره الى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء ويهيئ اسباب الشرب والفساد

لاهل الفساد او لا يدعو غيره الى فعله كالذي يشرب ويزني وهذا الذي لا يدعو غيره اما ان يكون
عصيانه بكبيرة او صغيرة وكل واحد اما ان يكون مصرا عليه او غير مصر فهذه التقسيمات تحصل
منه ثلاثة اقسام ولكل قسم منها رتبة وبعضها اشد من بعض فلا تسلك بالكل مسلكا واحدا القسم الاول
وهو اشد ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فهؤلاء الاولى الاعراض
عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم لان المعصية شديدة فيما يرجع الى ايذاء الخلق ثم هؤلاء
ينقسمون الى من يظلم في الدماء والى من يظلم في الاموال والى من يظلم في الاعراض وبعضها اشد من بعضها ف
الاستحباب في اهانتهم والاعراض عنهم موكد جدا ومهما كان يتوقع من الاهانة زجرا لهم او لغيرهم كان الامر
فيه آكد واشد الثاني صاحب الماخور الذي يهيئ اسباب الفساد ويسهل طريقه على الخلق فهذا لا
يؤذي الخلق في دنياهم ولكن يختلس بفعله دينهم وان كان على وفق رضاهم فهو قريب من الاول ولكنه اخف
منه فان المعصية بين العبد وبين الله الى العفو اقرب ولكنه من حيث انه متعد على الجملة الى غيره فهو شر وهذا
ايضا يقتضي الاهانة والاعراض والمقاطعة وترك جواب السلام اذا ظن ان فيه نوعا من الزجر له او لغيره
الثالث الذي يفسق في نفسه بشرب خمر او ترك واجب او مقارفة محظور يخصه فالامر
فيه اخف ولكنه في وقت مباشرته ان صودف يجب منعه بما يمتنع منه ولو بالضرب والاستخفاف
فان النهي عن المنكر واجب واذا فرغ منه وعلم ان ذلك من عادته وهو مصر عليه فان تحقق ان نصحه يمنعه
من العود وجب النصح وان لم يتحقق ولكنه كان يرجوه فالافضل النصح والزجر بالتلطف او بالتغليظ
ان كان هو الانفع فاما الاعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم انه مصر وان النصح
ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة والصحيح ان ذلك يختلف باختلاف نية الرجل
فعند هذا يقال الاعمال بالنيات اذ في الرفق والنظر بعين الرحمة الى الخلق نوع من التواضع وفي العنف
والاعراض نوع من الزجر والمستفتى فيه القلب فما يراه اميل الى هواه ومقتضى طبعه فالاولى ضده
اذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ باظهار العلو والادلال بالصلاح وقد يكون
رفقه عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به الى غرض او لخوف من تاثير وحشته ونفرته في جاه او
مال بظن قريب او بعيد وكل ذلك تردد على اشارات الشيطان وبعيد من اعمال اهل الآخرة و
كل راغب في اعمال الدين مجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الاحوال والقلب
هو المفتي فيه وقد يصيب الحق في اجتهاده وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به وقد يقدم و
هو بحكم الغرور ظان انه عامل وسالك طريق الآخرة وسياتي بيان هذه الدقائق في كتاب الغرور من
ربع المهلكات ويدل على تخفيف الامر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روي ان شارب
خمر ضرب مرات بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما
اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على اخيك ولفظ هذا معناه وكان
هذا اشارة الى ان الرفق اولى من العنف والتغليظ **بيان الصفات المشروطة فيمن
يختار صحبته** اعلم انه لا يصلح للصحبة كل انسان قال النبي صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر
احدكم من يخالل فلا بد وان يتميز بصفات وخصال يرغب بسببها في صحبته وتشترط تلك الخصال

بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة اذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول الى المقصود فبالاضافة الى المقصود
تظهر الشروط وتطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية اما الدنيوية فكالانتفاع بالمال والجاه او
مجرد الاستيناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من غرضنا واما الدينية فيجتمع فيها ايضا اغراض
مختلفة اذ منها الاستفادة من العلم والعمل ومنها الاستفادة من الجاه تحصنا به عن ايذاء من
يشوش القلب ويصد عن العبادة ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الاوقات في
طلب القوت ومنها الاستعانة في المهمات فيكون عدة في المصائب وقوة في الاحوال ومنها التبرك
بمجرد الدعاء ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة فقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان
فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة اخيك وروي في غريب التفسير في قوله تعالى ويستجيب الذين
آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله قال يشفعهم في اخوانهم فيدخلون الجنة معهم ويقال
اذا غفر للعبد شفع في اخوانه ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة وكرهوا العزلة و
الانفراد فهذه فوائد تستدعي كل فائدة شروطا لا تحصل الا بها ولا يخفى تفصيلها اما على الجملة فينبغي
ان يكون فيمن يؤثر صحبته خمس خصال ان يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا
اما العقل فهو رأس المال وهو الاصل فلا خير في صحبة الاحمق والى القطيعة والوحشة ترجع
عاقبتها وان طالت قال علي كرم الله وجهه * لا تصحب اخا الجهل واياك واياه * فكم من جاهل اردى
حليما حين واخاه * يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه * وللشيء من الشيء مقاييس واشباه * وللقلب
على القلب دليل حين يلقاه * كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لا يدري
ولذلك قال الشاعر * اني لآمن من عدو عاقل * واخاف خلا يعتريه جنون * فالعقل فن
واحد وطريقه * ادري فارصد والجنون فنون * ولذلك قيل مقاطعة الاحمق قربان الى
الله وقال الثوري النظر الى وجه الاحمق خطيئة مكتوبة ونعني بالعاقل الذي يفهم الامور على
ما هي عليه اما بنفسه واما اذا فهم وعلم واما حسن الخلق فلا بد منه اذ رب عاقل يدرك الاشياء
على ما هي عليه ولكن اذا غلبه غضب او شهوة او جبن او بخل اطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده
لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقه فلا خير في صحبته واما الفاسق المصر على الفسق فلا
فائدة في صحبته لان من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته
بل يتغير لاغراض وقد قال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وقال تعالى فاعرض
عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وقال تعالى ولا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه
وقال تعالى واتبع سبيل من اناب الي وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق واما المبتدع ففي صحبته خطر
سراية البدعة وتعدي شؤمها اليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة فكيف يؤثر صحبته وقد قال
عمر رضي الله عنه في الحث على طلب التدين في الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال عليك باخوان الصدق تعش
في اكنافهم فانهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع امر اخيك على احسنه حتى يجيئك ما يغلبك
منه واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين من القوم ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب
الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله واما حسن

الخلق

الخلق فقد جمعه علقمة العطاردي في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة قال يا بني ان عرضت لك الى صحبة
الرجال حاجة فاصحب من اذا صحبته زانك وان خدمته صانك وان قعدت بك مؤنة مانك
اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى منك سيئة سدها
اصحب من اذا سألته اعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من
اذا قلت صدق قولك وان حاولتما امرا امرك وان تنازعتما آثرك فكانه جمع بهذا جميع
حقوق الصحبة وشرط ان يكون قائما بجميعها وقال ابن اكثم قال المامون فاين هذا فقيل
له تدري لم اوصاه بذلك قال لا قال لانه اراد ان لا يصحب احدا وقال بعض الادباء لا تصحب
من الناس الا من يكتم سرك ويستر عيبك ويكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر
حسنتك ويطوي سيئتك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك وقال علي كرم الله وجهه ان اخاك
الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك ومن اذا ريب زمان صدعك شتت شمله
نفسه ليجمعك وقال بعض العلماء لا تصحب الا احد رجلين رجل تتعلم منه شيئا من امر دينك
فينفعك او رجل تعلمه شيئا من امر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه وقال بعضهم الناس
اربعة فواحد حلو كله فلا يشبع منه وآخر مر كله فلا يؤكل منه وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل
ان يأخذ منك وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق لا تصحب
خمسة الكذاب فانك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب والاحمق
فانك لست منه على شيء يريد ان ينفعك فيضرك والبخيل فانه يقطع بك احوج ما تكون اليه و
الجبان فانه يسلمك ويفر عند الشدة والفاسق فانه يبيعك باكلة او اقل منها فقيل وما اقل
منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها وقال الجنيد لان يصحبني فاسق حسن الخلق احب الي من ان
يصحبني قارئ سيء الخلق وقال ابن ابي الحواري قال لي استاذي ابو سليمان يا احمد لا تصحب
الا احد رجلين رجل ترتفق به في دنياك او رجل تزيد معه وتنتفع في آخرتك والاشتغال
بغير هذين حمق كبير وقال سهل بن عبد الله اجتنب صحبة ثلاثة اصناف من الناس الجبابرة
الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين واعلم ان هذه الكلمات اكثرها
غير محيط بجميع اغراض الصحبة والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالاضافة
اليها فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد الدنيا شروطا في الصحبة للآخرة والاخوة كما قال بشر
ليونس ظ رحمه الله الاخوة ثلاثة اخ لآخرتك واخ لدنياك واخ لتأنس به وقل ما تجتمع هذه المقاصد في
واحد بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة وقد قال المامون الاخوان ثلاثة احدهم
مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت و
الثالث مثله مثل الداء لا يحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا انس فيه ولا نفع
وقد قيل مثل جملة الناس مثل الشجر والنبات فمنه ما له ظل وليس له ثمر وهو مثل الذي ينتفع في
الدنيا دون الآخرة فان نفع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنه ما له ثمر وليس له ظل وهو
مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا ومنه ما له ثمر وظل جميعا ومنه ما ليس له واحد منهما كام غيلان

تزق الثياب لا طعم فيها ولا شراب ومثاله من الحيوانات الفارة والعقرب كما قال الله تع يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير قال الشاعر، الناس شتى اذا ما انت ذقتهم لا يستوون كما لا يستوي الشجر، هذا له ثمر حلو مذاقته • وذاك ليس له طعم ولا ثمر، فاذن من لا يجد رفيقا يواخيه ويستفيد به احد هذه المقاصد فالوحدة به اولى قال ابو ذر الوحدة خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة واما الديانة وعدم الفسق فقد قال الله تع واتبع سبيل من اناب الي ولان مشاهدة الفسق والفساق تهون امر المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنها قال سعيد بن المسيب لا تنظروا الى الظلمة فتحبط اعمالكم الصالحة بل هولاء لا سلامة في مخالطتهم وانما السلامة في الانقطاع عنهم قال الله تع واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي سلامة والالف بدل من الهاء ومعناه وانا سلمنا من اثمكم وانتم سلمتم من شرنا فهذا ما اردنا ان نذكر من معاني الاخوة وشروطها وفوايدها فلنندفع في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها واما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري فمجالسة الحريص تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين في الاخرة قال علي كرم الله وجهه احيوا الطاعات بمجالسة من يستحيي منه وقال احمد بن حنبل رحمه الله ما اوقعني في بلية الا صحبة من لا احتشمه وقال لقمن يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان القلوب تحيى بالحكمة كما تحيى الارض الميتة بوابل المطر

الباب الثاني في حقوق الاخوة والصحبة

اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضي النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سنذكره في كتاب آداب النكاح فكذا عقد الاخوة فلاخيك عليك حق في المال وفي النفس وفي اللسان وفي القلب بالعفو وبالدعاء وبالاخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكليف والتكلف وذلك يجمعه ثمانية حقوق **الحق الاول** في المال قال رسول الله صلعم مثل الاخوين مثل اليدين تغسل احديهما الاخرى وانما شبههما باليدين لا باليد والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد وكذا الاخوان انما تتم اخوتهما اذا ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه واحد كالشخص الواحد وهذا تقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستيثار والمواساة بالمال مع الاخوة على ثلاث مراتب ادناها ان تنزله منزلة عبدك وخادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فاذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة على حاجتك اعطيته ابتداء ولم تحوجه الى السوال فان احوجته الى السوال فهو غاية التقصير في حق الاخوة الثانية ان تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته اياك في مالك وتنزله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته على المال قال الحسن كان احدهم يشق ازاره بينه وبين اخيه باثنين الثالثة وهي العليا ان توثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ومن ثمار هذه الرتبة الايثار بالنفس ايضا كما روي انه سعي بجماعة من الصوفية الى بعض الخلفاء فامر بضرب رقابهم وفيهم ابو الحسين النوري فبادر الى السياف ليكون هو اول مقتول فقيل له في ذلك فقال احببت ان اوثر اخواني بالحيوة في هذه اللحظة

وكان ذلك سبب نجاة جميعهم في حكاية طويلة فان لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع اخيك فاعلم ان عقد الاخوة لم ينعقد بعد في الباطن وانما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين فقد قال ميمون بن مهران من رضي من الاخوان بترك الافضال فليواخ اهل القبور، واما الدرجة الدنيا فليست ايضا مرضية عند ذوي الدين روي ان عتبة الغلام رحمه الله جاء الى منزل رجل كان قد آخاه فقال احتاج من مالك الى اربعة الف فقال خذ الفين فاعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله اما استحييت ان تدعي الاخوة في الله وتقول هذا ومن كان في الدرجة الدنيا من الاخوة ينبغي ان لا تعامله في الدنيا قال ابو حازم اذا كان لك اخ في الله فلا تعامله في امور دنياك وانما اراد به من في هذه الرتبة واما الرتبة العليا فهي التي وصف الله المومنين بها في قوله تع وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون اي كانوا خلطاء في الاموال لا يميز بعضهم رحله عن بعضهم وكان فيهم من لا يصحب من قال نعلي لانه اضافه الى نفسه وجاء فتح الموصلي الى منزل اخ وكان غايبا فامر اهله فاخرجت صندوقه ففتحه واخرج حاجته فاخبرت الجارية مولاها فقال ان صدقت فانت حرة لوجه الله سرورا بما فعل، وجاء رجل الى ابي هريرة وقال اني اريد ان اواخيك في الله فقال اتدري ما حق الاخاء فقال عرفني قال ان لا تكون احق بدينارك ودرهمك مني فقال لم ابلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عني وقال علي بن الحسين رحمه الله هل يدخل احدكم يده في كم اخيه او كيسه فياخذ منه ما يريد من غير اذن قال لا قال فلستم باخوان، ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا يا ابا سعيد اصليت قال نعم قال فان اهل السوق لم يصلوا بعد قال ومن ياخذ دينه من اهل السوق بلغني ان احدهم يمنع اخاه الدرهم قالوا كالمتعجب منه وجاء رجل الى ابرهيم بن ادهم وهو يريد بيت المقدس فقال اني اريد ان ارافقك فقال له ابرهيم على ان اكون املك بشيئك منك قال لا قال اعجبني صدقك، وكان ابرهيم بن ادهم اذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب الا من يوافقه وصحبه رجل شراك فاهدى رجل الى ابرهيم في بعض المنازل قصعة ثريد ففتح جراب رفيقه واخذ حزمة من شراك فجعلها في القصعة وردها الى صاحب الهدية فلما جاء رفيقه قال اين الشراك قال ذلك الثريد الذي اكلته ايش كان قال كنت تعطيه شراكين او ثلاثة فقال اسمح يسمح لك، واعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير اذنه رجلا راجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك وقال ابن عمر رضي الله عنه اهدي لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فقال اخي فلان احوج مني اليه فبعث به اليه فبعثه ذلك الانسان الى الآخر فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى رجع الى الاول بعد ان تداوله سبعة، وروي ان مسروقا ادان دينا ثقيلا وكان على اخيه خيثمة دين قال فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم، ولما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال سعد بارك الله لك فيهما فآثره بما آثره وكانه قبله ثم آثره به وذلك مساواة والبداية ايثار والايثار افضل من المساواة وقال ابو سليمن الداراني لو ان الدنيا كلها لي فجعلتها في فم اخ من اخواني لاستقللتها له وقال ايضا اني لالقم اللقمة اخا من اخواني فاجد طعمها في حلقي، ولما كان الانفاق على الاخوان افضل من الصدقات على الفقراء قال علي كرم الله وجهه لعشرون درهما اعطيها اخي في الله احب الي من ان

اتصدق بمائة درهم على المساكين وقال بعضهم لأن اصنع صاعا من طعام واجمع عليه اخواني في الله احب
الي من ان اعتق رقبة واقتداء الكل في الايثار برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دخل غيضة مع بعض اصحابه
فاجتنى منها سواكين احدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم الى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت
احق بالمستقيم مني فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته هل اقام فيها حق
الله ام اضاعه فاشار بهذا الى ان الايثار هو القيام بحق الله في الصحبة وخرج رسول الله صلى الله عليه و
سلم الى بير يغتسل عندها فامسك حذيفة بن اليمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وستره حتى اغتسل
ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة من الناس فابى
حذيفة وقال بابي وامي انت يا رسول الله لا تفعل فابى صلى الله عليه وسلم الا ان يستره بالثوب حتى اغتسل
وقال صلى الله عليه وسلم ما اصطحب اثنان قط الا كان احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه وروي ان مالك
بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فاخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت
سرير الحسن فجعل ياكل فقال له مالك كف يدك حتى يجيء صاحب المنزل فلم يلتفت محمد الى قوله واقبل على
الاكل وكان ابسط منه واحسن خلقا فدخل الحسن فقال يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضا
حتى ظهرت انت واصحابك واشار بهذا الى ان الانبساط في بيوت الاخوان من الصفاء في الاخوة
كيف وقد قال تعالى او صديقكم وقال او ما ملكتم مفاتحه اذ كان الاخ يدفع مفتاح بيته الى اخيه ويفوض
اليه التصرف كما يريد وكان يتحرج عن الاكل بحكم التقوى حتى انزل الله تعالى هذه الاية واذن لهم في الانبساط
في طعام الاخوان والاصدقاء **الحق الثاني** في الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام
بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة وهذه ايضا لها درجات كما للمواساة بالمال
فادناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار واظهار الفرح و
قبول المنة قال بعضهم اذا استقضيت اخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله ان يكون
قد نسي فان لم يقضها فكبر عليه واقرا هذه الاية والموتى يبعثهم الله وقضى ابن شبرمة لبعض اخوانه
حاجة كبيرة فجاءه بهدية فقال ما هذا قال لما اسديته الي فقال خذ مالك عافاك الله اذا سالت
اخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضا للصلوة وكبر عليه اربع تكبيرات وعده في الموتى وقال
جعفر بن محمد اني لاتسارع الى قضاء حوائج اعدائي مخافة ان اردهم فيستغنوا عني هذا في الاعداء
فكيف في الاصدقاء وكان في السلف من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم
بحاجتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله وكانوا لا يفقدون من ابيهم الا عينه بل كانوا يرون منه ما لم يروا
من ابيهم في حيوته وكان الواحد منهم يتردد الى باب دار اخيه ويسال ويقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم
حاجة وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه اخوه وبهذا تظهر الشفقة والاخوة اذا
لم تثمر الشفقة حتى يشفق على اخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها قال ميمون بن مهران من لم
تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته وقال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان لله اواني في ارضه وهي القلوب
فاحب الاواني الى الله اصفاها واصلبها وارقها اصفاها من الذنوب واصلبها في الدين وارقها على
الاخوان وبالجملة فينبغي ان تكون حاجة اخيك مثل حاجتك او اهم من حاجتك وان تكون متفقدا لاوقات

الحاجة غير غافل عن احواله كما لا تغفل عن احوال نفسك وتغنيه عن السؤال واظهار الحاجة الى الاستعانة
بل تقوم بحاجته كانك لا تدري انك قمت بها ولا ترى لنفسك حقا بسبب قيامك بها بل تتقلد منة بقبوله
سعيك في حقه وقيامك بامره ولا ينبغي ان يقتصر على قضاء الحاجة بل يجتهد في البداية بالاكرام في الزيادة
والايثار والتقديم على الاقارب والولد كان الحسن يقول اخواننا احب الينا من اهلنا واولادنا
لان اهلينا يذكروننا بالدنيا واخواننا يذكروننا بالاخرة وقال الحسن من شيع اخاه في الله تعالى بعث
الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيمة يشيعونه الى الجنة وفي الخبر ما زار رجل اخا في الله شوقا الى لقائه الا
ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة وقال عطاء تفقدوا اخوانكم بعد ثلاث فان
كانوا مرضى فعودوهم وان كانوا مشاغيل فاعينوهم او كانوا نسوا فذكروهم وروي ان ابن عمر
فانا اطلبه
رضي الله عنه كان يلتفت يمينا وشمالا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله فقال احببت رجلا
لا اراه فقال اذا احببت احدا فاساله عن اسمه واسم ابيه وعن منزله فان كان مريضا عدته وان
كان مشغولا اعنته وفي رواية وعن اسم جده وعشيرته وقال الشعبي في الرجل يجالس الرجل فيقول
اعرف وجهه ولا اعرف اسمه تلك معرفة النوكى وقيل لابن عباس من احب الناس اليك قال
جليسي وقال ما اختلف رجل الى مجلسي ثلثا من غير حاجة له الي فعلمت ما مكافاته من الدنيا وقال
سعيد بن العاص لجليسي علي ثلاث اذا دنا رحبت به واذا حدث اقبلت عليه واذا جلس او
سع له وقد قال تعالى رحماء بينهم اشارة الى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة ان لا ينفرد بطعام لذيذ
او بحضور في مسرة دونه بل يتنغص لفراقه ويستوحش بانفراده عن اخيه **الحق الثالث** على
اللسان بالسكوت مرة وبالنطق اخرى اما السكوت فهو ان يسكت عن ذكر عيوبه في حضرته وغيبته
بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به فلا يماريه ولا يناقشه وان يسكت عن التجسس والسؤال
عن احواله واذا رآه في طريق او في حاجة لم يفاتحه بذكر غرضه ومصدره ومورده فلا يساله عنه فربما
يثقل عليه ذكره او يحتاج الى ان يكذب فيه وان يسكت عن اسراره التي بثها اليه فلا يبثها الى غيره
البتة ولا الى اخص اصدقائه ولا يكشف شيئا منها ولو بعد القطيعة والوحشة فان ذلك من لؤم الطبع
وخبث الباطن وان يسكت عن القدح في احبابه واهله وولده وان يسكت عن حكاية قدح غيره فيه فان
الذي سبك من بلغك قال انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجه احدا بشيء
يكرهه والتاذي يحصل اولا من المبلغ ثم من القائل نعم لا ينبغي ان يخفي ما يسمع من الثناء عليه فان
السرور به اولا يحصل من المبلغ للمدح ثم من القائل واخفاء ذلك من الحسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام
يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب عليه النطق في امر بمعروف او نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت
فاذ ذاك لا يبالي بكراهته فان ذلك احسان اليه في التحقيق وان كان يظن انه اساءة في الظاهر اما
ذكر مساويه وعيوبه ومساوي اهله فهو من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم ويزجرك عنه امران
احدهما ان تطالع احوال نفسك فان وجدت فيها شيئا واحدا مذموما فهون على نفسك ما تراه
من اخيك وقدر انه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما انك عاجز عن قهر نفسك في تلك الخصلة
الواحدة كما انك عاجز فيما انت مبتلى به فلا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة فاي الرجال المهذب وكل

ما تصادفه من نفسك في حق الله تع فلا تنتظره من اخيك في حق نفسك فليس حقك عليه باكبر من حق الله
عليك والامر الثاني انك لو طلبت منزهًا من كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولم تجد من تصاحبه اصلا
فما من الناس احد الا وله محاسن ومساو فاذا غلبت المحاسن المساوي فهو الغاية والمنتهى فالمؤمن
الكريم ابدًا يحضر في نفسه محاسن اخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام واما المنافق
اللئيم فانه ابدًا يلاحظ المساوي والعيوب قال ابن المبارك المؤمن يطلب المعاذير والمنافق
يطلب العثرات وقال الفضيل الفتوة الصفح عن زلات الاخوان ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
استعيذوا بالله من جار السوء الذي ان راى خيرًا ستره وان راى شرًا اظهره وما من شخص الا و
يمكن تحسين حاله بخصال فيه ويمكن تقبيحه روي ان رجلا اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما كان من الغد ذمه فقال عليه السلام انت بالامس تثني عليه واليوم تذمه فقال والله لقد صدقت
بالامس وما كذبت عليه اليوم انه ارضاني بالامس فقلت احسن ما علمت فيه واغضبني اليوم
فقلت اقبح ما علمت فيه فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرًا وكانه كره ذلك فشبهه بالسحر ولذلك
قال في خبر آخر البذاء والبيان شعبتان من النفاق وفي حديث آخر ان الله يكره لكم البيان
كل البيان ولذلك قال الشافعي رحمه الله ما احد من المسلمين يطيع الله فلا يعصيه ولا احد يعصي الله
فلا يطيعه من كانت طاعته اغلب من معصيته فهو عدل واذا جعل مثل هذا عدلًا في حق الله تع
فبان تراه عدلًا في حق نفسك ومقتضى اخوتك اولى وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه
يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك اساءة الظن فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه
ايضا وحده ان يحمل فعله على وجه فاسد ما امكن ان يحمل على وجه حسن فاما ما انكشف بيقين
ومشاهدة فلا يمكنك ان لا تعلمه وعليك ان تحمل ما تشاهده على سهو ونسيان ان امكن وهذا
الظن والنسيان ينقسم الى ما يسمى تفرسًا وهو الذي يستند الى علامة فان ذلك يحرك الظن تحريكًا
ضروريًا لا يقدر الى دفعه والى منشاه سوء اعتقادك فيه حتى يصدر منه فعل له وجهان فيحملك سوء
الاعتقاد على ان تنزله على الوجه الاردى من غير علامة تخصصه به وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حار في كل
مؤمن اذ قال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وان يظن به ظن السوء وقال
اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وسوء الظن يدعو الى التجسس والتحسس وقال صلى الله عليه وسلم
لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانًا والتجسس في تطلع الاخبار
والتحسس بالمراقبة بالعين فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة اهل الدين ويكفيك تنبيهًا على كمال
الرتبة في ستر القبيح واظهار الجميل فان الله تع وصف به في الدعاء فقيل يا من اظهر الجميل وستر على
القبيح والمرضي عند الله من تخلق باخلاقه وانه ستار للعيوب وغفار للذنوب ومتجاوز عن العبيد
فكيف لا تتجاوز انت عمن هو مثلك او فوقك وما هو بكل حال الا مخلوقك وقد قال عيسى عليه السلام كيف
تصنعون اذا رايتم اخاك نائمًا قد كشفت الريح عنه ثوبه قالوا نستره ونغطيه فقال بل تكشفون
عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال يسمع احدكم في اخيه الكلمة فيزيد عليها ويشيعها باعظم منها
واعلم انه لا يتم ايمان المرء ما لم يحب لاخيه ما يحب لنفسه واقل درجات الاخوة ان يعامل اخاه بما

يحب ان يعامله به ولا شك في انه ينتظر منه ستر العورة والسكوت عن المساوي والعيوب ولو
ظهر له منه نقيض ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه فما ابعده اذا كان ينتظر منه ما لا يضمره له ولا
يعزم عليه لاجله وويل له في نص كتاب الله حيث قال ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون
واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون فكل من يلتمس من الانصاف اكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت
مقتضى هذه الاية ومنشا التقصير في ستر العورة والسعي في كشفها الداء الدفين في الباطن وهو الحقد
والحسد فان الحقود الحسود يملئ باطنه بالخبث ولكنه يحبسه في باطنه ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد
له مجالًا وفرصة فاذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء وترشح الباطن بخبثه الدفين ومهما
انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع اولى قال بعض الحكماء ظاهر العتاب خير من مكنون
الحقد ولا يزيد لطف الحقود الا وحشة منه ومن في قلبه سخيمة على مسلم فايمانه ضعيف وامره مخطر
وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله وقد روى عبد الرحمن بن جبير عن ابيه انه قال كنت باليمن ولي
جار يهودي يخبرني عن التورية فقدم علي اليهودي من سفر فقلت ان الله قد بعث فينا نبيًا فدعانا
الى الاسلام فاسلمنا وقد نزل علينا كتاب مصدق للتورية فقال اليهودي صدقت ولكنكم لا تستطيعون
ان تقوموا بما جاءكم به انا نجد نعته ونعت امته في التورية انه لا يحل لامرئ ان يخرج عن عتبة بابه وفي
قلبه سخيمة على اخيه المسلم ومن ذلك ان يسكت عن افشاء سره الذي استودعه وله ان ينكره وان كان
كاذبًا فليس الصدق واجبًا في كل مقام فانه كما يجوز للرجل ان يخفي عيوب نفسه واسراره وان احتاج الى
الكذب فله ان يفعل ذلك في حق اخيه فان اخاه نازل منزلته وهما كشيء واحد لا يختلفان الا بالبدن
هذه حقيقة الاخوة ولذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائيًا وخارجًا عن اعمال السر الى اعمال العلانية
فان معرفة اخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق وقد قال عليه السلام من ستر عورة اخيه ستره
الله في الدنيا والاخرة وفي خبر آخر كانما احيى موؤدة من قبرها وقال صلى الله عليه وسلم اذا احدث
الرجل بحديث ثم التفت فهو امانة وقال عليه السلام المجالس بالامانة الا ثلثة مجالس مجلس يسفك فيه
دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله وقال عليه السلام انما يتجالس
المتجالسان بالامانة لا يحل لاحدهما ان يفشي على صاحبه ما يكره وقيل لبعض الادباء كيف حفظك
للسر قال انا قبره وقد قيل صدور الاحرار قبور الاسرار وقيل ان قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه
اي لا يستطيع الاحمق اخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري فمن هذا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي عن
صحبتهم بل عن مشاهدتهم وقد قيل لآخر كيف تحفظ السر فقال اجحد المخبر واحلف المستخبر فقال آخر
استره واستر اني استره وعبر عنه ابن المعتز بقوله ومستودعي سرًا تبوات كتمه فاودعته صدري
فصار له قبرا وقال آخر واراد الزيادة عليه وما السر في صدري كثاو بقبره لاني ارى المقبور
ينتظر النشرا ولكنني انساه حتى كانني بما كان منه لم احط ساعة خبرا ولو جاز كتم السر بيني وبينه
عن السر والاحشاء لم يعلم السرا وافشى بعضهم سرا الى اخيه ثم قال له حفظت فقال بل نسيت وكان ابو سعيد
الثوري يقول اذا اردت ان تواخي رجلا فاغضبه ثم دس عليه من يسال عنك وعن اسرارك فان قال
خيرا وكتم سرك فاصحبه وقيل لابي يزيد من نصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلمه الله ثم يستر

عليك كما يستره الله وقال ذو النون لا خير في صحبة من لا يحب ان لا يراك الا معصوما ومن افشى السر عند
الغضب فهو اللئيم لان اخفاءه عند الرضا يقتضيه الطباع السليمة كلها وقد قال بعض الحكماء لا تصحب
من يتغير عليك عند اربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي ان يكون صدق الاخوة ثابتا على
اختلاف هذه الاحوال ولذلك قيل • وترى الكريم اذا تصرم وده • يخفي القبيح ويظهر الاحسانا • وترى
اللئيم اذا تقضى وصله • يخفي الجميل ويظهر البهتانا • وقال العباس لابنه عبد الله رضي الله عنهما اني
ارى هذا الرجل يعني عمر رضي الله عنه يقدمك على الاشياخ فاحفظ عني خمسا لا تفشين له سرا ولا
تغتابن عنده احدا ولا تجرين عليك كذبا ولا تعصين له امرا ولا يطلعن منك على خيانة فقال الشعبي كل كلمة
من هذه الخمس خير من الف ومن ذلك السكوت عن المماراة والمدافعة في كل ما يتكلم به اخوك قال
ابن عباس رضي الله عنهما لا تمار سفيها فيؤذيك ولا حليما فيقليك وقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء و
هو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ومن تركه وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة هذا مع ان تركه مبطلا واجب وقد
جعل ثواب النفل اعظم لان السكوت عن الحق اشد على النفس من السكوت عن الباطل وانما الاجر على قدر
النصب واشد الاسباب لاثارة نار الحقد بين الاخوان المماراة والمناقشة فانه عين التدابر والتقاطع
فان التقاطع يقع اولا بالآراء ثم بالاقوال ثم بالابدان وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تدابروا ولا تباغضوا
ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله بحسب
المرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم واشد الاحتقار المماراة فان من رد على غيره كلامه فقد نسبه
الى الجهل والحمق او الى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استحقار وايغار للصدر وايحاش
وفي حديث ابي امامة الباهلي قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى فغضب فقال ذروا المراء
لقلة خيره ذروا المراء فان نفعه قليل وانه يهيج العداوة بين الاخوان وقال بعض السلف من لاحى
الاخوان وماراهم قلت مروته وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن اياك ومماراة الرجال
فانك لن تعدم مكر حليم او مفاجاة لئيم وقال بعض السلف اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان
واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة وقال
الحسن لا تشتر عداوة رجل بمودة الف رجل وعلى الجملة فلا باعث على المماراة الا اظهار التميز بمزيد العقل
والفضل واحتقار المردود عليه باظهار جهله وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والايذاء والشتم بالحمق
والجهل ولا معنى للمعاداة الا هذا فكيف تضامه الاخوة والمصافاة وقد روى ابن عباس عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقد قال صلى الله عليه وسلم انكم لا
تسعون الناس باموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق والمماراة مضادة لحسن الخلق وقد
انتهى السلف في الحذر عن المماراة الى حد لم يروا السؤال ايضا وقالوا اذا قلت لاخيك قم فقال الى
اين فلا تصحبه بل قالوا ينبغي ان يقوم ولا يسال قال ابو سليمن الداراني كان لي اخ بالعراق فكنت اجيئه
في النوائب فاقول اعطني من مالك شيئا فكان يلقي الي كيسه فآخذ منه ما اريد فجئته ذات يوم فقلت
احتاج الى شيء فقال كم تريد فخرجت حلاوة اخائه من قلبي وقال آخر اذا طلبت من اخيك مالا فقال
ما تصنع به فقد ترك حق الاخاء • ثم اعلم ان قوام الاخوة بالموافقة في الكلام والفعل والشفقة قال

ابو عثمان الحيري موافقة الاخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال الحق الرابع على اللسان
بالنطق فان الاخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره تقتضي النطق ايضا بالمحاب بل هو اخص بالاخوة لان
لان من قنع بالسكوت صحب اهل القبور وانما يراد الاخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن اذاهم والسكوت
معناه كف الاذى فعليه ان يتودد اليه بلسانه ويتفقد في احواله التي يحب ان يتفقده فيها كالسؤال عن
عارض ان عرض له واظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه وكذا جملة احواله التي يكرهها
ينبغي ان يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها فمعنى الاخوة المساهمة في السراء والضراء وقد قال
صلى الله عليه وسلم اذا احب احدكم اخاه فليخبره وانما امر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة حب فان
عرف انك تحبه احبك بالطبع لا محالة فاذا عرفت انه يحبك ايضا زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد
من الجانبين ويتضاعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علم فيه
الطريق فقال صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا ومن ذلك ان يدعوه باحب اسمائه اليه في غيبته
وحضوره قال عمر رضي الله عنه ثلاث يصفين لك ود اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته اولا وتوسع له في المجلس
وتدعوه باحب اسمائه اليه ومن ذلك ان تثني عليه بما تعرف من محاسن احواله عند من يؤثر هو الثناء
عنده فان ذلك من اعظم الاسباب في جلب المحبة وكذلك الثناء على اولاده واهله وصنعته وفعله
حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وافراط
ولكن تحسين ما يقبل التحسين لا بد منه واكد من ذلك ان تبلغه ثناء من اثنى عليه مع اظهار الفرح به فان
اخفاء ذلك من محض الحسد ومن ذلك ان تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وان لم يتم
قال علي كرم الله وجهه من لم يحمد اخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة واعظم من ذلك
في جلب المحبة الذب عنه في غيبته مهما قصد بسوء او تعرض لعرضه بكلام صريح او تعريض فحق الاخوة
التشمر في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه فالسكوت عن ذلك موغر للصدر
ومنفر للقلب وتقصير في حق الاخوة وانما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخوين باليدين تغسل
احديهما الاخرى لينصر احدهما الآخر وينوب عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم
لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه وهذا من الاسلام والخذلان فان اهماله لتمزيق عرضه كاهماله لتمزيق
لحمه واخسس باخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحمك وهو ساكن لا تحركه الشفقة والحمية
للدفع عنك وتمزيق الاعراض اشد على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبهه الله تعالى باكل لحم الميتة فقال
ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا والملك الذي يمثل في المنام ما يطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالامثلة
المحسوسة يمثل الغيبة باكل لحم الميتة حتى ان من يرى انه ياكل لحم ميتة فانه يغتاب الناس لان
ذلك الملك في تمثيله يراعي المشاركة والمناسبة بين الشيء وبين مثاله في المعنى الذي يجري من المثال مجرى
الروح لا في ظاهر الصورة فاذن حماية الاخوة بدفع ذم الاعداء وتعنت المتعنتين واجب في عقد الاخوة
فقد قال مجاهد لا تذكر اخاك في غيبته الا كما تحب ان يذكرك في غيبتك فاذن لك فيه معياران
احدهما ان تقدر ان الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان اخوك حاضرا ما الذي كنت تحب ان يقوله
اخوك فيك فينبغي ان تعامل المتعرض لعرضه به والثاني ان تقدر انه حاضر من وراء جدار يسمع

عليك ويظن انك لا تعرف حضوره فما كان يتحرك في قلبك من النصح له بحيث يسمع منه ومرأى فينبغي ان يكون
في مغيبه كذلك فقد قال بعضهم ما ذكر لي اخ لي بغيب الا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب ان
يسمعه لو حضر وقال آخر ما ذكر اخ الا تصورت نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما احب ان يقال
في وهذا من صدق الاسلام وهو ان لا يرى لاخيه الا ما يراه لنفسه وقد نظر ابو الدرداء الى ثورين
يحرثان في قرن فوقف احدهما يحك جسمه فوقف الآخر فبكى وقال هكذا الاخوان في الله يعملان لله فاذا
وقف احدهما وافقه الآخر وبالموافقة يتم الاخلاص ومن لم يكن مخلصا في اخائه فهو منافق والاخلاص
استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف و
التفاوت في شيء من ذلك مماذقة في المودة وهو دخل في الدين ووليجة في طريق المؤمنين ومن لا يقدر من
نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة اولى به من المواخاة والمصاحبة فان حق الصحبة ثقيل لا يطيقه الا
محقق لا جرم اجره جزيل لا يناله الا موفق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم احسن مجاورة من جاورك
تكن مسلما واحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا فانظر كيف جعل الايمان جزاء الصحبة والاسلام
جزاء الجوار والفرق بين فضل الايمان وفضل الاسلام على حد الفرق بين المشقة في القيام بحق الجوار
والقيام بحق الصحبة فان الصحبة تقتضي حقوقا كثيرة في احوال متقاربة مترادفة بل على الدوام والجوار
لا يقتضي الا حقوقا قريبة في اوقات متباعدة لا تدوم ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة اخيك
الى العلم باقل من حاجته الى المال فان كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وارشاده الى كل ما
ينفعه في الدين والدنيا فان علمته وارشدته فلم يعمل بمقتضى العلم فعليك نصحه وذلك بان تذكر آفات
ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبح
القبيح في عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغي ان يكون ذلك في سر لا يطلع عليه احد فما كان على الملأ
فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة اذ قال صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة المؤمن
اي يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المرء باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما
لا يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقيل لمسعر تحب من يخبرك بعيوبك فقال
ان نصحني فيما بيني وبينه فنعم وان قرعني في الملأ فلا وقد صدق فان النصح على الملأ افضاح والله
تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه وفي ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد يدفع كتاب عمله
مختوما الى الملائكة الذين يحفون به الى الجنة فاذا قاربوا باب الجنة اعطوه الكتاب مختوما ليقرأه
واما اهل المقت فينادون على رؤوس الاشهاد وتستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون
بذلك خزيا وافتضاحا ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالاسرار
والاعلان كما ان الفرق بين المداهنة والمداراة بالغرض الباعث على الاغضاء فان اغضيت لحظ
نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فانت مداهن وقال ذو النون لا تصحب
مع الله الا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس الا بالمخالفة ولا مع الشيطان الا
بالعداوة **فان قلت** اذا كان في النصح ذكر العيوب ففيه ايحاش للقلب فكيف يكون ذلك من
حق الاخوة **فاعلم** ان الايحاش انما يحصل بذكر عيب يعلمه اخوك من نفسه فاما تنبيهه على ما

لا يعلمه

لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استمالة القلوب اعني قلوب العقلاء واما الحمقى فلا يلتفت
اليهم فان من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته او صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك عنها
كان كمن ينبهك على حية او عقرب تحت ذيلك وقد همت باهلاكك فان كنت تكره ذلك فما
اشد حمقك والصفات المذمومة حيات وعقارب وهي في الآخرة مهلكات فانها تلدغ
القلوب والارواح والمها اشد مما يلدغ الظواهر والاجساد وهي مخلوقة من نار الله الموقدة
التي تطلع على الافئدة ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من اخوانه ويقول رحم الله
امرأ اهدى الى اخيه عيوبه ولذلك قال لسلمان وقد قدم عليه ما الذي بلغك عني مما تكره
فاستعفى فالح عليه فقال بلغني ان لك حلتين تلبس احداهما بالنهار والاخرى بالليل وبلغني انك جمعت
بين ادامين على مائدة واحدة فقال عمر اما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب
حذيفة المرعشي الى يوسف بن اسباط بلغني انك بعت دينك بحبتين وقفت على صاحب لبن فقلت
بكم هذا فقال بسدس فقلت لا بثمن فقال هو لك وكان يعرفك اكشف عن راسك قناع الغافلين
وانتبه من رقدة الموتى واعلم ان من قرأ القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا لم آمن ان يكون
بآيات الله من المستهزئين وقد وصف الله تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين اذ قال ولكن لا تحبون
الناصحين وهذا في عيب هو غافل عنه فاما ما علمت انه يعلمه من نفسه وانما هو مقهور عليه
من طبعه فلا ينبغي ان تكشف فيه ستره ان كان يخفيه وان كان يظهره فلا بد من التلطف في النصح بالتعريض
مرة وبالتصريح اخرى الى حد لا يؤدي الى الايحاش فان علمت ان النصح غير مؤثر فيه وانه مضطر من طبعه
الى الاصرار عليه فالسكوت عنه اولى وهذا كله فيما يتعلق بمصالح اخيك في دينه او دنياه
اما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامي عنه فالتعرض
لذلك ليس من النصح في شيء نعم ان كانت بحيث يؤدي استمراره عليه الى القطيعة فالعتاب في
السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والمكاتبة خير من المشافهة والاحتمال
خير من الكل اذ ينبغي ان يكون قصدك من اخيك اصلاح نفسك بمراعاتك اياه وقيامك بحقه واحتمالك
تقصيره لا الاستعانة به والاسترفاق منه قال ابو بكر الكتاني صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلا
فوهبت له يوما شيئا على ان يزول ما في قلبي فلم يزل فاخذت بيده يوما الى البيت وقلت له ضع
رجلك على خدي فابى فقلت لا بد ففعل فزال ذلك عن قلبي وقال ابو علي الرباطي صحبت عبد
الله الرازي وكان يدخل البادية فقال على ان تكون انت الامير او انا فقلت بل انت فقال وعليك
الطاعة فقلت نعم فاخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره فاذا قلت له اعطني قال الست
قلت انت الامير فعليك الطاعة فاخذنا المطر ليلة فوقف على راسي الى الصباح وعليه كساء وانا جالس
يمنع عني المطر فكنت اقول مع نفسي ليتني مت ولم اقل انت الامير **الحق الخامس** العفو عن
الزلات والهفوات وهفوة الصديق لا تخلو اما ان تكون في دينه بارتكاب معصية والاصرار
عليها فعليك التلطف في نصحه بما يقيم اوده ويجمع شمله ويعيد الى الصلاح والورع حاله فان لم
تقدر وبقي مصرا فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في ادامة حق مودته

او مقاطعته فذهب ابو ذر رضي الله عنه الى الانقطاع وقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه
من حيث احببته وراى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله فاما ابو الدرداء وجماعة من
الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال ابو الدرداء اذا تغير اخوك وحال عما كان فلا تدعه لاجل ذلك
فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى وقال ابرهيم النخعي لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه
يركبه اليوم ويتركه غدا وقال ايضا لا تحدثوا الناس بزلة العالم فان العالم يزل الزلة ثم يتركها وفي
الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وفي حديث عمر رضي الله عنه وقد سئل عن اخ كان
آخاه فخرج الى الشام فسال عنه بعض من قدم عليه وقال ما فعل اخي فقال ذاك اخو الشيطان قال مه قال
انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر قال اذا اردت الخروج فآذني فكتب عند خروجه اليه بسم الله الرحمن
الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول الآية ثم عاتبه
تحت ذلك وعذله فلما قرا الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر فتاب ورجع وحكي ان اخوين ابتلي
احدهما بهوى فاظهر عليه اخاه وقال اني قد اعتللت فان شئت ان لا تعقد على محبتي لله فافعل فقال
ما كنت لاحل عقد اخوتك لاجل خطيئتك ابدا ثم اعتقد اخوه بينه وبين الله تعالى ان لا ياكل ولا يشرب
حتى يعافي الله اخاه من هواه فطوى اربعين يوما في كلها يسال عن هواه وكان يقول القلب مقيم على حاله
وما زال هو ينحل من الغم والجوع حتى زال الهوى عن قلب اخيه بعد الاربعين فاخبره بذلك فاكل وشرب بعد ان
كاد يتلف هزالا وضرا وكذلك حكي عن اخوين من السلف انقلب احدهما عن الاستقامة فقيل لاخيه
الا تقطعه وتهجره فقال احوج ما كان الي في هذا الوقت لما وقع في عثرته ان آخذ بيده واتلطف له في
المعاتبة وادعوه بالعود الى ما كان عليه وروي في الاسرائيليات ان اخوين عابدين في جبل نزل
احدهما يشتري من المصر لحما بدرهم فراى بغية عند اللحام فرمقها فعشقها فواقعها ثم اقام عندها ثلثا
واستحيى ان يرجع الى اخيه من جنايته قال فافتقده اخوه واهتم بشانه فنزل الى المدينة فلم يزل يسال
عنه حتى دل عليه فدخل اليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه وانكر الآخر انه يعرفه
قط لفرط الاستحياء منه فقال قم يا اخي فقد علمت شانك وقصتك وما كنت قط احب الي ولا اعز
عندي من ساعتك هذه فلما راى ان ذلك لم يسقطه عن عينه قام وانصرف معه فهذه طريقة قوم وهي
الطف وافقه من طريقة ابي ذر رضي الله عنه وطريقة ابي ذر احسن واسلم فان قلت ولم قلت هذا
الطف وافقه ومقارف هذه المعصية لا تجوز مواخاته ابتداء فيجب مقاطعته انتهاء لان الحكم اذا
ثبت بعلة فالقياس ان يزول بزوالها وعلة عقد الاخوة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة
المعصية فاقول اما كونه الطف فلما فيه من الرفق والاستمالة والتعطف المفضي الى الرجوع و
التوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة اصر واستمر واما كونه افقه
فمن حيث ان الاخوة عقد ينزل منزلة القرابة فاذا انعقدت تاكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد و
من الوفاء به ان لا يهمل ايام حاجته وفقره وفقر الدين اشد من فقر المال وقد اصابته جائحة والمت
به آفة افتقر بسببها في دينه فينبغي ان يراقب ويراعى ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص
من الواقعة التي المت به فالاخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من اشد النوائب و

الفاجر

الفاجر اذا صحب تقيا وهو ينظر الى خوفه ومداومته فسيرجع على قرب ويستحيي من الاصرار بل
الكسلان يصحب الحريص في العمل فيحرص حياء منه قال جعفر بن سليمن مهما فترت في العمل نظرت الى
محمد بن واسع واقباله على الطاعة فرجع نشاطي الى العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه اسبوعا
وهذا التحقيق وهو ان الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لا يجوز ان يهجر بالمعصية ولذلك قال
الله تعالى لنبيه في عشيرته فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون ولم يقل اني بريء منكم مراعاة لحق القرابة و
لحمة النسب والى هذا اشار ابو الدرداء رضي الله عنه لما قيل له الا تبغض اخاك وقد فعل كذا فقال انما
ابغض عمله والا فهو اخي واخوة الدين اكد من اخوة القرابة ولذلك قيل لحكيم ايما احب اليك اخوك او
صديقك فقال انما احب اخي اذا كان صديقا وكان الحسن يقول كم من اخ لم تلده امك ولذلك
قيل القرابة تحتاج الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة وقال جعفر الصادق مودة يوم صلة و
مودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله فاذن الوفاء بعقد الاخوة
اذا سبق انعقادها واجب وهذا جوابنا عن ابتداء المواخاة مع الفاسق فانه لم يسبق له حق
فان تقدمت له قرابة فلا جرم لا ينبغي ان يقاطع بل يجامل والدليل عليه ان ترك المواخاة والصحبة
ابتداء ليس بمذموم ولا مكروه بل قال قائلون الانفراد اولى فاما قطع الاخوة في دوامها فمنهي
عنه ومذموم في نفسه ونسبته الى تركه ابتداء كنسبة الطلاق الى ترك النكاح والطلاق ابغض الى الله
من ترك النكاح قال صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة و
قال بعض السلف في زلات الاخوان ود الشيطان ان يلقي على اخيكم مثل هذا حتى تهجروه و
تقطعوه فماذا اتقيتم من محبة عدوكم وهذا لان التفريق بين الاحباب من محاب الشيطان
كما ان مقارفة العصيان من محابه فاذا حصل للشيطان احد غرضيه فلا ينبغي ان يضاف اليه
الثاني والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم في الذي شتم الرجل الذي اتى فاحشة اذ قال مه وزبره
ولا تكونوا عونا للشيطان على اخيكم فبهذا كله يتبين الفرق بين الدوام والابتداء لان مخالطة الفساق
محذورة ومفارقة الاخوان والاحباب ايضا محذورة وليس من سلم عن معارضة غيره كالذي لم يسلم
وفي الابتداء قد سلم فراينا ان المهاجرة والتباعد هو الاولى وفي الدوام تعارضا فكان الوفاء
بحق الاخوة اولى هذا كله في زلته في دينه اما زلته في حقه بما يوجب ايحاشه فلا خلاف
في ان الاولى العفو والاحتمال بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد عذر فيه قريب او بعيد
فهو واجب بحق الاخوة فقد قيل ينبغي ان تستنبط لزلة اخيك سبعين عذرا فلا تقبله فانت المعيب
لا اخوك فان ظهر بحيث لا يقبل التحسين فينبغي ان لا تغضب ان قدرت ولكن ذلك لا يمكن فقد قال
الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان فلا تكن
شيطانا ولا حمارا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن اخيك واحترز ان تكون شيطانا ان لم تقبل
قال الاحنف حق الصديق ان يحتمل منه ثلث ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة وقال آخر ما
شتمت احدا قط لانه ان شتمني كريم فانا احق من غفرها له او لئيم فلا اجعل عرضي له غرضا ثم تمثل
وقال ⁘ واغفر عوراء الكريم ادخاره ⁘ واعرض عن شتم اللئيم تكرما ⁘ وقد قيل خذ من خليلك

ما صفا دون الذي فيه الكدر فالعمر اقصر من معاتبة الخليل على الغير ومهما اعتذر اليك
اخوك صادقا كان او كاذبا فاقبل عذره وقال عليه السلام من اعتذر اليه اخوه فلم يقبل عذره فعليه
مثل اثم صاحب مكس وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فلم يصفه بانه لا يغضب
وكذلك قال الله تعالى والكاظمين الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ وهذا لان العادة لا تنتهي الى ان
يجرح الانسان فلا يتألم بل تنتهي الى ان يصبر عليه ويحتمل وكما ان التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم
باسباب الغضب طبع للقلب لا يمكن قلعه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فانه يقتضي
التشفي والانتقام والمكافاة وترك العمل بمقتضاه ممكن وقد قال الشاعر ولست بمستبق اخا لا تلمه
على شعث اي الرجال المهذب وقال ابو سليمن لاحمد بن ابي الحواري اذا واخيت اخا في هذا
الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فانك لا تأمن ان ترى في جوابك ما هو شر من الاول قال فجربته فوجدته
كذلك وقال بعضهم الصبر على مضض الاخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة والقطيعة خير
من الوقيعة وينبغي ان لا يبالغ في البغض عند الوقيعة قال الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين
عاديتم منهم مودة وقال عليه السلام احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض
بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقال عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك
تلفا وهو ان تحب تلف صاحبك الحق السادس الدعاء للاخ في حيوته وبعد مماته بكل ما يحبه
لنفسه ولاهله وكل متعلق به وتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه فان دعاءك له دعاء
لنفسك على التحقيق فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك مثل
ذلك وفي لفظ آخر يقول الله تعالى بك ابدا وفي الحديث يستجاب للرجل في اخيه في الغيب لا ترد وكان
ابو الدرداء يقول اني لادعو لسبعين من اخواني في سجودي اسميهم باسمائهم وكان محمد بن يوسف الاصبهاني
يقول واين مثل الاخ الصالح اهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك
مهتم بما قدمت يدعو لك في ظلمة الليل وانت تحت اطباق الثرى وكان الاخ الصالح يقتدي بالملائكة
اذ جاء في الخبر اذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم يفرحون له بما قدم ويسألون
عنه ويشفقون عليه ويقال من بلغه موت اخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كانه شهد
جنازته وصلى عليه وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شي
ينتظر دعوة من ولد او والد او اخ او قريب وانه ليدخل على قبور الاموات من دعاء الاحياء من الانوار مثل
الجبال وقال بعض السلف الدعاء للاموات بمنزلة الهدايا للاحياء فيدخل الملك على الميت معه
طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية لك من عند اخيك فلان من عند قريبك فلان
فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية الحق السابع الوفاء والاخلاص ومعنى الوفاء الثبات على
الحب وادامته الى الموت معه وبعد الموت مع اولاده واصدقائه فان الحب انما يراد للآخرة
فان انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في السبعة الذين يظلهم
الله تعالى اجتمعا على ذلك وتفرقا وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثير في حال الحيوة
ولذلك روي انه صلى الله عليه وسلم اكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال انها كانت تأتينا ايام

خديجة وان كرم العهد من الايمان فمن الوفاء مراعاة جميع اصدقائه واقاربه والمتعلقين به و
مراعاتهم اوقع في قلب الصديق من مراعاة الاخ في نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به اكثر
اذ لا يدل على قوة الشفقة والحب الا تعديهما من المحبوب الى كل من يتعلق به حتى الكلب الذي على باب
داره ينبغي ان يتميز في القلب عن سائر الكلاب ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان
فانه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين في الله ومتحابين فيه فانه يجهد لافساد ما بينهما قال
الله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم وقال تعالى مخبرا عن يوسف من بعد
ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ويقال ما تواخى اثنان في الله فيفرق بينهما الا بذنب يرتكبه
احدهما وكان بشر يقول اذا قصر العبد في طاعة الله تعالى سلبه الله من يؤنسه وذلك لان الاخوان
مسلاة للهموم وعون على الدين ولذلك قال ابن المبارك الذ الاشياء مجالسة الاخوان والانقلاب
الى الكفاية والمودة الدائمة هي التي تكون في الله وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض ومن ثمرات
المودة في الله ان لا تكون مع حسد في دين ولا دنيا وكيف يحسده وكل ما لاخيه فاليه ترجع فائدته
وبه وصف الله تعالى المحبين في الله فقال ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ووجود
الحاجة هو الحسد ومن الوفاء ان لا يتغير حاله في التواضع مع اخيه وان ارتفع شانه واتسعت ولايته
وعظم جاهه فالترفع على الاخوان بما يتجدد من الاحوال لؤم قال الشاعر ان الكرام اذا ما اسهلوا
ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس
الا من ان افتقرت اليه قرب منك وان استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك
وقال بعض الحكماء اذا ولي اخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير وحكى الربيع ان الشافعي
رحمه الله آخى رجلا ببغداد ثم ان اخاه ولي السيبين فتغير له عما كان فكتب الشافعي اليه بهذه الابيات
اذهب فودك من فؤادي طالق ابدا وليس طلاق ذات البين فان ارعويت فانها تطليقة
ويدوم ودك لي على ثنتين وان امتنعت شفعتها بمثالها فيكون تطليقين في حيضين
فاذا الثلاث اتتك مني بتة لم تغن عنك ولاية السيبين واعلم انه ليس من الوفاء موافقة
الاخ فيما يخالف الحق في امر يتعلق بالدين بل من الوفاء المخالفة فقد كان الشافعي رحمه الله آخى محمد بن
عبد الحكم فكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما يقيمني بمصر غيره فاعتل محمد فعاده الشافعي رحمه الله وقال
مرض الحبيب فعدته فمرضت من حذري عليه واتى الحبيب يعودني فبرئت من نظري اليه وظن الناس
لصدق مودتهما انه يفوض امر حلقته بعد وفاته فقيل للشافعي في علته التي مات فيها الى من نجلس بعدك
يا ابا عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند راسه ليومي اليه فقال الشافعي سبحان الله
يشك في هذا ابو يعقوب البويطي فانكسر محمد ومال اصحابه الى البويطي مع ان محمدا كان قد حمل عنه
مذهبه ورجع الى مذهب ابيه ودرس كتب مالك وهو من كبار اصحاب مالك رحمه الله وآثر البويطي
الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف كتاب الام الذي ينسب
الآن الى الربيع بن سليمن ويعرف به وانما صنفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه الى نفسه
فزاد الربيع فيه وتصرف واظهره والمقصود ان الوفاء بالمحبة من تمامها قال الاحنف الاخاء

جوهرة رقيقة ان لم تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر الى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من اخيك التقصير ، ومن آثار الصدق والاخلاص وتمام الوفاء ان يكون شديد الجزع من المفارقة نفور الطبع عن اسبابها كما قيل وجدت مصيبات الزمان جميعها ، سوى فرقة الاحباب هينة الخطب ، فانشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت اقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل اليّ ان حسرتهم ذهبت من قلبي ومن الوفاء ان لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لا سيما من يظهر اولا انه محب لصديقه كيلا يتهم ثم يلقي الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر الصدر فذلك من دقائق الحيل في التضريب ومن لا يحترز منه لم تدم مودته اصلا وقال واحد لحكيم قد جئت خاطبا لمودتك قال ان جعلت مهرها ثلثا فعلت لا تسمع عليّ بلاغة ولا تخالفني في امر ولا توطئني عشوة ومن الوفاء ان لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي رحمه الله اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك **الحق الثامن** التخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك بان لا يكلف اخاه ما يشق عليه ويروح سره عن مهماته وحاجاته ويرفهه عن ان يحمل شيئا من اعبائه ولا يستمد منه من جاه ولا مال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لاحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تعالى تبركا بدعائه واستيناسا علاء دينه وتقربا الى الله بالقيام بحقوقه وبحمل مؤنته قال بعضهم من اقتضى من اخوانه ما لا يقتضون فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد اتعبهم ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم وقال بعض الحكماء من جعل نفسه عند الاخوان فوق قدره اثم واثموا ومن جعل نفسه في قدره تعب واتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف بطي بساط التكلف حتى لا يستحيي منه فيما لا يستحيي من نفسه قال الجنيد رحمه الله ما تواخا اثنان في الله فاستوحش احدهما من صاحبه او احتشم الا لعلة في احدهما وقال علي كرم الله وجهه شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراة والجاك الى اعتذار وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقالت عايشة رضي الله عنها المؤمن اخو المؤمن لا يغتنمه ولا يحتشمه وقال الجنيد صحبت اربع طبقات من هذه الطائفة كل طبقة ثلثون رجلا حارث المحاسبي وطبقته وحسن المسوحي وطبقته وسري السقطي وطبقته وابن الكريني وطبقته فما تواخا اثنان في الله واحتشم احدهما من صاحبه او استوحش الا لعلة في احدهما وقيل لبعضهم من نصحب قال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وكان جعفر بن محمد يقول اثقل اخواني عليّ من يتكلف لي واتحفظ منه واخفهم على قلبي من اكون معه كما اكون وحدي وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص باثم يكون ذلك لك وعليك وانت عنده سواء وانما قال هذا لان به يتخلص عن التكلف والتحفظ والا فالطبع يحمله على ان يتحفظ منه اذا علم ان ذلك ينقصه عنده وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت وقال آخر لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر اليك اذا اسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وقايل هذا قد ضيق طريق الاخوة على الناس وليس الامر كذلك بل ينبغي ان يواخي كل متدين عاقل ويعزم على ان يقوم بهذه الشروط ولا يكلفه

هذه الشروط حتى تكثر اخوانه اذ به يكون مواخيا في الله والا كانت مواخاته لحظوظ نفسه فقط ولذلك قال رجل للجنيد قد عز الاخوان في هذا الزمان اين اخ لي في الله فاعرض الجنيد حتى اعاده ثلثا فلما اكثر قال له الجنيد اردت اخا يكفيك مؤنتك ويتحمل اذاك فهذا لعمري قليل وان اردت اخا في الله تحمل انت مؤنته وتصبر على اذاه فعندي جماعة اعرفهم لك فسكت الرجل واعلم ان الناس ثلاثة رجل تنتفع بصحبته ورجل تقدر على ان تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به ورجل لا تقدر ايضا على ان تنفعه وهو الاحمق او السيئ الخلق فهذا الثالث ينبغي ان تجتنب فاما الثاني فلا تجتنبه لانك تنتفع في الآخرة بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام به وقد اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان اطعتني فما اكثر اخوانك اي ان واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم وقد قال بعضهم صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف لاني كنت معهم على نفسي ومن هذا شيمته كثر اخوانه ومن التخفيف وترك التكليف ان لا يعترض في نوافل العبادات كان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين اربعة معان ان اكل احدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى الليل كله لم يقل له نم وتستوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت حرك الطبع الى الرياء والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته ومن خفت مؤنته دامت مودته وقال بعض الصحابة ان الله تعالى لعن المتكلفين وقال النبي صلى الله عليه وسلم انا والاتقياء من امتي برآء من التكلف وقال بعضهم اذا عمل الرجل في بيت اخيه اربع خصال فقد تم انسه به اذا اكل عنده ودخل الخلاء ونام وصلى فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال بقيت خامسة وهو ان يحضر مع اهله في بيت اخيه ويجامعها لان البيت يتخذ للاستخفاء في هذه الامور الخمس والا فالمساجد اروح لقلوب المتعبدين فاذا فعل هذه الخمس فقد تم الاخاء وارتفعت الحشمة وتأكد الانبساط وقول العرب في تسليمهم يشير الى ذلك اذ يقول احدهم لصاحبه مرحبا واهلا وسهلا اي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب وفي المكان ولك عندنا اهل تأنس بهم بلا وحشة منا ولك عندنا سهولة في ذلك كله اي لا يشتد علينا ولا يتم التخفيف وترك التكلف الا بان يرى نفسه دون اخوانه ويحسن الظن بهم ويسيء الظن بنفسه فاذا رآهم خيرا من نفسه فعند ذلك يكون هو خيرا منهم قال ابو معوية الاسود اخواني كلهم خير مني قيل وكيف قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلني على نفسه فهو خير مني وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى له فهذه اقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للاخ ولذلك قال سفين اذا قيل لك يا شر الناس فغضبت فانت شر الناس اي ينبغي ان تكون معتقدا ذلك في نفسك ابدا وسيأتي وجه ذلك في كتاب العجب والكبر وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للاخوان ، تذلل لمن ان تذللت له ، يرى ذاك للفضل لا للبله ، وجانب صداقة من لا يزال ، على الاصدقاء يرى الفضل له ، وقال آخر كم صديق عرفته بصديق ، صار احظى من الصديق العتيق ، ورفيق رأيته في طريق ، صار عندي

هو الصديق الحقيقي ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر اخاه وهذا في عموم المسلمين
مذموم قال صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم ومن تتمة الانبساط
وترك التكلف ان يشاور اخوانه في كل ما يقصده ويقبل اشارتهم عليه فقد قال تعالى وشاورهم في الامر
ولا ينبغي ان يخفي عنهم شيئا من اسراره كما روي عن يعقوب ابن اخي معروف قال جاء اسود بن سالم الى عمي
معروف وكان مواخيا له فقال ان بشر بن الحارث يحب مواخاتك وهو يستحيي ان يشافهك
بذلك وقد ارسلني اليك يسأل ان تعقد له فيما بينك وبينه اخوة تحتسبها وتعتد بها الا انه يشترط فيها
شروطا لا يحب ان يشتهر بذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة فانه يكره كثرة اللقاء فقال
معروف اما انا لو اخيت احدا لم احب مفارقته ليلا ولا نهارا ولزرته في كل وقت ولآثرته على نفسي في
كل حال ثم ذكر من فضل الاخوة والحب في الله احاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا رضي الله عنه فشاركه في العلم وقاسمه البدن وانكحه افضل بناته واحبهن اليه وخصه بذلك لمواخاته
واني اشهدك اني قد عقدت له اخوة بيني وبينه وعقدت اخاءه في الله لرسالتك ولمسألته على
ان لا يزورني ان كره ذلك ولكني ازوره متى احببت وآمره ان يلقاني في مواضع نلتقي فيها وآمره
ان لا يخفي عني شيئا من شأنه وان يطلعني على جميع احواله فاخبر سالم بشرا بذلك فرضي به وسر به هذا
جامع حقوق الصحبة وقد اجملناه مرة وفصلناه اخرى ولا يتم ذلك الا بان تكون على نفسك للاخوان
ولا تكون لنفسك عليهم وان تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك اما
البصر فبان تنظر اليهم نظر مودة يعرفونها منك وتنظر الى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك
عنهم في وقت اقبالهم عليك وكلامهم معك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعطي كل من جلس
اليه نصيبا من وجهه وما استصغاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه
وحديثه ولطيف مسألته وتوجهه للجالس اليه وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وامانة وكان
عليه السلام اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وكان ضحك اصحابه عنده التبسم
اقتداء منهم بفعله وتوقيرا له عليه السلام واما السمع فان تسمع كلامهم متلذذا بسماعه ومصدقا
به ومظهرا للاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة ومنازعة ومداخلة واعتراض
فان ارهقك عارض اعتذرت اليهم وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهون واما اللسان فقد
ذكرنا حقوقه فان القول فيه يطول ومن ذلك ان لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم الا بما يفهمون
واما اليدان فلا تقبضهما عن معونتهم في كل ما يتعاطى باليد واما الرجلان فان يمشي وراءهم مشي
الاتباع لا مشي المتبوعين ولا يتقدمهم الا بقدر ما يقدمونه ولا يقرب منهم الا بقدر ما يقربونه
ويقوم لهم اذا اقبلوا ولا يقعد الا بقعودهم ويقعد حيث يقعدون ومهما تم الاتحاد خف جملة
من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فانها من حقوق الصحبة وفي ضمنها نوع من الاجنبية
والتكلف فاذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به الا مسلك نفسه لان هذه
الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب ومهما صفت القلوب استغني عن تكلف
اظهار ما فيها ومن كان نظره الى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم ومن كان نظره الى الخالق

لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحب لله ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة
لله والخدمة لعباده فانها اعلى انواع الخدمة اذ لا وصول اليها الا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن
خلقه درجة الصائم القائم وزيادة **خاتمة لهذا الباب** نذكر فيها جملة من آداب العشرة والمجالسة
مع اصناف الخلق ملتقطة من كلام الحكماء اذا اردت حسن العشرة فالق صديقك وعدوك بوجه
الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم وتوقر في غير كبر وتواضع في غير مذلة وكن في جميع امورك في اوسطها
فكلا طرفي قصد الامور ذميم ولا تنظر في عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا
جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك اصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل اسنانك
وادخال اصبعك في انفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطي والتثاؤب
في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها وليكن مجلسك هاديا وحديثك منظوما مرتبا واصغ الى الكلام
الحسن ممن حدثك بغير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله اعادة واسكت عن المضاحك والحكايات
ولا تحدث عن اعجابك بولدك ولا جاريتك ولا بشعرك وتصنيفك وسائر ما يخصك ولا تتصنع
تصنع المرأة في التزين ولا تتبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف في الدهن ولا تلح
في الحاجات ولا تشجع احدا على الظلم ولا تعلم اهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان رأوه
قليلا هنت عليهم وان كان كثيرا لم تبلغ قط رضاهم واخفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف
ولا تهازل امتك ولا عبدك فيسقط وقارك واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك
وتفكر في حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا تكثر الالتفات الى من وراءك ولا تجث على ركبتيك
واذا هدأ غضبك فتكلم واذا قربك سلطان فكن منه على حد السنان وان استرسل اليك فلا
تأمن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهيه ولا يحملنك لطفه بك ان تدخل بينه
وبين اهله وولده وحشمه وان كنت لذلك اهلا ومستحقا عنده فان سقطة الداخل بين الملك
واهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال واياك وصديق العافية فانه اعدى الاعداء ولا تجعل مالك
اكرم من عرضك فاذا دخلت مجلسا فالادب البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث
اتسع وحيث يكون اقرب الى التواضع وان تحيي بالسلام من قرب منك عند الجلوس ولا تجلس على
الطريق فان جلست فادبه غض البصر ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف وعون الضعيف وارشاد الضال
ورد السلام واعطاء السائل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتياد لموضع البصاق ولا تبصق
في جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى ولا تجالس الملوك فان فعلت
فادبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ والاعراب في
الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم وان ظهرت المودة وان لا
تتجشى بحضرته ولا تتخلل بعد الاكل عنده وعلى الملك ان يحتمل كل شيء الا افشاء السر والقدح في الملك
والتعرض للحرم ولا تجالس العامة فان فعلت فادبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم
والتغافل عما يجري من سوء الفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم واياك ان تمازح لبيبا او غير
لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ عليك لان المزاح يخرق الهيبة ويذهب بماء

الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجري السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته المتقون ويميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة ويورث الذلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتتبين الذنوب وقد قيل لا يكون المزاح الا من سخف او بطر ومن بلي في مجلس بمزاح او لغط فليذكر الله عند قيامه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك

الباب الثالث في حقوق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه

اعلم ان الانسان اما ان يكون وحده او مع غيره واذا تعذر عيش الانسان وحده الا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن بد من تعلم اداب المخالطة وكل مخالط ففي مخالطته ادب والادب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة والرابطة اما القرابة وهي اخصها او اخوة الاسلام وهي اعمها واما الجوار واما صحبة السفر او المكتب والدرس واما الصداقة والاخوة ولكل واحدة من هذه الروابط درجات فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم اكد وللمحرم حق ولكن حق الوالدين اكد وكذلك حق الجوار يختلف بحسب قربه من الدار وبعده ويقاس التفاوت عند النسبة حتى ان البلدي في بلاد الغربة يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوار في الوطن البلد وكذلك حق المسلم يتاكد بتاكد المعرفة وللمعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع بل اكد منه والمعرفة بعد وقوعها تتاكد بالاختلاط وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها فحق الصحبة في الدرس والمكتب اكد من حق صحبة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت فانها اذا قويت صارت اخوة فاذا ازدادت صارت محبة فان ازدادت صارت خلة والخليل اقرب من الحبيب والمحبة ما تمكن من حبة القلب والخلة ما تخلل سر القلب فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة فاما كون الخلة فوق الاخوة فمعناه ان لفظ الخلة عبارة عن حالة هي اتم من الاخوة ونعرفه من قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله اذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع اجزاء قلبه ظاهرا وباطنا ويستوعبه ولم يكن يستوعب قلبه صلى الله عليه وسلم سوى حب الله عز وجل وقد منعته الخلة عن الاشتراك فيه مع انه اتخذ عليا رضي الله عنه اخا فقال علي مني بمنزلة هرون من موسى الا النبوة فعدل بعلي عن النبوة كما عدل بابي بكر عن الخلة فشارك ابو بكر عليا رضي الله عنهما في الاخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة واهليته لها لو كان للشركة في الخلة مجال فانه نبه على ذلك بقوله لاتخذت ابا بكر خليلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليله وقد روي انه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا فقال ان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا فانا حبيب الله وانا خليل الله تعالى فاذن ليس قبل المعرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة وما سواهما من الدرجات بينهما وقد ذكرنا حق الصحبة والاخوة ويدخل فيه ما وراءهما من المحبة والخلة اقصاها الى ان يوجب الايثار بالنفس والمال كما آثر ابو بكر رضي الله عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وكما آثر طلحة ببدنه اذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلوات الله وسلامه عليه فنحن الآن نريد ان نذكر حق

اخوة

اخوة الاسلام وحق الرحم وحق الوالدين وحق الجوار وحق الملك اعني ملك اليمين فان ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب النكاح

حقوق المسلم

هو ان يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ويبر قسمه اذا اقسم عليه وينصح له اذا استنصحه ويحفظه بظهر الغيب اذا غاب ويحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه ورد جميع ذلك في اخبار وآثار وقد روى انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اربع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وتستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى رحماء بينهم قال يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم اذا نظر الطالح الى الصالح من امة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له ومنها ان يحب للكافة ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل المومنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر وروى ابو موسى عنه انه صلى الله عليه وسلم انه قال المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومنها ان لا يوذي احدا من المسلمين بفعل ولا قول قال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يامر فيه بالفضايل فان لم تقدر فدع الناس من الشر فانها صدقة تصدق بها عن نفسك وقال عليه السلام افضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال صلى الله عليه وسلم اتدرون من المسلم فقالوا الله ورسوله اعلم فقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قالوا فمن المومن قال من امنه المومنون على انفسهم واموالهم قالوا فمن المهاجر قال من هجر السوء واجتنبه وقال رجل يا رسول الله ما الاسلام فقال ان يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك وقال مجاهد يسلط على اهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم احدهم من جلده فينادي يا فلان هل يوذيك هذا فيقول نعم فيقال هذا بما كنت توذي المومنين وقال صلى الله عليه وسلم رايت رجلا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت توذي الناس وقال ابو برزة يا رسول الله علمني شيئا انتفع به قال اعزل الاذى عن طريق المسلمين وقال صلعم من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يوذيهم كتب الله له به حسنة ومن كتب له حسنة اوجب له الجنة وقال عليه السلام ان الله يكره اذى المومن وقال الربيع بن خثيم الناس رجلان مومن فلا توذه وجاهل فلا تجاهله ومنها ان يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ثم ان تفاخر عليه احد فليحتمل قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وعن ابن ابي اوفى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يانف ولا يستكبر ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي حاجته ومنها ان لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات وقال الخليل بن احمد من نم اليك نم عليك ومن اخبرك بخبر غيرك اخبر غيرك بخبرك ومنها ان لا يزيد

فى الهجر لمن يعرفه على ثلاثة ايام مهما غضب عليه قال ابو ايوب الانصارى قال النبى صلى الله عليه وسلم لا
يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدا بالسلام وقد قال
عليه السلام من اقال مسلما عثرة اقاله الله يوم القيمة وقال عكرمة قال الله تع ليوسف عليه السلام بعفوك
عن اخوتك رفعت ذكرك فى الذاكرين قالت عايشة رضى الله عنها ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه
قط الا ان تصاب حرمة الله فينتقم لله وقال ابن عباس رضى الله عنه ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا
وقال النبى صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما من احد تواضع لله الا
رفعه الله ومنها ان يحسن الى كل من قدر منهم ما استطاع لا يميز بين الاهل وغير الاهل روى على بن
الحسين عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى اهله فان لم تصب
اهله فانت اهله، وباسناده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم راس العقل بعد الايمان التودد الى
الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر قال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احد
بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذى يرسله ولم يكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن احد
يكلمه الا اقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه ومنها ان لا يدخل على احد منهم الا باذنه بل
يستاذن ثلثا فان لم يوذن له انصرف قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستيذان
ثلاث فالاولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة ياذنون او يردون ومنها ان يخالق
الجميع بخلق حسن ويعامله بحسب طريقته فانه اراد لقاء الجاهل بالعلم والاهى بالفقه والغبى بالبيان
آذى وتاذى ومنها ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس منا من لم يوقر كبيرنا وما يرحم صغيرنا وقال عليه السلام من اجلال الله اكرام ذى الشيبة المسلم ومن
تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا بالاذن قال جابر قدم وفد جهينة على رسول الله صلى الله عليه و
سلم فقام غلام ليتكلم فقال صلى الله عليه وسلم مه فاين الكبر، وفى الخبر ما وقر شاب شيخا لسنه الا قيض الله له فى
سنه من يوقره وهذه بشارة بدوام الحيوة فليتنبه لها فلا يوفق لتوقير الشيوخ الا من قضى له
بطول العمر، وقال عليه السلام لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيضا ويفيض اللئام فيضا
ويغيظ الكرام غيظا ويجترئ الصغير على الكبير واللئيم على الكريم والتلطف بالصبيان من عادة
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليه السلام يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يامر بهم فيرفعوا
اليه فيرفع منهم بين يديه وخلفه ويامر اصحابه ان يحملوا بعضهم فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول
بعضهم لبعض حملنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وحملك انت وراءه ويقول بعضهم امر اصحابه ان
يحملوك وراءهم، وكان عليه السلام يوتى بالصبى الصغير ليدعو له بالبركة ويسميه فياخذه فيضعه فى حجره فربما
بال الصبى فيصيح به بعض من يراه فيقول لا تزرموا الصبى فيدعه حتى يقضى بوله ثم يفرغ من دعايه له
وتسميته ويبلغ سرور اهله فيه وان لا يروا انه تاذى ببوله فاذا انصرفوا غسل ثوبه بعد ذلك ومنها
ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا قال صلى الله عليه وسلم على من حرمت النار قالوا
الله ورسوله اعلم قال على اللين الهين السهل القريب، وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله يحب السهل الطلق وقال بعضهم يا رسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال ان من موجبات

المغفرة بذل السلام وحسن الكلام وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما البر شئ هين وجه طليق و
كلام لين وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال عليه
السلام ان فى الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقال اعرابى لمن هى يا رسول الله
فقال لمن اطاب الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال معاذ بن جبل قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة وحفظ
الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح وقال انس رضى الله عنه عرضت للنبى
صلى الله عليه وسلم امراة وقالت لى معك حاجة وكان معه اناس من اصحابه فقال اجلسى فى اى
نواحى السكك شئت اجلس اليك ففعلت فجلس اليها حتى قضت حاجتها وقال وهب بن
منبه ان رجلا من بنى اسرائيل صام سبعين سبتا يفطر كل سبعة ايام يسال الله تع كيف تغوى
الشياطين الناس فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتى وذنبى بينى وبين ربى
لكان خيرا لى من هذا الامر الذى طلبته فارسل الله تع اليه ملكا فقال له ان الله ارسلنى اليك وهو يقول
لك ان كلامك هذا الذى تكلمت به اعجب الى مما مضى من عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فاذا
جنود ابليس قد احاطت بالارض واذا ليس احد من الناس الا وحوله الشياطين كالذباب فقال اى رب
من ينجو من هذا فقال الورع اللين ومنها ان لا يعد مسلما بوعد الا ويفى به قال صلى الله عليه
وسلم العدة عطية وقال العدة دين وقال عليه السلام ثلاث فى المنافق اذا حدث كذب واذا وعد
اخلف واذا ائتمن خان وقال ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وذكر ذلك ومنها
ان لا ينصف الناس من نفسه ولا ياتى اليهم الا ما يحب ان يوتى اليه قال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد
الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام وقال
صلى الله عليه وسلم من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتاته منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله و
ان محمدا رسول الله ويات الى الناس ما يحب ان يوتى اليه وقال عليه السلام يا ابا الدرداء احسن
مجاورة من جاورك تكن مومنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما وقال الحسن اوحى الله الى
آدم عليه السلام باربع وقال فيهن جماع الامر لك ولولدك واحدة لى وواحدة لك وواحدة بينى وبينك
وواحدة بينك وبين الخلق فاما التى لى تعبدنى لا تشرك بى شيا واما التى لك فعملك اجزيك به افقر ما تكون
اليه واما التى بينك فعليك الدعاء وعلى الاجابة واما التى بينك وبين الناس فتصحبهم بالذى تحب
ان يصحبوك به، وسال موسى عليه السلام ربه تع فقال اى رب اى عبادك اعدل قال من انصف من نفسه ٥
ومنها ان تزيد فى توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فتنزل الناس منازلهم روى
ان عايشة رضى الله عنها كانت فى سفر فنزلت منزلا فوضعت طعاما فجاء سايل فقالت عايشة رضى الله
عنها ناولوا هذا المسكين قرصا ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه الى الطعام فقيل لها تعطين المسكين
وتدعين هذا الغنى فقالت ان الله قد انزل الناس منازل لا بد لنا ان ننزلهم تلك المنازل هذا المسكين
يرضى بقرص وقبيح بنا ان نعطى هذا الغنى على هذه الهيئة قرصا، وروى انه عليه السلام دخل بعض
بيوته فدخل عليه اصحابه حتى دحس وامتلا فجاء جرير بن عبد الله البجلى فلم يجد موضعا فقعد على الباب

فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه والقاه اليه فقال اجلس على هذا فاخذه جرير ووضعه على وجهه
وجعل يقبله ويبكي ثم لفه ورمى به الى رسول الله صلعم فقال ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتني فنظر
النبي صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ثم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه، وكذلك كل من له عليه حق قديم فليكرم
روي ان ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ارضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال لها مرحبا
بامي ثم اجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعي تشفعي وسلي تعطي فقالت قومي فقال اما حقي وحق بني هاشم
فهو لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد واخدمها ووهب لها
سهمانه بحنين فبيع ذلك من عثمان بن عفان بمائة الف درهم وربما اتاه صلى الله عليه وسلم من ياتيه وهو
على وسادة جالس فلا يكون فيها سعة يجلس معه فينزعها ويضعها تحت الذي يجلس اليه فان ابى عزم
عليه حتى يفعل ومنها ان يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد اليه سبيلا قال صلى الله عليه وسلم
الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وفساد ذات
البين هي الحالقة وقال عليه السلم افضل الصدقة اصلاح ذات البين، وعن النبي صلى الله عليه وسلم فيما
رواه انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر يا رسول الله بابي
انت وامي ما الذي اضحكك فقال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي
مظلمتي من هذا فقال الله عز وجل رد على اخيك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تع للطالب
كيف تصنع باخيك لم يبق من حسناته شيء فقال يا رب فليحمل عني من اوزاري ثم فاضت عينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال
فيقول الله عز وجل للمتظلم ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال يا رب ارى مداين من فضة وقصورا من ذهب
مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا او لاي صديق هذا او لاي شهيد هذا فيقول الله تع هذا لمن اعطى الثمن فيقول
يا رب ومن يملك ذلك فيقول انت تملكه قال بماذا يا رب فيقول بعفوك عن اخيك فيقول يا رب قد
عفوت عنه فيقول الله عز وجل خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله واصلحوا
ذات بينكم فان الله تبارك وتعالى يصلح بين المومنين يوم القيمة وقد قال عليه السلم ليس بكذاب من اصلح بين
اثنين فقال خيرا وهذا يدل على وجوب الاصلاح لان ترك الكذب واجب فلا يسقط الواجب الا
بواجب اكد منه وقال صلى الله عليه وسلم كل الكذب مكتوب الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة
او يكذب بين اثنين فيصلح بينهما او يكذب لامراته ليرضيها ومنها ان يستر عورات المسلمين كلهم قال
صلى الله عليه وسلم من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة وقال لا يستر عبد عبدا الا ستره الله يوم القيمة
وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل
الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لماعز لما اخبره لو سترته بثوبك كان خيرا لك، فاذن على المسلم ان يستر عورة
نفسه فحق اسلامه واجب عليه كحق اسلام غيره قال ابو بكر رضي الله عنه لو اخذت سارقا لاحببت
ان يستره الله وروي ان عمر رضي الله عنه كان يعس المدينة ذات ليلة فراى رجلا وامراة على فاحشة
فلما اصبح قال للناس ارايتم لو ان اماما راى رجلا وامراة على فاحشة فاقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين
قالوا انما انت امام فقال علي رضي الله عنه ليس ذلك لك اذن يقام عليك الحد ان الله لم يامن على هذا

الامر اقل من اربعة شهداء ثم تركهم ما شاء الله ان يتركهم ثم سالهم فقال القوم مثل مقالتهم الاولى
وقال علي مثل مقالته وهذا يشير الى ان عمر كان مترددا في ان الوالي هل له ان يقضي بعلمه في حدود
الله فلذلك راجعهم في معرض التقدير لا في معرض الاخبار خيفة من ان لا يكون له ذلك فيكون قاذفا
باخباره ومال علي كرم الله وجهه الى انه ليس له ذلك وهذا من اعظم الادلة على طلب الشرع لستر
الفواحش فان افحشها الزنا وقد نيط باربعة من العدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالمرود
في المكحلة وهذا قط لا يتفق وان علمه القاضي تحقيقا لم يكن له ان يكشف عنه فانظر الى الحكمة في حسم
باب الفاحشة بايجاب الرجم الذي هو اعظم العقوبات ثم انظر الى كثيف ستر الله كيف اسبله على
العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فنرجوا ان لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر ففي الحديث ان الله
تع اذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها مرة اخرى، وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
قال حرست مع عمر رضي الله عنه ليلة بالمدينة فبينا نحن نمشي اذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه فلما
دنونا اذا باب مغلق على قوم لهم اصوات ولغط فاخذ عمر بيدي وقال لي اتدري بيت من هذا
قلت لا قال هذا بيت ربيعة بن امية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى قلت ارى انا قد اتينا
ما نهانا الله عنه قال الله تع ولا تجسسوا فرجع عمر وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع وقد
قال صلى الله عليه وسلم لمعوية انك ان اتبعت عورات الناس افسدتهم او كدت تفسدهم
وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا
عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف
بيته وقال ابو بكر رضي الله عنه لو رايت احدا على حد من حدود الله عز وجل ما اخذته ولا دعوت له احدا
حتى يكون معي غيري وقال بعضهم كنت قاعدا مع عبد الله بن مسعود اذ جاءه رجل باخر فقال هذا
نشوان فقال عبد الله استنكهوه فوجدوه نشوانا فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط فكسر ثمره ثم
قال اجلد وارفع يدك واعط كل ذي حق حقه فجلده وعليه قباء او مرطف فلما فرغ قال للذي
جاء به ما انت منه قال عمه فقال عبد الله ما ادبت فاحسنت الادب ولا سترت الخزية انه ينبغي
للامام اذا انتهى اليه الحد ان يقيمه وان الله عفو يحب العفو ثم قرا وليعفوا وليصفحوا ثم قال اني لاذكر
اول رجل قطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسارق فقطعه فكانما اسف وجهه فقالوا يا رسول الله
كانك كرهت قطعه قال وما يمنعني لا تكونوا اعوانا للشيطان على اخيكم انه ينبغي للسلطان اذا انتهى
اليه حد ان يقيمه ان الله عفو يحب العفو وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم
وفي رواية كانما سفي في وجهه رماد لشدة تغيره، وروي ان عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة من الليل فسمع صوت
رجل في بيت يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امراة وعنده خمر فقال يا عدو الله اظننت ان الله يسترك
وانت على معصية فقال وانت يا امير المومنين فلا تعجل ان اكن عصيت الله واحدة فقد عصيت الله
في ثلاث قال الله تع ولا تجسسوا وقد تجسست وقال الله تع وليس البر بان تاتوا البيوت
من ظهورها وقد تسورت علي وقال تع لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الآية وقد دخلت بيتي بغير اذن ولا سلام
فقال عمر رضي الله عنه هل عندك من خير ان عفوت عنك قال نعم والله يا امير المومنين لئن عفوت عني لا اعود

لبثها ابدًا فعفا عنه وخرج وتركه وقال رجل لعبد الله بن عمر يا ابا عبد الرحمن كيف سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيمة قال سمعته يقول ان الله ليدني منه المومن فيضع عليه كنفه و
يستره من الناس فيقول اتعرف ذنب كذا فيقول نعم يا رب حتى اذا قرره بذنوبه وراى في نفسه انه قد هلك
قال له يا عبدي اني لم استرها عليك في الدنيا الا وانا اريد ان اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته و
اما الكافرون والمنافقون فيقول الاشهاد هولاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين وقال
صلى الله عليه وسلم كل امتي معافى الا المجاهرين وان المجاهرة ان يعمل الرجل سوءًا ثم يخبر به وقال صلى الله
عليه وسلم من تسمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه الآنك يوم القيمة ومنها ان يتقي مواضع التهم صيانة
لقلوب الناس عن سوء الظن ولالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه
كان شريكا قال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال
صلى الله عليه وسلم كيف ترون من يسب ابويه فقالوا وهل يسب احد ابويه فقال نعم يسب ابوي غيره
فيسبون ابويه وقد روى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم احدى نسائه فمر به رجل فدعاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت اظن فيه فاني لم
اكن اظن فيك فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وزاد في رواية اني خشيت ان يقذف
في قلوبكما شيئا وكانا رجلين فقال على رسلكما انها صفية الحديث وكانت قد زارته في العشر
الاواخر من رمضان وقال عمر رضي الله عنه من اقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من اساء
به الظن ومر برجل يكلم امراة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال يا امير المومنين انها امراتي
فقال فهلا حيث لا يراك الناس ومنها ان يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من له عنده منزلة
ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اوتى واسال وتطلب
الي الحاجة وانتم عندي فاشفعوا لتوجروا ويقضي الله على يدي نبيه ما احب وقال معوية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشفعوا الي توجروا اني اريد الامر فاوخره كي تشفعوا الي فتوجروا و
قال صلى الله عليه وسلم ما من صدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن
بها الدم ويجر بها المنفعة الى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر وروى عكرمة عن ابن عباس ان زوج بريرة
كان عبدا يقال له مغيث كاني انظر اليه خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم للعباس الا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغض بريرة مغيثا فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لو راجعتيه فانه ابو ولدك قالت يا رسول الله اتامرني فافعل فقال لا انما انا شفيع
ومنها ان يبدا كل مسلم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم من بدا
بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدا بالسلام وقال بعضهم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم اسلم ولم استاذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم وادخل وروى جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على اهلها فان الشيطان اذا سلم احدكم
لم يدخل بيته وقال انس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني حجج فقال لي يا انس اسبغ الوضوء
يزد في عمرك وسلم على من لقيته من امتي تكثر حسناتك واذا دخلت منزلك فسلم على اهل بيتك يكثر

خير بيتك وقال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال عليه السلام والذي نفسي بيده
لا تدخلوا الجنة حتى تومنوا ولا تومنوا حتى تحابوا افلا ادلكم على عمل اذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى
يا رسول الله قال افشوا السلام بينكم وقال عليه السلام اذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه
الملايكة سبعين مرة وقال عليه السلام يسلم الراكب على الماشي واذا سلم من القوم واحد اجزا عنهم وقال
قتادة كانت تحية من قبلكم السجود فاعطى الله عز وجل هذه الامة السلام وهو تحية اهل الجنة وكان
ابو مسلم الخولاني يمر على قوم فلا يسلم ويقول ما يمنعني الا اني اخشى ان لا يردوا فتلعنهم الملايكة و
المصافحة ايضا سنة مع السلام وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام عليكم فقال
عليه السلام عشر حسنات فجاء آخر وقال سلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون فجاء آخر وقال سلام عليكم
ورحمة الله وبركاته فقال ثلثون وكان انس رضي الله عنه يمر على الصبيان فيسلم ويروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فعل ذلك وروى عبد الحميد بن بهرام انه عليه السلام مر في المسجد يوما و
عصبة من النساء قعود فالوى بيده بالتسليم واشار عبد الحميد بيده للحكاية وقال عليه السلام
لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام واذا لقيتم احدهم في الطريق فاضطروه الى اضيقه و
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصافحوا اهل الذمة ولا تبدءوهم بالسلام
واذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقه وقالت عايشة رضي الله عنها ان رهطا من
اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم قالت
عايشة فقلت بل عليكم السام واللعنة فقال عليه السلام يا عايشة ان الله يحب الرفق في كل شي
فقلت الم تسمع ما قالوا قال فقد قلت عليكم وقال عليه السلام يسلم الراكب على الماشي والماشي
على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير وقال عليه السلام لا تشبهوا باليهود والنصارى
فان تسليم اليهود الاشارة بالاصابع وتسليم النصارى الاشارة بالكف قال ابو عيسى اسناده
ضعيف وقال عليه السلام اذا انتهى احدكم الى مجلس فليسلم فان بدا ان يجلس فليجلس ثم اذا قام
فليسلم فليست الاولى باحق من الآخرة وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقى
المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشرة
وقال الحسن المصافحة تزيد في الود وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام تحياتكم
بينكم المصافحة وقال صلى الله عليه وسلم قبلة المسلم اخاه المصافحة ولا باس بتقبيل يد المعظم
في الدين تبركا به وتوقيرا روي عن ابن عمر قال قبلنا يد النبي صلى الله عليه وسلم وعن كعب بن
مالك قال لما نزلت توبتي اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقبلت يده وروي ان اعرابيا قال يا
رسول الله ايذن لي فاقبل راسك ويدك قال فاذن له ففعل ولقي ابو عبيدة عمر بن الخطاب فصافحه
وقبل يده وتنحيا يبكيان وعن البراء بن عازب انه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضا
فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ورد عليه ومد يده فصافحه فقال يا رسول الله ما كنت ارى هذا الا من
اخلاق الاعاجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مر رجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل

درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا عليه رد عليه ملأ خير منهم واطيب او قال وافضل و الانحناء عند السلام منهي عنه قال انس قلنا يا رسول الله اينحني بعضنا لبعض قال لا قال فيقبل بعضنا بعضا قال لا قال فيصافح قال نعم والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر قال ابو ذر ما لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الا صافحني وطلبني يوما فلم اكن في البيت فلما اخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت اجود واجود والاخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الاثر فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت واخذ عمر بغرزه حتى رفعه وقال هكذا فافعلوا بزيد واصحاب زيد والقيام مكروه على سبيل الاكرام قال انس ما كان شخص احب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك و روي انه عليه السلام قال مرة اذا رأيتموني فلا تقوموا كما يصنع الاعاجم وقال عليه السلام من سره ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار وقال عليه السلام لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النهي وقال صلى الله عليه وسلم اذا اخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل اخاه فاوسع له فليأته فانما هي كرامة اكرمه بها اخاه فان لم يوسع له فلينظر الى اوسع مكان يجده فيجلس فيه وروي انه سلم رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يجب فيكره السلام على من يقضي حاجته ويكره ان يقول ابتداء عليك السلام قاله رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ان عليك السلام تحية الميت قاله ثلاثا ثم قال اذا لقي احدكم اخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله ويستحب للداخل اذا سلم ولم يجد مجلسا ان لا ينصرف بل يقعد وراء الصف كان صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد اذ اقبل ثلاثة نفر فاقبل اثنان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما احدهما فوجد فرجة فجلس فيها واما الثاني فجلس خلفهم واما الاخر فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم عن النفر الثلاثة اما احدهم فأوى الى الله فآواه الله واما الثاني فاستحيى فاستحيى الله منه واما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر الله لهما قبل ان يفترقا وسلمت ام هانئ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقيل ام هانئ فقال عليه السلام مرحبا بام هانئ

ومنها ان يصون عرض اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ويرد عنه ويناضل دونه وينصره روى ابو الدرداء ان رجلا نال من رجل عند رسول الله صلعم فرد عنه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره ادركه الله عز وجل بها في الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله تبارك وتعالى بها في الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حمى عرض اخيه المسلم في الدنيا بعث الله تع ملكا يحميه يوم القيمة من النار وقال جابر وابو طلحة سمعنا رسول الله صلعم يقول ما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله عز وجل في موطن يحب فيه نصره وما

من امري

من امرئ خذل مسلما في موضع ينتهك فيه حرمته الا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته

ومنها تشميت العاطس قال صلى الله عليه وسلم في العاطس يقول الحمد لله على كل حال ويقول الذي يشمته يرحمك الله ويرد عليه العاطس يهديكم الله ويصلح بالكم وعن ابن مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فاذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فاذا قالوا ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم وشمت رسول الله عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال انه حمد الله وانت سكت وقال صلى الله عليه وسلم يشمت المسلم اذا عطس ثلثا فان زاد فهو زكام وروي انه عليه السلام شمت عاطسا فعطس اخرى فقال انك مزكوم وقال ابو هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه او بيده وروي خمر وجهه وقال ابو موسى الاشعري كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يقول يرحمكم الله فكان يقول يهديكم الله وروي عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه ان رجلا عطس خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا وبعد ما يرضاه والحمد لله على كل حال فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال من صاحب هذه الكلمات فقال انا يا رسول الله ما اردت بهن الا الخير فقال لقد رأيت اثني عشر ملكا كلهم يبتدرونها ايهم يكتبها وقال عليه السلام من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته وقال عليه السلام العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فاذا تثاوب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال آه آه فان الشيطان يضحك من جوفه وقال ابراهيم النخعي اذا عطس على قضاء الحاجة فلا بأس بان يذكر الله وقال الحسن يحمد الله في نفسه وقال كعب الاحبار قال موسى يا رب اقريب انت فاناجيك ام بعيد فاناديك فقال انا جليس من ذكرني فقال فانا نكون على حال نجلك ان نذكرك عليها كالجنابة والغائط فقال اذكرني على كل حال

ومنها انه اذا ابتلي بذي شر فينبغي ان يجامله ويتقيه قال بعضهم خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فان الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر و قال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع من يخاف شره قال الله تع ادفع بالتي هي احسن وقال ابن عباس في معنى قوله ويدرءون بالحسنة السيئة اي الفحش والاذى بالسلام والمداراة وقال في معنى قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة وقالت عائشة رضي الله عنها استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ائذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما دخل الان له القول حتى ظننت ان له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت ثم النت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيمة من تركه الناس اتقاء فحشه وفي الخبر ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وفي الاثر خالطوا الناس باعمالكم وزايلوهم بالقلوب وقال محمد بن الحنفية ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد بدا من معاشرته حتى يجعل الله له فرجا

ومنها ان يجتنب مخالطة الاغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن الى الايتام كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين وكان سليمان عليه السلام في ملكه اذا دخل

المسجد فراى مسكينا جلس اليه وقال مسكين جالس مسكينا وقيل ما كان من كلمة يقال لعيسى عليه السلام احب اليه
من ان يقال له يا مسكين وقال كعب الاحبار كما في القرآن من يا ايها الذين آمنوا فهو في الزبور يا ايها المساكين
وقال عبادة بن الصامت ان للنار سبعة ابواب ثلاثة للاغنياء وثلاثة للنساء وواحدة للفقراء
والمساكين وقال الفضيل بلغني ان نبيا من الانبياء قال يا رب كيف لي ان اعلم رضاك عني قال انظر
كيف رضي المساكين عنك وقال عليه السلام اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى يا رسول الله قال الاغنياء
وقال موسى عليه السلام الهي اين ابغيك قال عند المنكسرة قلوبهم وقال صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا
بنعمة فانك لا تدري الى ما يصير بعد الموت فان من ورائه طالبا حثيثا واما اليتيم فقد قال صلى الله عليه
وسلم من ضم يتيما من ابوين مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة البتة وقال عليه السلام انا وكافل اليتيم
في الجنة كهاتين واشار باصبعيه وقال صلى الله عليه وسلم من وضع يده على راس يتيم ترحما كان له بكل شعرة
تمر عليها يده حسنة وقال صلى الله عليه وسلم خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت من
المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ومنها النصيحة لكل مسلم والجهد في ادخال السرور على قلبه قال صلعم
المومن يحب للمومن ما يحب لنفسه وقال عليه السلام لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال
صلى الله عليه وسلم ان احدكم مرآة اخيه فاذا راى به شيئا فليمطه عنه وقال عليه السلام من قضى حاجة لاخيه
فكانما خدم الله عمره وقال صلى الله عليه وسلم من اقر عين مومن اقر الله عينه يوم القيمة وقال عليه السلام
من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين وقال
عليه السلام من فرج عن مغموم او اعان مظلوما غفر الله له ثلثا وسبعين مغفرة وقال عليه السلام انصر
اخاك ظالما او مظلوما فقيل وكيف ينصره ظالما فقال ان يمنعه من الظلم وقال صلى الله عليه وسلم ان من احب
الاعمال الى الله ادخال السرور على المومن وان تفرج عنه غما او تقضي عنه دينا او تطعمه من جوع وقال صلعم
من حمى مومنا من منافق يعنته بعث الله اليه ملكا يحمي لحمه يوم القيمة من نار جهنم وقال عليه السلام خصلتان
ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الايمان بالله والنفع لعباد التزم
الله وقال عليه السلام من لم يهتم للمسلمين فليس منهم وقال معروف الكرخي رحمه الله من قال اللهم اصلح
امة محمد اللهم ارحم امة محمد اللهم فرج عن امة محمد كل يوم ثلاث مرات كتبه الله من الابدال وبكى علي
بن الفضيل يوما فقيل له ما يبكيك فقال ابكي على من ظلمني اذا وقف غدا بين يدي الله عز وجل وسئل عن ظلمه ولم
يكن له حجة ومنها ان يعود مرضاهم والمعرفة والاسلام كاف في اثبات هذا الحق ونيل فضله وادب
العائد خفة الجلسة وقلة السوال واظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع
وادبه عند الاستيذان ان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول انا اذا قيل من ولا يقول يا غلام
لكن يحمد ويسبح وقال صلى الله عليه وسلم تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته او على يده و
يساله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا قعد في مخارف الجنة
حتى اذا قام وكل به سبعون الف ملك يصلون عليه حتى الليل وقال صلى الله عليه وسلم اذا عاد الرجل
المريض خاض في الرحمة فاذا قعد عنده قرت فيه وقال عليه السلام اذا عاد المسلم اخاه او زاره قال
الله عز وجل طبت وطاب ممشاك وتبوات منزلا في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد بعث

الله تبارك وتعالى اليه ملكين فقال انظروا ماذا يقول لعواده فان هو اذا جاؤه حمد الله واثنى عليه رفعا
ذلك الى الله وهو اعلم فيقول لعبدي علي ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا شفيته ان ابدل له لحما خيرا
من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه سيآته وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه
وقال عثمان مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم اعيذك بالله الاحد
الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد من شر ما تجد قاله مرارا ودخل صلى الله عليه وسلم على علي
ابي طالب كرم الله وجهه وهو مريض فقال له قل اللهم اني اسالك تعجيل عافيتك او صبرا على بليتك
او خروجا من الدنيا الى رحمتك فانك ستعطى احدهن ويستحب للعليل ايضا ان يقول اعوذ بعزة الله
وقدرته من شر ما اجد وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا شكا احدكم بطنه فليسال امراته شيئا من
صداقها فيشتري به عسلا فيشربه بماء السماء فيجتمع له الهنيء والمريء والشفاء المبارك وقال
النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اخبرك بامر هو حق من تكلم به في اول مضجعه من مرضه نجاه الله
من النار قلت بلى يا رسول الله قال تقول لا اله الا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت سبحان الله رب العباد
والبلاد والحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله اكبر كبيرا كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل
مكان اللهم انت امرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في ارواح من سبقت لهم منك
الحسنى وروي انه عليه السلام قال عيادة المريض فواق ناقة وقال طاوس افضل العيادة اخفها و
قال ابن عباس عيادة المريض سنة فما ازددت فنافلة وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلاث
وقال عليه السلام اغبوا في العيادة واربعوا وجملة ادب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر
والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء ومنها ان يشيع جنائزهم قال صلى الله عليه و
سلم من شيع جنازة فله قيراط من الاجر فان وقف حتى يدفن فله قيراطان وفي الخبر القيراط مثل احد ولما
روى ابو هريرة هذا الحديث وسمعه ابن عمر قال لقد فرطنا الى الآن في قراريط كثيرة والقصد من
التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار كان مكحول الدمشقي اذا راى جنازة قال اغد فانا رائحون
موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لا عقل له وخرج مالك بن دينار خلف جنازة لاخيه
هو يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما صرت ولا والله لا اعلمه ما دمت حيا وقال الاعمش
كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن القوم كلهم ونظر ابرهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت
فقال لو ترحمون على انفسكم لكان اولى انه نجا من اهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد راى ومرارة الموت
قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن وقال صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد
يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله ومنها ان يزور قبورهم والمقصود من ذلك
الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال صلى الله عليه وسلم ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه وقال عمر
رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى و
بكينا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر آمنة بنت وهب استاذنت ربي في زيارتها فاذن
لي فاستاذنته في ان استغفر لها فابى علي فادركني ما يدرك الولد من الرقة وكان عثمان رضي الله عنه
اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر اول منازل الآخرة

فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج منه فما بعده اشد وقال مجاهد اول ما يكلم ابن آدم
حفرته فيقول انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فما ذا اعددت لي بيت م
وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في
ذلك فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي وان قمت عنهم لم يغتابوني وقال حاتم الاصم من مر
بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم وقال صلى الله عليه وسلم ما من ليلة الا ينادي
مناد يا اهل القبور من تغبطون فيقولون نغبط اهل المساجد لانهم يصومون ولا نصوم ويصلون
ولا نصلي ويذكرون الله ولا نذكره وقال سفين من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن
غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار، وكان الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا فكان اذا وجد
في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ساعة ثم قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت ثم يقول
يا ربيع قد رجعت فاعمل قبل ان لا ترجع وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم اقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور ابائي بني امية كانهم لم يشاركوا اهل
الدنيا في لذاتهم اما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات واصاب الهوام من ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم
احدا انعم ممن صار الى هذه القبور وقد امن من عذاب الله وادب المعزي خفض الجناح واظهار الحزن
وقلة الحديث وترك التبسم وادب تشييع الجنازة لزوم الخشوع وترك الحديث وملاحظة الميت
والتفكر في الموت والاستعداد له وان يمشي امام الجنازة بقربها والاسراع بالجنازة سنة فهذه
جمل تنبه على آداب المعاشرة مع عموم الخلق والجملة الجامعة في ذلك ان لا تستصغر منهم احدا حيا كان
او ميتا فتهلك فانك لا تدري لعله خير منك فانه وان كان فاسقا فلعله يختم له بالصلاح ويختم لك
بمثل حاله الآن ولا تنظر اليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فان الدنيا صغيرة عند الله صغير
ما فيها ومهما عظم اهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله عز وجل ولا تبذل لهم دينك
لتنال من دنياهم فتصغر في اعينهم ثم تحرم دنياهم وان لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو ادنى بالذي
هو خير ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الامر عليك في المعاداة ويذهب دينك ودنياك فيهم
ويذهب دينهم فيك الا اذا رايت منكرا في الدين فتعادي افعالهم القبيحة وتنظر اليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم
لمقت الله وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها فما لك تحقد عليهم ولا تسكن اليهم في مودتهم لك و
ثنائهم عليك في وجهك وحسن بشرهم لك فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد الا في المائة واحدا وربما
لم تجده ولا تشك اليهم احوالك فيكلك الله اليهم ولا تطمع ان يكونوا لك في الغيب والسر كما في العلانية
فذلك طمع كاذب واني تظفر بذلك ولا تطمع فيما في ايديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض ولا تعل
عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم فان الله يلجئك اليهم عقوبة لك على التكبر باظهار الاستغناء،
واذا سالت اخا منهم حاجة فقضاها فهو اخ مستفاد وان لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدوا
تطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك
وليكن وعظك عرضا وارسالا من غير تنصيص على شخص ومهما رايت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله
الذي سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك اليهم واذا بلغك منهم غيبة او رايت منهم شرا او اصابك
منهم ما يسوءك فكل امرهم الى الله واستعذ بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمكافاة فيزيد الضرر و

يضيع العمر بذلك ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي واعتقد انك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موضعا
في قلوبهم فالله المحبب والمبغض الى القلوب وكن فيهم سميعا لحقهم اصم عن باطلهم نطوقا بحقهم صموتا
عن باطلهم واحذر صحبة اكثر الناس فانهم لا يقيلون عثرتك ولا يغفرون زلتك ولا يسترون عورتك ويحاسبون
على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطا و
النسيان ولا يعفون يغرون الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم
رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون في حنقهم ولا يرجون في ملقهم
ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون
بصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليجبهوك بها في غضبهم ووحشتهم
ولا تعول على مودة من لم تختبر حق الخبرة بان تصحبه مدة في دار او موضع واحد فتجربه في عزله وولايته
وغناه وفقره او تسافر معه او تعامله في الدينار والدرهم او تقع في شدة فتحتاج اليه فان رضيته
في هذه الاحوال فاتخذه ابا لك ان كان كبيرا او ابنا ان كان صغيرا او اخا ان كان مثلك فهذه
جملة آداب العشرة مع اصناف الخلق اما حقوق الجوار فاعلم ان الجوار يقتضي حقا وراء
ما تقتضيه اخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال صلى الله عليه وسلم الجيران
ثلاثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله
حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الذي له حق
واحد فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار وقد قال صلى الله عليه وسلم احسن
مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال عليه السلام ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه
وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال عليه السلام لا يؤمن عبد حتى يامن
جاره بوائقه وقال عليه السلام اول خصمين يوم القيمة جاران وقال صلى الله عليه وسلم اذا انت رميت كلب
جارك فقد آذيته ويروى ان رجلا جاء الى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له ان لي جارا يؤذيني ويشتمني ويضيق علي
فقال له اذهب فان هو عصى الله فيك فاطع الله فيه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار و
تقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال صلى الله عليه وسلم هي في النار وجاء رجل الى رسول الله صلعم يشكو جاره فقال له
عليه السلام اصبر ثم قال له في الثالثة او الرابعة اطرح متاعك في الطريق قال فجعل الناس يمرون به فيقولون
ما لك فيقال آذاه جاره قال فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال رد متاعك فوالله لا اعود
وروى الزهري ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينادي على باب
المسجد الا ان اربعين دارا جار قال الزهري اربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واربعون
هكذا واومى الى اربع جهات وقال صلى الله عليه وسلم اليمن والشوم في المراة والمسكن والفرس فيمن المراة
خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشومها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويمن المسكن سعته
وحسن جوار اهله وشومه ضيقه وسوء جوار اهله ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشومه صعوبته و
اعلم انه ليس حق الجوار كف الاذى فقط بل احتمال الاذى فان الجار ايضا قد كف اذاه فليس في ذلك
قضاء حق ولا يكفي احتمال الاذى بل لا بد من الرفق واسداء الخير والمعروف اذ يقال ان الجار الفقير يتعلق

بالجار الغني يوم القيامة ويقول يا رب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني وبلغ ابن المقفع ان
جارا له يبيع داره في دين ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال ما قمت اذن بحرمة ظل داره ان باعها
معدما فدفع اليه ثمن الدار وقال لا تبعها • وشكا بعضهم كثرة الفار في داره فقيل له لو اقتنيت
هرا فقال اخشى ان يسمع الفار صوت الهر فيهرب الى دور الجيران فاكون قد احببت لهم ما لا احب
لنفسي وجملة حق الجار ان يبداه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده
في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنيه في الفرح ويظهر له المشاركة في السرور معه و
يصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح الى عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في مصب الماء
من ميزابه ولا في مطرح التراب من فنائه ولا يضيق طريقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره
ويستر ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته اذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره
عند غيبته ولا يسمع عليه كلامه ويغض بصره عن حرمته ولا يديم النظر الى خادمته ويتلطف لولده
في كلمته ويرشده الى ما يجهله من امر دينه ودنياه هذا مع جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين و
قد قال صلى الله عليه وسلم اتدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استقرضك اقرضته
وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات تبعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان
اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب الريح عنه الا باذنه وان اشتريت
فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج ولدك بها ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار
قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله
هكذا رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عنه صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد كنت عند عبد الله بن
عمر وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت فابدا بجارك اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له
كم تقول هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه سيورثه
وقال هشام كان الحسن لا يرى باسا ان يطعم الجار اليهودي والنصراني من اضحيته وقال
ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم وقال اذا طبخت قدرا فاكثر ماءها ثم انظر بعض اهل بيت من
جيرانك فاغرف لهم منها وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ان لي جارين احدهما
مقبل ببابه والاخر ناء ببابه عني وربما كان الذي عندي لا يسعهما فايهما اعظم حقا فقال المقبل
بابه عليك • وراى ابو بكر الصديق رضي الله عنه ولده عبد الرحمن وهو يماظ جارا له فقال لا تماظ
جارك فان هذا يبقى والناس يذهبون وقال الحسن بن عيسى النيسابوري سالت عبد الله
بن المبارك قلت الرجل المجاور يشكو غلامي انه اتى اليه امرا والغلام ينكر فاكره ان اضربه فلعله ياتيني
بريء واكره ان ادعه فيجد علي جاري فكيف اصنع فقال ان غلامك لعله ان يحدث حدثا
يستوجب فيه الادب فاحفظ عليه ذلك الحدث تكون قد ارضيت جارك وادبته على ذلك الحدث
وهذا تلطف في الجمع بين الحقين وقالت عائشة رضي الله عنها خلال المكارم عشر تكون في الرجل
ولا تكون في ابيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تبارك وتعالى لمن احب
صدق الحديث وصدق الناس واعطاء السائل والمكافاة بالصنائع وصلة الرحم وحفظ

الامانة والذمم للجار والذمم للصاحب وقرى الضيف وراسهن الحياء وقال ابو هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة وقال عليه السلام ان من سعادة
المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهني وقال عبد الله قال رجل يا رسول الله كيف لي ان
اعلم اذا احسنت او اسات قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد احسنت فقد احسنت واذا سمعتهم
يقولون قد اسات فقد اسات وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له جار في حائط او شريك
فلا يبيعه حتى يعرضه عليه وقال ابو هريرة قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجار يضع جذوعه في
حائط جاره شاء ام ابى وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع احدكم جاره ان يضع
خشبة في حائطه وقال ابو هريرة يقول ما لي اراكم عنها معرضين والله لارمين بها بين اكتافكم وقد ذهب
بعض العلماء الى وجوب ذلك وقال صلى الله عليه وسلم من اراد الله به خيرا عسله قيل معناه يحببه الى جيرانه

حقوق الاقارب والرحم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققت
لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينسا له في اثره
ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه وفي رواية من سره ان يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليتق الله وليصل
رحمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل فقال اتقاهم لله واوصلهم للرحم وامرهم بالمعروف
وانهاهم عن المنكر وقال ابو ذر اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصلة الرحم وان ادبرت وامرني ان اقول الحق وان
كان مرا وقال عليه السلام ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل المكافي ولكن الواصل الذي اذا انقطعت رحمه
وصلها وقال صلى الله عليه وسلم ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم حتى ان اهل البيت ليكونون فجارا فتنمي اموالهم و
يكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم وقال زيد بن اسلم لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة عرض له رجل فقال
ان كنت تريد النساء البيض والنوق الادم فعليك ببني مدلج فقال صلى الله عليه وسلم ان الله منعني من بني مدلج
بصلتهم للرحم وقالت اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه قدمت علي امي فقلت يا رسول الله ان امي قدمت
علي وهي مشركة افاصلها قال نعم وفي رواية افاعطيها فقال نعم صليها وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة على
المساكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان ولما اراد ابو طلحة ان يتصدق بحائط كان له يعجبه عملا بقوله تعالى حتى تنفقوا
مما تحبون قال يا رسول الله هي في سبيل الله والفقراء والمساكين فقال صلى الله عليه وسلم وجب اجرك فاقسمه
في اقاربك وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وهو في معنى قوله عليه السلام افضل الفضائل
ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك • وروي ان عمر رضي الله عنه كتب الى عماله مروا الاقارب
ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما قال ذلك لان التجاور يوجب التزاحم على الحقوق وربما يورث ذلك
الوحشة وقطيعة الرحم **حق الوالدين والولد** لا يخفى انه اذا تاكد حق القرابة والرحم فاخص الارحام و
امسها الولادة فتضاعف تاكد الحق فيها وقد قال صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا
فيشتريه فيعتقه • وقد قال صلى الله عليه وسلم بر الوالدين افضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في
سبيل الله وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن امسى مثل
ذلك وان كان واحدا فواحد ومن اصبح مسخطا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى النار ومن امسى مثل
ذلك وان كان واحدا فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما وقال عليه السلام ان الجنة توجد ريحها من

مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال عليه السلام بر أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك ويروى أن الله عز وجل قال لموسى يا موسى إنه من بر والديه وعقني كتبته برا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا وقيل لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له فأوحى الله إليه أتتعاظم أن تقوم لأبيك وعزتي لا أخرجت من صلبك نبيا وقال صلى الله عليه وسلم ما على أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيء وقال مالك بن ربيعة بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي علي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وقال صلى الله عليه وسلم إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه وقال عليه السلام بر الوالدة على الولد ضعفين وقال صلى الله عليه وسلم الوالدة أسرع إجابة قيل يا رسول الله ولم ذلك قال هي أرحم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط وسأله رجل فقال يا رسول الله من أبر فقال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله والدا أعان ولده على بره أي لم يحمله على العقوق بسبب عمله وقال صلى الله عليه وسلم ساووا بين أولادكم في العطية وقد قيل ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك أو شريكك وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ تسع سنين عزل فراشه فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه وقال عليه السلام كل غلام رهين أو رهينة بعقيقته تذبح يوم السابع ويحلق رأسه وقال قتادة إذا ذبحت العقيقة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها أوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعد وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه قال نعم قال أنت أفسدته ويستحب الرفق بالولد رأى الأقرع بن حابس النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه السلام إن من لا يرحم لا يرحم وقالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلي وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا أتقيه فضرب يدي ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية وتعثر الحسن رضوان الله عليه والنبي صلى الله عليه وسلم على منبره فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقال عبد الله بن شداد بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قال قد أطلت السجود حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال إن ابني كان قد ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته وقال عليه السلام ريح الولد من ريح الجنة وقال يزيد بن معاوية أرسل أبي إلى الأحنف بن قيس فلما وصل إليه قال له يا أبا بحر ما الذي تقول في الولد فقال يا أمير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فإن طلبوا فأعطهم وإن غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن

الوالدة

عليهم قفلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية لله أنت يا أحنف لقد دخلت علي وأنا مملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الأحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث إليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقاسمه على الشطر فهذه هي الأخبار الدالة على تأكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقهما تعرفه مما ذكرناه في حق الأخوة فإن هذه الرابطة آكد من الأخوة بل يزيد ههنا أمران أحدهما أن أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات وإن لم تجب في الحرام المحض حتى إذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك أن تأكل معهما لأن ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح أو نافلة إلا بإذنهما والمبادرة إلى الحج الذي هو فرض الإسلام نفل لأنه على التأخير والخروج لطلب العلم نفل إلا إذا كان خروجك لطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيه من يعلمه شرع الإسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين قال أبو سعيد الخدري هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد فقال عليه السلام هل باليمن أبواك قال نعم قال هل أذنا لك فقال لا قال عليه السلام فارجع إلى أبويك فاستأذنهما فإن فعلا فجاهد وإلا فبرهما ما استطعت فإن ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد وجاء آخر إليه عليه السلام يستشيره في الغزو فقال ألك والدة قال نعم قال فالزمها فإن الجنة تحت قدميها وجاء آخر وطلب البيعة على الهجرة وقال ما جئتك حتى أبكيت والدي فقال ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما وقال صلى الله عليه وسلم حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده وقال عليه السلام إذا استصعبت على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو واحد من أهل بيته فليؤذن في أذنه

حق المملوك

اعلم أن ملك النكاح قد سبق في حقوقه في آداب النكاح فأما ملك اليمين فهو أيضا يقتضي حقوقا في المعاشرة لا بد من مراعاتها فقد كان من آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فإن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم وقال صلى الله عليه وسلم للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيئ الملكة وقال عبد الله بن عمر جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كم نعفو عن الخادم فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة وكان عمر رضي الله عنه يذهب إلى العوالي كل يوم سبت فإذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه منه ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلا على دابة وغلامه يسعى خلفه فقال له يا عبد الله احمله فإنما هو أخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وقالت جارية لأبي الدرداء إني سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيئا فقال لم فعلت ذلك فقالت أردت الراحة منك فقال اذهبي فأنت حرة لوجه الله وقال الزهري متى قلت للمملوك أخزاك الله فهو حر وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره إذ أتته خادمة له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية إلا العتق أنت حرة لا بأس

عليك ، وكان عون بن عبد الله اذا عصاه غلامه قال ما اشبهك بمولاك يعصي مولاه وانت
تعصي مولاك واغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر ، وكان عند ميمون بن مهران
ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوة فعثرت واراقتها
على راس سيدها ميمون فقال يا جارية احرقتني قالت يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ما
قال الله عز وجل قال وما قال الله قالت والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قالت والعافين عن الناس
قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله عز وجل يقول والله يحب المحسنين قال انت حرة لوجه الله وقال
ابن المنكدر ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول اسالك بالله
اسالك بوجه الله فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق اليه فلما راى رسول الله صلى الله
عليه وسلم امسك يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالك بوجه الله فلم تعفه فلما رايتني امسكت
يدك قال فانه حر لوجه الله يا رسول الله قال لو لم تفعل لسفعت وجهك النار ، وقال صلى الله عليه و
سلم العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين ولما اعتق ابو رافع بكى وقال كان
لي اجران فذهب احدهما وقال صلى الله عليه وسلم عرض علي اول ثلاثة يدخلون الجنة واول ثلاثة يدخلون
النار فاما اول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك احسن عبادة ربه ونصح لسيده
وعفيف متعفف ذو عيال واول ثلاثة يدخلون النار امير مسلط وذو ثروة لا يعطي حق الله و
فقير فخور ، وعن ابي مسعود الانصاري قال بينا انا اضرب غلاما لي فسمعت صوتا من خلفي اعلم
ابا مسعود مرتين فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقيت السوط فقال والله لله
اقدر عليك منك عليه وقال صلى الله عليه وسلم اذا ابتاع احدكم الخادم فليكن اول شيء يطعمه
الحلواء فانه اطيب لنفسه رواه معاذ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى
احدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه وان لم يفعل فليناوله وفي رواية اذا كفى احدكم مملوكه
صنعة طعامه فكفاه حره وعلاجه ومؤنته وقربه اليه فليجلسه فلياكل معه او لياخذ اكلة
فليروغها واشار بيده فليضعها في يده وليقل كل هذه ، ودخل رجل على سلمان رضي الله عنه وهو
يعجن فقال يا ابا عبد الله ما هذا قال بعثنا الخادم في شغل فكرهنا ان نجمع عليه عملين ، وقال
صلى الله عليه وسلم من كانت عنده جارية فعالها واحسن اليها ثم اعتقها وتزوجها فذلك له اجران
وقد قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فجملة حق المملوك ان يشركه في طعمته
وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء وان يعفو عن زلته ويتفكر عند
غضبه عليه بهفوته او بجنايته في معاصيه وجنايته على حق الله وتقصيره في طاعته مع ان
قدرة الله عليه فوق قدرته ، وروى فضالة بن عبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا تسال
عنهم رجل فارق الجماعة او عصى امامه فمات عاصيا فلا تسال عنه وامراة غاب عنها زوجها
وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده فلا تسال عنها وثلاثة لا تسال عنهم رجل ينازع الله
رداءه ورداؤه الكبرياء وازاره العز ورجل في شك من الله والقنوط من الرحمة تم كتاب
آداب الصحبة ويتلوه كتاب العزلة والحمد لله رب العالمين

كتاب العزلة وهو الكتاب السادس من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين
الحمد لله الذي اعظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته ، بان صرف هممهم الى مؤانسته ، واجزل حظهم
من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته ، وروح اسرارهم بمناجاته وملاطفته ، وحقر في قلوبهم النظر
الى متاع الدنيا وزهرتها ، حتى اغتبط بعزلته كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته ، فاستانس بمطالعة
سبحات وجه الله تعالى في خلوته ، واستوحش به عن الانس بالانس وان كان من اخص خاصته ، و
الصلوة على محمد سيد انبيائه وخيرته ، وعلى آله واصحابه سادة الخلق وائمته اما بعد
فان للناس اختلافا كثيرا في العزلة والمخالطة وتفضيل احدهما على الآخر مع ان كل واحد منهما
لا ينفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو اليها وميل اكثر العباد والزهاد الى اختيار العزلة و
تفضيلها على المخالطة ، وما ذكرناه في كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة والمواخاة والمؤالفة يكاد
يناقض ما مال اليه الاكثرون من اختيار الاستيحاش والخلوة فكشف الغطاء عن الحق في ذلك مهم
ويحصل ذلك برسم بابين الباب الاول في نقل المذاهب والحجج فيها الباب الثاني في كشف
الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل الباب الاول في نقل المذاهب والاقاويل و
ذكر حجج الفريقين في ذلك اما المذاهب فقد اختلف الناس وظهر هذا الاختلاف بين التابعين
فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري وابراهيم بن ادهم وداود الطائي
والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي وبشر الحافي وقال
اكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والاخوان للتالف والتحبب الى المؤمنين
والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى ومال الى هذا سعيد بن المسيب والشعبي
وابن ابي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك
والشافعي واحمد بن حنبل وجماعة والماثور عن العلماء من الكلمات ينقسم الى كلمات مطلقة تدل على
الميل الى احد الرايين والى كلمات مقرونة بما يشير الى علة الميل فلننقل الآن مطلقات تلك الكلمات
لتتبين المذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نورده عند التعرض للغوائل والفوائد فنقول
قد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال خذوا بحظكم من العزلة وقال ابن سيرين العزلة عبادة وقال
الفضيل كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا
وقال ابو الربيع الزاهد لداود الطائي عظني قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر
من الناس فرارك من الاسد وقال الحسن رحمه الله كلمات احفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى
اعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروته وصبر قليلا وقال
وهيب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس و
قال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار ما اصبرك على الوحدة وقد كان لزم البيت فقال كنت و
انا شاب اصبر على اشد من هذا كنت اجالس الناس ولا اكلمهم وقال سفين الثوري هذا وقت

السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث
معنا سبعًا لا نسمع له كلامًا فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله واياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا
تكلمنا فانشا يقول قليل الهم لا ولد يموت • ولا امر يحاذر ان يفوت • قضى وطر الصبا وافاد (ان تحققه)
علمًا • فغايته التفرد والسكوت • وقال ابرهيم النخعي لغيره تفقه ثم اعتزل وكذا قال الربيع
خثيم وقيل كان مالك بن انس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطي الاخوان حقوقهم فترك واحدًا
واحدًا حتى تركها كلها • وكان يقول لا يتهيأ للمرء ان يخبر بكل عذر له وقيل لعمر بن عبد العزيز لو تفرغت
لنا فقال ذهب الفراغ فلا فراغ الا عند الله عز وجل وقال الفضيل اني لاجد للرجل عندي يدًا اذ
لقيني ان لا يسلم علي واذا امرضت ان لا يعودني وقال ابو سليمن الداراني بينما الربيع بن خثيم
جالس على باب داره اذ جاءه حجر فصك جبهته فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع
فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى اخرجت جنازته • وكان سعد بن ابي وقاص
وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا ياتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق
وقال يوسف بن اسباط سمعت سفين الثوري يقول والله الذي لا اله الا هو لقد حلت
العزلة وقال بشر بن عبد الله اقل من معرفة الناس فانك لا تدري ما يكون يوم القيمة فان يكن فضيحة
كان من يعرفك قليلا • ودخل بعض الامراء على حاتم الاصم فقال الك حاجة قال نعم قال ما هي قال ان لا
اراك ولا تراني وقال رجل لسهل اريد ان اصحبك فقال اذا مات احدنا فمن يصحب الآخر فليصحبه
الآن وقيل للفضيل ان عليًا ابنك يقول لوددت اني في مكان ارى الناس ولا يروني
فبكى الفضيل وقال يا ويح علي افلا اتمها فقال لا اراهم ولا يروني وقال الفضيل ايضًا
من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه وقال ابن عباس رضي الله عنه افضل المجالس مجلس في قعر بيتك
لا ترى ولا ترى فهذه اقاويل المائلين الى العزلة **ذكر حجج المائلين الى المخالطة** احتج هولاء بقوله
تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وبقوله تع الف بين قلوبكم فامتن على الناس بالسبب المولف
وهذا ضعيف لان المراد تفرق الآراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله واصول
الشريعة والمراد بالالفة نزع الغوايل من الصدور وهي الاسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات
والعزلة لا تنافي ذلك • واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم المومن الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف
ولا يولف وهذا ايضا ضعيف لانه اشارة الى مذمة سوء الخلق الذي يمتنع بسببه المولفة
ولا يدخل تحته الحسن الخلق الذي ان خالطه احد الف ولكنه ترك المخالطة اشتغالا بنفسه وطلبا
للسلامة من غيره واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية و
بقوله صلى الله عليه وسلم من شق عصى المسلمين والمسلمون في اسلام دامج فقد خلع ربقة الاسلام
وهذا ضعيف لان المراد به الجماعة التي اتفقت آراؤهم على امام بعقد البيعة فالخروج عليهم
بغي وذلك مخالفة بالراي وخروج عليهم وذلك محظور لاضطرار الخلق الى امام مطاع يجمع رايهم
ولا يكون ذلك الا بالبيعة من الاكثر فالمخالفة فيه تشويش مثير للفتنة فليس في هذا تعرض
للعزلة واحتجوا بنهيه عليه السلام عن الهجرة فوق ثلاث اذ قال من هجر اخاه فوق ثلاث فمات

دخل النار وقال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة وقال من هجر
اخاه سنة فهو كسافك دمه قالوا والعزلة هجرة بالكلية وهذا ضعيف لان المراد به الغضب
على الناس واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة فلا يدخل فيه ترك المخالطة اصلاً
من غير غضب مع ان الهجرة فوق ثلاث جائزة في موضعين احدهما ان يرى فيه استصلاحًا
للمهجور في الزيادة والثاني ان يرى لنفسه سلامة فيه والنهي وان كان عامًا فهو محمول على
ما وراء الموضعين المخصوصين بدليل ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم هجرها
ذي الحجة والمحرم وبعض صفر • وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وآلى
عنهن شهرًا وصعد الى غرفة له وهي خزانته فلبث تسعًا وعشرين فلما نزل قيل له انك كنت
فيها تسعًا وعشرين فقال الشهر قد يكون تسعًا وعشرين • وروت عائشة رضي الله عنها ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاثة ايام الا ان يكون ممن لا تومن بوائقه
فهذا صريح في التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رحمه الله حيث قال هجران الاحمق قربة
الى الله تع فان ذلك يدوم الى الموت اذ الحماقة لا ينتظر علاجها وذكر عند محمد بن عمر الواقدي
رجل هجر رجلاً حتى مات فقال هذا شيء قد تقدم فيه قوم سعد بن ابي وقاص كان مهاجرًا لعمار
بن ياسر حتى ماتا وعثمان بن عفان كان مهاجرًا لعبد الرحمن بن عوف وعائشة كانت مهاجرة
لحفصة وكان طاوس مهاجرًا لوهب بن منبه حتى مات وكل ذلك يحمل على رويتهم سلامتهم في
المهاجرة احتجوا بما روي ان رجلا اتى الجبل ليتعبد فيه فجيء به الى رسول الله صلعم فقال لا تفعل
انت ولا احد منكم لصبر احدكم في بعض مواطن الاسلام خير من عبادة احدكم اربعين عامًا والظاهر
ان هذا انما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الاسلام بدليل ما روي عن ابي هريرة
انه قال غزونا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء فقال واحد
من القوم لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولن افعل ذلك حتى اذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم لا تفعل ذلك فان مقام احدكم في سبيل الله خير من صلوته في اهله ستين
عامًا الا تحبون ان يغفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فانه من قاتل في سبيل الله فواق
ناقة ادخله الله الجنة احتجوا بما روى معاذ بن جبل انه عليه السلام قال ان الشيطان ذئب
الانسان كذئب الغنم ياخذ القاصية والناحية والشاذة واياكم والشعاب وعليكم بالعامة
والجماعة والمساجد وهذا انما اراد به من اعتزل قبل تمام العلم وسياتي ان ذلك منهي عنه الا لضرورة
ذكر حجج المائلين الى تفضيل العزلة احتجوا بقوله تع حكاية عن ابرهيم عليه السلام واعتزلكم وما تدعون من
دون الله وادعو ربي الآية ثم قال تع فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب
وكلا جعلنا نبيًا اشار الى ان ذلك بركة العزلة وهذا ضعيف لان مخالطة الكفار لا فائدة
فيها الا دعوتهم الى الدين وعند الياس عن اجابتهم فلا وجه الا هجرهم واما الكلام في مخالطة
المسلمين وما فيها من البركة اذ روي انه عليه السلام قيل له الوضوء من جر مخمر احب اليك ام من
هذه المطاهر التي يتطهر منها الناس فقال بل من هذه المطاهر التماسًا لبركة ايدي المسلمين و

وروي انه لما طاف بالبيت عدل الى زمزم ليشرب منها فاذا التمر المنقع في الحياض الادم قد مغثه الناس بايديهم وهم يتناولون منه ويشربون فاستسقى منه فقال العباس ان هذا النبيذ شراب قد مغث وخيض بالايدي افلا آتيك بشراب انظف من هذا من جر مخمر في البيت فقال اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس التمس بركة ايدي الناس فشرب منه فاذن كيف يستدل باعتزال الكفار والاصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم واحتجوا ايضا بقوله تع عن موسى عليه السلم وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون وانه فزع الى الاعتزال عند الياس منهم وقال تع في اصحاب الكهف واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته امرهم بالعزلة وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه وسلم قريشا لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وامر اصحابه باعتزالهم والهجرة الى ارض الحبشة ثم تلاحقوا به بالمدينة بعد ان اعلى الله كلمته وهذا ايضا اعتزال عن الكفار عند الياس منهم فانه صلى الله عليه وسلم لم يعتزل المسلمين ولا من توقع اسلامه من الكفار واهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم مومنون وانما اعتزلوا الكفار وانما النظر في العزلة من المومنين واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر الجهني لما قال يا رسول الله ما النجاة قال ليسعك بيتك وامسك عليك دينك وابك على خطيئتك وروي انه قيل له عليه السلم اي الناس افضل قال مومن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي وفي الاحتجاج بهذه الاحاديث نظر فاما قوله عليه السلام لعبد الله بن عامر فلا يمكن تنزيله الا على ما عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة من حاله وان لزوم البيت كان اليق به واسلم من المخالطة فانه لم يامر جميع الصحابة بذلك ورب شخص يكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد يكون سلامته في القعود في البيت وان لا يخرج الى الجهاد وذلك لا يدل على ان ترك الجهاد افضل وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم وعلى هذا ينزل قوله عليه السلم رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره فهذا اشارة الى شرير بطبعه يتاذى الناس بمخالطته وقوله ان الله يحب التقي الخفي الغني اشارة الى ايثار الخمول وتوقي الشهرة وذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راهب معتزل يعرفه كافة الناس وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة فهذا تعرض لامور تتعلق بالعزلة احتجوا بما روي انه عليه السلم قال لاصحابه الا انبيكم بخير الناس قالوا بلى فاشار بيده نحو المغرب فقال رجل اخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر ان يغير او يغار عليه الا انبيكم بخير الناس بعده واشار بيده نحو الحجاز وقال رجل في غنيمة يقيم الصلوة ويوتي الزكوة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس فاذ ظهر ان هذه الادلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوايد العزلة وغوايلها ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق فيها ان شاء الله

الباب الثاني في فوايد العزلة وغوايلها وكشف الحق في فضلها

اعلم ان اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة وقد ذكرنا ان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص بحسب ما فصلنا من آفات النكاح وفوايده وكذلك القول فيما نحن فيه فلنذكر اولا فوايد العزلة وهي تنقسم الى فوايد دينية

ودنيوية فالدينية تنقسم الى التمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة بالمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم والى التخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الانسان لها بالمخالطة كالرياء والغيبة والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الردية والاعمال الخبيثة من الجلساء السوء واما الدنيوية فتنقسم الى التمكن من التحصيل بالخلوة كتمكن المحترف في خلوته والى التخلص من محذورات يتعرض لها بالمخالطة والتاذي بسوء خلق الجليس في مرائه وسوء ظنه او نميمته او محاسدته او التاذي بثقله وتشويه خلقته فالى هذا ترجع مجامع فوايد العزلة فلنحصرها في ست فوايد

الفايدة الاولى الفراغ للعبادة والفكر والاستيناس بمناجاة الله تع عن مناجاة الخلق والاشتغال باستكشاف اسرار الله في امر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والارض فان ذلك يستدعي فراغا ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة وسيلة اليه ولهذا قال بعض الحكماء لا يتمكن احد من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله عز وجل والمتمسكون بكتاب الله هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله ولا شك في ان هولاء يمنعهم المخالطة عن الفكر والذكر فالعزلة اولى بهم ولذلك كان صلى الله عليه وسلم في ابتداء امره يتبتل في جبل حرا وينعزل اليه حتى قوي فيه نور النبوة فكان الخلق لا يحجبه عن الله وكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلا على الله تع حتى كان الناس يظنون ان ابا بكر رضي الله عنه خليله فاخبر عن استغراق همه بالله فقال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن صاحبكم خليل الله ولن يتسع للجمع بين مخالطة الخلق ظاهرا والاقبال على الله سرا الا قوة النبوة فلا ينبغي ان يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك ولا يبعد ان تنتهي درجة بعض الاولياء اليه فقد نقل عن الجنيد انه قال انا اكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون اني اكلمهم وهذا انما يتيسر للمستغرق بحب الله لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر ففي المشتهرين بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول وما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه بل الذي دهاه ملمة تشوش عليه امر من امور دنياه وقد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع اصواتهم لشدة استغراقه وامر الآخرة اعظم عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الاولى بالاكثرين الاستعانة بالعزلة ولذلك قيل لبعض الحكماء ما الذي ارادوا بالخلوة واختيار العزلة فقال ليستدعوا بذلك دوام الفكرة وتثبت العلوم في قلوبهم ليحيوا حيوة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة وقيل لبعض الرهبان ما اصبرك على الوحدة فقال ما انا وحدي انا جليس الله عز وجل اذا شئت ان يناجيني قرات كتابه واذا شئت ان اناجيه صليت وقيل لبعض الحكماء الى اي شيء افضى بهم الزهد والخلوة فقال الى الانس بالله وقال سفين بن عيينة لقيت ابرهيم بن ادهم في بلاد الشام فقلت له يا ابرهيم تركت خراسان قال ما تهنات بالعيش الا ههنا افر بديني من شاهق الى شاهق فمن رآني يقول موسوس او حمال او ملاح وقيل لغزوان الرقاشي هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة اخوانك قال اني اصبت راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي وقيل للحسن يا ابا سعيد ههنا رجل لم نره قط الا جالسا وحده خلف سارية فقال الحسن اذا رايتموه

وكالنظر الى زهرة الدنيا واقبال الخلق عليها وطمعهم [illegible] [illegible] بالمخالطة

فاخبروني به فنظروا اليه ذات يوم فقالوا للحسن هذا الرجل الذي اخبرناك به واشاروا اليه فمضى
اليه الحسن وقال له يا عبد الله اراك قد حببت اليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس فقال امر شغلني عن
الناس فقال فما يمنعك ان تاتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس اليه فقال امر شغلني عن الناس
وعن الحسن فقال له الحسن وما ذاك يرحمك الله قال اني اصبح وامسي بين نعمة وذنب فرايت
ان اشغل نفسي بشكر الله على النعمة والاستغفار من الذنب فقال له الحسن انت يا عبد الله افقه
عندي من الحسن فالزم ما انت عليه وقيل بينما اويس القرني جالس اذ اتاه هرم بن حيان فقال له
اويس ما جاء بك قال جئت لآنس بك فقال اويس ما كنت ارى احدا يعرف ربه فيانس بغيره و
قال الفضيل اذا رايت الليل مقبلا فرحت به وقلت اخلو بربي واذا رايت الصبح ادركني
استرجعت كراهية لقاء الناس وان يجئ من يشغلني عن ربي وقال عبد الواحد بن زيد طوبى
لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة قيل له وكيف ذلك قال يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة وقال
ذو النون المصري سرور المومن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه وقال مالك بن دينار من لم يانس بمحادثة
الله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره وقال ابن المبارك ما احسن حال
من انقطع الى الله عز وجل ويروى عن بعض الصالحين انه قال بينما انا اسير في بعض بلاد الشام اذا انا
بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر الي تنحى الى اصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان الله تبخل
علي بالنظر اليك فقال يا هذا اني اقمت في هذا الجبل دهرا طويلا اعالج قلبي في الصبر عن الدنيا و
اهلها فطال في ذلك تعبي وفني فيه عمري فسالت الله عز وجل ان لا يجعل حظي من ايامي في مجاهدة قلبي
فسكنه الله عن الاضطراب والف الوحدة والانفراد فلما نظرت اليك خفت ان اقع في الامر الاول
فاليك عني فاني اعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين ثم صاح واغماه من طول المكث في
الدنيا ثم حول وجهه عني ثم نفض يديه وقال اليك عني يا دنيا لغيري فتزيني واهلك فغري ثم قال سبحان
من اذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع اليه ما الهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان
فاذن في الخلوة انس بذكر الله واستكثار من معرفة الله وفي ذلك قيل • واني لاستغشي وما بي نعسة
لعل خيالا منك يلقى خياليا • واخرج من بين الجلوس لعلني • احدث عنك النفس بالسر خاليا • ولذلك
قال بعض الحكماء انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيتكثر حينئذ بملاقاة الناس
ويطرد الوحشة عن نفسه فاذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج
العلم والحكمة وقد قيل الاستيناس بالناس من علامات الافلاس فاذن هذه فايدة جليلة ولكن
في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الانس بالله او بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد
له افضل من كل ما يتعلق بالمخالطة فان غاية العبادات وثمرة المعاملات ان يموت الانسان محبا
لله عارفا بالله ولا محبة الا بالانس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة الا بدوام الفكر وفراغ القلب شرط كل واحد
منهما ولا فراغ مع المخالطة **الفايدة الثانية** التخلص بالعزلة من المعاصي التي يتعرض الانسان لها غالبا
بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي اربعة الغيبة والرياء والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ومسارقة الطبع من الاخلاق الردية والاعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا **اما** الغيبة

فاذا عرفت في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت ان التحرز عنها مع المخالطة
عظيم لا ينجو منها الا الصديقون فان عادة الناس كافة التمضمض باعراض الناس والتفكه بها والتنقل
بحلاوتها فهي طعمتهم ولذتهم واليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة فان خالطتهم ووافقتهم اثمت
وتعرضت لسخط الله وان سكت كنت شريكا والمستمع احد المغتابين وان انكرت ابغضوك وتركوا
ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة الى الغيبة وربما زادوا على الغيبة وانتهوا الى الاستخفاف
والشتم **واما** الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من اصول الدين وهو واجب كما سياتي بيانه
في آخر هذا الربع ان شاء الله ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فان سكت عصى الله به
وان انكر تعرض لانواع من الضرر وربما يجره طلب الخلاص منها الى معاصي هي اكبر مما نهى عنه ابتداء وفي العزلة
خلاص من هذا فان الامر في اهماله شديد والقيام به شاق وقد قام ابو بكر رضي الله عنه خطيبا وقال يا ايها
الناس انكم تقرؤون هذه الآية يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانكم تضعونها
في غير مواضعها واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا راى الناس المنكر فلم يغيروه اوشك
ان يعمهم الله بعقاب وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليسال العبد حتى يقول ما منعك اذا رايت
المنكر في الدنيا ان تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس وهذا
اذا خاف من ضرب او امر لا يطيقه ومعرفة ذلك مشكل وفيه خطر وفي العزلة خلاص وفي الامر
بالمعروف اثارة للخصومات وتحريك لغوايل الصدور كما قيل • وكم سقت في آثاركم من نصيحة • وقد
يستفيد البغضة المتنصح • ومن جرب الامر بالمعروف ندم عليه غالبا فانه كجدار مايل يريد الانسان
ان يقيمه فيوشك ان يسقط عليه فاذا سقط عليه فيقول ليتني تركته مايلا نعم لو وجد اعوانا امسكوا
الحايط حتى يحكمه بدعامة استقام وانت اليوم لا تجد الاعوان فدعهم وانج براسك **واما** الرياء
فهو الداء العضال الذي يعسر على الابدال والاوتاد الاحتراز عنه وكل من خالط الناس داراهم
ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا وهلك كما هلكوا واقل ما يلزمه فيه النفاق فانك ان خالطت
متعاديين ولم تلق كل واحد منهم بوجه يوافقه صرت بغيضا اليهما جميعا وان جاملتهما كنت من شرار
الناس قال صلى الله عليه وسلم تجدون من شرار الناس ذا الوجهين الذي ياتي هولاء بوجه وهولاء
بوجه واقل ما يجب في مخالطة الناس اظهار الشوق والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب اما في
الاصل واما في الزيادة واظهار الشفقة بالسوال عن الاحوال فقولك كيف انت وكيف اهلك
وانت في الباطن فارغ القلب من همومه نفاق محض وقال ابن مسعود ان الرجل ليخرج من بيته
فيلقى الرجل له اليه حاجة فعسى ان لا يحظى من حاجته بشيء فيرجع وقد اسخط الله عليه وما معه من
دينه شيء قال سري لو دخل علي اخ لي فسويت لحيتي بيدي لدخوله خشيت ان اكتب في جريدة
المنافقين • وكان الفضيل رحمه الله جالسا وحده في المسجد الحرام فجاء اليه اخ له فقال له ما جاء بك
قال المؤانسة يا ابا علي فقال هي والله بالمواحشة اشبه هل تريد الا ان تتزين لي وتتزين لك و
تكذب لي واكذب لك اما ان تقوم عني واما ان اقوم عنك وقال بعض العلماء ما احب الله

عبدًا الا احبّ ان لا يشعر به . ودخل طاوس على الخليفة هشام فقال كيف انت يا هشام
فغضب عليه وقال لم لم تخاطبني بامرة المؤمنين فقال لان جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك
فخشيت ان اكون كاذبا فمن امكنه ان يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس والا فليرض باثبات
اسمه في جريدة المنافقين فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في قولهم كيف اصبحت وكيف
حالك في الجواب عنه وكان سؤالهم عن احوال الدين لا عن احوال الدنيا قال حاتم الاصم لحامد
اللفاف كيف انت في نفسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه فقال يا حامد السلامة من وراء
الصراط والعافية في الجنة وكان اذا قيل لعيسى عليه السلام كيف اصبحت قال اصبحت لا املك تقديم ما ارجو
ولا استطيع دفع ما احاذر واصبحت مرتهنا بعملي والخير كله في يد غيري فلا فقير افقر مني . وكان
الربيع بن خثيم اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفي ارزاقنا وننتظر آجالنا و
كان ابو الدرداء اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحت بخير ان نجوت من النار . وكان سفين الثوري
اذا قيل له كيف اصبحت يقول اصبحت اشكر ذا الى ذا واذم ذا الى ذا وافر من ذا الى ذا وقيل لاويس
القرني كيف اصبحت فقال كيف يصبح رجل اذا امسى لا يدري انه يصبح واذا اصبح لا يدري انه يمسي وقيل
لمالك بن دينار كيف اصبحت قال اصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد وقيل لبعض الحكماء كيف اصبحت
قال اصبحت لا ارضى حيوتي لمماتي ولا نفسي لربي وقيل لحكيم كيف اصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل
كل يوم الى الآخرة مرحلة وقيل لحامد اللفاف كيف اصبحت قال اشتهي عافية يوم الى
الليل فقيل له الست في عافية في كل الايام فقال العافية يوم لا اعصي الله فيه وقيل لرجل وهو يجود
بنفسه ما حالك فقال وما حال من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا موحشا بلا مونس وينطلق
الى ملك عدل بلا حجة وقيل لحسان بن سنان ما حالك قال ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب
وقال ابن سيرين لرجل كيف حالك قال وما حال من عليه خمسمائة درهم دينا وهو معيل فدخل ابن
سيرين منزله فاخرج له الف درهم فدفعها اليه وقال خمسمائة اقض بها دينك وخمسمائة عد بها
على عيالك ولم يكن عنده غيرها ثم قال والله لا اسأل عن حاله ابدا وانما فعل ذلك لانه خشي ان
يكون سؤاله عن غير اهتمام بامره فيكون به مرائيا منافقا فقد كان سؤالهم عن امور الدين واحوال
القلب في معاملة الله تع وان سألوا عن امور الدنيا فعن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة قال
بعضهم اني لاعرف اقواما كانوا لا يتلاقون ولو حكم احدهم على صاحبه بجميع ما يملكه لم يمنعه
وارى الآن اقواما يتلاقون ويتساءلون حتى عن الدجاجة في البيت ولو انبسط احدهم بحبة
من مال صاحبه لمنعه فهل هذا الا مجرد الرياء والنفاق وآية ذلك انك ترى هذا يقول كيف انت
ويقول الآخر كيف انت فالسائل لا ينتظر الجواب والمسئول يشتغل بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بان
ذلك عن رياء وتكلف ولعل القلوب لا تخلو عن ضغائن واحقاد والالسنة تنطق بالسؤال قال
الحسن انما كانوا يقولون السلام عليك اذا سلمت والله القلوب فاما الآن فكيف اصبحت عافاك الله
كيف انت اصلحك الله فان اخذنا بقولهم كانت بدعة لا ولا كرامة فان شاؤا غضبوا علينا وان شاؤا

لا وانما قال ذلك لان البداية بقولك كيف اصبحت بدعة قال رجل لابي بكر بن عياش
كيف اصبحت فما اجابه وقال دعونا من هذه البدعة وقال انما حدث هذا في زمان الطاعون الذي كان
يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع كان الرجل يلقى اخاه غدوة فيقول كيف اصبحت من
الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف امسيت والمقصود ان الالتقاء في غالب العادات
ليس يخلو عن انواع من التصنع والرياء والنفاق وكل ذلك مذموم بعضه مكروه وفي العزلة
الخلاص من ذلك فان من لقي الخلق ولم يخالقهم باخلاقهم مقتوه واستثقلوه واغتابوه و
تشمروا لايذائه فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منهم واما مسارقة
الطبع لما يشاهده من اخلاق الناس واعمالهم فهو داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين
فلا يجالس الانسان فاسقا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته
لادرك فيهما تفرقة في النفرة عن الفساد واستثقاله اذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع
ويسقط وقعه واستعظامه عنه وانما الوازع عنه شدة وقعه في القلب فاذا صار مستصغرا
بطول المشاهدة اوشك ان تنحل القوة الوازعة ويذعن الطبع للميل اليه او لما دونه ومهما طالت مشاهدته
للكباير من غيره استحقر الصغاير من نفسه ولذلك يزدري الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فيؤ
ان يستصغر ما عنده ويؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما اتيح له من النعمة فكذلك النظر الى
المطيعين والعصاة هذا تاثيره في الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة احوال الصحابة والتابعين
في العبادة والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقار
وما دام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما للاقتداء
ومن نظر الى الاحوال الغالبة على اهل الزمان واعراضهم عن الله واقبالهم على الدنيا واعتيادهم للمعاصي
استعظم امر نفسه بادنى رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك ويكفي في تغيير الطبع مجرد
سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم عند ذكر
الصالحين تنزل الرحمة فانما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله تع وليس ينزل عند الذكر عين ذلك
ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستنكاف مما هو
ملابس له من القصور والتقصير ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة ذكر
احوال الصالحين فهذا معنى نزول الرحمة والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن كالمفهوم من نظمه
وهو انه عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لان كثرة ذكرهم تهون على الطبع امر المعاصي واللعنة هو البعد ومبدأ
البعد من الله هو المعاصي والاعراض عن الله والاقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على
الوجه المشروع ومبدأ المعاصي سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلب ومبدأ سقوط ذلك وقوع الانس بها
بكثرة السماع واذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم بل قد صرح به رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث قال مثل الجليس السوء كمثل القين ان لم يحرقك بشرره عبق بك من ريحه فكما ان
الريح يعبق بالثوب ولا يشعر بها كذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به وقال عليه السلام
مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك ان لم يهب لك منه تجد ريحه ولهذا اقول من عرف من

على المزلة حرم عليه حكايتها لعلتين احديهما انها غيبة والثانيه وهي اعظمهما ان حكايتها تهون على المستمعين امر تلك الزلة وتسقط من قلوبهم استعظامهم الاقدام عليها فيكون ذلك سببا لتهوين تلك المعصية فانه مهما وقع فيها فاستنكر ذلك دفع الاستنكاد وقال كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون الى مثله حتى العلماء والعباد ولو اعتقد ان مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر لشق عليه الاقدام فكم من شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهالك على حب الرياسة وتزيينها ويهون على نفسه قبحها بان الصحابة رضي الله عنهم لم ينتزهوا عن حب الرياسة وربما يستشهد بقتال علي ومعوية رضي الله عنهما ويخمن في نفسه ان ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد الخطا يهون عليه امر الرياسة ولوازمها من المعاصي والطبع اللئيم يميل الى اتباع الهفوات والاعراض عن الحسنات بل الى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة ليتعلل به وهذه من دقايق مكايد الشيطان ولذلك وصف الله المراغمين للشيطان فيها بقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا وقال مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يحمل الا شر ما يسمع كمثل رجل اتى راعيا فقال له يا راعي اجزر لي شاة من غنمك فقال اذهب فخذ خير شاة فيها فذهب فاخذ باذن كلب الغنم وكل من ينقل هفوات الايمة فهذا مثاله ايضا ومما يدل على سقوط وقع الشي عن القلب بسبب تكرره ومشاهدة ان اكثر الناس اذا راوا مسلما افطر في نهار رمضان استبعدوه استبعادا يكاد يفضي الى اعتقادهم كفره وقد يشاهدون من يخرج الصلوات عن اوقاتها فلا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تاخير الصوم مع ان صلوة واحدة يقتضي تركها الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له الا ان الصلوة تتكرر والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب وكذلك لو لبس الفقيه ثوبا من حرير او خاتما من ذهب او شرب من اناء فضة استبعدته النفوس واشتد انكارها وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم الا بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد منه ذلك والغيبة اشد من الزنا فكيف لا يكون اشد من لبس الحرير ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين اسقط عن القلوب وقعها وهون على النفوس امرها فتفطن لهذه الدقايق وفر من الناس فرارك من الاسد فانك لا تشاهد منهم الا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الاخرة ويهون عليك المعصية وتضعف رغبتك في الطاعة فان وجدت جليسا يذكرك بالله صورته وسيرته فالزمه ولا تفارقه واغتنمه ولا تستحقره فانها غنيمة العاقل وضالة المومن وتحقق ان الجليس الصالح خير من الوحدة وان الوحدة خير من الجليس السوء ومهما فهمت هذه المعاني ولاحظت طبعك والتفت الى حال من اردت مخالطته لم يخف عليك ان الاولى التباعد عنه بالعزلة او التقرب اليه بالخلطة واياك ان تحكم مطلقا على العزلة او الخلطة بان احديهما اولى اذ كل مفصل فاطلاق القول فيه بلا او نعم خلف محض ولا حق في المفصل الا التفصيل

الفايدة الثالثة الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لاخطارها وقلما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات فالمعتزل عنهم في سلامة من ذلك قال عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتن ووصفها وقال اذا رايت الناس مرجت عهودهم

وخفت

وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه فقلت ما تامرني فقال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة • وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعاب الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن • وروى عبد الله بن مسعود انه صلى الله عليه وسلم قال سياتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن حجر الى حجر كالثعلب الذي يروغ قيل ومتى ذلك يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يدي ابويه فان لم يكن له ابوان فعلى يدي زوجته وولده فان لم يكن فعلى يدي قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة وهذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منه اذ لا يستغني المتاهل عن المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة الا بمعصية الله تع ولست اقول هذا اوان ذلك الزمان فلقد كان هذا باعصار قبل هذا العصر ولاجله قال سفين الثوري والله لقد حلت العزلة وقال ابن مسعود ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتنة وايام الهرج قلت وما الهرج قال حين لا يامن الرجل جليسه قلت فبم تامرني ان ادركت ذلك الزمان قال كف نفسك ويدك وادخل دارك قال قلت ارايت يا رسول الله ان دخل علي داري قال فادخل بيتك قلت فان دخل علي بيتي قال ادخل مسجدك واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربي الله حتى تموت وقال سعد لما دعي الى الخروج ايام معوية فقال لا الا ان تعطوني سيفا له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فاقتله وبالمومن فاكف عنه وقال مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء فبينا هم كذلك يسيرون اذ هاجت ريح عجاجة فضلوا الطريق والتبس عليهم فقال بعضهم الطريق ذات اليمين فاخذوا فيها فتاهوا فضلوا وقال بعضهم الشمال فاخذوا فيها فتاهوا واناخ اخرون وتوقفوا حتى ذهبت الريح وتبين الطريق فسعد وجماعته فارقوا الفتن ولم يخالطوا الا بعد زوال الفتن • وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه لما بلغه ان الحسين رضي الله عنه توجه الى العراق فلحقه على مسيرة ثلاثة ايام فقال له اين تريد قال العراق واذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا تنظر الى كتبهم ولا تاتهم فابى فقال اني محدثك حديثا ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فخيره بين الدنيا والاخرة فاختار الاخرة على الدنيا وانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يليها احد منكم وما صرفها الله عنكم الا للذي هو خير لكم فابى ان يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله من قتيل • وكان في الصحابة عشرة الف فما خف ايام الفتنة اكثر من اربعين رجلا • وجلس طاوس في بيته فقيل له في ذلك فقال فساد الزمان وحيف الايمة ولما بنى عروة قصره بالعقيق لزمه فقيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رايت مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية وفيما هنالك عما انتم فيه عافية فاذن الحذر من الخصومات ومثارات الفتن احدى فوايد العزلة

الفايدة الرابعة الخلاص من شر الناس فانهم يوذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التي

يعسر الوفاء بها وتارة بالنميمة والكذب فربما يرون منك من الاعمال والاقوال ما لا تبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة الشر فاذا اعتزلتهم استغنيت عن التحفظ عن جميع ذلك ولذلك قال بعض الحكماء لغيره أعلمك بيتين خيرا من عشرة آلاف درهم فقال ما هو فقال

اخفض الصوت ان نطقت بليل ۞ والتفت بالنهار قبل المقال ۞ ليس للقول رجعة حين يبدو ۞ بقبيح يكون او بجمال ۞

ولا شك ان من اختلط بالناس وشاركهم في اعمالهم لم ينفك عن حاسد وعدو يسيء الظن به ويتوهم انه يستعد لمعاداته ولنصب المكيدة عليه ولتدسيس غائلة وراءه فالناس مهما اشتد حرصهم على امر يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم الا الحرص عليها قال المتنبي

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ۞ وصدق ما يعتاده من توهم ۞ وعادى محبيه بقول عداته ۞ واصبح في ليل من الشك مظلم ۞

وقد قيل معاشرة الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار وانواع الشر الذي يلقاه الانسان من معارفه ومن يختلط به كثيرة لسنا نطول بتفصيلها وفيما ذكرناه اشارة الى مجامعها وفي العزلة خلاص من جميعها والى هذا اشار الاكثر من اختار العزلة فقال ابو الدرداء اخبر تقله وقال الشاعر

من حمد الناس ولم يبلهم ۞ ثم بلاهم ذم من يحمد ۞ وصار بالوحدة مستأنسا ۞ يوحشه الاقرب والابعد ۞

وقال عمر رضي الله عنه في العزلة راحة من الخليط السوء وقيل لعبد الله بن الزبير الا تاتي المدينة قال ما بقي فيها الا حاسد نعمة او فرح بنقمة وقال ابن السماك كتب صاحب لنا اما بعد فان الناس كانوا دواء يتداوى بهم فصاروا داء لا دواء له ففر منهم فرارك من الاسد وكان بعض الاعراب يلازم شجرة ويقول هو نديم فيه ثلاث خصال ان سمع مني لم ينم علي وان تفلت في وجهه احتملني وان عربدت عليه لم يغضب فسمع كلامه الرشيد فقال زهدني في الندماء وكان بعضهم قد لزم الدفاتر والمقابر فقيل له في ذلك فقال لم ار اسلم من الوحدة ولا اوعظ من قبر ولا جليسا امتع من دفتر وقال الحسن رحمه الله اردت الحج فسمع ثابت البناني وكان ايضا من اولياء الله فقال بلغني انك تريد الحج فاحببت ان اصحبك فقال له الحسن ويحك دعنا نتعايش بستر الله عز وجل اني اخاف ان نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه وهذه اشارة الى فائدة اخرى في العزلة وهو بقاء الستر على الدين والمروءة والاخلاق والفقر وسائر العورات وقد مدح الله سبحانه المتسترين فقال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال الشاعر

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة ۞ ولكن عارا ان يزول التجمل ۞

ولا يخلو الانسان في دينه ودنياه واخلاقه وافعاله عن عورات الاولى في الدين والدنيا سترها ولا يبقى السلامة مع انكشافها وقال ابو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فالناس اليوم شوك لا ورق فيه واذا كان هذا حكم زمانه وهو في آخر القرن الاول فلا ينبغي ان يشك في ان الاخير شر وقال سفيان بن عيينة قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد موته اقلل من معرفة الناس فان التخلص منهم شديد ولا احسب رايت ما اكره الا ممن عرفت وقال بعضهم جئت الى مالك بن دينار وهو قاعد وحده واذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت اطرده فقال دعه يا هذا هذا لا يضر ولا يؤذي وهو خير من الجليس السوء وقيل لبعضهم ما حملك على ان تعتزل الناس فقال خشيت ان اسلب ديني ولا اشعر وهذه اشارة الى مسارقة الطبع

من اخلاق القرين السوء وقال ابو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا ادبروه ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مؤمن الا خربوه وقال بعضهم اقلل المعارف فانه اسلم لدينك وقلبك واخف لسقوط الحقوق عنك لانه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع وقال بعضهم انكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف

الفائدة الخامسة ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس فاما انقطاع طمع الناس ففيه كل الجدوى فان رضى الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء بصلاح نفسه اولى ومن اهون الحقوق وايسرها حضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور الولائم والاملاكات وفيها تضييع الاوقات والتعرض للآفات ثم قد يعوق عن بعضها عائق ويستقبل فيها معاذير لا يمكن اظهارها كل الاعذار فيقولون قام بحق فلان وقصرت في حقي ويصير ذلك سبب عداوة فقد قيل من لم يعد مريضا في وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجيله اذا صح على تقصيره ومن عم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم ولو خصص البعض استوحشوا وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد له طول الليل والنهار فكيف من له مهم يشغله في دين او دنيا قال عمرو بن العاص كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء وقال ابن الرومي

عدوك من صديقك مستفاد ۞ فلا تستكثرن من الصحاب ۞ فان الداء اكثر ما تراه ۞ يكون من الطعام او الشراب ۞

وقال الشافعي رحمه الله اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام واما انقطاع طمعك عنهم فهو ايضا فائدة جزيلة فان من نظر الى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ولا يرى الا الخيبة في اكثر الاطماع فيتأذى به ومهما اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع ولذلك قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وقال صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وقال عون بن عبد الله كنت اجالس الاغنياء فلم ازل مغموما كنت ارى ثوبا احسن من ثوبي ودابة افره من دابتي فجالست الفقراء فاسترحت وحكي ان المزني رحمه الله خرج من باب جامع الفسطاط وقد اقبل ابن عبد الحكم في موكبه فبهره ما راى من حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ثم قال بلى اصبر وارضى وكان رحمه الله فقيرا مقلا فالذي هو في بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتن فان من شاهد زينة الدنيا فاما ان يقوى دينه ويقينه فيصبر فيحتاج الى ان يتجرع مرارة الصبر وهو امر من الصبر او تنبعث رغبته فيحتال في طلب الدنيا فيهلك هلاكا مؤبدا اما في الدنيا فبالطمع الذي يخيب في اكثر الاوقات فليس كل من يطلب الدنيا يتيسر له واما في الآخرة فبايثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب اليه ولذلك قال ابن الاعرابي

اذا كان باب الذل من جانب الغنى ۞ سموت الى العلياء من جانب الفقر ۞

اشار الى ان الطمع يوجب في الحال ذلة

الفائدة السادسة الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة خلقهم واخلاقهم فان رؤية الثقيل هو العمى الاصغر قيل للاعمش مم عمشت عينك قال من النظر الى الثقلاء ويحكى انه دخل عليه ابو حنيفة فقال في الخبر ان من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ما هو خير منهما فما الذي عوضك فقال في معرض المطايبة عوضني عنهما انه كفاني رؤية الثقلاء

وقال ابن سيرين سمعت رجلا يقول نظرت الى ثقيل مرة فغشي علي وقال جالينوس لكل
شي حمى وحمى الروح النظر الى الثقلاء وقال الشافعي رحمه الله ما جالست ثقيلا الا وجدت
الجانب الذي يليه من بدني كانه اثقل علي من الجانب الآخر وهذه الفوايد ما سوى الاوليين متعلقة
بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها ايضا تتعلق بالدين فان الانسان مهما تاذى برؤية ثقيل لم يلبث
ان يغتابه وان يستنكر ما هو صنع الله وان تاذى من غيره بغيبة او سوء ظن او محاسدة او نميمة او غير ذلك
لم يصبر عن مكافاته وكل ذلك يجر الى فساد الدين وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم آفات
العزلة اعلم ان من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد من الاستعانة بالغير ولا يحصل
ذلك الا بالمخالطة فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة وفواته من آفات العزلة فانظر الى فوايد المخا
لطة والدواعي اليها ما هي وهي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتاديب والتادب والاستيناس والايناس
ونيل الثواب وانالته في القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة
الاحوال والاعتبار بها فلنفصل ذلك فانها من فوايد المخالطة وهي سبعة الفايدة الاولى التعليم
والتعلم وقد ذكرنا فضلهما في كتاب العلم وهما اعظم العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك الا
بالمخالطة الا ان العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة وبعضها ضروري في الدنيا فالمحتاج لما هو
فرض عليه عاص بالعزلة وان تعلم الفرض وكان لا يتاتى منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال
بالعبادة فليعتزل وان كان لا يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل فالعزلة في حقه قبل التعلم
غاية الخسران ولهذا قال النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الاكثر مضيع اوقاته
بنوم او فكر في هوس وغايته ان يستغرق الاوقات باوراد يستوعبها فلا ينفك في اعماله بالبدن و
القلب عن انواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله من حيث لا يدري ولا ينفك في اعتقاده في الله
وصفاته عن اوهام يتوهمها ويانس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في اكثر احواله ضحكة
للشيطان وهو يرى نفسه من العباد فالعلم هو اصل الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال
أعني من لا يحسن العبادة في الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها فمثال النفس مثال مريض يفتقر الى
طبيب متلطف ليعالجه فالمريض الجاهل اذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل ان يتعلم الطب تضاعف
لا محالة ضرره بمرضه فلا يليق العزلة الا بالعالم واما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المتعلم
والمعلم ومهما كان القصد اقامة الجاه والاستكثار بالاصحاب والاتباع فهو هلاك الدين وقد
ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم وحكم العالم في هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة دينه فانه
لا يرى مستفيدا يطلب فايدة لدينه بل لا طالب الا لكلام مزخرف يستميل به العوام في معرض الوعظ
او لجدال معقد يتوصل به الى افحام الاقران ويتقرب به الى السلطان ويستعمل في معرض المنافسة
والمباهاة واقرب علم مرغوب فيه المذهب ولا يطلب غالبا الا للتوصل الى التقدم على الامثال وتولي
الولايات واجتلاب الاموال وهؤلاء كلهم يقتضي الدين والحزم الاعتزال عنهم فان صودف طالب
لله ومتقرب بالعلم الى الله فاكبر الكباير الاعتزال عنه وكتمان العلم منه وهذا لا يصادف في
بلد كبير اكثر من واحد او اثنين ان صودف ولا ينبغي ان يغتر الانسان بقول سفين تعلمنا العلم

علم
في الفقه م

لغير الله فأبى العلم ان يكون الا لله وان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الى الله وانظر الى اواخر
اعمار الاكثرين منهم واعتبرهم انهم ماتوا هلكى على طلب الدنيا ومتكالبين عليها ام راغبين عنها
او زاهدين فيها وليس الخبر كالمعاينة واعلم ان العلم الذي اشار اليه سفين هو علم الحديث وتفسير
القرآن ومعرفة سير الانبياء والصحابة فان فيها التخويف والتحذير وهي سبب لاثارة الخوف من
الله فان لم يؤثر في الحال اثر في المآل فاما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات
وفصل الخصومات المذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه للدنيا الى الله بل لا يزال متماديا
في حرصه الى آخر عمره ولعل ما اودعناه هذه الكتب ان تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز ان
يرخص فيه اذ يرجى ان ينزجر به في آخر عمره فانه مشحون بالتخويف بالله وبالترغيب في الآخرة والتحذير
من الدنيا وذلك مما يصادف في الاحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا خلاف ولا
في مذهب فلا ينبغي ان يخادع الانسان نفسه فان المقصر العالم بتقصيره اسعد حالا من
الجاهل المغرور او المتجاهل المغبون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك ان يكون غرضه القبول
والجاه وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الادلال على الجهال والتكبر عليهم فآفة العلم الخيلاء
كما قال صلى الله عليه وسلم ولذلك حكي عن بشر رحمه الله انه دفن سبعة عشر قمطرا من كتب الاحاديث
التي سمعها وكان لا يحدث ويقول اني اشتهي ان احدث فلذلك لا احدث ولو اشتهيت ان لا
احدث لحدثت ولذلك قال حدثنا باب من الدنيا واذا قال الرجل حدثنا فانما يقول اوسعوا لي
وقالت رابعة العدوية لسفين الثوري نعم الرجل انت لولا رغبتك في الدنيا قال وفيماذا رغبت قالت
في الحديث ولذلك قال ابو سليمن الداراني من تزوج او كتب الحديث او اشتغل بالسفر فقد ركن
الى الدنيا وهذه آفات قد نبهنا عليها في كتاب العلم والحزم الاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من
الاصحاب ما امكن بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له ان كان عاقلا في هذا
الزمان ان يتركه فلقد صدق ابو سليمن الخطابي حيث قال دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك
فليس لك منهم مال ولا جمال اخوان العلانية اعداء السر اذا لقوك تملقوك واذا غبت عنهم
سبعوك من اتاك منهم كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق ونميمة وغل وخديعة
فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وان يتخذوك سلما الى اوطارهم وحمارا
في حاجاتهم ان قصرت في غرض من اغراضهم كانوا اشد اعدايك ثم يعدون ترددهم اليك دالة عليك
ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك ان تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر
قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد ان
كنت متبوعا رئيسا ولذلك قيل اعتزال العامة مروة تامة فهذا معنى كلامه وان خالف بعض الفاظه
وهو حق وصدق فانك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد اليهم فكانه
يهدي تحفة اليه فيرى حقه واجبا عليه وربما لا يختلف اليه ما لم يتكفل برزق له على الادرار ثم المدرس المسكين
قد يعجز عن القيام بذلك من ماله فلا يزال يتردد الى ابواب السلاطين ويقاسي الذل والشدايد مقاساة الذليل
المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه و

ومم صح

لفوايد

يُتَّخذ الى ان يُسلّم اليه ما يقدر به نعمة مستأنفة من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على
اصحابه ان سوى بينهم مقته المبرزون ونسبوه الى الحمق وقلة التمييز والقصور عن درك مصادفات
الفضل والقيام في مقادير الحقوق بالعدل وان فاوت بينهم سلقه السفهاء بالسنة حداد وثاروا
عليه ثوران الاساود والآساد فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مظالم ما ياخذه ويفرقه في العقبى
والعجب انه مع هذا البلاء كله تمنيه نفسه بالاباطيل وتدليه بحبل الغرور وتقول له لا تفتر عن صنيعك
فانما انت بما تفعله مريد وجه الله ومذيع شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشر علم دين الله وقائم بكفاية
طلاب العلم من عباد الله واموال السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة للمصالح واي مصلحة اكبر من تكثير اهل
العلم فبهم يظهر الدين ويتقوى اهله ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بادنى تامل ان فساد الزمان لا
سبب له الا كثرة امثال اولئك الفقهاء الذين ياكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحرام والحلال فتلحظهم اعين
الجهال ويستجرئون على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم واقتفاء لآثارهم ولذلك قيل ما فسدت
الرعية الا بفساد الملوك وما فسد الملوك الا بفساد العلماء فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الذي
ليس له دواء **الفائدة الثانية** النفع والانتفاع اما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة
وذلك لا يتأتى الا بالمخالطة والمحتاج اليه مضطر الى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة ان طلب
موافقة الشرع فيه كما ذكرناه في كتاب الكسب وان كان معه مال لو اكتفى به قانعاً لاقنعه فالعزلة
افضل له اذا فسدت طرق المكاسب في الاكثر الا من المعاصي الا ان يكون غرضه الصدقة بكسبه فاذا
اكتسب من وجهه وتصدق فهو افضل من العزلة للاشتغال بالنافلة وليس بافضل من العزلة للاشتغال
بالتحقق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ولا من الاقبال بكنه الهمة على الله والتجرد به لذكر الله اعني
من حصل له انس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لا عن اوهام وخيالات فاسدة واما النفع فهو
ان ينفع الناس اما بماله او ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة ففي النهوض بقضاء حوائج المسلمين
ثواب وذلك لا ينال الا بالمخالطة ومن قدر عليه مع القيام بحدود الشرع فهو افضل له من العزلة
ان كان لا يشتغل في عزلته الا بنوافل الصلوات والاعمال البدنية وان كان ممن انفتح له طريق العمل
بالقلب بدوام ذكر او فكر فذلك لا يعدل به غيره البتة **الفائدة الثالثة** التأديب والتأدب ونعني
به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل اذاهم كسراً للنفس وقهراً للشهوات وهي من الفوائد التي
تستفاد بالمخالطة وهو افضل من العزلة في حق من لم تتهذب بعد اخلاقه ولم تذعن لحدود الشرع شهواته
ولهذا انتدب خدام الصوفية في الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم واهل السوق للسؤال منهم
كسراً لرعونة النفس واستمداداً من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهمتهم الى الله وكان هذا هو
المبدأ في الاعصار الخالية والآن قد خالطته الاغراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كما مال
سائر شعائر الدين فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثر بالاستتباع والتذرع الى جمع المال
والاستظهار بكثرة الاتباع فاذا كانت النية هذا فالعزلة خير منه ولو الى القبر وان كانت النية
رياضة النفس فهو خير من العزلة في حق المحتاج الى الرياضة وذلك مما يحتاج اليه في بداية الارادة فبعد
حصول الارتياض ينبغي ان يفهم ان الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها بل المراد منها ان

تتخذ مركباً تقطع به المراحل وتطوى على ظهره الطريق والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق
الآخرة وفيها شهوات ان لم يكسرها جمحت به في الطريق فمن اشتغل طول عمره بالرياضة كان كمن اشتغل
طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منها الا الخلاص في الحال من عضها ورفسها
ورمحها وهي لعمري فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من البهيمة الميتة والدابة تراد لفائدة تحصل
من حيوتها فكذلك الخلاص عن الم الشهوات في الحال يحصل بالنوم والموت فلا ينبغي ان يقنع بها كالراهب
الذي قيل له يا راهب فقال ما انا راهب انما انا كلب حبست نفسي حتى لا اعقر الناس وهذا حسن
بالاضافة الى من يعقر ولكن لا ينبغي ان تقتصر عليه فان من قتل نفسه ايضاً لم يعقر الناس بل ينبغي ان يتشوف
الى الغاية المقصودة بها ومن فهم ذلك واهتدى الى الطريق وقدر على السلوك استبان له ان العزلة
اعون عليه من المخالطة فالافضل لمثل هذا الشخص المخالطة اولاً والعزلة آخراً واما التأديب
فانما نعني به ان يروض غيره وهو حال شيخ المتصوفة معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم الا بمخالطتهم
وحاله حال المعلم وحكمه حكمه ويتطرق اليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرق الى نشر العلم الا ان مخايل
طلب الدنيا من المريدين الطالبين للارتياض ابعد منها من طلبة العلم ولذلك ترى فيهم قلة وفي طلبة العلم
كثرة فينبغي ان يقيس ما تيسر له من الخلوة بما يتيسر له من المخالطة وتهذيب القوم وليقابل احدهما بالآخر
وليؤثر الافضل وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالاحوال والاشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقاً
بنفي ولا اثبات **الفائدة الرابعة** الاستيناس والايناس وهو غرض من يحضر الولائم والدعوات و
مواضع المعاشرة والانس وهذا يرجع الى حظ النفس في الحال وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة
من لا يجوز مؤانسته او على وجه مباح وقد يستحب ذلك لامر الدين وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة
احواله واقواله في الدين كالانس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب
اذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة فان القلوب اذا اكرهت عميت
ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة انس يروح القلب فهي اولى اذ الرفق في العبادة من حزم العبادة
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا وهذا امر لا يستغنى عنه فان النفس لا تألف الحق
على الدوام ما لم تروح وفي تكليفها الملازمة تنفير ومن يشاد هذا الدين يغلبه فان الدين متين و
الايغال فيه برفق داب المستبصرين ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما لولا مخافة الوسواس لم
اجالس الناس وقال مرة لدخلت بلاداً لا انيس بها وهل يفسد الناس الا الناس فلا يستغني
المعتزل اذن عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة فليجتهد في طلب من
لا يفسد في ساعته تلك عليه سائر ساعاته فقد قال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم
من يخالل وليحرص ان يكون حديثه عند اللقاء في امور الدين وحكاية احوال القلب وشكواه وقصوره عن
الثبات على الحق والاهتداء الى الرشد ففي ذلك متنفس ومستروح للقلب وفيه مجال رحب لكل
مشغول باصلاح نفسه فانه لا ينقطع ولو عمر اعماراً طويلة والراضي عن نفسه مغرور قطعاً فهذا النوع
من الاستيناس في بعض اوقات النهار ربما يكون افضل من العزلة في حق بعض الاشخاص فليتفقد فيه
احوال القلب واحوال الجليس اولاً ثم يجالس **الفائدة الخامسة** في نيل الثواب وانالته اما النيل

فبحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين اما حضور الجمعة فلا بد منه وحضور الجماعة
في سائر الصلوات ايضا لا رخصة في تركه الا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة و
يزيد عليه وذلك لا يتفق الا نادرا وكذلك في حضور الاملاكات والدعوات ثواب من حيث انه ادخال
سرور على قلب مسلم واما اماتته فهو ان يفتح الباب ليعوده الناس او يعزوه في المصائب ويهنئوه
على النعم فانهم ينالون به ثوابا وكذلك اذا كان من العلماء واذن لهم في الزيارة نالوا ثواب الزيارة وكان هو
بالتمكين سببا فيه فينبغي ان يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها التي ذكرناها وعند ذلك قد ترجح
العزلة وقد ترجح المخالطة فقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوات وعيادة
المرضى وحضور الجنائز بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة او زيارة القبور وبعضهم فارق
الامصار وانحاز الى قلل الجبال تفرغا للعبادة وفرارا من الشواغل **الفائدة السادسة** من المخالطة
التواضع فانه افضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة فقد روي
في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى ظن انه قد نال
عند الله منزلة فاوحى الله الى نبيه قل لفلان انك قد ملأت الارض نفاقا واني لا اقبل من نفاقك
شيئا قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الارض وقال الآن قد بلغت محبة ربي فاوحى الله الى نبيه قل له
انك لن تبلغ رضاي قال فدخل الاسواق وخالط العامة وجالسهم وواكلهم واكل الطعام بينهم و
مشى في الاسواق معهم فاوحى الله اليه الآن قد بلغت رضاي فكم من معتزل في بيته وباعثه الكبر
ومانعه عن المحافل ان لا يوقر ولا يقدم او يرى الترفع عن مخالطتهم ارفع لمحله وابقى لطراوة ذكره بين
الناس وقد يعتزل خيفة من ان تظهر مقابحه لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة
فيتخذ من البيت سترا على مقابحه ابقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق
وقت في الخلوة بذكر او فكر وعلامة هؤلاء انهم يحبون ان يزاروا ولا يحبون ان يزوروا ويفرحون
بتقرب العوام والسلاطين اليهم واجتماعهم على باب احدهم وطريقه وتقبيلهم يده على سبيل التبرك
ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض اليه المخالطة وزيارة الناس لبغض اليه زيارتهم له كما
حكيناه عن الفضيل حيث قال وهل جئتني الا لاتزين لك وتتزين لي وعن حاتم الاصم حيث قال
للامير الذي زاره حاجتي ان لا اراك ولا تراني فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله فاعتزاله عن الناس سببه
شدة اشتغاله بالناس لان قلبه متجرد للالتفات الى نظرهم اليه بعين الوقار والاحترام والعزلة
لهذا السبب جهل من وجوه احدها ان التواضع والمخالطة لا ينقص من منصب من هو كبير
بعلمه او دينه اذ كان علي كرم الله وجهه يحمل التمر والملح في ثوبه ويده ويقول لا ينقص الكامل من كماله
ما جر من نفع الى عياله وكان ابو هريرة وحذيفة وابي وابن مسعود يحملون حزمة الحطب و
جراب الدقيق وغيره على ظهورهم وكان ابو هريرة يقول وهو وال والحطب على راسه طرقوا لاميركم
وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يشتري الشيء فيحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه اعطني احمله
فيقول صاحب المتاع احق بحمله وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يمر بالسؤال وبين يديهم
كسر فيقولون هلم الى الغداء يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يجلس على الطريق وياكل معهم ثم

يركب

يركب ويقول ان الله لا يحب المستكبرين **الوجه الثاني** ان الذي شغل نفسه بطلب رضى
الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لانه لو عرف حق المعرفة علم ان الخلق لا يغني عنه من الله
شيئا وان ضره ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضى الناس ومحبتهم
بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس بل رضى الناس غاية لا تدرك فرضى الله اولى بالطلب
ولذلك قال الشافعي رحمه الله ليونس بن عبد الاعلى والله ما اقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة
من الناس سبيل فانظر ما يصلحك فافعله ولذلك قيل من راقب الناس مات غما وفاز باللذة
الجسور ونظر سهل الى واحد من اصحابه فقال اعمل كذا وكذا فقال يا استاذ لا اقدر عليه لاجل الناس
فالتفت الى اصحابه وقال لا ينال عبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون باحد وصفين عبد يسقط الناس
من عينه فلا يرى في الدنيا الا خالقه وان احدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه وعبد سقطت نفسه
من قلبه فلا يبالي باي حال يرونه قال الشافعي رحمه الله ليس من احد الا له محب ومبغض فاذا كان
هذا فكن مع اهل طاعة الله وقيل للحسن يا ابا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا
تتبع سقطات كلامك وتعنتك في السؤال فتبسم وقال هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى
الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لاني قد علمت ان خالقهم
ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم وقال موسى عليه السلام يا رب احبس عني السنة
الناس فقال هذا شيء لم اصطنعه لنفسي فكيف افعله بك واوحى الله تعالى الى عزير ان لم تطب نفسا
بان اجعلك علكا في افواه الماضغين لم اكتبك عندي من المتواضعين فاذن من حبس نفسه في
البيت لتحسن اعتقادات الناس فيه واقوالهم فهو في عناء حاضر في الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر
لو كانوا يعلمون فاذن لا تستحب العزلة الا لمستغرق الاوقات بربه ذكرا وفكرا وعبادة وعلما بحيث
لو خالط الناس لضاعت اوقاته وكثرت آفاته وتشوشت عليه عباداته فهذه غوائل خفية
في اختيار العزلة ينبغي ان تتقى فانها مهلكات في صور منجيات **الفائدة السابعة** التجارب
فانها تستفاد من مخالطة الخلق ومجاري احوالهم والعقل الغريزي ليس كافيا في تفهيم مصالح الدين و
الدنيا وانما تفيدها التجربة والممارسة ولا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب فالصبي اذا اعتزل بقي غمرا
جاهلا بل ينبغي ان يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج اليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل
بقية التجارب بسماع الاحوال فلا يحتاج الى المخالطة ومن اهم التجارب ان يجرب نفسه واخلاقه و
صفات باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فان كل مجرب في الخلاء يسر وكل غضوب او حقود او
حسود اذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات في انفسها يجب اماطتها
او قهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتلئ
بالقيح والمدة وقد لا يحس صاحبه بالمه ما لم يتحرك او يمسه غيره فان لم تكن له يد تمسه او عين تبصر
صورته ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد فقده
ولكن لو حركه محرك او اصابه مشرط حجام انفجر منه القيح وفار فوران الشيء المحتقن اذا حبس عن
الاسترسال فكذلك القلب المشحون بالبخل والحقد والغضب والحسد وسائر الاخلاق الذميمة انما

تنفجر منه خبائثه اذا حرك وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون انفسهم فمن كان يستشعر في نفسه كبرا كان يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس او حزمة حطب على راسه ويتردد في الاسواق ليجرب به نفسه فان غوايل النفس ومكايد الشيطان خفية قل من يتفطن لها ولذلك حكي عن واحد انه قال اعدت صلوة ثلاثين سنة مع اني كنت اصليها في الصف الاول ولكن تخلفت يوما بعذر فما وجدت موضعا في الصف الاول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس الي وقد سبقت بالصف الاول فعلمت ان جميع صلوتي كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة النظر الناس الي ورؤيتهم اياي في زمرة السابقين الى الخير فالمخالطة لها فايدة ظاهرة في استخراج الخبائث واظهارها ولذلك قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانه نوع من المخالطة دائم وستاتي غوايل هذه المعاني ودقايقها في ربع المهلكات فان بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل ولولا ذلك لما فضل العلم على العمل اذ يستحيل ان يكون العلم بالصلوة ولا يراد الا للصلوة افضل من الصلوة فانا نعلم ان ما يراد لغيره فذلك الغير اشرف منه وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فمعنى تفضيل العلم يرجع الى ثلاثة اوجه احدها ما ذكرناه والثاني عموم نفعه اذ يتعدى فايدته والعمل لا يتعدى والثالث ان يراد به العلم بالله وصفاته وافعاله فذلك افضل من كل عمل بل مقصود الاعمال صرف القلوب عن الخلق الى الخالق لينبعث بعد الانصراف اليه معرفته ومحبته فالعمل وعلم العمل مراد لهذا العلم وهذا العلم غاية المريدين والعمل كالشرط له واليه الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالكلم الطيب هو هذا العلم والعمل كالحمال الرافع له الى مقصده فيكون المرفوع افضل من الرافع وهذا كلام معترض لا يليق بهذا الكلام فلنرجع الى المقصود فنقول اذا عرفت فوايد العزلة وغوايلها تحققت ان الحكم عليها مطلقا بالتفضيل نفيا واثباتا خطأ بل ينبغي ان ينظر الى الشخص وحاله والى الخليط وحاله والى الباعث على مخالطته والى الفايت بسبب مخالطته من هذه الفوايد المذكورة ويقاس الفايت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الافضل وكلام الشافعي رحمه الله هو فصل الخطاب اذ قال يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط فكذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالاحوال وبملاحظة الفوايد والآفات يتبين الافضل هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها ولا يجوز ان يحكم بها على المخالف له في الحال والفرق بين العالم والصوفي في ظاهر العلم يرجع الى هذا وهو ان الصوفي لا يتكلم الا عن حاله فلا جرم تختلف اجوبتهم في المسايل والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر الى حال نفسه فيكشف الحق فيه وذلك مما لا يختلف فان الحق واحد ابدا والقاصر عن الحق كثير لا يحصى ولذلك سئل الصوفية عن الفقر فما من واحد الا واجاب بجواب آخر وكل ذلك حق بالاضافة الى حاله وليس بحق في نفسه اذ الحق لا يكون الا واحدا ولذلك قال ابو عبد الله الجلاء وقد سئل عن الفقر فقال اضرب بكميك الحائط وقل ربي الله فهو الفقير وقال الجنيد الفقير هو الذي لا يسال

ولا يعارض وان عورض سكت وقال سهل بن عبد الله الفقير الذي لا يسال ولا يدخر وقال آخر هو ان لا يكون لك فاذا كان لك لا يكون لك ومن حيث لم يكن لك وقال ابرهيم الخواص هو ترك الشكوى واظهار اثر البلوى والمقصود انه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة قلما يتفق منها اثنان وذلك كله حق من وجه فانه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت احدهما لصاحبه قدما في التصوف او يثني عليه بل كل واحد يدعي انه الواصل الى الحق والواقف عليه لان اكثر ترددهم على مقتضى الاحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون الا بانفسهم ولا يلتفتون الى غيرهم ونور العلم اذا اشرق احاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف و مثال نظر هؤلاء ما رايت من نظر قوم في ادلة الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم هو في الصيف قدمان وحكي عن آخر انه نصف قدم وآخر يرد عليه ويقول انه في الشتاء سبعة اقدام وحكي عن آخر انه خمسة اقدام وآخر يرد عليه فهذا يشبه اجوبة الصوفية واختلافهم فان كل واحد من هؤلاء اخبر عن الظل الذي رآه ببلد نفسه فصدق في قوله واخطأ في تخطيته صاحبه اذ ظن ان العالم كله بلده او هو مثل بلده كما ان الصوفي لا يحكم على العالم الا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف طول علته الظل وقصره وعلة اختلافه بالبلاد فيخبر باخبار مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا يبقى ظل وفي بعضها يطول وفي بعضها يقصر فهذا ما اردنا ان نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة فان قلت فمن آثر العزلة ورآها افضل له واسلم فما آدابه في العزلة فنقول انما يطول النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة واما آداب العزلة فلا تطول فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الناس اولا ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعا فهذه آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة وليمنع الناس ان يكثروا غشيانه وزيارته فيشوش وقته وليكف عن السؤال عن اخبارهم وعن الاصغاء الى اراجيف البلد وما الناس مشغولون به فان كل ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في اثناء الصلوة او الفكر من حيث لا يحتسب فوقوع الاخبار في السمع كوقوع البذر في الارض فلا بد وان ينبت وتتفرع عروقها واغصانها ويتداعى بعضها الى بعض واحد مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله والاخبار ينابيع الوساوس واصولها وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع الى الناس واحتاج الى مخالطتهم وليكن صبورا على ما يلقاه من اذى الجيران وليسد سمعه عن الاصغاء الى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة او قدح فيه بترك الخلطة فان كل ذلك يؤثر في القلب ولو مدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد وان يكون واقفا عن سيره في طريق الآخرة فان السير اما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب واما بالفكر في جلال الله وصفاته وافعاله وملكوت سمواته واما بالتامل في دقايق الاعمال ومفسدات القلوب وطلب طرق التخلص منها وكل ذلك يستدعي الفراغ والاصغاء الى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له اهل صالحة او جليس صالح لتستريح نفسه اليه في اليوم ساعة عن كد المواظبة

فيقعون على بقية الساعات ولا يتم له الصبر في العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس
منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل بان لا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على انه لا
يمسي ويمسي على انه لا يصبح فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو
قدر تراخي الاجل وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق ان
من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يانس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت وان من
انس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت انسه اذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة بل يبقى حيا بمعرفته
وانسه فرحا بفضل الله تعالى عليه ورحمته كما قال تعالى في الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد
مهما ادركه الموت فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه كما صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد
الاكبر جهاد النفس كما قال الصحابة رضي الله عنهم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر تم كتاب
العزلة ويتلوه كتاب آداب السفر والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله اجمعين

كتاب آداب السفر وهو الكتاب السابع من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين
الحمد لله الذي فتح بصائر اوليائه بالحكم والعبر واستخلص هممهم لمشاهدة عجائب صنعه في
الحضر والسفر فاصبحوا راضين بمجاري القدر منزهين قلوبهم عن التلفت الى متنزهات
البصر الا على سبيل الاعتبار بما يسنح في مسارح النظر ومجاري الفكر فاستوى عندهم البر والبحر
والسهل والوعر والبدو والحضر والصلوة على محمد سيد البشر وعلى آله واصحابه المقتفين
لآثاره في الاخلاق والسير وسلم تسليما كثيرا اما بعد فان السفر وسيلة الى الخلاص
عن مهروب عنه والوصول الى مرغوب فيه والسفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر و
الوطن الى الصحاري والفلوات وسفر بسير القلب عن اسفل السافلين الى ملكوت السموات واشرف
السفرين السفر الباطن فان الواقف على الحالة التي نشا عليها عقيب الولادة الجامد على ما
تلقفه بالتقليد من الآباء والاجداد لازم درجة القصور وقانع برتبة النقص ومستبدل بمتسع
فضاء عرضه السموات والارض ظلمة السجن وضيق الحبس ولم ار في عيوب الناس شيئا كنقص
القادرين على التمام الا ان هذا السفر لما كان مقتحمه في خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل و
خفير فاقتضى غموض السبيل وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب
النازل القليل اندراس مسالكه فانقطع فيه الرفاق وخلا عن الطائفين متنزهات الانفس و
الملكوت والآفاق واليه دعا الله سبحانه بقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين
وبقوله وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وعن القعود عن هذا السفر وقع الانكار
بقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون وبقوله تعالى وكاين من آية في السموات والارض
يمرون عليها وهم عنها معرضون فمن يسر الله له هذا السفر لم يزل في سيره متنزها في جنة عرضها السموات

والارض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن وهو السفر الذي لا يضيق فيه المناهل والموارد
ولا يضر فيه التزاحم والتوارد بل تزيد بكثرة المسافرين غنائمه وتتضاعف ثمراته وفوائده فغنائمه دائمة
غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة الا اذا بدا للمسافر فترة في سفره ووقفة في حركته فان الله لا
يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا زاغوا ازاغ الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد ولكنهم يظلمون
انفسهم ومن لم يؤهل للجولان في هذا الميدان والتطواف في متنزهات هذا البستان ربما سافر
بظاهره بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنما بها تجارة الدنيا او ذخيرة الآخرة فان كان مطلبه
العلم والدين او الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكي سبيل الآخرة وكان له في سفره شروط وآداب
ان اهملها كان من عمال الدنيا واتباع الشيطان وان واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد
تلحقه بعمال الآخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين ان شاء الله الباب الاول في الآداب
من اول النهوض الى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان الباب الثاني فيما لا بد للمسافر
من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات

الباب الاول في الآداب من اول النهوض الى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان

الفصل الاول في

فوائد السفر وفضله ونيته اعلم ان السفر نوع حركة ومخالطة وفيه فوائد وله آفات كما ذكرناه
في كتاب آداب الصحبة والعزلة والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب او طلب فان المسافر اما ان
يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر اليه واما ان يكون له مقصد ومطلب والمهروب
عنه اما امر له نكاية في الامور الدنيوية كالطاعون والوباء اذا ظهر ببلد او خوف سببه فتنة وخصومة
او غلاء سعر وهو اما عام كما ذكرناه واما خاص كمن يقصد باذية في بلدة فيهرب منها واما امر له نكاية
في الدين كمن ابتلي في بلدة بجاه ومال واتساع اسباب تصده عن التجرد لله فيؤثر الغربة والخمول
ويجتنب السعة والجاه او كمن يدعى الى بدعة قهرا او الى ولاية عمل لا تحل مباشرته فيطلب الفرار منه و
اما المطلوب فهو اما دنيوي كالمال والجاه او ديني والديني اما علم او عمل والعلم اما علم من العلوم
الدينية واما علم باخلاقه وصفاته على سبيل التجربة واما علم بآيات الارض وعجائبها كسفر ذي القرنين
وطوافه في نواحي الارض والعمل اما عبادة واما زيارة والعبادة هو الحج والعمرة والجهاد والزيارة ايضا
من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس والثغور فان الرباط بها قربة وقد
يقصد بها الاولياء والعلماء وهم اما موتى فتزار قبورهم واما احياء فيتبرك بمشاهدتهم و يستفاد
من النظر الى احوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم فهذه هي اقسام الاسفار ويخرج من هذه الاقسام
اقسام

القسم الاول السفر في طلب العلم وهو اما واجب واما نفل وذلك بحسب كون
العلم واجبا او نفلا وذلك العلم اما علم بامور دينه او باخلاقه في نفسه او بآيات الله في ارضه وقد قال
صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله عز وجل حتى يرجع وفي خبر آخر من سلك طريقا يلتمس
فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وكان سعيد بن المسيب يسافر الايام في طلب الحديث الواحد وقال
الشعبي لو سافر رجل من الشام الى اقصى اليمن في كلمة تدله على هدى ما كان سفره ضائعا ورحل جابر بن
عبد الله من المدينة الى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهرا في حديث بلغهم عن عبد الله بن انيس الانصاري

يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوه وقل مذكور في العلم محصل من زمان الصحابة الى زماننا
الا وحصل العلم بالسفر وسافر لاجله واما علمه بنفسه واخلاقه فذلك ايضا مهم فان طريق الآخرة لا
يمكن سلوكه الا بتحسين الخلق وتهذيبه ومن لا يطلع على اسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير
القلب منها وانما السفر هو الذي يسفر عن الاخلاق وبه يخرج الله الخبء في السموات والارض وانما سمي
السفر سفرا لانه يسفر عن الاخلاق ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي كان يعرف عنده بعض
الشهود هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا فقال ما اراك تعرفه وكان
بشر يقول يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا كثر مقامه في موضع تغير وبالجملة فالنفس
في الوطن مع مواتاة الاسباب لا تظهر خبائث اخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المالوفات
المعهودة فاذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مالوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت
غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوائد المخالطة
والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق واما آيات الله في ارضه ففي مشاهدتها
فوائد للمستبصر ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري والبحار وانواع الحيوان والنبات و
ما من شيء منها الا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه الا من القى السمع و
هو شهيد واما الجاحدون والغافلون والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يبصرون
ولا يسمعون لانهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة ه
م غافلون وما اريد بالسمع السمع الظاهر فان الذين اريدوا به ما كانوا معزولين عنه وانما اريد به السمع
الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر الا الاصوات وساير الحيوان يشارك الانسان فيه فاما السمع الباطن
فيدرك به لسان الحال وهو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القائل حكاية كلام الوتد والحائط قال
الجدار للوتد لم تشقني فقال سل من يدقني فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي وما من ذرة في السموات
والارض الا ولها انواع شهادات لله سبحانه بالوحدانية هي توحيدها وانواع شهادات لصانعها
بالتقديس هي تسبيحها ولكن لا يفقهون تسبيحها لانهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر الى فضاء سمع
الباطن ومن ركاكة لسان المقال الى فصاحة لسان الحال ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان
سليمن عليه السلم مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى عليه السلام مختصا بسمع كلام الله الذي يجب تقديسه
عن مشابهة الحروف والاصوات ومن يسافر ليستقري هذه الشهادات من الاسطر المكتوبة
بالخطوط الالهية على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع
نغمات التسبيحات من آحاد الذرات فما له وللتردد في الفلوات وله غنية في ملكوت السموات والشمس والقمر
والنجوم مسخرات وهي الى ابصار ذوي البصائر مسافرات في الشهر والسنة مرات بل هي دائبة في
الحركة على توالي الاوقات فمن الغرائب ان يدأب في الطواف بآحاد المساجد من امرت الكعبة
ان تطوف به ومن الغرائب ان يطوف في اكناف الارض من تطوف به اقطار السماء ثم ما دام
المسافر مفتقرا الى ان يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو بعد في المنزل الاول من منازل
السائرين الى الله والمسافرين الى الحضرة وكانه معتكف على باب الوطن لم يفض به السير الى متسع

الفضاء ولا سبب لطول المقام في هذا المنزل الا الجبن والقصور ولذلك قال بعض ارباب
القلوب ان الناس ليقولون افتحوا اعينكم حتى تبصروا وانا اقول غمضوا اعينكم حتى تبصروا وكل
واحد من القولين حق الا ان الاول خبر عن المنزل الاول القريب من الوطن والثاني خبر عما بعده
من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطأها الا مخاطر بنفسه والمجاوز اليها ربما يتيه فيها سنين
وربما ياخذ التوفيق بيده فيرشده الى سواء السبيل والهالكون في التيه هم الاكثرون من ركاب
هذه الطرق ولكن السائحين السالمين بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم وهم الذين سبقت
لهم من الله الحسنى واعتبر هذا الملك بملك الدنيا فانه يقل بالاضافة الى كثرة الخلق طلابه ومهما عظم
المطلوب قل المساعد ثم الذي يهلك اكثر من الذي يملك ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان
لعظم الخطر وطول التعب واذا كانت النفوس كبارا ٭ تعبت في مرادها الاجسام ٭ وما اودع الله
العز والملك في الدين والدنيا الا في متن الخطر وقد يسمي الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر
يرى الجبناء ان الجبن حزم ٭ وتلك خديعة النفس اللئيم ٭ فهذا حكم السفر الظاهر اذا اريد به السفر
الباطن بمطالعة آيات الارض فلنرجع الى الغرض الذي كنا نقصده ولنبين **والقسم الثاني**
وهو ان يسافر لاجل العبادة اما لجهاد او حج وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه واعماله الظاهرة والباطنة
في كتاب اسرار الحج ويدخل في جملته زيارة قبور الانبياء وقبور الصحابة والتابعين وساير العلماء
والاولياء وكل من يتبرك بمشاهدته في حيوته يتبرك بزيارته بعد وفاته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض
ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا و
المسجد الاقصى لان ذلك في المساجد فانها متماثلة بعد هذه المساجد والا فلا فرق بين زيارة
قبور الانبياء والاولياء والعلماء في اصل الفضل وان كان يتفاوت في الدرجات تفاوتا عظيما
بحسب اختلاف درجاتهم عند الله وبالجملة زيارة الاحياء اولى من زيارة الاموات والفائدة من
زيارة الاحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر اليهم فان النظر الى وجوه العلماء والصلحاء عبادة
وفيه ايضا تحريك للرغبة في الاقتداء بهم والتخلق باخلاقهم وآدابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوائد
العلمية المستفادة من انفاسهم وافعالهم كيف ومجرد زيارة الاخوان في الله فضل كما ذكرناه في
كتاب الصحبة وفي التورية سر اربعة اميال زر اخا في الله واما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى
المساجد الثلاثة وسوى الثغور للرباط بها فالحديث ظاهر في انه لا يشد الرحال لطلب بركة
البقاع الا الى المساجد الثلاثة وسوى الثغور للرباط بها فالحديث ظاهر في انه لا يشد الرحال لطلب
بركة البقاع الا الى المساجد الثلاثة وقد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحج وبيت المقدس له ايضا
فضل كثير خرج عمر رضي الله عنه من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس
ثم كر راجعا من الغد الى المدينة وقد سأل سليمن ربه عز وجل ان من قصد هذا المسجد لا يعنيه
الا للصلوة فيه ان لا ينصرف نظرك عنه ما دام مقيما فيه حتى يخرج منه وان تخرجه من ذنوبه كيوم
ولدته امه فاعطاه الله عز وجل ذلك **القسم الثالث** ان يكون السفر للهرب من سبب مشوش
للدين وذلك ايضا حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين ومما يجب الهرب منه الولاية و

الجاه وكثرة العلايق والاسباب فان ذلك مما يشوش فراغ القلب والدين لا يتم الا بقلب فارغ من
غير الله فان لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور ان يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا
عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية ولكن يتصور تخفيفها وتقليلها وقد نجا المخففون وهلك
المثقلون والحمد لله الذي لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الاوزار والاعباء بل قبل المخف
بفضله وشمله بسعة رحمته والمخف هو الذي ليست الدنيا اكبر همه وذلك لا يتيسر في الوطن
لمن اتسع جاهه وكثرت علايقه فلا يتم مقصوده الا بالغربة والخمول وقطع العلايق التي له بد
عنها حتى يروض نفسه مدة ثم ربما يمده الله بمعونته فينعم عليه بما يقوى به نفسه ويطمئن به قلبه
فيستوي عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الاسباب والعلايق وعدمها فلا يصده
شي منها عما هو بصدده من ذكر الله وذلك مما يعز وجوده جدا بل الغالب على القلوب الضعف
والقصور عن الاتساع للخلق والخالق وانما يسعد بهذه القوة الانبياء والاولياء والوصول اليها
بالكسب شديد وان كان للاجتهاد والكسب فيه مدخل ايضا ومثاله تفاوت القوة الباطنة
فيه تفاوت القوة الظاهرة في الاعضاء فرب رجل قوي ذي مرة سوي شديد الاعصاب محكم البنية
يستقل بحمل ما وزنه الف رطل مثلا فلو اراد الضعيف المريض ان ينال رتبته بممارسة الحمل والتدريج
فيه قليلا لم يقدر عليه ولكن الممارسة والجهد يزيد في قوته زيادة ما وان كان ذلك لا تبلغه درجته
فلا ينبغي ان يترك الجهد عند الياس عن الرتبة العليا فان ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال وقد كان من
عادة السلف مفارقة الوطن خيفة من الفتن قال سفين الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه
على الخامل فكيف على المشهورين هذا زمان رجل ينتقل من بلد الى بلد كلما عرف في موضع تحول الى غيره و
قال ابو نعيم رايت سفين الثوري وقد علق قلته بيده وجرابه على ظهره فقلت الى اين يا ابا عبد الله قال
قد بلغني عن قرية فيها رخص اريد ان اقيم بها فقيل وتفعل هذا قال نعم اذا بلغك ان قرية فيها رخص
فاقم بها فانه اسلم لدينك واقل لهمك وهذا هرب من غلاء السعر وكان سري السقطي يقول
للصوفي اذا خرج الشتاء فقد خرج آذار واورقت الاشجار وطاب الانتشار فانتشروا وكان الخواص
لا يقيم في بلد اكثر من اربعين يوما وكان من المتوكلين ويرى الاقامة اعتمادا على الاسباب قادحا في التوكل
وسياتي سر الاعتماد على الاسباب في كتاب التوكل ان شاء الله **القسم الرابع** السفر هربا
مما يقدح في البدن كالطاعون او في المال كغلاء السعر او ما يجري مجراه ولا حرج في ذلك بل ربما يجب الفرار
في بعض المواضع وربما يستحب في بعض بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوايد واستحبابه ولكن
يستثنى منه الطاعون فلا ينبغي ان يفر منه لورود النهي فيه قال اسامة بن زيد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان هذا الوجع والسقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم ثم بقي بعد في الارض فيذهب
المرة ويأتي الاخرى فمن سمع به في ارض فلا يقدمن عليه ومن وقع بارض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه
وقالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فناء امتي بالطعن والطاعون
فقلت هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون قال غدة كغدة البعير تاخذهم في مراقهم المسلم الميت منه
شهيد والمقيم عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله والفار منه كالفار من الزحف وعن مكحول عن

ام ايمن

ام ايمن قال اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض اهله لا تشرك بالله شيا وان عذبت او حرقت
اطع والديك وان امراك ان تخرج عن كل شي هو لك فاخرج منه لا تترك الصلوة عمدا فانه من ترك
الصلوة عمدا فقد برئت منه ذمة الله اياك والخمر فانها مفتاح كل شر اياك والمعصية فانها
تسخط الله لا تفر من الزحف وان اصاب الناس موتان وانت فيهم فاثبت فيهم انفق من طولك
على اهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم اخفهم في الله فهذه الاحاديث تدل على ان الفرار من الطاعون
منهي عنه وكذا القدوم عليه وسياتي سر ذلك في كتاب التوكل فهذه اقسام الاسفار وقد
خرج منه ان السفر ينقسم الى مذموم والى محمود والمذموم ينقسم الى حرام كاباق العبد وسفر العاق
والى مكروه كالخروج من بلد الطاعون والمحمود ينقسم الى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة على
كل مسلم والى مندوب اليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم ومن هذه الاسباب تتبين النية
في السفر فان معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لاجابة الداعية ولتكن نيته
الاخرة في جميع اسفاره وذلك ظاهر في الواجب والمندوب ومحال في المكروه والمحظور واما
المباح فمهما كان قصده بطلب المال مثلا التعفف عن السوال ورعاية ستر المروة على الاهل والعيال
والتصدق بما فضل من مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من اعمال الاخرة ولو خرج الى الحج
وباعثه الرياء والسمعة خرج عن كونه من اعمال الاخرة فقوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات عام
في الواجبات والمباحات دون المحظورات فان النية لا تؤثر في اخراجها عن كونها محظورة وقد قال
بعض السلف ان الله قد وكل بالمسافرين ملايكة ينظرون الى مقاصدهم فيعطي كل واحد على نحو نيته
فمن كانت نيته الدنيا اعطي منها ونقص من آخرته اضعافه وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله
ومن كانت نيته الآخرة اعطي من البصيرة والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه
ودعت له الملايكة واستغفرت واما النظر في ان السفر هو الافضل او الاقامة فيضاهي النظر
في ان الافضل هو العزلة او المخالطة وقد ذكرنا منهاجه في كتاب العزلة فليفهم هذا منه فان السفر
نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب في حق الاكثرين والافضل هو الاعون
على الدين ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله وتحصيل الانس بذكر الله والانس يحصل بدوام
الفكر ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما والسفر هو المعين على التعلم في الابتداء والاقامة هي
المعينة على العمل بالعلم في الانتهاء فاما السياحة في الارض على الدوام فمن المشوشات للقلب الا في
حق الاقوياء فان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة
بالخوف على نفسه وماله وتارة بمفارقة ما الفه واعتاده في اقامته وان لم يكن معه مال يخاف
عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف الى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر وتارة يقوى باستحكام
اسباب الطمع ثم شغل الحط والترحال مشوش لجميع الاحوال فلا ينبغي ان يسافر المريد الا في طلب علم
او مشاهدة شيخ يقتدى به في سيرته ويستفاد الرغبة في الخير من مشاهدته فان اشتغل بنفسه و
استبصر وانفتح له طريق الفكر او العمل فالسكون اولى به الا ان اكثر متصوفة هذه الاعصار لما
خلت بواطنهم عن لطايف الافكار ودقايق الاعمال ولم يحصل لهم انس بالله تع وبذكره في الخلوة و

كانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين قد ألفوا البطالة واستثقلوا العمل واستوعروا طريق الكسب واستلانوا جانب السؤال والكدية واستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد واستسخروا الخدم المنتصبين لخدمة القوم واستخفوا عقولهم وأديانهم من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسمعة وانتشار الصيت واقتناص الأموال تعللا بكثرة الأتباع فلم يكن لهم في الخانقاهات حكم نافذ ولا تأديب للمسافرين نافع ولا حجر عليهم قاهر فلبسوا المرقعات واتخذوا من الخانقاهات متنزهات وربما تلقفوا ألفاظا مزخرفات من الطامات فينظرون إلى أنفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقتهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعباداتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم فيظنون بأنفسهم خيرا ويحسبون أن كل سوداء تمرة ويتوهمون أن المشاركة في الظواهر توجب المساهمة في الحقائق وهيهات فما أغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم فهؤلاء بغضاء الله فإن الله يبغض الشاب الفارغ ولم يحملهم على السياحة إلا الشباب والفراغ إلا من سافر لحج أو عمرة في غير رياء ولا سمعة أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدى به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الآن والأمور الدينية كلها قد فسدت وضعفت إلا التصوف فإنه قد انمحق بالكلية وبطل لأن العلوم لم تندرس بعد والعالم وإن كان عالم سوء فإنما فساده في سيرته لا في علمه فيبقى عالما غير عامل به والعمل غير العلم وأما التصوف فإنه عبارة عن تجرد القلب لله واستحقار ما سوى الله وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح ومهما فسد العمل فات الأصل وفي أسفار هؤلاء نظر للفقهاء من حيث إنه إتعاب نفس بلا فائدة وقد يقال إن ذلك ممنوع ولكن الصواب عندنا أن نحكم بالإباحة فإن حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة وهذه الحظوظ وإن كانت خسيسة فنفوس المتحركين بهذه الحظوظ أيضا خسيسة ولا بأس بإتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود إليه فهو المتأذي وهو المتلذذ والفتوى تقتضي تسييب العوام في المباحات التي لا نفع فيها ولا ضرر فالسياحة من غير مهم في الدين والدنيا بل لمحض التفرج في البلاد كالبهائم المترددة في الصحاري فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم وإنما عصيانهم في التلبيس والسؤال على اسم التصوف والأكل من الأوقاف التي وقفت على الصوفية لأن الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات أخرى وراء الصلاح ومن أقل أحوال هؤلاء أكلهم أموال السلاطين وأكل الحرام من الكبائر فلا يبقى معه العدالة والصلاح ولو تصور صوفي فاسق لتصور صوفي كافر وفقيه يهودي وكما أن الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذي تحصل به العدالة وكذلك من نظر إلى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم وأعطاهم من ماله على سبيل التقرب إلى الله حرم عليهم الأخذ وكان ما أكلوه سحتا وإثمه إذا كان المعطي بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم وأخذ المال بإظهار التصوف من غير اتصاف بحقيقته كأخذه بإظهار نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الدعوى ومن ادعى أنه علوي وهو كاذب وأعطاه مسلم مالا لحبه أهل بيت رسول الله ولو علم أنه كاذب لم يعطه شيئا فأخذه عليه حرام وكذلك الصوفي ولهذا احترز المحتاطون عن الأكل بالدين فإن المبالغ في الاحتياط الديني لا ينفك في باطنه عن عورات لو انكشفت للراغب في مواساته لفترت رغبته

عن المواساة فلا جرم كانوا لا يشترون شيئا بأنفسهم مخافة أن يسامحوا لأجل دينهم فيكونوا آكلين بالدين وكانوا يوكلون ويشترطون على الوكيل أن لا يظهر أنه لمن يشترى نعم إنما يحل أخذ ما يعطى لأجل الدين إذا كان الآخذ بحيث لو علم المعطي من باطنه ما يعلمه الله لم يقتض ذلك فتورا في رأيه فيه والعاقل المنصف يعلم من نفسه أن ذلك ممتنع أو عزيز والمغرور الجاهل بنفسه أحرى أن يكون جاهلا بأمر دينه فإن أقرب الأشياء إلى قلبه قلبه فإذا التبس عليه أمر قلبه فكيف ينكشف له غيره من عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة أن لا يأكل إلا من كسبه ليأمن من هذه الغائلة ولا يأكل إلا من مال من يعلم قطعا أنه لو انكشفت له عورات باطنه لم يمنعه ذلك عن مواساته فإن اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة إلى أخذ مال غيره فليصرح له وليقل إنك إن كنت تعطيني لما تعتقده في من الدين فلست مستحقا لذلك ولو كشف الله ستري لم ترني بعين التوقير بل اعتقدت أني شر الخلق أو من شرارهم فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ فإنه ربما يرتضي منه هذه الخصلة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحلاله لما يأخذه ولكن ههنا مكيدة للنفس ومخادعة فليتفطن لها وهو أنه قد يقول ذلك مظهرا أنه متشبه بالصالحين في ذمهم نفوسهم واستحقارهم لها ونظرهم إليها بعين المقت والازدراء فيكون صورة الكلام صورة القدح والإزراء وباطنه وروحه هو المدح والإطراء فكم من ذام نفسه وهو لها مادح بعين ذمه فذم النفس في الخلوة مع النفس هو المحمود فأما الذم في الملا فهو عين الرياء إلا إذا أورده إيرادا يحصل للمستمع يقينا بأنه مقترف للذنوب ومعترف بها وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائن الأحوال ويمكن تلبيسه بقرائن الأحوال والصادق بينه وبين الله يعلم أن مخادعته لله أو مخادعته لنفسه محال فلا يتعذر عليه الاحتراز عن أمثال ذلك هذا هو القول في أقسام السفر ونية المسافر وفضيلته

الفصل الثاني في آداب المسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه وهي أحد عشر أدبا

الأول أن يبدأ برد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ويرد الودائع إن كانت عنده ولا يأخذ لزاده إلا الطيب الحلال وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه قال ابن عمر رضي الله عنه من كرم الرجل طيب زاده في سفره ولا بد في السفر من طيب الكلام وإطعام الطعام ومن إظهار مكارم الأخلاق فإن السفر يخرج خبايا الباطن ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر وقد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر ولذلك قيل إذا أثنى على الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه والسفر من أسباب الضجر ومن أحسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق وإلا فعند مساعدة الأمور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضجر الصائم والمريض والمسافر وتمام حسن خلق المسافر بالإحسان إلى المكاري والمعاونة للرفقة بكل ممكن وبالرفق بكل منقطع بأن لا يجاوزه إلا بإعانة بمركوب أو زاد أو توقف لأجله وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح ومطايبة في بعض الأوقات من غير فحش ومعصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه **الثاني** أن يختار رفيقا فلا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره إذا نسي ويعينه ويساعده إذا ذكر فإن المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل إلا برفيقه وقد نهى صلى الله عليه وسلم

عن ان يسافر الرجل وحده وقال الثلاثة نفر وقال اذا كنتم ثلاثة في سفر فامروا
احدكم وكانوا يفعلون ذلك ويقولون هو امير امره رسول الله صلى الله عليه وسلم وليؤمروا اكثرهم
اخلاقا وارفقهم بالاصحاب واسرعهم الى الايثار وطلب الموافقة وانما يحتاج الى الامير لان الاراء
تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام الا في الوحدة ولا فساد الا مع
الكثرة وانما انتظم امر العالم لان مدبر الكل واحد ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومهما كان المدبر
واحدا انتظم التدبير واذا كثر المدبرون فسدت الامور في الحضر والسفر الا ان مواطن الاقامة
لا تخلو عن امير عام كامير البلد وامير خاص كرب الدار واما السفر فلا يتعين له امير الا بالتامير
فلهذا وجب التامير ليجمع شتات الاراء ثم على الامير ان لا ينظر الا لمصلحة القوم وان
يجعل نفسه وقاية لهم كما نقل عن عبد الله المروزي انه صحبه ابو علي الرباطي فقال على ان تكون انت
الامير او انا فقال بل انت فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولابي علي على ظهره فامطرت السماء ذات ليلة
فقام عبد الله طول الليل على راس رفيقه وفي يده كساء يمنع عنه المطر فكلما قال له عبد الله لا تفعل
يقول الم تقل ان الامارة مسلمة لك فلا تتحكم علي ولا ترجع عن قولك حتى قال ابو علي وددت اني
مت ولم اقل له انت الامير فهكذا ينبغي ان يكون الامير وقد قال صلى الله عليه وسلم خير
الاصحاب اربعة وتخصيص الاربعة من بين ساير الاعداد لا بد وان يكون له فايدة والذي ينقدح فيه
ان المسافر لا يخلو عن رحل يحتاج الى حفظه وعن حاجة يحتاج الى التردد فيها ولو كانوا ثلاثة لكان المتردد
في الحاجة واحدا فيتردد في السفر بلا رفيق فلا يخلو عن خطر وضيق قلب لفقد انس الرفيق ولو تردد عزمه
في الحاجة اثنان كان الحافظ للرحل وحده فلا يخلو عن الخطر وعن ضيق الصدر فاذن ما دون الاربعة
لا يفي بالمقصود وما فوق الاربعة يزيد فلا يجمعهم رابطة واحدة فلا ينعقد بينهم الترافق لان الخامس زيادة
بعد الحاجة ومن يستغنى عنه لا تنصرف الهمة اليه فلا تتم المرافقة معه نعم في كثرة الرفاق فايدة للامن
من المخاوف ولكن الاربعة خير للرفاقة الخاصة لا العامة وكم من رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط
الى اخر الطريق للاستغناء عنه **الثالث** ان يودع رفقاء الحضر والاهل والاصدقاء وليودع عند
الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم صحبت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة الى
المدينة فلما اردت ان افارقه شيعني وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال لقمن
ان الله عز وجل اذا استودع شيئا حفظه واني استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وروى زيد
بن ارقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان اراد احدكم سفرا فليودع اخوانه فان الله تبارك وتعالى
جاعل له في دعايهم البركة وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
اذا ودع رجلا قال زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث ما توجهت فهذا دعاء المقيم
للمودع وقال موسى بن وردان اتيت ابا هريرة اودعه لسفر اردته فقال الا اعلمك يا ابن
اخي شيئا علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع فقلت بلى قال قل استودعك الله الذي
لا يضيع ودايعه وعن انس بن مالك ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني اريد سفرا
فاوصني فقال له في حفظ الله وفي كنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت

او انما كنت شك فيه الراوي وينبغي اذا استودع الله ما يخلفه ان يستودع الجميع ولا يخصص فقد روي
ان عمر رضي الله عنه كان يعطي الناس عطاياهم اذ جاء رجل معه ابن له فقال له عمر ما رايت احدا
اشبه باحد من هذا بك فقال الرجل احدثك عنه يا امير المومنين بامر اني اردت ان اخرج الى سفر
وامه حامل به فقالت تخرج وتدعني على هذه الحالة فقلت استودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت
فاذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث فاذا نار على قبرها فقلت للقوم ما هذه النار فقالوا هذا من قبر فلانة
نراها كل ليلة فقلت والله انها كانت صوامة قوامة فاخذت المعول حتى انتهينا الى القبر فحفرنا فاذا
سراج واذا هذا الغلام يدب فقيل لي ان هذه وديعتك ولو كنت استودعت امه لوجدتها فقال
عمر رضي الله عنه لهو اشبه بك من الغراب بالغراب **الرابع** ان يصلي قبل السفر صلوة الاستخارة
كما وصفناها في كتاب الصلوة ووقت الخروج يصلي لاجل السفر فقد روى انس بن مالك ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فالى اي الثلاثة ادفعها
الى ابني ام اخي ام ابي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما استخلف عبد في اهله من خليفة احب الى الله
من اربع ركعات يصليهن في بيته اذا شد عليه ثياب سفره يقرا فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله
احد ثم يقول اللهم اني اتقرب بهن اليك فاخلفني بهن في اهلي ومالي فهي خليفة في اهله
وماله وحرز حول داره حتى يرجع الى اهله **الخامس** اذا حصل على باب الدار فليقل بسم الله توكلت
على الله لا حول ولا قوة الا بالله رب اعوذ ان اضل او ازل او اظلم او اظلم او اجهل او يجهل علي فاذا
مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم انت ثقتي
وانت رجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا اله
غيرك اللهم زودني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير اينما توجهت وليدع بهذا الدعاء في
كل منزل يرحل عنه فاذا ركب الدابة فليقل بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون فاذا استوت الدابة تحته فليقل الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا
لنهتدي لولا ان هدانا الله اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور **السادس**
ان يرحل عن المنزل بكرة روى جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وبكر
وقال اللهم بارك لامتي في بكورها ويستحب ان يبتدي بالخروج يوم الخميس فقد روى كعب بن مالك
عن ابيه قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى سفر الا يوم الخميس وروى انس انه صلى الله عليه وسلم
قال اللهم بارك لامتي في بكورها يوم خميسها وقال عبد الله بن عباس اذا كان لك الى رجل حاجة
فاطلبها اليه نهارا ولا تطلبها ليلا واطلبها بكرة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم بارك لامتي في بكورها ولا ينبغي ان يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصيا بترك
الجمعة واليوم منسوب اليها فكان اوله من اسباب وجوبها والتشييع للوداع مستحب وهو سنة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اشيع مجاهدا في سبيل الله فاكنفه على رحله غدوة او روحة
احب الي من الدنيا وما فيها **السابع** ان لا ينزل حتى يحمي النهار فهو السنة ويكون اكثر سيره في

الليل قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ومهما
اشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن
ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين اسالك خير هذا
المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم فاذا نزل المنزل
فليصل فيه ركعتين ثم ليقل اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر
ما خلق فاذا جن عليه الليل فيقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب
عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد ووالد وما ولد وله ما سكن
في الليل والنهار وهو السميع العليم ومهما علا نشزا من الارض في وقت السير ينبغي ان يقول اللهم لك
الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان
الملك القدوس رب الملائكة والروح **الثامن** ان يحتاط بالنهار فلا يمشي منفردا خارج القافلة
لانه ربما يغتال او ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نام في
ابتداء الليل في السفر افترش ذراعه وان نام في آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل راسه في كفه والغرض
من ذلك ان لا يستثقل في النوم فتطلع الشمس وهو نايم لا يدري فيكون ما يفوته من الصلوة افضل مما
يطلبه بسفره والمستحب بالليل ان يتناوب الرفقاء في الحراسة فاذا نام واحد حرس آخر فهو السنة و
مهما قصده عدو او سبع في ليل ونهار فليقرا آية الكرسي وشهد الله وسورة الاخلاص والمعوذتين وليقل
بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا ياتي بالخير الا الله ما شاء
الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجا كتب الله
لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا
بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت ثقتنا و
رجاؤنا اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برافة ورحمة انك انت ارحم الراحمين **التاسع**
ان يرفق بالدابة ان كان راكبا فلا يحملها ما لا تطيق ولا يضرب وجهها فانه منهي عنه ولا ينام عليها
فانه يثقل بالنوم ويتاذى به الدابة كان اهل الورع لا ينامون على الدابة الا غفوة قال صلى الله عليه وسلم
لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة و
فيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكتري بشرط ان لا ينزل ويوفي الاجرة ثم كان ينزل ليكون
بذلك محسنا الى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لا في ميزان المكاري ومن آذى البهيمة بضرب او حمل
ما لا تطيق طولب به يوم القيمة اذ في كل كبد حرى اجر وقال ابو الدرداء لبعيره عند الموت ايها
البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم اكن احملك فوق طاقتك وفي النزول ساعة صدقتان احديهما
ترويح الدابة والاخرى ادخال السرور على قلب المكاري وفيه فايدة اخرى وهي رياضة البدن و
تحريك الرجلين والحذر من خدر الاعصاب بطول الركوب وينبغي ان يقرر مع المكاري شيئا
فشيئا ويعرضه عليه ويستاجر الدابة بعقد صحيح لئلا يثور بينهما نزاع يوذي القلب ويحمل على الزيادة
في الكلام فما يلفظ العبد من قول الا لديه رقيب عتيد فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع المكاري

ولا ينبغي ان يحمل فوق المشروط شيئا وان خف فان القليل يجر الى الكثير ومن حام حول الحمى يوشك
ان يقع فيه قال رجل لابن المبارك وهو على دابته احمل لي هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت
الى قول الفقهاء ان هذا مما يتسامح به ولكن سلك طريق الورع **العاشر** ينبغي له ان يستصحب
ستة اشياء قالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر حمل معه خمسة
اشياء المراة والمكحلة والمدرا والمشط والسواك وفي رواية اخرى عنه ستة اشياء المراة و
القارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط وقالت ام سعد الانصارية كان صلى الله عليه وسلم
لا تفارقه في السفر المراة والمكحلة وقال صهيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالاثمد
عند مضجعكم فانه مما يزيد في البصر وينبت الشعر وروي انه كان يكتحل ثلثا ثلثا وفي رواية انه اكتحل
لليمنى ثلثا ولليسرى ثنتين وقد زاد الصوفية الركوة والحبل وقال بعض الصوفية اذا لم يكن مع الفقير
ركوة وحبل دل على نقصان دينه وانما زادوا هذا لما راوه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب
فالركوة لحفظ الماء الطاهر والحبل لتجفيف الثوب المغسول ولنزح الماء وكان الاولون يكتفون
بالتيمم ويغنون انفسهم عن نقل الماء ولا يبالون بالوضوء من الغدران ومن المياه كلها ما
لم يتيقنوا نجاستها حتى توضا عمر رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية وكانوا يكتفون بالارض
والجبال عن الحبل فيفرشون الثياب المغسولة عليها فهذه بدعة الا انها بدعة حسنة وانما البدعة
المذمومة ما يصادم السنن الثابتة اما ما يعين على الاحتياط في الدين فمستحسن وقد ذكرنا احكام
المبالغة في الطهارات في كتاب الطهارة وان المتجرد لامر الدين لا ينبغي ان يوثر طريق الرخصة بل يحتاط
في الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل افضل منه وقيل كان الخواص من المتوكلين وكان لا يفارقه
اربعة اشياء في السفر والحضر الركوة والحبل والابرة بخيوطها والمقراض وكان يقول هذه ليست من
الدنيا **الحادي عشر** في آداب الرجوع من السفر كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو او حج او غيره
يكبر على كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو
على كل شي قدير آيبون تايبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده واذا اشرف على مدينته فليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ثم ليرسل الى
اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكرهه ولا ينبغي ان يطرقهم ليلا
فقد ورد النهي عنه وكان صلى الله عليه وسلم اذا قدم دخل المسجد اولا وصلى ركعتين ثم دخل البيت
واذا دخل قال توبا توبا لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا وينبغي ان يحمل لاهل بيته واقاربه تحفة من مطعوم
او غيره على قدر امكانه فهو سنة وقد روي انه ان لم يجد شيئا فليضع في مخلاته حجرا وكان هذا
مبالغة في الاستحثاث على هذه المكرمة لان الاعين تمتد الى القادم من السفر والقلوب تفرح به
فيتاكد الاستحباب في تاكيد فرحهم واظهار التفات القلب في السفر الى ذكرهم بما يستصحب
في الطريق لهم فهذه جملة من الآداب الظاهرة فاما الآداب الباطنة ففي الفصل الاول بيان جملة
منها وجملته ان لا يسافر الا اذا كان زيادة دينه في السفر ومهما وجد قلبه متغيرا الى
نقصان فليقف ولينصرف ولا ينبغي ان يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه وينوي في

دخول كل بلدة ان يرى شيوخها ويجتهد ان يستفيد من كل واحد ادبًا او كلمة لينتفع بها لا ليحكي ذلك
ويظهر انه لقي المشايخ ولا يقيم ببلد اكثر من اسبوع او عشرة ايام الا ان يأمره الشيخ المقصود بذلك
ولا يجالس في مدة الاقامة الا الفقراء الصادقين وان كان قصده زيارة اخ فلا يزيد على ثلاثة ايام
فهو حد الضيافة الا اذا شق على اخيه مفارقته واذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده اكثر من يوم وليلة
ولا يشتغل بالعشرة فان ذلك يقطع بركة سفره وكلما يدخل البلد فلا يشتغل بشيء سوى زيارة
الشيخ بزيارة منزله فان كان في بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستاذن الى ان يخرج فاذا خرج تقدم
بالادب ولا يتكلم بين يديه الا ان يسأله فان سأله اجاب بقدر السؤال ولا يسأله عن مسئلة ما لم
يستاذن اولًا واذا كان في السفر فلا يكثر ذكر اطعمة البلدان واسخيائها ولا اصدقائه فيها و
ليذكر مشايخها وفقراءها ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدها في كل قرية وبلدة ولا
يظهر حاجته الا بقدر الضرورة مع من يقدر على ازالتها ويلازم في الطريق الذكر وقراءة القرآن
بحيث لا يسمع غيره واذا كلمه انسان فليترك الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم ليرجع فان تبرمت نفسه
بالسفر او بالاقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس واذا تيسرت له خدمة قوم صالحين
فلا ينبغي ان يسافر تبرمًا بالخدمة فذلك كفران نعمة ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان في الحضر
فليعلم ان سفره معلول وليرجع اذ لو كان بحق لظهر اثره قال رجل لابي عثمان المغربي
خرج فلان مسافرًا فقال السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن ان يذل نفسه واشار به الى من ليس
له في السفر زيادة دين والا فعز الدين لا ينال الا بذل الغربة فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده
وطبعه حتى يعز في هذه الغربة ولا يذل فان من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة اما عاجلًا واما
آجلًا الباب الثاني فيما لابد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وادلة القبلة والاوقات
اعلم ان المسافر يحتاج في اول سفره الى ان يتزود لدنياه ولآخرته اما زاد الدنيا فالطعام والشراب
وما يحتاج اليه من النفقة فان خرج متوكلًا من غير زاد فلا بأس به اذا كان سفره في قافلة او بين قرى
متواصلة وان ركب البادية وحده او مع قوم لا طعام معهم ولا شراب فان كان ممن يصبر على
الجوع اسبوعًا وعشرًا مثلًا ويقدر على ان يجتزي بالحشيش فله ذلك ان لم يكن له قوة الصبر على
الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش فخروجه من غير زاد معصية فانه القى نفسه بيده الى التهلكة
ولهذا اسرار ستاتي في كتاب التوكل وليس معنى التوكل التباعد عن الاسباب بالكلية ولو كان كذلك
لبطل التوكل بطلب الدلو ونزع الماء من البير ولوجب ان يصبر حتى يسخر الله ملكًا او شخصًا آخر
حتى يصب الماء في فيه فان كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول الى المشروب
فحمل عين المشروب والمطعوم حيث لا ينتظر له وجود اولى بان لا يقدح فيه وسياتي حقيقة
التوكل في موضعه فانه ملتبس الا على المحققين من علماء الدين واما زاد الآخرة فهو العلم
الذي يحتاج اليه في طهارته وصومه وصلوته وعباداته فلا بد وان يتزود منه اذ السفر تارة
يخفف عليه امورًا فيحتاج الى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر وتارة يشدد
عليه امورًا كان مستغنيًا عنها كالعلم بالقبلة واوقات الصلوة فانه في البلد يكتفي بغيره من محاريب المساجد

واذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج الى ان يتعرف بنفسه فاذن ما يفتقر الى تعلمه ينقسم الى قسمين
القسم الاول العلم برخص السفر والسفر يفيد في الطهارة رخصتين مسح الخف والتيمم و
في صلوة الفرض رخصتين القصر والجمع وفي النفل رخصتين اداءه على الراحلة واداءه ماشيًا
وفي الصوم رخصة واحدة وهو الفطر فهذه سبع رخص الرخصة الاولى المسح على الخفين
قال صفوان بن عسال المرادي امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنا مسافرين او سفرًا
ان لا ننزع خفافنا ثلثة ايام ولياليهن فكل من لبس الخف على طهارة تبيح للصلوة ثم احدث
فله ان يمسح على خفه من وقت حدثه ثلثة ايام ولياليهن ان كان مسافرًا ويومًا وليلة ان كان مقيمًا
ولكن بخمسة شروط الاول ان يكون اللبس بعد كمال الطهارة فلو غسل الرجل اليمنى وادخلها
الخف لم يجز له المسح عند الشافعي رحمه الله حتى ينزع اليمنى ويعيد لبسه الثاني ان يكون الخف
قويًا يمكن المشي عليه ويجوز المسح على الخف وان لم يكن منعلًا اذ العادة جارية بالتردد فيه في المنازل
لان فيه قوة على الجملة بخلاف جورب الصوفي فانه لا يجوز المسح عليه وكذا الجرموق الضعيف الثالث
ان لا يكون في موضع فرض الغسل خرق فان تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز المسح وللشافعي
قول قديم انه يجوز ما دام يستمسك على الرجل وهو مذهب مالك ولا بأس به لمسيس الحاجة اليه وتعذر
الخرز في السفر كل وقت والمداس المنسوج يجوز المسح عليه ان كان ساترًا لا تبدو بشرة القدم من
خلاله وكذا المشقوق الذي يرد على محل الشق بشراج لان الحاجة تمس الى جميع ذلك فلا يعتبر الا
ان يكون ساترًا الى فوق الكعبين كيف ما كان فاما اذا كان ستر بعض ظهر القدم وستر الباقي
باللفافة لم يجز المسح الرابع ان لا ينزع الخف بعد المسح عليه فان نزع فالاولى استيناف الوضوء
وان اقتصر على غسل القدمين جاز الخامس ان يمسح على الموضع المحاذي لمحل فرض الغسل لا على الساق
واقل ما يسمى مسحًا على ظهر القدم من الخف واذا مسح بثلاث اصابع خرج من شبهة الخلاف والكمال
ان يمسح اعلاه واسفله دفعة واحدة من غير تكرار كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه ان
يبل اليدين ويضع رؤس اصابع اليد اليمنى على اصابع رجله اليمنى ويمسحه بان يجر اصابعه الى جهة نفسه
ويضع رؤس اصابع يده اليسرى على عقبه من اسفل الخف ويمدها الى راس القدم ومهما مسح مقيمًا
ثم سافر او مسافرًا ثم اقام غلب حكم الاقامة فليقتصر على يوم وليلة وعدد الايام الثلاثة يحسب
من وقت حدثه بعد المسح على الخف فلو لبس الخف في الحضر ثم خرج واحدث في السفر وقت الزوال
مثلًا مسح ثلاثة ايام ولياليهن من وقت الزوال الى الزوال من اليوم الرابع فاذا زالت الشمس من اليوم
الرابع لم يكن له ان يصلي الا بعد غسل الرجل فيغسل رجليه ويعيد لبس الخف ويراعي وقت الحدث و
يستانف الحساب من وقت الحدث ولو احدث بعد لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله
ان يمسح ثلاثة ايام لان العادة قد تقتضي اللبس قبل الخروج ولا يمكن الاحتراز من الحدث فاما اذا مسح
في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين ويستحب لكل من يريد لبس الخف في حضر او سفر ان ينكس
الخف وينفض ما فيه حذرًا من حية او عقرب او شوكة فقد روي عن ابي امامة انه قال دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخفيه فلبس احدهما فجاء غراب فاحتمل الآخر ثم رمى به فخرجت منه حية فقال

صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما **الرخصة الثانية**
التيمم والتراب بدل عن الماء عند العذر وانما يتعذر الماء بان يكون بعيدًا عن المنزل بعدًا لو مشى
اليه لم يلحقه غوث القافلة ان صاح واستغاث وهو البعد الذي لا يعتاد اهل المنزل في
ترددهم لقضاء الحاجة التردد اليه وكذا ان نزل على الماء عدو او سبع فيجوز التيمم وان كان
الماء قريبًا وكذا ان احتاج اليه لعطشه في يومه او بعد يومه لفقد الماء بين يديه فله التيمم
وكذا ان احتاج اليه لعطش احد رفقائه فلا يجوز له الوضوء ويلزمه بذله اما بثمن او بغير ثمن
ولو كان يحتاج اليه لطبخ مرقة او لحم تبيت يجمعه به لم يجز له التيمم بل عليه ان يجتزئ بالقتيت
اليابس ويترك لنا ول المرقة ومهما وهب منه الماء وجب قبوله وان وهب ثمنه لم يجب
قبوله لما فيه من المنة وان بيع بثمن المثل لزمه الشراء وان بيع بغبن لم يلزمه فاذا لم يكن معه ماء و
اراد ان يتيمم فاول ما يلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول اليه بالطلب وذلك بالتردد حوالي المنزل و
تفتيش الرحل وطلب البقايا من الاواني والمطاهر فان نسي الماء في رحله او نسي بيرًا بالقرب منه لزمه
اعادة الصلوة لتقصيره في الطلب وان علم انه سيجد الماء في آخر الوقت فالاولى ان يصلي بالتيمم
في اول الوقت فان العمر لا يوثق به واول الوقت رضوان الله تيمم ابن عمر رضي الله عنهما فقيل له اتتيمم
وجدران المدينة تنظر اليك فقال لو ابقى الى ان ادخلها ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلوة
لزمه الوضوء ومهما طلب فلم يجد فليقصد صعيدًا طيبًا عليه تراب يثور منه غبار وليضرب كفيه
عليه بعد ضم اصابعه ضربة فيمسح بهما وجهه ويضرب ضربة اخرى بعد نزع الخاتم وتفريج الاصابع و
يمسح بهما يديه الى مرفقيه فان لم يستوعب بضربة واحدة جميع ساعديه ضرب ضربة اخرى وكيفية
التلطف فيه ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيده ثم اذا اصلى به فريضة واحدة فله ان يتنفل ما شاء بذلك
التيمم وان اراد الجمع بين فريضتين فعليه ان يعيد التيمم للصلوة الثانية ولا ينبغي ان يتيمم لصلوة
قبل دخول وقتها فان فعل وجب عليه اعادة التيمم ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلوة
ولو وجد من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم تيممًا تامًا **الرخصة الثالثة** في
الصلوة المفروضة القصر وله ان يقتصر في كل واحد من الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ولكن
بشروط ثلثة **الاول** ان يؤديها في اوقاتها فلو صارت قضاء فالاظهر لزوم الاتمام **الثاني**
ان ينوي القصر فلو نوى الاتمام لزمه الاتمام ولو شك في انه نوى القصر او الاتمام لزمه الاتمام **الثالث**
ان لا يقتدي بمقيم ولا بمسافر متم فان فعل لزمه الاتمام وان تيقن بعده انه مسافر لان شعار المسافر
لا يخفى فليكن متحققًا عند النية وان شك في ان امامه هل نوى القصر ام لا بعد ان عرف انه مسافر
لم يضره ذلك لان النيات لا مطلع عليها وهذا كله اذا كان في سفر طويل مباح وحد السفر من
جهة البداية والنهاية فيه اشكال فلا بد من معرفته والسفر هو الانتقال من موضع الاقامة مع ربط
القصد بمقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعًا
معينًا ولا يصير مسافرًا ما لم يفارق عمران البلد ولا يشترط ان يجاوز خراب البلدة وبساتينها
التي قد يخرج اهل البلد اليها للتنزه واما القرية فالمسافر ينبغي ان يجاوز البساتين المحوطة دون

التي ليست بمحوطة ولو رجع المسافر الى البلد لاخذ شيء نسيه لم يترخص ان كان ذلك وطنه ما لم يجاوز
العمران وان لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص اذ صار مسافرًا بالانزعاج والخروج منه
واما نهاية السفر فباحد امور ثلاثة **الاول** الوصول الى العمران من البلد الذي عزم
على الاقامة به **الثاني** العزم على الاقامة ثلثة ايام فصاعدًا اما في بلد او صحراء **الثالث**
صورة الاقامة وان لم يعزم كما اذا اقام على موضع واحد ثلاثة ايام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص
بعده وان لم يعزم على الاقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم ان يتنجز ولكنه يتعوق عليه ويتأخر فله
ان يترخص وان طالت المدة على اقيس القولين لانه منزعج بقلبه ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة
قتالا — بصورة الثبوت على موضع واحد مع انزعاج القلب ولا فرق بين ان يكون هذا الشغل او غيره
ولا بين ان تطول المدة او تقصر ولا بين ان يتأخر الخروج لمطر لا يعلم بقاؤه ثلاثة ايام او لغيره اذ
ترخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصر في بعض الغزوات ثمانية عشر يومًا على موضع واحد وظاهر
الظن انه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه اذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر يومًا والظاهر ان
قصره كان لكونه مسافرًا لا لكونه غازيًا مقاتلًا هذا معنى السفر واما معنى الطويل فهو ان يكون
مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلثة اميال وكل ميل اربعة آلاف خطوة ومعنى
المباح ان لا يكون عاقًا لوالديه هاربًا منهما ولا هاربًا من مالكه ولا تكون المرأة هاربة من زوجها
ولا ان يكون من عليه الدين هاربًا من المستحق مع اليسار ولا يكون متوجهًا في قطع طريق او
قتل انسان او طلب ادرار حرام من سلطان او سعي بالفساد بين المسلمين وبالجملة فلا يسافر الانسان
الا في غرض والغرض هو المحرك فان كان تحصيل ذلك الغرض حرامًا ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبعث
لسفره فسفره معصية ولا يجوز فيه الترخص اما الفسق في السفر بشرب الخمر وغيره فلا
يمنع الرخصة بل كل سفر ينهى الشرع عنه فلا يعين عليه بالرخصة ولو كان له باعثان احدهما
مباح والآخر محظور وكان بحيث لو لم يكن الباعث المحظور لكان المباح مستقلًا بتحريكه
ولكان لا محالة يسافر لاجله فله الترخص والمتصوفة الطوافون في البلاد من غير غرض
صحيح سوى التفرج بمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف والمختار ان لهم الترخص
الرخصة الرابعة الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما وبين المغرب والعشاء في وقتيهما فذلك
ايضًا جائز في كل سفر طويل مباح وفي جوازه في السفر القصير قولان ثم ان قدم العصر الى الظهر
فلينو الجمع قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم وعند الفراغ يقيم للعصر ويجدد التيمم اولًا
ان كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما باكثر من تيمم واقامة فان قدم العصر لم يجز وان نوى الجمع
عند التحرم بصلوة العصر جاز عند المزني وله وجه في القياس اذ لا مستند لايجاب تقديم النية
بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع وانما الرخصة في العصر فتكفي النية فيها واما الظهر فجار على القانون
ثم اذا فرغ من الصلوتين فينبغي ان يجمع بين سنن الصلوتين اما العصر فلا سنة بعدها ولكن السنة
التي بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر اما راكبًا او مقيمًا لانه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر
انقطعت الموالاة وهي واجبة على وجه وان اراد ان يقيم الاربعة المسنونة قبل الظهر والاربعة

المسنونة قبل العصر فليجمع بينهما قبل الفريضتين فيصلي سنة الظهر اولا ثم سنة العصر ثم فريضة الظهر
ثم فريضة العصر ثم سنة الظهر الركعتان اللتان هما بعد الفرض ولا ينبغي ان يهمل النوافل في السفر
فما يفوته من ثوابها اكثر مما يناله من الربح لا سيما وقد خفف الشرع عليه وجوز له اداءها على الراحلة
كيلا يتعوق عن الرفقة بسببها وان اخر الظهر الى العصر فيجري على هذا الترتيب ولا يبالي بوقوع راتبة
الظهر بعد العصر في الوقت المكروه لان ما له سبب لا يكره في هذا الوقت وكذلك يفعل في
المغرب والعشاء والوتر اذا قدم او اخر فبعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع الرواتب ويختم الجميع بالوتر
وان خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على اداءه مع العصر جمعا فهو نية الجمع لانه انما يخلو عن
هذه النية اما بنية الترك او بنية التاخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام فان لم يتذكر
الظهر حتى خرج وقته اما لنومه او لشغل فله ان يؤدي الظهر مع العصر ولا يكون عاصيا لان السفر
كما يشغل عن فعل الصلوة فقد يشغل عن ذكرها ويحتمل ان يقال لان الظهر انما يقع اداء اذا عزم على فعلها
قبل خروج وقتها لكن الاظهر ان وقت الظهر والعصر صار مشتركا في السفر بين الصلوتين ولذلك
يجب على الحايض قضاء الظهر اذا طهرت قبل الغروب ولذلك يتضح ان لا يشترط الموالاة ولا الترتيب
بين الظهر والعصر عند تاخير الظهر اما اذا قدم العصر على الظهر لم يجز لانه بعد الفراغ من الظهر هو الذي
جعل وقتا للعصر اذ يبعد ان يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر او على تاخيره وبعذر المطر
يجوز الجمع كعذر السفر وترك الجمعة ايضا من رخص السفر وهي متعلقة بفرايض الصلوات ولو نوى
الاقامة بعد ان صلى العصر فادرك وقت العصر في الحضر فعليه اداء العصر وما مضى انما كان مجزيا بشرط ان يبقى العذر
الى خروج وقت العصر الرخصة الخامسة في التنفل راكبا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته
اينما توجهت به دابته واوتر صلى الله عليه وسلم على الراحلة وليس على المتنفل الراكب في الركوع والسجود الا
الايماء وينبغي ان يجعل سجوده اخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء الى حد يتعرض لخطر بسبب الدابة
فان كان في مرقد فليتم الركوع والسجود فانه قادر عليه واما استقبال القبلة فلا يجب لا في ابتداء
الصلوة ولا في دوامها ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة فليكن في جميع صلوته اما مستقبلا للقبلة
او متوجها في صوب الطريق لتكون له جهة يثبت فيها فلو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلوته
الا اذا حرفها الى القبلة ولو حرف ناسيا وقصر الزمان لم تبطل صلوته وان طال ففيه خلاف وان
جمحت به الدابة فانحرفت فلا تبطل صلوته لان ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو اذ الجماح
غير منسوب اليه بخلاف ما لو حرف ناسيا فانه يسجد للسهو بالايماء الرخصة السادسة التنفل للماشي
جايز في السفر ويومي بالركوع والسجود ولا يقعد للتشهد لان ذلك يبطل فايدة الرخصة وحكمه
حكم الراكب لكن ينبغي ان يتحرم بالصلوة مستقبلا للقبلة لان الانحراف في لحظة لا عسر فيه
بخلاف الدابة فان في تحريفها وان كان العنان بيده نوع عسر وربما تكثر الصلوة فيطول عليه ذلك
ولا ينبغي ان يمشي في نجاسة رطبة عمدا فان بطلت صلوته بخلاف ما لو وطيت دابة الراكب
نجاسة وليس عليه ان يشوش المشي على نفسه بالاحتراز عن النجاسات التي لا يخلو عنها الطرق
غالبا وكل هارب من عدو او سيل او سبع فله ان يصلي الفريضة راكبا وماشيا كما ذكرناه في التنفل

الرخصة

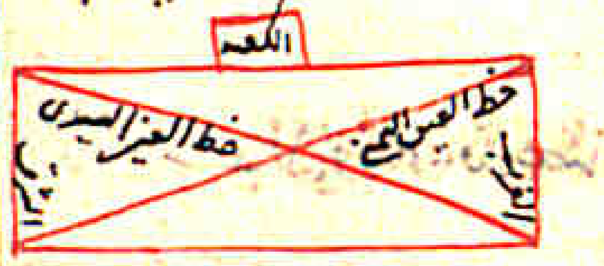
الرخصة السابعة الفطر وهي في الصوم فللمسافر ان يفطر الا اذا اصبح مقيما ثم سافر
فعليه اتمام ذلك اليوم وان اصبح مسافرا صايما ثم اقام فعليه الاتمام وان اقام مفطرا
فليس عليه الامساك بقية النهار وان اصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه بل له ان يفطر
اذا اراد والصوم افضل من الفطر والقصر افضل من الاتمام للخروج عن شبهة الخلاف لانه ليس في
عهدة القضاء وربما يتعذر عليه ذلك بعايق فيبقى في ذمته الا اذا كان الصوم يضره فالافطار
افضل فهذه ثماني رخص يتعلق منها ثلاث بالسفر الطويل وهو القصر والمسح ثلثة ايام والفطر
ويتعلق اثنان بالسفر طويلا كان او قصيرا وهو سقوط الجمعة وسقوط القضاء عند اداء
الصلوة بالتيمم واما صلوة النافلة ماشيا وراكبا ففيه خلاف والاصح جوازه في القصير و
الجمع بين الصلوتين فيه خلاف والاظهر اختصاصه بالطويل واما صلوة الفرض راكبا وماشيا
للخوف فلا يتعلق بالسفر وكذا اكل الميتة وكذا اداء الصلوة في الحال بالتيمم عند فقد الماء بل يشترك
فيها الحضر والسفر مهما وجدت اسبابها فان قلت فالعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر
تعلمه قبل السفر ام يستحب له ذلك فاعلم انه ان كان عازما على ترك المسح والقصر والجمع و
الفطر وترك التنفل راكبا وماشيا لم يلزمه علم شروط الترخص في ذلك لان الترخص ليس بواجب
واما علم رخصة التيمم فيلزمه لان فقد الماء ليس اليه الا ان يسافر على شط نهر يوثق ببقاء
ماية او يكون معه في الطريق عالم يقدر على استفتايه عند الحاجة فله ان يؤخر الى وقت الحاجة اما
اذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه عالم فيلزمه التعلم لا محالة فان قلت التيمم يحتاج اليه للصلوة
لم يدخل بعد وقتها فكيف يجب علم الطهارة لصلوة بعد لم تجب وربما لا تجب فاقول من
بينه وبين الكعبة مسافة لا تقطع الا في سنة فيلزمه قبل اشهر الحج ابتداء السفر ويلزمه تعلم
المناسك لا محالة اذا كان يظن انه لا يجد في الطريق من يتعلم منه لان الاصل الحيوة واستمرارها وما
لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب وكل ما يتوقع وجوبه توقعا ظاهرا غالبا على الظن وله شرط لا
يتوصل اليه الا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم الشرط لا محالة كعلم المناسك
قبل وقت الحج وقبل مباشرته فلا يحل اذن للمسافر ان ينشي السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم
التيمم وان كان عازما على سائر الرخص فعليه ان يتعلم ايضا القدر الذي ذكرناه من علم التيمم وسائر
الرخص فعليه ان يتعلم ايضا القدر الذي ذكرناه من علم التيمم وسائر الرخص فانه اذا لم يعلم القدر
الجايز برخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه فان قلت فاذا لم يعلم كيفية التنفل راكبا وماشيا
ماذا يضره وغايته اذا صلى ان تكون صلوته فاسدة وهي غير واجبة فكيف يكون علمها واجبا
فاقول من الواجب ان لا يصلي النفل على نعت الفساد فالتنفل مع الحدث والنجاسة والى
غير القبلة ومن غير اتمام شروط الصلوة واركانها حرام فعليه ان يتعلم ما يحترز به عن النافلة الفاسدة
حذرا عن الوقوع في المحظور فهذا بيان علم ما خفف عن المسافر في سفره القسم الثاني ما
يتجدد من الوظيفة بسبب السفر وهو علم القبلة والاوقات وذلك ايضا واجب في الحضر ولكن
في الحضر من يكفيه من محراب متفق عليه يغنيه عن طلب القبلة ومؤذن يراعي الوقت فيغنيه عن

طلب علم الوقت والمسافر قد تشتبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بدّ له من العلم بادلة
القبلة والمواقيت اما ادلة القبلة فهي ثلثة اقسام ارضية كالاستدلال بالجبال و
القرى والانهار وهوائية كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصباها ودبورها وسماوية
وهي النجوم فاما الارضية والهوائية فتختلف بالبلاد فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم انه على يمين
المستقبل او شماله او وراءه او قدامه فليتعلم ذلك وليفهمه وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد
فليفهم ذلك ولسنا نقدر على استقصاء ذلك اذ لكل بلد واقليم حكم آخر واما السماوية فادلتها
تنقسم الى نهارية والى ليلية اما النهارية فالشمس فلابد وان تراعى قبل الخروج من البلد ان الشمس
عند الزوال اين تقع منه اهي بين الحاجبين او هي على العين اليمنى واليسرى او تميل الى الجبين ميلا
اكثر من ذلك فان الشمس لا تعدو في البلاد الشمالية هذه المواقع فاذا حفظ ذلك فمهما عرف
الزوال بدليله الذي سنذكره عرف القبلة به ولذلك يراعي موقع الشمس منه وقت العصر فانه في هذين
الوقتين يحتاج الى القبلة بالضرورة وهذا ايضا لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه و
اما القبلة وقت المغرب فانما تدرك بموضع الغروب وهو بان يحفظ ان الشمس تغرب عن
يمين المستقبل او هي مائلة الى وجهه او قفاه وبالشفق ايضا تعرف القبلة للعشاء الآخرة وبمشرق
الشمس تعرف القبلة لصلوة الصبح فكان الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس ولكن يختلف ذلك
بالشتاء والصيف فان المشارق والمغارب كثيرة وان كانت محصورة في جهتين فلابد من تعلم ذلك
ايضا ولكن قد يصلي المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكنه ان يستدل على القبلة به فعليه
ان يراعي موقع القطب وهو الكوكب الذي يقال له الجدي فانه كوكب كالثابت لا تظهر حركته عن
موضعه وذلك اما ان يكون على قفاء المستقبل او على منكبه الايمن من ظهره او منكبه الايسر في البلاد
الشمالية من مكة وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما وراءها فيقع في مقابلة المستقبل فليتعلم ذلك وما
عرفه في بلده فليعول عليه في الطريق كله الا اذا طال السفر فان المسافة اذا بعدت اختلف موقع
الشمس وموقع القطب وموقع المشارق والمغارب الا انه ينتهي في اثناء سفره الى بلاد فينبغي ان
يسال اهل البصيرة او يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد ليتضح له ذلك فمهما
تعلم هذه الادلة فله ان يعول عليها فان بان له انه اخطا من جهة القبلة الى جهة اخرى من الجهات
الاربع فينبغي ان يقضي وان انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء
وقد اورد الفقهاء خلافا في ان المطلوب جهة الكعبة او عينها واشكل معناه على قوم اذ قالوا لو ان
قلنا ان المطلوب العين فمتى يتصور هذا مع بعد الديار وان قلنا المطلوب الجهة فالواقف
في المسجد ان استقبل جهة الكعبة وهو خارج ببدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف في انه لا تصح صلوته
وقد طولوا في تاويل معنى الخلاف في الجهة والعين ولابد اولا من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة
الجهة ومعنى مقابلة العين ان يقف موقفا لو اخرج خط مستقيم من بين عينيه الى جدار الكعبة
لاتصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته والخط الخارج من موقف
المصلي قدرناه خارج من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين فاما مقابلة الجهة فيجوز فيها

الدخل



ان يتصل طرفا الخط الخارج من بين عينيه الى الكعبة من غير
ان تتساوى الزاويتان عن جنبتي الخط بل لا تتساوى
الزاويتان الا اذا انتهى الخط الى نقطة معينة هي واحدة
فلو مد هذا الخط على الاستقامة الى ساير النقط من يمينها او شمالها كانت احدى الزاويتين
اضيق فتخرج عن مقابلة العين ولكن لا تخرج عن مقابلة الجهة كالخط الذي كتبنا عليه مقابلة
الجهة فانه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلا لجهة الكعبة لا لعينها وحد
تلك الجهة ما يقع بين خطين يتوهمان خارجين من العينين يلتقي طرفاهما في داخل الراس بين العينين
على زاوية قائمة فما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة وسعة ما بين الخطين
تتزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة وهذه صورته



فاذا فهم معنى الجهة والعين فاقول الذي يصح عندنا في
الفتوى ان المطلوب العين ان كانت الكعبة مما يمكن رؤيتها
وان كان يحتاج الى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيكفي استقبال الجهة فاما طلب العين عند
المشاهدة فمجمع عليه واما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب والسنة وفعل الصحابة
والقياس اما الكتاب فقوله تع وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره اي نحوه ومن قابل جهة الكعبة
يقال قد ولى وجهه شطرها واما السنة فما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاهل
المدينة ما بين المشرق والمغرب قبلة والمغرب يقع على يمين اهل المدينة والمشرق على يسارهم فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع ما يقع بينهما قبلة ومساحة الكعبة لا تفي بما بين المشرق والمغرب وانما تفي
جهتها وروي هذا اللفظ ايضا عن عمر وعن ابن عمر رضي الله عنهما واما فعل الصحابة فما روي ان
اهل مسجد قباء كانوا في صلوة الصبح بالمدينة مستقبلين لبيت المقدس مستدبرين للكعبة
لان المدينة بينهما فقيل لهم الا ان القبلة قد حولت الى الكعبة فاستداروا في اثناء الصلوة من
غير طلب دلالة ولم ينكر عليهم وسمي مسجدهم ذا القبلتين ومقابلة العين من المدينة الى مكة لا تعرف
الا بادلة هندسية يطول النظر فيها فكيف ادركوه على البديهة في اثناء الصلوة وفي ظلمة الليل
ويدل ايضا من فعلهم انهم بنوا المساجد حوالي مكة في ساير بلاد الاسلام ولم يحضروا قط مهندسا
عند تسوية المحراب ومقابلة العين لا تدرك الا بدقيق النظر في الهندسة واما القياس فهو ان
الحاجات تمس الى الاستقبال وبناء المساجد في جميع اقطار الارض ولا يمكن مقابلة العين الا
بعلوم هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها بل ربما يزجر عن التعمق في علمها فكيف ينبني امر الشرع عليها فيجب
الاكتفاء بالجهة للضرورة واما دليل صحة الصورة التي صورناها وهو حصر جهات العالم في اربع
جهات فقوله عليه السلم في ادب قضاء الحاجة لا تستقبلوا بها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا او
غربوا وقال هذا بالمدينة والمشرق على يسار المستقبل بها والمغرب على يمينه فنهى عن جهتين ورخص
في جهتين ومجموع ذلك اربع جهات ولم يخطر بالبال ان جهات العالم يمكن ان تفرض ستة او سبعة
او عشرة وكيف ما كان فما حكم الباقي بل الجهات تثبت في الاعتقادات بناء على خلقة الانسان

وليس له الا اربع جهات قدام وخلف ويمين وشمال فكانت الجهات بالاضافة الى الانسان
في ظاهر النظر اربعا والشرع لا يبنى الا على مثل هذه الاعتقادات فظهر ان المطلوب الجهة و
ذلك يسهل امر الاجتهاد فيها وتعلم ادلة القبلة فاما مقابلة العين فانما تعرف بمعرفة مقدار
عرض مكة عن خط الاستواء ومقدار درجات طولها وهو بعدها عن اول عمارة في المشرق ثم يعرف
ذلك ايضا في موقف المصلي ثم يقابل احدهما بالآخر ويحتاج فيه الى آلات واسباب طويلة والشرع غير
مبني عليها قطعا فاذن القدر الذي لا بد من تعلمه من ادلة القبلة موقع المشرق والمغرب والزوال و
موقع الشمس وقت العصر فبهذا يسقط الوجوب فان قلت فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك هل
يعصي فاقول ان كان طريقه على قرى متصلة فيها محاريب او كان معه في الطريق بصير بادلة
القبلة موثوق بعدالته وبصيرته يقدر على تقليده فلا يعصي وان لم يكن شيء من ذلك عصى لانه سيتعرض
لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره فان تعلم هذه الادلة واستبهم
عليه الامر بغيم مظلم او ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقلده فعليه ان يصلي في الوقت على حسب حاله
ثم عليه القضاء سواء اصاب او اخطأ والاعمى ليس له الا التقليد فليقلد من يوثق بدينه وبصيرته ان
كان مقلده مجتهدا في القبلة وان كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول عدل يخبره بذلك في حضر
او سفر وليس للاعمى ولا للجاهل ان يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف ادلة القبلة حيث يحتاج الى
الاستدلال كما ليس للعامي ان يقيم ببلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع بل يلزمه الهجرة الى حيث يجد
من يعلمه دينه وكذا ان لم يكن في البلد الا فقيه فاسق فعليه الهجرة اذ لا يجوز له اعتماد فتوى الفاسق بل
العدالة شرط لجواز قبول الفتوى كما في الرواية وان كان معروفا بالفقه مستور الحال في العدالة والفسق
فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لان المسافر في البلاد لا يقدر ان يبحث عن عدالة المفتين
فان رآه لابسا للحرير او ما يغلب عليه الابريسم او راكبا لفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع
عليه قبول قوله فليطلب غيره وكذلك اذا رآه يأكل على مائدة سلطان اغلب ماله حرام او يأخذ منه
ادرارا او صلة من غير ان يعلم ان الذي يأخذه من وجه حلال فكل ذلك فسق يقدح في العدالة ويمنع
من قبول الفتوى والرواية والشهادة واما معرفة اوقات الصلوات الخمس فلا بد منها فوقت
الظهر يدخل بالزوال وكل شخص يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب ثم لا يزال ينقص الى
وقت الزوال ثم يأخذ في الزيادة في جهة المشرق ولا يزال يزيد الى الغروب فليقم المسافر في موضع او ينصب
عودا مستقيما وليعلم على رأس الظل ثم لينظر بعد ساعة فان رآه في النقصان فلم يدخل بعد
وقت الصلاة وطريقه ان ينظر في البلد وقت اذان المؤذن المعتمد ظل قامته فاذا كانت مثلا
ثلاثة اقدام بقدمه فمهما صار كذلك في السفر واخذ في الزيادة صلى فاذا زاد عليه ستة اقدام
ونصف دخل وقت العصر اذ ظل كل شخص بقدمه ستة اقدام ونصف بالتقريب ثم ظل الزوال
يزيد كل يوم ان كان سفره من اول الصيف وان كان من اول الشتاء فينقص كل يوم واحسن
ما يعرف به الزوال الميزان فليستصحبه المسافر وليتعلم اختلاف الظل به في كل وقت وان عرف
موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفر في موضع ظهرت القبلة فيه بدليل

آخر يمكنه ان يعرف الوقت بالشمس بان يصير بين عينيه مثلا ان كان كذلك في البلد واما
وقت المغرب فيدخل بالغروب ولكن قد يحجب الجبال المغرب عنه فينبغي ان ينظر الى جانب المشرق
فمهما ظهر سواد في الافق مرتفع عن الارض قيد رمح فقد دخل وقت المغرب واما العشاء
فيعرف بغيبوبة الشفق وهو الحمرة فان كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب
الصغار وكثرتها فان ذلك يكون بعد غيبوبة الحمرة واما الصبح فيبدو في الاول مستطيلا
كذنب السرحان فلا حكم له الى ان ينقضي زمان ثم يظهر بياض معترض لا يعسر ادراكه بالعين
لظهوره فهو اول الوقت قال صلى الله عليه وسلم ليس الصبح هكذا وجمع كفه وانما الصبح هكذا
ووضع احدى سبابتيه على الاخرى وفتحهما واشار به الى انه معترض وقد يستدل عليه بالمنازل
وهو تقريب لا تحقيق فيه بل الاعتماد على مشاهدة انتشار البياض عرضا لان قوما ظنوا ان
الصبح يطلع قبل الشمس باربع منازل وهذا خطأ فان ذلك هو الصبح الكاذب والذي
ذكره المحققون انه يتقدم على الشمس بمنزلتين وهذا تقريب ولكن لا اعتماد عليه فان بعض
المنازل تطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها وبعضها منتصبة فيطول زمان طلوعها و
يختلف ذلك في البلاد اختلافا يطول ذكره نعم تصلح المنازل لان يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده فاما
حقيقة اول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلتين اصلا وعلى الجملة فاذا بقيت اربع منازل الى
طلوع قرص الشمس بمقدار منزلة يتيقن ان الصبح الكاذب واذا بقي قريب من منزلتين يتحقق
طلوع الصبح الصادق ويبقى بين الصبحين قدر ثلثي منزلة بالتقريب يشك فيه انه من وقت
الصبح او الكاذب وهو مبدأ ظهور البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه فمن وقت الشك
ينبغي ان يترك الصائم السحور ويقدم القائم الوتر عليه ولا يصلي صلاة الصبح حتى تنقضي مدة
الشك فاذا تحقق صلى ولو اراد مريد ان يقدر على التحقيق وقتا معينا يشرب فيه متسحرا و
يقوم عقيبه ويصلي الصبح متصلا به فليس معرفة ذلك في قوة البشر اصلا بل لا بد من مهلة للتوقف
والشك ولا اعتماد الا على العيان ولا اعتماد في العيان الا على ان يصير الضوء منتشرا في عرض
الافق حتى يبدو مبادي الصفرة وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت ويدل
عليه ما روى ابو عيسى الترمذي رحمه الله في جامعه باسناده عن طلق بن علي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض
لكم الاحمر وهذا صريح في رعاية الحمرة قال ابو عيسى وفي الباب عن عدي بن حاتم وابي ذر
وسمرة وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند اهل العلم وقال ابن عباس كلوا و
اشربوا ما دام الضوء ساطعا قال صاحب الغريبين اي مستطيلا فاذن لا ينبغي ان يعول
الا على ظهور الصفرة وكانها مبادي الحمرة وانما يحتاج المسافر الى معرفة الاوقات لانه قد
يبادر بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول او قبل النوم حتى يستريح فان وطن
نفسه على تاخير الصلاة الى ان يتيقن فيسمح بفوات فضيلة اول الوقت ويتجشم كلفة النزول
وكلفة تاخير النوم الى اليقين استغنى عن تعلم علم الاوقات فان المشكل اوايل الاوقات

لا اوساطها . تم كتاب آداب السفر والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله اجمعين

كتاب السماع والوجد وهو الكتاب الثامن من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي احرق قلوب اوليائه بنار محبته . واسترق هممهم وارواحهم بالشوق الى لقائه ومشاهدته . ووقف ابصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال الحضرة . حتى اصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى . واصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال والهة حيرى فلم يروا في الكونين شيئا سواه . ولم يذكروا في الدارين الا اياه . ان سنحت لابصارهم صورة عبرت الى المصور بصائرهم . وان قرع اسماعهم نغمة سبقت الى المحبوب سرائرهم . فاذا ورد عليهم صوت مزعج او مقلق . او مطرب او محزن او مبهج او مشوق . لم يكن انزعاجهم الا اليه ولا طربهم الا به ولا قلقهم الا عليه ولا حزنهم الا فيه ولا شوقهم الا الى ما لديه ولا انبعاثهم الا له ولا ترددهم الا حواليه . فمنه سماعهم واليه استماعهم . فقد اقفل عن غيره ابصارهم واسماعهم اولئك الذين اصطفاهم الله لولايته . واستخلصهم من بين اصفيائه وخاصته . والصلوة على محمد المبعوث برسالته . وعلى آله واصحابه ائمة الحق وقادته . وسلم كثيرا اما بعد

فان القلوب والسرائر خزائن الاسرار ومعادن الجواهر . وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر . واخفيت كما اخفي الماء تحت التراب والمدر . ولا سبيل الى استثارة خفاياها الا بقداح السماع . فلا منفذ الى القلوب الا من دهليز الاسماع . فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها . وتظهر محاسنها او مساويها . فلا يظهر من القلب عند التحريك الا ما يحويه . كما لا يترشح الاناء الا بما فيه . فالسماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق . فلا يصل نفس السماع اليه الا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه واذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للاسماع حتى ابدت بوارداتها مكامنها . وكشفت بها عن مساويها واظهرت محاسنها . وجب شرح القول في السماع والوجد وبيان ما فيهما من الآفات والفوايد وما يستحب فيهما من الآداب والهيآت . وما تطرق اليهما من خلاف العلماء في انهما من المحظورات او المباحات . ونحن نوضح ذلك في بابين الباب الاول في بيان اباحة السماع الباب الثاني في آدابه وآثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزعقة وتمزيق الثياب ه

الباب الاول في ذكر اختلاف العلماء في اباحة السماع وكشف الحق فيه بيان

اقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه اعلم ان السماع هو اول الامر ويثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد ويثمر الوجد تحريك الاطراف اما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب واما موزونة فتسمى التصفيق والرقص فلنبدأ بحكم السماع وهو الاول وننقل فيه الاقاويل المعربة عن المذاهب فيه ثم نذكر الدليل على اباحته ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه فاما نقل المذاهب فقد حكى القاضي ابو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وابي حنيفة وسفين وجماعة من العلماء الفاظا استدل بها على انهم راوا تحريمه وقال الشافعي رحمه الله في كتاب ادب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضي ابو الطيب استماعه من المراة التي ليست بمحرم له لا يجوز عند اصحاب الشافعي بحال سواء كانت مكشوفة او من وراء حجاب وسواء كانت حرة او مملوكة وقال قال الشافعي رحمه الله صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقد حكي عن الشافعي انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن وقال الشافعي ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد اكثر مما يكره من اللعب بشيء من الملاهي ولا احب اللعب بالشطرنج واكره كل ما يلعب به الناس لان اللعب ليس من صنعة اهل الدين ولا المروءة واما مالك فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر اهل المدينة الا ابرهيم بن سعد وحده واما ابو حنيفة رحمه الله فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك سائر اهل الكوفة سفين الثوري وحماد وابرهيم والشعبي وغيرهم فهذا كله نقله القاضي ابو الطيب الطبري رحمه الله اباحة السماع عن جماعة وقال سمع من الصحابة عبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعوية وغيرهم وقال قد فعل ذلك كثير من السلف صحابي وتابعي باحسان قال ولم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في افضل ايام السنة وهي الايام المعدودات التي امر الله تعالى عباده فيها بذكره كايام التشريق ولم يزل اهل المدينة مواظبين كاهل مكة على السماع الى زماننا هذا فادركنا ابا مروان القاضي وله جوار يسمعن التلحين قد اعدهن للصوفية قال وكان لعطاء جاريتان يلحنان فكان اخوانه يستمعون اليهما قال وقيل لابي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد كان سري السقطي والجنيد وذو النون يسمعون فقال كيف انكر السماع واجازه وسمعه من هو خير مني وقد كان عبد الله بن جعفر الطيار يسمع وانما انكر اللهو واللعب في السماع وروي عن يحيى بن معاذ انه قال فقدنا ثلثة اشياء فما نراها ولا اراها تزداد الا قلة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخاء مع الوفاء ورايت في بعض الكتب هذا بعينه محكيا عن الحارث المحاسبي رحمه الله وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشميره قال وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة الا ان يكون فيها سماع . وحكي عن واحد انه قال اجتمعنا في دعوة ومعنا ابو القسم ابن بنت منيع وابو بكر بن ابي داود وابن مجاهد في نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن ابي داود في ان يسمع فقال ابو القسم بن بنت منيع اما جدي احمد بن منيع فحدثني عن صالح بن احمد ان اباه كان يسمع قول ابن الخبازة فقال ابن مجاهد لابن ابي داود دعني انت من ابيك وقال لابن بنت منيع ودعني انت من جدك ايش تقول يا ابا بكر فيمن انشد بيت شعر اهو حرام فقال ابن ابي داود لا قال فان كان حسن الصوت حرم عليه انشاده قال لا قال فان انشده وطوله وقصر منه الممدود ومد المقصور يحرم عليه قال انا لم اقو لشيطان واحد فكيف اقوى لشيطانين قال وكان ابو الخير العسقلاني الاسود من الاولياء يسمع ويوله عند السماع وصنف فيه كتابا ردا على منكريه . وحكي عن بعض الشيوخ انه قال رايت ابا العباس الخضر عليه السلم فقلت ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه اصحابنا فقال هو الصفا الزلال الذي لا يثبت عليه

الا اقدام العلماء. وحكي عن ممشاد الدينوري انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت
يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئا فقال ما انكر منه شيئا ولكن قل لهم يفتتحون قبله
بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن. وحكي عن طاهر بن بلال الهمداني الوراق وكان من اهل العلم
انه قال كنت معتكفا في جامع جدة على البحر فرايت يوما طايفة يقولون في جانب منه قولا و
يسمعون فانكرت ذلك بقلبي وقلت في بيت من بيوت الله يقولون الشعر قال فرايت النبي صلى الله
عليه وسلم تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية والى جنبه ابو بكر الصديق رضي الله عنه واذا ابو بكر يقول
شيئا من القول والنبي صلى الله عليه وسلم يستمع اليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك فقلت
في نفسي ما كان ينبغي لي ان انكر على اوليك الذين كانوا يستمعون وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمع وابو بكر يقول فالتفت الي النبي صلى الله عليه وسلم وقال هذا حق بحق او قال الحق من حق انا اشك
فيه وقال الجنيد تنزل الرحمة على هذه الطايفة في ثلاثة مواضع عند الاكل لانهم لا ياكلون الا عن
فاقة وعند المذاكرة لانهم يتحاورون في مقامات الصديقين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد
ويشهدون حقا. وعن ابن جريج انه كان يرخص في السماع فقيل له يؤتى به يوم القيمة في جملة حسناتك
او سياتك فقال لا في الحسنات ولا في السيات لانه شبيه باللغو قال الله تعالى لا يواخذكم الله باللغو
في ايمانكم هذا ما نقل من الاقاويل ومن طلب الحق من التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده الاقاويل
فيبقى متحيرا او مايلا الى بعض الاقوال بالتشهي وكل ذلك قصور بل ينبغي ان يطلب الحق بطريقه وذلك
بالبحث عن مدارك الحظر والاباحة كما سنذكره

بيان الدليل على اباحة السماع

اعلم ان قول
القايل ان السماع حرام معناه ان الله يعاقب عليه وهذا امر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات
منحصرة في النص والقياس على المنصوص واعني بالنص ما اظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله او فعله
وبالقياس المعنى المفهوم من الفاظه وافعاله فان لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول
بتحريمه وبقي فعلا لا حرج فيه كساير المباحات ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس ويتضح ذلك
في جوابنا عن ادلة المايلين الى التحريم ومهما تم الجواب عن ادلتهم كان ذلك مسلكا كافيا في اثبات هذا
الغرض لكن نستفتح ونقول قد دل القياس والنص جميعا على اباحة السماع اما القياس فهو ان
الغناء اجتمع فيه معان ينبغي ان يبحث عن افرادها ثم عن مجموعها فان فيه سماع صوت طيب موزون
مفهوم المعنى محرك للقلب فالوصف الاعم انه صوت طيب ثم الطيب ينقسم الى الموزون وغيره والموزون
ينقسم الى المفهوم كالاشعار والى غير المفهوم كاصوات الجمادات وساير الحيوانات اما سماع الصوت
الطيب من حيث انه طيب فلا ينبغي ان يحرم بل هو حلال بالنص والقياس اما القياس فهو انه يرجع
الى تلذذ حاسة السمع بادراك ما هو مخصوص به وللانسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة ادراك وفي
مدركات تلك الحاسة ما يستلذ فلذة البصر في المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن
وبالجملة ساير الالوان الجميلة وهي في مقابلة ما يكره من الالوان القبيحة الكدرة وللشم الروايح الطيبة وهي
في مقابلة الانتان المستكرهة وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة وهي في
مقابلة المرارة والمزازة المستبشعة وللمس لذة اللين والملاسة وهي في مقابلة الخشونة والضراسة

وللعقل

وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة وكذلك الاصوات المدركة بالسمع تنقسم الى
مستلذة كصوت العنادل والمزامير ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها فما اظهر قياس هذه الحاسة
ولذتها على ساير الحواس ولذاتها واما النص فيدل على اباحة سماع الصوت الحسن امتنان
الله تعالى على عباده به اذ قال يزيد في الخلق ما يشاء فقيل هو حسن الصوت وفي الحديث ما بعث
الله تعالى نبيا الا حسن الصوت وقال صلى الله عليه وسلم لله اشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن
من صاحب القينة الى قينته. وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام انه كان حسن الصوت في
النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحش والطير لسماع صوته فكان
يحمل من مجلسه اربعماية جنازة وما يقرب ذلك في الاوقات وقال صلى الله عليه وسلم في مدح
ابي موسى الاشعري لقد اعطي مزمارا من مزامير آل داود وقول الله تعالى ان انكر الاصوات لصوت
الحمير يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ولو جاز ان يقال انما ابيح ذلك بشرط ان يكون في القرآن
للزمه ان يحرم سماع صوت العندليب لانه ليس يقرأ القرآن واذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له
فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة وان من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت
من حيث انه طيب حسن. الدرجة الثانية النظر في الصوت الطيب الموزون فان الوزن وراء
الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب والاصوات
الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة فانها اما ان تخرج من جماد كصوت المزامير والاوتار وضرب
القضيب والطبل وغيره واما ان تخرج من حنجرة حيوان وذلك الحيوان اما انسان واما غيره كصوت
العنادل والقماري وذوات السجع من الطيور مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك
يستلذ سماعها والاصل في الاصوات حناجر الحيوانات وانما وضعت المزامير على صور الحناجر
وهو تشبيه للصنعة بالخلقة وما من شيء توصل اهل الصناعات بصناعتهم الى تصويره الا وله مثال
في الخلقة التي استاثر الله تعالى باختراعها فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك يطول
فسماع هذه الاصوات يستحيل ان تحرم لكونها طيبة او موزونة فلا ذاهب الى تحريم سماع العندليب
وساير الطيور ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان فينبغي ان يقاس على صوت العندليب
الاصوات الخارجة من ساير الاجسام باختيار الآدمي كالذي يخرج من حلقه او من القضيب والطبل و
الدف وغيره ولا يستثنى من هذه الا الملاهي والاوتار والمزامير اذ ورد الشرع بالمنع منها لا للذتها
اذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الانسان ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس
بها المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى الامر في الابتداء الى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار اهل
الشرب وهي الاوتار والمزامير فقط وكان تحريمه من قبيل الاتباع كما حرمت الخلوة لانها مقدمة
الجماع وحرم النظر الى الفخذ لاتصاله بالسواتين وحرم قليل الخمر وان كان لا يسكر لانه يدعو الى
السكر وما من حرام الا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له
وحصارا مانعا حوله كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فهي محرمة تبعا
لتحريم الخمر بثلاث علل احدها انها تدعو الى شرب الخمر فان اللذة الحاصلة بها انما تتم بالخمر ولمثل

هذه العلة حرم قليل الخمر الثانية انها في حق قريب العهد بشرب الخمر يذكر مجالس الانس بالشرب فهي سبب الذكر والذكر سبب انبعاث الشوق وانبعاث الشوق اذا قوي فهو سبب الاقدام و لهذه العلة نهوا في الابتداء عن المزفت والحنتم والنقير وهي الاواني التي كانت مخصوصة بها فان مشاهدة صورها تذكرها وهذه العلة تفارق الاولى اذ ليس فيها اعتبار لذة في المذكر اذ لا لذة في روية القنينة واواني الشرب لكن من حيث التذكر بها فان كان السماع يذكر الشرب تذكرا يشوق الى الخمر عند من الف ذلك مع الشرب فهو منهي عن السماع لخصوص هذه العلة فيه الثالثة ان الاجتماع عليها لما ان صار من عادة اهل الفسق فيمتنع التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم وبهذه العلة نقول بترك السنة مهما صارت شعارا لاهل البدعة خوفا من التشبه بهم وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة وهي طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحج والغزو وبهذه العلة نقول لو اجتمع جماعة وزينوا مجلسا واحضروا الات الشرب واقداحه وصبوا فيها السكنجبين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فياخذون من الساقي ويشربون ويحيي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك وان كان المشروب مباحا في نفسه لان ذلك تشبه باهل الفساد بل لهذا ينهى عن لبس القباء وترك الشعر على الراس قزعا في بلاد صار القباء فيها من لباس اهل الفساد ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد اهل الصلاح ذلك فيهم فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي والاوتار كلها كالعود والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب وكل الة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده اهل الشرب لان ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق اليها ولا يوجب التشبه بارباب بها فلم يكن في معناها فبقي على اصل الاباحة قياسا على اصوات الطيور وغيرها بل اقول سماع الاوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ ايضا حرام وبهذا يتبين انه ليس العلة في تحريمه مجرد اللذة والطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الا ما في تحليله فساد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده الاية فهذه الاصوات لا تحرم من حيث انها اصوات موزونة وانما تحرم بعارض آخر كما سياتي بيان العوارض المحرمة الدرجة الثالثة الموزون المفهوم وهو الشعر وذلك لا يخرج الا من حنجرة الانسان فيقطع باباحة ذلك لانه ما زاد الا كونه مفهوما والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام فاذا لم تحرم الاحاد فمن اين يحرم المجموع نعم ينظر فيما يفهم منه فان كان فيه امر محذور حرم نثره ونظمه وحرم التصويت به سواء كان بالحان او لم يكن والحق فيه ما قال الشافعي رحمه الله اذ قال الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح ومهما جاز انشاد الشعر بغير صوت والحان جاز مع الالحان فان افراد المباحات اذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحا ومهما انضم مباح الى مباح لم يحرم الا اذا تضمن المجموع محذورا لا يتضمنه الاحاد ولا محذور ههنا و كيف ينكر انشاد الشعر وقد انشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليه السلام ان من الشعر لحكمة وانشدت عائشة رضي الله عنها ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف

كجلد

من الله هو الدائم فالانبياء عليهم السلام على الدوام في لذة السمع والشهود فلا يحتاجون الى التحريك بالحيلة و اما قول الفضيل هو رقية الزنا وكذلك ما عداه من الاقاويل القريبة منه فهو منزل على سماع الفساق والمغتلمين من الشباب ولو كان ذلك عاما لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما القياس فغاية ما يذكر فيه ان يقاس على الاوتار وقد سبق الفرق او يقال هو لعب ولهو وهو كذلك ولكن الدنيا لهو ولعب قال عمر رضي الله عنه لزوجته انما انت لعبة في زوايا البيت وجميع الملاعبة مع النساء لهو الا الحراثة التي هي سبب لوجود الولد وكذلك المزح الذي لا فحش فيه حلال نقل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة كما سياتي تفصيله في كتاب آفات اللسان واي لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج في لعبهم وقد ثبت بالنص اباحته على اني اقول اللهو مروح للقلب ومخفف عنه اعباء الفكر والقلوب اذا اكرهت عميت وترويحها اعانة لها على الجد فالمواظب على التفقه مثلا ينبغي ان يتعطل يوم الجمعة لان عطلة يوم تبعث النشاط في ساير الايام والمواظب على الصلوات في ساير الاوقات ينبغي ان يتعطل في بعض الاوقات ولاجله كرهت الصلوة في بعض الاوقات فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجد ولا يصبر على الجد المحض والحق المر الا نفوس الانبياء فاللهو دواء القلوب من داء الاعياء والملال فينبغي ان يكون مباحا ولكن لا ينبغي ان يستكثر من الدواء فاذن اللهو على هذه النية يصير قربة هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له الا اللذة والاستراحة المحضة فينبغي ان يستحب له ذلك ليتوصل به الى المقصود الذي ذكرناه نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال بل الكامل هو الذي لا يحتاج ان يروح نفسه بغير الحق ولكن حسنات الابرار سيئات المقربين ومن احاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف بها لسياقتها الى الحق علم قطعا ان ترويحها بامثال هذه الامور دواء نافع لا غنى عنه

الباب الثاني في آثار السماع وآدابه

اعلم ان اول درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ثم يثمر الفهم الوجد ويثمر الوجد الحركة بالجوارح فلينظر في هذه المقامات الثلاثة **المقام الاول** في الفهم وهو يختلف باختلاف احوال المستمع وللمستمع اربعة احوال احديها ان يكون سماعه بمجرد الطبع اي لا حظ له في السماع الا استلذاذ الالحان والنغمات وهذا مباح وهو اخس رتب السماع اذ الابل شريكة له فيه وكذا ساير البهايم بل لا يستدعي هذا الذوق الا الحيوة فلكل حيوان نوع تلذذ بالاصوات الطيبة **الحالة الثانية** ان يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق اما معينا او غير معين وهو سماع الشبان وارباب الشهوة ويكون تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم ومقتضى احوالهم وهذه الحالة اخس من ان نتكلم فيها الا ببيان خستها والنهي عنها **الحالة الثالثة** ان ينزل ما يسمعه على احوال نفسه في معاملته لله تعالى وتقلب احواله في التمكن منه مرة وتعذره اخرى وهذا سماع المريدين لا سيما المبتدئين فان للمريد لا محالة مرادا هو مقصده ومقصده معرفة الله تعالى ولقاؤه والوصول اليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء وله في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هو مثابر عليها وحالات تستقبله في معاملاته فاذا سمع ذكر خطاب او عتاب او قبول او رد او هجر او وصل او قرب او بعد او تلهف على فايت او تعطش الى منتظر او شوق الى وارد او طمع او ياس او وحشة او استيناس او وفاء

بالعهد او نقض العهد او خوف فراق او فرح وصال او ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب او همول العبرات او ترادف الحسرات او طول الفراق او عدة الوصال او غير ذلك مما يشتمل على وصفه الاشعار فلا بد وان يوافق بعضها حال المريد في طلبه فيجري ذلك مجرى القداح الذي يوري زناد قلبه فيشتعل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه وتهجم بسببه عليه احوال مخالفة لعادته و يكون له مجال رحب في تنزيل الالفاظ على احواله وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه ولكل ذي فهم من اقتباس المعنى منه حظ ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم امثلة كيلا يظن الجاهل ان المستمع لابيات فيها ذكر الفم والخد والصدغ انما يفهم منها ظواهرها ولا حاجة بنا الى ذكر كيفية فهم المعاني من الابيات ففي حكايات اهل السماع ما يكشف عن ذلك فقد حكي انه سمع بعضهم قائلا يقول ، قال الرسول غدا نزور ، فقلت تدري ما تقول ، فاستفزه القول واللحن وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التاء نونا فيقول قال الرسول غدا نزور حتى غشي عليه من شدة الفرح واللذة والسرور فلما افاق سئل عن وجده مم كان فقال ذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة مرة ، وحكى الرقي عن ابن الدراج انه قال كنت انا وابن الفوطي مارين على دجلة بين البصرة والابلة واذا بقصر حسن له منظرة وعليها رجل بين يديه جارية تغني وتقول ، كل يوم تتلون ، غير هذا بك اجمل ، واذا شاب تحت المنظرة بيده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال يا جارية بالله وبحياة مولاك الا اعدت علي هذا البيت فاعادت وكان الشاب يقول هذا والله تلوني مع الحق في حالي وشهق شهقة ومات قال فقلنا قد استقبلنا فرض فوقفنا فقال صاحب القصر للجارية انت حرة لوجه الله قال ثم خرج اهل البصرة وصلوا عليه فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر اشهدكم ان كل شيء لي في سبيل الله وكل جواري احرار وهذا القصر للسبيل قال ثم رمى بثيابه واتزر بازار وارتدى باخر ومر على وجهه والناس ينظرون اليه حتى غاب عن اعينهم وهم يبكون فلم يسمع له بعد خبر ، والمقصود ان هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفة عجزه عن الثبوت على حسن الادب في المعاملة وتاسفه على تقلب قلبه وميله عن سنن الحق فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالى كانه يخاطبه ويقول له ، كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل ، ومن كان سماعه من الله وعلى الله وفيه فينبغي ان يكون قد احكم قانون العلم في معرفة الله ومعرفة صفاته والا خطر له في السماع في حق الله ما يستحيل عليه ويكفر به ففي سماع المريد المبتدي خطر الا اذا لم ينزل ما يسمع الا على حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله ومثال الخطا فيه هذا البيت بعينه لو سمعه في نفسه وهو يخاطب به ربه فيضيف التلون الى الله فيكفر وهذا يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق وقد يكون عن جهل ساقه اليه نوع من التحقيق وهو ان يرى تقلب احوال قلبه بل تقلب سائر احوال العالم من الله وهو حق فانه تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يقسيه وتارة يثبته على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله ومن يصدر عنه افعال مختلفة في اوقات متقاربة فقد يقال له في العادة انه ذو بدوات وانه متلون ولعل الشاعر لم يرد الا نسبة محبوبه الى التلون في قبوله ورده وتقريبه

وابعاده

وابعاده وهو هذا المعنى وسماع هذا كذلك في حق الله كفر محض بل ينبغي ان يعلم انه سبحانه وتعالى يلون ولا يتلون ويغير ولا يتغير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدي ايماني و يحصل للعارف البصير بيقين كشفي حقيقي وذلك من اعاجيب اوصاف الربوبية وهو التغيير من غير تغير ولا يتصور ذلك الا في حق الله بل كل مغير سواه فلا يغير ما لم يتغير ومن ارباب الوجد من يغلب عليه حال مثل السكر المدهش فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ويستنكر اقتهاره للقلوب وقسمته للاحوال الشريفة على تفاوت فانه المصطفي لقلوب الصديقين والمبعد لقلوب الجاحدين والمغرورين فلا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة ولا امد الانبياء بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة ولكنه قال ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقال ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون فان خطر ببالك انه لم اختلفت السابقة وهم في ربقة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لا تجاوز حد الادب فانه لا يسال عما يفعل وهم يسالون ولعمري تادب اللسان الظاهر مما يقدر عليه الاكثرون فاما تادب السر عن اضمار الاستبعاد لهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والابعاد والاشقاء والاسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة ابد الاباد فلا يقوى عليه الا العلماء الراسخون في العلم ولهذا قال الخضر عليه السلام لما سئل عن السماع في المنام انه الصفا الزلال الذي لا يثبت عليه الا اقدام العلماء لانه محرك لاسرار القلوب ومكامنها و مشوش لها تشويش السكر المدهش الذي يكاد يحل عقدة الادب عن السر الا ممن عصمه الله بنور هدايته ولطف عصمته ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من هذا السماع راسا براس ففي هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع على المخلوق بالشهوة فان غاية ذلك معصية وغاية الخطا ههنا كفر واعلم ان الفهم قد يختلف باحوال المستمع فيغلب الوجد على مستمعين لبيت واحد واحدهما مصيب في الفهم والاخر مخطئ او كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين ولكنه بالاضافة الى اختلاف احوالهما لا يتناقض كما حكي عن عتبة الغلام انه سمع رجلا يقول ، سبحان جبار السماء ، ان المحب لفي عناء ، فقال صدقت وسمعه اخر فقال كذبت قال بعض ذوي البصائر اصابا جميعا وهو الحق فالتصديق كلام محب غير ممكن من المراد بل مصدود متعب بالصد والهجر والتكذيب كلام مستانس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متاثر به او كلام محب غير مصدود عن مراده في الحال ولا مستشعر لخطر الصد في المال وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه فباختلاف هذه الاحوال يختلف الفهم ، وحكي عن ابي القسم مروان وكان قد صحب ابا سعيد الخراز وترك حضور السماع سنين كثيرة فحضر في دعوة فقال بعضهم وانشد ، واقف في الماء عطشان ، ولكن ليس يسقى ، فقام القوم وتواجدوا فلما سكنوا سالهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت فاشاروا الى التعطش الى الاحوال الشريفة والحرمان عنها مع حضور اسبابها فلم يقنعه ذلك فقيل له فماذا عندك فيه فقال ان يكون في وسط الاحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة وهذا اشارة الى اثبات حقيقة وراء الاحوال والكرامات تسمى

مباديها والحقيقة بعد لم يقع الوصول اليها فلا فرق بين المعنى الذي فهمه وبين ما ذكرته الا في تفاوت رتبة
المتعطش اليه فان المحروم عن الاحوال الشريفة اولا يتعطش اليها فان مكن منها تعطش الى ما وراءها فليس
بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين . وكان الشبلي رحمه الله كثيرا ما يتواجد على
هذا البيت . ودادكم هجر وحبكم قلى . ووصلكم صرم وسلمكم حرب . وهذا البيت يمكن
سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل واظهرها ان يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا
باسرها بل في كل ما سوى الله فان الدنيا مكارة خداعة قتالة لاربابها معادية لهم في الباطن و
مظهرة صورة الود فما امتلات منها دار حبرة الا امتلات عبرة كما ورد في الخبر وكما قال
الثعالبي في وصف الدنيا . تنح عن الدنيا ولا تخطبنها . ولا تخطبن قتالة من تناكح . فليس
يفي مرجوها بمخوفها . ومكروهها اما تاملت راجح . لقد قال فيها الواصفون فاكثروا . وعندي
لها وصف لعمري صالح . سلاف قصاراها ذعاف ومركب . شهي اذا استلذذته وهو جامح . وشخص
جميل يؤثر الناس حسنه . ولكن له اسرار سوء قبائح . والمعنى الثاني ان ينزله على نفسه في
حق الله تعالى فانه اذا تفكر فمعرفته جهل اذ ما قدروا الله حق قدره وطاعته رياء اذ لا يتقي الله حق تقاته و
حبه معلول اذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه ومن اراد الله به خيرا بصره بعيوب نفسه فيرى
مصداق هذا البيت في نفسه وان كان على الرتبة بالاضافة الى الغافلين ولذلك قال صلى الله عليه و
سلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين
مرة وانما كان استغفاره عن احوال هي درجات بعد بالاضافة الى ما بعدها وان كانت قربا بالاضافة
الى ما قبلها فلا قرب الا ويبقى وراءه قرب لا نهاية له اذ سبيل السلوك الى الله غير متناه والوصول
الى اقصى درجات القرب محال . والمعنى الثالث ان ينظر في مبادي احواله فيرتضيها وينظر
في عواقبها فيزدريها لاطلاعه على خفايا الغرور فيها فيرى ذلك من الله فيستمع البيت في حق الله
شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر كما سبق بيانه وما من بيت الا ويمكن تنزيله على معان و
ذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه . **الحالة الرابعة** سماع من جاوز الاحوال والمقامات
فعزب عن نفسه ما سوى الله حتى عزب عن نفسه واحوالها ومعاملاتها وكان كالمدهوش
الغائص في عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة اللاتي قطعن ايديهن في مشاهدة جمال يوسف
حتى بهتن وسقط احساسهن وعن مثل هذه الحالة يعبر الصوفية بانه فني عن نفسه فهو عن غيره
افنى فكانه فني عن كل شيء الا عن الواحد المشهود وفني ايضا عن الشهود فان القلب ان التفت الى
الشهود والى نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن المشهود فالمستهتر بالمرئي لا التفات له في حال
استغراقه الى رؤيته ولا الى عينه التي بها رؤيته ولا الى قلبه الذي به لذته فالسكران لا خبر له من سكره
والمتلذذ لا خبر له من التذاذه انما خبره من المتلذذ به فقط ومثاله العلم بالشيء فانه مغاير للعلم
بالعلم بذلك الشيء فالعالم بالشيء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشيء كان معرضا عن الشيء ومثل هذه الحالة
قد تطرا في حق المخلوقين تطرا ايضا في حق الخالق ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف الذي لا
يثبت ولا يدوم فان دام لم تطقه القوة البشرية فربما اضطرب تحت اعبائه اضطرابا تهلك فيه نفسه

كما روي عن ابي الحسين النوري انه حضر مجلسا فسمع هذا البيت . ما زلت انزل من ودادك منزلا
يتحير الالباب عند نزوله . فقام وتواجد وهام فوقع في اجمة قصب قد قطع وبقيت اصوله مثل
السيوف فكان يعدو فيها ويعيد البيت الى الغداة والدم يخرج من رجليه حتى ورمت قدماه
وساقاه وعاش بعده ومات رحمه الله . هذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي اعلى الدرجات
لان السماع على الاحوال وهي ممتزجة بصفات البشرية نوع قصور وانما الكمال ان يفنى بالكلية عن
نفسه واحواله اعني انه ينساها فلا يبقى له التفات اليها كما لم يكن للنسوة التفات الى الايدي والسكاكين فيسمع
بالله ولله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الاحوال والاعمال واتحد بصفاء
التوحيد وتحقق بمحض الاخلاص فلم يبق فيه منه شيء اصلا بل خمدت بالكلية بشريته وفني التفاته
الى الصفات البشرية راسا ولست اعني بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه ولست اعني بالقلب
اللحم والدم بل سر لطيف له الى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذي هو من امر الله
عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فاذا
حضر فيه غيره فكانه لا وجود له الا للحاضر ومثاله المراة المجلوة اذ ليس لها لون في نفسها بل
لونها لون الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورة وكذلك الزجاجة فانها تحكي لون قرارها ولونها
لون الحاضر فيها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول
الالوان يعرب عن هذه الحقيقة في سر القلب بالاضافة الى ما يحضر فيه قول الشاعر . رق الزجاج ورقت
الخمر . فتشابها فتشاكل الامر . فكانما خمر ولا قدح . وكانما قدح ولا خمر . وهذه مغاصة من
مغاصات علوم المكاشفة منها نشا خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال انا الحق وحوله يدندن
كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت او تدرعها بها او حلولها فيها على اختلاف
ما اختلف فيه عباراتهم وهو غلط محض يضاهي غلط من حكم على المراة بصورة الحمرة اذ ظهر فيها لون الحمرة
من مقابلها واذا كان هذا غير لائق بعلم المعاملة فلنرجع الى الغرض فقد ذكرنا تفاوت الدرجات في
فهم المسموعات **المقام الثاني** بعد الفهم والتنزيل الوجد وللناس كلام طويل في حقيقة
الوجد اعني للصوفية وللحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للارواح فلننقل من اقوالهم
الفاظا ثم لنكشف عن الحقيقة فيه **اما الصوفية** فقد قال ذو النون المصري في السماع انه
وارد حق يزعج القلوب الى الحق فمن اصغى اليه بحق تحقق ومن اصغى اليه بنفس تزندق فكانه عبر
عن الوجد بانزعاج القلوب الى الحق وهو الذي يجده عند ورود وارد السماع اذ سمى السماع وارد
حق وقال ابو الحسين الدراج مخبرا عما وجده في السماع والوجد عبارة عما يوجد عند السماع قال
جال بي السماع في ميادين البهاء فاوجدني وجود الحق عند العطاء فسقاني بكاس الصفاء فادركت
به منازل الرضاء واخرجني الى رياض النزهة والفضاء وقال الشبلي السماع ظاهره فتنة وباطنه
عبرة فمن عرف الاشارة حل له استماع العبارة والا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال
بعضهم السماع غذاء الارواح لاهل المعرفة لانه وصف يدق عن سائر الاعمال ويدرك برقة الطبع لرقته
وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند اهله وقال عمرو بن عثمان المكي لا يقع على كيفية الوجد عبارة لانه

سر الله عند المومنين الموقنين وقال بعضهم الوجد مكاشفات من الحق وقال ابو سعيد
بن الاعرابي الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وايناس
المفقود وهو فناؤك انت من حيث انت وقال ايضا الوجد اول درجات الخصوص وهو
ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوه وسطع في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب وقال
ايضا الذي يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والاسباب لان النفس محجوبة باسبابها
فاذا انقطعت الاسباب وخلص الذكر وصفا القلب ورق ونجعت الموعظة فيه وحل من المناجاة في محل
قريب وخوطب وسمع الخطاب باذن واعية وقلب شاهد وسر ظاهر يشاهد ما كان منه خاليا فذلك هو
الوجد لانه قد وجد ما كان معه وما عنده وقال ايضا الوجد ما يكون عند ذكر مزعج او خوف مقلق
او توبيخ على زلة او محادثة بلطيفة او اشارة الى فائدة او شوق الى غائب او اسف على فائت او ندم على
ماض او استجلاب الى حال او داع الى واجب او مناجاة بسر وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن
بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج ما لك بما عليك مما سبق لك السعي فيه فيكتب ذلك
لك بعد كونه منك فتثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر اذ كان هو المبتدي بالنعم والمتولي واليه يرجع
الامر كله هذا ظاهر علم الوجود واقوال الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثير واما الحكماء فقال
بعضهم في القلب فضيلة شريفة تعذر على قوة النطق اخراجها باللفظ فاخرجتها النفس بالالحان
فلما ظهرت سرت وطربت اليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر وقال
بعضهم نتائج السماع استنهاض العاجز من الراي واستجلاب العازب من الافكار وحدة الكال
من الافهام والآراء حتى يثوب ما عزب وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويمرح في كل راي ونية فيصيب
ولا يخطي ويأتي ولا يبطي وقال آخر كما ان الفكر يطرق العلم الى المعلوم فالسماع يطرق القلب الى
العالم الروحاني وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الاطراف بالطبع على وزن الالحان و
الايقاعات فقال ذلك عشق عقلي والعاشق العقلي لا يحتاج الى ان يناغي معشوقه بالمنطق الجرمي بل
يناغيه ويناجيه بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والاشارة وهذه نواطق اجمع
الا انها روحانية واما العاشق البهيمي فانه يستعمل النطق الجرمي ليعبر عنه ويوقع ظاهر شوقه
الضعيف وعشقه الداثر وقال آخر من حزن فليسمع الالحان فان النفس اذا دخلها الحزن خمد
نورها واذا فرحت اشتعل نورها وظهر زبرجها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر
صفائه ونقائه من الغش والدنس والاقاويل المفرقة في السماع والوجد كثير ولا معنى للاستكثار من
ايرادها فلنشتغل بتفهيم المعنى الذي الوجد عبارة عنه فنقول انه عبارة عن حالة يثمرها
السماع وهو وارد جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه وتلك الحالة لا تخلو من قسمين فانها
اما ان ترجع الى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات واما ان ترجع الى تغيرات و
احوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والاسف والندم والبسط و
القبض وهذه الاحوال يهيجها السماع او يقويها فان ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر او
تسكينه او تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته او يطرق ويسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف

عادته لم يسم وجدا وان ظهر على الظاهر سمي وجدا اما ضعيفا واما قويا بحسب ظهوره وتغييره للظاهر
وتحريكه بحسب قوة وروده وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه
فقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر لقوة صاحبه وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره
عن التحريك وحل عقدة التماسك والى المعنى الاول اشار ابو سعيد بن الاعرابي حيث قال في
الوجد انه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ولا يبعد ان يكون السماع سببا لكشف
ما لم يكن مكشوفا فان الكشف يحصل باسباب منها التنبيه والسماع منه ومنها تغير الاحوال و
مشاهدتها وادراكها فان ادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل الورود ومنها صفاء
القلب والسماع موثر في تصفية القلب والصفاء سبب الكشف ومنها انبعاث نشاط القلب
بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان يقصر عنه قبل ذلك قوته كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى
عليه قبله وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة اسرار الملكوت كما ان عمل البعير حمل الاثقال فبواسطة
هذه الاسباب يكون سببا للكشف بل القلب اذا صفا ربما تمثل له الحق في صورة مشاهدة
او لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف اذا كان في اليقظة وبالرؤيا اذا كان
في المنام وذلك جزء من النبوة وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة وذلك كما روي عن محمد بن
مسروق البغدادي انه قال خرجت ليلة في ايام جاهليتي وانا نشوان وكنت اغني هذا البيت
بطرزنا باذ كرم ما مررت به ، الا تعجبت ممن يشرب الماء ، فسمعت قائلا يقول ،
وفي جهنم ماء ما تجرعه خلق ، فابقى له في الجوف امعاء ، قال فكان ذلك سبب توبتي
واشتغالي بالعلم والعبادة فانظر كيف اثر الغناء في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق
في صفة جهنم في لفظ موزون منظوم وقرع ذلك سمعه الظاهر ، وروي عن مسلم العباداني قال
قدم علينا مرة صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الاسواري فنزلوا على
الساحل قال فهيأت لهم ذات ليلة طعاما فدعوتهم اليه فجاؤوا فلما وضعت الطعام بين ايديهم
اذا قائل يقول ، وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ، ولذة نفس غيها غير نافع ، قال فصاح عتبة
الغلام صيحة وخر مغشيا عليه فبكى القوم ورفعت الطعام وما ذاقوا والله منه لقمة وكما يسمع
صوت الهاتف عند صفاء القلب يشاهد ايضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لارباب
القلوب بصور مختلفة ، وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للانبياء عليهم السلام اما على حقيقة
صورتها واما على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل
مرتين في صورته واخبر عنه انه قد سد الافق وهو المراد بقوله تع علمه شديد القوى ذو مرة
فاستوى وهو بالافق الاعلى الى آخر هذه الآية وفي مثل هذه الاحوال من الصفاء يقع الاطلاع على
ضماير القلوب وقد يعبر عن ذلك الاطلاع بالتفرس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة
المؤمن فانه ينظر بنور الله وقد حكي ان واحدا من المجوس كان يدور على المسلمين وكان يقول لهم ما
معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فكان يذكر له تفسيره فلا يقنعه حتى انتهى الى
بعض المشايخ من الصوفية فسأله فقال معناه ان تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك فقال

صدقت بهذا امتحناه واسلم وقال الآن عرفت انك مؤمن حق وان ايمانك حق • وكما حكى عن ابرهيم الخواص قال كنت ببغداد في جماعة من الفقراء في الجامع فاقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه فقلت لاصحابنا يقع لي انه يهودي فكلهم كرهوا ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع اليهم و قال ايش قال الشيخ في فاحتشموه فالح عليهم فقالوا قال انك يهودي قال فجاءني واكب على يدي واسلم وقال نجد في كتبنا ان الصديق لا تخطي فراسته فقلت امتحن المسلمين فتاملتهم فقلت ان كان فيهم صديق ففي هذه الطايفة لانهم يقولون حديثه سبحانه فلبست عليكم فلما اطلع علي الشيخ وتفرس في علمت انه صديق وقال وصار الشاب من كبار الصوفية • والى مثل هذا الكشف الاشارة بقوله عليه السلام لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء وانما تحوم الشياطين على القلوب اذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة فانها مرعى الشياطين ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يطف الشيطان حول قلبه واليه الاشارة بقوله تع الا عبادك منهم المخلصين وبقوله تع ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء • وعلى هذا ابدا لما روي ان ذا النون رحمه الله دخل بغداد فاجتمع اليه قوم من الصوفية ومعهم قوال فاستاذنوه في ان يقول شيئا فاذن له فانشا يقول • صغير هواك عذبني • فكيف به اذا احتنكا • واستجمعت في قلبي • هوى قد كان مشتركا • فقام ذو النون وسقط على وجهه ثم قام رجل آخر فقال ذو النون الذي يراك حين تقوم فجلس ذلك الرجل وكان ذلك اطلاعا من ذي النون على قلبه انه متكلف متواجد فعرفه ان الذي يراه حين يقوم هو الخصم في قيامه لغير الله ولو كان الرجل صادقا لما جلس فاذن قد رجع حاصل الوجد الى مكاشفات والى حالات • واعلم ان كل واحد منهما ينقسم الى ما يمكن التعبير عنه عند الافاقة منه والى ما لا يمكن العبارة عنه اصلا ولعلك تستبعد حالة او علما لا تعلم حقيقته ولا يمكن الخبير عن حقيقته فلا تستبعد ذلك فانك تجد في احوالك القريبة لها شواهد اما العلم فكم من فقيه تعرض عليه مسئلتان متشابهتان في الصورة ويدرك الفقيه بذوقه ان بينهما فرقا في الحكم واذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وان كان من افصح الناس فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وادراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالذوق ولا شك في ان لوقوعه في قلبه سببا وله عند الله حقيقه ولا يمكنه الاخبار عنه لا لقصور في لسانه بل لدقة المعنى في نفسه عن ان تناله العبارة وهذا مما قد تفطن له المواظبون على النظر في المشكلات واما الحال فكم من انسان يدرك في قلبه في الوقت الذي يصبح قبضا او بسطا ولا يعلم سببه وقد يتفكر الانسان في شيء فيؤثر في نفسه اثرا فينسى ذلك السبب ويبقى الاثر في نفسه وهو يحس بالاثر عقيبه وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود بل ذوق الشعر الموزون يختص به بعض الناس دون بعض وهي حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها اعني التفرقة بين الموزون والمزحف و لا يمكنه التعبير عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا ذوق له وفي النفس احوال غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من الخوف والحزن والسرور انما تحصل في السماع عن غناء مفهوم فاما الاوتار وساير النغمات التي

ليست

ليست مفهومة تؤثر في النفس تاثيرا عجيبا ولا يمكن التعبير عن عجايب تلك الآثار وقد يعبر عنه بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق اليه فهو عجيب والذي اضطرب قلبه بسماع الاوتار والشاهين وما اشبهه ليس يدري الى ماذا يشتاق ويجد في نفسه حالة كانها تتقاضى امرا ليس يدري ما هو حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمي ولا حب الله وهذا له سر وهو ان كل شوق فله ركنان احدهما صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق اليه والثاني معرفة المشتاق اليه ومعرفة صورة الوصول اليه فان وجدت الصفة التي بها الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق اليه كان الامر ظاهرا وان لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت تلك الصفة واشتعلت نارها اورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة ولو نشا آدمي وحده حيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة الوقاع ثم راهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة ولا يدري انه يشتاق الى الوقاع لانه ليس يدري صورة الوقاع ولا يعرف صورة النساء فكذلك في نفس الآدمي مناسبة مع العالم الاعلى واللذات التي وعد بها في سدرة المنتهى والفراديس العلى الا انه لم يتخيل من هذه الامور الا الصفات والاسماء كالذي سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة امراة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المراة ليعرف بالمقايسة فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد انساه نفسه وانساه ربه وانساه مستقره الذي اليه حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه طبعه امرا ليس يدري ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب ويكون كالمختنق الذي لا يعرف طريق الخلاص فهذا وامثاله من الاحوال التي لا يدرك تمام حقايقها ولا يمكن المتصف بها ان يعبر عنها فقد ظهر انقسام الوجد الى ما يمكن اظهاره والى ما لا يمكن اظهاره • واعلم ايضا ان الوجد ينقسم الى هاجم والى متكلف ويسمى التواجد وهذا التواجد المتكلف فمنه مذموم وهو الذي يقصد به الرياء واظهار الاحوال الشريفة مع الافلاس عنها ومنه ما هو محمود وهو التوصل الى استدعاء الاحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة فان للكسب مدخلا في جلب الاحوال الشريفة ولذلك امر رسول الله صلعم من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن ان يتباكى ويتحازن فان هذه الاحوال قد تتكلف مباديها ثم تتحقق اواخرها وكيف لا يكون التكلف سببا في ان يصير المتكلف بالآخرة طبعا وكل من يتعلم القرآن ويحفظه تكلفا ويقراه تكلفا مع تمام التامل واحضار الذهن ثم يصير ذلك ديدنا للسان مطردا حتى يجري به لسانه في الصلوة وغيرها وهو غافل فيقرا تمام السورة وتثوب اليه نفسه بعد انتهائه الى آخرها ويعلم انه قراها في حال غفلته وكذلك الكاتب يكتب في الابتداء بجهد شديد ثم تمرن عليه يده فتصير الكتبة له طبعا فيكتب اوراقا وهو مستوفي القلب بفكر آخر فجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل الى اكتسابه الا بالتكلف والتصنع اولا ثم يصير بالعادة طبعا وهو المراد بقول بعضهم العادة طبيعة خامسة فكذلك الاحوال الشريفة لا ينبغي ان يقع الياس عنها عند فقدها بل ينبغي ان يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره فلقد شوهد في العادات من اشتهى ان يعشق شخصا ولم يكن يعشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر اليه ويقرر على نفسه الاوصاف المحبوبة والاخلاق المحمودة

فيه حتى عشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخا خرج عن حد اختياره واشتهى بعد ذلك الخلاص منه
ولم يتخلص فكذلك حب الله تعالى والشوق الى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الاحوال الشريفة
اذا فقدها الانسان فينبغي ان يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة احوالهم و
تحسين صفاتهم في النفس بالجلوس معهم في السماع وبالدعاء والتضرع الى الله تعالى في ان يرزقه تلك الحالة
بان تيسر له اسبابها ومن اسبابها السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحبين والمشتاقين
والخاشعين فمن جالس شخصا سرت اليه صفاته من حيث لا يدري ويدلك على امكان تحصيل الحب
وغيره من الاحوال بالاسباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب ما
يقربني الى حبك فقد فزع الى الدعاء في طلب الحب فهذا بيان انقسام الوجد الى مكاشفات والى
احوال وانقسامه الى ما يمكن الافصاح عنه والى ما لا يمكن وانقسامه الى المتكلف والى المطبوع
فان قلت فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع القرآن وهو كلام الله تعالى ويظهر على الغناء
وهو كلام الشعراء فلو كان ذلك حقا من لطف الله تعالى ولم يكن باطلا من غرور الشيطان لكان القرآن
اولى به من الغناء فنقول الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق ارادته والشوق
الى لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن ايضا وانما الذي لا يهيج بالقرآن حب الخلق والعشق للمخلوق
ويدل عليه قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله تعالى مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب السماع في النفس فهو وجد فالطمأنينة
والاقشعرار والخشية ولين القلب كل ذلك وجد وقد قال الله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل
لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله فالوجل والخشوع وجد من قبيل الاحوال وان لم يكن
من قبيل المكاشفات ولكن قد يصير سببا للمكاشفات والتنبيهات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
زينوا القرآن باصواتكم وقال لابي موسى لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود واما
الحكايات الدالة على ان ارباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة فقوله صلى الله
عليه وسلم شيبتني هود خبر عن الوجد فان الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد وروي
ان ابن مسعود قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد و
جئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك وكانت عيناه تذرفان بالدمع وفي رواية انه عليه السلام قرئ
عنده ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما فصعق وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
قرأ ان تعذبهم فانهم عبادك فبكى • وكان عليه السلام اذا مر باية رحمة دعا واستبشر والاستبشار
وجد وقد اثنى الله تعالى على اهل الوجد بالقرآن فقال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم
تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق • ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل واما
ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة والتابعين فكثير منهم من صعق ومنهم من بكى ومنهم من غشي
عليه ومنهم من مات في غشيته سمع عمر رضي الله عنه رجلا يقرأ ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فصاح
صيحة خر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا في بيته شهرا • وروي ان زرارة بن ابي اوفى وكان من
التابعين كان يؤم بالناس بالرقة فقرأ فاذا نقر في الناقور فصعق ومات في محرابه • وكان ابو جهير

من التابعين قرأ عليه صالح المري فشهق ومات • وسمع الشافعي رحمه الله قارئا يقرأ هذا يوم لا
ينطقون فغشي عليه • وسمع علي بن الفضيل قارئا يقرأ يوم يقوم الناس لرب العالمين فسقط مغشيا
عليه فقال الفضيل شكر الله لك ما قد علمه منك وكذلك نقل عن جماعة منهم وكذلك الصوفية
فقد كان الشبلي رحمه الله في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف امام له فقرأ الامام ولئن
شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك فزعق الشبلي زعقة ظن الناس انه طارت روحه واخضر
وجهه وارتعد وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب يردد ذلك مرارا وقال الجنيد دخلت
على سري السقطي فرايت بين يديه رجلا قد غشي عليه فقال لي هذا رجل قد سمع آية من القرآن فغشي
عليه فقلت اقرؤا عليه تلك الاية فقرئت فافاق فقال من اين قلت هذا فقلت رايت يعقوب
كان عماه من اجل مخلوق فبمخلوق ابصر ولو كان عماه من اجل الحق ما ابصر بمخلوق فاستحسن
ذلك ويشير الى ما قاله الجنيد رحمه الله قول الشاعر وكاس شربت على لذة • واخرى تداويت
منها بها • وقال بعض الصوفية كنت اقرأ ليلة هذه الاية كل نفس ذائقة الموت فجعلت
اردّدها واذا هاتف يهتف بي كم تردد هذه الاية فقد قتلت اربعة من الجن لم يرفعوا رؤسهم
الى السماء منذ خلقوا وقال ابو علي المغازلي للشبلي ربما تطرق سمعي آية من كتاب الله تعالى فتحدوني
على الاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالي والى الناس فلا ابقى على ذلك فقال ما طرق سمعك من القرآن
فاجتذبك به اليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك واذا ردك الى نفسك فهو شفقة منه
عليك فانه لا يصلح لك التبري من الحول والقوة في التوجه الى الله تعالى وسمع رجل من اهل التصوف
قارئا يقرأ يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية فاستعادها من القارئ وقال كم اقول لها
ارجعي وليست ترجع ثم تواجد وزعق زعقة فخرجت روحه • وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ وانذرهم
يوم الازفة فاضطرب ثم صاح ارحم من انذرته ولم يقبل اليك بعد النذير بطاعتك ثم غشي
عليه • وكان ابراهيم بن ادهم رحمه الله اذا سمع احدا يقرأ اذا السماء انشقت اضطربت اوصاله
حتى كان يرتعد • وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يغتسل في الفرات فمر به رجل على الشط يقرأ
وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات • وذكر ان سلمان الفارسي
رضي الله عنه ابصر شابا يقرأ فاتى على آية فاقشعر جلده فاحبه سلمان وفقده فسال عنه فقيل له
انه مريض فاتاه يعوده فاذا هو في الموت فقال يا ابا عبد الله ارايت تلك القشعريرة التي كانت
مني فانها اتتني في احسن صورة فاخبرتني ان الله تعالى قد غفر لي بها كل ذنب وبالجملة لا يخلو صاحب
القلب عن وجد عند سماع القرآن فان كان القرآن لا يؤثر فيه اصلا فمثله كمثل الذي ينعق بما لا
يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون بل صاحب القلب يؤثر فيه الكلمة من الحكمة
يسمعها قال جعفر الخلدي رحمه الله دخل رجل من اهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال
متى يستوي عند العبد حامده وذامه فقال بعض الشيوخ اذا دخل المارستان وقيد بقيدين
فقال الجنيد ليس هذا من شانك ثم اقبل على الرجل فقال اذا تحققت انه مخلوق فشهق الرجل شهقة
وخرج فان قلت فان كان سماع القرآن مفيدا للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء

من القوالين دون المقرئين فكان ينبغي ان يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا حلق
المغنيين وكان ينبغي ان يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قارئ لا قوال فان كلام الله افضل
من الغناء لا محالة فاعلم ان الغناء اشد تهييجا للوجد من القرآن من سبعة اوجه
الاول ان جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس
له فمن استولى عليه حزن او شوق او ندم فمن اين يناسب حاله قوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر
مثل حظ الانثيين وقوله تع والذين يرمون المحصنات وكذلك جميع الآيات التي فيها بيان احكام
الميراث والطلاق والحدود وغيرها وانما المحرك لما في القلب ما يناسبه والابيات انما نظمها
الشعراء اعرابا بها عن احوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منه الى تكلف نعم من يستولي عليه حال
غالبة قاهرة لم تبق فيه متسعا لغيرها ومعه تيقظ وذكاء ثاقب يتفطن به للمعاني البعيدة من
الالفاظ فقد يخرج وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تع يوصيكم الله في اولادكم حالة الموت
المحوج الى الوصية وان كل انسان لا بد وان يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك
احد المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعا فيغلب عليه الخوف والجزع او يسمع ذكر كلمة الله تع في قوله يوصيكم
الله فيدهشه مجرد الاسم عما قبله وبعده ويخطر له رحمة الله على عباده وشفقته بان تولى قسمة مواريثهم
بنفسه نظرا لهم في حياتهم وموتهم فيقول اذ نظر لاولادنا بعد موتنا فلا نشك في انه ينظر لنا فيهيج منه
حال الرجاء ويورثه ذلك استبشارا وسرورا ويخطر له من قوله للذكر مثل حظ الانثيين تفضيل
الذكر بكونه رجلا على الانثى وان الفضل في الآخرة لرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وان
من الهاه غير الله عن الله فهو من الاناث لا من الرجال تحقيقا فيخشى ان يحجب او يؤخر في نعيم الآخرة
كما اخر في اموال الدنيا فامثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان احدهما حالة غالبة
مستغرقة قاهرة والاخرى تفطن بليغ وتيقظ كامل للتنبه بالامور القريبة على المعاني البعيدة وذلك
مما يعز فلاجل ذلك يفزع الى الغناء الذي هو الفاظ مناسبة للاحوال حتى يتسارع هيجانها
روي انه كان ابو الحسين النوري رحمه الله مع جماعة في دعوة فجرى بينهم مسئلة في العلم وابو الحسين
ساكت ثم رفع راسه وانشدهم

رب ورقاء هتوف بالضحى ، ذات شجو صدحت في فنن ،
ذكرت الفا ودهرا صالحا ، فبكت حزنا فهاجت حزني ،
فبكائي ربما ارقها ، وبكاها ربما ارقني ،
ولقد تشكو فما افهمها ، ولقد اشكو فما تفهمني ،
غير اني بالجوى اعرفها ، وهي ايضا بالجوى تعرفني ،

قال فما بقي في القوم احد الا قام
وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وان كان العلم حقا وجدا **الوجه الثاني**
ان القرآن محفوظ للاكثرين ومتكرر على الاسماع والقلوب وكلما سمع اولا عظم اثره وفي الكرة
الثانية يضعف اثره وفي الثالثة يكاد يسقط اثره ولو كلف صاحب الوجد الغالب ان
يحضر وجده على بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة في الزمان في يوم او اسبوع لم يمكنه ذلك
ولو ابدل ببيت آخر تجدد له اثر وان كان معربا عن عين ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالاضافة
الى الاول يحرك النفس وان كان المعنى واحدا وليس يقدر القارئ على ان يقرأ قرآنا غريبا في كل وقت

ودعوة

ودعوة لان القرآن محصور لا يمكن الزيادة عليه وكله محفوظ ومتكرر والى ما ذكرناه اشار
الصديق رضي الله عنه حيث رأى الاعراب يقدمون فيستمعون القرآن ويبكون فقال هكذا كنا
حتى قست القلوب ، ولا تظنن ان قلب الصديق رضي الله عنه كان اقسى من قلب الاجلاف من العرب
وانه كان اخلى عن حب الله وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرر على قلبه اقتضى المرون عليه وقلة
التاثر به لما حصل له من الانس بكثرة سماعه اذ محال في العادة ان يسمع السامع آية لم يسمعها
قبل فيبكي ثم يدوم بكاؤه عليها عشرين سنة يرددها فيبكي ولا يفارق الاول الآخر الا في كونه غريبا
جديدا ولكل جديد لذة ولكل طارئ صدمة ومع كل مألوف انس يناقض الصدمة ولهذا هم عمر رض
ان يمنع الناس من كثرة الطواف وقال قد خشيت ان يتهاون الناس بهذا البيت اي يأنسوا به و
من قدم حاجا فراى البيت اولا بكى وزعق وربما غشي عليه اذا وقع عليه بصره وقد يقيم بمكة شهرا
ولا يحس من ذلك في نفسه باثر فاذن المغني يقدر على الابيات الغريبة في كل وقت ولا يقدر على
ذلك في الآيات **الوجه الثالث** ان لوزن الكلام بذوق الشعر تاثيرا في النفس فليس الصوت
الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وانما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات
ولو زحف المغني البيت الذي ينشده او لحن فيه او مال عن حد تلك الطريقة في اللحن اضطرب قلب
المستمع وبطل وجده وسماعه ونفر طبعه لعدم المناسبة واذا نفر الطبع اضطرب القلب او
تشوش فالوزن اذن مؤثر فلذلك طاب الشعر **الوجه الرابع** ان الشعر الموزون يختلف تاثيره في
النفس بالالحان التي تسمى الطرق والدستانات وانما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور وقصر الممدود
والوقف في اثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز
في القرآن الا التلاوة كما انزل فقصره ومده والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه
التلاوة حرام او مكروه واذا رتل القرآن كما انزل سقط عنه الاثر الذي سببه وزن الالحان
وهو سبب مستقل بالتاثير وان لم يكن مفهوما كما في الاوتار والمزمار والشاهين وسائر الاصوات التي لا
تفهم **الوجه الخامس** ان الالحان الموزونة تعضد وتؤكد بايقاعات واصوات اخر موزونة
خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره لان الوجد الضعيف لا يستثار الا بسبب
قوي وانما يقوى بمجموع هذه الاسباب ولكل واحد حظ في التاثير وواجب ان يصان القرآن
عن مثل هذه القرائن لان صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب والقرآن جد كله عند
كافة الخلق فلا يجوز ان يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة وصورته صورة اللهو عند الخاصة
وان كانوا لا ينظرون اليها من حيث انها لهو بل ينبغي ان يوقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل
في مجلس ساكن ولا في حال الجنابة ولا في غير طهارة ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن في كل
حال فيعدل الى الغناء الذي لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة
القرآن ليلة العرس وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الدف في العرس وقال اظهروا النكاح
ولو بضرب الغربال او بلفظ هذا معناه وذلك جائز مع الشعر دون القراءة ولذلك لما دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يغنين فسمع احديهن تقول ، وفينا نبي يعلم

ما في غد • على وجه الغناء فقال صلى الله عليه وسلم دعي هذا وقولي ما كنت تقولين وهذه شهادة
بالنبوة فزجرها عنها وردها الى الغناء الذي هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو
فاذن يتعذر بسببه تقوية الاسباب التي بها يصير السماع محركا للقلب فواجب في الاحترام
العدول الى الغناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوة الى الغناء
الوجه السادس ان المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال المستمع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعي
غيره فليس كل كلام موافقا لكل حال فلو اجتمعوا في الدعوات على القارى فربما يقرأ آية لا توافق
حالهم اذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف الاحوال فآيات الرحمة شفاء الخائف وآية العذاب
شفاء المغرور الآمن وتفصيل ذلك مما يطول فاذن لا يؤمن ان لا يوافق المقروء الحال وتكرهه النفس
فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلا الى دفعه فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ
وحتم واجب اذ لا يجد الخلاص عنه الا بتنزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله تعالى على ما اراده
الله واما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة او خطر التاويل الخطأ لموافقة
الحال فيجب توقير كلام الله تعالى وصيانته عن ذلك هذا ما ينقدح لي في علل انصراف الشيوخ الى
سماع الغناء عن سماع القرآن في حالة الجمع والاوقات وههنا **وجه سابع** ذكره ابو نصر
السراج الطوسي في الاعتذار عن ذلك فقال القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا تطيقه
البشرية لانه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته
لتصدعت ودهشت وتحيرت والالحان الطيبة مناسبة للطبع ونسبتها نسبة الحظوظ لا
نسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة الحظوظ فاذا علقت الالحان والاصوات بما في الابيات
من الاشارات واللطائف شاكل بعضها بعضا فكان اقرب الى الحظوظ واخف على القلوب لمشاكلة
المخلوق فما دامت البشرية باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والاصوات المخلوق صح
الطيبة فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ الى القصائد اولى من انبساطنا الى كلام الله تعالى الذي
هو صفته وكلامه الذي منه بدا واليه يعود هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره • وقد حكي
عن ابي الحسين الدراج انه قال قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام
عليه فلما دخلت الري كنت اسال عنه فكل من سالته قال ايش تعمل بذلك الزنديق فضيقوا
صدري حتى عزمت على الانصراف ثم قلت في نفسي قد جئت هذا الطريق كله فلا اقل من ان اراه فلم
ازل اسال عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في المحراب وبين يديه رجل بيده مصحف وهو
يقرا واذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية فسلمت واقبل علي وقال من اين فقلت من
بغداد فقال وما الذي جاء بك فقلت قصدتك للسلام عليك فقال لو ان في بعض هذه البلدان
قال لك انسان اقم عندنا حتى نشتري لك دارا وجارية كان يقعدك ذلك عن المجيء فقلت ما
امتحنني الله بشيء من ذلك ولو امتحنني ما كنت ادري كيف اكون ثم قال لي تحسن ان تقول شيئا
فقلت نعم قال هات فابتدات اقول • رايتك تبني دائبا في قطيعتي • ولو كنت ذا حزم لهدمت
ما تبني • كاني بكم والليت افضل قولكم • الا ليتنا كنا اذا الليت لا يغني • قال فاطبق المصحف ولم

يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه ثم قال يا بني تلوم اهل الري يقولون
يوسف زنديق من صلوة الغداة هو ذا اقرا في المصحف لم تقطر من عيني قطرة وقد قامت علي
القيامة بهذين البيتين فاذن القلوب وان كانت محترقة في حب الله تعالى فالبيت الغريب يهيج منها
ما لا يهيج تلاوة القرآن وذلك لوزن الشعر واما القرآن فنظمه خارج عن اساليب الكلام
ومنهاجه وهو لذلك معجز لا يدخل في قوة البشر لعدم مشاكلته لطبعه • وروي ان اسرافيل
استاذ ذي النون المصري دخل عليه رجل فرآه وهو ينكت الارض باصبعه ويترنم ببيت فقال
هل تحسن تترنم بشيء فقال لا فقال فانت بلا قلب اشارة الى ان من له قلب وعرف طباعه علم انه تحركه
الابيات والنغمات تحريكا لا يصادف في غيرهما فيتكلف طريق التحريك اما بصوت نفسه او بغيره
فقد ذكرنا حكم المقام الاول في فهم المسموع وتنزيله وحكم المقام الثاني في الوجد الذي يصادف
في القلب فلنذكر الآن اثر الوجد اعني ما يترشح منه الى الظاهر من صعقة وبكاء وحركة وتمزيق
ثوب وغيره **المقام الثالث من السماع يذكر فيه آداب السماع ظاهرا وباطنا** وما
يحمد من آثار الوجد وما يذم **اما الآداب** فهي خمس جمل **الاولى** مراعاة الزمان والمكان
والاخوان قال الجنيد السماع يحتاج الى ثلاثة اشياء والا فلا يسمع الزمان والمكان والاخوان
ومعناه ان الاشتغال به في وقت حضور طعام او خصام او صلوة او صارف من الصوارف
مع اضطراب القلب لا فائدة فيه فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعى حالة فراغ القلب والمكان
قد يكون شارعا مطروقا او موضعا كريه الصورة او فيه سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك واما
الاخوان فسببه انه اذا حضر غير الجنس من منكر السماع متزهد بالظاهر مفلس عن لطائف القلوب
كان مستثقلا في المجلس واشتغل القلب به وكذا اذا حضر متكبر من اهل الدنيا يحتاج الى مرا
ومراعاته ومتكلف متواجد من اهل التصوف يرائي بالوجد والرقص وتمزيق الثياب فكل ذلك
مشوشات فترك السماع عند فقد هذه الشروط اولى ففي هذه الشروط نظر للمستمع **الادب الثاني**
وهو نظر للحاضرين ان الشيخ اذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغي ان يسمع في حضورهم
فان سمع فليشغلهم بشغل آخر والمريد الذي يستضر بالسماع احد ثلاثة اقلهم درجة هو الذي
لم يدرك من الطريق الا الاعمال الظاهرة ولم يكن له ذوق السماع فالاشتغال بالسماع اشتغال بما لا
يعنيه فانه ليس من اهل اللهو فيلهو ولا من اهل الذوق فيتنعم بذوق السماع فليشتغل بذكر او خدمة
والا فهو تضييع لزمانه الثاني هو الذي له ذوق السماع ولكن بقيت فيه بقية من الحظوظ والالتفات
الى الشهوات والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكسارا تؤمن غوائله فربما يهيج السماع منه
داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال الثالث ان يكون قد انكسرت
شهوته وامنت غائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم
يعرف اسماء الله وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل فاذا فتح له باب السماع نزل المسموع في حق الله تعالى
على ما يجوز وما لا يجوز فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر اعظم من نفع السماع قال سهل
رحمه الله كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد

ملوث بحب الدنيا وشهوة المحمدة والثناء ولا لمن يسمع لاجل التلذذ والاستطابة بالطبع
فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عبادته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه فالسماع
مزلة قدم يجب حفظ الضعفاء عنه قال الجنيد رايت ابليس في النوم فقلت له هل
تظفر من اصحابنا بشيء قال نعم في وقتين وقت السماع ووقت النظر فاني ادخل عليهم به فقال
بعض الشيوخ لو رايته انا لقلت ما احمقك من يسمع منه اذا سمع وينظر اليه اذا نظر كيف
تظفر به قال الجنيد صدقت **الادب الثالث** ان يكون مصغيا الى ما يقوله القائل حاضر القلب
قليل الالتفات الى الجوانب متحرزا عن النظر الى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من احوال الوجد
مشتغلا بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله من رحمته في سره متحفظا عن حركة تشوش
على اصحابه قلوبهم بل يكون ساكن الظاهر هادي الاطراف متحرزا عن التنحنح والتثاؤب ويجلس
مطرقا راسه كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه متماسكا عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على
وجه التصنع والتكلف والمراياة ساكتا عن النطق في اثناء القول بكل ما عنه بد فان غلبه الوجد وحركه
بغير اختياره فهو فيه معذور غير ملوم ومهما رجع اليه الاختيار فليعد الى هدوئه وسكونه ولا ينبغي
ان يستديمه حياء من ان يقال انقطع وجده على القرب ولا ان يتواجد خوفا من ان يقال هو
قاسي القلب عديم الصفاء والرقة حكي ان شابا كان يصحب الجنيد فكان اذا سمع شيئا من الذكر
يزعق فقال له الجنيد يوما ان فعلت ذلك مرة اخرى لم تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى
يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق فحكي انه اختنق يوما لشدة ضبط نفسه فشهق شهقة
فانشق وتلفت نفسه وروي ان موسى عليه السلام قص في بني اسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه او قميصه
فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثيابك وقال ابو القسم النصراباذي
لابي عمرو بن نجيد انا اقول اذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال خير من ان يغتابوا فقال ابو عمرو
الرياء في السماع وهو ان ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من ان تغتاب ثلثين سنة او نحو
ذلك **فان قلت** الافضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره او الذي يظهر عليه
فاعلم ان عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد
في الباطن ولكن لكمال القوة على ضبط الجوارح وهو كمال وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا
في الاحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تاثير وهو غاية الكمال فان صاحب الوجد في غالب الاحوال
لا يدوم وجده فمن هو في وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود فهذا لا تغيره طوارق الاحوال
ولا يبعد ان تكون الاشارة بقول الصديق رضي الله عنه هكذا كنا حتى قست القلوب معناه
قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الاحوال فنحن في سماع معاني
القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديدا في حقنا طاريا علينا حتى نتاثر بها فاذن قوة الوجد
تحرك وقوة العقل والتماسك تضبط الظواهر وقد يغلب احدهما الآخر اما لشدة قوته واما
لضعف ما يقابله ويكون النقص والكمال بحسب ذلك فلا تظنن ان الذي يضطرب نفسه على
الارض اتم وجدا من الساكن باضطرابه بل رب ساكن اتم وجدا من المضطرب فقد كان الجنيد
يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي
تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء اشارة الى ان القلب مضطرب جائل في الملكوت والجوارح
متادبة في الظاهر ساكنة وقال ابو الحسن محمد بن احمد وكان بالبصرة صحبت سهل بن عبد الله
ستين سنة فما رايته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر او القرآن فلما كان في آخر عمره قرأ رجل
بين يديه فاليوم لا يؤخذ منكم فدية الآية فرايته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد الى حاله سألته
عن ذلك فقال نعم يا حبيبي قد ضعفنا وكذلك سمع مرة قوله الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب
فسأله ابن سالم وكان من اصحابه فقال قد ضعفت فقيل له فان كان هذا من الضعف فما قوة الحال
فقال ان لا يرد عليه وارد الا وهو يبتلعه بقوة حاله فلا تغيره الواردات وان كانت قوية و
سبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الاحوال بملازمة الشهود كما حكي عن سهل
انه قال حالي قبل الصلوة وبعدها واحد لانه كان مراعيا للقلب حاضر الذكر مع الله في كل حال فكذلك
يكون قبل السماع وبعده اذ يكون وجده دائما وعطشه متصلا وشربه مستمرا بحيث لا يؤثر السماع
في زيادته كما روي ان ممشاذ الدينوري اشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا فقال ارجعوا الى
ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في اذني ما شغل همي ولا شفى بعض ما بي وقال الجنيد لا يضر
نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم اتم من فضل الوجد **فان قلت** فمثل هذا لم يحضر السماع
فاعلم ان من هؤلاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر الا نادرا لمساعدة اخ من الاخوان و
ادخالا للسرور على قلبه وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون انه ليس الكمال بالوجد الظاهر
فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وان لم يقدروا على الاقتداء به في صيرورته طبعا لهم وان
اتفق حضورهم مع غير ابناء جنسهم فيكونون معهم بابدانهم نائين عنهم بقلوبهم وبواطنهم كما يجلسون
في غير سماع مع غير جنسهم باسباب عارضة تقتضي الجلوس وبعض من نقل عنه ترك السماع ويظن انه
كرهه كان سبب تركه له استغناءه عن السماع بما ذكرنا وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني
في السماع ولا كان من اهل اللهو فتركه لئلا يكون مشغولا بما لا يعنيه وبعضهم تركه لفقد الاخوان
قيل لبعضهم لم لا تسمع فقال ممن ومع من **الادب الرابع** ان لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو
يقدر على ضبط نفسه ولكن ان رقص او تباكى فهو مباح اذا لم يقصد به المراياة لان التباكي
استجلاب للحزن والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط فكل سرور مباح فيجوز تحريكه و
لو كان ذلك حراما لما نظرت عائشة رضي الله عنها الى الحبشة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يزفنون
هذا لفظ عائشة رضي الله عنها في بعض الروايات وقد ورد عن جماعة من الصحابة انهم حجلوا لما ورد
عليهم سرور اوجب ذلك وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن ابي طالب واخوه جعفر
وزيد بن حارثة رضي الله عنهم فتشاحوا في تربيتها فقال صلى الله عليه وسلم لعلي انت مني وانا منك فحجل
علي وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل وراء حجل علي وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل وراء
حجل جعفر ثم قال عليه السلام هي لجعفر لان خالتها تحته والخالة والدة وفي بعض الروايات انه قال
لعائشة اتحبين ان تنظري الى زفن الحبشة والزفن والحجل هو الرقص وذلك يكون لفرح او شوق

بحكمه حكم مهيجه ان كان فرحه محمودًا والرقص يزيده فهو محمود وان كان مباحًا فهو مباح وان كان مذمومًا فهو مذموم نعم لا يليق ذلك بمناصب الاكابر واهل القدوة لانه في الاكثر يكون عن لهو ولعب وماله صورة اللعب في اعين الناس فينبغي ان يجتنبه المقتدى به كيلا يصغر في اعين الخلق فيترك الاقتداء به واما تخريق الثوب فلا رخصة فيه الا عند خروج الامر عن الاختيار اذ لا يبعد ان يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه او يدري ولكن يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه ويكون صورته صورة المكره اذ يكون له في الحركة والتمزيق متنفس فيضطر اليه اضطرار المريض الى الانين ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع انه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالارادة يقدر الانسان على تركه فالتنفس فعل يحصل بالارادة ولو كلف الانسان نفسه ان يمسك النفس ساعة اضطر من باطنه الى ان يختار التنفس وكذلك الزعقة وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم فقد ذكر عند السري رحمه الله حديث الوجد الحاد الغالب فقال نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري فروجع فيه واستبعد ان ينتهي الى هذا الحد فاصر عليه ولم يرجع معناه انه في بعض الاحوال قد ينتهي الى هذا الحد في بعض الاشخاص **فان قلت** فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فانهم يمزقونها قطعًا صغارًا ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة **فاعلم** ان ذلك مباح اذا قطع خرقًا مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فان الكرباس يمزق حتى يخاط منه القميص ولا يكون ذلك تضييعًا لانه تمزيق لغرض وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن الا بالقطع الصغار وذلك مقصود والتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير مقصود فهو مباح ولكل مالك ان يقطع كرباسه بماية قطعة ويعطيها لماية مسكين ولكن ينبغي ان يكون القطع بحيث يمكن ان ينتفع بها في الرقاع وانما منعنا في السماع التمزيق المفسد للثوب الذي يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعًا به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار **الادب الخامس** موافقة القوم في القيام اذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف او قام باختيار من غير اظهار وجد وقام له الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من آداب الصحبة وكذلك ان جرت عادة طايفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد اذا سقطت عمامته او خلع الثياب اذا سقط عنه ثوبه بالتخريق فالموافقة في هذه الامور من حسن الصحبة والعشرة اذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم ولا بد من مخالقة الناس باخلاقهم كما ورد في الخبر لا سيما اذا كانت اخلاقا فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة وقول القايل ان ذلك بدعة لم يكن في الصحابة فليس كل ما يحكم باباحته منقولًا عن الصحابة وانما المحذور بدعة تراغم سنة مامورًا بها ولم ينقل النهي عن شي من هذا والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب بل كان الصحابة لا يقومون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاحوال كما رواه انس ولكن اذا لم يثبت فيه نهي عام فلا نرى به باسا في البلاد التي جرت العادة فيها باكرام الداخل بالقيام فان القصد منه الاحترام والاكرام وتطييب القلب به فكذلك ساير انواع المساعدة اذا قصد بها طيبة القلب واصطلح عليها جماعة فلا باس بمساعدتهم عليها بل الاحسن المساعدة الا فيما ورد فيه نهي لا يقبل التاويل ومن الادب ان لا يقوم للرقص

مع القوم

مع القوم ان كان يستثقل رقصه ولا يشوش عليهم احوالهم اذ الرقص من غير اظهار التواجد مباح والمتواجد هو الذي يلوح للجمع منه اثر التكلف ومن يقوم عن صدق فلا تستثقله الطباع فقلوب الحاضرين اذا كانوا من ارباب القلوب محك للصدق والتكلف وسيل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال صحته قبول قلوب الحاضرين له اذا كانوا اشكالًا غير اضداد **فان قلت** فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق الى الاوهام ان انه باطل ولهو ومخالف للدين فلا يراه ذو جد في الدين الا وينكره **فاعلم** ان الجد لا يزيد على جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد راى الحبشة يزفنون في المسجد وما انكره لما ان كان في وقت لايق به وهو العيد ومن شخص لايق به وهم الحبشة نعم نفرة الطباع عنه لانه يرى غالبًا مقرونًا باللهو واللعب واللهو واللعب مباح ولكن للعوام وما اشبههم وهو مكروه لذوي المناصب لانه لا يليق بهم وما كره لكونه غير لايق بمنصب ذي المنصب فلا يجوز ان يوصف بالتحريم فمن سال فقيرًا شيا فاعطاه رغيفًا كان ذلك طاعة مستحسنة ولو سال ملكًا فاعطاه رغيفًا او رغيفين كان ذلك منكرًا عند الناس كافة ومكتوبًا في تواريخ الاخبار من جملة مساويه يعير به اعقابه واشياعه ومع هذا فلا يجوز ان يقال ما فعله حرام لانه من حيث انه بالاضافة الى الفقير مستقبح فكذلك الرقص وما يجري مجراه من المباحات ومباحات العوام سيات الابرار وحسنات الابرار سيات المقربين ولكن هذا من حيث الالتفات الى المناصب فاما اذا انظر اليه في نفسه وجب الحكم بانه في نفسه لا تحريم فيه فقد خرج من جملة التفصيل السابق ان السماع قد يكون حرامًا محضًا وقد يكون مباحًا وقد يكون مستحبًا وقد يكون مكروهًا اما الحرام فهو لاكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع منهم الا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة واما المكروه فهو لمن لم ينزله على صورة المخلوقين ولكنه يتخذه عادة له في اكثر الاوقات على سبيل اللهو واما المباح فهو لمن لا حظ له منه الا التلذذ بالصوت الحسن واما المندوب فهو لمن غلب عليه حب الله ولم يحرك السماع منه الا الصفات المحمودة والله اعلم تم كتاب السماع والوجد والحمد لله رب العالمين

كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهو الكتاب التاسع من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي لا يستفتح الكتب الا بحمده ولا يستمنح النعم الا بواسطة كرمه ورفده والصلوة على سيد الانبياء محمد رسوله وعبده وعلى آله الطيبين واصحابه الطاهرين من بعده **اما بعد** فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الاعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين اجمعين ولو طوي بساطه واهمل عمله وعلمه تعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة وانتشر الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد وان لم يشعروا بالهلاك الى يوم التناد وقد كان الذي خفنا ان يكون انا لله وانا اليه راجعون اذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه واستولت على القلوب

مداهنة الخلق وانمحقت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم وعزّ على بساط الارض مؤمن صادق لا يأخذه في الله لومة لائم فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسدّ هذه الثلمة اما متكفلا بعملها او متقلدا لتنفيذها مجددا لهذه السنة الداثرة ناهضا باعبائها ومتشمرا في احيائها كان مستأثرا من بين الخلق باحياء سنة افضى الزمان الى اماتتها ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها وها نحن نشرح علم ذلك في اربعة ابواب الباب الاول في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته الباب الثاني في اركانه وشروطه الباب الثالث في مجاريه وبيان المنكرات المألوفة في العادات الباب الرابع في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

الباب الاول في وجوب الامر بالمعروف وفضيلته والمذمة في اهماله

ويدل على ذلك بعد اجماع الامة عليه واشارات العقول السليمة اليه الآيات والاخبار والآثار **اما الآيات** فقوله تع ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ففي الآية بيان الايجاب فان قوله تع ولتكن امر وظاهر الامر الايجاب وفيها بيان ان الفلاح منوط به اذ حصر وقال واولئك هم المفلحون وفيها بيان انه فرض كفاية لا فرض عين وانه اذا قام به امة سقط الفرض عن الآخرين اذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال ولتكن منكم امة يدعون فاذن مهما قام به واحد او جماعة سقط الحرج عن الآخرين واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين وان تقاعد عنه الخلق اجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة وقال تع ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الايمان بالله واليوم الآخر حتى اضاف اليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال تع والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة فقد نعت المؤمنين بانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فالذي هجر الامر بالمعروف خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية وقال تع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وهذا غاية التشديد اذ علّق استحقاقهم اللعنة بتركهم النهي عن المنكر وقال تع كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذا يدل على فضيلة الامر بالمعروف اذ بين انهم كانوا به خير امة وقال تع فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فبين انهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب ايضا وقال تع الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقرن ذلك بالصلوة والزكوة في نعت الصالحين والمؤمنين وقال تع وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وهذا امر جزم ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الامكان وقال تع لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما

كانوا يصنعون فبين انهم اثموا بترك النهي وقال تع فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد في الارض الآية فبين انه اهلك جميعهم الا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد وقال تع يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وقال تع لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال تع وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الآية والاصلاح نهي عن البغي واعادة الى الطاعة فان لم يفعل فقد امر الله بقتاله فقال فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء وذلك هو النهي عن المنكر **واما الاخبار** فمنها ما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال في خطبة خطبها ايها الناس انكم تقرؤون هذه الآية وتأولونها على خلاف تأويلها يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده وروي عن ابي ثعلبة الخشني انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تع لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال يا ابا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي انتم عليه اجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال لا بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا ولا يجدون عليه اعوانا وسئل ابن مسعود عن تفسير هذه الآية فقال ان هذا ليس زمانها انها اليوم مقبولة ولكن قد اوشك ان يأتي زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم معناه تسقط مهابتهم عن اعين الاشرار فلا يخافونهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تع يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم وقال صلى الله عليه وسلم ما اعمال البر عند الجهاد في سبيل الله الا كنفثة في بحر لجي وما جميع اعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجي وقال عليه السلام ان الله ليسأل العبد ما منعك اذ رأيت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال يا رب وثقت بك وفرقت من الناس وقال عليه السلام اياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بد انما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فاذا ابيتم الا ذلك فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام وامر بالمعروف ونهي عن المنكر وقال صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب العامة بذنوب الخاصة حتى يرى المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه وروى ابو امامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كيف انتم اذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم قالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون

وذلك هو الامر بالمعروف للوالدين والاقربين

قالوا وما اشد منه قال كيف انتم اذا رايتم المعروف منكرا والمنكر معروفا قالوا وكاين ذلك يا رسول الله
قال نعم والذي نفسي بيده واشد منه سيكون قالوا وما اشد منه يا رسول الله قال كيف بكم اذا
امرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف قالوا وكاين ذلك يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده واشد
منه سيكون يقول الله تعالى بي حلفت لاتيحن عليهم فتنة يصير الحليم فيها حيران وعن عكرمة
عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فان
اللعنة تنزل على من حضر حين لم يدفعوا عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فان اللعنة تنزل على
من حضره وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه
لن يقدم اجله ولن يحرمه رزقا هو له وهذا الحديث يدل على انه لا يجوز دخول دور الظلمة و
الفسقة ولا حضور المواضع التي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فانه قال اللعنة تنزل
على من حضر ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذارا بانه عاجز ولهذا اختار جماعة من
السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الاسواق والاعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير وهذا يقتضي
لزوم الهجرة للخلق ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما ساح السواح وخلوا دورهم واموالهم الا
بمثل ما نزل بنا حين راوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس وراوا انه لا يقبل ممن تكلم وراوا الفتن ولم
يامنوا ان يعتريهم وان ينزل العذاب باولئك القوم فلا يسلمون منه فراوا ان مجاورة السباع
واكل البقول خير من مجاورة هولاء في نعيمهم ثم قرا ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين قال نفر قوم
فلولا ما جعل الله جل ثناوه لقلنا ما هم بافضل من هولاء فيما بلغنا ان الملايكة لتلقاهم و
تصافحهم والسحاب والسباع تمر باحدهم فيناديها فتجيبه ويسالها اين امرت فتخبره وليس بنبي
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حضر معصية فكرهها فكانه غاب عنها
ومن غاب عنها فاحبها فكانه حضرها ومعنى الحديث ان يحضر لحاجة او يتفق جريان ذلك بين
يديه فاما الحضور قصدا فممنوع بدليل الحديث الاول وقال ابن مسعود قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله عز وجل نبيا الا وله حواري فيمكث النبي بين اظهرهم ما شاء الله
يعمل فيهم بكتاب الله وبامره حتى اذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبامره و
سنة نبيهم فاذا انقرضوا كان من بعدهم يركبون روس المنابر يقولون ما تعرفون ويعملون ما تنكرون
فاذا رايتم ذلك فحق على كل مومن جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وليس
وراء ذلك اسلام وقال ابن مسعود كان اهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم اربعة نفر ينكرون
ما يعملون فقام احدهم فقال انكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا
يردون عليه ولا يرعوون عن اعمالهم فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل وقال اللهم اني نهيتهم
فعصوني وسببتهم فسبوني وقاتلتهم فغلبوني ثم ذهب فقام الاخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم
فسبوه فاعتزل ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني ولو قاتلتهم
غلبوني ثم قام الثالث فنهاهم ولم يطيعوه فاعتزل عنهم ثم قال اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني
ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم اني لو نهيتهم عصوني

ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم ذهب قال ابن مسعود كان الرابع ادناهم
منزلة وقليل فيكم مثله وقال ابن عباس رضي الله عنه قيل يا رسول الله اتهلك القرية وفيها
الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله عز وجل وقال
جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله تبارك وتعالى الى ملك من الملايكة ان اقلب
مدينة كذا وكذا على اهلها قال فقال يا رب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين فقال اقلبها
عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر في ساعة قط وقالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا عملهم عمل الانبياء قالوا يا رسول الله كيف قال
لم يكونوا يغضبون لله ولا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وعن عروة عن ابيه قال قال موسى
عليه السلام يا رب اي عبادك احب اليك قال الذي يتسرع الى هواي كما يتسرع النسر الى هواه و
الذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالناس والذي يغضب اذا اتيت محارمي
كما يغضب النمر لنفسه فان النمر اذا غضب لنفسه لم يبال اقل الناس ام كثروا وهذا يدل على
فضيلة الحسبة مع شدة الخوف وقال ابو ذر الغفاري قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله
هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا بكر ان لله تبارك وتعالى
مجاهدين في الارض افضل من الشهداء احياء مرزوقون يمشون على الارض يباهي الله بهم ملايكة
السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت ام سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله و
من هم قال هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله قال
والذي نفسي بيده ان العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها
ثلثماية الف باب منها الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب نور وان الرجل منهم ليزوج بثلثماية
الف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت الى واحدة منهن فنظر اليها تقول له اتذكر يوم كذا
وكذا امرت بالمعروف ونهيت عن المنكر كلما التفت الى واحدة منهن ذكرت له مقاما امر فيه
بمعروف ونهى عن منكر وقال ابو عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الشهداء اكرم على الله عز
وجل قال رجل قام الى وال جاير فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فان لم يقتله فان القلم
لا يجري عليه بعد ذلك وان عاش ما عاش وقال الحسن البصري قال رسول الله صلعم افضل شهداء
امتي رجل قام الى امام جاير فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فذلك الشهيد منزلته
في الجنة بين حمزة وجعفر وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول بئس القوم قوم لا يامرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر
واما الاثار فقد قال ابو الدرداء لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم
سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتنتصرون
فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم وسيل حذيفة عن ميت الاحياء فقال الذي لا ينكر المنكر
بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وقال مالك بن دينار كان حبر من احبار بني اسرائيل يغشى منزله الرجال
والنساء يعظهم ويذكرهم بايام الله عز وجل فراى بعض بنيه يوما وقد غمز بعض النساء فقال مهلا

يا بني مهلاً قال وسقط من سريره وانقطع نخاعه واسقطت امراته وقتل بنوه في الجيش فاوحى
الله الى نبي زمانه ان اخبر فلاناً الحبر اني لا اخرج من صلبك صديقاً ابداً اما كان من
غضبك لي الا ان قلت مهلاً يا بني مهلاً وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لان تكون فيهم
جيفة حمار احب اليهم من مومن يامرهم وينهاهم . واوحى الله عز وجل الى يوشع بن نون اني مهلك
من قومك اربعين الفاً من خيارهم وستين الفاً من شرارهم فقال يا رب هولاء الاشرار فما بال
الاخيار قال انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم وقال بلال بن سعد ان المعصية
اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا اعلنت فلم تغير اضرت بالعامة وقال كعب الاحبار
لابي مسلم الخولاني كيف منزلتك في قومك قال حسنة قال كعب ان التورية لتقول غير ذلك قال وما تقول
قال تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال ابو مسلم
صدقت التورية وكذب ابو مسلم وكان عبد الله بن عمر يأتي العمال ثم قعد عنهم فقيل له لو اتيتهم
فلعلهم يجدون في انفسهم قال ارهب ان تكلمت ان يروا ان الذي بي غير الذي بي وان سكت
رهبت ان آثم وهذا يدل على ان من عجز عن الامر بالمعروف فعليه ان يبعد عن ذلك الموضع ويستتر
عنه حتى لا يجري بمشهد منه وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اول ما تغلبون عليه من الجهاد
الجهاد بقلوبكم فاذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل اعلاه اسفله وقال سهل
بن عبد الله ايما عبد عمل في شيء من دينه بما امر به او نهي عنه وتعلق به عند فساد الامور وتنكرها وتشوش
الزمان فهو ممن قام لله في زمانه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر معناه انه اذا لم يقدر الا على نفسه فقام بها
وانكر احوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية في حقه وقيل للفضيل الا تامر وتنهى فقال ان قوما
امروا ونهوا فكفروا وذلك انهم لم يصبروا على ما اصيبوا وقيل للثوري الا تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر
فقال اذا انشق البحر فمن يقدر ان يسكره فقد ظهر بهذه الادلة ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
واجب وان فرضه لا يسقط مع القدرة الا بقيام قائم به فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه

الباب الثاني في اركان الامر بالمعروف وشروطه

اعلم ان الاركان في الحسبة التي هي عبارة
شاملة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر اربعة المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب
فهذه اربعة اركان ولكل واحد منها شروط **الركن الاول** المحتسب وله شروط وهو ان يكون مكلفاً
مسلماً قادراً فيخرج منه المجنون والصبي والكافر ويدخل فيه آحاد الرعايا وان لم يكونوا ماذونين ويدخل
فيه الفاسق والرقيق والمراة فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه اطراح ما اطرحناه **اما الشرط الاول**
وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فان غير المكلف لا يلزمه امر وما ذكرناه اردنا به انه شرط الوجوب
فاما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعي الا العقل حتى ان الصبي المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفاً
فله انكار المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر الملاهي واذا فعل ذلك نال به ثواباً ولم يكن لاحد منعه من حيث
انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من اهلها كالصلوة والامامة فيها وسائر القربات وليس حكمه حكم
الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك اثبتناه للعبد وآحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر
نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان

للصبي ان يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع عن الفسق كالمنع عن الكفر **واما الشرط الثاني** وهو
الايمان فلا يخفى وجه اشتراطه لان هذه نصرة للدين فكيف يكون من اهلها من هو جاحد لاصل
الدين وعدو له **واما الشرط الثالث** وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا ليس للفاسق ان يحتسب
وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يامر بما لا يفعله مثل قوله تع اتامرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم وقوله تع كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وبما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال مررت ليلة اسري بي بقوم كانت تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم قالوا كنا
نامر بالخير ولا ناتيه وننهى عن الشر وناتيه . وبما روي ان الله تع اوحى الى عيسى بن مريم عظ نفسك فان
اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني . وربما استدلوا من طريق القياس بان هداية الغير
فرع للاهتداء فكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة والاصلاح زكوة عن نصاب الصلاح فمن ليس
بصالح في نفسه كيف يصلح غيره ومتى يستقيم الظل والعود اعوج فكل ما ذكروه خيالات وانما
الحق ان للفاسق ان يحتسب وبرهانه هو ان نقول هل يشترط في الاحتساب ان يكون
متعاطيه معصوماً عن المعاصي كلها فان اشترط ذلك فهو خرق للاجماع ثم حسم لباب الاحتساب
اذ لا عصمة للصحابة فضلاً عمن دونهم والانبياء قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن دال على
نسبة آدم الى المعصية وكذا جماعة من الانبياء ولهذا قال سعيد بن جبير ان لم يامر بالمعروف ولم
ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شيء لم يامر احد بشيء فاعجب مالكاً ذلك من سعيد بن جبير وان زعموا ان
ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز للابس الحرير ان يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول وهل لشارب
الخمر ان يغزو الكفار ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر فان قالوا لا خرقوا الاجماع اذ جنود المسلمين لم
تزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الايتام ولم يمنعوا من الغزو لا في عصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا بعده فان قالوا نعم فنقول شارب الخمر هل له المنع من القتل ام لا فان قالوا
لا قلنا فما الفرق بينه وبين لابس الحرير اذ جاز له المنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة الى الشرب
كالشرب بالنسبة الى لبس الحرير فلا فرق وان قالوا نعم وفصلوا الامر فيه بان كل مقدم على شيء لا يمنع عن
مثله ولا عما دونه ولا يمنع عما فوقه فهذا تحكم فانه كما لا يبعد ان يمنع الشارب من الزنا والقتل
فمن اين يبعد ان يمنع الزاني عن الشرب بل من اين يبعد ان يشرب ويمنع غلمانه وخدمه من الشرب
ويقول يجب علي الانتهاء والنهي فمن اين يلزمني بالعصيان في احدهما ان اعصي الله بالثاني واذا كان
النهي واجباً علي فمن اين يجب سقوطه بالاقدام اذ يستحيل ان يقال يجب النهي عن شرب الخمر على من
لم يشرب فاذا شرب سقط عنه النهي **فان قيل** فيلزم على هذا ان يقول القائل الواجب علي
الوضوء والصلوة فانا اتوضأ وان لم اصل واتسحر وان لم اصم لان المستحب لي السحور والصوم جميعاً
ولكن يقال احدهما مرتب على الآخر فكذا تقويم الغير مرتب على تقويم نفسه فليبدأ بنفسه ثم بمن يعول
فالجواب ان التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحباً وما يراد لغيره لا ينفك
عن ذلك الغير واصلاح الغير لا يراد لاصلاح النفس ولا اصلاح النفس لاصلاح الغير فالقول بترتب
احدهما على الآخر تحكم واما الوضوء والصلوة فهو لازم فلا جرم من توضأ ولم يصل كان موديا لامر

الوضوء وكان عقابه اقل ممن ترك الوضوء والصلوة جميعا فليكن من ترك النهي والانتهاء اكثر
عقابا ممن نهي ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلوة بل لا حكم له دون الصلوة فاما
الحسبة فليس شرطا في الانتهاء والايتمار فلا مشابهة بينهما فان قيل فيلزم على هذا ان يقال
اذا زنى الرجل بامراة وهي مكرهة مستورة الوجه وكشفت وجهها باختيارها فاخذ الرجل يحتسب
في اثناء الزنا ويقول انت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير محرم وما انا محرم لك
فاستري وجهك فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستبشعه كل طبع سليم فالجواب
ان الحق قد يكون شنيعا وان الباطل قد يكون مستحسنا بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الاوهام
والخيالات فانا نقول قوله لها في تلك الحالة لا تكشفي وجهك واجب او مباح او حرام فان قلتم انه واجب
فهو الغرض لان الكشف معصية والنهي عن المعصية حق وان قلتم مباح فاذن له ان يقول ما هو مباح
فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة وان قلتم انه حرام فنقول كان هذا واجبا فمن اين حرم باقدامه على
الزنا ومن الغريب ان يصير الواجب حراما بسبب ارتكاب حرام آخر واما نفرة الطباع عنه و
استنكارها فهو لسببين احدهما انه ترك الاهم واشتغل بما هو مهم وكما ان الطباع تنفر عن ترك
المهم الى ما لا يعني فتنفر ايضا عن ترك الاهم والاشتغال بالمهم كما تنفر عمن يتحرج عن تناول طعام
مغصوب وهو مواظب على الربوا وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة ويشهد بالزور لان الشهادة
بالزور اشد وافحش من الغيبة التي هي اخبار عن كاين يصدق فيه المخبر وهذا الاستبعاد في النفوس ثم
لا يدل على ان ترك الغيبة ليس بواجب وانه لو اغتاب او اكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته فكذلك
ضرره في الآخرة من معصيته اكثر من ضرره من معصية غيره فاشتغاله بالاقل عن الاكثر مستنكر
بالطبع من حيث انه ترك الاكثر لا من حيث انه اتى بالاقل فمن غصب فرسه ولجام فرسه فاشتغل
بطلب اللجام وترك الفرس نفرت عنه الطباع وترى مسيئا وما صدر منه غير طلب اللجام وهو غير
منكر ولكن المنكر تركه لطلب الفرس بطلب اللجام فاشتد الانكار عليه لتركه الاهم بما دونه فكذلك حسبة
الفاسق تستبعد من هذا الوجه وهذا لا يدل على ان حسبته من حيث انها حسبة مستنكرة ه
السبب الثاني ان الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا يتعظ
اولا ونحن نقول من علم ان قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ
اذ لا فائدة في وعظه فالفسق يؤثر في اسقاط فائدة كلامه ثم اذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب
الكلام فاما اذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر ان يكون بالفعل والحجة جميعا فاذا
كان فاسقا فان قهر بالفعل فقد قهر بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال فانت لم تقدم عليه فتنفر
الطباع عن قهره بالفعل مع كونه مقهورا بالحجة وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقا كما ان من يذب
الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل اباه وهو مظلوم معه تنفر الطبع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن
كونه حقا فخرج من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ واذا لم يكن
عليه ذلك وعلم انه يفضي الى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فنقول ليس له ذلك ايضا فرجع الكلام الى
ان احد نوعي الاحتساب وهو الوعظ فقد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه واما

الحسبة

الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حجر على الفاسق في اراقة الخمور وكسر الملاهي وغيرها اذا
قدر عليه وهذا غاية الانصاف والكشف في المسئلة واما الآيات التي استدلوا بها فهو انكار
عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث امرهم ولكن امرهم دل على قوة علمهم وعقاب العالم اشد لانه لا
عذر له مع قوة علمه وقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون المراد به الوعد الكاذب وقوله وتنسون انفسكم
انكار من حيث انهم نسوا انفسهم لا من حيث انهم امروا غيرهم ولكن ذكر امر الغير استدلالا به على علمهم و
تاكيدا للحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عظ نفسك الحديث في الحسبة بالوعظ وقد سلمنا ان وعظ الفاسق
ساقط الجدوى عمن يعرف فسقه ثم قوله فاستحي مني لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحي
مني فلا تترك الاهم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ اباك ثم جارك والا فاستحي فان قيل فليجز
للكافر الذمي ان يحتسب على المسلم اذا رآه يزني لان منعه من ذلك حق في نفسه فمحال ان يكون حراما
عليه بل ينبغي ان يكون مباحا او واجبا قلنا الكافر ان منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع
من حيث انه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا واما مجرد قوله لا تزن فليس بمحرم عليه
من حيث انه نهي عن الزنا ولكن من حيث انه اظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه اذلال للمحتكم عليه و
الفاسق يستحق الاذلال ولكن لا من الكافر الذي هو اولى بالذل منه فهذا وجه منعنا اياه من الحسبة
والا فلسنا نقول ان الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث انه نهي بل نقول اذا لم يقل لا تزن
يعاقب عليه ان راينا خطاب الكافر بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات وليس
يليق بغرضنا الآن الشرط الرابع كونه ماذونا من جهة الامام والوالي فقد شرط قوم هذا الشرط
ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الآيات والاخبار التي رويناها
تدل على ان كل من راى منكرا فسكت عليه عصى اينما راه وكيف ما راه على العموم فالتخصيص بشرط
التفويض من الامام تحكم لا اصل له والعجب ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف
ما لم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم وهؤلاء اخس رتبة من ان يكلموا بل جوابهم ان يقال
لهم اذا جاءوا الى القضاة طالبين لحقوقهم في دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج
حقوقكم من يد من ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهي عن الظلم
وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج فان قيل في الامر بالمعروف سلطنة وولاية واحتكام على
المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا فينبغي ان لا يثبت لآحاد الرعية الا بتفويض
من الوالي وصاحب الامر فنقول اما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل
لا يستحق ان ينال عز التحكم على المسلم واما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما
فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يحوج الى التفويض كعز التعليم والتعريف اذ لا خلاف في ان تعريف
التحريم والايجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر بجهله لا يحتاج الى اذن الوالي وفيه عز الارشاد وعلى
المعرف ذل التجهيل وذلك يكفي فيه مجرد الدين فكذلك النهي وشرح القول في هذا ان الحسبة لها
خمس مراتب كما سياتي بيانه الاولى التعريف والثانية الوعظ بالكلام اللطيف والثالثة السب والتعنيف
ولست اعني بالسب الفحش بل ان يقول يا جاهل يا احمق الا تخاف من الله وما يجري هذا المجرى والرابعة

المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهي واراقة الخمر واختطاف الثوب الحرير من راسه واستلاب الثوب
المغصوب منه ورده على صاحبه والخامسة التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضرب له حتى
يمتنع عما هو عليه كالمواظب على الغيبة والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت
بالضرب وهذا قد يحوج الى الاستعانة وجمع اعوان من الجانبين ويجر ذلك الى القتال وسائر المراتب
لا يخفى وجه استغنائها عن اذن الامام الا المرتبة الخامسة فان فيها نظرا سياتي بيانه اما التعريف
والوعظ فكيف يحتاج الى اذن الامام واما التجهيل والتحميق والنسبة الى الفسق وقلة الخوف من
الله وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل افضل الدرجات كلمة حق عند سلطان جائر
كما ورد في الحديث فاذا جاز الحكم على الامام على مراغمته فكيف يحتاج الى اذنه وكذلك كسر الملاهي والمنع
من شرب الخمر فانه تعاطي ما يعرف كونه حقا من غير اجتهاد فلم يفتقر الى الامام فاما جمع الاعوان وشهر
الاسلحة فكذلك قد يجر الى فتنة عامة ففيه نظر سياتي واستمرار عادات السلف على الحسبة على
الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من امر بمعروف فان كان الوالي راضيا به فذلك
وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه في الانكار عليه ويدل
على ذلك عادة السلف في الانكار على الائمة كما روي ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلوة في العيد
فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلوة فقال مروان ترك ذاك يا فلان فقال ابو سعيد اما
هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من راى منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذاك اضعف الايمان فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول
السلاطين تحتها فكيف يحتاج الى اذنهم ، وروي ان المهدي لما قدم مكة لبث ما شاء الله فلما اخذ
في الطواف نحى الناس فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال انظر ما تصنع من جعلك
بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد حتى اذا صار عنده حلت بينه وبينه من جعل لك هذا فنظر
في وجهه وكان يعرفه لانه من مواليهم فقال اعبد الله بن مرزوق قال نعم فاخذ فجيء به الى بغداد فكره
ان يعاقبه عقوبة يشنع عليه بها في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا
اليه فرسا عضوضا سيئ الخلق ليعقره الفرس فلين الله له الفرس قال ثم صيره الى بيت واخذ المهدي
المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان ياكل البقل فاوذن به المهدي فقال له من اخرجك
قال الذي حبسني فضج المهدي وصاح وقال اما تخاف ان اقتلك فرفع عبد الله اليه راسه يضحك
وهو يقول لو كنت تملك موتا او حيوة فما زال محبوسا حتى مات المهدي ثم خلوا عنه ورجع الى مكة
قال وكان قد جعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من ايديهم ان ينحر مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى
نحرها ، وروي عن حبان بن عبد الله قال تنزه هرون الرشيد بالدوين ومعه رجل من بني هاشم وهو
سليمن بن ابي جعفر فقال هرون الرشيد قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها قال فجاءت
فغنت فلم تحمد غناءها فقال لها ما شانك قالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئها بعودها قال
فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال الطريق يا شيخ فرفع الشيخ راسه فراى العود فاخذه
فضرب به الارض فاخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فانه طلبة امير المومنين

فقال

فقال له صاحب الربع ليس ببغداد اعبد من هذا فكيف يكون طلبة امير المومنين فقال له اسمع
ما اقول لك ثم دخل على هرون فقال اني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع راسه
فراى العود فاخذه فضرب به الارض فاستشاط هرون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمن
بن ابي جعفر ما هذا الغضب يا امير المومنين ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمي به في
دجلة قال لا ولكن نبعث اليه ونناظره اولا فجاء الرسول فقال اجب امير المومنين قال
نعم قال اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقيل لهرون قد جاء الشيخ فقال للندماء
اي شيء ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ او نقوم الى مجلس آخر فقالوا
نقوم الى مجلس آخر اصلح فقاموا صفرة الى مجلس ليس فيه منكر ثم امر بالشيخ فادخل وفي كمه
الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم اخرج هذا وادخل على امير المومنين فقال من هذا عشائي
الليلة قال نحن نعشيك قال لا حاجة لي في عشائك فقال له هرون اي شيء تريد منه فقال في كمه
نوى قلت له اطرحه وادخل على امير المومنين فقال دعه لا يطرحه قال فدخل فسلم وجلس فقال
له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت قال واي شيء صنعت وجعل يستحي هرون ان يقول
كسرت عودنا فلما اكثر عليه قال اني سمعت اباءك واجدادك يقرؤون هذه الاية على المنبر ان
الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر ورايت منكرا فغيرته
فقال فغيره فوالله ما قال الا هذا فلما خرج اعطى رجلا بدرة فقال اتبع الشيخ فان رايته
يقول قلت لامير المومنين وقال لي امير المومنين فلا تعطه شيئا وان رايته لا يكلم احدا فاعطه
البدرة فلما خرج من القصر اذا هو بنواة في الارض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم احدا فقال
له يقول لك امير المومنين خذ هذه البدرة فقال قل لامير المومنين يردها من حيث اخذها وروي
انه اقبل بعد فراغه من كلامه على النواة يعالج قلعها من الارض وهو يقول ، ارى الدنيا لمن هي
في يديه ، هموما كلما كثرت لديه ، تهين المكرمين لها بصغر ، وتكرم كل من هانت عليه ، اذا
استغنيت عن شيء فدعه ، وخذ ما انت محتاج اليه ، ويروى عن سفين قال حج المهدي سنة
ست وستين ومائة فرايته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون يمينا وشمالا بالسياط فوقفت
وقلت يا حسن الوجه حدثنا ايمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله الكلابي قال رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يرمي الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا اليك اليك وها انت يخبط
الناس بين يديك يمينا وشمالا فقال لرجل من هذا قال سفين الثوري فقال يا سفين لو كان المنصور
ما احتملك على هذا فقلت لو اخبرك المنصور بما لقي لاقصرت عما انت فيه قال فقيل له انه قال
لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا امير المومنين فقال اطلبوه فطلب سفين فاختفى ، وقد روي عن المامون
انه بلغه ان رجلا محتسبا يمشي في الناس يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن ماذونا من
عنده بذلك فامر بان يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له بلغني انك رايت نفسك اهلا للامر بالمعروف
من غير ان نامرك وكان المامون جالسا على كرسي ينظر في كتاب او قصة فاغفله فوقع منه فصار
تحت قدمه من حيث لا يشعر فقال المحتسب ارفع قدمك عن اسماء الله تعالى ثم قل ما شئت فلم يفهم

المامون مراده فقال لماذا تقول حتى اعاده ثلثا فلم يفهم فقال اما رفعت او اذنت لي حتى
ارفع فقال قد اذنت فنظر المامون تحت قدمه فراى الكتاب فاخذه وقبله وخجل ثم عاد وقال لم
تامر بالمعروف وقد جعل الله ذلك الينا اهل البيت ونحن الذين قال الله عز وجل فيهم الذين ان مكناهم
في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقال صدقت يا امير المومنين
انت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكين غير انا اعوانك واولياؤك فيه لا ينكر ذلك الا من جهل كتاب
الله وسنة نبيه قال الله تعالى والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا وقد مكنت في
الارض وهذا كتاب الله وسنة رسوله فان انقدت لهما شكرت لمن اعانك بحق منهما وان استكبرت
عنهما ولم تنقد لما لزمك منهما فان الذي اليه امرك وبيده عزك وذلك قد شرط انه لا يضيع اجر من
احسن عملا فقل الان ما شئت فاعجب المامون بكلامه وسربه وقال مثلك يجوز له ان يامر بالمعروف
فامض على ما كنت عليه بامرنا وعن راينا فاستمر الرجل على ذلك ففي سياق هذه الحكايات بيان
الدليل على الاستغناء عن الاذن **فان قلت** افتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على
السيد والزوجة على الزوج والتلميذ على الاستاذ والرعية على الوالي مطلقا كما تثبت للوالد على الولد
والسيد على العبد والزوج على الزوجة والاستاذ على التلميذ والسلطان على الرعية او بينهما فرق
في التفاصيل ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد **فنقول** قد رتبنا للحسبة خمس مراتب
وللولد الحسبة بالرتبتين الاوليين وهو التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف وليس له الحسبة بالسب
والتهديد والتعنيف ولا بمباشرة الضرب وهما الرتبتان الاخيرتان وهل له الحسبة بالرتبة
الثالثة حيث يؤدي الى اذى الوالد وسخطه هذا فيه نظر وهو بان يكسر مثلا عوده ويريق خمره ويحل
الخيوط من ثيابه المنسوجة من الحرير ويرد الى الملاك ما يجده في بيته من المال الحرام الذي غصبه او
سرقه او اخذه عن ادرار ورزق من ضريبة المسلمين اذا كان صاحبه متعينا ويبطل الصور المنقوشة
على حيطانه والمنقورة في خشب بيته ويكسر اواني الذهب والفضة فان فعله في هذه الامور ليس
يتعلق بذات الاب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتاذى به ويسخط بسببه الا ان فعل الولد حق وسخط الاب منشاه حبه للباطل والحرام والاظهر في القياس انه يثبت للولد ذلك بل يلزمه ان يفعل ذلك
ولا يبعد ان ينظر فيه الى قبح المنكر والى مقدار الاذى والسخط فان كان المنكر فاحشا وسخطه عليه
قريبا كاراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر وان كان المنكر قريبا والسخط شديدا كما لو
كانت له انية من بلور او زجاج على صورة حيوان وفي كسرها خسران مال كثير فهذا مما يشتد الغضب
فيه وليس تجري هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر **فان قيل** ومن اين قلتم ليس له
الحسبة بالتعنيف والضرب والارهاق الى ترك الباطل والامر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاما
من غير تخصيص واما النهي عن التافيف والايذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات
فنقول قد ورد في حق الاب على الخصوص ما يوجب الاستثناء عن العموم اذ لا خلاف في ان
الجلاد ليس له ان يقتل اباه حدا ولا له ان يباشر اقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل ابيه الكافر بل لو قطع

يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له ان يوذيه في مقابلته وقد ورد في ذلك اخبار وثبت بعضها بالاجماع
فاذا لم يجز له ايذاؤه بعقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز له ايذاؤه بعقوبة هي منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل اولى وهذا الترتيب ايضا
ينبغي ان يجري في العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الولد في لزوم الحق وان كان
ملك اليمين اكد من ملك النكاح لكن في الخبر انه لو جاز السجود لمخلوق لامرت المراة بالسجود لبعلها
وهذا يدل على تاكد الحق ايضا واما الرعية مع السلطان فالامر فيها اشد من الوالد فليس لها معه
الا التعريف والنصح **فاما الرتبة الثالثة** ففيها نظر من حيث ان الهجوم على اخذ الاموال من خزانته
وردها الى الملاك وتحليل الخيوط من ثياب الحرير واراقة الخمور من بيته تكاد تفضي الى خرق هيبته و
اسقاط حشمته وذلك محذور ورد النهي عنه كما ورد النهي عن السكوت عن المنكر فقد تعارض فيه
محذوران والامر فيه موكول الى اجتهاد منشاه النظر في تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته
بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه واما التلميذ والاستاذ فالامر فيما بينهما اخف لان المحترم
هو الاستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله ان يعامله بموجب علمه
الذي تعلمه منه. وروي انه سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده فقال يعظه ما لم يغضب
فان غضب سكت عنه **الشرط الخامس** كونه قادرا ولا يخفى ان العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه
اذ كل من احب الله يكره معاصيه وينكرها قال ابن مسعود جاهدوا الكفار بايديكم فان
لم تستطيعوا الا ان تكفهروا في وجوههم فافعلوا **واعلم** انه لا يتوقف سقوط الوجوب
على العجز الحسي بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك في معنى العجز وكذلك اذا لم يخف مكروها
ولكن علم ان انكاره لا ينفع فليلتفت الى معنيين احدهما عدم افادة الانكار امتناعا والاخر خوف
مكروه ويحصل من اعتبار المعنيين اربعة احوال احدها ان يجتمع المعنيان بان يعلم انه لا ينفع كلامه
ويضرب ان تكلم فلا تجب عليه الحسبة بل ربما تحرم في بعض المواضع نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر
ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة او واجبة ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة
الا اذا كان يرهق الى الفساد ويحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فيلزمه الهجرة ان قدر عليها
فان الاكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الهرب من الاكراه. **الحالة الثانية** ان ينتفي المعنيان
جميعا بان يعلم ان المنكر يترك بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الانكار وهذه هي القدرة
المطلقة **الحالة الثالثة** ان يعلم انه لا يفيد انكاره لكنه لا يخاف مكروها فلا تجب الحسبة لعدم فائدتها
ولكن يستحب لاظهار شعائر الاسلام وتذكير الناس بامر الدين **الحالة الرابعة** عكس هذه وهو
ان يعلم انه يصاب بمكروه ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر ان يرمي زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها
ويريق الخمر ويضرب العود الذي في يده ضربة مختطفة فيكسرها في الحال ويتعطل عليه هذا المنكر و
لكن يعلم انه يرجع اليه فيضرب راسه فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب ويدل عليه الخبر
الذي اوردناه في فضل كلمة حق عند امام جائر ولا شك في ان ذلك مظنة الخوف ويدل عليه ما
روي عن ابي سليمن الداراني انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان انكر عليه وعلمت اني اقتل
ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملا من الناس فخشيت ان يعتريني التزين للخلق فاقتل من غير اخلاص

في الفعل **فان قيل** فما معنى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة **قلنا** لا خلاف في ان المسلم
الواحد له ان يهجم على صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالفة لموجب
الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة في طاعة الله عز وجل اي
من لم يفعل ذلك فقد اهلك نفسه وقال البراء بن عازب التهلكة هو ان يذنب الذنب ثم يقول
لا يتاب علي وقال ابو عبيدة هو ان يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك واذا جاز ان يقاتل الكفار
حتى يقتل جاز ايضا ذلك في الحسبة ولكن لو علم انه لا نكاية لهجومه على الكفار كالاعمى يطرح نفسه على
الصف او العاجز فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة وانما جاز له الاقدام اذا علم انه يقتل الى ان
يقتل او علم انه يكسر قلوب الكفار لمشاهدتهم جراته واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم
للشهادة في سبيل الله فيكسر بذلك شوكتهم فكذلك يجوز للمحتسب بل يستحب له ان يعرض نفسه للضرب و
القتل اذا كان لحسبته تاثير في دفع المنكرات او في كسر جاه الفاسق او في تقوية قلوب اهل الدين فاما
ان راى فاسقا متغلبا وحده وعنده سيف وبيده قدح وعلم انه لو انكر عليه لشرب القدح وضرب
رقبته فهذا مما لا ارى للحسبة فيه وجها وهو عين الاهلاك فان المطلوب ان يؤثر في الدين اثرا ويفديه
بنفسه فاما تعريض النفس للهلاك من غير اثر فلا وجه له في الدين بل ينبغي ان يكون هذا حراما وانما
يستحب له الانكار اذا قدر على ابطال المنكر او ظهر لفعله فائدة وذلك بشرط ان تقتصر المكروه عليه
فان علم انه يضرب معه غيره من اصحابه او اقاربه او رفقائه فلا يجوز له الحسبة بل يحرم لانه عجز عن دفع
المنكر الا بان يفضي ذلك الى منكر آخر وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم انه لو احتسب لبطل ذلك
المنكر ولكن كان ذلك سببا لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الانكار على الاظهر لان
المقصود عدم مناكير الشرع مطلقا لا من زيد او عمرو وذلك بان يكون مثلا مع الانسان شراب حلال
نجس بسبب وقوع نجاسة فيه وعلم انه لو اراقه لشرب صاحبه الخمر او شرب اولاده الخمر لاعوازهم الشراب الحلال
فلا معنى لاراقة ذلك ويحتمل ان يقال انه يريق ذلك فيكون هو مبطلا لمنكر واما شرب الآخر
فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر وقد ذهب الى هذا ذاهبون وليس
ببعيد فان هذه مسائل فقهية لا يمكن فيها الحكم الا بظن ولا يبعد ان يفرق بين درجات المنكر
المغير والمنكر الذي تفضي اليه الحسبة والتغيير فانه اذا كان يذبح شاة لغيره لياكلها وعلم انه لو
منعه من ذلك لذبح انسانا واكله فلا معنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح انسان او قطع طرفه
يحمله على اخذ ماله فذلك له وجه فهذه دقائق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده
في ذلك كله ولهذه الدقائق نقول العامي ينبغي ان لا يحتسب الا في الجليات المعلومة كشرب الخمر والزنا
وترك الصلوة فاما ما يعلم كونه معصية بالاضافة الى ما يطيف به من الافعال ويفتقر فيه الى اجتهاد
فالعامي ان خاض فيه كان ما يفسده اكثر مما يصلحه وعن هذا يتاكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة
الا بتعيين الوالي اذ ربما ينتدب لها من ليس اهلا لها لقصور معرفته او قصور ديانته فيؤدي الى وجوه
من الخلل وسياتي كشف الغطاء عن ذلك ان شاء الله **فان قيل** وحيث اطلقتم العلم بعلمه
بانه يصيبه مكروه او انه لا يفيد حسبته فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه **قلنا** الظن الغالب

في هذه الابواب في معنى العلم وانما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم او ترجح العلم اليقيني على الظن
ويفرق بين الظن والعلم في موضع آخر وهو انه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعا انه لا يفيد
فان كان غالب ظنه انه لا يفيد ولكن يحتمل انه يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروها فقد اختلفوا في
وجوبه والاظهر وجوبه اذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة وعمومات الامر بالمعروف تقتضي الوجوب
بكل حال ونحن انما نستثني عنه بطريق التخصيص ما اذا علم انه لا فائدة فيه اما بالاجماع او بقياس
ظاهر وهو ان الامر ليس يراد لعينه بل للمامور فاذا علم الياس عنه فلا فائدة فيه فاما اذا لم يكن
ياس فينبغي ان لا يسقط الوجوب **فان قيل** فالمكروه الذي يتوقع اصابته ان لم يكن متيقنا
ولا معلوما بغالب الظن ولكن كان مشكوكا فيه او كان غالب ظنه انه لا يصاب بمكروه لكن احتمل ان
يصاب بمكروه فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب الا عند التيقن بانه لا يصيبه مكروه
ام يجب في كل حال الا اذا غلب على ظنه انه يصاب بمكروه **قلنا** ان غلب على الظن انه يصاب
لم يجب وان غلب انه لا يصاب وجب ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب فان ذلك ممكن في كل حسبة
وان شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر فيحتمل ان يقال الاصل الوجوب بحكم العمومات و
انما يسقط بمكروه والمكروه هو الذي يظن او يعلم حتى يكون متوقعا وهذا هو الاظهر ويحتمل ان
يقال انه انما يجب عليه اذا علم انه لا ضرر عليه او ظن انه لا ضرر عليه والاول اصح نظرا الى قضية العمومات
الموجبة للامر بالمعروف **فان قيل** فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجراة والجبان الضعيف القلب
يرى البعيد قريبا حتى كانه يشاهده ويرتاع منه والمتهور الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ما
جبل عليه من حسن الامل حتى انه لا يصدق به الا بعد وقوعه فعلى ماذا التعويل **قلنا** التعويل على
اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج فان الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوة
وتفريط والتهور افراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما الكمال في
الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة وكل واحد من الجبن والتهور يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة
عن خلل في المزاج بتفريط او افراط فان من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجراة فقد لا يتفطن لمدارك
الشر فيكون سبب جراته جهله وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون
عالما بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشر ودوافعه ولكن يعمل الشر البعيد في تخديله وتحليل قوته في
الاقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات الى
الطرفين وعلى الجبان ان يتكلف ازالة الجبن بازالة علته وعلته جهل او ضعف ويزول الجهل بالتجربة
ويزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفا حتى يصير معتادا اذ المبتدي في المناظرة والوعظ
مثلا قد يجبن عنه طبعه لضعفه فاذا مارس واعتاد فارقه الضعف فان صار ذلك ضروريا غير
قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض
في التقاعد عن بعض الواجبات ولذلك قد نقول لا يجب ركوب البحر لاجل حجة الاسلام على من
يغلب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا يعظم خوفه منه فكذلك الامر في وجوب الحسبة **فان قيل**
فالمكروه المتوقع ما حده فان الانسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه

في حقه بالغيبة وما من شخص يؤمر بالمعروف الا ويتوقع منه نوع من الاذى فقد يكون منه ان يكره
السعاية الى سلطان او ان يقدح فيه في مجلس من يتضرر بقدحه فما حد المكروه الذي يسقط الوجوب
به قلنا هذا ايضا نظر غامض وصوره منتشرة ومجاريه كثيرة ولكنا نجتهد في ضم نشره
وحصر اقسامه فنقول المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع الى اربعة امور اما
في النفس فالعلم واما في البدن فالصحة والسلامة واما في المال فالثروة واما في قلوب الناس
فقيام الجاه فاذن المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه ومعنى الجاه ملك القلوب كما ان معنى الثروة
ملك الدراهم لان قلوب الناس وسيلة الى الاغراض كما ان ملك الدراهم وسيلة وسياتي تحقيق معنى
الجاه وسبب ميل الطبع اليه في ربع المهلكات وكل واحد من هذه الاربعة يطلبها الانسان لنفسه ولاقاربه
والمختصين به ويكره في هذه الاربعة امران احدهما زوال ما هو حاصل موجود والاخر امتناع ما هو
منتظر مفقود اعني اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر في فوات حاصل وزواله ان تعوق منتظر فان
المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كانه حاصل وفوات امكانه كانه فوات حصوله
فرجع المكروه الى قسمين احدهما خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي ان يكون مرخصا في ترك
الامر بالمعروف اصلا ولنذكر مثاله في المطالب الاربعة اما العلم فمثاله تركه الحسبة على من
يختص باستاذه خوفا من ان يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه واما الصحة فتركه الانكار على الطبيب
الذي يدخل عليه مثلا وهو لابس حرير خوفا من ان يتاخر عنه فيمتنع بسببه صحته المنتظرة واما
المال فتركه الحسبة على السلطان واصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة ان يقطع ادراره في
المستقبل ويترك مواساته واما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها في المستقبل
خيفة من ان لا يحصل له الجاه او خيفة من ان يقبح حاله عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية
وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة فان هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات
ضررا مجاز وانما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى عن هذا شيء الا ما يتحقق اليه الحاجة ويكون في
فواته محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر كما اذا كان محتاجا الى الطبيب لمرض ناجز والصحة
منتظرة من معالجة الطبيب ويعلم ان في تاخر شدة الضنى وطول المرض وقد يفضي الى الموت و
اعني بالعلم الظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال الماء والعدول الى التيمم فاذا انتهى الى هذا الحد لم
يبعد ان يرخص في ترك الحسبة واما العلم فمثل ان يكون جاهلا بمهمات دينه ولم يجد الا معلما
واحدا او علم ان المحتسب عليه قادر على ان يسد عليه طريق الوصول اليه لكون العالم مطيعا له
او مستمعا لقوله فاذن الصبر على الجهل بمهمات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور ولا يبعد ان
يترجح احدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة الى العلم لتعلقه بمهمات الدين و
واما في المال فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى
شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه وافتقر في تحصيله الى طلب ادرار حرام او مات جوعا فهذا
ايضا اذا اشتد الامر فيه لم يبعد ان يرخص له في السكوت واما الجاه فهو ان يؤذيه شرير و
لا يجد سبيلا الى دفع شره الا بجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل اليه الا بواسطة

اليقين

شخص يلبس الحرير او يشرب الخمر ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول
الجاه ويدوم بسببه اذى الشرير فهذه كلها اذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها ولكن
الامر فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه ويزن احد المحذورين بالاخر ويرجح
بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع فان رجح بموجب الدين يسمى سكوته مداراة وان رجح بموجب
الهوى يسمى سكوته مداهنة وهو امر باطن لا يطلع عليه الا بنظر دقيق ولكن الناقد بصير فحق كل
متدين في هذا ان يراقب قلبه ويعلم ان الله يطلع على باعثه وصارفه انه الدين او الهوى وستجد
كل نفس ما عملت من خير او شر محضرا عند الله ولو في فلتة خاطر او لفتة ناظر من غير ظلم ولا جور
فما الله بظلام للعبيد • اما القسم الثاني وهو فوات الحاصل فهو مكروه معتبر في جواز السكوت
في الامور الاربعة الا العلم فان فواته غير مخوف الا بتقصير منه والا فلا يقدر احد على سلب
العلم من غيره وان قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال وهذا احد اسباب شرف
العلم فانه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الاخرة فلا انقطاع له ابد الاباد واما الصحة والسلامة
ففواتهما بالضرب فكل من علم انه يضرب ضربا مؤلما يتاذى به في الحسبة لم تلزمه الحسبة وان
كان يستحب له ذلك كما سبق فاذا فهم هذا بالايلام بالضرب فهو في الجرح والقطع والقتل اظهر
واما الثروة فهو بان يعلم بانه تنهب داره ويخرب بيته ويسلب ثيابه فهذا ايضا يسقط عنه
الوجوب ويبقى الاستحباب اذ لا باس بان يفدي دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب و
النهب حد في القلة لا يكترث به كالحبة في المال واللطمة الخفيف المها في الضرب وحد في الكثرة
يتيقن اعتبارهما ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد وعلى المتدين ان يجتهد فيه ويرجح جانب
الدين ما امكن واما الجاه ففواته بان يضرب ضربا غير مؤلم او يسب على ملا من الناس او يطرح
منديله في رقبته ويدار به في البلد او يسود وجهه ويطاف به وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن
وهو قادح في الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب ان يقسم الى ما يعبر عنه بسقوط
المروة كالطواف به في البلد حاسرا حافيا فهذا يرخص في السكوت لان المروة مامور بحفظها في
الشرع وهذا مؤلم للقلب الما يزيد على الم ضربات معدودة وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه
درجة الثانية ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة فان الخروج في ثياب فاخرة تجمل وكذا
الركوب للخيول فلو علم انه لو احتسب كلف المشي في السوق في ثياب لا يعتاد هو مثلها او كلف
المشي راجلا وعادته الركوب فهذا من جملة المزايا وليس المواظبة على حفظها محمودة وحفظ
المروة محمود فلا ينبغي ان يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا العذر وفي معنى هذا ما لو خاف ان
يتعرض له باللسان اما في حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة الى الرياء والنفاق واما في غيبته بانواع الغيبة
فهذا لا يسقط الوجوب اذ ليس فيه الا زوال فضلات الجاه التي ليس اليها كثير حاجة ولو تركت
الحسبة بلوم لائم او باغتياب فاسق او شتمه وتعنيفه او سقوط المنزلة عن قلبه وقلب امثاله لم
يكن للحسبة وجوب اصلا اذ لا ينفك الحسبة عن ذلك الا اذا كان المنكر هو الغيبة وعلم انه لو انكر
لم يسكت عن المغتاب ولكن اضافه اليه وادخله معه في الغيبة فتحرم هذه الحسبة لانها سبب لزيادة

المعصية وان علم ان يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه لان غيبته ايضا معصية في
حق المغتاب ولكن يستحب له ذلك يفدي عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الايثار وقد دلت
العمومات على تاكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يقابله الا ما عظم في الدين
خطره والمال والنفس والمروة قد ظهر في الشرع خطرها فاما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل
وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له واما امتناعه لخوف شيء من هذه المكاره في حق اولاده و
اقاربه فهو في حقه دونه لان تاذيه بامر نفسه اشد من تاذيه بامر غيره ومن وجه الدين هو فوقه لان
له ان يسامح في حقوق نفسه وليس له المسامحة في حق غيره فاذن ينبغي ان يمتنع فانه ان كان ما يفوت
من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة لانه دفع منكر يفضي الى
منكر وان كان يفوت لا بطريق المعصية فهو ايذاء المسلم ايضا وليس له ذلك الا برضاهم فاذا كان يؤدي
الى اذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له اقارب اغنياء فانه لا يخاف على ماله ان احتسب على
السلطان ولكنه يقصد اقاربه انتقاما منه بواسطتهم فاذا كان يتعدى الاذى من حسبته الى
اقاربه وجيرانه فليتركها فان ايذاء المسلمين محذور كما ان السكوت على المنكر محذور نعم ان كان
لا ينالهم اذى في مال ونفس ولكن ينالهم الاذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الامر بدرجات المنكرات
في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض فان قيل فلو قصد الانسان
قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه الا بقتال ربما يؤدي الى قتله فهل نقاتله عليه فان قلتم نقاتله
فهو محال لانه اهلاك نفس خوفا من هلاك طرف وفي اهلاك النفس اهلاك الطرف ايضا قلنا
نمنعه عنه ونقاتله اذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكرات والمعاصي و
قتله في الحسبة ليس بمعصية وقطع طرف نفسه معصية وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما ياتي عليه
قتله فانه جائز لا على معنى انا نفدي درهما من مال مسلم بروح مسلم فان ذلك محال ولكن قصده لاخذ
مال المسلمين معصية وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية وانما المقصود دفع المعاصي فان قيل
فلو علمنا انه لو خلا بنفسه قطع طرف نفسه فينبغي ان نقتله في الحال حسما لباب المعصية قلنا
ذلك لا نعلم يقينا ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ولكنا اذا رايناه في حال مباشرة القطع دفعناه
فان قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما ياتي على روحه فاذن المعصية لها ثلاثة احوال احدها ان
تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها حد او تعزير وهو الى الولاة لا الى الاحاد الثانية ان
تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وامساكه العود والخمر فابطال هذه
المعصية واجب بكل ما يمكن ما لم يؤد الى معصية افحش منها او مثلها وذلك يثبت للاحاد والرعية
الثالثة ان يكون المنكر متوقعا كالذي يستعد بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر
وبعد لم يحضر الخمر فهذا مشكوك فيه اذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للاحاد سلطنة على العازم على
الشرب الا بطريق الوعظ والنصح فاما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للاحاد ولا للسلطان الا
اذا كانت تلك المعصية معلومة منه بالعادة المستمرة وقد اقدم على السبب الذي يؤدي اليه
ولم يبق لحصول المعصية الا ما ليس له فيه الا الانتظار وذلك كوقوف الاحداث على ابواب حمامات

النساء

النساء للنظر اليهن عند الدخول والخروج فانهم وان لم يضيقوا الطريق لسعته فيجوز الحسبة عليهم
باقامتهم من الموضع ومنعهم من الوقوف بالتعنيف والضرب وكان تحقيق هذا اذا بحث عنه
يرجع الى ان هذا الوقوف في نفسه معصية وان كان مقصود العاصي وراءه كما ان الخلوة في
نفسها معصية لانها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعني بالمظنة
ما يتعرض الانسان به لوقوع المعصية غالبا بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها فاذن هو على التحقيق
حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظرة الركن الثاني للحسبة ما فيه الحسبة وهو كل منكر
موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد فهذه اربعة شروط
فلنبحث عنها الاول كونه منكرا ونعني به كونه محذور الوقوع في الشرع وعدلنا من لفظ المعصية
الى هذا لان المنكر اعم من المعصية اذ من راى صبيا او مجنونا يشرب الخمر فعليه ان يريق خمره
ويمنعه وكذا من راى مجنونا يزني بمجنونة او بهيمة فعليه ان يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش
صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر في خلوة وجب المنع منه وهذا لا
يسمى معصية في حق المجنون اذ معصية لا عاصي بها محال فلفظ المنكر ادل عليه واعم من لفظ المعصية
وقد ادرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر بل كشف العورة في الحمام و
الخلوة بالاجنبية واتباع النظر للنسوة الاجنبيات كل ذلك من الصغائر ويجب النهي عنها وفي
الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سياتي في كتاب التوبة . الشرط الثاني ان يكون موجودا في الحال
وهو احتراز عن الحسبة على من فرغ عن شرب الخمر فان ذلك ليس الى الاحاد بعد انقراض المنكر و
احتراز عما سيوجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة الحال انه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه
الا بالوعظ وان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق
في قوله وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو ان الخلوة بالاجنبية
معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه . الشرط الثالث ان
يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسس فكل من ستر معصية في داره واغلق بابه لا يجوز ان يتجسس
عليه فقد نهى الله تعالى عنه وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة وقد اوردناها في كتاب اداب
الصحبة وكذلك ما روي ان عمر تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال يا امير المؤمنين
ان كنت قد عصيت الله من وجه فقد عصيته من ثلاثة اوجه فقال وما هي فقال قد قال الله تعالى ولا
تجسسوا وقد تجسست وقال واتوا البيوت من ابوابها وقد تسورت من السطح وقال لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها وما سلمت فتركه عمر رضي الله عنه وشرط عليه التوبة
وكذلك شاور عمر الصحابة رضي الله عنهم وهو على المنبر وسالهم عن الامام اذا شاهد منكرا بنفسه واشار
فهل له اقامة الحد واشار علي كرم الله وجهه بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد وقد اوردنا
هذه الاخبار في باب حق المسلم من كتاب آداب الصحبة فلا نعيدها فان قلت فما حد الظهور و
الاستتار فاعلم ان من اغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير اذنه لتعرف
المعصية الا ان تظهر في الدار ظهورا يعرفه من هو خارج الدار كاصوات المزامير والاوتار اذا

بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وكذلك اذا ارتفعت
اصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعه اهل الشوارع فهذا اظهار موجب للحسبة
فاذن انما يدرك مع تخلل الحيطان صوت او رائحة فاذا فاحت رائحة الخمر فان احتمل ان يكون ذلك
من الخمور المحترمة فلا يجوز قصدها بالاراقة وان علم بقرينة الحال انها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل
والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي فاذا رئي
فاسق وتحت ذيله شيء لم يجز ان يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة فان فسقه لا يدل على ان الذي
معه خمر اذ الفاسق ايضا يحتاج الى الخل وغيره ولا يجوز ان يستدل باخفائه وانه لو كان خلا لما اخفاه
لان الاغراض في الاخفاء مما يكثر وان كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر والظاهر ان له الاحتساب
لان هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في امثال هذه الامور وكذلك العود ربما يعرف بشكله اذا كان
الثوب الساتر له رقيقا فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور
بل هو مكشوف وقد امرنا بان نستر ما ستره الله وننكر على من ابدى لنا صفحته والابداء له درجات
فتارة يبدو لنا بحاسة السمع وتارة بحاسة الشم وتارة بحاسة اللمس ولا يمكن ان يخص ذلك
بحاسة البصر بل المراد العلم وهذه الحواس ايضا تفيد العلم فاذن انما يجوز ان يكسر ما تحت الثوب اذا
علم انه خمر وليس له ان يقول ارني لاعلم ما فيه فان هذا تجسس ومعنى التجسس طلب الامارات المعرفة
فالامارة المعرفة ان حصلت واورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فاما طلب الامارة المعرفة فلا
رخصة فيه اصلا **الشرط الرابع** ان يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو في محل
الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي ان ينكر على الشافعي اكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعي
ان ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الارحام وجلوسه في دار اخذها
بشفعة الجوار الى غير ذلك من مجاري الاجتهاد نعم لو رأى الشافعي شافعيا يشرب النبيذ وينكح بلا ولي
ويطأ زوجته فهذا في محل النظر والاظهر ان له الحسبة والانكار اذ لم يذهب احد من المحصلين الى
ان المجتهد يجوز له ان يعمل بموجب اجتهاد غيره فينتقد من المذاهب اطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع
مقلده في كل تفصيل فاذن مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا انه
يلزم من هذا امر اغمض منه وهو انه يجوز للحنفي ان يعترض على الشافعي اذا نكح بغير ولي بان يقول له
الفعل في نفسه حق ولكن في حقك فانت مبطل بالاقدام عليه مع اعتقادك ان الصواب مذهب
الشافعي ومخالفة ما هو الصواب عندك معصية في حقك وان لم يكن صوابا عند الله وكذلك الشافعي
يحتسب على الحنفي اذا شاركه في اكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول اما ان تعتقد ان الشافعي
اولى بالاتباع ثم تقدم عليه او لا تقدم عليه على خلاف معتقدك ثم ينجر هذا الى امر آخر في المحسوسات و
هو ان يجامع الاصم مثلا امرأة على قصد الزنا وعلم المحتسب ان هذه امرأته زوجه اياها ابوه في صغره
ولكنه ليس يدري ويعجز عن تعريفه ذلك لصممه او لكونه غير عالم بلغته فهو في الاقدام مع اعتقاده انها
اجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الآخرة فينبغي ان يمنعه منه مع انها زوجته وهو بعيد من
حيث انه حلال في علم الله قريب من حيث انه حرام عليه بحكم غلطه وجهله ولا شك في انه لو علق طلاق

زوجته على صفة في قلب المحتسب من مشيئة او غضب او غيره وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن
تعريف الزوجين ذلك ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فاذا رآه يجامعها فعليه المنع اعني باللسان
لان ذلك زنى الا ان الزاني غير عالم به والمحتسب عالم بانها طلقت منه ثلاثا وكونهما غير عاصيين
لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكرا ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون وقد بينا
انه يمنع منه فاذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وان لم يكن منكرا عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر
الجهل فيلزم من عكس هذا ان يقال ما ليس بمنكر عند الله وانما هو منكر عند الفاعل لجهله لا يمنع منه
وهذا هو الاظهر والعلم عند الله فتحصل من هذا ان الحنفي لا يعترض على الشافعي في النكاح بلا ولي
وان الشافعي يعترض على الشافعي فيه لكونه منكرا باتفاق المحتسب والمحتسب عليه
وهذه مسائل فقهية دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة وانما افتينا فيه بحسب ما ترجح
عندنا في الحال ولسنا نقطع بخطأ المخالف فيها ان رأى رأيه لا يجري الاحتساب الا في معلوم
على القطع وقد ذهب اليه ذاهبون وقالوا لا حسبة الا في مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه
حراما ولكن الاشبه عندنا ان الاجتهاد يؤثر في حق المجتهد اذ يبعد غاية البعد ان يجتهد في
القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده في جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع عنه لاجل ظن
غيره اذ ربما يظن غيره ان الاستدبار هو الصواب ورأي من يرى انه يجوز لكل مقلد ان يختار
من المذاهب ما اراد غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب اليه اصلا فهذا مذهب لا يثبت وان
ثبت فلا يعتد به **فان قلت** اذا كان لا يعترض على الحنفي في النكاح بلا ولي لانه يرى انه حق
فينبغي ان لا يعترض على المعتزلي في قوله ان الله لا يرى ولا في قوله ان الخير من الله والشر ليس من الله وفي قوله
كلام الله مخلوق ولا على الحشوي في قوله ان الله تعالى جسم وله صورة وانه مستقر على العرش بل لا ينبغي
ان يعترض على الفلسفي في قوله الاجساد لا تبعث وانما تبعث النفوس لان هؤلاء ايضا ادى
اجتهادهم الى ما قالوه وهم يظنون ان ذلك هو الحق فان قلت بطلان مذهب هؤلاء ظاهر
فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح ايضا ظاهر وكما ثبت بظواهر النصوص ان الله يرى
والمعتزلي ينكره بالتأويل فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفي كمسألة النكاح
بلا ولي ومسألة شفعة الجوار ونظائرها **فاعلم** ان المسائل تنقسم الى ما يتصور ان يقال فيها كل
مجتهد مصيب وهي احكام الافعال في الحل والحرمة وذلك هو الذي لا يعترض على المجتهدين فيه اذ لا
يعلم خطؤهم قطعا بل ظنا والى ما لا يتصور ان يكون المصيب فيه الا واحدا كمسألة الرؤية والقدر و
قدم الكلام ونفي الصورة والجسمية والاستقرار عن الله تعالى فهذا مما يعلم خطأ المخطئ فيه قطعا فلا يبقى
لخطائه الذي هو جهل محض عبرة فاذن البدع كلها ينبغي ان تحسم ابوابها وينكر على المبتدعين بدعهم وان اعتقدوا
انها الحق كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وان كانوا يعتقدون ان ذلك حق لان خطأهم معلوم على
القطع بخلاف الخطأ في مظان الاجتهاد **فان قلت** فمهما اعترضت على القدري في قوله الشر ليس من
الله اعترض عليك القدري ايضا في قولك الشر من الله وكذلك في قولك ان الله يرى وفي سائر المسائل
اذ المبتدع محق عند نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع وكل يدعي انه محق وينكر كونه مبتدعا فكيف يتم

الاحتساب **فاعلم** انا لاجل هذا التعارض نقول ينظر الى البلدة التى اظهرت فيها تلك البدعة
فان كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلد الحسبة عليه بغير اذن السلطان وان انقسم اهل البلد
الى اهل البدعة واهل السنة وكان في الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للآحاد الحسبة فى
المذاهب الا بنصب السلطان فاذا راى السلطان الراى الحق فنصره واذن لواحد ان يزجر المبتدعة
عن اظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره فان ما يكون باذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة
الآحاد فيتقابل الامر فيه وعلى الجملة فالحسبة فى البدعة اهم من الحسبة في كل المنكرات ولكن ينبغى ان يراعى
فيها هذا التفصيل الذي ذكرناه كيلا يتقابل الامر فيه ولا ينجر الى تحريك الفتنة بل لو اذن السلطان مطلقا
في منع كل من يصرح بان القرآن مخلوق وان الله لا يرى او انه مستقر على العرش مماس له او غير ذلك من
البدع تسلط الآحاد على المنع منه ولم يتقابل الامر فيه وانما يتقابل عند عدم اذن السلطان فقط

الركن الثالث المحتسب عليه وشرطه ان يكون بصفة يصير الفعل الممنوع فى حقه منكرا
ولعل يكفي في ذلك ان يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ بينا ان الصبي لو شرب الخمر منع منه
واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا اذ بينا ان المجنون لو كان يزني بمجنونة
او ياتي بهيمة وجب منعه منه نعم من الافعال ما لا يكون منكرا فى حق المجنون كترك الصلوة والصوم وغيره
ولكنا لسنا نلتفت الى الاختلاف التفاصيل فان ذلك ايضا مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض و
الصحيح وغرضنا الاشارة الى الصفة التي يتهيا للتفاصيل **فان قلت** فاكتف بكونه حيوانا ولا
تشترط كونه انسانا فان البهيمة لو كانت تفسد زرعا لانسان لكنا نمنعها كما نمنع المجنون من الزنا
واتيان البهيمة **فاعلم** ان تسمية ذلك حسبة لا وجه له اذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله وكذا
منع الصبي عن شرب الخمر والانسان اذا اتلف زرع غيره منع منه لحقين احدهما حق الله تعالى فان فعله
معصية والثاني حق المتلف عليه فهما علتان تنفصل احديهما عن الاخرى فلو قطع طرف غيره باذنه
فقد وجدت المعصية وسقط حق المجني عليه باذنه فتثبت الحسبة والمنع باحدى العلتين والبهيمة
اذا اتلفت فقد عدمت المعصية ولكن يثبت المنع باحدى العلتين ولكن فيه دقيقة وهو انا لسنا
نقصد باخراج البهيمة منع البهيمة بل حفظ مال المسلم اذ البهيمة لو اكلت ميتة او شربت من اناء فيه
خمر او ماء مشوب بخمر لم نمنعها منه بل يجوز اطعام كلاب الصيد الجيف والميتات ولكن مال المسلم
اذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظا للمال بل لو وقعت جرة
لانسان من علو وتحتها قارورة لغيره فندفع الجرة لحفظ القارورة لا لمنع الجرة من السقوط فانا
لا نقصد منع الجرة وحراستها من ان تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنا واتيان البهيمة و
شرب الخمر وكذا الصبي لا صيانة بالبهيمة المأتية والخمر المشروب بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر و
تنزيها له من حيث انه انسان محترم فهذه لطايف دقيقة لا يتفطن لها الا المحققون فلا ينبغى
ان يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر اذ قد يتردد فى منعهما من لبس الحرير وغير ذلك
وسنتعرض لما نشير اليه في الباب الثالث **فان قلت** فكل من راى بهايم قد استرسلت في
زرع انسان فهل يجب عليه اخراجها وكل من راى مالا لمسلم اشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه

فان

فان قلتم ان ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي الى ان يصير الانسان مسخرا لغيره طول عمره و
ان قلتم لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير
فنقول هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه ان نقول مهما قدر على حفظه عن الضياع
من غير ان يناله تعب فى بدنه او خسران فى ماله او نقص فى جاهه وجب عليه ذلك فذلك القدر واجب
فى حقوق المسلم بل هو اقل درجات الحقوق والادلة الموجبة لحقوق المسلم كثيرة وهذا اقل
درجاتها وهو اولى بالايجاب من رد السلام بل لا خلاف فى ان مال الانسان اذا كان يضيع
بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق اليه وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة ففي
معنى ترك الشهادة كل فعل لا ضرر على الدافع فيه فاما ان كان عليه تعب وضرر فى مال او جاه لم
يلزمه ذلك لان حقه مرعي فى منفعة بدنه وفى ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه ان يفدي بنفسه نعم
الايثار مستحب وتجشم المتاعب لاجل المسلمين قربة فاما ايجابه ذلك فلا فاذن ان كان يتعب
باخراج البهايم عن الزرع لم يلزمه السعي فى ذلك ولكن اذا كان لا يتعب بتنبيه صاحب الزرع من
نومه او باعلامه لزمه ذلك فاهمال التعريف والتنبيه كاهمال تعريف القاضي بالشهادة وذلك لا
رخصة فيه ولا يمكن ان يراعى فيه الاقل والاكثر حتى يقال ان كان لا يضيع من منفعته فى مدة
اشتغاله باخراج البهايم الا قدر درهم مثلا وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيترجح جانبه لان
الدرهم الذي له هو يستحق حفظه صاحب الالف بحفظ الالف فلا سبيل للمصير الى ذلك فاما
اذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغصب او قتل عبد مملوك للغير فهذا يجب المنع فيه و
ان كان فيه تعب ما لان المقصود حق الشرع والغرض دفع المعصية وعلى الانسان ان يتعب نفسه
فى دفع المعاصي كما عليه ان يتعب نفسه فى ترك المعاصي والمعاصي كلها فى تركها تعب وانما
الطاعة كلها ترجع الى مخالفة النفس وهو غاية التعب ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه ما
ذكرناه من درجات المحذورات التي يخافها المحتسب وقد اختلف الفقهاء فى مسئلتين تقرب
من غرضنا احديهما ان الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضايع والملتقط مانع من الضياع
وساع فى الحفظ والحق فيه عندنا ان يفصل ويقال ان كانت اللقطة فى موضع لو تركها فيه لم تضع
بل يلتقطها من يعرفها او يترك كما لو كان فى مسجد او رباط يتعين من يدخله وكلهم امناء فلا
يلزمه الالتقاط وان كان فى مضيعة نظر فان كان عليه تعب فى حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج
الى علف واصطبل فلا يلزمه ذلك لانه انما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه انسانا محترما
والملتقط ايضا انسان وله حق فى ان لا يتعب لاجل غيره كما لا يتعب غيره لاجله وان كان ذهبا
او ثوبا او شيئا لا ضرر عليه فيه الا مجرد ضرر التعريف فهذا ينبغى ان يكون فى محل الوجهين فقايل
يقول التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل الى الزامه ذلك الا ان يتبرع فيلتزم طلبا
للثواب وقايل يقول ان هذا القدر من التعب مستصغر بالاضافة الى مراعاة حقوق المسلمين
وينزل هذا منزلة تعب الشاهد فى حضور مجلس الحكم فانه لا يلزمه السفر الى بلدة اخرى الا ان يتبرع
به واذا كان مجلس القاضي فى جواره لزمه الحضور وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعبا فى غرض

غيره ص

اقامة الشهادة واداء الامانة وان كان في الطرف الاخر من البلد واحوج الحضور في الهاجرة وعند
شدة الحر فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر فاذن الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير
له طرف في القلة لا يشك في انه لا يبالي به وطرف في الكثرة لا يشك في انه لا يبالي به وطرف في الكثرة
لا يشك في انه لا يبالي به وطرف في الكثرة لا يشك في انه لا يلزم احتماله ووسط يجاذبه الطرفان و
يكون ابدا في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات المزمنة التي ليس في مقدور البشر ازالتها
اذ لا علة تفرقة بين اجزائها المتقاربة لكن المتقي ينظر فيه لنفسه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه فهذا
غاية الكشف عن هذا الاصل **الركن الرابع نفس الاحتساب** وله درجات وآداب **اما
الدرجات** فاولها التعرف ثم التعريف ثم النهي ثم الوعظ والنصح ثم السب والتعنيف ثم التغيير
باليد ثم التهديد بالضرب ثم ايقاع الضرب وتحقيقه ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالاعوان
وجمع الجنود **اما الدرجة الاولى** وهو التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه و
هو التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي ان يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الاوتار ولا ان يستنشق
ليدرك رائحة الخمر ولا ان يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار ولا ان يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري
في داره نعم لو اخبره عدلان ابتداء من غير استخبار بان فلانا يشرب الخمر في داره او بان في داره
خمرا اعده للشرب فله اذ ذاك ان يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان ويكون تخطي ملكه بالدخول
للتوصل الى دفع المنكر ككسر راسه بالضرب للمنع مهما احتاج اليه وان اخبره عدلان او عدل واحد
وبالجملة كل من تقبل روايته دون شهادته ففي جواز الهجوم على داره بقولهم نظر واحتمال والاولى
ان يمتنع لان له حقا في ان لا يدخل الى داره بغير اذنه ولا يسقط حق المسلم عما ثبت عليه حقه الا بشاهدين
فهذا اولى ما يجعل مردا فيه وقد قيل انه كان نقش خاتم لقمان عليه السلم الستر لما عاينت احسن
من اذاعة ما ظننت **الدرجة الثانية** التعريف فان المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله واذا
عرف انه منكر تركه كالسوادي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم ان ذلك لجهله بان هذه ليست بصلوة
ولو رضي ان لا يكون مصليا لترك اصل الصلوة فيجب تعريفه باللطف من غير تعنيف وذلك لان في ضمن
التعريف نسبة الى الجهل والحمق والتجهيل ايذاء وقلما يرضى الانسان بان ينسب الى الجهل بالامور لا سيما
بالشرع ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب اذا نبه على الخطا والجهل وكيف يجتهد في
مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من ان تنكشف عورة جهله فالطباع احرص على ستر عورة الجهل منها على
ستر العورة الحقيقية لان الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوءتين
يرجع الى صورة البدن والنفس اشرف من البدن وقبحها اشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لانه
خلقة ولم يدخل تحت اختياره حصوله ولا في اختياره ازالته وتبديله بحسن العلم فكذلك يعظم تألم الانسان
بظهور جهله ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره واذا كان التعريف كشفا
للعورة مؤذيا للقلب فلا بد وان يعالج دفع اذاه بلطف الرفق فيقول له ان الانسان لا يولد
عالما ولقد كنا ايضا جاهلين بامور الصلوة فعلمنا العلماء ولعل قريتك خالية عن اهل العلم
او عالمها مقصر في شرح الصلوة وايضاحها انما شرط الصلوة الطمأنينة في الركوع والسجود

فهكذا

فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير ايذاء فان ايذاء المسلم حرام محذور كما ان تقريره على المنكر محذور
وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم او بالبول ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل
عنه محذور الايذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق واما اذا وقفت
على خطا في غير امر الدين فلا ينبغي ان ترده عليه فانه يستفيد منك علما ويصير لك عدوا الا اذا
علمت انه يغتنم العلم وذلك عزيز جدا **الدرجة الثالثة** النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله وذلك
فيمن يقدم على الامر وهو عالم بكونه منكرا او فيمن اصر عليه بعد ان عرف كونه منكرا كالذي يواظب على الشرب
او على الظلم او على اغتياب المسلمين او ما يجري مجراه فينبغي ان يوعظ ويخوف بالله تع ويورد عليه الاخبار
الواردة بالوعيد في ذلك ويحكى له سيرة السلف وعادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من
غير عنف وغضب بل ينظر اليه نظر المترحم عليه ويرى اقدامه على المعصية مصيبة على نفسه اذ
المسلمون كنفس واحدة وههنا آفة عظيمة ينبغي ان يتوقاها فانها مهلكة وهو ان العالم يرى
عند التعريف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل فربما يقصد بالتعريف الادلال واظهار التمييز
بشرف العلم واذلال صاحبه بالنسبة الى خسة الجهل فان كان الباعث هذا فهذا المنكر اقبح في نفسه
من المنكر الذي يعترض عليه ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار باحراق
نفسه وهو غاية الجهل وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يتدلى بحبله كل انسان
الا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته فان في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة
من وجهين احدهما من جهة دلالة العلم والثاني من جهة دلالة الاحتكام والسلطنة وذلك يرجع
الى الرياء بطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية الى الشرك الخفي وله محك ومعيار ينبغي ان
يمتحن به المحتسب نفسه وهو ان يكون امتناع ذلك الانسان عن المنكر بنفسه او باحتساب غيره احب
اليه من امتناعه باحتسابه فان كانت الحسبة عليه شاقة ثقيلة على نفسه وهو يود ان يكفى
بغيره فليحتسب فان باعثه هو الدين وان كان اتعاظ ذلك العاصي بوعظه وانزجاره بزجره احب
اليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو الا متبع هوى نفسه ومتوسل الى اظهار جاه نفسه بواسطة
حسبته فليتق الله تع وليحتسب اولا على نفسه وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى عليه السلم
يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقيل لداود الطائي
ارايت رجلا دخل على هؤلاء الامراء فامرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر قال اخاف عليه السوط
قيل له انه يقوى عليه قال اخاف عليه السيف قال انه يقوى عليه قال اخاف عليه الداء الدفين العجب
الدرجة الرابعة السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن وذلك يعدل اليه عند العجز عن
المنع باللطف وظهور مبادي الاصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح وذلك مثل قول ابرهيم صلى الله عليه
اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون ولسنا نعني بالسب الفحش بما فيه نسبة الى الزنا و
مقدماته ولا الى الكذب بل ان يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله يا فاسق يا احمق
يا جاهل الا تخاف الله وكقوله يا سوادي يا غبي وما يجري هذا المجرى فان كل فاسق فهو احمق وجاهل
ولولا حمقه لما عصى الله تع بل كل من ليس بكيس فهو احمق والكيس من شهد له رسول الله صلى الله عليه

سلم بالكياسة حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله وهذه الرتبة ادبان احدهما ان لا يقدم عليه الا عند الضرورة والعجز عن اللطف
الثاني ان لا ينطق الا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج اليه بل
يقتصر على قدر الحاجة فان علم ان خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره فلا ينبغي ان يطلقه
بل يقتصر على اظهار الغضب والاستحقار له والازراء بمحله لاجل المعصية وان علم انه لو تكلم ضرب
ولو اكفهر واظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الانكار بالقلب بل يلزمه ان يقطب
وجهه ويظهر الانكار له الدرجة الخامسة التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي واراقة الخمر وخلع الحرير
عن راسه وبدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير واخراجه من الدار
المغصوبة بالجر برجله واخراجه من المسجد اذا كان جالسا وهو جنب وما يجري مجراه ويتصور ذلك
في بعض المعاصي دون بعض فاما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها وكذلك
كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة وفي هذه الدرجة ادبان احدهما ان لا
يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك فان امكنه ان يكلفه المشي في الخروج عن
الارض المغصوبة والمسجد فلا ينبغي ان يباشر ذلك بنفسه فان في الوقوف على حد الكسر نوع عسر
فاذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفي الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله والثاني ان يقتصر في
طريق التغيير على القدر المحتاج اليه وهو ان لا ياخذ بلحيته في الاخراج ولا برجله اذا قدر على جره
بيده فان زيادة الاذى فيه مستغنى عنه وان لا يمزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط ولا يحرق
الملاهي والصليب الذي اظهره النصارى بل يبطل صلاحيتهما للفساد بالكسر وحد الكسر ان يصير
الى حال يحتاج في استئناف اصلاحه الى تعب يساوي تعب الاستئناف من الخشب ابتداء وفي
اراقة الخمور يتوقى كسر الاواني ان وجد اليه سبيلا فان لم يقدر عليها الا بان يرمي ظروفها
بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر اذ صار حائلا بينه وبين الوصول
الى الخمر ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالضرب والجرح لنتوصل الى اراقة الخمر فاذن لا
تزيد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الرؤوس ولو اشتغل
باراقتها طال الزمان وادركه الفساق ومنعوه فله كسرها فهذا عذر وان كان لا يحذر ظفر
الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع فيه زمانه ويتعطل عليه اشغاله فله كسرها فليس عليه ان يضيع
منفعة بدنه وغرضه من اشغاله لاجل ظروف الخمر وحيث تكون الاراقة متيسرة بلا كسر فاذا كسر لزمه
الضمان فان قلت فهلا جاز الكسر لاجل الزجر وهلا جاز الجر بالرجل في الاخراج عن الارض المغصوبة
ليكون ابلغ في الزجر فاعلم ان الزجر انما يكون عن المستقبل والعقوبة تكون عن الماضي والدفع عن الحاضر
الراهن وليس الى آحاد الرعية الا الدفع وهو اعدام المنكر فما زاد على قدر اعدام المنكر فهو اما
عقوبة على جريمة سابقة او زجر عن لاحق وذلك الى الولاة لا الى الرعية نعم الوالي له ان يفعل ذلك اذا راى
المصلحة فيه واقول له ان يامر بكسر الظروف التي فيها الخمور زجرا وقد فعل ذلك في زمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم تاكيدا للزجر ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة الى الزجر والفطام شديدة فاذا

رأي الوالي باجتهاده مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك وان كان هذا منوطا بنوع اجتهاد دقيق
لم يكن ذلك لآحاد الرعية فان قلت فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي باتلاف اموالهم وتخريب
دورهم التي فيها يشربون ويعصون واحراق اموالهم التي بها يتوصلون الى المعاصي فاعلم ان
ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجا عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع فيها وكسر ظروف
الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخا بل الحكم يزول بزوال
العلة ويعود بعودها فانما جوزنا ذلك للامام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد الرعية منه لخفاء وجه
الاجتهاد فيه بل نقول لو اريقت الخمور اولا فلا يجوز كسر الاواني بعدها وانما جاز كسرها تبعا للخمر
فاذا خلت عنها فهو اتلاف مال الا ان تكون ضارية بالخمر لا تصلح الا لها فكان الفعل المنقول عن العصر
الاول كان مقرونا بمعنيين احدهما شدة الحاجة الى الزجر والآخر تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها
وهما معنيان مؤثران لا سبيل الى حذفهما ومعنى ثالث وهو صدوره عن راي صاحب الامر لعلمه
بشدة الحاجة الى الزجر وهو ايضا مؤثر فلا سبيل الى الغائه فهذه تصرفات دقيقة فقهية يحتاج المحتسب
لا محالة الى معرفتها الدرجة السادسة التهديد والتخويف كقوله دع عنك هذا او لاكسرن راسك او
لاضربن رقبتك او لآمرن بك وما اشبهه وهذا ينبغي ان يقدم على تحقيق الضرب اذا امكن تقديمه
والادب في هذه الرتبة ان لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله لانهبن دارك او لاضربن
ولدك او لاسبين زوجتك وما يجري مجراه بل ان قال ذلك عن عزم فهو حرام وان قاله من غير عزم فهو
كذب نعم اذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه الى حد معلوم يقتضيه الحال
وله ان يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه في الباطن اذا علم ان ذلك يقمعه ويردعه وليس ذلك من الكذب
المحذور بل المبالغة في مثل ذلك معتاد وهو في معنى مبالغة الرجل في اصلاحه بين شخصين وتاليفه
بين الضرتين وذلك مما قد رخص فيه للحاجة وهذا في معناه فان القصد به اصلاح ذلك الشخص
والى هذا المعنى اشار بعض الناس الى انه لا يقبح من الله ان يتوعد بما لا يفعل لان الخلف في الوعيد
كرم وانما يقبح ان يعد بما لا يفعل وهذا غير مرضي عندنا فان الكلام القديم لا يتطرق اليه الخلف
وعدا كان او وعيدا وانما يتصور هذا في حق العباد وهو كذلك اذ الخلف في الوعيد ليس بحرام الدرجة
السابعة مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح وذلك جائز بشرط
الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع فاذا اندفع المنكر فينبغي ان يكف والقاضي قد يرهق
من ثبت عليه الحق الى الاداء بالحبس فان اصر المحبوس وعلم القاضي قدرته على اداء الحق وكونه معاندا
فله ان يلزمه الاداء بالضرب على التدريج كما يحتاج اليه وكذلك المحتسب يراعي التدريج فان احتاج
الى شهر سلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهره وبالجرح فله ان يتعاطى ذلك كما لو قبض فاسق
مثلا على امراة او كان يضرب بمزمار معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل او جدار مانع فياخذ قوسه
ويقول له خل عنها او لارمينك فان لم يخل عنها فله ان يرميه وينبغي ان لا يقصد المقتل بل
الساق والفخذ وما اشبهه ويراعي فيه التدريج وكذلك يسل السيف ويقول اترك هذا المنكر او
لاضربنك فكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في ذلك بين ما يتعلق بخاص

حق الله تعالى وكما يتعلق بالآدميين وقالت المعتزلة ما لا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه الا
بالكلام او بالضرب ولكن للامام لا للآحاد **الدرجة الثامنة** ان لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه
الى اعوان يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق ايضا باعوانه ويؤدي الى ان يتقابل الصفان
ويتقاتلا فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه الى اذن الامام فقال قائلون لا يستقل آحاد الرعية
بذلك لانه يؤدي الى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد وقال آخرون لا يحتاج الى
الاذن وهو الاقيس لانه اذا جاز للآحاد الامر بالمعروف واوائل درجاته تجر الى ثوان وقد ينتهي
لا محالة الى التضارب والتضارب يدعو الى التعاون فلا ينبغي ان يبالي بلوازم الامر بالمعروف
ومنتهاه تجنيد الجنود في رضى الله تعالى ودفع معاصيه ونحن نجوز للآحاد من الغزاة ان يجتمعوا و
يقاتلوا من ارادوا من فرق الكفار قمعا لاهل الكفر فكذلك قمع اهل الفساد جائز لان الكافر لا
بأس بقتله والمسلم ان قتل فهو شهيد فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا بأس بقتله والمحتسب
المحق ان قتل مظلوما فهو شهيد وعلى الجملة فانتهاء الامر الى هذا من النوادر في الحسبة فلا يغير به
قانون القياس بل يقال كل من قدر على دفع منكر فله ان يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه وباعوانه
فالمسئلة اذن محتملة كما ذكرناه هذه درجات الاحتساب فلنذكر آدابها

بيان آداب المحتسب قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات ونذكر الآن جملها ومصادرها
فنقول جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب العلم والورع وحسن الخلق
اما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه والورع
ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف في الحسبة وزائد على
الحد المأذون شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض وليكون كلامه ووعظه مقبولا فان
الفاسق يهزأ به اذا احتسب ويورث ذلك جرأة واما حسن الخلق فليتمكن من اللطف والرفق
وهو اصل الباب واساسه والعلم والورع لا يكفيان فيه فان الغضب اذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع
في قمعه ما لم يكن في الطبع قبول له بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن الخلق و
القدرة على ضبط الشهوة والغضب وبه يصبر المحتسب على ما اصابه في دين الله تعالى والا يشتغل
بنفسه بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة
من القربات وبها تندفع المنكرات وان فقدت لم يندفع المنكر وربما كانت الحسبة ايضا
منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها ودلت على هذه الآداب قوله عليه السلام لا يأمر بالمعروف ولا ينهى
عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه
فيما ينهى عنه وهذا يدل على انه لا يشترط ان يكون فقيها مطلقا بل فيما يأمر به وينهى عنه وكذا
الحلم وقال الحسن البصري اذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن من آخذ الناس به والا هلكت
وقد قيل لا تلم المرء على فعله وانت منسوب الى مثله من ذم شيئا واتى مثله فانما يزري
على عقله ولسنا نعني بهذا ان الامر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن يسقط اثره عن القلوب
بظهوره للناس وقد روي عن انس قال قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا

نهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به
كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله واوصى بعض السلف بنيه فقال ان اراد احدكم ان يأمر
بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب لم يجد مس الاذى
فاذن من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالامر بالمعروف فقال
حاكيا عن لقمن عليه السلام يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ومن
الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة فقد
روي عن بعض المشايخ انه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئا من الغدد لسنوره
فرأى على القصاب منكرا فدخل الدار اولا واخرج السنور ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له
القصاب لا اعطيتك بعد هذا شيئا لسنورك فقال ما احتسبت عليك الا بعد اخراج السنور
وقطع الطمع منك وهو كما قال فان من لم يقطع الطمع من الخلق لا يقدر على الحسبة ومن طمع ان
يكون قلوب الناس عليه طيبة والسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم تتيسر له الحسبة قال كعب الاحبار لابي مسلم
الخولاني كيف منزلتك بين قومك قال حسنة قال ان التورية تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف و
نهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال ابو مسلم صدقت التورية وكذب ابو مسلم ويدل
على وجوب الرفق ما استدل به المامون رحمه الله اذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال
يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر مني وامره بالرفق فقال فقولا له قولا
لينا لعله يتذكر او يخشى فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالانبياء عليهم السلام فقد روى ابو امامة ان غلاما
شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اتأذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال النبي صلى الله
عليه وسلم اقربوه ادن فدنا حتى جلس بين يديه فقال عليه السلام اتحبه لامك قال لا جعلني الله فداك
قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم اتحبه لابنتك قال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه
لبناتهم اتحبه لاختك وزاد ابن عوف انه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل ذلك لا جعلني الله فداك وهو
صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعا في حديثهما اعني ابن عوف والراوي الآخر فوضع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن
شيء ابغض اليه منه يعني الزنا وقيل للفضيل بن عياض ان سفين بن عيينة قبل جوائز السلطان
فقال الفضيل ما اخذ منهم الا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفين يا ابا علي ان لم نكن
من الصالحين فانا لنحب الصالحين وقال حماد بن سلمة ان صلة بن اشيم مر عليه رجل قد اسبل
ازاره فهم اصحابه ان يأخذوه بشدة فقال دعوني انا اكفيكم فقال يا ابن اخي ان لي اليك حاجة فقال
وما حاجتك يا عم قال احب ان ترفع من ازارك فقال نعم وكرامة فرفع ازاره فقال لاصحابه لو اخذتموه
بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم وقال محمد بن زكريا الغلابي شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة
ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله واذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض
على امرأة فجذبها واستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربونه فنظر اليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس
تنحوا عن ابن اخي ثم قال الي يا ابن اخي فاستحيى الغلام فجاء اليه فضمه الى نفسه ثم قال له امض معي

فمشى معه حتى صار الى منزله وادخله الدار وقال لبعض غلمانه بيته عندك فاذا افاق من سكره
فاعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تاتيني به فلما افاق وذكر له ما جرى استحيى منه وبكى وهم
بالانصراف فقال الغلام قد امر ان تاتيه فادخله عليه فقال له اما استحييت لنفسك اما
استحييت لشيبك اما ترى من ولدك فاتق الله وانزع عما انت عليه فبكى الغلام منكسا راسه
ثم رفع راسه وقال عاهدت الله عهدا يسالني يوم القيمة انى لا اعود لشرب النبيذ ولا لشيء مما كنت
فيه وانا تائب فقال ادن مني فقبل راسه وقال احسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه
ويكتب الحديث وكان ذلك ببركة رفقه ثم قال ان الناس يامرون بالمعروف ويكون معروفهم
منكرا عليكم بالرفق في جميع اموركم تنالون به ما تطلبون ، وعن الفتح بن شخرف قال تعلق رجل
بامراة وتعرض لها وبيده سكين لا يدنو منه احد الا عقره وكان الرجل شديد اليدين فبينا الناس
كذلك والمراة تصيح من يده اذ مر بشر بن الحارث فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل
الى الارض ومضى بشر فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقا كثيرا ومضت المراة لحالها فسالوه ما حالك
فقال ما ادري ولكن حاكني شيخ وقال ان الله عز وجل ناظر اليك والى ما تعمل فضعفت لقوله قدمي
وهبته هيبة شديدة لا ادري من ذلك الرجل فقالوا له ذلك بشر بن الحارث فقال واسوأتاه كيف
ينظر الي بعد اليوم وحم الرجل من يومه ومات يوم السابع فهكذا كانت عادة اهل الدين
في الحسبة وقد نقلنا فيها اخبارا وآثارا في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب
الصحبة فلا نطول بالاعادة فهذا تمام النظر في درجات الاحتساب وآدابه

الباب الثالث في المنكرات المالوفة في العادات

نشير الى جمل منها يستدل بها على امثالها اذ لا مطمع في حصرها واستقصائها

فمن ذلك منكرات المساجد

اعلم ان المنكرات تنقسم الى مكروهة والى
محظورة فاذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم ان المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس
بحرام الا اذا لم يعلم الفاعل انه مكروه فيجب ذكره له لان الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه الى من
لا يعرفه واذا قلنا منكر محظور او قلنا منكر مطلقا فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه
مع القدرة محظورا فمما يشاهد كثيرا في المساجد اساءة الصلوة بترك الطمانينة في
ركوعها وسجودها وهو منكر مبطل للصلوة بنص الحديث فيجب النهي عنه الا عند الحنفي الذي يعتقد
ان ذلك لا يمنع صحة الصلوة اذ لا ينفع النهي معه ومن راى مسيئا في صلوته فسكت عليه فهو شريكه
هكذا ورد به الاثر وفي الخبر ما يدل عليه اذ ورد في الغيبة ان المستمع شريك القائل وكذلك كل
ما يقدح في صحة الصلوة من نجاسة على ثوبه لا يراها او انحراف عن القبلة بسبب ظلام او عمى فكل ذلك
يجب الحسبة فيه **ومنها** قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح فان كان المعتكف
في المسجد يضيع اكثر اوقاته في امثال ذلك ويشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به فان هذا
افضل له من ذكره وتطوعه لان هذا فرض وهي قربة تتعدى فائدتها فهي افضل من نافلة يقتصر عليه فائدتها
وان كان ذلك يمنعه عن الوراقة مثلا او عن الكسب الذي هو طعمته فان كان معه مقدار كفايته
لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وان كان يحتاج الى الكسب لقوت

يومه فهو عذر له فيسقط الوجوب عنه لعجزه والذي يكثر اللحن في القرآن ان كان قادرا على التعلم
فليمتنع عن القراءة قبل التعلم فانه عاص به وان كان لا يطاوعه اللسان فان كان اكثر ما يقراه
لحنا فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها وان كان الاكثر صحيحا وليس يقدر على التسوية
فلا باس له ان يقرا ولكن ينبغي ان يخفض به صوته حتى لا يسمع غيره ولمنعه منه ايضا سرا وجه ولكن
اذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له انس بالقراءة وحرص عليها فلست ارى باسا به **ومنها**
تراسل المؤذنين في الاذان وتطويلهم مد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في
الحيعلتين او انفراد كل واحد باذان ولكن من غير توقف الى انقطاع اذان الآخر بحيث يضطرب
الحاضرون جواب الاذان لتداخل الاصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها وان صدرت
عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها وكذلك اذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن
قبل الصبح فينبغي ان يمنع من الاذان بعد الصبح فان ذلك مشوش للصوم والصلوة على الناس
الا اذا عرف انه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعول على اذانه في صلوة وترك سحور وكان معه مؤذن
آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح **ومن المكروهات** ايضا تكثير الاذان مرة بعد اخرى بعد طلوع
الصبح في مسجد واحد في اوقات متعاقبة متقاربة اما من واحد او من جماعة فانه لا فائدة فيه
اذ لم يبق في المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات
المخالفة لسنة الصحابة والسلف **ومنها** ان يكون الخطيب لابسا لثوب اسود يغلب عليه
الابريسم او ممسكا بسيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه واجب فاما مجرد السواد فليس
بمكروه ولكنه ليس بمحبوب اذ احب الثياب الى الله البيض ومن قال انه مكروه بدعة اراد انه لم يكن
معهودا في العصر الاول ولكن اذا لم يرد فيه نهي فلا ينبغي ان يسمى بدعة ومكروها ولكنه ترك للاحب
ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة فالقاص ان كان يكذب في
اخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه
الا على قصد اظهار الرد عليه اما للكافة ان قدر عليه او لبعض الحاضرين حواليه فان لم يقدر فلا يجوز
سماع البدعة قال الله تعالى لنبيه فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، ومهما كان كلامه مائلا
الى الارجاء وتجرئة الناس على المعاصي وكان الناس يزدادون بكلامه جراة وبعفو الله وبرحمته
وثوقا يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه منه لان فساد ذلك عظيم بل لو رجح خوفهم
على رجائهم فذلك اقرب واليق بطباع الخلق فانهم الى الخوف احوج وانما العدل تعديل الخوف والرجاء
كما قال عمر رضي الله عنه لو نادى مناد يوم القيمة ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت
ان اكون انا ذلك الرجل ولو نادى مناد ليدخل الجنة كل الناس الا رجلا واحدا لخفت ان اكون انا ذلك
الرجل ، ومهما كان الواعظ شابا متزينا للنساء في ثيابه فهذا منكر يجب المنع منه فان الفساد
فيه اكثر من الصلاح ويتبين ذلك منه بقرائن احواله بل لا ينبغي ان يسلم الوعظ الا لمن ظاهره الورع
وهيئته السكينة والوقار وزيه زي الصلاح والا فلا يزداد الناس به الا تماديا في الضلال ويجب
ان يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فان ذلك ايضا مظنة الفساد والعادات

تشهد هذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلوة ولمجالس الذكر اذا خيفت الفتنة بهن فقد منعتهن عايشة رضي الله عنها فقيل لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعهن من الجماعات فقالت لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احدث النساء بعده لمنعهن فاما اجتياز المراة بالمسجد متسترة فلا تمنع منه الا ان الاولى ان لا تتخذ المسجد مجازا اصلا و قراءة القرآن بين يدي الوعاظ مع التمديد والالحان على وجه يغير نظم القرآن ويجاوز حد الترتيل منكر مكروه شديد الكراهة انكره جماعة من السلف **ومنها** الحلق يوم الجمعة لبيع الادوية والاطعمة والتعويذات ولقيام السؤال وقراءتهم الاشعار وما يجري مجراه فهذه منها ما هو حرام لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من طرقية الاطباء وكاهل الشعوذة والتلبيسات وكذا ارباب التعويذات في الاغلب يتوصلون الى بيعها بالتلبيس على الصبيان والسوادية فهذا حرام في المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبيس واخفاء عيب عن المشتري فهو حرام **ومنها** ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الادوية والكتب والاطعمة فهذا في المسجد ايضا لا يحرم الا بعارض وهو ان يضيق المكان على المصلين ويشوش عليهم صلوتهم فان لم يكن شيء من ذلك فليس بحرام والاولى تركه ولكن شرط اباحته ان يجري في اوقات نادرة وايام معدودة فاما اتخاذ المسجد دكانا على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن المباحات ما يباح بشرط القلة فان كثر صار صغيرة كما ان من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الاصرار فان كان القليل من هذا لو فتح بابه خيف ان ينجر الى الكثير فليمنع منه وليكن هذا المنع الى الوالي او الى القيم بمصالح المسجد من جهة الوالي لانه يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للآحاد المنع مما هو مباح في نفسه لخوفه ان ذلك يكثر **ومنها** دخول المجانين والصبيان والسكارى في المسجد ولا بأس بدخول الصبي المسجد اذا لم يلعب ولا يحرم عليه اللعب في المسجد ولا السكوت على لعبه الا اذا اتخذ المسجد ملعبا ويصير ذلك عادة له فحينئذ يجب المنع منه فهذا مما يحل قليله دون كثيره ودليل حل قليله ما روي في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف لاجل عايشة حتى نظرت الى الحبشة يلعبون ويزفنون بالدرق والحراب يوم العيد في المسجد ولا شك في ان الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعبا لمنعوا منه ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكرا حتى نظر اليه بل امرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبصرهم عايشة رضي الله عنها تطييبا لقلبها اذ قال دونكم يا بني ارفدة كما نقلناه في كتاب السماع واما المجانين فلا بأس بدخولهم المسجد الا ان يخشى تلويثهم او شتمهم او نطقهم بما هو فحش او تعاطيهم لما هو منكر في صورته ككشف العورة وغيره فاما المجنون الهادي الساكت الذي قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب اخراجه من المسجد والسكران في معنى المجنون فان خيف منه القذف اعني القيء او الايذاء باللسان وجب اخراجه وكذا ان كان مضطرب العقل فانه يخاف ذلك منه وان كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه فايحة فهو منكر مكروه شديد الكراهة وكيف لا وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكل الثوم والبصل عن حضور المساجد ولكن يحمل ذلك على الكراهة والامر في الخمر اشد فان **قال** قايل ينبغي ان يضرب السكران ويخرج من المسجد زجرا **قلنا** لا

ينبغي ان يلزم القعود في المسجد ويدعى اليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلا فاما ضربه للزجر فليس ذلك الى الآحاد بل هو الى الولاة وذلك عند اقرار او شهادة شاهدين فاما بمجرد الرا فلا نعم اذا كان يمشي بين الناس متمايلا بحيث يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد منعا له عن اظهار اثر السكر فان اظهار اثر الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فان كان مستترا مخفيا لاثره فلا يجوز ان يتجسس عليه والرائحة قد تفوح من غير شرب بالجلوس في موضع الخمر ووصول الخمر الى الفم دون الابتلاع فلا ينبغي ان يعول عليه

منكرات الاسواق من المنكرات المعتادة في الاسواق الكذب في المرابحة واخفاء العيب فمن قال اشتريت هذه السلعة مثلا بعشرة واربح فيها درهما وكان كاذبا فهو فاسق وعلى من عرف ذلك ان يخبر المشتري بكذبه فان سكت مراعاة لقلب البايع كان شريكا له في الخيانة وعصى بسكوته وكذا اذا علم به عيبا فيلزمه ان ينبه المشتري عليه والا كان راضيا بضياع مال اخيه المسلم وهو حرام وكذلك التفاوت في الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه او رفعه الى الوالي حتى يغيره **ومنها** ترك الايجاب والقبول والاكتفاء بالمعاطاة ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر الا على من يعتقد وجوبه وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الانكار فيها فانها مفسدة للعقود وكذا في الربويات كلها وهي غالبة وكذا ساير التصرفات الفاسدة و**منها** بيع الملاهي وبيع اشكال الحيوانات المصورة في ايام العيد لاجل الصبيان فذلك يجب كسره والمنع من بيعه كالملاهي وكذلك بيع الاواني المتخذة من الذهب والفضة وكذلك بيع ثياب الحرير و قلانس الذهب واعني بالحرير ما لا يصلح الا للرجال ويعلم بعادة البلد انه لا يلبسه الا الرجال فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة التي يلبس على الناس بقصارتها ابتذالها واستعمالها ويزعم انها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب وكذلك تلبيس انخراق الثوب بالرفو وما يؤدي الى الالتباس وكذلك جميع انواع العقود المؤدية الى التلبيسات وذلك يطول احصاؤه فليقس بما ذكرناه ما لم نذكره

منكرات الشوارع من المنكرات المعتادة في الشوارع وضع الاساطين وبناء الدكات متصلة بالابنية المملوكة وغرس الاشجار واخراج الرواشن والاجنحة ووضع الخشب واحمال الاطعمة وغيرها على الطرقات فكل ذلك منكر ان كان يؤدي الى تضييق الطريق واستضرار المارة وان لم يؤد الى ضرر اصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه نعم يجوز وضع الحطب واحمال الاطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل الى البيوت فان ذلك يشترك في الحاجة اليه الكافة ولا يمكن المنع منه وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق و ينجس المجتازين منكر يجب المنع منه الا بقدر حاجة النزول والركوب وهذا لان الشوارع مشتركة المنفعة ليس لاحد ان يختص بها الا بقدر الحاجة والمرعي هو الحاجة التي تراد الشوارع لاجلها في العادة دون ساير الحاجات **ومنها** سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكر ان امكن شدها وضمها بحيث لا تمزق الثياب او امكن العدول بها الى موضع واسع والا فلا منع اذ حاجة اهل البلد تمس الى ذلك نعم لا تترك ملقاة على الشوارع الا بقدر

مدة نقلها وكذا تحميل الدواب من الاحمال ما لا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه وكذلك
ذبح القصاب على باب دكانه وتلويث الطريق بالدم منكر يجب المنع منه بل حقه ان يتخذ في دكانه
مذبحا فان في ذلك تضييقا للطريق واضرارا بالناس بسبب ترشيش النجاسة واضرارا بسبب استقذار
الطباع ذلك وكذلك طرح الكناسة على جواد الطرق وتبديد قشور البطيخ او رش الماء بحيث
يخشى منه التزلق والسقوط فكل ذلك من المنكرات وكذلك ارسال الماء في الميازيب المخرجة من الحائط
الى الطرق الضيقة فان ذلك ينجس الثياب ويضيق الطريق ولا يمنع منه في الطرق الواسعة اذ
العدول عنه ممكن فاما ترك مياه المطر والاوحال والثلوج في الطرق من غير كسح فذلك منكر وليس
يختص به شخص معين الا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد والماء الذي يجتمع على الطريق من
ميزاب معين فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق وان كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى
الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للآحاد فيها الا الوعظ فقط وكذلك اذا كان له كلب عقور
على باب داره يؤذي الناس فيجب منعه وان كان لا يؤذي الا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز
عن نجاسته لم يمنع منه وان كان يضيق الطريق ببسطه ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه من ان ينام
على الطريق او يقعد قعودا يضيق الطريق فكلبه اولى بالمنع منه **منكرات الحمامات**
فمن ذلك الصور التي تكون على باب الحمام او داخل الحمام فذلك منكر تجب ازالته على كل من دخل الحمام
او راى الصور ان قدر عليها فان كان الموضع مرتفعا لا تصل اليه يده فلا يجوز له الدخول الا لضرورة
فليعدل الى حمام آخر فان مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه ان يشوه وجوهها بحيث يبطل به
تصويرها ولا منع من تصوير الاشجار وسائر النقوش سوى صور الحيوانات **ومنها** كشف
العورات والنظر اليها ومن جملتها كشف المدلك عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ بل من
جملتها ادخال اليد تحت الازار فان مس عورة الغير حرام كالنظر اليها **ومنها** الانبطاح على
الوجه بين يدي المدلك لتغميز الاعجاز والافخاذ فهذا مكروه وان كان مع حائل ولكن لا يكون محظورا
اذا لم يخش من حركة شهوة وكذلك كشف العورة للحجام والفاصد والذمي من الفواحش فان المرأة لا
يجوز لها ان تكشف بدنها للذميات في الحمام فكيف يجوز لها كشف العورة للرجال **ومنها**
غمس اليد والاواني النجسة في المياه القليلة وغسل الازار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل فانه
منجس للماء الا على مذهب مالك فلا يجوز الانكار فيه على المالكية ويجوز على الحنفية والشافعية وان اجتمع
مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك الا بطريق الالتماس واللطف وهو ان يقول
له انا نحتاج الى ان تغسل يدك اولا ثم تغمسها في الماء واما انت فمستغن عن ايذائي وتفويت الطهارة
علي هذا وما يجري مجراه فان مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر **ومنها** ان يكون في مداخل
بيوت الحمامات ومجاري مياهها حجارة ملساء مزلقة يزلق بها الغافلون فهذا منكر ويجب قلعه
وازالته وينكر على الحمامي اهماله فانه يفضي الى السقطة وقد تؤدي السقطة الى انكسار عضو او انخلاعه و
كذلك ترك السدر والصابون المزلق على ارض الحمام منكر ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به انسان
فانكسر عضو من اعضائه وكان ذلك في موضع لا يظهر بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان مردد بين

الذي تركه وبين الحمامي والوجه ايجاب الضمان على تاركه في اليوم الاول وعلى
الحمامي في اليوم الثاني اذ عادة تنظيف الحمام كل يوم معتاد والرجوع في مواقيت اعادة التنظيف
الى العادات فليعتبر بها وفي الحمام امور اخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فلا نطول باعادتها
منكرات الضيافة فمن ذلك فرش الحرير للرجال فهو حرام وكذلك تبخير البخور في مجمرة
فضة او ذهب وكذلك الشرب منهما واستعمال ماء الورد فيهما او فيما راسه منهما وكذلك تعليق
الستور وعليها الصور **ومنها** سماع الاوتار او سماع القينات **ومنها** اجتماع النساء
على السطح للنظر الى الرجال مهما كان في الرجال شبان يخاف الفتنة بينهم فكل ذلك محظور منكر يجب
تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة في الجلوس في مشاهدة المنكرات
واما الصور على النمارق والزرابي المفروشة فليس منكرا وكذا على الاطباق والقصاع الا الاواني
المتخذة على شكل الصور فانه قد يكون بعض رؤوس المجامر على شكل طاير فذلك حرام يجب كسر مقدار
الصورة منه وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف وقد حكي ان احمد بن حنبل رحمه الله قد خرج
عن الضيافة بسببها ومهما كان الطعام حراما او كان الموضع مغصوبا او كانت الثياب المفروشة
حراما فهو من اشد المنكرات فان كان فيها من يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور اذ لا يجوز
حضور مجالس الشرب وان كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حال مباشرته للفسق
وانما النظر في مجالسته بعد ذلك وانه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرنا في باب البغض والحب
في الله وكذلك ان كان فيهم من يلبس الحرير او خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة
فان كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح ان ذلك منكر ويجب نزعه عنه ان
كان مميزا لعموم قوله عليه السلام هذان حرامان على ذكور امتي وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر لا لكونه
مكلفا ولكن لانه يانس به فاذا بلغ عسر عليه الصبر عنه فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه اذا اعتادها
فتكون بذرا للفساد يبذر في صدره فينبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ
واما الصبي الذي لا يميز فيضعف معنى التحريم في حقه ولا يخلو عن احتمال والعلم فيه عند الله والمجنون
في معنى الصبي الذي لا يميز نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير اسراف ولا ارى رخصة
في تثقيب اذن الصبية لاجل تعليق حلق الذهب فيها فان ذلك جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص
فلا يجوز الا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان والتزين بالحلق غير مهم في التقريط بتعليقه على
الاذن وفي المخانق والاسورة كفاية عنه فهذا وان كان معتادا فهو حرام والمنع منه واجب
والاستيجار عليه غير صحيح والاجرة الماخوذة عليه حرام الا ان يثبت من جهة النقل فيه رخصة
ولم تبلغنا الى الآن فيه رخصة **ومنها** ان يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته فيجوز الحضور
لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد فان كان لا يقدر عليه لم يجز وان كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز
الحضور مع اظهار الكراهة عليه والاعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وان كان فيها مضحك
بالحكايات وانواع النوادر فان كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الانكار
وان كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح اعني ما يقل منه فاما اتخاذه صنعة وعادة

تلبيس فهو مباح وكل كذب لا يخفى انه كذب ولا يقصد منه التلبيس فليس من جملة المنكرات كقول الانسان مثلا قد طلبتك اليوم مائة مرة واعدت عليك القول الف مرة وما يجري هذا المجرى مما يعلم انه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد به الشهادة وسيأتي حد المزح المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات **ومنها** الاسراف في الطعام والبناء فانه منكر وفي المال منكران احدهما الاضاعة والآخر الاسراف فالاضاعة تفويت مال بلا فائدة يعتد بها كاحراق الثوب وتمزيقه وهدم البناء من غير غرض والقاء المال في البحر وفي معناه صرف المال الى النائحة والمطرب وفي انواع الفساد لانها فوائد محرمة شرعا فصارت كالمعدومة **واما** الاسراف فقد يطلق لارادة صرف المال الى النائحة والمطرب والمنكرات وقد يطلق على الصرف الى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة والمبالغة تختلف بالاضافة الى الاحوال **فنقول** من لم يملك الا مائة دينار مثلا وله عيال واولاد ولا معيشة لهم ولا كسب فانفق الجميع في وليمة فهو مسرف يجب منعه من ذلك قال الله تعالى ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا نزل هذا في رجل كان بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء وقال تعالى ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكذلك **قال** تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فمن يسرف هذا الاسراف ينكر عليه ويجب على القاضي ان يحجر عليه الا اذا كان الرجل وحده وكان له قوة في التوكل صادقة فله ان ينفق جميع ماله في ابواب البر ومن له عيال او كان عاجزا عن التوكل فليس له ان يتصدق بجميع ماله وكذلك لو صرف جميع ماله الى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو اسراف محرم وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لان التزيين من الاغراض الصحيحة ولم تزل المساجد تزين وتنقش ابوابها وسقوفها مع ان نقش الباب والسقف لا فائدة فيه الا مجرد الزينة فكذا الدور وكذلك القول في التجمل بالثياب والاطعمة فذلك مباح في جنسه ويصير اسرافا باعتبار حال الرجل وثروته **وامثال هذه المنكرات** كثيرة لا يمكن حصرها فقس بهذا منكرات المجامع ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الاسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه او محظور واستقصاء جميع المنكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل الشرع اصلا وفرعا فلنقتصر على هذا القدر منها **المنكرات العامة** اعلم ان كل قاعد في بيته اينما كان فليس خاليا في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف فاكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلوة في البلاد فكيف في القرى والبوادي ومنهم الاعراب والاكراد والتركمانية وسائر اصناف الخلق وواجب ان يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ان يخرج الى من يجاور بلده من اهل السواد ومن العرب والاكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ويستصحب مع نفسه زادا يأكله ولا يأكل من اطعمتهم فان اكثرها يكون شبهة فان قام بهذا الامر واحد سقط الحرج عن الآخرين والا عم الحرج الكافة اجمعين اما العالم فلتقصيره في الخروج واما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم وكل عامي عرف شروط الصلوة فعليه ان يعرف غيره والا فهو شريك في الاثم ومعلوم ان الانسان لا يولد عالما بالشرع وانما يجب التبليغ على اهل العلم وكل من تعلم مسئلة واحدة فهو من اهل العلم بها ولعمري الاثم على الفقهاء اشد لان قدرتهم فيه اظهر وهو بصناعتهم اليق لان المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا امرا لا بد منه في صلاح الخلق وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان العلماء هم ورثة الانبياء وليس للانسان ان يقعد في بيته ولا يخرج الى المسجد لانه يرى الناس لا يحسنون الصلوة بل اذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي وكذلك كل من تيقن ان في السوق منكرا يجري على الدوام او في وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له ان يسقط ذلك عن نفسه بالقعود في البيت بل يلزمه الخروج فان كان لا يقدر على تغيير البعض وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على البعض لزمه الخروج لان خروجه اذا كان لاجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر على تغييره وانما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح فحق على كل مسلم ان يبدأ بنفسه فليصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات ثم يعلم ذلك اهله واقاربه ثم يتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ثم الى اهل محلته ثم الى اهل بلده ثم الى السواد المكتنف ببلده ثم الى اهل البوادي من الاكراد والعرب وغيرهم وهكذا الى اقصى العالم فان قام به الادنى سقط عن الابعد والا حرج به كل قادر عليه قريبا كان او بعيدا ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الارض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على ان يسعى اليه بنفسه او بغيره فيعلمه فرضه وهذا شغل شاغل لمن يهمه امر دينه يشغله عن تزجية الاوقات في التفريعات النادرة والتعمق في العلوم التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا الا فرض عين او فرض كفاية هو اهم منه

الباب الرابع في امر الامراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

قد ذكرنا درجات الامر بالمعروف وان اوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين في القول ورابعه المنع بالقهر والحمل على الحق بالضرب والعقوبة والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الاوليان وهما التعريف والوعظ واما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان فان ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المحذور اكثر واما التخشين في القول كقولك يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجري مجراه فذلك ان كان يحرك فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز وان كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز بل مندوب اليه فلقد كان من عادة السلف التعرض للاخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لانواع العذاب لعلمهم بان ذلك شهادة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فامره ونهاه في ذات الله فقتله على ذلك وقال صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال قرن من حديد لا يأخذه في الله لومة لائم تركه قوله الحق ما له من صديق ولما علم المتصلبون في الدين ان افضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر وان صاحب ذلك ان قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار اقدموا على ذلك موطنين انفسهم على الهلاك ومحتملين لانواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند

الله وطريق وعظ السلاطين وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف رضي الله عنهم وقد اوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام ونقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الانكار عليهم **فمنها** ما روي من انكار ابي بكر الصديق رضي الله عنه على اكابر قريش حين قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوء وذلك ما روي عن عروة قال قلت لعبد الله بن عمرو ما اكثر ما رايت قريشا نالت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته فقال حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم يوما في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما راينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفه احلامنا وشتم اباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ولقد صبرنا منه على امر عظيم او كما قالوا فبيناهم في ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه ثم مضى فمر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح قال فاطرق القوم حتى ما منهم رجل الا كانما على راسه طائر واقع حتى ان اشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفاه باحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول انصرف يا ابا القاسم راشدا فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وانا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا باداكم بما تكرهون تركتموه فبيناهم في ذلك اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد فاحاطوا به يقولون انت الذي تقول كذا لما كان بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم قال فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم انا الذي اقول ذلك قال فلقد رايت رجلا منهم اخذ بمجامع ردائه قال وقام ابو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله قال ثم انصرفوا عنه فان ذلك لاشد ما رايت قريشا بلغت منه قط **وفي رواية** اخرى عن عبد الله بن عمرو قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم **وروي** ان معوية حبس العطاء فقام اليه ابو مسلم الخولاني فقال له يا معوية انه ليس من كدك ولا كد ابيك ولا كد امك قال فغضب معوية ونزل عن المنبر وقال لهم مكانكم ثم خرج عليهم وسلم فقال الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليغتسل واني دخلت فاغتسلت وصدق ابو مسلم انه ليس من كدي ولا كد ابي فهلموا الى عطاياكم **وروي** عن ضبة بن محصن العنزي قال فقال كان علينا ابو موسى الاشعري اميرا بالبصرة وكان اذا خطبنا حمد الله واثنى عليه وصلى على النبي عليه السلام انشا يدعو لعمر فغاظني ذلك منه فقمت اليه فقلت له اين انت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب الى عمر يشكوني يقول ان ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي فكتب اليه عمر ان اشخصه الي قال فاشخصني اليه فقدمت فضربت عليه الباب

فخرج الي فقال من انت قلت انا ضبة بن محصن العنزي قال فقال لي فلا مرحبا ولا اهلا قال قلت اما المرحب فمن الله واما الاهل فلا اهل ولا مال فبماذا استحللت يا عمر اشخاصي من مصري بلا ذنب اذنبته ولا شيء اتيته قال ما الذي شجر بينك وبين عاملي قال قلت الآن اخبرك انه كان اذا خطبنا حمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم انشا يدعو لك فغاظني ذلك منه فقمت اليه فقلت له اين انت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعا ثم كتب اليك يشكوني قال فاندفع عمر رضي الله عنه باكيا وهو يقول انت والله اوفق منه وارشد فهل انت غافر لي ذنبي يغفر الله لك قال قلت غفر الله لك يا امير المؤمنين قال ثم اندفع باكيا وهو يقول والله لليلة من ابي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك ان احدثك بليلته ويومه قلت نعم قال **اما الليلة** فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد الخروج من مكة هاربا من المشركين خرج ليلا فتبعه ابو بكر فجعل يمشي مرة امامه ومرة يمشي خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا يا ابا بكر ما اعرف هذا من افعالك فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون امامك واذكر الطلب فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك قال فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلته على اطراف اصابعه حتى حفيت فلما راى ابو بكر انها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى اتى فم الغار فانزله ثم قال والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى ادخله فان كان فيه شيء نزل بي قبلك قال فدخل فلم ير فيه شيئا فحمله فادخله وكان في الغار خرق فيه حيات وافاعي فالقمه ابو بكر قدمه مخافة ان يخرج منهن شيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيؤذيه وجعلت دموع ابي بكر تنحدر على خديه من الم ما يجده ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ابا بكر لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته والطمانينة لابي بكر فهذه ليلته **فاما** يومه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فقال بعضهم نصلي ولا نزكي فاتيته لا آلوه نصحا فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تالف الناس وارفق بهم فقال اجبار في الجاهلية خوار في الاسلام فبماذا اتالفهم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي فوالله لو منعوني عقالا كانوا يعطونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه قال فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الامر فهذا يومه ثم كتب الى ابي موسى الاشعري يلومه **وعن الاصمعي** قال دخل عطاء بن ابي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الاشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام اليه واجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا ابا محمد حاجتك قال يا امير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة واتق الله في اولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جلست هذا المجلس واتق الله في اهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد امور المسلمين فانك وحدك المسؤول عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم فقال له افعل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا ابا محمد انما سالتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك فقال ما لي الى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وابيك الشرف هذا **وروي** ان الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فاذا مر بك رجل فادخله علي ليحدثني فخرج الحاجب فوقف على الباب

مدة فمر به عطاء بن ابي رباح وهو لا يعرفه فقال له يا شيخ ادخل الى امير المومنين فانه يامرك بذلك
فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فغضب
الوليد على حاجبه فقال له ويلك امرتك ان تدخل الي رجلا يحدثني ويسامرني فادخلت الي رجلا
لم يرض ان يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي فقال له حاجبه ما مر بي غيره ثم قال لعطاء اجلس ثم اقبل
عليه يحدثه فكان فيما حدثه عطاء ان قال له بلغنا ان في جهنم واديا يقال له هبهب اعده الله
لكل امام جائر في حكمه فصعق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه الى
جوف المجلس مغشيا فقال عمر لعطاء قتلت امير المومنين فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه
غمزة شديدة وقال له يا عمر ان الامر جد فجد ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا ان عمر بن عبد
العزيز قال مكثت سنة اجد الم غمزته في ذراعي **وكان** ابن ابي شميلة يوصف بالعقل والادب
فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك تكلم فقال بم اتكلم وقد علمت ان كل كلام يتكلم به المتكلم
عليه وبال الا ما كان لله قال فبكى عبد الملك ثم قال يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون
فقال الرجل يا امير المومنين ان الناس في القيمة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها الا من
ارضى الله بسخط نفسه فبكى عبد الملك ثم قال لا جرم لاجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عيني ما عشت
حيا **ويروي** عن ابن عايشة ان الحجاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة قال فدخلنا عليه
ودخل الحسن البصري آخر من دخل فقال الحجاج مرحبا بابي سعيد ثم دعا بكرسي فوضع الى جنب سريره
فقعد عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسائلنا اذ ذكر علي بن ابي طالب رضي الله عنه فنال منه ونلنا
مقاربة له وفرقا من شره والحسن ساكت عاض على ابهامه فقال يا ابا سعيد ما لي اراك ساكتا قال
قال ما عسيت ان اقول قال فاخبرني برايك في ابي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على
الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم فعلي ممن هدى الله من
اهل الايمان فاقول ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته واحب الناس اليه و
صاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع انت ولا احد من الناس ان
يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها واقول انه ان كان لعلي هنات خصال سوء وهنات
فالله حسيبه والله ما اجد فيه قولا اعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا
فدخل بيتا خلفه وخرجنا قال عامر الشعبي فاخذت بيد الحسن فقلت يا ابا سعيد اغضبت الامير
واوغرت صدره قال اليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم اهل الكوفة اتيت شيطانا
من شياطين الانس تكلمه بهواه فقاربه في رايه ويحك يا عامر هلا اتقيت ان سئلت فصدقت
او سكت فسلمت قال عامر يا ابا سعيد قد قلتها وانا اعلم ما فيها قال الحسن فذاك اعظم في
الحجة عليك واشد في التبعة قال وبعث الحجاج الى الحسن فلما دخل عليه قال انت الذي تقول
قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم قال نعم قال ما حملك على هذا قال ما اخذ الله على العلماء
من المواثيق ليبيننه للناس ولا يكتمونه قال يا حسن امسك لسانك واياك ان يبلغني عنك

ما اكره فافرق بين راسك وجسدك **وحكي** ان حطيط الزيات جي به الى الحجاج فلما دخل
قال انت حطيط قال نعم سل عما بدا لك فاني عاهدت الله عند المقام على خصال ثلاث ان
سئلت لاصدقن وان ابتليت لاصبرن ولئن عوفيت لاشكرن قال فما تقول في قال اقول
انك من اعداء الله في الارض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة قال فما تقول في امير المومنين عبد الملك
بن مروان قال اقول انه اعظم جرما منك وانما انت خطيئة من خطاياه فقال الحجاج ضعوا عليه
العذاب قال فانتهوا به العذاب الى ان شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه ثم شدوه بالحبال
جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيا قال فقيل للحجاج انه في آخر رمق
فقال اخرجوه فارموا به في السوق قال جعفر فاتيته انا وصاحب له فقلنا له حطيط الك حاجة
قال شربة فاتوه بشربة ثم مات وكان ابن ثماني عشرة سنة رحمه الله **وروى** ان عمر بن هبيرة
دعا بفقهاء اهل البصرة واهل الكوفة واهل المدينة واهل الشام وقرائها فجعل يسالهم وكلم عامر
الشعبي فجعل لا يسأله عن شي الا وجد عنده فيه علما ثم اقبل على الحسن البصري فساله ثم قال هما هذان
هذا رجل اهل الكوفة يعني الشعبي وهذا رجل اهل البصرة يعني الحسن وامر الحاجب فاخرج الناس وخلا
بالشعبي والحسن فاقبل على الشعبي فقال يا ابا عمرو اني امين امير المومنين على العراق وعامله عليها و
رجل مامور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فانا احب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة
لهم وقد يبلغني عن العصابة من اهل الديار الامر اجد عليهم فيه فاقبض طايفة من عطاياهم فاضعه
في بيت المال ومن نيتي ان ارده عليهم فيبلغ امير المومنين اني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب
ان لا ترده فلا استطيع رد امره ولا انفاذ كتابه وانما انا رجل مامور على الطاعة فهل علي في
هذا تبعة وفي اشباهه من الامور والنية فيها على ما ذكرت قال الشعبي قلت اصلح الله الامير
انما السلطان والد يخطي ويصيب قال فسر بقولي واعجب به فرايت البشر في وجهه وقال فلله الحمد
ثم اقبل على الحسن فقال ما تقول يا ابا سعيد قال سمعت قول الامير يقول انه امين امير المومنين على العراق و
عامله عليه ورجل مامور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم
وحق الرعية لازم لك وحق عليك ان تحوطهم بالنصيحة واني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استرعي رعية فلم يحطها
بالنصيحة حرم الله عليه الجنة ويقول اني انما قبضت من عطاياهم ارادة صلاحهم واستصلاحهم
وان يرجعوا الى طاعتهم فيبلغ امير المومنين اني قبضتها على ذلك النحو فيكتب ان لا ترده فلا
استطيع رد امره ولا استطيع انفاذ كتابه وحق الله الزم من حق امير المومنين والله احق ان
تطيع ولا طاعة في معصية الله فاعرض كتاب امير المومنين على كتاب الله عز وجل فان وجدته موافقا
لكتاب الله فخذ به وان وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه يا ابن هبيرة اتق الله فانه يوشك ان ياتيك
رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك
ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك يا ابن هبيرة وان الله يمنعك من يزيد وان
يزيد لا يمنعك من الله وان امر الله فوق كل امر وانه لا طاعة في معصية الله واني احذرك باس الله الذي

لا يرده عن القوم المجرمين فقال ابن هبيرة اربع على ظلعك ايها الشيخ واعرض عن ذكر امير المومنين
فان امير المومنين صاحب العلم وصاحب الحلم وصاحب الفضل وانما اولاه الله ولاية من امر هذه الامة
لعلمه به وما يعلم من فضله ونيته فقال الحسن يا ابن هبيرة الحساب من وراءك سوط بسوط وغضب
بغضب والله بالمرصاد يا ابن هبيرة ان تلقى من ينصح لك في دينك ويحملك على امر آخرتك خير من
ان تلقى رجلا يغرك ويمنيك فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه قال الشعبي فقلت
يا ابا سعيد اغضبت الامير واوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته فقال اليك عني يا عامر قال
فخرجت الى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان اهلا لما ادي
وكنا اهلا ان يفعل بنا ذلك فما رايت مثل الحسن فيمن رايت من العلماء الا مثل الفرس العربي بين المقاريف
وما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال لله عز وجل وقلنا مقاربة لهم قال عامر الشعبي وانا اعاهد
الله ان لا اشهد سلطانا بعد هذه المجالس فاحابيه **ودخل** محمد بن واسع على بلال بن ابي بردة فقال
له ما تقول في القدر قال جيرانك اهل القبور فتفكر فيهم فان فيهم شغلا عن القدر **وعن** الشافعي
حدثنا عمي محمد بن علي قال اني لحاضر مجلس امير المومنين ابي جعفر وفيه ابن ابي ذويب قال وكان
والي المدينة الحسن بن زيد فاتى الغفاريون فشكوا الى ابي جعفر شيئا من امر الحسن بن زيد فقال
الحسن يا امير المومنين سل عنهم ابن ابي ذويب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن ابي ذويب فقال
اشهد انهم اهل تحطم في اعراض الناس كثيرو الاذى لهم فقال ابو جعفر قد سمعتم فقال الغفاريون يا
امير المومنين سله عن الحسن فقال يا ابن ابي ذويب ما تقول في الحسن بن زيد فقال اشهد عليه انه
يحكم بغير الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن ابي ذويب وهو الشيخ الصالح فقالوا
يا امير المومنين سله عن نفسك فقال ما تقول في قال تعفيني يا امير المومنين قال اسالك بالله الا
اخبرتني قال تسالني بالله كانك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال اشهد انك اخذت هذا
المال من غير حقه فجعلته في غير اهله واشهد ان الظلم ببابك فاش قال فجاء ابو جعفر من موضعه
حتى وضع يده في قفا ابن ابي ذويب فقبض عليه ثم قال اما والله لولا اني جالس ههنا لاخذت فارس
والروم والديلم والترك بهذا المكان منك قال فقال ابن ابي ذويب يا امير المومنين قد ولي ابو بكر
وعمر رضي الله عنهما فاخذا الحق وقسما بالسوية واخذا باقفاء فارس والروم واصغرا آنافهم قال فخلى
ابو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال والله لولا اني اعلم انك صادق لقتلتك فقال ابن ابي ذويب والله
يا امير المومنين اني لانصح لك من ابنك المهدي قال فبلغنا ان ابن ابي ذويب لما خرج من مجلس
المنصور لقيه سفين الثوري فقال له يا ابا الحرث لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني
قولك له ابنك المهدي قال يغفر الله لك ابا عبد الله كلنا مهدي كلنا كان في المهد **وعن**
الاوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث الي ابو جعفر المنصور امير المومنين وانا بالساحل فاتيته
فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال ما الذي يبطئ بك عنا يا
اوزاعي قال قلت وما الذي تريد يا امير المومنين قال اريد الاخذ عنكم والاقتباس منكم قال قلت فانظر
يا امير المومنين ان لا تجهل شيئا مما اقول لك قال وكيف اجهله وانا اسالك عنه وفيه وجهت اليك

وانذرتك له قال قلت ان تسمعه ثم لا تعمل به قال فصاح بي الربيع واهوى بيده الى السيف فانتهره
المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانبسطت في الكلام فقلت يا امير
المومنين حدثني مكحول عن عطية بن بسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما عبد جاءته موعظة
من الله في دينه فانها نعمة من الله سيقت اليه فان قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد
بها اثما ويزداد الله بها عليه سخطا يا امير المومنين حدثني مكحول عن عطية بن بسر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة يا امير المومنين من كره الحق فقد
كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذي لين قلوب امتكم لكم حين ولاكم امورهم لقرابتكم من نبيكم محمد صلى
الله عليه وسلم وقد كان بهم رؤفا رحيما مواسيا لهم بنفسه في ذات يده محمودا عند الله وعند الناس
فحقيق ان تقوم له فيهم بالحق وان تكون بالقسط له فيهم قائما ولعوراتهم ساترا لا تغلق عليك دونهم الابواب
ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما اصابهم من سوء يا امير المومنين قد كنت في شغل
شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين اصبحت تملكهم احمرهم واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل
له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبعث منهم فئام وراء فئام ليس منهم احد الا وهو يشكو بلية
ادخلتها عليه او ظلامة سقتها اليه يا امير المومنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويروع بها المنافقين فاتاه جبريل عليه السلم فقال يا محمد ما
هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب امتك وملات قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق ابشارهم وسفك
دماءهم وخرب ديارهم واجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه يا امير المومنين حدثني مكحول عن زياد عن
حارثة عن حبيب بن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه في خدش خدشه
اعرابيا لم يتعمده فاتاه جبريل عليه السلم فقال يا محمد ان الله لم يبعثك جبارا ولا متكبرا فدعا النبي صلى الله
عليه وسلم الاعرابي فقال اقتص مني فقال الاعرابي قد احللتك بابي انت وامي ما كنت لافعل ذلك
ابدا ولو اتيت على نفسي فدعا له بخير يا امير المومنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الامان من ربك
وارغب في جنة عرضها السموات والارض التي يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيد قوس احدكم
من الجنة خير من الدنيا وما فيها يا امير المومنين ان الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل اليك وكذا لا يبقى
لك كما لم يبق لغيرك يا امير المومنين تدري ما جاء في تاويل هذه الآية عن جدك ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها قال الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فكيف بما عملته الايدي وحصدته الالسن
يا امير المومنين بلغني ان عمر بن الخطاب قال لو ماتت سخلة على شاطئ الفرات ضيعة لخشيت ان
اسال عنها فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك يا امير المومنين تدري ما جاء في تاويل هذه الآية
عن جدك يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن
سبيل الله قال يا داود اذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك في احدهما هوى فلا تتمنين في نفسك
ان يكون الحق له فيفلح على صاحبه فامحوك عن نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة يا داود انما جعلت
رسلي الى عبادي رعاء كرعاء الابل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلا والماء يا امير المومنين انك بليت بامر لو عرض على السموات والارض والجبال

لا بين ان يحملنه وا شفق منه يا امير المومنين حدثني يزيد بن جابر عن عبد الرحمن بن عمرو الانصاري
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلا من الانصار على الصدقة فرآه بعد ايام مقيما فقال
له ما منعك من الخروج الى عملك اما علمت ان لك مثل اجر المجاهد في سبيل الله قال لا قال وكيف ذلك
قال لانه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من وال يلي شيا من امور الناس الا اتى به يوم القيمة
مغلولة يده الى عنقه فوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه
ثم يعاد فيحاسب فان كان محسنا نجا باحسانه وان كان مسيئا انخرق به ذلك الجسر فيهوي به في النار
سبعين خريفا فقال له عمر ممن سمعت هذا قال من ابي ذر وسلمان فارسل اليهما عمر فسالهما فقالا نعم سمعناه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه واعمراه من يتولاها بما فيها فقال ابو ذر
من سلت الله انفه والصق خده بالارض قال فاخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب
حتى ابكاني ثم قلت يا امير المومنين قد سال جدك العباس النبي صلى الله عليه وسلم امارة على مكة
او الطايف او اليمن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا
تحصيها نصيحة منه لعمه وشفقة عليه واخبره انه لا يغني عنه من الله شيا اذ اوحى الله اليه
وانذر عشيرتك الاقربين فقال يا عباس ويا صفية عمي النبي ويا فاطمة بنت محمد اني لست اغني عنكم
من الله شيا لي عملي ولكم عملكم وقد قال عمر بن الخطاب لا يقيم امر الناس الا حصيف العقل
اريب العقد لا يطلع منه على عورة ولا يحنق منه على جرة ولا تاخذه في الله لومة لايم وقال الامراء
اربعة فامير قوي ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة وامير
فيه ضعف ظلف نفسه وارتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك الا ان يرحمه الله وامير ظلف
عماله وارتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الرعاء الحطمة فهو الهالك وحده
وامير ارتع نفسه وعماله فهلكوا جميعا وقد بلغني يا امير المومنين ان جبريل عليه السلم اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال اتيتك حين امر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيمة فقال له
يا جبريل صف لي النار فقال ان الله عز وجل امر بها فاوقد عليها الف عام حتى احمرت ثم اوقد
عليها الف عام حتى اصفرت ثم اوقد عليها الف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا ينطفي لهبها
ولا جمرها والذي بعثك بالحق لو ان ثوبا من ثياب اهل النار اظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو
ان ذنوبا من شرابها صبت في مياه الارض لقتل من ذاقه ولو ان ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله
وضع على جبال الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو ان رجلا ادخل النار ثم اخرج منها
لمات اهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل
عليه السلم لبكايه فقال اتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا
شكورا ولم بكيت يا جبريل وانت الروح الامين امين الله على وحيه قال اخاف ان ابتلى بما ابتلي
به هاروت وماروت فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فاكون قد امنت مكره فلم يزالا يبكيان
حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد ان الله قد امنكما ان تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على
ساير الانبيا كفضل جبريل على ساير ملايكة السماء وقد بلغني يا امير المومنين ان عمر بن الخطاب رضي الله

قال

قال اللهم ان كنت تعلم اني ابالي اذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب وبعيد فلا
تمهلني طرفة عين يا امير المومنين ان اشد الشدة القيام لله بحقه وان اكرم الكرم عند الله التقوى
وانه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله ومن طلبه بمعصية الله اذله الله ووضعه فهذه نصيحتي
والسلام عليك ثم نهضت فقال لي اين تريد قلت الى الولد والوطن باذن امير المومنين ان شاء
الله قال قد اذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها بقبول حسن والله الموفق للخير والمعين
عليه وبه استعين وعليه اتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مقابلتك اياي بمثل هذا
فانك المقبول القول غير المتهم في النصيحة قلت افعل ان شاء الله قال محمد بن مصعب فامر
له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله فقال انا في غنى عنه وما كنت لابيع نصيحتي بعرض من
الدنيا وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك وعن ابن المهاجر قدم امير المومنين المنصور
مكة فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في اخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به فاذا طلع الفجر
رجع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقيمت الصلوة فيصلي بالناس فخرج ذات
ليلة حين اسحر فبينا هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول اللهم اني اشكو اليك ظهور البغي
والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فاسرع المنصور في مشيه حتى ملا
مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وارسل اليه فدعاه فاتاه الرسول فقال له اجب
امير المومنين فصلى ركعتين واستلم الركن واقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له المنصور ما هذا سمعتك
تقول من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الظلم والطمع فوالله لقد حشوت مسامعي
ما امرضني واقلقني فقال يا امير المومنين ان امنتني على نفسي انباتك بالامور من اصولها والا اقتصرت
على نفسي ففيها لي شغل شاغل فقال له انت امن على نفسك فقال الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين
الحق واصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض انت قال ويحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء
والبيضاء على يدي والحلو والحامض في قبضتي قال وهل دخل احدا من الطمع ما دخلك يا امير المومنين
ان الله عز وجل استرعاك امور المسلمين واموالهم واغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم وجعلت
بينك وبينهم حجابا من الجص والاجر وابوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها
منهم وبعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزراء واعوانا ظلمة ان نسيت لم يذكروك
وان احسنت لم يعينوك وقويتهم على ظلم الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تامر بايصال المظلوم
ولا الملهوف ولا الجايع ولا العاري ولا الضعيف ولا الفقير ولا احد الا وله في هذا المال حق فلما
راك هولاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك واثرتهم على رعيتك وامرتهم ان لا يحجبوا عنك تجبي
الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا فايتمروا على ان لا يصل اليك
من علم اخبار الناس الا ما ارادوا ولا يخرج لك عامل فيخالف لهم امرا الا اقصوه حتى تسقط منزلته و
يصغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم اعظمهم الناس وهابوهم وكان اول من صانعهم عمالك
بالهدايا والاموال ليتقووا بها على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذووا القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم
من دونهم من الرعية فامتلات بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هولاء القوم شركاءك في

سلطانك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول وان اراد رفع قصة اليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سالوا صاحب المظالم ان لا يرفع مظلمته وان كان للمتظلم به حرمة واجابة لم يمكنه ما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا جهد واحرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وانت تنظر فلا تنكر ولا تغير فما بقاء الاسلام واهله على هذا وقد كانت بنو امية وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الا رفعت ظلامته اليهم فينصف ولقد كان الرجل ياتي من اقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا اهل الاسلام فيبتدرونه ما لك ما لك فيرفعون مظلمته الى سلطانهم فينتصف لهم وقد كنت يا امير المومنين اسافر الى ارض الصين وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه ما لك تبكي ولا بكت عيناك فقال اما اني ان كان قد ذهب سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس ان لا يلبس ثوبا احمر الا مظلوم فكان يركب الفيل في طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا امير المومنين مشرك بالله قد غلبت رافته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وانت مومن بالله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغلبك رافتك بالمسلمين على شح نفسك فانك لا تجمع الاموال الا لواحد من ثلاثة ان قلت اجمعها لولدي فقد اراك الله عبرا في الطفل الصغير يسقط من بطن امه وما له على الارض مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله يلطف لذلك الطفل حتى يعظم رغبة الناس اليه ولست الذي تعطي بل الله الذي يعطي من يشاء وان قلت اجمع المال لاشيد سلطاني فقد اراك الله عبرا فيمن كان قبلك ما اغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما اعدوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرك وولد ابيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين اراد الله بكم ما اراد وان قلت اجمع المال لطلب غاية هي اجسم من الغاية التي فيها فوالله ما فوق ما انت فيه الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح يا امير المومنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك باشد من القتل قال لا قال فكيف تصنع بالملك الذي خولك الله وما انت فيه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الاليم وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك واضمرته جوارحك فما تقول اذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يغني عنك عنده شي مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا فبكا المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارتفع صوته ثم قال يا ليتني لم اخلق ولم اك شيا ثم قال كيف احتيالي فيما خولت ولم ار من الناس الا خائنا قال يا امير المومنين عليك بالايمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هربوا منك مخافة ان تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك ولكن افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع الظالم وخذ الشي مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وانا ضامن عمن هرب منك ان ياتيك فيعاونك على صلاح امرك ورعيتك فقال المنصور اللهم وفقني ان اعمل بما قال هذا الرجل وجاء الموذنون فسلموا عليه واقيمت الصلوة فخرج فصلى

بهم ثم قال للحرسي عليك بالرجل ان لم تاتيني به لاضربن عنقك واغتاظ عليه غيظا شديدا ان لم يوجد فخرج الحرسي يطلب الرجل فبينا هو يطوف فاذا هو بالرجل يصلي في بعض الشعاب فقعد حتى صلى ثم قال يا ذا الرجل اما تتقي الله قال بلى قال اما تعرفه قال بلى قال فانطلق معي فقد الى على نفسه ان يقتلني ان لم آته بك قال ليس لي الى ذلك من سبيل قال يقتلني قال ولا يقتلك قال فكيف قال تحسن تقرا قال لا قال فاخرج من مزود كان معه رقا فيه مكتوب شي قال خذه فاجعله في جيبك فان فيه دعاء الفرج قال وما دعاء الفرج قال لا يرزقه الا الشهداء قلت رحمك الله قد احسنت الي فان رايت ان ما هذا الدعاء وما فضله قال من دعا به مساء وصباحا هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه واعطي امله واعين على عدوه وكتب عند الله صديقا ولا يموت الا شهيدا يقول اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت ارضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شي لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار امر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم امسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي اطمعني ان اسالك ما لا استوجبه مما قصرت فيه ادعوك آمنا واسالك مستانسا وانك المحسن الي وانا المسي الى نفسي فيما بيني وبينك تتودد الي واتبغض اليك ولكن الثقة بك حملتني على الجراة عليك فعد بفضلك واحسانك علي انك انت التواب الرحيم قال فاخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم غير امير المومنين فدخلت فسلمت عليه فرفع راسه فنظر الي وتبسم ثم قال ويلك وتحسن السحر فقلت لا والله يا امير المومنين ثم قصصت عليه امري مع الشيخ فقال هات الرق الذي اعطاك ثم جعل يبكي وقال نجوت وامر بنسخه واعطاني عشرة آلاف درهم ثم قال اتعرفه قلت لا قال ذاك الخضر عليه السلام وعن ابي عمران الجوني قال لما ولي هرون الرشيد الخلافة زاره العلماء وهناوه بما صار اليه وفيه وفتح بيوت الاموال فاقبل يجيزهم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مواخيا لسفين بن سعيد الثوري قديما فهجره سفينا ولم يزره فاشتاق هرون الى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعبا بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك على هرون فكتب اليه كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون الرشيد امير المومنين الى اخيه سفين اما بعد يا اخي قد علمت ان الله تبارك وتعالى واخا بين المومنين وجعل ذلك فيه وله واعلم اني واخيتك مواخاة لم اصرم منها حبلك ولم اقطع منها ودك واني منطو لك على افضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله لاتيتك ولو حبوا لما اجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا ابا عبد الله انه ما بقي من اخواني واخوانك احد الا وقد زارني وهناني بما صرت اليه وقد فتحت بيوت الاموال واعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت بها نفسي وقرت بها عيني واني استبطيتك فلم تاتني وقد كتبت اليك كتابا شوقا مني اليك شديدا وقد علمت يا ابا عبد الله ما جاء في فضل المومن وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك كتابي فالعجل العجل قال فلما كتب الكتاب

لتفت الى من عنده فاذا كلهم يعرفون سفين وخشونته فقال علي برجل من الباب فادخل عليه
رجل يقال له عباد الطالقاني فقال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلتها فاسئل
عن قبيلة بني ثور ثم سل عن سفين الثوري فاذا رايته فالق كتابي هذا اليه وع بسمعك وقلبك
جميع ما يكون فاحص عليه دقيق امره وجليله لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى
ورد الكوفة فسال عن القبيلة فارشد اليها ثم سال عن سفين فقيل له هو في المسجد قال عباد فاقبلت
الى المسجد فلما رآني قام قايما ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم واعوذ بك اللهم من
طارق يطرقنا الا بخير قال عباد فوقعت الكلمة في قلبي فلما رآني نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن
وقت الصلوة فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤسهم كانهم
لصوص وقد ورد عليهم السلطان فهم خايفون من العقوبة فسلمت فما رفع احد الي راسه وردوا
علي السلام باطراف الاصابع فبقيت واقفا ما منهم احد يعرض علي الجلوس وقد علاني من هيبتهم
الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان المصلي هو سفين فرميت بالكتاب اليه فلما راى الكتاب ارتعد
وتباعد منه كانه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وادخل يده في كمه ولفها بعبايه واخذه
فقلبه بيده ثم رماه الى من كان خلفه وقال ياخذه بعضكم يقراه فاني استغفر الله ان امس شيئا
مسه ظالم بيده قال عباد فمد بعضهم يده اليه فحله كانه خايف من فم حية تنهشه ثم فضه
وقراه واقبل سفين يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوه واكتبوا الى الظالم في ظهر
كتابه فان اكتسبه من حلال فسوف يجزى وان كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شيء
مسه ظالم عندنا يفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب فقال اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم
من العبد الميت سفين بن سعيد بن منذر الثوري الى العبد المغرور بالآمال هرون الذي
سلب حلاوة الايمان اما بعد فاني قد كتبت اليك اعلمك اني قد صرمت حبلك وقطعت
ودك وقليت موضعك وانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت
على بيت مال المسلمين فانفقته في غير حقه وانفذته بغير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وانت ناء عني
حتى كتبت الي تشهدني على نفسك اما اني قد شهدت عليك انا واخواني الذين شهدوا قراءة
كتابك وسنؤدي الشهادة عليك غدا بين يدي الله عز وجل يا هرون هجمت على بيت مال المسلمين
بغير رضاهم هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في ارض الله والمجاهدون في سبيل الله
ام ابن السبيل ام رضي بذلك حملة القرآن واهل العلم والارامل والايتام ام هل رضي بذلك خلق
من رعيتك فشد يا هرون ميزرك واعد للمسئلة جوابا وللبلاء تجفافا واعلم بانك سوف تقف
بين يدي الحكم العدل وتفكر في نفسك اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة
الاخيار ورضيت لنفسك ان تكون ظالما وللظالمين اماما يا هرون قعدت على السرير و
لبست الحرير واسبلت سترا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم اقعدت اجنادك
الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمر ويضربون من يشربها
ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق افلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم

بل

قبل ان يحكم بها على الناس فكيف بك يا هرون غدا اذا نادى المنادي من قبل الله عز وجل احشروا
الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من الظلمة واعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله
ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما الا عدلك وانصافك والظالمون حولك وانت لهم سابق
وامام الى النار كاني بك يا هرون غدا اذا نادى المنادي قد اخذت بضيق الخناق ووردت
المساق وانت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك بلاء على بلاء وظلمة على ظلمة
فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها واعلم اني قد نصحت لك وما ابقيت لك
في النصح غاية فاتق الله يا هرون في رعيتك واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في امته واحسن الخلافة
عليهم واعلم ان هذا الامر لو بقي لغيرك لم يصل اليك وهو صاير الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل باهلها
واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته واني احسبك يا هرون
ممن خسر دنياه وآخرته فاياك واياك ان تكتب الي كتابا بعد هذا فلا اجيبك عنه والسلام قال
عباد فالقى الي الكتاب منشورا غير مطوي ولا مختوم فاخذته واقبلت الى سوق الكوفة وقد وقعت
الموعظة من قلبي فناديت يا اهل الكوفة فاجابوني فقلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من
الله الى الله فاقبلوا الي بالدنانير والدراهم فقلت لا حاجة لي في المال ولكن جبة صوف خشنة و
عباءة قطوانية قال فاتيت بذلك ونزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت البسه مع امير المؤمنين
فاقبلت اقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت احمله حتى اتيت باب امير المؤمنين هرون حافيا
راجلا فهزأ بي من كان على باب الخليفة ثم استؤذن لي فلما دخلت مجلسه وبصر بي هرون على
تلك الحال قام وقعد ثم قام قايما وجعل يلطم راسه ووجهه ويدعو بالويل والحرب ويقول
انتفع الرسول وخاب المرسل ما لي وللدنيا ما لي وللملك يزول عني سريعا ثم القيت الكتاب اليه منشورا
كما دفع اليه فاقبل هرون يقراه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرا ويشهق فقال بعض جلسائه
يا امير المؤمنين لقد اجترا عليك سفين فلو وجهت اليه فاثقلته بالحديد وضيقت عليه
السجن كنت تجعله عبرة لغيره فقال اتركونا يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقي من اهلكتموه
ان سفين امة وحده فاتركوا سفين وشانه ثم لم يزل كتاب سفين الى جنب هرون يقراه عند
كل صلوة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غدا من عمله
فانه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولي التوفيق وعن عبد الله بن مهران قال حج الرشيد
فوافى الكوفة فاقام بها اياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس
بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به اذ اقبلت هوادج هرون فكف الصبيان عن الولوع
به فلما جاء هرون نادى باعلى صوته يا امير المؤمنين يا امير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده
عن وجهه فقال لبيك يا بهلول فقال يا امير المؤمنين حدثنا ايمن بن نايل عن قدامة بن عبد الله العامري
قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا من عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك
اليك وتواضعك في سفرك هذا يا امير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك قال فبكى هرون حتى سقطت
دموعه على الارض ثم قال يا بهلول زدنا رحمك الله قال نعم يا امير المؤمنين رجل آتاه الله مالا و

جمالا فانفق من ماله وعفت في جماله كتب في خالص ديوان الله عز وجل من الابرار قال احسنت يا بهلول
مع الجائزة قال اردد الجائزة على من اخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فان يكن عليك
دين قضيناه قال يا امير المؤمنين هؤلاء اهل العلم بالكوفة متوافرون اجتمعت آراؤهم على ان قضاء
الدين بالدين لا يجوز قال يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك ويقيمك قال فرفع بهلول راسه الى
السماء ثم قال يا امير المؤمنين انا وانت من عيال الله فمحال ان يذكرك وينساني قال فاسبل هرون
السجاف ومضى وعن ابن العباس الهاشمي من ولد صالح بن المامون قال دخلت على حارث المحاسبي
رحمه الله فقلت يا ابا عبد الله حاسبت نفسك قال كان هذا مرة قلت له فاليوم قال اكاتم حالي اني
لاقرا آية من كتاب الله عز وجل فاضن ان تسمعها نفسي ولولا ان يغلبني فيها فرح ما اعلنت بها
ولقد كنت ليلة قاعدا في محرابي فاذا انا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم علي ثم قعد بين
يدي فقلت له من انت فقال انا واحد من السياحين اقصد المتعبدين في محاريبهم ولا ارى لك اجتهادا
فاي شيء عملك قال قلت له كتمان المصائب واستجلاب الفوائد قال فصاح وقال ما علمت ان احدا
بين جنبتي المشرق والمغرب هذه صفته قال حارث فاردت ان ازيد عليه فقلت له اما علمت
ان اهل القلوب يخفون احوالهم ويكتمون اسرارهم ويسالون الله عز وجل كتمان ذلك عليهم فمن اين تعرفهم قال
فصاح صيحة غشي عليه فمكث عندي يومين لا يعقل ثم افاق وقد احدث في ثيابه فعلمت ان ذلك لعقله
فاخرجت له ثوبا جديدا وقلت له هذا كفني قد آثرتك به فاغتسل واعد صلواتك فقال هات
الماء فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له اين تريد فقال لي قم فلم يزل يمشي حتى دخل
على المامون امير المؤمنين فسلم عليه ثم قال له يا ظالم وانا ظالم ان لم اقل لك يا ظالم استغفر الله من
تقصيري فيك اما تتقي الله عز وجل فيما قد ملكك وتكلم بكلام كثير ثم اقبل يريد الخروج وانا جالس بالباب
فاقبل عليه المامون وقال من انت قال انا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي
فلم اجد لنفسي فيه حظا فتعلقت بموعظتك لعلي الحقهم قال فامر بضرب عنقه واخرج وانا قاعد
على الباب ملفوفا في ذلك الثوب ومناد ينادي من ولي هذا فليأخذه قال حارث فاختبيت
عنه فاخذه اقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا اعلمهم بحاله فاقمت في مسجد في المقابر محزونا
على الفتى فغلبتني عيناي فاذا هو بين وصائف لم ار احسن منهن وهو يقول يا حارث انت
والله من الكاتمين الذين يخفون احوالهم ويطيعون ربهم قلت وما فعلوا قال الساعة يلقونك
فنظرت الى جماعة ركبان فقلت من انتم قالوا نحن الذين اخفوا احوالهم حرك هذا الفتى كلامك له فلم يكن في قلبه مما وصفت
شيء فخرج للامر والنهي وان الله عز وجل انزله معنا وغضب لعبده وعن احمد بن ابراهيم المقري قال
كان ابو الحسين النوري رجلا قليل الفضول لا يسال عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج اليه وكان
اذا راى منكرا غيره ولو كان فيه تلفه فنزل ذات يوم الى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر
للصلاة اذ راى زورقا فيه ثلاثون دنا مكتوب عليها بالقار لطف فقراه وانكره لانه لم
يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئا يعبر عنه بلطف فقال للملاح ايش في هذه الدنان
قال وايش عليك امض لشغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشا الى معرفته

فقال احب ان تخبرني ايش في هذه الدنان فقال الملاح انت والله صوفي فضولي هذا خمر
للمعتضد يريد ان يتم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر قال نعم فقال احب ان تعطيني ذلك المردي
فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه اعطه المردي حتى انظر ما يصنع فلما صار المردي في يده صعد الى
الزورق فلم يزل يكسرها دنا دنا حتى اتى على آخرها الا دنا واحدا والملاح يستغيث الى ان ركب
صاحب الجسر وهو يومئذ مونس بن افلح فقبض على النوري واشخصه الى حضرة المعتضد وكان المعتضد
سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس انه سيقتله قال ابو الحسين فادخلت عليه وهو جالس على
كرسي حديد وبيده عمود يقلبه فلما رآني قال من انت قلت محتسب قال ومن ولاك الحسبة
قال الذي ولاك الامامة ولاني الحسبة يا امير المؤمنين قال فاطرق الى الارض ساعة ثم رفع راسه
الي وقال ما الذي حملك على ما صنعت فقلت شفقة مني عليك اذ بسطت يدي الى صرف مكروه
عنك فقصرت عنه فاطرق مفكرا من كلامي ثم رفع راسه وقال كيف تخلص هذا الدن الواحد من
جملة الدنان فقال في تخلصه علة اخبر بها امير المؤمنين ان اذن فقال هات خبرني فقلت
يا امير المؤمنين اني اقدمت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه وتعالى لي بذلك وغمر قلبي شاهد الاجلال
للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فاقدمت عليها بهذه الحال الى ان صرت الى هذا
الدن فخرجت نفسي كبرا على اني قد اقدمت على مثلك فمنعت ولو اقدمت عليه بالحال الاول و
كانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم ابال فقال المعتضد اذهب فقد اطلقنا يدك غير ما
احببت ان تغيره من المنكر قال ابو الحسين فقلت يا امير المؤمنين بغض الي التغيير لاني
كنت اغير عن الله عز وجل وانا الآن اغير شرطي فقال المعتضد ما حاجتك قلت يا امير المؤمنين
تامر باخراجي سالما فامر له بذلك وخرج الى البصرة فكان اكثر ايامه بها خوفا من ان يسال حاجة
يسالها المعتضد فاقام بالبصرة الى ان توفي المعتضد ثم رجع الى بغداد فهذه كانت سيرة
العلماء وعادتهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل
الله ان يحرسهم ورضوا بحكم الله ان يرزقهم الشهادة فلما اخلصوا لله النية اثر كلامهم في القلوب
القاسية فلينها وازال قسوتها واما الآن فقد قيدت الاطماع السن العلماء فسكتوا
وان تكلموا لم تساعد اقوالهم احوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا الله وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعايا
بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن
استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والاكابر والله المستعان

تم كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحمد لله رب العالمين

كتاب آداب المعيشة واخلاق النبوة
وهو الكتاب العاشر من ربع العادات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي خلق كل شيء فاحسن خلقه وترتيبه • وادب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فاحسن
تاديبه • وزكى اوصافه واخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه • ووفق للاقتداء به من اراد تهذيبه • وحرم

عن التخلق باخلاقه من اراد تجنبه • وصلى الله على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيرا
اما بعد فان آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والاعمال
نتيجة الاخلاق والآداب رشح المعارف وسرائر القلوب هي مغارس الافعال ومنابعها وانوار السرائر
هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساويها ومن لم يخشع
قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الانوار الالهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب
النبوية ولقد كنت عزمت على ان اختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة
لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب ثم رايت كل كتاب من ربع العبادات وربع
العادات قد اتى على جملة من الآداب فاستثقلت تكريرها واعادتها فان طلب الاعادة ثقيل
والنفوس مجبولة على معاداة المعادات فرايت ان اقتصر في الكتاب على ذكر آداب رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخلاقه المأثورة عنه بالاسناد فاسردها مجموعة فصلا فصلا محذوفة
الاسانيد ليجتمع فيه مع جميع الآداب تجديد الايمان وتاكيده بمشاهدة اخلاقه الكريمة التي تشهد
آحادها على القطع بانه اكرم خلق الله تعالى واعلاهم رتبة واجلهم قدرا فكيف مجموعها ثم اضيف الى
ذكر اخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الاخبار ليكون ذلك معربا عن مكارم الاخلاق والشيم
ومنتزعا عن آذان الجاحدين لنبوته صمام الصمم والله تعالى ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين
في الاخلاق والاحوال وسائر معالم الدين فانه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين ولنذكر
فيه اولا بيان تاديب الله تعالى اياه بالقرآن ثم بيان جوامع من محاسن اخلاقه ثم بيان جملة من آدابه
واخلاقه ثم بيان كلامه وضحكه ثم بيان آدابه واخلاقه في اللباس ثم بيان عفوه مع القدرة
ثم بيان اغضائه عما كان يكرهه ثم بيان سخاوته وجوده ثم بيان شجاعته وباسه ثم بيان
تواضعه ثم بيان صورته وخلقته ثم بيان جوامع معجزاته وآياته صلى الله عليه وسلم

بيان تاديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمدا صلعم بالقرآن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير
الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى ان يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الاخلاق فكان
يقول في دعائه اللهم حسن خلقي وخلقي ويقول اللهم جنبني منكرات الاخلاق فاستجاب الله تعالى
دعاءه وفاء بقوله تعالى ادعوني استجب لكم فانزل عليه القرآن وادبه به فكان خلقه القرآن قال
سعد بن هشام دخلت على عائشة رضي الله عنها فسالتها عن اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
اما تقرا القرآن قلت بلى قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وانما ادبه بالقرآن
بمثل قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء
ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وبقوله تعالى واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وبقوله
ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وبقوله فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وبقوله و
ليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم وبقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم وبقوله والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وبقوله اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن
اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ولما كسرت رباعيته يوم احد جعل الدم يسيل على

وجهه وهو يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل
الله عز وجل ليس لك من الامر شيء تاديبا له على ذلك وامثال هذه التاديبات في القرآن لا تحصى وهو
المقصود الاول بالتاديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فانه ادب بالقرآن وادب الخلق
به ولذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ثم رغب الخلق في محاسن الاخلاق
بما اوردناه في كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق فلا نعيده ثم لما اكمل الله خلقه اثنى عليه فقال
وانك لعلى خلق عظيم فسبحانه ما اعظم شانه واتم امتنانه انظر الى عظيم فضله كيف اعطى ثم اثنى
فهو الذي زينه بالخلق الكريم ثم اضاف اليه ذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم ثم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين للخلق ان الله يحب مكارم الاخلاق ويبغض سفسافها قال علي كرم الله وجهه يا عجبا
لرجل مسلم يجيئه اخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخشى
عقابا لقد كان ينبغي له ان يسارع في مكارم الاخلاق فانها مما تدل على سبيل النجاة فقال له رجل
أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم وما هو خير منه لما اتي بسبايا طي وقعت جارية
في السبي فقالت يا محمد ان رايت ان تخلي عني ولا تشمت بي احياء العرب فاني بنت سيد
قومي وان ابي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم
يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم طي فقال صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين
حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق وان الله يحب
مكارم الاخلاق فقال والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة الا حسن الاخلاق • وعن معاذ بن جبل عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى حف الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومن ذلك
حسن المعاشرة وكرم الصنيعة ولين الجانب وبذل المعروف واطعام الطعام وافشاء السلام
وعيادة المريض المسلم برا كان او فاجرا وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان
او كافرا وتوقير ذي الشيبة المسلم واجابة الطعام والدعاء عليه والعفو والاصلاح والجود
والكرم والسماحة والابتداء بالسلام وكظم الغيظ والعفو عن الناس واذهب الاسلام اللهو والباطل
والغناء والمعازف وكل ذي وتر وكل دخل والكذب والغيبة والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة
والنميمة وسوء ذات البين وقطيعة الارحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال والاستطالة
والمدح والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم قال انس
رضي الله عنه فلم يدع نصيحة جميلة الا وقد دعانا اليها وامرنا بها ولم يدع غشا او قال عيبا او شينا
الا حذرناه ونهانا عنه ويكفي من ذلك كله هذه الآية ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء
ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقال معاذ اوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا معاذ اوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد واداء الامانة وترك الخيانة و
حفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الامل ولزوم الايمان والتفقه
في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وانهاك ان تسب حكيما او تكذب صادقا
او تطيع آثما او تعصي اماما عادلا او تفسد ارضا واوصيك باتقاء الله عز وجل عند كل حجر و

ومدد وان تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية فهكذا ادب عباد الله ودعاهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب **بيان جملة من محاسن اخلاقه جمعها بعض العلماء والتقطها من الاخبار** فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احلم الناس واشجع الناس واعدل الناس واعف الناس لم تمس يده يد امرأة قط لا يملك رقها او عصمة نكاحها او يكون ذات محرم منه وكان اسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل ولم يجد من يعطيه وفجئه الليل لم يأو الى منزله حتى يتبرأ منه الى من يحتاج اليه لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه فيؤثر منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام ان لم يأته شيء وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة اهله ويقطع اللحم معهن اشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه احد يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن ويكافي عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر عن اجابة الامة والمسكين يغضب لربه عز وجل ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى اصحابه عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة الى انسان واحد يزيد في عدد من معه فابى وقال انا لا نستنصر بمشرك ووجد من فضلاء اصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وان باصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ومرة يأكل ما حضر لا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال ان وجد تمرا دون خبز اكله وان وجد شواء اكله وان وجد خبز بر او شعير اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا او رطبا اكله لا يأكل متكئا ولا على خوان منديله باطن قدميه لم يشبع من خبز بر ثلاثة ايام متوالية حتى لقي الله عز وجل ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين اعدائه بلا حارس اشد الناس تواضعا واسكنهم في غير كبر وابلغهم من غير تطويل واحسنهم بشرا لا يهوله شيء من امور الدنيا ويلبس ما وجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه في خنصره الايمن والايسر يردف خلفه عبده او غيره يركب ما امكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في اقصى المدينة يحب الطيب ويكره الرائحة الردية ويجالس الفقراء ويواكل المساكين ويكرم اهل الفضل في اخلاقهم ويتألف اهل الشرف بالبر لهم يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم لا يجفو على احد يقبل معذرة المعتذر اليه يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلا ينكره ويسابق اهله وترفع الاصوات عليه فيصبر وكان له لقاح وغنم يتقوت هو واهله من البانها وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس ولا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى او فيما لا بد له منه من صلاح نفسه يخرج الى بساتين اصحابه لا يحقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاء واحدا قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة الكاملة وهو امي لا يكتب ولا يقرأ نشأ في بلاد الجهل والصحارى في فقر وفي رعاية الغنم يتيما لا اب له ولا ام فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة واخبار

الاولين والآخرين وما فيه الفوز والنجاة في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول وفقنا الله لطاعته في امره والتأسي به في فعله آمين رب العالمين **بيان جملة اخرى من اخلاقه وآدابه مما رواه ابو البختري** قال ما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من المؤمنين بشتيمة الا جعل لها كفارة ورحمة وما لعن امرأة قط ولا خادما بلعنة وقيل له وهو في القتال لو لعنتهم يا رسول الله فقال انما بعثت رحمة ولم ابعث لعانا وكان اذا سئل ان يدعو على احد مسلم او كافر عام او خاص عدل عن الدعاء عليه الى الدعاء له وما ضرب بيده احدا قط الا ان يضرب بها في سبيل الله وما انتقم من شيء صنع اليه قط الا ان ينتهك حرمة الله وما خير بين امرين قط الا اختار ايسرهما الا ان يكون فيه اثم او قطيعة رحم فيكون ابعد الناس من ذلك وما يأتيه احد حرا او عبدا او امة الا قام كان
معه في حاجته وقال انس والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه لم فعلته ولا لامني احد من اهله الا قال دعوه انما كان هذا بكتاب وقدر قالوا وما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مضجعا ان فرشوا له اضطجع وان لم يفرشوا له اضطجع على الارض وقد وصفه الله تعالى في التورية قبل ان يبعثه في السطر الاول فقال محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام يأتزر على وسطه هو ومن معه رعاة للقرآن والعلم يتوضأ على اطرافه وكذلك نعته في الانجيل وكان من خلقه ان يبدأ من لقيه بالسلام ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ وكان اذا لقي احدا من اصحابه بدأه بالمصافحة ثم اخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته وكان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله تعالى وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلوته واقبل اليه وقال الك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلوته وكان اكثر جلوسه ان ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجالس اصحابه لانه كان يجلس حيث ما انتهى به المجلس جلس وما رئي قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بها على احد الا ان يكون المكان واسعا لا ضيق فيه وكان اكثر ما يجلس مستقبل القبلة وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تكون تحته فان ابى ان يقبلها عزم عليه حتى يفعل وما استصفاه احد الا ظن انه اكرم الناس عليه حتى يعطي من جلس اليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مجلسه وتوجهه للجالس اليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وامانة قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولقد كان يدعو اصحابه بكناهم اكراما لهم واستمالة لقلوبهم ويكني من لم تكن له كنية فكان يدعى بما كناه وكان يكني ايضا النساء اللاتي لهن الاولاد واللاتي لم يلدن يبتدئ لهن الكنى ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم وكان ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى وكان ارأف الناس بالناس وخير الناس للناس وانفع الناس للناس ولم يكن ترفع للناس م
في مجلسه الاصوات وكان اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك ثم يقول علمنيهن جبرئيل **بيان كلامه وضحكه صلعم** كان صلى الله عليه

وسلم افصح الناس منطقا واحلاهم كلاما ويقول انا افصح العرب وان اهل الجنة يتكلمون فيها بلغة
محمد صلى الله عليه وسلم وكان نزر الكلام سمح المقالة اذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات النظم
قالت عايشة رضي الله عنها كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا كان كلامه نزرا وانتم تنثرون الكلام نثرا
قالوا وكان اوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبرئيل عليه السلم وكان مع الايجاز يجمع كل ما اراد وكان يتكلم بجوامع
الكلم لا فضول ولا تقصير كلام يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه وكان جهير الصوت
احسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب الا
الحق ويعرض عمن تكلم بغير جميل ويكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وكان اذا سكت تكلم جلساؤه
ولا يتنازع عنده في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة ويقول لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فانه انزل
على وجوه وكان اكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه اصحابه وتعجبا مما تحدثوا به وخلطا لنفسه بهم ولربما
ضحك حتى تبدو نواجذه وكان ضحك اصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيرا له قالوا ولقد جاءه يوما
اعرابي وهو عليه السلم متغير ينكره اصحابه فاراد ان يساله فقالوا لا تفعل يا اعرابي فانا ننكر لونه فقال
دعوني فوالذي بعثه بالحق لا ادعه حتى يتبسم فقال يا رسول الله بلغنا ان المسيح يعني الدجال ياتي
الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا افترى لي بابي انت وامي ان اكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى
اهلك هزلا ام اضرب في ثريده حتى اذا تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين قالوا وكان من اكثر
الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه القرآن او يذكر الساعة او يخطب بخطبة عظة وكان
اذا سر ورضي فهو احسن الناس رضى وان وعظ وعظ بجد وان غضب ولم يكن يغضب الا لله لم يقم
لغضبه شيء وكذلك كان في اموره كلها وكان اذا نزل به الامر فوض الامر وتبرأ من الحول والقوة و
استنزل الهدى فيقول اللهم ارني الحق حقا فاتبعه وارني المنكر منكرا وارزقني اجتنابه واعذني
من ان يشتبه علي فاتبع هواي بغير هدى منك فاجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضى نفسك
من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي الى صراط مستقيم ٥

بيان آدابه واخلاقه في الطعام كان صلى الله عليه وسلم ياكل ما وجد وكان احب الطعام اليه
ما كان على ضفف والضفف ما كثرت عليه الايدي وكان اذا وضعت المائدة قال بسم الله اللهم
اجعلها نعمة مشكورة نصل بها نعمة الجنة وكان كثيرا اذا جلس ياكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه
كما يجلس المصلي الا ان الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد
واجلس كما يجلس العبد وكان لا ياكل الحار ويقول انه غير ذي بركة وان الله تع لم يطعمنا نارا فابردوه
وكان ياكل مما يليه وياكل باصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يكن ياكل باصبعين ويقول
ذلك اكلة الشيطان وجاءه عثمان بن عفان بفالوذج فاكل منه وقال ما هذا يا ابا عبد الله فقال بابي
انت وامي نجعل السمن والعسل في البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم ناخذ مخ الحنطة اذا طحنت
فنلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه حتى ينضج فياتي كما ترى فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا طعام طيب
وكان ياكل خبز الشعير غير منخول وكان ياكل القثاء بالرطب وبالملح وكان احب الفواكه الرطبة اليه

البطيخ والعنب وكان ياكل البطيخ بالخبز والسكر وربما اكله بالرطب ويستعين باليدين جميعا واكل يوما
رطبا كان في يمينه وكان يحفظ النوى في كفه اليسرى وهو ياكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة و
كان ربما اكل العنب خرطا يرى روالة على لحيته كحدر اللؤلؤ وهو الماء الذي يتقطر منه وكان اكثر طعامه
التمر والماء وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الاطيبين وكان احب الطعام اليه اللحم ويقول هو يزيد
في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سالت ربي ان يطعمنيه كل يوم لفعل وكان ياكل
الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة اخي يونس صلى الله عليهما قالت عايشة رضي الله
عنها كان يقول يا عايشة اذا طبختم قدرا فاكثروا فيها من الدبا فانه يشد قلب الحزين وكان ياكل اللحم
لم يطاطي راسه اليه ويرفعه الى فيه رفعا ثم ينهشه انتهاشا وكان ياكل الخبز والسمن وكان يحب من
الشاة الذراع والكتف ومن القدر الدبا ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة بالبركة وقال هي من الجنة
وشفاء من السم والسحر وكان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة
وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول ولا ياكل من الشاة سبعا الذكر والانثيين والمثانة والمرارة
والغدد والحياء والدم ويكره ذلك وكان لا ياكل الثوم ولا البصل ولا الكراث وما ذم طعاما قط
لكن ان اعجبه اكله وان كرهه تركه وان عافه لم يبغضه الى غيره وكان يعاف الضب والطحال ولا
يحرمهما وكان يلعق الصحفة ويقول آخر الطعام اكثر بركة وكان يلعق اصابعه من الطعام حتى
تحمر وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه واحدة واحدة ويقول انه لا يدري في اي الاصابع
البركة واذا فرغ قال اللهم لك الحمد اطعمت واشبعت وسقيت وارويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع
ولا مستغنى عنه وكان اذا اكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلا جيدا ثم يمسح بفضل الماء على وجهه
وكان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي آخرها ثلاث تحميدات وكان يمص
مصا ولا يعب عبا وربما كان يشرب بنفس واحد حتى يفرغ وكان لا يتنفس في الاناء بل ينحرف
عنه وكان يدفع فضل سؤره الى من على يمينه وان كان من على يساره اجل رتبة قال للذي على يمينه
السنة ان تعطي فان احببت آثرتهم واتي باناء فيه عسل ولبن فابى ان يشربه وقال شربتان
في شربة وادامان في اناء واحد ثم قال صلى الله عليه وسلم لا احرمه ولكني اكره الفخر والحساب بفضول
الدنيا غدا فاحب التواضع فان من تواضع لله رفعه الله وكان في بيته اشد حياء من العاتق
لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه عليهم ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب وكان ربما
قام فاخذ ما ياكل ويشرب بنفسه **بيان آدابه واخلاقه في اللباس** كان صلى الله عليه وسلم
يلبس من الثياب ما وجد من ازار او رداء او قميص او جبة او غير ذلك وكان يعجبه الثياب الخضر
وكان اكثر لباسه البياض ويقول البسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم وكان يلبس القباء المحشو
للحرب وغير المحشو وكان له قباء سندس فيلبسه فيحسن خضرته على بياض لونه وكان ثيابه كلها
مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك الى نصف الساق وكان قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار في
الصلوة وغيرها وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها وربما
لبس الكساء وحده ما عليه غيره وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد و

كان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره
يعقد طرفيه بين كتفيه وربما ام به الناس على الجنائز وربما صلى في بيته في الازار الواحد ملتحفا
به مخالفا بين طرفيه ويكون ذلك الازار الذي جامع فيه يومئذ وكان ربما صلى بالليل في الازار
ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك ولقد كان له كساء
اسود فوهبه فقالت له ام سلمة بابي انت وامي ما فعل ذلك الكساء الاسود قال كسوته فقالت
ما رايت شيئا قط كان احسن من بياضك على سواده وقال انس ربما رايته يصلي بنا الظهر
في شملة عاقدا بين طرفيها وكان يتختم وربما خرج في خاتمه خيط مربوط يستذكر به الشيء وكان
يختم على الكتب ويقول الخاتم على الكتاب خير من التهمة وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة
وربما نزع قلنسوته من راسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي اليها وربما لم تكن العمامة فيشد
العصابة على راسه وعلى جبهته وكانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من علي فربما طلع علي
فيها فيقول صلى الله عليه وسلم اتاكم علي في السحاب وكان اذا لبس ثوبا يلبسه من قبل ميامنه
ويقول الحمد لله الذي كساني ما اواري به عورتي واتجمل به في الناس واذا نزع ثوبه خرج من مياسره
وكان له ثوب لجمعته خاصة سوى ثيابه لغير الجمعة وكان اذا لبس جديدا اعطى خلق ثيابه مسكينا
ثم يقول ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه الا لله الا كان في ضمان الله وحرزه وخيره
ما واراه حيا وميتا وكان له فراش من ادم حشوه ليف طوله ذراعان او نحوه وعرضه ذراع وشبر
او نحوه وكانت له عباءة تفرش له حيث ما ينقل تثنى طاقين تحته وكان ينام على الحصير ليس تحته
شيء غيره وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته العقاب واسم سيفه
الذي يشهد به الحروب ذو الفقار وكان له سيف يقال له المخذوم وآخر يقال له الرسوب وآخر
يقال له القضيب وكان قبيعة سيفه من الفضة وكان يلبس المنطقة من الادم فيها ثلاث حلق من فضة
وكان اسم قوسه الكتوم وجعبته الكافور وكان اسم ناقته القصوى وهي التي يقال لها العضباء واسم
بغلته الدلدل وكان اسم حماره يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة وكان له مطهرة من
فخار يتوضا فيها ويشرب منها فيرسل الناس اولادهم الصغار الذين قد عقلوا فيدخلون على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلا يدفعون عنه فاذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم و
اجسادهم يبتغون بذلك البركة **بيان عفوه مع القدرة** كان صلى الله عليه وسلم احلم الناس و
ارغبهم في العفو مع القدرة حتى اتي بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين اصحابه فقام رجل من اهل البادية
فقال يا محمد والله لئن امرك الله ان تعدل فما اراك تعدل فقال ويحك من يعدل عليك بعدي فلما ولى
قال ردوه علي رويدا وروى جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يقبض للناس يوم حنين فضة في ثوب
بلال فقال له رجل يا نبي الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك فمن يعدل اذا لم اعدل فقد خبت
اذن وخسرت ان كنت لا اعدل فقام عمر فقال الا اضرب عنقه فانه منافق فقال معاذ الله ان
يتحدث الناس اني اقتل اصحابي وكان صلى الله عليه وسلم في حرب فراوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى
قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذ رسو

صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذ رسول الله صلى الله عليه و
سلم السيف وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ قال قل اشهد ان لا اله الا الله فقال الاعرابي
لا الا اني لا اقاتلك ولا اكون معك ولا اكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء الى قومه فقال جئتكم من
خير الناس وروى انس ان يهودية اتت النبي صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة لياكل منها فجيء
بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فسالها عن ذلك فقالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك
قالوا افلا نقتلها فقال لا وسحره رجل من اليهود فاخبره جبريل بذلك حتى استخرجه وحل عقده فوجد
لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودي ولا اظهره عليه قط وقال علي كرم الله وجهه بعثني رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها
كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى اتينا روضة خاخ فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي من كتاب
فقلنا لتخرجن الكتاب او لتنزعن الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبي صلى الله عليه
وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى اناس من المشركين بمكة يخبرهم امرا من امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرءا ملصقا في قومي
وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهليهم فاحببت اذ فاتني ذلك منهم من النسب
ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم افعل ذلك كفرا ولا رضى بالكفر بعد الاسلام ولا ارتدادا عن
ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على اهل بدر
فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسما فقال رجل من الانصار
هذه القسمة ما اريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاحمر وجهه وقال رحم الله اخي
موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول لا يبلغني احد منكم عن احد من
اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر **بيان اغضائه عما كان يكرهه**
كان صلى الله عليه وسلم رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه وكان
اذا اشتد وجده اكثر من مس لحيته وكان لا يشافه احدا بما يكرهه دخل عليه رجل وعليه
صفرة فكرهها فلم يقل له شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا ان يدع هذه يعني الصفرة و
بال اعرابي في المسجد بحضرته فهم به الاصحاب فقال صلى الله عليه وسلم لا تزرموه اي لا تقطعوا عليه
البول ثم قال له ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء وفي رواية قربوا ولا تنفروا
وجاءه اعرابي يوما يطلب منه شيئا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال احسنت اليك
فقال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله
وارسل الى الاعرابي وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك فقال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة
خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي شيء من ذلك فان احببت
فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان من الغد
او من العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي
اكذلك فقال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل هذا

الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورًا فناداهم
صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فانا ارفق بها واعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها
فاخذ لها من قمام الارض فردها هوني هوني حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها و
استوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار **بيان**
سخاوته وجوده كان صلى الله عليه وسلم اجود الناس واسخاهم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة
وكان علي كرم الله وجهه اذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان اجود الناس كفًا واجرء الناس
صدرًا واصدق الناس لهجة واوفاهم بذمة والينهم عريكة واكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه
ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم وما سُئل شيًا قط
على الاسلام الا اعطاه وان رجلا اتاه فساله فاعطاه غنمًا بين جبلين فرجع الى قومه وقال اسلموا
فان محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وما سُئل شيا قط فقال لا وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعها
على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سايلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فساله فقال ما عندي شيء
ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم النبي صلى الله عليه
وسلم وعرف السرور في وجهه • ولما قفل من حنين جاءت الاعراب يسالونه حتى اضطروه الى شجرة
فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه
نعمًا لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابًا ولا جبانًا **بيان شجاعته** كان صلى الله عليه
وسلم انجد الناس واشجعهم قال علي رضي الله عنه لقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه
وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسًا وقال ايضا كنا اذا احمر الباس
ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احدًا اقرب الى العدو منه وقيل كان عليه السلام
قليل الكلام قليل الحديث فاذا امر الناس بالقتال تشمر وكان من اشد الناس باسًا وكان الشجاع هو
الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة
الا كان اول من يضرب قالوا وكان قوي البطش • ولما غشيه المشركون نزل فجعل يقول • انا النبي
لا كذب • انا ابن عبد المطلب • فما رئي يومئذ احد اشد منه صلى الله عليه وسلم **بيان**
تواضعه صلعم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس تواضعًا في علو منصبه قال ابن عامر
رايته يرمي الجمرة على ناقة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وكان يركب الحمار موكفًا عليه
قطيفة وكان مع ذلك يستردف وكان يعود المريض ويتبع الجنايز ويجيب دعوة المملوك و
يخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع اهله في حاجتهم وكان اصحابه لا يقومون له لما
عرفوا من كراهته لذلك وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم واتي صلى الله عليه وسلم برجل فارعد من هيبته
فقال اهون عليك فلست بملك انما انا ابن امراة من قريش كانت تاكل القديد وكان يجلس بين
اصحابه مختلطًا بهم كانه احدهم فياتي الغريب فلا يدري ايهم هو حتى يسال عنه حتى طلبوا اليه ان يجلس مجلسًا
يعرفه الغريب فبنوا له دكانا من طين فكان يجلس عليه وقالت عايشة رضي الله عنها كل جعلني الله

فداك متكيا فانه اهون عليك قال فاصغى براسه حتى كاد ان تصيب جبهته الارض ثم
قال بل آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان لا ياكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله
عز وجل كان لا يدعوه احد من اصحابه وغيرهم الا قال لبيك وكان اذا جلس مع الناس ان تكلموا في
معنى الآخرة اخذ معهم وان تحدثوا في طعام وشراب تحدث معهم وان تكلموا في الدنيا تحدث
معهم رفقًا بهم وتواضعًا وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه احيانا ويذكرون اشياء من امر الجاهلية
ويضحكون فيتبسم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا عن حرام **بيان صورته وخلقته صلى**
الله عليه وسلم كان من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قامته انه لم يكن بالطويل البائن ولا القصير المتردد
بل كان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد من الناس ينسب الى
الطول الا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه
نسبا الى الطول ونسب هو الى الربعة ويقول صلى الله عليه وسلم جعل الخير كله في الربعة واما
لونه فقد كان ازهر اللون ولم يكن بالادم ولا الشديد البياض والازهر هو الابيض الناصع الذي لا
يشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الالوان ونعته ابو طالب فقال • وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل • ونعته بعضهم مشرب بحمرة فقال انما كان المشرب منه بالحمرة ما
ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة والازهر الصافي عن الحمرة ما تحت الثياب منه وكان عرقه صلى
الله عليه وسلم في وجهه كاللؤلؤ اطيب من المسك الاذفر واما شعره فقد كان رجل الشعر حسنها
ليس بالسبط ولا الجعد القطط كان اذا مشطه بالمشط ياتي كانه حبك الرمل وقيل كان شعره يضرب
منكبيه واكثر الرواية انه كان الى شحمة اذنيه وربما جعله غدائر اربعا يخرج كل اذن من بين غديرتين
وربما جعل شعره على اذنيه فتبدو سوالفه تتلالا وكان شيبه في الراس واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد
على ذلك • وكان صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجهًا وانورهم لم يصفه واصف الا شبهه بالقمر
ليلة البدر وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه
ابو بكر رضي الله عنه حين يقول • امين مصطفى للخير يدعو • كضوء البدر زايله الظلام • وكان صلى
الله عليه وسلم واسع الجبهة ازج الحاجبين سابغهما وكان ابلج ما بين الحاجبين كان ما بينهما الفضة
المخلصة وكانت عيناه نجلاوين ادعجهما وكان في عينيه تمرج من حمرة وكان اهدب الاشفار
حتى تكاد تلتبس من كثرتها وكان اقنى العرنين مستوي الانف مفلج الاسنان اي مفرقهما وكان
اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق اذا تلالا وكان من احسن عباد الله شفتين والطفهم
ختم فم وكان سهل الخدين صلبهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم كث اللحية وكان يعفي لحيته
وياخذ شاربيه وكان من احسن الناس عنقًا لا ينسب الى الطول ولا الى القصر ما ظهر من عنقه
للشمس والرياح فكانه ابريق فضة مشرب ذهبًا يتلالا في بياض الفضة وفي حمرة الذهب وكان
صلى الله عليه وسلم عريض الصدر ولا يعدو لحم بعض بدنه بعضا كالمرايا في استوايه وكالقمر في
بياضه موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر
غيره وكانت له عكن ثلاث يغطي الازار منها واحدة وتظهر اثنتان وكان عظيم المنكبين

اشعرهما ضخم الكراديس اي رؤس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين وكان واسع الظهر
ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها
شعرات متواليات كانها من عرف فرس وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب
الراحتين سايل الاطراف كان اصابعه قضبان الفضة كفه الين من الخز كان كفه كف عطار
طيبا مسه بطيب او لم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي
فيعرف من بين الصبيان بريحها على راسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذ والساق وكان
معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان لحمه متماسكا يكاد يكون على الخلق الاول لم يضره
السن واما مشيه عليه السلام فكان يمشي كانما ينقلع من صخرة وينحدر من صبب يخطو تكفيا
ويمشي الهوينا بغير تبختر والهوينا تقارب الخطى وكان صلى الله عليه وسلم يقول انا اشبه الناس
بادم وكان ابي ابرهيم اشبه الناس بي خلقا وخلقا وكان يقول ان لي عند ربي عشرة اسماء انا
محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا العاقب الذي ليس بعده احد وانا الحاشر يحشر
العباد على قدمي وانا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفي قفيت الناس جميعا وانا
قثم قال ابو البختري والقثم الكامل الجامع بيان معجزاته وآياته الدالة
على صدقه اعلم ان من شاهد احواله صلى الله عليه وسلم واصغى الى سماع اخباره المشتملة على اخلاقه و
افعاله واحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لاصناف الخلق وهدايته الى ضبطهم وتالفه اصناف
الخلق وقوده اياهم الى طاعته مع ما يحكى من عجايب اجوبته في مضايق الاسولة وبدايع تدبيراته في مصالح
الخلق ومحاسن اشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن ادراك اوايل دقايقها
في طول اعمارهم لم يبق له ريب ولا شك في ان ذلك لم يكن مكتسبا بحيلة تقوم بها القوة البشرية بل لا
يتصور ذلك الا بالاستمداد من تاييد سماوي وقوة الهية وان ذلك كله لا يتصور لكذاب ولا ملبس
بل كانت شمايله واحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى ان العربي القح كان يراه فيقول والله ما هذا
وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمايله فكيف من شاهد اخلاقه ومارس احواله في جميع مصادره
وموارده وانما اوردنا بعض اخلاقه لتعرف محاسن الاخلاق ولتنتبه لصدقه صلى الله عليه وسلم و
علو منصبه ومكانته العظيمة عند الله اذ آتاه الله جميع ذلك وهو رجل امي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب
ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل من اظهر الجهال من الاعراب يتيما ضعيفا مستضعفا فمن اين حصل له
محاسن الاخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلا فقط دون غيره من العلوم فضلا عن معرفة
بالله وملايكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوة لولا صريح الوحي من اين للبشر الاستقلال بذلك
فلو لم يكن له الا هذه الامور الظاهرة لكان فيه كفاية وقد ظهر من اياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه
محصل فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الاخبار واشتملت عليه الكتب الصحاح اشارة الى مجامعها
من غير تطويل بحكاية التفصيل فقد خرق الله العادة على يده غير مرة اذ شق له القمر بمكة لما سالته قريش
آية واطعم النفر الكثير في منزل جابر وفي منزل ابي طلحة ويوم الخندق ثمانين من اربعة امداد شعير وعناق
وهو من اولاد المعز فوق العتود ومرة اكثر من ثمانين رجلا من اقراص شعير حملها انس في يده ومرة

اهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشير في يديها فاكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم و
نبع الماء من بين اصابعه عليه السلام فشرب اهل العسكر كلهم وهم عطاش وتوضاوا من قدح صغير ضاق
ان يبسط يده عليه السلام فيه واهراق عليه السلام وضوءه في عين تبوك ولا ماء فيها ومرة اخرى في بير الحديبية
فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك اهل الجيش وهم الوف حتى رووا وشرب من بير الحديبية الف
وخمسماية ولم يكن قبل ذلك ماء وامر عليه السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يزود اربعماية راكب من تمر كان
في اجتماعه كربضة البعير وهو موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقي بحسبه ورمى الجيش
بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تع وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى و
ابطل الله تع الكهانة بمبعثه صلى الله عليه وسلم فعدمت وكانت ظاهرة موجودة وحن الجذع الذي
كان يخطب اليه لما عمل له عليه السلام المنبر حتى سمع منه جميع اصحابه مثل صوت الابل فضمه اليه فسكن
ودعا اليهود الى تمني الموت واخبرهم بانهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه وهذه الآية مذكورة
في سورة يقرا بها في جميع جوامع اهل الاسلام من شرق الارض الى غربها يوم الجمعة جهرا تعظيما للآية التي فيها
واخبر عليه السلام بالغيوب وانذر بان عثمان رضي الله عنه تصيبه بلوى بعدها الجنة وبان عمارا تقتله
الفية الباغية وان الحسن رضي الله عنه يصلح الله تع به بين فيتين من المسلمين عظيمتين واخبر عليه السلام
عن رجل قاتل في سبيل الله انه من اهل النار فظهر ذلك بان قتل ذلك الرجل نفسه وهذه كلها اشياء
لا تعرف البتة بشي من وجوه تقدمة المعرفة لا بنجوم ولا بكتف ولا بخط ولا بزجر ولكن باعلام الله و
وحيه اليه واتبعه سراقة بن جعشم فساخت قدما فرسه في الارض واتبعه دخان حتى استغاثه
فدعا له فانطلقت الفرس وانذره بان سيوضع في ذراعيه سواري كسرى فكان ذلك واخبر بمقتل
الاسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن واخبر بمن قتله وخرج على ماية من قريش
ينتظرونه فوضع التراب على رؤسهم ولم يروه وشكا اليه البعير بحضرة اصحابه وتذلل له وقال النفر من
اصحابه مجتمعين احدكم ضرسه في النار مثل احد فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل
مرتدا وقال لآخرين منهم آخركم موتا يموت في النار فسقط آخرهم موتا في نار فاحترق فيها
فمات ودعا شجرتين فاتتاه فاجتمعتا ثم امرهما فافترقتا ودعا عليه السلام النصارى الى
المباهلة فامتنعوا واخبر انهم ان فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا واتاه عامر بن
الطفيل بن مالك واربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله عليه السلام فحيل بينهما و
بين ذلك ودعا عليه السلام عليهما فهلك عامر بغدة وهلك اربد بصاعقة احرقته واخبر عليه السلام
انه يقتل ابي بن خلف الجمحي فخدشه يوم احد خدشا لطيفا وكان منيته واطعم عليه السلام السم فمات
الذي اكله معه وعاش هو صلى الله عليه وسلم بعده اربع سنين وكلمه الذراع المسموم واخبر عليه السلام
يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلا رجلا فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع و
انذر عليه السلام بان طوايف من امته يغزون في البحر فكان كذلك وزويت له الارض فاري مشارقها
ومغاربها واخبر بان ملك امته سيبلغ ما زوي له منها فكان كذلك كما اخبر فقد بلغ ملكهم من
اول المشرق ومن بلاد الترك الى آخر المغرب من بحر الاندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا الى الجنوب ولا

في الشمال كما اخبر عليه السلام سواء بسواء واخبر فاطمة ابنته رضوان الله عليهما بانها اول اهله لحاقا
به فكان كذلك واخبر نساءه بان اطولهن يدا اسرعهن لحاقا به فكانت زينب بنت جحش الاسدية
اطولهن يدا بالصدقة اولهن لحوقا به ومسح ضرع شاة حايل لا لبن لها فدرت فكان ذلك سبب اسلام
ابن مسعود وفعل ذلك مرة اخرى في خيمة ام معبد الخزاعية وندرت عين بعض اصحابه فسقطت
فردها عليه السلام بيده فكانت اصح عينيه واحسنهما وتفل في عين علي كرم الله وجهه وهو ارمد
يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية وكانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم و
اصيب رجل بعض اصحابه صلى الله عليه وسلم فمسحها بيده فبرأت من حينها وقل زاد جيش معه عليه السلام
فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جدا فدعا فيه بالبركة ثم امرهم فاخذوا فلم يبق وعاء في العسكر الا ملي
من ذلك وحكى الحكم بن العاص مشيته عليه السلام مستهزئا فقال صلى الله عليه وسلم كذلك فكن فلم يزل يرتعش
حتى مات وخطب عليه السلام امرأة فقال ابوها ان بها برصا امتناعا من خطبته واعتذارا ولم
يكن بها برص فقال عليه السلام فلتكن كذلك فبرصت وهي ام شبيب بن البرصاء الشاعر الى غير ذلك من
آياته ومعجزاته صلوات الله عليه وسلامه وانما اقتصرنا على المستفيض ومن يستريب في
انخراق العادة على يده ويزعم ان آحاد هذه الوقايع لم تنقل تواترا وانما المتواتر هو القرآن كمن يستريب
في شجاعة علي وسخاوة حاتم ومعلوم ان آحاد وقايعهم غير متواترة ولكن مجموع الوقايع يورث علما
ضروريا ثم لا يتمارى في تواتر القرآن وهو المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبي معجزة باقية سواه
صلى الله عليه وسلم اذ تحدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ
مملوة بالآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم وكان ينادي بين اظهرهم ان
ياتوا بمثله او بعشر سور مثله او بسورة من مثله ان شكوا وقال لهم لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا
بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وقال ذلك تعجيزا لهم فعجزوا عن ذلك و
صرفوا عنه حتى عرضوا انفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي وما استطاعوا ان يعارضوا ولا
ان يقدحوا في جزالته وحسنه ثم انتشر ذلك بعده في اقطار العالم شرقا وغربا قرنا بعد قرن و
عصرا بعد عصر وقد انقرض اليوم قريب من خمسماية سنة فلم يقدر احد على معارضته فاعظم
بغباوة من ينظر في احواله ثم في اقواله ثم في افعاله ثم في اخلاقه ثم في معجزاته ثم في استمرار شرعه الى الآن ثم
في انتشاره في اقطار العالم ثم في اذعان ملوك الارض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم
ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه وما اعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه في كل ما ورد وصدر فنسأل
الله تع ان يوفقنا للاقتداء به في الاخلاق والافعال والاقوال بمنه وسعة جوده انه سميع مجيب تم
كتاب اخلاق النبوة وبه تم كمل ربع العادات ويتلوه كتاب عجايب القلب وهو مفتاح ربع المهلكات
والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله اجمعين

كتاب شرح عجايب القلب وهو الكتاب الاول من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادي اشراق انواره
الاحداق والنواظر المطلع على خفيات السراير العالم بمكنونات الضماير المستغني في تدبير ملكه
عن المشاور والموازر مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب ومفرج الكروب
والصلوة على محمد سيد المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى آله الطيبين الطاهرين
وبعد فشرف الانسان وفضيلته التي بها فاق جملة من اصناف الخلق باستعداده
لمعرفة الله سبحانه وتعالى التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره وانما استعد
للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي الى الله وهو
المتقرب الى الله وهو المكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم وآلات يستخدمها
القلب ويستعملها استعمال الملك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة والقلب هو
المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المخاطب وهو
المطالب وهو المعاتب والمعاقب وهو الذي يسعد بالقرب من الله تعالى فيفلح اذا زكاه وهو
الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله وانما الذي ينتشر على الجوارح من
العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله تع وانما الساري على الاعضاء من الفواحش آثاره و
باظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء يترشح بما فيه وهو الذي اذا
عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان جهل
نفسه واذا جهل نفسه جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم و
انفسهم وقد حيل بينهم وبين انفسهم وان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه عن مشاهدته
ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه كيف يهوي مرة
الى اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين ويرتقي الى
عالم الملايكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد ما يلوح من خزاين الملكوت عليه
وفيه فهو ممن قال الله تع فيه نسوا الله فانساهم انفسهم اوليك هم الفاسقون فمعرفة القلوب و
حقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ قد فرغنا في الشطر الاول من هذا الكتاب
عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في الشطر
الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن فلا بد وان نقدم عليه كتابين
كتابا في صفات القلب واخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب اخلاقه ثم نندفع بعد ذلك
في تفصيل المهلكات والمنجيات فنذكر الآن من شرح عجايب القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب
من الافهام فان التصريح بعجايبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه اكثر الاوهام

بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الاسامي اعلم ان
هذه اربعة اسماء تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بمعاني هذه الاسامي و
اختلاف معانيها وحدود مسمياتها واكثر الاغاليط منشاه الجهل بمعنى هذه الاسامي وباشتراكها
بين مسميات مختلفة ونحن نشرح من معاني هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا **الاول** لفظ القلب

وهو يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم
مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد
الان شرح شكله وكيفيته فلا يتعلق به الاغراض الدينية وانما يتعلق بذلك غرض الاطباء وهذا
القلب موجود للبهايم بل هو موجود للميت ونحن اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك
فانه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة وقد تدركه البهايم بحاسة البصر فضلا من
الادميين والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق
وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهي المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمطالب
والمعاقب ولها علاقة مع القلب الجسداني وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقة وان
تعلقه به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للالة بالالة او
تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوقاه لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس
غرضنا في هذا الكتاب الا علوم المعاملة والثاني ان تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح ولم يتكلم
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب
اردنا به هذه اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر
الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها اللفظ الثاني الروح وهو ايضا يطلق
فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة
العروق الضوارب الى ساير اجزاء البدن وجريانها في البدن وفيضان انوار الحيوة والحس والبصر و
السمع والشم منها على اعضايها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت فانه لا
ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به فالحيوة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثاله
السراج وسريان الروح وحركتها في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه و
الاطباء اذا اطلقوا الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب وليس من غرضنا
شرحه اذ المتعلق بها غرض الاطباء الذين يعالجون الابدان فاما غرض اطباء الدين المعالجين
للقلوب حتى تنساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذا الروح اصلا المعنى الثاني
وهو اللطيفة العالمة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معنيي القلب وهو الذي اراده الله
تعالى بقوله ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني تعجز اكثر العقول والافهام
عن درك كنه حقيقته اللفظ الثالث النفس وهذا ايضا مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه
معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سياتي شرحه و
هذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية لانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من
الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك
نفسك التي بين جنبيك المعنى الثاني هو اللطيفة التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقة وهي نفس
الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر
وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة

ارجعي الى ربك راضية مرضية والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فانها
مبعدة عن الله تعالى وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس
الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاها
قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية ولا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت
الاعتراض واذعنت لطاعة مقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الامارة
بالسوء قال تعالى وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقد يجوز ان يقال المراد بالامارة
بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذن النفس بالمعنى الاول مذموم غاية الذم وبالمعنى الثاني محمود
لانه نفس الانسان اي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وبساير المعلومات اللفظ الرابع
العقل وهو ايضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملة معنيان
احدهما انه قد يطلق ويراد به العلم بحقايق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب
الثاني انه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم ان
كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قايم بنفسه والعلم صفة حالة فيه والصفة غير الموصوف
والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك اعني المدرك وهو المراد
بقوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد
وان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر انه قال له اقبل فاقبل
وقال له ادبر فادبر الحديث فاذن قد انكشف لك ان معاني هذه الاسامي موجودة وهو القلب
الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلم وهذه اربعة معاني يطلق عليها الالفاظ
الاربعة ومعنى خامس وهو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان والالفاظ الاربعة بجملتها
تتوارد عليها فالمعاني خمسة والالفاظ اربعة وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلماء قد التبس
عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل
وهذا خاطر الروح وهذا خاطر القلب وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الاسماء فلاجل
كشف الغطاء عنه قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القرآن والسنة القلب فالمراد
به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر
لان بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فانها وان كانت متعلقة بساير البدن
ومستعملة له ولكنه يتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكانه محلها ومملكتها
وعالمها ومطيتها ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال
القلب هو العرش والصدر هو الكرسي ولا يظن به انه يريد عرش الله وكرسيه فان ذلك محال
بل اراد به انه مملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى
الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك ايضا لا يليق بغرضنا فلنتجاوز

بيان جنود القلب

قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه في القلوب و
الارواح من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن الان نشير الى بعض

جنود القلب وهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصاير وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان وهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وساير الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب و مسخرة له وهو المتصرف فيها والمراد لها وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركة تحركت واذا امر اللسان بالكلام تكلم وكذا ساير الاعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخر الملايكة لله تعالى فانهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وانما يفترقان في شيء وهو ان الملايكة عالمة بطاعتها وامتثالها والاجفان مطيع للقلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخر ولا خبر لها من نفسها و من طاعتها للقلب وانما افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الى الله تعالى وقطع المنازل الى لقائه فلاجله خلقت القلوب قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وانما زاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى الزاد و يمكنه من التزود منه العمل الصالح وليس يمكن ان يصل العبد الى الله تعالى ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى والدنيا مزرعة الاخرة وهي منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلين فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم و البدن مركبه الذي به يصل الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه وانما يتحفظ البدن بان يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وبان يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه من اسباب الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج وخلقت الاعضاء التي هي آلات الشهوات و افتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي به يعمل بمقتضى الغضب وكل ذلك بامور خارجة من البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء اذا لم يعرف الغذاء لا ينفعه شهوة الغذاء وآلته فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو الادراك بالبصر والذوق والشم والسمع واللمس وظاهر وهو العين والاذن والانف و غيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا يحويها مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير منه في كتاب الشكر فليقتنع به فجملة جنود القلب يحصرها ثلاثة اصناف صنف باعث ومستحث اما الى جلب الموافق النافع كالشهوة واما الى دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في ساير الاعضاء لا سيما العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والشم والذوق والسمع وغيرها وهي مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التي اعدت آلات لهذه الجنود فان قوة البطش انما تبطش بالاصابع وقوة البصر انما تدرك الشيء بالعين وكذا

سایر القوى ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانه من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الآن فيما ايده به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن منازل باطنة وهو تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء يغمض عينه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى بعض ثم يتذكر ما نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ ولولا خلق الله قوة الحفظ والذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه كما تخلو عنه اليد والرجل فتلك القوى ايضا جنود باطنة واماكنها ايضا باطنة فهذه هي اقسام جنود القلب وشرحه بحيث يدركه فهم الضعفاء يطول ومقصود مثل هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم

بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة

اعلم ان جندي الغضب و الشهوة قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند آخر وهو العلم و الحكمة والتفكر كما سياتي شرحه وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب و الشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب هذا الى فهمك بثلاثة امثلة المثال الاول ان نقول مثل نفس الانسان في بدنه واعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل وال في مدينته ومملكته فان البدن مملكة النفس وعالمه ومستقره ومدينته وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب الشرطة والعبد الجالب للميرة كذاب مكار مخادع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهايل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في كل تدبير يدبره حتى لا يخلو عن منازعته ومعارضته في آرائه ساعة فكما ان الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته بوزيره معرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث بل مستدلا باشارته على ان الصواب في نقيض رايه وادب صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مسوسا لا سايسا ومامورا مدبرا لا آمرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل بسببه كذلك النفس متى استعانت بالعقل وادبت الحمية الغضبية وسلطتها على الشهوة واستعانت باحديهما على الاخرى تارة بان يقلل من تيه الغضب وغلوائه بخلابة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة وبقهرها بتسليط الغضب والحمية

عليهما وتقبيحه مقتضياتهما اعتدلت قواه وحسنت اخلاقه ومن عدل عن هذه الطريقة
كان كمن قال الله تعالى افرايت من اتخذ الهه هويه واضله الله على علم وقال واتبع هواه فمثله كمثل
الكلب وقال لمن نهى النفس عن الهوى ان الجنة هي الماوى وسياتي كيفية مجاهدة هذه
الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس **المثال الثاني** ان البدن كالمدينة
والعقل اعني المدرك من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة
كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه
في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد
عدوه فهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال تعالى فضل المجاهدين باموالهم
وانفسهم على القاعدين درجة وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وانتقم منه عند لقاء
الله تعالى فيقال له يوم القيمة يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر
الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر **المثال الثالث** مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته
كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مودبا معلما كان
جديرا بالنجح ومتى كان هو في نفسه اخرق وكان الفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه
تنبعث تحته ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا ان ينال ما
طلب وانما خرق الفارس مثال جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح الفرس
مثال لغلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثال لغلبة الغضب
واستيلائه **بيان خاصية قلب الانسان** اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله بها
على سائر الحيوانات سوى الآدمي اذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهرة
والباطنة ايضا حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها فتدرك عداوته بقلبها فتهرب
منه فذلك الادراك الباطن فلنذكر الآن ما يختص به قلب الانسان ولاجله عظم
شرفه واستاهل القرب من الله تعالى وهو راجع الى علم وارادة **اما العلم** فهو العلم بالامور
الدنيوية والاخروية والحقايق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات ولا يشاركه
فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان بان الفرس
الواحد لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس ومعلوم انه
لم يدرك الا بعض الافراس بحسه فحكمه على جميع الافراس زايد على ما ادركه الحس واذا فهمت هذا
في هذا العلم الظاهر الضروري فهو في ساير النظريات اظهر **واما الارادة** فهو انه اذا
ادرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى وجه المصلحة
والى التعاطي لاسبابها والارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل يكون على
ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل المال
عليها والشهوة تميل الى لذايذ الاطعمة في المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا عنها فليس ذلك زاجر

الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف بعاقبة الامور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم
العقل لكان حكم العقل ضايعا على التحقيق فاذن اختص قلب الانسان بعلوم وارادات ينفك عنها
ساير الحيوانات بل ينفك عنها الصبي في اول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه عند البلوغ واما الشهوة
والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فانها موجودة في حال الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم
درجتان **احديهما** ان يشتمل قلبه على جملة العلوم الضرورية الاولية كالعلم باستحالة المستحيلات
وجواز الجايزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة قريبة الامكان
والحصول ويكون حاله بالاضافة الى العلوم كحال الكاتب الذي لم يعرف من الكتابة الا الدواة والقلم و
الحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد **والثانية** ان يحصل له العلوم
المكتسبة بالتجارب والفكر وتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليه وحاله حال الحاذق بالكتابة اذ حالهم
يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة لقدرته وهذه هي غاية درجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة
مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وشرف المعلومات وخستها وبطريق
تحصيلها اذ يحصل لبعض القلوب بالهام الهي على سبيل المناداة والمكاشفة ولبعضها بتعلم واكتساب
ثم قد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام يتباين منازل الحكماء والعلماء
والاولياء والانبياء ودرجات الترقي فيه غير محصورة اذ معلومات الله لا نهاية لها واقصى الرتب رتبة
النبي الذي يكشف له كل الحقايق واكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف الهي في اسرع وقت
فبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومراقي
هذه الدرجات هي منازل السايرين الى الله فلا حصر لتلك المنازل وانما يعرف كل سالك المنزل
الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل فاما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن
قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة وبالنبي ونصدق بوجوده ولكن لا يعرف حقيقة
النبوة الا النبي وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية
ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فلا يعرف عاقل ما انفتح على اولياء الله وانبيائه من
مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من
الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على احد ولكن انما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات الله كما قال
عليه السلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث
والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سياتي والى هذا الجود الاشارة بقوله عليه السلام ينزل
الله كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب له وبقوله لقد طال شوق الابرار
الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا وبقوله تعالى من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا كل ذلك
اشارة الى ان انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا
كبيرا ولكن لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب كالاواني فما دامت ممتلية بالماء
لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا يدخلها المعرفة بجلال الله واليه الاشارة بقوله صلى
الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء ومن هذه الجملة

يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة واشرف انواع العلم العلم بالله وصفاته وافعاله فبه كمال
الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الكمال والجمال فالبدن مركب النفس والنفس محل العلم
والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لاجله خلق وكما ان الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص
عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقا لتلك الخاصيه فان تعطلت منه نزلت الى لاجله
حضيض رتبة الحمار وكذلك الانسان يشارك الحيوان الفرس والحمار في امور ويفارقه في امور هي
خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملايكة المقربين من الله تع والانسان على رتبة بين الملايكة والبهايم فان
الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك فحيوان ومن حيث صورته و
قامته فكالصورة المنقوشة على الحايط وانما خاصيته معرفة حقايق الاشياء فمن استعمل جميع اعضايه
وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملايكة فحقيق بان يلحق بهم وجدير بان يسمى
ملكا وربانيا كما قال تع ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية ياكل كما تاكل
الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهايم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضرعا ككلب او
حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من الاعضا
ولا حس من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تع كما سياتي طرف منه في كتاب الشكر
فمن استعمل فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك ان يجعل لقاء
الله مقصده والدار الاخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضاء خدمه فيستقر
هو اعني المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية مجرى المودعة
في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ يجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة
التي مسكنها موخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان مجرى ترجمانه ويجري الاعضاء المتحركة مجرى كتابه
ويجري الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد باخبار صقع من الاصقاع فيوكل العين بعالم
الالوان والسمع بعالم الاصوات والشم بعالم الارايح وكذلك سايرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها
من هذه العوالم ويؤدونها الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد ويسلم صاحب البريد الى الخازن وهي
الحافظة يعرضها الخازن على الملك فيقتبس منه ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي
هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا
سعيدا شاكرا نعمة الله واذا عطل هذه الجملة او استعملها لكن في مراعاة اعدايه وهي الشهوة والغضب
وساير الحظوظ العاجلة او في عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه
ومستقره الاخرة كان مخذولا شقيا كافرا لنعمة الله مضيعا لجنود الله تع ناصرا لاعداء الله مخذلا
لحزب الله فيستحق المقت والابعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله منه والى المثال الذي
الذي ضربناه اشار كعب الاحبار قال دخلت على عايشة رضي الله عنها فقلت الانسان عيناه هاد
واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب الملك طاب
جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب
ان لله تع في ارضه آنية وهي القلوب فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره فقال اصلبها

في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تع اشداء على الكفار رحماء بينهم
وقوله تع مثل نوره كمشكوة فيها مصباح قال ابن كعب معناه مثل نور المومن وقلبه وقوله او كظلمات
في بحر لجي مثل قلب المنافق وقال زيد بن اسلم في اللوح المحفوظ هو قلب المومن وقال سهل مثل
القلب والصدر مثل العرش والكرسي فهذه امثلة القلب

بيان مجامع اوصاف القلب ومثاله

اعلم ان الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربعة شوايب فلذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من
الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية وهو من حيث سلط عليه
الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث
سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهايم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر
رباني كما قال تع قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء و
التخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع و
يشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقايق الامور ويفرح اذا نسب
الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقايق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلايق
من اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهايم بالتمييز مع مشاركته
لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر
ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين و
كل انسان ففيه شوب من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك
مجموع في القلب وكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه
لم يكن الخنزير مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه والحرص والكلب هو الغضب فان
السبع الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى
السبعية الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه
فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذاء والشيطان لا
يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالاخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه والحكيم
الذي هو مثال العقل مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة
ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة
ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته فان فعل ذلك
وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم وان عجز عن
قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب
فيكون دايبا في عبادة كلب او خنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همهم الفرج والبطن ومنافسة
الاعداء والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة ولو كشف الغطاء عنه وكوشف
بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين اما في النوم او في اليقظة لراى نفسه ماثلا بين
يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا اخرى ومنتظرا لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير يطلب شيا من

شهوته انبعث على الفور في خدمته واحضار شهوته او رآها ماثلا بين يدي كلب عقور عابدا
له مطيعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا للفكر في حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة
شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان
بعبادتهما فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا
يرى ان انصف نفسه الا ساعيا طول النهار في عبادة هولاء وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك
مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر و
الاستيلاء وقد سخره لخدمة هولاء فلاجرم ينتشر الى قلبه من طاعة هولاء الثلاث صفات تتراكم عليه
حتى تصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ومميتا له اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منه صفة
الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق و
الحسد والشماتة وغيرها واما طاعة الغضب فينتشر منه الى القلب صفة التهور والنذالة
والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة
الشر وشهوة الظلم وغيرها واما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منه صفة المكر
والحيلة والخداع والدهاء والجربزة والتلبيس والتضريب والغش والخب وامثاله ولو عكس الامر وقهر الجميع
تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة والاطلاع بحقائق
الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليها والاستيلاء على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على
الخلق بكمال العلم وجلالة الاستغناء عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير
الشهوة ورده الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع و
التقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب
وقهرها ورده الى الحد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو
والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها والقلب في حكم مرآة وقد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه
وهذه الآثار على التوالي واصلة الى القلب اما الآثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مرآة
القلب اشراقا ونورا وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين
والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا وبقوله
من كان له في قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تع
الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الآثار المذمومة فانها مثل دخان مظلم يتصاعد الى
مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوبا عن الله تع
وهو الطبع وهو الرين قال تع كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال تع ان لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى
فقال واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك
يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالآخرة ويستعظم امر الدنيا ويصير مقصور الهم
عليه واذا قرع سمعه امر الآخرة وما فيها من الاخطار دخل من اذن وخرج من اخرى ولم يستقر

في القلب ولم تحركه الى التوبة والتدارك اولئك الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور
وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران
اذا اذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى
يعلو قلبه وهو الران وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن اجرد وفيه سراج يزهر وقلب
الكافر اسود منكوس فطاعة الله تع بمخالفة الشهوات مصقلات للقلب ومعصيته مسودات
له فمن اقبل على المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره
كالمرآة التي يتنفس فيها ثم يمسح ويتنفس ثم يمسح فانه لا يخلو عن كدورة وقد قال صلى الله عليه وسلم
القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر
وقلب اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه مثل
البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المدتين
غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به وقد قال الله تع ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف
من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر وانه لا يتمكن
منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر وهو
الفوز بلقاء الله تع **بيان مثال القلب بالاضافة الى العلوم خاصة** اعلم ان محل العلم هو القلب
اعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع الاعضاء وهي بالاضافة الى
حقائق المعلومات كالمرآة بالاضافة الى صور المتلونات فكما ان للمتلون صورة ومثال تلك الصورة
ينطبع في المرآة ويحصل فيها فكذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة صورة ينطبع في مرآة
القلب ويتضح فيه وكما ان المرآة غير وصور الاشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي
ثلاثة امور فكذلك هنا ثلاثة امور القلب وحقائق الاشياء وحصول نفس الحقائق في القلب
وحضوره فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقائق الاشياء والمعلوم عبارة عن
حقائق الاشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما ان القبض مثلا يستدعي قابضا
كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا
فكذلك وصول مثال المعلوم الى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا
ولم يكن العلم حاصلا لعدم وقوع السيف في اليد نعم القبض عبارة عن حصول
السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم تحصل عين النار في
قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثيله بالمرآة اولى لان عين الانسان
لا تحصل في المرآة وانما يحصل مثال مطابق له فكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم
في القلب يسمى علما وكما ان المرآة لا تنكشف فيها الصور لخمسة امور احدها نقصان
صورتها كجوهر الحديد قبل ان يدور ويشكل ويصقل والثاني لخبثه وصدئه وكدورته وان كان
تام الشكل والثالث لكونه معدولا به عن جهة الصورة الى غيرها كما اذا كانت الصورة وراء
المرآة والرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة

حتى يتعذر بسببه ان يحاذي بها شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مراة مستعدة
لان يتجلى فيها حقيقة الحق في الامور كلها وانما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها عن هذه
الاسباب الخمسة اولها نقصان في ذاته كقلب الصبي فانه لا يتجلى له المعلومات لنقصانه و
الثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي تراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع
صفاء القلب وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته وتراكمه واليه الاشارة بقوله صلى الله
عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا اي حصل في قلبه كدورة لا يزول اثرها ابدا
اذ غايته ان يتبعها الحسنة تمحوها فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة لزاد لا محالة اشراق
القلب فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها الى ما كان قبل السيئة
ولم يزدد بها نورا وهذا خسران ونقصان لا حيلة له فليس المراة التي تدنس ثم تمسح بالمصقلة
كالتي تمسح بالمصقلة لزيادة جلائه من غير دنس سابق والاقبال على طاعة الله والاعراض عن مقتضى
الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال تع والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وقال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم الثالث ان يكون معدولا به عن جهة
الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح وان كان صافيا فانه ليس يتضح فيه جلية الحق لانه
ليس يطلب الحق وليس يحاذي بمراته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل
الطاعات البدنية او بتهيئة اسباب المعيشة ولا يصرف فكره الى التامل في حضرة الربوبية
والحقائق الخفية الالهية فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الاعمال وخبايا
عيوب النفس ان كان متفكرا فيها او بمصالح المعيشة ان كان متفكرا فيها واذا كان
تقيد الهم بالاعمال او تفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك في صرف
الهم الى شهوات الدنيا ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي الرابع
الحجاب فان المطيع القاهر لشهواته المتجرد للفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك
لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق اليه في الصبى على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن يحول ذلك
بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من ان ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد
وهذا ايضا حجاب عظيم به حجب اكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب بل اكثر الصالحين المتفكرين
في ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت
في قلوبهم وصار حجابا بينهم وبين درك الحقائق الخامس الجهل بالجهة التي منها يقع العثور
على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للمعلومات التي تناسب
مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك
يكون قد عثر على جهة المطلوب فيتجلى حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست
فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم فلا يحصل الا عن علمين سابقين يأتلفان و
يزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج
الفحل والانثى كما ان من اراد ان يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبعير وانسان بل من

اصل

اصل مخصوص من الفرس الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك كل علم
فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب
فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل
بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله ان يريد الانسان مثلا ان يرى قفاه في المراة فانه ان
رفع المراة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيه القفا وان رفعها وراء
القفا وبازائه كان قد عدل بالمراة عن عينه فلا يرى المراة ولا صورة القفا فيه فيحتاج الى مراة
اخرى ينصبها وراء القفا وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها ويراعي مناسبة بين وضع المراتين
حتى تنطبع صورة القفا في المراة المحاذية للقفا ثم تنطبع صورة هذه المراة في المراة الاخرى التي في مقابلة
العين ثم تدرك العين صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات
اعجب مما ذكرناه في المراة ويعز على بسيط الارض من يهتدي الى كيفية الحيلة في تلك الازورارات
فهذه هي الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الامور والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح
لمعرفة حقائق الامور لانه امر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف
واليه الاشارة بقوله تع انا عرضنا الامانة على السموات الى قوله وحملها الانسان اشارة الى ان له خاصية
تميز بها عن السموات والارضين والجبال بها صار مطيقا لحمل امانة الله تع وتلك الامانة هي المعرفة
والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الامانة ومطيق لها في الاصل ولكن يثبطها عن النهوض باعبائها
والوصول الى تحقيقها الاسباب التي ذكرناها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود
يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين
يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء اشارة الى بعض هذه الاسباب التي هي الحجاب بين
القلب وبين الملكوت واليه الاشارة بما روي عن ابن عمر قال قيل يا رسول الله اين الله في الارض قال
في قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر قال الله تع لم يسعني ارضي ولا سمائي ويسعني قلب عبدي المؤمن
اللين الوادع وفي الخبر انه قيل من خير الناس فقال كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال
هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر راى قلبي ربي اذ كان قد
رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض
بعضها السموات والارض اما جملتها فاكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض
عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة و
اما عالم الملكوت وهي الاسرار الغائبة من مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصائر فلا نهاية
لها نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة الى علم الله لا نهاية له وجملة
عالم الملك والملكوت اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل
الموجودات اذ ليس في الوجود شيء سوى الله تع وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من
ذلك للقلب هو الجنة بعينه عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه
في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله تع وصفاته وافعاله وانما مراد الطاعات واعمال

الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه وقد افلح من زكاها والمراد بتزكيته حصول انوار الايمان
فيه اعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تع فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله
تع افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا الايمان له ثلاث مراتب
المرتبة الاولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض والثاني ايمان المتكلمين وهو ممزوج
بنوع استدلال والثالث ايمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين ونبين لك هذه المراتب
بمثال وهو ان تصديقك بكون زيد مثلا في الدار له ثلاث درجات الاولى ان يخبرك
من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته في القول فان قلبك يسكن اليه ويطمئن به بمجرد السماع
وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من
آبائهم وامهاتهم وجود الله سبحانه وتعالى وعلمه وارادته وساير صفاته وبعثة الرسول و
صدقه وما جاء به وكما سمعوا قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه
لحسن ظنهم بآبائهم وامهاتهم او معلميهم وهذا الايمان سبب النجاة في الآخرة واهله من اوائل
رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين
اذ الخطا ممكن فيما يسمع من الآحاد بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصارى
ايضا مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطا لانه ألقي اليهم الخطا والمسلمون
اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن ألقي اليهم كلمة الحق. الرتبة الثانية ان تسمع كلام زيد و
صوته من الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك و
يقينك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك اذا قيل انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت
به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة عند من سمع الصوت في حال مشاهدة الصورة فقلبه
يحكم بان هذا صوت ذلك الشخص فهذا ايمان ممزوج بدليل والخطا ايضا ممكن ان يتطرق اليه
اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر ببال
السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضا. الرتبة
الثالثة ان تدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده فهذه هي المعرفة الحقيقية والمشاهدة
اليقينية وهو يشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في
ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها امكان الخطا نعم وهم
ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف اما الدرجات فمثاله ان
يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار وفي وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه والآخر يدركه
في بيت او من بعد او في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يستيقن معه انه هو ولكن لا يتمثل
في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للامور الالهية
واما مقادير العلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا او غير ذلك وآخر لا يرى الا زيدا
فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذا حال القلب بالاضافة الى العلوم الدينية
والدنيوية والاخروية **بيان حال القلب بالاضافة الى اقسام العلوم العقلية** اعلم ان القلب

بغريزته

بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى عقلية و
شرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم الى دنيوية واخروية اما العقلية
فنعني بها ما تقضي به غريزة العقل ولا تؤخذ بالتقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية لا يدرى
من اين حصل وكيف حصل كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا
يكون حادثا قديما وموجودا معدوما فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبى مفطورا
عليها ولا يدري متى حصل له ومن اين حصل له اعني انه لا يدري له سببا قريبا والا فليس يخفى
ان الله تع هو الذي خلقه والى مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين
قد يسمى عقلا قال علي رضي الله عنه العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع والاول هو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم ما خلق الله خلقا
اكرم عليه من العقل والثاني هو المراد بقوله لعلي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى الله بابواب البر
فتقرب انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة و
لكن مثل علي هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب
من رب العالمين والقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة
الابصار لطيفة تفقد بالعمى وتوجد في البصير وان كان قد غمض العينين او جن عليه الليل والعلم الحاصل
فيه جار مجرى ادراك البصر ورؤيته لاعيان الاشياء وتاخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبى
الى اوان التمييز او البلوغ يضاهي تاخر الرؤية عن البصر الى اوان طلوع الشمس وفيضان نورها على
المبصرات والقلم الذي يسطر الله العلوم به على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس وانما
لم يحصل العلم في الصبي قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم والقلم عبارة عن
خلق من خلق الله جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال تع علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم وقلم الله لا يشبه قلم خلقه كما ان وصفه لا يشبه وصف خلقه فليس قلمه من قصب
ولا خشب كما انه ليس ذاته من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر
صحيحة من هذه الوجوه الا انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين
النفس التي هي اللطيفة المذكورة وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس
من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين الى الآخر ولموازنة بصيرة الباطن للبصر الظاهر سماه
الله تع باسمه فقال ما كذب الفؤاد ما رأى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله وكذلك نري ابرهيم
ملكوت السموات والارض وما اراد به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابرهيم صلوات
الله عليه حتى يذكر في معرض الامتنان ولذلك سمى ضد ادراكه عمى فقال فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا
فهذا بيان العلم العقلي واما العلوم الدينية فهي الماخوذة من الانبياء صلوات الله عليهم
وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم معانيه بعد السماع
وبه كمال صفة القلب وبه سلامته عن الادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في

بطريق التقليد

سلامة القلب وان كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة اسباب صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطباء اذ مجرد العقل لا يهدي ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه الا بالعقل ولا غنى بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل فالداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور فاياك ان تكون من الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يتضرر بالغذاء مهما فاته الدواء فكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهي وظايف العبادات والاعمال التي ركبها الانبياء صلوات الله عليهم لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء وظن من يظن ان العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين فيتحير فيه وينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين وانما ذلك لعجزه في نفسه يخيل اليه نقصا في الدين وهيهات وانما مثاله مثال الاعمى الذي دخل دارا فتعثر باواني الدار فقال ما بال هذه الاواني تركت على الطريق لم لا ترد الى مواضعها فقيل له تلك الاواني في مواضعها وانما انت لست تهتدي الى الطريق لعماك فالعجب منك انك لا تحيل عثرتك على عماك وانما تحيلها على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم الدينية الى العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وساير الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته وافعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعني ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الاكثر ولذلك ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة امثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احديهما اسخطت الاخرى ولذلك ترى الاكياس في امور الدنيا وفي علم الطب والهندسة والحساب والفلسفة جهالا في امور الآخرة والاكياس في دقايق علوم الآخرة جهالا في الاكثر بعلوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله اي البله في امر الدنيا وقال الحسن ادركنا اقواما لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو راوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا من امور الدين جحده اهل الكياسة في ساير العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبولها اذ من المحال ان يظفر سالك طريق الشرق بما يوجد في الغرب وكذلك يجري امر الدنيا والآخرة ولذلك قال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها الآية وقال يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رشحه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الانبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية التي تتسع لجميع الامور ولا تضيق عنها واما قلوب ساير الخلق فانها اذا شغلت بامر انصرفت عن الآخر وقصرت عن الاستكمال فيه

بيان الفرق بين الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار اعلم ان العلوم التي ليست ضرورية وانما تحصل في القلب في بعض الاحوال تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كانه القي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل ومن اين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب والاول يسمى الهاما ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا ويختص به الانبياء والاول يختص به الاولياء والاصفياء والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء وحقيقة القول فيه ان القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشياء كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحايل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله تع به الى يوم القيمة وتجلي حقايق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد واخرى يزول بهبوب ريح تحركه فكذلك قد تهب رياح الالطاف فتكشف الحجب عن اعين القلوب فيتجلى فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيظهر به ما سيكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فبه ينكشف الغطاء وفي اليقظة ايضا حتى ينقشع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرايب العلم تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه في جهة زوال الحجاب وان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلوم انما تحصل في قلوبنا بواسطة الملك واليه الاشارة بقوله تع وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلايق كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تع ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل بتنويره بانوار العلم واذا تولى الله امر القلب فاضت الرحمة واشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلالأت فيه حقايق الامور الالهية فليس على المريد الا الاستعداد بالتصفية المجردة واحضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله من الرحمة اذ الانبياء والاولياء انكشف لهم الامور وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري عن علايقها وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تع من كان لله كان الله له وزعموا ان

الطريق في ذلك اولاً ان يقطع علايق الدنيا بالكلية فيفرغ قلبه عنها ويقطع همه عن الاهل والمال والولد
والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوي فيه وجود كل ذلك وعدمه ثم يخلو بنفسه
في زاوية مع الاقتصار على الفرايض والرواتب ويجلس فارغ الهم مجموع القلب ولا يفرق فكره بقراءة قرآن
ولا بالتامل في تفسير ولا بكتب حديث وغيره بل يجتهد ان لا يخطر بباله شيء سوى ذكر الله فلا يزال بعد
جلوسه في الخلوة قايلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب الى ان ينتهي الى حالة يترك تحريك
اللسان ويرى كان الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر عليه الى ان يمحى اثره عن اللسان فيصادف قلبه مواظبا
على الذكر ثم يواظب الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في
قلبه حاضرا فيه كانه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهي الى هذا الحد واختيار في استدامة هذه
الحالة بدفع الوساوس وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة
فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من رحمة فتحها على الانبياء والاولياء بهذا الطريق وعند ذلك
اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس
بعلايق الدنيا تلمع لوامع الحق في قلبه ويكون في ابتدايه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتاخر وان
عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر امثاله
على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل اولياء الله فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم
واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد و
انتظار فقط **واما النظار** وذووا الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاءه
الى المقصد على الندور فانه اكثر احوال الانبياء والاولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطوا
ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلايق الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل في
حالة فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قلب المومن اشد تقلبا من القدر في غليانه وقال قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن
وفي اثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا لم يتقدم رياضة النفس
وتهذيبها بحقايق العلوم تشبثت بالقلب خيالات فاسدة تطمين النفس اليها مدة طويلة الى
ان تزول والعمر ينقضي دون النجاح فيه فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين
سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال فالاشتغال بطريق
التعلم اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يتعلم ولكن صار فقيها بالوحي والالهام من غير تكرار وتعليق فانا ايضا ربما انتهى بالرياضة اليه ومن ظن ذلك
فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك
ممكن ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لا بد اولا من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم
لا باس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لساير العلماء فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس

اعلم ان عجايب القلب خارجة عن مدركات
الحواس لان القلب ايضا خارج عن ادراك الحس وما ليس مدركا بالحواس تضعف الافهام عن دركه الا

بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى افهام الضعفاء بمثالين **احدهما** انا لو فرضنا حوضا
محفورا في الارض احتمل ان يساق الماء اليه من فوقه بانهار تفتح فيه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض
ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر الماء الصافي فينفجر الماء من اسفل الحوض ويكون ذلك
الماء اصفى وادوم وقد يكون اغزر واكثر فكذلك القلب مثل الحوض فالعلم مثل الماء والحواس الخمسة
مثل الانهار ويمكن ان تساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات
حتى يمتلي علما ويمكن ان تسد عنه هذه الانهار بالخلوة والعزلة وغض البصر ويعمد الى عمق القلب
بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينبوع العلم من داخله **فان قلت** وكيف ينفجر العلم من ذات
القلب وهو خال عنه **فاعلم** ان هذا من عجايب اسرار القلب فلا يسمح بذكره في علم المعاملة والقدر
الذي يمكن ذكره ان حقايق الاشياء مسطورة في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملايكة المقربين وكما ان
المهندس يسطر صورة ابنية الدار في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك
فاطر السموات والارض كتب نسخة العالم من اوله الى آخره في اللوح المحفوظ ثم اخرجه الى الوجود على وفق
تلك النسخة والعالم الذي خرج الى الوجود بصورته تتادى منه صورة اخرى الى الحواس والخيال
فان من ينظر الى السماء والارض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والارض في خياله حتى كانه ينظر
اليهما ولو انعدمت السماء والارض وبقي هو توجد صورة السماء والارض في نفسه كانه يشاهدهما
وينظر اليهما ثم يتادى من خياله اثر الى القلب فيحصل فيه حقايق الاشياء التي دخلت في الحس والخيال
فالحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في
اللوح المحفوظ فكان للعالم اربع درجات في الوجود وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده
الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي اعني وجود صورته في
الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي اعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الوجودات
روحانية وبعضها جسمانية والروحانيات بعضها اشد روحانية من بعض وهذا اللطف
من الحكمة الالهية اذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموات و
الارض على اتساع اكنافها ثم يسري من وجوده في الحس وجود في الخيال ثم منه وجود في القلب فانك
ابدا لا تدرك الا ما هو واصل اليك فلو لم يجعل للعالم كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر مما
يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجايب في القلوب والابصار ثم اعمى عن دركها القلوب
والابصار حتى صارت قلوب اكثر الخلق جاهلة بالقلب بعجايبه فلنرجع الى المقصود فنقول
القلب يتصور ان يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ كما
ان العين يتصور ان يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر اليها وتارة من النظر الى الماء الذي يقابل
الشمس ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ راى الاشياء فيه وتفجر اليه العلم
منه فاستغنى عن الاقتباس من مداخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الارض ومهما اقبل
على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجابا له من مطالعة اللوح المحفوظ كما ان الماء
اذا اجتمع من الانهار في الحوض منع ذلك عن التفجر من الارض وكان من نظر الى الماء الذي يحكي

صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذن للقلب بابان باب مفتوح الى عالم الملكوت وهو
اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسك بعالم الشهادة والملك
وعالم الشهادة والملك يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فاما انفتاح باب القلب الى الاقتباس
من الحواس فلا يخفى عليك واما انفتاح بابه الداخلي الى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ
فتعلمه علما يقينا بالتامل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل او كان
في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى قال عليه السلام سبق
المفردون قيل ومن هم قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم
قال في وصفهم اقبل عليهم بوجهي أترى من واجهته بوجهي يعلم احد اي شيء اريد ان اعطيه ثم
قال اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم ومدخل هذه الاخبار هو
الباب الباطن فاذن الفرق بين علوم الانبياء والاولياء وبين علوم الحكماء والعلماء هذا وهو ان علومهم
تاتي من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم الحكماء يأتي من ابواب الحواس المفتوحة الى
عالم الملك وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب لا يمكن ان نستقصي في علم المعاملة
فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العلمين **المثال الثاني** يعرفك الفرق بين العملين اعني عمل
العلماء وعمل الاولياء فان العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها الى القلب واولياء الصوفية يعملون
في جلاء القلب وتطهيره وتصفيته وتصقيله فقط وقد حكي ان اهل الصين واهل الروم تباهوا
بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر راي الملك على ان يسلم اليهم صفة
لينقش اهل الصين منها جانبا واهل الروم جانبا ويرخى بينهم حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر
ففعل ذلك وجمع اهل الروم من الصباغ الغريبة ما لا ينحصر ودخل اهل الصين من غير صبغ وهم
يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل الروم ادعى اهل الصين انهم ايضا قد فرغوا فتعجب الملك من
قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل وكيف فرغتم من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا
الحجاب فرفعوا فاذا بجانبهم قد تلالا فيه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة اشراق وبريق
اذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفا فكذلك عناية
الاولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وتصفيته حتى يتلالا فيه جلية الحق بنهاية الاشراق
كفعل اهل الصين وعناية العلماء والحكماء باكتساب نفس العلوم ونقشها في القلب وكيف ما كان
الامر فقلب المومن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر واليه اشار الحسن بقوله
التراب لا ياكل محل الايمان فيكون وسيلة المقربة له الى الله تعالى اما ما حصله من نفس العلم او ما حصله
من الصفا والاستعداد لقبول نقش العلم ولا سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفة وبعض السعادات اشرف
من بعض كما انه لا غنى الا بالمال فصاحب الدرهم غني وصاحب الخزائن المترعة غني وتفاوت
درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تفاوت درجات الاغنياء بحسب قلة المال
وكثرته والمعارف انوار ولا يسعى المومنون الى لقاء الله الا بانوارهم قال تعالى يسعى نورهم بين ايديهم و
بايمانهم وقد ورد في الخبر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم يعطى اصغر حتى يكون اخرهم رجلا يعطى

نورا على ابهام قدميه فيضيء مرة ويطفأ مرة فاذا اضاء قدم قدمه فمشى واذا طفئ قام ومرورهم على
الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب
ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي اعطي نوره على ابهام قدميه يحبو على
وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق اخرى وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث
فبهذا يظهر تفاوت الناس في الايمان ولو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح وهذا ايضا يضاهي
قول القائل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره
كنور الشمع وايمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم وايمان الانبياء كنور الشمس وكما ينكشف في
نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع اقطاره ولا ينكشف في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت
فكذلك يتفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين
ولذلك جاء في الخبر انه يقال يوم القيمة اخرجوا من النار من في قلبه مثقال من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال
وشعيرة وذرة وكل ذلك تنبيه على تفاوت درجات وان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار
وفي مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لأمر باخراجه اولا وان من في
قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليس شيء خير من
الف مثله الا الانسان اشارة الى تفضيل قلب العارف المومن وانه خير من قلب الف من عوام الناس
وقد قال تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مومنين وهو تفضيل المومن على المسلم والمراد به المومن العارف دون
المقلد وقال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فاراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا
من غير علم وميزهم عن الذين اوتوا العلم ويدل ذلك على ان اسم المومن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه
عن بصيرة وكشف وفسر ابن عباس قوله الذين اوتوا العلم درجات قال يرفع العالم فوق المومنين بسبعمائة
درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون
لذوي الالباب وقال فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي رواية كفضل القمر على
ساير الكواكب فبهذه الشواهد يتضح تفاوت درجات اهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم
ومعارفهم ولهذا كان يوم القيمة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران والمرحوم
يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره اليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم الى الغني
الذي يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما اعظم الفرق بينهما وما اعظم الغبن
على من يخسر حظه منه وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا **بيان شواهد الشرع على صحة
طريق اهل التصوف** في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد اعلم ان من انكشف
له ولو الشيء اليسير بطريق الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق
ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي ان يومن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جدا ويشهد لذلك
شواهد الشرع والتجارب والحكايات **اما الشواهد** فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال
النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة

ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار وقال تع ومن يتق الله يجعل له
مخرجا قيل يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم
ويفطنه من غير تجربة وقال تع يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين
الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك اكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه سؤال النور فقال
اللهم اعطني نورا وزدني نورا واجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا حتى قال في سمعي وبشري ولحمي ودمي
وعظامي وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تع افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ما
هذا الشرح قال هو التوسعة ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال صلى الله
عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وقال علي رضي الله عنه ما عندنا شيء
اسره النبي صلى الله عليه وسلم الينا الا ان يؤتي الله عبدا فهما في كتابه وليس هذا بالتعلم وقيل في
تفسير قوله تع يؤتي الحكمة من يشاء انه الفهم في كتاب الله وقال الله تع ففهمناها سليمن خص ما انكشف
له باسم الفهم وكان ابو الدرداء يقول المومن ينظر من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله في
قلوبهم ويجريه على السنتهم وقال بعض السلف ظن المومن كهانة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله واليه يشير قوله تع لآيات للمتوسمين وقوله قد بينا الآيات لقوم
يوقنون وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم
النافع وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال سر من اسرار الله يقذفه في قلوب احبائه لم يطلع
عليه ملكا ولا بشرا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان من امتي محدثين ومكلمين وان عمر منهم وقرا ابن عباس
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو
الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقرآن مصرح
بان التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم قال تع وما خلق الله في السموات والارض
لآيات لقوم يتقون خصصها بهم وقال تع هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان
ابو يزيد وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظ صار جاهلا انما العالم الذي
ياخذ علمه من ربه اي وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني واليه الاشارة بقوله
تع وقد آتيناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسايط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك
علما لدنيا بل العلم اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مالوف من خارج فهذه شواهد النقل
ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والاخبار والآثار لخرج عن الحصر **واما مشاهدة ذلك بالتجارب**
فذلك ايضا خارج عن الحصر وظهر ذلك على الصحابة والتابعين ومن بعدهم قال ابو بكر رضي الله عنه
لعايشة رضي الله عنها انما هما اختاك وكانت زوجته حاملة فولدت بنتا وكان قد عرف قبل الولادة
انها بنت وقال عمر رضي الله عنه في اثناء خطبته يا سارية الجبل الجبل اذ انكشف له ان العدو قد
اشرف عليه فحذره وعرفه ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات العظيمة وعن انس بن مالك قال
دخلت على عثمان بن عفان رضي الله عنه وكنت لقيت امراة في الطريق فنظرت اليها نظرا شديدا و
تاملت محاسنها فلما دخلت عليه قال يدخل علي احدكم وآثار الزنا ظاهرة في عينيه اما علمت

ان زنا العينين النظر لتتوبن او لاعزرنك فقلت له اوحي بعد النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا و
لكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة وعن ابي سعيد الخراز قال دخلت المسجد الحرام فرايت فقيرا
عليه خرقتان فقلت في سري هذا واشباهه كل على الناس فناداني وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم
فاحذروه فاستغفرت الله تع في سري فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني
فلم اره وقال زكريا بن داويه دخل ابو العباس بن مسروق على ابي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال
ولم يعرف له سبب قال فلما قمت قلت في نفسي من اين ياكل هذا الرجل قال فصاح بي رد هذه الخطرة [التي]
فان لله الطافا خفية وعن احمد النقيب قال دخلت على الشبلي فقال مفتونا يا احمد فقلت ما
الخبر فقال لي كنت جالسا فجرى بخاطري انك بخيل فقلت ما انا بخيل فعاد مني خاطري وقال بلى انك بخيل
فقلت ما فتح اليوم علي بشيء الا دفعته الى اول فقير يلقاني قال فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب
لمونس الخادم ومعه خمسون دينارا فقال اجعلها في مصالحك قال فاخذتها وقمت فخرجت فاذا
انا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق راسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال اعطها المزين
فقلت انها دنانير فقال اوليس قلنا لك انك بخيل قال فناولتها المزين فقال المزين عقدنا
لما جلس الفقير بين يدينا الا ناخذ عليه اجرا فرميت الدنانير في دجلة وقلت ما اعزك احد الا اذله [لم]
الله عز وجل وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على ابي الخير التيناتي فاعتقدت في نفسي ان
اسلم عليه ولا آكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده فاذا به يأتيني خلفي وقد حمل طبقا عليه طعام
فقال يا فتى كل هذا فقد خرجت الساعة من اعتقادك وكان ابو الخير مشهورا بالكرامات وقال
ابراهيم الرقي قصدته مسلما فصلى صلوة المغرب ولم يقرا فاتحة الكتاب مستويا فقلت في نفسي ضاع
سفري فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني السبع فعدت اليه وقلت ان الاسد قصدني
فخرج وصاح على الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى وتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم
بتقويم الظواهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الاسد وما حكي من تفرس
المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمايرهم يخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر
والسوال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع
الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل انكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا
يقدر احد على جحده امران احدهما عجايب الرويا الصادقة فانه ينكشف بها الغيب واذا جاز
ذلك في النوم فلا يستحيل ايضا في اليقظة فلا يفارق النوم اليقظة الا في ركود الحواس وعدم اشتغالها
بالمحسوسات وكم من متيقظ غايص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الغيب وامور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن واذا جاز ذلك للنبي جاز
ذلك لغيره اذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقايق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل
ان يكون في الوجود شخص يكاشف بالحقايق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى
وليا فمن آمن بالانبياء وصدق بالرويا الصحيحة لزمه لا محالة ان يقر بان للقلب بابين

بابا الى الخارج وهي باب الحواس وباب الى الملكوت من داخل القلب وهي باب الالهام والنفث في الروع والوحي واذا انفتحا جميعا لم يمكنه ان يحصل العلوم بالتعلم ومباشرة الاسباب المالوفة بل يجوز ان يكون المجاهدة سبيلا اليه فهذا ما ننبه على حقيقة ما ذكرناه من عجايب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت واما السبب في انكشاف الامور في المنام بالمثال المحوج الى التعبير ولذلك تمثل الملايكة بصور مختلفة للانبياء والاولياء فذلك ايضا من اسرار عجايب القلب ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها وقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسالني ان املي عليه شيئا من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك بعمل تتقرب به الى الله تعالى فقلت السنما تكتبان الفرايض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك وهذا اشارة الى ان الكرام الكاتبين لا يطلعون على اسرار القلب انما يطلعون على الاعمال الظاهرة وقال بعض العارفين سالت بعض الابدال عن مسئلة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم اطرق الى صدره فقال ما تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته فسالته عن التفاته فقال لم يكن في المسئلة عندي علم عتيد فسالت صاحب الشمال فقال لا ادري فسالت صاحب اليمين فقال لا ادري فنظرت الى قلبي فسالته فحدثني بما اخبرتك واذا هو اعلم منهما وكان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان في امتي محدثين وان عمر منهم وفي الاثر ان الله تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت الغالب فيه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال ابو سليمن الداراني القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب الى جهة الملكوت والملا الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر بن الخطاب الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانه يتجلى لهم امور صادقة وقال بعض الحكماء يد الله على افواه الحكماء لا ينطقون الا بما هيا الله لهم من الحق وقال آخر لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها اعلم ان القلب كما ذكرناه مثال قبة لها ابواب ينصب اليها الاحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف ينصب اليه السهام من الجوانب او هو مثال مرآة منصوبة يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فيترايا فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها ومثاله مثال حوض ينصب اليه مياه مختلفة من انهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال اما من الظواهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيئا حصل منها اثر في القلب وكذلك اذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل وبقوة في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال الى حال والمقصود ان القلب

في التغيير والتاثر دايما من هذه الاسباب واخص الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر واعني بالخاطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به ادراكات وعلوما اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا عنه والخواطر هي المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما يكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدا الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني الى ما يضر في العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقرا الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنار حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة كذلك لانوار القلب وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي به يتهيا القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذي به يتهيا لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا فان المعاني المختلفة تفتقر الى اسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شانه افاضة الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر والوسوسة في مقابلة الالهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للازواج كلها والقلب متجاذب بين الشيطان والملك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله امضاه وما كان من عدوه جاهده ولتجاذب القلب بين هذين المتسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن والله سبحانه يتعالى عن ان تكون له اصبع مركبة من لحم وعظم ودم منقسمة بالانامل ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعك لشخصه بل لفعله في التقليب والترديد وكما انك تتعاطى الافعال باصابعك فالله تعالى انما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران لقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول آثار الملايكة ولقبول آثار الشياطين صلاحا متساويا ليس يترجح احدهما على الآخر وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات او الاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لان الهوى هو مرعى

الشيطان ومرتعه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية المنشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله اعانني عليه فاسلم ولا يامر الا بالخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط الا حيث ينبغي والى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو الى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يامر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحدهما فيستمكن ويستوطنه ويكون اجتياز الثاني اختلاسا واكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وملكوها فامتلأت بالوساوس الداعية الى ايثار العاجل واطراح الآخرة ومبدأ استيلائها اتباع الهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله الذي هو مطرح اثر الملائكة قال جرير بن عبيدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله فلذلك تسلط عليه الشيطان وقد قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه اشارة الى ان الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله وقال عثمان بن ابي العاص يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلوتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا تمحو وسوسة الشيطان عن القلب الا ذكر شيء ما سوى ما يوسوس به لانه اذا خطر في القلب ذكر انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله وسوى ما يتعلق به فيجوز ان يكون ايضا مجالا للشيطان فذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف عليهم في اوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد في معنى قوله من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وقال انس رضي الله عنه قال

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله تعالى خنس وان نسي الله التقم قلبه وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بابي وجه لا يفلح وكما ان الشيطان ممتزج بلحم الآدمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه قال تعالى حكاية عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم الى شمائلهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر فتذر ارضك وسماءك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل وتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وينكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذن الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه آدمي وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال ما من احد الا وله شيطان فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان وانه جسم لطيف ام ليس بجسم وان كان جسما فكيف يداخل بدن الانسان ما هو جسم فهذا الآن غير محتاج اليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا كمثال من دخل في ثوبه حية وهو محتاج الى دفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وطولها وعرضها فذلك عين الجهل فمصادفة الخواطر الباعثة على الشرور قد علمت وذلك عن سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل عدو فقد عرف العدو فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز منه فقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي ان يسال عن سلاحه ليدفعه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعالمين فاما معرفة صفة ذاته وحقيقته وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات ولا يحتاج في علم المعاملة الى معرفته نعم ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدري انه من لمة الملك ام من لمة الشيطان فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد انعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله وتتعرض

لسخطه ونكت عن اشاعة العلم ودعوه خلق الله الى الصراط المستقيم فلا يزال يستجره بلطايف الحيل الى
ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير ويقول ان لم
تفعل ذلك وقع كلامك من قلبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال يقرر ذلك وهو في اثنايه يولد فيه
شوايب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج
المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم ويظن ان قصده الخير وانما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه
وهو يظن انه عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤيد هذا الدين
باقوام لا خلاق لهم في الآخرة وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي ان ابليس
تمثل لعيسى عليه السلم فقال قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان له تحت الخير تلبيسات
وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبه يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء و
الاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم الخوض في المعاصي
المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع ولعلنا ان
امهل الزمان صنعنا فيه كتابا على الخصوص نسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الآن في الآفاق
في البلاد والعباد في المذاهب والاعمال حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات
الشيطان ومكايده فحق العباد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان
وان يمعن النظر بنور البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى وغزارة العلم كما قال تعالى
ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي
انكشف لهم الاشكال فاما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة
الهوى ويكثر فيه غلطه ويتعجل به هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم
يكونوا يحتسبون قيل هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيآت واغمض انواع علوم المعاملة
الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله الخلق واشتغلوا
بعلوم تستجر اليهم الوساوس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطرق الاحتراز منه
ولا ينجي من كثرة الوساوس الا سد ابواب الخواطر وابوابها الحواس الخمس وابوابها من داخل
الشهوات وعلايق الدنيا والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن المال والاهل
يقلل مداخل الوساوس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنه من التخيلات الجارية في
القلب وذلك لا يدفع الا بشغل القلب وهذه مجاهدة لا آخر لها الى الموت اذ لا يتخلص
احد عن الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد و
لكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فانه ما دام حيا فابواب
الشياطين مفتوحة في قلبه لا تغلق وهي الشهوة والغضب والحدة والطمع والشره وغيرها
كما سياتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسة و
المجاهدة قال رجل للحسن يا ابا سعيد اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحة فلا
خلاص للمومن عنه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المومن

ينفي

ينفي شيطانه كما ينفي احدكم بعيره في السفر وقال ابن مسعود شيطان المومن مهزول وقال
قيس بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الآن مثل العصفور فقلت ولم
ذاك قال تذيبني بكتاب الله عز وجل واهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب الشياطين وحفظها بالحراسة
اعني الابواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي الى المعاصي الظاهرة وانما يتعثرون في طرقه الغامضة
فانهم لا يهتدون فيحرسونها كما اشرنا اليه في غرور العلماء والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحة
الى القلب للشيطان كثيرة وباب الملايكة باب واحد وقد التبس ذلك الواحد بهذه الكثيرة
فالعبد فيه مثال المسافر الذي في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا
يكاد يعلم الا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة والعين البصيرة ههنا هو القلب المصفى بالتقوى و صح العلم
الشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله فيهما يهتدي الى غوامض طرقه
والا فطرقه كثيرة وغامضة قال ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال
هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وعن شماله فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان
يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق لتلك الخطوط فبين صلى الله
عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد
المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة فلنذكر مثالا لطريقه الواضح الذي لا يخفى الا ان
يضطر الآدمي الى سلوكه وذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني
اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى في قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب فاتوا بها
الراهب فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس
اليه وزين له مقاربتها فلم يزل به حتى وقع عليها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح ياتيك
اهلها فاقتلها فان اتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتاه اهلها فسألوه فقال ماتت فاخذوه
فاتاه الشيطان فقال انا الذي اخذتها وانا الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني تنج اسجد
لي سجدتين فسجد له سجدتين فهو الذي قال الله عز وجل كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر
قال اني بريء منك فانظر الى حيله واضطراره الراهب الى هذه الكباير وكل ذلك لطاعته
له في قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين وربما نظر صاحبه انه خير وحسنة فيحسن ذلك في
قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض الى
البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوايل الامور واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه

بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب

اعلم ان القلب
مثاله مثال الحصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر على
حفظ الحصن عن العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسة
ابوابه من لا يعرف ابوابه وحماية القلب عن فساد الشيطان هو فرض عين على كل عبد مكلف وما لا
يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب ايضا ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة
مداخل الشيطان واجبا ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا

نشير الى الابواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان فمن الابواب
العظيمة الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصاً على شي اعماه حرصه واصمه اذ قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشي يعمي ويصم ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان
فاذا غطاه الحرص او الحسد لم يبصر فوجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته
وان كان منكرا وفاحشا فقد روي ان نوحا عليه السلم لما ركب البحر وحمل في السفينة كل زوجين
اثنين كما امر راى في السفينة شيخا لم يعرفه فقال له نوح ما ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب
اصحابك فيكون قلوبهم معي وابدانهم معك قال نوح اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس
خمس اهلك بهن الناس وساحدثك منهن بثلاث ولا احدثك باثنتين فاوحى الله الى نوح انه لا حاجة
بك الى الثلاث مره فليحدثك بالثنتين فقال له الثنتان فقال هما لا تكذباني هما الثنتان لا تخلفاني
بهما اهلك الناس الحسد وبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما والحرص ابيح لادم الجنة كلها
فاصبت حاجتي منه بالحرص ومن ابوابه العظيمة الغضب والشهوة فان الغضب غول للعقل واذا
ضعف جند العقل هجم الشيطان ومهما غضب الانسان لعب به الشيطان كما يلعب
الصبي بالكرة فقد روي ان ابليس لقي موسى صلى الله عليه وسلم فقال يا موسى انت الذي اصطفاك
الله برسالته وكلمك تكليما وانا من خلق الله اذنبت وانا اريد ان اتوب فاشفع لي الى ربي
ان يتوب علي قال موسى نعم فدعا موسى ربه عز وجل فقال يا موسى قد قضيت حاجتك فلقي موسى
ابليس وقال امرت ان تسجد لقبر آدم ليتاب عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد
له حيا اسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى ان لك علي حقا بما شفعت لي الى ربك فاذكرني
عند ثلاث لا اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان وجهي في قلبك وعيني في عينك
واجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فاني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره
ولده وزوجته واهله حتى يولي واياك ان تجالس امراة ليست بذات محرم فاني رسولها
اليك ورسولك اليها فقد اشار في هذا الى الشهوة والغضب والحرص فان الفرار من الزحف
حرص على الدنيا وامتناعه عن سجود آدم ميتا هو الحسد وهو من اعظم مداخله. وقال بعض
الانبياء لابليس باي شي تغلب ابن آدم قال آخذه عند الغضب وعند الهوى وظهر ابليس
لراهب فقال له اي اخلاق بني آدم اعون لك قال الحدة ان العبد اذا كان حديدا قلبناه كما
تقلب الصبيان الكرة وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم اذا رضي جئت حتى
اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه ومن ابوابه حب التزين في الثياب و
الاثاث والدار فان الشيطان اذا راى ذلك غالبا على قلب انسان باض فيه وفرخ فلا يزال
يدعوه الى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها ويدعوه الى التزين
بالثياب والدواب ويستسخره طول عمره واذا اوقعه فيها فقد استغنى عن معاودته فان
بعض ذلك يجره الى البعض فلا يزال يؤديه من شي الى شي الى ان يساق اليه اجله فيموت وهو في سبيل
الشيطان واتباع الهوى ومن ذلك يخشى سوء الخاتمة بالكفر نعوذ بالله منه ومن ابوابه العظيمة

الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات اسلحة
الشيطان. روي ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا فراى عليه معاليق من كل شي فقال له يحيى
ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي اصيب بهن بني آدم قال فهل لي فيها شي فقال ربما شبعت
فثقلناك عن الصلوة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املا بطني من طعام ابدا فقال
ابليس علي ان لا انصح مسلما ابدا ومن ابوابه العظيمة الطمع في الناس فاذا غلب الطمع على القلب
لم يزل الشيطان يحسن التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه
كانه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى ذلك واقل
احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد روي
صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظلة وقال يا ابن حنظلة احفظ عني شيئا اعلمكه
قال لا حاجة لي به قال انظر فان كان خيرا قبلت وان كان شرا رددته يا ابن حنظلة لا تسال
احدا غير الله سؤال رغبة وانظر كيف تكون اذا غضبت ومن ابوابه العجلة وترك التثبت
في الامور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان والتاني من الله وقال تعالى
خلق الانسان عجولا وقال تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا لان
الاعمال ينبغي ان يكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج الى تامل وتمهل والعجلة تمنع
من ذلك فعند الاستعجال يروج الشيطان شره من حيث لا يدري. روي انه لما ولد عيسى
اتت الشياطين ابليس فقالت اصبحت الاصنام قد نكست رؤوسها قال هذا حادث قد حدث
مكانكم فطار حتى جاء خافقي الارض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى قد ولد واذا الملائكة قد حفت
حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا حاضرها
الا هذا فايسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة
ومن ابوابه العظيمة الدراهم والدنانير وساير اصناف الاموال من العروض والدواب والعقار
وكل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد
ماية دينار على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل واحدة الى ماية دينار فلا يكفيه ما وجد
بل يحتاج الى تسعماية اخرى وقد كان قبل وجود الماية مستغنيا فلان وجد ماية وظن انه صار
غنيا به وقد صار محتاجا الى تسعماية ليشتري بها دارا ويعمرها ويشتري جارية ويشتري
اثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة وكل شي من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا
آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم ولا آخر لها سواه قال ثابت لما بعث النبي صلى الله
عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاؤوا وقالوا ما
ندري قال ابليس انا آتيكم بالخبر فذهب وجاء وقال بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل
شياطينه الى اصحاب محمد النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قط قوما
مثل هولاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلوتهم فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح
لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم. وروي ان عيسى صلى الله عليه وسلم توسد حجرا فمر به ابليس

فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه من تحت رأسه ورماه به وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من
يملك حجرا يتوسده عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة الشيطان عليه فان القايم
بالليل مثلا للصلوة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده لا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده
ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا يتحرك رغبته في النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة
والفرش الوطية والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله ومن ابوابه البخل وخوف الفقر فان
ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم الموعد
للكاثرين كما نطق به القرآن قال خيثم بن الربيع ان الشيطان يقول ما غلبني عليه ابن آدم فلن عبد الرحمن
يغلبني على ثلاث ان آمره باخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه قال
سفين ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذ في الباطل ومنع من الحق
وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الاسواق لجمع المال و
الاسواق هي معشش الشيطان روي عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس
لما انزل الى الارض قال يا رب انزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال
فاجعل لي مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال ما لا يذكر اسم الله
عليه قال اجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي موذنا قال المزامير قال اجعل لي قرآنا قال الشعر
قال اجعل لي كتابا قال الوشم قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال النساء ومن
ابوابه التعصب للمذاهب والاهواء والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدراء والاستحقار و
ذلك مما يهلك الفساق والعباد جميعا فان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصانهم صفة مجبولة
في طبع الانسان من الصفات السبعية فاذا خيل الشيطان اليه ان ذلك هو الحق وكان موافقا للطبع
غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعى في الدين وهو
ساع في اتباع الشيطان ترى الواحد يتعصب لابي بكر رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان
بالكذب ومتعاط لانواع الفساد ولو رآه ابو بكر رضي الله عنه لكان هو اول اعدائه اذ موالي
ابي بكر رضي الله عنه من اخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما اخته وكان من سيرته ان يضع
حجرا في فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فانى لهذا الفضولي ان يدعي ولاءه وحبه و
ترى فضوليا آخر يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهد علي وسيرته انه لبس في خلافته ثوبا اشتراه
بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين الى الرسغين فترى الفاسق لابسا لثياب الحرير ومتجملا باموال
كسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي ويدعيه وهو اول خصمائه يوم القيمة وليت شعري من
اخذ ولدا عزيزا لانسان هو قرة عينه وحياة قلبه فاخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض
وهو مع ذلك يدعي حب ابيه وولاءه كيف يكون حاله عنده ومعلوم ان الدين والشرع كان احب
الى ابي بكر وعلي وساير الصحابة من الاهل والولد بل من نفوسهم والمقتحمون لمعاصي الشرع هم
الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به الى ابليس عدو الله وعدو اوليائه
فترى كيف يكون حالهم يوم القيمة عند الصحابة وعند اولياء الله بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء

مايحبه

ما يحبه الصحابة في امة رسول الله لاستحيوا من ان يجروا على اللسان ذكرهم مع قبيح افعالهم ثم
الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لابي بكر وعمر رضي الله عنهما فالنار لا تحوم حوله ويخيل
الى الآخر انه اذا مات محبا لعلي رضي الله عنه لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لولده فاطمة وهي بضعة منه اعملي فاني لا اغني عنك من الله شيئا وهذا مثال اوردناه من
جملة الاهواء وهكذا حكم المتعصبين للشافعي وابي حنيفة واحمد ومالك وغيرهم من الائمة فكل من ادعى
مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو خصمه اذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث
باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل الهذيان فما لك خالفتني في العمل والسيرة
التي هي مسلكي ومذهبي الذي سلكته وذهبت فيه الى الله تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا وهذا مدخل
عظيم من مداخل الشيطان قد اهلك به اكثر العالم وقد سلمت المنابر لاقوام قل من الله خوفهم وضعفت
في الدين بصيرتهم وقوي في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع واقامة
الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكايد الشيطان فيه بل نابوا عن
الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا امهات دينهم فقد هلكوا واهلكوا فالله
تعالى يتوب علينا وعليهم قال الحسن بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي
فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا يستغفرون الله عز وجل منها وهي الاهواء وقد صدق
الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون منها ومن عظيم
حيل الشيطان ان يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات
قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قعد قوم يذكرون الله عز وجل فاتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم
فيفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون
وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك
مراد الشيطان منهم ومن ابوابه حمل العوام والذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في
ذات الله وصفاته وفي امور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في اصل الدين او يخيل اليهم
في الله تع خيالا يتعالى الله عنه فيصير به كافرا او مبتدعا وهو به فرح مسرور متبجح بما وقع في صدره
يظن ان ذلك هو المعرفة والبصيرة وانه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله واشد الناس
حماقة اقواهم اعتقادا في عقل نفسه واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لنفسه وظنونهم واحرصهم
على السوال من العلماء قالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
ياتي احدكم فيقول من خلقك فيقول الله تع فيقول فمن خلق الله تعالى فاذا وجد احدكم ذلك فليقل آمنت
بالله ورسوله فان ذلك يذهب عنه فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يامر في علاج هذا الوسواس بالبحث
فان هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء وانما حق العوام ان يومنوا ويسلموا ويشتغلوا
بعباداتهم ومعايشهم ويتركوا العلم الى العلماء فالعامي لو زنى او سرق كان خيرا له من ان يتكلم
في العلم فانه من تكلم من غير اتقان العلم في الله وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب
لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقايد والمذاهب لا حصر لها و

وانما قصدنا بايراده المثال ومن ابوابه سوء الظن بالمسلمين ولذلك قال تع اجتنبوا
كثيرا من الظن ومن حكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة
فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او يتوانى في الكرامة او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه
خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه وسلم
اتقوا مواضع التهم حتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احترز منه وروى عن علي بن الحسين ان صفية
بنت حيي اخبرته ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فاتيته فحدثت عنده فلما امسيت
انصرفت فقام يمشي معي فمر به رجلان من الانصار فسلما ثم مضيا فدعاهما فقال انها صفية
بنت حيي قالا يا رسول الله افنظن بك الا خيرا قال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم
واني خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف اشفق على دينهما فحرسهما وكيف اشفق على امته فعلمهم
طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في احواله فيقول مثلي لا يظن بي الا
الخير اعجابا منه بنفسه فان اورع الناس واتقاهم واعلمهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحد بل
بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي
المساويا فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم
الا الشر فمهما رايت انسانا سيء الظن بالناس طالبا للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان
ذلك خبثه يترشح منه وانما يرى غيره من حيث هو فان المومن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب
والمومن سليم الصدر في حق كافة الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردت استقصاء
جميعه لم اقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة الا وهي سلاح الشيطان
ومدخل من مداخله فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله وقول الانسان لا حول ولا قوة
الا بالله فاعلم ان علاج ذلك سد هذه المداخل وتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة و
ذلك يطول ذكره وغرضنا في هذا الربع من الكتاب علاج الصفات المهلكات ويحتاج كل صفة الى
كتاب مفرد على ما سياتي نعم اذا قلعت من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان
بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تع لان حقيقة الذكر
لا تتمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون
الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال تع ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وخصص ذلك بالمتقين ومثال الشيطان كلب جائع يقرب
منك فان لم يكن بين يديك لحم وخبز ينزجر بان تقول له اخسأ فمجرد الصوت تدفعه وان كان
بين يديك لحم وهو جائع يهجم على اللحم ولم يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان
ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر الى حواشي القلب
فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب واما قلوب المتقين الخالية
من الهوى والصفات المذمومة يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا
عاد الى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تع فاستعذ بالله وسائر الآيات والاخبار الواردة

في

في الذكر وقال ابو هريرة التقى شيطان المومن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين
كاس واذا شيطان المومن مهزول اشعث عار فقال شيطان الكافر لشيطان المومن ما لك
قال انا مع رجل اذا اكل سمى فاظل جائعا واذا شرب سمى فاظل عطشان واذا ادهن سمى فاظل
شعثا واذا لبس سمى فاظل عريانا قال شيطان الكافر ولكني مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرت
فانا اشاركه في طعامه وشرابه ولباسه وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلوة الصبح اللهم
انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا
كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين
جنتك انك على كل شي قدير فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد فقال يا ابن واسع هل تعرفني قال
ومن انت قال اللعين قال له وما تريد قال اريد ان لا تعلم احدا هذه الاستعاذة قال والله لا امنعها
ممن اراده فاصنع الآن ما شئت وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان ياتي النبي
صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب فاتاه
جبرئيل صلى الله عليه وسلم فقال قل اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر
ما ذرا في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل وطوارق الليل الا طارق
يطرق بخير يا رحمان فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه وقال الحسن نبئت ان جبرئيل اتى النبي
صلى الله عليه وسلم وقال ان عفريتا من الجن يكيدك فاذا اويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي وقال
صلى الله عليه وسلم لقد اتاني شيطان فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما ارسلته
حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمن صلعم لاصبح طريحا وقال رسول الله صلعم
ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غيره وهذا لان هذه القلوب مطهرة عن مرعى الشيطان
وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان
محالا وكنت كمن يطمع في ان يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع في ان
ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة فالذكر دواء والتقوى احتماء تخلي القلب من
الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا من غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء
في معدة خالية عن الاطعمة قال تع ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال كتب عليه انه من
تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فقد تولاه وان ذكر الله
بلسانه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم يفهم ان اكثر عمومات
الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتأمل ان
منتهى ذكرك وعبادتك صلوتك فراقب قلبك اذا كنت في صلوتك كيف يجاذبه الشيطان في
الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى
انك لا تتذكر ما نسيته من فضول الدنيا الا في صلوتك فلا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت
والصلوة محك القلوب فيها تظهر مساويها ومحاسنها فالصلوة لا تقبل القلوب المشحونة
بشهوات الدنيا فلا جرم لا يطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان الدواء

قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى
ثم اردفه بدواء الذكر وقد فر الشيطان منك كما يفر من عمر رضي الله عنه ولذلك قال
وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اي انت
مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته
بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم وانت تدعو ولا يستجاب لك فكذلك تذكر
الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء قيل لابرهيم بن ادهم ما بالنا ندعو
فلا يستجاب فقد قال ادعوني استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها قال
ثمان خصال عرفتم حق الله فلم تقوموا بحقه وقراتم القرآن فلم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله
وتركتم سنته وقلتم نخشى الموت فلم تستعدوا له وقد قال الله تعالى ان الشيطان لكم عدو
فواطاتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار فارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة فلم تعملوا لها
واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وفرشتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم
ربكم فكيف يستجيب لكم فان قلت فالداعي الى المعاصي المختلفة شيطان واحد ام شياطين
مختلفون فاعلم انه لا حاجة بك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسال
عن صفته كل البقل من حيث يؤتى به ولا تسال عن المبقلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار
فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب
كما ذكرناه في نور النار وسواد الدخان واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد
قد جعل كل واحد منهم على شيء من امره فذكر ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب
المصائب الذي يامر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فهو
صاحب الزناء يامر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب فيدخل مع الرجل الى اهله يريه
العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظلمين وشيطان
الصلوة يسمى خنزب وشيطان الوضوء الولهان وقد ورد في ذلك اخبار كثيرة وكما ان
الشيطان فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص
كل واحد بعمل ينفرد به فقد قال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن
مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك سبعة املاك يذبون عنه كما تذبون
عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرايتموه على كل سهل وجبل كلهم
باسط يده فاغر فاه وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال يونس
بن يزيد بلغنا انه يولد مع ابناء الانس من ابناء الجن ثم ينشؤن معهم وقال جابر بن عبد الله
ان آدم صلى الله عليه وسلم لما اهبط قال يا رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة الا تعني
عليه لا اقوى عليه ابدا قال لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال يا رب زدني قال اجزي بالسيئة
سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح
قال ابليس رب هذا العبد الذي كرمته علي ان لا تعني عليه لا اقوى عليه قال لا يولد له ولد

الا ولد لك ولد قال رب زدني قال تجري منهم مجرى الدم وتتخذ صدورهم بيوتا قال رب زدني
قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك الى قوله غرورا وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم خلق الله الجن ثلاثة اصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف
كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله عز وجل الانس ثلاثة اصناف
صنف كالبهائم قال الله عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها الآية و
صنف اجسادهم اجساد بني آدم وارواحهم ارواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل
الا ظله وقال وهب بن الورد بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا وقال له اني انصحك قال لا اريد
ولكن اخبرني عن بني آدم قال هم عندنا ثلاثة اصناف اما صنف منهم فهم اشد الاصناف
علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونستمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا
كل شيء ادركنا منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن نايس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه
في عناء واما الصنف الآخر فهم في ايدينا بمنزلة الكرة في ايدي صبيانكم نتلقفهم كيف
شئنا قد كفونا انفسهم واما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء فان
قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا راى صورته فهي صورته
الحقيقية او مثال تمثل به وان كان صورة الحقيقة فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى
في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان
الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما ولا يدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا
بانوار النبوة فما راى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته الا مرتين وذلك انه عليه السلام ساله
ان يريه نفسه على صورته فواعده ذلك بحرا فطلع له جبريل فسد الافق الى المغرب وراه مرة
اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه في صورة الآدمي غالبا وكان يراه
في صورة دحية الكلبي وكان رجلا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف اهل المكاشفة من
ارباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه ويقوم
ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لاكثر الصالحين وانما المكاشف في اليقظة هو الذي
انتهى الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في النوم فيرى في اليقظة
ما يراه غيره في النوم كما روي عن عمر بن عبد العزيز ان رجلا سال ربه عز وجل ان يريه الشيطان
من قلب ابن آدم فراى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه وراى الشيطان
في صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه واذنه له خرطوم طويل دقيق قد ادخله من منكبه
الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله خنس ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة
وقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة
مثال الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لا بد وان يظهر فيه حقيقته
من الوجه الذي يقابل الملكوت وعند ذلك يشرق اثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك و
الشهادة لان احدهما متصل بالآخر وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو

مدخل الالهام والوحي ووجه الى عالم الشهادة فالذي يظهر منه من الوجه الذي يلي جانب عالم
الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة كلها متخيلات الا ان الخيال تارة
يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخص
جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير التلبيس اما الصورة
التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلب فلا يكون الا محاكيا للصفة
وموافقا لان الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا جرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة
قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيره وقد يرى الملك في صورة جميلة
تكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكيا لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في
النوم على انسان خبيث وتدل الشاة على انسان سليم الجانب وهكذا جميع انواع التعبير
وهذه اسرار عجيبة وهي من عجائب علوم القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما
المقصود ان يصدق بان الشيطان ينكشف لارباب القلوب وكذا الملك تارة بطريق
التمثل والمحاكاة كما في النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو التمثل بصورة محاكية للمعنى هي
مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف
دون من حواليه كالنائم **بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها و**
قصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به اعلم ان هذا امر غامض وقد وردت فيه آيات واخبار
متعارضة لا يلتبس طريق الجمع بينها الا على سماسرة العلماء فقد روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قد عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله
عليه وسلم عن ربه جل وعلا اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فاكتبوها سيئة
واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد اخرجه البخاري
ومسلم في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ آخر من
هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له الى سبعمائة ضعف
ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب عليه وان عملها كتبت وفي لفظ آخر اذا تحدث بان يعمل
سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فاما ما يدل على المؤاخذة
فقوله سبحانه ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وقال سبحانه ولا تقف ما ليس لك
به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع و
البصر فلا يعفى عنه وقال ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال لا يؤاخذكم الله
باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم **والحق** في هذه المسألة عندنا لا يوقف
عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب من مبدأ ظهورها الى ان يظهر العمل على
الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امرأة وانها وراء
ظهره في الطريق لو التفت اليها لرآها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة
التي في الطبع وهو يتولد من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس و

الثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث
الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من الالتفات وعدم هذه
الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع
الخاطر والميل والرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل
ونية وقصدا وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن اذا اصغى القلب الى الخاطر الاول
حتى طالت مجاذبته للنفس تأكدت هذه الهمة وصارت ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة
فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت اليه وربما يعوقه
عائق فيتعذر عليه العمل فههنا اربعة احوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث
النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول اما الخاطر فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار
وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان تحت الاختيار وهما المراد بقوله عليه السلام
عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها
عزم على الفعل فاما العزم والهم فلا يسمى حديث نفس بل حديث النفس كما روي عن عثمان
بن مظعون حيث قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسي تحدثني ان اطلق خولة فقال مهلا
ان من سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا اخصاء امتي دؤوب
الصيام قال نفسي تحدثني ان اترهب قال مهلا رهبانية امتي الجهاد والحج قال
نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه ولو اصبته لاكلته ولو سألت الله لاطعمني
فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل واما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب
بانه ينبغي ان يفعل فهذا متردد بين ان يكون اضطرارا او اختيارا والاحوال تختلف فيه
فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه
يؤاخذ به الا انه ان لم يفعل نظر فان تركه خوفا من الله وندما على همه كتبت له حسنة لان همه
سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله
والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع هو العمل
لله اشد من جده في موافقة الشيطان لموافقة الطبع فكتبت له حسنة لانه رجح جهده
في الامتناع وهمه به على همه بالفعل وان تعذر الفعل بعائق او تركه بعذر لا خوفا من الله
كتبت له سيئة فان همه فعل من القلب اختياري والدليل على التفصيل ما روي في الصحيح مفصلا
في لفظ الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان
يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له
حسنة انما تركها برضاي وحيث قال لم يعملها اراد به تركها لله فاما اذا عزم على فاحشة
وتعذرت عليه بسبب او بغفلة فكيف تكتب له حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم انما
يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزني بامرأة

فمات تلك الليلة مات مصرا ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل عليه فيه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه هذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل مظلوما فكيف يظن ان الله لا يواخذ بالنية والهم وكل ما دخل تحت اختيار العبد فهو ماخوذ به الا ان يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة فاما فوات المراد بعايق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمواخذة به تكليف لما لا يطاق ولذلك لما نزل قوله تع وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء ناس من الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلب هو الذي لا يواخذ به فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس فكل من يظن ان كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلاثة فلا بد وان يغلط وكيف لا يواخذ باعمال القلوب و الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبايث من اعمال القلوب بل السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسئولا اي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع البصر بغير الاختيار على غير محرم لم يواخذ به فان اتبعه نظرة ثانية كان مواخذا لانه مختار وهكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب اولى بمواخذة لانه الاصل قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى القلب ثم قال لن ينال الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى وقال الاثم حزاز القلوب وقال البر ما اطمان اليه القلب وان افتوك حتى انا نقول اذا حكم قلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطيا صار مثابا عليه بل من ظن انه متطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر انه غير متطهر كان له ثواب بفعله وان تركه ثم تذكر كان معاقبا ومن وجد على فراشه امراة فظن انها زوجته لم يعص بوطيها وان كانت اجنبية وان ظن انها اجنبية عصى بوطيها وان كانت امراته كل ذلك نظر القلب دون الجوارح

بيان ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكلية عند الذكر ام لا

اعلم ان العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجايبها اختلفوا في هذه المسيلة على خمس فرق فقالت فرقة ان الوسوسة تنقطع بذكر الله تع لانه صلى الله عليه وسلم قال فاذا ذكر الله خنس والخنوس هو السكوت فكانه يسكت و قالت فرقة لا ينعدم اصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر محجوبا عن التاثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فانه قد يتكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه وقالت فرقة لا تسقط الوسوسة ولا اثرها ايضا ولكن يسقط غلبته للقلب وكانه يوسوس من بعد وعلى ضعف وقالت فرقة تنعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر بها في لحظة ويتعاقبان في ازمنة متقاربة يظن لتقاربها انها متساوقة وهو كالكرة

التي عليها نقط متفرقة فانه اذا ادير بسرعة رايت النقط دواير لسرعة تواصلها بالحركة واستدل هولاء بان الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقة ان الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى في حالة واحدة بعينه شيئين فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله اربعة اعين عينان في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا في هذا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوسواس وانما نظر كل واحد الى صنف من الوسواس والوسواس اصناف **الاول** ان يكون من جهة التلبيس بالحق فان الشيطان قد يلبس بالحق فيقول للانسان لا تترك التنعم واللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر المه عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله وعظيم ثوابه وعقابه فقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع ان يقول ليس النار اشد من الصبر عن المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب في عمله ويقول اي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله فيتذكر العبد ان معرفته وقدرته وقلبه واعضاءه التي بها علمه وعمله كل ذلك من خلق الله فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا يمكنه ان يقول ليس هذا من الله لان المعرفة والايمان يدفعه فهذا النوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين بنور الايمان والمعرفة **الصنف الثاني** ان يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا انه معصية والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس الشيطان عن تهييج يوثر في التحريك ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما يبقى موثرا بحيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة **الصنف الثالث** ان تكون وسوسته بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغايبة والتفكر في غير الصلوة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كانهما في موضعين من القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا اذ قال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين ليس يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا نرى المستوعب القلب بعدو تاذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر له غيره وكذا المستغرق في الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز واحد بين يديه كان كانه لا يراه واذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على جاه ومال فكيف

لا يتصور من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله واليوم الآخر فاذا تأملت جملة هذه الاقسام واصناف الوساوس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجهًا ولكن في محل مخصوص وبالجملة فالخلاص عن الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص عنه عمرًا بعيد وهذا محال في الوجود ولو تخلص احد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي انه نظر الى علم ثوبه في الصلوة فلما سلم رمى ذلك الثوب وقال شغلني عن الصلوة وكان في يده خاتم من ذهب فنظر اليه على المنبر فرماه وقال نظرة اليه ونظرة اليكم وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وطراز الثوب وكان ذلك قبل تحريم الثوب فلذلك لبسه ثم رماه ولا ينقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها الا بالتخلي والمفارقة فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا فلا يخليه الشيطان في صلوته عن الفكر في ديناره انه كيف يحفظه وفيماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به احد او كيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك من الوساوس فمن انشب مخالبه في الدنيا وطمع في ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن ان الذباب لا يقع عليه وهو محال فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل ابواب قال حكيم من الحكماء الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فان امتنع اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم عليه ما ليس بحرام فان ابى شككه في وضوئه وصلوته حتى يخرجه عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلبه اليهم ويعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده يشتد الحاجة فانها آخر درجة ويعلم انه لو جاوزه افلت منه الى الجنة ه

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلب في التغير والثبات اعلم ان القلب كما ذكرناه وتكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه الآثار والاحوال من الابواب التي وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء يتأثر به اصابه من جانب آخر ما يضاده فيتغير وصفه فان نزل الشيطان به فدعاه الى الهوى التفت الملك اليه وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه ملك آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عظيم صنع الله في عجائب القلوب وتقلبها كان يحلف بها فيقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا او تخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وفي لفظ آخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة امثلة فقال مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وقال مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقلبات وعجائب صنع الله في تقليبها من حيث لا يهتدي اليه لا يعرفه الا المراقبون لقلوبهم والمراعون لاحوالهم مع الله

والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة **قلب** عمر بالتقوى وزكى بالرياضة وطهر عن خبائث الاخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بد من فعله ويستحثه عليه ويدعو الى العمل به فينظر الملك الى القلب فيجده طيبا في جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون مستقرا له ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب في الخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكوة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء ولا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكايد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غرورا ولا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الصبر والشكر والخوف والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل الله عليه بوجهه وهو القلب المطمئن المراد بقوله الا بذكر الله تطمئن القلوب والمراد بقوله يا ايتها النفس المطمئنة

القلب الثاني القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالاخلاق الذميمة المفتوح فيه ابواب الشياطين المسدود عليه ابواب الملائكة ومبدأ الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف خدمة الهوى وانس به واستمر على استنباط الحيل وعلى مساعدة الهوى فيستولي الهوى على النفس ويساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وينبسط فيه ظلماته لانخناس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والاماني ويوحي بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور الايمان بخوف الآخرة اذ يتصاعد من الهوى دخان مظلم الى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفئ انواره فيصير العقل كالعين التي يملأ الدخان اجفانها فلا يقدر ان ينظر وهكذا يفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب امكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى وظهرت المعصية الى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله وقدره والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى ارأيت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وبقوله لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وبقوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى جميع الشهوات ورب قلب هذا حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الشهوات ولكنه اذا رأى

وجها حسنا لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط مساك قلبه او كالذي لا يملك نفسه
فيما فيه الجاه والرياسة والكبر ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور اسبابه او كالذي لا يملك نفسه
عند الغضب مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه او كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على اخذ
درهم او دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروة والتقوى وكل ذلك لتصاعد دخان
الهوى الى القلب حتى يظلم وتنطفي فيه انوار البصيرة فينطفي نور الحياء والمروة والايمان ويسعى في
تحصيل مراد الشيطان **القلب الثالث** قلب يبدو فيه خاطر الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر
الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن
التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل
ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح
العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل ويقوي داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ولم
تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك يخالف هواه او يترك غرضه افتترك
ملاذ الدنيا لهم يتمتعون منها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروما شقيا متعوبا يضحك عليك
اهل الزمان اتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا
الا ترى العالم الفلاني ليس يحترز عن مثل ذلك ولو كان ذلك شرا لامتنع عنه فتميل النفس
الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل هلك الا من اتبع لذة
الحال ونسي العاقبة افتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الآباد ام تستثقل
الم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل الم النار اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم
اهواءهم ومساعدتهم للشيطان مع ان عذاب النار لا يخفف عنك بمعصية غيرك ارايت
لو كنت في صيف ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد كنت تساعد الناس او
تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار
فعند ذلك تميل النفس الى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان
يغلب على القلب من هو اولى به فان كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية
التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من احزاب الشيطان معرضا عن حزب الله
تعالى واوليائه ومساعدا لحزب الشيطان واعدائه وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب
بعده عن الله تعالى وان كان الاغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب الى اغواء الشيطان
وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه امر الآجلة بل مال الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب
ما سبق من القضاء على جوارحه وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين تجاذب هذين
الحزبين وهو الغالب اعني التقلب والانتقال من حزب الى حزب اما الثبات على الدوام مع حزب
الملائكة او حزب الشيطان فنادر من الجانبين وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن
الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من خزائن الملكوت وهي اذا ظهرت كانت
علامات تعرف ارباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له الطاعة واسبابها ومن خلق

للنار

للنار يسرت له اسباب المعصية وسلط عليه اقران السوء والقي في قلبه حكم الشيطان فانه
بانواع الحكم يغر الحمقى كقوله ان الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم
وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا
يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن الله بهذه الحيل وما يجري مجراها فيوسع
قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحقائق وكل ذلك بقضاء من الله وقدره فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في
السماء ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي والمضل
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم
بالطاعة وخلق النار وخلق لها اهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة اهل النار
واهل الجنة فقال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال هؤلاء في النار ولا ابالي وهؤلاء في
الجنة ولا ابالي فتعالى الله الملك الحق لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فلنقتصر الآن على هذا
القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فان استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه
ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار علوم المعاملة واسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي
بالقشور عن اللباب بل يتشوق الى معرفة دقائق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية ومقنع ان شاء الله تعالى

تم كتاب عجائب القلب والحمد لله رب العالمين

كتاب رياضة النفس وتهذيب الاخلاق
وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن في تصويره وزين صورة
الانسان بحسن تقويمه وتقديره وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض
تحسين الاخلاق الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره و
سهل على خواص عباده تهذيب الاخلاق بتيسيره وامتن عليهم بتسهيل عسيره والصلوة
على محمد عبد الله نبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح نور النبوة من
اسارير وجهه ويستشف حقيقة الحق من مخايله وتباشيره وعلى آله واصحابه الذين
طهروا وجه الاسلام عن ظلمة الكفر ودياجيره وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله
ولا بكثيره **وبعد** فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وافضل اعمال الصديقين
وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والاخلاق السيئة
هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث
المبعدة من جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين وهي الابواب
المفتوحة الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة من
القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن والاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس الا انه

مرض يفوت حيوة الابد واين منه المرض الذي لا يفوت الا حيوة الجسد ومهما اشتدت عناية الاطبا
بضبط قوانين العلاج للابدان وليس في مرضها الا فوت حيوة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج
للابدان وليس في مرضها الا فوت حيوة فانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفيها
فوت حيوة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب على كل ذي لب اذ لا يخلو قلب من القلوب
عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت فيحتاج العبد الى تانق في معرفة عللها واسبابها
ثم الى تشمر في معالجتها واصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تع قد افلح من زكيها واهمالها هو المراد
بقوله تع وقد خاب من دسيها ونحن في هذا الكتاب نشير الى جمل امراض القلوب وكيفية القول
في معالجتها على الجملة من غير تفصيل العلاج خصوص الامراض فان ذلك ياتي في بقية الكتب من هذا
الربع وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجه ونحن نذكر ذلك ونجعل
علاج البدن مثالا له ليقرب من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم
بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغير بالرياضة ثم بيان السبب الذي
به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفس ثم بيان العلامات
التي بها يعرف مرض القلوب ثم بيان الطريق الذي به يتعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان
شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن الخلق
في اول النشو ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ثم بيان شروط الارادة و
مقدمات المجاهدة فهي احد عشر فصلا يجمع مقاصد الكتاب ان شاء الله تع **بيان فضيلة حسن
الخلق ومذمة سوء الخلق** قال الله سبحانه وتع لنبيه وحبيبه مثنيا عليه ومظهرا
نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم وقالت عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القرآن
قوله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم هو ان تصل من
قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم محاسن الاخلاق
وقال صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن وجاء رجل الى رسول الله صلعم من بين يديه فقال
يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشوم
قال سوء الخلق وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني قال اتق الله حيث كنت قال زدني
قال اتبع السيئة الحسنة تمحها قال زدني قال خالق الناس بخلق حسن وسئل صلى الله عليه وسلم اي
الاعمال افضل فقال حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق امرئ وخلقه فيطعمه النار
وقال الفضيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق
توذي جيرانها بلسانها فقال لا خير فيها هي من اهل النار وقال ابو الدرداء سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن والسخاء ولما خلق الله عز وجل الايمان قال
اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله عز وجل الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل و
سوء الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح
لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن

الخلق خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اي المومنين افضلهم ايمانا قال احسنهم خلقا وقال
صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال
ايضا سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم انك امرؤ قد احسن الله خلقك فاحسن خلقك وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابي مسعود البدري قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمر قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم يكثر الدعاء يقول اللهم اني اسالك الصحة والعافية وحسن الخلق وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال كرم المرء دينه ومروته عقله وحسبه خلقه وعن اسامة بن شريك قال شهدت
الاعاريب يسالون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما اعطي العبد قال خلق حسن وقال صلى الله
عليه وسلم ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاث من لم يكن فيه او واحدة منهن فلا يعتدن بشيء من عمله تقوى يحجزه عن معاصي الله عز وجل
او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به في الناس وكان من دعايه صلى الله عليه وسلم في افتتاح الصلوة
اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهديني لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت
وقال انس بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ قال ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما يذيب
الشمس الجليد وقال عليه السلم من سعادة المرء حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم اليمن حسن الخلق
وقال عليه السلم لابي ذر يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن انس قال قالت ام
حبيبة يا رسول الله ارايت المراة مما يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلان الجنة لايهما هي قال
لاحسنهما خلقا كان عندها في الدنيا يا ام حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة وقال
صلى الله عليه وسلم ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصايم القايم بحسن خلقه وكرم ضريبته وفي رواية
يدرك درجة الظمان في الهواجر وقال عبد الرحمن بن سمرة كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اني رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله عز وجل حجاب فجاء
حسن خلقه فادخله على الله وقال انس قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم
درجات الآخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وروي ان عمر استاذن على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية اصواتهن على صوته فلما استاذن عمر
تبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر اضحك الله سنك بابي
انت وامي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبت لهولاء النسوة كن عندي لما سمعن
صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر فانت كنت احق ان يهبن يا رسول الله ثم اقبل عليهن
عمر فقال اي عدوات انفسهن اتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن نعم انت اغلظ
وافظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الخطاب والذي نفسي
بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك غير فجك وقال صلى الله عليه وسلم سوء الخلق
ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ من سوء خلقه

اسفل درك جهنم **الآثار** قال ابن لقمن الحكيم لابيه يا ابت اي الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلثا قال الدين والمال والحياء قال فاذا كانت اربعا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء قال فاذا كانت ستا قال يا بني اذا اجتمعت فيه الخمس الخصال فهو تقي نقي لله ولي ومن الشيطان بريء وقال الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال انس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه اسفل دركة من جهنم وهو عابد وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينا وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيء الخلق وصحب ابن المبارك رجل سيء الخلق في سفره فكان يحتمل منه ويداريه فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال لارحمة عليه فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد اربع يرفعن العبد الى اعلى الدرجات وان قل علمه وعمله الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات وسئل ابن عباس ما الكرم قال ما بين الله في كتابه ان اكرمكم عند الله اتقيكم قيل له فما الحسب قال احسنكم خلقا افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس وبنيان الاسلام حسن الخلق وقال ابن عطاء ما ارتفع من ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى صلى الله عليه وسلم واقرب الخلق الى الله السالكون آثاره بحسن الخلق

بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق

اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وانه ما هو وما تعرضوا لحقيقته وانما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وكان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطي هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله وقال شاه الكرماني كف الاذى واحتمال المؤن وقال بعضهم ان يكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي مرة هو ارضاء الخلق في السراء والضراء وقال ابو عثمان هو الرضا عن الله عز وجل وسئل سهل عن الخلق فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة وقال مرة ان لا تتهم مولاك في الرزق وتثق به وتسكن الى الوفاء بما ضمن وتطيع مولاك ولا تعصيه في جميع الامور فيما بينك وبين الله تع وفيما بينك وبين الخلق وقال علي رضي الله عنه حسن الخلق في ثلاث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسيع على العيال وقال الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك جفاء الخلق وقال الخراز ان لا يكون لك همة غير الله فهذا وامثاله كثير وهي تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس محيطا بجميع الثمرات وكشف الغطاء عن الحقيقة اولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان

حسن الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما قبيحة واما جميلة والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله امره بالاضافة الى نفسه فقال اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فتبين ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله والمراد بالنفس والروح في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث يصدر منها الافعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منه افعالا قبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور لحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان تصدر منه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال او السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم فههنا اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح والثاني القدرة عليهما والثالث المعرفة والرابع هيئة للنفس بها تميل الى احد الجانبين ويتيسر عليه احد الامرين اما الحسن او القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث او لرياء وليس عبارة عن القوة لان نسبة القوة الى الاعطاء والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس عبارة عن المعرفة فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهي الهيئة التي بها تستعد النفس لان يصدر منها الامساك او البذل فالخلق اذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال واذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها في ان يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في ان تكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة الدين والعقل واما قوة العدل فحسنها في ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة العقل والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوة العدل في القدرة ومنزلته منزلة المنفذ لاشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الاشارة ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب المضي لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا مؤدبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه

هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو
حسن الخلق بالاضافة الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزاء وجهه دون بعض وحسن القوة
الغضبية واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنها بالعفة فان
مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة يسمى تهورا وان مالت الى الضعف والنقصان تسمى جبنا
وخورا وان مالت قوة الشهوة الى طرف الزيادة تسمى شرها وان مالت الى النقصان تسمى
خمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا
فات فليس له طرفا زيادة ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمة فيسمى افراطها
عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبا وجربزة ويسمى طرفها الآخر بلها والوسط هو الذي
يختص باسم الحكمة فامهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ونعني
بالحكمة حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في
الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة
للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفة تادب قوة الشهوة بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال
هذه الاصول الاربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها اذ من اعتدال قوة العقل يصدر حسن التدبير
وجودة الذهن وثقابة الرأي واصابة الظن والتفطن لدقائق الاعمال وخفايا آفات النفوس ومن
افراطها يصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون
واعني بالغمارة قلة التجربة في الامور مع سلامة التخيل وقد يكون الانسان غمرا في شيء دون شيء والفرق
بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه للطريق فاسد فلا يكون له روية صحيحة في طريق
الوصول الى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون اصل ايثاره واختياره
فاسدا واما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكبر النفس والاحتمال والحلم و
الثبات وكظم الغيظ والوقار والتؤدة وامثالها وهي اخلاق محمودة واما افراطها وهو التهور ف
يصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب واما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة
والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب واما خلق العفة فيصدر منه
السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع و
اما ميلها الى الافراط والتفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير
والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار
الفقراء وغير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه الفضائل الاربع وهي الحكمة والشجاعة والعفة
والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله وكل من قرب من هذه الاخلاق
استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال
ومن انفك عن جملة هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين العباد
والبلاد فانه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي ان يبعد كما ان الاول قرب من الملك
المقرب فينبغي ان يقتدى به ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ليتمم محاسن

الاخلاق كما قال وقد اشار القرآن الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال انما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون
والايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة
بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال
قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله سبحانه الصحابة فقال اشداء على الكفار
رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا
في الرحمة بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان اركانه وثمراته وفروعه

بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة اعلم ان بعض من غلبت عليه البطالة
استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه
بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته فزعم ان الاخلاق لا يتصور تغيرها وان
الطباع لا تتغير واستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان
الخلق صورة الظاهر والخلقة الظاهرة لا يقدر على تغيرها فالطويل لا يمكنه ان يجعل نفسه قصيرا
ولا القصير يقدر على ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن
يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول
المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به
تضييع زمان بغير فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال
وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات
ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق
البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من الاكل الى التادب والفرس
من الجماح الى السلامة وكل ذلك تغيير للاخلاق والقول الكاشف للغطاء عن ذلك ان
نقول الموجودات منقسمة الى ما لا مدخل لاختيار الآدمي في اصله وتفصيله كالسماء والكواكب
بل اعضاء البدن داخلا وخارجا وسائر اجزاء الحيوانات وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع
الفراغ من وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وحصل فيه قوة قبول الكمال بعد ان وجد
شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا انها خلقت خلقة يمكن
ان يصير نخلا ان انضاف اليه التربية ولا يصير تفاحا اصلا ولا بالتربية فاذا صارت
النواة متاثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الاحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة ولو اردنا
قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليهما اصلا ولو اردنا اسلاسهما وقودهما
بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله
تعالى نعم الجبلات مختلفة فبعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان
احدهما قوة الغريزة في اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوة والغضب والتكبر
موجودة في الانسان ولكن اصعبها امرا واعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبي

في مبدأ الفطرة يخلق له الشهوة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب وبعد ذلك يخلق له
قوة التمييز والسبب الثاني ان الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له واعتقاد كونه
حسنا ومرضيا والناس فيه على اربع مراتب الاول هو الانسان الغفل الذي لا يميز بين
الحق والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم يستتم شهوته
ايضا باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى تعليم مرشد والى باعث
في نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب زمان الثاني ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه
لم يتعود العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رأيه
لاستيلاء الشهوة عليه لكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول وتضاعفت الوظيفة
عليه اذ عليه قلع ما رسخ في نفسه من كثرة التعود للفساد والآخر ان يغرس في نفسه صفة
التعود للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمير وحزم الثالث
ان يعتقد في الاخلاق الذميمة انها الواجبة المستحسنة وانه حق وجميل وتربى عليه فهذا يكاد
يمتنع معالجته ولن يرجى صلاحه الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال الرابع ان
يكون مع وقوع نشوه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك
النفوس ويباهي به ويظن ان ذلك يرفع من قدره وهذا هو اصعب المراتب وفي مثله قيل
من التعذيب تهذيب الذيب والاول من هؤلاء جاهل فقط والثاني فاسق فقط والثالث
جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير واما الخيال الآخر وهو ان
الآدمي ما دام حيا فلا ينقلع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وسائر هذه الاخلاق فهذا غلط
وقع لطائفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فان الشهوة
خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الانسان ولو انقطعت شهوة
الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك ومهما
بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى الشهوة حتى يحمله ذلك على امساك المال
وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين
الافراط والتفريط فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن
جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال تعالى اشداء على
الكفار رحماء بينهم ووصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع
جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء لم ينفكوا عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما انا بشر مثلكم اغضب كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب
حتى يحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا فكان الغضب لا يخرجه عن الحق وقال تعالى والكاظمين
الغيظ ولم يقل والفاقدين الغيظ فرد الغضب والشهوة الى الاعتدال بحيث لا يقهر العقل ولا
يغلبه بل يكون العقل هو الضابط والغالب عليه ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فانه ربما يستولي
الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش وبالرياضة يعود

الى حد الاعتدال فدل على ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها
والذي يدل على ان المطلوب الوسط في الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق مطلوب
شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد اثنى الله عليه فقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا
ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
وكذا المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود قال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا
وقال في الغضب اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور
اوسطها وهذا له سر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا
العالم قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والجود ايضا من عوارض الدنيا
وشرط القلب ان يكون سليما منهما اي لا يكون ملتفتا الى المال فلا يكون حريصا على امساكه
ولا حريصا على انفاقه فان الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص على
الامساك مصروف القلب الى الامساك وكان كمال القلب في ان يصفو عن الوصفين جميعا
واذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه بعدم الوصفين وابعد عن الطرفين وهو الوسط
فان الفاتر لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما فكانه خال عن الوصفين فكذلك السخاء بين
التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق
فكلا طرفي قصد الامور ذميم هذا هو المطلوب وهو ممكن جدا نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد
ان يقبح عنده الغضب رأسا وامساك المال رأسا ولا يرخص له في شيء منه لانه لو رخص في ادنى
شيء اتخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وغضبه وظن انه القدر المرخص فيه واذا قصد قلع الاصل
وبالغ فيه لم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال فالصواب له ان يطلب قلع الاصل حتى
يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان
غضبه بحق وامساكه بحق بيان السبب الذي به ينال الحسن الخلق على الجملة قد عرفت
ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل بكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة في
كونها مطيعة للعقل والشرع وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهي وكمال
فطري بحيث يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب
بل خلقتا معتدلتين منقادتين فيصير بغير تعلم عالما وبغير تأديب متأدبا كعيسى بن مريم
ويحيى بن زكريا وكذا سائر الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين ولا يبعد ان يكون في الطبع والفطرة
ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل
فيه ذلك بالتعود ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني
اكتساب هذه الاخلاق بالمجاهدة والرياضة واعني بها حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق
المطلوب فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه ان يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا لنفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا فيتيسر عليه فيصير
بنفسه جوادا وكذا من اراد ان يحصل لنفسه خلق التواضع وغلب عليه التكبر فطريقه ان يواظب

يجري بين المخاصمين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجري بين الملوك والعلماء وكل ذلك نتيجة العادة
والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك من المخالطين والمعارف فاذا كانت
النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل الى القبائح فكيف لا يستلذ الحق لو ردت اليه مدة والزم
المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل الى اكل الطين
وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميله الى الحكمة وحب الله تع ومعرفته وعبادته فهو
كالميل الى الطعام والشراب فهو مقتضى طبع القلب فانه امر رباني وميله الى مقتضيات الشهوات
غريب من ذاته وعارض من طبعه وانما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله تع ولكن انصرف عن مقتضى
طبعه بمرض حل به كما يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سبب حيوتها وكل قلب مال
الى شيء سوى حب الله تع فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب ذلك الشيء لكونه معينا له على
حب الله وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذا عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة
يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء ليصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب
العلاقة بين القلب والجوارح اعني النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب فيفيض اثرها على الجوارح
حتى يتحرك لا محالة على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح فانه يرتفع منه اثر الى القلب والامر فيه دور و
تعرف ذلك بمثال وهو ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتبا
بالطبع فلا طريق له الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب والحاذق ويواظب عليه مدة طويلة
وهو حكاية الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفا ثم لا يزال يواظب
عليه حتى يصير ذلك صفة راسخة في نفسه فيصدر منه بالاخرة الخط الحسن طبعا كما كان يصدر
منه في الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا ولكن الاول تكلف الا انه ارتفع
منه اثر الى النفس ثم انخفض من النفس اثر الى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن طبعا وكذلك من اراد ان
يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى افعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى ينعطف منه الى
قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس وكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيفا حليما متواضعا فيلزمه
ان يتعاطى افعال هؤلاء تكلفا حتى يصير ذلك بالعادة طبعا ولا علاج له الا ذلك وكما ان طالب
فقه النفس لا ييأس من هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة وكذلك طالب تزكية النفس
وتكميلها وتحليتها بالاخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى
قولنا ان الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة في يوم واحد تدعو الى مثلها
ثم يتداعى قليلا قليلا حتى تانس النفس بالكسل وتهجر التحصيل راسا فيفوته فضيلة الفقه فكذلك
صغاير المعاصي يجر بعضها الى بعض حتى يفوت اصل السعادة بهدم اصل الايمان عند الخاتمة وكما
ان تكرار ليلة لا يحس تاثيره في تفقيه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا شيئا على التدريج مثل نمو البدن
وارتفاع القامة فكذلك الطاعة الواحدة فلا يحس تاثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال ولكن
لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعات فان الجملة الكثيرة منها موثرة وانما اجتمعت الجملة من الآحاد
فلكل واحد تاثير فما من طاعة الا ولها اثر وان خفي فلها لا محالة ثواب لان الثواب بازاء الاثر وكذا

على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك له خلقا و
طبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق المحمودة شرعا يحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر
منه لذيذا فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذي
يستلذ التواضع ولن يترسخ اخلاق الدين في النفس ما لم يتعود جميع العادات الحسنة ولم
يترك جميع العادات السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق الى الافعال الجميلة ويتنعم
بها ويكره الافعال القبيحة ويتالم بها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة
ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال
السعادة به نعم المواظبة عليه بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة الى تركه لا بالاضافة الى فعله عن طوع و
لذلك قال تع وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقال صلى الله عليه وسلم اعبد الله في الرضا فان لم
تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ
الطاعة واستكراه المعصية في زمان وزمان بل ينبغي ان يكون كذلك على الدوام وفي جملة العمر و
كلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة فقال
طول العمر في طاعة الله ولذلك كره الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وكلما كانت
العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى واطهر والاخلاق اقوى وارسخ
وانما مقصود العبادات تاثيرها في القلب وانما تتاكد آثارها بكثرة المواظبة على العبادات
وغاية هذه الاخلاق ان يقلع عن النفس حب الدنيا ويترسخ فيها حب الله فلا يكون شيء احب
اليه من لقاء الله فلا يستعمل جميع ماله الا على الوجه الذي يوصله اليه وغضبه وشهوته من
المسخرات له فلا يستعملها الا على الوجه الذي يوصله الى الله وذلك بان يكون موزونا بميزان
الشرع والعقل ثم يكون مع ذلك فرحا به وملتذا ولا ينبغي ان يستبعد مصير الصلوة قرة
عين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في النفس عجائب اعجب من ذلك فانا
نرى الملوك والمتنعمين في احزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من اللذة والفرح
بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير القمار مع ان القمار ربما سلب
ماله وخرب داره وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه له وصرفه
نفسه اليه مدة وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول نهاره في حر الشمس قائما على رجليه و
هو لا يحس بالمه لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جو السماء بل نرى الفاجر
العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط وعلى ان يتقدم به الى الصلب
وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك يرى ذلك فخرا لنفسه حتى يقطع الواحد منهم
اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطى غيره فيصر على الانكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما
يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد صارت احواله مع ما فيه من النكال قرة عينه وسبب
افتخاره بل لا حالة اخس واقبح من حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر ووشم الوجه و
مخالطة النساء ونرى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى

المعصية وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوف يوماً يوماً الى ان يخرج طبعه عن قبول الفقه فكذا من يستهين بصغاير المعاصي ويسوف نفسه بالتوبة على التوالي اما ان يختطفه الموت بغتة ويتراكم ظلمة الذنوب على قلبه ويتعذر عليه التوبة اذ القليل يدعو الى الكثير ويصير القلب مقيداً بسلاسل الشهوات لا يمكن تخليصه من حبايلها وهو المعني بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تع وجعلنا من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سداً فاغشيناهم فهم لا يبصرون ولذلك قال علي كرم الله وجهه الايمان يبدو في القلب نكتة بيضاء كلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو في القلب لمعة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذا قد عرفت ان الاخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة وتارة باعتياد الافعال الجميلة وتارة بمشاهدة ارباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعاً فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعاً واعتياداً وتعلماً فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له الاقران السوء فتعلم وتيسر له اسباب الشر حتى تعود فهو في غاية البعد من الله وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما يقتضيه صفته وحالته فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون ٥

بيان تفصيل الطرق الى تهذيب الاخلاق

قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة في النفس والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها كما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالا فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذايل والاخلاق الردية عنها وكسب الفضايل والاخلاق الجميلة اليها مثال البدن وعلاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة اليه فكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال وانما تعتري العلة المغيرة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيحا على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه اي بالتعود والتعلم يكسب الرذايل وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملا وانما يكمل ويقوى بالنشو والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحا فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة وان كان مريضا فشانه جلب الصحة اليه فكذا النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي ان تسعى لحفظها وحفظ صفتها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفائها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي ان تسعى لجلب ذلك اليها وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج الا بضدها ان كانت من حرارة فبالبرودة وان كانت من البرودة فبالحرارة وكذا الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالعلم ومرض البخل بالسخاء ومرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فلا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداومة مرض القلب بل اولى فان مرض البدن يخلص منه الموت ومرض القلب والعياذ بالله عذاب يدوم بعد

الموت ابد الآباد وكما ان كل مبرد لا ينفع لعلة سببها الحرارة الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه بالكثرة والقلة ولا بد له من معيار يعرف مقدار النافع منه فان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك الذي يعالج به الاخلاق لا بد له من معيار وكما ان معيار الدواء ماخوذ من معيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف ان العلة من حرارة او برودة فان كانت من حرارة فيعرف درجتها اهي ضعيفة او قوية فاذا عرف التفت بعده الى احوال البدن واحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وساير احواله وعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف اخلاقهم وامراضهم وكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم فكذلك الشيخ اذا اشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي حاله وفي سنه ومزاجه وما يحتمله بنيته من الرياضة ويبني عليه رياضته فان كان المريد مبتدئا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهارة والصلوة وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال حرام ومقارفا لمعصية فيامره اولا بتركها فاذا تزين بالعبادات ظاهره وطهرت من المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقراين الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان راى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذه منه وصرفه في الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه فان راى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيامره بان يخرج الى السوق للكدية والسؤال فان عزة الرياسة لا تنكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من السؤال فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره فان الكبر من الامراض المهلكة وكذا الرعونة وان راى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب وراى قلبه مايلا اليه فرحا به ملتفتا اليه فليستخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة او ملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوش عليه رعونته في النظافة فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات الرفيعة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس تزين نفسها طول النهار ولا فرق بين ان يعبد الانسان نفسه او يعبد صنما فمهما عبد غير الله فقد حجب من الله ومن راعى في ثوبه شيئا غير كونه حلالا وطاهرا مراعاة يلتفت اليه قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطايف الرياضة ان النفس اذا كانت لا تسخو بترك الرعونة راسا او بترك صفة اخرى ولم تسمح بضدها دفعة فينبغي ان ينقل من الخلق المذموم الى مذموم آخر اخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالماء اذا كان الماء لا يزيل الدم وكذلك يرغب الصبي في المكتب بالكرة والصولجان ثم ينقله من اللعب بالزينة وفاخر الثياب ثم ينقله من ذلك بالترغيب في الرياسة وطلب الجاه ثم ينقله عن الجاه بالترغيب في الآخرة فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينتقل الى جاه اخف مما هو فيه وكذلك ساير الصفات وكذلك ان راى شره الطعام غالبا عليه الزمه الصوم وتقليل الاكل اولا ثم كلفه ان يهيئ الاطعمة اللذيذة ويقدمها الى غيره وهو لا ياكل منها حتى تقوى به نفسه فيتعود الصبر وينكسر شهوته وكذلك اذا راه شابا متشوقا الى النكاح وهو عاجز عن النكاح فيامره بالصوم وربما لا يسكن ذلك شهوته فيامره بان يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز

دون الماء ويمنعه اللحم والادم راسا حتى تتذلل نفسه وتنكسر شهوته ولا علاج في مبادي الارادة انفع من
الجوع وان راى الغضب غالبا عليه الزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويامره بخدمة
من ساء خلقه ويراعيه حتى يمرن نفسه على الاحتمال فقد كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه
شدة الغضب فكان يستاجر من يشتمه على ملا من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له
بحيث كان يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب فاراد ان يحصل لنفسه
خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل بالقيام
طول الليل على نصبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء ارادته كانت نفسه تكسل عن القيام فالزم نفسه القيام
على راسه طول الليل لتسمح بالقيام على الرجل عن طوع . وعالج بعضهم حب المال بان باع جميع ماله ورماه
في البحر اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود ورياء البذل فهذه الامثلة تعرفك طريق
معالجة القلوب فليس غرضنا ذكر دواء كل مرض فان ذلك سياتي في بقية الكتب وانما الغرض الآن
التنبيه على ان الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله تعالى جميع ذلك
في كلمة واحدة فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى والاصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم
على ترك شهوة وقد تيسرت اسبابها من تلك الشهوة ويكون ذلك من الله ابتلاء واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر
فانه ان عود نفسه كسر العزم الفت ذلك وفسدت واذا اتفق منه نقض عزم فينبغي ان يلزم نفسه
عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس من كتاب المراقبة واذا لم تخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده
ساوك الشهوة وتفسد به الرياضة الكلية

بيان علامات مرض القلب وعلامات عودها الى الصحة

كما ان كل عضو من اعضاء البدن خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى
لا يصدر منه اصلا او يصدر منه نوع من الاضطراب فمرض اليد ان يتعذر عليها البطش ومرض العين
ان يتعذر عليها الابصار فكذلك مرض القلب بان يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لاجله
هو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله سبحانه وعبادته والتلذذ به وايثار ذلك على كل شهوة سواه
والاستعانة بجميع الشهوات والاعضاء عليه قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي
كل عضو فايدة وفايدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للآدمي ما يتميز به عن البهائم ولم تتميز عنها
بالقوة على الاكل والوقاع والابصار او غيرها بل معرفة الاشياء على ما هي عليه واصل الاشياء وموجدها ومخترعها
الذي جعلها اشياء هو الله تعالى فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله فكانه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة
فمن عرف الله احبه وعلامة المحبة ان لا يوثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال تعالى قل ان كان آباؤكم
وابناؤكم الآية فمن عنده شيء احب اليه من الله فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز و
الماء او سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة فهذه علامات المرض وبهذا يعرف ان القلوب
كلها مريضة الا ما شاء الله الا ان من الامراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك
لا يغفل عنه وان علمه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح
وان وجد من نفسه قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء وقد استولى
المرض عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض زمنا

واندرس

واندرس هذا العلم وانكر بالكلية طب القلوب وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى
اعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراءات فهذه علامة اصل المرض فاما علامة
عوده الى الصحة بعد المعالجة فهو ان ينظر في العلة التي يعالجها فان كان يعالج داء البخل فانه
المهلك المبعد من الله تعالى وانما علاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير مبذرا
فيكون التبذير ايضا داء وكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى يغلب الحرارة وهو ايضا داء بل المطلوب
الاعتدال بين الحرارة والبرودة فكذلك المطلوب الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط
وفي غاية البعد عن الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور
فان كانت اسهل عليك والذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون
امساك المال وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل
فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل على غير المستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك
بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك ولا تزال تراقب نفسك وتستدل على
خلقك بتيسير الافعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه
بل يصير عندك كالماء فلا تطلب امساكه الا لحاجة محتاج او بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل
على الامساك فكل قلب صار كذلك فقد جاء الله بقلب سليم عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون سليما
عن ساير الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق
عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية
مرضية داخلة في زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من السيف فلا جرم
من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة وقلما ينفك العبد
عن ميل عن الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب
الذي مال اليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق قال تعالى وان منكم
الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا اي الذين كان قربهم الى الصراط اكثر من بعدهم عنه
ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط
المستقيم اذ وجب الفاتحة في كل ركعة . وراى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت
يا رسول الله شيبتني سورة هود فلم قلت ذلك قال لقوله استقم كما امرت فالاستقامة على
سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم
يقدر على حقيقة الاستقامة فكل من اراد النجاة فلا نجاة الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال
الصالحة الا عن الاخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج
واحد واحد منها على الترتيب

بيان الطريق الذي يتعرف الانسان عيوب نفسه

اعلم ان
الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب
امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرون القذى في عين غيرهم ولا يرون الجذع

في عين نفسه فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربعة طرق الاول ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه شيخه واستاذه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده الثاني ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما يكرهه من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكابر من ائمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرءا اهدى الي عيوبي وكان يسال سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال ما الذي بلغك عني مما كرهته فاستعفى فالح عليه فقال سمعت انك جمعت بين ادمين على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال وهل بلغك غير هذا قال لا قال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسال حذيفة ويقول له انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من اثار النفاق فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه فكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في اصدقائك عن حسود او صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي اعتزل عن الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال وما اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فقد كانت شهوة ذوي الدين ان يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر الى امثالنا وابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بابعاد العقرب وقتله وانما نكايته على البدن ويدوم المه يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الردية على صميم القلب ويخشى ان يدوم بعد الموت ابدا او آلافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليه ولا نشتغل بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله فنقول وانت ايضا تصنع كيت وكيت ويشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه ويشبه ان يكون ذلك من قساوة القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك ضعف الايمان فنسال الله تعالى ان يعرفنا رشدنا ويبصرنا بعيوب انفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله الطريق الثالث ان يستفيد عيوب نفسه من لسان اعدائه فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد وان تنتشر على السنتهم ٥ الطريق الرابع ان يخالط الناس فكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسب نفسه اليه فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الآخر عن اصله وعن اعظم منه او عن شيء

منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى صلوات الله عليه من ادبك قال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فجانبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله نصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده ٥

بيان شواهد النقل من ارباب البصائر وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب ترك الشهوات وان مادة امراضها هي اتباع الشهوات

اعلم ان ما ذكرناه ان تاملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشف لك علل القلوب وامراضها وادويتها بنور العلم واليقين وان عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما ان للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو وراءه قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فمن صدق بان مخالفة الشهوات هو الطريق الى الله ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من اعوان الشهوات واسرارها فهو من الذين اوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا الامر في القرآن والسنة واقاويل العلماء اكثر من ان يحصى قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وقال تع اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع عنها محبة الشهوات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه فبين ان النفس عدو منازع يجب مجاهدتها ويروى ان الله عز وجل اوحى الى داود يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عني وقال عيسى عليه السلام طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره وقال صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم رجعتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قالوا وما الجهاد الاكبر يا رسول الله فقال جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف اذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله اذن تخاصمك يوم القيمة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله تع ويستر وقال سفين الثوري ما عالجت شيئا اشد من نفسي مرة لي ومرة علي وكان ابو العباس الموصلي يقول يا نفس لا في الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الآخرة مع عباد الله تجتهدين كاني بك بين الجنة والنار تحبسين الا يا نفس الا تستحيين وقال الحسن ما الدابة الجموح باحوج الى اللجام الشديد من نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وليس على العبد شيء اشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى فاذا تحرك من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع

من الظلم والاسقام فتامن بوائقها في ساير الايام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من
غوايلها فانها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورية خفيفة فتجول في ميدان الخيرات وتسير في
مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضا اعداء
الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته و
من النفس بترك الشهوات وقال بعض الحكماء من استولت عليه النفس صار اسيرا في حب شهواتها
محصورا في سجن هواها ومنعت قلبه الفوايد وقال جعفر بن حميد اجتمعت العلماء والحكماء على ان النعيم
لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجرة
الندامات وقال وهب ما زيد على الخبز فهو شهوة وقال وهيب بن الورد من احب
شهوات الدنيا فليتهيا للذل وروي ان امراة العزيز قالت ليوسف عليه السلم بعد ما ملك خزاين
الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صيرا العبيد ملوكا
فقال يوسف قال الله عز وجل انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال الجنيد ارقت
ليلة فقمت الى وردي فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق
القعود فخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما احس بي قال يا ابا القسم الى الساعة
فقلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى سالت محرك القلوب ان يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما
حاجتك فقال متى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها فاقبل على نفسه وقال
اسمعي قد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت الا ان تسمعيه من جنيد قال فانصرف وما عرفته و
قال يزيد الرقاشي السلام على الماء البارد في الدنيا لعلي لا احرمه في الاخرة فقال رجل لعمر بن عبد العزيز
متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال فمتى اصمت قال اذا اشتهيت الكلام وقال علي رضي الله عنه
من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا راى
الشي يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك علي فاذن قد اتفق العلماء
والحكماء على ان ليس الطريق الى سعادة الاخرة الا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات
فالايمان بهذا واجب واما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف بما قدمناه
وحاصل الرياضة وسرها ان لا تتمتع النفس بشي مما لا يوجد في القبر الا بقدر الضرورة فيكون
مقتصرا من الاكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر اليه على قدر الحاجة والضرورة فانه
لو تمتع بشي منه انس به والفه واذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من
لا حظ له في الاخرة بحال ولا خلاص عن ذلك الا ان يكون القلب مشغولا بمعرفة الله وحبه والتفكر
فيه ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوايق الفكر والذكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه
فالناس فيه اربعة رجل استغرق ذكر الله قلبه فلا يلتفت الى الدنيا الا في ضرورات
المعيشة فهو من الصديقين ولا ينتهي الى هذه الرتبة الا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات
مدة مديدة والثاني من استغرقت الدنيا قلبه فلم يبق لله ذكر في قلبه الا من حيث حديث النفس
حيث يذكره باللسان وهذا من الهالكين والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين لكن الغالب على

قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار الا انه ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله على قلبه
والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا اغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن
يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله في قلبه وتمكنه من صميم فواده وان كان ذكر الدنيا اغلب عليه و
ربما يقول القايل ان التنعم بالمباح مباح فكيف يكون سبب البعد من الله فهذا خيال
ضعيف بل حب الدنيا راس كل خطيئة والمباح الخارج من الحاجة من الدنيا ايضا وسياتي لذلك تحقيق
في كتاب ذم الدنيا وقد قال ابرهيم الخواص كنت في جبل اللكام فرايت رمانا فاشتهيته
فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرايت رجلا مطروحا
قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابرهيم قلت كيف عرفتني
قال من عرف الله لا يخفى عليه شي فقلت ارى لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك عن هذه الزنابير
فقال واري لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان
المه في الاخرة ولدغ الزنابير يجد المها في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري منذ
اربعين سنة تطالبني نفسي ان اغمس جزرة في دبس فلا اطعمتها فاذن لا يمكن اصلاح القلب
لسلوك طريق الله ما لم تمنع النفس من التنعم بالمباح فان النفس اذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في
المحظورات فمن اراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه ان يلزم السكوت الا عن المهمات
حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم الا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة ومهما اعتادت
العين رمي البصر الى كل شي جميل لم تتحفظ عن النظر الى ما لا يحل وكذلك ساير الشهوات لان الذي
يشتهي به الحلال هو الذي بعينه يشتهي الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها
عن الحرام فان لم يعود الاقتصاد على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوة فهذه احدى افات
المباحات ووراء هذه آفة اعظم من هذه وهو ان النفس تفرح بالتنعم في الدنيا وتركن اليها
وتطمئن بها اشرا وبطرا حتى تصير ممتلئة به كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا
سم قاتل يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت واهوال القيمة وهذا هو موت
القلب قال الله تع وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع وقال تعالى
اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الى قوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور فاولوا الحزم من ارباب
القلوب جربوا قلوبهم في حالة الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها قاسية بطرة بعيدة من التاثر
بذكر الله واليوم الاخر وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لاثر الذكر فعلموا
ان النجاة في الحزن الدايم والتباعد من اسباب البطر والفرح ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر
عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها حساب وهو نوع عذاب فمن نوقش في الحساب
في عرصات القيمة فقد عذب فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك في الدنيا والاخرة
بالخلاص من اسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله تع والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل
بالبازي اذا قصد تاديبه ونقله عن توثبه وتوحشه الى الانقياد والتادب فانه يحبس
اولا في بيت فيخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جو الهواء وينسى ما كان قد الفه

من طبع الاستيناس ثم يرفق به بالحم حتى يانس بصاحبه ويالفه الفا اذا دعاه اجابه ومهما
سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تالف ربها ولا تانس بذكره الا اذا فطمت عن عادتها بالخلوة
والعزلة اولا ليحفظ السمع والبصر عن المالوفات ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة
حتى يغلب عليه الانس بذكر الله عوضا عن الانس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل عليه في
البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يفطم من الثدي وهو شديد عليه اذ كان لا يصبر عنه ساعة
فلذلك كان يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم اليه بدلا
عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن راسا يوما ويوما عظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا
ثم يصير طبعا له فلو رد الى الثدي لم يرجع اليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويالف الطعام وكذلك
الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن الانسراح الذي
الفته بالسلاسل والقيود اولا ثم تانس به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد
فكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطيور والدواب وتاديبها بان تمنع عن البطر والاشر والفرح بنعيم
الدنيا بل بكل ما يزايله بالموت فيقال لها احبب ما احببت فانك مفارقه فاذا علم ان من احب شيا
يلزمه فراقه ويشقى لا محالة بفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه وهو ذكر الله فان ذلك يصحبه في القبر
ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر اياما قلائل فالعمر قليل بالاضافة الى مدة حيوة الاخرة وما من عاقل
الا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم صناعة وغيره شهرا ليتنعم به سنة وكل العمر بالاضافة
الى الابد اقل من الشهر بالاضافة الى عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى
وطريق المجاهدة والرياضة لكل انسان يختلف بحسب اختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل
واحد ما به فرحه من اسباب الدنيا فالذي يفرح بالمال او بالجاه او بالقبول في الوعظ او بالعز في القضاء
والولاية او بكثرة الاتباع في التدريس والافادة فينبغي ان يترك اولا ما به فرحه فانه ان منع عن شيء
من ذلك وقيل له ثوابك في الاخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتالم به فهو ممن فرح بالحيوة الدنيا و
اطمان اليها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك اسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه و
ليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله والفكر فيه وليترصد لما يبدو من نفسه من شهوة ووسواس
حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا ولا تزول الا بقطع السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية
العمر فليس للجهاد آخر الا الموت والسلام

بيان علامات حسن الخلق

اعلم ان كل انسان فهو جاهل بعيب نفسه فاذا جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش
المعاصي ربما ظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من
ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله سبحانه
صفات المومنين والمنافقين وهي بجملتها حسن الخلق فقد قال الله تع قد افلح المومنون الذين
هم في صلوتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون الى قوله اولئك هم الوارثون وقال التائبون العابدون
الى قوله وبشر المومنين وقال انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المومنون
حقا وكذلك قال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر السورة فمن اشكل عليه حاله فليعرض نفسه

على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق
ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده
ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن بصفات كثيرة
واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق فقال المومن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال من كان يومن
بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وقال
من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات الايمان هو حسن الخلق فقال
اكمل المومنين ايمانا احسنهم اخلاقا وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المومن صموتا وقورا فادنوا منه
فانه يلقى الحكمة وقال من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مومن وقال لا يحل لمومن ان يشير
الى اخيه بنظرة توذيه وقال لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال انما يتجالس المتجالسان بامانة
الله فلا يحل لاحدهما ان يفشي على اخيه ما يكره وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال ان يكون
كثير الحياء قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول
برا وصولا وقورا صبورا رضيا شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا
مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا بشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى
في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المومن والمنافق
فقال ان المومن همته في الصلوة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة و
قال حاتم الاصم المومن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمومن آيس من
كل احد الا من الله والمنافق راج كل احد الا الله والمومن آمن من كل احد الا من الله والمنافق خائف من كل
احد الا من الله والمومن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمومن يحسن ويبكي
والمنافق يسيء ويضحك والمومن يحب الوحدة والخلاء والمنافق يحب الخلطة والملاء والمومن يزرع
ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمومن يامر وينهى للسياسة فيصلح والمنافق يامر
وينهى للرياسة فيفسد واولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال الجفا ومن شكا
من سوء خلق غيره فيدل على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال الاذى فقد روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذبه جذبا شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ
الحاشية قال انس حتى نظرت الى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت فيه حاشية البرد من شدة
جذبه ثم قال يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم امر
بعطائه ولما اكثر قريش واليهود ايذاءه وضربه قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فلذلك
قال الله تع وانك لعلى خلق عظيم وحكي عن ابرهيم بن ادهم انه خرج الى بعض البراري فاستقبله رجل جندي
فقال له انت عبد قال نعم قال اين العمران فاشار الى المقبرة فقال الرجل انما اردت العمران فقال
المقبرة فغاظه ذلك فضرب راسه بالسوط فشجه موضحة ورده الى البلد فاستقبله اصحابه
فقالوا ما هذا فاخبرهم الجندي فقالوا هذا ابرهيم بن ادهم فنزل الجندي عن دابته فقبل يديه
ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل له لم قلت انا عبد قال انه لم يسالني انت عبد من قال بل انت

عبد قلت نعم لابي عبد الله فلما ضرب رايي سالت الله تع له الجنة فقيل له انه ظلمك فكيف سالت الله
له الجنة فقال علمت اني اوجر على هذا فلم احب ان يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر ٭ ودعي ابو عثمان
الحيري الى دعوة وكان الداعي يريد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه هذا فرجع ابو عثمان
فلما ذهب غير بعيد جاءه ثانيا فقال ترجع على ما يوجب الوقت فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته
الاولى فرجع ابو عثمان ثم جاءه الثالث حتى عامله بذلك مرات وابو عثمان لم يتغير فقال انما
اردت ان اختبرك فما احسن خلقك فقال ابو عثمان الذي رايت مني هو خلق كلب الكلب اذا دعي
اجاب واذا زجر انزجر وروى ان ابا عثمان اجتاز بسكة فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن
دابته وجعل ينفض ذلك عن ثيابه ولم يقل شيا فقيل الا زبرتهم فقال ان من استحق النار
فصولح على الرماد لم يجز ان يغضب ٭ وروى ان علي بن موسى الرضي كان يميل لونه الى السواد اذ
كانت امه سوداء وكان له بنيسابور على باب داره حمام وكان اذا دخل الحمام فرغ له الحمام فدخل
ذات يوم فاطبق باب الحمام ومر الحمامي الى بعض حوائجه فتقدم انسان رستاقي الى باب
الحمام ودخل ونزع ثيابه ودخل الحمام فراى علي بن موسى الرضي فظن انه بعض خدم الحمام فقال له قم
فاحمل الي الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يامره فرجع الحمامي وراى ثياب الرستاقي
وسمع كلامه مع علي بن موسى فخاف وهرب وخلاهما فلما خرج علي بن موسى وسال عن الحمامي فقيل انه
خاف مما جرى فهرب فقال لا ينبغي ان يهرب انما الذنب لمن وضع ماءه عند امة سوداء ٭ و
روى ان عبد الله الخياط كان يقعد على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة وكان اذا
خاط له ذلك المجوسي حمل اليه دراهم زيوفا وكان عبد الله ياخذها منه ولا يخبره بذلك
ولا يرده عليه فقضي من القضاء ان عبد الله قام من الحانوت ببعض حاجته فتقدم المجوسي الى
تلميذه واسترجع منه ما خاطه ودفع اليه درهما زايفا فلما نظر فيه التلميذ رده عليه
فلما عاد عبد الله اخبره بذلك فقال بيس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة
منذ مدة وانا اصبر عليه فآخذ الدرهم والقيه في البير كيلا يغر به مسلما ٭ وقال
يوسف بن اسباط علامة حسن الخلق عشرة اشياء قلة الخلاف وحسن الانصاف
وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات والتماس المعذرة واحتمال الاذى و
الرجوع باللائمة على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره وطلاقة
الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه وفوقه ٭ وسئل سهل عن حسن الخلق
فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه
وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم فقيل وما بلغ من حلمه
قال بينما هو جالس في داره اذ جاءت خادمة له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع
على ابن له فمات فدهشت الجارية فقال لا روعة عليك انت حرة لوجه الله ٭ وقيل كان
اويس القرني اذا راه الصبيان يرمونه بالحجارة وهو يقول ان كان ولا بد فارموني بالصغار
كيلا تدقوا ساقي فتمنعوني من الصلوة ٭ وشتم رجل الاحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب

الحي وقف وقال ان كان بقي في قلبك شي فقله كيلا يسمع بعض سفهاء الحي فيجيبوك ٭ وروي
ان عليا رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فلم يجبه فقام اليه فراه مضطجعا
فقال اما تسمع يا غلام قال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت فقال
امض فانت حر لوجه الله ٭ وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي
اضله اهل البصرة ٭ وقيل ليحيى بن زياد الحارثي وكان له غلام سوء لم تمسك هذا الغلام فقال
لاتعلم عليه الحلم فهذه النفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت اخلاقها ونقيت عن الغل
والغش بواطنها فاثمرها الرضى بكل ما قدره الله وهو منتهى حسن الخلق فان من يكره فعل الله ولا يرضى
به فهو في غاية سوء خلقه فهولاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرنا فمن لم يصادف
من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل
بالرياضة والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن الخلق فانها رفيعة لا ينالها الا المقربون والصديقون

بيان رياضة الصبيان في اول النشو ووجه تاديبهم وتحسين اخلاقهم

اعلم ان الصبي امانة عند
والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش و
مايل الى كل ما يمال به اليه فان علم الخير وعود نشا عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه ابواه
وكل معلم له ومودب وان عود الشر واهمل اهمال البهايم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم
به والوالي عليه وقد قال تع قوا انفسكم واهليكم نارا ومهما كان الاب يصونه من نار الدنيا فبان
يصونه من نار الآخرة اولى وصيانته بان يودبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه
من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها
اذا كبر ويهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في حضانته وارضاعه
الا امراة صالحة متدينة تاكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه نشو الصبي
انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبايث ومهما بدت فيه مخايل التمييز
فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوايل الحياء فاذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض
الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى راى بعض الاشياء قبيحة ومخالفا للبعض
فصار يستحيي من شي دون شي وهذه هدية من الله تع اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق
وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحيي لا ينبغي ان يهمل بل يستعان
على تاديبه بحيائه وتمييزه واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يودب فيه مثل
ان لا ياخذ الطعام الا بيمينه ويقول بسم الله عند اخذه وياكل مما يليه ولا يبادر الى الطعام
قبل غيره ولا يحدق الى الطعام والى من ياكل ولا يسرع في الاكل ويمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يوالي
بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه ويعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادام حتما
ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه من يكثر الاكل بالبهايم وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل
ويمدح بين يديه الصبي المتادب القليل الاكل ويحبب اليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة والقناعة
بالطعام الخشن اي طعام كان ويحبب اليه من الثياب البيض دون الملون والابريسم ويقرر عنده

ان ذلك شان النساء والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر عليه ذلك ومهما راى على صبي
ثوبا من ابريسم او ملون فينبغي ان يستنكره ويذم ذلك ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا
التنعم والترفه ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغب فيه فان الصبي اذا
اهمل في ابتداء نشوه خرج في الاكثر ردي الاخلاق كذابا حسودا سروقا نماما لجوجا ذا
فضول وضحك وكياد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التاديب ثم يشتغل في
المكتب بتعلم القرآن وباحاديث الاخيار وحكايات الابرار واحوالهم لينغرس حب الصالحين في نفسه
ويحفظ عن الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ عن مخالطة الادباء الذين يزعمون ان
ذلك من الظرف ورقة الطبع فان ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر
من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس فان
خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكشفه ولا يظهر له يكاشفه ٤
انه يتصور ان يتجاسر احد على مثله لا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار
ذلك ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة بعد ذلك فان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب
سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين يدي الناس ولا يكثر
القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع
الكلام من قلبه وليكن الاب حافظا هيبة الكلام معه لا يوبخه الا احيانا والام تخوفه
بالاب وتزجره عن القبائح وينبغي ان يمنع النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع النوم ليلا ولكن
يمنع الفرش الوطية حتى تتصلب اعضاؤه ولا يسخف بدنه فلا يصبر عن التنعم بل يعود الخشونة في
المفرش والملبس والمطعم وينبغي ان يمنع عن كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد
انه قبيح فاذا ترك تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه
الكسل ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع من
ان يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه والداه او بشيء من مطاعمه وملابسه ولوحه ودواته ويعود التواضع
والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من ان ياخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة
ان كان من اولاد المحتشمين بل يعلم ان الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ وان الاخذ لؤم وخسة
وان كان من اولاد الفقراء فيعلم ان الاخذ والطمع مهانة ومذلة وان ذلك من داب الكلب
فانه يتبصبص في انتظار لقمة وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما و
يحذر منهما اكثر من التحذير من الحيات والعقارب فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما
اكثر من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر ايضا وينبغي ان يعود ان لا يبصق في مجلسه و
لا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع
كفه تحت ذقنه ولا يعمد راسه بساعده فان ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس وينبغي
ان يمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وانه عادة ابناء اللئام ويمنع اليمين
راسا صادقا وكاذبا حتى لا يتعوده في الصغر ويمنع ان يبتدئ بالكلام ويعود ان لا يبتدئ

الا جوابا بقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو اكبر سنا منه وان يقوم
لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب
ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فان ذلك يسري لا محالة من قرناء السوء واصل
تاديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب
ولا يستشفع باحد بل يصبر ويذكر له ان ذلك داب الشجعان والرجال وان كثرة الصراخ داب
المماليك والنسوان وينبغي ان يؤذن له بعد الفراغ من المكتب ان يلعب لعبا جميلا يستريح
اليه من تعب الادب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى التعلم دائما
يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه راسا و
ينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر سنا منه من قريب واجنبي
ان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم ومهما بلغ سن التمييز فينبغي
ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض الايام من رمضان ويجنب لبس الحرير
ومن الكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فاذا وقع نشوه كذلك في الصبى فمهما
قارب البلوغ امكن ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة ادوية وان المقصود
منها ان يقوى الانسان بها على عبادة الله وان الدنيا كلها لا اصل لها اذ لا بقاء لها وان الموت
يقطع نعيمها وانها دار ممر لا دار مقر وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود
من الدنيا للآخرة حتى يعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعيمه فاذا كان النشو صالحا كان هذا
الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وان وقع النشو بخلاف
ذلك حتى الف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا
قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فاوائل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي
خلق بجوهره قابلا للخير والشر جميعا وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه قال سهل
التستري كنت ابن ثلاث سنين وكنت اقوم بالليل انظر الى صلوة خالي محمد بن سوار فقال لي
خالي يوما الا تذكر الله الذي خلقك قلت كيف اذكره قال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك
ثلاث مرات من غير ان تحرك به لسانك الله معي الله ناظر الي الله شاهدي فقلت ذلك ليالي
ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم اعلمته فقال قل في كل ليلة احدى
عشرة مرة فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك
ودم عليه الى ان تدخل القبر فانه ينفعك في الدنيا والآخرة فلم ازل على ذلك سنين فوجدت
لها حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وهو ناظر اليه ويشاهده
ايعصيه اياك والمعصية فكنت اخلو فبعثوني الى المكتب فقلت اني لاخشى ان يتفرق علي
همي ولكن شارطوا المعلم اني اذهب اليه ساعة فاتعلم ثم ارجع فمضيت الى الكتاب وحفظت
القرآن وانا ابن ست سنين او سبع سنين وكنت اصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير

اثني عشر سنة فوقعت لي مسئلة وانا ابن ثلاث عشرة سنة فسالت ان يبعثوني الى البصرة اسال عنها
فجئت البصرة وسالت علماءها فلم يشف عني احد شيا فخرجت الى عبادان الى رجل يعرف بابي حبيب
حمزة بن عبد الله العباداني فسالته عنها فاجابني فاقمت معه مدة انتفع بكلامه واتادب بادبه
ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصارا على ان يشتري لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن و
يخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة على اوقية واحدة بحتا بغير ملح ولا ادام فكان يكفيني ذلك الدرهم
سنة ثم عزمت على ان اطوي ثلاث ليال ثم افطر ليلة ثم خمس ثم سبع ثم خمس وعشرين ليلة وكنت
على ذلك عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل
كله

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة

اعلم ان من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين اصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا اليها
سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان من كان معه خرزة فراى جوهرة نفيسة
لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة ومن لم يكن مريدا حرث الآخرة وطالبا
للقاء الله تعالى فهو لعدم ايمانه بالله واليوم الآخر ولست اعني بالايمان حديث القلب وحركة اللسان
بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهرة خير من الخرزة
الا انه لا يدري من الجوهرة الا لفظها فاما حقيقتها فلا فاما مثل هذا المصدق اذا الف الخرزة
قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهرة فاذن المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك
عدم الارادة والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله
الهادين الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الآخرة ودوامها فالخلق
غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه
منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله فان من طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى
الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا
لخلو طريق الله تعالى عن السالكين ومهما كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب
غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة فان تنبه متنبه من نفسه او من تنبيه غيره و
انبعث له ارادة في حرث الآخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم ان له شروطا لا بد من تقديمها في بداية
لزم الارادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد من التحصن به ليامن من الاعداء القطاع لطريقه
وله وظايف لا بد له من ملازمتها في وقت سلوك الطريق اما الشروط التي لا بد من تقديمها في
الارادة فهو رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب
ووقوع السد على الطريق قال تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
والسد بين المريد وبين الحق اربعة المال والجاه والتقليد والمعصية وانما يرتفع حجاب
المال بان يفرقه ويخرجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو
مقيد به محجوب عن الله تعالى وانما يرتفع حجاب الجاه بالبعد من موضع الجاه وبالتواضع وايثار
الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي الافعال التي تنفر قلوب الخلق وانما يرتفع حجاب التقليد

بان

بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان
ويحرص في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود له سوى الله واعظم معبود له الهوى حتى اذا
فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب
كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في قلبه متسع لغيرها
صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب معين اصلا واما
المعصية فهي حجاب لا يرفعها الا التوبة والخروج عن المظالم وتصميم العزم على ترك العود و
تحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم فان من لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي
الظاهرة واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على اسرار القرآن وتفسيره
وهو لم يتعلم لغة العرب بعد فان ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمه اولا ثم الترقي منه الى اسرار معانيه
فكذا لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا وآخرا ثم الترقي الى اسراره واغواره فاذا قدم هذه الشروط
الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضا ورفع الحدث وصار صالحا للصلوة فيحتاج
الى امام يقتدي به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل
فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان
لا محالة الى طرقه فمن سلك البوادي المهلكة بنفسه من غير خفير خاطر بنفسه واهلكها ويكون
المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت
لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه وليتمسك به تمسك الاعمى على شاطئ البحر
بالقائد بحيث يفوض اليه امره بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقي في متابعته شيئا
ولا يذر وليعلم ان نفعه في خطا شيخه لو اخطا اكثر من نفعه في صواب نفسه لو اصاب فاذا
وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع
الطريق وهو اربعة امور الخلوة والصمت والجوع والسهر فهذا تحصن من القواطع فان
مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه اما الجوع فانه ينقص دم القلب ويبيضه
وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته
سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق منه مسالك العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات
قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم قال سهل ما صار
الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة
الجوع في تنوير القلوب ظاهر يشهد له التجربة وسياتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر
الشهوة واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه وينوره ويضاف الى الصفاء الذي حصل
من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدري والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع
الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها فتتم به رغبته عن الدنيا واقباله على الآخرة والسهر
ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان
بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان اكلهم

فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابرهيم الخواص اجتمع رأي سبعين صديقا على ان كثرة النوم
من كثرة شرب الماء واما الصمت فانه يسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من
يقوم له بطعام وشراب وتدبير امر فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره
القلب للكلام عظيم فيستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر ويستريح اليه فالصمت يلقح العقل
ويجلب الورع ويعلم التقوى واما الخلوة ففايدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما
دهليز القلب والقلب في حكم حوض انصبت اليه مياه كدرة قذرة من انهار الحواس ومقصود الرياضة
تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر اسفل الحوض فيتفجر منه الماء اللطيف الطاهر
فكيف يصح ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل حالة اكثر مما ينقص
فلا بد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك الا بالخلوة في مكان مظلم فان لم يكن مكان مظلم
فيلف راسه في جيبه او يتدثر بكساء او ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة
الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على هذه الصفة فقيل له يا ايها
المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن يدفع عنه القواطع ويمنع العوارض القاطعة
للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق
الله الا صفات القلب التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب
في قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهي اعني تلك الصفات اسرار العلايق التي قطعها في اول
الارادة وآثارها اعني آثار المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصي
فلا بد وان يخلي الباطن عن آثارها كما خلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة وتختلف
ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص مكفي قد كفي اكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا
ان طريق المجاهدة مضادة الشهوة ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره
فاذا كفي ذلك او ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام و
يمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرايض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو
لباب الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو عن ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه
ملتفتا الى علايقه قال الشبلي للحصري ان كان يخطر على قلبك من الجمعة الى الجمعة التي تاتيني غير الله
فحرام عليك ان تاتيني وهذا التجرد لا يتصور الا من صدق الارادة واستيلاء حب الله على القلب
حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له الا هم واحد فاذا صار كذلك الزمه الشيخ زاوية
ينفرد بها ويوكل به من يهواه بقدر يسير من القوت حلالا فان اصل طريق الدين القوت الحلال
وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشتغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله الله الله او
سبحان الله او ما يراه الشيخ من الكلمات ولا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة لسانه وتكون الكلمة
كانها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب حتى يسقط الاثر عن اللسان ويبقى صورة اللفظ
في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته ويبقى حقيقة معناه لازما للقلب
حاضرا معه غالبا عليه قد فرغ القلب عن كل ما سواه لان القلب اذا شغل بشيء خلي عن غيره اي شيء كان

فاذا

فاذا اشتغل بذكر الله وهو المقصود خلي لا محالة عن غيره وعند ذلك يلزمه ان يراقب وساوس القلب
والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما اشتغل بشيء منه
ولو في لحظة خلي قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان ذلك نقصانا فليجتهد في دفع ذلك ومهما
دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وانها ما هي وما
معنى قولنا الله ولاي معنى كان الها وكان معبودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب
الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر او بدعة ومهما كان كارها لذلك
ومتشمرا للاماطة عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله تعالى منزه عنه و
لكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالي به ويفزع الى ذكر الله و
يبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم و
قال ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك فيه
فينبغي ان يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الاحوال من فترة او نشاط او التفات الى علقة
او صدق في ارادة فينبغي ان يظهر ذلك لشيخه ويستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينظر
في حاله ويتامل في ذكايه وكياسته فان علم انه لو تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق
فينبغي ان يحليه على الفكر ويامره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما ينكشف له حقيقته
وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر
دليل قريب من فهمه وينبغي ان يتانق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواقع اخطاره
وكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه
فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للفكر ودفع العلايق
الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك
الدين وان اخطا كان من الهالكين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجايز
وهو تلقي اصل الدين وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر في العدول
عن ذلك كبير ولهذا يجب على الشيخ ان يتفرس في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من
اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل رده الى الاعمال الظاهرة والاوراد المتواترة او شغله
بخدمة المتجردين للفكر ليشمله بركتهم فان العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي ان
يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيمة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا يبلغ درجتهم
ثم المريد المتجرد للفكر والذكر تقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف من
الاحوال وما يبدو من اوايل الكرامات ومهما التفت الى شيء من ذلك وشغل به نفسه كان
ذلك فتورا في طريقه او وقوفا بل ينبغي ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه
البحار ولو افيضت عليه ويدوم عليه وراس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة قال بعض السايحين
قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق وقال مرة قلت له دلني
على عمل اعمله اجد فيه قلبي مع الله تعالى في كل وقت على الدوام فقال لي لا تنظر الى الخلق فان النظر

اليهم ظلمة قلت لابد قال ولا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لابد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم لابد لي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا العلة قال يا هذا تنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله عز وجل على الدوام هذا ما لا يكون ابدا فاذن منتهى الرياضة ان يجد قلبه مع الله ابدا ولا يمكن ذلك الا بان يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره الا بطول المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف رحمة الله ما لا يجوز ان يوصف بل لا يحيط الوصف به اصلا واذا انكشف للمريد شيء من ذلك فاعظم القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فيجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة فتدعوه تلك اللذة الى ان يتفكر في ايراد تلك المعاني وتحسين الالفاظ عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والاخبار وتحسين صورة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع والشيطان ربما يخيل اليه ان هذا منك احياء لقلوب الموتى الغافلين عن الله وانما انت واسطة بين الله وبين الخلق تدعو عباده اليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر في اقرانه من يكون احسن كلاما واجزل لفظا واقدر على جلب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة ان كان محركه لذة القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله الى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه فيقول الحمد لله الذي عضدني وايدني بمن وازرني على اصلاح عباده كالذي وجب عليه ان يحمل ميتا ليدفنه اذ وجده ضايعا وتعين عليه ذلك شرعا فجاء من اعانه عليه فانه يفرح به ولا يحسد معينه والغافلون موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون لهم ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي ان يعظم الفرح به وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي ان يكون المريد على حذر منه فانه اعظم حبايل الشيطان في قطع الطريق على من انفتح له اوايل الطريق فان ايثار الحيوة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا ثم بين ان الشر قديم في الطباع وان ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته في التدريج الى لقاء الله تعالى اما تفصيل الرياضة في كل صفة فسياتي فان اغلب الصفات على الانسان بطنه وفرجه ولسانه اعني الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما احب الانسان شهوة البطن والفرج وانس بها احب الدنيا ولم يتمكن منها الا بالمال والجاه واذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدين راسا تمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب بعد تقديم هذين الكتابين ان نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب كتاب في كسر شهوة البطن والفرج كتاب في كسر الغضب والحقد والحسد كتاب في كسر شره الكلام كتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها كتاب في كسر حب المال وذم البخل كتاب في ذم الرياء وحب الجاه كتاب في الكبر والعجب كتاب في مواقع الغرور ونذكر هذه المهلكات ونعلم طرق المعالجات فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات ان شاء الله تعالى فان ما ذكرناه في

الكتاب الاول شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب وتفصيلها انما ياتي في هذه الكتب ان شاء الله تعالى تم كتاب رياضة النفس والحمد لله رب العالمين

كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله المتفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتنزيه القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل يفي باماتيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ثم يرضيه وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه عن الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقويه حتى يضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد ان يوسع عليه مما يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه مما يهيج بواعثه ودواعيه كل ذلك ليمتحنه ويبتليه فينظر كيف يوثره على ما يهواه وينتحيه وكيف يحفظ اوامره ونواهيه فيواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلوة على محمد عبده النبيه ورسوله الوجيه صلوة تزلفه وتحظيه وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته واقربيه والاخيار من صحابته وتابعيه وبعد فاعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها اخرج آدم وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الافات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذان هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد منهما آفة الرياء وغايلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحسد والحقد والعداوة والبغضاء ثم يفضي بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة على العقبى ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوايلها وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله في فصول يجمعها وهي بيان فضيلة الجوع ثم فوايد الجوع ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل في الطعام

والتاخير، ثم القول في شهوة الفرج، ثم بيان ما على المريد في ترك التزوج وفعله، ثم بيان من يخالف شهوة الفرج والعين

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله عز وجل من جوع وعطش وقال ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السماء من ملا بطنه وقيل يا رسول الله اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته وقال صلى الله عليه وسلم سيد الاعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم البسوا الصوف واشربوا وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله كل نؤوم اكول شروب، وفي الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز اي مختارا له وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء، وقال صلى الله عليه وسلم ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه، وفي حديث اسامة بن زيد وحديث ابي هريرة الطويل ذكر فضل الجوع اذ فيه ان اقرب الناس من الله تعالى من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الاخفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا يعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء، نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله تعالى افترش الناس الفرش وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها تبكي الارض لفقدهم ويسخط الله تعالى على كل بلدة ليس فيها منهم لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا الفلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس يظنون ان بهم داء وما بهم داء، ويقال قد خولطوا وذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى امر اذهب عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف في الآخرة يا اسامة اذا رايتهم في بلدة فاعلم انهم امان لتلك البلدة لا يعذب الله تعالى قوما هم فيهم الارض بهم رحيمة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم وان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار وروى الحسن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء، وقال عيسى عليه السلام اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل، وروي ذلك عن نبينا صلى الله عليه وسلم ايضا رواه طاووس، وفي التوراة مكتوب ان الله تعالى يبغض الحبر السمين لان السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال ابن مسعود ان الله يبغض القارئ السمين

وفي

وفي خبر مرسل ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل للشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه وسلم المومن ياكل في معى واحد والمنافق ياكل في سبعة امعاء اي ياكل سبعة اضعاف المومن اي يكون شهوته بسبعة امثال شهوته ويكون المعى كناية عن الشهوة لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتاخذه كما ياخذه المعى وليس المعنى زيادة عدد معى المنافق على معى المومن، وروى الحسن عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اديموا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت وكيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظما، وروي ان ابا جحيفة تجشى في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقصر من جشائك فان اطول الناس جوعا يوم القيمة اكثرهم شبعا في الدنيا كانت عايشة رضي الله عنها تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلي شبعا قط وربما بكيت رحمة له مما ارى من الجوع فامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عايشة اخواني من اولي العزم والرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء احب الي من اللحوق باخلائي واخواني قالت عايشه رضي الله عنها والله ما استكمل جمعة حتى قبضه الله تعالى وعن انس قال جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيك بهذه الكسرة فقال اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة ايام وقال ابو هريرة ما اشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهله ثلاثة ايام تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان اهل الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الآخرة وان ابغض الناس الى الله المتخمون الملا وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت له درجة في الجنة **واما الآثار** فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اياكم والبطنة فانها ثقل في الحيوة نتن في الممات وقال شقيق العبادة حرفة وحانوتها الخلوة وآلتها المجاعة وقال لقمن لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال الفضيل بن عياض لنفسه اي شيء تخاف اتخاف ان تجوع انت اهون على الله تعالى من ذلك انما جوع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه، وكان كهمس يقول الهي اجعتني واعريتني وفي ظلم الليالي اجلستني فباي وسيلة بلغتني ما بلغتني، وكان فتح الموصلي اذا اشتد مرضه وجوعه يقول الهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل باوليائك فباي عمل اودي شكر ما انعمت به علي وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس فقال لي يا ابا يحيى طوبى لمن اصبح جائعا وامسى جائعا وهو عن الله راض وكان الفضيل يقول الهي اجعتني واجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليائك فباي منزلة نلت هذا منك وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التائبين تجربة وجوع المجتهدين كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التوراة

اتق فاذا اشبعت فاذكر الجائع وقال ابو سليمن لان اترك لقمة من عشائي احب الي من قيام ليلة الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه الا لمن احبه وكان سهل التستري يطوي نيفا وعشرين ليلة يوما لا ياكل وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوجد في القيمة عمل بر افضل من ترك الطعام والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في اكله وقال لم ير الاكياس شيئا انفع من الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم شيئا اضر على طلاب الاخرة من الاكل وقال وضع الحكمة والعلم في الجوع وجعل الجهل والمعصية في الشبع وقال ما عبد الله بشيء افضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقال في الحديث ثلث للطعام فمن زاد عليه فانما ياكل من حسناته وسئل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاخذ ويكون اذا جاع ليلة سال الله ان يجعلها ليلتين فاذا كان كذلك وجد الزيادة وقال انما صار الابدال ابدالا باخماص البطون والصمت والسهر والخلوة وقال راس كل بر بين السماء والارض الجوع وراس كل فجور بينهما الشبع وقال من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس وقال اقبال الله على العبد بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال احد فيه النجاة الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والصبر والجهد وقال ما مر على وجه الارض احد يشرب من هذا الماء حتى روي فسلم من المعصية وان شكر الله فكيف الشبع من الطعام وسئل حكيم باي قيد اقيد النفس قال بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها بوضعها تحت ارجل ابناء الاخرة واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها وانج من آفاتها بدوام سوء الظن عليها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله ان الله ما صافى احدا الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا بالجوع ولا والاهم الله تعالى الا بالجوع وقال ابو طالب المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه اجوف غير ممتلئ فكذلك الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام وقال بكر بن عبد الله ثلاثة يحبهم الله عز وجل رجل قليل الاكل قليل النوم قليل الراحة وروي ان عيسى عليه السلم مكث يناجي ربه عز وجل ستين صباحا لم ياكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف موضوع فقعد يبكي لفقد المناجاة فاذا شيخ اظله فقال له عيسى يا ولي الله ادع الله تعالى لي فاني كنت في حال فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني قال الشيخ اللهم ان كان الخبز خطر ببالي منذ عرفتك لا تغفر لي وروي ان موسى عليه السلم لما قربه الله نجيا كان قد ترك الاكل اربعين يوما

بيان فوائد الجوع وآفات الشبع

لعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من اين وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك ينبغي ان يعظم الفضل في كل ما يتاذى به الانسان من ضربه نفسه وقطعه لحمه وتناوله الاشياء الكريهة وما يجري مجراه فاعلم ان هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به فظن ان منفعته لمرارة الدواء وكراهته فاخذ يتناول كل ما هو مكروه من المذاق وهو غلط بل نفعه في خاصية في الدواء وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطباء فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع الا سماسرة العلماء ومن جوع نفسه مصدقا بما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع وان لم يعرف علة المنفعة كما ان من شرب الدواء انتفع وان لم يعلم وجه كونه نافعا ولكنا نشرح ذلك ان اردت ان ترتقي من درجات الايمان الى درجة العلم ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ونقول في الجوع عشر فوائد

الفائدة الاولى صفاء القلب وايقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والادراك وقال ابو سليمن عليك بالجوع فانه مذلة للنفس ورقة للقلب ويورث العلم السماوي وقال صلى الله عليه وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم من شبع ونام قسا قلبه ثم قال ان لكل شيء زكوة وان زكوة البدن الجوع وقال الشبلي ما جعت لله يوما الا رايت في قلبي بابا من الحكمة والعبرة ما رايته قط وليس يخفى ان غاية المقصود من العبادة الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من ابواب الجنة فبالحري ان يكون ملازمة الجوع قرعا لباب الجنة ولهذا قال لقمن لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال ابو يزيد الجوع سحاب فاذا جاع العبد مطر القلب الحكمة وقال صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من الله الشبع والقربة من الله حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فينطفي نور المعرفة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح

الفائدة الثانية رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتاثر بالذكر فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتاثر عنه حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوة القلب وقد يرق في بعض الاحوال فيعظم تاثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة وخلو المعدة هو السبب الاظهر فيه قال ابو سليمن احلى ما يكون الي العبادة اذا التصق ظهري ببطني وقال الجنيد يجعل احدهم بينه وبين الله مخلاة من الطعام ويريد ان يجد حلاوة المناجاة وقال ابو سليمن القلب اذا جاع وعطش صفا ورق واذا شبع عمي وبلد فاذن تاثر القلب بلذة المناجاة امر وراء تيسر الفكر واقتباس المعرفة فهي فائدة ثانية

الفائدة الثالثة الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدا الطغيان والغفلة عن الله تعالى ولا تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها اذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها واظلمت عليها الدنيا بشربة ماء تاخرت عنه وما لم يشاهد ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا قهره وانما سعادته في ان يكون دائما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العزة والقدرة والقهر فليكن دائما جائعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولذلك لما عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وخزائنها فقال لا اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطر والفرح باب من ابواب

النار واصله الشبع والذل والانكسار باب من ابواب الجنة بالضرورة لانهما متقابلان
كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الاخر **الفايدة الرابعة** ان لا ينسى بلاء الله وعذابه
ولا ينسى اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجايعين وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء
الا ويتذكر بلاء الاخرة فيتذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيمة ومن جوعه جوع اهل
النار حين يجوعون فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغساق والمهل ولا ينبغي ان يغيب
عن العبد عذاب الاخرة والامها فانه الذي يهيج الخوف ومن لم يكن في ذلة ولا علة ولا بلاء
نسي عذاب الاخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي ان يكون العبد في بلاء او مشاهدة
بلاء واولى ما يقاسيه من البلاء بلاء الجوع فان فيه فوايد جمة سوى تذكر عذاب الاخرة وهذا
احد الاسباب التي اقتضت اختصاص البلاء بالانبياء والاولياء والامثل فالامثل ولذلك قيل
ليوسف عليه السلم لم تجوع وفي يدك خزاين الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجايع فذكر الجايعين
والمحتاجين احدى فوايد الجوع فان ذلك يدعو الى الرحمة والاطعام والشفقة على خلق الله تع و
الشبعان في غفلة عن الم الجايع **الفايدة الخامسة** وهي من كبار الفوايد كسر شهوات المعاصي ومادة
القوى والشهوات لا محالة الاطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها
ان يملك الرجل نفسه والشقاوة ان يملكه نفسه وكما انك لا تملك الدابة الجموح الا بضعف
الجوع فاذا شبعت قويت وتشردت وجمحت فكذلك النفس وقيل لبعضهم ما بالك مع كبرك
لا تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح بي فيورطني
ولان احمله على الشدايد احب الي من ان يحملني على الفواحش وقال ذو النون ما شبعت قط
الا عصيت او هممت بمعصية وقالت عايشة اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فايدة
واحدة بل هي خزاين الفوايد ولذلك قيل الجوع خزانة من خزاين الله واقل ما يندفع بالجوع شهوة
الفرج وشهوة الكلام فان الجايع لا تتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان
كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك واذا شبع افتقر الى فاكهة
فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم واما
شهوة الفرج فلا يخفى غايلتها والجوع يكفي شرها واذا شبع الرجل لم يملك نفسه وان منعه التقوى
لا يملك عينه والعين تزني كما ان الفرج يزني فان ملك عينه بغطاء التقوى فلا يملك فكره فيخطر
له من الافكار الردية وحديث النفس باسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته وربما عرض في اثناء
الصلوة وانما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصي الاعضاء السبعة سببها
القوة الحاصلة بالشبع قال حكيم كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة
لا يخالط معه شيا من الشهوات وياكل نصف بطنه رفع الله عنه مونة النساء **الفايدة**
السادسة دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولذلك
كان يقول بعض الشيوخ على راس السفرة معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا

كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع سبعون صديقا على ان كثرة النوم من كثرة الشرب وفي كثرة النوم ضياع
العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد فيه
يتجر والنوم موت فتكثيره تنقيص من العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواته ومهما غلب النوم
فان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك من التهجد و
يحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتاذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته
الوتر ان كان قد اخره للتهجد ثم يحتاج الى مونة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه
ايضا اخطارا ذكرناها في الطهارة وكل ذلك اثر الشبع وقد قال ابو سليمن الاحتلام عقوبة وانما
قال ذلك لانه يمنع عن عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الآفات والشبع
مجلبة له والجوع مقطعة له **الفايدة السابعة** تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة
العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الى زمان في شراء الطعام او طبخه
ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذه لو
صرفها الى الذكر والمناجاة وساير العبادات لكثر ربحه وقال السري رايت مع علي الجرجاني
سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا قال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين
تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته فلم يضيعه في المضغ وكل
نفس من العمر جوهر نفيس لا قيمة له فينبغي ان يستوفي منه خزانة باقية في الاخرة لا آخر لها ودلك
بصرفه الى طاعة الله وذكره ومن جملته ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد
فانه يحتاج الى الخروج لشرب الماء واراقته ومن جملته الصوم فانه يتيسر لمن تعود الجوع الصوم
ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغل الاكل واسبابه الى العبادة ارباح
عظيمة انما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها
ويعرفون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمن الداراني الى ست
آفات وقال من شبع دخل عليه ست فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان
الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات
وان ساير الناس يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل **الفايدة الثامنة**
من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط
في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص
العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مون وتبعات
لا يخلو الانسان فيها بعد التعب من انواع من المعاصي واقتحام الشبهات وفي الجوع ما يدفع
عنه كل ذلك حكي ان الرشيد جمع اربعة من اطباء الهند والروم والعراق والسوادي فقال
ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه فقال الهندي الدواء الذي لا داء فيه هو الاهليلج
الاسود وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض وقال العراقي عندي هو الماء الحار و
قال السوادي الاهليلج يعفص المعدة وهو داء وحب الرشاد يرق المعدة وهو داء والماء

الحاذق يزجي المعدة وهو داء فقالوا ما عندك قال الدواء الذي لا داء فيه عندي ان لا تاكل
الطعام حتى تشتهيه وان ترفع عنه يدك وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض الفلاسفة
من الاطباء اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس فتعجب
منه فقال ما سمعت كلاما في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم
البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاده واظن ان تعجب الطبيب جرى من
هذا الخبر لا من ذاك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة بحتا بادب لم يعتل الا علة الموت قيل له
وما الادب قال تاكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع وقال بعض افاضل الاطباء في ذم الاستكثار
ان انفع ما ادخل الانسان معدته الرمان واضر ما ادخل معدته المالح ولان يقلل من المالح خير له
من ان يستكثر الرمان وفي الخبر المشهور صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وتقليل الاكل صحة الاجسام
من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما **الفايدة التاسعة** خفة المونة فان من
تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له باخذ بمخنقه
كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل
ويتعب وربما احتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والقماءة والمومن خفيف المونة
وقال بعض الحكماء اني لاقضي عامة حوايجي بالترك فيكون اروح لنفسي وقال اخر اذا اردت
ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي
وكان ابرهيم بن ادهم يسال اصحابه عن الشي من الماكولات فيقال انه غال فيقول ارخصوه بالترك
قال سهل الاكول مذموم في ثلاثة احوال ان كان اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا لا يسلم من
الافات وان كان ممن يدخل عليه شي فلا ينصف الله من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس
حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي
تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها وهي ابواب النار وفي حسمها فتح ابواب الجنة كما قال صلى
الله عليه وسلم اديموا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في ساير الشهوات ايضا
وصار حرا فاستغنى عن الناس واستراح عن التعب وتخلى لعبادة الله وتجارة الاخرة فيكون من الرجال
الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فانه لا تلهيهم لاستغنايهم عنها بالقناعة فاما المحتاج
فتلهيه لا محالة **الفايدة العاشرة** ان يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى
والمساكين فيكون يوم القيمة في ظل صدقته كما ورد الخبر فما ياكله فخزانته الكنيف وما يتصدق
به فخزانته فضل الله فليس للعبد من ماله الا ما تصدق فابقى واكل فافنى ولبس فابلى فالتصدق
بفضلات الطعام اولى من التخمة والشبع وكان الحسن اذا قرا قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال عرضها
على السموات السبع الطباق الطرايق اللاتي زينت وحملة العرش العظيم فقال لها هل تحملين الامانة
بما فيها قالت وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسات عوقبت قالت لا ثم عرضها على الارض
كذلك فابت ثم عرضها على الجبال الصم الشوامخ البواذخ الصعاب الصلاب فقيل لها هل تحملين الامانة

بما فيها قيل وما فيها فذكر الجزاء والعقوبة قالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما
جهولا بامر ربه عز وجل فقد رايناهم والله اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا الافا فماذا صنعوا فيها
وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم واسمنوا براذينهم واهزلوا دينهم واتعبوا
انفسهم بالغدو والرواح الى باب هذا السلطان يتعرضون للبلاء وهم من الله في عافية يقول
قايلهم تبيعني ارض كذا وكذا وازيد كذا وكذا يتكي احدهم على شماله وياكل من غير ماله حديثه
سخرة وماله حرام حتى اذا اخذته الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام ايتني بشي يهضم طعامي
يا لكع اطعامك تهضم انما دينك تهضم اين الفقير اين الارملة اين اليتيم اين المسكين الذي
امرك الله به وهذه اشارة الى هذه الفايدة وهو صرف فاضل الطعام الى الفقراء ليدخر به الاجر
فذلك خير من ان ياكله حتى يتضاعف عليه الوزر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل سمين
البطن فاومى الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته
لاخرتك واثرت به غيرك وعن الحسن قال والله لقد ادركنا اقواما ان كان الرجل منهم ليمسي و
عنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لاكله كله فيقول لا والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى
اجعل بعضه لله فهذه عشر فوايد للجوع يتشعب عن كل واحدة فوايد لا تنحصر عدده ولا
تتناهى فوايده فالجوع خزانة عظيمة لفوايد الاخرة فلهذا قال بعض السلف الجوع مفتاح
الاخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح في الاخبار التي
رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوايد تدرك معاني تلك الاخبار ادراك علم وبصيرة
واذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كان ذلك رتبة المقلدين في الايمان

بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن

اعلم ان على المريد في بطنه وماكوله اربع
وظايف الاولى ان لا ياكل الا حلالا فالعبادة مع اكل الحرام كالبناء على امواج البحر و
قد ذكرنا ما يجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وبقي ثلاث وظايف
خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء والسرعة
وتعيين الجنس الماكول في تناول المشتهيات وتركها **اما الوظيفة الاولى** في تقليل الطعام
وسبيل الرياضة فيه التدريج فمن تعود الاكل الكثير فانتقل دفعة الى القليل ما يحتمله
مزاجه وضعف وعظمت مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص
قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان ياكل رغيفين مثلا واراد ان يرد الى واحد فينقص
في كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص جزءا من ثمانية وعشرين جزءا او جزءا من
ثلاثين جزءا فيرجع الى رغيف في شهر ولا يتضرر به ولا يظهر اثره فان شاء فعل
ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله بالامس
ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى
دونه وهو عادة الصديقين وهو اختيار سهل التستري اذ قال ان الله استعبد الخلق
بثلاث بالحيوة والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهي الحيوة والعقل

اكل وافطر ان كان صايما ويتكلف الطلب ان كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة
ينبغي ان لا يبالي وان ضعف حتى صلى قاعدا وراى ان صلوته قاعدا مع ضعف الجوع افضل
من صلوته قايما مع قوة الاكل. وسيل سهل عن بدايته وما كان يقوت به فقال كان قوتي
في كل سنة بثلاثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبسا وبدرهم سمنا وبدرهم شعيرا دقيق الارز
فاسويه مخلطا ثلثماية وستين اكرة آخذ كل ليلة اكرة افطر عليها فقيل كيف الساعة قال اكل
بلا حد وتوقيت. ويحكى عن الرهابين انهم قد يردون انفسهم الى مقدار درهم من الطعام
الدرجة الثانية ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف وشي مما
يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا ثلث البطن في حق الاكثر كما ذكره رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وكان ذلك عادة
عمر رضي الله عنه اذ كان ياكل سبع لقم او تسع لقم الدرجة الثالثة ان يرد الى مقدار المد
وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن
ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شي للذكر وفي بعض الاخبار ثلث للذكر بدل قوله للنفس والرابعة
ان يزيد على المد الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله تع ولا تسرفوا اعني في
حق الاكثرين فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يستعمل به وههنا
طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويقبض يده
وهو على شهوة صادقة بعد ولكن الغالب ان من لم يقدر مع نفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين
له حد الجوع الصادق ويشتبه ذلك بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احديها
ان لا تطلب النفس الادم بل ياكل الخبز وحده بشهوة اي خبز كان فمهما طلب خبزا بعينه او طلب
ادما فليس ذلك بجوع وقيل ان يبصق فلا يقع الذباب عليه اي لا يبقى فيه دهنية ودسومة
فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد ان يقدر مع نفسه
القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان بقيت
شهوته وعلى هذه الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم كان قوت جماعة
من الصحابة صاعا من حنطة في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا صاعا ونصفا وصاع الحنطة اربعة
امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرنا انه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج الى
زيادة لسقوط النوى منه. وقد كان ابو ذر يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ازيد عليه حتى القاه فاني سمعته يقول اقربكم مني مجلسا يوم القيمة
واحبكم الي من مات على ما هو عليه اليوم. وكان يقول في انكاره على بعض الصحابة قد غيرتم تنخل لكم
الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادمين واختلف عليكم الوان الطعام و
غدا احدكم في ثوب وراح في آخر ولم تكونوا هكذا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان
قوت اهل الصفة مدا من تمر بين اثنين في كل يوم والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى
وكان الحسن يقول المومن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة

من الماء

من الماء والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا لا يطوي بطنه لجاره ولا يوثر اخاه
بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم وقال سهل لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المومن
منها حلالا لان اكل المومن عند ضرورة بقدر القوام فقط **الوظيفة الثانية** في وقت الاكل و
مقدار تاخيره وفيه ايضا درجات الدرجة العليا ان يطوي ثلاثة ايام فما فوقها وفي المريدين من
رد الرياضة الى البطن لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلاثين واربعين يوما وانتهى اليه
جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني وعبد الرحمن بن ابرهيم دحيم وابرهيم
التيمي وحجاج بن فرافصة وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير وسليمن الخواص
وقد كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة ايام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة ايام
وكان ابو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوي سبعا وروي ان الثوري وابرهيم بن ادهم كانا يطويان
ثلثا كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة وقال بعض العلماء من طوى اربعين يوما من الطعام
ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار الالهية وقد وقف بعض اهل هذه الطائفة
على راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك بكلام كثير
الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوي اربعين يوما وان ذلك معجزة لا يكون الا لنبي او صديق
فقال له الصوفي فان طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم انه حق
وانك على باطل قال نعم فقعد لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين فقال ازيدك ايضا فطوى
الى تمام الستين فتعجب الراهب منه وقال ما كنت اظن ان احدا يجاوز المسيح وكان ذلك
سبب اسلامه فهذه درجة عظيمة قلما يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن
طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وانساه جوعه وحاجته الدرجة الثانية ان يطوي
يومين الى ثلاث وليس ذلك خارجا عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول اليه بالجد والمجاهدة
الدرجة الثالثة وهي ادناها ان يقتصر في اليوم والليلة على اكلة واحدة وهذا هو الاقل وما
جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد
من السنة. روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تغدى لم يتعش
واذا تعشى لم يتغد وكان السلف ياكلون في كل يوم اكلة وقال صلى الله عليه وسلم لعايشة
رضي الله عنها اياك والاسراف فان اكلتين في يوم من السرف فكان اكلتين في كل يوم سرف
واكلة واحدة في يومين اقتار واكلة في يوم اقتصاد قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله
ومن اقتصر في اليوم على اكلة واحدة فيستحب ان ياكلها سحرا قبل طلوع الصبح فيكون اكله
بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ
المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته. وفي حديث
عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وان كان
ليقوم حتى تتورم قدماه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد اخر الفطر الى السحور. وفي حديث
عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان كان يلتفت قلب

الصايم بعد المغرب الى الطعام وكان يشغله عن حضور القلب في التهجد فالاولى ان يقسم طعامه
بنصفين ان كان رغيفين مثلا اكل رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويخف
عند التهجد بدنه ولا يشتد بالنهار جوعه لاجل تسحره فيستعين بالرغيف الاول على التهجد و
بالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما فلا باس ان ياكل يوم فطره وقت الظهر ويوم
صومه وقت السحر فهذه هي الطرق في مواقيت الاكل وتقاربه وتباعده **الوظيفة الثالثة**
في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام مخ البر فان نخل فهو غاية الترفه واوسطه شعير
منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل واوسطه
المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع عن الادام على الدوام بل
الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان واكله يقتضي ذلك بطرا في نفسه وقسوة
في قلبه وانسا لقلبه بلذات الدنيا حتى يالفها ويكره الموت ولقاء الله وتصير الدنيا جنة
في حقه فيكون الموت سجنا له واذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها
صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا اشتهت الافلات منها فيكون الموت اطلاقها واليه
اشار يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصادقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام
على قدر تجويع النفس وكل ما ذكرناه من آفات الشبع فانها تجري في اكل الشهوات وتناول اللذات
فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها
حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين ياكلون مخ الحنطة وهذا ليس بتحريم بل هو
مباح على ان من اكله مرة ومرتين لم يعص ومن دام عليه ايضا فلا يعصي بتناوله ولكن تتربى نفسه
بالنعيم وتانس بالدنيا وتالف اللذايذ وتسعى في طلبها فيجرها ذلك الى المعاصي فهم شرار الامة
لان مخ الحنطة يقودهم الى اقتحام امور تلك الامور معاص وقال صلى الله عليه وسلم شرار امتي
الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسادهم وانما همتهم الوان الطعام وانواع اللباس ويتشدقون
في الكلام واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذكر انك ساكن القبر فليمنعك ذلك كثيرا من الشهوات
وقال اشتد خوف السلف من تناول لذايذ الاطعمة وتمرين النفس عليها وراوا ان ذلك
علامة الشقاوة وراوا منع الله تعالى اياهم غاية السعادة حتى روي ان وهب بن منبه قال
التقى ملكان في السماء الرابعة فقال احدهما للآخر من اين فقال امرت بسوق حوت من البحر
اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله وقال الآخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وهذا
تنبيه على ان تيسير اسباب الشهوات ليست من علامات الخير ولهذا امتنع عمر من شرب
ماء بارد بعسل وقال اعزلوا عني حسابها فلا عبادة لله اعظم من مخالفة الشهوات وترك
اللذات كما اوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع ان ابن عمر كان مريضا فاشتهى سمكة
طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت بدرهم ونصف فشويت
وحملت اليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها وادفعها اليه فقال
له الغلام اصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها حتى وجدتها فاشتريتها بدرهم و

نصف فنحن نعطيه ثمنها فقال لفها وادفعها اليه فقال الغلام للسائل هل لك ان تاخذ درهما
وتترك السمكة فاخذها ووضعها بين يديه وقال قد اعطيته درهما واخذتها منه قال لفها وادفعها
اليه ولا تاخذ منه الدرهم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما امرئ اشتهى شهوة فرد
شهوته وآثر على نفسه غفر الله له وقال صلى الله عليه وسلم اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز
من ماء القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار اشار به الى ان المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره دون
التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر رضي الله عنه ان يزيد بن ابي سفيان ياكل انواع الطعام فقال عمر لمولى
له اذا علمت انه حضر عشاؤه فاعلمني فاعلمه فدخل عليه فقرب عشاؤه فجاء بثريد لحم فاكل عمر
معه ثم قرب الشواء وبسط يده وكف عمر يده وقال الله الله يا يزيد بن ابي سفيان اطعام
بعد طعام والذي نفس عمر بيده ان خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم وعن يسار
بن عمير قال ما نخلت لعمر دقيقا قط الا وانا له عاص وروي ان عتبة الغلام كان يعجن دقيقه
ويجففه في الشمس ثم ياكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيا في الدار الآخرة الشواء والطعام الطيب و
كان ياخذ الكوز فيغرف من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة لو اعطيتني دقيقك
فخبزته لك وبردت لك الماء فيقول لها يا ام فلان قد سددت عني كلب الجوع وروي عن
مالك بن دينار انه بقي اربعين سنة يشتهي لبنا فلم ياكله واهدي اليه يوما رطب فدار وه
في اكله فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ اربعين سنة وقال احمد بن ابي الحواري اشتهى
ابو سليمن الداراني رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف واقبل يبكي و
قال عجلت الي شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فاقلني قال احمد
فما رايته اكل الملح حتى لقي الله وقال مالك بن ضيغم مررت على سوق البصرة فنظرت الى البقل
فقالت نفسي لو اطعمتني الليلة من هذا فاقسمت الا اطعمها اياه اربعين ليلة ومكث مالك
بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما اكل رطبة لاهل البصرة ولا بسرة قط وقال يا اهل البصرة
عشت فيكم خمسين فما اكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص مني ولا نقص مني ما زاد فيكم و
قال مالك بن دينار طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي لبنا منذ اربعين سنة
فوالله لا اطعمتها حتى الحق بالله وقال حماد بن ابي حنيفة اتيت داود الطائي والباب عليه مغلق
فسمعته يقول اشتهيت جزرا ثم اشتهيت تمرا فآليت الا تاكليه ابدا فسلمت ودخلت فاذا
هو وحده ومر ابو حازم بالسوق فراى فيه من الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا من هذه
الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما
اشتراها واتى بها قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتهيت وغلبتني حتى اشتريت
والله لا ذقتيه فبعث به الى يتامى من الفقراء وعن موسى الاشج انه قال نفسي تشتهي ملحا جريشا
منذ عشرين سنة وعن احمد بن ابي خليفة قال نفسي منذ عشرين سنة ما تطلب مني الا الماء
حتى تروى ما رويتها وروي ان عتبة الغلام اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك
قال قد استحييت من نفسي ان ادفعها منذ سبع سنين سنة سنة فاشترى قطعة لحم على

خبز وشواء فلقي صبيًا فقال الست انت ابن فلان وقد مات ابوك قال بلى فناوله اياه وقيل
يبكي ويقول ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ولم يذقه بعد ذلك . ومكث
عتبة الغلام يشتهي تمرًا سنين فلما ان كان ذات ليلة اشترى بقيراط ورفعه حتى يفطر
عليه قال فهبت ريح واظلمت الدنيا ففزع الناس فقال عتبة هذا لجرأتي عليك وشرائي التمر
بالقيراط وقال لنفسه ما اظن اخذوا الا بذنبك علي ان لا اذوقه وترك التمر . واشترى
داود الطائي بنصف فلس بقلا وبفلس خلا فاقبل ليلته يقول ويلك يا داود ما اطول
حسابك يوم القيمة ولم يكن ياكل الا قفارا وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد ان فلانا
يصف من قلبه منزلة ما اعرفها قال لانك تاكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيئا فقال
ان انا تركت اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له بعض اصحابه ابكى الله
عينك اتبكي على التمر فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك واذا ترك
شيئا لم يعد فيه ابدا وقال جعفر بن نصير امرني الجنيد ان اشترى له التين الوزيري فاشتريته
فلما افطر اخذ واحدة ووضعها في فمه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف
في قلبي اما تستحي تركتها من اجلي ثم تعود اليها وقال صالح المري قلت لعطاء السلمي اني
متكلف لك شيئا فلا ترد على كرامتي قال افعل ما تريد فبعثت اليه مع ولدي شربة من سويق
قد لتته بسمن وعسل وقلت له لا تبرح حتى يشربها فشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها
فردها ولم يشربها فاتيته ولمته وقلت سبحان الله رددت علي كرامتي فلما راى وجدي لذلك
قال لا يسوءك هذا اني قد شربتها اول مرة وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم اقدر
على ذلك كلما اردت ذلك ذكرت قول الله عز وجل يتجرعه ولا يكاد يسيغه وياتيه الموت من كل مكان
وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال صالح فبكيت وقلت في نفسي انا في واد وانت
في آخر وقال السري نفسي تطالبني منذ ثلثين سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها وقال
ابو بكر الجلا اعرف انسانا تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني
بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اتركي هذه الشهوة و
روي ان عابدا دعا بعض اخوانه فقرب اليه رغفانا فجعل اخوه يقلب بعض الارغفة ليختار
اجودها فقال له العابد مه اي شيء تصنع اما علمت ان في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا
حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانعا حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي
يسقي الارض والرياح والارض والبهائم وبنو آدم حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه ولا ترضى
به وفي الخبر لا يستدير الخبز الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا
اولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التي تزجر السحاب والشمس والقمر و
الافلاك وملائكة الهواء ودواب الارض وآخر ذلك الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وقال بعضهم اتيت قاسما الجوعي فسالته عن الزهد اي شيء هو فقال اي شيء سمعت
فيه فعددت اقوالا فسكت فقلت اي شيء تقول فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبقدر

مايملك

مايملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا . وكان بشر الحارث
قد اعتل فسال عبد الرحمن المتطبب عن شيء يوافقه من الماكول فقال تسالني فاذا وصفت لك
لم تقبل مني قال بشر فصف لي حتى اسمع فقال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل
بعد ذلك سفيذباجا فقال له بشر تعلم شيئا اقل من السكنجبين ثمنا يقوم مقامه قال لا قال
انا اعرف قال ما هو قال الهندبا بالخل ثم قال تعرف شيئا اقل من السفرجل قال لا قال انا اعرف
هو الخرنوب الشامي قال فتعرف شيئا اقل ثمنا من الاسفيذباج فيقوم مقامه قال لا قال
انا اعرف ماء الحمص بسمن البقر في معناه فقال عبد الرحمن فانت اعلم مني بالطب فلم تسالني
فقد عرفت ان هولاء كيف امتنعوا من اكل الشهوات من الشبع من الاقوات وكان
امتناعهم للفوائد التي ذكرناها في بعض الاوقات لانه كان لا يصفو لهم حلال فلم يرخصوا انفسهم
الا في قدر الضرورة والشهوات ليست من الضرورات حتى قال ابو سليمن الملح شهوة لانه زيادة
على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذه هي النهاية فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل عن
نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان ياكل كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه
فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي رضي الله عنه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم
عليه اربعين يوما قسا قلبه وقيل ان للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر ومهما كان جائعا
وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فيقوى عليه وربما
طلبت النفس الاكل لتنبسط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد
الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل او ليجلس فيذكر الله تعالى فانه اقرب الى الشكر و
في الحديث اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم واقل ذلك
ان يصلي اربع ركعات او يسبح مائة تسبيحة او يقرا جزءا من القران عقيبه كل اكلة . وكان
سفين الثوري اذا شبع ليلة احياها واذا شبع في يوم واصله بالصلوة والذكر وكان
يقول اشبع الزنجي وكده ومرة يقول اشبع الحمار وكده ومهما اشتهى شيئا من طيبات
الفواكه فينبغي ان يترك الخبز وياكله بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون تفكها لئلا يجمع للنفس
بين عادة وشهوة . ونظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابدا بالتمر فان
قامت كفايتك به والا اخذت من الخبز بعده حاجتك . ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا
فليقدم الطيب فانه لا يشتهي الغليظ بعده ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطفه و
كان بعضهم يقول لاصحابه لا تاكلوا الشهوات فان اكلتم فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا
تحبوها وطلب بعض انواع الخبز شهوة قال ابن عمر ما تاتينا من العراق فاكهة احب
الينا من الخبز فراى ذلك الخبز فاكهة وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال الشهوات في المباحات
واتباعها بكل حال وبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى ان يقال له اذهبتم طيباتكم في
حيوتكم الدنيا وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوة يتمتع في الاخرة بشهواته قال بعض
اهل البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها فاشتدت مجاهدتي

لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رايته في المنام فقلت ما ذا فعل الله بك فقال لا احسن اصف لك ما تلقاني به ربي عز وجل من النعيم والكرامة وكان اول شي لقيني به جزار زو سمك فقال كل شهوتك اليوم هنيئا بغير حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وكانوا اسلفوا ترك الشهوات ولهذا قال ابو سليمن ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس

اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوسطها وكلا طرفي الامور ذميم وما اوردناه في فضائل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من اسرار حكمة الله تعالى في الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان والعالم يدرك ان المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فان اسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع ايضا ما يدل على اساءته كما ان الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يوثر فيه اصلا فان مقصود الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع من العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منه فالمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة فانهم متقدسون عن ثقل الطعام وعن الم الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم واذا لم يكن للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الادمي البعد عن هذه الاطراف المتقابلة بالرجوع الى الوسط مثال نملة القيت في وسط حلقة محماة على النار مطروحة على الارض فان النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط ولو ماتت ماتت على الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة فكذلك الشهوات محيطة بالانسان احاطة تلك الحلقة والملائكة خارجون عن الحلقة ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد ان يتشبه بالملائكة في الخلاص فاشبه احواله بهم البعد وابعد المواضع عن الاطراف الوسط فصار الوسط مطلوبا واليه اشار بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما في بداية الامر اذا كانت النفس جموحا متشوقة الى الشهوات مائلة الى الافراط فالاعتدال لا ينفعها

بل لا بد من المبالغة في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت رجع الى الاعتدال وترك تعذيبها وايلامها وعن هذا السر يامر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه في نفسه فيامره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات وقد لا يمتنع منها لانه قد فرغ عن تاديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب احوال النفس الشره والشهوة والجماح عن العبادة كان الاصلح الجوع الذي يحس بالمه في اكثر الاحوال لينكسر والمقصود ان ينكسر حتى تعتدل فيرد بعد ذلك في الغذاء الى الاعتدال فانما يمتنع عن ملازمة الجوع من سالكي طريق الآخرة اما صديق او مغرور احمق اما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور فلظنه بنفسه انه الصديق المستغني عن تاديب نفسه الظان بنفسه خيرا وهو غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما تتادب تادبا كاملا وكثيرا ما يغتر فينظر الى الصديق ومسامحته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر الى من صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة حتى يهلك والذي يدل على ان تقدير الطعام بمقدار يسير وفي وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصودا في نفسه وانما هو مجاهدة نفس متباعدة عن الحق غير بالغة رتبة الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتاقيت لطعامه قالت عايشة كان صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان يدخل على اهله فيقول هل عندكم من شي فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذا صائم وقد كان يقدم اليه الشي فيقول اما اني كنت اردت الصوم ثم ياكل وخرج صلى الله عليه وسلم يوما فقال اني صائم فقالت عايشة قد اهدي الينا حيس فقال كنت اردت الصوم ولكن قربيه وكذلك حكي ان سهلا قيل له كيف كنت في بدايتك فاخبر بضروب من الرياضات منها انه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه اكل دقاق التبن ثلاث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له فكيف انت في وقتك فقال اكل بلا حد وتوقيت وليس المراد بقوله بلا حد اني اكل كثيرا اي لا اقدر بمقدار او جد ما اكله وقد كان معروف الكرخي تهدى اليه طيبات الطعام فياكل فيقال له ان اخاك بشرا لا ياكل من هذا فيقول اخي بشر قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت ما لي وللاعتراض والتمييز ودفع ابرهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم فقال خذ لنا بهذه الدراهم زبدا وعسلا وخبزا حواري فقال يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح ذات يوم طعاما فاكثر ودعا نفرا يسيرا فيهم الاوزاعي فقال الثوري اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في اللباس والاثاث فالذي ياخذ العلم من النقل والسماع تقليدا يرى هذا من ابرهيم بن ادهم ويسمع من مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح بيتي منذ عشرين سنة وعن سري السقطي انه منذ اربعين سنة

اشتهى ان اغمس جزرة في دبس فلم افعل فبراه متناقضا او يتحير او يقطع بان احدهما مخطئ والبصير
باسرار العلم يعلم ان كل ذلك حق ولكن بالاضافة الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفة يسمعها
فطن محتاط او غبي مغرور فيقول المحتاط ما انا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فليس نفسي اطوع
من نفس سري السقطي ومالك بن دينار وهولاء من الممتنعين عن الشهوات فيقتدي بهم والمغرور
يقول وما نفسي باعصى علي من نفس معروف الكرخي وابرهيم بن ادهم وارفع القدير عن ما كولي فانا
ايضا ضيف في دار مولاي فما لي والاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه او في توقيره او في ماله وجاهه
بتطريفه قامت القيمة عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل دفع التقدير
في الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر من مشكوة الولاية او النبوة فيكون بينه وبين
الله علامة في استرساله وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية
حتى يكون اكله اذا اكل على نية كما يكون امساكه على نية فيكون عاملا لله في اكله وافطاره فينبغي ان
يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل وياكله ثم لم يقس نفسه
عليه بل لما عرض عليه ماء مبرد بالعسل جعل يدير الاناء في كفه فيقول اشربها فيذهب حلاوتها
وتبقى تبعتها اعزل عني حسابها وتركها وهذه اسرار لا ينبغي ان يكاشف الشيخ بها مريده بل
يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال فانه يقتصر لا محالة عما يدعوه اليه فينبغي ان يدعوه
الى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغني عن الرياضة فان الشيطان
يجد متعلقا من قلبه فيلقي اليه كل ساعة انك عارف كامل وما الذي فاتك من المعرفة والكمال بل كان
من عادة ابرهيم الخواص ان يخوض مع المريد في كل رياضة كان يامره بها كيلا يخطر بباله ان الشيخ
لم يامره بما لا يفعله ويفتره ذلك في رياضته والقوي اذا اشتغل بالرياضة واصلاح الغير لزمه
التنزول الى حد الضعفاء تشبها بهم وتلطفا في سياقهم الى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للانبياء
والاولياء واذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي ان لا يترك في كل
حال ولذلك ادب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده ياكل لحما ماد وما بسمن
فعلاه بالدرة وقال لا ام لك كل يوما خبزا ويوما خبزا وزيتا ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا
وسمنا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم والشهوات
فافراط واسراف ومهاجرة اللحم اقتار وهذا قوام بين ذلك

بيان آفة الرياء المتطرق الى من يترك اكل الشهوات او يقلل الاكل

اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما اعظم من اكل
الشهوات **احديهما** ان لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد ان يعرف
انه يشتهيها فيخفي الشهوة وياكل في الخلوة ما لا ياكله في الجماعة وهذا هو الشرك الخفي سئل بعض
العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل تعلم به باسا فقال ياكل في الخلوة ما لا ياكل في الجماعة وهذه
آفة عظيمة بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوات وحبها ان يظهرها فان هذا صدق الحال وهو بدل
عن فوات المجاهدة بالاعمال فان اخفاء النقص واظهار ضده من الكمال هو نقصان متضاعف و
الكذب مع الاخفاء كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين

وقيل ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار لان الكافر كفر واظهر وهذا كفر وستر فكان
ستره لكفره كفرا آخر لانه استخف بنظر الله الى قلبه وعظم عين المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره فالعارفون
يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالرياء والغش والاخفاء بل كمال العارف ان يترك الشهوات
لله ويظهر من نفسه الشهوات اسقاطا لمنزلته عن قلوب الناس وقد كان بعضهم يشتري
الشهوات ويعلقها في بيته وهو فيها من الزاهدين وكن يبتغي بها تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب
الغافلين حتى لا يشوشوا عليه حاله فنهاية الزهد الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين
فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كاس
الصبر مرتين مرة بشربه ومرة بقذفه فلا جرم اوليك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا وهذا
يضاهي طريق من ياخذ ما يعطى جهرا ويرده سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا
فلا ينبغي ان يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي ان يغره قول الشيطان انك اذا
اظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك لانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح نفسه
اهم له من غيره فهو انما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان في معرض اصلاح غيره ولذلك يثقل عليه
ظهور ذلك منه وان علم ان من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل او لا ينزجر باعتقاده انه تارك للشهوات

الآفة الثانية ان يقدر على ترك الشهوة ولكن يفرح ان يعرف به ويشتهر بالتعفف عن الشهوات
فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وذلك هي
الشهوة الخفية فمهما احس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة اهم من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو
اولى له قال ابو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيا يسيرا
ولا تعط نفسك مناها فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت على نفسك اذ لم
تعطها شهوتها وقال جعفر بن محمد الصادق اذا اقدمت الى شهوة نظرت الى نفسي فان اظهرت
شهوتها اطعمتها منها وكان ذلك افضل من منعها فان اخفت شهوتها واظهرت العزوف
عنها عاقبتها بالترك ولم انلها منها شيا وهذه طريقة في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية
وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان
شهوة الرياء اضر كثيرا من شهوة الطعام

القول في شهوة الفرج

اعلم ان شهوة
الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين احديهما ان يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فان لذة
الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والمها اعظم آلام الجسد والترغيب و
الترهيب يسوق الخلق الى سعادتهم وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة مدركة فان ما لم يدرك بالذوق
لا يعظم اليه الشوق **الفائدة الثانية** بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فايدتها ولكن فيها
من الآفة ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط ولم تقهر ولم ترد الى حد الاعتدال وقد قيل في قوله تعالى ولا
تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس في قوله ومن شر غاسق اذا وقب هو قيام الذكر و
قد اسند بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل
اذا قام الذكر على الرجل ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول اعوذ بك من شر سمعي وبصري

وقلبي ومنيتي. وقال النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطنة على الرجال وروي ان موسى عليه السلام كان جالسا في بعض مجالسه اذ اقبل ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم اتاه فقال السلام عليك فقال موسى من انت قال انا ابليس قال فلا حياك الله ما جاء بك قال جئت لاسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانك منه قال فما الذي رايت عليك قال به اختطف قلوب بني آدم قال فما الذي صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلثا لا تخل بامراة فانه ما خلا رجل بامراة لا تحل له الا كنت صاحبه حتى افتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبها دون اصحابي حتى احول بينه وبين الوفاء بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني آدم وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شيء اخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة واروح وقال بعضهم ان الشيطان قال للمراة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطي وانت موضع سري وانت رسولي في حاجتي فنصف جندي الشهوة ونصف جندي الغضب واعظم الشهوة شهوة النساء وهذه الشهوة ايضا لها افراط وتفريط واعتدال فالافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى التمتع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي افراطها بطائفة الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا ما يقوي شهوتهم للاستكثار الوقاع كما قد يتناول بعض الناس ادوية تقوي المعدة لتعظم شهوتها للطعام وما مثال ذلك الا كمن بلي بسباع ضارية وبهائم عادية فينام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص **فان قلت** فقد روي في غرائب الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال شكوت الى جبرئيل ضعف الوقاع فامرني بالهريسة **فاعلم** انه كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالاشباع وحرم على غيره نكاحهن وان طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتمتع **والامر الثاني** انه قد ينتهي بهذه الشهوة ببعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له الوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع وهي اقبح الشهوات واجدرها بان يستحيى منه حتى اعتقد ان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي الشهوة اين اتفق فيكتفي به وهذا لا يكتفي الا بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى عبودية وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا لاجله وما العشق الا مبعثه افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا هم له وانما يجب الاحتراز من اوائله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق الجاه والمال والعقار والاولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد تستولي على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر العشق في اول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب ليدخله وما اهون منعها بصرف

عنانها

عنانها ومثال علاجها بعد استحكامها ان تترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم ياخذ بذنبها ويجرها الى وراء وما اعظم التفاوت بين الامرين في العسر واليسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور فاما اواخرها فلا تقبل العلاج الا بجهد شديد يكاد يوازي نزع النفس فاذن افراط الشهوة ان تغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة او بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو ايضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ومهما افرطت فكسرها بالجوع وبالنكاح قال صلى الله عليه وسلم معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء

بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله اعلم ان المريد في ابتداء امره لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزويج فان ذلك شغل يمنعه عن السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تع فلا يقاس الملائكة بالحدادين ولذلك قال ابو سليمان الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا وقال ما رايت مريدا تزوج فثبت على ما كان وقيل له ما احوجك الى امراة تستانس بها فقال لا آنسني الله بها اي الانس بها يمنع الانس بالله وقال ايضا ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم وكيف يقاس غير رسول الله به وكان استغراقه بحب الله بحيث كان يخاف احتراقه فيه الى حد كان يخشى في بعض الاحوال ان يسري ذلك الى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب يده على فخذ عايشة احيانا ويقول كلميني يا عايشة ليشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه فقد كان طبعه الانس بالله وكان انسه بالخلق عارضا رفقا
ظ صدره ببدنه ثم كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق صبره قال ارحنا يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ احواله في مثل هذا فهو مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على اسرار افعاله فشرط المريد العزوبة في الابتداء الى ان يقوى في المعرفة هذا اذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى لتسكن الشهوة والا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ قلبه وتتفرق همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبائر الصغائر وهي تؤدي على قرب الى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقال سعيد بن جبير انما جاءت فتنة داود من اجل النظرة وقال داود لابنه عليهما السلام يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المراة وقيل ليحيى بن زكريا ما بدء الزنا قال النظر والتمني وقال الفضيل يقول ابليس هي قوسي القديمة وسهمي الذي لا اخطي به يعني النظرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في القلب وقال صلعم ما تركت بعدي فتنة اضر على الرجال من النساء وقال اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان اول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء وقال تع قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم الآية والآية وقال صلى الله عليه وسلم لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان

وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبل والقلب يهم او يتمنى ويصدق
ذلك الفرج ويكذبه وقالت ام سلمة استاذن ابن ام مكتوم الاعمى وانا وميمونة جالستان فقال صلى الله
عليه وسلم احتجبا فقلنا اليس باعمى لا يبصر فقال وانتما لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنساء
مجالسة العميان كما جرت العادات في المآتم والولايم فيحرم على الاعمى الخلوة بالنساء ويحرم على المراة
مجالسة الاعمى وتحديق النظر اليه بغير حاجة وانما جوز للنساء محادثة الرجال والنظر اليهم لاجل عموم
الحاجة فان قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظه عن الصبيان فالنكاح اولى به فان
الشر في الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى امراة امكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر
الى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتاثر قلبه بجمال صورة الامرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين
الملتحي لم يحل له النظر فان قلت كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل
وجوه الصبيان مكشوفة قلت لست اعني تفرقة العين فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقة كادراكه
التفرقة بين شجرة خضراء ويابسة وماء صاف وماء كدر وشجرة عليها ازهارها وانوارها وشجرة
تساقطت اوراقها فانه يميل الى احدهما بعينه وطبعه ولكن ميلا خاليا عن الشهوة ولذلك
لا يشتهي ملامسة الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي وكذلك الشيبة الحسنة
قد تميل العين اليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف
ذلك بميل النفس الى القرب والملامسة فمهما وجد ذلك الميل في قلبه فادرك تفرقة بين الوجه الجميل
وبين النبات الحسن والاثواب المنقوشة والسقوف المزخرفة فنظره نظر شهوة وهو حرام وهذا
مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون قال بعض التابعين
ما انا باخوف على الشاب الناسك من سبع ضاري وهو غلام امرد يجلس اليه وقال سفين لو ان رجلا
عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجليه يريد الشهوة لكان لواطا وعن بعض السلف قال سيكون
في هذه الامة ثلاثة اصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون فاذا
النظر الى الاحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له ان يكسر شهوته
بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع قال بعضهم غلبت علي شهوتي في بدو ارادتي بما لم
اطق فاكثرت الضجيج الى الله تعالى فرايت شخصا في المنام فقال ما لك فشكوت اليه فقال تقدم الي
فتقدمت فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فاصبحت وقد
زال ما بي وبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فجاءني شخص في المنام
فقال اتحب ان يذهب ما تجد واضرب عنقك قلت نعم قال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا
من نور وضرب بها عنقي فاصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني واشد منه
فرايت شخصا يخاطبني فيما بين صدري وجنبي ويقول ويحك كم تسال الله تعالى رفع ما لا يحب رفعه
قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي ان يترك شرط
الارادة في ابتداء النكاح ودوامه اما في ابتدايه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق
وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما ذكرنا جميع ذلك في آداب النكاح فلا نطول باعادته

والمبارزة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية قال بعضهم من تزوج
غنية كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمة وكثرة النفقة
واذا اراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقد قال بعضهم ينبغي
ان تكون المراة دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان
تكون فوقه باربع بالجمال والادب والخلق والورع وعلامة صدق الورع الارادة في دوام النكاح
الخلق تزوج بعض المريدين امراة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المراة وشكت الى الاب وقالت قد
تحيرت في هذا الرجل انا في منزله منذ سنين ما ذهبت الى الخلاء قط الا وحمل الماء قبلي اليه وتزوج
بعضهم امراة ذات جمال فلما قرب الزفاف اصاب المراة الجدري فاشتد حزنهم لذلك خوفا
من ان يستقبحها فاراهم الرجل ان به رمدا ثم اظهر ان بصره ذهب حتى زفت المراة اليه وزال عن
اهلها ذلك الحزن فبقيت معه عشرين سنة ثم توفيت ففتح عينيه فقيل له في ذلك فقال
تعمدت لاجل اهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اصحابك بهذا الخلق وتزوج بعض الصوفية
امراة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها فقال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر
على خلقها فيتاذى فان نكح المريد فهكذا ينبغي ان يكون وان قدر على الترك فهو له اولى اذا لم
يمكنه الجمع اذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك يشغله عن حاله
كما روي ان محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك غلة ثمانين الف درهم في كل يوم ثم كتب الى اهل البصرة
وعلمايهم في امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة رحمها الله فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فان الله عز وجل قد ملكني من غلة الدنيا في كل يوم ثمانين الف درهم وليس تمضي الايام والليالي
حتى اتممها ماية الف وانا اصير لك مثلها ومثلها فاجيبيني فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فان الزهد في الدنيا راحة البدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا اتاك
كتابي هذا فهيئ زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال اوصياءك فيقتسموا
تراثك وصم الدهر واجعل فطرك الموت واما انا فلو ان الله عز وجل خولني امثال الذي خولك
واضعافه ما سرني ان اشتغل عن الله طرفة عين وهذه اشارة الى ان كل ما شغل عن الله تعالى فهو
نقصان فلينظر المريد الى حاله وقلبه فان وجده في العزوبة فهو الاقرب وان عجز فالنكاح اولى به فدواء
هذه الشهوات ثلاث الجوع وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان لم ينفع هذه
الثلاثة فالنكاح هو الذي يستاصل مادتها فقط وهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى
تزويج البنات قال سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من شي الا اتاه من قبل النساء و
قال سعيد وهو ابن اربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما
شي اخوف عندي من النساء وعن ابي وداعة قال كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني
اياما فلما جيته قال اين كنت قلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال الا اخبرتنا فشهدناها
قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت امراة فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما املك
الا درهمين او ثلاثة فقال انا فقلت وتفعل قال نعم فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح فصرت الى منزلي وجعلت اتفكر ممن

آخذ ومن استدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي واسترحت وكنت صايما فقدمت عشائي
افطر وكان خبزا وزيتا فاذا بابي يقرع فقلت من هذا قال سعيد فافكرت في كل انسان
اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فانه لم ير اربعين سنة الا بين بيته والمسجد فقمت فخرجت
فاذا سعيد بن المسيب فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد الا ارسلت الي فآتيك قال لا انت
احق ان تؤتى قلت بما تامر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت ان ابيتك الليلة وحدك
وهذه امراتك فاذا هي قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت
المراة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمت الى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها
في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت الى السطح فرميت الجيران فجاؤني فقالوا ما شانك فقلت
ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا سعيد زوجك قلت
نعم وها هي في الدار قال فنزلوا اليها وبلغ امي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها
قبل ان اصلحها الى ثلاثة ايام قال فاقمت ثلثا ثم دخلت بها فاذا هي من اجمل الناس واذا هي احفظ
الناس لكتاب الله واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت
شهرا لا ياتيني سعيد ولا آتيه فلما قرب الشهر اتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي
السلام ولم يكلمني حتى تفرق اهل المجلس فقال ما حال ذلك الانسان قلت خيرا يا ابا محمد على ما يحب الصديق
ويكره العدو فقال ان رابك شيء فالعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين الف درهم قال
عبد الله بن سليمن وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد
عبد الملك حين ولاه العهد فابى سعيد ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه
مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء والبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في الزفاف
في تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين الى تطفية نارها بالنكاح

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين اعلم ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على
الانسان واعصاها عند الهيجان على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه
وامتناع اكثر الناس عن مقتضاها اما لعجز او لخوف او لحياء او لمحافظة على حشمة وليس في شيء من
ذلك ثواب فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة ان لا يقدر فيي هذه
العوائق فائدة وهو دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل
والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما عند
صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم فمات
فهو شهيد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله وعد
منهم رجلا دعته امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين وقصة
يوسف وامتناعه عن زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة وقد اثنى الله تع عليه بذلك في كتابه
وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة روي ان سليمن بن يسار كان
من احسن الناس وجها فدخلت عليه امراة فسالته نفسه فامتنع عليها وخرج هاربا عن منزله

وتركها فيه قال سليمن فرايت في المنام يوسف عليه السلم وكنت اقول له انت يوسف قال نعم
انا يوسف الذي هممت وانت سليمن الذي لم تهم اشار به الى قوله تع ولقد همت به وهم بها
لولا ان راى برهان ربه وعن سليمن ايضا ما هو اعجب منه وهو انه خرج حاجا من المدينة ومعه رفيق
له حتى نزلوا بالابواء فقام رفيقه واخذ السفرة وانطلق الى السوق يبتاع شيا وقعد سليمن في الخيمة
وكان من اجمل الناس وجها واورع الناس فبصرت به اعرابية من قلة الجبل فلما رات جماله و
حسنه انحدرت وعليها البرقع والقفازان فجاءت ووقفت بين يديه فاسفرت عن وجه لها كانه
فلقة قمر فقالت اهنئني فظن انها تريد طعاما فقام الى فضل السفرة ليعطيها فقالت لست
اريد هذا انما اريد ما يكون من الرجل لاهله فقال جهزك الي ابليس ثم وضع راسه بين كميه و
اخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رات ذلك سدلت البرقع على وجهها ورفعت رجليها حتى رجعت
الى خيمتها فجاء رفيقه فراه وقد انتفخت عيناه من البكاء فانقطع حلقه قال ما يبكيك قال خير
ذكرت صبيتي فقال لا الا ان لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلاث او نحوها فلم يزل به
رفيقه حتى اخبره بشان الاعرابية فوضع السفرة وجعل يبكي بكاء شديدا فقال له سليمن و
انت ما يبكيك قال انا احق بالبكاء منك لاني اخشى ان لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا
يبكيان فلما انتهى سليمن الى مكة وطاف وسعى اتى الحجر واحتبى بثوبه فنعس فاذا رجل وسيم جميل
طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمن من انت رحمك الله قال انا يوسف
فقال يوسف الصديق قال نعم قال ان في شانك وشان امراة العزيز لشانا عجيبا فقال له
يوسف شانك وشان صاحبة الابواء اعجب وروي عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى اذا اهموا المبيت الى غار فدخلوه
فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا ان الله لا ينجيكم من هذه الصخرة الا
ان تدعوا الله بصالح اعمالكم قال رجل منهم اللهم كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق
قبلهما اهلا ولا مالا ولا غنما فناى بي طلب الشجر يوما فلم ابرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما
فوجدتهما نائمين فكرهت ان اغبق قبلهما اهلا ومالا فلبثت والقدح في يدي انتظر
استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم
ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا
لا يستطيعون الخروج وقال الآخر اللهم كانت لي ابنة عم كانت احب الناس الي
فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة
وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا احل لك
ان تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت
الذهب الذي اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه
فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج عنها وقال الثالث اللهم استاجرت اجراء
واعطيتهم اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجره حتى كثرت منه الاموال فجاءني

بعد حين فقال يا عبد الله هات اجري فقلت كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فهذا افضل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف ويقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان النظر مبدأ الزنا فحفظه مهم وهو عسير من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه والآفات كلها تنشأ منه والنظرة الاولى اذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها قال صلى الله عليه وسلم الاولى لك وعليك الثانية اي النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك رداء المراة فان النظر يجعل في القلب شهوة وقلما يخلو الانسان في ترددانه عن وقوع البصر على النساء والصبيان ومهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر على نفسه ان هذه المعاودة عين الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول ولا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يتلذذ ويأثم لانه قصد التلذذ فقد فعل ما اليه فلا يخلو في كلا حالتيه عن معصية وعن تألم وتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات وان اخطأ عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق ، روي عن بكر بن عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها اهلها الى حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل لانا اشد حبا لك منك لي ولكني اخاف الله قال فانت تخافينه وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى كاد ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبياء بني اسرائيل فساله فقال ما لك فقال العطش فقال تعال حتى ندعو حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال ما لي من عمل فادعو قال فانا ادعو وامن انت فدعا الرسول وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة معه فقال له زعمت ان ليس لك عمل وانا الذي دعوت وانت الذي امنت فاظلتنا سحابة وقد تبعتك لتخبرني بامرك فاخبره فقال الرسول ان التائب من الله بمكان ليس احد من الناس بمكانه ، وعن احمد بن سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم المسجد الجامع لا يكاد يخلو منه وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امراة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال ذلك فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها قال فاطرق مليا وقال لها هذا موقف تهمة وانا اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن معاذ الله ان يتشوف العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان القليل من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد في مثال القوارير ادنى شيء يعيبه وجملة ما اكلمك به ان جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في امري وامرك قال فمضى الشاب الى منزله واراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله فاذا بالمراة واقفة في موضعها فالقى اليها الكتاب ورجع الى منزله وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المراة ان الله تبارك وتعالى اذا عصي حلم فاذا عاد العبد في المعصية ستره الله فاذا

لبس لها ملابسها غضب الله عز وجل غضبة تضيق منها السموات والارض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم فاني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان كان ما ذكرت حقا فاني ادلك على طبيب هدى يداوي الكلوم الممرضة والاوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه على صدق المسألة فاني متشاغل عنك بقوله تعالى وانذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاين المهرب من هذه الآية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على طريقه فلما رآها من بعيد اراد الرجوع الى منزله لئلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا ابدا الا بين يدي الله عز وجل وبكت بكاء كثيرا وقالت اسال الله الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم تبعته فقالت امنن علي بموعظة احملها واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك من نفسك واذكرك قوله عز وجل وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال فاطرقت وبكت بكاء اشد من بكائها الاول ثم افاقت ولزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدا فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي عليها فيقال له مم بكاؤك وانت قد ايستها فيقول اني قطعت طمعها مني في اول امرها وجعلت قطعها ذخيرة لي عند الله عز وجل وانا استحيي من الله عز وجل ان استرد ذخيرة ادخرتها عنده ، تم كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج والحمد لله رب العالمين ه

كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله ، والهمه نور الايمان فزينه وجمله ، وعلمه البيان فقدمه وفضله ، وافاض على قلبه خزائن العلوم فاكمله ، ثم ارسل عليه سترا من رحمته واسبله ، ثم امده بلسان يترجم به عما حواه القلب وتعقله ، ويكشف عنه ستره الذي ارسله ، فاطلق بالحمد مقوله ، وافصح بالشكر عما اولاه وخوله ، من علم حصله ونطق سهله ، ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده الذي اكرمه وبجله ، ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله ، واي فضله ودين سبله ، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ومن قبله ، ما كبر لله عبد وهلله ، وبعد فان اللسان من نعم الله العظيمة ، ولطائف صنعه الغريبة ، فانه صغير جرمه ، وعظيم طاعته وجرمه اذ لا يستبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان ، وهما غاية الطاعة والطغيان ، ثم انه ما من موجود ومعدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي فان كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في سائر الاعضاء فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا سائر الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد

ولا لمجاله منتهى وحد فله في الخير مجال رحب وله في الشر مجرى سحب فمن اطلق عذبة اللسان
واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان
يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم ولا ينجي من شر اللسان الا ان
يقيد بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفع في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غايلته في عاجله و
آجله وعلم ما يحمد فيه اطلاق اللسان ويذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل
عسير واعصى الاعضاء على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مونة في اطلاقه وقد تساهل الخلق
في الاحتراز عن آفاته وغوايله والحذر من مصايده وحبايله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان
ونحن بتوفيق الله وحسن تيسيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة مهيجة بحدودها و
اسبابها وغوايلها ونعرف طريق الاحتراز منها ونورد ما ورد من الاخبار والآثار في ذمها فنذكر
اولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعنيك ثم آفة فضول الكلام ثم آفة الخوض في الباطل
ثم آفة المراء والمجادلة ثم آفة الخصومة ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة
والتصنع فيه وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة ثم آفة الفحش والسب وبذاء
اللسان ثم آفة اللعن اما لحيوان او لجماد او لانسان ثم آفة الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب
السماع ما يحرم وما يحل فلا نعيده ثم آفة المزاح ثم آفة السخرية والاستهزاء ثم آفة افشاء السر
ثم آفة الوعد الكاذب ثم آفة الكذب في القول واليمين ثم آفة الغيبة ثم آفة النميمة ثم آفة ذي اللسانين
الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه ثم آفة المدح ثم آفة الغفلة عن دقايق
الخطا في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين ثم آفة السوال اعني
سوال العوام عن صفات الله وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او محدثة وهي تمام الآفات و
هي عشرون آفة **بيان عظم خطر اللسان وفضيلة الصمت** اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا
نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم من
صمت نجا وقال ايضا الصمت حكم وقليل فاعله اي هو حكمة وحزم وروى عبد الله بن سفين
عن ابيه قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام بامر لا اسال عنه احدا بعدك قال قل آمنت
بالله ثم استقم قلت فما اتقي فاومى بيده الى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما
النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتوكل لي بما بين لحييه ورجليه اتوكل له بالجنة وقال صلى الله عليه و
سلم من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج و
اللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلثة بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات
اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
اكثر ما يدخل الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسيل عن اكثر ما يدخل النار قال الاجوفان
الفم والفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم آفة اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد البطن لانه
منفذه وقال معاذ قلت يا رسول الله انواخذ بما نقول فقال ثكلتك امك يا ابن جبل و

هل يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله
حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي
فاخذ بلسانه ثم قال هذا وروي ان معاذا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل فاخرج رسول الله
لسانه ثم وضع عليه اصبعه وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستقيم
ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا
يامن جاره بوايقه وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير
مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اصبح ابن آدم اصبحت الاعضاء كلها تكفر
اللسان اي تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروي ان
عمر اطلع على ابي بكر رضي الله عنه وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله فقال ان
هذا اوردني الموارد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شي من الجسد الا وهو يشكو الى الله اللسان
على حدته وعن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم وانصت تسلم
من قبل ان تندم قيل له يا ابا عبد الرحمن هذا شي تقوله او شي سمعته قال لا بل سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ملك لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى
الله قبل الله عذره وروي ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله اوصني قال اعبد الله كانك تراه و
اعدد نفسك في الموتى وان شيت انباتك بما هو املك لك من هذا كله واشار بيده الى
لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بايسر العبادة
واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليسكت وقال الحسن ذكر لنا ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم وقال سفين قالوا لعيسى صلى الله عليه و
سلم دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا
بخير وقال سليمن بن داود عليهما السلام ان كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب وعن
البراء قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال
اطعم الجايع واسق الظمآن وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير
فانك بذلك تغلب الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عند لسان كل قايل فاتق الله امرو
علم ما يقول وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المومن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقي الحكمة وقال
ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلاثة غانم وسالم وشاحب فالغانم الذي
يذكر الله والسالم الساكت والشاحب الذي يخوض في الباطل وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان
لسان المومن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشي تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق
امام قلبه فاذا هم بالشي امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلم العبادة عشرة
اجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال نبينا عليه السلم من كثر كلامه
كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به **الآثار**

كان الصديق رضي الله عنه يضع حجرا في فيه يمنع بها نفسه من الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول
هذا اوردني الموارد وقال ابن مسعود والله الذي لا اله الا هو ما من شيء احوج الى طول سجن من
لسان وقال طاوس لساني سبع ان اطلقته اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود
حق على العاقل ان يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه وقال الاوزاعي كتب الينا عمر بن عبد العزيز اما
بعد فانه من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه
قال بعضهم الصمت يجمع للرجل خصلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه وقال
محمد بن واسع لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ الدنانير والدراهم وقال
يونس بن عبيد ما من الناس احد يكون لسانه منه على بال الا رايت صلاح ذلك في سائر عمله قال سائره
الحسن كانوا يتكلمون عند معوية والاحنف ساكت فقالوا مالك لا تتكلم يا ابا بحر قال اخشى الله ان
كذبت واخشاكم ان صدقت وقال ابو بكر بن عياش اجتمع اربع ملوك ملك الهند وملك
الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الآخر اني
اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت
للمتكلم ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل
اقدر مني على رد ما قلت وقيل ان منصور بن المعتمر لم يتكلم بعد العشاء الآخرة اربعين
سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا اصبح وضع قرطاسا
وقلما فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء فان قلت فهذا الفضل الكبير للصمت ما
سببه فاعلم ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطا والكذب والنميمة والغيبة والرياء و
النفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة
والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات فهذه الآفات كثيرة وهي سباقة الى اللسان لا تثقل
على اللسان ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها قلما
يقدر على ان يزم اللسان فيطلقه لما يحب ويكفه عما لا يحب فان ذلك من غوامض العلم كما
سياتي تفصيله وفي الخوض خطر وفي الصمت سلامة ولذلك عظم فضله هذا مع ما فيه من جمع
الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والعبادة والذكر والسلامة من تبعات القول في الدنيا والآخرة و
قد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك على لزوم الصمت امر وهو ان الكلام اربعة
اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم هو ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر
ولا منفعة اما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي
بالضرر واما الذي لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين
الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة ارباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر
اذ يمتزج به ما هو اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا
يخفى مدركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا
ان ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فلقد اوتي والله

جواهر الحكم وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني الا خواص العلماء وفيما
سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله ونحن الآن
نعد آفات اللسان ونبتدئ باخفها ونترقى الى الاغلظ قليلا قليلا ونوخر الكلام في
الغيبة والنميمة والكذب فان النظر فيها اطول وهي عشرون آفة الآفة الاولى الكلام فيما
لا يعنيك اعلم ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك عن جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة و
الكذب والرياء والنفاق وغيرها وتتكلم بما هو مباح لا ضرر فيه عليك ولا على مسلم اصلا الا انك
تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه فانك به تضيع زمانك وتحاسب على عمل لسانك
وتستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير لانك لو صرفت الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من
نفحات رحمة الله عند الفكرة ما يعظم جدواه ولو هللت الله وسبحته وذكرته لكان خيرا لك فكم
من كلمة يبني بها قصر في الجنة ومن قدر على ان ياخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله مدرة لا ينتفع بها
كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم
ياثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى فان المومن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا
عبرة ونطقه الا ذكرا هكذا قاله النبي صلى الله عليه وسلم بل راس مال العبد اوقاته ومهما صرفه
الى ما لا يعنيه ولم يدخر به ثوابا في الآخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا قال انس استشهد غلام منا يوم احد
فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني
فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث
آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد كعبا فسال عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل
عليه قال ابشر يا كعب فقالت امه هنيئا لك الجنة يا كعب فقال من هذه المتالية على الله قال
هي امي يا رسول الله قال وما يدريك يا ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا يغنيه ومعناه
انه انما تتهيا الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا
تتهنا له الجنة مع المناقشة في الحساب فانه نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله
بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه بذلك وقالوا
اخبرنا باوثق عملك في نفسك ترجو به فقال اني لضعيف فان اوثق ما ارجو به سلامة الصدر
وترك ما لا يعنيني وقال ابو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك بعمل خفيف على
البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك
وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن احسن من الدهم الموقفة لا تكلم فيما لا يعنيك
فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تتكلم فيما لا يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في امر
يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك وان
السفيه يوذيك واذكر اخاك اذا تغيب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه بما تحب ان يعفيك

منه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان ماخوذ بالاجرام وقيل للقمن الحكيم ما حكمتك قال لا اسأل عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي امر انا في طلبه منذ عشرين سنة لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني وقال عمر رضي الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين يخشون الله تعالى وحد ما لا يعنيك ان تتكلم بما لو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر في حال او مال مثاله ان تجلس مع قوم فتحكي معهم اسفارك وما رأيت فيها من جبال وانهار وما وقع لك من الوقايع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقايعهم فهذه امور لو سكت عنها لم تأثم ولم تتضرر واذا بالغت في الاجتهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ونقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله فانت مع ذلك كله مضيع زمانك وانى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملته ان تسأل غيرك عما لا يعنيك فانت بالسؤال مضيع وقتك وقد الجأت صاحبك ايضا بالجواب الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة واكثر الاسولة فيها آفات فانك تسأل غيرك عن عبادته فتقول هل انت صايم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا اياك وتاذيت وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال اما للرياء او للكذب او للاستحقار او للتعب في حيلة الدفع وكذلك سؤالك عن ساير عبادته وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحيي منه وسؤالك عما تحدث به غيرك فتقول له ماذا يقول وفيم انت وكذلك ترى انسانا في الطريق فتقول من اين فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تاذى واستحيى وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك اليها والمسؤل ربما لا تسمح نفسه بان يقول لا ادري فيجيب عن غير بصيرة ولست اعني بالتكلم بما لا يعني هذه الاجناس فان هذا يتطرق اليه اثم او ضرر وانما مثال ~~ما لا يعني هذه الاجناس~~ ~~فان هذا يتطرق اليه اثم او ضرر~~ وانما مثال ما لا يعني ما روي ان لقمن دخل على داود صلوات الله عليه وهو يسرد درعا ولم يكن رآها قبل ذلك فجعل يتعجب مما رأى فاراد ان يسأله عن ذلك فمنعته الحكمة فامسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود ولبسها ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمن الصمت حكم وقليل فاعله اي حصل العلم به من غير سؤال واستغنى عن السؤال وقيل كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك ولم يسأل فهذا وامثاله من الاسولة اذا لم يكن فيها ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو مما لا يعني وتركه من حسن اسلام المرء فهذا حده واما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به اليه او المباسطة بالكلام على سبيل التودد او تزجية الوقت بحكايات احوال لا فايدة فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت بين يديه وانه مسؤل عن كل كلمة فان انفاسه راس ماله وان لسانه شبكة يقدر على ان يقتنص

به الحور العين فاهماله ذلك وتضييعه خسران هذا علاجه من حيث العلم واما من حيث العمل فالعزلة او ان يضع حجرا في فيه وان يلزم نفسه السكوت عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جدا **الآفة الثانية** فضول الكلام وهو مذموم و هذا يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تادى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول اي فضل على الحاجة وهو ايضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر قال عطا بن ابي رباح ان من كانوا قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله او امر بمعروف ونهي عن منكر او ينطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها اتنكرون ان عليكم حافظين كراما كاتبين وعن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحيي احدكم ان لو نشرت صحيفته التي املاها صدر نهاره وكان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن بعض الصحابة قال ان الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه اشهى الي من الماء البارد الى الظمآن فاترك جوابه خيفة ان يكون فضلا وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول احدكم للكلب والحمار اللهم اخزه **واعلم** ان فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله قال الله تعالى لا خير في كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقد قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن امسك الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا علينا فضلا وانت اطولنا علينا طولا وانت الجفنة الغراء وانت وانت فقال قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان اشارة الى ان اللسان اذا اطلق في الثناء ولو في الصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان اشارة الى ان اللسان اذا اطلق في الثناء الى الزيادة المستغنى عنها وقال ابن مسعود انذركم فضول الكلام بحسب امرء ما بلغ حاجته وعن مجاهد قال ان الكلام ليكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه ابتاع لك كذا وكذا فيكتب له كذبة وقال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بها ملكان كريمان يكتبان عليك فامل ما شئت واكثر او اقل وروي ان سليمن بن داود بعث بعض عفاريته وبعث نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه قال فاخبروه انه مر على السوق فرفع راسه الى السماء ثم نظر الى السماء وهز راسه فسأله سليمن فقال عجبت من الملايكة على رؤس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون وقال ابرهيم التيمي المؤمن اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان له تكلم والا امسك والفاجر انما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فاكثر فقال صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من باب فقال شفتاي واسناني قال اما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية انه قال ذلك في رجل اثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال ما اوتي رجل

شرامن فضل في لسان وقال عمر بن عبد العزيز انه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة و
قال بعض الحكماء اذا كان المرء في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فاعجبه السكوت
فليحدث قال يزيد بن ابي حبيب من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وان
وجد من يكفيه وان في الاستماع سلامة وفي الكلام تزين وزيادة ونقصان وقال ابن عمر ان
احق ما طهر الرجل لسانه ورأى ابو الدرداء امرأة سليطة فقال لو كانت هذه خرساء كان خيرا
لها وقال ابرهيم يهلك الناس في خصلتين فضول المال وفضول الكلام فهذه مذمة كثرة الكلام
وفضوله وسببه الباعث عليه وعلاجه كما سبق في الكلام فيما لا يعني **الآفة الثالثة** الخوض
في الباطل وهو الكلام في المعاصي بحكاية مخالطة النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق و
تنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهذا
حرام واما الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني فلا يؤمن
ان يغلب عليه الخوض في الباطل واكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث فلا يعدو كلامهم التفكه باعراض
الناس والخوض في الباطل وانواع الباطل لا يمكن ان يحصى لكثرتها وتفننها فلذلك لا مخلص منه الا بالاقتصار
على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس يقع من الكلمات ما اهلك صاحبها وهو مستحقر
لها وقد قال بلال بن الحرث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما
يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله الي
ما يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيمة قال فكان علقمة يقول كم من كلام
قد منعنيه حديث بلال بن الحرث وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها
جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال ابو هريرة ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي بها بالا يهوي بها في
جهنم وان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي بها بالا يرفعه الله بها في الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر
الناس خطايا يوم القيمة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وبقوله
فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال سلمان اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم
كلاما في معصية وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضؤا فان بعض ما تقولون
شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها بل هو
الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها او تدبر في التوصل اليها من غير حاجة دينية الى ذكرها و
يدخل فيه ايضا الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه
توهم الطعن في بعضهم وكل ذلك باطل والحديث فيه خوض في الباطل **الآفة الرابعة** المراء والمجادلة
وذلك منهي عنه فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال
صلى الله عليه وسلم ذروا المراء فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء
وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة وعن ام سلمة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه عبادة الاوثان وشرب الخمر و
ملاحاة الرجال وقال ايضا ما ضل قوم الا اوتوا الجدل وقال ايضا لا يستكمل عبد حقيقة

الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وقال ايضا ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في
الصيف وضرب اعداء الله بالسيف وتعجيل الصلوة في يوم الدجن والصبر على المصيبات و
اسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وقال الزبير لابنه لا تجادل الناس بالقران
فانك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه غرضة للخصومات
اكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانها ساعات جهل العالم عندها يبتغي الشيطان
زلته وقيل ما ضل قوم بعد اذ هداهم الله الا بالجدال وقال مالك بن انس ليس هذا الجدال من
الدين بشيء وقال ايضا المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن وقال لقمن لابنه يا بني لا تجادل
العلماء فيمقتوك وقال بلال بن سعد اذا رايت الرجل لجوجا مماريا معجبا برايه فقد تمت خسارته
وقال شفيق لو خالفت اخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي الى السلطان وقال
سفين صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك من العيش وقال ابن ابي ليلى
لا اماري صاحبي فاما ان اكذبه واما ان اغضبه وقال ابو الدرداء كفى بك اثما ان لا تزال
مماريا وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلم لتماري به ولا تباهي ولا
ترائي به ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضى بالجهل منه وقال عيسى عليه السلام من كثر كذبه
ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب نفسه
وقيل لميمون بن مهران ما لك لا تفارق اخاك قال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم المراء
والجدال كثير وقال صلى الله عليه وسلم تكفير كل لحاء ركعتان **وحد المراء** هو كل اعتراض على كلام
الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الانكار والاعتراض
فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه
والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه باظهار خلل من جهة النحو او من جهة اللغة او من جهة
العربية او من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم وتاخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة وتارة يكون
لطغيان اللسان وكيف ما كان فلا وجه لاظهار خلله واما في المعنى بان يقول ليس كما تقول وقد
اخطات فيه لكذا وكذا واما في قصده مثل ان يقول هذا الكلام حق لكن ليس قصدك منه الحق وانما
انت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس ان جرى في مسئلة علمية ربما خص باسم الجدل وهو
ايضا مذموم بل الواجب السكوت او السؤال في معرض الاستفادة لا على صيغة العناد والنكارة او
التلطف في التعريف لا في معرض الطعن واما المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه
بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه وآية ذلك ان يكون تنبهه للحق من جهة اخرى
مكروها عند المجادل بل يحب ان يكون هو المظهر لخطاه ليتبين فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا نجاة
من هذا الا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت **واما الباعث** على هذا فهو الترفع باظهار الفضل
والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان اما اظهار الفضل
من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهو من صفات
الربوبية واما تنقيص الآخر فهو مقتضى طبع السبعية فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه و

يصدمه ويؤذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما قوتهما المراء والجدال فالمواظبة
على المراء والجدال مقوية لهذه الصفات المهلكة. وهذا مجاوز حد الكراهية بل هو معصية
مهما حصل فيه ايذاء الغير ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه
على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور فيثور التشاجر بين
المتماريين كما يثور التهارش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية
واقوى في افحامه والجامه **واما علاجه** فهو بان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية
الباعثة له على تنقيص غيره كما سياتي ذلك في كتاب الكبر وكتاب الغضب فان علاج كل علة باماطة
سببها وسبب المراء ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر
الصبر عنه، روي ان ابا حنيفة قال لداود الطائي لم آثرت الانزواء فقال لاجاهد نفسي بترك الجدال
فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رايت مجاهدة اشد علي منها وهو كما
قال لان من سمع من غيره خطأ وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ولذلك قال عليه السلام من
ترك المراء وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد
فان المراء طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطأ
محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة. واذا راى مبتدعا تلطف في نصحه على خلوة
لا بطريق المجادلة فان المجادلة تخيل اليه انه حيلة منه في التلبيس وان ذلك صنعة يقدر المجادلون
من اهل مذهبه على امثالها لو ارادوا فيستمر البدعة في قلبه بالجدل ويتاكد فاذا عرف ان النصح لا
ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله من كف لسانه عن اهل
القبلة الا باحسن ما يقدر عليه قال هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات، وكل من
تعود المجادلة مدة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه المهلكات
فلا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه سلطان الكبر والغضب والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل
وآحاد هذه الصفات تشق مجاهدتها فكيف مجموعها **الآفة الخامسة** الخصومة وهي ايضا مذمومة
وهي وراء المراء والجدال فالمراء طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه من غير ان يرتبط به غرض سوى
تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن مراء يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها و
الخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون
اعتراضا والمراء لا يكون الا اعتراضا على كلام سبق فقد قالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابغض الرجال الى الله عز وجل الالد الخصم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياك والخصومة فانها
تمحق الدين ويقال ما خاصم ورع قط في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبد الله بن ابي بكرة
فقال ما يجلسك فقلت خصومة بيني وبين ابن عم لي فقال ان لابيك عندي يدا واني اريد ان
اجزيك بها واني والله ما رايت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروءة ولا اضيع للذة ولا اشغل
للقلب من الخصومة قال فقمت لارجع فقال لي خصمي ما لك قلت لا اخاصمك قال عرفت انه حقي قلت لا

ولكني اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب منه شيئا هو لك **فان قلت** اذا كان للانسان
حق فلا بد له من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته
فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في
الخصومة على قصد التسلط او على قصد الايذاء ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر
الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر من المال وفي الناس من يصرح به ويقول انما قصدي
عناده وكسر عرضه واني ان اخذت منه هذا المال ربما رميته في بئر ولا ابالي فهذا مقصوده
اللدد واللجاج وهو مذموم جدا اما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف
وزيادة لجاج على الحاجة ومن غير قصد عناد وايذاء ففعله ليس بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه
سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدر وتهيج
الغضب واذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين الخصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه
ويحزن لمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن ابتدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحظورات واقل ما فيه
تشويش خاطره حتى انه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الامر على حد الواجب في خصومته فيسلم
عن الاثم ولا تذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن الخصومة فيه لان معه ما يكفيه فيكون تاركا للاولى
ولا يكون آثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد عليه من الثواب اذ اقل
درجات طيبة الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة في الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله
اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب
الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام وقد قال تعالى وقولوا
للناس حسنا وقال ابن عباس من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وان كان مجوسيا ان الله
تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها وقال ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت
عليه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها اعدها الله
لمن اطعم الطعام واطاب الكلام ويروى عن عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال اذهب بسلام فقيل يا روح
الله تقول هذا للخنزير فقال اكره ان اعود لساني الشر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم الكلمة الطيبة
صدقة وقال اتقوا الله ولو بشق تمرة فان لم يكن فبكلمة طيبة وقال عمر رضي الله عنه البر شيء
هين وجه طليق وكلام لين وقال بعض الحكماء كل كلام لا يسخط ربك الا انه ترضي به جليسك
فلا تكن به بخيلا فلعله يعوضك منه ثواب المحسنين وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل
الضغائن المستكنة في الجوارح فهذا كله في فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والمراء والجدال
فانه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر
الآفة السادسة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات
والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة فكل ذلك من التصنع المذموم
ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والاتقياء من امتي برآء من
التكلف وقال صلى الله عليه وسلم ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون

المتشدقون وقالت فاطمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ياكلون
الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه وسلم الا هلك
المتنطعون والتنطع هو التعمق والاستقصاء وقال عمر رضي الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق
الشيطان وجاء عمر بن سعد الى ابيه يساله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له
سعد ما كنت من حاجتك ابعد منك اليوم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياتي على
الناس زمان يتخللون الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقر الكلا بالسنتها وكانه انكر عليه ما قدمه على
الكلام من المقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا ايضا من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف
وكذلك التفاصح الخارج عن العادة وكذلك تكلف السجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه و
سلم بغرة الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل و
مثل ذلك يطل فقال صلى الله عليه وسلم اسجعا كسجع الاعراب وانكر ذلك لان اثر التكلف و
التصنع بين عليه بل ينبغي ان يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء
ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط واغراب لان
المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ولرشاقة اللفظ تاثير فيه فهو
لائق به فاما المحاورات التي تجري في قضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق
فالاشتغال به من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الرياء واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة
وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه **الآفة السابعة** الفحش والسب وبذاءة اللسان
وهو منهي عنه مذموم ومصدره الخبث واللؤم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش
فان الله لا يحب الفحش والتفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان يسب قتلى بدر من المشركين
وقال لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شيء مما تقولون وتؤذون الاحياء الا ان البذاء لؤم و
قال صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال صلى الله عليه و
سلم الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال صلى الله عليه وسلم اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم
من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه قيحا ودما فيقال له
ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة
فيستلذها كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء
وقال صلى الله عليه وسلم البذاء والبيان شعبتان من النفاق ويحتمل ان يكون المراد بالبيان هو
كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغة في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا
البيان في امور الدين وفي صفات الله فان القاء ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغة
في بيانه وقد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس واذا اجملت بادرت القلوب الى
القبول ولم يضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذاء يشبه ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الانسان
من بيانه فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمرة كنت جالسا عند رسول الله

صلى الله عليه وسلم وابي امامي فقال صلى الله عليه وسلم الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شيء و
ان احسن الناس اسلاما احاسنهم اخلاقا وقال ابرهيم بن ميسرة يقال الفاحش المتفحش
يوم القيمة في صورة كلب او في جوف كلب وقال الاحنف بن قيس الا اخبركم بادوى الداء
اللسان البذي والخلق الدني هذه مذمة الفحش **فاما حده** وحقيقته فهو التعبير عن الامور
المستقبحة بالعبارات الصريحة ويجري اكثر ذلك في الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات
صريحة فاحشة يستعملون فيها واهل الصلاح يتحاشون من التعرض لها بل يكنون عنها ويدلون عليها
بالرموز ويذكرون ما يقاربها ويتعلق بها قال ابن عباس ان الله حيي كريم يعفو ويكني كنى باللمس عن الجماع
فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع ليست بفاحشة وعنها عبارات فاحشة
يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها افحش
من بعض وربما اختلفت بعادة البلاد واوائلها مكروهة واواخرها محظورة وبينهما درجات
يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغوط اولى من لفظ
التغوط والخراءة وغيرهما فان هذا ايضا مما يخفى وكل ما يخفى ويستحيي منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه
الصريحة فانه فحش ولذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا
بل يقال قيل في الحجرة او قيل من وراء الستر او قالت ام الاولاد كذا والتلطف في هذه الالفاظ
محمود والتصريح يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيي منها فلا ينبغي ان يعبر عنه بصريح
اللفظ كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك
داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان قال العلاء بن هرون كان عمر بن عبد العزيز
يتحفظ في منطقه فخرج خراج في ابطه فقلنا نساله ماذا يقول فقلنا من اين خرجت فقال
من باطن اليد **والباعث** على الفحش اما قصد الايذاء واما الاعتياد الحاصل من مخالطة
الفساق واهل الخبث واللؤم ومن عادتهم السب وقال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اوصني فقال عليك بتقوى الله وان امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن
وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيئا قال فما سببت شيئا بعده وقال عياض بن حماد
قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني فهل علي باس ان انتصر منه فقال
المستبان شيطانان يتعاويان ويتهاتران وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى
البادي حتى يعتدي المظلوم وقال صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وقال صلى
الله عليه وسلم ملعون من سب والديه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قيل يا رسول الله
وكيف يسب والديه قال يسب الرجل فيسب اباه فيسب الآخر اباه **الآفة الثامنة** اللعن
اما لحيوان او جماد او انسان وذلك مذموم قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بلعان و
قال صلى الله عليه وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم
قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره
اذا امراة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها فاعروها

فانها ملعونة قال فكاني ارى تلك الناقة تمشي في الناس لا تعرض لها قال ابو الدرداء ما لعن احد الارض
الا قالت لعن الله اعصانا لله وعن عايشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابابكر وهو يلعن
بعض رقيقه فالتفت اليه فقال يا ابا بكر اللعانين والصديقين كلا ورب الكعبة اللعانين والصديقين
كلا ورب الكعبة مرتين او ثلثا فاعتق ابو بكر يومئذ بعض رقيقه وجاء الى النبي صلى الله عليه و
سلم وقال لا اعود وقال صلى الله عليه وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة
وقال انس كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل على بعير يلعن بعيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم
يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا **واللعن** عبارة عن الطرد والابعاد
من الله تع وذلك غير جايز الا على من يتصف بصفة تبعده من الله وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة
الله على الظالمين وعلى الكافرين فينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه حكم على الله بانه
ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله ويطلع عليه رسوله اذا اطلعه الله عليه والصفات
المقتضية للعن ثلثة الكفر والبدعة والفسق وللعن في كل واحد ثلاث مراتب الاولى اللعن
بالوصف الاعم كقوله لعنة الله على الكافرين والمبتدعة والفسقة والثانية اللعن باوصاف
اخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوارج والروافض
وعلى الزناة والظلمة واكلي الربوا وكل ذلك جايز ولكن في لعن اصناف المبتدعة خطر لان معرفة
البدعة غامضة فيما لم يرد فيه لفظ ما ثور فينبغي ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعي المعارضة
بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا الثالثة اللعن على الشخص وهذا فيه نظر كقولك زيد لعنه
الله وهو كافر او فاسق او مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص ثبت لعنته شرعا فيجوز لعنته كقولك
فرعون لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه ثبت ان هولاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعا واما
شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر اذ ربما يسلم فيموت
مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا **فان قلت** يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله
لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور ان يرتد **فاعلم** ان معنى قولنا رحمه الله اي ثبته الله على
الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن ان يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب
اللعنة فان هذا سوال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجايز ان يقال لعنه الله ان مات على الكفر
ولا لعنه ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدرى والمطلق مردد بين الجهتين ففيه خطر
وليس في ترك اللعن خطر واذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق او زيد المبتدع اولى
فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تنقلب على الاعيان وتخفى الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه
يجوز ان يعلم من يموت على الكفر ولذلك كان يقول اللهم عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة
وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهى عنه اذ روي انه كان
يلعن الذين قتلوا باصحاب بير معونة في قنوته شهرا انزل قوله تع ليس لك من الامر شيء او يتوب
عليهم او يعذبهم يعني انهم ربما يتوبون فمن اين تعلم انهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته على الكفر
جازت لعنته وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجز كما روي ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم سال ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطايف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله
وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل
كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابي قحافة فقال ابو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم
الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للاباء فكف الناس عن ذلك وشرب نعيمان
الخمر وحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يوتى
به فقال صلى الله عليه وسلم لا تكونوا عونا للشيطان على اخيك وفي رواية لا تقل فانه يحب الله ورسوله
ونهاه عن ذلك فهذا يدل على ان لعنة فاسق بعينه غير جايزة وعلى الجملة في لعنة الاشخاص خطر
فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعنة ابليس فضلا عن غيره **فان قيل** هل يجوز لعنة يزيد فانه
قاتل حسين رضي الله عنه او امر به **قلنا** هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر
به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز ان يقال
قتل ابن ملجم عليا رضي الله عنه وقتل ابو لولوة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز
ان يرمى مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق وقال صلى الله عليه وسلم لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا
يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما شهد
رجل على رجل بكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه
وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها كان مخطيا لا كافرا
وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انهاك ان تشتم رجلا مسلما او تعصي اماما عادلا
والتعرض للاموات اشد قال مسروق دخلت على عايشة رضي الله عنها فقالت ما فعل فلان لعنه
الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
الاموات فانهم افضوا الى ما قدموا وقال ايضا لا تسبوا الاموات فتوذوا الاحياء وقال
قال ايضا ايها الناس احفظوني في اصحابي واخواني واصهاري ولا تسبوهم ايها الناس اذا مات
الميت فاذكروا منه خيرا **فان قيل** فهل يجوز ان يقال قاتل حسين لعنه الله او الامر بقتله
لعنه الله **قلنا** الصواب ان يقال قاتل حسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان
يموت بعد التوبة فالوحشي قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن
الكفر والقتل جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا ينتهي الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد
بالتوبة واطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو اولى وانما اوردنا هذا لتهاون
الناس باللعنة واطلاق اللسان به والمومن ليس بلعان فلا ينبغي ان يطلق اللسان باللعنة الا على من
مات على الكفر او على الاجناس المعروفين باوصافهم دون الاشخاص المعينين والاشتغال بذكر الله
اولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة قال علي كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة
فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال
ابن عون انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيمة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان يخرج من

صحيفتي لا اله الا الله احب الي من ان يخرج لعنة الله وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اوصني فقال اوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمر ان ابغض عباد الله الى الله كل طعان
لعان وقال بعضهم لعن المؤمن يعدل قتله قال حماد بن زيد بعد ان روى هذا الحديث و
لو قلت انه مرفوع لم ابال وعن ابي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل ان يقتله وقد نقل
ذلك حديثا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء
على الظالم كقول الانسان لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فكل ذلك مذموم وفي الخبر
ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيمة **الآفة التاسعة**
الغناء والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده واما الشعر
فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان
يمتلي بطن احدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلي شعرا وعن مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه
فقيل له في ذلك فقال انا اكره ان يوجد في صحيفتي شعر وسئل بعضهم عن شي من الشعر فقال اجعل
مكان هذا ذكرا فان ذكر الله خير من الشعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام
يكره قال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخلها الكذب
وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسانا بهجو الكفار والتوسع في المدح وان كان كذبا فانه لا يلتحق
بالتحريم بالكذب كقول الشاعر ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله فان هذه
عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فان لم يكن صاحبه سخيا كان كاذبا وان كان سخيا فالمبالغة من
صنعة الشعر ولا يقصد منه ان يعتقد صورته وقد انشدت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اشعار
لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك ولم يمنع منها قالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه و
سلم يخصف نعله وكنت اغزل قالت فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل جبينه يعرق و
جعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت قالت فنظر الي فقال ما لك بهت فقلت يا رسول الله نظرت
اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا فلو رآك ابو كبير الهذلي لعلم انك احق بشعره
فقال وما يقول يا عايشة ابو كبير الهذلي فقلت يقول ومبرا من كل غبر حيضة وفساد مرضعة
وداء مغيل واذا نظرت الى اسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل قالت فوضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما كان في يده وقام الي فقبل ما بين عيني وقال جزاك الله يا عايشة ما سررت مني
كسروري منك ولما قسم الغنايم امر للعباس بن مرداس باربع قلايص فانبعث يشكو في شعره
وفي آخره وما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع وما كنت دون امري منهما
ومن تضع اليوم لا يرفع فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر حتى اختار
ماية من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول الشعر فجعل
يعتذر ويقول بابي انت وامي اني لاجد للشعر دبيبا على لساني مثل دبيب النمل ثم يقرضني كما يقرض
النمل فلا اجد بدا من ان اقول فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين
الآفة العاشرة المزاح واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه **فان قلت** المماراة ايذاء لان فيه تكذيبا للاخ والصديق او
تجهيلا اما المزاح فطايبة ففيه انبساط وطيبة قلب فلم ينهى عنه **فاعلم** ان المنهي عنه الافراط
فيه او المداومة عليه اما المداومة فلانه اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه
مذمومة واما الافراط فيه فانه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث
الضغينة في بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اني لامزح ولا اقول الا حقا ومثله يقدر على ان يمزح ولا يقول الا حقا واما
غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان وقد قال صلى الله عليه وسلم ان
الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها ابعد من الثريا وقال عمر رضي الله عنه من
كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن اكثر من شي عرف به ومن كثر كلامه كثر
سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك
يدل على الغفلة عن الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم
قليلا وقال رجل لاخيه هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها
فقال لا قال ففيم الضحك قال فما رئي ضاحكا حتى مات وقال يوسف بن اسباط اقام الحسن
ثلاثين سنة لم يضحك وقال ان عطاء السلمي لم يضحك اربعين سنة ونظر وهيب بن الورد الى
قوم يضحكون في يوم فطر فقال ان كان هولاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان لم يغفر لهم فما
هذا فعل الخايفين وكان عبد الله بن ابي يعلى يقول لا تضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند
القصار وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن
واسع اذا رايت في الجنة رجلا يبكي الست تعجب من بكايه قال بلى قال فالذي يضحك في الدنيا
ولا يدري الى ما يصير هو اعجب منه فهذه آفة الضحك والمذموم منه ان يستغرق ضحكا والمحمود
التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت كذلك كان ضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال
القسم مولى معوية اقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا الى
النبي يساله نفر به وجعل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون به ففعل ذلك ثلاث مرات
ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعه قلوصه فهلك قال نعم وافواهكم ملاء
من دمه واما اداء المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به
وقال محمد بن المنكدر قالت لي امي لا تمازح الصبيان فتهون عليهم وقال سعيد بن العاص
لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجترئ عليك وقال عمر بن عبد العزيز
اتقوا الله واياكم والمزاح فانها تورث الضغينة وتجر القبيحة تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان
ثقل عليكم فحديث حسن من احاديث الرجال وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتدرون لم سمي
المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق ويقال لكل شي بذر وبذر العداوة المزاح ويقال
المزاح مسلبة للنهي مقطعة للاصدقاء **فان قلت** فقد نقل المزح من رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه فكيف ينهى عنه **فنقول** ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم و

هو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا ولا تفرط فيه وتقتصر عليه احيانا وعلى الندور فلا حرج
عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزح حرفته ويواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك
بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور مع الزنوج ابدا ينظر الى رقصهم ويتمسك بان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذن لعايشة في النظر الى رقص الزنوج يوم عيد وهو خطا اذ من الصغاير ما يصير
كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي ان يغفل عن هذا نعم روى ابو هريرة
انهم قالوا يا رسول الله تداعبنا فقال اني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا وقال عطاء ان رجلا
سال ابن عباس فقال اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال ابن عباس نعم فقال الرجل فما كان
مزاحه فقال ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كسا ذات يوم امراة من نسايه ثوبا واسعا فقال لها
البسيه واحمدي وجري منه ذيلا كذيل العروس وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان من
افكه الناس وروى انه كان كثير التبسم وعن الحسن قال اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه و
سلم لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست يومئذ بعجوز قال تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن
ابكارا عربا وروى زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي
يدعوك فقال ومن هو اهو الذي بعينه بياض فقالت والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه
بياضا فقالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم ما من احد الا بعينه بياض اراد به البياض المحيط
بالحدقة وجاءته امراة اخرى فقالت احملني على بعير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحملك
على ابن البعير فقالت ما اصنع به لا يحملني فقال صلى الله عليه وسلم وهل من بعير الا وهو ابن بعير وكان يمزح
به وقال انس كان لابي طلحة ابن يقال له ابو عمير فكان رسول الله صلعم ياتي ابا عمير فيقول يا ابا عمير ما
فعل النغير لنغير كان يلعب به وهو ولد العصفور وقالت عايشة خرجنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوة بدر فقال رسول الله صلعم تعالي اسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا
خطا فقمنا عليه فاستبقنا فسبقني وقال هذه مكان ذي المجاز وكان جاء يوما ونحن بذي
المجاز وانا جارية قد بعثني ابي بشيء فقال اعطينيه فابيت وسعيت فسعى على اثري فلم يدركني و
قالت عايشة سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني وقال
هذه بتلك وقالت عايشة كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت خزيرا وجيت به
فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه فقلت والله لتاكلن او لالطخن وجهك فقالت ما انا بذايقته
فاخذت من الصحفة شيا فلطخت وجهها به ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فخفض
رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتيه لتستقيد مني فتناولت من الصحفة فمسحت به وجهي ورسول الله
يضحك وروي ان الضحاك بن سفين الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فبايعه رسول الله صلعم
ثم قال له عندي امراتان احسن من هذه الحميراء افلا انزل لك عن احديهما فتزوجها وعايشة جالسة
قبل ان يضرب الحجاب فقالت هي احسن ام انت فقال بل انا احسن منها واكرم فضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مسيلة عايشة اياه لانه كان دميما وروى علقمة عن ابي سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يدلع لسانه للحسن والحسين ابني علي فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال عيينة بن بدر الفزاري

والله ليكون لي الابن رجلا قد تزوج وبقل وجهه وما قبلته قط فقال صلى الله عليه وسلم ان من
لا يرحم لا يرحم فاكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك من رسول الله
صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وقال صلى الله عليه وسلم لصهيب
وبه رمد وهو ياكل التمر اتاكل التمر وانت رمد فقال انما اكل بالشق الاخر فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة حتى بدت نواجذه نظرت الى نواجذه وروي ان خوات بن جبير
كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا عبد الله ما لك
مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لي يشرد قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم طلع فقال
ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك
اتفرز منه كلما رايته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع علي
يوما وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت فقال لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت قال يا عبد الله
اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت فقام فكنت اتفرز منه حتى لقيني
وهو على حمار وقد جعل رجليه من شق واحد فقال ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد قال
قلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ اسلمت قال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله
قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به
الى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعليه ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال
له رجل من الاصحاب لعنك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فانه يحب الله ورسوله قال و
كان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول
هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم و
قال يا رسول الله اعط ثمن متاعه فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم تهده فيقول يا رسول الله
انه لم يكن عندي والله ثمنه واحببت ان تاكله فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويامر لصاحبه
بثمنه فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم
وسبب للضحك المميت للقلب

الآفة الحادية عشر

السخرية والاستهزاء وهذا محرم مهما
كان موذيا قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ومعنى السخرية الاستحقار
والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقايص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في
الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزا به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى
الغيبة قالت عايشة حكيت انسانا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما احب اني حكيت انسانا ولي كذا
وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمومن والكبيرة القهقهة بذلك وهو اشارة الى ان الضحك
على الناس من الجرايم والذنوب وعن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فوعظهم
في ضحكهم في الضرطة وقال علام يضحك احدكم مما يفعل وقال صلى الله عليه وسلم ان المستهزيين
بالناس يفتح لهم باب من الجنة فيقال لهم هلم فيجي بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه ويفتح له باب اخر

فيقال له هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه ثم لا يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب
فيقال له هلم هلم فما ياتيه وقال معاذ بن جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب منه
لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى الاستحقار والضحك عليه استهانة به واستصغارا له وعليه
نبه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم اي لا تستحقره استصغارا فلعله خير منك وهذا انما
يحرم في حق من يتاذى به فاما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من ان يسخر به كانت السخرية من جملة
المزح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح وانما المحرم استصغار يتاذى به المستهزا به لما فيه من
التحقير والتهاون وذلك تارة بان يضحك على كلامه اذا تخبط ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت
مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته او على صورته وخلقته اذا كان قصيرا او ناقصا لعيب من
العيوب فالضحك من جملة ذلك داخل في السخرية المنهي عنها **الآفة الثانية عشر** افشاء السر وهو
منهي عنه لما فيه من الايذاء والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة وقال صلى الله عليه وسلم مطلقا الحديث بينكم امانة وقال
الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك • ويروى ان معوية اسر الى الوليد بن عتبة حديثا فقال
لابيه يا ابت ان امير المؤمنين اسر الي حديثا وما اراه يطوي عنك ما بسطه الى غيرك قال فلا
تحدثني به فان من كتم سره كان الخيار له ومن افشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا ابت وان هذا ليدخل
بين الرجل وابيه قال لا والله يا بني ولكن احب ان لا تذلل لسانك باحاديث السر قال فاتيت
معوية فحدثته فقال يا وليد اعتقك اخي من رق الخطا وافشاء السر خيانة وهو حرام اذا كان
فيه اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة فلا نعيد **الآفة الثالثة عشر**
الوعد الكاذب فان اللسان يسبق الى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفا وان
ذلك من امارات النفاق وقد قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه و
سلم العدة عطية وقال الواي مثل الدين او افضل والواي الوعد • وقد اثنى الله تعالى على نبيه
اسمعيل صلوات الله عليه فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا فيقال انه وعد انسانا
في موضع فلم يرجع فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره • ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة
قال انه كان خطب الى ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله بثلث
النفاق اشهدوا اني قد زوجته ابنتي وعن عبد الله بن ابي الحمساء قالت بايعت النبي صلى الله عليه و
سلم فوعدته ان آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد فاتيته اليوم الثالث وهو في
مكانه فقال يا فتى قد شققت علي انا ههنا منذ ثلاث انتظرك • وقيل لابراهيم الرجل يواعد
الرجل الميعاد فلا يجيء قال ينتظر ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلوة التي تجيء • وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا وعد وعدا قال عسى • وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله وهو
الاولى ثم اذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازما
على ان لا يفي فهذا هو النفاق قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو
منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان

وقال

وقال عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا ومن كانت فيه
خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر
واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف او ترك الوفاء من غير عذر فاما من عزم
على الوفاء او عن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق ولكن
ينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل نفسه معذورا من غير ضرورة
حاقة • وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد ابا الهيثم بن التيهان خادما فاتي بثلاثة
من السبي فاعطى اثنين وبقي واحد فجاءت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلب منه وهي
تقول الا ترى اثر الرحى بيدي يا رسول الله فذكر موعده لابي الهيثم فجعل يقول كيف بموعدي
لابي الهيثم فآثره به على فاطمة لما سبق من موعده له مع انها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة • وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس وقال ان لي
عندك موعدا يا رسول الله فقال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين ضانية وراعيها فقال
رسول الله هي لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت احزم
واجزل حكما منك حين حكمها موسى فقالت حكمي ان تردني شابة وادخل معك الجنة قيل كان الناس
يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا يقولون اشح من صاحب الثمانين والراعي وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته ان يفي وفي لفظ آخر اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته
ان يفي فلم يجد فلا اثم عليه **الآفة الرابعة عشر** الكذب في القول واليمين وهو من قبائح الذنوب و
فواحش العيوب وقال اسمعيل بن اوسط سمعت ابا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى وقال
اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكذب
باب من ابواب النفاق وقال الحسن كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل
والمدخل والمخرج وان الاصل الذي بني عليه النفاق الكذب وقال صلى الله عليه وسلم كبرت خيانة
ان تحدث اخاك حديثا هو لك مصدق وانت به كاذب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله
عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم
برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول احدهما والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا
ازيدك على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها احدهما فقال اوجب احدهما بالاثم والكفارة وقال
صلى الله عليه وسلم الكذب ينقص الرزق وقال صلى الله عليه وسلم ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله
اليس الله قد احل البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فياثمون ويحدثون فيكذبون وقال صلى الله
عليه وسلم ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته
بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال صلى الله عليه وسلم ما حلف حالف بالله فادخل فيها
جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقال ابو ذر قال رسول الله صلعم ثلاثة يحبهم
الله رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه وعلى اصحابه ورجل له جار سوء

يوذيه فيصبر على اذاه حتى يفرق بينهم الموت او الظعن ورجل كان مع قوم في سفر فطال ا
السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلاث
يشناهم الله التاجر او البياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال صلى الله عليه و
سلم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه وسلم رايت
كان رجلا جاءني وقال لي قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب
من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه الجانب الآخر فيمده فاذا مده
رجع الآخر كما كان فقلت للذي اقامني ما هذا فقال هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيمة
وعن عبد الله بن جراد انه سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله هل يزني المومن قال
قد يكون ذلك قال يا نبي الله هل يكذب المومن قال لا ثم اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يومنون بايات الله وقال ابو سعيد سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعو ويقول اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب و
قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب
اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال اعطيك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اردت ان تعطيه فقالت تمرا فقال انك لو لم تفعلي كتبت عليك
كذبة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو افاء الله علي نعما عدد هذه الحصى لقسمتها ثم لا بينكم
تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال صلى الله عليه وسلم وكان متكئا الا انبئكم باكبر الكبائر
الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد وقال الا وقول الزور وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه و
سلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك منه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال انس قال
النبي صلى الله عليه وسلم تقبلوا الي بست اتقبل لكم بالجنة قال وما هي قال اذا حدث احدكم فلا يكذب
واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه
فالغضب واما كحله فالنوم وخطب عمر بن الخطاب بالجابية فقال قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم كمقامي فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على
اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد وقال صلى الله عليه وسلم من حدث بحديث وهو يرى
انه كذب فهو احد الكاذبين وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين باثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم
بغير حق لقي الله يوم يلقاه وهو عليه غضبان وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم رد شهادة رجل في
كذبة كذبها وقال صلى الله عليه وسلم كل خصلة يطبع او يطوي عليها المومن الا الخيانة والكذب
وقالت عايشة ما كان من خلق اشد عند اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من اصحابه على الكذب فما ينجلي من صدره حتى يعلم انه قد احدث
لله عز وجل منها توبة وقال موسى صلى الله عليه وسلم يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب

لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمن يا بني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما
قليل يقلاه صاحبه وقال صلعم في مدح الصدق اربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا
صدق حديث وحفظ امانة وحسن خليقة وعفة طعمة وقال ابو بكر رضي الله عنه في خطبته بعد وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقامي هذا عام اول ثم بكى
فقال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة وقال معاذ قال صلى الله عليه وسلم اني اوصيك
بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح **واما الآثار** قال علي
رضي الله عنه اعظم الخطايا عند الله عز وجل اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيمة وقال
عمر بن عبد العزيز ما كذبت كذبة منذ شددت على ازاري وقال عمر رضي الله عنه احبكم الينا ما لم
نركم احسنكم اسما فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم خلقا فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم
حديثا واعظمكم امانة وعن ميمون بن ابي شبيب قال قعدت اكتب كتابا فمررت بحرف ان انا
كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنادى مناد من جانب البيت يثبت الله
الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة وقال الشعبي ما ادري ايهما ابعد غورا
في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني اوجر على ترك الكذب لاني انما ادعه انفة
وقيل لخالد بن صبيح من يكذب كذبة واحدة هل يسمى فاسقا قال نعم وقال مالك بن دينار
قرات في بعض الكتب ما من خطيب الا عرضت خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان
كان كاذبا قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا وقال مالك بن دينار الصدق و
الكذب يعتركان في القلب حتى يخرج احدهما صاحبه وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد في شيء فقال
عمر ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه **بيان ما رخص فيه من الكذب** اعلم
ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته ان يعتقد
المخبر الشيء على خلاف ما هو فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة
فالكذب تحصيل لذلك الجهل فيكون ماذونا فيه وربما كان واجبا قال ميمون بن مهران الكذب
في بعض المواطن خير ارايت لو ان رجلا سعى وآخر وراءه بالسيف فدخل دارا فانتهى اليك
فقال ارايت فلانا ما كنت قايلا الست تقول لم اره وما تصدق فهذا الكذب واجب فنقول
الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا
فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك
المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان في
الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود حرب
او اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني عليه الا بكذب فالكذب مباح الا انه ينبغي ان
يحترز عنه ما يمكن لانه اذا فتح باب الكذب فيخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر على
حد الضرورة فيكون الكذب حراما في الاصل الا لضرورة والذي يدل على الاستثناء ما روي عن ام
كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء من الكذب الا في ثلاث الرجل يقول القول

يريد الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها وقالت ايضا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت اسماء
بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل الكذب يكتب على ابن آدم الا رجل كذب بين رجلين
يصلح بينهما • وروي عن ابي كاهل قال وقع بين رجلين من اصحاب النبي كلام حتى تصارما فلقيت
احدهما فقلت مالك ولفلان فقد سمعته يحسن الثناء عليك ولقيت الآخر فقلت مثل ذلك
حتى اصطلحا ثم قلت اهلكت نفسي واصلحت بين هذين فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا
ابا كاهل اصلح بين الناس ولو بعني الكذب وقال عطاء بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم
اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك • ويروى ان ابن ابي عروة
الدولي وكان في خلافة عمر يخلع النساء اللاتي يتزوج فطار له في الناس احدوثة يكرهها فلما علم
بذلك قام بعبد الله بن الارقم حتى ادخله بيته فقال للامرأة انشدك الله هل تبغضيني قالت لا تنشدني
قال فاني انشدك بالله قالت نعم قال لابن ارقم اتسمع ثم انطلقا الى عمر فقال انكم تحدثون اني اظلم النساء
واخلعهن فارسل ابن ارقم فسأله فاخبره فارسل الى امرأة ابن ابي عروة فجاءت هي وعمتها
فقالت انت التي تحدثين لزوجك انك تبغضينه فقالت اني اول من تاب وراجع الى الله انه ناشدني
فتحرجت ان اكذب افاكذب يا امير المؤمنين قال نعم فاكذبي فان كانت احداكن لا تحب احدنا
فلا تحدثه بذلك فان اقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحسان
وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي اراكم تتهافتون في الكذب
تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب
خدعة او يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امرأته يرضيها وقال ثوبان الكذب
كله اثم الا ما نفع به مسلم او دفع عنه وقال علي رضي الله عنه اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه و
سلم فلان اخر من السماء احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة
فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به مقصود صحيح له
او لغيره اما ماله فمثل ان ياخذه ظالم ويسأله عن ماله فله ان ينكر او ياخذه السلطان فيسأله
عن فاحشة بينه وبين الله ارتكبها فله ان ينكر فيقول ما زنيت ولا سرقت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك لان اظهار
الفاحشة فاحشة اخرى وللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه و
ان كان كاذبا واما عرض غيره فبان يسأل عن سر اخيه فله ان ينكر وان يصلح بين اثنين وان
يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر لكل واحدة انها احب اليه او كانت امرأته لا تطيعه
الا بوعد مما لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب
قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا باس به ولكن الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق في
هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما بالآخر ويزن بالميزان فاذا علم ان المحذور الذي
يحصل بالصدق اشد وقعا في الشرع من الكذب فله الكذب وان كان ذلك المقصود اهون من مقصود

الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيه وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان
الكذب مباح لضرورة او حاجة مهمة فاذا شك في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه و
لاجل غموض ادراك مراتب المقاصد ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب ما امكنه وكذلك
مهما كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا
يجوز المسامحة بحق الغير والاضرار به واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادات
المال والجاه ولامور ليس فواتها محذورا حتى ان المرأة لتحكي عن زوجها ما تفاخر به وتكذب
لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام قالت اسماء سمعت امرأة تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لا يفعل اضارها بذلك فهل لي فيه شيء قال المتشبع بما لم يعط
كلابس ثوبي زور وقال النبي صلى الله عليه وسلم من تطعم بما لا يطعم وقال لي وليس له واعطيت
ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيمة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه ورواية الحديث
الذي ليس يتثبت فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من ان يقول لا ادري
وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب في المكتب الا بوعد او وعيد
وتخويف كان ذلك مباحا نعم روينا في الاخبار ان ذلك يكتب ولكن الكذب المباح ايضا يكتب
ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح بقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور
كثير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا
يكتب وكل من اتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود الذي كذب له هل هو اهم
في الشرع من الصدق اولا وذلك غامض جدا فالحزم في تركه الا ان يصير واجبا بحيث لا يجوز
تركه كما يؤدي الى سفك الدم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار
في فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطأ محض
اذ قال صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وهذا لا يترك الا بضرورة
ولا ضرورة اذ في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ورد من الآيات والاخبار كفاية عن غيرها
وقول القائل ان ذلك تكرر على الاسماع وسقط وقعها وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس
اذ ما هذا من الاغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله صلعم وعلى الله تعالى ويؤدي فتح بابه
الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره اصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الكبائر التي لا يقاومها شيء **بيان ان الحذر من الكذب بالمعاريض** وقد نقل من السلف
ان في المعاريض مندوحة عن الكذب قال عمر رضي الله عنه اما في المعاريض ما يكفي الرجل من الكذب
وروي ذلك عن ابن عباس وغيره وانما ارادوا بذلك اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم
يكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض والتصريح جميعا ولكن التعريض اهون ومثال المعاريض
ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال ما رفعت جنبي منذ فارقت
الامير الا ما رفعني الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت ان تكذب فقل ان الله ليعلم
ما قلت من ذلك من شيء فيكون قولك ما عند المستمع حرف النفي وعندك للابهام • وكان معاذ

عامل عمر فلما رجع قالت امرأته ما جئت به مما يأتي به العمال من عراضة أهليهم وما كان قد جاء به فقال
كان معي ضاغط قال كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فبعث معك عمر ضاغطا
فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر فلما سمع عمر دعا معاذا وقال بعثت معك ضاغطا قال لم أجد
ما أعتذر به إليها إلا ذلك فضحك عمر وأعطاه شيئا فقال أرضها به وقوله ضاغط يعني ربه تعالى
وكان النخعي لا يقول لابنته أشتري لك سكرا بل يقول أرأيت لو اشتريت لك سكرا فإنه ربما لا يتفق
وكان إبراهيم إذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية قولي اطلبه في المسجد وكان لا يقول ليس
ههنا كيلا يكون كاذبا وكان الشعبي إذا طلب في البيت وهو يكرهه يخط دائرة ويقول
للجارية ضعي الإصبع فيها وقولي ليس ههنا وهذا كله في موضع الحاجة فأما في موضع غير الحاجة
فلا لأن هذا تفهيم للكذب وإن لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روي عن ابن عبد الله بن
عتبة قال دخلت مع أبي على عمر بن عبد العزيز فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا
كساكه أمير المؤمنين فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيرا فقال لي يا بني اتق الكذب وإياك و
الكذب وما أشبهه فنهاه عن ذلك لأن فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لأجل غرض المفاخرة
وهو غرض باطل ولا فائدة فيه نعم المعاريض تباح بغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح
كقوله صلى الله عليه وسلم لا تدخل العجوز الجنة وفي عين زوجك بياض ونحملك على ولد البعير فأما الكذب
الصريح كما فعله نعيمان الأنصاري مع عثمان في قصة الضرير إذ قال له إنه نعيمان وكما يعتاده الناس من
ملاعبة الحمقى بتغريرهم بأن امرأة قد رغبت في تزويجك فإن كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذاء قلب فهو حرام
وإن لم يكن إلا المطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يستكمل المرء الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه
وأما قوله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوي بها أبعد من الثريا
أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت
به العادة في المبالغة كقوله قلت لك كذا مائة مرة وطلبتك مائة مرة فإنه لا يراد به تفهيم المرات
بعددها بل تفهيم المبالغة فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذبا وإن طلبه مرات لا يعتاد
مثلها في الكثرة فلا يأثم وإن لم يبلغ مائة مرة وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة
فيه لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام فيقول لا أشتهيه وذلك
منهي عنه وهو حرام إن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد قالت أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة
رضي الله عنها التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا
عنده قرى إلا قدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة رضي الله عنها فاستحيت الجارية قالت فقلت
لا تردي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذي منه قالت فأخذته على حياء فشربت منه ثم قال
ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال لا تجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يا رسول الله إن قالت
إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه يعد ذلك كذبا قال إن الكذب ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة
وقد كان أهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب قال الليث بن سعد كانت ترمص

عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت هذا الرمص فيقول فأين
قول الطبيب وهو يقول لي لا تمس عينك فأقول لا أفعل وهذه مراقبة أهل الورع ومن تركه انسل
لسانه عن اختياره فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي قال جاءت أخت الربيع بن خثيم عائدة
إلى بني لي فانكببت عليه فقالت كيف أنت يا بني فجلس ربيع فقال أرضعتيه قالت لا قال
ما عليك لو قلت يا ابن أخي فصدقت ومن العادة أن يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى صلوات
الله عليه إن من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية
المنام والإثم فيه عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أعظم الفرى أن يدعي الرجل إلى
غير أبيه أو يري عينه في المنام ما لم تر أو يقول علي ما لم أقل وقال عليه السلام من كذب في حلمه كلف يوم القيمة أن
يعقد شعيرة **الآفة الخامسة عشر** الغيبة والنظر فيه طويل فنذكر أولا مذمة الغيبة
وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة
فقال ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقال صلى الله عليه و
سلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تناول العرض وقد جمع رسول الله بينه وبين الدم
والمال وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا
وكونوا عباد الله إخوانا وعن جابر وأبي سعيد قالا قال النبي صلى الله عليه وسلم إياكم والغيبة فإن
الغيبة أشد من الزنا إن الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى
يغفر له صاحبه وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون
وجوههم بأظافرهم فقلت يا جبرئيل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون
في أعراضهم وقال سليم بن جابر أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت علمني خيرا ينفعني به قال لا
تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تصب من دلوك في إناء المستقي وأن تلقى أخاك ببشر حسن
وإذا أدبر فلا تغتابنه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في بيوتها
فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع
عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه
السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل
النار وقال أنس أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن أحد حتى
آذن له فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظللت صائما فأذن لي
لأفطر فيأذن له والرجل والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من أهلك ظلتا صائمتين
وإنهما تستحيان أن تأتياك فأذن لهما فليفطرا فأعرض عنه ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال
إنهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن
تستقيئا فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فأخبره فقال والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار وفي رواية أنه لما
أعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال يا رسول الله إنهما والله لقد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال

النبي صلى الله عليه وسلم ايتوني بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال لاحدهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا مما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احديهما الى الاخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربوا وعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربوا اعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل واربى الربوا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فاتى على قبرين يعذب صاحبهما فقال انهما لا يعذبان في كبيرة اما احدهما فكان يغتاب الناس واما الآخر فكان لا يتنزه من بوله ودعا بجريدة رطبة او جريدتين فكسرهما ثم امر بكل كسرة فغرست على قبر فقال صلى الله عليه وسلم اما انه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين او ما لم تيبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزنا قال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب ثم مر النبي صلى الله عليه وسلم معهما بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال صلى الله عليه وسلم ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه. وكانت الصحابة يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك افضل الاعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال ابو هريرة من اكل لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الآخرة فقيل له كله ميتا كما اكلته حيا فيأكله ويضج ويكلح وروي مرفوعا كذلك. وروي ان رجلين كانا قاعدين عند باب من ابواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيه منه شيء فاقيمت الصلوة فدخلا فصليا مع الناس فجال في انفسهما ما قالا فاتيا عطاء فسألاه فامرهما ان يعيدا الوضوء والصلوة وان كانا صائمين امرهما ان يقضيا صيام ذلك اليوم. وعن مجاهد قال ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي ياكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا ان عذاب القبر ثلاثة اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة وقال الحسن والله للغيبة اسرع في دين المؤمن من الاكلة في جسده وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلوة ولكن في الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال ابو هريرة يبصر احدهم القذى في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه. وكان الحسن يقول ابن آدم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ باصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله من كان هذا وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا فقال عيسى ما اشد بياض اسنانه كانه ينهاهم عن غيبة الكلب وينبههم على انه لا يذكر شيء من خلق الله الا احسنه. وسمع علي بن حسين رجلا يغتاب آخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء

بيان معنى الغيبة وحدها اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا في بدنه او في نسبه او في خلقه او في فعله او في قوله او في دينه او في دنياه و

حتى في ثوبه وفي داره وفي دابته اما البدن فكذكر العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به مما يكرهه واما النسب فيقول ابوه نبطي او هندي او فاسق او خسيس او اسكاف او بزاز او شيء مما يكرهه كيف ما كان واما الخلق فانه يقول انه سيء الخلق بخيل متكبر شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه واما افعاله المتعلقة بالدين كقولك سارق وكذاب وشارب وخاين وظالم ويتهاون بالصلوة والزكوة ولا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز عن النجاسات وليس بارا بوالديه ولا يضع الزكوة مواضعها ولا يحسن قسمتها ولا يحرس صومه من الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس واما فعله المتعلق بالدنيا كقولك انه قليل الادب يتهاون بالناس ولا يرى لاحد حقا على نفسه ويرى لنفسه حقا وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نؤوم وينام الى غير وقته ويجلس الى غير موضعه واما ثوبه فانه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب وقد قال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ما ذمه الله فذكره بالمعاصي وذمه يجوز بدليل ما روي انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وكثرة صومها وصلوتها لكنها تؤذي جيرانها فقال هي في النار وذكر امرأة اخرى بانها بخيلة فقال فما خيرها اذن وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحوال بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع الامة ان من ذكر غيره بما يكره فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة فكل هذا وان كنت صادقا فيه فانت به مغتاب عاص لربك واكل لحم اخيك بدليل ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ارأيت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اعجزه فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه. وعن حذيفة عن عايشة انها ذكرت امرأة فقالت انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والافك وكل في كتاب الله عز وجل الغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك. وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر لابن سيرين ابراهيم النخعي ولم يقل الاعور وقالت عايشة لا يغتابن منكن احد احدا فاني قلت لامرأة مرة وانا عند النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت مضغة من لحم

بيان ان الغيبة لا تقتصر على اللسان اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيما للغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والغمز والرمز والكتبة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام ومن ذلك قالت عايشة دخلت علينا امرأة فلما ولت اومأت بيدي اي قصيرة فقال عليه السلام قد اغتبتيها ومن ذلك المحاكاة بان يمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد من الغيبة لانه اعظم في التصوير والتفهيم ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عايشة حكت قال ما يسرني اني

حاكيت ولي كذا وكذا وكذلك الغيبة في الكتاب فان القلم احد اللسانين وذكر المصنف شخصاً معيّناً
وتهجين كلامه في الكتاب غيبة الا ان يقترن بشي من الاعذار المحوجة الى ذكره كما سياتي واما قوله
قال قوم كذا فليس ذلك بغيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين اما حيّ او ميت ومن الغيبة ان
يقول بعض من مرّ بنا اليوم او بعض من رايناه اذا كان المخاطب يفهم منه شخصاً معيّناً لان المحذور
تفهيمه دون ما به التفهيم فاما اذا لم يفهم فليس غيبة جاز كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كره من انسان شيئا
فقال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا وكان لايعين فقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدّعي
العلم اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة واخبث انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم
يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون
المقصود ولايدرون لجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة وذلك مثلا ان يذكر عنده انسان
فيقول الحمد لله الذي لم يبلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من
قلة الحياء نسال الله ان يعصمنا منه وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء وكذلك
قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد
اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره وان يمدح
نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون مغتاباً ومرائياً ومزكياً نفسه وجمع بين ثلاث
فواحش وهو يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين عن الغيبة وكذلك يلعب الشيطان باهل الجهل اذا
اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم ويحبط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر بهم ومن
ذلك ان يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما اعظم اعجب هذا حتى
يصغي الى المغتاب ويعلم ما يقوله فيذكر الله ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق خبثه وهو يمن على الله بذكره
جهلاً منه وغروراً وكذلك يقول ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف فنسال الله ان
يروح سره ويكون كاذباً في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعاء بل لو قصد الدعاء لاخفاه في خلوة
عقيب صلوته ولو كان يغتم به لاغتم باظهار ما يكرهه وكذلك يقول ذاك المسكين
قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره
وخفي قصده وهو بجهله لايدري انه تعرض لمقت الله اكثر واعظم مما يتعرض له الجهال اذا جاهروا
ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب
في الغيبة فيندفع فيه فكانه يستخرج منه الغيبة بهذا الطريق فيقول عجبت ما علمت انه كذلك
ما عرفته الى الآن الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فان كل ذلك تصديق
للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
المستمع احد المغتابين وقد روي عن ابي بكر وعمر ان احدهما قال لصاحبه فلان نؤوم ثم
طلبا أدماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلا مع الخبز فقال عليه السلم قد ائتدمتما فقالا لا نعلمه
فقال بلى انكما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما وكان القائل احدهما والآخر المستمع وقال
للرجلين اللذين قال احدهما اقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع بينهما فالمستمع

لايخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام
غيره فلم يفعله لزمه وان قال بلسانه اسكت وهو مشتهيه لذلك بقلبه فذلك نفاق ولايخرجه
من الاثم ما لم يكرهه بقلبه ولايكفي ان يشير باليد اي اسكت او يشير بحاجبه وجبينه فذلك
استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظمه فيذب عنه صريحاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذل
عنده مومن وهو يقدر على ان ينصره فلم ينصره اذله الله يوم القيمة على رؤوس الخلائق وقال ابو
الدرداء قال النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه بالغيبة كان حقاً على الله عز وجل ان يرد عن عرضه
يوم القيمة وقال ايضا من ذب عن عرض اخيه بالغيبة كان حقاً على الله ان يعتقه من النار وقد
ورد في نصرة المسلم بالغيبة وفضل ذلك اخبار كثيرة اوردناه في كتاب آداب الصحبة وحقوق
المسلم فلا نطول بالاعادة **بيان الاسباب الباعثة على الغيبة** اعلم ان البواعث على الغيبة كثيرة
ولكن يجمعها احد عشر سبباً ثمانية تطرد في حق العامة وثلاثة تختص باهل الدين والخاصة **اما الثمانية**
فالاول تشفي الغيظ وذلك جري سبب غضب به عليه فاذا هاج غضبه تشفى بذكر مساويه
الغيظ عنده وسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن دين وازع وقد يمتنع تشفي الغضب فيحتقن الغضب في الباطن
ويصير حقداً ثابتاً فيكون سبباً دائماً لذكر المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على
الغيبة الثاني موافقة الاقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون
بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فساعدهم ويرى ذلك من
حسن الاخلاق المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم
اظهاراً للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي الثالث ان يستشعر
من انسان انه سيقصده ويطول لسانه فيه او يقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره
قبل ان يقبح هو حاله فيطعن فيه ليسقط اثر شهادته او يبتدئ بذكر ما فيه صادقاً ليكذب عليه
بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب فاني ما اخبرتكم بكذا
وكذا من احواله فكان كما قلت الرابع ان ينسب الى شيء فيريد ان يتبرا منه فيذكر الذي
فعله وكان من حقه ان يبرئ نفسه ولايذكر الذي فعله فلا ينسب غيره اليه ويذكر غيره بانه كان مشاركاً
له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه الخامس يتنقص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه
ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم مثل
تعظيمه فيقدح فيه لذلك السادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني عليه الناس ويحبونه
ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلايجد سبيلاً اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط ماء وجهه
عند الناس حتى يكفون عن اكرامه والثناء عليه لانه يثقل عليه ان يسمع ثناء الناس عليه واكرامهم
له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه وهذا
الحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزجية
الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل التعجب والتعجب والمحاكاة الثامن السخرية
والاستهزاء استحقاراً له فان الضحك ذلك قد يجري في الحضور فيجري ايضاً في الغيبة ومنشاه

التكبر واستصغار المستهزأ به **واما الاسباب الثلاثة** التي في الخاصة فهي اغمضها وادقها لانها
شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان الشر به **الاول**
ان ينبعث من الدين داعية التعجب من انكار المنكر والخطا في الدين فيقول ما اعجب ما رايت من فلان
فانه قد يكون صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فسهل الشيطان
عليه ذكر اسمه في اظهار تعجبه فصار به مغتابا من حيث لا يدري واثم ومن ذلك قول الرجل تعجبت من
فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل **الثاني** الرحمة
وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني امره وما ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه
ويلهيه الغم عن الحذر عن ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذا تعجبه
ولكنه ساقه الى الشر من حيث لا يدري والرحمة والغم ممكن دون ذكر اسمه فهيجه الشيطان على
ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه **الثالث** الغضب لله فانه قد يغضب على منكر قارفه انسان
اذا رآه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه بالامر بالمعروف
ولا يظهره على غيره او يستر اسمه ولا يذكره بالشر فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلا من
العوام فانهم يظنون ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطأ بل
المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم كما سيأتي • روي عن عامر بن
واثلة ان رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم فردوا السلام فلما جاوزهم
قال رجل منهم اني لابغض هذا لله فقال اهل المجلس والله لبئس ما قلت والله لننبئنه ثم قال يا فلان
لرجل منهم قم فادركه فاخبره بما قال فادركه رسولهم واخبره فاتى الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى
له ما قال وساله ان يدعوه فدعاه وساله فقال قد قلت ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبغضه
قال انا جاره وانا به خابر والله ما رايته يصلي صلاة قط الا هذه المكتوبة قال فسله يا رسول الله هل
رآني اخرتها عن وقتها او اسات الوضوء لها والركوع والسجود فساله فقال لا قال والله ما رايته
يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فسله يا رسول الله هل رآني قط
افطرت فيه او نقصت من حقه شيئا فساله فقال لا قال والله ما رايته يعطي سائلا ولا مسكينا
ولا رايته ينفق من ماله شيئا في سبيل الخير الا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال فسله
هل رآني نقصت منها شيئا او ماكست فيها طالبها فساله فقال لا فقال للرجل قم فلعله خير منك

بيان العلاج الذي يمنع الانسان من الغيبة اعلم ان مساوي الاخلاق كلها انما تعالج بمعجون
العلم والعمل انما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة
على وجهين احدهما على الجملة والآخر على التفصيل **اما على الجملة** فهو ان يعلم تعرضه لسخط الله بغيبته بهذه
الاخبار التي رويناها وان يعلم انها تحبط حسناته فانها تنقل في القيمة حسناته الى من اغتابه بدلا عما
استباح من عرضه فان لم تكن حسنات نقل اليه من سيآته وهو مع ذلك متعرض لمقت الله ومشبه عنده باكل
الميتة بل العبد يدخل النار بان يترجح كفة سيآته وربما ينقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل به الرجحان
ويدخل به النار وانما اقل الدرجات ان ينقص من ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال

والجواب والحساب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في حسنات
العبد • وروي ان رجلا قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي ان احكمك
في حسناتي فمهما آمن العبد بما وردت به الاخبار لم ينطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه
ايضا ان يتدبر في نفسه فان وجد فيها عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم
طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما وجد عيبا فينبغي ان يستحيي من ان يترك نفسه و
يذم غيره بل ينبغي ان يعلم ان عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه ان كان ذلك عيبا يتعلق
بفعله واختياره وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق فان من ذم صنعة فقد ذم الصانع قال
رجل لبعض الحكماء يا قبيح فقال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه وان لم يجد العبد عيبا في نفسه
فليشكر الله ولا يلوثن نفسه باعظم العيوب فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب
وينفعه ان يعلم ان تالم غيره بغيبته كتالمه بغيبة غيره فاذا كان لا يرضى لنفسه ان تغتاب فينبغي
ان لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه فهذه معالجات جملية **اما التفصيل** فهو ان ينظر الى السبب
الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الاسباب اما الغضب فيعالجه
بما سيأتي في كتاب آفات الغضب وهو ان يقول ان امضيت غضبي عليه لعل الله يمضي غضبه علي
بسبب الغيبة اذ نهاني عنها فاستجرأت على نهيه واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه و
سلم ان لجهنم بابا لا يدخلها الا من شفى غيظه بمعصية الله وقال صلى الله عليه وسلم من اتقى ربه
كل لسانه ولم يشف غيظه وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان يمضيه دعاه
الله يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شاء • وفي بعض كتب الله يا ابن آدم اذكرني
حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق واما الموافقة فان تعلم ان الله يغضب
عليك اذا طلبت سخطه في رضى المخلوقين فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك
رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله وذلك لا يوجب ان تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان
تغضب لله ايضا على رفقائك اذ ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بافحش الذنوب وهو الغيبة
واما تنزيه النفس بنسبة الخيانة الى الغير حيث يستغنى عن ذكر الغير فتعالجه بان تعرف ان
التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة
متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس او لا فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم
وتهلك في الآخرة او تخسر حسناتك بالحقيقة وتحصل ذم الله لك نقدا وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة
وهذا غاية الجهل والخذلان واما عذرك كقولك اني ان اكلت الحرام ففلان ياكل وان قبلت
مال السلطان ففلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف
امر الله لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها لم توافقه و
لو وافقته سفه عقلك فما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت عنه وسجلت
مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى العنز تردي نفسها من الجبل
فهي ايضا تردي نفسها ولو كان لها لسان وصرحت بالعذر وقالت العنز اكيس مني وقد اهلكت

نفسه فكذلك افعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا تضحك من نفسك و
اما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بان تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم انك بما ذكرته
تبطل فضلك عند الله وانت من اعتقاد الناس فضلك في خطر وربما ينقص اعتقادهم فيك اذا عرفوك
بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند المخلوق وهما ولو حصل لك من المخلوق
اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئا واما الغيبة للحسد فهو جمع بين عذابين لانك
حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذابا في الآخرة فكنت
خاسرا في الدنيا فجعلت نفسك ايضا خاسرا في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فاصبت
واهديت اليه حسناتك فاذن انت صديقه وعدو نفسك اذ لا يضره غيبتك ويضرك وتنفعه اذ
تنقل اليه حسناتك او تنقل اليك سيئاته ولا تنفعك وقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربما
يكون حسدك سبب انتشار فضل محسودك فقد قيل واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها
لسان حسود واما الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله
تع وعند الملائكة والنبيين فلو تفكرت في حسرتك وحيائك وخجلتك وخزيك يوم تحمل السيئات
من استهزأت به وتساق الى النار لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك ولو عرفت حالك لكنت اولى ان
تضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لان ياخذ بيدك في القيمة على ملأ من
الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا بخزيك ومسرورا بنصرة
الله اياه وتسليطه على الانتقام منك واما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاستنطقك
بما ينقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب
انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط اجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله لا
يوجب الغيبة فانما حبب الشيطان اليك الغيبة ليحبط اجر غضبك وتصير معرضا لسخط الله تع
بالغيبة واما التعجب اذا اخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انك كيف اهلكت دينك بدين غيرك
او بدنياه وانت مع ذلك لا تامن عقوبة الدنيا وهو ان يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر اخيك
فاذن علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الامور التي هي من ابواب الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك
انكف عن الغيبة لا محالة

بيان تحريم الغيبة بالقلب

اعلم ان سوء الظن حرام
مثل سوء القول فكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك ان تحدث نفسك
وتسيء الظن باخيك ولست اعني به الا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء واما الخواطر وحديث النفس
فهو معفو عنه بل الشك ايضا معفو عنه ولكن المنهي عنه ان تظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس
ويميل اليه القلب وقد قال تع اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب
لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك ان تعتقد في غيرك سوءا الا اذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التاويل
فعند ذلك لا يمكنك ان لا تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك
فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق الفساق وقد قال تع يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق
بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز تصديق ابليس وان كان ثم مخيلة تدل على الفساد واحتمل

خلافه

خلافه لم يجز ان يصدق به حتى ان من استنكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز ان يحد اذ
يقال يمكن ان يكون قد تمضمض بالخمر ومجه وما شربه او حمل عليه قهرا فكل ذلك دلالة محتملة فلا يجوز
تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم به فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه
وماله وان يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح به المال وهو بعين مشاهدة
او بينة عادلة فاذا لم يكن ذلك وخطر لك سوء الظن فينبغي ان تدفعه عن نفسك وتقرر عليها
ان حاله عندك مستور كما كان فان ما رايته منه يحتمل الخير والشر **فان قلت** فبماذا يعرف عقد
الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث **فاقول** امارة عقد الظن ان يتغير القلب معه عما كان
فينفر نفورا ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه امارات عقد
الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن
ان لا يحققه اي لا يحققه في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما في القلب فبتغيره الى النفرة
والكراهة وفي الجوارح بالعمل بموجبه والشيطان قد يقدر على القلب بادنى مخيلة مساءة الناس
ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك وان المؤمن ينظر بنور الله وهو على التحقيق
ناطق بغرور الشيطان وظلمته فما اخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا لانك لو كذبته
لكنت جانيا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب وذلك ايضا من سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن الظن
بواحد وتسيء بالآخر نعم ينبغي ان تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فيتطرق التهمة بسببه وقد
رد الشرع شهادة الاب العدل للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند ذلك ان تتوقف و
ان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول المذكور حاله كان في ستر الله عني وكان امره
محجوبا وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من امره وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ولا محاسدة بينه
وبين المذكور ولكن يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فقد يظن انه عدل وليس بعدل
فان المغتاب فاسق واذا كان ذلك من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد
تساهلوا في امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر سوء على مسلم فينبغي ان
تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك الخاطر
السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر
ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك
على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستصغار وترتفع عنه بدالة الوعظ و
ليكن قصدك تخليصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان وينبغي ان
يكون تركه ذلك من غير نصيحتك احب اليك من تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك كنت قد
جمعت بين اجر الوعظ واجر الغم واجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس
فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي عنه قال تعالى
ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس ان لا تترك عباد الله
تحت ستر الله فتتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا عنك كان اسلم

لقلبك ولدينك وقد ذكرنا في كتاب الامر بالمعروف حكم التجسس وتحقيقه

بيان الاعذار المرخصة في الغيبة

اعلم ان المرخص في ذكر مساءة الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة

الاول التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا به وقد قال صلى الله عليه وسلم لصاحب الحق مقال وقال مطل الغني ظلم وقال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته

الثاني الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح كما روي ان عمر مر على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنهم فسلم عليه فلم يرد فذهب الى ابي بكر رضي الله عنه وذكر له ذلك فجاء ابو بكر اليه ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك قيل لعمر رضي الله عنه ان ابا جندل قد عاقر الخمر بالشام فكتب اليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية ولم ير عمر ذلك ممن قاله غيبة اذ كان قصده ان ينكر عليه عمر فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وانما اباحه هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما

الثالث الاستفتاء كما تقول للمفتي قد ظلمني ابي او زوجتي او اخي فكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بان تقول ما قولك في رجل ظلمه ابوه او زوجته ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روي عن هند انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي افآخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء

الرابع تحذير المسلمين من الشر فاذا رايت متفقها يتردد الى مبتدع او فاسق وخفت ان تتعدى اليه بدعته فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف على سراية البدعة والفسق لا غيره وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة او بالفسق او بعيب آخر فلك ان تذكر ذلك فان في سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري اولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه ان علم مطعنا وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة وان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب فان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح بعيبه فله ان يصرح به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترعوون عن ذكر الفاجر حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وكانوا يقولون ثلاثة لا غيبة لهم الامام الجاير والمبتدع والمجاهر بفسقه

الخامس ان يكون الانسان معروفا باسم يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول روى ابو الزناد عن الاعرج وسليمان عن الاعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولانه صار ذلك بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد ان صار مشهورا به نعم لو وجد عنه معدلا وامكنه التعريف بعبارة اخرى فهو اولى ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص

السادس ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر بالفسق بحيث لا يستنكف من ان يذكر به ولا يكره ان

يذكر به فاذا ذكرت منه ما يتظاهر به فلا اثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر بن الخطاب ليس لفاجر حرمة واراد به المجاهر دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له قال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بالفسق والامام الجاير فهؤلاء الثلاثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به اثم قال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه

بيان كفارة الغيبة

اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتاسف على فعله ليخرج من حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله وهو حزين متاسف نادم على فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية اخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما يحتج في ذلك بما روي انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير وسئل عطاء بن ابي رباح عن التوبة من الفرية فقال ان تمشي الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسات فان شيت اخذت بحقك وان شيت عفوت وهذا هو الاصح وقول القايل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف اذ وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليستحللها منه من قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يوخذ من حسناته فان لم تكن له حسنات اخذ من سيآت صاحبه فيزيد على سيآته وقالت عايشة لامراة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتها فاستحليها فلا بد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غايبا او ميتا فينبغي ان يكثر الاستغفار له والدعاء ويكثر من الحسنات

فان قلت فالتحليل هل يجب **فاقول** لا لانه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر ان يبالغ في الثناء عليه والتودد اليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فان لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة يقابل بها سيئة الغيبة في القيمة وكان بعض السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمني وقال ابن سيرين اني لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحلل ما حرم الله ابدا **فان قلت** فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي ان يستحلها وتحليل ما حرم الله غير ممكن **فنقول** المراد به العفو عن المظلمة لا ان ينقلب الحرام حلالا وما ذكره ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة فانه لا يجوز له ان يحلل لغيره الغيبة **فان قلت** فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اني تصدقت بعرضي على الناس فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله فان كان لا ينفذ صدقته فما معنى الحث عليه **فنقول** معناه اني لا اطلب مظلمتي في القيمة ولا اخاصمه والا فلا يصير الغيبة حلالا به ولا تسقط المظلمة به لانه عفو قبل الوجوب الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم

وان رجع وخاصم كان قياس سائر الحقوق ان له ذلك بل صرح الفقهاء بان من اباح القذف لم يسقط
حقه من حد القذف ومظلمة الاخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل قال الحسن اذا جثت
الامم بين يدي الله يوم القيمة نودوا ليقم من كان اجره على الله فلا يقوم الا من عفا في الدنيا وقال تع
خذ العفو الاية فقال رسول الله صلعم يا جبريل ما هذا العفو قال ان الله يامرك ان تعفو عمن ظلمك
وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقد روي عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث
اليه طبقا من الرطب وقال بلغني انك قد اهديت الي حسناتك فاردت ان اكافيك عليها
فاعذرني فاني لا اقدر ان اكافيك على التمام **الافة السادسة عشر** النميمة وقد قال الله تع هماز
مشاء بنميم قال عبد الله بن المبارك ولد الزنا لا يكتم الحديث واشار به الى ان كل من لا يكتم الحديث
ومشى بالنميمة دل على انه ولد الزنا استنباطا من قوله تع عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو الدعي وقال تع
ويل لكل همزة لمزة قيل الهمزة النمام وقيل حمالة الحطب كانت نمامة حمالة الحديث وقال تع
فخانتاهما الاية قيل كانت امراة لوط تخبر بالضيفان وامراة نوح كانت تخبر انه مجنون وقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي حديث آخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبكم الى الله احسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين
يالفون ويولفون وان ابغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة وان ابغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة
المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبراء العثرات وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بشراركم قالوا
بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقال ابو ذر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشاد على مسلم بكلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله في النار يوم القيمة و
قال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه
بها في الدنيا كان حقا على الله عز وجل ان يذيبه بها يوم القيمة في النار وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها باهل فليتبوء مقعده من النار ويقال
ان ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تع لما خلق الجنة
قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر
من الناس لا يسكن فيك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا
الشرطي ولا المخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان افعل كذا وكذا ثم لم يف
وروي كعب انه اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى مرات فما اجيب واوحى الله تع اليه اني
لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه
من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا ويقال اتبع رجل
حكيما بسبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال اني جئتك للذي آتاك الله من العلم اخبرني عن
السماء وما اثقل منها وعن الارض وما اوسع منها وعن الحجر وما اقسى منها وعن النار وما احر منها و
عن الزمهرير وما ابرد منها وعن البحر وما اغنى منها وعن اليتيم وما اذل منه قال البهتان على البريء
اثقل من السموات والحق اوسع من الارضين والقلب القانع اغنى من البحر والحرص والحسد احر من

النار

النار والحاجة الى القريب اذا لم ينجح ابرد من الزمهرير وقلب الكافر اقسى من الحجر والنمام اذا بان امره
اذل من اليتيم **بيان حد النميمة وما يجب في ردها** اعلم ان اسم النميمة انما يطلق في الاكثر على من
ينم قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليس النميمة مخصوصة به بل حدها
كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه والمنقول اليه او كرهه ثالث وسواء كان الكشف
بالقول او بالكتابة او بالرمز او بالايماء وسواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء كان ذلك
عيبا ونقصانا على المنقول عنه او لم يكن بل حقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه
بل كل ما رآه الانسان من احوال الانسان فينبغي ان يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم او دفع
لمعصية كما اذا راى من يتناول مال غيره فعليه ان يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه فاما اذا
رآه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وافشاء للسر فان كان ما ينم به نقصانا وعيبا في المحكي عنه كان قد
جمع بين الغيبة والنميمة والباعث على النميمة اما ارادة السوء بالمحكي عنه او اظهار الحب للمحكي له او
التفرج بالحديث او الخوض في الفضول وكل من حملت اليه النميمة وقيل له ان فلانا قال فيك
كذا او فعل فيك كذا او هو يدبر في فساد امرك او في ممالاة عدوك او في تقبيح حالك او ما يجري
مجراه فعليه ستة امور الاول ان لا يصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال تع
ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة الثاني ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح
له فعله قال تع وامر بالمعروف وانه عن المنكر الثالث ان يبغضه في الله فانه بغيض عند الله و
يجب بغض من يبغضه الله الرابع ان لا تظن باخيك الغائب السوء لقوله تع اجتنبوا كثيرا من الظن
الخامس ان لا يحملك ما حكي لك على التجسس والبحث لتتحقق لقوله تع ولا تجسسوا السادس
ان لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا
فتكون قد اتيت ما عنه نهيت وقد روي عن عمر بن عبد العزيز انه دخل اليه رجل فذكر عنده عن
رجل شيئا فقال عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الاية ان جاءكم فاسق
بنبا فتبينوا وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الاية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال
العفو يا امير المومنين لا اعود اليه ابدا وذكر ان حكيما من الحكماء زاره بعض اخوانه واخبره بخبر عن
غيره فقال له الحكيم قد ابطات في الزيارة واتيتني بثلاث جنايات بغضت الي اخي وشغلت
قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة وروي ان الخليفة سليمن بن عبد الملك كان جالسا وعنده الزهري
فجاءه رجل فقال له سليمن بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما فعلت ولا قلت فقال
سليمن ان الذي اخبرني كان صادقا فقال الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمن صدقت اذهب
بسلامة وقال الحسن من نم اليك نم عنك وهذا اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا يوثق
بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك من الكذب والغيبة والغدر والغل والحسد والنفاق
والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن قد سعى في قطع ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض
وقال تع انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال صلعم ان
من شر الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال لا يدخل الجنة قاطع بين الناس وهو

الغمام وقيل قاطع الرحم ورُوي عن علي رضي الله عنه ان رجلا اتاه يسعى برجل فقال يا هذا نحن نسأل
عمّا قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك
قال اقلني يا امير المؤمنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي اي خصال المؤمن اوضع له قال كثرة الكلام
وافشاء السر وقبول كل احد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير
اني ذكرته بسوء قال قد كان ذلك قال فاخبرني بما قال لك حتى اظهر كذبه قال ما احب ان اشتم نفسي
بلساني وحسبي اني لم اصدقه فيما قال ولا قطعت عنك الوصال. وذكرت السعاية عند بعض
الصالحين فقال ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طبقة من الناس الا منهم وقال مصعب
بن زبير نحن نرى قبول السعاية شرا من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل
على شيء فاخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعي فلو كان في قوله صادقا لكان في صدقه آثما حيث لم
يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت
سعاية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس بولد
الحلال. ودخل رجل على سليمن بن عبد الملك فاستاذن في الكلام وقال اني مكلمك يا امير المؤمنين
بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته قال قل قال يا امير المؤمنين انه قد اكتنفك
رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تامنهم على ما ائتمنك
الله ولا تصغ اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لن يالوا الامة خسفا والامانة تضييعا والاعراض
قطعا وانتهاكا اعلى قربهم البغي والنميمة واجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وانت مسئول عما
اجترحوا وليسوا بمسئولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان اعظم الناس غبنا بائع
آخرته بدنيا غيره. وسعى رجل بزياد الاعجم الى سليمن بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد على
الرجل يقول. وانت امرء اما ائتمنتك خاليا. فخنت واما قلت قولا بلا علم. فانت من الامر
الذي كان بيننا. بمنزلة بين الخيانة والاثم. وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسواري ما يزال يذكرك
في قصصه بشر فقال له عمرو ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا اديت حقي
حين بلغتني عن اخي ولكن اعلمه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين
ورفع بعض السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته فكتب
على ظهرها السعاية قبيحة وان كانت صحيحة الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال اثمره الله و
الساعي لعنه الله وقال لقمن الحكيم لابنه اني موصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا
ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك
وآمنهم من قبول ساع او سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك وليكن اخدانك من اذا فارقتهم
وفارقوك لم تغتبهم ولم يغتابوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي
اثافي الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك والمنقول عنه
اولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك وعلى الجملة فشر النمام عظيم يجب ان يتوقى قال حماد بن سلمة
باع رجل عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم

قال

قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه عند
نومه شعرات حتى اسحر عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امراتك اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك
فتناوم لها حتى تعرف فتناوم فجاءت المراة بالموسى فظن انها تقتله فقام وقتلها فجاء اهل
المراة وقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر الآفة السابعة عشر كلام ذي اللسانين
الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين
وذلك عين النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في
الدنيا كان له لسانان في النار يوم القيمة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون
من شر عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين الذي ياتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحديث هؤلاء
وفي لفظ آخر ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال ابو هريرة لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون
امينا عند الله وقال ابو هريرة مالك بن دينار قرات في التورية بطلت الامانة والرجل مع
صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيمة كل شفتين مختلفتين وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابغض خليقة الله اليه يوم القيمة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء
لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تخلقوا لهم والذين اذا دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا
دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعا وقال ابن مسعود لا يكونن احدكم امعة قالوا وما الامعة
قال يجري مع كل ريح واتفقوا على ان ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة
وهذه من جملتها. وقد روي ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم يصل عليه
حذيفة فقال عمر مات رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا تصلي عليه فقال يا امير المؤمنين
انه منهم قال فنشدتك الله انا منهم ام لا قال اللهم لا ولا اومن منها احدا بعدك فان
قلت فبماذا يصير ذا اللسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد
منهما وكان صادقا فيه لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة
ضعيفة لا تنتهي الى حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرناه
في كتاب الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد الى الآخر فهو ذو لسانين وذلك شر من النميمة اذ
يصير نماما بان ينقل من احد الجانبين فقط وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه
من المعاداة مع صاحبه فهو ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بانه ينصره وكذلك اذا
اثنى على كل واحد منهما في معاداته وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو
ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين ويثني في حضوره وفي غيبته وبين
يدي عدوه وقيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال
كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول
ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذي احوج نفسه اليه وان كان يستغني عن الدخول
لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى فاثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلعم
حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه يحوج الى الامراء ومراعاتهم و

من ايتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر جايز قال
ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عايشة استاذن رجل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ايذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما دخل اقبل عليه فراجعته لما خرج فقال يا عايشة [عليه م]
ان شر الناس الذي يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد في الاقبال والقول وفي الكشر والتبسم فاما الثناء
فهو كذب صريح فلا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرنا في آفة الكذب بل لا
يجوز الثناء ولا التصديق وتحريك الراس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق
بل ينبغي ان ينكر فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه الآفة الثامنة عشر المدح وهو منهي
عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات
اربعة في المادح واثنان في الممدوح فاما المادح فهو انه قد يفرط فينتهي به الى الكذب قال
خالد بن معدان من مدح اماما او واحدا بما ليس فيه على رؤوس الاشهاد بعثه الله يوم القيمة يتعثر
بلسانه الثانية انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا
لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع
عليه روي ان رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ويحك قطعت عنق
صاحبك ثم قال ان كان لا بد احدكم مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه
الله ان كان يرى انه كذلك فهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقوله
انه متق وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه اما اذا قال رايته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور
مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضا فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول به الا بعد خبرة باطنة
سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثني على رجل فقال اسافرت معه قال لا قال اخالطته قال لا قال والله الذي
لا اله الا هو لا تعرفه الرابعة انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جايز قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بالبقاء فقد احب
ان يعصى الله فالظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح فيفرح اما الممدوح فيضره
من وجهين احدهما انه يحدث فيه كبرا او اعجابا وهما مهلكان قال الحسن كان عمر رضي الله عنه
قاعدا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود فقال رجل هذا سيد بني ربيعة فسمعها عمر ومن
حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك يا امير المومنين قال ما لي ولك
اما لقد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت ان يخالط قلبك منها شيء فاحببت ان اطاطي منك
الثاني هو انه اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن اعجب بنفسه قل تشمره
وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاذا اطلقت الالسنة بالثناء عليه ظن انه قد ادرك ولهذا
قال النبي صلى الله عليه وسلم قطعت عنق صاحبك لو سمعه ما افلح وقال صلى الله عليه وسلم اذا مدحت
اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا وقال ايضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل
عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثناء او مدحة الا تصاغرت الي نفسي وقال زياد بن اسلم
ليس احد يسمع ثناء عليه او مدحه الا تراءى له الشيطان ولكن المومن يراجع قال ابن المبارك قد صدق

كلاهما

كلاهما اما ما ذكر زياد فذلك قلب العوام واما ما ذكر مطرف فذلك قلب الخواص وقال عليه السلام
لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح
الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور او لان المدح يورث الكبر
والعجب وهي مهلكة كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح عن هذه الآفات في حق المادح والممدوح
لم يكن به باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة حتى قال لو
وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح وقال لعمر لو لم ابعث لبعثت يا عمر واي ثناء يزيد على
هذا ولكنه قال عن صدق وبصيرة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا واعجابا وفتورا بل مدح
الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر
اي لست اقول هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله وفي
بقربه من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه
وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه وبتفصيل هذه الآفات يقدر على الجمع بين المدح والحث [بين م]
عليه اذ قال صلى الله عليه وسلم وجبت لما اثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد ان لبني آدم جلساء
من الملايكة فاذا ذكر اخاه المسلم قالت الملايكة ولك مثله واذا ذكره بسوء قالت الملايكة يا ابن
آدم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله اذ يستر عورتك فهذه آفات المدح بيان
ما على الممدوح اعلم ان الممدوح شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو عنه الا بان [يجب ان يكون م]
يعرف نفسه ويتامل في خطر الخاتمة ودقايق الرياء وآفات الاعمال وانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه
المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة
المدح باذلال المادح واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين قال
سفين بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثني على رجل من الصالحين فقال ان هولاء لا يعرفوني
وانت تعرفني وقال علي رضي الله عنه لما اثني عليه اللهم اغفر لنا ما لا يعلمون ولا تواخذني بما
يقولون واجعلني خيرا مما يظنون واثنى رجل على عمر فقال اهلكتني واهلكت نفسك واثنى رجل
على علي في وجهه وكان قد بلغه انه يقع فيه فقال علي انا دون ما قلت وفوق ما في نفسك الآفة التاسعة
عشر الغفلة عن دقايق الخطا في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بامور الدين
فلا يقدر على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل
لكن الله يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم ما شاء
الله وشيت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شيت وذلك لان في العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو
على خلاف الاحترام وقال ابن عباس جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلمة في بعض الامر ما
شاء الله وشيت فقال صلى الله عليه وسلم اجعلتني لله عدلا بل ما شاء الله وحده وخطب رجل
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل و
من يعص الله ورسوله فقد غوى وكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية وجمع وكان ابرهيم يكره ان يقول
الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك وان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله

وفلان وكره بعضهم ان يقول اعتقنا من النار ويقول العتق يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون
من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد قال حذيفة
ان الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد ولكن شفاعته للمذنبين من المسلمين وقال ابرهيم اذا قال
الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيمة حمارا رايتني خلقته وعن ابن عباس ان احدكم ليشرك حتى يشرك
بكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة وقال عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تع ينهاكم ان تحلفوا
بآبائكم قال عمر والله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله صلعم وقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب
كرما انما الكرم الرجل المسلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي
امتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول
المملوك ربي وربتي ولكن سيدي وسيدتي كلكم عبيد والرب الله وقال صلى الله عليه وسلم لا
تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قال انا بريء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما فهذا
وامثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره ومن تامل جميع ما اوردناه من آفات اللسان علم انه اذا اطلق
لسانه لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله صلى الله عليه وسلم من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك
ومعاطب وهو على طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوفقه لسان فصيح
وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة وتقليل في الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا
ينفك عن الخطر فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احد
الغنيمتين **الآفة العشرون** سؤال العوام عن صفات الله تع وعن كلامه وعن الحروف وانها
قديمة او حادثة وحقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن الا ان ذلك ثقيل على النفوس والفضول
خفيف على القلب والعامي يفرح بان يخوض في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انك من العلماء واهل
الفضل فلا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري وكل كبيرة يرتكبها العامي فهو اسلم
له من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شان العوام الاشتغال بالعبادات و
الايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادة سوء
ادب منهم يستحقون به المقت من الله ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب عن
اسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سال عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فانه
بالاضافة اليه عامي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم
بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وقال
انس سال الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال
سلوني فلا تسالوني عن شيء الا انباتكم به فقام اليه رجل فقال يا رسول الله اني في الجنة انا ام في النار فقال
لا بل في النار ثم من ابي فقال ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا فقال
ابوكم الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله افي الجنة انا ام في النار فقال لا بل في النار
فلما راى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه عمر فقال رضينا

بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا فقال اجلس يرحمك الله انك ما علمت
لموفق وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال وكثرة السؤال واضاعة
المال وقال صلى الله عليه وسلم يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله الخلق فمن خلق
الله فاذا قالوا ذلك فقولوا الله احد حتى يختم السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلثا وليستعذ بالله
من الشيطان وقال جابر ما نزلت آية التلاعن الا لكثرة السؤال وفي قصة موسى و
الخضر تنبيه على المنع من السؤال قبل اوان استحقاقه اذ قال فان اتبعتني فلا تسالني عن
شيء حتى احدث لك منه ذكرا فلما سال عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر قال لا تؤاخذني بما نسيت
ولا ترهقني من امري عسرا فلم يصبر حتى سال ثلثا فقال هذا فراق بيني وبينك وفارقه فسؤال
العوام عن غوامض الدين من اعظم الآفات وهي من المثيرات للفتن فيجب زجرهم ومنعهم
وخوضهم في حروف القرآن يضاهي اشتغال من كتب اليه الملك بكتاب يرسم له فيه امورا
فلم يشتغل بشيء منه وضيع زمانه في ان قرطاس الكتاب عتيق او حديث فاستحق به العقوبة
لا محالة فكذا تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه وانها قديمة او محدثة وكذا
سائر صفات الله تع تم كتاب آفات اللسان والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله

كتاب آفة الغضب والحقد والحسد و

هو الكتاب الخامس من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي لا يتكل الا على عفوه ورحمته الراجون ولا يحذر سوى غضبه وسطوته
الخائفون الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وامرهم
بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره
واللذات واملى لهم لينظر كيف يعملون وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون
وعرفهم انه لا يخفى عليه شيء مما يسرون ويعلنون وحذرهم بان ياخذهم بغتة وهم لا يشعرون
فقال ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم
يرجعون والصلوة على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون وعلى آله واصحابه الائمة
المهديون والسادة المرضيون صلوة يوازي عددها ما كان من خلق الله وما سيكون ويحظى
ببركتها الاولون والآخرون **وبعد** فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة
الا انها لا تطلع الا على الافئدة وانها لمستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد
ويستخرجها الكبر الدفين من قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار من الحديد وقد
انكشف للناظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن
استغرته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشياطين حيث قال خلقتني من نار وخلقته من
طين فان شان الطين السكون والوقار وشان النار التلظي والاشتعال والحركة والاضطراب
ومن نتائج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغة

اذا اصلحت صلح لها سائر الجسد واذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد الى مواطن العطب
فما احوجه الى معرفة معاطبه ومساويه ليحذره ويتقيه ويميطه عن القلب ان كان وينفيه ويعالجه
ان ترسخ في قلبه ويداويه فان من لا يعرف الشر يقع فيه ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق
الذي به يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها
بيان ذم الغضب ثم بيان حقيقة الغضب ثم بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله
بالرياضة ام لا ثم بيان الاسباب المهيجة للغضب ثم بيان فضيلة الحلم ثم بيان القدر الذي
يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وفي اسبابه ومعالجته و
غاية الواجب في ازالته ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب
وتاكدها وقلتها في غيرهم وضعفها ثم بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب ثم بيان القدر
الواجب في نفي الحسد عن القلب

بيان ذم الغضب

قال الله تع اذ جعل الذين كفروا في
قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله الآية فذم الكفار بما تظاهروا عليه من الحمية
الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المومنين بما انعم عليهم من السكينة وروى ابو هريرة ان رجلا قال
يا رسول الله مرني بعمل واقلل قال لا تغضب ثم اعاد عليه فقال لا تغضب وقال ابن عمر قلت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا واقلل لعلي اعقله فقال لا تغضب فاعدت عليه مرتين كل ذلك
يرجع الي ان لا تغضب وعن عبد الله بن عمر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يبعدني من غضب
الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا
تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابو هريرة قال النبي صلعم
ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال سليمن بن داود يا بني اياك وكثرة الغضب
فان كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله تع وسيدا وحصورا قال السيد
الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن عمر قال رسول الله صلى لا يغلبه الغضب وقال
ابو الدرداء قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى صلوات
الله عليهما لا تغضب قال لا استطيع الا اغضب انما انا بشر قال لا تقتن مالا قال هذا
عسى وقال صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال صلعم
ما غضب احد الا اشفى على جهنم وقال رجل اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يبعدني من
غضب الله قال لا تغضب

الآثار

قال الحسن يا ابن آدم كلما غضبت وثبت يوشك
ان تثب وثبة تقع في النار وعن ذي القرنين انه لقي ملكا من الملائكة فقال علمني علما ازداد به ايمانا
ويقينا قال لا تغضب فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فرد الغضب بالكظم
وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة فانك اذا عجلت اخطات حظك وكن سهلا لينا للقريب
والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه ان راهبا كان في صومعته فاراد الشيطان
ان يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال افتح فلم يجبه فقال افتح فاني ان ذهبت ندمت فلم

يلتفت اليه فقال اني انا المسيح فقال الراهب ان كنت المسيح فما اصنع بك اليس قد امرتنا
بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيمة فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك قال فقال اني انا
الشيطان وقد اردت ان اضلك فلم استطعك فجئتك لتسالني عما شئت فاخبرك قال
ما اريد ان اسالك عن شيء قال فولاه مدبرا فقال الراهب الا تسمع قال بلى قال اخبرني اي اخلاق بني
آدم اعون لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال
خيثمة الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم واذا رضي جئت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت
حتى اكون في راسه وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار
راس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم والحلم زين ومنفعة والجهل
شين ومضرة والسكوت عن جواب الاحمق جوابه وقال مجاهد قال ابليس ما اعجزني بنو آدم فلن
يعجزوني في ثلاث اذا سكر احدهم اخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما احببنا و
اذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل لحكيم ما
املك فلانا لنفسه قال اذن لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال بعضهم
اياك والغضب فانه يصيرك الى ذلة الاعتذار وقيل اتقوا الغضب فانه يفسد الايمان كما يفسد الصبر
العسل وقال عبد الله بن مسعود انظروا الى حلم الرجل عند غضبه وامانته عند طمعه وما
علمك بحلمه اذا لم يغضب وما علمك بامانته اذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد العزيز الى عامله ان لا تعاقب
عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه
ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد اغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز
فاطرق عمر طويلا ثم قال اردت ان يستفزني الشيطان بعز السلطان فانال منك اليوم ما تناله
مني غدا وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحي في التنانير
المسجورة فاقل الناس غضبا اعقلهم فان كان للدنيا كان دهاء ومكرا وان كان للآخرة كان
علما وحلما وقد قيل الغضب عدو العقل والغضب غول العقل وكان عمر رضي الله عنه اذا خطب
قال في خطبته افلح منكم من حفظ من الهوى والطمع والغضب وقال بعضهم من اطاع غضبه وشهوته
قاده الى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وايمان في يقين وعلم في
حلم وكيس في رفق واعطاء في حق وصدق في غناء وتجمل في فاقة واحسان في قدرة وصبر في
شدة لا يغلبه الغضب ولا يجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا
يقصر به نيته ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر يغفر اذا ظلم
ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك اجمل
لنا حسن الخلق في كلمة فقال ترك الغضب وقال نبي من الانبياء لمن معه من يكفل لي ان لا يغضب
ويكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم انا ثم اعاد عليه فقال الشاب
انا ووفى به فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل سمي به لانه كفل بالغضب ووفى به
وقال وهب بن منبه للكفر اربعة اركان الغضب والشهوة والخرق والطمع

بيان

حقيقة الغضب اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان باسباب في داخل
بدنه واسباب خارجة منه انعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك الى اجل معلوم سماه
في كتابه اما السبب الداخل فهو انه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الرطوبة والحرارة عداوة
ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تنفشي اجزاؤها بخارا يتصاعد منها
فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من اجزائها لفسد الحيوان فخلق الله الغذاء
الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما انكسر
وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب واما الاسباب الخارجة
التي يتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر الى حمية وقوة
تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه فخلق الله الغضب من النار وغرزه في الانسان وعجنها
بطينته فمهما قصد في غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده فاشتعل نار الغضب وثار ثورانا
يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الى اعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي
يغلي في القدر فلذلك ينصب الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة بصفائها تحكي لون ما وراءها
من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها وانما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر
القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه ياس من الانتقام تولد منه انقباض
الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب فصار حزنا ولذلك يصفر اللون وان كان على نظير يشك
فيه تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب فصار حزنا تردد الدم بين انقباض
وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب
لطلب الانتقام وانما تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع المؤذيات قبل وقوعها والى التشفي و
الانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن الا به ثم
الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في اول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال اما
التفريط فبفقد هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك
قال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الحمية والغضب اصلا فهو ناقص جدا
وقد وصف الله الصحابة بالشدة والحمية فقال اشداء على الكفار وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه و
سلم جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب
واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج من سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى
للمرء معه بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته امور غريزية
وامور اعتيادية فرب انسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كان صورته في الفطرة
صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبرودة المزاج تطفيه وتكسر سورته واما الاسباب الاعتيادية فهو ان
يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول
الرجل منهم انا الذي لا اصبر على المحال ولا احتمل من احد ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره في

معرض الفخر لجهله فمن سمعه فيترسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به
الغضب ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها اعمى صاحبه واصمه عن كل موعظة فاذا
وعظ لم يسمع بل زاده غضبا وان استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر اذ ينطفئ نور
العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب فان معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب
من غليان دم القلب دخان الى الدماغ مظلم يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى الى
معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسود عليه الدنيا باسرها ويكون دماغه على مثال
كهف اضرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره وامتلا بالدخان جوانبه وكان فيه سراج
ضعيف فانطفى وانمحى نوره فلا تثبت فيه قدم ولا تسمع فيه كلمة ولا ترى فيه صورة ولا تقدر على اطفائه لا
من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب
بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه غيظا
كما تقوى النار في الكهف فيتشقق وتنهد اعاليه على اسافله وذلك لابطال النار ما في جوانبها
من القوة الممسكة الجامعة لاجزائها فهكذا حال القلب مع الغضب وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم
الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا وارجى سلامة من النفس المضطربة غيظا اذ في
السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها واما القلب فهو صاحب السفينة
وقد سقطت حيلته اذ اعماه الغضب واصمه ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة
الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على
الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في حال غضبه
قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره
فان الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا
فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمرة بالمثمر فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان
فانطلاقه بالشتم والفحش وقبائح الكلام الذي يستحيي منه ذوو العقول ويستحيي منه قائله عند
فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم
والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او فاته بسبب
وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على
الارض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير وربما يسقط صريعا لا يطيق العدو
والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب
القصعة على الارض وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها ويتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة والجماد
ويخاطبه ويقول الى متى منك يا كيت وكيت كانه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة فيرفس
الدابة ويقابلها به واما اثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد واضمار السوء
والشماتة بالمساءة والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير
ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط واما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يؤنف

منه من التعرض للحرم والزوجة والامة واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو ايضا مذموم
اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهي خنوثة قال صلى الله عليه وسلم ان سعدا لغيور وانا اغير
من سعد والله اغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح الناس بها لاختلطت
الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها ومن ضعف
الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم خير امتي احداؤها
يعني في الدين وقال تعالى ولا تأخذكم بهما رافة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ لا تتم
الرياضة بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة ففقد
الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية
وينطفي حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله تعالى بها عباده وهو الوسط
الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور اوساطها فمن مال غضبه الى التفريط
فليحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي ان
يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغي
ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم
وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى ولن تستطيعوا ان
تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة فليس كل من عجز عن الاتيان
بالخير كله ينبغي ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة
الغضب ودرجاته **بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله بالرياضة ام لا** اعلم انه ظن ظانون
انه يتصور محو الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه تتوجه واياه تقصد وظن آخرون
انه اصلا لا يقبل العلاج وهذا راي من يظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرايين
ضعيف بل الحق فيه ما نذكره وهو ان الانسان ما بقي يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو عن الغيظ
والغضب وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد وان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب
يتبع ذلك فانه مهما اخذ منه محبوبه غضب لا محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا ان ما يحبه الانسان
ينقسم الى ثلاثة اقسام **الاول** ما هو ضرورة في حق الكافة وهو القوت والمسكن وصحة البدن
فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وان يغضب وكذلك اذا اخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك
اذا اخرج من داره التي هي مسكنه او اريق ماؤه الذي هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان من
كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها **القسم الثاني** ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال
الكثير والغلمان والدواب فان هذه امور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب
والفضة محبوبين في انفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقه وان كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا
الجنس مما يتصور ان ينفك الانسان عن اصل الغيظ عليه فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها
ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز ان يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب
باخذها فانه لا يحب وجودها ولو احب وجودها لغضب على الضرورة باخذها واكثر غضب الناس على ما

هو ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة
يغضب اذا زاحمه مزاحم عن التصدر في المحافل ومن لا يحب ذلك ولا يبالي لو جلس في صف النعال
فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات الردية هي التي اكثرت محاب الانسان ومكارهه
فاكثر غضبه وكلما كانت الارادات والشهوات اكثر كان صاحبها احط رتبة وانقص لان
الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص والجاهل ابدا جهده في ان يزيد في حاجاته وفي شهواته
وهو لا يدري انه مستكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الردية ومخالطة
قرناء السوء الى ان يغضب لو قيل له انه لا يحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا يقدر
على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذائل والغضب على هذا الجنس ليس ضروريا
لان حبه ليس ضروري **القسم الثالث** ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب
للعالم مثلا فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك ادوات الصناعات في حق
المكتسب الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها فانما هو وسيلة الى الضروري والوسيلة الى الضروري
والمحبوب ضروري ومحبوب وهذا يختلف في الاشخاص وانما الضروري ما اشار اليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقوله من اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها
ومن كان بصيرا بحقائق الامور وسلم له هذه الثلاث يتصور ان لا يغضب في غيرها فهذه ثلثة
اقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها اما القسم الاول فليست الرياضة فيها لينعدم
غيظ القلب ولكن لكي يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه
الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال
خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ من القلب فذلك مقتضى الطبع وذلك غير ممكن نعم يمكن كسر سورته
وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه
ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث ايضا لان ما صار ضروريا في حق شخص فلا يمنعه من
الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد
التالم بالصبر عليه واما القسم الثاني فيمكن التوصل الى الرياضة بالانفكاك عن الغضب عليه اذ يمكن
اخراج حبه من القلب وذلك بان يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الآخرة وانما الدنيا معبر يعبر
عليها ويتزود منها قدر الضرورة وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد فيها ويمحو
حبها عن القلب ولو كان للانسان كلب لا يحبه لم يغضب اذا ضربه غيره فالغضب تبع للحب فالرياضة
في هذا قد تنتهي الى قمع اصل الغضب وهو نادر جدا وقد ينتهي الى المنع من استعمال الغضب والعمل
بموجبه وهو اهون **فان قلت** الضروري من القسم الاول التالم بفوات المحتاج اليه دون الغضب
فمن له شاة وهو قوته فماتت لا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة
غضب فالانسان يتالم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى
يرى الاشياء كلها من الله فلا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في
يد الكاتب ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي

فيرها

قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الموت والذبح من الله فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع ايضا
بحسن الظن بالله وهو ان يرى ان الكل من الله وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيرة وربما يكون الخيرة في جوعه
ومرضه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد والحجام فان قلت انه يرى ان الخيرة فيه فنقول هذا
على هذا الوجه غير محال ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما يكون كالبرق الخاطف يغلب في احوال
مختطفة ولا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو
تصور ذلك على الدوام لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه كان يغضب حتى يحمر وجهه حتى قال
اللهم انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما مسلم سببته او لعنته او ضربته فاجعلها مني صلوة
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله اكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضى فقال
اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا حق واشار الى لسانه فلم يقل اني لا اغضب ولكن
قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق اي لا اعمل بموجب الغضب وغضبت عايشة رضي الله عنها
مرة فقال صلى الله عليه وسلم ما لك جاء شيطانك فقالت ولك شيطان قال بلى ولكني دعوت
الله تعالى فاعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بالخير فلم يقل لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن
قال لا يحملني على الشر وقال علي رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه
الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له وكان يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو
التفات الى الوسائط على الجملة بل كل من غضب على من ياخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه
منها فانما غضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب
مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق
القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان لما شتم قال ان خفت موازيني
فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الآخرة فلم يتاثر
قلبه بالشتم ولذلك شتم الربيع بن خثيم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة
ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم اقطعها فانا شر مما تقول وسب رجل ابا بكر رضي الله عنه
فقال ما ستر الله عنك اكثر فكانه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن ان يتقي الله حق تقاته ويعرفه
حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك
لجلالة قدره وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما عرفني غيرك فكانه كان مشغولا بان
ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكرا على نفسه ما يلقيه الشيطان اليه فلم يغضب لما نسب اليه وشتم
رجل الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقاويل
دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل ان يكون قد اثر في قلوبهم
ولكن لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فان اشتغال القلب ببعض المهمات لا
يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فاذن يتصور فقد الغضب (الغيظ) اما باشتغال
القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله يحب منه ان لا يغتاظ
فيطفئ شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة وقد عرفت بهذا ان طريق الخلاص من نار

الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوايلها كما سياتي في كتاب حب
الدنيا ومن اخرج حب المزايا عن القلب تخلص من اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن محوه فيمكن كسره
وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه

بيان الاسباب المهيجة للغضب

قد عرفت ان علاج كل علة بحسم مادتها وازالة اسبابها فلا بد من معرفة اسبابها وقد قال
يحيى لعيسى عليهما السلام اي شيء اشد قال غضب الله قال فما يقرب من غضب الله قال ان تغضب
قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال له عيسى الكبر والفخر والتعزز والحمية والاسباب المهيجة
للغضب هي الزهو والعجب والمزح والهزل والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على
فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية مذمومة شرعا ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه
الاسباب فلا بد من ازالة هذه الاسباب باضدادها فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع وتميت
العجب بالمعرفة بنفسك كما سياتي في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك من حيث
البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة واما المزح فتزيله بالتشاغل بالمهمات
الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفتها واما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضايل
والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادة الآخرة واما الهزء فتزيله بالتكرم عن
ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزا بك واما التعيير فبالحذر عن القول القبيح و
صيانة النفس عن مر الجواب واما شدة الحرص على فضول العيش فتزال بالقناعة بقدر
الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من
هذه الصفات يفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوايلها
لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة
مالوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذايل وتخلصت ايضا عن
الغضب الذي يتولد منها ومن اشد البواعث للغضب عند اكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية
وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس اليه وتستحسنه
وقد يتاكد ذلك بحكاية شدة الغضب من الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مايلة الى التشبه
بالاكابر فيهيج الغضب في القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان
عقل وهو لضعف النفس ونقصانها وآية انه لضعف النفس ان المريض اسرع غضبا من الصحيح والمراة
اسرع غضبا من الرجل والصبي اسرع غضبا من الرجل والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل
وذو الخلق السيئ والرذايل القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضايل فالرذل يغضب لشهوته
اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى يغضب على اهله وولده واصحابه بل القوي من يملك
نفسه عند الغضب بل ينبغي ان يعالج هذا الجاهل بان يتلى عليه حكايات اهل الحلم والعفو وما
استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والحكماء والعلماء واكابر الملوك الفضلاء
وضد ذلك منقول عن الاتراك والاكراد والجهلة والاغبياء الذين لا عقل لهم ولا فضل

بيان علاج الغضب بعد هيجانه

اعلم ان ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه

حتى لا يهيج فاذا جرى سبب يهيجه فعنده التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم
وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل **اما العلم** فهو ستة امور الاول في
ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه
فيمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفي غيظه قال مالك بن اوس الحدثان
غضب رجل على عمر وامر بضربه فقال يا امير المومنين خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
فكان عمر يقول خذ العفو وامر بالعرف فكان يتامل الاية وكان وقافا على كتاب الله مهما تلي عليه كثير
التدبر فيه فتدبر وخلى الرجل وامر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرا قوله تعالى والكاظمين الغيظ
وقال لغلامه خل عنه الثاني ان يخوف نفسه بعقاب الله وهو ان يقول قدرة الله على
اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت غضبي عليه لم آمن ان يمضي الله غضبه علي يوم القيمة
احوج ما اكون الى العفو وقد قال الله تعالى في بعض الكتب يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك
حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا الى حاجة فابطا عليه
فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك اي القصاص في القيمة قيل وما كان في بني اسرائيل ملك الا
ومعه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة وفيها ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان
يقرأها حتى يسكن غضبه الثالث ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو
لمقابلته والسعي في هدم اغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب
الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف من الآخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من
اعمال الآخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه العاجلة تقدم بعضها على بعض الا ان يكون محذوره
ان يتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثابا عليه الرابع ان يتفكر
في قبح صورته عند غضبه بان يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه و
مشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للانبياء
والعلماء والحكماء ويخير نفسه بين ان تتشبه بالكلاب والسباع واراذل الناس وبين ان تتشبه
بالانبياء والعلماء في عادتهم لتميل الى حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقي فيه مسكة من عقل
الخامس ان يتفكر في السبب الذي يدعوه الى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وان يكون
له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا
في اعين الناس فليقل لنفسه ما اعجبك يا نفس تانفين من الاحتمال الآن ولا تانفين من خزي
يوم القيمة والافتضاح اذا اخذ هذا بيدك وانتقم منك وتحذرين من ان تصغري في اعين الناس ولا
تحذرين من ان تصغري عند الله وعند الملائكة والنبيين ومهما كظم الغيظ فينبغي ان يكظمه لله وذلك
يعظمه عند الله فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيمة اشد من ذله لو انتقم الآن افلا يحب ان يكون
هو القائم اذا نودي يوم القيمة ليقم من اجره على الله فلا يقوم الا من عفا فهذا وامثاله من معارف
الايمان فينبغي ان يكرره على قلبه السادس ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق
مراد الله لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي اولى من مراد الله ويوشك ان يكون غضب الله اعظم

من

من غضبه **واما العمل** فان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يقال عند الغضب وكان صلى الله عليه وسلم اذا غضبت عايشة اخذ بانفها
وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات
الفتن فيستحب ان يقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قايما واضطجع ان كنت جالسا
واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع
السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الغضب
جمرة توقد في القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك
شيئا فان كان قايما فليجلس وان كان جالسا فلينم فان لم يزل ذلك فتوضا بالماء البارد او اغتسل
فانما الغضب من النار وفي رواية ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما
تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا غضبت فاسكت وقال ابو هريرة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قايم جلس
واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غيظه وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه و
سلم الا ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد
من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض وكان هذا اشارة الى السجود وتمكين اعز الاعضاء من اذل المواضع
وهو التراب لتستشعر النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وروي ان
عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب
وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي ابي اوليت قلت نعم قال اذا غضبت فانظر الى
السماء فوقك والى الارض تحتك ثم اعظم خالقهما وروي ان ابا ذر قال لرجل يا ابن الحمراء في خصومة
بينهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر بلغني انك اليوم عيرت رجلا بامه فقال
نعم فانطلق ابو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه و
سلم فقال يا ابا ذر ارفع راسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان
تفضله بعمل ثم اذا غضبت فان كنت قايما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا
فاضطجع وقال المعتمر بن سليمن كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحايف
فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني هذه وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي
فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطي الصحيفة الاولى
فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك لست باله انما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا فسكن
بعض غضبه فاعطي الثانية فاذا فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السماء فذهب غضبه فاعطي
الثالثة فاذا فيها خذ الناس بحق الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك اي لا تعطل الحدود وغضب
المهدي على رجل فقال شبيب لا تغضبن لله باشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله

فضيلة كظم الغيظ قال تعالى والكاظمين الغيظ وذكر ذلك في معرض المدح وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره ومن خزن

لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم اشدكم من ملك نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا بالقدرة وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملأ الله قلبه يوم القيمة رضى وفى رواية ملأ الله قلبه امنا وايمانا وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله عز وجل وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد الا ملأ الله جوفه ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلائق يخيره فى اى الحور شاء

الآثار قال عمر رضى الله عنه من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيمة لكان غير ما ترون وقال لقمن لابنه يا بنى لا تذهب ماء وجهك بالمسئلة ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك ينفعك معيشتك وقال ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفين الثورى وابو خزيمة اليربوعى والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد واجتمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر بن عبد العزيز ما تقضى بالعدل ولا تعطى الجزل فغضب عمر حتى عرف فى وجهه فقال له رجل يا امير المؤمنين الم تسمع ان الله عز وجل يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت فكانما كانت نارا فاطفيت وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق واذا اقدر لم يتناول ما ليس له وجاء رجل الى سلمان فقال يا عبد الله اوصنى قال لا تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك

فضيلة الحلم اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غضبه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغضب وان هاج فلا يكون فى كظمه تعب وهو الحلم الطبيعى وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن لا تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب عليكم جهلكم اشار بهذا الى ان التجبر والكبر هو الذى يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغننى بالعلم وزيننى بالحلم واكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية وقال ابو هريرة قال النبى صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هى يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصايم القايم وانه ليكتب جبارا وما يملك الا اهل بيته وقال ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله ان لى قرابة اصلهم ويقطعونى واحسن اليهم ويسيئون الى ويجهلون على واحلم عنهم قال لئن كان كما تقول فكانما تسفهم

الملّ ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك الملّ يعنى الرمل وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندى صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضى فهو عليه صدقة فاوحى الله الى النبى صلى الله عليه وسلم انى قد غفرت له وقال صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابى ضمضم قالوا وما ابو ضمضم قال رجل كان فيمن قبلكم اذا اصبح يقول اللهم انى اتصدق اليوم بعرضى على من ظلمنى وقيل فى قوله تعالى ربانيين اى حلماء علماء وعن الحسن فى قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطاء بن ابى رباح يمشون على الارض هونا اى حلما قال ابن ابى حبيب فى قوله وكهلا قال الكهل منتهى العلم وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما اى اذا اوذوا صفحوا وروى ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبح ابن مسعود وامسى كريما ثم تلا ابرهيم بن ميسرة وهو الراوى قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا يدركنى زمان ولا ادركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب وقال صلى الله عليه وسلم ليلينى منكم ذووا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم وهيشات الاسواق وروى انه وفد الى النبى صلى الله عليه وسلم الاشج فاناخ راحلته ثم عقلها ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع ثم اقبل يمشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم يا اشج ان فيك خلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بابى انت وامى قال الحلم والاناءة فقال خلقان تخلقتهما او خلقان جبلتهما قال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحليم الحيى الغنى المتعفف ويبغض الفاحش البذى السائل الملحف وقال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتدن بشئ من عمله تقوى تحجزه عن معاصى الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به فى الناس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الخلائق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسيرون فينطلقون سراعا الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسئ الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فقالوا لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين

الآثار قال عمر رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وقال على رضى الله عنه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان تبارى الناس بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله واذا اسات استغفرت الله وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم وقال اكثم دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر وقال ابو الدرداء ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم نقدوك وان تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك وقال على رضى الله عنه ان اول عوض الحليم من حلمه ان الناس كلهم

اعوانه على الجاهل وقال معوية لايبلغ الرجل مبلغ الراي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولايبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال معوية لعمرو بن الاهتم اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه قال اي الرجال اسخى قال من بذل دنياه لصلاح دينه وقال انس بن مالك في قوله تع فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم الى قوله عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا يغفر الله لك وان كنت صادقا يغفر الله لي وعن بعضهم قال شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم عني فاستعبدني بها زمانا وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال يا عكرمة هل للرجل حاجة نقضيها فنكس الرجل راسه واستحيى وقال رجل لعمر بن عبد العزيز اشهد انك من الفاسقين قال ليس تقبل شهادتك وعن علي بن الحسين بن علي انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع فيه خمس خصال الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشي من الدنيا يسير وقال معوية لعرابة بن اوس بم سدت قومك يا عرابة قال يا امير المومنين كنت احلم عن جاهلهم واعطي سايلهم واسعى في حوايجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه وقال رجل لجعفر بن محمد انه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في امر واني اريد ان اتركه فيقال لي ان تركك له ذل فقال جعفر انما الذليل الظالم وقال الخليل بن احمد كان يقال من اساء فاحسن اليه جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل اساءته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم ولكني اتحلم وقال وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطي ومن يحرص على الشر لا يسلم ومن لا يدع المراء يشتم ومن لا يكره الشر ياثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله يامن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسال الله يفتقر ومن لا يكرم الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر وقال رجل لمالك بن دينار بلغني انك ذكرتني بسوء قال انت اذا اكرم علي من نفسي اي اذا فعلت ذلك اهديت اليك حسناتي وقال بعض العلماء الحلم ارفع من العقل لان الله عز وجل يسمى به وقال رجل لبعض الحكماء والله لاسبنك سبا يدخل معك في قبرك قال معك يدخل لا معي ومر المسيح بن مريم صلى الله عليه بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده وقال لقمن ثلثة لا يعرفون الا عند ثلثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخاك الا عند حاجتك اليه ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم الطعام فخرجت امراة الحكيم وهي سيئة الخلق فرفعت المايدة واقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال تذكر يوما كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المايدة وافسدت ما عليها فلم يغضب احد منا فقال نعم فقال فاحسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فسري عن الرجل وانصرف وقال صدق الحكيم شفاء من كل الم وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال اقمته مقام حجر تعثرت بها وذبحت الغضب وقال محمود الوراق • سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب • وان كثرت منه علي

الجرائم

الجرائم • وما الناس الا واحد من ثلثة • شريف ومشروف ومثل مقاوم • فاما الذي فوقي فاعرف قدره • واتبع فيه الحق والحق لازم • واما الذي دوني فان قال صنت عن • اجابته عرضي وان لام لايم • واما الذي مثلي فان زل او هفا • تفضلت ان الفضل بالخير حاكم

بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام

اعلم ان القدر كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله ولا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب وكذا ساير المعاصي وانما القصاص والغرامة على ما ورد الشرع به وفصلناه في الفقه واما السب فلا يقابل بمثله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرو عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان شيطانان يتهاتران وشتم رجل ابا بكر وهو ساكت فلما ابتدا ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انك كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان وقال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه صلى الله عليه وسلم عن التعيير بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي والذي يرخص منه ان يقول من انت وهل انت الا من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود وهل انت الا من بني هذيل فقال ابن مسعود وهل انت الا ابن امية ومثل قوله يا احمق قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حماقة من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله وكذا قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيي الخلق صفيق الوجه ثلابا للاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حياء ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت واخزاك الله وانه ينتقم منك فاما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روي انه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالدا عند سعد فقال سعد مه ان ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني ان ياثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوزان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة الى الزنا او الفحش ما روت عايشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ارسلن فاطمة فجاءت فقالت يا رسول الله ارسلني ازواجك يسالنك العدل في ابنة ابي قحافة والنبي صلى الله عليه وسلم قايم فقال يا بنية اتحبين ما احب قالت نعم قال فاحبي هذه فرجعت اليهن واخبرت بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيئا فارسلن زينب بنت جحش قالت وهي التي كانت تساميني في الحب فجاءت فقالت بنت ابي بكر وبنت ابي بكر فما زالت تذكرني وانا ساكتة انتظر ان ياذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجواب فاذن لي فسببتها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا انها بنت ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام وقولها سببتها ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم فاثبت للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر هو الذي اباحه هولاء وهو رخصة في الايذاء جزاء على ايذائه السابق ولا يبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجر

الى ما وراءه ولا يمكن الاقتصار على مقدار الحق فيه والسكوت عن اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فور الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف في الابتداء ولكن يحقد في الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود بطيء الخمود وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك وقال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني آدم خلقوا على طبقات منهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء ولما كان الغضب في الحال يهيج ويؤثر في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما يتعدى الواجب ولانه يكون متشفيا غيظه ومريحا نفسه فيكون صاحب حظ فيه وينبغي ان يكون انتقامه وانتصاره لله لا لنفسه راى عمر رضي الله عنه سكرانا فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر فقيل له يا امير المؤمنين لما شتمك تركته فقال لانه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني لعاقبتك

القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق

اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار منه وان يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية امور اولها الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبته ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين اعني الحسد وسيأتي ذمه الثاني ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلاء الثالث ان تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك واقبل عليك الرابع وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له الخامس ان تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره السادس ان تحاكيه استهزاء به وسخرية منه السابع ايذاؤه بالضرب وما يولم بدنه الثامن ان تمنعه حقه من صلة رحم وقضاء دين او رد مظلمة وكل ذلك حرام واقل درجات الحقد ان تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما يعصي الله به ولكن تستثقله بالباطن ولا ينتهي قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة على ذكر الله والمعاونة على المنفعة او بترك الدعاء والثناء عليه او التحريض على بره ومواساته فهذا كله ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب ولما حلف ابو بكر

ان لا ينفق على مسطح وكان قريبه ولكن تكلم في واقعة الافك نزل قوله تع ولا يأتل اولوا الفضل منكم الى قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم وقال ابو بكر نعم نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه والاولى ان يبقى على ما كان فان امكنه ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهي من فضائل اعمال المقربين فللحقود ثلاثة احوال عند القدرة احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل الثاني ان يحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل الثالث ان يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الارذال والثاني هو اختيار الصديقين والاول هو منتهى درجات الصالحين ولنذكر الآن فضيلة العفو والاحسان

فضيلة العفو

اعلم ان العفو ان تستحق حقا فتسقطه وتتبرأ عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه وقد قال الله تع خذ العفو الآية وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيمة ولا فتح رجل باب مسئلة الا فتح الله عليه باب الفقر وقال صلعم التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عايشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله تع فاذا انتهك من محارم الله شيء كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن مأثما وقال عقبة بن عامر لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فبدرته فاخذت بيده او بدرني فاخذ بيدي فقال يا عقبة الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى يا رب اي عبادك اعز عليك قال الذي اذا قدر عفا وكذلك سئل ابو الدرداء من اعز الناس فقال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمة فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يجلس واراد ان ياخذ له بمظلمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المظلومين هم المفلحون يوم القيمة فابى ان ياخذها حين سمع الحديث وقالت عايشه رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من ظلمه فقد انتصر وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الخلائق يوم القيمة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة فاخذ بعضادتي الباب فقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلثا فقال صلى الله عليه وسلم اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وعن سهل بن عمرو قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وضع يده على باب الكعبة والناس حوله فقال

لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا
معشر قريش ما تقولون وما تظنون قال قلت نقول يا رسول الله خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم
وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم
وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على
الله فليدخل الجنة قيل من الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فقام كذا وكذا الفا فدخلوها
بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوالي امر ان يؤتى بحد
الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرا وليعفوا وليصفحوا الآية وقال جابر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث من جاء بهن مع الايمان دخل من اي ابواب الجنة شاء وزوج من حور العين
حيث شاء من ادى دينا خفيا وقرا في دبر كل صلوة قل هو الله احد عشر مرات وعفا عن قاتله و
قال ابو بكر او احديهن يا رسول الله قال او احديهن **الآثار** قال ابرهيم التيمي ان الرجل
ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو لانه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية بالظلم وانه يطالبه
يوم القيمة فلا يكون له جواب وقال بعضهم اذا اراد الله ان يتحف عبدا قيض له من يظلمه ودخل
رجل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو اليه رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى الله ومظلمتك
كما هي خير لك من ان تلقاه وقد انتقصتها وقال يزيد بن ميسرة ان ظللت تدعو على من ظلمك
فان الله يقول ان آخر يدعو عليك انك ظلمته فان شئت استجبنا لك واجبنا عليك وان شئت
اخرتكما الى يوم القيمة فيسعكما عفوي وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه
فانه اسرع اليه من دعائك عليه الا ان يتداركه بعمل وقمن ان لا يفعل وعن ابن عمر عن ابي بكر
قال بلغنا ان الله تع يامر مناديا يوم القيمة فينادي من كان له عند الله شي فليقم فيقوم اهل
العفو فيكافيهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وقال هشام بن محمد اتي النعمان بن المنذر
برجلين احدهما قد اذنب ذنبا عظيما فعفا عنه والآخر اذنب ذنبا صغيرا فعاقبه فقال تعفو
الملوك عن العظيم من الذنوب لفضلها ولقد يعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها الا
لنعرف حلمها ويخاف شدة بطشها وعن مبارك بن فضالة قال وفد سوار بن عبد الله في
وفد من اهل البصرة الى ابي جعفر فكنت عنده اذ اتي برجل فيامر بقتله فقلت يقتل رجل من
المسلمين وانا حاضر ثم قلت يا امير المؤمنين الا احدثك بحديث سمعته من الحسن قال وما هو
قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيمة جمع الله الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم
البصر فيقوم مناد من له عند الله تبارك وتعالى يد فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال والله لسمعته من
الحسن فقلت والله لسمعته من الحسن فقال خلوا عنه وقال معوية عليكم بالحلم والاحتمال
حتى تمكنكم الفرصة فاذا امكنتكم فعليكم بالصفح والافضال وروي ان راهبا دخل على هشام
بن عبد الملك فقال للراهب ارايت ذا القرنين كان نبيا فقال لا ولكنه انما اعطي ما اعطي باربع
خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع اليوم لغد وقال
بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن من ظلم فحلم ثم قدر فعفا وقال زياد القدرة

تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب واتي هشام برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه
جعل يتكلم بحجته فقال هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل يا امير المؤمنين قال الله عز وجل يوم تاتي كل نفس
تجادل عن نفسها افنجادل الله ولا نتكلم انت كلاما فقال له هشام بلى ويحك فتكلم وروي ان سارقا
دخل على خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له اقطعه فانه من اعدائنا فقال بل استر عليه لعل الله
ان يستر علي يوم القيمة وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع متاعا فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت
في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون عليه اللهم اقطع يد السارق
الذي اخذها فقال عبد الله ان كان حمله على اخذها حاجة فبارك له فيها وان كان حملته جراءة على الذنب اللهم
فاجعله آخر ذنوبه وقال الفضيل ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في المسجد الحرام ثم
قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت اعلى الدنانير تبكي قال لا ولكن مثلتني و
اياه بين يدي الله فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكائي رحمة له وقال مالك بن دينار اتينا منزل
الحكم بن ايوب وهو على البصرة ليلا وجاء الحسن وهو خائف فدخلنا عليه مع الحسن فما كنا معه
الا بمنزلة الفراريج فذكر الحسن قصة يوسف وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له في الجب
فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال ايها الامير ماذا صنع
الله به اداله منهم ورفع ذكره واعلى كعبه وجعله على خزائن الارض فماذا صنع حين كمل له امره وجمع له اهله
قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ولو لم اجد الا ثوبي لواريتكم تحته وكتب ابن المقفع الى
صديق له يساله العفو عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لائذ بك منك واعلم انه لا يزداد
الذنب عظما الا ازداد العفو فضلا واتي عبد الملك بن مروان باسارى من الاشعث فقال لرجاء
بن حيوة ما ترى قال ان الله قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم وروي
ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج فافلت منه فاخذ اخا له فقال ان جئت باخيك والا ضربت
عنقك فقال ارايت ان جئتك بكتاب من امير المؤمنين تخلي سبيلي قال نعم قال فانا آتيك بكتاب من العزيز
الحكيم واقيم عليه شاهدين ابرهيم وموسى ثم تلا ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر
اخرى فقال زياد خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه
فقد هزم الشيطان **فضيلة الرفق** اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة والعنف
نتيجة الغضب والفظاظة والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة وقد يكون سبب الحدة
الغضب وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت و
الرفق في الامور ثمرة لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن الخلق الا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة و
حفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال يا عائشة
انه من اعطي حظه من الرفق اعطي حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير
الدنيا والآخرة وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال صلى الله عليه و
سلم ان الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق وما من اهل بيت
يحرمون الرفق الا قد حرموا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي

على العنف وقال عليه السلام يا عايشة ارفقي فان الله اذا اراد باهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق و
قال عليه السلام من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال صلى الله عليه وسلم ايما وال ولي فلان ورفق رفق به يوم القيمة
وقال صلعم تدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب وقال صلى الله عليه وسلم الرفق يمن والخرق
شوم وقال صلى الله عليه وسلم التاني من الرحمن والعجلة من الشيطان وروي ان رسول الله صلعم اتاه
رجل فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله مرتين
او ثلثا ثم اقبل عليه فقال هل انت مستوص مرتين او ثلثا قال نعم قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته
فان كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانته وعن عايشة انها كانت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تضربه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة
عليك بالرفق فانه لا يدخل في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه **الآثار** بلغ عمر بن الخطاب رضه
ان جماعة اشتكوا من عماله فامرهم ان توافوه فلما اتوه قام فحمد الله واثنى عليه وقال ايتها الرعية
ان لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير ايتها الرعاة ان للرعية عليكم حقا واعلموا انه لا حلم
احب الى الله ولا اعم من حلم امام ورفقه وليس جهل ابغض الى الله ولا اعم من جهل امام وخرقه واعلموا
انه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية فيمن هو دونه وقال وهب بن منبه الرفق ثني الحلم
وفي الخبر موقوفا ومرفوعا العلم خليل المومن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده
واللين اخوه والصبر امير جنوده وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل وما
احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شيء الى شيء مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما
الرفق قال ان تكون ذا اناة وتلاين الولاة قال فما الخرق قال معاداة امامك ومناواة من
يقدر على ضررك وقال سفين لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور مواضعها
الشدة في موضعها واللين في موضعه وهذه اشارة الى انه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة
بالرفق كما قيل ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى
فالمحمود وسط بين العنف واللين كما سياتي في ساير الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى الحدة
والعنف اميل كانت الحاجة الى ترغيبهم في جانب الرفق اكثر فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق
دون العنف وان كان العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن فاذا كان الواجب هو العنف
فقد وافق الحق الهوى وهو الذ من الزبد بالشهد هكذا قاله عمر بن عبد العزيز وروي ان عمرو بن
العاص كتب الى معوية يعاتبه في التاني فكتب اليه معوية اما بعد فان التفهم في الخير زيادة
ورشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخايب من خاب عن الاناة وان المتثبت مصيب
او كاد ان يكون مصيبا وان العجل مخطي او كاد ان يكون مخطيا فان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق
ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي وعن ابن عون الانصاري قال ما تكلم بكلمة صعبة الا و
الى جانبها الين منها يجري مجراها وقال ابو حمزة الكوفي لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل
انسان شيطانا واعلم انه لا يعطوك بالشدة شيا الا اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن
المومن وقاف متان وليس كحاطب ليل فهذا ثناء اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في

اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجة الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق
عن مواقع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة او اشكل عليه حكم واقعة من الوقايع فليكن
ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر **القول في ذم الحسد وفي اسبابه ومعالجته** وغاية الواجب في
ازالته **بيان ذم الحسد** اعلم ان الحسد ايضا من نتايج الحقد والحقد من نتايج الغضب فهو فرع
فرع الغضب والغضب اصل اصله ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد
خاصة اخبار كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب
وقال صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا
عباد الله اخوانا وقال انس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن
من هذا الفج رجل من اهل الجنة قال فطلع رجل من الانصار ينطف لحيته من وضوئه وقد علق نعليه
في يده الشمال فسلم فلما كان من الغد قال النبي عليه السلام مثل ذلك فتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص
فقال اني لاحيت ابي فاقسمت ان لا ادخل عليه ثلاثا فان رايت ان تؤويني اليك حتى تمضي فعلت
فقال نعم فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيا غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله
تع ولم يقم حتى يقوم لصلوة الفجر قال غير اني لم اسمعه يقول الا خيرا فلما مرت الثلاث وكدت ان احتقر
عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كذا وكذا فاردت ان اعرف عملك فلم ارك تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذاك قال ما هو الا ما
رايت غير اني لا اجد على احد من المسلمين في نفسي غشا ولا حسدا على خير اعطاه الله اياه قال
عبد الله هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينجو منهن احد الظن و
الطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا
حسدت فلا تبغ وفي رواية لا ينجو منهن احد وقل من ينجو منهن فاثبت في هذه الرواية امكان النجاة و
قال صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر
ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تومنوا ولن تومنوا حتى تحابوا
الا انبيكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا
وكاد الحسد ان يغلب القدر وقال صلى الله عليه وسلم سيصيب امتي داء الامم قالوا وما داء الامم
قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج
وقال صلعم لا تظهر الشماتة لاخيك فيرحمه الله ويبتليك وروي ان موسى لما تعجل الى ربه راي
في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا لكريم على ربه فسال ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه
وقال احدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا
يمشي بالنميمة وقال زكريا صلوات الله عليه قال الله تع الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضايي غير راض
بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدون
ويقتتلون وقال صلعم استعينوا على قضاء الحوايج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه وسلم
ان لنعم الله اعداء فقيل ومن ذلك قال الذين يحسدون الناس على ما آتيهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم سيدخل

النار قبل الحساب بستة قيل يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر و
التجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد **الآثار** قال بعض السلف ان اول خطيئة
كانت هي الحسد حسد ابليس آدم ان يسجد له فحمله على المعصية • وحكي ان عون بن عبد الله دخل على
الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشيء فقال وما ذلك فقال
اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله به ثم قرا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية واياك والحرص فانه اخرج آدم
من الجنة امكنه الله من جنة عرضها السموات والارض ياكل منها الا شجرة واحدة نهاه الله عنها فاكل منها
فاخرجه الله ثم قرا اهبطا منها الى آخر الآية واياك والحسد فانه قتل ابن آدم حين حسده ثم قرا واتل عليهم
نبا ابني آدم بالحق واذا ذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ذكر الله فاسكت واذا ذكرت
النجوم فاسكت وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول احسن
الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيك مساويه فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به الى الملك
فقال ان هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم ان الملك ابخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك
عندي قال تدعوه اليك فاذا دنى منك وضع يده على انفه لئلا يشم ريح البخر قال له انصرف حتى
انظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل الى منزله فاطعمه طعاما فيه ثوم فخرج من عنده وقام بحذاء
الملك فقال احسن الى المحسن باحسانه والمسيء سيكفيك مساويه فقال له الملك ادن مني فدنا
منه فوضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك رائحة الثوم فقال الملك في نفسه ما ارى فلانا الا وقد
صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه الا بجائزة او صلة فكتب له كتابا بخطه الى عامل من عماله
اذا اتاك صاحب كتابي فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي فاخذ الكتاب وخرج
فلقي الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب فقال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو
لك فاخذه ومضى الى العامل فقال العامل في كتابك ان اذبحك واسلخك فقال ان الكتاب
ليس هو لي الله الله في امري حتى تراجع الملك قال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا
جلده تبنا ثم عاد الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال ما فعل الكتاب فقال
لقيني فلان فاستوهبه فوهبته قال الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر قال ما قلت قال فلم
وضعت يدك على انفك قال كان اطعمني طعاما فيه ثوم وكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى
مكانك فقد كفاك المسيء مساويه قال ابن سيرين ما حسدت احدا على شيء من الدنيا لانه ان
كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف
احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما انساك
بني يعقوب نعم ولكن غمه في صدرك فانه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا وقال ابو الدرداء ما
اكثر عبد ذكر الموت الا قل فرحه وقل حسده وقال معوية كل الناس اقدر على رضاه الا حاسد
نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذلك قيل • كل العداوة قد ترجى اماتتها • الا عداوة من عاداك
عن حسد • وقد قال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرى وحسب الحسود ما يلقى وقال اعرابي
ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة نعمة عليك وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد

اخاك فان كان الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم
تحسد من مصيره الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا
ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة
وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا

بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه

اعلم انه لا حسد الا على نعمة فاذا انعم الله على اخيك نعمة فلك فيها حالتان احديهما ان تكره
تلك النعمة وتحب زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها
من المنعم عليه الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي
لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد
منافسة فيوضع احد اللفظين بدل الآخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله
عليه وسلم المؤمن يغبط والمنافق يحسد فاما الاول فهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها
فاجر او كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وافساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضرك
كراهيتك لها ومحبتك لزوالها فانك لا تحب زوالها من حيث انها نعمة بل من حيث هي آلة الفساد
ولو امنت فساده لم يغمك تنعمه ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وان هذه الكراهة
تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة واي معصية
تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير ان يكون لك فيه مضرة والى هذا اشار القرآن بقوله ان
تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد و
الشماتة يتلازمان وقال تعالى لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا فاخبر ان حبهم زوال نعمة
الايمان حسد وقال ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ثم ذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف
وعبر عما في قلوبهم فقالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة الى قوله وجه ابيكم فلما
كرهوا حب ابيه له وساءهم ذلك واحبوا زوالها فغيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون حاجة مما
اوتوا اي لا يضيق به صدورهم ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض الانكار
ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال كان الناس امة واحدة الى قوله الا الذين اوتوه
من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته فامرهم
ان يتالفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد
بعضهم على بعض قال ابن عباس كانت اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا
قوما قالوا نسالك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا وكانوا
ينصرون فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم فقال
تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الى قوله ان يكفروا
بما انزل الله بغيا اي حسدا وقالت صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء ابي وعمي من
عندك فقال ابي لعمي ما تقول فيه قال اقول فيه انه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى
قال ارى معاداته ايام الحيوة فهذا حكم الحسد في التحريم واما المنافسة فليست بحرام

بل هي اما واجبة او مندوبة او مباحة وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة
قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل ان ياتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسألاه ان يؤمرهما
على الصدقة لعلي حين قال لهما علي لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما عليها فقالا له ما هذا منك الا
نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك اي هذا منك حسد وما حسدناك على
تزويجك فاطمة فالمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة والذي يدل على اباحة المنافسة قوله تع و
في ذلك فليتنافس المتنافسون وقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وانما المنافسة عند خوف الفوت
وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع كل واحد ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه
بمنزلة لا يحظى هو بها وكيف وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا حسد الا في اثنين
رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر
ذلك في حديث ابي كبشة الانماري فقال مثل هذه الامة مثل اربعة رجل آتاه الله مالا وعلما فهو
يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب لو ان لي مال فلان كنت اعمل
فيه بمثل عمله فهما في الاجر سواء وهذا منه حب لان يكون له مثل ما كان له من غير حب زوال النعمة
عنه قال ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق في معاصي الله ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مال
فلان كنت اعمل بمثل عمله فهما في الوزر سواء فذمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه للمعصية
لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ما له فاذن لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي
لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له نعم ان كانت تلك النعمة نعمة دينية
واجبة كالايمان والصلوة والزكوة فهذه المنافسة واجبة وهو ان يحب ان يكون مثله لانه ان لم
يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة من الفضائل كانفاق الاموال في
المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح
فالمنافسة فيها مباحة وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهية
النعمة وكان تحت هذه النعمة امران احدهما راحة المنعم عليه والآخر ظهور نقصان غيره عليه وتخلفه
عنه وهو يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له ولا حرج على من يكره تخلف
نفسه ونقصانها في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضل ويناقض الزهد والتوكل والرضا
ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان وههنا دقيقة غامضة وهو انه اذا
ايس من ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان و
انما يزول نقصانه اما بان ينال مثله او بان يزول نعمة المحسود فاذا انسد احد الطريقين فيكاد
القلب لا ينفك عن شهوة للطريق الآخر حتى اذا زالت النعمة من المحسود كان ذلك اشهى عنده من
دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا لا يكاد ينفلت القلب عنه فان كان بحيث لو
القي الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في زوال النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان
يزعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عنه ما يجده في طبعه من ارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما
كان كارها من نفسه بعقله ودينه ولعله المعني بقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينفك
لذكرها

المؤمن

المؤمن منها الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ اي ان وجدت
في قلبك شيئا فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان مريدا للحوق باخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن
ميل الى زوال النعمة اذ يجد لا محالة له ترجيحا على دوامها فهذا الحد من المنافسة يتاخم الحسد الحرام
فينبغي ان يحتاط له فانه موضع الخطر ولا انسان الا وهو يرى فوق نفسه من معارفه واقاربه من يحب
ان يساويه ويكاد يجره ذلك الى الحسد المحظور ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه
خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن
اخيه حتى ينزل هو الى مساواته اذ لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه
اصلا بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين ومقاصد الدنيا ولكن يعفى ذلك عنه ما لم يعمل به ان
شاء الله ويكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد واحكامه **واما**
مراتبه فاربع الاولى ان يحب زوال النعمة عنه وان كانت لا تنتقل اليه وهذا غاية الخبث
الثانية ان يحب زوال النعمة لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او امراة جميلة
او ولاية نافذة واسعة نالها غيره وهو يحب ان تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه
فقد النعمة لا تنعم غيره بها الثالثة ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب
زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها
عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة فيها مذموم
وغير مذموم والثانية اخف من الثالثة والاولى مذموم محض وتسمية الثانية حسدا فيه تجوز و
توسع ولكنه مذموم قال تع ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم اما
تمنيه عين ذلك فهو مذموم **بيان اسباب الحسد والمنافسة** اما المنافسة فسببها حب
ما فيه المنافسة فان كان امرا دينيا فسببه حب الله وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات
الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة
ابواب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس
وشحها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس
الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته له او الى من يحبه فاما ان يكون من
حيث يعلم انه سيتكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما احتماله
ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان تكون
النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب واما ان يخاف من فوات
مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون بحب الرياسة التي تبتني
على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس
وشحها بالخير لعباد الله ولا بد من شرح هذه الاسباب الاول العداوة والبغضاء وهذا
اشد اسباب الحسد فان من آذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه
ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض

عن ان يشتفي بنفسه احب ان يشتفي منه الزمان وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله فمهما اصاب
عدوه بلية فرح وظنها مكافاة من جهة الله له على بغضه وانها لاجله ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك
لانه ضد مراده وربما يظهر له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل انعم عليه و
بالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا يبغي وان يكره ذلك من نفسه
واما ان يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله
الكفار به اعني الحسد بالعداوة اذ قال واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من
الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا
بها وكذلك قال تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم والحسد بسبب البغض ربما يفضي
الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه
والسبب الثاني التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية
او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه
فليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكن لا يرضى بترفعه عليه و
السبب الثالث ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد
له والمتابعة في اغراضه فاذا نال نعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما يتشوف
الى مساواته او الى ان يترفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر كان
حسد الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطاطئ له
رؤسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له و
نتبعه اذا كان عظيما وقال الله تعالى يصف قول قريش أهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار
لهم والانفة منهم والسبب الرابع التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا و
قالوا انؤمن لبشرين مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة
والوحي والقرب من الله بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النعمة عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم
في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة او سبب آخر من سائر الاسباب وقالوا
متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وقال تعالى او عجبتم ان جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم والسبب الخامس الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود
واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد
الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل
به الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما
نيل المال من القبول عندهم وكذلك العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب
كل واحد منزلة في قلبهم للتوصل بهم الى اغراض له والسبب السادس حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه
من غير توسل به الى المقصود وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون اذا
غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وانه لا نظير

له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في
المنزلة من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد به ويفرح بسبب
تفرده وليس السبب في هذا عداوة ولا تعزز ولا تكبر على المحسود ولا خوف من فوات مقصود
سوى محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب
الناس للتوصل الى مقاصد سوى الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله ولا
يؤمنون به خيفة من ان تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم والسبب السابع خبث
النفس وشحها بالخير لعباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده
حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما انعم به عليه شق ذلك عليه واذا وصف له اضطراب امور الناس
وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على
عباده كانهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته ويقال البخيل من يبخل بمال نفسه والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على
عباده الذين ليس بينه وبينهم لا عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس
ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب
اسبابه عارضة يتصور زوالها فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر
ازالته او يستحيل في العادة ازالته فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب
او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم الحسد لذلك ويقوى قوة لا يقدر معه على الاخفاء
والمجاملة بل يهتك حجاب المجاملة ويظهر العداوة بالمكاشفة واكثر المحاسدات يجتمع فيها
جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد

بيان السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب

وتاكده وقلته في غيرهم وضعفه اعلم ان الحسد انما
يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الاسباب و
تتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه عدو والى غير ذلك
من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين اقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس
المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر طبعه و
ابغضه وثبت الحقد فيه فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته لغرضه
ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه وتترادف جملة الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في
بلدتين متباينتين فلا تكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق
او مسجد او مدرسة تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر
والتباغض ومنه يثور بقية اسباب الحسد فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد
يحسد العابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر بل الاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد
البزاز الا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه وابن عمه اكثر مما يحسد
الاجانب والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته لان مقصد
البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له اكثر من مزاحمة البعيد عنه
الى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار اكثر وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم

لان مقصوده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده للفقيه و الطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود اخص فاصل هذه المحاسدات العداوة واصل العداوة التزاحم على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين ولذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين اما الآخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وانبيائه وملكوت ارضه وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق عن العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا ينقص لذة واحد بسبب غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة فيما عند الله لان اجل ما عند الله من النعيم لذة لقائه وليس فيه ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لان المال هو اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنه يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر او نقص منه لا محالة فيكون ذلك سببا للمحاسدة واذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله لم يمنع ذلك ان يمتلئ قلب غيره وان يفرح به فالفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه وان المال اجسام واعيان ولها نهاية فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يتملكه والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك الذ عنده من كل نعيم ولم يكن ممنوعا عنه ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره ايضا لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فيكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يأمن زوالها وهو ابدا يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ابدا ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة و ان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم بعد انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذن لا يتصور ان يكون في الجنة محاسدة ولا ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة ولا مزاحمة فيها ولا ينال الا بمعرفة الله التي لا مزاحمة فيها في الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان

اللعين وذكر من صفاته انه حسد آدم على ما خص به من الاجتباء ولما دعي الى السجود استكبر وابى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل و لهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر الى زينة السماء ويتحاسدون على البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض لا وزن لها بالاضافة الى السماء ولكن السماء متسعة الاقطار وافية بجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم وتحاسد اصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك شفيقا ان تطلب نعيما لا زحمة فيه ولذة لا مكدر لها ولا يوجد ذلك الا في الدنيا الا في معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وعجائب ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك في الآخرة الا بهذه المعرفة ايضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله ولم تجد لذتها فقد فتر عنه رأيك وضعفت فيه رغبتك فانت فيه معذور فالعنين لا يشتاق الى لذة الجماع والصبي لا يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة المعرفة يختص بادراكها الرجال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فلا يشتاق الى هذه اللذة غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في اسفل السافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين

بيان الدواء الذي به ينفى مرض الحسد عن القلب

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين بل تنتفع به في الدنيا والدين وانه لا ضرر به على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به في الدنيا والدين ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت اولياء الله وانبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتألم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم اذ اعداؤك لا يخليهم الله عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما متشعب القلب ضيق النفس كما تشتهيه لاعدائك وكما تشتهي اعداؤك لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقدا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما اعجب من العاقل ان يتعرض لسخط الله من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة و اما انه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره

الله من اقبال ونعمة فلا بد وان يدوم الى اجل قدره الله فلا حيلة في دفعه فان كل شيء عنده بمقدار
ولكل اجل كتاب ، ولذلك شكا نبي من الانبياء من امراة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله
اليه فر من قدامها حتى تنقضي ايامها اي ما قدرناه في الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر حتى تنقضي
المدة التي سبق القضاء بدوام اقبالها فيها ومهما لا تزول النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا
ولا يكون عليه اثم في الاخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي وهذا غاية
الجهل فانه بلاء تشتهيه اولا لنفسك فانك ايضا لا تخلو من عدو يحسدك فلو كانت النعم تزول بالحسد
لم تبق نعمة عليك وعلى الخلق ولا نعمة الايمان لان الكفار يحسدون المومنين على الايمان قال تعالى ودت
طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم اذ ما يريده الحسود لا يكون نعم هو يضل
بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر فمن اشتهى ان يزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانه
يريد ان يسلب نعمة الايمان بحسد الكفار وكذا ساير النعم وان اشتهيت ان تزول النعمة عن الخلق
بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد ايضا
ان يخص بهذه الخاصية ايضا ولست باولى من غيرك فنعمة الله عليك في ان لم تزل النعمة بالحسد مما يجب
عليك شكرها وانت بجهلك تكرهها واما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح اما
منفعته في الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة و
القدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهي هدايا تهديها اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيمة مفلسا
محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكانك اردت زوال النعمة عنه فلم تزل نعم كان لله عليك
نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت لنفسك شقاوة الى شقاوة
واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين
مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وغاية اماني اعدايك ان يكونوا في نعمة وان تكون في
غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي عدوك موتك بل يشتهي ان
تطول حيوتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر الى نعمة الله عليه وينقطع قلبك حسدا ولذلك قيل ،
لا مات اعداؤك بل خلدوا ، حتى يروا منك الذي يكمد ، ما زلت محسودا على نعمة ، فانما الكامل من يحسد
ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد وعذابه لكان ذلك
اعظم مصيبة وبلية عنده فما انت فيما تلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه عدوك فاذن اذا تاملت
هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والاخرة و
انتفع به عدوك في الدنيا والاخرة وصرت مذموما عند الخلق والخالق شقيا في الحال والمال ونعمة
المحسود دايمة شيت ام ابيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت الى ادخال اعظم سرور
على ابليس الذي هو اعدى اعدايك لانه لما راك محروما عن نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص
به عدوك عنك خاف ان تحب ذلك فتشاركه في الثواب بسبب المحبة لان من احب الخير للمسلمين كان
شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجة الاكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما احب ذلك فخاف
ابليس ان تحب ما انعم الله به على عبده من دينه ودنياه فيفوز بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا يلحقه

بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقام اعرابي ورسول الله صلعم يخطب فقال متى الساعة
فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت كثير صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال النبي
عليه السلم انت مع من احببت قال انس فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يوميذ اشارة الى ان
اكثر بغيتهم كان حب الله ورسوله قال انس نحن نحب رسول الله وابا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم و
نرجو ان نكون معهم وقال ابو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام
ولا يصوم حتى عد اشياء فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقال رجل لعمر بن عبد العزيز
انه كان يقال ان استطعت ان تكون عالما فكن عالما فان لم تستطع ان تكون عالما فكن متعلما
فان لم تستطع ان تكون متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل
الله مخرجا فانظر الان كيف حسدك ابليس ففوت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغضه
اليك وحملك على الكراهية حتى اثمت وكيف لا وعساك تحاسد رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطي في
دين الله وينكشف خطاه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم و
اي اثم يزيد على ذلك فليتك اذا فاتك اللحاق به اغتممت بسببه وسلمت من الاثم وعذاب الاخرة فقد
جاء في الحديث اهل الجنة ثلاث المحسن والمحب والكاف عنه اي من يكف عنه الاذى والحسد والبغض
والكراهة فانظر كيف ابعدك ابليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تدور بها البتة فقد نفذ عليها حسد
ابليس وما نفذ حسدك على عدوك بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظة او منام لرايت نفسك
ايها الحاسد في صورة من يرمي حجرة الى عدوه ليصيبه وبها يقتله فلا تصيبه بل ترجع الى حدقته
اليمنى فتقلعها فيزيد غضبه ثانيا فيعود ويرميها اشد من الاول فرجعت على عينه الاخرى
فتعميها فيزداد غضبه فتعود ثالثة على راسه فتشجه وعدوه سالم في كل حال وهو اليه راجع مرة بعد
اخرى واعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه لا
بل حالك في الحسد اقبح من هذا لان الحجر العايد لم يفوت الا العين ولو بقيت لفاتت بالموت
لا محالة والحسد يعود بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله والى النار فلان
تذهب عينه في الدنيا خير من ان تبقى له عين يدخل بها في النار فيقلعها لهب النار فانظر
كيف انتقم الله من الحاسد اذ اراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها الله ثم ازالها من الحاسد اذ السلامة
من الاثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا منه تصديقا لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء
الا باهله وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوه وقل ما يشمت شامت بمساءة الا ويبتلى
بمثلها حتى قالت عايشة رضي الله عنها ما تمنيت لعثمان شيا الا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل
لقتلت فهذا اثم الحسد نفسه فكيف بما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق واطلاق
اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الاعداء وهو الداء الذي فيه هلك الامم فهذه هي الادوية
العلمية فمهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفى من قلبه نار الحسد وعلم انه
مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه واما العمل النافع فيه فهو ان يحكم

اعني انك تهدي اليه

الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل ينبغي ان يكلف نفسه نقيضها فان بعثه الحسد على
القدح فيه كلف لسانه المدح والثناء عليه وان حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار
اليه وان بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة في الانعام فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود
طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد واحبه وتولد منه الموافقة التي تقطع مادة الحسد لان
التواضع والمدح والثناء واظهار السرور بالنعمة يستميل قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله
على مقابلة ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه فيصير ما تكلفه اولاً
طبعاً آخراً ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان له لو تواضعت واثنيت حمله العدو على العجز وعلى
النفاق والخوف وان ذلك مذلة ومهانة فان ذلك من خدع الشيطان ومكايده بل المجاملة تكلفاً
او طبعاً تكسر سورة العداوة من الجانبين ويقل مرغوبها ويعود القلوب الى التوالف والتحاب
وبه تستريح القلوب من الم الحسد وغم التباغض فهذه هي ادوية الحسد وهي نافعة جداً الا انها
مرة جداً ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما يهون
مرارة هذا الدواء اعني التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي
ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله واحباب ما احبه وعزة النفس وترفعها عن ان يكون
في العالم شيء على خلاف مرادها وعند ذلك يريد ما يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما يريد وفوات
المراد ذل وخسة ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين الا بان يكون ما تريد او بان تريد
ما يكون والاول ليس لك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجاهدة فيه مدخل
وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي فاما الدواء المفصل
فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني وسيأتي تفصيل مداواة
هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض الا بقمع المادة فان لم يقمع
المادة لم يحصل مما ذكرناه الا تسكين وتطفية مع بقاء مواده فانه ما دام محباً للجاه فلا بد وان
يحسد من استاثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما غايته ان يهون
العم على نفسه فلا يظهر بلسانه ويده فاما الخلو عنه راساً فلا يمكنه

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب

اعلم ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن آذاك فلا يمكنك ان لا تبغضه
غالباً فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك ان لا تكرهه حتى يستوي عندك حسن حال عدوك و
سوء حاله بل لا يدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك في الحسد له ولكن يزال
ان قوي ذلك فيك حتى يبعثك على اظهار الحسد بقول وفعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك
بافعالك الاختيارية فانت حسود عاص بحسدك وان كففت ظاهرك بالكلية الا انك بباطنك
تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فانت ايضا حسود عاص لان الحسد
صفة القلب لا صفة الفعل قال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا وقال تعالى ودوا
لو تكفرون وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم واما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل
صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد

ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هي معصية بينك وبين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب
الظاهرة على الجوارح فاما اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك كراهة قلبك ما يترشح منه بالطبع من
حب زوال النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل
من جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من هذا فاما تغيير الطبع
ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه او غمه بما يتيسر لهما من نعمة او ينصب عليهما من بلية سواء فهذا
مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتاً الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقاً بحب الله تعالى مثل السكران
الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال العباد بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهي
عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وافعالهم افعالاً لله ويراهم مسخرين وذلك ان كان فهو كالبرق الخاطف لا
يدوم ويرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته اعني الشيطان فانه ينازع بالوسوسة
فمهما قابل ذلك بكراهية الزم قلبه فقد ادى ما كلف وذهب ذاهبون الى انه لا ياثم اذا لم يظهر الحسد
على جوارحه لما روي عن الحسن انه سئل فقال غمه فانه لا يضرك ما لم تبده وروي عنه مرفوعاً
وموقوفاً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة في المؤمن له منهن مخرج ومخرجه من الحسد
ان لا يبغي والاولى ان يحمل هذا على ما ذكرناه من ان يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب
الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهة تمنعه من البغي ومن الايذاء فان جميع ما ورد من الاخبار في
ذم الحسد يدل بظاهره على ان كل حاسد آثم والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال وكل محب
مساءة للمسلمين فهو حاسد فاذا كونه آثماً بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد والاظهر
ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد ان يعفى عن العبد في ارادته
مساءة المسلم واشتمال القلب عليه من غير كراهية وقد عرفت من هذا ان لك في اعدائك ثلاثة احوال
احدها ان تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه
وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنك قطعاً لانه لا يدخل تحت الاختيار
اكثر منه الثانية ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد
المحظور قطعاً الثالثة وهي بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك و من
غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا محل الخلاف والظاهر
انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه تم كتاب آفة الغضب والحقد والحسد و
الحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله اجمعين

كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه توكل وبه نستعين

الحمد لله الذي عرف اولياءه غوائل الدنيا وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها
حتى نظروا في شواهدها وآياتها ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها
ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها بكسوفها ولكنها في صورة امراة مليحة تستميل الناس

بجمالها وطها اسار تسوء وقبائح هلك الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها
واذا اقبلت لم يؤمن شرها ووبالها ان احسنت ساعة اساءت سنة وان اساءت مرة
جعلها سنة فدوائر اقبالها على التقارب دائرة وتجارة بنيها خاسرة بائرة وآفاتها على التوالي
لصدور طلابها راشقة ومجاري احوالها بذل طالبيها ناطقة فكل متعزز بها الى الذل مصيره
وكل متكثر بها الى التحسر مصيره شانها الهرب من طالبها والطلب لهاربها من خدمها فاتته
ومن اعرض عنها اتته لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات
سلامتها تعقب السقم وشبابها لا يسوق الا الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسرة والندم فهي
خداعة مكارة طيارة فرارة لا تزال تتزين لطلابها حتى اذا صاروا من احبابها كشرت لهم عن
انيابها وشوشت عليهم مناظم اسبابها وكشفت لهم مكنون عجائبها فاذاقتهم قواتل سمومها و
رشقتهم بصوائب سهامها بينما اصحابها منها في سرور وانعام اذ ولت عنهم كانها اضغاث
احلام ثم عكرت عليهم بدواهيها وطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في اكفانهم تحت الصعيد وان
ملكت احدهم جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كان لم تغن بالامس تمني اصحابها سرورا وتعدهم
غرورا حتى يأملوا كثيرا ويبنوا قصورا فيصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم هباء
منثورا وكان امر الله قدرا مقدورا والصلوة على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا
ونذيرا وعلى من كان من آله واصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم كثيرا **وبعد**
فان الدنيا عدوة لله وعدوة لاولياء الله وعدوة لاعداء الله اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق
على عباد الله ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها واما عداوتها لاولياء الله فانها تزينت لهم
بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها واما عداوتها
لاعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها و
عولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم من
السعادة ابد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكائدها يستغيثون ولا يغاثون
بل يقال لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينصرون واذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد من معرفة حقيقة الدنيا ما هي
وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مداخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه و
يوشك ان يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها واصناف
الاشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة الى اصولها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل
بفضولها ان شاء الله تعالى

بيان ذم الدنيا

الآيات الواردة في ذم الدنيا وامثلتها
كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء ولم
يبعثوا الا لذلك فلا حاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما نورد بعض الاخبار
الواردة فيها فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة
على صاحبها قالوا نعم قال والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله عز وجل من هذه على صاحبها ولو كانت

الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن
وجنة الكافر وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال ابو
موسى الاشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر
بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة وقال زيد
بن ارقم كنا مع ابي بكر فدعا بشراب فاتي بماء وعسل فلما ادناه من فيه بكى وبكى حتى ابكى اصحابه فسكتوا
وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لن يقدروا على مسألته قال ثم مسح عينيه فقالوا يا خليفة
رسول الله ما ابكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار معه
احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم
رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك وقال صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب
للمصدق بدار الحيوان وهو يسعى لدار الغرور وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة
فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا
وهذه اشارة الى ان زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي ترى بها ستصير عظاما
بالية وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون
ان بني اسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب وقال
عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه
فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وقال ايضا يا معشر الحواريين اني قد كببت لكم الدنيا
على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا ان الله عصي فيها وان من خبث الدنيا ان
الآخرة لا تدرك الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا
ورب شهوة اورثت حزنا طويلا وقال صلعم بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم
فيها الملوك والنساء فاما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فانهم لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم
واما النساء فاتقوهن بالصوم والصلوة وقال ايضا الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة
تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فياخذ بعنقه
وقال موسى بن يسار قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جل ثناؤه لم يخلق خلقا ابغض اليه
من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروي ان سليمن بن داود صلى الله عليه وسلم مر في موكبه
والطير تظله والجن والانس عن يمينه ويساره قال فمر بعابد من عباد بني اسرائيل فقال
والله يا ابن آدم لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمعه سليمن فقال لتسبيحة في صحيفة مؤمن
خير مما اعطي ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى وقال رسول الله صلعم
حين نزل الهيكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت
فافنيت او لبست فابليت وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها
يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال
صلى الله عليه وسلم من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم قلبه اربع خصال هما لا

ينقطع عنه وشغلا لا ينفرج منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا او قال ابو هريرة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدي واتى بي واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس ناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا ابا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتامل آمالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا وهذه العذرات الوان اطعمتكم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم واصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا ، وروي ان الله عز وجل لما اهبط آدم الى الارض قال ابن آدم للخراب ولد للفناء ، وقال داود بن هلال مكتوب في صحف ابرهيم عليه السلام يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تصنعت وتزينت لهم اني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا اهون علي منك كل شانك صغير والى الفناء تصيرين قضيت عليك يوم خلقتك ان لا تدومي لاحد ولا يدوم لك احد وان بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين اطلعوني من قلوبهم على الرضى ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء اذا وفدوا الي من قبورهم النور يسعى امامهم والملائكة حافون بهم حتى ابلغهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله تع لا ينظر اليها وتقول يوم القيمة يا رب اجعلني لادنى اوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شيء اني لم ارضك لهم في الدنيا ارضاك لهم اليوم ، وروي في اخبار آدم صلوات الله عليه انه لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شيء من اطعمة الجنة الا في هذه الشجرة فلذلك نهيا عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله تع ملكا يخاطبه فقال قل له اي شيء تريد قال آدم اريد ان اضع ما في بطني من الاذى فقيل للملك قل له في اي مكان تضعه اعلى الفرش ام على السرر ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا ، وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون وياخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه ، وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة والنار ، وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد ، وروي ان جبرئيل قال لنوح عليه السلام يا اطول الانبياء عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من الآخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا فقال يكفينا خلقان من كان قبلنا ، وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت ، وعن الحسن قال

اي دار ضاكره

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال امله فيها اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله اعطاه الله عز وجل ثواب خمسين صديقا ، وروي ان عيسى اشتد به المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيئا يلجا اليه فرفعت له خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها امراة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع يده عليه وقال الهي لكل شيء ماوى ولم تجعل لي ماوى فاوحى الله اليه ماواك في مستقر من رحمتي لازوجنك يوم القيمة مائة حوراء خلقتها بيدي ولاطعمن في عرسك اربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم ، وقال عيسى عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويامنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون ويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا عند الله ، وقيل اوحى الله الى موسى عليه السلام يا موسى ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم ، وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلوة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشيء قالوا اجل يا رسول الله قال فابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى عليكم ان تبسط لكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم ، وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال رسول الله صلعم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها فضلا من اصابة عينها و قال عمار بن سعيد مر عيسى صلى الله عليه وسلم بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية والطرق فقال لهم يا معشر الحواريين ان هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا يا رسول الله وددنا انا علمنا خبرهم فسال ربه فاوحى الله اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل اشرف على نشز ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما قصتكم قالوا بتنا في عافية واصبحنا في الهاوية قال وكيف ذاك قال بحبنا الدنيا وطاعتنا اهل المعاصي قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حزنا وبكينا قال فما بال اصحابك لم يجيبوني قال لانهم ملجمون بلجام من نار بايدي ملائكة غلاظ شداد قال كيف اجبتني من بينهم قال لاني كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم فانا معلق على شفير

جهنم لا ادري انجو منها ام اكبكب فيها فقال المسيح للحواريين لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة وقال انس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضبا لا تسبق فجاء اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حق على الله ان لا يرفع شي في الدنيا الا وضعه وقال عيسى صلى الله عليه وسلم من ذا الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى صلوات الله عليه علمنا علما واحدا يحبنا الله عليه قال ابغضوا الدنيا يحببكم الله وقال ابو الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ثم قال ابو الدردا من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم لخرجتم الى الصعدا تبكون على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن تغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا تعلمون فبعضكم شر من البهايم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على الدين ما فرق بين اهوايكم الا خبث سرايركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم ما لكم تناصحون في امر الدنيا ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على امر آخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لانها املك بامورکم فان قلتم حب العاجل غالب فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب امر لعلكم لا تدركوه فبيس القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاء به محمد فاتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمين به قلوبكم والله ما انتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم انكم تستبينون صواب الراي في دنياكم وتاخذون بالحزم في اموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على السنتكم وتسمونها المصايب وتقيمون فيها الماتم وعامتكم قد تركوا كثيرا من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوههم ولا تتغير حالكم اني لارى الله قد تبرا منكم يلقى بعضكم بعضا بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصبحتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الآجل ولوددت ان الله اراحني منكم والحقني بمن احب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيرا والله استعين على نفسي وعليكم وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل ، ارى رجالا بادني الدين قد قنعوا ، ولا اراهم رضوا في العيش بالدون ، فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما ، استغنى الملوك بدنياهم عن الدين ، وقال عيسى عليه السلم يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا ابر وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لتاتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب واوحى الله الى موسى عليه السلم ان يا موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة اشد عليك منها ، ومر موسى برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقط لما غفر له وهو يحب الدنيا الآثار قال علي رضي الله عنه من جمع ست خصال لم يدع للجنة

مطلبا

مطلبا ولا من النار مهربا اولها من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال الحسن رحمه الله اقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها الى من ايتمنهم عليها ثم راحوا خفافا وقال ايضا من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره وقال لقمن يا بني ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها الايمان بالله وشراعها التوكل على الله لعلك ناج وما اراك ناجيا وقال الفضيل طال فكري في هذه الآية انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وقال بعض الحكما انك لن تصبح في شي من الدنيا الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك في اكلة وصم الدنيا وافطر على الآخرة وان راس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الزهاد كيف ترى الدهر يخلق الابدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الامنية قال فما حال اهله قال من ظفر به تعب ومن فاته نصب وقد قيل ، ومن يحمد الدنيا بعيش يسره ، فسوف لعمري عن قليل يلومها ، اذا ادبرت كانت على المرء حسرة ، وان اقبلت كانت كثيرا همومها ، وقال بعض الحكما كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة زايلة او بلية نازلة او منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لكنها اما ان تزيد واما ان تنقص وقال سفين الا ترى النعم كانها مغضوب عليها قد وضعت في غير اهلها وقال ابو سليمن الداراني من طلب الدنيا على المحبة لم يعط منها شيا الا اراد اكثر ومن اراد الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيا الا اراد اكثر وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية وقال رجل لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا وليست لي بدار فقال انظر ما آتيكم الله عز وجل منها فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو آخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها وقال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيا فيجي ويأخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيمة اذا كان معظما للدنيا فيقال هذا الذي عظم ما حقره الله وقال ابن مسعود ما اصبح احد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وقد قيل ، وما المال والاهلون الا ودايع ، ولا بد يوما ان ترد الودايع ، وزار رابعة اصحابها فذكروا الدنيا فاقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا من ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيا اكثر ذكره وقيل لابرهيم بن ادهم كيف انت فقال ، نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ، فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع ، وطوبى لعبد آثر الله ربه ، وجاد بدنياه لما يتوقع ، وقيل ، ارى طالب الدنيا وان طال عمره ، ونال من الدنيا سرورا وانعما ، كبان بنى بنيانه فاقامه ، فلما استوى ما قد بناه تهدما ، وقيل ، هب الدنيا تساق اليك عفوا ، اليس مصير ذلك الى انتقال ،

وما دنياك الا مثل فيء اظلك ثم اذن للزوال وقال لقمن لابنه يا بني بع دنياك باخرتك تربحهما
جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما وقال مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش الملوك ولين رياشهم
ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وشر منقلبهم وقال ابن عباس ان الله جعل الدنيا ثلاثة اجزاء جزء للمومن وجزء
للمنافق وجزء للكافر فالمومن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن اراد
منها فليصبر على معاشرة الكلاب وقيل يا خاطب الدنيا الى نفسها تنح عن خطبتها تسلم ان التي
تخطب غدارة قريبة العرس من المأتم وقال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها
ولا ينال ما عنده الا بتركها وقيل اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق
وقيل يا راقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا افنى القرون التي كانت منعمة كر
الليالي اقبالا وادبارا يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسي ويصبح في دنياه سفارا هلا تركت من
الدنيا معانقة حتى تعانق في الفردوس ابكارا ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها فينبغي لك ان لا تامن
النارا وقال ابو امامة الباهلي لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث
نبي واخرجت امته قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبونها ما ابالي ان لا يعبدوا الاوثان
وانا اغدو عليهم واروح بثلاث اخذ المال من غير حقه وانفاقه الحال في غير حقه وامساكه عن حقه
والشر كله لهذا تبع وقال رجل لعلي رضي الله عنه يا امير المومنين صف لنا الدنيا قال وما اصف
لك من دار من صح فيها امن ومن سقم فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها
الحساب وفي حرامها العذاب وقيل له ذلك مرة فقال الطول ام اقصر فقال اقصر قال حلالها حساب
وحرامها عذاب وقال مالك بن دينار اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا
وقال ابو سليمن اذا كانت الاخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها وان كانت الدنيا في القلب لم تزحمها
الاخرة لان الاخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجو ان يكون ما ذكره سيار بن الحكم اصح
اذ قال الدنيا والاخرة تجتمعان في القلب فايهما غلب كان الاخر تبعا له وقال مالك بن دينار
بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الاخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للاخرة يخرج هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس
مما قاله عيسى عليه السلم الدنيا والاخرة ضرتان فبقدر ما ترضي احديهما تسخط الاخرى وقال الحسن
والله لقد ادركت اقواما كانت الدنيا اهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه ما يبالون اشرقت
الدنيا عنهم ام غربت اذهبت الى ذا او ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ما تقول في رجل آتاه الله مالا فهو يتصدق منه
ويصل منه ويحسن فيه اله ان يتنعش فيه يعني التنعم فقال لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها الا الكفاف
ويقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب بها
في الاخرة فكنت اتقذرها كما يتقذر احدكم الجيفة اذا مر بها ان يصيب ثوبه وقيل قدم عمر رضي الله عنه
الشام فاستقبله ابو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل فسلم وسائله ثم اتى منزله فلم ير فيه الا
سيفه وترسه ورحله فقال له عمر لو اتخذت متاعا فقال يا امير المومنين ان هذا سيبلغنا
المقيل وقال سفين خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الاخرة لقلبك وقال الحسن والله
لقد عبدت بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا وقال وهب قرات في بعض

الكتب الدنيا غنيمة للاكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة فلم يرجعوا وقال
لقمن لابنه يا بني انك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الاخرة فانك الى دار تقرب منها
اقرب من دار تباعد عنها وقال سعد بن مسعود اذا رايت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو
به راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وقال عمرو بن العاص على المنبر والله ما رايت قوما
قط ارغب فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث
الا والذي عليه اكثر من الذي له وقال الحسن بعد ان تلا قوله تعالى لا تغرنكم الحيوة الدنيا من قال
ذا من خلقها من هو اعلم بها واياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل
على نفسه باب شغل الا واوشك ذلك الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال ايضا مسكين ابن
آدم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب ان اخذه من حله حوسب بنعمته وان اخذه من حرام
عذب به ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته في دينه ويجزع من مصيبته في
دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز سلام عليك اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت
قد مات فاجابه عمر سلام عليك كانك بالدنيا لم تكن وكانك بالاخرة لم تزل وقال الفضيل
بن عياض الدخول في الدنيا هين لكن التخلص منها شديد وقال بعضهم عجبا لمن يعرف
ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعلم ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا
باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعلم ان القدر حق كيف ينصب وقدم على معوية رجل
من نجران عمره مائتا سنة فساله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات
رخاء يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق ولولا الهلاك
ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له سل ما شئت قال عمر مضى فترده او اجل حضر فتدفعه قال
لا املك قال لا حاجة لي اليك وقال داود الطائي يا ابن آدم فرحت ببلوغ املك وانما بلغته
بانقضاء اجلك ثم سوفت عملك كان منفعته لغيرك وقال بشر من سال الله الدنيا فانما
يساله طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد الزق به شيء يسوءك
وقال الحسن لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا بحسرات ثلاث انه لم يشبع بما جمع ولم يدرك ما امل
ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقيل لبعض العباد قد نلت الغنا فقال انما نال الغنى من عتق عن رق
الدنيا وقال ابو سليمن لا يصبر عن شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله بالاخرة وقال
مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يامر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا الله
عز وجل على هذا فليت شعري اي عذاب الله ينزل وقال ابو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير
الاخرة وقال الحسن اهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد باهنا منها لمن اهانها وقال ايضا
اذا اراد الله بعبد خيرا اعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك فاذا انفد اعاد عليه واذا هان عليه
عبد بسط له الدنيا بسطا وكان بعضهم يدعو يا ممسك السماء ان تقع على الارض امسك الدنيا عني
وقال محمد بن المنكدر ارايت لو ان رجلا صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا يفتر وتصدق بماله
وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير انه يوتى يوم القيمة فيقال ان هذا عظم في عينه ما

صغرة الله وصغر في عينه ما عظّم الله كيف ترى يكون حاله فمن منّا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده
مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال ابو حازم اشتدت مؤنة الدنيا فانك لا تضرب بيدك
الى شي منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليها وقال ابو هريرة الدنيا موقوفة ما بين السماء والارض كالشن
البالي ينادي ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يا رب يا رب لم تبغضني فيقول لها اسكتي يا لا شي اسكتي يا
لا شي وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل الخير اليه وقال
وهب بن منبه من فرح قلبه بشي من الدنيا فقد اخطا الحكمة ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان
من ظله ومن غلب عقله هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا وذهب الى الآخرة
ضيّع نفسه قيل انه كان يفعل ويفعل وذكروا ابوابا من البر فقال وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال
بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا وقيل لحكيم الدنيا لمن هي فقال
لمن تركها فقيل الآخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها
والجنة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها وقال الجنيد كان الشافعي من المريدين القائلين
بلسان الحق في الدين وعظ اخا له في الله عز وجل وخوفه بالله فقال يا اخي ان الدنيا دحض مزلة ودار
مذلة عمرانها الى الخراب صاير وساكنها الى القبور زاير شملها على الفرقة موقوف وغناها الى الفقر مصروف
الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله وارض برزق الله ولا تستسلف من دار بقائك
في دار فنائك فان عيشك فيء زايل وجدار مايل اكثر من عملك وقصّر من املك وقال ابرهيم
بن ادهم لرجل ادرهم في المنام احب اليك ام دينار في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال
كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كانك تحبه في المنام والذي لا تحبه في الآخرة كانك لا تحبه في اليقظة وعن
اسمعيل بن عياش قال كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا يا خنزيرة فلو وجدوا لها
اسما اقبح من هذه التسمية لسموها به وقال كعب لتحببن اليكم الدنيا حتى تعبدوها واهلها وقال يحيى
بن معاذ العاقل ثلاث من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل ان يلقاه
وقال ايضا الدنيا بلغ من شومها ان تمنيك لما يلهيك عن طاعة الله فكيف الوقوع فيها و
قال بكر بن عبد الله من اراد ان يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفي النار بالتبن وقال بندار اذا
رايت ابناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم انهم في سخرة الشيطان وقال ايضا من اقبل على الدنيا احرقته
بنيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الآخرة صفّته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع
به ومن اقبل على الله عز وجل احرقته بنار التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته وقال علي رضي الله عنه
انما الدنيا ستة اشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات
العسل وهو مذقة ذبابة واشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات
الحرير وهو نسج دودة واشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال واشرف المنكوحات المراة
وهي مبال في مبال والله ان المراة لتزين احسن شي منها ويراد اقبح شي منها بيان المواعظ
في ذم الدنيا وصفتها قال بعضهم يا ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله عز وجل على وجل
ولا تغتروا بالامل ونسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد زخرفت لكم بغرورها وفتنتكم

بامانيها وتزينت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة
والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها
دار كثرت بوايقها وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل وحيها
يموت وخيرها يفوت فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل
او مدنف ثقيل فهل على الدواء من دليل او هل الى طبيب من سبيل فيدعى لك الاطباء ولا يرجى
لك شفاء ثم يقال فلان اوصى وماله احصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه
وعرق عند ذلك جبينك وتتابع انينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك و
تلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان منعت الكلام فلا
تنطق وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها
الى السماء فاجتمع عند ذلك اخوانك واحضرت اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك و
استراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك
احق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له الدنيا فيها واعطى حاجته منها لانه يتوقع آفة تغدو على ماله
فتجتاحه او على جمعه فتفرقه او تاتي سلطانه فتهدمه من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه او تفجعه
بشي هو ضنين به من احبابه فالدنيا احق بالذم هي الآخذة ما تعطي الراجعة فيما تهب بينا هي تضحك
صاحبها اذا اضحكت منه غيره وبينا هي تبكي له اذ ابكت عليه وبينا هي تبسط كفه بالاعطاء اذ بسطتها
بالاسترداد تعقد التاج على راس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سواء عليها ذهاب ما ذهب
وبقاء ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا وكتب الحسن البصري الى عمر بن
عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار ظعن لا دار اقامة وانما انزل آدم عليه السلم اليها عقوبة فاحذرها
يا امير المومنين فان الزاد منها تركها والغنى منها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من اعزها وتفقر
من جمعها هي كالسم ياكله من لا يعرفه وهو حتفه فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا
ويصبر على شدة الادواء مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت
بخدعها وقتلت بغرورها وحلت بآمالها وتشوقت لخطابها فاصبحت كالعروس المجلية فالعيون
اليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لازواجها كلهم قاتلة فلا الباقي بالماضي
معتبر ولا الآخر عن الاول مزدجر ولا العارف بالله حين اخبره عنها مذكر فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته
فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زالت عنها قدمه فعظمت ندامته وكثرت حسرته
واجتمعت عليه سكرات الموت بالمها وحسرات الفوت بغصتها ومن راغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم
يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المومنين وكن اسر ما تكون
فيها احذر ما تكون منها فان صاحب الدنيا كلما اطمان منها الى سرور اشخصه الى مكروه السار فيها
لاهلها غار والنافع فيها غدا ضار وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها الى فناء سرورها مشوب
بالاحزان لا يرجع منها ما ولى وادبر ولا يدري ما هو آت فينتظر امانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها
كدر وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر ان عقل ونظر وهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر فلو كان

الخالق لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا كانت الدنيا قد ايقظت النايم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء
من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ فما لها عند الله جل ثناوه قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد
عرضت على نبيك صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزاينها لا ينقصه عند الله جناح بعوضة فابى ان يقبلها اذ
كره ان يخالف على الله تعالى امره او يحب ما ابغض خالقه او يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين اختيارا
وبسطها لاعدائه اغترارا فيظن المغرور بها المقتدر عليها انه اكرم بها ونسي ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله
عليه وسلم حين شد الحجر على بطنه ولقد جاءت الرواية عنه تبارك وتعالى انه قال لموسى صلوات الله عليه اذا
رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين
فان تقيت اقتديت بصاحب الروح والكلمة ابن مريم عليه السلم كان يقول ادامي الجوع ولباسي شعاري الخوف ولباسي
الصوف وصلوتي في الشمس مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتت الارض
وامسي ليس لي شي وليس على الارض احد اغنى مني وقال ابن منبه لما بعث الله عز وجل موسى وهرون
عليهما السلام الى فرعون قال لا يروعكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا
يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبكما ما متع به منها فانما هي زهرة الحيوة الدنيا وزينة المترفين فلو شيت
ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين راها ان مقدرته تعجز عما اوتيتما لفعلت ولكني ارغب بكما عن
ذلك فازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليايي اني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع
الهلكة واني لاجنبهم سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك الغرة وما ذلك لهوانهم علي و
لكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا انما يتزين لي اوليايي بالذلة والخشوع والخوف والتقوى
تثبت في قلوبهم فيظهر على اجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم التي يظهرون وضميرهم الذي
يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ودرجاتهم التي اياها يا ملون ومجدهم الذي به يفخرون
وسيماهم الذي بها يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم انه من
اخاف وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثاير له يوم القيمة وخطب علي رضي الله عنه يوما
فقال فيها اعلموا انكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحيوة
الدنيا فانها بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة وكل ما فيها الى زوال وهي بين
اهلها دول وسجال لا تدوم احوالها ولن يسلم من شرها نزالها بينا اهلها منها في رخاء وسرور
اذ هم منها في بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات منصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا
يدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتقصمهم بحمامها وكل حتف فيها
مقدور وحظه منها موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى
ممن كان منكم اطول اعمارا واشد منكم بطشا واعمر ديارا وابعد آثارا فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة
من بعد طول تقلبها واجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية استبدلوا بالقصور
المشيدة والستور والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطية الملحدة فمحلتها
مقترب وساكنها مغترب بين اهل عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين لا يستانسون
بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون

بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى واصبحوا بعد الحيوة امواتا وبعد
غضارة العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات
كلا انها كلمة هو قايلها ومن وراءهم برزخ الى يوم يبعثون فكان قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى
والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو قد تناهت
الامور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت
القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار فظهرت منكم العيوب والاسرار
هنالك تجزي كل نفس ما كسبت ان الله عز وجل يقول ويجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين
احسنوا بالحسنى وقال ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الاية جعلنا الله واياكم عاملين
بكتابه ومتبعين لاوليايه حتى يحلنا واياكم دار المقامة من فضله انه حميد مجيد وقال بعض الحكماء
الايام سهام والناس اغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخرمك بلياليه واياميه حتى يستغرق
جميع اجزايك فكم بقاء سلامتك مع وقوع الايام بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما احدثت
الايام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم ياتي عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن
تدبير الله فوق الاعتبار وبالسلو عن غوايل الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذا عجمها
الحكيم وقد اعيت الواصف لعيوبها بظاهر افعالها وما ياتي به العجايب اكثر مما يحيط به الواعظ
لنستوهب الله رشدا الى الصواب وقال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر
بقايها الدنيا وقتك الذي يرجع اليه فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يات فلا علم
لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته ويطويه ساعته واحداثه تتوالى على الانسان بالتغير والنقصان
والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله
تصير الامور وخطب عمر بن عبد العزيز فقال اما ايها الناس انكم خلقتم لامر ان كنتم تصدقون
به فانتم حمقى وان كنتم تكذبون به انكم هلكى انما خلقتم للابد ولكنكم من دار الى دار تنقلون
عباد الله انكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق ولا يصفو لكم نعمة تسرون بها الا بفراق
اخرى تكرهون فراقها فاعملوا لما انتم صايرون اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكاء ونزل وقال علي رضي
في خطبته اوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية اجسامكم
وان كنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوا و
افضوا الى علم فكانهم بلغوه وكم عسى ان يجري المجري حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم في
الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبوسها وضرايها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا
بنعمايها فانها الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال
محمد بن الحسن لما علم اهل العقل والعلم والمعرفة والادب ان الله عز وجل قد اهان الدنيا وانه لم يرضها
لاوليايه وانها عنده حقيرة قليلة وان رسول الله صلعم زهد فيها وحذر اصحابه من فتنتها اكلوا
منها قصدا وقدموا فضلا اخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر العورة و
اكلوا من الطعام ادناه مما سد الجوعة نظروا الى الدنيا بعين انها فانية والى الاخرة انها باقية

فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة نظروا الى الآخرة بقلوبهم فعلموا
انهم سينظرون اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم كما علموا انهم سيرتحلون اليها بابدانهم صبروا
قليلا وتنعموا طويلا كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم احبوا ما احب لهم وكرهوا ما كره لهم

بيان صفة الدنيا بالامثلة اعلم ان الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء
ثم تخلف في الوفاء تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيرا عنيفا مرتحلة ارتحالا سريعا
ولكن الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن اليها وانما يحس عند انقضائها **ومثالها** الظل فانه
متحرك ساكن متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا يدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة
ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري انشد وقال • احلام نوم او كظل زائل • ان اللبيب
بمثلها لا يخدع • وكان الحسن بن علي يتمثل ويقول • يا اهل لذات دنيا لا بقاء لها • ان اغترارا
بظل زائل حمق • وكان يرى انه من قوله ويقال نزل اعرابي بقوم فقدموا اليه طعاما فاكل
ثم قام الى ظل خيمة فنام هنالك فاقتلعوا الخيمة فاصابته الشمس فانتبه وقام وهو يقول • الا انما
الدنيا كظل بنيته • ولا بد يوما ان ظلك زائل • ولذلك قيل • وان امرأ دنياه اكبر همه
لمستمسك منها بحبل غرور **مثال آخر** الدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس منها
تشبه خيالات المنام واضغاث الاحلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا حلم واهلها
عليها مجازون ومعاقبون قال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي والدنيا الا كرجل نام فرأى
في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك اذ انتبه فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا
ليس بايديهم شيء مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لحكيم اي شيء اشبه بالدنيا قال احلام النائم
مثال آخر للدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها بنيها اعلم ان طبع الدنيا التلطف في
الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك آخرا وهي كامرأة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم
فقد روي ان عيسى عليه السلام لما كوشف بالدنيا رآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة فقال
لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم طلقك قال بل كلهم قتلت
فقال عيسى عليه السلام بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدا
واحدا ولا يكونون منك على حذر **مثال آخر** للدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها اعلم ان
الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي تشبه عجوزا متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا
وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من
ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها قال العلاء بن زياد رأيت في النوم عجوزا كبيرة متغضنة الجلد
عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها متعجبون ينظرون اليها فجئت ونظرت وتعجبت من
نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من انت قالت او ما تعرفني قلت لا ما ادري من انت قالت
او ما تعرفني قلت لا ما ادري من انت قالت انا الدنيا فقلت اعوذ بالله من شرك قالت فان احببت
ان تعاذ من شري فابغض الدرهم وقال ابو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم عجوزا مشوهة
شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحذائي اقبلت علي

فقالت لو ظفرت بك لصنعت بك كما صنعت بهؤلاء ثم بكى ابو بكر وقال رأيت هذا قبل ان اقدم بغداد
وقال الفضيل بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيمة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها
بادية مشوهة خلقتها فتشرف على الخلائق فيقال تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه
فيقال هذه الدنيا التي تناحرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم
ثم تقذف في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها
واشياعها وقال الفضيل بلغني ان رجلا عرج بروحه فاذا امرأة على قارعة الطريق عليها من
كل زينة الحلي والثياب واذا لا يمر بها احد الا جرحته فاذا هي ادبرت كانت احسن شيء رآه الناس
واذا اقبلت كانت اقبح شيء رآه الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال فقلت اعوذ بالله منك
قالت لا والله لا يعيذك الله حتى تبغض الدرهم قال فقلت من انت قالت انا الدنيا **مثال آخر**
للدنيا وعبور الانسان بها اعلم ان الاحوال ثلاثة حالة لم تكن فيها شيئا وهي ما قبل وجودك الى
الازل وحالة لا تكون فيها مشاهدا للدنيا وهو ما بعد موتك الى الابد وحالة بين الازل والابد وهي
ايام حيوتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الازل والابد حتى تعلم انه اقل من منزل
قصير في سفر طويل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار
في يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن
اليها ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضر وضيق او في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة ولا
قصبة على قصبة ورأى بعض الصحابة يبني بيتا من خص فقال ما ارى الامر الا اعجل من هذا وانكر ذلك
والى هذا اشار عيسى صلوات الله عليه حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهو مثال
واضح فان الحيوة الدنيا معبر الى الآخرة والمهد هو الميل الاول على رأس القنطرة واللحد هو الميل
الثاني وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من قطع
ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيف ما كان فلا بد من العبور والبناء على
القنطرة وتزيينها باصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل والخذلان **مثال آخر**
للدنيا في لين مأخذها وخشونة مصدرها اعلم ان اوائل امور الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائض
فيها ان حلاوة خوضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فالخوض في الدنيا سهل والخروج منها
مع السلامة شديد وقد كتب علي رضي الله عنه الى سلمان الفارسي بمثالها فقال مثل الدنيا مثل
الحية يلين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما
ايقنت من فراقها وكن اسر ما تكون منها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور
اشخصه عنها مكروه والسلام **مثال آخر** للدنيا في تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها
قال النبي صلى الله عليه وسلم انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء وهل يستطيع الذي يمشي في
الماء ان لا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم عنها
مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة الشيطان بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا اعظم
المتفجعين بفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا

تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة قال عيسى صلوات الله عليه بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعبت وتغير خلقها فكذلك القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ بحق اقول لكم ان الزق ما لم يخرق ويتخلل يوشك ان يكون وعاء للعسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات او يدنسها الطمع او يقسيها النعيم فسوف تكون اوعية الحكمة وقال نبينا صلى الله عليه وسلم انما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعاء اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله مثال آخر لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك ان ينقطع مثال آخر لتادية علائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك قال عيسى صلعم مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا اوائلها ولنضارة اوائلها وخبث عواقبها اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما كان الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى والذ واقوى فنتنها وكراهتها والتاذي بها عند الموت اشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهب داره واخذ اهله وولده وماله فيكون مصيبته والمه وتفجعه في كل ما فقده بقدر لذته به وحبه له وحرصه عليها فكل ما كان عند الوجود اشهى عنده والذ فهو عند الفقد ادهى وامر ولا معنى للموت الا فقد ما في الدنيا وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلابي الست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فالى ما يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن آدم وقال ابي بن كعب قال رسول الله صلعم ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر ما يخرج من ابن آدم وان قزحه وملحه قال الحسن قد رايتهم يطيبونها بالافاويه والطيب ثم يرمون بها حيث رايتم وقد قال الله عز وجل فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه وقال رجل لابن عمر اني اريد ان اسالك واستحيي قال فلا تستحي وسل قال اذا قضى احدنا حاجته فقام ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر هذا ما بخلت به انظر الى ما صار وكان بشر بن كعب يقول انطلقوا حتى اريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم مثال آخر في نسبة الدنيا الى الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع اليه مثال آخر للدنيا واهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم مثلهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفينة واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم الحاجة وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا فاخذ اوسع المكان والينها واوفقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى انهارها وانوارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات

الاماكن

طيورها الطيبة والحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من تربتها احجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة اعين الناظرين بحسن زبرجها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزاده الحجارة ضيقا وصارت ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذها ولم يقدر على رميها ولم يجد مكانا لوضعها فحملها في السفينة على عنقه وهو متاسف على اخذها وليس ينفعه التاسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله باكل تلك الثمار والتشمم لتلك الانوار والتفرج بين تلك الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا ينفك عن شوك متشبث بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو اراده فلما بلغهم نداء السفينة انصرف بعضهم مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي على الشط حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغهم النداء وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من نهشته الحيات فتفرقوا كالجيف المنتنة واما من وصل الى المركب بثقل ما اخذه من الحجارة المزهرة فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت تلك الازهار وكمدت الوان الاحجار فظهر نتن رائحتها فصار مع عفونتها مضيقا عليه مؤذيا بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة الا ان القاها في البحر هربا منها وقد اثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن الا بعد ان ظهرت عليه من الاسقام بتلك الروائح فبلغ سقيما مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة المحل فتاذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اولا وجد المكان الاوسع ووصل الى الوطن سالما فهذا مثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امرهم وما اقبح بالبصير العاقل ان يغتر باحجار الارض وهو الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا وشيء منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم الا من عصمه الله تع مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم بقول الشيخ في تحذيره اياهم غوائل الدنيا قال الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثر او ما بقي انفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا بالهلكة فبينا هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر راسه فقالوا ان هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرجل على ما انتم فقالوا على ما ترى قال ارايتكم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا قال عهودكم ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم

بالله لا يعصونه شيئا قال فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء ثم قال يا هولاء
قالوا لبيك قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم والى رياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم والله
ما وجدنا هذا حتى ظننا انا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا قال وقالت طايفة وهي
اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيئا وقد صدقكم في اول
حديثه فوالله ليصدقنكم في اخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فاصبحوا
بين اسير وقتيل **مثال آخر** لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها ❊ اعلم ان مثل الناس
فيما اعطوا من الدنيا مثل رجل هيا دارا وزينها وهو يدعو الى داره على الترتيب قوما واحدا بعد
واحد فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه
فجهل رسمه فظن انه قد وهب ذلك له فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتفجع
ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر فكذلك من عرف
سنة الله في الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا وينتفعوا
بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري لا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها
فهذه امثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها **بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد**
اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي ان يجتنب
منها وما الذي لا يجتنب فلا بد وان نبين الدنيا المذمومة المامور اجتنابها لكونها عدوة الله قاطعة
لطريق الله فنقول دنياك وآخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك فالقريب الداني منهما
يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي المتاخر يسمى آخرة وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ
وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك
اليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هي ثلاثة اقسام **القسم الاول** ما يصحبك في
الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل بشريعة نبيه واعني بالعمل العبادة
الخالصة لوجه الله وقد يانس العالم بالعلم حتى يصير ذلك عنده الذ الاشياء فيهجر النوم والمنكح
والمطعم في لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا
المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الآخرة وكذلك العابد قد يانس بعبادته
فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم ما اخاف من
الموت الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان آخر يقول اللهم ارزقني قوة الصلوة
والركوع والسجود في القبر فهذا قد صارت الصلوة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل
فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعني بالدنيا
المذمومة ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء
وقرة عيني في الصلوة فجعل الصلوة في جملة ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في
الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالسجود و
الركوع انما يكون في الدنيا فلذلك اضافها الى الدنيا الا انا في هذا الكتاب لسنا نتعرض الا

للدنيا

للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست من الدنيا **القسم الثاني** وهو المقابل له على الطرف
الاقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات
الزايدة على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري والخيول
والمواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذه كلها
هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا او في محل الحاجة نظر طويل اذ روي ان عمر استعمل
ابا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين فكتب اليه من عمر بن الخطاب امير
المومنين الى عويمر قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران حين اذن الله بخرابها
فاذا اتاك كتابي هذا فقد سيرتك انت واهلك الى دمشق فلم يزل بها حتى مات فهذا رآه فضولا
من الدنيا فتامل فيه **القسم الثالث** وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على
اعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بد منه ليتاتى للانسان
البقاء والصحة التي بها يتوصل الى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على
القسم الاول ووسيلة اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به
متناولا للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على
التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلاث صفات
صفاء القلب اعني طهارته عن ادناس الدنيا وانسه بذكر الله وحبه لله وصفاء القلب
وطهارته لا يكونان الا بالمعرفة ولا تحصل معرفة الله الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث
هي المنجيات المسعدات اذ يكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في الاخبار ان اعمال
العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من جهة رجله جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من جهة
يديه جاءت الصدقة تدفع عنه الحديث واما الانس والحب وهما موصلان للعبد الى
لذة اللقاء والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل اوان الرؤية في الجنة
فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يكون القبر روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوايق
تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوايق وافلت من السجن وخلي بينه وبين
محبوبه فقدم عليه مسرورا سليما من الموانع آمنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا
ولم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طريق الحيلة في الرجوع اليه
حال من كان له واحد يوخذ منه ذلك الواحد وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله
فاذن سالك طريق الآخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلاث وهو الذكر والفكر والعمل
الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة
البدن لا تنال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب والقدر الذي لا بد منه في
هذه الثلاثة اذا اخذه العبد من الدنيا للآخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة
الآخرة وان اخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان

الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب في الآخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول
بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف
في عرصات القيمة لاجل المحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش في الحساب فقد عذب اذ قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب فقد قال ايضا حلالها عذاب الا انه اخف من
عذاب الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب
من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو ايضا عذاب وقس به حالك في الدنيا
اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرة مع علمك
بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في سعادة لا يحيط
الوصف بعظمتها وينقطع الوهم دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طاير او بالنظر
الى خضرة او شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الآخرة اضعافه وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر
هذا من النعيم الذي يسأل عنه اشار الى الماء البارد والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر
ومشقة وانتظار وكل ذلك من نقصان الحظ ولذلك قال عمر اعزلوا عني حسابها حيث كان به عطش
فعرض عليه ماء بارد بعسل فاداره في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها
ملعونة الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته اقوى واتقن
كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى صلوات الله عليه وضع راسه على حجر لما نام ثم رماه اذ
تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمن صلى الله عليه وسلم في ملكه كان يطعم الناس لذايذ
الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة فان الصبر عن لذايذ
الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا زوى الله تعالى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان يطوي اياما
وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل
فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة
الفواكه ويلزمه الم الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا عليه وقد عرفت بهذا ان كل
ما ليس لله فهو للدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا فان قلت فما الذي هو لله فاقول
الاشياء ثلاثة اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات
وانواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى ومنها ما صورتها لله و
يمكن ان تجعل لغير الله وهي ثلاثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات فان هذه الثلاثة اذا جرت سرا
ولم يكن عليها باعث سوى امر الله واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب
العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال
او الحمية لصحة البدن او الاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورتها
انها لله ومنها ما صورتها لحظ النفس ويمكن ان يجعل معناها لله وذلك كالاكل والنكاح وكل ما
يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة
على التقوى فهو لله بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال صلعم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا

مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسئلة وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة
ووجهه كالقمر ليلة البدر انظر كيف اختلف ذلك بالقصد فاذن الدنيا حظ نفسك العاجل
الذي لا حاجة اليه لامر الآخرة ويعبر عنه بالهوى واليه اشار بقوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة
هي المأوى ومجامع الهوى خمسة امور هي ما جمعه الله تعالى في قوله تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله
تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا فقد عرفت ان كل ما هو لله ليس من الدنيا وقدر
ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس فهو لله ان قصد به وجه الله والاستكثار منه تنعم و
هو لغير الله وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة طرف يقرب من
حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن وطرف يتاخم جانب التنعم ويقرب
منه وينبغي ان يحذر وبينهما وسايط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحزم في
الحذر والتقوى والتقريب من حد الضرورة ما امكن اقتداء بالانبياء والاولياء اذ كانوا
يردون انفسهم الى حد الضرورة وحتى ان اويس القرني كان يظن اهله انه مجنون لشدة تضييقه
على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان ياتي عليهم السنة والسنتان والثلاث لا يرون
له وجها وكان يخرج اول الاذان وياتي الى منزله بعد العشاء الآخرة وكان طعامه ان يلتقط
النوى فكلما اصاب الحشف خباه لافطاره فان اصاب ما يقوته من الحشف تصدق بالنوى و
ان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى ما يقوته وكان لباسه مما يلتقط الى المزابل
فيلتقط قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها الى بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه وكان
ربما مر بالصبيان فيرجمونه ويظنون انه مجنون فيقول لهم يا اخوتاه ان كنتم ترمونني فارموني باحجار
صغار فاني اخاف ان تدموني فتحضر الصلوة ولا اصيب الماء فهكذا كانت سيرته ولهذا اعظم
رسول الله صلى الله عليه وسلم امره فقال اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن اشارة اليه ولما ولي عمر بن
الخطاب رضي الله عنه فقال ايها الناس من كان من اهل الكوفة منكم من اهل العراق فليقم فقاموا
فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فجلسوا فقال اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا
فقال اجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجل واحد فقال له عمر اقرني انت فقال
نعم فقال اتعرف اويس بن عامر القرني فوصفه له فقال نعم وما تسأل عن ذلك يا امير المؤمنين والله ما
فينا احمق منه ولا اجن منه ولا احوج منه ولا ادنى منه فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال ما قلت الا اني سمعت
رسول الله صلعم يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا
القول من عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدمت الكوفة ولم يكن لي هم الا ان اطلب اويس القرني و
اسال عنه حتى سقطت عليه جالسا على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال فعرفته
بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم شديد الادمة محلوق الراس كث اللحية متغير جدا كريه
الوجه مهيب المنظر فسلمت عليه فرد علي ونظر الي فقلت حياك الله من رجل ومددت يدي لاصافحه

فابى ان يصافحني فقلت رحمك الله يا اويس وغفر لك كيف انت رحمك الله ثم خنقتني العبرة من
حبي اياه ورقتي عليه اذ رايت من حاله ما رايت حتى بكيت وبكى قال وانت فحياك الله يا هرم بن حيان
كيف انت يا اخي ومن دلك علي قال قلت الله تعالى لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا
قال فتعجبت حين عرفني ولا والله ما رايته قبل ذلك ولا رآني فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رايتك
قبل اليوم قال نبأني العليم الخبير وعرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ان الارواح لها انفس
كانفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله وان لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون
وان نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث
اسمعه منك قال اني لم ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لي معه صحبة بابي وامي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولكن رايت رجالا قد صحبوه وبلغني من حديثه نحو مما بلغك ولست احب ان
افتح هذا الباب على نفسي ان اكون محدثا او مفتيا او قاصا في نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حيان
فقلت يا اخي اقرأ علي آية من القرآن اسمعها منك وادع لي بدعوات واوصني بوصية احفظها عنك
فاني احبك في الله حبا شديدا قال فقام واخذ بيدي على شاطئ الفرات ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من
الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه واصدق الكلام
كلامه ثم قرأ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون حتى انتهى
الى انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت انه قد غشي عليه قال يا ابن حيان مات ابوك حيان ويوشك
ان تموت فاما الى جنة واما الى النار ومات ابوك آدم وماتت امك حواء ومات نوح ومات
ابرهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن يا ابن حيان ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد
صلى الله عليه وسلم رسول رب العالمين ومات ابو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب اخي وصفيي
ثم قال يا عمراه يا عمراه قال فقلت ان عمر لم يمت قال فقد نعاه الي ربي ونعى الي نفسي ثم رحمك الله
قال انت وانا في الموتى كانه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفيفات
ثم قال هذه وصيتي لك يا هرم بن حيان كتاب الله ونهج سبيل الصالحين المؤمنين فقد نعيت الي
نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك اذا رجعت
اليهم وانصح للامة جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وانت لا تعلم فتدخل
النار يوم القيامة ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من اجلك
فعرفني وجهه في الجنة وادخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيث ما كان
وضم عليه ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما اعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما اعطيته
من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك
ورحمة الله لا اراك بعد اليوم رحمك الله ان تطلبني فاني اكره الشهرة والوحدة احب الي اني كثير الهم شديد
الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حيا ولا تسال عني ولا تطلبني واعلم انك مني على بال وان لم ارك ولم ترني
فاذكرني وادع لي فاني سأذكرك وادعو لك ان شاء الله انطلق انت ههنا حتى انطلق انا ههنا فحرصت
ان امشي معه ساعة فابى علي وفارقته فبكى وابكاني وجعلت انظر في قفاه حتى دخل بعض السكك

ثم سالت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له فهكذا كانت
سيرة ابناء الآخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ومن سير
الانبياء والاولياء ان حد الدنيا كل ما اظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله عز وجل من ذلك
وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما اريد به الله عز وجل مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة طاعة
الله وذلك ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل
بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث
في يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس يقطع به مسافة العمر فتعهد
البدن بما يبقى به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد تلذذ
البدن وتنعمه بشيء من هذه الاسباب كان منحرفا عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة وقال الطنافسي
كنت على باب بني شيبة في المسجد سبعة ايام طاويا فسمعت الليلة الثامنة مناديا وانا
بين اليقظة والنوم الا ان من اخذ من الدنيا اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله عين قلبه هذا بيان
حقيقة الدنيا في حقك ه

بيان ماهية الدنيا في نفسها

واشغالها التي استغرقت
همم الخلق حتى انستهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم ومورده اعلم ان الدنيا عبارة
عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه ثلاثة امور وقد يظن ان
الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها
فهي الارض وما عليها قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فالارض
فراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح
ويجمع ما على الارض ثلاثة اقسام المعادن والنبات والحيوان اما النبات فيطلبه الآدمي
للاقتيات وللتداوي واما المعادن فيطلبها الآدمي للآلات والاواني كالنحاس والرصاص
او للنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم
اما البهائم فيطلب لحومها للماكل وظهورها للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب
الآدمي ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان او ليتمتع بهم كالجواري والنسوان
ويطلب قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى
الجاه ملك قلوب الآدميين فهذه هي الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى
في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين وهذا من الانسان والقناطير المقنطرة
من الذهب والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلئ واليواقيت والخيل
المسومة والانعام وهي البهائم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه اعيان
الدنيا الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف
همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب
المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء
وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها

العلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ
غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق انما نسوا انفسهم ومآبهم
ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه
وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة
التي يسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا يبقى الابل
في طريق الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في نفسه نسيانه نفسه ومقصده
مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الدابة ويتعهدها وينظفها ويكسوها
الوان الثياب ويحمل اليها انواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل
عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه
من امر الجمل الا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت
الى الناقة بقدر الضرورة فكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة
كما لا يدخل بيت الماء الا بالضرورة ولا فرق بين ادخال الطعام في البطن وبين اخراجه من البطن في ان
كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه واكثر ما شغل
الناس عن الله هو البطن فان القوت ضروري وامر الملبس والمسكن اهون ولو عرفوا سبب
الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليها لم يستغرقهم اشغال الدنيا فانما استغرقتهم لجهلهم
بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا واتصلت بعضها
ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها ونحن نذكر
تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها
حتى يتضح لك ان اشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف انستهم عاقبة امورهم فنقول
الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والاعمال التي ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الاشغال
هو ان الانسان مضطر الى ثلاث القوت والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس
لدفع الحر والبرد والمسكن لدفع الحر والبرد وليدفع اسباب الهلاك عن المال والاهل ولم يخلق الله
القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغني عن صنعة الانسان فيه نعم خلق ذلك للبهائم فان
النبات يغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغني عن البناء ويقنع بالصحراء
ولباسها شعورها وجلودها فيستغني عن اللباس والانسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك
الى خمس صناعات هي اصول الصناعات واوائل الاشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص
والحياكة والبناء اما البناء فللمسكن والحياكة وما يكتنفها من الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة
للمطعم والرعاية للمواشي والخيل ايضا للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه الله من صيد
او معدن او حشيش او حطب فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات و
يستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمي وكذلك يأخذ من معادن
الارض ما خلق من غير صنعة آدمي ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات واشغال

عدة ثم هذه الصناعات افتقرت الى الادوات والآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص
والآلات انما تؤخذ اما من النبات وهو الاخشاب او من المعادن كالحديد والرصاص
وغيره او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلاثة انواع اخر من الصناعات النجارة والحدادة
والخرز وهؤلاء هم عمال الآلات ونعني بالنجار كل عامل على الخشب كيفما كان وبالحداد كل من عمل
على جواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس فاما آحاد الحرف
فكثيرة واما الخراز فنعني به كل عامل على جلود الحيوانات واجزائها فهذه امهات الصناعات
ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين
احدهما حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع الذكر والانثى وعشرتهما
والثاني للتعاون على تهيئة اسباب المطعم والملبس ولتربية الولد فان الاجتماع يفضي الى
الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع
الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة
فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهي تحتاج الى آلاتها وتحتاج الآلة الى حداد ونجار و
يحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر الى حراسة القطن وآلات
الحياكة والخياطة واعمال كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت الحاجة الى الاجتماع
ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقروا الى ابنية محكمة و
منازل ينفرد كل اهل بيت به وبما معه من الآلات والاثاث والمنازل تدفع الحر والبرد وتدفع الجار
عن اللصوصية ولكن جميع المنازل قد يقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر اهل المنازل
الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة
ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات اذ تحدث رياسة
وولاية للزوج على الزوجة وولاية للابوين على الولد لانه ضعيف يحتاج الى القوام به ومهما حصلت
الولاية على عاقل افضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم اذ ليس لها قوة المخاصمة وان ظلمت واما
المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في المنزل واما اهل البلد ايضا فيتعاملون في الحاجات
ويتنازعون ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وارباب الفلاحة يتواردون على المراعي
والاراضي والمياه وهي لا تفي باغراضهم فيتنازعون لا محالة ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى او
مرض او هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعا لهلك ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص
واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات
اخرى فمنها صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الارض ليمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة الجندية
لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها الحكم والتوسط لفصل الخصومة ومنها الحاجة الى
الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي ان يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر
النزاع وهو معرفة حدود الله في المعاملات وشروطها فهذه امور سياسية لا بد منها ولا يشتغل بها
الا مخصوصون بصفات مخصوصة من التمييز والعلم والهداية واذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى

ويحتاجون الى المعاش ويحتاج اهل البلد اليهم ولو اشتغل اهل البلد بالحرب مع الاعداء مثلا لتعطلت
الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس
واستضر الناس فمست الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم الاموال الضايعة التي لا مالك لها
ان كانت او تصرف اليهم الغنايم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وورع قنعوا
بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة الى ان يمدهم اهل البلد باموالهم
ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج الحاجة الى صناعات
اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال والى من يستوفي
منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظه الى وقت التفرقة و
هم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهو العارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا
يجمعهم رابط انخرم النظام فيحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا
يختار لكل واحد ما يليق به ويرعى النصفة في اخذ الخراج واعطايه واستعمال الجند في الحرب و
توزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقايد على كل طايفة منهم الى غير ذلك من صناعات
الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم اهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين
الكالية ويدبرهم الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هولاء ايضا يحتاجون
الى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى
فرع الخراج وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوايف الفلاحون والرعاة والمحترفون
والثاني الجندية الحماة لهم بالسيوف والثالث المترددون بين الطايفتين في الاخذ و
الاعطاء وهم العمال والجباة وامثالهم فانظر كيف ابتدا الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس
والى ماذا انتهى وهكذا في امور الدنيا لا يفتح باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب اخر وهكذا يتناهى
الى غير حد محصور وكانها هاوية لا نهاية لعمقها ومن وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا
على التوالي فهذه هي الحرف والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال والالات والمال عبارة
عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع بها واعلاها الاغذية ثم الامكنة التي ياوي الانسان اليها وهي الدور
ثم الامكنة التي يسعى فيها ليتعيش كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والاته ثم
الات الالات وقد يكون في الالات ما هو حيوان كالكلب الة الصيد والبقر الة الحراثة والفرس الة
الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس بها الة الفلاحة والحداد
والنجار يسكنان قرية ليس بها الة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية ليس لا يمكن بها الزراعة
فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج احدهما ان يبذل ما عنده للاخر حتى
ياخذ منه عوضه وذلك طريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذاء بالته وربما
لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت الى الالة فلا يبيعه الفلاح اذا طلب الالة من النجار بالطعام ربما
كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فيتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع اليه الة كل
صناعة يترصد بها صاحبها ارباب الحاجات والى انبار يجمع اليه ما يحمله الفلاحون فيشتريها

منهم صاحب الانبار يترصد بها ارباب الحاجات فيظهر بذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح
الحبوب فاذا لم يصادف محتاجا باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها لانتظار ارباب الحاجات
طمعا في الربح وكذلك في جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد
فيتردد الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الالات وينقلون ويتعيشون به
لينتظم امور البلاد بسببهم اذ كل بلدة ربما لم يوجد فيها كل الة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام
والبعض يحتاج الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكفلون بالنقل وباعثهم حرص
جمع المال فيتعبون طول الليل والنهار في الاسفار لاغراض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذي
ياكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله في غفلتهم وجهلهم نظاما
للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع امور الدنيا انتظم بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس
وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا و
لهلك الزهاد ايضا ثم هذه الاموال التي تنقل لا يقدر الانسان على حملها فتحتاج الى
دواب تحملها وصاحب المال قد لا يملك الدابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الاجارة
ويصير الكراء نوعا من الاكتساب ايضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة الى النقدين فان من يريد
ان يشتري طعاما بثوب فمن يدري ان المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعاملة تجري
في اجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم
عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل احدهما بالاخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج
الى مال يطول بقاؤه لان الحاجة اليه تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب
والفضة والنحاس ثم مست الحاجة الى الضرب والنقش والتقدير فحدثت الحاجة الى دار
الضرب والى الصيارفة وهكذا تتداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ما تراه
فهذه اشغال الخلق وهي معايشهم وشي من هذه الحرف لا يمكن مباشرته الا بنوع تعلم وتعب
في الابتداء وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبى فلا يشتغل به او يمنعه عنه مانع فيبقى
عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان ياكل مما سعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان
خسيستان اللصوصية والكدية اذ يجمعهما انهما ياكلان من سعي غيرهما ثم ان الناس يحترزون
من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم اموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم الى استنباط الحيل
والتدابير اما اللصوص فمنهم من يطلب اعوانا ويكون في يديه شوكة وقوة فيجتمعون و
يكابرون ويقطعون الطرق كالاعراب والاكراد واما الضعفاء منهم فيفزعون الى
الحيل اما بالنقب والتسلق عند انتهاز فرصة الغفلة واما بان يكون طرارا وسلالا الى غير
ذلك من انواع التلصص الحادثة بحسب ما انتجته الافكار المصروفة الى استنباطها واما
المكدي فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره فيقال له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والبطالة فلا يعطى
فافتقروا الى الحيلة في استخراج الاموال وتمهيد العذر لانفسهم في البطالة فاحتالوا للتعلل
بالعجز اما بالحقيقة كجماعة يعمون اولادهم وانفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون

واما بالتعامي والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بانواع من الحيل مع تبيان
ان تلك محنة اصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمة وجماعة يلتمسون افعالا
واقوالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها حتى تسخو برفع اليد عن قليل من المال
في حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة
والشعبذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبة او الكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت
والشعر الموزون اشد تاثيرا في النفس لا سيما اذا كان في تعصب يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب
الصحابة وفضايل اهل البيت او الذي يحرك داعية العشق من اهل المجانة كصنعة الطبالين في الاسواق
او تسليم ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشايش التي يتخيل انها ادوية فيخدع بها
الصبيان واصحاب القرعة والفال من المنجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ المكديون على رؤوس المنابر
اذا لم يكن وراءهم طايل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب العوام واخذ اموالهم وانواع الكدية تزيد على
الالف والالفين وكل ذلك استنبط بدقيق الفكر لاجل المعيشة فهذه هي اشغال الخلق واعمالهم
التي اكبوا عليها وجرهم الى ذلك كله الحاجة الى القوت والكسوة ولكن نسوا في اثناء ذلك انفسهم
ومقصودهم ومنقلبهم وما لهم فضلوا وتاهوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد ان كدرتها زحمة
اشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم واختلفت اراؤهم على عدة اوجه فطايفة
غلبهم الجهل والغفلة فلم ينفتح اعينهم للنظر الى عاقبة امرهم فقالوا المقصود ان نعيش اياما في الدنيا
فنجتهد حتى نكسب القوت ثم ناكل حتى نقوى على الكسب ثم نكسب حتى ناكل فياكلون ليكسبوا و
يكسبون لياكلوا وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين
فانه يتعب نهارا لياكل ليلا وياكل ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع
الا بالموت وطايفة اخرى زعموا انهم تفطنوا الامر وهو انه ليس المقصود ان يشقى الانسان
بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعادة في ان يقضي وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن و
الفرج فهولاء نسوا انفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع النسوان وجمع لذايذ الاطعمة ياكلون كما تاكل
الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعادات فشغلهم ذلك عن الله واليوم الاخر
وطايفة ظنوا ان السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فاسهروا ليلهم ونهارهم
في الجمع فهم يتعبون في الاسفار طول الليل والنهار ويترددون في الاعمال الشاقة ويكتسبون
ويجمعون ولا ياكلون الا قدر الضرورة شحا وبخلا عليها ان تنقص وهذه لذتهم وفي ذلك دابهم و
حركتهم الى ان يدركهم الموت فيبقى تحت الارض ويظفر به من ياكله في الشهوات واللذات فيكون
للجامع تعبها ووبالها وللاكل لذتها ثم الذين يجمعون ينظرون الى امثال ذلك ولا يعتبرون وطايفة
ظنوا ان السعادة في حسن الاسم وانطلاق الالسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروة فهولاء يتعبون
في كسب المعايش ويضيقون على انفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع اموالهم الى الملابس الحسنة و
الدواب النفيسة ويزخرفون ابواب الدور وما يقع عليها ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو
ثروة ويظنون ان ذلك هي السعادة فهمتهم ليلهم ونهارهم في تعهد موقع نظر الناس

وطايفة

وطايفة اخرى ظنوا ان السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير
فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الاعمال السلطانية
لينفذ امرهم بها على طايفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد
سعدوا سعادة عظيمة وان ذلك غاية المطلب وهذا اغلب الشهوات على قلوب المتغافلين
من الناس فهولاء شغلهم حب التواضع لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في اخرتهم ومعادهم
ووراء هذا طوايف يطول حصرها يزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم ضلوا واضلوا وضلوا
عن سواء السبيل وانما جرهم الى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن فنسوا ما تراد له هذه
الامور الثلاثة والقدر الذي يكفي منه وانجرت بهم اوايل اسبابها الى اواخرها وتداعى بهم الى مهاوي
لم يمكنهم الترقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف غاية المقصود
منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه وان غاية مقصوده
تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الاشغال
وفرغ القلب وغلب ذكر الاخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به قدر الضرورة كثرت
الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب به الهموم في اودية الدنيا
فلا يبالي الله في اي واد اهلكه فهذا شان المنهمكين في اشغال الدنيا وتنبهت لذلك طايفة
فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم واضلهم في الاعراض ايضا حتى انقسموا الى
طوايف فظنت طايفة ان الدنيا دار بلاء ومحنة وان الاخرة دار سعادة لكل من وصل اليها
سواء تعبد في الدنيا او لم يتعبد فراوا ان الصواب في ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة الدنيا
واليه ذهبت طوايف من الهند وهم يتهجمون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان
ذلك خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طايفة اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد اولا من اماتة
الصفات البشرية وقلعها عن النفس بالكلية وان السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم اقبلوا
على المجاهدة وشددوا على انفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم
مرض وانسد عليه طريق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع محال
وان الشرع تلبيس لا اصل له فوقع في الالحاد وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله وان الله مستغن
عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا يزيده عبادة عابد فعادوا الى الشهوات و
سلكوا سبيل الاباحة وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا
ان الله غني عن عبادة العباد وظنت طايفة اخرى ان المقصود من العبادات المجاهدة
حتى يصل العبد بها الى معرفة الله فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصال يستغني عن الوسيلة و
الحيلة فتركوا السعي والعبادة وزعموا انه ارتفع محلهم في معرفة الله عن ان يمتهنوا بالتكاليف وانما
التكليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هايلة يطول احصاؤها
الى ان تبلغ نيفا وسبعين فرقة وانما الناجي منها فرقة واحدة وهو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه و
سلم واصحابه وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية اما الدنيا فيؤخذ منها

قدر الزاد واما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل فلا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع العدل ولا يترك كل شي من الدنيا ولا يطلب كل شي من الدنيا بل يعلم مقصود كل شي من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر وبقي ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية والفرقة الناجية هم الصحابة فانه لما قال الناجي منها واحد قالوا يا رسول الله ومن هم قال اهل السنة والجماعة فقيل وما اهل السنة والجماعة قال ما انا عليه واصحابي وقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط وافراط بل كانوا بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله تعالى كما سبق ذكره في مواضع ، تم

كتاب ذم الدنيا والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله

كتاب ذم حب المال وذم البخل وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط ، وكاشف الضر بعد القنوط ، الذي خلق الخلق ووسع الرزق ، وافاض على العالمين اصناف الاموال ، وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال ، ورددهم فيها بين العسر واليسر ، والغنى والفقر ، والطمع واليأس ، والثروة والافلاس ، والعجز والاستطاعة ، والحرص والقناعة ، والبخل والجود ، والفرح بالموجود ، والاسف على المفقود ، والايثار والانفاق ، والتوسع والاملاق ، والتبذير والتقتير ، والرضا بالقليل واستحقار الكثير ، كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا ، وينظر ايهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا ، وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا ، واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا ، والصلوة على محمد الذي نسخ بملته مللا ، وطوى بشريعته اديانا ونحلا ، وعلى آله واصحابه الذين سلكوا سبل ربهم ذللا ، وسلم كثيرا **وبعد** فان فتن الدنيا كثيرة الشعب والاطراف ، واسعة الارجاء والاكناف ، لكن الاموال اعظم فتنها ، واطم محنها ، واعظم فتنة فيها انه لا غنى عنها ، ثم اذا وجدت فلا سلامة منها ، وان فقدت حصل منها الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا ، وان وجدت حصل منها الطغيان الذي لا يكون عاقبة امره الا خسرا ، وبالجملة فهي لا تخلو من الفوائد والآفات ، وفوائدها من المنجيات ، وآفاتها من المهلكات ، وتمييز خيرها من شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها الا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين ، وشرح ذلك مهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة ، والدنيا تتناول كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كل ما كان للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وغوائل وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده صفة الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحدهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما في ايدي الناس وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحدهما مذموم والآخر محمود وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم ونشرحه في فصول وهي اربعة عشر وهي بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر

بيان ذم المال وكراهية حبه

قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآية وقال تعالى الهيكم التكاثر وقال ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلك الاكثرون الا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي امتك شر قال الاغنياء وقال صلى الله عليه وسلم سيأتي بعدكم قوم يأكلون اطايب الدنيا والوانها وينكحون اجمل الناس ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون فره الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم دعوا الدنيا لاهلها فمن اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال رجل يا رسول الله مالي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال صلى الله عليه وسلم اخلاء ابن آدم ثلاثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فماله والذي يتبعه الى قبره فاهله والذي يتبعه الى محشره فعمله وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار والدرهم عندكم قالوا حسنة قال لكنهما عندي والمدر سواء وكتب سلمان الى ابي الدرداء يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلعم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد اديت

حق الله فيّ ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله
ويلك الا اديت حق الله فيّ فما يزال كذلك حتى يدعو بالثبور والويل وكل ما اوردناه في كتاب الزهد
والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذا كل ما ذكرناه
في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم اركان الدنيا وانما نذكر الآن ما
ورد في المال خاصة وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس
ما خلف وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا **الآثار** روي ان رجلا نال
من ابي الدرداء واراه سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فاصح جسمه واطل عمره واكثر ماله
فانظر كيف راى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لابد وان يفضي الى الطغيان
ووضع علي درهما على كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني • وروي ان عمر ارسل الى زينب
بنت جحش بعطائها فقالت ما هذا قالوا ارسل اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا
كان بها فقطعته صررا وقسمتها في اهل رحمها وايتامها ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا يدركني
عطاء عمر بعد عامي هذا فكانت اول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به وقال الحسن
والله ما اعز الدرهم احد الا اذله الله وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما
على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي حقا وقال سميط بن عجلان ان الدنانير
والدراهم ازمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن
رقيته فلا تاخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل ما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه وقال
العلاء بن زياد تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت اعوذ بالله من شرك قال فابغض الدرهم
وذلك لان الدينار والدرهم هي الدنيا كله اذ يتوصل بهما الى جميع اصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا و
لذلك قيل • اني وجدت فلا تظنوا غيره • هذا التورع عند هذا الدرهم • فاذا قدرت عليه ثم تركته
فاعلم بان تقاك تقوى المسلم • وقيل لا يغرنك من المرء قميص رقعه • او ازار فوق كعب الساق
منه رفعه • اره الدرهم فانظر غيه او ورعه • ويروى عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على
عمر بن عبد العزيز عند موته فقال يا امير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه احد قبلك تركت ولدك
ليس لهم دينار ولا درهم وكان عنده ثلاثة عشر من الولد فقال عمر اقعدوني فاقعدوه فقال اما قولك
لم ادع لهم دينارا ولا درهما فاني لم امنعهم حقا لهم ولم اعطهم حقا لغيرهم وانما ولدي احد رجلين اما مطيع
لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله فلا ابالي على ما وقع • وروي ان محمد بن كعب القرظي
اصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك فقال ولكني ادخره لنفسي عند ربي وادخر
ربي لولدي • ويروى ان رجلا قال لابي عبد ربه لا تذهب بشر وتترك اولادك بخير فاخرج ابو
عبد ربه من مائة الف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما
للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله **بيان مدح المال
والجمع بينه وبين الذم** اعلم ان الله تع قد سمى المال خيرا في مواضع فقال ان ترك خيرا الوصية
الآية وقال رسول الله صلعم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على

المال اذ لا يمكن الوصول اليه الا بالمال وقال تع ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وقال تعالى
ممتنا على عباده ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال عليه السلام كاد الفقر
ان يكون كفرا وهو ثناء على المال ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم الا بان تعرف حكمة المال
ومقصوده وآفاته وغوائله حتى ينكشف لك انه خير من وجه وشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير
ومذموم من حيث هو شر فانه ليس بخير محض بل هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محالة
مرة ويذم اخرى ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه
في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو ان مقصد الاكياس
وارباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم والقصد الى هذا داب الكرام والاكياس
اذ قيل لرسول الله صلعم من اكرم الناس واكيسهم فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه
السعادة لا تنال الا بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضائل
البدنية كالصحة والسلامة والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الاسباب واعلاها النفسية
ثم البدنية ثم الخارجة والخارجة اخسها والمال من جملة الخارجات وادناها الدراهم والدنانير فانهما
خادمان ولا خادم لهما ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هي الجوهر الشريف المطلوب
سعادتها وانها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق لتحصلها صفة في ذاتها والبدن يخدم
النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس تخدم البدن وقد سبق ان المقصود
من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها
بالعلم والخلق ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه من حيث هو
ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس خير ومن عرف
فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية ملتفتا اليها غير ناس لها فقد احسن
وانتفع وكان ما حصل له الغرض محمودا في حقه فاذن المال آلة ووسيلة الى مقصود صحيح ويصلح
ان يتخذ آلة ووسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة السادة
سبيل العلم والعمل فهو اذن محمود مذموم محمود بالاضافة الى المقصود المحمود مذموم بالاضافة الى المقصود
المذموم فمن اخذ من الدنيا اكثر مما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر • ولما
كانت الطباع مائلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة
اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا صلى الله عليه و
سلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض خيره وقال اللهم
احيني مسكينا وامتني مسكينا واستعاذ ابرهيم صلى الله عليه وسلم فقال اجنبني وبني ان نعبد الاصنام
وعنى بها هذين الحجرين الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى عليها ان تعتقد الالهية في
شيء من الحجارة وانما معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون اليهما قال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد
الدرهم تعس عبد الدينار تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش فبين ان محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا
فهو عابد صنم وهو شرك الا ان الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه

المؤمنون فانه اخفى من دبيب النملة وشرك جلي يوجب الخلود في النار

بيان تفصيل آفات المال وفوائده

اعلم ان المال مثل حية فيها سم وترياق ففوائده ترياقه وغوائله سمومه فمن عرف غوائله وفوائده امكنه ان يحترز من شرها ويستدر منها خيرها **اما الفوائد** فهي تنقسم الى دنيوية ودينية اما الدنيوية فلا حاجة الى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينية فينحصر جميعها في ثلاثة انواع **النوع الاول** ان ينفقه على نفسه اما في عبادة او في الاستعانة على عبادة اما في العبادة كالاستعانة على الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من امهات القربات والفقير محروم عن فضلهما واما فيما يقويه على العبادة وذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فان هذه الحاجات ان لم تتيسر كان القلب منصرفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العبادة الا به فهو عبادة فاخذ الكفاية من الدنيا لاجل الاستعانة على الدين من الفوائد الدينية ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فان ذلك من حظوظ الدنيا فقط **النوع الثاني** ما يصرفه الى الناس وهي اربعة اقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض والاستخدام اما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفئ غضب الرب وقد ذكرنا فضائلها واما المروة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه فان هذا لا يسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم الى المحتاج الا ان هذا ايضا من الفوائد الدينية اذ به يكتسب العبد الاخوان والاصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الاسخياء فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية العرض فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع السنتهم ودفع شرهم وهذا ايضا مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية ايضا قال رسول الله صلعم ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافاة والانتقام على مجاوزة حدود الشرع واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابها كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له افتقر الى ان يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطبخه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكل ما يتصور ان يقوم به غيرك ويحصل غرضك فانت مغبون اذا اشتغلت به اذ من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور ان يقوم به غيرك ويحصل غرضك فانت مغبون في تضييع الوقت في غيره خسران **النوع الثالث** ما لا يصرفه الى انسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى ونصب الحباب في الطرق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية وناهيك به خيرا فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول الى

العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقاء والوقار والكرامة في القلوب فكل ذلك مما يقتضيه المال في الحظوظ الدنيوية **واما الآفات** فدينية ودنيوية **اما** الدينية فثلاث **الاولى** ان يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة ان لا يقدر ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر القدرة عليه انبعثت والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء اعظم من فتنة الضراء **الثانية** انه يجر الى التنعم في المباحات وهذا اول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن عليه نفسه فيصير التنعم مالوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض واذا اشتد انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراياة والمداهنة والكذب والنفاق وساير الاخلاق الرديئة لينتظم له امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد وان ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فان سلم الانسان من الآفة الاولى وهو مباشرة المحظورات فلا يسلم عن هذا اصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة والصداقة وينشأ عليه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وساير المعاصي التي تخص القلب واللسان ولا يخلو عن التعدي ايضا الى ساير الجوارح وكل ذلك يلزم من شوم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه **الثالثة** وهو ما لا ينفك عنه احد وهو انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه السلام في المال ثلاث ان ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله فقال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه فقال يشغله اصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الداء العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله تبارك وتعالى والفكر في جلاله ويستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وخصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة وخصومة الفلاحين في جناياتهم وسرقتهم وصاحب التجارة متفكرا في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا ساير اصناف الاموال وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك فهذه جملة الآفات الدينية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الاموال وكسبها فاذن ترياق المال اخذ القوت وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سموم وآفات

بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في ايدي الناس

اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه في كتاب الفقر ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا

على اكتساب المال كيف ما كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر على اقله
قدرا واخسه نوعا ويرد امله الى يومه او الى شهر ولا يشغل قلبه بما بعد الشهر فان تشوف الى
الكثرة او طول الامل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى
مساوي الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الادمي على الحرص والطمع وقلة
القناعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا
ولا يملا جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب، وعن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اوحي اليه اتيناه يعلمنا مما اوحي اليه فجئته ذات يوم فقال ان الله عز وجل
يقول انا انزلنا المال لاقام الصلوة وايتاء الزكوة ولو ان لابن آدم واديا لاحب ان يكون اليه الثاني
ولو كان الثاني لاحب ان يكون اليهما الثالث ولا يملا جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب
وقال ابو موسى الاشعري نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها ان الله يؤيد هذا الدين
باقوام لا خلاق لهم ولو ان لابن آدم واديين من مال لتمنى ثالثا ولا يملا جوف ابن آدم الا التراب
ويتوب الله على من تاب وقال النبي صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم
المال وقال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان الامل وحب المال او كما قال
ولما كانت هذه جبلة للادمي مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله تع ورسوله على القناعة فقال صلى الله عليه وسلم
طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيمة
انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقال صلعم ليس الغنى كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص
والمبالغة في الطلب فقال الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب
عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة، وروي ان موسى سال ربه تع فقال اي عبادك
اغنى قال اقنعهم بما اعطيته قال فايهم اعدل قال من انصف من نفسه وقال ابن مسعود قال
رسول الله صلعم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله و
اجملوا في الطلب وقال ابو هريرة قال صلعم يا ابا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف
وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس
وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مومنا، ونهى رسول الله صلعم عن
الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عظني و
اوجز فقال اذا صليت فصل صلوة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع الاياس
مما في ايدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي كنا عند رسول الله صلعم تسعة او ثمانية او سبعة
فقال الا تبايعون رسول الله صلعم قلنا اوليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال الا تبايعون رسول الله
فبسطنا ايدينا فبايعناه فقال قايل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك فقال على ان تعبدوا الله ولا تشركوا
به شيئا والصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفية ولا تسالوا الناس شيئا قال فقد كان
بعض اولئك النفر يسقط سوطه فما يسال احدا ان يناوله اياه الآثار قال عمر رضي الله عنه
ان الطمع فقر وان الياس غنى وانه من ييس عما عند الناس استغنى عنهم وقيل لبعض الحكماء ما الغنى

قال

قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ولذلك قيل: العيش ساعات تمر * وخطوب ايام تكر
اقنع بعيشك ترضه * واترك هواك وانت حر * فلرب حتف ساقه * ذهب وياقوت ودر
وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى احد وقال
خير دنياكم ما لم تبتلوا بها وخير ما ابتليتم بها ما اخرج من ايديكم وقال ابن مسعود ما من يوم
الا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال سميط بن عجلان انما بطنك
شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن و
الياس مما في ايدي الناس، ويروى ان الله عز وجل قال يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم
يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك
محسن وقال ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة فليطلبها طلبا يسيرا ولا ياتي الرجل فيقول
انك انك فيقطع ظهره فانما ياتيه ما قسم له او رزق وكتب بعض بني امية الى ابي حازم يعزم حوائجي
عليه الا رفع اليه حاجته فكتب اليه دفعت حوائجي الى مولاي فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني قنعت
وقيل لبعض الحكماء اي شيء اسر للعاقل وايما اعون على دفع الحزن قال اسرها اليه ما قدم من صالح العمل و
اعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القدر وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس غما الحسود
واهناهم عيشا القنع واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم
ندامة العالم المفرط وقد قيل: ارفه ببال فتى يمسي على ثقة * ان الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون لا يدنسه * والوجه منه جديد ليس يخلقه * ان القناعة من يحلل بساحتها
لا يلق في دهره شيئا يؤرقه * وقيل: حتى متى انا في حل وترحال * وطول سعي وادبار واقبال
ونازح الدار لا انفك مغتربا * عن الاحبة لا يدرون ما حالي * بمشرق الارض طورا ثم مغربها
لا يخطر الموت من حرصي على بالي * ولو قنعت اتاني الرزق في دعة * ان القنوع الغنى لا كثرة المال
وقال عمر رضي الله عنه الا اخبركم بما استحل من مال الله عز وجل حلتان لشتائي وقيظي وما يسعني
من الظهر لحجي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم ولا باوضعهم فوالله ما
ادري ايحل ذلك ام لا كانه شك في ان هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها
وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال يا اخي انت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب انت
ما قد كفيته وكان ما غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت عنه كانك يا اخي لم تر حريصا
محروما وزاهدا مرزوقا وقيل: اراك يزيدك الاثراء حرصا * على الدنيا كانك لا تموت * فهل
لك غاية ان صرت يوما * اليها قلت حسبي قد رضيت * وقال الشعبي حكي ان رجلا
صاد قنبرة فقالت ما تريد ان تصنع بي قال اذبحك فآكلك قالت والله ما اشفي من قرم ولا
اشبع من جوع ولكني اعلمك ثلاث خصال هو خير لك من اكلي اما واحدة فاعلمك وانا في يدك
واما الثانية فاذا صرت على الشجرة قال هات الثانية واما الثالثة فاذا صرت على الجبل
قال هات الاولى قالت لا تتلهفن على ما فاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية
قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني

من حوصلتي درتين كل واحدة عشرون مثقالاً قال فعض على شفتيه وتلهف وقال هات الثالثة قالت انت نسيت الثنتين فكيف اخبرك بالثالثة ألم اقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انا ولحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالاً فكيف يكون في حوصلتي درتان كل واحدة عشرون مثقالاً ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الآدمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون وقال ابن السماك ان الرجاء حبل في قلبك قيد في رجلك فاخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال ابو محمد اليزيدي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما رآني تبسم فقلت فائدة اصلح الله الامير قال نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني امية فاستحسنتهما وقد اضفت اليهما ثالثاً وانشدني

اذا سد باب عنك من دون حاجة، فدعه لاخرى ينفتح لك بابها، فان قراب البطن يكفيك ملؤه، ويكفيك سوآت الامور اجتنابها، ولا تك مبذالاً لعرضك واجتنب ركوب المعاصي يجتنبك عقابها،

وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج فقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في شيء فيطلبه فيذهب عليه دينه وتشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب ان يفوتها شيء ويكون لك الى هذا حاجة والى هذا حاجة فاذا قضاها لك خزم انفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له من حبك للدنيا سلمت عليه اذا مررت به وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله ولو لم يكن لك اليه حاجة كان خيراً لك قال هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان وقال بعض الحكماء من عجيب امر الانسان انه لو نودي بدوام البقاء في ايام الدنيا لم يكن في قوى خليقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وموقع الزوال وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت من اين تأكل قال من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الارحاء هو يأتيها بالطحين واومى بيده الى رحى اضراسه

بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة

اعلم ان هذا الدواء مركب من ثلاثة اركان الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسة امور

الاول وهو العمل الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد على نفسه ابواب الخرج ما امكنه ويرد نفسه الى ما لا بد منه فان من كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب واحد خشن ويقنع باي طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه وان كان له عيال فرد كل واحد الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر باد في جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب فالاقتصاد في المعيشة هو الاصل في القناعة ونعني به الرفق في الانفاق وترك الخرق فيه قال صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب، وروي ان رجلاً ابصر ابا الدرداء يلتقط حباً من الارض ويقول ان من فقهك رفقك في معيشتك وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوة وفي الخبر التدبير نصف المعيشة وقال صلى الله عليه وسلم من اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله عز وجل احبه وقال صلى الله عليه وسلم اذا اردت امراً فعليك بالتؤدة حتى يجعل الله فرجاً ومخرجاً والتؤدة في الانفاق من اهم الامور

الثاني انه اذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب لاجل الاستقبال ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذي قدر له لا بد وان يأتيه وان لم يشتد حرصه وان شدة الحرص ليس هو السبب لوصول الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقاً بوعد الله تعالى اذ قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وذلك لان الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول ان لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل في السؤال فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفاً من التعب ويضحك عليه في احتماله التعب نقداً مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال وربما لا يكون وفي مثله قيل، ومن ينفق الساعات في جمع ماله، مخافة فقر فالذي فعل الفقر، وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤسكما فان الانسان تلده امه احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال له لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق يأتك وقال صلى الله عليه وسلم الا ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ولا ينفك الانسان عن الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير ارزاق العباد وان ذلك يحصل لا محالة مع الاجمال في الطلب بل ينبغي ان يعلم ان رزق العبد من حيث لا يحتسب اكثر قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه فلا ينبغي ان يضطرب قلبه لاجله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب وقال سفيان اتق الله فما رأيت تقياً محتاجاً اي لا يترك التقي فاقداً للضرورة بل يلقي الله في قلوب المسلمين ان يوصلوا اليه رزقه وقال المفضل الضبي قلت لاعرابي من اين معاشك قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش الا من حيث ندري لم نعش وقال ابو حازم وجدت الدنيا شيئين شيئاً منها هو لي فلن اعجله قبل اجله ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيئاً منها هو لغيري فذلك لم انله فيما مضى ولا ارجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري ففي اي هذين افني عمري فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر

الثالث ان يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الطمع والحرص من الذل فاذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته الى القناعة لانه في الحرص لا يخلو عن تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس في القناعة الا الم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا الم لا يطلع عليه احد وفيه ثواب الآخرة وذلك مما ينضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنة وذلك يهلك دينه ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان قال النبي صلى الله عليه وسلم عز المؤمن استغناؤه عن الناس ففي القناعة الحرية والعز ولذلك قيل استغن عمن شئت فانت نظيره واحتج الى من شئت فانت اسيره واحسن الى من شئت فانت اميره

الرابع ان يكثر تأمله في تنعم اليهود والنصارى واراذل الناس

والمجوس والاكراد والاعراب ممن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى احوال الانبياء والاولياء والى سمت الخلفاء
الراشدين وساير الصحابة والتابعين ويستمع احاديثهم ويطالع احوالهم ويخير عقله بين ان يكون على مشابهة
ارذال الناس وعلى الاقتداء بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على القليل
والقناعة باليسير فانه ان تنعم في البطن فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم في الوقاع فالخنزير اعلى رتبة منه
وان تزين في الملبس والخيل ففي اليهود من هو اعلى رتبة منه وان قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته
الا الاولياء والانبياء **الخامس** ان يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرناه من آفات المال وما فيه
من خوف السرقة والنهب والضياع وما في خلو اليد من الامن والفراغ ويتامل ما ذكرناه من آفات المال مع
ما يفوته بالمدافعة عن باب الجنة الى خمس مائة عام فانه اذا لم يقنع بما يكفيه التحق بزمرة الاغنياء واخرج
عن جريدة الفقراء ويتم ذلك بان ينظر ابدا الى من دونه في الدنيا لا الى من فوقه فان الشيطان ابدا
يصرف نظره في الدنيا الى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وارباب الاموال يتنعمون في المطاعم و
الملابس ويصرف نظره في الدين الى من هو دونه فيقول ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اعلم
منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد ان تتميز عنهم قال ابو ذر
اوصاني خليلي ان انظر الى من هو دوني لا الى من هو فوقي اي في الدنيا وقال ابو هريرة قال
صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه
ممن فضل عليه فبهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الامر الصبر وقصر الامل و
ان يعلم ان غاية صبره في الدنيا ايام قلايل للتمتع دهورا طويلة فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة
الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء **بيان فضيلة السخاء** اعلم ان المال ان كان
مفقودا فينبغي ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغي ان يكون حاله الايثار
والسخاء واصطناع المعروف والتباعد من الشح والبخل فان السخاء من اخلاق الانبياء وهو اصل
من اصول النجاة وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال السخاء شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية
الى الارض من اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم قال جبرئيل عليه السلم قال الله تعالى ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق
فاكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما جبل الله تعالى وليا له الا على السخاء وحسن الخلق وعن جابر قال قيل يا رسول الله اي الاعمال
افضل قال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقان يحبهما الله عز وجل و
خلقان يبغضهما الله عز وجل فاما اللذان يحبهما الله عز وجل فحسن الخلق والسخاء واما اللذان يبغضهما الله عز وجل
فسوء الخلق والبخل واذا اراد الله بعبد خيرا استعمله على قضاء حوايج الناس وروى المقدام بن شريح
عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام
وافشاء السلام وحسن الكلام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلعم السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخيا اخذ
بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنة والشح شجرة في النار فمن كان شحيحا اخذ بغصن من اغصانها
فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله

تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا
تطلبوها من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخي فان الله تعالى آخذ بيده كلما عثر وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملايكة
وقال صلعم ان الله جواد يحب الجود ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها وقال انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يسال على الاسلام شيا الا اعطاه فاتاه رجل فساله فامر له بشاء كثير بين جبلين من شاء
الصدقة فرجع الى قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وقال ابن عمر قال رسول الله
صلعم ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد نقلها الله تعالى عنه وحولها
الى غيره وعن الهلالي قال اتي رسول الله صلعم باسرى من بني العنبر فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال علي
بن ابي طالب يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال صلى الله عليه
وسلم نزل علي جبرئيل فقال اقتل هولاء واترك هذا فان الله تعالى شكر له سخاء فيه وقال صلى الله عليه و
سلم لكل شي ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلعم طعام الجواد دواء
وطعام البخيل داء وقال صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عنده عظمت مونة الناس عليه
فمن لم يحتمل تلك المونة عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى صلعم استكثروا من شي لا تاكله النار
قيل وما هو قال المعروف وقالت عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلعم الجنة دار الاسخياء وقال
ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلعم السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من
النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي احب الى الله
من عابد بخيل وادوى الداء البخل وقال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو اهله والى من
ليس باهله فان اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب اهله فانت اهله وقال صلى الله
عليه وسلم ان بدلاء امتي لم يدخلوا الجنة بصلوة ولا قيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور
والنصح للمسلمين وقال ابو سعيد الخدري قال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها من خلقه
حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما يسر الغيث الى البلدة
الجدبة ليحييها ويحيي بها اهلها وقال صلعم كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتبت
له صدقة وما وقى الرجل به عرضه فهو له صدقة وما انفق الرجل نفقة فعلى الله خلفها وقال صلعم كل
معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف
فعلته الى غني او فقير صدقة وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلم لا تقتل السامري فانه سخي
وقال جابر بعث رسول الله صلعم بعثا عليهم قيس بن عبادة فجهدوا فنحر لهم تسع ركايب فحدثوا سعد بن
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم ان الجود لمن شيمة اهل ذلك البيت **الآثار**
قال علي رضي الله عنه اذا اقبلت الدنيا فانفق فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق فانها لا تبقى و
انشد لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها التبذير والسرف فان تولت فاحرى ان
تجود بها فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف وسال معوية الحسن بن علي عن المروة والنجدة والكرم

فقال اما المروة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بضيعته وحسن المنازعة والاقدام في الكراهية واما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السؤال والاطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل • ودفع رجل الى الحسين بن علي رقعة فقال حاجتك مقضية فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرا رقعته وقال السماك عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الاحرار بمعروفه • وسئل بعض الاعراب وقيل من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى سائلنا واغضى عن جاهلنا وقال علي بن الحسين من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخيا وانما السخي من يبتدئ بحقوق الله تعالى في اهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقينه بثواب الله تاما • وقيل للحسن البصري ما السخاء قال ان تجود بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسة وقال جعفر الصادق لا مال اعود من العقل ولا مصيبة اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشورة الا وان الله عز وجل يقول اني جواد كريم لا يجاورني لئيم واللؤم من الكفر واهل الكفر في النار والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنة وقال حذيفة رب رجل فاجر في دينه اخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته • وراى الاحنف بن قيس رجلا وفي يده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال اما انه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي معناه قيل • انت للمال الذي امسكته • فاذا انفقته فالمال لك • وسمي واصل بن عطاء الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا راى امراة ضعيفة اعطاها شيئا وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى الحسين بن علي يعيب عليه اعطاء الشعراء فكتب اليه خير المال ما وقى العرض وقيل لسفين بن عيينة ما السخاء فقال السخاء البر بالاخوان والجود بالمال وورث ابي خمسين الف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال قد كنت اسال الله تعالى لاخواني الجنة في صلواتي فابخل عليهم بالدنيا وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكماء من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت ايادي عنده وقال عبد العزيز بن مروان اذا الرجل امكنني من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده وقال المهدي لشبيب بن شيبة كيف رايت الناس في داري فقال يا امير المؤمنين ان الرجل منهم ليدخل راجيا ويخرج راضيا وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر ان الصنيعة لا تكون صنيعة • حتى يصاب بها طريق المصنع • فاذا اصطنعت صنيعة فاعمد بها • لله او لذوي القرابة او دع • فقال عبد الله بن جعفر ان هذين البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت له اهلا

حكايات الاسخياء

عن محمد بن المنكدر عن ام درة وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها قالت ان ابن الزبير بعث اليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة الف فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام درة ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتني لفعلت • وعن ابان بن عثمان قال اراد رجل ان يضار عبد الله بن عباس فاتى وجوه قريش فقال يقول لكم عبد الله تغدوا عندي اليوم فاتوه حتى ملؤوا عليه الدار

فقال

فقال ما هذا فاخبر الخبر فامر عبد الله بشراء فاكهة وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فاكلوا حتى صدروا وقال عبد الله لوكلائه اموجود كل ما اردت قالوا نعم قال فليتغد عندي هؤلاء في كل يوم وقال مصعب بن الزبير حج معوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين بن علي لاخيه الحسن لا تلقاه ولا تسلم عليه فلما خرج معوية قال الحسن ان علينا دينا ولا بد من اتيانه فركب في اثره فلحقه واخبره بدينه فمروا عليه ببختي عليه ثمانون الف دينار وقد اعيى وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معوية ما هذا فذكر له فقال اصرفوه بما عليه الى ابي محمد وعن واقد بن محمد الواقدي قال حدثنا ابي انه رفع رقعة الى المامون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فكتب المامون على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيك خصلتان سخاء وحياء اما السخاء فهو الذي اطلق ما في يديك واما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما انت عليه وقد امرت لك بمائة الف درهم فان كنت قد اصبت فازدد في بسط يدك وان لم اكن قد اصبت فجنايتك على نفسك وانت حدثتني وكنت على قضاء الرشيد عن محمد بن اسحق عن الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم ان مفاتيح ارزاق العباد بازاء العرش يبعث الله عز وجل الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له وانت اعلم قال الواقدي فوالله لمذاكرة المامون اياي بالحديث احب الي من الجائزة وهي مائة الف درهم وسال رجل الحسن بن علي حاجة فقال له يا هذا حق سؤالك اياي اعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك تكبر علي ويدي تعجز عن نيلك ما انت اهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفاء بشكرك فان قبلت الميسور ورفعت عني مؤونة الاحتمال والاهتمام لما اتكلفه من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول الله اقبل واشكر العطية واعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثمائة الف فاحضر خمسين الفا قال فما فعلت الخمسمائة دينار قال هي عندي قال احضرها فاحضرها فدفع الدراهم والدنانير الى الرجل وقال هات من يحملها لك فاتاه بحمالين فدفع اليه الحسن رداءه لكرا الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال لكني ارجو ان يكون لي عند الله اجر عظيم • واجتمع قراء البصرة الى ابن عباس وهو عامل البصرة فقالوا لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا ان يكون مثله وقد زوج بنته من ابن اخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس فاخذ بايديهم وادخلهم داره وفتح صندوقا فاخرج منه ستة بدر فقال ابن عباس ما انصفناه اعطيناه ما يشغله عن صيامه وقيامه ارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمنا عن عبادة ربه وما بنا من الكبر ما لا نخدم اولياء الله تعالى ففعل وفعلوا وحكي انه لما اجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد اميرهم فقال والله لاعلمن الشيطان اني عدوه فعال محاويجهم الى ان رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه الف الف درهم فرهنهم بها حلي نسائه وقيمتها خمسة آلاف الف فلما تعذر عليه ارتجاعه كتب اليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم الى من لم تنله صلاته • وكان ابو طالب بن كسيب شيعيا ساعيا فقال له رجل بحق علي بن ابي طالب لما وهبت لي نخلتك بموضع كذا قال قد فعلت وحقه لاعطينك ما يليها وكان ذلك اضعاف ما طلب الرجل • وكان ابو مرثد احد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما عندي ما اعطيك

ولكن تدّعي الى القاضي وادّعِ عليّ عشرة آلاف درهم حتى اقرّ لك بها ثم احبسني فان اهلي لا يتركوني
محبوسًا ففعل ذلك فلم يمسِ حتى دُفعت اليه عشرة آلاف درهم واُخرج ابو مرثد من الحبس • وكان معن
بن زائدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال
يومًا لبعض خدم معن اذا دخل الامير البستان فعرّفني فلما دخل اعلمه فكتب الشاعر بيتا على
خشبة والقاها في الماء الذي يدخل بستان معن وكان معن على راس الماء فلما بصر بالخشبة اخذها وقراها فاذا
فيها مكتوب ايا جود معن ناجِ معنًا بحاجتي فما لي الى معن سواك شفيعُ قال فقال من صاحب هذه فدُعي
بالرجل فقال له كيف قلت فقاله فامر له بعشرة بدر فاخذها ووضع الامير الخشبة تحت بساطه فلما
كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط وقرا ما فيها ودعا بالرجل فدفع اليه مائة الف درهم فلما اخذها
الرجل تفكر وخاف ان ياخذ ما اعطاه وخرج فلما كان في اليوم الثالث قرا ما فيها ودعا بالرجل فطُلب
فلم يوجد فقال معن حق عليّ ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار • وقال ابو الحسن
المدائني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتتهم اثقالهم فجاعوا وعطشوا فمرّوا
بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا شويهة في كسر
الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك قالوا هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة
فليذبحها احدكم حتى اهيئ لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم فذبحها وكشطها ثم هيّأت لهم طعاما فاكلوا و
اقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين
فالمّي بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا واقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة فغضب
الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش قال ثم الجأتهما الحاجة بعد
ذلك الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويعيشان بثمنه فمرّت العجوز
في بعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث
الحسن غلامه ودعا العجوز فقال لها يا امة الله اتعرفينني قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا وكذا
فقالت العجوز بابي انت وامي انت هو فقال نعم ثم امر الحسن فاشتروا لها من شاء الصدقة الف
شاة وامر لها معها الف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال لها الحسين بكم وصلك
اخي قالت بالف شاة والف دينار فامر لها الحسين ايضا بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد الله
بن جعفر فقال بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي شاة والفي دينار فامر لها بالفي دينار
والفي شاة وقال لها لو بدأت بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة آلاف شاة واربعة
آلاف دينار • وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من
ثقيف فمشى الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة يا غلام قال صلاحك وفلاحك رايتك تمشي
وحدك فقلت اقيك بنفسي واعوذ بالله ان طار بجنابك مكروه فاخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله
ثم دعا له بالف دينار فدفعها الى الغلام وقال استنفق هذه فنعم ما ادبك اهلك • وحكي ان
بعض العرب جاءوا الى قبر بعض اسخيائهم للزيارة فنزلوا عند قبره وكان قد جاؤوا من سفر
بعيد فباتوا عند قبره فراى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول هل لك ان تبادل

بعيرك بنجيبي وكان قد خلّف الميت نجيبا معروفا به وكان لهذا الرجل بعير سمين فقال في النوم
نعم وباع في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل
من نومه ينجّ الدم من نحر بعيره فقام الرجل من نومه فنحره وقسم لحمه وطبخه وقضوا حاجتهم ثم
رحلوا وساروا فلما كان في اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان
بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال انا فقال هل بعت من فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم
بعت بعيري بنجيبه في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو ابي وقد رايته في النوم وهو يقول لي
ان كنت ابني فادفع نجيبي الى فلان وسماه • وقدم رجل من قريش من سفر فمر برجل من الاعراب على
قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضرّ به المرض فقال يا هذا اعنّي على الدهر فقال الرجل لغلامه
ما بقي من النفقة فادفعه اليه فصبّ الغلام في حجر الاعرابي اربعة آلاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر
من الضعف فبكا فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما اعطيناك قال لا ولكن ذكرت ما تاكل
الارض من كرمك فابكاني • واشترى عبيد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابي معيط داره التي
هي في السوق بتسعين الف درهم فلما كان الليل سمع بكاء خالد فقال لاهله ما لهؤلاء قالوا يبكون
لدارهم قال يا غلام ائتهم فاعلمهم ان الدار والمال لهم جميعا • وقيل انفذ هرون الرشيد الى
مالك بن انس رضي الله عنه خمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب هرون
وقال اعطيته خمسمائة وتعطيه الفا وانت من رعيتي فقال يا امير المؤمنين ان لي في كل يوم من
غلتي الف دينار واستحييت ان اعطي مثله اقل من دخل يوم • وحكي انه لم يجب عليه الزكوة مع ان
دخله في كل يوم الف دينار • وروي ان امراة سالت الليث بن سعد شيئا من عسل فامر لها بزق
وقال انها سالت على قدرها ونعطيها على قدر النعمة علينا وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى
يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا وقال الاعمش اشتكت شاة عندي وكان خيثمة بن عبد الرحمن شاة
يعودها بالغداة والعشي ويسالني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها
وكان تحتي لبد اجلس عليه فاذا خرج قال خذ ما تحت اللبد حتى وصل اليّ في علة الشاة اكثر
من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرأ • وقال عبد الملك بن مروان لاسماء
بن خارجة بلغتني عنك خصال فحدثني بها فقال هي من غيري احسن منها مني قال عزمت عليك
الا حدثتني قال يا امير المؤمنين ما مددت رجلي بين جليس قط ولا صنعت طعاما فدعوت عليه قوما
الا كانوا امنّ عليّ مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه قط يسالني شيئا فاستكثرت شيئا اعطيته
اياه • ودخل سعيد بن خالد على سليمن بن عبد الملك وكان سعيد رجلا جوادا فاذا لم يجد شيئا
كتب لمن ساله الصكاك على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر اليه سليمن تمثل بهذا البيت • اني سمعت
مع الصباح مناديا • يا من يعين على الفتى المعوان • ثم قال ما حاجتك قال ديني قال وكم هو
قال ثلثون الف دينار قال لك دينك ومثله • وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة
فاستبطا اخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من
الزيارة ثم امر مناديا فنادى من كان عليه لقيس حق فهو منه في حل فقال فكسرت درجته بالعشي

لكثرة من عاده • وعن ابي اسحق قال صليت الفجر في مسجد الاشعث بالكوفة اطلب غريما لي فلما صليت
وضعت بين يدي حلة ونعلان فقلت لست من اهل هذا المسجد فقيل ان الاشعث بن قيس
قدم البارحة من مكة فامر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين • وقال ابو سعيد الخركوشي النيسابوري
سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة قال كان بمصر رجل عرف بان يجمع للفقراء
شيا فولد لبعضهم ولد قال فجئت اليه فقلت ولد لي مولود وليس معي شي فقام معي ودخل على
جماعة فلم يفتح بشي فجاء الى قبر رجل وجلس وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم
وكلفت جماعة دفع شي لمولود فلم يتفق لي شي قال ثم قام واخرج دينارا فكسره بنصفين وناولني
نصفه وقال هذا دين عليك الى ان يفتح لك بشي قال فاخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لي به
فراى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال سمعت جميع ما قلت وليس لنا اذن في
الجواب ولكن احضر منزلي وقل لاولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار
واحملها الى هذا الرجل قال فلما كان من الغد تقدم الى منزل الميت وقص القصة فقالوا له اجلس وحفروا
الموضع واخرجوا الدنانير وجاؤوا بها فوضعوها بين يديه فقال هذا مالكم وليس لرؤياي حكم فقالوا
هو يتسخى ميتا ونحن لا نتسخى احياء فلما الحوا عليه حملوا الدنانير الى صاحب المولود وذكر له القصة
قال فاخذ منها دينارا فكسره بنصفين فاعطاه النصف الذي اقرضه وحمل النصف الاخر وقال
يكفيني هذا تصدق به على الفقراء فقال ابو سعيد لا ادري اي هؤلاء اسخى • وروي ان الشافعي
لما مرض مرض موته قال مروا فلانا يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال ايتوني بتذكرته قال
فاتي بها فنظر فيها فاذا على الشافعي رضي الله عنه تسعون الف درهم فكتبها على نفسه وقضاها عنه
وقال هذا غسلي اياه اي اراد به هذا قال ابو سعيد الواعظ الخركوشي رحمه الله لما قدمت
مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرايت جماعة من احفاده فزرتهم فرايت فيهم سيماء الخير
وآثار الفضل فقلت بلغ اثره في الخير اليهم فظهرت بركته فيهم مستدلا بقوله تع وكان ابوهما صالحا وقال
الشافعي رضي الله عنه لا ازال احب حماد بن سلمة لشي بلغني عنه انه كان راكبا حمارا فحركه فانقطع زره
فمر على خياط واراد ان ينزل عليه ليسوي زره فقال الخياط والله لا نزلت وقام اليه فسوى زره فاخرج
اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر اليه في قلتها وانشد الشافعي • يا لهف نفسي على
مال اجود به • على المقلين من اهل المروات • ان اعتذاري لمن قد جاء يسالني • ما ليس عندي لمن احدى
المصيبات • وعن الربيع بن سليمن قال اخذ رجل بركاب الشافعي فقال يا ربيع اعطه ما عندك
فاعطاه اربعة دنانير واعتذر اليه مني وقال الربيع سمعت الحميدي يقول قدم الشافعي من صنعاء
الى مكة بعشرة الاف دينار فضرب خباءه في موضع خارجا من مكة فنثرها على ثوب ثم اقبل على كل
من دخل عليه فيقبض قبضة فاعطاه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شي • وعن ابي ثور قال اراد
الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك شيا من سماحته فقلت له ينبغي ان تشتري بهذا
المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا فسالته عن ذلك المال فقال ما وجدت
بمكة ضيعة يمكنني ان اشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقف اكثرها ولكني بنيت بمنى مضربا يكون لاصحابنا

اذا احجوا نزلوا فيها وانشد الشافعي • اري نفسي تتوق الى امور • تقصر دون مبلغهن مالي • فنفسي
لا تطاوعني لبخل • ومالي لا يبلغني فعالي • وقال محمد بن عباد المهلبي دخل ابي على المامون
فوصله بمائة الف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فاخبر به المامون فلما عاد اليه عاتبه في ذلك فقال
يا امير المومنين منع الموجود سوء الظن بالمعبود فوصله بمائتي الف اخرى • وقام رجل الى سعيد بن
العاص فساله فامر له بمائة الف درهم فبكى فقال سعيد ما يبكيك فقال ابكي على الارض ان تاكل مثلك
فامر له بمائة الف اخرى • ودخل ابو تمام على ابرهيم بن شكلة بابيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل
منه المدحة وامر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال عسى ان اقوم من مرضي فاكافيه فاقام شهرين فاوحشه
طول المقام فكتب اليه • ان حراما قبول مدحتنا • وترك ما نرتجي من الصفد • كما الدنانير والدراهم
في البيع حرام الا يدا بيد • فلما وصل الى ابرهيم البيتان قال لحاجبه كم اقام بالباب قال
شهران قال اعطه ثلاثين الفا وجئني بدواة فكتب اليه • اعجلتنا فاتاك عاجل برنا • قلا ولو
امهلتنا لم نقلل • فخذ القليل وكن كانك لم تقل • ونكون نحن كاننا لم نفعل • ويروى انه كان
لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون الف درهم فخرج عثمان يوما الى المسجد فقال له طلحة قد تهيا مالك
فاقبضه فقال هو لك يا ابا محمد معونة لك على مروتك وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرايت
منه ثقلا فقلت ما لك فقال اجتمع عندي مال قد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام علي
بقومي فقسمه فيهم فسالت الخادم كم كان قال اربعمائة الف • وجاء اعرابي الى طلحة يساله وتقرب
اليه برحم فقال ان هذه لرحم ما سالني بها احد قبلك ان لي ارضا اعطاني بها عثمان رضي الله عنه
ثلثمائة الف فان شئت فاقبضها وان شئت بعتها من عثمان ودفعت اليك الثمن فباعها من
عثمان ودفع اليه الثمن وقيل بكى علي رضي الله عنه يوما فقيل ما يبكيك فقال لم ياتني ضيف منذ سبعة
ايام اخاف ان يكون الله قد اهانني • واتى رجل صديقا ودق عليه الباب فقال لم جئتني قال
لاربعمائة درهم دين فوزن له اربعمائة واخرجها اليه وعاد يبكي فقالت امراته لم اعطيته اذ شق عليك فقال
انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتي بيان ذم البخل قال الله تع و
من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال تع ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الى يوم القيمة
وقال الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم وقال صلى الله عليه و
سلم اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم
فقطعوا ارحامهم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خاين ولا سيي الملكة و
في رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال صلعم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع و
اعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تع يبغض ثلاثة الشيخ الزاني والبخيل المنان
والمعيل المختال وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من
لدن ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق شيا الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه
واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيا الا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى اخذت بتراقيه فهو يوسعها

ولا يشبع وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق وقال
صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان اردّ الى ارذل العمر وقال
صلى الله عليه وسلم اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واياكم والفحش فان الله لا يحب الفاحش ولا
المتفحش واياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم الشح امرهم بالكذب فكذبوا وامرهم بالظلم فظلموا
وامرهم بالقطيعة فقطعوا وقال صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع و
قتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال النبي صلعم
وما يدريك انه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه او يبخل بما لا ينفعه وقال جبير بن مطعم
بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من حنين علقت برسول الله
صلى الله عليه وسلم الاعراب يسالونه حتى اضطروه الى الشجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم ثم لا
تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا وقال عمر قسم رسول الله صلعم قسما فقلت غير هولاء كانوا احق منهم
فقال انهم يخيروني بين ان يسالوني بالفحش او يبخلوني ولست بباخل وقال ابو سعيد
الخدري دخل رجلان على رسول الله صلعم فسالاه ثمن بعير فاعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما
عمر بن الخطاب فاثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر على رسول الله صلعم فاخبره بما قالا
فقال له رسول الله صلعم فلانا اعطيته ما بين عشرة الى مائة ولم يقل ذلك ان احدكم ليسالني فينطلق في
مسالته يتابطها وهي نار فقال عمر فلم تعطيهم ما هو نار قال يابون الا ان يسالوني ويابى الله لي
البخل. وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم الجود من جود الله تع جودوا يجود الله عليكم الا ان الله
خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل راسه راسخا في اصل شجرة طوبى وشد اغصانها باغصان
سدرة المنتهى ودلى بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله الجنة الا ان السخا من
الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل راسه راسخا في اصل شجرة الزقوم ودلى
بعض اغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغصن منها ادخله النار الا ان البخل من الكفر والكفر في النار وقال
صلى الله عليه وسلم السخا شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة الا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا
يلج النار الا بخيل وقال ابو هريرة قال رسول الله صلعم من سيدكم يا بني لحيان قالوا سيدنا
جد بن قيس الا انه رجل فيه بخل فقال صلى الله عليه وسلم واي داء ادوى من البخل ولكن سيدكم عمرو بن
الجموح وفي رواية انهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك
لنزنه بالبخل فقال صلى الله عليه وسلم واي داء ادوى من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله
قال سيدكم بشر بن البراء وقال علي قال رسول الله صلعم ان الله يبغض البخيل في حيوته السخي عند موته
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي الجهول احب الى الله من العابد البخيل وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد وقال ايضا خصلتان لا تجتمعان في مومن البخل
وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمومن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال صلعم يقول قائلكم
الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم اظلم عند الله من الشح حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة

شحيح

شحيح ولا بخيل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار
الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لي فقال رسول الله صلعم وما ذنبك صفه لي قال
هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون قال بل ذنبي يا رسول الله قال
فذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبي اعظم قال فذنبك
اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من
المال وان السائل ليأتيني ليسالني فكانما يستقبلني بشعلة من نار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك
عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهدى والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الف
الف عام حتى تجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك الله في النار
ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار ويحك اما علمت ان الله يقول ومن يبخل فانما
يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الآثار قال ابن عباس لما خلق الله تع
جنة عدن فقال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين
الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان انهار الخمر والعسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك
وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال لها تكلمي فقالت
طوبى لمن دخلني فقال الله تع وعزتي لا اسكنك بخيلا وقالت اخت عمر بن عبد العزيز اف
للبخيل لو كان البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله انا لنجد
باموالنا ما يجد البخلاء ولكنا نتصبر وقال محمد بن المنكدر اذا اراد الله بقوم شرا امّر عليهم
شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلائهم وقال علي رضي الله عنه في خطبته انه سياتي على الناس زمان
عضوض يعض المومن على ما في يديه ولم يومر بذلك قال الله تبارك وتعالى ولا تنسوا الفضل بينكم
وقال عبد الله بن عمرو الشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يدي غيره حتى ياخذه
ويشح بما في يديه فيحبسه والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه وقال الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا
في جهنم البخل او الكذب وقيل ورد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي
تكلم فقال خير الناس من الفي سخيا وعند الغضب وقورا وفي القول متانيا وفي الرفعة متواضعا
وعلى كل ذي رحم مشفقا وقام الرومي فقال من كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح
واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال
الضحاك في قوله تع انا جعلنا في اعناقهم اغلالا قال البخلاء امسك الله تع ايديهم عن النفقة في سبيل
الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح الا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم اجعل
لممسك تلفا ولمنفق خلفا وقال الاصمعي سمعت اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر
فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكانما يرى بالسائل اذا اتاه ملك الموت اذا اتاه وقال
ابو حنيفة لا ارى ان اعدل بخيلا لان يحمله البخل على الاستقصاء فياخذ فوق حقه خيفة من
ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مامون الامانة وقال علي والله ما استقصى كريم قط قال
الله تع عرف بعضه واعرض عن بعض وقال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلاث ذم البخلاء و

وانهار

اكل القديد وحك الجرب وقال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وسلم انك لبخيل
ومدحت امراة عند النبي صلعم فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذا وقال
بشر النظر الى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المومنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب
للاسخياء الا حب ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا بغض ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس
بماله اجودهم بعرضه ولقي يحيى بن زكريا عليهما السلام ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحب
الناس اليك وابغض الناس اليك قال احب الناس الي المومن البخيل وابغض الناس الي الفاسق
السخي قال لم قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اتخوف ان يطلع الله عليه في سخائه
فيقبله ثم ولى وهو يقول لولا انك يحيى لما اخبرتك

حكايات البخلاء

قيل كان بالبصرة
رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض فاكل منها فاكثر وجعل يشرب
الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما اجهده الامر وصف حاله للطبيب
فقال لا باس عليك تقيأ ما اكلت فقال هاه اتقيأ طباهجة ببيض اموت والله ولا اتقيأ طباهجة
ببيض وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له
الرجل هل تحسن من القران شيا قال نعم وقرا والزيتون وطور سينين فقال اين والتين فقال هو
تحت كسائك ودعا بعضهم اخا له ولم يطعمه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب
البيت العود وقال له بحياتي اي صوت تشتهي ان اسمعك قال صوت المقلى وحكي ان محمد
بن يحيى بن برمك كان بخيلا قبيح البخل فسيل نسيب له كان يعرفه عنه وقيل له صف مائدته فقال
هي فتر في فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قال فمن يحضرها قال الكرام الكاتبون قال فما ياكل معه
احد قال بلى الذبان فقال سواة له انت خاص به وثوبك مخرق فقال انا والله ما اقدر على ابرة اخيطه
بها قال فهلا استعرتها منه قال ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوا ابرا ثم جاءه جبريل
وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يضمنون عنه ابرة ويسالونه اعرناها اياها لنخيط بها قميص يوسف
الذي قد من دبر ما فعل وكان مروان بن ابي حفصة لا ياكل اللحم بخلا حتى يقرم اليه فاذا قرم ارسل
غلامه فاشترى له راسا فاكله فقيل له نراك لا تاكل الا الراس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك
فقال نعم الراس اعرف سعره فامن خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه
الغلام فيقدر ان ياكل منه واما الراس فان مس عينا او اذنا او خدا وقفت على ذلك منه واكل منه
الوانا اكل عينيه لونا واذنيه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا واكفى مونة طبخه فقد اجتمعت
لي فيه مرافق وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امراة من اهله ما لي عليك ان رجعت
بالجائزة قال ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما فاعطي ستين الفا فاعطاها اربعة دوانيق و
اشترى لحما بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف وقد
كان للاعمش جار كان لا يزال يعرض عليه المنزل فيقول لو دخلت فاكلت كسرة وملحا فيابى عليه الاعمش
فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال مر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا اذ سال سائل
فقال له رب الدار بورك فيك فاعاد عليه المسالة فقال له بورك فيك فلما سال الثالثة قال له اذهب

لهم

والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله ما رايت
احدا اصدق مواعيد منه ومنذ مدة يعدني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما

بيان الايثار وفضله

اعلم ان السخاء والبخل كل واحد منهما ينقسم الى درجات فارفع درجات
السخاء الايثار وهو ان تجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه
لمحتاج او لغير محتاج والبذل مع الحاجة اشد وكما ان السخاوة قد تنتهي الى ان يسخو على غيره مع الحاجة
فالبخل قد ينتهي الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي
الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجده مجانا لاكله فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذلك موثر
على نفسه غيره مع انه محتاج اليه فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء
وليس بعد الايثار درجة في السخاء وقد اثنى الله تعالى على الصحابة فقال ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
وقال صلعم ايما امرء اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر له وقالت عايشة رضي الله عنها
ما شبع رسول الله صلعم ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شينا لشبعنا ولكنا كنا نوثر على انفسنا
ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عند اهله شيئا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب بالضيف
الى اهله فوضع بين يديه الطعام وامر امراته باطفاء السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل و
لا ياكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله صلعم لقد عجب الله عز وجل من صنيعكم الى ضيفكم
ونزلت ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخاء خلق من اخلاق الله تع والايثار اعلى درجات
السخاء وكان ذلك من داب رسول الله صلعم حتى سماه الله تع عظيما فقال انك لعلى خلق عظيم قال سهل بن عبد الله
قال موسى عليه السلام يا رب ارني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وامته قال يا موسى انك لن تطيق
ذلك ولكن اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي قال فكشف له عن
ملكوت السماء فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله عز وجل قال يا رب بما ذا
بلغت به الى هذه الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار يا موسى لا ياتيني احد منهم قد
عمل به وقتا من عمره الا استحييت من محاسبته وبواته من جنتي حيث يشاء وقيل خرج عبد الله
بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها اذ اتى الغلام بقوته ودخل الحائط كلب
ودنا من الغلام فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم رمى اليه الثاني والثالث فاكله وعبد الله ينظر اليه
فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم اثرت هذا الكلب قال ما هي بارض كلاب انه جاء
من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا قال عبد الله
بن جعفر الام على السخاء ان هذا الاسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الالات فاعتق
الغلام ووهبه له وقال عمر اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله صلعم راس شاة فقال ان اخي كان احوج
مني اليه فبعث به اليه فلم يزل يبعث به الواحد الى الاخر حتى تداولته سبعة ابيات حتى رجع الى الاول
وبات علي بن ابي طالب رضي الله عنه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله تع الى جبريل و
ميكائيل عليهما السلم اني اخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من عمر الاخر فايكما يوثر صاحبه
بالحيوة فاختار كلاهما الحيوة فاوحى الله عز وجل اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب اخيت بينه وبين

محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحيوة اهبطا الى الارض فاحفظاه
من عدوه فكان جبرئيل عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل عليه السلم ينادي بخ بخ من
مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة فانزل الله عز وجل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء
مرضاة الله والله رءوف بالعباد • وعن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع نيف وثلثون نفسا وكانوا في
قرية بقرب الري ولهم ارغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفاوا السراج و
جلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم ياكل واحد منهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه و
روي ان شعبة جاءه سائل ولم يكن عنده شيء فنزع خشبة من سقف بيته واعطاه ثم اعتذر
اليه وقال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وانا
اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار الي نعم فاذا رجل
يقول آه فاشار ابن عمي ان انطلق به اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع به
آخر فقال آه فاشار هشام ان انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا
هشام قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات • وقال عباس بن دهقان ما خرج
احد من الدنيا كما دخلها الا بشر بن الحارث فانه اتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه
فاعطاه اياه واستعار ثوبا فمات فيه • وعن بعض الصوفية قال كنا بطرطوس فاجتمعنا جماعة
وخرجنا الى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا باب الجهاد اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى
موضع عال وقعدنا فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم جاء بعد ساعة ومعه مقدار
عشرين كلبا فجاء الى تلك الميتة وقعد ناحية ووقع الكلاب في الميتة فما زالت تاكلها وذلك الكلب
قاعد ينظر اليها حتى اكلت الميتة وبقي ذلك العظم ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجاء الى
تلك العظام فاكل ما بقي على العظام قليلا ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من الايثار واحوال الاولياء في كتاب
الفقر والزهد فلا نعيده

بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما

لعلك تقول عرف بشواهد
الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الانسان بخيلا وما من انسان الا وهو
يرى نفسه سخيا وربما يرى غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم هذا بخل
ويقول آخرون ليس هذا من البخل وما من انسان الا ويجد في نفسه حبا للمال ولاجله يحفظ المال ويمسكه
فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذن لا ينفك احد عن البخل واذا كان الامساك مطلقا لا يوجب
البخل ولا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذي يوجب الهلاك وما حد السخاء الذي يستحق العبد
به صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قائلون حد البخل منع الواجب فكل من ادى ما يجب
عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم الى القصاب والخبز الى الخباز لنقصان حبة
او نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم
يضايقهم في لقمة ازدادوا عليها او تمرة اكلوها من ماله عد بخيلا وقد قال قائلون البخيل هو الذي يستصعب
العطية وهو ايضا قاصر فانه ان اريد به انه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية
القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقه وان اريد به انه يستصعب بعض العطايا فما من

جواد الا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله او المال العظيم وهذا لا يوجب
الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا من واسعاف على غير روية وقيل الجود
عطاء من غير مسئلة على روية التقليل وقيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما
امكن وقيل الجود عطاء على روية ان المال لله تعالى والعبد لله تعالى فيعطي عبد الله مال الله على غير
روية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه
شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا
فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والجود بل نقول المال خلق
لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه ويمكن
بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ
ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير
وبينهما وسط هو المحمود وينبغي ان يكون السخاء والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله صلعم الا بالسخاء وقد
قيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال والذين اذا انفقوا لم
يسرفوا ولم يقتروا فالجود وسط بين الاقتار والاسراف وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله
وامساكه بقدر الواجب ولا ينبغي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه فان
بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخي بل ينبغي ان لا
يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه فان قلت فقد
صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فاقول الواجب قسمان واجب بالشرع
وواجب بالمروة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع لا واجب الشرع ولا واجب المروة فان منع واحدا
منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع ابخل كالذي يمنع اداء الزكوة ويمنع عياله واهله النفقة او
يؤديها ولكن يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف او الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب
له ان يعطي من اطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل • واما واجب المروة فهو ترك المضايقة
والاستقصاء في المحقرات فان ذلك يستقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح
من الرجل من المضايقة مع اهله واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الاجانب ويستقبح مع
الجار ما لا يستقبح مع البعيد ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح اقل منه في المبايعة
والمعاملة فيختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة او معاملة وبما به المضايقة من طعام او ثوب
اذ يستقبح في الاطعمة ما لا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلا او شراء الاضحية او شراء
خبز الصدقة ما لا يستقبح في غيره من المضايقة وكذلك بمن معه المضايقة من صديق واخ
وقريب وزوجة وولد واجنبي وبمن منه المضايقة من صبي وامراة وشيخ وشاب وعالم و
جاهل وموسر وفقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي ان لا يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروة
وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم
من حفظ المال فان صيانة الدين هو اهم من حفظ المال فمانع الزكوة والنفقة بخيل وصيانة المروة اهم

من حفظ المال فالمضايق في الدقائق مع من لا يحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل ثم تبقى درجة اخرى وهو ان يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروءة ولكن معه مال كثير قد جمعه وليس يصرفه الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الآخرة فامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس ببخل عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوائب الزمان مهما وربما يظهر عند العوام ايضا سمة البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد اديت الزكوة الواجبة وليس علي غيرها ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاحه ودينه واستحقاقه فمن ادى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة فقد تبرأ من البخل نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا يتوجه اليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما يتسع له نفسه من قليل وكثير ودرجات ذلك لا تنحصر وبعض الناس اجود من بعض واصطناع المعروف وراء ما يوجبه العادة والمروءة هو الجود ولكن بشرط ان يكون عن طيبة نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة او مكافاة او شكر او ثناء فان من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد يشتري المدح بماله والمدح لذيذ هو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشيء من غير عوض هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى واما الادمي فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشيء الا لغرض ولكنه اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الآخرة او اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا او من ملامة الخلق او ما يتوقعه من نفع ينال من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي اعراض معجلة له عليها فهو معتاض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات انها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اسأله عن مسألة فقالوا لها سلي عما شئت فاشاروا الى حبان بن هلال فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل والايثار قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قالوا ان نعبد الله سخية بها انفسنا غير مكرهة قالت فتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله وعدنا بالحسنة عشر امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرا فاي شيء سخيتم فقالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء الا تستحيون من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيئا بشيء ان هذا في الدنيا لقبيح وقالت بعض المتعبدات ان تحسب ان السخاء في الدراهم والدنانير فقط فقيل فيم فقالت السخاء عندي في المهج وقال المحاسبي السخاء في الدين ان تسخو نفسك بتلفها لله عز وجل ويسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك لله عز وجل بسماحة من غير اكراه لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله حتى

يكون مولاك هو الذي يفعل بك ما لا تحسن عبادة لنفسك

بيان علاج البخل

اعلم ان البخل سببه حب المال ولحب المال سببان احدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله اذ القدر الذي يحتاج اليه في يوم او في شهر او في سنة قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له اولاد قام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لاجلهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة مجهلة فاذا انضاف الى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة السبب الثاني ان يحب عين المال فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره اذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ ولا ولد له ومعه اموال كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكوة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه يموت فتضيع او يأخذها اعداؤه ومع هذا فلا تسمح نفسه بان يأكل منها او يتصدق وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصا فاحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول مبلغ الى الحاجات فصارت محبوبة لذلك لان الموصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد تنسى الحاجات ويصير الذهب كانه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال بل من رأى بينه وبين الحجر فرقا فهو جاهل الا من حيث قضاء حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة فهذه اسباب حب المال وانما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا وحاله احسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده بخير وينقلب هو الى شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فيكفيه الله وان كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية ويرجع مظلمته اليه ويعالج ايضا قلبه بكثرة التأمل في الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التأمل في احوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحه لهم فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه فيعلم انه مستثقل مستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق فلا يحفظ من المال الا بقدر حاجته والباقي يدخره لنفسه بان يحصل ثواب بذله فهذه ادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل خير له من الامساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل ان كان عاقلا فاذا تحركت الداعية فينبغي ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف فان الشيطان يعده الفقر ويصده عنه كان ابو الحسن البوشنجي في الخلاء فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال لم آمن على نفسي ان تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا وصبر

عليه متى تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي ان يفارق المال تكلفا بان يبذله بل لو رماه في الماء كان اولى به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطائف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون قد ازال عن نفسه خبث البخل واكتسب خبث الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى باللعب ولكن لينقل عن الثدي اليه ثم ينقل عنه الى غيره فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها على بعض كما يسلط الشهوة على الغضب ويكسر سورته بها ويسلط الغضب على الشهوة ويكسر رعونتها به الا ان هذا مفيد في حق من كان البخل اغلب عليه من حب الجاه والرياء فيبدل الاقوى بالاضعف فان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فائدة فيه فانه يقلع علة ويزيد في اخرى مثلها الا ان علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل لاجل الرياء فبذلك يتبين ان الرياء اغلب عليه فان كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض البخل اغلب على قلبه ومثال دفع بعض هذه الصفات ببعض ما يقال من ان الميت يستحيل جميع اجزائه دودا ثم ياكل بعض الديدان البعض حتى يقل عددها ويكبرون ثم ياكل بعضهم بعضا حتى يرجع الى اثنين قويين عظيمين ثم لا يزالان يتقاتلان الى ان يغلب احدهما الآخر فياكله ويسمن به ثم لا يزال يبقى وحده جائعا الى ان يموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها فيجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان لا يبقى الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت من الصفات ان لا يعمل بمقتضاها فانها تقتضي لا محالة اعمالا فاذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصار صفة البذل طبعا وسقط التعب فيه فاذن علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع الى البذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة بآفته فاذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وامكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزواياهم فكان اذا توهم في مريد فرحه بزاويته وما فيه نقله الى زاوية غيره ونقل زاوية غيره اليه واخرجه عن جميع ما ملكه واذا رآه يلتفت الى ثوب جديد يلبسه او سجادة يفرح بها يامره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل انس بالدنيا واحبها فان كان له الف متاع كان له الف محبوب ولذلك اذا سرق كل واحد منه ألمت به مصيبته بقدر حبه له فاذا مات نزلت به الف مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك فرحا شديدا فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة او فقرا قال كيف قال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليها ولم تجد مثلها وقد كنت قبل ان يحمل اليك في امن من المصيبة والفقر ثم اتفق ان انكسر

يوما وعظمت مصيبته به وقال صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شان جميع اسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لاعداء الله اذ تسوقهم الى النار وعدوة لاولياء الله اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لله اذ يقطع طريقه على عباده وعدوة لنفسها فانها تاكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزائن والحراس والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها الا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير فالمال ياكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف آفة المال لم يانس به ولم ياخذ منه الا قدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان ما امسكه لحاجته فليس يبخل وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالماء على شاطئ دجلة اذ لا يبخل به احد لقناعة الناس منه بقدر الحاجة

بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله

اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية ياخذها الراقي ويستخرج منه الترياق وياخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو احد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس وظائف الاولى ان يعرف مقصود المال وانه لماذا خلق وانه لم يحتاج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه الثانية يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام كمال السلاطين ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال الذي فيه الذلة وهتك المروة وما يجري مجراه الثالثة المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلاث درجات ادنى واوسط واعلى وما دام مائلا الى جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة كان محقا ويجيء في جملة المحقين وان جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد الرابعة ان يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء الخامسة ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فياخذ ما ياخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله فهو زاهد ولو انه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة او على ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صارا عبادة في حقك وكذلك ينبغي ان يكون نيتك في كل ما يحفظه من قميص وازار وفراش وآنية لان كل ذلك مما قد يحتاج اليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي ان تقصد به ان ينتفع به عبد من عباد الله فلا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي اخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا تضره كثرة المال ولكن لا يتاتى ذلك الا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم انه يشبه اغنياء الصحابة يشابه الصبي الذي يرى المعزم الحاذق ياخذ الحية ويتصرف فيها ليخرج ترياقها فيقتدي به ويظن انه اخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فاخذها اقتداء به فتقتله في الحال الا ان قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا بالحية وقيل

هي دنيا كحية تنفث السم، وان كانت المجسة لانت، وكما يستحيل ان يتشبه الاعمى بالبصير في تخطي
قلل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة فمحال ان يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال

بيان ذم الغنى ومدح الفقر اعلم ان الناس قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير
الصابر وقد اوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب
ندل على ان الفقر افضل واعلى من الغنى على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاحوال ونقتصر فيه على حكاية
فصل ذكره المحاسبي رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد على بعض العلماء من الاغنياء حيث احتج باغنياء
الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر الامة في علم المعاملة
وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات فكلامه جدير بان
يحكى على وجهه وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء بلغنا ان عيسى عليه السلام قال يا علماء
السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء
ما تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق
اقول لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم و
يبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها
رغبته بحق اقول ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق
اقول افسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الآخرة فاي الناس اخس منكم لو تعلمون ويلكم
حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها
لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك
لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد
اتقياء ولا كاحرار كرام يوشك ان يقلعكم عن اصولكم فيلقيكم على وجوهكم ثم يكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطايا ليكم
بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم
بسوء اعمالكم ثم قال الحارث اخواني فهؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس
رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين
وفي الآخرة هم الخاسرون او يعفو الكريم بفضله وبعد فاني رايت الهالك المؤثر للدنيا سروره
ممزوج بالتنغيص فينفجر عنه انواع الهموم وفنون المعاصي والى التلف والبوار مصيره فرح الهالك
برجاه فلم يبق له دنياه ولم يبق له دينه خسر الدنيا والآخرة الا ذلك هو الخسران المبين فيالها من
مصيبة ما افظعها ورزية ما اجلها الا فراقبوا الله اخواني ولا يغرنكم الشيطان واولياؤه من الانس
بالحجج الداحضة عند الله فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج ويزعمون ان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم اموال فيتزين المغرور بذكر الصحابة ليعذره الناس على جمع المال و
لقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك ايها المفتون احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة
من الشيطان ينطق بها على لسانك فتهلك لانك متى زعمت ان اخيار الصحابة ارادوا المال للتكاثر
والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم الى امر عظيم ومتى زعمت ان المال

الحلال افضل من تركه فقد ازريت بمحمد صلى الله عليه وسلم والمرسلين عليهم الصلوة والسلام ونسبتهم
الى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه انت واصحابك من جمع المال ونسبتهم الى الجهل
اذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت ان جمع المال الحلال اعلى من تركه فقد زعمت ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم ينصح الامة اذ نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير للامة فقد غشهم
بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان للامة
ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رؤوفا ثم ومتى زعمت ان جمع المال افضل فقد زعمت ان الله
عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير لهم او زعمت ان الله لم
يعلم ان الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وانت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في
الاستكثار كانك اعلم بموضع الفضل والخير من ربك تعالى الله عن جهلك ايها المفتون تدبر بعقلك ما دهاك
به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة ويحك وما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن
عوف فقال ود ابن عوف في القيمة انه لم يوت من الدنيا الا قوتا ولقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن
بن عوف رحمه الله قال ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك فقال
كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وانفق طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك
اباذر فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحي عظم بعير فاخذه ثم انطلق يطلب كعبا فقيل لكعب ان
اباذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمان رضي الله عنه يستغيث به واخبره الخبر فاقبل ابوذر يقص
الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هاربا من ابي ذر فقال ابوذر
هيه يا ابن اليهودية تزعم لا باس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
نحو احد وانا معه فقال يا اباذر فقلت لبيك يا رسول الله فقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيمة
الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا اباذر قلت نعم يا رسول الله
بابي انت وامي قال ما يسرني ان لي مثل احد انفقه في سبيل الله اموت يوم اموت واترك منه
قيراطين ثم قال يا اباذر انت تريد الاكثر وانا اريد الاقل فرسول الله يقول هذا وانت تقول
يا ابن اليهودية لا باس بما ترك عبد الرحمن كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه حرفا حتى خرج وبلغنا ان
عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة فقالت عائشة رضي الله عنها
ما هذا فقيل عير قدمت لعبد الرحمن قالت صدق الله ورسوله فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف
فسالها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني رايت الجنة فرايت فقراء المهاجرين
يدخلون سعيا ولم ار احدا من الاغنياء يدخلها معهم الا عبد الرحمن بن عوف رايته يدخلها معهم
الا حبوا فقال عبد الرحمن ان العير وما عليها في سبيل الله وان ارقاءها احرار لعلي ادخلها
معهم سعيا وبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن اما انك اول من يدخل
الجنة من اغنياء امتي وما كدت ان تدخلها الا حبوا ويحك ايها المفتون فما احتجاجك
بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائعه المعروف وبذله الاموال في سبيل الله مع صحبته
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشراه بالجنة يوقف في عرصة القيمة واهوالها بسبب مال كسبه

من حلال للتعفف ولصنائع المعروف وانفق منه قصدًا واعطى في سبيل الله سخاءً منع من المشي الى
الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبوًا فما ظنكم بأمثالنا الغرقى في فتن الدنيا
وبعد فالعجب كل العجب لكل مفتون تمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتكالب على اوساخ الناس
وهو يتقلب في الشهوات والزينة والمباهاة ويتقلب في فتن الدنيا ثم يحتج بعبد الرحمن بن عوف وزعم
انك ان جمعت المال فقد جمعه الصحابة كانك اشبهت السلف وفعلهم ويحك ان هذا من قياس ابليس
ومن فتياه لاوليائه وساصف لك احوالك واحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة
ولعمري لقد كان لبعض الصحابة اموال ارادوها للتعفف والبذل في سبيل الله وكسبوا حلالًا واكلوا
طيبًا وانفقوا قصدًا ولم يمنعوا منها حقًا ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله باكثرها وجاد بعضهم
بجميعها وفي الشدة آثروا الله على انفسهم كثيرًا فبالله اكذلك انت والله انك لبعيد الشبه بالقوم و
بعد فان اخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين وفي خوف الفقر آمنين وبالله في ارزاقهم واثقين
وبمقادير الله مسرورين وفي البلاء راضين وفي الرخاء شاكرين وفي الضراء صابرين وفي السراء حامدين
وكانوا لله متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا الا القدر المباح لهم ورضوا
بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعمتها وزهراتها
فبالله اكذلك انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته
من الله واذا راوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كان اذا اصبح
وعند عياله شيء اصبح كئيبا حزينا واذا لم يكن عندهم شيء اصبح فرحا مسرورا فقيل له ان الناس
اذا لم يكن عندهم شيء حزنوا واذا كان عندهم شيء فرحوا وانت لست كذلك قال اني اذا اصبحت
وليس عند عيالي شيء فرحت اذ كان لي بمحمد صلى الله عليه وسلم اسوة وبلغنا انهم كانوا اذا سلك بهم
سبيل الرخاء حزنوا واشفقوا وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكانهم على جناح خوف واذا سلك بهم
سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا الآن تعاهدنا ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم و
فيهم من الفضل اكثر مما وصفنا فبالله اكذلك انت انك لبعيد الشبه بالقوم وساصف احوالك
ايها المفتون ضدا لاحوالهم وذلك انك تطغى عند الغنى وتبطر في الرخاء وتمرح عند السراء وتغفل
عن شكر ذي النعماء وتقنط عند الضراء وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر و
تانف من المسكنة وذلك فخر المسلمين وانت تانف من فخرهم وتدخر المال وتجمعه خوفا من
الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه وكفى به اثما وعساك تجمع المال لنعيم
الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها وبلغنا ان رسول الله صلعم قال شرار امتي الذين غذوا بالنعيم
ونبتت عليه اجسامهم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ليجيئن يوم القيمة قوم يطلبون حسنات لهم
فيقال لهم اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا واستمتعتم وانت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب
نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا وقد
بلغنا ان من طلب الدنيا ليكاثر وليفاخر لقي الله وهو عليه غضبان وانت غير مكترث لما حل بك
من غضب الله حين اردت التكاثر والعلو نعم وعساك المكث في الدنيا احب اليك من النقلة

الى

جوار الله وانت تكره لقاء الله تع والله للقائك اكره وانت في غفلة وعساك تاسف على ما فاتك
من عرض الدنيا وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اسف على دنيا فاتته اقترب
من النار مسيرة سنة وانت تاسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله تع ولعلك
تخرج من دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح باقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا وقد بلغنا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه وبلغنا ان
بعض اهل العلم قال انك محاسب على الحزن على ما فاتك من الدنيا ومحاسب بفرحك في الدنيا اذا قدرت
عليها وانت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تع وعساك تعنى بامور دنياك اضعاف ما تعنى
بامور آخرتك وعساك مصيبتك في معاصيك اهون من مصيبتك في انتقاص دنياك نعم وخوفك
من ذهاب مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الاوساخ كلها للعلو
والرفعة في الدنيا وعساك ترضي المخلوقين بمساخط الله تع كيما تكرم وتعظم فكان احتقار الله تع لك
في القيمة اهون عليك من احتقار الناس عساك تخفي من المخلوقين مساويك ولا تكترث باطلاع الله
تع عليك فيها وكان الفضيحة عند الله اهون عليك من الفضيحة في الناس وكان العبيد اعلى عندك
قدرا من الله تعالى عن جهلك فكيف تنطق عند ذوي الالباب وهذه المثالب فيك اف لك متلوث في
الاقذار تحتج بمال الابرار هيهات ما ابعدك عن السلف والله لقد بلغني انهم كانوا فيما احل لهم
ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذي لا باس به عندكم كان كالموبقات عندهم وكان للزلة الصغيرة اشد
استعظاما منكم لكباير المعاصي فليت اطيب مالك واحله مثل شبهات اموالهم وليتك اشفقت
من سيئاتك كما اشفقوا على حسناتهم ان لا تقبل ليت صومك مثل افطارهم وليت اجتهادك في
العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم وقد بلغني عن بعض
من الصحابة انه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوي عنهم منها فمن لم يكن كذلك فليس معهم
في الدنيا ولا معهم في الآخرة فسبحان الله كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو
عند الله وفريق امثالكم في السفالة او يعفو الله الكريم بفضله وبعد فان زعمت انك متاس بالصحابة
بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر امرك ويحك هل تجد الحلال في دهرك كما وجدوا
في دهرهم او تحسب انك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني ان بعض الصحابة قال كنا ندع
سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام افتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط لا و
رب الكعبة ما احسبك كذلك ويحك كن على يقين ان جمع المال لاعمال البر مكر من الشيطان ليوقع
بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام ولقد بلغنا ان رسول الله صلعم قال من
اجترا على الشبهات اوشك ان يقع في الحرام ايها المغرور اما علمت ان خوفك من اقتحام الشبهات اعلى
وافضل واعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر وبلغنا ذلك
عن بعض اهل العلم قال لان تدع درهما واحدا مخافة ان لا يكون حلالا خير لك من ان تتصدق بالف دينار
من شبهة لا تدري ايحل لك ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من ان تتلبس بالشبهات وانما تجمع
المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ان كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب

فان خيار الصحابة خافوا المسايلة بلغنا ان بعض الصحابة قال ما سرني ان اكسب كل يوم الف
دينار من حلال وانفقها في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلوة الجماعة قالوا ولم ذلك رحمك
الله قال لاني غني عن مقام يوم القيمة فيقول عبدي من اين كسبت وفي اي شي انفقت فهولاء المتقون
كانوا في جدة الاسلام والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة ان لا يقوم خير المال
بشره وانت في نفاية الامة والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من
الحلال ويحك فاين الحلال فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك اما تخاف ان يتغير عند
الغنا قلبك وقد بلغنا ان الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة ان يفسد قلبه فتطمع ان يكون
قلبك اتقى من قلوب الصحابة فلا تزول عن شي من الحق في امرك واحوالك لين ظننت ذلك لقد احسنت
الظن بنفسك الامارة بالسوء ويحك اني لك ناصح ارى لك ان تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال
البر ولا تعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نوقش في الحساب عذب
وقال صلى الله عليه وسلم يوتى بالرجل يوم القيمة وقد جمع مالا من حرام وانفقه في حرام فيقال اذهبوا
به في النار ويوتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به في النار ويوتى برجل
قد جمع مالا من حرام وانفقه في حلال فيقال اذهبوا به في النار ويوتى برجل جمع مالا من حلال و
انفقه في حلال فيقال له قف لعلك اضررت في طلب هذا بشي مما فرضت عليك من صلوة لم
تصلها لوقتها وفرطت في شي من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت
في حلال ولم اضيع شيا مما فرضت فيقال لعلك اختلت في هذا المال في شي من مركب او ثوب باهيت
به فيقول لا يا رب لم اختل ولم اباه في شي فيقال لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي
القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم
اضيع شيا مما فرضت علي ولم اختل ولم اباه ولم اضيع حق احد امرتني ان اعطيه قال فيجي اولئك فيخاصمونه
فيقولون يا رب اعطيته واغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان نعطينا فان كان اعطاهم و
ما ضيع مع ذلك شيا من الفرايض ولم يختل في شي فيقال قف الان هات شكر نعمة انعمتها عليك في
اكلة او شربة او لقمة او لذة فلا يزال يسال فمن الذي يتعرض لهذه المسايلة التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب
في الحلال وقام بالحقوق كلها وادى الفرايض بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف تراه يكون
حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه
المسايلة يخاف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا فرضوا ما الكفاف منها وعملوا بانواع البر من كسب
المال فلك ويحك بهولاء الاخيار اسوة فان ابيت ذلك وزعمت انك بالغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال
الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيا من الحلال الا بحق ولم يتغير بسبب
المال قلبك عما يحب الله ولم تسخط الله في شي من سرايرك وعلانيتك ويحك فان كنت كذلك ولست
كذلك فقد ينبغي لك ان ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الاموال اذا وقفوا للسوال وتستبق مع
الرعيل الاول في زمرة المصطفى لا يحبسك للمسايلة والحساب فاما سلامة واما عطب فانه
بلغنا ان رسول الله صلعم قال يدخل صعاليك المهاجرين قبل اغنيائهم الجنة بخمس مائة عام وقال صلى

عليه وسلم يدخل فقراء المومنين الجنة قبل اغنيائهم فيتنعمون وياكلون والاخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم
طلبتي انتم حكام الناس وملوكهم فاروني ماذا صنعتم فيما اعطيتكم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال
ما سرني ان لي حمر النعم ولا اكون في الرعيل الاول مع محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه يا قوم فاستبقوا
السباق مع المخفين في زمرة المرسلين وكانوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلعم كما وجل
المتقون لقد بلغني ان بعض الصحابة عطش فاستسقى فاتي بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته
العبرة ثم بكى وابكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء فلما اكثر البكاء قيل له اكل هذا
من اجل هذه الشربة قال نعم بينا انا يوما عند رسول الله صلعم وما معه في البيت احد غيري فجعل يدفع عن نفسه
ويقول اليك عني فقلت له فداك ابي وامي ما ارى بين يديك احدا فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت
الي بعنقها وراسها فقالت لي يا محمد خذني فقلت اليك عني فقالت ان تنج مني يا محمد فانه لا ينجو مني
من بعدك فاخاف ان تكون هذه تقطعني عن رسول الله صلعم يا قوم فهولاء الاخيار بكوا وجلا ان تقطعهم عن
رسول الله صلعم شربة من حلال ويحك انت في انواع النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا
تخشى الانقطاع اف لك ما اعظم جهلك ويحك فان تخلفت في القيمة عن رسول الله محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم
لتنظرن الى اهوال جزعت منها الملايكة والانبياء ولين قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق ولين
اردت الكثير لتصيرن الى حساب عسير ولين لم تقنع بالقليل لتصيرن الى وقوف طويل وصراخ
وعويل ولين رضيت باحوال المتخلفين لتنقطعن عن اصحاب اليمين وعن رسول الله صلعم ولتبطين عن نعيم
المتنعمين ولين خالفت احوال المتقين لتكونن من المحتبسين في اهوال يوم الدين تدبر ويحك ما سمعت
وبعد فان زعمت انك في مثال خيار السلف قنع بالقليل زاهد في الحلال بذول لمالك موثر على
نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيا لغدك مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر والبلاء فرح بالقلة والمسكنة
مسرور بالذل والضعة كاره للعلو والرفعة قوي في امرك لا يتغير عن الرشد قلبك فقد حاسبت نفسك
في الله واحكمت امورك على ما وافق رضوان الله وان توقف في المسايلة ولا يحاسب مثل المتقين وانما
تجمع المال الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ايها المغرور فتدبر الامر واحسن النظر اما علمت ان ترك الاشتغال
بالمال وفراغ القلب بالذكر والتذكر والتذكار والفكر والاعتبار اسلم للدين وايسر للحساب واخف للمسايلة
وامن من روعات القيمة واجزل واعلى لقدرك عند الله اضعافا بلغنا عن بعض الصحابة انه قال
لو ان رجلا في حجره دنانير يعطيها والاخر يذكر الله لكان الذاكر افضل وسيل بعض اهل العلم عن الرجل يجمع
المال لاعمال البر فقال تركه ابر به وبلغنا ان بعض خيار التابعين سيل عن رجلين احدهما طلب الدنيا
حلالا فاصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه واما الاخر فانه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فايهما افضل
فقال بعيد والله ما بينهما الذي جانبها افضل كما بين مشارق الارض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك في ترك الدنيا
على من قبلها ولك في العاجل ان تركت الاشتغال بالمال ان ذلك اروح لبدنك واقل لتعبك وانعم لعيشك
وارخى لبالك واقل لهمومك فما عذرك في جمع المال وانت بترك المال افضل ممن طلب المال لاعمال
البر نعم وشغلك بذكر الله افضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في
الاجل وبعد فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب في مكارم الاخلاق ان تتاسى بنبيك اذ هداك

الله به ورضي بما اختار لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين ان السعادة
والفوز في مجانبة الدنيا فسر مع لواء المصطفى سابقا الى جنة المأوى فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال سادات المؤمنين في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا استقرض لم يجد قرضا وليس له فضل
كسوة الا ما يواريه ولم يقدر على ان يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك ويصبح راضيا عن ربه فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا الا يا اخي فمتى جمعت المال
من بعد هذا البيان فانك مبطل فيما ادعيت انك للبر والفضل تجمعه لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه و
للتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظم والتكبر فيه تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمع
المال ويحك راقب الله واستحي من دعواك ايها المغرور ويحك ان كنت مفتونا بحب الدنيا فكن
مقرا ان الخير والفضل في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول نعم وكن عند جمع المال مزريا على نفسك معترفا
باساءتك وجلا من الحساب فذاك انجى لك واقرب الى الفضل من طلب الحج بجمع المال اخواني اعلموا ان
دهر الصحابة كان الحلال موجودا وكانوا مع ذلك من اورع الناس وازهدهم في المباح لهم ونحن في دهر
الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال ببلغ القوت وستر العورة فاما جمع المال في دهرنا
فاعاذنا الله واياكم من ذلك وبعد فاين لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم
واين لنا بمثل ضمايرهم وحسن نياتهم دهينا ورب السماء بادواء النفوس واهوائها وعن قريب
يكون الورود فيا لسعادة المخفين يوم النشور وخزي طويل لاهل التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم
ان قبلتم والقابلين لهذا قليل وفقنا الله واياكم لكل خير برحمته هذا آخر كلامه وفيه كفاية
في اظهار فضل الفقر ولا مزيد عليه ويشهد لذلك جميع الاخبار التي اوردناها في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب
الفقر والزهد ويشهد له ايضا ما روي عن ابي امامة الباهلي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله
ان يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال يا رسول الله ادع الله ان
يرزقني مالا قال يا ثعلبة اما لك في اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبي الله اما والذي نفسي بيده لو شئت
ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله ان يرزقني مالا
لاعطين كل ذي حق حقه ولافعلن ولافعلن قال رسول الله صلعم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما
فنمت كما تنمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر
في الجماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات في الجماعة الا الجمعة وهي تنمو كما تنمو الدود حتى
حتى ترك الجمعة فطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الاخبار وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة واخبر بامره كله فقال يا ويح ثعلبة
يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان
صلوتك سكن لهم وانزل الله تع آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم
على الصدقة وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وامرهما ان يخرجا فياخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا
بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا

نحو السليمي فسمع بهما فقام الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما راوها قالا لا يجب
عليك هذا وما نريد نأخذ هذا منك فقال بلى خذوها نفسي بها طيبة وانما هي لنا خذوها فلما
فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال اروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه اخت
الجزية انطلقا حتى ارى رايي فانطلقا حتى اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة
قبل ان يكلماه ودعا للسليمي فاخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمي فانزل في ثعلبة ومنهم
من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتيهم من فضله بخلوا به و
تولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ما انزل الله فيه فخرج حتى اتى ثعلبة فقال
لا ام لك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل
صدقته فقال ان الله تع منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثي التراب على راسه فقال
له رسول الله صلعم هذا عملك امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله فلما قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فابى ان يقبلها منه فجاء بها الى
عمر بن الخطاب فابى ان يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان رضي الله عنه فهذا طغيان
المال وشومه وقد عرفته من هذا الحديث ولاجل بركة الفقر وشوم الغنى آثر رسول الله صلعم
الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روي عن عمران بن الحصين انه قال كانت لي من
رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في
عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم بابي انت وامي فقام وقمت معه حتى
وقف بباب فاطمة رضي الله عنها فقرع الباب وقال السلام عليكم ادخل فقالت ادخل يا
ابي انت وامي يا رسول الله قال انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران قالت و
الذي بعثك بالحق ما علي الا عباءة قال اصنعي بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت هذا جسدي
قد واريته فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على راسك ثم اذنت
له فدخل فقال السلام عليكم يا بنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على
ما بي اني لست اقدر على طعام آكله فقد اضر بي الجوع فبكى صلى الله عليه وسلم فقال لا تجزعي يا بنتاه
فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث واني لاكرم على الله منك ولو سألت لاطعمني ولكن آثرت الآخرة
على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة فقالت فاين آسية
امراة فرعون ومريم بنت عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها و
خديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب
ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة فانظر الآن الى
حال فاطمة وهي بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف آثرت الفقر وتركت المال ومن راقب
احوال الانبياء والاولياء واقوالهم وما ورد من اخبارهم وآثارهم لم يشك في ان فقد المال افضل
من وجوده وان صرف الى الخيرات اذ اقل ما فيه مع اداء الحقوق والتوقي من الشبهات والصرف الى

الخرات واشغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله اذ لا ذكر الا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال
وقد روي عن جرير عن الليث قال صحب رجل عيسى بن مريم عليهما السلام فقال اكون معك واصحبك فانطلقا
فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى عليه السلام
الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف قال لا ادري قال فانطلق ومعه
صاحبه فراى ظبية معها خشفان لها فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل هو و
ذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام وذهب فقال للرجل اسالك بالذي اراك هذه الآية من
اخذ الرغيف قال لا ادري قال ثم انتهيا الى وادي ماء فاخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا
قال اسالك بالذي اراك هذه الآية من اخذ الرغيف قال لا ادري قال فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ
عيسى عليه السلام يجمع ترابا او كثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلاثة اثلاث فقال ثلث
لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف قال فانا اخذت الرغيف قال فكله لك قال وفارقه عيسى
عليه السلام فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال فارادا ان ياخذاه منه ويقتلاه فقال هو
بيننا اثلاث قال فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشتري طعاما قال فبعثوا احدهم فقال الذي بعث
لاي شيء اقاسم هذا المال لكني اصنع في هذا الطعام سما فاقتلهما قال ففعل وقالا وليك لاي شيء هؤلاء
نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا
الطعام فماتا فبقي ذلك المال في المفازة واولئك الثلاثة قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك
الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها ۔ وحكي ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس في
ايديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور و
كنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض الله لهم في ذلك معايش من نبات
الارض وارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب الملك ذا القرنين فقال ما لي اليه حاجة فاقبل
اليه ذو القرنين وقال ارسلت اليك لتاتيني فابيت فها انا ذا قد جئت فقال لو كانت لي اليك
حاجة لاتيتك فقال له ذو القرنين ما لي اراكم على الحال التي لم ار احدا من الامم عليها قالوا وما ذاك قال
ليس لكم دنيا ولا شيء افلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا انما كرهناها لان احدا لم
يعط منها شيئا الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال ما لكم قد احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم
تعاهدتموها وكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا
قبورنا من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم البهائم من الانعام
فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها فقالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا في نبات
الارض بلاغا وانما يكفي ابن آدم ادنى العيش من الطعام وان ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعما
كائنا ما كان ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدري
من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما
راى الله عز وجل ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى وقد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في
الآخرة ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا ومن هو قال

من الملك

هذا ملك بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع وخشع
لله عز وجل وامر بالعدل في اهل مملكته فصار كما ترى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم اهوى
الى جمجمة ذي القرنين فقال وهذه الجمجمة كان قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما انت
صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا فيما آتاني الله من هذا المال
قال ما اصلح انا وانت في مكان ولا ان نكون جميعا فقال ذو القرنين ولم قال من اجل ان الناس
كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا اجد احدا
يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا
منه ومتعظا به فهذه الحكايات تدلك على آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل ۔ تم كتاب
ذم حب المال والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله

كتاب ذم الجاه والرياء وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله علام الغيوب ۔ المطلع على سرائر القلوب ۔ المتجاوز عن كبائر الذنوب ۔ العالم بما تجنه
الضمائر من خفايا الغيوب ۔ البصير بسرائر النيات ۔ وخفايا الطويات ۔ الذي لا يقبل من الاعمال الا
ما كمل ووفى ۔ وخلص عن شوائب الشرك والرياء وصفا ۔ فانه المنفرد بالملكوت والملك ۔ فهو اغنى
الاغنياء عن الشرك ۔ والصلوة على محمد وعلى آله واصحابه المبرئين عن الخيانة والافك ۔ وسلم كثيرا ۔
وبعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الرياء والشهوة الخفية
والرياء من الشهوة الخفية التي هي اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء
ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء ۔ فضلا عن عامة العباد والاتقياء ۔ وهو من اواخر
غوائل النفس وبواطن مكايدها وانما تبتلى بها العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل
الآخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها
بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت
الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العلم والعمل فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول
عند الخلق ونظرهم اليه بعين الوقار والتعظيم فنازعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق
ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه الشهوات
وتوقيه للشبهات وتحمله مشاق العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والاطراء
ونظروا اليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع
رايه وفاتحوه بالخدمة والسلام واكرموه في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه
في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في اغراضه متوقرين فاصابت
النفس في ذلك لذة هي اعظم اللذات وشهوة هي اغلب الشهوات فاستحقرت به ترك المعاصي والهفوات
واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات

فهو يظن ان حيوته بالله وبعباداته المرضية وانما حيوتها بهذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها الا
العقول النافذة القوية ويرى انه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله والنفس قد ابطنت هذه
الشهوات تزيينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار واحبطت بذلك ثواب
الطاعات واجور الاعمال وقد اثبت اسمه في جريدة المنافقين وهو يظن انه عند الله من المقربين و
هذه مكيدة للنفس لا يسلم عنها الا الصديقون ومهواة لا يترقى منها الا المقربون ولذلك قيل
آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة واذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو اعظم شبكة
للشياطين وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته واقسامه وطرق معالجته والحذر منه
ويتضح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين **الشطر الاول** في حب الجاه والشهرة وفيه
بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان
السبب في كونه محبوبا حبا اشد من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان
ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهة الذم وبيان العلاج في
حب الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهة الذم وبيان اختلاف احوال الناس في الذم
والمدح فهي اثنا عشر فصلا منها ينشا معاني الرياء فلابد من تقديمه

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت

اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا
من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف لطلب الشهرة منه قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه وقال
جابر بن عبد الله قال رسول الله صلعم بحسب المرء من الشر الا من عصمه الله من السوء ان يشير الناس اليه
بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم والى اعمالكم ولقد ذكر الحسن
للحديث تاويلا لا باس به اذ روى هذا الحديث فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا
اليك بالاصابع فقال انه لم يعن هذا انما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه وقال علي
رضي الله عنه تبذل لا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار و
تغيظ الفجار وقال ابرهيم بن ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب ما صدق
الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة
وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلاثة قام وراى طلحة قوما يمشون معه نحوا من
عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار وقال سليم بن حنظلة بينا نحن حول ابي بن كعب يمشي خلفه
اذ رآه عمر فعلاه بالدرة فقال انظر يا امير المومنين ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع
وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما من منزله فاتبعه اناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني
فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه بابي ما اتبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول
الرجال قلما يلبث معه قلوب الحمقى وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة
والا فما عسى ان يبقى هذا من قلب المومن وروي ان رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال
اوصني قال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى اليك وتسال ولا تسال فافعل

وخرج ايوب في سفر فشيعه ناس كثير فقال لولا اني اعلم ان الله يعلم من قلبي اني لهذا كاره
لخشيت المقت من الله وقال معمر عاتبت ايوب على طول قميصه فقال ان الشهرة فيما مضى كانت
في طوله وهي اليوم في تشميره وقال بعضهم كنت عند ابي قلابة اذ دخل عليه رجل وعليه اكسية
فقال اياكم وهذا الحمار النهاق يشير به الى طلب الشهرة قال الثوري كانوا يكرهون الشهرتين
الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحارث
اوصني فقال اخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال
بشر ما اعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة
الآخرة رجل يحب ان يعرفه الناس

بيان فضيلة الخمول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب
اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك وقال ابن مسعود قال النبي
صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اني اسالك الجنة لاعطاه الجنة
ولم يعطه من الدنيا شيا وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم
على الله لابره واهل النار كل مستكبر جواظ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة
كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يوذن لهم واذا خطبوا النساء
لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيمة على الناس لوسعهم
وقال صلى الله عليه وسلم ان من امتي من لو اتى احدكم يساله دينارا لم يعطه اياه ولو ساله درهما لم يعطه
اياه ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو سال الله تعالى الجنة لاعطاه اياه ولو ساله الدنيا لم يعطها اياه وما
منعها اياه لهوانها عليه ذو طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره وروى ان عمر دخل المسجد فاذا
هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان
حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقال محمد بن سويد قحط اهل المدينة
وكان بها رجل صالح لازم لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فبينا هم في دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان
فصلى ركعتين واوجز فيهما ثم بسط يديه فقال يا رب اقسمت عليك الا امطرت علينا الساعة فلم يرد
يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغيم وامطروا حتى صاح اهل المدينة من مخافة الغرق فقال
يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع الرجل صاحب المطر حتى عرف منزله ثم بكر عليه
فخرج اليه فقال اني اتيتك في حاجة قال ما هي قال تخصني بدعوة فقال سبحان الله انت انت
تسالني ان اخصك بدعوة قال ما الذي بلغك ما رايت قال اطعت الله فيما امرني ونهاني فسالت
الله فاعطاني وقال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل
جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في اهل السموات وتخفون في اهل الارض وقال ابو امامة
قال رسول الله صلعم ان اغبط اوليائي عبد مومن خفيف الحاذ ذو حظ من صلوة احسن عبادة ربه واطاعه
في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع فمن صبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال عبد الله بن عمرو احب عباد الله

الى الله الغرباء قيل ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيمة الى عيسى بن مريم عليه السلم وقال
الفضيل بلغني ان الله تع يقول في بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك الم أسترك الم اخمل ذكرك
وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ارفع خلقك واجعلني في نفسي من اوضع خلقك
واجعلني عند الناس من اوسط خلقك وقال الثوري وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم
غرباء اصحاب قوم وعباء وقال ابرهيم بن ادهم ما قرت عيني يوما في الدنيا قط الا مرة بت ليلة
في بعض مساجد قرى الشام وكان بي داء البطن فجرني المؤذن برجلي حتى اخرجني من المسجد وقال
الفضيل ان قدرت على ان لا تعرف فافعل وما عليك ان لا تعرف وما عليك ان لا يثنى عليك وما عليك
ان تكون مذموما عند الناس اذا كنت محمودا عند الله فهذه الاخبار والآثار تعرفك مذمة
الشهرة وفضيلة الخمول وانما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو المنزلة في القلوب وحب
الجاه هو منشا كل فساد **فان قلت** فاي شهرة تزيد على شهرة الانبياء والخلفاء الراشدين وائمة العلماء
فكيف فاتتهم فضيلة الخمول **فاعلم** ان المذموم طلب الشهرة واما وجودها من قبل الله سبحانه من غير تكلف
من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الاقوياء وهم كالغريق الضعيف اذا كان معه
جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه احد فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوي
فالاولى ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب عليه

بيان ذم الجاه وحب الجاه

قال الله تع تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين
جمع بين ارادة الفساد والعلو وبين ان الدار الآخرة للخالي عن الارادتين جميعا وقال تع من
كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة
الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا ايضا متناول بعمومه لحب الجاه فانه اعظم
لذة من لذات الحيوة الدنيا واكبر زينة من زينتها وقال رسول الله صلعم حب المال والجاه ينبتان
النفاق كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر
فسادا من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم وقال صلعم لعلي رضي الله عنه انما هلاك الناس باتباع
الهوى وحب الثناء

بيان معنى الجاه وحقيقته

اعلم ان الجاه والمال هما ركنا الدنيا ومعنى المال
ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوبة تعظيمها وطاعتها وكما ان الغني هو
الذي يملك الدراهم والدنانير اي يقدر عليها ليتوصل بها الى الاغراض والمقاصد وقضاء الشهوات
وساير حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس اي يقدر على ان يتصرف
فيها ليستعمل بواسطتها اربابها في اغراضه ومآربه كما انه يكتسب الاموال بانواع من الحرف والصناعات
فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات
فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب
درجة ذلك الكمال عنده وليس بشرط ان يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي
اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف انقيادا ضروريا بحسب اعتقاده
فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها

وكما ان محب المال يطلب ملك الارقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب ان يسترق الاحرار ويستعبدهم
ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان المالك يملك العبد قهرا
والعبد متاب بطبعه ولو خلي وراية انسل عن الطاعة وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبغي
ان يكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له فوق ما يطلبه مالك الرق
بكثير فاذن معنى الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس اي اعتقاد القلب لنعت من نعوت الكمال فيه فبقدر
ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلب تكون قدرته على القلوب وبقدر
قدرته يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء
فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه
في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبيد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم
والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد فهذه آثار
تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في
الشخص اما بعلم او عبادة او حسن خلق او نسب او ولاية او جمال في صورة او قوة في بدن او شيء
مما يعتقده الناس كمالا فان هذه الاوصاف كلها تعظم محله في القلوب فيكون سببا لقيام الجاه

بيان سبب كون الجاه محبوبا بالطبع

حتى لا يخلو عنه قلب الا بشدة المجاهدة اعلم ان السبب
الذي يقتضي كون الذهب والفضة وساير انواع الاموال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه
محبوبا بل يقتضي ان يكون احب من المال كما يقتضي ان يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا
في المقدار وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض في اعيانهما اذ لا يصلح لمطعم ومنكح و
ملبس وانما هي والحصباء بمثابة ولكنهما محبوبة لانها وسيلة الى المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات
وكذلك الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل
الانسان بها الى ساير اغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة
على التوصل الى جميع الاغراض والاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على
المال اقتضى ان يكون الجاه احب من المال وملك القلوب ترجح على ملك المال من ثلاثة اوجه
الاول ان التوصل بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم او الزاهد الذي
تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب
ومبذولة لمن اعتقد فيها الكمال واما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا
ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر له فاذن الجاه آلة الى المال
فمن ملك الجاه فقد ملك المال ايضا ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار الجاه احب
الثاني هو ان المال معرض لان يسرق ويغصب ويطمع
فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظة والحراس والخزاين ويتطرق اليه اخطار كثيرة و
اما القلوب اذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزاين عتيدة لا يقدر
عليها السراق ولا يتناولها ايدي الغصاب واثبت المال العقار ولا يؤمن فيه الغصب و

الظلم ولا يستغني عن المراقبة والحفظ واما خزاين القلوب فهي محفوظة بانفسها وذو الجاه في
امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصريب وتقبيح الحال وتغيير
الاعتقاد فيما صدق فيه من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله فعله
الثالث ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب
اذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فيصف
ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب ايضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار
الذكر لان ذلك اذا استطار في الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم
فلا يزال يسري من واحد الى واحد ويتزايد وليس له مرد معين واما المال فمن ملك منه شيئا
فهو مالكه فقط ولا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة فالجاه ابدا في النماء بنفسه ولا
مرد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء
استحقرت الاموال في مقابلتها فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال فاذا فصلت كثرت
وجوه الترجيح **فان قلت** فالاشكال قايم في المال والجاه جميعا فلم ينبغي ان يحب الانسان
المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج الى الملبس
والمسكن والمطعم او كالمبتلى بمرض او بعقوبة اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه الا بمال
او جاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع امر
عجيب وراء هذا وهو حب جمع الاموال وكنز الكنوز وادخار الذخاير واستكثار الخزاين وراء
جميع الحاجات حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا وكذلك يحب الانسان
اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد ويعلم قطعا انه لا يطاها ولا يشاهد اصحابها
ليعظموه وليبروه بمال او ليعينوه على غرض من اغراضه ومع الياس من ذلك فانه يلتذ به
غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع ويكاد يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فايدة
فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة **فنقول** نعم لا ينفك عنه القلوب وله سببان احدهما جلي يدركه بهذا الحب صح
الكافة والآخر خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما وابعدهما عن افهام الاذكياء
فضلا عن الاغبياء وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد
يقف عليها الا الغواصون اما السبب الاول وهو دفع الم الخوف لان الشفيق
بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال
الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره واذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع
الم الخوف الا الامن الحاصل بوجود مال آخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جايحة فهو ابدا لشفقته
على نفسه وحبه للحيوة يقدر طول الحيوة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق
الآفات الى الاموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان
اصيب بطايفة من ماله استغنى بالآخر وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال
فلذلك لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم منهومان

لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذا يطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب
الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اوليك عن
اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا
احالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الامن عن هذا الخوف واما
السبب الثاني وهو الاقوى ان الروح امر رباني به وصفه الله تعالى اذ قال ويسئلونك
عن الروح قل الروح من امر ربي ومعنى كونه ربانيا من اسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في اظهاره
اذ لم يظهره رسول الله صلعم ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل
والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذاء والى صفات شيطانية كالمكر والخدع
والاغواء والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء وذلك لانه مركب من
اصول مختلفة يطول شرح تفصيلها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى
الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من نعوت الالهية
وصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال في التفرد بالوجود اذ في المشاركة في الوجود نقص لا محالة
فكمال الشمس في انها موجودة وحدها فلو كان معها شمس اخرى كان ذلك نقصانا في حقها اذ لم تكن
منفردة بكمال معنى الشمسية والمتفرد بالوجود هو الله اذ ليس معه موجود سواه فان ما سواه
اثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قايم به فلم يكن موجودا معه لان المعية توجب المساواة
في الرتبة نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما ان اشراق نور الشمس في اقطار الآفاق
ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصان الشمس بوجود شمس اخرى تساويها في
الرتبة مع الاستغناء عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون
تابعا ولا يكون معا فاذن معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه
محب لان يكون هو المتفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية ما من انسان الا وفي
باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبودية
قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي اومى اليها قوله تعالى قل الروح
من امر ربي ولكن لما عجزت النفس عن منتهى درجة الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهو محب للكمال
ومشتهي له وملتذ به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته و
مبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات الكمال من ذاته وانما الكمال بعد ان يسلم التفرد
بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك منك فان لم
يكن فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلاء على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال وكل موجود
يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به الا ان الاستيلاء على الشيء بالقدرة على
التاثير فيه وعلى تغييره بحسب الارادة وكونه مسخرا لك تردده كيف تشاء واحب الانسان ان
يكون له الاستيلاء على كل الاشياء الموجودة معه الا ان الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغير
في نفسه كذات الله وصفاته والى ما يقبل التغير ولكن لا يستولي عليها قدرة الخلق كالافلاك والكواكب

وملكوت السموات والعرش والملائكة والجن والشياطين والجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل التغير ولكن يستولى عليها قدرة الخلق كالارض واجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس فانها قابلة للتغير والتاثر مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر كذات الله والملائكة والسماويات فاحب الانسان ان يستولى على السماويات بالعلم والاحاطة والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت القدرة والعالم كالمستولى عليه فلذلك احب ان يعرف الله والملائكة والافلاك والكواكب وجميع عجايب السموات وعجايب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلاء عليها والاستيلاء نوع كمال وهذا ايضا يباهى استنباط من عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهى ان يعرف اللعب به وانه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبة فى الهندسة او الشعبذة او جر الثقيل او غيره وهو مستشعر فى نفسه نقص العجز والقصور عنه ولكنه يشتاق الى معرفة كيفيته فهو متالم بنقص العجز ومتلذذ بكمال العلم ان علمه واما القسم الثانى وهى الارضيات التى يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع ان يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهى قسمان اجساد وارواح الاجساد الدراهم والدنانير والامتعة فيجب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع فلذلك احب الاموال وان كان لا يحتاج اليها فى ملبسه ومطعمه وفى شهوات نفسه وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف فى اجسادهم واشخاصهم بالاستسخار وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبا ويقوم منزلته فيها فان الحشمة القهرية ايضا لذيذة لما فيها من القدرة القسم الثانى نفوس الادميين وقلوبهم وهى انفس ما على وجه الارض فهو يحب ان يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية والقلوب انما تتسخر بالحب ولا يحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات الالهية والصفات الالهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الربانى من جملة معانى الانسان وهو الذى لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فياكله فانه محل الايمان والمعرفة وهو الواصل الى لقاء الله تعالى والساعى اليه فاذن معنى الجاه تسخر القلوب ومن تسخرت القلوب له كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من اوصاف الربوبية فاذن محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه من اسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا غاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم او مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول ولذلك قال عليه السلام منهومان لا يشبعان فاذن مطلوب القلب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصورة فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب فى كون العلم والمال والجاه محبوبا وهو امر وراء كونه محبوبا لاجل التوصل الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات بل يحب الانسان من العلوم ما لا

يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم فى جميع العجايب والمشكلات فى العلم لان فى العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذى هو من صفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع الا ان فى حب كمال العلم والقدرة اغاليط لا بد من بيانها

بيان الكمال الحقيقى والكمال الوهمى الذى لا حقيقة له

قد عرفت انه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود الا فى العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقى فيه يلتبس بالكمال الوهمى وبيانه ان كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة اوجه احدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها فانه محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد اكثر كان اقرب الى الله تعالى والثانى من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا كشفا تاما فان المعلومات مكشوفة لله سبحانه وتعالى باتم انواع الكشف على ما هى عليها فكذلك مهما كان علم العبد اوضح واتقن واصدق واوفق للمعلوم فى تفاصيل صفات المعلوم كان اقرب الى الله تعالى والثالث من حيث بقاء العلم ابد الاباد بحيث لا يتغير ولا يزول فان علم الله باق لا يتصور ان يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا تقبل التغير والانقلاب كان اقرب الى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وازليات اما المتغيرات فمثاله العلم بكون زيد فى الدار فانه علم له معلوم ولكن يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه فى الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكل ما اعتقدته موافقا له ويتصور ان ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد ان ينقلب كمالك نقصا ويعود علمك جهلا ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة ارض وبعدد البلاد وتباعد ما بينها الى الاميال والفراسخ وساير ما يذكر فى المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التى هى اصطلاحات تتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزيبق تتغير من حال الى حال فليس فيه كمال الا فى الحال ولا يبقى كمالا فى القلب القسم الثانى هى المعلومات الازلية وهى جواز الجايزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ازلية ابدية اذ لا يستحيل الواجب قط جايزا ولا الجايز محالا ولا المحال واجبا وكل هذه الاقسام داخلة فى معرفة الله وما يجب له وما يستحيل فى صفاته ويجوز فى افعاله فالعلم بالله وبصفاته وافعاله وحكمته فى ملكوت السماء والارض وترتيب الدنيا والاخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقى الذى يقرب به من يتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت وتكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اى تكون هذه المعرفة راس مال يوصل الى كشف ما لم ينكشف فى الدنيا كما ان من معه سراج خفى فانه يجوز ان يصير ذلك سببا لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفى على سبيل الاستتمام ومن ليس معه اصل السراج فلا مطمع له فى ذلك فمن ليس له اصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع فى هذا النور فيبقى كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها بل كظلمات فى بحر لجى يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض فاذن لا سعادة الا فى معرفة الله واما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فايدة لها اصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب وغيره ومنها ما له منفعة فى الاعانة على معرفة الله كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه

اعتقاداً ه

والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القرآن
من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد في استعداد النفس
لقبول الهداية الى معرفة الله كما قال تع قد افلح من زكيها وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فيكون
جملة هذه المعارف كالوسايل الى تحقيق معرفة الله تع وانما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله و
منطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هي فعل
الله ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله تع هذا حكم كمال العلم ذكرناه
وان لم يكن لايقا باحكام الجاه والرياء ولكن اوردناه لاستيفاء اقسام الكلام واما القدرة فليس فيها
كمال حقيقي بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية وانما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الاشياء
عقيب ارادته وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله كما قررناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل
وفي مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى معه بعد الموت فيوصله الى الله فاما كمال القدرة
فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة
يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوى آلة يتوصل بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج
في استيفاء هذه القوى الى القدرة بالجاه والمال للتوصل به الى المطعم والملبس وذلك الى قدر معلوم
فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب
وظن ذلك كمالا جهل والخلق كلهم هالكون في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد
بالحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك
احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوا شغلوا به فتهالكوا فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب
من الله ومن ملايكته وهو العلم والحرية اما العلم فما ذكرنا من معرفة الله واما الحرية فالخلاص عن
اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملايكة الذين لا يستفزهم
الشهوة ولا يستهويهم الغضب فان دفع آثار الغضب والشهوة عن النفس من الكمال الذي هو من
صفات الملايكة ومن صفات الكمال لله سبحانه استحالة التغير والتاثر عليه فمن كان عن التغير
والتاثر بالعوارض ابعد كان الى الله تع اقرب وبالملايكة اشبه ومنزلته عند الله اعظم وهذا كمال
ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده في اقسام الكمال لانه في حقيقته ترجع الى عدم نقصان
فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كانت وهلاكها والهلاك نقص في الذات وفي
صفات الكمال للذات فاذن الكمالات ثلاثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد
لها كمالا به كمال العلم وكمال الحرية واعني به عدم العبودية للشهوات وارادات الاسباب الدنيوية
والقدرة وللعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة الباقية
بعد موته اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومعرفته
وحريته لا تنعدم بالموت بل تبقى كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله تعالى فانظر كيف انقلب
الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو
الكمال الذي لا يسلم وان سلم فلا بقاء له واعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي اذا حصل كان ابديا لا

انقطاع له وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون
وهم الذين لم يفهموا قوله تع المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك
والعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب
وهو كما مثله الله تع حيث قال انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
الآية وقوله تع واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء الى قوله فاصبح هشيما تذروه الرياح
فكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحيوة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات
فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه
وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر البلغة منهما الى الكمال الحقيقي **بيان ما يحمد من حب
الجاه وما يذم** مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمها حكم ملك الاموال
فانه عرض من اعراض الحيوة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا
فيمكن ان يتزود منه للآخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من ادنى جاه
لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام او المال
الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان
يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له في قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده
وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له المحل في قلب سلطانه ما يحثه ذلك على دفع
الشر عنه ليس بمذموم وان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا
يفضي الى ان لا يكون المال والجاه في اعيانهما محبوبا بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون في
داره بيت ماء لانه يضطر اليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني
عن بيت الماء وهذا على التحقيق ليس بحب لبيت الماء فكل ما يراد للتوصل الى محبوب فالمحبوب هو
المقصود المتوسل اليه ويدرك التفرقة بمثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه
يدفع بها فضلة الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته
كما انه لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب زوجته لذاتها حب العشاق
ولو كفي الشهوة لبقي مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول فكذلك الجاه والمال قد
يحب كل واحد منهما على هذين الوجهين فحبهما لاجل التوسل الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما
فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم
يحمله الحب على مباشرة معصية وما لم يتوسل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوسل
الى اكتسابه بعبادة فان التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع
معنى الرياء المحظور كما سياتي **فان قلت** طلبه الجاه والمنزلة في قلب استاذه وخادمه ورفيقه
وسلطانه ومن يرتبط به امره مباح على الاطلاق كيف ما كان او يباح الى حد مخصوص وعلى وجه مخصوص
فاقول يطلب ذلك في ثلاثة اوجه وجهان منها مباح ووجه منها محظور اما الوجه المحظور
هو ان يطلب قيام المنزلة في قلوبهم لاعتقادهم صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر

لم انه علوي او عالم او ورع ولا يكون كذلك فهذا حرام لانه تلبيس وكذلك اما بالقول واما بالمعاملة واما المباح فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف صلوات الله عليه اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم فانه طلب منزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه والثاني ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم ولا يزول منزلته فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبايح جايز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فايدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله اني ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظور ان يحسن الصلوة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده فان ذلك ريا فهو ملبس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله فكيف يكون خالصا وطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب المال من غير فرق وكما لا يجوز له ان يتملك مال غيره بتلبيس في عوض او في غيره فلا يجوز له ان يتملك قلبه بتزوير وخداع فان ملك القلوب اعظم من ملك الاموال

بيان السبب في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطباع اليه وفي بغضه للذم ونفرتها اعلم ان لحب المدح والتذاذ القلب به اربعة اسباب احدها وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه اقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنايه عليه بانه طويل القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا استشعره لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وان كان ذلك الوصف مما يتطرق اليه الشك فاللذة فيه اعظم كالثناء عليه بكمال العلم وكمال الورع او بالحسن المطلق فان الانسان ربما يكون شاكا في كمال حسنه وكمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك بان يصير متيقنا بكونه عديم النظير في هذه الامور واطمانت نفسه اليه فاذا ذكره غيره اورث ذلك طمانينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته وانما تعظم اللذة بهذا العلم مهما صدر الثنا من بصير بهذه الصفات خبير لا يجازف بالقول الا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فانه في غاية اللذة وان صدر ممن يجازف في الكلام او يكون بصيرا في ذلك الوصف ضعفت اللذة وبهذه العلة يبغض الذم ايضا ويكره لانه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مولم ولذلك تعظم الالم اذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه في المدح السبب الثاني ان المدح يدل على ان قلب المادح مملوك للممدوح وانه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذا العلم تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر وتضعف مهما كان المثني ممن لا يوبه له ولا يقدر على شيء فان القدرة عليه بملك قلبه قدرة على امر حقير فلا يدل المدح الا على قدرة قاصرة

وبهذه

وبهذه العلة ايضا يكره الذم ويتألم به القلب واذا كان من الاكابر كانت نكايته اعظم لان الفايت به اكثر السبب الثالث ان ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من سمعه لا سيما اذا كان ذلك ممن يلتفت الى قوله ويعتد بثنايه وهذا تخصيص بثناء يقع على الملا فلا جرم كلما كان الجمع اكثر والمثني اجدر بان يلتفت الى قوله كان المدح الذ والذم اشد على النفس السبب الرابع ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه اما عن طوع واما عن قهر فان الحشمة ايضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وان كان المادح في الباطن لا يعتقد ما مدح به ولكن كونه مضطرا الى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم يكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فيكون لذة ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثناء اشد فهذه الاسباب الاربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم به الالتذاذ وقد يفترق فينقص اللذة به اما العلة الاولى وهو استشعار الكمال فيندفع بان يعلم الممدوح به انه غير صادق في مدحه كما اذا مدح بانه نسيب او سخي او عالم او متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فان كان يعلم ان المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه الى النطق بالثناء وان لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه اصلا لذة لفوات الاسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم وانما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فان ما لا يعرف سببه لا يمكن علاجه اذ العلاج عبارة عن حل اسباب المرض

بيان علاج حب الجاه اعلم ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفا بالتودد اليهم والمراياة لاجلهم ولا يزال في اقواله وافعاله واعماله ملتفتا الى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر ذلك لا محالة الى التساهل في العبادات والمراياة بها والى اقتحام المحظورات للتوصل الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول او الفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة وهو خال عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه اذن من المهلكات فيجب علاجه وازالته عن القلب فانه طبع جبل القلب عليه كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم وعمل اما العلم فهو ان يعلم ان السبب الذي لاجله احب الجاه فهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم وقد بينا ان ذلك ان صفا وسلم فآخره الموت فليس من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على بسيط الارض من المشرق الى المغرب فالى خمسين سنة لا يبقى الساجد والمسجود له ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي ان يترك به الدين الذي هو الحيوة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى

الى الآخرة كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده ويكون حاله كحال الحسن
البصري حيث كتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف
قد نظر نحو المستقبل وقدره كائنا وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حيث كتب في جوابه اما بعد فكانك
بالدنيا لم تكن وكانك بالآخرة لم تزل فهولاء التفاتهم الى العاقبة وكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا
ان العاقبة للمتقين فاستحقروا الجاه والمال والدنيا وابصار اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على
العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب ولذلك قال تع بل توثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير
وابقى وقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة فمن هذا حده فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه
بالعلم بالآفات العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا
فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخايف على الدوام على جاهه ومحترز من ان تتغير منزلته
في القلوب والقلوب اشد تغيرا من القدر في غليانه وهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما
يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب
وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه فلا
يفي في الدنيا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الآخرة فبهذا ينبغي ان تعالج البصيرة الضعيفة واما
من نفذت بصيرته وقوي ايمانه لم يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من
حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط من اعين الخلق و
يفارقه لذة القبول ويانس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية
اذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا انفسهم عن اعين الناس فيسلموا من آفة الجاه وهذا غير
جايز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له ان يقدم
على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك
قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ ياكل بشره ويعظم اللقمة فلما
نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب
شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به انه شرب الخمر فيسقط عن الاعين وهذا في جوازه نظر
من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما راوا اصلاح
قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبل الناس
عليه فدخل حماما فلبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه وضربوه واستردوا منه
الثياب وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل
في بيته في البلدة التي هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فربما
يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها فلو تغير الناس
عما اعتقدوه فيه وذموه او نسبوه الى امر غير لايق به جزعت نفسه وتالمت وربما توصلت الى
الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس
ولا يبالي به وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ومن احب الجاه والمنزلة فهو كمن احب المال بل هو شر

منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس فاذا
احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع طمعه عن الناس راسا اصبح الناس كلهم عنده كالارذال
فلا يبالي اكانت له منزلة في قلوبهم او لم تكن كما لا يبالي بذلك في قلوب الذين هم منه في اقصى المشرق لانه لا يراهم
ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى
لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة
وقطع الطمع ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم
المومن لا يخلو من ذلة او قلة او علة وينظر في احوال السلف وايثارهم للذل على العز ورغبتهم في
ثواب الآخرة **بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم** اعلم ان اكثر الخلق انما هلكوا لخوف مذمة
الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضى الناس رجاء للمدح وخوفا
من الذم وذلك من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب المدح
ويكره الذم اما السبب الاول فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع
الى عقلك فتقول لنفسك هذه الصفة التي يمدحك بها انت متصف بها ام لا فان كنت متصفا
بها فهي اما صفة تستحق الفرح كالعلم والورع واما صفة لا تستحق كالثروة والجاه والاعراض
الدنيوية فان كان من الاعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الارض الذي يصير على القرب هشيما
تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه
انتقالا فلا ينبغي ان يفرح الانسان بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغي ان يفرح بذكر المادح لها بل
بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وان كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع
فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما يقتضي الفرح لانه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة
باق وفي الخوف من الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا بل الدنيا دار الاحزان والغموم لا دار فرح وسرور ثم ان
كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح
المادح فان اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له
فلم ينبغي ان تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك فضلا وان كانت الصفة التي مدحت بها انت خال عنها
ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من يهزا به انسان ويقول له سبحان الله ما اكثر العطر
الذي في احشايه وما اطيب الروايح التي تفوح منه اذا قضى حاجته وهو يعلم ما يشتمل عليه امعاؤه
من الاقذار والانتان ثم يفرح به فكذلك اذا اثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع
على خبايث باطنك وغوايل سريرتك واقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل فاذن المادح
ان صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله عليك وان كذب فينبغي ان يغمك ذلك ولا تفرح
به واما السبب الثاني وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا لتسخير قلب آخر
فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع الطمع وطلب
المنزلة عند الله تع وبان تعلم ان طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله تعالى
فكيف تفرح به واما السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المادح الى المدح فهو

ايضا يرجع الى قدرة عارضة لاثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغي ان يغمك مدح المادح وتكرهه
وتغضب عليه كما نقل ذلك من السلف فان آفة المدح على الممدوح عظيم كما ذكرناه في كتاب آفات اللسان
قال بعض السلف من فرح بمدح فقد امكن الشيطان من ان يدخل في بطنه وقال بعضهم
اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل
وروي في بعض الاخبار فان صح فانه قاصم للظهر ان رجلا اثنى على رجل خيرا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لو كان صاحبك حاضرا فرضي الذي قلت فمات على ذلك دخل النار وقال صلعم
مرة للمادح ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيمة الا لا تمادحوا واذا رايتم المادحين
فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على
القلب من السرور به حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سال رجلا عن شيء فقال انت يا امير المومنين
خير مني واعلم فغضب وقال اني لم آمرك بان تزكيني وقيل لبعض الصحابة لن يزال الناس بخير
ما ابقاك الله فغضب وقال اني لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك
يتقرب الي بمقتك فاشهدك على مقته وانما كرهوا المدح خيفة من ان يفرحوا بمدح الخلق
وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلق لان الممدوح
هو المقرب الى الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى في النار مع الاشرار فهذا الممدوح
ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان
يفرح الا بفضل الله وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الآجال والارزاق بيد الله
قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه ٥

بيان علاج كراهة الذم

قد سبق ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح
فعلاجه ايضا يفهم منه والقول الوجيز فيه ان من ذمك لا يخلو من ثلاثة احوال اما ان يكون قد صدق
فيما قال وقصد النصح والشفقة واما ان يكون صادقا ولكن قصده الايذاء والتعنت او يكون
كاذبا فان كان صادقا فلا ينبغي ان تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي ان تتقلد منة فان من
اهدى اليك عيوبك فقد ارشدك الى المهلكة حتى تتقيها وينبغي ان يفرح به ويشتغل بازالة الصفة
المذمومة عن نفسك ان قدرت عليه فاما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك اياه غاية الجهل
وان كان قصده التعنت فانت قد انتفعت بقوله اذ ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به او
ذكرك ان كنت غافلا عنه او قبحه في عينك لينبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته
وكل ذلك اسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد اتيح لك
اسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة
وانت لا تدري فلو دخلت عليه كذلك لخفت ان يحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك
قايل ايها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي ان تفرح به لان تنبهك بقوله غنيمة وجميع مساوي
الاخلاق مهلك في الآخرة والانسان انما يعرفها من قول اعدائه فينبغي ان يغتنمه فاما قصد العدو
التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بفعل انتفعت به انت

وتضرر هو الحالة الثانية ان يفتري عليك بما انت بريء منه عند الله فينبغي ان لا
تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلاثة امور احدها انك ان خلوت عن ذلك
العيب فلا تخلو عن امثاله واخواته وما ستره الله من عيوبك اكثر فاشكر الله اذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه
عنك بذكر ما انت بريء عنه والثاني ان ذلك كفارات لبقية مساويك وذنوبك فكانه رماك بعيب
انت بريء عنه وطهرك من ذنوب انت ملوث بها وكل من اغتابك فقد اهدى اليك حسناته وكل
من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن بهدايا الحسنات التي تقربك الى الله وانت
تزعم انك تحب القرب من الله واما الثالث فهو ان المسكين جنى على دينه حتى سقط من عين الله واهلك
نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم فلا ينبغي ان تغضب عليه مع غضب الله عليه وتشمت الشيطان به
وتقول اللهم اهلكه بل ينبغي ان تقول اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون لما ان ضربوه ودعا ابرهيم بن ادهم لمن شج راسه بالمغفرة وقال اعلم اني ماجور
بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا بسببي ومما يهون كراهة المذمة قطع الطمع فان من
استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك واصل الدين القناعة وبها ينقطع الطمع عن الجاه
والمال وما دام الطمع قائما كان حب الجاه والمدح في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك الى
تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا ينال ذلك الا بهدم الدين فلا ينبغي ان يطمع طالب المال والجاه و
محب المدح ومبغض الذم في سلامة دينه فان ذلك بعيد جدا

بيان اختلاف احوال الناس في الذم والمدح

اعلم ان للناس اربعة احوال بالاضافة الى الذام والمادح الحالة الاولى ان يفرح بالمدح
ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافيه او يحب مكافاته وهذا حال اكثر الخلق
وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب الحالة الثانية ان يمتعض في الباطن على الذام ولكن
يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته ويفرح باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن اظهار السرور
وهذا من النقصان الا انه بالاضافة الى ما قبله كمال الحالة الثالثة وهي اول درجات الكمال ان
يستوي ذامه ومادحه فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه و
يكون مغرورا ان لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلاماته ان لا يجد في نفسه استثقالا للذام عند تطويله
الجلوس عنده اكثر مما يجده للمادح وان لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح
فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام وان لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه اهون عليه من انقطاع المادح
وان لا يكون موت المادح المطري له اشد نكاية في قلبه من موت الذام وان لا يكون غمه بمصيبة المادح
وما يناله من اعدائه اكثر مما يكون بمصيبة الذام وان لا يكون زلة المادح اخف على قلبه وفي عينه من زلة
الذام فمهما خفت الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما ابعد
ذلك وما اشده على القلوب واكثر العباد فرحهم بمدح الناس مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون
حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه العلامات وربما يشعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام و
الشيطان يحسن له ذلك ويقول الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد اطاع الله بمدحك فكيف
يسوي بينهما وانما استثقالك للذام من الدين المحض وهذا محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم ان في

الناس من ارتكب من كبائر المعاصي اكثر مما يرتكبه الذام في مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم فيعلم ان المادح الذي مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه لمذمة غيره كما يجد لمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم او غيره فاذن العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم الشيطان يخيل اليه انه من الدين حتى يعتقد على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فاكثر عباداته تعب ضايع يفوت عليه الدنيا ويخسر في الآخرة وفيهم قال تع قل هل انبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا **الحالة الرابعة** وهي الصدق في العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه وقاصم للظهر مضر له في الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه عيبه ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته فقد قال صلى الله عليه وسلم راس التواضع ان يكره ان يذكر بالبر والتقوى وقد روي في بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا ان صح اذ روي انه صلى الله عليه وسلم قال ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا فقيل يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية امثالنا الطمع في الحالة الثانية وهو ان يضمر الفرح والكراهة على المادح والذام ولا يظهر بالقول والعمل فاما الحالة الثالثة وهو التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيه ثم ان طالبنا انفسنا بعلامات الحالة الثانية ما وفت بها فانها لابد وان تتسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجاته وتتثاقل عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه ولا تقدر على ان تسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا تقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان ان وجد فانه الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده من الرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب ايضا فيها درجات اما **الدرجات** في المدح فهو ان من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيلها بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح يسبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهة فهو قريب من ان يستجره فرط السرور الى المرتبة التي قبله وان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهة وبغض السرور عليه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر ولم يغتم ولكن لم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى ان يغضب على المادح وينكر عليه واقصى درجاته ان يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه الا ان يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك عين النفاق لانه يريد ان يظهر من نفسه الاخلاص والصدق وهو مفلس عنه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الاحوال في حق الذام واول **درجاته** اظهار الغضب وآخره اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره الا عن في قلبه

حنق

حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذ صار بالمذمة اوضع في اعين الناس حتى لا يبتلي بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون جبرا لعيوبه التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهي ان يستوي ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى تلك العقبات ولا يقطع شيء منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل

الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء

وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يرائي به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفي وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في اظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد ان يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي احد عشر فصلا

بيان ذم الرياء

اعلم ان الرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت وقد شهدت لذلك الآيات والاخبار والآثار اما **الآيات** فقوله تع فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم يراءون وقوله تع والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور **قال** مجاهد هم اهل الرياء **وقال** تع انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فمدح المخلصين بنفي كل ارادة سوى وجه الله والرياء ضده **وقال** تع فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا انزل فيمن طلب الاجر والحمد بعبادته واعماله واما **الاخبار** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حين ساله رجل فقال يا رسول الله فيم النجاة قال ان لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس وروى ابو هريرة في حديث الثلاثة المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقاري لكتاب الله كما اوردناه في كتاب الاخلاص فان الله عز وجل يقول لكل واحد منهم كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع كذبت بل اردت ان يقال فلان قاري فاخبر صلى الله عليه وسلم انهم لم يثابوا وان رياءهم هو الذي احبط اعمالهم **وقال** ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به وفي آخر حديث طويل ان الله تع يقول للملائكة ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين **وقال** صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيمة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء **وقال** صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله عز وجل من جب الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم اعد للقراء المرائين **وقال** صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك **وقال** عيسى عليه السلم اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه

فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله عملاً فيه مقدار ذرة من
رياء وقال عمر لمعاذ بن جبل حيث رآه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان ادنى الرياء شرك وقال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الرياء
والشهوة الخفية وهي ايضا ترجع الى خفايا الرياء ودقايقه وقال صلى الله عليه وسلم ان في ظل العرش
يوم لا ظل الا ظله رجلا يتصدق بيمينه فكاد ان يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على
عمل الجهر سبعين ضعفا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادى يوم القيمة يا فاجر يا غادر يا
مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس رايت
النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك قال اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا
شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤون باعمالهم وقال رسول الله صلعم لما خلق الله الارض مادت باهلها
فخلق الجبال فصيرها اوتادا للارض فقالت الملايكة ما خلق ربنا خلقا هو اشد من الجبال فخلق الحديد
فقطع الجبال ثم خلق النار فاذابت الحديد ثم امر الله الماء فاطفاء النار وامر الريح فكدرت الماء
فاختلفت الملايكة فقالت نسال الله تع فقالت يا رب ما اشد من خلقت من خلقك قال الله تع لم اخلق
شيا هو اشد من ابن آدم حين يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلق خلقته • وروى
عبد الله بن المبارك باسناده عن رجل انه قال لمعاذ حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلعم قال
فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معاذ
قلت له لبيك بابي وامي انت قال اني محدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته
ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيمة يا معاذ ان الله تع خلق سبعة املاك قبل ان خلق السموات
والارض ثم خلق السموات والارض فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد
الحفظة بعمل العبد من حين اصبح الى ان امسى له نور كنور الشمس حتى اذا طلعت به الى السماء الدنيا ذكرته
فكثرته فيقول الملك للحفظة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا
ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم تاتي الحفظة بعمل صالح من اعمال العبد فتمر فتزكيه
وتكثره حتى يبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه
اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم
قال ويصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصلوة وصيام قد اعجب الحفظة فيجاوزون
به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك قفوا بها فاضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي
ان لا ادع عمله يجاوزني انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال ويصعد الحفظة بعمل العبد يزهر
كما يزهر الكوكب الدري له دوي كدوي من تسبيح وصلوة وحج وعمرة حتى يجاوزون به الى السماء الرابعة
فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل ظهره وبطنه انا صاحب العجب امرني ربي ان لا ادع
عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب في عمله قال ويصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوز
به الى السماء الخامسة كانه العروس المزفوفة الى اهلها فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من

كان ياخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال
ويصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وحج وعمرة وصوم فيجاوزون به الى السماء السادسة
فيقول لهم الملك الموكل قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله
اصابه بلاء او ضر كان يشمت به انا ملك الرحمة امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال
ويصعد الحفظة بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلوة ونفقة واجتهاد وورع لها
دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معها ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم
الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه اقفلوا على قلبه اني احجب
عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه اراد بعمله غير الله انه اراد به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء
وصوتا في المداين امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء   صيتا
ولا يقبل الله عمل المرائي قال ويصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وحج وعمرة وخلق حسن
وصمت وذكر لله وتشيعه ملايكة السموات حتى يقطعوا الحجب كلها الى الله عز وجل فيقفون بين يديه
ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال فيقول الله لهم انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على
نفسه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فيقول الملايكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا
وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ
قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا معاذ قال اقتد بي وان كان في عملك تقصير يا معاذ حافظ على
لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك
نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي
يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك
خير الدنيا ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيمة في النار قال الله تع والناشطات
نشطا تدري ما هي يا معاذ قلت ما هي بابي انت وامي قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم قلت بابي
انت وامي فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ انه يسير على من يسره الله عليه قال
فما رايت اكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث واما الآثار يروى ان عمر
رضي الله عنه راى رجلا يطاطئ رقبته فقال يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب
وانما الخشوع في القلوب • وراى ابو امامة رجلا في المسجد يبكي في سجوده فقال انت انت لو كان هذا
في بيتك وقال علي رضي الله عنه للمرائي ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده وينشط اذا كان
في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة بن الصامت اقاتل
بسيفي في سبيل الله اريد وجه الله ومحمدة الناس قال لا شي لك فساله ثلاث مرات كل ذلك يقول
لا شي لك ثم قال في الثالثة ان الله يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك الحديث وسال رجل
سعيد بن المسيب فقال نصطنع المعروف نحب ان نحمد ونوجر فقال له اتحب ان تمقت قال
لا قال فاذا عملت لله عملا فاخلصه وقال الضحاك لا يقولن احدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا
يقل هذا لله وللرحم فان الله تع لا شريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال اقتص مني فقال لا بل ادعها

الله وكتب فقال له عمر ما صنعت شيئًا اِمّا ان تدعهما لي فاعرف ذلك او تدعهما لله وحده فقال ودعتها
لله وحده قال فنعم اذن وقال الحسن لقد صحبت اقوامًا ان كان احدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها
لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه منها الا مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر فيرى الاذى على
الطريق فما يمنعه ان ينحيه الا مخافة الشهرة ويقال ان المرائي ينادي يوم القيمة باربعة اسماء يا
مرائي يا غاوي يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا وقال الفضيل
كانوا يراءون بما يعملون وصاروا اليوم يراءون بما لا يعملون وقال عكرمة ان الله يعطي الرجل على نيته
ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن المرائي يريد ان يغلب قدر الله تعالى هو رجل
سوء يريد ان يقول الناس هو صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الاردياء فلا بد لقلوب
المؤمنين ان تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله تعالى انظروا الى عبدي يستهزئ بي وقال
مالك بن دينار القراء ثلاثة قراء الدنيا وقراء الملوك وقراء الرحمن وان محمد بن واسع من قراء
الرحمن وقال الفضيل من اراد ان ينظر الى مراء فلينظر اليّ وقال محمد بن المبارك الصوري
اظهر السمت بالليل فانه اشرف من سمتك بالنهار لان السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل
لرب العالمين وقال ابو سليمن التوقي على العمل اشد من العمل وقال ابن المبارك ان كان الرجل
ليطوف بالبيت وهو بخراسان قيل كيف ذلك قال يحب ان يذكر انه مجاور بمكة وقال ابرهيم
بن ادهم ما صدق الله من اراد ان يشتهر **بيان حقيقة الرياء وما يرائي به** اعلم ان الرياء
مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وانما الرياء اصله طلب المنزلة في قلوب الناس بايرائهم خصال
الخير الا ان الجاه والمنزلة يطلب في القلب باعمال سوى العبادات ويطلب بالعبادات واسم الرياء
مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات واظهارها وحد الرياء هو ارادة
العباد بطاعة الله تعالى فالمرائي هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة
في قلوبهم والمراءى به هو الخصال التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصده اظهار ذلك والمراءى
به كثير ويجمعه خمسة اقسام وهي مجامع ما يتزين العبد به للناس وهو البدن والزي والقول والعمل
والاتباع والاشياء الخارجة وكذلك اهل الدنيا يراءون بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه و
قصد الرياء باعمال ليس من جملة الطاعات اهون من الرياء بالطاعات **الاول** الرياء في الدين
من جهة البدن وذلك باظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين
وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الحزن في الدين وكذلك
يرائي بتشعث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهما ظهرت استدل
الناس بها على هذه الامور وارتاحت النفس لمعرفتهم فلذلك تدعو النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة
ويقرب من هذا خفض الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب
على الصوم وان وقار الشرع هو الذي خفض من صوته او ضعف الجوع هو الذي ضعف قوته وعن
هذا قال عيسى عليه السلم اذا صام احدكم فليدهن راسه وليرجل شعره ويكحل عينيه وكذلك يروى
عن ابي هريرة وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود اصبحوا

صياما

صياما مدهنين فهذه مراياة اهل الدين بالبدن واما اهل الدنيا فيراءون بالسمن وصفاء
اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الاعضاء وتناسبها **الثاني** الرياء
بالزي والهيئة اما الهيئة فتشعيث شعر الراس وحلق الشارب واطراق الراس في المشي والهدوء
في الحركة وابقاء اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها الى قريب من الساق
وتقصير الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه انه متبع للسنة
فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومنه لبس المرقعة والصلوة على السجادة ولبس الثياب الزرق
تشبها بالصوفية مع الافلاس عن حقائق التصوف في الباطن ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ليرى به
انه انتهى الى الحذر من غبار الطريق ولينصرف اليه الاعين بسبب تميزه بتلك العلامة ومنه الدراعة
والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم انه من اهل العلم والمراءون بالزي على طبقات منهم
من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة
ليرائي بغلظها وقصرها ووسخها وتخرقها ولو كلف ان يلبس يوما وسطا نظيفا مما كان السلف
يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه ان يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة
ورغب في الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند اهل الدنيا من الملوك والتجار
ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة النازلة ازدرتهم اعين الملوك و
الاغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقة و
الاكسية الرفيعة والمرقعات المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها وقيمة ثيابهم قيمة ثياب الاغنياء
ولونها وهيئتها لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين وهؤلاء لو كلفوا لبس ثوب
خشن او وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط من اعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس الديبقي
والكتان الدقيق الابيض او القصب المعلم وان كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم عليهم خوفا من ان
يقول اهل الصلاح قد رغب في زي اهل الدنيا وكل طبقة منهم راى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه
الانتقال الى ما دونه او ما فوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة واما اهل الدنيا فمراياتهم بالثياب
النفيسة والمراكب الرفيعة وانواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن واثاث البيت وفره الخيول
وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب
الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الثياب ما لم يبالغوا في الزينة **الثالث** الرياء
بالقول ورياء اهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والآثار لاجل الاستعمال
في المحاورة اظهارا لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية باحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين
بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات
واظهار الاسف على مقارفة الناس المعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة
القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والدق على من يروي
الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى ان الحديث صحيح او غير صحيح
لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء بالقول كثير

وابوابه لا تنحصر واما اهل الدنيا فمراياتهم بالقول بحفظ الامثال والاشعار والتفاصح في العبارات
وحفظ النحو الغريب للاغراب على اهل الفضل واظهار التودد للناس لاستمالة القلوب **الرابع** الرياء
بالعمل كمراياة المصلي بطول القيام ومده وتطويل السجود والركوع واطراق الراس وترك الالتفات واظهار
الهدوء والسكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وباطعام الطعام
وبالاخبات في المشي عند اللقاء كارخاء الجفون وتنكيس الراس والوقار في الكلام حتى ان المرائي قد يسرع في
المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه واحد من اهل الدين رجع الى الوقار واطراق الراس خوفا من ان ينسبه الى
العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا رآه عاد الى خشوعه ولا يحضره ذكر الله حتى
يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى ان لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحاء ومنهم من اذا
سمع بهذا استحيى من ان يخالف مشيته في الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية الحسنة في
الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن انه يتخلص به عن الرياء وقد تضاعف به رياؤه فانه
صار في خلوته ايضا مرائيا فانه يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملأ لا لخوف من الله تعالى وحياء منه
واما اهل الدنيا فمراياتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطى والاخذ باطراف الذيل
وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة **الخامس** المراياة بالاصحاب والزائرين والمخالطين
كالذي يتكلف ان يستزير عالما من العلماء ليقال ان فلانا قد زار فلانا او عابدا من العباد ليقال
ان اهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه او ملكا من الملوك او عاملا من عمال السلطان ليقال
انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقي شيوخا كثيرة واستفاد
منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراياته تترشح منه عند مخاصمته فيقول لغيره من لقيت من الشيوخ وانا
قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي
به المراؤون وكلهم يطلبون به الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات
فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما
خبيئته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة في ديره او صومعته
لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى بكل حيلة في ازالة ذلك من
قلوبهم مع انه قطع طمعه من اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ كما ذكرناه في اسبابه فانه نوع قدرة و
كمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن اكثر الناس جهال ومن المرائين من لا
يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالحمد والثناء ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد
ليكثر الرحلة اليه ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك ليقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يديه فيقوم له به
جاه عند العامة ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع حطام وكسب مال ولو من الاوقاف واموال
اليتامى وغير ذلك من الحرام وهؤلاء شر طبقات المرائين الذين يراؤون بالاسباب التي ذكرناها فهذه
حقيقة الرياء وما يقع به الرياء **فان قلت** فالرياء حرام او مكروه او مباح او فيه تفصيل **فاقول**
فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما ان يكون بالعبادات او بغير العبادات فان كان بغير العبادات
فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات

واسباب

واسباب محظورة فكذلك الجاه وكما ان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود فكسب
قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال اني حفيظ
عليم وكما ان المال فيه سم ناقع وترياق نافع فكذلك الجاه وكما ان كثير المال يلهي ويطغي وينسي ذكر الله
والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل اشد وفتنة الجاه اعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول تملك
المال الكثير حرام فلا نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حمله كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة
ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه
والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها واما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه و
من غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء
الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف
بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراياة وهو
ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روي
عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يخرج على اصحابه فكان ينظر في حب
من الماء يسوي عمامته وشعره فقالت اوتفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله يحب من العبد
ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم نعم هذا كان من رسول الله صلعم عبادة لانه كان مأمورا بدعوة
الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط عن اعينهم لم يرغبوا في اتباعه وكان يجب عليه
ان يظهر لهم محاسن احواله كيلا تزدريه اعينهم فان اعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر
فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد به ان يحسن نفسه في اعينهم حذرا
من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد امرا مباحا اذ للانسان ان يحذر
من الم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنسوا به فاذن
المراياة بما ليس من العبادات قد يكون مباحا وقد يكون طاعة وقد يكون مذموما وذلك
بحسب الغرض المطلوب به ولذلك نقول الرجل اذا انفق ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض
العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخي فهذه مراياة ليست بحرام وكذلك امثاله اما
العبادات كالصدقة والصلوة والغزو والحج فللمرائي فيه حالتان احديهما ان لا يكون له
قصد الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا ليس يقصد العبادة
ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم لما دلت
عليه الاخبار والآيات والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل
اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من اهل الدين وليس كذلك والتلبيس في امر الدنيا ايضا حرام حتى
لو قضى دين جماعة وخيل للناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب
بالخداع والمكر والثاني يتعلق بالله وهو انه مهما قصد بعبادة الله خلق الله فهو مستهزئ بالله
ولذلك قال قتادة اذا رايا العبد قال الله تعالى انظروا اليه كيف يستهزئ بي مثاله ان يتمثل بين
يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدمة وانما وقوفه لملاحظة جارية من

من جواري الملك وغلاما من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذا لم تقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصدت به عبدا من عبيده فاي استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله مراعاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه ظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله وانه اولى بالتقرب اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته واي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر نعم بعض درجات الرياء اشد من بعض كما سياتي في درجات الرياء ولا يخلو شيء منه عن اثم غليظ او خفيف بحسب ما به المراياة ولو لم يكن في الرياء الا انه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية فانه اذا لم يقصد التقرب الى الله فقد قصد غير الله لعمري لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة ان يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا ان قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فمن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون من نفعه وضره ورزقه واجله ومصالح حاله وماله اكثر مما يملكه الله فلذلك عدل بوجهه عن الله اليهم فاقبل بقلبه عليهم يستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله اليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده شيئا بل يقول الانبياء فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القربى عند الله ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي ان يشك في ان المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر فاما اذا قصد الاجر والحمد جميعا في صدقته وصلوته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل ما نقلناه في الآثار من قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت ان لا اجر فيه اصلا

بيان درجات الرياء اعلم ان بعض ابواب الرياء اشد واغلظ من بعض واختلافه باختلاف اركانه وتفاوت الدرجات فيه واركانه ثلاثة المرايا به والمرايا لاجله ونفس قصد الرياء **الركن الاول** نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو اما ان يكون مجردا دون ارادة الله والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان يكون ارادة الثواب اقوى واغلب او اضعف او متساويا لارادة العباد فتكون الدرجات اربعة الدرجة الاولى وهي اغلظها ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذي يصلي بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده الى الرياء فهو الممقوت عند الله وكذلك من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلي بنفسه لما اداها فهذه هي الدرجة العليا من الرياء الثانية ان يكون له قصد الثواب

ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان قصد الرياء يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح فنرجو ان يسلم راسا براس لا له ولا عليه فيكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الاخبار دالة على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص الرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما اقدم فالذي نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكن ينقص منه او يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب واما قوله تعالى انا اغنى الاغنياء عن الشرك فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان او كان قصد الرياء ارجح **الركن الثاني** المرايا به وهو الطاعات وذلك ينقسم الى الرياء باصول العبادات والى الرياء باوصافها القسم الاول وهو الاغلظ الرياء بالاصول وهو على ثلاث درجات الدرجة الاولى الرياء باصل الايمان وهو اغلظ ابواب الرياء وصاحبه مخلد في النار وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الاسلام وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله اذا جاءك المنافقون الى قوله لكاذبون اي في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا الآيات وقال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل وقال تعالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا والآيات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتداء الاسلام ممن يدخل في ظاهر الاسلام ابتداء لغرض وذلك يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا الى قول الملاحدة او يعتقد طي بساط الاحكام ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين الملحدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء وحال هؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر الدرجة الثانية الرياء باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا ايضا عظيم عند الله ولكنه دون الاول بكثير ومثاله ان يكون مال الرجل في يد غيره فيامره باخراج الزكوة خوفا من ذمه والله يعلم انه لو كان في يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلوة وهو في جمع وعادته ترك الصلوة في الخلوة وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها او يصل رحمه ويبر والديه لا عن رغبة لكن خوفا من الناس او يغزو او يحج لذلك فهذا مراء معه اصل الايمان بالله يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لغيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند اطلاع الناس فيكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عذاب الله ورغبته في محمدتهم اشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه بالمقت وان كان غير منسل عن اصل الايمان من حيث الاعتقاد الدرجة الثالثة ان لا يرائي بالايمان ولا بالفرايض ولكن يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي لكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعله وذلك كحضور الجماعة في الصلوة وعيادة المريض واتباع الجنائز وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام

او يكون له من الثواب ما عليه من العقاب صح

انه ... الا ... الثواب ... انما يكون لقصد الرياء وقصد الثواب متساويين ... فكان كل واحد غالبا عن الاخر ... يعجز عن العمل فلا اجمعا انبعثت الرغبة صح

عرفة وعاشوراء ويوم الاثنين والخميس فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله تع منه انه لو خلا بنفسه لما زاد على اداء الفرايض فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذي قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق وكان ذم الخلق اعظم عنده من عقاب الله واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركها وكانه على الشطر من الاول وعقابه نصف عقابه فهذه هي الرياء باصول العبادات

القسم الثاني الرياء باوصاف العبادات لا باصولها وهي ايضا على ثلاث درجات

الدرجة الاولى ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي عزمه ان يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا رآه الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين وقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه اي انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فاذا اطلع آدمي عليه احسن الصلوة ومن جلس بين يدي انسان متربعا او متكيا فدخل غلامه فاستوى واحسن الجلسة كان ذلك تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلوة في الملا دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكوة من الدنانير الردية او من الحب الردي فاذا اطلع عليه غيره اخرج من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصايم يصون صومه عن الغيبة والرفث كمالا لعبادة الصوم فهذا ايضا من الرياء المحظور لان فيه تقديم المخلوق على الخالق ولكنه دون الرياء باصول الطاعات فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم من الغيبة فانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له هذه مكيدة للشيطان وتلبيس وليس كذلك فان ضررك من نقصان صلوتك وخدمتك لمولاك اعظم من ضررك من غيبة غيرك فلو كان باعثك الدين كانت شفقتك على نفسك اكثر وما انت في هذا الا كمن يهدي وصيفة الى ملك لينال منه ولاية يقلدها فيهديها اليه وهي عوراء قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي اذا كان الملك وحده فاذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا من مذمة غلامه وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك يكون مراقبته للملك اكبر نعم للمرائي فيه حالتان احديهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا والثانية ان يقول ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلوتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بذمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيات دفع مذمتهم ولا ارجو عليه ثوابا فهو خير من ان اترك تحسين الصلوة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه ادنى نظر والصحيح ان الواجب عليه ان يحسن ويخلص فان لم تحضره النية فينبغي ان يستمر على عادته في الخلوة فليس له ان يدفع الذم بالمراياة بطاعة الله فان ذلك استهزاء كما سبق

الدرجة الثانية ان يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة الى التكبيرة الاولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود على الجيد في الزكوة واعتاق الرقبة الغالية في الكفارة وكل ذلك مما لو خلي ونفسه لكان لا يقدم عليه

الدرجة الثالثة ان يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل ايضا كحضور الجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله منه انه لو خلي بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ومتى تحرم بالصلوة فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يرائي به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم

الركن الثالث المراءا لاجله فان للمرائي مقصودا لا محالة فانما يرائي لادراك مال او جاه او غرض من الاغراض لا محالة وله ايضا ثلاث درجات

الدرجة الاولى وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده التمكن من معصية كالذي يرائي بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضاء او الاوقاف او الوصايا او مال الايتام فياخذها ويجحدها او يسلم اليه تفرقة الزكوات او الصدقات ليستاثر بما يقدر عليه منها او يودع الودايع فياخذها ويجحدها او يسلم اليه الاموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها او كلها او يتوصل به الى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والذكر وانما قصده التحبب الى امراة او غلام لاجل الفجور وقد يحضرون مجالس العلم والتذكر وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان او يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امراة او غلام وهؤلاء ابغض المرائين الى الله تع لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوا آلة ومتجرا او بضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هؤلاء وان كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى الفجور بامراة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع واظهار التقوى

الدرجة الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امراة جميلة او شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير ليبذل له الاموال وترغب في نكاحه النساء فيقصد اما امراة بعينها لتنكحها او امراة شريفة على الجملة وكالذي يرغب في ان يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح في نفسه

الدرجة الثالثة ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح ولكن يظهر عبادته خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار وكذلك يسبق الى الضحك او يبدو منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن ويقول ما اعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف ان ينظر اليه لا بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح او يتهجدون او يصومون في الاثنين والخميس او يتصدقون فيوافقهم خيفة ان ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلي بنفسه لكان لا يفعل شيئا منه وكالذي يعطش في يوم عرفة او عاشوراء او في الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس انه غير صايم فاذا ظنوا به الصوم امتنع عن الاكل لاجله او يدعى الى طعام فيمتنع

ليظن انه صائم وقد لا يصرح بانه صائم ولكن يقول لي عذر وقد جمع بين خبيثين فانه يرى انه صائم ثم يرى انه مخلص ليس بمراء وانه يحترز من ان يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد ان يقال انه ساتر لعبادته ثم ان اضطر الى شرب لم يصبر عن ان يذكر لنفسه عذرا تصريحا او تعريضا بان يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا لشربه كيلا يظن انه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضا مثل ان يقول ان فلانا محب للاخوان شديد الرغبة في ان ياكل الانسان من طعامه وقد الح علي اليوم ولم اجد بدا من تطييب قلبه ومثل ان يقول ان امي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن اني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني ان اصوم فهذا وما يجري مجراه علامات الرياء فلا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الرياء في الباطن اما المخلص فلا يبالي كيف ينظر الخلق اليه فان لم تكن له رغبة في الصوم فقد قنع بعلم الله ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره درجات الرياء ومراتب اصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه وهي من اشد المهلكات وان من شدته ان فيه شوائب هي اخفى من دبيب النملة كما ورد به الخبر يزل فيه فحول العلماء فضلا من العباد الجهلة بآفات النفوس وغوائل القلوب

بيان الرياء الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل

اعلم ان الرياء جلي وخفي فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا ما لا يحمل على العمل بمجرده الا انه يخفف العمل الذي اريد به وجه الله كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا نزل عليه الضيفان نشط له وخف عليه وعلم انه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان واخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل لا بالتسهيل والتخفيف ايضا ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب ومهما لم يؤثر في الدعاء الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات واجلى علاماته ان يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتم العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يترشح السرور ولولا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الرياء مستكنا في القلب استكنان النار في الحجر فاظهر منه اطلاع الخلق اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمائل كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد واخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا راى الناس احب ان يبدؤوه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه وان ينشطوا في قضاء حوائجه وان يسامحوه في البيع والشراء وان يوسعوا له المكان فان قصر فيه مقصر ثقل على قلبه ووجد لذلك استبعادا في نفسه كان نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي اخفاها مع انه لم يطلع عليه ولو لم يكن قد سبقت منه الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة

كعدمها

كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خاليا عن شوب خفي من الرياء اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولا يسلم منه الا الصديقون وقد روي عن علي رضي الله عنه انه قال ان الله عز وجل يقول للقراء يوم القيمة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبتدؤون بالسلام الم يكن يقضى لكم الحوائج وفي الحديث الآخر لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وقال عبد الله بن المبارك روي عن وهب انه قال ان رجلا من السياح قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان يكون قد دخل علينا في امرنا هذا من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان سال حاجة احب ان يقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلا بالناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك قد اظلك فقال للغلام ائتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقه وياكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف انت قال كالناس وفي حديث آخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وانت لي ذام فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس اذ علموا ان الله لا يقبل في القيمة الا الخالص وعلموا اشد حاجتهم وفاقتهم في القيمة وانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزي والد عن ولده ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله اذا توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع انفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم بان ارباب البوادي لا يروج عندهم الزيف والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا الخالص من النقد فهكذا يشاهد ارباب القلوب يوم القيمة والزاد الذي يتزودونه من التقوى فاذن شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما ادرك من نفسه تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء فانه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضره البهائم والصبيان الرضع او غابوا اطلعوا على حركته او لم يطلعوا فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلاء لا يقدرون له على رزق واجل وزيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي ولكن ليس كل شوب محبطا للاجر ومفسدا للعمل بل فيه تفصيل **فان قلت** فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا عرفت طاعته فالسرور مذموم كله او بعضه محمود دون بعض **فنقول** اولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم الى محمود والى مذموم فاما المحمود فاربعة **الاول** ان يكون قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم واظهر الجميل من احواله فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره له والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة ولا لطف اعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فكانه ظهر له انه عند الله مقبول ففرح به **الثاني** ان يستدل باظهار الجميل وستر القبيح عليه في الدنيا انه كذلك يفعل في الآخرة اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ستر الله

على عبده في الدنيا ذنبا الا ستر عليه في الآخرة فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل
وهذا التفات الى المستقبل الثالث ان نظر رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف
بذلك اجره فيكون له اجر العلانية بما اظهره آخرا واجر السر بما قصده اولا ومن اقتدى به في طاعة فله اجر
اعمال المقتدين من غير ان ينقص من اجورهم شيء وتوقع ذلك جدير بان يكون سبب السرور فان
ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة الرابع ان يحمده المطلعون على طاعته فيفرح
بطاعتهم لله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة اذ من اهل الايمان من يرى اهل الطاعة
فيمقته ويحسده او يذمه ويهزأ به او ينسبه الى الرياء ولا يحمده عليه فهذا فرح بحسن ايمان عباد الله
وعلامة الاخلاص في هذا النوع ان يكون فرحه بحمده واما المذموم فهو الخامس وهو ان يكون
فرحه لقيام منزلته عند الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالاكرام
في مصادره وموارده فهذا مكروه

بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط

فنقول اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص وورد وارد الرياء فلا يخلو اما ان ورد عليه بعد فراغه
من العمل او قبل الفراغ فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار فهذا لا يحبط العمل اذ العمل
قد تم على نعت الاخلاص سالما عن الرياء فما يطرأ بعده فنرجو ان لا ينعطف عليه اثره لا سيما اذا
لم يتكلف اظهاره والتحدث به ولم يتمن ذكره واظهاره ولكن اتفق ظهوره باظهار الله ولم يكن منه الا
ما دخل من السرور والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده
رغبة في الاظهار فتحدث به واظهره فهذا مخوف وفي الآثار والاخبار ما يدل على انه يحبط فقد روي
عن ابن مسعود انه سمع رجلا يقول قرأت البارحة البقرة قال ذلك حظه منها وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله ما صمت ولا افطرت فقال بعضهم
قال ذلك لانه اظهره وقيل هو اشارة الى كراهة صوم الدهر وكيف ما كان فيحتمل ان يكون ذلك من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده
لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الاقيس ان
يقال انه يثاب على عمله الذي مضى ويعاقب على مراآته بطاعة الله بعد الفراغ منه بخلاف ما لو تغير
عقده الى الرياء قبل الفراغ من الصلوة فان ذلك قد يبطل الصلوة ويحبط العمل اما اذا ورد وارد
الرياء قبل الفراغ من الصلوة مثلا وكان قد عقد على الاخلاص ولكن ورد في اثنائها وارد الرياء فلا يخلو
اما ان يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل واما ان يكون رياء باعثا على العمل فان كان باعثا على العمل وختم
العمل به حبط اجره ومثاله ان يكون في تطوع فتجددت نظارة او حضر ملك من الملوك وهو يشتهي ان
ينظر اليه او يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد ان يطلبه ولولا الناس لقطع الصلوة فاستتمها خوفا من
مذمة الناس فقد حبط اجره وعليه الاعادة ان كان في فريضة وقد قال صلى الله عليه وسلم العمل كالوعاء
اذا طاب آخره طاب اوله اي النظر الى خاتمته وروي من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله و
هو منزل على الصلوة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فان كل جزء منه مفرد فما يطرأ يفسد
الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلوة فاما اذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من

الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة في اثناء صلوته ففرح بحضورهم وانعقد الرياء وقصد
تحسين الصلوة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر في العمل و
انتهض باعثا على الحركات فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة وصار قصد العبادة
مغمورا فهذا ينبغي ان يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفي بالنية
السابقة عند الاحرام بشرط ان لا يطرأ ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا يفسد العبادة
نظرا الى حالة العقد والى بقاء اصل الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه ولقد
ذهب الحارث المحاسبي الى الاحباط في امر هو اهون منه وقال اذا لم يرد الا مجرد السرور
باطلاع الناس يعني سرورا هو حب المنزلة قال قد اختلف الناس في هذا فصارت فرقة
الى انه يحبط لانه قد نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم
العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط ان لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت اقف
فيه لاختلاف الناس فالاغلب على قلبي انه يحبط اذا ختم عليه بالرياء ثم قال فان قيل قد قال
الحسن رحمه الله انما هو سورتان فاذا كانت الاولى لله لم تضره الثانية وقد روي ان رجلا قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اسر العمل لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني فقال
لك اجران اجر السر واجر العلانية ثم تكلم على الاثر والخبر فقال اما الحسن اراد بقوله لا تضره
اي لا يدع العمل ولا تضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا اعتقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم تضره
واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة اوجه احدها انه يحتمل انه اراد
ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه قبل الفراغ والثاني انه اراد ان يسر به لاقتداء الناس
به او لسرور آخر محمود مما ذكرناه من قبل لا سرورا بسبب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به اجرا
ولا ذاهب من الامة الى ان للسرور بالمحمدة اجرا وغايته ان يعفى عنه فكيف يكون للمخلص اجر
وللمرائي اجران والثالث انه قال اكثر من يروي هذا الحديث يرويه غير متصل الى ابي هريرة
بل اكثرهم يوقفه على ابي صالح ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء
اولى هذا ما ذكره ولم يقطع بل اظهر ميلا الى الاحباط والاقيس عندنا ان هذا القدر
اذا لم يظهر اثره في العمل بل بقي العمل صادرا من باعث الدين وانما انضاف اليه سرور بالاطلاع
فلا يفسد العمل لانه لم ينعدم به اصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الاتمام
واما الاخبار التي وردت في الرياء فهي محمولة على ما اذا لم يرد به الا الخلق واما ما ورد في
الشركة فهو محمول على ما اذا كان قصد الرياء مساويا لقصد الثواب او اغلب منه فاما اذا كان
ضعيفا بالاضافة اليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وساير الاعمال ولا ينبغي ان يفسد الصلوة
ولا يبعد ايضا ان يقال ان الذي اوجب عليه صلوة خالصة لوجه الله والخالص ما لا يشوبه شيء
فلا يكون مؤديا للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه وقد ذكرنا في كتاب الاخلاص
كلاما اوفى مما اوردناه الآن فليرجع اليه فهذا حكم الرياء الطارئ بعد عقد العبادة قبل
الفراغ او بعد الفراغ القسم الثالث الذي يقارن حال العقد بان يبتدي الصلوة على

قصد الرياء فان تم عليه حتى سلم فلا خلاف في انه يعصي ولا يعتد بصلوته وان ندم عليه في اثناء ذلك
واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة اوجه قالت فرقة لم تنعقد صلوته مع قصد الرياء
فليستانف وقالت فرقة تلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود وتجزيه بفساد الافعال دون
تحريمة الصلوة لان التحريم عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا
يلزم اعادة شيء بل يستغفر الله تع بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما
لو ابتدا بالاخلاص وختم بالرياء لكان يفسد عمله وشبهوا ذلك بثوب ابيض لطخ بنجاسة عارضة
فاذا ازيل العارض عاد الى الاصل فقالوا ان الصلوة والركوع والسجود لا تكون الا لله ولو سجد لغير الله
لكان كافرا ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس
وذمهم فتصح صلوته ومذهب الفريقين الاخيرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال
يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود ان لم يصح صارت افعالا زائدة
في الصلوة فتبطل الصلوة وكذلك قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو ايضا ضعيف
لان الرياء يقدح في النية واولى الاوقات بمراعاة احكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم
على قياس الفقه هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد
افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلى بنفسه لم يصل ولما راى الناس تحرم بالصلوة وكان بحيث
لو كان ثوبه نجسا ايضا كان يصلي لاجل الناس فهذه صلوة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث
الدين وههنا لا باعث ولا اجابة فاما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهر له
الرغبة في المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان فهذا اما ان يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل و
تحريم او في عقد صلوة وحج فان كان في صدقة فقد عصى باجابة باعث الرياء واطاع باجابة باعث
الثواب فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصده الصحيح
وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الآخر وان كان في صلوة تقبل الفساد بتطرق
خلل الى النية فلا يخلو اما ان يكون نفلا او فرضا فان كان نفلا فحكمه ايضا حكم الصدقة فقد عصى
من وجه واطاع من وجه اذا اجتمع في قلبه الباعثان فلا يمكن ان يقال صلوته فاسدة والاقتداء به
باطل حتى ان من يصلي التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا
اجتماع الناس خلفه وخلى في البيت وحده لما صلى لم يصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر
فان المصير الى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب ايضا بتطوعه فيصح باعتبار ذلك القصد
صلوته ويصح الاقتداء به وان اقترن به قصد آخر هو به عاص فاما اذا كان في فرض واجتمع الباعثان
وكان كل واحد لا يستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب
لم ينتهض باعثا في حقه بمجرده واستقلاله وان كان كل باعث مستقلا حتى لو لم يكن باعث الرياء لادى الفرض
ولو لم يكن باعث الفرض لانشا صلوة تطوعا لاجل الرياء فهذا في محل النظر وهو محتمل جدا فيحتمل
ان يقال ان الواجب صلوة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل ان يقال الواجب
امتثال الامر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو

صلى في دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلوة في الدار المغصوبة فانه مطيع في اصل الصلوة
ومسقط للفرض عن نفسه ويعارض الاحتمال في تعارض البواعث في اصل الصلوة اما اذا كان الرياء
في المبادرة مثلا دون اصل الصلوة مثل من بادر الى الصلوة في اول الوقت لحضور جماعة ولو خلى لاخر
الى وسط الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدي صلوة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلوته وسقوط
الفرض به لان باعث اصل الصلوة من حيث انها صلوة لم يعارضها غيره بل من حيث تعيين الوقت
فهذا ابعد عن القدح في النية هذا في رياء يكون باعثا على العمل وحاملا عليه فاما مجرد السرور باطلاع
الناس فاطلاع الناس اذا لم يبالغ اثره الى حيث يوثر في العمل فبعيد ان يفسد الصلوة فهذا
ما نراه لائقا بقانون الفقه والمسئلة غامضة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه والذين
خاضوا فيه وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء من حيث صحة الصلوة و
فسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر
وما ذكرناه هو الاقصد فيما نراه والعلم عند الله **بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه**
لقد عرفت بما سبق ان الرياء محبط للاعمال وسبب للمقت عند الله وانه من كبائر المهلكات وما
هذا وصفه فجدير بالتشمر عن ساق الجد في ازالته ولو بالمجاهدة وعمل المشاق فلا شفاء الا في شرب
الادوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر اليها العباد كلهم اذ الصبي يخلق ضعيف العقل
والتمييز ممتد العين الى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب
التصنع بالضرورة ويترسخ ذلك في نفسه وانما يشعرون بكونه مهلكا بعد كمال عقله وقد انغرس
الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات فلا ينفك
احد عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق اولا وتخف آخرا وفي علاجه مقامان احدهما قطع
عروقه واصوله التي منها انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال **المقام الاول** في قطع عروقه
واستيصال اصوله واصله حب المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى ثلاثة اصول وهو حب لذة
الحمد والفرار من الم الذم والطمع لما في ايدي الناس ويشهد للرياء بهذه الاسباب وانها
الباعثة للمرائي ما روى ابو موسى ان اعرابيا سال النبي عليه السلام فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية
ومعناه انه يانف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب قال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا
هو طلب لذة الجاه والقدر في القلب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه
وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان
نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك اشارة
الى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من الم الذم كالبخيل بين الاسخياء وهم يتصدقون
بالمال فانه يتصدق بالقليل كيلا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره وكالجبان بين
الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال ولكن اذا
ايس من الحمد كره الذم وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة كيلا يذم بالكسل
وهو لا يطمع في السوال عن علم ما هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي بغير علم ويدعي العلم

في العقل

بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرًا من الذم فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك المرائي إلى الرياء وعلاجه
ما ذكرناه في الشطر الأول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يخفى أن الانسان
إنما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ ولكن إذا بان له أن فيه سمًّا أعرض عنه فلذلك
طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيها من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه
وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت
الشديد والخزي الظاهر حيث ينادي على رؤوس العباد يا فاجر يا غادر يا مرائي أما استحييت
إذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا وراقبت قلوب العباد واستهزأت بنظر الله وتحببت إلى
العباد بالتبغض إلى الله وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت إليهم بالبعد من الله وتحمدت إليهم
بالتذمم عند الله وطلبت رضاهم بسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله فمهما تفكر العبد
في هذا الخزي وقابل ما يحصل من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته من الأجر وبما يحبط عليه من ثواب
الأعمال مع أن العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته إن خلص فإذا أفسد بالرياء حُوّل إلى كفة
السيئات وترجح به ويهوي إلى النار فلو لم يكن في الرياء إلا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيًا
في معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله
في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورُدّ إلى صف النعال من مراتب الأولياء
هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق وإن رضى الناس غاية لا
تُدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضى بعضهم في سخط بعضهم ومن طلب رضاهم في سخط الله
سخط الله عليه وأسخطهم أيضًا عليه ثم أي غرض له في مدحهم وإيثار ذم الله لأجل حمدهم ولا يزيده
مدحهم رزقًا ولا أجلًا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة وأما الطمع لما في أيديهم فبأن
يعلم أن الله هو المسخر للقلوب بالمنع والإعطاء وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله ومن
طمع في الخلق لم يخل عن الذل والخيبة وإن وصل إلى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله
برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطئ وإذا أصاب فلا تفي لذته بألم منته ومذلته
وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئًا ما لم يكتبه الله عز وجل عليه ولا يعجل أجله ولا يؤخر
رزقه ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنة ولا يبغضه إلى الله إن كان محمودًا عند الله ولا
يزيده مقتًا إن كان ممقوتًا عند الله فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا ولا يملكون
موتًا ولا حياة ولا نشورًا فإذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها فترت رغبته وأقبل على الله
قلبه فإن العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد
الرياء وإظهار الإخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه إلى الناس ويعرفهم أنه مراء
ممقوت عند الله ولو أخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحببه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم
بحمده والثناء عليه مع أنه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر بني تميم إن مدحي زين وإن
ذمي شين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ذاك الله الذي لا إله إلا هو إذ لا زين إلا في مدحه
ولا شين إلا في ذمه فأي خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار وأي شر

لك

لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة المقربين فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل
الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات واجتمع همه
وانصرف إلى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق وانعطف من إخلاصه أنوار على
قلبه ينشرح بها صدره وينفتح له من لطائف المكاشفات ما يزيد به أنسه بالله ووحشته للخلق و
استحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له
منهج الإخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الأول هي الأدوية العلمية القالعة مغارس الرياء **وأما**
العملي فهو أن يعوّد نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما يغلق الأبواب دون الفواحش
حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به وقد روي أن بعض
أصحاب أبي حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال أبو حفص أظهرت ما كان سبيلك أن
تخفيه لا تجالسنا بعد هذا فلم يرخص في إظهار هذا القدر لأن في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد
فيها فلا دواء للرياء مثل الإخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة وإذا صبر عليه مدة بالتكلف
سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل ألطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد
ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية ومن العبد قرع
الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع أجر المحسنين وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا
المقام الثاني في دفع العارض في أثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه أيضًا فإن من جاهد نفسه
وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع وإسقاط نفسه من أعين المخلوقين واستحقار مدح
المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في أثناء العبادة بل يعارضه بخطرات الرياء ولا تنقطع
عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية فلا بد وأن يتشمر لدفع ما يعرض من خواطر الرياء
وخواطر الرياء ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج فالأول العلم
باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم
يتلوه قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه فالأول معرفة والثاني حالة تسمى الشهوة
والرغبة والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وإنما كمال القوة في دفع الخاطر الأول ورده
قبل أن يتلوه الثاني فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قال
ما لك وللخلق علموا أو لم يعلموا والله عالم بحالك فأي فائدة في علم غيره فإن هاجت الرغبة إلى لذة
الحمد تذكر ما رسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله في القيامة وخيبته في
أحوج أوقاته إلى أعماله فكما أن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفات الرياء
تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة إذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الأليم والشهوة تدعوه
إلى القبول والكراهة تدعو إلى الإباء والنفس تطاوع لا محالة أقواهما وأغلبهما فإذن لا بد في
رد الرياء من ثلاثة أمور المعرفة والكراهة والإباء وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الإخلاص
ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التي كان الضمير منطويًا عليها وإنما سبب
ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب المدح واستيلاء الحرص بحيث لا يبقى في القلب متسع

لغيره فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وشؤم عاقبته اذ لم يبق موضع في القلب خال
عن شهوة الحمد وخوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على الحلم عند
جريان سبب الغضب ثم يجري من الاسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابق عزمه ويملأ قلبه غيظا يمنع
من تذكر آفة الغضب ويشغل عنه فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتمنع نور المعرفة مثل مرارة
الغضب واليه اشار جابر بقوله بايعنا رسول الله صلعم تحت الشجرة على ان لا نفر ولم نبايعه على
الموت فانسيناها يوم حنين حتى نودي يا اصحاب السمرة فرجعوا وذلك لان القلوب امتلأت
بالخوف فنسيت العهد السابق حتى تذكروا واكثر الشهوات التي تهجم فجأة هكذا يكون اذ تنسى
معرفة مضرة الداخلة في عقد الايمان ومهما نسي المعرفة لم يظهر الكراهة لان الكراهة ثمرة المعرفة
وقد يتذكر فيعلم ان الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يعرضه لسخط الله ولكنه يستمر عليه لشدة شهوته
فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة او يتشاغل عن الفكر في لذة لشدة
شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيسوف بالتوبة او يتشاغل الشهوة فكم
من عالم يحضره كلام لا يدعوه الى ذكره الا رياء الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون الحجة
عليه آكد اذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموما عند الله ولا ينفعه معرفته اذا
خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل
به لكون الكراهة ضعيفة بالاضافة الى قوة الشهوة وهذا ايضا لا ينتفع بكراهته اذ الغرض من الكراهة
ان يصرف عن الفعل فاذن لا فائدة الا في اجتماع الثلاث وهو المعرفة والكراهة والاباء فالاباء ثمرة
الكراهة والكراهة ثمرة المعرفة وقوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور العلم وضعف المعرفة بحسب
الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التأمل في آفات الحيوة الدنيا
وعظم نعيم الآخرة وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات
فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب لان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هو الذي يغصب
القلب ويسلبه ويحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة
وانوار العلوم **فان قلت** فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الاباء ولكنه
مع ذلك غير خال عن ميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته اياه الا انه كاره لحبه وميله وغير
مجيب اليه فهل يكون في زمرة المرائين **فاعلم** ان الله لم يكلف العبد الا ما يطيق وليس في طاقة
العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينازع اليها وانما
غايته ان يقابل شهوتها بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين واصول الايمان
بالله واليوم الآخر فاذا فعل ذلك فهو الغاية في اداء ما كلف ويدل على ذلك من الاخبار ما روي
ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا اليه وقالوا تعرض لقلوبنا اشياء لان نخر من
السماء فتخطفنا الطير او تهوي بنا الريح في مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم به قال او قد وجدتموه
قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس والكراهة ولا يمكن ان يقال اراد
بصريح الايمان الوسوسة فلم يبق الا حمله على الكراهة المساوية للوسوسة والرياء وان كان عظيما

فهو دون الوسوسة في حق الله تع فاذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبان يندفع ضرر الاصغر اولى وكذلك
يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس انه قال الحمد لله الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة
وقال ابو حازم ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك وما كان من
نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذن وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك
مهما رددت مرادهما بالاباء والكراهة والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للاسباب
المهيجة للرياء هي من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الايمان
ومن آثار العقل الا ان للشيطان ههنا مكيدة وهو انه اذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل اليه
ان صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه به ثواب
الاخلاص وحضور القلب لان الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع
الله فيوجب ذلك نقصانا في منزلته عند الله والمتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على اربع مراتب
الاولى ان يرد على الشيطان مكيدته ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه
ان ذلك اسلم لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي بصدده
وانصرف الى قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك الثانية ان يعرف ان القتال والجدال نقصان
في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته الثالثة ان لا يشتغل بتكذيبه ايضا
لان ذلك وقفة وان قلت بل يكون قد تقرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على
ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة الرابعة ان يكون قد علم ان الشيطان
يستحثه عند حركان اسباب الرياء فيكون قد عزم على انه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص
والاشتغال بالله واخفاء الصدقة والعبادة غيظا للشيطان وذلك هو الذي يغيظ الشيطان
ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع يروى عن الفضيل بن غزوان انه قيل له ان فلانا ذكرك فقال
والله لاغيظن من امره فقيل من امره قال الشيطان اللهم اغفر له اي لاغيظن به بان اطيع الله فيه ومهما
عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من ان يزيد في حسناته وقال ابرهيم التيمي ان
الشيطان ليدعو العبد الى الباب من الاثم فلا يطيعه ويحدث عند ذلك خيرا فاذا رآه كذلك تركه وقال
ايضا اذا رآك الشيطان مترددا طمع فيك واذا رآك مداوما ملك وقلاك وضرب الحارث المحاسبي
رحمه الله لهذه الاربعة احسن فيه فقال مثالهم كاربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث لينالوا منه
فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال ومبتدع وخاف ان يعرفوا الحق فتقدم الى واحد
لمنعه وصرفه عنه ودعوته الى مجلس ضلال فابى فلما عرف اباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد
ضلاله وهو يظن ان ذلك مصلحة وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تاخره فلما مر الثاني عليه
نهاه واستوقفه فوقف فدفع في نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح منه الضال بقدر
توقفه للدفع عنه ومر به الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان
فخاب عنه رجاؤه بالكلية ثم مر الرابع فلم يتوقف له واراد ان يغيظه فزاد في عجلته وترك التأني في المشي
فيوشك ان عادوا ومروا عليه مرة اخرى ان يعاودوا الجميع الا هذا الاخير فانه لا يعود خيفة من ان يزداد

فاية باستيلائه **فان قلت** فالشيطان اذا كان لا يومن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظارا لوروده ام يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له او يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه **قلت** اختلف الناس فيه على ثلاثة اوجه فذهبت فرقة من اهل البصرة الى ان الاقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لانهم انقطعوا الى الله واشتغلوا بحبه واعتزلهم الشيطان وايس منهم وخنس عنهم كما ايس من ضعفاء العباد في الدعوة الى الخمر والزنا فصار ملاذ الدنيا عندهم وان كان مباحا كالخمر والخنزير واذا خلوا من حبها بالكلية لم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة بهم الى الحذر وذهبت فرقة من اهل الشام الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قلت يقينه ونقص توكله فمن ايقن بان لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم ان الشيطان ذليل مخلوق ليس اليه امر ولا يكون الا ما اراد الله فهو الضار النافع والعارف يستحيي منه ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من ان الاقوياء استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية وهي وسيلة الشيطان فكاد يكون غرورا اذ الانبياء لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا بل في صفات الله واسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغيره ولا ينجو احد من الخطر فيه ولذلك قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته وقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي مع ان شيطانه قد اسلم ولا يامر الا بخير فمن ظن ان اشتغاله بحب الله اكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء فهو مغرور ولم يومنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحواء في الجنة التي هي دار الامن والسرور بعد ان قال الله لهما ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى الى قوله ولا تضحى ومع انه لم ينه الا عن شجرة مفردة واحدة واطلق له وراء ذلك ما اراد فاذا لم يامن نبي من الانبياء وهو في الجنة دار الامن والسعادة من كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره ان يامن في دار الدنيا وهي منبع الفتن ومعدن الملاذ والشهوات المنهي عنها وقال موسى صلى الله عليه وسلم فيما اخبر الله تعالى عنه هذا من عمل الشيطان ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة وقال تعالى الم اعهد اليكم الى قوله لا ترتوم والقرآن من اوله الى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدعي الامن منه واخذ الحذر حيث امر الله تعالى به لا ينافي الاشتغال بحب الله فان من الحب له امتثال اوامره وقد امر بالحذر من العدو كما امر بالحذر من الكفار فقال وليأخذوا اسلحتهم وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل واذا لزمك بامر الله الحذر من العدو الكافر وانت تراه فبان يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه اولى ولذلك قال ابن محيريز صيد تراه ولا يراك يوشك ان تظفر به وصيد يراك ولا تراه يوشك ان يظفر بك واشار الى الشيطان كيف وليس في الغفلة من عداوة الكافر الا القتل وهو شهادة وفي اهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم ان ذلك قادح في التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله به والحذر

مما امر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من ظن ان معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل لا يناقض امتثاله التوكل مهما اعتقد القلب ان الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد ان المضل والهادي هو الله ويرى الاسباب وسائط مسخرة كما ذكرناه في التوكل وهذا ما اختاره المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه ان يكون من كلام العباد الذين لا يغزر علمهم ويظنون ان ما يهجم عليهم من الاحوال في بعض الاوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاثة اوجه في كيفية الحذر فقال قوم اذا حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغي ان يكون شيء اغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك ان يهلكنا وقال قوم ان ذلك يؤدي الى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل نشتغل بالعبادة وبذكر الله ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر فنجمع بين الامرين فانا ان نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسبه وان تجردنا للذكر كنا قد اهملنا ذكر الله فالجمع اولى وقال العلماء المحققون غلط الفريقان اما الاول فقد تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر الله فلا يخفى غلطه وانما امرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب الاشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدو ثم يؤدي ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله فاذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نور ذكر الله وقوة الاشتغال به فيوشك ان يظفر به ولا يقوى على دفعه فلم نؤمر بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره واما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله وقد امر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقدر على نفسه عداوته فاذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله امر الشيطان فانه اذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان بل الرجل ينام وهو خائف على ان يفوته مهم عند طلوع الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على ان ينتبه في ذلك الوقت فينتبه في الليل مرات قبل اوانه لما يسكن في قلبه من الحذر مع انه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدو واذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله قد امات منه الهوى واحيى فيه نور العقل والعلم واماط عنه ظلمة الشهوات فاهل البصيرة اشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده والزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاءوا بنور الذكر حتى ابصروا خواطر العدو فمثال القلب مثال بئر اريد تطهيرها من الماء القذر لينفجر منه الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله فقد نزح الماء القذر من جانب ولكن تركه جاريا اليها من جانب آخر فيطول تعبه ولا يجف البئر عن الماء القذر والبصير هو الذي جعل المجرى الماء القذر سدا وملاه بالصافي فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد

من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب **بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات** اعلم ان في اسرار
الاعمال فائدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فائدة الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه
آفة الرياء قال الحسن قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في الاظهار ايضا فائدة ولذلك
اثنى الله تع على السر والعلانية فقال ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو
خير لكم والاظهار قسمان احدهما في نفس العمل والآخر بالتحدث بما عمل **القسم الاول** اظهار
نفس العمل كالصدقة في الملا لترغيب الناس فيها كما روي عن الانصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس
بالعطية لما رأوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة فعمل بها كان له اجرها واجر من اتبعه وتجري
بساير الاعمال هذا المجرى من الصلوة والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء في الصدقة على الطباع اغلب نعم
الغازي اذا هم بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريكا لهم على الحركة فذلك افضل له لان الغزو في اصله
من اعمال العلانية لا يمكن اسراره والمبادرة اليه ليس من الاعلان بل هو تحريض مجرد ولذلك الرجل قد يرفع صوته
في صلوة الليل لينبه به جيرانه واهله ليقتدى به فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل
المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون فيه شوائب الرياء واما ما يمكن اسراره كالصدقة و
الصلوة فان كان اظهار الصدقة يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر افضل لان الايذاء
حرام وان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية وان كانت
في العلانية قدوة وقال قوم السر افضل من علانية لا قدوة فيها اما العلانية للقدوة فافضل من السر
ويدل على ذلك ان الله امر انبياءه باظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان يظن بهم
انهم حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله اجرها واجر من عمل بها وقد روي في بعض الحديث ان عمل السر
افضل يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن بعامله على عمل السر
سبعين ضعفا وهذا لا وجه له للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء وتم الاخلاص على
وجه واحد في الحالين فما يقتدى به افضل لا محالة وانما يخاف من ظهور الرياء ومهما حصل شائبة الرياء
لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به فلا خلاف في ان السر افضل منه ولكن على من يظهر العمل وظيفتان
احديهما ان يظهره حيث يعلم انه يقتدى به جيرانه دون اهل السوق وربما يقتدي به اهل محلته وانما
العالم المعروف هو الذي يقتدي به الناس كافة فغير العالم اذا اظهر بعض الطاعات ربما نسب الى الرياء
والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة فانما يصح الاظهار بنية القدوة ممن هو في محل
القدوة على من هو في محل الاقتداء به والثانية ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه
الى الاظهار بعذر الاقتداء وانما شهوته التجمل في العمل وبكونه مقتدى به وهذا حال كل من يظهر اعماله الا
الاقوياء المخلصون وقليل ما هم فلا ينبغي ان يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر فان الضعيف
مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فاقبل عليهم حتى
تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالماء في الدنيا الم ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله لا بل عذابه
دائم مدة مديدة وهذه مزلة قوم العباد والعلماء فانهم يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا تقوى قلوبهم على
الاخلاص فيحبط اجورهم بالرياء والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان يعرض على نفسه انه لو قيل له

اخ

أخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من اقرانك ويكون لك في السر مثل اجر الاعلان فان مال
قلبه الى ان يكون هو المقتدى وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الاجر واقتداء الناس ورغبتهم
في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار
لولا ملاحظة لاعين الخلق ومراءاتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوعة والشيطان مترصد
وحب الجاه على القلب غالب وقلما يسلم الاعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي ان يعدل بالسلامة
شيئا والسلامة في الاخفاء وفي الاظهار من الاخطار ما لا يقوى عليها امثالنا فالحذر من الاظهار
اولى بنا وبجميع الضعفاء **القسم الثاني** ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه
والخطر في هذا اشد لان مؤنة النطق خفيفة على اللسان وقد يجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس
لذة في اظهار الدعاوي العظيمة الا انه لو تطرق اليه الرياء لم يؤثر في افساد العبادة الماضية بعد الفراغ
منها فهو من هذا الوجه اهون والحكم فيه ان من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه و
استوى عنده مدحهم وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل
مندوب اليه ان صفت النية وسلمت عن جميع الآفات لانه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير
وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الاقوياء قال سعد بن معاذ ما صليت صلوة منذ اسلمت
فحدثت نفسي بغيرها حتى افرغ منها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها ولا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولا قط الا
علمت انه حق وقال عمر ما ابالي اصبحت على يسر او على عسر لاني لا ادري ايهما خير لي وقال ابن
مسعود ما اصبحت على حال فتمنيت ان اكون على غيرها وقال عثمان ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست
ذكري بيميني منذ بايعت النبي صلى الله عليه وسلم وقال شداد بن اوس ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت حتى ازمها
واخطمها غير هذه وكان قد قال لغلامه ائتنا بالسفرة لنعبث بها حتى ندرك الغداء فقال ابو سفيان لاهله
حين حضرته الوفاة لا تبكوا علي فاني ما احدثت ذنبا منذ اسلمت وقال عمر بن عبد العزيز ما قضى الله
في بقضاء قط فسرني ان يكون قضى لي بغيره وما اصبح لي هوى الا في مواقع قدر الله فهذا كله اظهار
لاحوال شريفة وفيها غاية المراءاة اذا صدرت ممن يرائي بها وهي غاية الترغيب اذا صدرت ممن
يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز للاقوياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي ان يسد باب الاظهار
والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل اظهار المرائي للعبادة اذا لم يعلم الناس انه رياء فيه خير كثير
للناس ولكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله تع وقد روي
انه كان يجتاز الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقرآن من البيوت فصنف
بعضهم كتابا في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه وكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف
فاظهار المرائي فيه خير كثير اذا لم يعرف رياؤه وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق
لهم كما ورد في الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم **بيان الرخصة في كتمان الذنوب**
وكراهة اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم لها اعلم ان الاخلاص استواء السريرة والعلانية كما
قال عمر رضي لرجل عليك بعمل العلانية قال يا امير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما اذا اطلع عليك لم
تستحي منه وقال ابو مسلم الخولاني ما عملت عملا ابالي اطلع الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغائط الا ان

كان قد

الاصل غيم

بذه درجة عظيمة لاينالها كل واحد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه او بجوارحه وهو يخفيها ويكره
اطلاع الناس عليها لاسيما ما تختلج به الخواطر في الشهوات والاماني والله مطلع على جميع ذلك فارادة
العبد لاخفائه عن العبيد ربما يظن انه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور ان يستر ذلك ليري الناس
انه ورع وانه خائف من الله مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي واما الصادق الذي
لايرائي فله ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه لاطلاع الناس عليه من سبعة اوجه
الاول هو ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف ان يهتك ستره
في القيمة اذ ورد في الخبر ان من ستر الله عليه في الدنيا ستر عليه في الاخرة وهذا غم ينشا من قوة
الايمان الثاني انه قد علم ان الله تع يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله عليه وسلم
من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وان عصى الله بالذنب لم يخل قلبه عن محبة
ما احبه الله فهذا ينشا من قوة الايمان بكراهة الله ظهور المعاصي واثر الصدق فيه ان يكره ظهور
الذنب من غيره ايضا ويغتم بسببه الثالث ان يكره ذم الناس له به من حيث ان ذلك يغمه
ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تع فان الطبع يتاذى بالذم وينازع العقل ويشغل عن الطاعة
وبهذه العلة ايضا ينبغي ان يكره الحمد الذي يشغله عن الله تع ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا ايضا
من قوة الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان الرابع ان يكون ستره ورغبته
فيه لكراهيته لذم الناس من حيث تاذي طبعه فان الذم مولم للقلب كما ان الضرب مولم للبدن
وتالم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصي اذا جزعت نفسه من ذم الناس
ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم لذم الخلق ولا يتالم به نعم
كمال الصدق في ان يزول عنه رؤية الخلق فيستوي ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله
وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا واكثر الطباع يتالم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان و
رب تالم بالذم محمود اذا كان الذام من اهل البصيرة في الدين فانهم شهداء الله وذمهم يدل على ذم الله
وعلى نقصانه في الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم ان يغتم لفوات الحمد بالورع فانه يحب ان يحمد
بالورع ولا يجوز ان يحب ان يحمد لطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غيره فان وجد في ذلك نفسه
وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد واما كراهته للذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر
حذرا من ذلك ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده ان يتركه الناس
حمدا وذما فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على الم الذم اذ الحمد يطلب للذة وعدم اللذة لا يولم واما الذم
فانه مولم فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال واما كراهة الذم على المعصية فلا
محذور فيه الا امر واحد وهو ان يشغله غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله تع فان ذلك غاية
النقصان في الدين بل ينبغي ان يكون غمه باطلاع الله وذمه اكثر وقد يكره الذم من حيث ان الذام قد
عصى الله به وهذا من الايمان وعلامته ان يكره ذمه لغيره فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف
التوجع من جهة الطبع الخامس ان يستتر كيلا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء الم الذم
فان الذم مولم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته وان كان ممن يومن شره وقد يخاف شر من

يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب وله ان يستر ذلك حذرا منه السادس مجرد الحياء
فانه نوع الم وراء الم الذم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث في اول الصبي مهما اشرق عليه نور
العقل ويستحيي من القبائح اذا شوهدت منه وهو وصف محمود قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحياء خير كله وقال الحياء شعبة من الايمان وقال الحياء لا ياتي الا بخير وقال
ان الله يحب الحيي الحليم والذي يفسق ولا يبالي ان يظهر فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك
والوقاحة وفقد الحياء فهو اشد حالا ممن يستتر ويستحيي الا ان الحياء ممزوج بالرياء ومشتبه
به اشتباها عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل مراء انه يستحيي وان سبب تحسينه العبادات
هو الحياء من الناس وذلك كذب بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقيبه داعية
الرياء وداعية الاخلاص ويتصور ان يخلص معه ويتصور ان يرائي معه وبيانه ان الرجل يطلب
من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه الا انه يستحيي من رده وعلم انه لو راسله على لسان غيره
لكان لا يستحيي ولا يقرض رياء ولا لطلب ثواب فله عند ذلك احوال احدها ان يشافهه بالرد
الصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له فان المستحيي اما ان يتعلل او يقرض
فان اعطى فيتصور له ثلاثة احوال احدها ان يمزج الرياء بالحياء فان تهيج الحياء فيقبح عنده
الرد فيهيج خاطر الرياء ويقول ينبغي ان تعطي حتى يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء
او تعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا اعطى فقد اعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان
الحياء الثاني ان يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الاعطاء فيهيج باعث الاخلاص
ويقول له ان الصدقة بواحدة والقرض بثمانية عشر وفيه اجر عظيم وادخال سرور على قلب صديق و
ذلك محمود عند الله فتسخو النفس بالاعطاء بذلك فهذا مخلص هيج الحياء اخلاصه الثالث
ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته لانه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه
فاعطاه بمحض الحياء وهو ما يجده في قلبه من الم الحياء ولولا الحياء لرده ولو جاءه من لا يستحيي
منه من الاجانب او الارذال لكان يرده وان كثر الحمد والثواب فيه فهذا مجرد الحياء ولا يكون
هذا الا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائي يستحيي من المباحات ايضا حتى انه يرى
مستعجلا في المشي فيعود الى الهدو او ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم ان ذلك حياء وهو
عين الرياء وقد قيل ان بعض الحياء ضعف وهو صحيح والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من
وعظ الناس وامامة الصلوة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود وقد تشاهد
معصية من شيخ فيستحيي من شيبته ان ينكر عليه لان من اجلال الله اجلال شيبة المسلم وهذا الحياء
حسن واحسن منه ان يستحيي من الله فلا يضيع الامر بالمعروف والقوي يوثر الحياء من الله على الحياء
من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه فهذه هي الاسباب التي يجوز لاجلها ستر القبائح والذنوب
السابع ان يخاف من ظهور ذنبه ان يستجري عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة
فقط هي الجارية في اظهار الطاعة وهي القدوة ويختص ذلك بالائمة او بمن يقتدى به وبهذه العلة
ينبغي ان يخفي العاصي ايضا معصيته من اهله وولده لانهم يتعلمون منه ففي الستر من هذه الاعذار السبعة

وليس في اظهار الطاعة عذر الا بترا العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية ان يخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما اذا قصد ذلك باظهار الطاعة **فان قلت** فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه فقد قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك **نقول** حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان تحب ذلك لتعرف به حب الله لك فانه اذا احب عبدا حببه في قلوب عباده والمذموم ان تحب حمدهم على حجك وغزوك وصلوتك وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجلا سوى ثواب الله والمباح ان تحب ان يحبوك بصفات محمودة سوى الطاعات المحدودة المعينة فحبك ذلك كحب المال لان ملك القلوب وسيلة الى الاغراض كملك الاموال فلا فرق بينهما

بيان ترك الطاعات خوفا من الرياء ودخول الآفات اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من ان يكون مرائيا به وذلك غلط وموافقة للشيطان بل الحق فيما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج والغزو فانها مقاساة ومجاهدات انما تصير لذيذة من حيث توصل به الى حمد الناس وحمد الناس لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وامامة الصلوة والتذكير والتدريس وانفاق المال على الخلق وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة **القسم الاول** الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها كالصلوة والصوم والحج فخطرات الرياء فيها ثلاثة **احدها** ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث الدين فهذا ينبغي ان يترك لانه معصية لا طاعة فانه تدرع بصورة الطاعة الى طلب المنزلة فان قدر الانسان على ان يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها الا تستحيي من مولاك لا تسخو بالعمل لاجله وتسخو بالعمل لاجل عباده حتى اندفع باعث الرياء وسمحت النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة عليه فليشتغل بالعمل **الثانية** ان تنبعث لاجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة واولها فلا ينبغي ان يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل الاخلاص بالمعالجة التي ذكرناها من الزام النفس كراهة الرياء والاباء على القبول **الثالثة** ان يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الرياء ودواعيه فينبغي ان يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكن يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك الى الرياء فاذا لم تجب ودفعته يقول لك هذا العمل ليس بخالص وانت مراء وتعبك ضايع فاي فايدة لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد حصلت غرضه **ومثال** من يترك العمل لخوفه ان يكون مرائيا كمن سلم اليه مولاه حنطة فيها تراب وقال خلصها من التراب ونقها منه تنقية بالغة فيترك اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت به لم يخلص خلاصا صافيا نقيا فيترك

العمل من اصله وهو ترك الاخلاص مع اصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل ان يترك العمل خوفا من الناس ان يقولوا انه مراء فيعصون الله به فهذا من مكايد الشيطان لانه اولا اساءة الظن بالمسلمين وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك العمل خوفا من قولهم انه مراء هو عين الرياء فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم قالوا انه مراء او قالوا انه مخلص فاي فرق بين ان يترك العمل خوفا من ان يقال انه مراء وبين ان يحسن العمل خوفا من ان يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل اشد من ذلك فهذه كلها مكايد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف يطمع ان يتخلص من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الآن يقول الناس انك تركت العمل ليقال انك مخلص لا تشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت سربا تحت الارض القى في قلبك حلاوة معرفة الناس بزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص بل لا نجاة منه الا ان تلزم قلبك معرفة آفة الرياء وهو انه ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا لتلزم الكراهة والاباء قلبك وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي وان نزع العدو ونازع الطبع فان ذلك لا ينقطع وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطالة وترك الخيرات فمهما تجد باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء والزم قلبك الحياء من الله اذ دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمده حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانك تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على ان تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل فان قال لك الشيطان انك مراء فاعلم كذبه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء واباءه وخوفك منه وحيائك من الله وان لم تجد في قلبك له كراهة ومنه خوفا ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد ممن شرع في العمل لله فانه لا بد وان يبقى معه اصل قصد الثواب **فان قلت** فقد نقل عن اقوام ترك العمل مخافة الشهرة روي ان ابرهيم النخعي دخل عليه انسان فاطبق المصحف وترك القراءة وقال لا يرى هذا انا نقرا كل ساعة وقال ابرهيم التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت واذا اعجبك السكوت فتكلم وقال الحسن كان احدهم ليمر بالاذى ما يمنعه من دفعه الا كراهة الشهرة وكان احدهم يأتيه البكاء فيصرفه الى الضحك مخافة الشهرة وقد وردت فيه آثار كثيرة **قلنا** هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات مما لا يحصى واظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ اقرب الى خوف الشهرة من البكاء واماطة الاذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجملة ترك النوافل جائز والكلام في الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقوياء دون الضعفاء فالافضل ان يتم العمل ويجتهد في الاخلاص ولا يتركه وارباب الاعمال قد يعالجون انفسهم بخلاف الافضل لشدة الخوف فالاقتداء ينبغي ان يكون بالاقوياء واما اطباق ابرهيم النخعي المصحف يمكن ان يكون لعلمه بانه سيحتاج الى ترك القراءة عند دخوله واستينافها بعد خروجه للاشتغال به وبكلامه فراى ان لا يراه في القراءة ابعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليه بعد ذلك واما ترك دفع الاذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم اياه عن عبادات هي اكبر من دفع خشبة

من الطريق فيكون تركه ذلك للمحافظة على عبادات اكبر منها لا لمجرد خوف الرياء واما قوله التي اذا
اعجبك الكلام فاسكت يجوز ان يكون قد اراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فان ذلك
يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت عن المباح محذور فهو عدول من مباح الى مباح حذرا من العجب فاما
الكلام الحق المندوب اليه فلم ينص عليه على ان الآفة مما يعظم في الكلام فهو واقع من القسم الثاني وانما
كلامنا في العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا يعظم فيه الآفات ثم كلام
الحسن في تركهم البكاء واماطة الاذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية احوال الضعفاء الذين لا
يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقائق وانما ذكره تخويفا للناس من آفة الشهرة وزجرا عن
طلبها **القسم الثاني** ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والاخطار واعظمها الخلافة ثم
القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق المال **اما الخلافة** والامارة فهي من افضل
العبادات اذا كانت مع العدل والاخلاص وقد قال صلى الله عليه وسلم ليوم من امام عادل خير من
عبادة الرجل وحده ستين عاما فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة وقال صلى
الله عليه وسلم اول من يدخل الجنة ثلاثة الامام المقسط وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم
ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل احدهم وقال صلى الله عليه وسلم اقرب الناس مني مجلسا يوم القيمة
امام عادل رواه ابو سعيد الخدري فالامارة والخلافة من اعظم العبادات ولم يزل المتقون يحترزون
منها ويتركونها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من عظيم الخطر اذ تتحرك به الصفات الباطنة وتغلب
على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا واذا صارت الولاية محبوبة
كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته وان
كان حقا ويقدم على ما يزيد من مكانته وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان
جائر شرا من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه ولهذا الخطر كان يقول عمر رضي الله عنه
من يأخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من والي عشرة الا جاء يوم القيمة مغلولة
يده الى عنقه اطلقه عدله او اوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولاية فقال يا امير
المومنين اشر علي قال اجلس واكتم علي وروي الحسن ان رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال
للنبي صلى الله عليه وسلم خر لي قال اجلس وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة اذ قال له النبي صلى الله
عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسألة اعنت عليها وان اوتيتها
بمسألة وكلت اليها وقال ابو بكر رضي الله عنه لرافع مولى ابن عمر لا تأمر على اثنين ثم ولي
هو الخلافة فقام بها فقال له رافع الم تقل لي لا تأمر على اثنين وانت قد وليت امر امة محمد صلى الله عليه وسلم
قال بلى انا اقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله يعني لعنة الله ولعل القليل البصيرة
يروي ما ورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك بل الحق فيه ان الخواص الاقوياء في الدين لا
ينبغي ان يمتنعوا من تقلد الولايات وان الضعفاء لا ينبغي ان يدوروا بها فيهلكوا واعني بالقوي
الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا يأخذه في الله لومة لائم وهم الذين سقط الخلق من
اعينهم فزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا انفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان

فايس منهم هؤلاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت فيها ارواحهم فهم اهل نيل الفضل
في الامارة والخلافة ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فرآها
صابرة على الحق كافة في الشهوات في غير الولاية ولكن خاف عليها ان تتغير اذا ذاقت لذة الولاية و
ان تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الامر فتكره العزل فتداهن خيفة من العزل فهذا قد اختلف الفقهاء
في انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية فقال قائلون لا يجب لان هذا خوف امر في المستقبل
وهو في الحال لم يعهد نفسه الا قويا في ملازمة الحق وترك لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز
لان النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير فلو وعدت بالخير جزما لكان يخاف عليها ان تتغير
عند الولاية فكيف اذا اظهرت التردد والامتناع عن قبول الولاية اهون من العزل بعد الشروع
فالعزل مؤلم وهو كما قيل طلاق الرجال فاذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنة
واهمال الحق فتهوي به في قعر جهنم فلا يستطيع النزوع منه الى الموت الا ان يعزل قهرا وكان فيه
عذاب عاجل على كل من يحب الولاية ومهما مالت النفس الى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب
فهو امارة الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا نولي امرنا من سألناه فاذا فهمت اختلاف
حكم القوي والضعيف عرفت ان نهي ابي بكر لرافع مولى ابن عمر عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض
واما القضاء فهو وان كان دون الخلافة والامارة فهو في معناهما فان كل ذي ولاية امر اي له امر نافذ
والامارة محبوبة بالطبع والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق والعقاب فيه ايضا عظيم مع العدول
عن الحق وقال صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار وقال من استقضي
فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الخلافة ينبغي ان يتركها الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه و
ليتقلده الاقوياء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم فمهما كانت السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء الا
بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم اذ يعلم انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه او
لم يطيعوه فليس له ان يتقلد القضاء وان تقلد فعليه ان يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل
عذرا مرخصا له في الاهمال للحقوق اصلا بل اذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي ان يفرح بالعزل ان
كان يقضي لله وان لم تسمح به نفسه فهو اذن يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف يرتقب عليه ثوابا
وهو مع الظلمة في الدرك الاسفل من النار **واما الوعظ والفتوى** والتدريس ورواية الحديث
وجمع الاسانيد العالية وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته ايضا عظيمة مثل آفة الولايات
وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون حدثنا
باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي وحق بشر كذا وكذا قمطرة من العلوم
الحديث وقال اني اشتهي ان احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت والواعظ
يجد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذة لا يوازيها
لذة فاذا غلب ذلك على قلبه مال قلبه الى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وان كان باطلا ونفر
عن كل كلام تستثقله العوام وان كان حقا ويصير مصروف الهم بالكلية الى ما يحرك قلوب العوام
ويعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة الا ويكون فرحه بها من حيث انه يصلح لان يذكر

على راس المنبر وكان ينبغي ان يكون فرحه بها من حيث انه عرف طريق السعادة وطريق سلوك الذين ليعمل
به اولاثم يقول اذا انعم علي بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فاقصها ليشاركني في
نفعها اخواني المسلمين فهذا ايضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لاباعث
له الا طلب الجاه والمنزلة والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر به فينبغي ان يترك ويخالف الهوى فيه
الى ان ترتاض نفسه وتقوى في الدين منته ويامن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود اليه
فان قلت مهما حكم بذلك على اهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول
قد نهى صلى الله عليه وسلم عن طلب الامارة وتوعد عليها حتى قال انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة
يوم القيمة وندامة الا من اخذ بحقها وقال نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم ان السلطنة
والامارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الامن وخربت البلاد
وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك وضرب عمر رضي الله عنه ابي بن كعب حين راى قوما
يتبعونه وهو في ذلك يقول صلعم ابي سيد المسلمين وكان يقرا عليه القرآن فمنع من ان يتبعوه
وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع وعمر كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمتنع منه
استاذن رجل عمر ان يعظ الناس اذا فرغ من صلوة الصبح فمنعه فقال اتمنعني من نصح الناس
فقال اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا اذ راى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء
والخلافة مما يحتاج الناس اليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منها فتنة ولذة
فلا فرق بينهما فاما قول القايل نهيك عن ذلك يؤدي الى اندراس العلم فهو غلط اذ نهى رسول الله صلعم
عن القضاء لم يؤد الى تعطل القضاء بل الرياسة وحبها يضطر الخلق الى طلبها وكذلك حب الرياسة
من الخلق في العلوم لا يترك التدريس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والاغلال عن طلب العلوم
التي فيها الفتوى والرياسة لافلتوا من الحبس وكسروا السلاسل فطلبوها وقد وعد الله تعالى ان يؤيد هذا
الدين باقوام لا اخلاق لهم فلا تشغل قلبك بامر الناس فان الله لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم اني اقول
مع هذا اذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عنه الخوف الا امتناع
بعضهم والا نعلم ان كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فان لم يكن في البلد الا واحد
وكان وعظه نافعا للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخييله الى العوام
انه انما يريد الله بوعظه وانه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد
لانا نعلم انه لو ترك لهلك الناس كلهم اذ لا قايم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده
وسلامة دين الجميع احب عندنا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم ونقول لعل هذا
الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا اخلاق لهم ثم الواعظ
هو الذي يرغب في الاخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فاما ما احدثه الوعاظ في هذه
الاعصار من الكلمات المزخرفة والالفاظ المسجعة المقرونة بالاشعار مما ليس فيه تعظيم لامر الدين
وتخويف المسلمين بل فيه الترخيص والتجرية على المعاصي بطيارات النكت فيجب اخلاء البلاد
منهم فانهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان انما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن

في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما اوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق العلماء السوء
ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوايله ولقد قال عيسى عليه السلم يا علماء السوء تصومون و
تصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تامرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون
تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق
اقول لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة كذلك انتم تخرجون الحكم من افواهكم
ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الاخرة من لا ينقضي من الدنيا شهوته ولا ينقطع
منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم
بحق اقول لكم افسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الاخرة فاي الناس اخس منكم لو تعلمون
ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محلة المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها
لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش
مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا
لا كعبيد اتقياء ولا كاحرار كرام توشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم
على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان عراة
فرادى فيوقفكم على سواتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم فقد روى الحارث المحاسبي هذا الحديث في
بعض كتبه ثم قال هولاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا
ورفعتها وآثروها على الاخرة واذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الاخرة هم الخاسرون
فان قلت فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغايب كثيرة حتى قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لان يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم
ايما داع دعا الى هدى واتبع عليه كان له اجره واجر من اتبعه الى غير ذلك من فضايل العلم فينبغي
ان يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك مراياة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلوة لا تترك العمل
ولكن اتم العمل وجاهد فاعلم ان فضل العلم كثير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول
لاحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس في نفس العلم آفة انما الآفة في اظهاره بالتصدي للوعظ و
التدريس ورواية الاحاديث ولا نقول له ايضا اتركه ما دام يجد في نفسه باعثا دينيا
ممزوجا بباعث الرياء فاما اذا لم يحركه الا الرياء فترك الاظهار انفع له واسلم وكذلك نوافل الصلوة
اذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها اما اذا خطر له وساوس الرياء في اثناء الصلوة وهو له
كاره فلا يترك الصلوة لان آفة الرياء في العبادات ضعيفة وانما تعظم في الولايات وفي
التصدي للمناصب الكبيرة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلاث الاولى الولايات والآفات
فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الآفة الثانية الصلوة والصوم والحج
والغزو وقد تعرض لها اقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة وذلك لضعف
الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع اتمام العمل لله بادنى قوة الثالثة وهي متوسطة
بين الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها

اقل مما في الولايات واكثر مما في الصلوات فالصلوة ينبغي ان لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي ان يتركها الضعفاء راسا دون الاقوياء ومناصب العلم بينهما ومن جرب آفات منصب العلم علم انها بالولايات اشبه وان الحذر منها في حق الضعيف اسلم والله اعلم وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال واخذه للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق واظهار السخاء استجلاب الثناء وفي ادخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها ايضا كثيرة ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم امسك وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق فقال القاعد افضل لما تعرفون من قلة السلامة في الدنيا وان من الزهد تركها قربة الى الله وقال ابو الدرداء ما يسرني اني اقمت على درج مسجد دمشق اصيب كل يوم خمسين دينارا اتصدق بها اما اني لا احرم البيع والشراء ولكني اريد ان اكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد اختلف العلماء فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منه وتصدق فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات والنوافل وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله افضل والاخذ والاعطاء يشغل عن الله وقد قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا ابر وقال اقل ما فيه انه يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله افضل واكبر وهذا فيمن سلم من الآفات فاما من تعرض لآفة الرياء فتركه لها والاشتغال بالذكر لا خلاف في انه افضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات والاحب ان يعمل ويدفع الآفة فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع وبالجملة ما يجده اخف على قلبه فهو في الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل اليه وان كان لا يبعد ذلك ايضا في بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات وهو موكول الى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل ولا خلاف في ان تفرقة المال في المباحات فضلا من الصدقات افضل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب ان الافضل ترك الكسب والانفاق او التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات فاما الحاصل الحلال فتفرقته افضل بكل حال من امساكه **فان قلت** وباي علامة يعرف العالم والواعظ انه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس **فاعلم** ان لذلك علامات احداها انه لو ظهر من هو احسن منه وعظا واغزر منه علما والناس له اشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس بالغبطة وهو ان يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى ان الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى ان لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الاسواق ولذلك علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روي عن سعيد بن ابي مروان قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من بعض ابواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون اصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة احفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجها اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت له ايضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس

بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت في نفسي لابلون الحسن اليوم ولانظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد في كلامه يتقرب اليه او يحمل الحسن هيبة الحجاج ان ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس واشباهها فاتخذوها خلقا وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من امر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم ابتدأ الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام فجاء رجل من اهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين الا تعجبون اني رجل شيخ كبير واني اغزى فاكلف فرسا وبغلا واكلف فسطاطا واني ثلثمائة درهم وعلي سبع بنات من العيال فشكا من حاله حتى رق له الحسن واصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل رفع الحسن رأسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة واذا اغزى اخاه اغزى طاويا راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم باقبح العيب واشده فقام رجل من اهل الشام كان جالسا الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن ان اتاه رسل الحجاج فقالوا اجب الامير فقام الحسن واشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن ان رجع الى مجلسه وهو يبتسم وقلما رأيته فاغرا فاه يضحك انما كان يتبسم فاقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الامانة وقال انما تجالسون بالامانة كأنهم يظنون ان الخيانة ليست الا في الدينار والدرهم ان الخيانة اشد الخيانة ان يجالسنا الرجل ويطمئن الى ناحيته ثم ينطلق فيسعى بنا الى شرارة من نار اني اتيت هذا فقال اقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عني وركب الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذ التفت فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة او تسألون عن شيء والا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد فهذه العلامات وامثالها من سريرة الباطن ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم انهم قد اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون

بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح

اعلم ان الرجل قد يبيت مع القوم فيقومون للتهجد او يقوم بعضهم فيصلون الليل كله او بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده او يصلي مع انه كان لا يعتاده اصلا وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه اهل الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وقيام الليل وصيام النهار ولكن قد يعوقه عائق ويمنعه الاشتغال ويغلبه التمكن من الشهوات او تستهويه الغفلة فربما يكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة او تندفع العوائق والاشغال في بعض المواضع فينبعث النشاط فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وتمكنه من التمتع بزوجته او المحادثة مع اهله واقاربه او الاشتغال باولاده

او مطالعة حساب له مع معامليه فاذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه الشواغل التي تفتر رغبته
الخير وحصلت اسباب باعثة على الخير كمشاهدته اياهم وقد اقبلوا على الله عز وجل واعرضوا عن الدنيا فانه
ينظر اليهم فينافسهم ويشق عليه ان يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء او ربما يفارقه
النوم لاستنكاره الموضع او بسبب آخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما ينضاف اليه انه
في منزله على الدوام والنفس لا تسمح بالتهجد دائما وتسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون ذلك بسبب
هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه اطايب الاطعمة ويشق
عليه الصبر عنها فاذا اعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه فينبعث داعية الدين للصوم فان الشهوات
الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين فاذا سلم عنها قوي الباعث فهذا وامثاله من
الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم والشيطان عند ذلك
ربما يصد عن العمل ويقول لا تعمل فانك تكون مرائيا اذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزد على صلواتك
المعتادة وقد تكون رغبته في الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه الى الكسل
لا سيما اذا كانوا يظنون انه كان يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان تسقط من اعينهم فيريد ان
يحفظ منزلته وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلي لاجلهم
بل لله وانما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وانما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا
امر يشتبه الا على ذوي البصائر فاذا عرف ان المحرك هو الرياء فلا ينبغي ان يزيد على ما كان
يعتاده ولو ركعة واحدة لانه يعصي بطلب محمدة الناس بطاعة الله وان كان انبعاثه لدفع العوائق
وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه انه لو رأى هؤلاء
يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت تسخو نفسه بالصلوة
وهم لا يرونه فان سخت به فليصل فان باعثه الحق وان كان يثقل ذلك على نفسه لو غاب
عن اعينهم فليترك فان باعثه الرياء وكذلك قد يحضر الانسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط
الصلوة ما لا يحضره كل يوم ويمكن ان يكون ذلك لحب محمدتهم ويمكن ان يكون سببه تحرك
نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله وقد يتحرك بذلك باعث الدين
ويقارنه نزوع النفس الى حب الحمد فمهما علم ان الغالب على قلبه ارادة الدين فلا ينبغي ان يترك العمل
بما يجده من حب الحمد بل ينبغي ان يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة وكذلك قد
يبكي جماعة فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله لا من الرياء ولو سمع الكلام وحده لما بكى ولكن
بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة مع الصدق اذ
يخشى على نفسه قساوة القلب حين يكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة
الصدق فيه ان يعرض على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة لوصح
فيتباكى ام لا فان لم يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن اعينهم فانما خوفه من ان يقال انه قاسي القلب
فينبغي ان يترك التباكي قال لقمن لابنه لا ترى الناس انك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر و
كذلك الصيحة والتنفس والانين عند القرآن والذكر او بعض مجاري الاحوال تارة تكون من الصدق

والحزن

والحزن والندم والخوف والتأسف وتارة يكون لمشاهدة حزن غيره وقساوة قلبه فيتكلف التنفس
والانين ويتحازن وذلك محمود وقد يقترن به الرغبة فيه لدلالته على انه كثير الحزن ليعرف بذلك فان
تجردت هذه الداعية فهي الرياء وان اقترنت بداعية الحزن فان اباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه
وتباكيه وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط اجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله وقد يكون اصل
الانين من الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور لانها في حكم
الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لم يملك العبد معه نفسه ولكن يسبق خاطر الرياء فيقبله
فيدعوه الى زيادة تحزين للصوت او رفع له او حفظ الدمعة على الوجه حتى يبصر بعد ان استرسلت
لخشية الله ولكن يحفظ اثرها على الوجه لاجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فيضعف قواه من الخوف
فيسقط ثم يستحيي ان يقال له انه سقط من غير زوال عقله وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا
ليرى انه سقط لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن
قد يفيق سريعا فتجزع نفسه ان يقال حالته غير ثابتة وانما هي كبرق خاطف فيستديم الزعقة والرقص
ليرى دوام حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا ويجزع ان يقال لم تكن
غشيته صحيحة ولو كانت لدام ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكئ على غيره يرى
انه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطى ليظهر انه ضعف عن سرعة المشي فهذه كلها
مكايد الشيطان ونزغات النفس فاذا خطرت فعلاجها ان يتذكر ان الناس لو عرفوا نفاقه في
الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه وان الله مطلع على ضميره وهو له اشد مقتا كما روي عن ذي
النون انه قام وزعق فقام معه شيخ رأى فيه اثر التكلف فقال يا شيخ الذي يراك حين تقوم
فجلس الشيخ وكل ذلك من اعمال المنافقين وقد جاء في الخبر تعوذوا بالله من خشوع النفاق وانما خشوع
النفاق ان تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه
وغضبه فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراءاة فهذه خواطر
ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر
لك وانظر ما هو ومن اين هو فان كان لله فامضه واحذر مع ذلك ان يكون قد خفي عليك شيء
من الرياء الذي هو كدبيب النمل وكن على وجل من عبادتك اهي مقبولة ام لا لخوفك على الاخلاص فيه
واحذر ان يتجدد ذلك خاطر الركون على حمدهم بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا
خطر لك فتفكر في اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قاله احد الثلاثة نفر الذين حاجوا ايوب
اذ قال يا ايوب اما علمت ان العبد يضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى
بسريرته وقول بعضهم اعوذ بك ان يرى الناس اني اخشاك وانت لي ماقت وكان من دعاء
علي بن الحسين اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح لك فيما اخلو سريرتي
محافظا على رياء الناس من نفسي ومضيعا لما انت مطلع عليه مني ابدي للناس احسن امري و
افضي اليك باسوء عملي تقربا الى الناس بحسناتي وفرارا منهم اليك بسيئاتي فيحل بي مقتك ويجب
علي غضبك اعذني من ذلك يا رب العالمين وقد قال احد الثلاثة نفر لايوب يا ايوب

الم تعلم ان الذين حفظوا علانيتهم واضاعوا سرايرهم عند طلب الحاجات الرحمن تسود وجوههم
فهذه مجمل آفات الرياء فليراقب العبد قلبه ليقف عليه ففي الخبر ان للرياء سبعين بابا فقد
عرفت ان بعضه اغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب النمل وبعضه اخفى من دبيب النمل
وكيف يدرك ما هو اخفى من دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة وليته ادرك بعد بذل المجهود
فكيف يطمع في ادراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها **بيان ما ينبغي للمريد
ان يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه** اعلم ان اولى ما يلزم المريد قلبه في ساير اوقاته القناعة
بعلم الله في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله الا من لا يخاف الا الله ولا يرجوا الا الله فاما من خاف غيره و
ارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن احواله فان كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل
والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر
عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلو حرصا على الافشاء ويقول مثل هذا العمل العظيم او
الخوف العظيم او البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف
ترضى باخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون عن الاقتداء بك ففي مثل هذا
الامر ينبغي ان تثبت قدمه ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامها ابد
الآباد وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده ويعلم ان اظهاره لغيره محبب
اليهم والسقوط عند الله احباط للعمل العظيم فيقول وكيف اتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم
عاجزون لا يقدرون لي على رزق واجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي ان ييأس عنه فيقول انما يقوى
على الاخلاص الاقوياء فاما المخلطون فليس ذلك من شانهم فيترك المجاهدة في الاخلاص
لان المخلط الى ذلك احوج من المتقي لان المتقي ان فسدت نوافله بقيت فرايضه كاملة تامة
والمخلط لا تخلو فرايضه عن النقصان والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم يسلم صار ماخوذا بالفرايض
وهلك به فالمخلط الى الاخلاص احوج وقد روى تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسب
العبد يوم القيمة فان نقص فرضه قيل انظروا هل من تطوع فان كان له تطوع اكمل به فرضه وان
لم يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقي في النار فياتي المخلط يوم القيمة وفرضه ناقص وعليه ذنوب
كثيرة فاجتهاده في جبر الفرايض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك الا بخلوص النوافل واما المتقي
فجهده في زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقي من حسناته ما يترجح على السيئات فيدخل الجنة
فاذن ينبغي ان يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه ليصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ
حتى لا يتحدث ولا يظهره واذا فعل جميع ذلك فينبغي ان يكون وجلا من عمله خايفا انه ربما دخله من
الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون شاكا في قبوله ورده مجوزا ان يكون الله قد احصى عليه من نيته
الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده لا في ابتداء العقد
بل ينبغي ان يكون متيقنا في الابتداء انه مخلص ما يريد بعمله الا الله حتى يصح عمله فاذا شرع ومضت
لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شايبة خفية احبطت عمله من رياء
او عجب اولى به ولكن يكون رجاؤه اغلب من خوفه لانه استيقن انه دخل باخلاص وشك في انه

افسد برياء فيكون رجاء القبول اغلب وبذلك تعظم لذته في المناجات والطاعات فالاخلاص
يقين والرياء شك وخوفه لاجل ذلك الشك جدير بان يكفر خاطر الرياء ان كان قد سبق وهو غافل
عنه والذي يتقرب الى الله بالسعي في حوايج الناس وافادة العلم ينبغي ان يلزم نفسه رجاء الثواب
على دخول السرور على قلب من قضاء حاجته فقط ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر و
مكافاة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فمهما توقع من المتعلم مساعدة في شغل
وخدمة او مرافقة في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه او ترددا منه في حاجة فقد اخذ اجره فلا
ثواب له غيره نعم ان لم يتوقع هو ولم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه الذي علمه ليكون له مثل اجره و
لكن خدم التلميذ بنفسه فقبل خدمته نرجو ان لا يحبط ذلك اجره اذا كان لا ينتظره ولا يريده منه
ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون ذلك حتى ان بعضهم وقع في بير
فجاء قوم فادلوا الحبل ليأخذوه فحلف عليهم ان لا يقف معهم من قرا عليه آية من القرآن او سمع منه
حديثا خيفة من ان يحبط اجره وقال شقيق البلخي اهديت لسفين الثوري ثوبا فرده علي
فقلت له يا ابا عبد الله لست انا ممن يسمع الحديث حتى ترده علي قال علمت ذلك ولكن اخوك يسمع مني الحديث
فاخاف ان يلين قلبي لاخيك اكثر مما يلين لغيره وجاء رجل الى سفين ببدرة او بدرتين وكان ابوه صديقا
لسفين وكان سفين ياتيه كثيرا فقال له يا ابا عبد الله قد عرفت كيف صار الي هذا المال فاحب ان
تاخذ هذه تستعين بها على عيالك قال فقبل سفين ذلك فلما خرج قال لولده يا مبارك الحقه فرده علي
فرجع فقال احب ان تاخذ مالك فلم يزل به حتى رده عليه وكانه كانت اخوته مع ابيه في الله فكره ان
ياخذ ذلك قال ولده فلما خرج لم املك نفسي ان جئت اليه فقلت له ويلك اي شي قلبك هذا حجارة عد
انه ليس لك عيال اما ترحمني اما ترحم اخوتك اما ترحم عيالك فلما اكثرت عليه قال الله يا مبارك تاكلها
هنيئا مريئا واسأل عنها انا فاذن يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب حمد الله تعالى وثوابه ونيل المنزلة
له عنده لا عند المتعلم وعند الخلق وربما يظن ان له ان يرائي بطاعته لينال عند المتعلم رتبة فيتعلم منه
وهو خطا لان ارادته غير الله بطاعته خسران في الحال والعلم ربما يفيد وربما لا يفيد فكيف يخسر في
الحال نقدا على توهم علم وذلك غير جايز بل ينبغي ان يتعلم لله ويعبد الله ويخدم المعلم لله لا ليكون له في قلبه
منزلة ان كان يريد ان يكون تعلمه طاعة فان العباد امروا ان لا يعبدوا الا الله ولا يريدوا بطاعتهم
غيره وكذلك من يخدم ابويه لا ينبغي ان يخدم لطلب المنزلة عندهما الا من حيث ان رضا الله في رضى الوالدين
ولا يجوز له ان يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين فان ذلك معصية في الحال وسيكشف
الله عن ريائه ويسقط منزلته من قلوب الوالدين ايضا **واما** الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي
ان يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله وهو لا
يدري انه المخفف للعمل عليه قال ابرهيم بن ادهم تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت
عليه في صومعته فقلت يا سمعان منذ كم انت في صومعتك قال منذ سبعين سنة قال فما طعامك
قال يا حنيفي وما دعاك الى هذا فقلت احببت ان اعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج

تلبك حتى يكفيك هذه الحمصة قال ترى الدير بحذاء ايك قلت نعم قال انهم يأتون في كل سنة يوما واحدا فيزينون صومعتي ويطوفون حولها ويعظمونني فكلما ثقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الابد فوقر في قلبي المعرفة فقال حسبك او ازيدك قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلى الي ركوة فيها عشرون دينارا فاعطوني عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ فقال يا حنيفي ما الذي صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت بعشرين دينارا قال اخطأت لو ساومتهم عشرين الف دينار لاعطوك هذا عز من لا يعبده فانظر كيف عز من يعبده يا حنيفي اقبل على ربك ودع الذهاب والمجيء والمقصود ان استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثا في الخلوة وقد يشعر العبد به فينبغي ان يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته ان يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة فلو تغيروا عن اعتقاده لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا كراهة ضعيفة وان وجدها في قلبه فردها في الحال بعقله وايمانه وانه لو كان في عبادة فاطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم عليه فان دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان وبادر الى ذلك ولم يقبل السرور بالركون اليه فذلك لا بأس به ولكن فيه غرور اذ النفس قد تكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتعلل بطلب الانقباض فليطالبها في دعواه قصد الانقباض بموثق من الله غليظ وهو انه لو علم ان انقباضهم عنه انما يحصل بان يعدو سريعا او يأكل كثيرا او يضحك فتسمح نفسه بذلك فاذا لم تسمح به وسمحت بالعبادة فيشبه ان يكون مراده المنزلة عندهم ولا ينجو عن ذلك الا من تقرر في قلبه انه ليس في الوجود احد سوى الله تعالى فيعمل عمل من لو كان على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا خطرات ضعيفة لا تشق عليه ازالتها فاذا كان كذلك لم تتغير بمشاهدة الخلق ومن علامة الصدق فيه انه لو كان له صاحبان احدهما غني والآخر فقير فلا يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان في الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه الى مشاهدة الاغنياء اكثر فهو مراء او طماع والا فالنظر الى الفقراء يزيد في رغبة الآخرة ويحبب الى القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه فكيف استروح الى الغني اكثر مما يستروح الى الفقير وقد حكي ان الاغنياء لم يروا في مجلس اذل منهم في مجلس الثوري وكان مجلسهم وراء الصف ويتقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون انهم فقراء في مجلسه نعم لك زيادة اكرام للغني اذا كان اقرب اليك وكان بينك وبينه حق وصداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في توقير واكرام البتة فان الفقير اكرم على الله من الغني فايثارك له لا يكون الا طمعا ورياء ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك ان تظهر الحكمة والخشوع للغني اكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك رياء خفي او طمع خفي كما قال ابن السماك لجارية له ما لي اذا اتيت بغداد فتحت لي الحكمة قالت الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطلق عند الغني بما لا ينطلق عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها الا ان تخرج ما سوى الله من قلبك وتتجرد للشفقة

على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة في ايام متقاربة منقضية وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد امكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم هو يخاف الهلاك على نفسه كل ساعة لو اتسع في الشهوات وعلم انه لو احتمى وجاهد فيه شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك جالس الاطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الادوية المرة فيصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة اكله ولكن سقمه كل يوم يزداد نقصانا لشدة احتمائه فمهما نازعته نفسه الى شهوة تفكر في توالي الآلام والاوجاع عليه واداء ذلك الى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة اعدائه ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هنيء وبدن صحيح وقلب رخي وامر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات فكذلك المؤمن المريد لملك الآخرة احتمى عن كل مهلك في آخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفا من ان يحل عليه غضب الله فيهلك ورجاء لان ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وايمانه بعاقبة امره وبما اعد الله له من النعيم المقيم في رضوان الله ابد الآباد ثم علم ان الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رؤوفا وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم عن التعب والنصب ولكن اراد ان يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة وعدلا ثم اذا تحمل التعب في بدايته اقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه ذلك عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وايده بمعونته فان الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب امل المحب وهو الذي يقول من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقول لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا فليظهر العبد في البداية جده وصدقه واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته تم كتاب ذم الجاه والرياء والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله اجمعين

كتاب ذم الكبر والعجب وهو
الكتاب التاسع من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جناب عزه مسكين خاشع فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع الغني الذي ليس له في ملكه شريك ولا منازع القادر الذي بهر ابصار الخلائق جلاله وبهاؤه وقهر العرش العظيم استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر ألسن الانبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وانبياؤه وكسر ظهور الاكاسرة عزه وعلاؤه وقصر ايدي القياصرة عظمته

وكبرياؤه، فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه، ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فأعجزه دواؤه، جل جلاله وتقدست أسماؤه، والصلوة على محمد الذي انزل معه النور المنتشر ضياؤه، حتى اشرقت بنوره اكناف العالم وارجاؤه، وعلى آله واصحابه الذين هم احباء الله واولياؤه وخيرته واصفياؤه، وسلم كثيرا

وبعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فالكبر والعجب داآن مهلكان والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان وهما عند الله ممقوتان بغيضان واذا كان القصد في هذا الربع من كتاب احياء علوم الدين شرح المهلكات وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبايح المهلكات ونحن نستقصي بيانهما من الكتاب في شطرين شطر في الكبر وشطر في العجب

الشطر الاول من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال وبيان فضيلة التواضع وبيان حقيقة الكبر وآفته وبيان من يتكبر عليه ودرجات الكبر وبيان ما به الكبر وبيان البواعث على التكبر وبيان اخلاق المتواضعين وما فيه يظهر الكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان النفس في خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم

بيان ذم الكبر قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر وقال تعالى اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون وقال تعالى فبئس مثوى المتكبرين وقال كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال حبة من ايمان وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في جهنم، وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو على المروة فتواقفا فمضى ابن عمرو واقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا ابا عبد الرحمن قال هذا يعني عبد الله بن عمرو زعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر اكبه الله في النار على وجهه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلم يوما للطير والجن والانس والبهايم اخرجوا فخرجوا في مايتي الف من الانس ومايتي الف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملايكة بالتسبيح في السموات ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به ابعد مما رفعته وقال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق له اذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وقال لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيئ الملكة وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزهم فقال الله تعالى للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى

ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سهى ولهى ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدا والمنتهى، وعن ثابت قال بلغنا انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال اليس بعده الموت وقال عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال اني آمركما باثنتين وانهيكما عن اثنتين انهيكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان السموات والارض وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت ارجح منها ولو ان السموات والارض وما فيهن كانتا حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلوة كل شيء وقال عيسى عليه السلم طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان احبكم الينا واقربكم منا في الآخرة احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الينا وابعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون فقالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيمة ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من طين الخبال عصارة اهل النار وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيمة في صور الذر يطاهم الناس لهوانهم على الله، وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال بن ابي بردة فقلت له يا بلال ان اباك حدثني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في جهنم واديا يقال له هبهب حقا على الله ان يسكنه كل جبار فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وسلم ان في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبر وقال من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنة الكبر والدين والغلول

الآثار قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لا يحقرن احد احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها فقال انت حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وجلس الاحنف فزحمه بعض الزحمة فراى اثر ذلك فيه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب لابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات وقد قيل وفي انفسكم افلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن الحسين بن علي ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل او كثر، وسئل سلمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمان بن بشير على المنبر ان للشيطان مصالي وفخوخا وان من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بانعم الله والفخر باعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله

بيان ذم الاختيال واظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في بردية قد اعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقال صلعم من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيمة و

قال زيد بن اسلم دخلت على ابن عمر فمر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول
اي بني ارفع ازارك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء و
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع اصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن آدم
اتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض
منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق وانى اوان الصدقة وقال
صلى الله عليه وسلم اذا مشت امتي المطيطا وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض و
قال ابن الاعرابي هي مشية فيها اختيال وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال
في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان **الآثار** عن ابي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن اذ
مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها
قباؤه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال اف اف شامخ بانفه ثاني عطفه مصعر خده
ينظر في عطفيه اي حميق انت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بامر الله فيها
ولا المؤدي حق الله منها والله ان يمشي احدهم طبيعته ان يتخلج تخلج المجنون في كل عضو من اعضائه
لله نعمة وللشيطان به لعنة فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الي وتب الى
ربك اما سمعت قول الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر
بالحسن شاب عليه بزة حسنة فدعاه فقال ابن آدم معجب بشبابه معجب بجماله كان القبر قد وارى
بدنك وكانك قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم
وروي ان عمر بن عبد العزيز حج قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز
جنبه باصبعه ثم قال ليس هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو
مني على هذه المشية حتى تعلمتها ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه فقال اتدري من انت
اما امك فاشتريتها بمائتي درهم واما ابوك فلا اكثر الله في المسلمين مثله ورأى ابن عمر رجلا
يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا كررها مرتين او ثلاثا ويروى ان مطرف بن عبد الله بن
الشخير رأى المهلب وهو يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال
له المهلب اما تعرفني قال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وتحمل بين ذلك العذرة
فمضى المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر واذ ذكرنا ذم
الكبر والاختيال فلنذكر فضيلة التواضع **بيان فضيلة التواضع** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد
الا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع
نفسه قالا اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه من
غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة وعن ابي سلمة المديني عن ابيه عن
جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء وكان صائما فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن
وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه فذاقه وجد حلاوة العسل فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا

فيه شيئا

فيه شيئا من عسل فوضعه وقال اما اني لا احرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه
الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان في نفر من اصحابه في بيته ياكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها
فاذن له فلما دخل اجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ثم قال اطعم فكان رجلا من قريش اشمأز
منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرني
ربي بين امرين عبدا رسولا او ملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي من الملائكة جبرئيل عليه السلام
فرفعت رأسي فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما اقبل صلوة
من تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن
الشهوات لاجلي وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال
عيسى صلعم طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيمة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا
هم الذين يرثون الفردوس يوم القيمة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله
عز وجل يوم القيمة وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام
وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال
صلى الله عليه وسلم اربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة والتوكل على الله و
التواضع والزهد في الدنيا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد رفعه
الله الى السماء السابعة وقال صلى الله عليه وسلم ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم
الله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجاء رجل اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس
الى احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه وسلم انه
ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه وسلم
لاصحابه ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال صلى الله
عليه وسلم لاصحابه اذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا
عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار **الآثار** قال عمر رضي الله عنه ان العبد اذا تواضع لله
تع رفع الله حكمته وقال انتعش رفعك الله واذا تكبر وعدا طوره رهصه الله الى الارض وقال اخسأ
اخساك الله وهو في نفسه كبير وفي اعين الناس حقير حتى انه لاحقر عندهم من الخنزير وقال جرير
بن عبد الله انتهيت مرة الى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته
عليه ثم ان الرجل استيقظ فاذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله
في الدنيا فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيمة يا جرير اتدري ما ظلمة الناس يوم القيمة قلت
لا قال فانه ظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا وقالت عائشة انكم لتغفلون افضل
العبادة التواضع وقال يوسف بن اسباط يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع
من كثير الاجتهاد وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته
من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته وقال ابن المبارك رأس التواضع ان

تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الله حتى تعلم انه ليس لك بدنياك عليه فضلا وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلم انه ليس له بدنياه عليك فضلا وقال قتادة من اعطي مالا او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيمة وقيل اوحى الله الى عيسى عليه السلام اذا انعمت عليك نعمة فاستقبلها بالاستكانة اتمها عليك وقال كعب ما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع لله الا اعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع بها درجة في الآخرة وما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا ولم يشكرها لله ولم يتواضع بها لله الا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا من نار يعذبه ان شاء او يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان اي الرجال افضل قال من تواضع عن قدرة وزهد عن قدرة وترك النصرة عن قدرة ودخل ابن السماك على هرون فقال يا امير المؤمنين ان تواضعك في شرفك اشرف لك من شرفك فقال ما احسن ما قلت فقال يا امير المؤمنين ان امرأ آتاه الله جمالا في خلقته وموضعا في حسبه وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى في ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله من خالص الله فدعا هرون بدواة وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمن بن داود عليهما السلام اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال بعضهم كما تكره ان يراك الاغنياء في الثياب الدون فكذلك فاكره ان يراك الفقراء في الثياب المرتفعة ويروى انه خرج يونس وايوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهما الحسن اتدرون ما التواضع التواضع ان تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما الا رأيت له عليك فضلا وقال مجاهد ان الله تع لما اغرق قوم نوح شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرارا للسفينة عليه وقال ابو سليمن ان الله عز وجل اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلبا اشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فخصه من بينهم بالكلام وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم اشك في الرحمة لولا اني معهم اني اخشى انهم حرموا بسببي ويقال ارفع ما يكون العبد عند الله اوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون عند الله تع ارفع ما يكون عند نفسه وقال زياد النميري الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر وقال مالك بن دينار لو ان مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان يسبقني احد الى الباب الا رجل بفضل قوة او سعي قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك مالكا وقال الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا وقال موسى بن القسم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا ابا عبد الله انت امامنا فادع الله عز وجل لنا فبكى ثم قال ليتني لم اكن سبب هلاككم قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ان الله عز وجل دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل وجاء رجل الى الشبلي فقال له ما انت وكان هذا دأبه وعادته فقال انا النقطة التي تحت الباء فقال له الشبلي اباداك الله تع شاهدك اذ تجعل لنفسك مكانا وقال الشبلي في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود ويقال من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وعن الفتح بن شخرف قال رأيت علي بن ابي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت يا امير المؤمنين عظني فقال ما احسن التواضع الاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في ثواب الله عز وجل واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة

بالله عز وجل وقال ابو سليمن لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر فقيل متى يكون متواضعا فقال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه وقال ابو سليمن لو اجتمع الخلق على ان يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه وقال عروة بن الورد التواضع احد مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكي الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ التكبر على ذي التكبر عليك بماله تواضع وقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي الاغنياء احسن والكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء اقبح ويقال لا عز الا لمن تذلل لله عز وجل ولا رفعة الا لمن تواضع لله عز وجل ولا امن الا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل وقال ابو علي الجوزجاني النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله تع هلاكه منع منه التواضع مع نصرة الله عز وجل واذا هاجت نار الحسد ادركها النصيحة مع توفيق الله عز وجل واذا هاجت في نفسه نار الحرص ادركتها القناعة مع عون الله عز وجل وعن الجنيد انه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون في آخر الزمان زعيم القوم ارذلهم ما تكلمت عليكم وقال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد تكبر ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها او يرفعها وعن عمرو بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة رأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت انظر اليه واتأمله فقال لي ما لك تنظر الي فقلت له شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له فقال انا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال اني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع فيه الناس وقال المغيرة كنا نهاب ابرهيم النخعي هيبة الامير وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفة زمان سوء وكان عطاء السلمي اذا سمع صوت الرعد قام وقعد واخذ بطنه كانه امرأة ماخض وقال هذا من اجلي يصيبهم لو مات عطاء لاستراح الناس وكان بشر الحافي يقول سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك فقال اعطاك الله ما ترجو فقال ان الرجاء يكون بعد المعرفة فاين المعرفة وتفاخرت قريش عند سلمان رضي الله عنه يوما فقال سلمان لكني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم وقال ابو بكر رضي الله عنه وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع

بيان حقيقة الكبر وآفته

اعلم ان الكبر ينقسم الى ظاهر وباطن فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو اعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق وخلق

الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه
كبر فالاصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر
عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سيأتي فان العجب
لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون
متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون هو
متكبرا ولا يكفي ان يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره اعظم من
نفسه او مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفي ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو راى نفسه احقر
لم يتكبر ولو راى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغي ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة
نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاث يحصل فيه خلق الكبر لا ان هذه الرؤية
هي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما
اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من نفخة الكبرياء ولذلك قال عمر اخشى ان تنتفخ حتى
تبلغ الثريا للذي استاذنه ان يعظ بعد صلوة الصبح فكان الانسان مهما راى نفسه بهذه
العين وهو الاستعظام كبر وانتفخ وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات
وتسمى ايضا عزة وتعظما ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم
ببالغيه قال عظمة لم يبلغوها ففسر الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضي اعمالا في الظاهر و
الباطن هي ثمراته ويسمى ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه
وازدراه واقصاه عن نفسه وابعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته وراى ان حقه ان يكون
ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان اشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا
للقيام بين يديه ولا لخدمة عتبته فان كان دون ذلك فيانف عن مساواته وتقدم عليه في مضايق
الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر ان يبداه بالسلام واستبعد ان تقصر في قضاء حوائجه
وتعجب منه وان حاج او ناظر انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ
عنف في النصح وان رد عليه شيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم
وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كانه ينظر الى الحمير استجهالا لهم واستحقارا
والاعمال الصادرة من خلق الكبر كثيرة وهي اكثر من ان تحصى فلا حاجة الى احصائها فانها مشهورة
فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك
عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا من عوام الناس وكيف لا تعظم آفته وقد قال صلى
الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا من الجنة لانه يحول
بين العبد وبين اخلاق المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك
الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع
وهو راس اخلاق المتقين وفيه العز ولا يقدر ان يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد

وفيه العز ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر
على النصح اللطيف وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازراء بالناس ومن
اغتيابهم وفيه العز ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه
ليحفظ به عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه ومن هذا لم يدخل
الجنة من في قلبه مثقال حبة منه والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة
وشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التي
فيها ذم المتكبرين قال الله تعالى والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم الى قوله عن آياته تستكبرون
ثم قال ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر ان اشد اهل النار عذابا
اشدهم عتيا على الله فقال تعالى ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقال فالذين لا
يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال يقول الذين استضعفوا
للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين وقال ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في التفسير
سارفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير ساحجب قلوبهم عن الملكوت قال ابن جريج سأصرفهم
عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال عيسى صلوات الله عليه ان الزرع ينبت في السهل
ولا ينبت في الصفا كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر الا ترون انه من شمخ
براسه الى السقف شجه ومن طاطا اظله واكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وانهم كيف يحرمون
الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال الكبر من
سفه الحق وغمص الناس **بيان درجات المتكبر عليه واقسامه ودرجاته وثمرات الكبر فيه**
اعلم ان المتكبر عليه هو الله او رسله او سائر الخلق وقد خلق الانسان ظلوما جهولا فتارة يتكبر على الخلق
وتارة على الخالق فاذن التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة اقسام **الاول** التكبر على الله وذلك هو
افحش انواع الكبر ولا مثار له الا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمروذ فانه كان يحدث
نفسه بان يقاتل رب السماء كما يحكى عن جماعة من الجهلة بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون
وغيره فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى اذ استنكف ان يكون عبدا لله ولذلك قال تعالى لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن الآية **القسم الثاني**
التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف
عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان انه محق فيه و
تارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسول كما حكى الله تعالى عن
قولهم انؤمن لبشرين مثلنا ان انتم الا بشر مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فقالوا
لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقالوا لولا انزل
عليه ملك وقال فرعون او جاء معه الملائكة مقترنين قال الله تعالى فاستكبر هو وجنوده في الارض
بغير الحق فتكبر هو على الله وعلى رسوله جميعا قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك

قال حتى اشاورها مان فشاورها مان فقال هامان بينا انت رب تعبد اذ صرت عبدا
تعبد فاستنكف من عبودية الله تعالى ومن اتباع موسى وقالت قريش لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم قال قتادة الوليد بن المغيرة وابن مسعود الثقفي طلبوا من هو
اعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم اذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى
اهم يقسمون رحمة ربك وقال تعالى ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي استحقارا لهم
واستبعادا لتقدمهم وقالت قريش كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء اشاروا الى
فقراء المسلمين فازدروهم باعينهم وتكبروا عن مجالستهم فانزل الله تعالى ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا
واخبر الله عن تحيرهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين استرذلوهم فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا
نعدهم من الاشرار قيل يعنون بلالا وعمارا وصهيبا والمقداد رضي الله عنهم ثم كان منهم من منعه الكبر عن
الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الاعتراف قال
تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا
الكبر قريب من التكبر على الله وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول امر الله والتواضع لرسوله **القسم**
الثالث التكبر على العباد وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتابى نفسه عن الانقياد
لهم وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويانف من مساواتهم وهذا
وان كان دون الاول والثاني فهو ايضا عظيم من وجهين احدهما ان الكبر والعز والعظمة و
العلاء لا يليق الا بالملك القادر فاما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن اين
يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله في صفة لا تليق الا بجلاله ومثاله ان ياخذ
الغلام قلنسوة الملك فيضعها على راسه ويجلس على سريره فما اعظم استحقاقه للمقت وما اعظم
تهدفه للخزي والنكال وما اشد استجراءه على مولاه وما اقبح ما تعاطاه والى هذا المعنى الاشارة
بقوله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته اي انه خاص صفتي ولا يليق الا بي و
المنازع فيه منازع في صفة من صفاتي واذا كان الكبر على عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده
فقد جنى عليه اذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستاثر بما حق الملك
ان يستاثر به منهم فهو منازع له في بعض امره وان لم يبلغ درجة درجة من اراد الجلوس
على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر على عبد من
عباد الله فقد نازع الله نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق بين منازعة
الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في اصل الملك الوجه الثاني
الذي يعظم به رذيلة الكبر انه يدعو الى مخالفة الله تعالى في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من
عباد الله استنكف من قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم
يتباحثون عن اسرار الدين ثم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف
الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من اخلاق الكافرين

والمنافقين

والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون
فكل من يناظر للغلبة والافحام لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل
ذلك على الانفة من قبول الوعظ كما قال تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وروي عن عمر رضي
الله عنه انه قراها فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل يامر بالمعروف فقتل فقام آخر وقال
ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فيقتل المتكبر الذي خالفه والذي امره كبرا وقال
ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك نفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل
بيمينك قال لا استطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما منعه الا كبره فما رفعها
بعد ذلك اي اعتلت يده فاذن تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على امر الله وانما ضرب
ابليس هذا مثلا وما حكي من احواله الا ليعتبر به قال انا خير منه وهذا الكبر بالنسب لانه قال خلقتني
من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذي امره الله تعالى به فكان مبداه الكبر على
آدم والحسد له فجره ذلك الى التكبر على امر الله وكان ذلك سبب هلاكه ابد الاباد فهذه آفة من آفات
الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين الآفتين اذ ساله ثابت بن
قيس بن شماس فقال يا رسول الله اني امرؤ قد حبب الي من الجمال ما ترى افمن الكبر هو قال صلى الله عليه وسلم
لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس اي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله امثاله او خير منه و
هذه الآفة الاولى وسفه الحق هو رده وهي الآفة الثانية فكل من راى انه خير من اخيه واحتقر
اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار او رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق
ومن ابى ان يخضع لله ويتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر بينه وبين الله ورسله

بيان ما به التكبر اعلم انه لا يتكبر الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد
لها صفة من صفات الكمال ومجامع ذلك يرجع الى كمال ديني او دنيوي والديني هو العلم والعمل و
الدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه سبعة اسباب **الاول**
العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء فلا يلبث
العالم ان يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر
اليهم نظره الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع ان يبداوه بالسلام فان بدا احدهم بالسلام او رد عليه
ببشر او قام له او اجاب له دعوته راى ذلك صنيعة عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد انه
اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يرقوا له ويخدموه شكرا له على صنيعه
بل الغالب انهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم
ويستسخره في حوائجه فان قصر فيه استنكره كانهم عبيده واجراؤه وكان تعليمه العلم صنيعة منه لديهم
ومعروف اليهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا فاما في امر الآخرة فتكبره عليهم بان يرى
نفسه عند الله اعلى وافضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم و
هذا بان يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه
وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سياتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذا العلوم

لمزيد خوفا وتواضعا وتخشعا ويقتضي ان يرى ان كل الناس خير منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في
القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال ابو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال فان قلت
فما بال بعض الناس يزدادون بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان له سببين احدهما ان يكون اشتغاله
بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي وانما العلم الحقيقي ما يعرف العبد به نفسه وربه وخطر امره في لقاء
الله والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء فاما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق
المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ بها امتلأ كبرا ونفاقا وهذه بان تسمى صناعات اولى
من ان تسمى علوما بل العلم معرفة الربوبية والعبودية وطريق العبادة وهذا يورث التواضع غالبا
السبب الثاني ان يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة ردي النفس سيء الاخلاق فلم يشتغل
اولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر
فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره
وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار
بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوله
على قدر هممها واهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا وهذا لان من كانت همته الكبر وهو
جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل خائفا مع جهله فاذا ازداد علما
علم ان الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وذلا وتواضعا فالعلم من اعظم ما يتكبر به ولاجل
ذلك قال الله تعالى لنبيه واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال ولو كنت فظا غليظ
القلب لانفضوا من حولك ووصف اولياءه فقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس يكون قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون
قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال اولئك منكم ايها الامة اولئك هم
وقود النار ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم ولذلك استأذن
تميم الداري عمر في القصص فابى ان يأذن له وقال له انه الذبح واستأذنه رجل كان امام قومه انه
اذا سلم من صلاته ذكرهم فقال اني اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم قال
لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا اني رأيت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان
مثله لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الامة فما اعز على بسيط الارض عالما يستحق
ان يقال له عالم ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان يفارق
بل يكون النظر اليه عبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في اقصى
الصين لسعينا اليه رجاء ان يشملنا بركته ويسري الينا سيرته وسجيته وهيهات فانى يسمح آخر
الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول قد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم
بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة وذلك ايضا اما
معدوم واما عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سيأتي على الناس زمان من تمسك

بعشر ما انتم عليه نجا لكان جديرا بنا ان نقتحم ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن
فيه من سوء اعمالنا ومن لنا ايضا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشره
فنسأل الله تعالى ان يعاملنا بما هو اهله وان يستر قبائح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله والثاني
العمل والعبادة وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد و
يترشح الكبر منهم في الدين والدنيا اما الدنيا فهو انهم يرون غيرهم بزيارتهم اولى منهم بزيارة
غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع و
التقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكأنهم يرون عبادتهم
منة على الخلق واما في الدين فهو ان يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك بالحقيقة مهما رأى
ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال
ذلك لان هذا القول يدل على انه مزدر بخلق الله مغتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته
وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء شرا ان يحقر
اخاه المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه الله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجوه
لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله فهم يتقربون الى الله بالدنو منه وهو يتمقت الى الله
بالتنزه والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فما اجدرهم اذا احبوه لصلاحه ان ينقلهم الله الى
درجته في العمل وما اجدره اذا ازدراهم بعينه ان ينقله الله الى حد الاهمال كما يروى ان رجلا في بني
اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل يقال له عابد بني اسرائيل وكان على راس العابد
غمامة تظله فلما مر الخليع به فقال الخليع في نفسه انا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو
جلست اليه لعل الله ان يرحمني فجلس اليه فقال العابد انا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل
كيف يجلس الي فأنف منه وقال له قم عني فاوحى الله الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل
فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد وفي حديث آخر فتحولت الغمامة الى راس الخليع وهذا
يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم والجاهل والعاصي اذا تواضع وذل هيبة لله وخوفا
منه فقد اطاع بقلبه فهو اطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب وكذلك روي ان رجلا في بني
اسرائيل اتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى
الله اليه ايها المتألي علي بل انت لا يغفر الله لك ولذلك قال الحسن وحتى ان صاحب الصوف اشد
كبرا من صاحب المطرف الخز اي صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى له الفضل على نفسه وهذا
الآن ايضا قلما ينفك عنه العباد وهو انه لو استخف به مستخف او آذاه مؤذ استبعد ان
يغفر الله له ولا يشك في انه صار ممقوتا عند الله ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك
لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين العجب والكبر والاغترار بالله وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم
الى ان يتحدى ويقول سترون ما يجري عليه واذا اصيب بنكبة زعم ان ذلك من كراماته وان الله ما
اراد به الا شفاء غليله والانتقام له منه مع انه يرى طبقا من الكفار يسبون الله ورسوله وعرف
جماعة آذوا الانبياء صلوات الله عليهم فمنهم من ضربهم ومنهم من قتلهم ثم ان الله امهل اكثرهم ولم يعاجلهم

في الدنيا بل ربما اسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا والآخرة ثم الجاهل المغرور يظن انه اكرم على الله من
انبيائه وانه قد انتقم له بما لم ينتقم لانبيائه ولعله في مقت الله باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه
فهذه عقيدة المغترين واما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمي حين
هبت ريح او صاعقة ما يصيب الناس الا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وما قاله الآخر لما انصرف
من عرفات كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهرا و
باطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذلك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما
هو ضحكة للشياطين ثم انه يمتن على الله بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله فقد احبط
بجهله جميع عمله فان الجهل افحش المعاصي واعظم شيء يبعد العبد عن الله حكمه لنفسه بانه خير من غيره
جهل محض وامن من مكر الله ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وكذلك روي ان رجلا ذكر
بخير للنبي صلى الله عليه وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال اني ارى
في وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
اسالك بالله حدثتك نفسك ان ليس في القوم افضل منك قال اللهم نعم فراى رسول الله صلى الله عليه و
سلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه آفة لا ينفك عنها احد من العباد
الا من عصمه الله لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات الدرجة الاولى
ان يكون الكبر مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من
يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد رسخ في نفسه شجرة الكبر ولكنه قطع اغصانها بالكلية الثانية
ان يظهر ذلك على افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر في
حقه وادنى ذلك في العالم ان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب
جبينه كانه متنزه عن الناس مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع
ليس في الجبهة حتى يقطبها ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى يطاطا ولا في الذيل حتى يضم انما الورع
في القلوب قال صلى الله عليه وسلم التقوى هاهنا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق
واتقاهم وكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال الحارث بن جزء
الزبيدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني من القراء كل طلق مضحاك فاما الذي تلقاه
ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعمله فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله يرضى ذلك لما قال
لنبيه صلى الله عليه وسلم اخفض جناحك الآية وهؤلاء الذين يظهر اثر الكبر على شمائلهم واحوالهم اخف
حالا عن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة
والمباهاة وتزكية النفس وحكاية الاحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل اما
العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن اين زهده فيطول اللسان فيهم
بالتنقيص ثم يثني على نفسه ويقول اني لم افطر منذ كذا وكذا ولا انام بالليل واختم القرآن في كل يوم وفلان
ينام سحرا ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه يدعي الكرامة لنفسه واما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم
يصلون بالليل قام وصلى اكثر مما كان يصلي وان كانوا يصبرون على الجوع فيكلف النفس الصبر ليغلبهم

ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا من ان يقال غيره اعبد منه او اقوى
منه في دين الله واما العالم فانه يتفاخر ويقول انا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق
رايت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن انت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث
كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما مباهاته فهو انه يجتهد في المناظرة ان يغلب ولا يغلب
ويسهر طول الليل والنهار ويحصل علوما يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة
وتسجيع الالفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليتعزز بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث
الفاظها واسانيدها حتى يرد على من اخطا فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح مهما اخطا
واحد ليرد عليه ويسوءه اذا اصاب واحسن خيفة من ان يرى انه اعظم منه فهذا كله اخلاق
الكبر وآثاره الذي يثمرها التعزز بالعلم والعمل واين من يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه فليت شعري
من عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه
مثقال حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ويقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم هو من اهل النار وانما العظيم من خلى عن هذا ومن خلى عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر
والعالم هو الذي فهم ان الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رايت
لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه
ان لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا فهذا هو الكبر بالعلم والعمل والثالث التكبر بالنسب والحسب
فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه عملا وعلما وقد يتكبر
بعضهم فيرى ان الناس له موال وعبيد ويانف من مخالطتهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول
لغيره يا نبطي ويا هندي ويا ارمني من انت ومن ابوك وانا ابن فلان بن فلان واني لمثلك ان يكلمني
او ينظر الي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق في النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا
وعاقلا الا انه قد لا يترشح منه عند اعتدال الاحوال فان غلبه غضب اطفا ذلك نور بصيرته وترشح
منه كما روي عن ابي ذر انه قال قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء
فقال النبي صلى الله عليه وسلم طف الصاع طف الصاع ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل قال
ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل قم فطا على خدي فانظر كيف نبهه رسول الله صلعم انه راى لنفسه
فضلا بكونه بيضاء وان ذلك خطا وجهل وانظر كيف تاب وكيف قلع من نفسه شجرة الكبر
باخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل ومن ذلك ما روي ان رجلين
تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال احدهما للآخر انا فلان بن فلان فمن انت لا ام لك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى
عد تسعة فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من اهل النار وانت عاشرهم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن
اهون على الله من الجعلان التي تدوف بآنافها القذر والرابع التفاخر بالجمال وذلك يجري
اكثره بين النساء ويدعو ذلك الى التنقيص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك

ما روي عن عايشة انها قالت دخلت امراة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدي هكذا اي انها
صغيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتها وهذا منشاؤه خفي الكبر لانها لو كانت ايضا صغيرة
لما ذكرتها بالصغر فكانها اعجبت بقامتها واستقصرت المراة في جنب نفسها فقالت ما قالت
والخامس الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في الخزاين وبين التجار في بضايعهم وبين الدهاقين
في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول انت مكد
ومسكين وانا لو اردت اشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك واثاث
بيتي يساوي اكثر من جميع ما معك وانا انفق في اليوم ما لا تاكله في السنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى
واستحقاره الفقر وكل ذلك جهل منه بآفة الغنى وفضيلة الفقر واليه الاشارة بقوله تعالى فقال
لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي
ان يوتين خيرا من جنتك الى قوله طلبا فكان ذلك تكبرا منه بالمال والولد ثم بين الله عاقبة امره بقوله
يا ليتني لم اشرك بربي احدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى فخرج على قومه في زينته حتى قال القوم يا ليت
لنا مثل ما اوتي قارون **والسادس** الكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف **والسابع**
التكبر بالانصار والاتباع والتلامذ والغلمان وبالعشيرة والاقارب والبنين ويجري ذلك بين
الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء في المكاثرة بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد
كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا امكن ان يتكبر به حتى ان المخنث ليتكبر على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته
في صناعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد
يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ان ذلك كمال وان كان مخطيا
فيه فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض فيتكبر من يدلي بشيء منه على من لا يدلي به او على من
لا يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله او فوقه عند الله كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو اعلم
منه لظنه انه الاعلم ولحسن اعتقاده في نفسه

بيان البواعث على الكبر واسبابه المهيجة له

اعلم ان الكبر خلق باطن اما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهي ثمرتها ونتيجتها وينبغي ان يسمى تكبرا
ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير وهذا
الباطن له موجب واحد وهو العجب كما سياتي معناه فاذا اعجب بنفسه وبعلمه وعمله او بشيء من
اسبابه استعظم نفسه وتكبر واما الكبر الظاهر فاسبابه ثلثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر
عليه وسبب يتعلق بغيرهما اما السبب الذي في المتكبر فهو العجب والذي يتعلق بالمتكبر عليه
هو الحقد والحسد والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء فتصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والحقد و
الحسد والرياء اما العجب فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الاعمال
والاقوال والاحوال واما الحقد فانه يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله
او فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فاورثه الغضب الحقد ورسخ في قلبه بغضه فهو
لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنده مستحقا للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه النفس
على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه وبغضه له ويحمله ذلك على رد الحق اذا جاءه من جهته وعلى

الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان علم انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحله
وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يساله عما هو جاهل به **واما الحسد** فانه ايضا يوجب
البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد ايضا الى
جحد الحق حتى يمنع من قبول النصح وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه
ان يستفيد من واحد من اهل بلده او اقاربه حسدا وبغيا عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته
بانه يستحق التواضع بفضل علمه ولكن الحسد يبعثه على ان يعامله باخلاق المتكبرين وان كان في باطنه ليس
يرى نفسه فوقه **واما الرياء** فهو ايضا يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه
افضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له
في الاستفادة خيفة من ان يقول الناس انه افضل منه فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد
ولو خلي معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه واما الذي يتكبر بالعجب او الحسد او الحقد فانه يتكبر ايضا عند
الخلو به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمي الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على
من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطرق ولا يرضى بمساواته في
الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا بانه لا يستحق ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بانه كاذب في دعوى
النسب ولكن يحمله الرياء على افعال المتكبرين فكان اسم المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال
عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاستحقار وهذا ان سمي متكبرا فلاجل التشبه
بافعال المتكبرين

بيان اخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر من اثر التواضع والتكبر

اعلم ان التكبر يظهر في شمايل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه راسه وجلوسه متربعا ومتكئا
وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وفي
حركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي ساير تقلباته في احواله واقواله واعماله فمن المتكبرين من يجمع
ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض **فمنها** التكبر بان يحب قيام الناس له
او بين يديه وقد **قال** علي رضي الله عنه من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل
قاعد وبين يديه قوم قيام **وقال** انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه و
سلم وكانوا اذا راوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي
خلفه **وقال** ابو الدرداء لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان عبد
الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف
الحسن البصري فمنعهم وقال ما يبقي هذا من قلب العبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم اما لتعليم غيره واما
لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما اخرج الثوب الجديد في الصلوة وابدله
بالخلق لاحد هذين المعنيين **ومنها** ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير لغيره
في الدين وهو ضد التواضع روي ان سفيان الثوري قدم الرملة فبعث ابراهيم بن ادهم
اليه ان تعال فحدثنا فجاءهم سفيان فقيل له يا ابا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال اردت

ان انظر كيف تواضعه ومنها ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان
يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابو وهب جلست الى عبد العزيز بن ابي رواد فمس
فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ ثيابي فجرني الى نفسه وقال لم تفعلون بي ما تفعلون
بالجبابرة واني لا اعرف منكم رجلا شرا مني قال انس كانت الوليدة من ولائد المدينة تاخذ
بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها
ان يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى منها وهو كبر دخل رجل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعليه جدري قد تقشر وعنده اصحابه ياكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه
فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم بجنبه وكان عبد الله بن عمر لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا
ابرص ولا مبتلى الا اقعده على مائدته ومنها ان لا يتعاطى بيده شغلا في بيته والتواضع
خلافه وروي ان عمر بن عبد العزيز اتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفى فقال
فقال الضيف اقوم الى المصباح فاصلحه قال ليس من كرم الرجل ان يستخدم ضيفه قال افانبه
الغلام قال هي اول نومة نامها فقام واخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف قمت انت بنفسك
يا امير المؤمنين فقال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر وخير الناس عند الله من كان متواضعا
ومنها ان لا ياخذ متاعه ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلعم
يفعل ذلك وقال علي رضي الله عنه لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شي الى عياله وكان ابو عبيدة
بن الجراح وهو امير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وقال ثابت بن ابي مالك رايت ابا هريرة
اقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال اوسع الطريق للامير يا ابن
ابي مالك وعن الاصبغ بن ابي نباتة قال كاني انظر الى عمر معلقا لحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى
الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله وقال بعضهم رايت عليا اشترى لحما بدرهم فحمله في
ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المؤمنين قال لا ابو العيال احق ان يحمل ومنها اللباس
اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان قال هرون
سالت معنا عن البذاذة فقال هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رايت عمر بن الخطاب
خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربعة عشر رقعة بعضها من ادم وعوتب علي في ازار
مرقوع قال يقتدي بي المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب
وقال طاوس اني لاغسل ثوبي هذين فانكر قلبي ما داما نقيين وروي ان عمر بن عبد العزيز
كان قبل ان يستخلف يشترى له الحلة بالف دينار فيقول ما اجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف
كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما اجوده لولا لينه فقيل له اين لباسك و
مركبك وعطرك قال ان لي نفسا ذواقة تواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى
الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي ارفع الطبقات تاقت الى ما عند الله عز وجل وقال
سعيد بن سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه
ومن خلفه فقال له رجل يا امير المؤمنين ان الله قد اعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع راسه فقال

ان

ان افضل القصد عند الجدة وان افضل العفو عند القدرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء لوجهه كان حقا على الله ان يدخره عبقري
الجنة فان قلت فقد قال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه و
سلم عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق
الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من ضرورته ان يكون من التكبر في حق كل احد في كل حال وهو
الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي عرفه الله من حال ثابت بن قيس اذ قال اني امرؤ
حبب الي الجمال فعرفه ان ميله الى النظافة وجودة الثياب لا للتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته
ان يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثياب الدون قد يكون من التواضع وعلامة
المتكبر ان يطلب التجمل اذا راه الناس ولم يبال اذا انفرد بنفسه كيف يكون وعلامة طالب
الجمال ان يحب الجمال في كل شي ولو في خلوته وحتى في ستور داره فذلك ليس من الكبر فاذا انقسمت
الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام على بعض الاحوال على ان قوله هو خيلاء القلب يعني قد يورث
خيلاء في القلب وقول نبينا صلى الله عليه وسلم انه ليس من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز
ان لا يوجبه ثم يكون هو مورثا للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط
في اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرذالة وقد قال صلى الله عليه وسلم كلوا واشربوا
والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده وقال
بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك وامتيوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون
التكبر بثياب اهل الصلاح وقد قال عيسى عليه السلام ما لكم تاتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم
قلوب الذئاب الضواري البسوا ثياب الملوك والينوا قلوبكم بالخشية ومنها ان يتواضع بالاحتمال
اذا سب واوذي واخذ حقه فذلك هو الاصل وقد اوردنا ما نقل عن السلف من احتمال الاذى
في كتاب الغضب والحسد وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبه ينبغي ان يقتدى ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابن ابي سلمة قلت لابي سعيد الخدري ما ترى
فيما احدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم قال يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس لله و
كل شي من ذلك دخله زهو او مباهاة او رياء او سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك
من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج في بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير
ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب وياكل مع خادمه ويطحن عنه اذا
اعيا ويشتري الشي من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه بيده او يجعله في طرف ثوبه
فينقلب الى اهله ويصافح الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتديا على كل من استقبله
من صغير او كبير اسود او احمر حر او عبد من اهل الصلوة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه
ولا يستحيي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا
حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل
المعاشرة طلق الوجه بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير

مذلة جواد من غير سرف رحيم بكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دائم الاطراق ولم يتشأ قط من شبع ولم يمد يده الى طمع قال ابن ابي سلمة فدخلت على عايشة ام المؤمنين فحدثتها كلها عن ابي سعيد فقالت ما اخطا له حرفا ولقد قصر وما اخبرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتل قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى وكانت الفاقة احب اليه من اليسار والغنى وان كان ليظل جايعا فيطوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء ان يسال ربه فيوتي بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل وربما بكيت له رحمة مما اوتي من الجوع فامسح بطنه بيدي فاقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عايشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شي احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت عايشة فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله فما نقل عن احواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن راى نفسه فوق محمد صلى الله عليه وسلم ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما اشد جهله ولقد كان اعظم خلق الله منصبا في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة الا في الاقتداء به ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام وقال ابو الدرداء اعلم ان لله عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبياء هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوة ابدل الله مكانهم قوما من امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلوة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصح لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر بخير وتواضع في غير مذلة وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقا ثلثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابرهيم خليل الرحمن لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله تع قد انشا من يخلفه واعلم يا اخي انهم لا يلعنون شيا ولا يوذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون احدا ولا يحرصون على الدنيا هم اطيب الناس خيرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله واشتياقا اليه وقدما في استباق الخيرات اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون قال الراوي فقلت يا ابا الدرداء اما سمعت بصفة اشد علي من هذه الصفة وكيف لي ان ابلغها قال فما بينك وبين ان تكون في اوسعها الا ان تبغض الدنيا فانك اذا ابغضت الدنيا اقبلت على حب الآخرة وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله من عبد حسن الطلب افرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن اخي ان ذلك في كتاب الله المنزل ان الله مع الذين

اتقوا

اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن ابي كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته **بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع** اعلم ان الكبر من المهلكات ولا يخلو احد من الخلق عن شي منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له وفي معالجته مقامان احدهما استيصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسه في القلب والثاني دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره **المقام الاول** في استيصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفاء الا بمجموعهما اما العلمي فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة والمهانة واذا عرف ربه علم انه لا يليق العظمة والكبرياء الا بالله اما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم الصديقين واما معرفته نفسه فهي ايضا تطول ولكنا نذكر منه ما ينفع في اثارة التواضع والمذلة ويكفيه ان يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فان في القرآن علم الاولين والآخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال تع قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره فقد اشارت الآية الى اول خلق الانسان والى آخر امره والى وسطه فلينظر الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيا مذكورا وقد كان في كتم العدم دهورا ثم لم يكن لعدمه اول واي شي اخس واقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من اذل الاشياء ثم من اقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم جعله عظما ثم كسى العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار شيا مذكورا فما صار مذكورا الا وهو على اخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق في ابتدايه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدا بموته قبل حيوته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وبكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه قبل قدرته فهذا معنى قوله من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره ومعنى قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل ومعناه انه احياه بعد ان كان جمادا ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا واسمعه بعد ما كان اصم وبصره بعد ما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضاء بما فيها من العجايب والآيات بعد الفقد لها واغناه بعد الفقر واشبعه بعد الجوع وكساه بعد العري وهداه بعد الضلال فانظر كيف دبره وصوره والى السبيل كيف يسره والى طغيان الانسان ما اكفره والى جهل الانسان كيف اظهره فقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون فانظر الى نعمة الله كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة الى هذه الرفعة والكرامة فصار موجودا بعد العدم وقويا بعد الضعف

وعالما بعد الجهل وهاديا بعد الضلال وقادرا بعد العجز وغنيا بعد الفقر فكان من ذاته لا شيء واي
شيء اخس من لا شيء واي قلة اقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئا وانما خلقه من التراب الذليل و
النطفة القذرة بعد العدم المحض ليعرفه خسة ذاته فيعرف بها نفسه وانما اكمل النعمة عليه ليعرف بها
ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وانه لا يليق الكبرياء الا به ولذلك امتن عليه فقال الم نجعل له عينين و
لسانا وشفتين وهديناه النجدين وعرف خسته اولا فقال الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة
فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده ابتداء بالاختراع
فمن كان هذا بدؤه وهذه احواله فمن اين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق اخس
الاخساء واضعف الضعفاء نعم ولو اكمله وفوض اليه امره وادام له الوجود باختياره لجاز ان
يطغى وينسى المبدأ والمنتهى ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الامراض الهائلة والاسقام العظيمة
والآفات المختلفة والطبايع المتضادة من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من اجزائه البعض
شاء ام ابى رضي ام سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا
ولا حيوة ولا نشورا يريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان يذكر الشيء فينساه ويريد ان ينسى الشيء ويغفل
عنه فلا يغفل ويريد ان ينصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية الوسواس والافكار بالاضطرار
فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ويكره الشيء ويكون حيوته
فيه يستلذ الاطعمة وتهلكه وترديه ويستبشع الادوية وهي تنفعه وتحييه ولا يامن في لحظة
من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره ويفلج اعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب
جميع ما يهواه في دنياه فهو مضطر ذليل ان ترك بقي وان اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شيء
من نفسه وغيره فاي شيء اذل منه لو عرف نفسه وانى يليق به الكبر لولا جهله فهذا وسط احواله
فليتأمله واما آخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره
ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وادراكه وحركته فيعود جمادا كما كان
اول مرة لا يبقى الا شكل اعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة
قذرة كما كان في الاول نطفة مذرة ثم تبلى اعضاؤه وتتفتت اجزاؤه وتنخر عظامه فيصير رميما
ورفاتا وياكل الدود اجزاءه فيبتدي بحدقتيه فيقلعهما وبخديه فيقطعهما وبساير اجزائه فيصير
روثا في اجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل انسان ويهرب منه
لشدة الانتان واحسن احواله ان يعود الى ما كان ويصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر به البنيان
ويصير مفقودا بعد ما كان موجودا وصار كان لم تغن بالامس حصيدا كما كان في اول مرة امدا مديدا
وليته بقي كذلك فما احسنه لو ترك ترابا لا يحييه بعد طول البلى ليقاسي شدايد البلاء فيخرج من قبره
بعد جمع اجزائه المتفرقة ويخرج الى اهوال القيمة فينظر الى قيامة قائمة وسماء ممزقة مشققة وارض مبدلة
وجبال مسيرة ونجوم مكدرة وشمس منكسفة واحوال مظلمة وملايكة غلاظ شداد وجحيم تزفر وجنة
ينظر اليها المجرم فيتحسر ويرى صحايف منشورة فيقال له اقرأ كتابك فيقول وما هو فيقال كان قد وكل بك
في حيوتك التي كنت تفرح وتتكبر بنعيمها وتفتخر باسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما تنطق به او تعمله

قليل وكثير ونقير وقطمير واكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك واحصاه الله فهلم الى
الحساب واستعد للجواب او تساق الى دار العذاب فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب
قبل ان تنشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه فاذا شاهدها قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا
يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فهذا آخر امره وهو معنى قوله تع ثم اذا شاء انشره فما لمن هذا
حاله وللتكبر بل ماله وللفرح في لحظة فضلا عن البطر والبخترة فقد ظهر له اول حاله ووسطه ولو ظهر
آخره والعياذ بالله ربما اختار ان يكون كلبا وخنزيرا ليصير مع البهايم ترابا ولا يكون انسانا يسمع خطابا
ويلقى عذابا وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير اشرف منه واطيب وارفع اذ اوله التراب وآخره
التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق ولو رأى العبد المذنب
في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا رايحته لماتوا من نتنها ولو وقعت
قطرة من شرابه الذي يسقى به في بحار الدنيا لصارت انتن من الجيف فمن هذا حاله في العاقبة الا ان يعفى
عنه وهو على شك من العفو فكيف يتكبر وكيف يرى نفسه شيئا حتى يعتقد له فضلا واي عبد
لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة الا ان يعفو الكريم بفضله ارايت من جنى على بعض الملوك بما استحق
به الف سوط فحبس في السجن وهو ينتظر ان يخرج الى العرض ويقام عليه العقوبة على ملاء من الخلق و
ليس يدري ايعفى عنه ام لا كيف يكون ذله في السجن افترى انه يتكبر على من في السجن وما من عبد
مذنب الا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تع ولا يدري كيف يكون امره فيكفيه ذلك حزنا
وخوفا واشفاقا ومهانة وذلا فهذا هو العلاج العلمي القالع لاصل الكبر واما العلاج العملي
فهو التواضع بالفعل لله ولساير الخلق بالمواظبة على اخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكينا من احوال
الصالحين ومن احوال رسول الله حتى انه كان ياكل على الارض ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد و
قيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جيدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست اشار به الى العتق
في الآخرة ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل ولذلك امر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالايمان
وبالصلوة جميعا وقيل الصلوة عماد الدين وفي الصلوة اسرار لاجلها كان عمادا ومن جملتها ما فيه
من التواضع بالمثول قائما وبالركوع وبالسجود وقد كانت العرب قديما يانفون من الانحناء فكان
يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس راسه لاصلاحه
قال حكيم بن حزام بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا اخر الا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه
وسلم ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود منتهى الذلة والضعة امروا به لينكسر بذلك
خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه امر ساير الخلق فان الركوع والسجود و
المثول قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من
الافعال فليواظب على نقيضها حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة
الا بالعلم والعمل جميعا وذلك لخفي العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك (الملك وهو)
والقلب من عالم الملكوت **المقام الثاني** فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة
المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه ان الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت

فكان وهمي فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في
جميع الاسباب السبعة، الاول النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه
بمعرفة امرين، احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل، لئن
فخرت باباء ذوي نسب لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا، فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا
في صفات ذاته فمن اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب اليه حيا لكان له ان يقول
الفضل لي ومن انت وانما انت دودة خلقت من بولي افترى ان الدودة التي من بول الانسان
اشرف من الدودة التي من بول فرس هيهات فهما متساويان والشرف للانسان لا للدود، و
الثاني هو ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده وان اباه القريب نطفة قذرة
وجده البعيد تراب ذليل فدغه وقد عرفه الله نسبه فقال احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان
من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله من التراب المهين الذي يداس بالاقدام ثم خمر طينه
حتى صار حما مسنونا كيف يتكبر واخس الاشياء ما اليه نسبه اذ يقال ما اذل من التراب وما انتن
من الحماة وما اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب فيقول افتخر بالقريب
دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب اليه من الاب فليحتقر نفسه به ثم ان كان ذلك يوجب رفعة
لقربه فالاب الاعلى من التراب فمن اين رفعته واذا لم يكن له رفعة فمن اين جاءت الرفعة لولده فاذا
اصله من التراب وفصله من النطفة فلا اصل له ولا فصل هذا غاية خسة النسب فالاصل
يوطا بالاقدام والفصل يغسل منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر
بالنسب ويكون مثاله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند
نفسه من بني هاشم وقد اخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك اذ
اخبره عدول لا يشك في قولهم انه ابن هندي حجام يتعاطى القذر وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم
يبق له شك في صدقهم افترى ان ذلك يبقي شيئا من كبره لا بل يصير عند نفسه احقر الناس
واذلهم فهو من استشعاره الخزي لخسته في شغل عن ان يتكبر على غيره فهذا حال البصير اذا
تفكر في اصله وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب
او يتعاطى الدم بالحجامة او غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة اعضاء ابيه للتراب والدم
فكيف اذا عرف انه في نفسه من التراب والدم والاشياء القذرة التي يتنزه عنها هو في نفسه
السبب الثاني الكبر بالجمال ودواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر الى
الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى باطنه راى من القبائح ما يكدر تعززه بجماله فانه وكل به الاقذار
في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبصاق في فيه والوسخ في
اذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابطيه يغسل الغائط كل يوم مرتين ويتردد
الى الخلاء كل يوم مرتين ليخرج من باطنه ما لو راه بعينه لاستقذره فضلا عن ان يمسه او يشمه
كل ذلك ليعرف قذارته وذلته هذا في حاله وفي اول امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من
النطفة ودم الحيض واخرج في مجرى الاقذار اذ اخرج من صلب ثم من الذكر مجرى البول ثم الى رحم مغيض

دم الحيض

دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر قال انس كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر الينا
انفسنا ويقول خرج احدكم من مجرى البول مرتين ولذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه
مشية من في بطنه خرا اذ راه يتبختر قبل خلافته هذا اوله ووسطه ولو ترك نفسه في حياته يوما
لم يتعهد بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وصار انتن واقذر من الدواب المهملة
التي لم تتعهد انفسها قط فاذا نظر انه خلق من اقذار واسكن في اقذار وسيموت فيصير جيفة
اقذر من سائر الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الازهار في البوادي فبينما
هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبائح خاليا لكان
يجب ان لا يتكبر به على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فينفيه ولا كان جمال الجميل اليه حتى يحمد عليه
كيف ولا بقاء له بل هو في كل حال يتصور ان يزول بمرض وجدري وقرحة وسبب من الاسباب
فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور ينزع عن القلب داء الكبر بالجمال لمن
اكثر تاملها السبب الثالث التكبر بالقوة ويمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل و
الامراض وانه لو توجع عرق واحد من بدنه لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب
شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت انفه او نملة دخلت اذنه لقتلته وان شوكة
لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم
بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي ان يفتخر بقوته ثم ان قوي انسان فلا يكون اقوى
من حمار او بقر او فيل او جمل واي افتخار في صفة يسبقك البهائم فيها، السبب الرابع
الغنى وكثرة المال وفي معناه كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلطان والتمكن من خدمتهم و
كل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا افحش انواع الكبر فان المتكبر
بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والتكبر بتمكين السلطان
وولايته لا بصفة في نفسه بنى امره على قلب هو اشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان
اذل الخلق وكل متكبر بامر خارج من نفسه فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنى لو تامل لراى في
اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل فاف لشرف يسبقك اليهود به واف لشرف
ياخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه اسباب ليست في ذاته
وما هو في ذاته ليس اليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما
ليس اليك فليس لك وشيء من هذه الامور ليس اليك بل الى واهبه ان ابقاه بقي وان استرجعه
زال وما انت الا عبد مملوك لا يقدر على شيء فمن عرف ذلك فلا بد ان يزول كبره ومثاله
ان يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ
شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان وان ابويه كانا مملوكين له
فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجاء مالكه فاخذه واخذ جميع ما في يده وهو مع ذلك يخشى ان يعاقبه
وينكل به لتفريطه في امواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فراى نفسه
محبوسا في منزل قد احدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال وجل من كل واحد منها

وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة افترى ان من هذا حاله هل
يتجبر بقدرته وثروته وكماله ام يذل في نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه
كذلك فانه لا يملك رقبته وماله وبدنه واعضاءه وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وامراض
واسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك فمن هذا حاله لا يتكبر بقدرته اذ يعلم انه
لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج الكبر بالاسباب وهو اهون من علاج التكبر بالعلم والعمل
فانهما كمالان في النفس جديران بان يفرح بهما ولكن في التكبر بهما ايضا نوع من جهل خفي كما
سنذكره السبب الخامس الكبر بالعلم وهذا اعظم الآفات واغلب الادواء وابعدها
عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله عظيم
عند الناس وهو اعظم من قدر المال والجمال وغيرهما بل لا قدر لهما اصلا الا اذا كان معهما علم
وعمل ولذلك قال كعب ان للعلم طغيانا كطغيان المال وكذلك قال عمر العالم اذا زل زل
عالم فيعجز العالم ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم ولن
يقدر العالم على دفع الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله على اهل العلم آكد وانه يحتمل
من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وان من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض حق
نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيمة فتندلق اقتابه
فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا
آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله سبحانه من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال مثل الذين حملوا
التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار اراد به علماء اليهود وقال في بلعم بن باعور واتل عليهم نبأ الذي آتيناه
آياتنا الى قوله كمثل الكلب قال ابن عباس اوتي بلعم كتابا فاخلد الى شهوات الارض ان تحمل عليه
يلهث او تتركه يلهث اي سواء آتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر
فاي عالم لم يتبع شهوته واي عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه فمهما خطر للعالم عظم قدره بالاضافة
الى الجهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره
اعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة اعدائه فانه اذا اخذ وقهر
اشتهى ان يكون قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه
فهذا الخطر يمنع من التكبر لانه ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر فلا ينبغي ان
يكون العالم اكبر عند نفسه من الصحابة وقد كان بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني امي ويأخذ الآخر
تبنة من الارض ويقول يا ليتني كنت هذه التبنة ويقول الآخر ليتني كنت طيرا اوكل كل ذلك خوفا من
خطر العاقبة فكانوا يرون انفسهم اسوء حالا من الطير والتراب ومهما طال فكره في الخطر الذي
هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كانه شر الخلق ومثاله عبد امره سيده بامور شرع
فيها وترك بعضها وادخل النقصان في بعضها وشك في بعضها انه هل اداها كما يرضاه مولاه ام لا
فاخبره مخبر ان مولاه مرسل اليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا ذليلا ويلقيه على بابه في
الشمس والحر زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به المجهود امر برفع حسابه وفتش عن جميع

اعماله قليلها وكثيرها ثم امر به الى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده
قد فعل بطوائف عبيده مثل ذلك وعفى عن بعضهم وهو لا يدري انه من اي الفريقين يكون فاذا
تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق
بل تواضع رجاء ان يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب به فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه
من اوامر ربه بجنايات على جوارحه وبذنوب في باطنه من الرياء والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم
ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة الامر الثاني ان العالم يعرف ان الكبر
لا يليق الا بالله عز وجل وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع
وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأيت لنفسك قدرا فلا قدر لك فلا بد وان
يكلف نفسه ما يحب مولاه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن انه لا ذنب له مثلا
ان تصور ذلك وبهذا زال الكبر عن الانبياء اذ علموا ان من نازع الله في رداء الكبرياء قصمه الله و
قد امرهم الله بان يستصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا ايضا مما يبعثه على التواضع
لا محالة فان قلت فكيف يتواضع للفاسق المظاهر بالفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم
وهو عالم به وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى وكيف يغنيه ان يخطر بباله خطر العلم
وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكثر فاعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى
كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان ويضل هذا العالم ويختم له بالكفر
والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة ممن هو عند الله من اهل النار و
هو لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه فاستحقره وازدراه لكفره
وقد رزقه الله الاسلام وفاق جميع المسلمين الا ابا بكر وحده فالعواقب مطوية على العباد ولا ينظر
العاقل الا الى العاقبة وجميع الفضائل في الدنيا تراد للعاقبة فاذن حق العبد ان لا يتكبر على احد
بل ان نظر الى جاهل قال انه عصى الله بجهل وانا عصيت الله بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى عالم يقول
انه قد علم ما لم اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى من هو اكبر منه قال انه اطاع الله قبلي فكيف اكون
مثله وان نظر الى مبتدع او كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه فليس دوام
الهداية الي كما لم يكن ابتداؤها الي فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بان
يعلم بان الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري هذا الخطر
مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه ولكن حق على كل واحد ان يكون مصروف الهم الى نفسه مشغول القلب
بخوفه لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره فان الشفيق بسوء ظن مولع وشفقة كل انسان على
واذا حبس جماعة في جناية ووعدوا بان تضرب رقابهم لم يتفرغوا للتكبر بعضهم على بعض وان
عمهم الخطر اذ شغل كل واحد منهم نفسه عن الالتفات الى غيره حتى كان كل واحد هو وحده في
مصيبته وخطره فان قلت فكيف ابغض المبتدع في الله وابغض الفاسق وقد امرت ببغضهما
ثم مع ذلك اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا امر مشتبه يلتبس على اكثر الخلق اذ يمتزج
غضبك لله في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع فكم من عابد جاهل وعالم مغرور

اذا رأى فاسقا جلس بجنبه اذ عجز من عنده وتنزه منه بكبر باطن في نفسه وهو ظان انه قد غضب
لله كما وقع لعابد بني اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا والحذر منه ممكن و
الكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير فان الغضبان ايضا يتكبر على من غضب عليه و
المتكبر يغضب واحدهما يثمر الآخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما الا الموفقون والذي
يخلصك من هذا ان يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع او الفاسق او امرهما بالمعروف
ونهيهما عن المنكر ثلاثة امور احدها التفاتك الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر
عند ذلك قدرك في عينك والثاني ان يكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد
الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا
تعجب بنفسك واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته ربما يختم لك
بالسوء ويختم له بالحسنى حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه فان قلت فكيف اغضب
مع هذه الاحوال فاقول تغضب لمولاك وسيدك اذ امرك بان تغضب لا لنفسك
وانت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله
من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة واعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس
من ضرورة الغضب لله ان تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره وهو فاقول
اذا كان لملك غلام وولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره بان يضربه مهما راى
ولده قد اساء الادب وانما يغضب عليه لمولاه ولانه امره به ولانه يريد التقرب بامتثال امره
اليه ولانه جرى من ولده ما يكره فيضرب ولده ويغضب من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى
قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعز لا محالة من الغلام فاذن ليس من ضرورة الغضب
التكبر وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انه ربما كان
قدره عند الله في الآخرة اعظم لما سبق لهما من الحسنى في الازل ولما سبق لك من سوء القضاء
في الازل وانت غافل عنه مع ذلك فتغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى ما يكرهه مع التواضع
لمن تجوز عسى ان يكون عنده اقرب منك في الآخرة فهكذا يكون بعض العلماء والاكياس فينضم
اليه الخوف والتواضع اما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع جهله
بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله واعتقد البدعة مع الغضب
عليه ومجانبته بحكم الامر السبب السادس التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة
عظيمة على العباد وسبيله في ان يلزم قلبه التواضع لساير العباد وهو ان يعلم ان من يتقدم
عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيف ما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال تعالى هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على
ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل العلم فان قال العابد ذلك العالم عامل بعلمه
وهذا عالم فاجر فيقال له اما عرفت ان الحسنات يذهبن السيئات وكما ان العلم يمكن ان يكون
حجة على العالم يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الاخبار

بما يشهد لذلك واذا كان هذا امرا غائبا عنه لم يجز له ان يحتقر عالما بل وجب عليه ان
يتواضع له فان قلت فان صح هذا فينبغي ان يكون للعالم ان يرى نفسه فوق العابد لقوله صلى
الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فاعلم ان ذلك كان ممكنا
لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة الامر مشكوك فيها فيحتمل ان يموت بحيث يكون حاله عند الله اشد
من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به واذا
كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا فاذن كل واحد من العالم والعابد خائف على نفسه وقد كلف
امر نفسه لا امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك
يمنعه من التكبر بكل حال فهذه حال العابد مع العالم فاما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه
الى مستورين والى مكشوفين فينبغي ان لا يتكبر على المستور فلعله اقل منه ذنوبا واكثر منه
عبادة واشد منه حبا لله تعالى واما المكشوف حاله ان لم يظهر لك من الذنوب الا ما يزيد عليه
ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي ان تتكبر عليه ولا يمكن ان تقول هذا اكثر مني ذنبا لان عدد ذنوبك
وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على احصائها حتى تعلم الكثرة نعم يمكن ان تعلم ان ذنوبه اشد كما لو رأيت
منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا ينبغي ان تتكبر اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد و
الرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله وتخيل الخطأ فيه كل ذلك شديد عند الله
فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت بها عند الله ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر
الفسق من طاعات القلوب من حب الله واخلاص وخوف وتعظيم ما انت خال عنه وقد كفر عنه
سيئاته فينكشف الغطاء يوم القيمة فتراه فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما
عليك ينبغي ان يكون قريبا عندك ان كنت مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل هو مخوف
في حقك فانه لا تزر وازرة وزر اخرى وعذاب غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فاذا تفكرت في
هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان ترى نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن
منبه ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال العاشرة وما
العاشرة بها ساد مجده وعلا ذكره ان يرى الناس كلهم خيرا منه وانما الناس عنده فرقتان
فرقة هي افضل منه وارفع وفرقة هي شر منه وادنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه ان راى
من هو خير منه سره وتمنى ان يلحق به وان راى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو واهلك انا فلا
تراه خائفا من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير ولا ادري لعل فيه خلقا كريما بينه وبين
الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له بالحسنى والسعادة واحسن الاعمال وبري ظاهر فذلك شر لي
لا آمن فيما اظهر من الطاعات ان يكون دخلتها الآفات فاحبطتها ثم قال فحينئذ كمل عقله
وساد اهل زمانه فهذا كلامه وبالجملة من جوز ان يكون عند الله شقيا وقد سبق القضاء الازلي
بشقوته فما له سبيل الى ان يتكبر بحال من الاحوال نعم اذا غلب الخوف راى كل احد خيرا من نفسه و
ذلك هو الفضيلة كما روي ان عابدا اوى الى جبل فقيل له في النوم ائت فلانا الاسكاف فسله
ان يدعو لك فاتاه فسأله عن عمله فاخبره انه يصوم النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله

بعضه فرجع وهو يقول ان هذا الحسن ولكن ليس كالمتفرغ في طاعة الله فاتى في النوم ثانيا وقيل له ايت الاسكاف فقل له ما هذا الصفار بوجهك فاتاه فسأله فقال له ما رأيت احدا من الناس الا وقع لي انه سينجو واهلك انا فقال العابد بهذه والذي يدلك على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة اي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وقد وصف الله الملائكة مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادة على الدؤوب بالاشفاق قال الله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وانهم من خشية ربهم مشفقون ومتى زال الاشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الازل وينكشف عند خاتمة الاجل غلبه الامن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك فالكبر دليل الامن والامن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد فاذن ما يفسده العابد باضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر اليهم بعين الاستصغار اكثر مما يصلحه بظاهر الاعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير الا ان القلب بعد هذه المعرفة قد يضمر التواضع ويدعي البراءة من الكبر وهي كاذبة فاذا وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت وعدها فعن هذا لا ينبغي ان يكتفي في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي ان تكمل بالعمل ويجرب بافعال المتواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس **وبيانه** ان يمتحن النفس بخمس امتحانات هي ادلة على استخراج ما في الباطن وان كانت الامتحانات كثيرة **الامتحان الاول** ان يناظر في مسئلة مع واحد من اقرانه فان ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا دفينا فليتق الله وليشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبان يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما بالعمل فبان يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق ويطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتني عليه فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر من دله عليها فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على اقرانه بما فيهم ففيه كبر فان كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل في الملأ فليس فيه كبر وانما فيه رياء فليعالج الرياء بما ذكرنا من قطع الطمع عن الناس ويذكر القلب بان منفعته في كماله في ذاته وعند الله ينفعه الخلاص عن احدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج كلا الدائين فانهما جميعا مهلكان **الامتحان الثاني** ان يجتمع مع الاقران والامثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فان ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزال الكبر **وههنا** للشيطان مكيدة وهو ان يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال فيظن ان ذلك تواضع وهو عين التكبر فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر باظهار التواضع ايضا بل ينبغي ان يقدم اقرانه ويجلس تحتهم ولا ينحط عنهم الى صف النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن **الامتحان الثالث** ان يجيب دعوة

الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث في الباطن فليشتغل بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل الكبر **الامتحان الرابع** ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من السوق الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر او رياء فان كان يثقل ذلك مع خلو الطريق فهو كبر وان كان لا يثقل الا عند مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك من امراض القلب وعلله المهلكة ان لم تتدارك وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الاجساد وقد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم ويروى عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفونك قال اجل ولكن اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها اهي صادقة ام هي كاذبة وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد حمل قربة على عنقه فقال له اصحابه يا امير المؤمنين ما حملك على هذا فقال ان نفسي اعجبتني فاردت ان اذلها وفي الخبر من حمل الفاكهة والشيء فقد برئ من الكبر **الامتحان الخامس** ان يلبس ثياب بذلة فان نفور النفس عن ذلك في الملأ رياء وفي الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز له مسح يلبسه بالليل وقد قال صلى الله عليه وسلم انما انا عبد آكل بالارض والبس الصوف واعقل البعير والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني وروي ان ابا موسى الاشعري قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة فصلى فيها بالناس فهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملأ فهو الرياء وما وما يكون من الخلوة فهو الكبر فليتعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه

بيان غاية الرضا في خلق التواضع

اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة يسمى كبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود ان يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي قصد الامور ذميم واحب الامور الى الله اوساطها فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر ومن تأخر عنهم فهو متواضع اي وضع شيئا من قدره الذي يستحقه والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتخلى له مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وعدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل وهذا ايضا غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو ان يعطي كل ذي حق حقه فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لامثاله ولمن يقرب منه درجته فاما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال واجابته دعوته والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه اخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة امره وخاتمته فاذن سبيله في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه وان خف عليه ذلك

فقد حصل له خلق التواضع وان كان يثقل عليه وهو يفعل فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذى هو الصراط المستقيم وذلك غامض في هذا الخلق وفي ساير الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان واحدهما افحش وكذلك نهاية الكبر ونهاية التخسيس والتذلل مذمومان واحدهما اقبح من الآخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب على ما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا من بيان اخلاق الكبر والتواضع ۵

الشطر الثاني من الكتاب في العجب

وفيه بيان ذم العجب وآفته، وبيان حقيقة العجب والادلال وحدهما، وبيان علاج العجب على الجملة، وبيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه ۵

بيان ذم العجب وآفته

اعلم ان العجب مذموم في كتاب الله تع وسنة رسوله قال الله تع ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ذكر ذلك في معرض الانكار وقال تع وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتيهم الله من حيث لم يحتسبوا فرد على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تع وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لابي ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الامة فقال اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك وقال ابن مسعود الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما لان السعادة لا تنال الا بالسعي والطلب والجد والتشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد القانط فمن ثم جمع بينهما وقد قال الله تع فلا تزكوا انفسكم قال ابن جريج معناه اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا تبروها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد بنفسه فاكب عليه حتى اصيبت كفه فكانه اعجبه فعله العظيم اذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك فيه عمر فقال ما زال يعرف في طلحة باو منذ اصيبت اصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والباو هو الكبر في اللغة الا انه لم ينقل عنه انه اظهر ذلك واحتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال ابن عباس لعمر اين انت من طلحة قال ذاك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب امثالهم فكيف يتخلص الضعفاء ان لم ياخذوا حذرهم وقال مطرف لان ابيت نائما واصبح نادما احب الي من ان ابيت قايما واصبح معجبا ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب فجعل العجب اكبر الذنوب وكان بشر بن منصور من الذين اذا رئي ذكر الله تع والدار الآخرة لمواظبته على

العبادة فاطال الصلوة يوما ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف من الصلوة قال لا يعجبنك ما رايت مني فان ابليس لعنه الله قد عبد الله مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل لعايشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقال تع لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان العجب مذموم جدا ۵

بيان آفة العجب

اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرناه فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكره منها فيستصغرها ولا يستعظمها فلا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له واما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله تع بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكن منها ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال كان اكثر سعيه ضايعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوايب قلما تنفع وانما يتفقد من غلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ويامن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان اعجب برايه وعقله وعلمه منع ذلك من الاستفادة ومن الاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورايه ويستنكف من سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب بالراي الخطا الذى خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطايه فان كان رايه في امر دنيوي فيحقق فيه وان كان في امر ديني فيما يتعلق باصول العقايد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برايه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم آفاته ان يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وقد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه

بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما

اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان احديهما ان يكون خايفا على زواله ومشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا يكون خايفا من زواله لكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ايضا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهو ان يكون غير خايف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه به من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله بانه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله مهما شاء سلبه زال العجب بذلك عن نفسه فاذن العجب هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه بمكان حتى توقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد ان يجري عليه مكروه استبعادا

يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق يسمى هذا ادلالا بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة و
كذلك قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه او اقترح عليه الاقتراحات
او استبعد تخلفه عن قضاء حوائجه كان مدلا عليه قال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي
لا تدل بعملك وفي الخبر ان صلوة المدل لا ترتفع فوق رأسه ولأن تضحك وانت معترف بذنبك
خير من ان تبكي وانت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب
لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع
توقع فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منها كان مدلا بعمله فانه لا يتعجب من
رد دعاء الفساق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات
الكبر واسبابه **بيان علاج العجب على الجملة** اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضدها
وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل
تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا
اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول
الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجري
فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل
فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث انه هو منه وباختياره حصل وبقدرته وقوته تم فينبغي
ان يتأمل في قدرته وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي بها تم عمله انها من اين كانت له فان
كان جميع ذلك نعمة من الله اليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه
بجود الله تعالى وكرمه وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحقه وآثره على غيره من غير سابقة ووسيلة فمهما
برز الملك لغلمانه ونظر اليهم فخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا
لخدمة فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره من غير استحقاق واعجابه بنفسه
من اين وما سببه ولم ينبغي ان يعجب بنفسه نعم يجوز ان يعجب العبد فيقول الملك حكيم
عدل لا يظلم ولا يتقدم ولا يؤخر الا لسبب فلولا انه تفطن فيّ من الصفات المحمودة الباطنة ما
اقتضى الايثار بالخلعة لما آثرني بها فيقال وتلك الصفة ايضا من خلعة الملك وعطيته
التي خصصك بها عن غيرك من غير وسيلة او هي عطية غيره فان كانت من عطية الملك ايضا لم يكن
لك ان تعجب بها بل كان كما لو اعطاك فرسا فلم تعجب به فاعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول
انما اعطاني غلاما لاني صاحب فرس واما غيري فلا فرس له فيقال وهو الذي اعطاك الفرس فلا
فرق بين ان يعطيك الفرس والغلام معا او يعطي احدهما بعد الآخر فاذا كان الكل منه فينبغي ان
يعجبك جوده وفضله لا نفسك واما ان كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد ان تعجب بتلك الصفة
وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق الجبار ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بايجاد
الموصوف والصفة فانك ان اعجبت بعبادتك وقلت وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق
الحب في قلبك فستقول هو فيقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من

غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة لك ولا علقة فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك
وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك فاذن لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب
الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله وجوده
والمحل ايضا من جوده وفضله **فان قلت** لا يمكنني ان اجهل اعمالي وان انا عملتها فاني انتظر
عليها ثوابا ولولا انها عملي لما انتظرت الثواب فان كانت الاعمال مخلوقة لله تعالى على سبيل الاختراع
فمن اين لي الثواب وان كانت الاعمال مني وبقدرتي فكيف لا اعجب بها **فاعلم** ان جوابك
من وجهين احدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة اما صريح الحق فهو انك وقدرتك
وارادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه فما عملت اذ عملت وما صليت اذ صليت
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذي انكشف لارباب القلوب بمشاهدة
اوضح من ابصار العين بل خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق
لك العقل والعلم وخلق لك الارادة ولو اردت ان تنفي شيئا من هذا عن نفسك لم تقدر عليه ثم خلق
الحركات في اعضائك مستبدا باختراعه من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع الا انه
خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق ارادة ما لم يخلق
علما بالمراد ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم فتدريجه في الخلق شيئا بعد شيء هو الذي
خيل اليك انك اوجدت عملك وقد غلطت وايضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق
الله سيأتي في كتاب الشكر فانه اليق به فارجع اليه ونحن الآن نزيل اشكالك بالجواب الثاني
الذي فيه مسامحة وهو ان تحسب ان العمل حصل بقدرتك فمن اين قدرتك ولا يتصور العمل الا
بوجودك وبوجود علمك وارادتك وقدرتك وسائر اسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك فان
كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحها وهذا المفتاح بيد الله ومهما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل
فالعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم وهي بيد الله
لا محالة ارأيت لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن وجلست على
بابها وحول حيطانها الف سنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار فيها ولو اعطاك المفتاح لاخذته
من قريب بان تبسط يدك اليه فتأخذه فقط فاذا اعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك
منها فمددت اليد واخذتها كان اعجابك باعطاء الخازن المفاتيح او بما اليك من مد اليد و
اخذه فلا تشك في انك ترى ذلك نعمة من الخازن لان المؤنة في تحريك اليد باخذ المال قريب انما
الشان كله في تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الارادة الجازمة وحركت
الدواعي والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف الا دفع ولا باعث الا وكل
بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها من الله تعالى
ليس شيء منها اليك فمن العجائب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده و
فضله وكرمه في ايثاره اياك على الفساق من عباده اذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها
عنك وسلط اخدان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من اسباب الشهوات

واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وابعد العاصي واشقاه بعدله فما اعجب اعجابك بنفسك اذا عرفت ذلك فاذن لا ينصرف قدرتك الى المقدور الا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها فكانه الذي اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك وسياتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الاسباب والمسببات ما يتبين انه لا فاعل الا الله ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب اذا رزقه الله عقلا وافقره ممن افاض الله عليه المال من غير علم فيقول كيف منعني قوت يومي وانا العاقل الفاضل وافاض عليه نعيم الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى ظلما ولا يدري المغرور انه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه في ظاهر الخيال اذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني اياهما فهلا جمعتهما لي او هلا رزقتني احدهما والى هذا اشار علي رضي الله عنه حيث قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني احسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا من عقلك وفقرك لامتنع منه فاذن ذلك يدل على ان نعمة الله عليه اكبر فلم يتعجب منه والمراة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الذميمة القبيحة فتعجب وتقول كيف يحرم هذا الجمال من الزينة ويخصص مثل ذلك القبح بها ولا تدري المغرورة ان الجمال محسوب عليها من رزقها وانها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع الغنى لآثرت الجمال فاذن نعمة الله عليها اكبر وقول الحكيم العاقل الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني الدنيا واعطيت الجهال كقول من اعطاه الملك فرسا فيقول يا ملك لم لا تعطيني الغلام وانا صاحب فرس فيقول كيف لا تعجب من هذا لو لم اعطك الفرس فهب اني ما اعطيتك لصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى فهذه اوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشا جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله واوصافه كل ذلك من عند الله نعمة ابتداه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال فيورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه اذ يعلم ان ذلك من الله تعالى ولذلك لما قال داود عليه السلام يا رب ما يأتي ليلة الا وانسان من آل داود قائم ولا يأتي يوم الا وانسان من آل داود صائم وفي رواية ما تمر ساعة من ليل ونهار الا وعابد من آل داود يعبدك اما يصلي واما يصوم واما يذكرك فاوحى الله اليه يا داود ومن اين لهم ذلك اني ان ذلك لم يكن الا بي ولولا عوني اياك ما قويت وسأكلك الى نفسك قال ابن عباس انما اصاب داود ما اصاب من الذنب بعجبه بعمله اذ اضافه الى آل داود مدلا به حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا اورثه الحزن والندم وقال داود يا رب ان بني اسرائيل يسألونك بابراهيم واسحق ويعقوب فقال اني ابتليتهم فصبروا فقال يا رب وانا ان ابتليتني صبرت فادل بالعمل قبل وقته فقال تعالى اما اني لم اخبرهم باي شيء ابتليتهم ولا في اي شهر ولا في اي يوم وانا مخبرك في سنتك وشهرك ابتليك غدا بامراة فاحذر

بعمله

نفسك

نفسك فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله عليهم وقالوا لا نغلب اليوم من قلة وكلوا الى انفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وروى ابن عيينة ان ايوب عليه السلام قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا آثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت يا ايوب انى لك ذلك اي من اين لك ذلك قال فاخذ رمادا فوضعه على راسه وقال منك يا رب فرجع الى نسيانه اضافة ذلك الى الله تعالى ولهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهم خير الناس ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولقد كان اصحابه من بعد يتمنون ان يكونوا ترابا وطيرا مع صفاء اعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لذي بصيرة ان يعجب بعمله او يدل به ولا يخاف على نفسه فاذن هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب اذنبوه من قبل فيخاف ذلك فيقول ان من لا يبالي ان يحرم من غير جناية ويعطي من غير وسيلة لا يبالي ان يعود ويسترجع ما وهب فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بالسوء وهذا لا يبقى معه عجب بحال

بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه

٥ اعلم ان العجب بالاسباب التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراي الخطا الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية الاول ان يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته وحسن صوته وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله وهو بعرض الزوال في كل حال وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في اقذار باطنه وفي اول امره وفي آخره وفي الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور بحيث استقذرتها الطباع الثاني القوة والبطش كما حكي عن قوم عاد حين قالوا من اشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقبه الله تعالى حتى صار في عنقه وقد يتكل المؤمن ايضا على قوته كما روي عن سليمان عليه السلام انه قال لاطوفن الليلة بمائة امراة ولم يقل ان شاء الله فحرم ما اراد من الولد وكذلك قول داود ان ابتليتني صبرت اعجاب بالقوة ويورث العجب بالقوة الهجوم في الحروب والقاء النفس في التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من قصد بالسوء وعلاجه ما ذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم يضعف قوته وانه اذا اعجب بها ربما سلبها الله تعالى بادنى آفة يسلطها عليه الثالث العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور ومن مصالح الدين والدنيا وثمرته الاستبداد بالراي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين لرايه ويخرج الى قلة الاصغاء الى اهل العلم اعراضا عنهم بالاستغناء بالراي والعقل

واستحقارًا لهم والاهانة. وعلاجه ان يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل ويتفكر انه بادنى مرض
يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يامن ان يسلب عقله ان اعجب به و
لم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتي من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان
ما جهله مما عرفه الناس اكثر مما علمه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله وينظر الى
الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا يدري فان
القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن
اعدائه لا من اصدقائه فان من يداهنه يثني عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا
يفطن لجهله فيزداد به عجبا. الرابع العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه
ينجو بسبب شرف نسبه ونجاة آبائه وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق له موال
وعبيد. وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف آباءه في افعالهم واخلاقهم وظن انه ملحق بهم فقد
جهل وان اقتدى بآبائه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف والازراء على النفس واستعظام الخلق
ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به وقد
ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله فكانوا عند الله شرا من الكلاب واخس من
الخنازير ولذلك قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى اي لا تفاوت في انسابكم لاجتماعكم
الى اصل واحد ثم ذكر فائدة النسب فقال ان اكرمكم عند الله اتقيكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم من اكرم الناس من اكيس الناس لم يقل من ينتمي الى نسبي ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا
واشدهم له استعدادا وانما انزلت الآية حيث اذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرث
بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد هذا العبد الاسود يؤذن فقال تعالى ان اكرمكم
عند الله اتقيكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية اي كبرها
كلكم بنو آدم وآدم من تراب وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لا يأتي الناس بالاعمال يوم القيمة
وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا اي اعرض عنكم فبين انهم ان
مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين ناداهم بطنا
بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله اعملا لانفسكما فاني
لا اغني عنكما من الله شيئا فمن عرف هذه الامور وعلم ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه
التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع والا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى
اليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والاشفاق. فان قلت فقد قال صلى الله عليه وسلم
بعد قوله لفاطمة وصفية اني لا اغني عنكما من الله شيئا الا ان لكما رحما سابلها ببلالها وقال عليه السلام
اترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة
فاعلم ان كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسب ايضا جدير بان يرجو
ولكن بشرط ان يتقي الله ان يغضب عليه فلا ياذن لاحد في شفاعته فان الذنوب منقسمة الى ما يوجب
المقت فلا يؤذن في الشفاعة والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل

ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما
لا ينجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وبقوله من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه وبقوله لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا واذا انقسمت الذنوب
الى ما يشفع فيها والى ما لا يشفع وجب الخوف والاشفاق لا محالة ولو كان كل ذنب يقبل فيه
الشفاعة لما امر قريشا بالطاعة ولما نهى فاطمة عن المعصية ولكان ياذن لها في اتباع الشهوات
لتكمل لذتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذتها في الآخرة فالانهماك في الذنوب وترك
التقوى اعتمادا على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتمادا على طبيب حاذق
قريب مشفق من اب واخ او غيره وذلك جهل لان سعي الطبيب وهمته وحذقه ينفع في ازالة بعض الامراض
لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطب اثر على الجملة ولكن في الامراض
الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي ان تفهم عناية الشفعاء من الانبياء والصلحاء
للاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد كانوا يتمنون ان يكونوا بهائم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم
وحسن اعمالهم وصفاء قلوبهم ومع ما سمعوه من وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بالجنة خاصة و
سائر المسلمين بالشفاعة ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخشوع والخوف قلوبهم فكيف يعجب بنفسه ويتكل
على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم. الخامس العجب بنسب السلاطين الظلمة و
اعوانهم دون نسب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه ان يتفكر في مخازيهم وما جرى
بهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وانهم ممقوتون عند الله تعالى ولو نظر الى صورهم في
النار وانتانهم واقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه اليهم
استقذارا لهم واستحقارا ولو انكشف له ذلهم في القيمة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة آخذون
بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم على مظالم العباد لتبرأ الى الله منهم ولكان انتسابه الى الكلب
والخنزير احب اليه من الانتساب اليهم فحق اولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم ان يشكروا الله على
سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم ان كانوا مسلمين فاما العجب بنسبهم فجهل محض. السادس
العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع
كما قال الكافرون نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال المؤمنون اليوم لا نغلب من قلة. وعلاجه
ما ذكرناه في الكبر وهو ان يتفكر في ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم
ضرا ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون
عنه اذا مات فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه ولد واهل وحميم وعشير فيسلمونه
الى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيئا وهو في احوج اوقاته اليهم و
كذلك يهربون منه يوم القيمة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وفصيلته
التي تؤويه فاي خير فيمن يفارقك في اشد احوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر
والقيمة وعلى الصراط الا عملك وفضل الله تعالى فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك

ضرك ونفعك وموتك وحياتك. السابع العجب بالمال كما قال تع اخبارا عن صاحب الجنتين
اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس بجنبه فقير
فانقبض منه وجمع ثيابه فقال عليه السلم اخشيت ان يعدو اليك فقره وذلك للعجب بالغنى. وعلاجه
ان يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظيم غوائله والى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة
في القيمة والى ان المال غاد ورائح ولا اصل له والى ان في اليهود من يزيد عليه في المال والى قوله صلعم
بينما رجل يتبختر في حلة له قد اعجبته نفسه اذ امر الله الارض فاخذته فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة
اشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وقال ابو ذر كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال
لي يا ابا ذر ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع راسك فرفعت راسي
فاذا رجل عليه خلقان فقال يا ابا ذر هذا عند الله خير من قراب الارض مثل هذا. وجميع ما ذكرناه
في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند
الله فكيف يتصور من المومن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المومن عن الخوف من تقصيره في القيام
بحقوق المال واخذه من حله ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره الى الخزي والبوار فكيف
يعجب بغناه. الثامن العجب بالراي الخطا قال تع افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك يغلب على آخر هذه
الامة وبذلك هلكت الامم اذ افترقت فرقا وكل معجب برايه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل
البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق اليه
الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد من غيره لان صاحب الراي الخطا جاهل
بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جدا
لان العارف يقدر على ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برايه وجهله فانه
لا يصغى الى العارف ويتهمه فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه
وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما لرايه
ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له قاطع من كتاب او سنة او دليل عقلي صحيح جامع لشروط الادلة و
لن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثاقب
وجد وتشمير في الطلب وممارسة للكتاب والسنة ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسة
للعلوم ومع ذلك فلا يومن عليه الغلط في بعض الامور والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق
عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب ولا يصغى اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد ان الله واحد لا
شريك له وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وان رسوله صادق فيما اخبر ويتبع سنة السلف
ويومن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسوال عن تفصيل بل يقول آمنا
وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي واداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر
الاعمال فان خاض في المذاهب والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر هذا حق
كل من عزم على ان يشتغل في عمره بشيء غير العلم فاما الذي عزم على التجرد للعلم فاول مهم له معرفة الدليل

وشروطه

وشروطه وذلك مما يطول الامر والوصول الى اليقين والمعرفة في اكثر الطاعات شديد لا يقدر
عليه الا الاقوياء المويدون بنور الله تع وهو عزيز الوجود جدا. فنسال الله تع العصمة من الضلال
ونعوذ به من الاغترار بخيالات الجهال. تم كتاب ذم الكبر والعجب والحمد لله رب العالمين

كتاب ذم الغرور وهو
الكتاب العاشر من ربع المهلكات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين
الحمد لله الذي بيده مقاليد الامور. وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور. مخرج اوليائه من الظلمات
الى النور. ومورد اعدائه ورطات الغرور. والصلوة على محمد مخرج الخلق من الديجور. وعلى آله واصحابه
الذين لم تغرهم الحيوة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور. صلوة تتوالى على ممر الدهور. ومكر الساعات
والشهور. وبعد فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة
فلا نعمة لله على عباده اعظم من الايمان والمعرفة ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور
البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية ولا داعي اليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس
وارباب البصائر قلوبهم كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري
يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور والمغترون
قلوبهم كظلمات في بحر لجي يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض
اذا اخرج يده لم يكد يريها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور والاكياس هم الذين اراد الله ان
يهديهم فشرح صدورهم للاسلام والهدى والمغترون هم الذين اراد الله ان يضلهم فجعل صدورهم
ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا
وبقي في العمى فاتخذ الهوى قائدا والشيطان دليلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى و
اضل سبيلا واذا عرف ان الغرور هو ام الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بد من شرح مداخله
ومجاريه وتفاصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه فالموفق من العباد من
عرف مداخل الآفات والفساد فاخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة امره. ونحن نشرح
اجناس مجاري الغرور واصناف المغترين من العصاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادي
الامور الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها ونشير الى وجه اغترارهم وغفلتهم عنها فان ذلك وان
كان اكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على امثلة تغني عن الاستقصاء. وفرق المغترين كثيرة ولكن
يجمعهم اربعة اصناف. الصنف الاول من العلماء. الصنف الثاني من العباد. الصنف الثالث
من المتصوفة. الصنف الرابع من ارباب الاموال. والمغتر من كل صنف فرق وجهات
غرورهم مختلفة فمنهم من راى المنكر معروفا كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم
من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه و
منهم من يترك الاهم ويشتغل بغيره ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب
ويشتغل بالقشر كالذي همه في الصلوة مقصورا على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من مداخل

لا يتضح الا بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدا بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور و
بيان نحوه وحقيقته **بيان ذم الغرور وحقيقته وامثلته** اعلم ان قوله تع لا تغرنكم الحيوة
الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تع ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الامانى
كاف فى ذم الغرور وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف
يغبنون سهر الحمقى وصومهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين خير من ملء اجتهادهم
الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق
من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكل ما ورد فى فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لان
الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان تعتقد الشئ وتراه على خلاف ما هو به والغرور هو
جهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعى الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذى يغره فمهما
كان المجهول المعتقد شيا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة فاسدة يظن
انها دليل سمى الجهل الحاصل به غرورا فالغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع
عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما فى العاجل او فى الاجل عن شبهة فاسدة
فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم مخطئون فيه فاكثر الناس اذا مغرورون
وان اختلفت اصناف غرورهم واختلفت درجاتها حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من بعض و
اظهرها واشدها غروران غرور الكفار وغرور العصاة والفساق فنورد لهما امثلة لحقيقة الغرور
المثال الاول غرور الكفار فمنهم من غرتهم الحيوة الدنيا ومنهم من غرهم بالله الغرور
اما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد و
الاخرة نسيئة فاذن هو خير فلا بد من ايثارها وقالوا اليقين خير من الشك ولذات الدنيا
يقين ولذات الاخرة شك فلا يترك اليقين بالشك وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس
ابليس حيث قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله
تع اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج
هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد الايمان فهو
ان يصدق الله تعالى فى قوله وما عند الله خير وابقى وبقوله والاخرة خير وابقى وبقوله وما
الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وبقوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك طوايف من الكفار فقلدوه وصدقوه وامنوا به ولم يطالبوه بالبرهان ومنهم من
قال نشدتك الله ابعثك الله رسولا فكان يقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو يخرج من
الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبى والده فى ان حضور المكتب خير من حضور الملعب
مع انه لا يدرى وجه كونه خيرا واما المعرفة بالبيان والبرهان هو ان يعرف وجه فساد هذا
القياس الذى نظمه فى قلبه الشيطان فان كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل
وكل دليل فهو نوع قياس يقع فى النفس ويورث السكون اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا
يقدر على نظمه بالفاظ العلماء فالقياس الذى نظمه الشيطان فيه اصلان احدهما

ان

ان الدنيا نقد والاخرة نسيئة وهذا صحيح والاخر قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا محل
التلبيس فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة فى المقدار والمقصود فهو خير وان كان
اقل منه فالنسيئة خير فان هذا الكافر يبذل فى تجارته درهما ليأخذ به عشرة نسيئة ولا يقول
النقد خير من النسيئة فى المستقبل وقد ترك النقد ورضى بالنسيئة والتجار كلهم يركبون
البحار ويتعبون فى الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة فى ثانى الحال خيرا
من واحد فى الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الاخرة فان اقصى عمر الانسان مائة
سنة وليس هو عشر عشير جزء من الف الف جزء من الاخرة فكانه ترك واحدا ليأخذ الف الف
بل ليأخذ ما لا نهاية له ولا حد وان نظر من حيث النوع راى لذات الدنيا مكدرة مشوبة
بالمنغصات ولذات الاخرة صافية غير مكدرة فاذن قد غلط فى قوله النقد خير من النسيئة
وهذا غرور منشأه قبول لفظ عام مشهور اطلق واريد به خاص فغفل المغرور عن خصوص
معناه فان من قال النقد خير من النسيئة اراد به خير من نسيئة هو مثلها وان لم يصرح به
وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الاخر وهو ان اليقين خير من الشك والاخرة
شك وهذا القياس اكثر فسادا من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا
كان مثله والا فالتاجر فى تعبه على يقين وفى ربحه على شك والمتفقه فى اجتهاده على يقين
وفى ادراكه رتبة العلم على شك والصياد فى تردده فى المقتنص على يقين وفى الظفر بالصيد على
شك وكذلك الحزم دأب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول
انى ان لم اتجر بقيت جائعا وعظم ضررى وان اتجرت كان تعبى قليلا وربحى كثيرا وكذلك
المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين
ولكن يقول ضرر مرارة الدواء قريب بالاضافة الى ما اخافه من المرض والموت فكذلك من
شك فى الاخرة فواجب عليه بحكم الحزم ان يقول ايام الصبر قلائل وهو منتهى العمر قريب
بالاضافة الى ما يقال من امر الاخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتنى الا التنعم ايام حيوتى
وقد كنت فى العدم من الازل الى الان لا اتنعم فاحسب انى بقيت فى العدم وان كان ما قيل صدقا
فابقى فى النار ابد الاباد وهذا لا يطاق ولذلك قال على رضى الله عنه لبعض الملحدين ان كان
ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال
هذا عن شك منه فى الاخرة بل كلم الملحد على قدر عقله وبين انه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور واما
الاصل الثانى من كلامه وهو ان الاخرة شك فهو ايضا خطا بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه
مدركان احدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء والعلماء وذلك ايضا يزيل الغرور وهو
مدرك يقين العوام واكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء واهل
الصناعة من عند اخرهم على ان دواءه النبت الفلانى فانه تطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا
يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقى سوادى او معتوه يكذبهم
فى ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الاحوال انهم اكثر منه عددا واغزر منه فضلا واعلم بالطب منه

بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه بقولهم ولا يغتر في عمله بسببه ولو اعتمد على قوله وترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا وكذلك من نظر الى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بان التقوى هو الدواء النافع في الوصول الى سعادتها وجدهم خير خلق الله واعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل فهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على اصنافهم وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بانهم من اهل النار فجحدوا الآخرة وكذبوا الانبياء فكما ان قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمانينة القلب الى ما اتفق عليه الاطباء فكذلك قول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشكك في صحة اقوال الانبياء والاولياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به واما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي والالهام فالوحي للانبياء والالهام للاولياء ولا تظنن ان معرفة النبي لامر الآخرة ولامور الدين تقليد لجبرئيل بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد النبي حتى يكون معرفتك كمعرفته وانما يختلف المقلد فقط هيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والانبياء عارفون ومعنى معرفتهم انه كشف لهم حقيقة الاشياء على ما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصيرة الظاهرة فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد وذلك بان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر الله وليس المراد بكونه من امر الله الامر الذي يقابل النهي لان ذلك الامر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد الشان حتى يكون المراد به انه من خلق الله فقط لان ذلك عام في جميع المخلوقات بالامر بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق ولله الامر والخلق فالاجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق اذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من افشائه فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه واذا عرف نفسه وربه عرف انه امر رباني بطبعه وفطرته وانه في العالم الجسماني غريب وان هبوطه اليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بامر عارض غريب من ذاته وذلك العارض الغريب ورد على آدم عليه السلم وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي اليق به بمقتضى ذاته فانها في جوار الرب تع فانه امر رباني وحنينه الى جوار الرب تع له طبعي ذاتي الا ان يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه اذ قيل له ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون اي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم يقال فسقت الرطبة عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطري وهذا اشارة الى اسرار يهتز لاستنشاق روائحها العارفون ويشمئز من سماع الفاظها القاصرون فانها تضرهم كما تضر رائحة الورد بالجعل وتبهر اعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافيش وانفتاح هذا الباب من سر القلب الى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية ويسمى صاحبه وليا وعارفا وهي مبادي مقامات الانبياء وآخر مقامات الاولياء اول

الانبياء ولنرجع الى الغرض فالمقصود ان غرور الشيطان بان الآخرة شك يدفع اما بيقين تقليدي واما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بالسنتهم وبعقائدهم اذا ضيعوا اوامر الله تع وهجروا الاعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم المشاركون للكفار في هذا الغرور لانهم آثروا الحيوة الدنيا على الآخرة نعم امرهم اخف لان اصل الايمان يعصمهم عن عقاب الابد فيخرجون من النار ولو بعد حين ولكنهم ايضا من المغرورين فانهم اعترفوا بان الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا الى الدنيا وآثروها ومجرد الايمان لا يكفي للفوز قال تع واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال النبي صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقال تع والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فوعد المغفرة في كتاب الله منوط بالايمان والعمل الصالح جميعا لا بالايمان وحده فهؤلاء ايضا مغرورون اعني المطمئنين الى الدنيا الفرحين بها المترفهين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة مما بعده فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعا ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين فاما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم ان كان لله من معاد فنحن احق من غيرنا ونحن اوفر حظا وفيه اسعد حالا كما اخبر الله تعالى عن قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر بنى قصرا بالف دينار واشترى بستانا بالف دينار وخدما بالف دينار وتزوج امراة على الف دينار وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت وبنيت قصرا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا من الجنة لا يخرب ولا يفنى واشتريت بستانا يخرب ويفنى الا اشتريت بستانا في الجنة لا يفنى وخدما لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو اكاذيب وان كان فليكونن لي في الآخرة خير من هذا وكذلك وصف الله قول العاص بن وائل اذ يقول لاوتين مالا وولدا قال الله تع رادا عليه اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا وروي عن خباب بن الارت انه قال كان لي على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه فلم يقض فقلت اني آخذه في الآخرة فقال لي اذا صرت الى الآخرة فان لي هناك ولدا ومالا فاقضيك منه فانزل الله تع قوله افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا وقال تع ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي الآية وهذا كله من الغرور بالله وسببه قياس من اقيسة ابليس وذلك انهم ينظرون مرة الى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليه نعمة الآخرة وينظرون مرة الى تاخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تع ويقولون لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومرة ينظرون الى المومنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم فيقولون اهؤلاء من الله

عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم
انهم يقولون قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فانه يحسن في
المستقبل ايضا كما قال الشاعر ، لقد احسن الله فيما مضى ، كذلك يحسن فيما بقي ، وانما يقيس
المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب اذ يقول لولا اني كريم عند الله ومحبوب لما احسن
الي والتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب لا تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا احسان فقد
اغتر بالله اذ ظن انه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان
ومثاله ان يكون للرجل عبدان صغيران يبغض احدهما ويحب الاخر فالذي يحبه يمنعه من
اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمة التي
تضره ويسقيه الادوية التي تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب و
لا يدخل المكتب وياكل كل ما يشتهي فيظن هذا الصبي المهمل انه عند سيده كريم محبوب لانه
مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع اغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه وذلك محض
الغرور وهكذا نعيم الدنيا فانها مهلكات ومبعدات من الله وان الله يحمي عبده الدنيا وهو
يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه هكذا روي في الخبر وكان ارباب البصائر
اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك امارة المقت و
الاهمال واذا اقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين والمغرور اذا اقبلت عليه الدنيا ظن
انها كرامة من الله واذا صرفت عنه ظن انه هوان كما اخبر الله تعالى عنه فاما الانسان اذا
ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربي
اهانن كلا بين ان ذلك غرور وقال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامي ولا
هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او فقيرا والمهان من اهنته بمعصيتي
غنيا كان او فقيرا وهذا الغرور علاجه معرفة دلايل الكرامة والهوان اما بالبصيرة و
اما بالتقليد اما البصيرة فان يعرف وجه كون الالتفات الى الدنيا مبعدا عن الله تعالى ويدرك ذلك بنور البصيرة كما يدركه العارفون والاولياء
وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة واما معرفته بطريق التقليد و
التصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله وقد قال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من
مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
وقال فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وفي تفسير
قوله سنستدرجهم انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم
ليزدادوا اثما وقال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه
الابصار الى غير ذلك مما ورد في كتاب الله وسنة رسوله فمن امن به تخلص من هذا الغرور فان منشأ
هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يامن مكره ولا يغتر به بامثال هذه الخيالات
وينظر الى فرعون وقارون والى ملوك الارض كيف احسن اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذر
الله تعالى مكره واستدراجه فقال فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال ومكروا مكرا

ومكر

ومكرنا مكرا وقال والله خير الماكرين وقال يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين
امهلهم رويدا فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم على
حب السيد بل ينبغي ان يحذر ان يكون ذلك مكرا منه مع ان السيد لم يحذره مكر نفسه
فبان يجب ذلك في حق الله مع تحذيره استدراجه اولى فان من امن مكر الله فهو مغتر و
منشأ هذا الغرور انه استدل بنعم الدنيا على انه كريم عند المنعم واحتمل ان يكون ذلك
دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل القلب
الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور المثال الثالث
هو غرور العصاة من المومنين بالله بقولهم ان الله كريم وانا نرجو عفوه واتكالهم على ذلك
واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسميتهم تمنيهم واغترارهم رجاء وظنهم ان الرجاء مقام
محمود في الدين وان نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد في بحار
رحمته وانا موحدون ومومنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستند رجايهم التمسك بصلاح الاباء
وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة ابائهم في الخوف والتقوى والورع
وظنهم انهم اكرم على الله من ابائهم اذ اباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع غاية
الفجور والفسق امنون وذلك نهاية الاغترار بالله فقياس الشيطان للعلوية ان من احب انسانا
احب اولاده وان الله قد احب اباكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة وينسى المغرور ان نوحا صلى
الله عليه وسلم اراد ان يستصحب ولده في السفينة فقال ان ابني من اهلي فقال انه ليس من اهلك
انه عمل غير صالح وان ابرهيم استغفر لابيه فلم ينفعه وان نبينا صلى الله عليه وسلم استاذن
في ان يزور قبر امه ويستغفر لها فاذن في الزيارة ولم يؤذن في الاستغفار فجلس يبكي
على قبر امه لرقته لها بسبب القرابة فهذا ايضا اغترار بالله تعالى وهذا لان الله تعالى يحب المطيع
ويبغض العاصي فكما انه لا يبغض الاب المطيع ببغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي
بحبه للاب المطيع ولو كان الحب يسري من الاب الى الولد لاوشك ان يسري البغض ايضا بل
الحق ان لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى ابيه كان كمن ظن انه يشبع باكل ابيه
ويروى بشرب ابيه ويصير عالما بتعلم ابيه ويصل الى الكعبة ويراها بمشي ابيه فالتقوى فرض
عين فلا يجزي والد عن ولده شيا وعند الله جزاء التقوى يفر المرء من اخيه وامه وابيه الا على
سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله تعالى عليه فاذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر
والعجب فان قلت فاين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله كريم وانا نرجو مغفرته ورحمته
فما هذا الا كلام صحيح مقبول في القلوب فاعلم ان الشيطان لا يغوي الانسان الا بكلام مقبول
الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه و
سلم كشف ذلك فقال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله غير الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال
وقد شرح الله الرجاء فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون

رحمة الله يعني ان الرجاء بهم يليق وهذا لانه ذكر ان ثواب الآخرة اجر وجزاء على الاعمال قال تع جزاء
بما كانوا يعملون وقال انما توفون اجوركم يوم القيمة افترى ان من استوجر على اصلاح اوان وشرط له
اجرة عليه وكان الشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني و
افسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر وزعم ان المستاجر كريم افتراه العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا
او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والغرة قيل للحسن قوم يقولون نرجو الله ويضيعون بين م
العمل فقال هيهات هيهات تلك امانيهم يترجحون فيها من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا
هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل انا
لنرجو الله فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما ان
الذي يرجو في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك
من رجا رحمة الله وهو لم يومن او آمن ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور وكما انه اذا نكح و
وطى وانزل وبقى مترددا في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن
الام الى ان يتم فهو كيس فكذلك اذا آمن وعمل الصالحات وترك السيآت وبقى مترددا بين الخوف والرجاء
يخاف ان لا يقبل منه وان لا يدوم عليه وان يختم له بالسوء ويرجو من فضل الله تع ان يثبته بالقول
الثابت ويحفظ له دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل
الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى المعاصي فهو كيس ومن عدا هولاء فهم المغرورون بالله
وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا ولتعلمن نباه بعد حين وعند ذلك يقولون
ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون اي علمنا انه كما لا يولد ولد الا بوقاع ونكاح ولا
ينبت زرع الا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب واجر الا بعمل صالح فارجعنا نعمل
صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى
وكلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير الم يسمعكم سنة الله في عباده وانه توفى كل نفس بما كسبت
وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل
ما كنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير **فان قلت** فاين مظنة الرجاء
وموضعه المحمود **فاعلم** انه محمود في موضعين احدهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له
التوبة فقال الشيطان وانى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله فيجب عند هذا ان يقمع القنوط
بالرجاء ويتذكر ان الله كريم يقبل التوبة عن عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال تع قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وانيبوا الى ربكم امرهم بالانابة
وقال واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فاذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج وان
توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له ان يسعى
الى الجمعة فقال له الشيطان لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك فكذب الشيطان وقام يعدو وهو
يرجو ادراك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة واخذ يرجو تاخير الامام الصلوة لاجله الى وسط
الوقت او لاجل غيره او لسبب من الاسباب التي لا يعرفه فهو مغرور والثاني ان يفتر نفسه

عن

عن فضائل الاعمال ويقتصر على الفرايض فيرجي نفسه نعيم الله تع وما وعد الصالحين حتى ينبعث
من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضايل ويتذكر قوله تع قد افلح المومنون الى قوله هم فيها خالدون
فالرجاء الاول يقمع القنوط المانع من التوبة والرجاء الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل
توقع حث على توبة وعلى تشمر في العبادة فهو رجاء وكل توقع اوجب فتورا في العبادة وركونا
الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر له ان يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان ما لك و
لايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور فيفتره عن التوبة والعبادة فهي الغرة وعند
هذا واجب على العبد ان يستعمل الخوف فيخوف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول انه
مع انه غفار الذنوب شديد العقاب وانه مع انه كريم خلد الكفار في النار ابد الآباد مع انه لم يضره
كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو
قادر على ازالتها فمن هذه سنته في عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني
عقابه فكيف لا اخافه وكيف اغتر به فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان على العمل فما لا يبعث على
العمل فهو تمن وغرور ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا واعراضهم عن
الله واهمالهم السعي للآخرة فذلك غرور فقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على آخر هذه الامة
وقد كان ما وعد به صلى الله عليه وسلم فقد كان الناس في الاعصار الاول يواظبون على العبادات و
يوتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ويخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى
والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الآن فترى الخلق
آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله
زاعمين انهم واثقون بكرم الله وفضله وراجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم عرفوا من كرم الله
وفضله ما لم يعرفه الانبياء والصحابة والسلف الصالحون فان كان يدرك هذا الامر بالمنى وينال
بالهوينا فعلى ماذا كان بكاء اولئك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الرجاء
والخوف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار ياتي على الناس زمان يخلق
فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان ويكون امرهم كله طمعا لا خوف معه
ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان اساء قال يغفر لي فاخبر انهم يضعون الطمع موضع
الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه وبمثله اخبر عن النصارى اذ قال فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا ومعناه انهم ورثوا الكتاب اي هم
علماء وياخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا كانت او حراما وقد قال تع ذلك لمن
خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من اوله الى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر متفكر الا ويطول
حزنه ويعظم خوفه ان كان مومنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها
ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكانهم يقرؤن شعرا من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات
الى معانيها والعمل بما فيها وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه امثلة الغرور بالله وبيان
الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه غرور طوايف لهم طاعات ومعاص الا ان معاصيهم

اكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون انه يترجح كفة حسناتهم مع ان ما في كفة السيئات اكثر
وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول
من اموال المسلمين والشبهات اضعافه ولعل ما تصدق به هو من مال المسلمين وهو يتكل عليه و
يظن ان اكل الف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحلال او الحرام وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم
في كفة ميزان وفي الكفة الاخرى الف واراد ان يثقل الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك
غاية جهله نعم ومنهم من يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا
يتفقد واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر الله بلسانه او يسبح له في اليوم مائة
مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد ويكون
نظره الى عدد سبحاته انه استغفر مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبها لكان
مثل تسبيحه مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبها لكان مثل تسبيحه او الف مرة وقد كتبها الكرام
الكاتبون ووعده الله العقاب على كل كلمة وقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فهو ابدا يتامل
في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين
والمنافقين بذكرها لا ينمرونه الى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور ولعمري لو كان
الكرام الكاتبون يطلبون منه اجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه لكان
عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته كان يعدها ويحسبها
ويوازنها بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه اجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه فيحتاط خوفا على قيراط
يفوته في الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا عن فوت الفردوس الاعلى ونعيمها ما هي الا مصيبة عظيمة
لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى امر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا
من الحمقى المغرورين فما هذه اعمال من يصدق بما جاء به القرآن وانا نبرأ الى الله من ان نكون من
اهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه والتيقن مع هذا البيان وما اجدر من يقدر على تسليط
مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب ان يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على اباطيل المنى وتعاليل
الشيطان والهوى **بيان اصناف المغترين** واقسام فرق كل صنف من الاصناف

الصنف الاول اهل العلم والمغترون منهم فرق **ففرقة** منهم احكموا العلوم الشرعية
والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها
الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب
الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وانه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله و
هم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة
وهو العلم بالله وصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام
ومعرفة اخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد الا للعمل
ولولا الحاجة الى العمل لم تكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثاله
هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دواء مركب من اخلاط كثيرة لا يعرفها الا حذاق الاطباء فيسعى في

طلب الطبيب بعد ان سافر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الاخلاط
وانواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجلب وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية الخلط
والعجن فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته وهو يكررها ويقراها
ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى ان ذلك يغني عنه من مرضه شيئا هيهات
لو كتب منها الف نسخة وعلمه الف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة الف مرة لم يغنه ذلك
من مرضه شيئا الا ان يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته
ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه واذا فعل ذلك فهو على خطر من شفائه
فكيف اذا لم يشربه اصلا فمهما ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي
احكم علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق المذمومة وما
زكى نفسه منها واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور قال الله تعالى قد افلح من زكيها
ولم يقل قد افلح من تعلم كيفية تزكيتها وكيف علمها وعلمها الناس وعند هذا يقول الشيطان
لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدواء لا يزيل المرض وانما مطلبك القرب من الله وثوابه والعلم
يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار الواردة في فضائل العلم فان كان المسكين معتوها مغرورا وافق
ذلك مراده وهواه فاطمان اليه واهمل العمل وان كان كيسا فيقول للشيطان اتذكرني فضائل
العلم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى كمثل الكلب وكقوله مثل الذين
حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا فاي خزي اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال صلى
الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال يلقى العالم في النار
فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى وقوله شر الناس العلماء السوء وقول ابي الدرداء
ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء لعلم وويل للذي يعلم سبع مرات اي ان العلم حجة عليه اذ يقال
له ماذا عملت فيما علمت كيف قضيت شكر الله وقال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة
عالم لم ينفعه الله بعلمه هذا وامثاله مما اوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة
اكثر من ان يحصى الا انها لا توافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافقه فيميل
الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر
بعين الايمان فالذي اخبره بفضيلة العلم هو الذي اخبره بذم علماء السوء وان حالهم عند الله اشد
من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تاكد حجة الله عليه غرور وغاية الغرور و
اما الذي يدعي علم المكاشفة كالعلم بالله وصفاته واسمائه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع
امر الله تعالى وحدوده فغروره اشد ومثاله من اراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف اخلاقه
واوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف عما يحبه ويكرهه وما يغضب
عليه وما يرضى به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعاطل عن
جميع ما يحبه من زي وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه
والاختصاص به متلطخا بجميع ما يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته

له ونسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدًّا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يحبه وما يكرهه لكان ذلك اقرب الى نيله المراد من قربته والاختصاص به بل تقصيره في التقوى واتباعه الشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله الا الاسامي دون المعاني اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه ولا يتصوّر ان يعرف الاسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد اوحى الله الى داود خفني كما تخاف السبع الضاري نعم من يعرف من الاسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكانه ما عرف الاسد فمن عرف الله عرف من صفاته انه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم انه مسخر في قدرته من لو اهلك مثله آلافا مؤلفة وابّد عليهم العذاب ابدا الاباد لم يؤثر ذلك فيه اثرا ولم ياخذه عليه رقة ولا اعتراه جزع ولهذا قال تع انما يخشى الله من عباده العلماء وفاتحة الزبور راس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار جهلا واستفتي الحسن على مسئلة فاجاب فقيل ان فقهاءنا لا يقولون ذلك فقال وهل رايت فقيها قط الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه يداري ولا يماري ينشر حكمته لله فان قبلت منه حمد الله وان ردت حمد الله فاذن الفقيه من فقه عن الله امره ونهيه وعلم من صفاته ما احبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فاذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين

وفرقة اخرى احكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرياسة والعلاء وارادة السوء للاقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير محترز منها ولا يلتفت الى قوله صلى الله عليه وسلم ادنى الرياء الشرك الخفي والى قوله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى قوله الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والى قوله حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار التي اوردنا في جميع ربع المهلكات في الاخلاق المذمومة فهؤلاء زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم والى اموالكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعهدوا الاعمال وما تعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن وكقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة وكبيت مظلم باطنه وضع السراج على ظهره حتى استنار ظاهره وكرجل قصد ضيافة الملك في داره فجصص باب داره وترك المزابل في صدر داره ولا يخفى ان ذلك غرور بل اقرب مثال له رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع من الحشيش بقلعه من اصله فاخذ يجز راسه ويقطعه فلا يزال يقوى اصله وينبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب فمن لم يطهر القلب منها لم يتم له الطاعات الظاهرة الا مع الآفات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلاء

وشرب الدواء ليزيل على ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن **وفرقة اخرى** علموا هذه الاخلاق الباطنة وعلموا انها مذمومة من جهة الشرع الا انهم يعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم عند الله ارفع من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلي به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فاما هو فاعظم عند الله من ان يبتليه ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام انف المخالفين من المبتدعين فاني لو لبست الدون من الثوب وجلست في الدون من المجلس شمت اعداء الدين وفرحوا به وكان ذلي ذلا على الاسلام ونسي ان عدوه الذي حذره مولاه الشيطان فانه يفرح بما يفعله ويسخر به ونسي ان النبي عليه السلام بماذا نصر الدين وبماذا ارغم الكافرين ونسي ما روي من الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر في بذاذة زيه عند قدومه الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العزة في غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الدقيقة من القصب والديبقي والابريسم المحرم والخيول والمراكب ويزعم انه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه او فيمن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطلين في عداوته وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد انه لو طعن في غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسة وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن فيكون غضبه لله ام لا يغضب مهما طعن في عالم آخر ومنع بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من خبث باطنه وهكذا يرائي باعماله وبعلومه واذا اخطر له خاطر الرياء قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتامل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق يفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم لم يفرق بين ان يحصل شفاؤهم على يده او على يد طبيب آخر وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان ايضا ويقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر لي والثواب لي فانما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق هذا ما يظنه بنفسه والله يطلع من ضميره على انه لو اخبره نبي بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم اكثر من ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع الى موضعه الذي به يظهر رياسته من تدريس او وعظ او غيره وكذلك يدخل على السلطان ويتودد اليه ويثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات انما ذلك عند الطمع في اموالهم واما انت فغرضك ان تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر اعدائك عن نفسك والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر على ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى ان ياخذ

من اصواتهم واذا خطر له انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين
وانت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام دين الله افلا يحل لك ان تاخذ قدر حاجتك فيغتر
بهذا التلبيس في ثلاثة امور احدها انه مال لا مالك له فانه يعرف انه ياخذ الخراج من
المسلمين واهل السواد والذين اخذ منهم احياء قيام واولادهم وورثتهم احياء وغاية الامر وقوع الغلط
في اموالهم ومن غصب مائة دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف في انه مال حرام ولا يقال
هو مال لا مالك له ويجب ان يقسم بين العشرة ويرد الى كل واحد عشره وان كان كل واحد قد
اختلط بالآخر الثاني في قوله انك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد
دينهم واستحلوا اموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن
الآخرة بسببه اكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها واقبلوا على الله فهو على التحقيق دجال الدين
وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين اذ الامام هو الذي يقتدى به في الاعراض عن الدنيا
والاقبال على الله كالانبياء والصحابة وعلماء السلف والدجال هو الذي يقتدى به في الاعراض
عن الله والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا انفع للمسلمين من حيوته وهو يزعم انه قوام الدين و
مثله كما قال عيسى عليه السلم للعالم السوء انه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب ولا هي تترك
الماء يخلص الى الزرع واصناف غرور اهل العلم في هذه الاعصار المتاخرة خارج عن الحصر وفيما
ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير **وفرقة اخرى** احكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات
واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحقد و
الكبر وطلب العلو وجاهدوا انفسهم في التبري منها وقلعوا من القلب منابتها الجلية القوية
ولكنهم بعد مغرورون اذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس
ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها واهملوها وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش
فدار عليه وفتش عن كل حشيش راه فقلعه الا انه لم يفتش عما لم يخرج راسه بعد من تحت
الارض وظن ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت
تحت التراب فاهملها وهو يظن انه قد طهرها فاذن هو بها في غفلة وقد نبتت وقويت و
افسدت اصول الزرع من حيث لا يدري فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة
للخفايا والتفقد للدقايق فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها وجمع
التصانيف فيها وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي
هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الاطراف وكثرة الرحلة اليه من الآفاق وانطلاق الالسنة
عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقدم له في المهمات وايثاره في الاغراض والاجتماع
حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤس على كلامه
والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والمستفيدين والسرور بالتخصص بهذه الخاصية
من بين ساير الاقران والاشكال بالجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من اطلاق لسان الطعن
في الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال بالتميز والاعتداد بالتخصص

لعل

لعل هذا المسكين المغرور حيوته في الباطن بما انتظم له من امر وامارة وعز وانقياد وتوقير وحسن
ثناء ولو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه غير الزهد بما يظهر من اعماله فعساه يتشوش
عليه قلبه ويتخلط اوراده ووظايفه وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج الى ان
يكذب في تغطية عيبه وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد
اعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه عمن عرف حد فضله وورعه وان كان ذلك على وفق حاله و
عساه يؤثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى انه يؤثره لتقدمه في الفضل والورع وانما ذلك لانه
اطوع له واتبع لمراده واكثر ثناء عليه واشد اصغاء اليه واحرص على خدمته ولعلهم يستفيدون
منه ويرغبون في العلم ويظن ان قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على
ما نشر على لسانه من منافع خلقه ويرى ان ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية
وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في ايثار الخمول والعزلة واخفاء العلم لم يرغب فيه
لفقده في العزلة والاخفاء لذة القبول وعز الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان
من زعم من ابن آدم انه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبائلي وعساه يصنف ويجتهد فيه
ظانا انه يجمع علم الله لينتفع به وانما يريد استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع
تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه الى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بان ثواب الاستفادة
من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله عالم بانه المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه
لا يخلو عن الثناء على نفسه اما صريحا بالدعاوى الطويلة العريضة واما ضمنا بالطعن في
غيره ليستبان من طعنه في غيره انه افضل ممن طعن فيه واعظم منه علما ولقد كان في غنية عن الطعن
فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه الى قايله وما يستحسنه لعله لا يعزيه
ليظن انه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له او يغيره ادنى تغيير كالذي يسرق قميصا فيتخذه
قباء حتى لا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين الفاظه وتسجيعها وتحسين لفظها
كيلا ينسب الى الركاكة ويرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وترتيبها ليكون اقرب الى نفع
الناس وعساه غافل عما روي ان بعض الحكماء وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة فاوحى الله
تعالى الى نبي زمانه قل له قد ملأت الارض نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيئا ولعل جماعة من
هذا الصنف من المغترين اذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة من عيوب القلب وخفاياه فلو
افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه اكثر تبعا ام غيره
فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم ان غيره احق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا
بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف الى واحد منهم اذا انقطع الى غيره ثقل على قلبه
ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لاكرامه ولا يتشمر لقضاء حوايجه كما كان
يتشمر من قبل ولا يحرص على الثناء عليه كما اثنى مع علمه بانه مشغول بالاستفادة ولعل التحيز
منه الى فئة اخرى كان انفع له في دينه لآفة من الآفات كانت ملحقة في هذه الفئة وسلامة
منها في تلك الفئة ومع ذلك فلا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا تحركت فيه مبادي الحسد

لم يقدر على اظهاره تعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول انما غضبت لدين الله لا لنفسي ومهما ذكر عيوبه بين يديه ربما فرح به وان اثنى عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكر عيوبه يظهر انه كاره لغيبة المسلمين وسر قلبه راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك فهذا وامثاله من خفايا العيوب لا يفطن لها الا الاكياس ولا يتنزه عنها الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفاء الا ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان عيوب نفسه و يسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن على الله بعمله وعلمه الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الاهمال هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ولنذكر الان غرور الذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنائهم عن اصل ذلك العلم واما لاقتصارهم عليه فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى والحكومات وا الخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة والبطن عن الحرام والرجل عن المشي الى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والرياء والحسد وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والاخر من حيث العلم فقد ذكرنا وجه الغرور منه وان مثاله مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثاله من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك محتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحيض ولكن يقول ربما يقع علة الاستحاضة لامراة وتسالني عنها و ذلك غاية الغرور فكذلك المتفقه المسكين قد سلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات و الحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات و الديات والدعاوي والبينات وبكتاب الحيض ولا يحتاج الى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه واذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والمال والرياء وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المغرور بنفسه انه مشغول بفرض دينه وليس يدري ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وكان قد قصد بالفقه وجه الله فانه وان قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل واما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى فظن انه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسوله وربما طعن على المحدثين وقال انهم نقلة وحملة اسفار لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله بادراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا على انه

لابد وان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال تع فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والذي به يحصل الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال ودفع القتل والجراحات والمال في طريق الله آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فمثاله في الاقتصار على الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف ولا شك في انه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج في شيء وسبيل وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع التشبيبات المؤذية وهؤلاء سباع الانس طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران فكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله تع بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين قبلهم في علم الفتاوي لكن زادوا واشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف واما ادلة الاحكام فيشتمل عليه علم المذهب وهو كتاب الله وسنة رسوله وفهم معانيه واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية انما ابدع لاظهار الغلبة والافحام واقامة سوق الجدل به فغرور هؤلاء اشد كثيرا وافحش من غرور من قبلهم وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة و اشتغلوا بتعليم الطريق في مناظرة اولئك وافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا انه لا يكون لعبد عمل الا بايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما سموه ادلة عقائدهم وظنوا انه لا احد اعرف بالله وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل فرقة الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي تدعو الى غير السنة والمحقة هي التي تدعو الى السنة والغرور شامل لجميعهم اما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضها بعضا وانما اتيت من حيث انها لم تتهم رايها ولم تحكم اولا شروط الادلة ومنهاجها فرات الشبهة دليلا والدليل شبهة واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور وافضل القربات في دين الله وزعمت انه لا يتم لاحد

دينه ما لم يفحص ولم يبحث وان من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن او ليس بكامل
ولا يقرب عند الله فلهذا الظن الفاسد قطعت اعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات و
هذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهمل نفسه وقلبه حتى عمي عليه ذنوبه وخطاياه الظاهرة
والباطنة وهي تظن ان اشتغالها بالجدل اولى واقرب عند الله تع وافضل ولكنها لالتذاذها
بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتماء الى الذب عن دين الله عميت بصيرتها فلم يلتفت الى
القرن الاول وان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا
من اهل البدع والاهواء فما جعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك
عن تفقد قلوبهم وجوارحهم واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا حيث راوا حاجة وتوسموا مخايل القبول فذكروا
بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته واذا راوا مصرا على ضلالته هجروه واعرضوا عنه و
ابغضوه في الله ولم يلزموا الملاحة معه طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن
السنة ترك الجدل في الدعوة الى السنة اذ روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضل
قوم قط الا اوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الى اصحابه وهم يتجادلون ويختصمون
فغضب عليهم حتى كانه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال لهذا بعثتم وبهذا امرتم ان
تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا فقد زجرهم عن
ذلك وكانوا اولى خلق الله بالحجاج والجدل ثم انهم راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بعث الى
كافة اهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سؤال
وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لان ذلك يشوش
القلوب ويستخرج منه الاشكالات والشبه ثم لا يقدر محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم
في التقسيمات ودقائق الاقيسة وان يعلم اصحابه كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس واهل
الحزم لم يغتروا بها وقالوا لو نجا اهل الارض وهلكنا لم ينفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم
يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة اكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى واهل الملل وما
ضيعوا العمر بتحرير مجادلتهم فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا
ولم نخوض فيما لا نامن على انفسنا الخطا في تفاصيله ثم نرى ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدل لنا
بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته واشتغالي بمخاصمة نفسي ومجادلتها ومجاهدتها
لتترك الدنيا للآخرة اولى هذا لو كنت لم انه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت عنه فكيف
ادعو الى السنة بترك السنة فالاولى بي ان اتفقد نفسي وانظر من صفاتها ما يبغضه الله وما يحبه
لاتنزه عما يبغضه واتمسك بما يحبه. **وفرقة اخرى** اشتغلوا بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم
في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين
والاخلاص والصدق ونظائره وهم مغرورون يظنون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات و
دعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات فهم منفكون عنها عند الله الا قدر
يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء اشد الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب

ويظنون

ويظنون انهم ما تبحروا في علم المحبة الا وهم محبون لله وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا
وهم مخلصون وما وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون ولولا انه مقرب عند الله
لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله فالمسكين بهذه
الظنون يرى انه من الخائفين وهو آمن من الله تع ويرى انه من الراجين وهو من المغترين المضيعين
ويرى انه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله وهو من المتكلين
على العز والجاه والمال والاسباب ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص
فيترك الاخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره ويرائي بذكره ليعتقد فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى
الى دقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء
الى الله وهو منه فار ويخوف بالله وهو منه آمن ويذكر بالله وهو له ناس ويتقرب الى الله وهو
متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف
الناس عن الخلق وهو على الخلق اشدهم حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس الى الله لضاقت
عليه الارض بما رحبت ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه من اقبل الخلق عليه وصلحوا
على يديه لمات غما وحسدا ولو اثنى احد من المترددين اليه على اقرانه لكان ابغض خلق الله اليه
فهؤلاء اعظم الناس غرة وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد لان المرغب في الاخلاق
المحمودة والمنفر عنها هو العلم بغوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة
الخلق عن العمل به فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وانما المخوف ما يتلوه على عباده
فيخافون وهو ليس بخائف نعم ان ظن بنفسه انه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن ان
يدل على طريق الامتحان والتجربة وهو انه يدعي مثلا حب الله تع فما الذي تركه من محاب الدنيا لاجله
ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله
ويدعي الانس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه امتلا
بالحلاوة اذا احدق به المريدون ويراه يستوحش اذا خلا بالله تع فهل رايت محبا انسا يستوحش
من حبيبه ويستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون انفسهم في هذه الصفات ويطالبونها
بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله غليظ والمغترون يحسنون بانفسهم
الظنون واذا كشف الغطاء عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق اقتابه
فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لانهم يامرون بالخير ولا ياتونه وينهون عن الشر و
ياتونه وانما وقع الغرور لهؤلاء من حيث انهم يصادفون من قلوبهم شيئا من اصول هذه المعاني وهو
حب الله والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني
فظنوا انهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامه فيها الا لاتصافهم
بها وذهب عليهم ان القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة للعلم وان كل
ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم يفارق آحاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف
بل في القدرة على الوصف بل ربما زاد امنه وقل خوفه وظهر الى الخلق ميله وضعف به في

قلبه حب الشرع. وانما مثاله مثال مريض يصف المرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفاء واسبابه ودرجاته واصنافه فهو لا يفارقه في صفة المرض والاتصاف به انما يفارقهم في الوصف والعلم بالطب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة انه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وساير هذه الصفات غير الاتصاف بحقايقها ومن التبس عليه وصف الحقايق بالاتصاف بالحقايق فهو مغرور فهذه حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والاخبار وكوعظ الحسن البصري وامثاله وفرقة اخرى عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ اهل الزمان كافة الا من عصمه الله على الندور في بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون العقل والشرع طلبا للاغراب وطايفة شغفوا بطيارات النكت وبتسجيع الالفاظ وتلفيقها فاكثر همتهم في الاسجاع والاستشهاد باشعار العرب في الوصال والفراق وغرضهم ان يكثر في مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا وضلوا عن سواء السبيل فان الاولين ان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصي ورغبة في الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمركب يشهد فرقه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا وما يفسده هذا المغرور اكثر مما يصلح بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا فلا يخفى وجه كونه مغرورا وفرقة اخرى منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويوردونها من غير احاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه اذا تميز بهذا القدر عن السوقة والجندية اذ حفظ كلام الزهاد واهل الدين دونهم فقد افلح ونال الغرض وصار مغفورا له من عقاب الله من غير ان يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن ان حفظه لكلام اهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء اظهر من غرور من قبلهم وفرقة اخرى استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث اعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منها وطلب الاسانيد الغريبة العالية فهمة احدهم ان يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان وقد لقيت فلانا ومعي من الاسانيد ما ليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها انهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون ان ذلك يكفيهم ومنها انهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها ايضا ولا يعملون بها ومنها انهم يتركون العلم الذي هو فرض عينهم وهو معرفة معالجة القلب ويشتغلون بتكثير الاسنادات وطلب الاسانيد العالية ولا حاجة الى شيء من ذلك و منها وهو الذي اكب عليه اهل الزمان انهم ايضا لا يقومون بشرط السماع فان السماع بمجرده وان لم يكن له فايدة ولكنه مهم في نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذ التفهم بعد الاثبات و

العمل بعد التفهم فالاول السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ و الشيخ ينام والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث ونسخ والشيخ الذي يقرأ عليه لو صحف وغير ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل في الحديث ان يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه ويرويه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجزت عن سماعه عن رسول الله صلعم وسمعته من الصحابة او التابعين وصار سماعك عن الراوي كسماع من يسمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان تصغي لتحفظ وتروي كما حفظت وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفا ولو غير غيرك منه حرفا واخطا علمت خطاه ولحفظك طريقان احدهما ان تحفظ بالقلب و تستديمه بالتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الاحوال والثاني ان تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا يصل اليه من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتد اليه يد غيرك ربما غيره واذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته وتامن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رايت نسخة لذلك وجوزت ان يكون ما فيه مغيرا او يفارق حرف منه النسخ التي سمعتها لم يجز لك ان تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل شيئا يخالف ما فيه ولو في كلمة فاذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها التقابل بها فمن اين تعلم انك سمعت ذلك وقد قال تع ولا تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان انا سمعنا ما في هذا الكتاب اذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه كذب صريح واقل شروط السماع ان يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر بالتغيير ولو جاز ان يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز ان يكتب سماع الصبي في المهد وسماع المجنون ثم اذا بلغ الصبي وافاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز ان يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وان استجرا جاهل فقال يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فاي فرق بينهما فان الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فماذا ينفع هذا وهو انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر اذا صار شيخا على ان يقول سمعت بعد بلوغي اني في صباي حضرت مجلسا يروى فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا ادري ما هو ولا خلاف في ان الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز اثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لانه يسمع صوتا غفلا لجاز اثبات سماع صبي في المهد وذلك غاية الجهل ومن اين يوجد هذا وهل للسماع مستند الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرءا

سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها وكيف يودي كما سمعها من لا يدري ما سمعه فهذه
من فواحش انواع الغرور وقد بلي به اهل الزمان ولو احتاط اهل الزمان لم يجدوا شيوخا الا
الذين سمعوه في الصبى على هذا الوجه مع الغفلة الا ان للمحدثين في ذلك جاها وقبولا فخاف
المساكين ان يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع في حلقتهم فينقص جاههم ويقل ايضا احاديثهم
التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا ذلك وافتضحوا فاصطلحوا على انه ليس يشترط الا ان
يقرع سمعه دمدمة وان كان لا يدري ما يجري وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لانه
ليس من علمهم بل من علم اصول الفقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين اصول الفقه فهذا غرور
هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي افناء اعمارهم في جمع الروايات
والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاخبار بل الذي يقصد من الحديث
سلوك طريق الله ورب ما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روي عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع
فكان اول حديث روي قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال
يكفيني هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا يكون سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور
وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انه قد غفر
لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة و
النحو فافنى هؤلاء اعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غرائب اللغة ومثالهم كمن
يفني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتابة
فلا بد من تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط بحيث يمكن ان يقرا كيف
ما كان والباقي زيادة على الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة الترك
والمضيع عمره في لغة العرب كالمضيع في لغة الترك والهند وانما فارقتهم لاجل ورود الشريعة فيكفي
من اللغة علم الغريب في الاحاديث ومن النحو ما يتعلق بالاحاديث والكتاب فاما التعمق فيه
الى درجات لا تتناهى ففضول مستغنى عنه ثم لو اقتصر عليه واعرض عن معرفة المعاني الشرعية
والعمل بها فهو ايضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع العمر في تصحيح مخارج الحروف في القرآن و
اقتصر عليها وهو غرور اذ المقصود من الحروف المعاني والحروف ظروف وادوات ومن احتاج
الى ان يشرب السكنجبين ليزول ما به من الصفراء فضيع اوقاته في تحسين القدح الذي يشرب فيه
السكنجبين فهو من جهال المغرورين وكذلك غرور اهل النحو واللغة والادب والقراءات والتدقيق
في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها اكثر مما يحتاج اليه في تعلم العلوم التي هي
فرض عين فاللب الاقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة
الى ما فوقه وما فوقه هو سماع الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة الى المعرفة ولب
بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهي القشرة العليا العلم بمخارج الحروف
والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغرورون الا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم
يعرج عليها الا بقدر حاجته فتجاوزها الى ما وراءها حتى وصل الى لباب العمل وطالب بحقيقة العمل

قلبه

قلبه وجوارحه وزجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الاعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات
فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خادم له ووسائل اليه وقشور له
ومنازل بالاضافة اليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب او في المنزل
البعيد وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها اربابها فاما علم الطب
والحساب والصناعات وما يعلم انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد اصحابها انهم ينالون المغفرة
بها من حيث انها علوم فكان الغرور بها اقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة
في انها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محمودا ولكن المحمود منه بعينه هو المنتهى والباقي محمود
للوصول به الى المقصد الاقصى فمن اتخذه مقصودا او عرج عليه فقد اغتر به وفرقة اخرى
عظم غرورهم في فن الفقه فظنوا ان حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا له
الحيل في دفع الحقوق واساءوا تاويل الالفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر واخطاوا فيها و
هذا من قبيل الخطا في الفتوى والغرور فيه والخطا في الفتاوى مما يكثر وهذا نوع عم الكافة
الا الاكياس منهم فنشير الى امثلة له فمن ذلك فتواهم بان المراة مهما ابرات من الصداق
برئ الزوج بينه وبين الله وذلك خطا بل الزوج يسيء الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء
الخلق فتضطر الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص فهو ابراء لا عن طيبة نفس وقد قال تعالى
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب فالقلب قد يريد ما لا تطيبه النفس
فالانسان يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه فانما طيبة النفس ان تسمح نفسها بالابراء لا
عن ضرورة تقابله حتى اذا رددت بين ضررين اختارت اهونهما فهذه مصادرة على
التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض فينظر الى الابراء الظاهر
وانها لم تكره بسيف ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع عليه الخلق لكن مهما تصدى القاضي الاكبر
في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الابراء وكذلك لا يحل مال الانسان
الا بطيبة نفس منه فلو طلب من انسان مالا على ملا من الناس فاستحيى من الناس
ان لا يعطيه وكان يود ان يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف الم مذمة الناس
وخاف الم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار اهون الالمين وهو الم التسليم فسلمه فلا
فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك اقوى من الم
القلب ببذل المال فيختار اهون الالمين والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب
بالسوط فلا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله فان الباطن عند الله ظاهر وانما حاكم
الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من
يعطي ايضا لشر لسانه او لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام
الا ترى الى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد ان غفر له يا رب كيف لي بخصمي فامر
بالاستحلال وكان ميتا فامر بندائه في صخرة بيت المقدس فنادى يا اوريا فاجابه لبيك يا
نبي الله اخرجتني من الجنة فماذا تريد قال اني اسات اليك في امر فهبها لي قال قد فعلت ذلك

يا نبي الله فانصرف وقد ركن الى ذلك فقال له جبريل وهل ذكرت له ما فعلت قال لا قال فارجع
فبين له فرجع فناداه فقال لبيك يا نبي الله فقال اني اذنبت اليك ذنبا فقال الم اهبه لك قال
او لا تسألني ما ذلك الذنب قال ما هو يا نبي الله قال كذا وكذا فذكر شان المراة فانقطع الجواب فقال
يا اوريا الا تجيبني فقال يا نبي الله ما هكذا يفعل الانبياء حتى اقف معك بين يدي الله فاستقبل داود
الصراخ والبكاء من الراس حتى وعده الله ان يستوهبه منه في القيمة فهذا ينبئك ان الهبة
من غير طيبة القلب لا تفيد وان طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا تكون
في الابراء والهبة وغيرها الا اذا خلي الرجل واختياره حتى ينبعث الدواعي من ذات نفسه لا ان
تضطر بواعثه الى الحركة والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكوة في آخر الحول من زوجته واتهابه
ما لها لاسقاط الزكوة فالفقيه يقول سقطت الزكوة فان اراد به ان مطالبة السلطان والساعي
قد سقط عنه فقد صدق فان مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال وان ظن انه يسلم في القيمة ويكون
لمن لم يملك المال او كمن باع لحاجة الى البيع لا على هذا القصد فما اعظم جهله بفقه الدين وسر الزكوة
فان سر الزكوة تطهير القلب عن رذيلة البخل فان البخل مهلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات
شح مطاع وانما صار شحه مطاعا بما فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه
فان الله مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه وانه بلغ من حرصه على المال ان استنبط الحيل
حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور ومن ذلك اباحة الله مال المصالح للفقيه
وغيره بقدر الحاجة والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الاماني والفضول والشهوات وبين الحاجات
بل كل ما لا يتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها في
العبادة وسلوك طريق الله فكل ما تناوله العبد للاستعانة على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا
ذلك فهو فضوله وشهوته ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء في امثال هذا لملأنا منه مجلدات والغرض
التنبيه على امثلة تعرف الاجناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول **الصنف
الثاني ارباب العبادة والعمل** والمغرورون منهم فرق كثيرة منهم من غروره في الصلوة ومنهم
في تلاوة القرآن ومنهم في الحج ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل
فليس خاليا عن غرور الا الاكياس وقليل منهم فمنهم **فرقة** اهملوا الفرائض واشتغلوا
بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا الى العدوان والسرف كالذي تغلب عليه
الوسوسة في الوضوء فيبالغ فيه ولا يرتضي الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات
البعيدة قريبة في النجاسة واذا آل الامر الى اكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما
اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان اشبه بسيرة الصحابة اذ توضأ
عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان يدع ابوابا من الحلال
خوفا من الوقوع في الحرام ثم في هؤلاء من يخرج الى الاسراف في صب الماء وذلك منهي عنه وقد يطول
الامر حتى يضيع الصلوة ويخرجها عن وقتها وان لم يخرجها ايضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته
من فضيلة اول الوقت وان لم يفته فهو مغرور لما فاته من فضيلة اول الوقت لاسرافه في الماء و

ان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو اعز الاشياء فيما له مندوحة عنه الا ان الشيطان
يصد الخلق عن الله بطرق ولا يقدر على صد العباد الا بما يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن
الله بمثل ذلك **وفرقة اخرى** غلب عليها الوسوسة في نية الصلوة فلا يدعه الشيطان حتى
يعتقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى يفوت الجماعة ويخرج الصلوة عن الوقت وان تم تكبيره
يكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير
لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في اول الصلوة ثم يغفلون في جميع الصلوة ولا يحضرون قلوبهم
ويغترون بذلك ويظنون انهم اذا اتعبوا انفسهم في تصحيح النية في اول الصلوة وتميزوا عن
العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم **وفرقة اخرى** يغلب عليها الوسوسة
في اخراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين
الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلوته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن
معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم الى اسراره وهذا من اقبح انواع الغرور فانه لم يكلف الخلق
في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم في الكلام ومثال هؤلاء
مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان وامر ان يؤديها على وجهها فاخذ يؤدي الرسالة ويتأنق في
مخارج الحروف ويكررها ويعيدها ويعود مرة بعد اخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة
ومراعاة حرمة المجلس فما احراه بان يقام عليه السياسة ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل
وفرقة اخرى اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذا وربما يختمونه في اليوم والليلة مرة ولسانهم
يجري به وقلوبهم تتردد في اودية الاماني اذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه
ويقف عند اوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار منه الى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة
القرآن من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن ان المقصود من انزال القرآن الهمهمة به مع
الغفلة عنه ومثاله عبد كتب اليه مالكه كتابا واشار عليه فيه بالاوامر والنواهي فلم يصرف عنايته
الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر في خلاف ما امر به مولاه الا انه مكرر للكتاب
بنغمته وصوته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور
نعم تلاوته انما يراد لكيلا ينسى بل لحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به وللانتفاع
بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقراه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن ان ذلك لذة
مناجاة الله وسماع كلامه وانما هو لذة في صوته ولو ردد الحانه بشعر او كلام آخر لالتذ به ذلك
الالتذاذ فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه فيعرف ان لذته بكلام الله من حيث حسن نظمه ومعانيه او
بصوته **وفرقة اخرى** اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر وصاموا الايام الشريفة وهم فيها لا
يحفظون السنتهم من الغيبة وخواطرهم من الرياء وبطونهم من الحرام عند الافطار والسنتهم من
الهذيان بانواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرض ويطلب النفل
ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور **وفرقة اخرى** اغتروا بالحج فيخرجون الى الحج من غير خروج عن
المظالم وقضاء الديون واسترضاء للوالدين وطلب للزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد

سقوط حجة الاسلام ويضيعون في الطريق الصلوة والفرايض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن
ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام وربما جمع
بعضهم الحرام وانفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء فيعصي الله في كسب الحرام
اولا وفي انفاقه بالرياء ثانيا فلا هو اخذه من حله ولا هو وضعه في حقه ثم يحضر البيت بقلب
ملوث برذائل الاخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن انه
على خير من ربه وهو مغرور **وفرقة اخرى** اخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر ينكر على الناس ويامرهم بالخير وينسى نفسه واذا امرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعز
واذا باشر منكرا ورد عليه غضب وقال انا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع الناس الى مسجد
ومن تاخر عنه غلظ القول عليه وانما غرضه الرياء والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل
منهم من يؤذن ويظن انه يؤذن لله ولو جاء غيره واذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة
وقال لم اخذ حقي وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد امامة مسجد ويظن انه على خير و
انما غرضه ان يقال انه امام المسجد فلو تقدم غيره وان كان اورع منه واعلم منه ثقل عليه **وفرقة اخرى** جاوروا بمكة والمدينة واغتروا بها ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وبواطنهم
قلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتين الى قولهم ان فلانا مجاور بمكة تراه يتحدث ويقول قد جاورت بمكة
كذا وكذا سنة واذا سمع ان ذلك قبيح ترك صريح التحدث واحب ان يعرفه الناس بذلك ثم يجاور و
يمد عين الطمع الى اوساخ اموال الناس واذا جمع منها شيئا شح عليها وامسكها ولم تسمح نفسه بلقمة
يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك
المجاورة ولكن حب المحمدة وان يقال له انه من المجاورين الزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل فهو
ايضا مغرور وما من عمل من الاعمال وعبادة من العبادات الا وفيها آفات فمن لم يعرف مداخل
آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك الا من جملة كتاب احياء علوم الدين فيعرف
مداخل الغرور في الصلوة من كتاب الصلوة وفي الحج والزكوة والتلاوة وساير القربات من الكتب التي
رتبناها فيها وانما الغرض الآن الاشارة الى مجامع ما سبق في الكتب **وفرقة اخرى** زهدت
في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت انها ادركت
رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد ترك
اهون الامرين وباء باعظم المهلكين فان الجاه اعظم من المال ولو ترك الجاه واخذ المال كان الى السلامة
اقرب فهذا مغرور وظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر ان منتهى لذاتها الرياسة
وان الراغب فيها لا بد وان يكون منافقا وحسودا ومتكبرا ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث
الاخلاق نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بها على الاغنياء
ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله و
يتصف بجملة خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا ياخذه خيفة من ان يقال
بطل زهده ولو قيل له انه حلال فخذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح نفسه به خوفا من ذم الناس

فهو راغب في حمد الناس وهو من الذ ابواب الدنيا ويرى نفسه انه زاهد في الدنيا فهو مغرور ومع
ذلك فربما لا يخلو عن توقير الاغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل الى المريدين له والمثنين عليه و
النفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان وفي العباد من
يشدد على نفسه في اعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة مثلا الف ركعة ويختم القرآن
وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وساير المهلكات
فلا يدري ان ذلك مهلك وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك يتوهم انه مغفور
له بعمله الظاهر وانه غير مؤاخذ باحوال القلب وان توهم فيظن ان العبادات الظاهرة يترجح
بها كفة حسناته وهيهات فذرة من ذي تقوى وخلق واحد من اخلاق الاكياس افضل من
امثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث
باطنه عن الرياء وحب الثناء فاذا قيل له انت من اوتاد الارض واولياء الله واحبابه فرح
المغرور وصدقه وزاده ذلك غرورا وظن ان تزكية الناس له دليل على كونه مرضيا عند الله
ولا يدري ان ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه **وفرقة اخرى** حرصت على النوافل ولم يعظم
اعتدادها بالفرايض تراه يفرح بصلوة الضحى وبصلوة الليل وامثال هذه النوافل ولا يجد للفريضة
لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في اول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم ما تقرب المتقربون
الى بمثل اداء ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين على
الانسان فرضان احدهما يفوت والآخر لا يفوت او نفلان احدهما يضيق وقته والآخر يتسع
فان لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظاير ذلك اكثر من ان تحصى فان المعصية ظاهرة و
الطاعة ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على البعض كتقديم الفرايض كلها على النوافل
وتقديم فروض الاعيان على فروض الكفايات وتقديم فرض كفاية لا قائم بها على ما قام بها غيره و
تقديم الاهم من فروض الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب ان
يقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد اذ سئل رسول الله صلعم وقيل من ابر فقال امك قال ثم من
قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال اباك قال ثم من قال ادناك
فادناك فينبغي ان يبدا في الصلة بالاقرب فان استويا فبالاحوج فان استويا فبالاتقى والاورع وكذلك من لا يفي
ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي ان يقدم حقهما على الحج وهذا من تقديم
فرض اهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة تفوت
فالاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وان كان هو طاعة في نفسه وكذلك يصيب ثوبه
النجاسة فيغلظ القول على ابويه واهله بسببه فالنجاسة محذورة وايذاؤهم محذور والحذر من الاذى
اهم من الحذر من النجاسة وامثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن ترك الترتيب في
جميع ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لان المغرور فيه في طاعة الله الا انه لا يفطن لمصير
الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي اهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف
من الفقه في حق من بقي عليه شغل في الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح

والمتعلقة بالقلب لان مقصود الفقه معرفة ما يحتاج اليه غيره في جوارحهم فمعرفة ما يحتاج
هو اليه في قلبه اولى به الا ان حب الرياسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الاقران والتقدم
عليهم يعمي حتى يغتر به مع نفسه ويظن انه مشغول بمهم دينه الصنف الثالث
المتصوفة وما اغلب الغرور عليهم والمغترون منهم فرق ففرقة منهم متصوفة اهل الزمان
الا من عصمه الله اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم
وهيئاتهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي احوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة
والصلوة والجلوس على السجادات مع اطراق الرأس وادخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء
وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمايل والهيآت فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا
بهم فيها ظنوا انهم ايضا صوفية ولم يتعبوا انفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب
وتطهير الباطن من الآثام الجلية والخفية وكل ذلك من اوائل منازل التصوفة ولو فرغوا
من جميعها لما جاز لهم ان يعدوا انفسهم من الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم
يسوموا انفسهم شيئا منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين و
يتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض
بعض مهما خالفه في شيء من غرضه وهولاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز
سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين تثبت اسماؤهم في الديوان ويقطع كل واحد منهم
قطرا من اقطار المملكة فتاقت نفسها الى ان تقطع مملكة فلبست درعا ووضعت على رأسها
مغفرا وتعلمت من رجز الابطال ابياتا وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى تيسرت
عليها وتعلمت كيف هيئة تبخترهم في الميدان وكيف تحريكهم الايدي وتلقفت جميع شمايلهم في
الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى المعسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان
فلما وصلت الى المعسكر انفذت الى ديوان العرض وامرت بان تجرد عن المغفر والدرع فاذا
هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل اجئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف
باهل حضرته وللتلبيس عليه خذوها فالقوها قدام الفيل ليسخفها فالقيت الى الفيل وهكذا
يكون حال المدعين للتصوف في القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الاكبر الذي لا
ينظر الى الزي والمرقع بل الى سر القلب وفرقة اخرى زادت على هولاء في الغرور اذ شق عليها
الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون وارادت ان تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من
التزيي بزيهم فتركت الخز والابريسم وطلبت المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادات
المصبوغة ولبست الثياب ما هو ارفع قيمة من الخز والابريسم وظن مع ذلك انه متصوف بمجرد لون
الثوب وكونه مرقعا ونسي انهم انما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة
الوسخ وانما لبسوا المرقع اذا كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فاما تقطيع
الفوط الرفيعة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن اين يشبه ما اعتادوه فهولاء اظهر
حماقة من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش

غرور المتصوفة

ويأكلون

ويأكلون اموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا عن الباطنة وهم مع ذلك
يظنون بانفسهم الخير وشر هولاء مما يتعدى الى الخلق اذ يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي
بهم يفسد عقيدته في اهل التصوف كافة ويظن ان جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان
في الصادقين منهم وكل ذلك من شوم المتشبهين ومن شرهم وفرقة اخرى ادعت علم
المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول
الى القرب ولا يعرف من هذه الامور الا الاسامي والالفاظ الا انه تلقف من الفاظ الطامات
كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين
والمحدثين واصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته
والحايك يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فهو
يرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء
فيقول في العباد انهم اجراء متعبون ويقول في العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون
ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند
ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم
يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه وفرقة اخرى وقعت في
الاباحة وطووا بساط الاحكام ورفضوا الفصل بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن
عن عملي فلم اتعب نفسي وبعضهم يقول قد كلف الخلق تطهير القلب عن الشهوات وعن حب
الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد جربنا وادركنا
ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من اصلهما
بل تاديبهما بحيث ينقاد لحكم العقل والشرع ويقول بعضهم الاعمال بالجوارح لا وزن لها و
انما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة الى معرفة الله وانما نخوض الدنيا بابداننا
وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون
انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات
لا تصدهم عن طريق الله لقوتهم فيها ويرفعون درجة انفسهم عن درجة الانبياء اذ كان يصدهم
عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية واصناف
غرور اهل الاباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى وكل ذلك بناء على اغاليط ووساوس
خدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن اقتدى بشيخ متقن في
الدين والعلم صالح للاقتداء واحصاء اصنافهم يطول وفرقة اخرى جاوزت حد هولاء
واحسنت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصارت تدعي المقامات
من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها
وآفاتها فمنهم من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم انه واله بالله ولعله قد تخيل في الله خيالات
هي بدعة او كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة ما يكره وعن ايثار هوى نفسه

على امر الله وعن ترك بعض الامور حياء عن الخلق ولو خلا لما تركها حياء من الله وليس يدري ان كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة لم ينقل عن السلف والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل منه فما فهموا من التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا ياخذون الزاد وهم متوكلون على الله لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من المقامات المنجيات الا وفيها غرور وقد اغتر بها قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن اعادته وفرقة اخرى ضيقت على انفسها في امر القوت حتى طلبت منها الحلال الخالص واهملت تفقد القلب والجوارح في هذه الخصلة الواحدة ومنهم من اهمل الحلال في مطعمه وملبسه واخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين ان الله لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه الا تفقد جميع الطاعات والمعاصي فمن ظن ان بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور وفرقة اخرى منهم ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاق وهم يظهرون ان غرضهم الارفاق وغرضهم الاستتباع وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليها ليكثر اتباعهم وينتشر بالخدمة اسمهم وبعضهم ياخذ اموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم ياخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه البر والارفاق وباعث جميعهم الرياء والسمعة وآية ذلك اهمالهم لجميع اوامر الله عليهم ظاهرا وباطنا ورضاهم باخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لارادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة وفرقة اخرى منهم اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علما وحرفة فهم في جميع احوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس وباستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب ويشغفون الى كلمات مسلسلة تضيع الاوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه وفرقة اخرى جاوزوا هذه الرتبة وابتدأوا بسلوك الطريق وانفتحت لهم ابواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادي المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبهم غرابتها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجائب طريق الله ليس لها نهاية فلو وقف مع كل اعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم عن الوصول الى المقصد وكان مثاله كمن قصد ملكا فرأى على باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت

الذي

الذي يمكن فيه لقاء الملك وفرقة اخرى جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار في الطريق والى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين في المسير حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربة الى الله فظنوا انهم وصلوا الى الله فوقفوا وغلطوا فان لله سبعين حجابا من نور ولا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه قد وصل واليه الاشارة بقول ابرهيم صلى الله عليه وسلم اذ قال تع اخبارا عنه فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي وليس المعني به هذه الاجسام المضيئة فانه كان يراها في الصغر ويعلم انها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحدة والجهال يعلمون ان الكوكب ليس باله فمثل ابرهيم لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية ولكن المراد نور من الانوار التي هي من حجب الله وهي على طريق السالك ولا يتصور الوصول الى الله الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من النور بعضها اعظم من بعض و اصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه واعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر فلم يزل ابرهيم لما راى ملكوت السموات يصل الى نور بعد نور ويتخايل اليه في اول ما يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له ان وراءه امرا فيترقى اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا بعده قال هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمه غير خال عن الهوي في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الآفلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وسالك هذه الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجاب بين الله وبين العبد هو نفسه فانه ايضا امر رباني وهو نور من انوار الله اعني سر القلب الذي يتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط به ويتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول الامر محجوب بمشكاة هي كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه فربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلي فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في المرآة فيظن انه لون المرآة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر وبهذه العين نظرت النصارى الى المسيح فراوا اشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا كمن يرى كوكبا في مرآة او في ماء فيظن ان الكوكب في المرآة او في الماء فيمد اليه اليد ليأخذه وهو مغرور وانواع الغرور في طريق السلوك الى الله لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه ايضا كان الاولى تركه اذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج الى ان يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به اذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهمه ولكن فيه فائدة وهو اخراجه من الغرور الذي هو فيه اذ ربما يصدق بان الامر اعظم

بما يظنه وبما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف ويصدق ايضا بما يحكى من المكاشفات
التي اخبر عنها اولياء الله ومن عظم غروره ربما اصر مكذبا بما سمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل ه

الصنف الرابع ارباب الاموال والمغترون منهم فرق فرقة منهم
يحرصون على بناء المساجد والمدارس والقناطر وما يظهر للناس كافة ويكتبون اسماءهم بالآجر
عليه ليخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم وهم يظنون انهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه
من وجهين احدهما انهم يبنونها من اموال كسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة
فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا السخط في انفاقها وكان الواجب عليهم الامتناع عن
كسبها فاذا عصوا الله تع بكسبها كان الواجب عليهم التوبة والرجوع الى الله تع وردها الى ملاكها اما
باعيانها واما رد بدلها عند العجز فان عجزوا عن الملاك فكان الواجب ردها الى الورثة فان لم
يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها الى اهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون
خيفة من ان لا يظهر ذلك للناس فيبنون الابنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء
وحرصهم على بقائها لبقاء اسمائهم بها لا لبقاء الخير والوجه الثاني انهم يظنون بانفسهم
الاخلاص وقصد الخير في الانفاق على الابنية ولو كلف واحد منهم ان ينفق دينارا ولا يكتب اسمه
على الموضع الذي انفق عليه لشق عليه ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه او لم يكتب فلولا
انه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر الى ذلك وفرقة اخرى ربما اكتسبت المال من
الحلال وانفقت على المساجد وهي ايضا مغرورة من وجهين احدهما الرياء وطلب الثناء
فانه ربما يكون في جواره او في بلده فقراء وصرف المال اليهم اهم من صرفه الى المساجد وزينتها
وانما يخف عليه صرفها الى المساجد ليظهر ذلك بين الناس والثاني انه يصرف الى زخرفة المسجد
وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة قلوب المصلين ومختطفة اعينهم والمقصود من
الصلوة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال
ذلك كله يرجع اليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى انه من الخيرات ويعتد ذلك وسيلة الى الله تع
وهو بذلك قد تعرض لسخط الله وهو يظن انه مطيع لله وممتثل لامره وقد شوش قلوب عباد الله
بما زخرف من المسجد وربما شوقهم به الى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون
بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته اذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله قال مالك بن
دينار دخل رجلان مسجدا فوقف احدهما على الباب وقال مثلي يدخل بيت الله فكتب على المكان
صديقا عند الله فهكذا ينبغي ان يعظم المساجد وهو ان يرى تلويث المسجد بنفسه جناية
على المسجد لا ان يرى تلويث المسجد بالحرام او بزخرف الدنيا منة على الله وقال الحواريون
للمسيح صلوات الله عليه انظر الى هذا المسجد ما احسنه فقال امتي بحق اقول لكم لا يترك الله من
هذا المسجد حجرا قايما على حجر الا اهلكه بذنوب اهله ان الله لا يعبا بالذهب والفضة ولا بهذه
الحجارة التي تعجبكم شيئا وان احب الاشياء الى الله القلوب الصالحة بها يعمر الله الارض وبها يخرب
اذا كانت على غير ذلك وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم و

حليتم مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد
ان يبني مسجد المدينة اتاه جبرئيل فقال ابنه سبعة اذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا
تنقشه فغرور هذا انه راى المنكر معروفا واتكل عليه وفرقة اخرى ينفقون الاموال في
الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون بها المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر
والافشاء للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون اخفاء الفقير لما اخذ منهم جناية عليهم و
كفرانا وربما يحرصون على انفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد اخرى وربما يتركون جايعين و (جيرانهم صح)
ولذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط لهم
في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي باحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره ماسور
الى جنبه لا يواسيه وروى ابو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحارث وقال قد عزمت
على الحج فامرني بشيء فقال له كم اعددت للنفقة فقال الفي درهم قال بشر فاي شيء تبتغي بحجك
نزهة او اشتياقا الى البيت او ابتغاء مرضاة الله تع قال ابتغاء مرضاة الله قال فان اصبت
رضى الله وانت في منزلك وتنفق الفي درهم تكون على يقين من مرضاة الله تع اتفعل ذلك قال نعم قال
اذهب فاعطها عشرة انفس مديون تقضي دينه وفقير ترم شعثه ومعيل تغني عياله ومربي
يتيم تفرحه وان قوي قلبك تعطيها واحدا فافعل فان ادخالك السرور على قلب المسلم واغاثة
اللهفان وكشف الضر واعانة الضعيف افضل من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما
امرناك والا فقل لنا ما في قلبك فقال يا ابا نصر سفري اقوى في قلبي فتبسم بشر واقبل عليه فقال
له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس ان تقضي به وطرا فاظهرت
الاعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين وفرقة اخرى من ارباب الاموال
يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها الى
نفقة كصيام النهار وقيام الليل والختم للقرآن وهم مغرورون لان البخل المهلك قد استولى على باطنهم
فهم محتاجون الى قمعه باخراج المال فقد اشتغلوا بطلب فضايل هم مستغنون عنها و
مثاله ذلك من دخلت في ثوبه حية وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين
ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان فلانا
الغني كثير الصوم فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره انما حال هذا اطعام الطعام
للجياع والانفاق على المساكين فهذا افضل له من تجويعه نفسه ومن صلوته لنفسه مع جمعه
للدنيا ومنعها الفقراء وفرقة اخرى غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكوة
فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردي الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم
ويتردد في حوائجهم او من يحتاجون اليه في المستقبل للاستسخار في خدمة او من لهم فيه على الجملة غرض
او يسلمون الى من يعينه واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمته لينال بذلك عنده منزلة فيقوم
بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور يظن انه مطيع لله وهو
فاجر اذ طلب بعبادة الله عوضا من غيره فهذا وامثاله من غرور ارباب الاموال ايضا لا يحصى وانما

ذكرنا بقدر القدر للتنبيه على اجناس الغرود **وفرقة اخرى** من عوام الخلق وارباب الاموال والفقراء
اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان
لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا
في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على
العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فاذا قصر عن الاداء الى ذلك الخير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من
الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء وربما يدخله رقة كرقة النساء فيبكي وربما يسمع كلاما
مخوفا فلا يزيد على ان يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم او نعوذ بالله او سبحان الله ويظن انه قد اتى
بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله المريض يحضر مجالس الاطباء فيسمع ما يجري او الجائع يحضر
عند من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية وينصرف وذلك لا يغني عنه من مرضه وجوعه شيئا
فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغني من الله شيئا فكل وعظ لم يغير منك صفة
تغييرا يغير افعالك حتى تقبل على الله وتعرض عن الدنيا اقبالا قويا او ضعيفا فذلك الوعظ زيادة حجة
عليك فاذا رايته وسيلة لك كنت مغرورا **فان قلت** فما ذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص عنه
احد ولا يمكن الاحتراز منه فهذا يوجب الياس اذ لا يقوى احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الافات
فاقول الانسان اذا فترت همته في شيء اظهر الياس واستعظم الامر واستوعر الطريق
واذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق الى الوصول الى الغرض
حتى ان الانسان اراد ان يستنزل الطير المحلق في جو السماء مع بعده منه فاستنزله واراد
ان يستصعد الحوت من اعماق البحر فاستصعده واراد ان يستخرج الذهب والفضة
من تحت الجبال فاستخرجها واراد ان يقتنص الوحوش المنطلقة في البراري والصحاري فاقتنصها
واراد ان ياخذ الافاعي والحيات ويعبث بها فاخذها واراد ان يستسخر السباع والفيلة و
اعظم الحيوانات فانه يستسخرها واذا اراد ان ياخذ الافاعي والحيات ويعبث بها فانه ياخذها
ويستخرج الترياق من اجوافها واراد ان يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوث فاتخذه
واراد ان يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها فاستخرج بدقيق الهندسة وهو مستقر
على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الالات فاتخذ الفرس للركوب والكلب للصيد
وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيا الشبكة لاقتناص السمك الى غير ذلك من دقايق حيل
كل ذلك لانه همه امر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو همه امر آخرته فليس عليه الا شغل واحد
وهو تقويم قلبه عجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا محال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك محالا
لو اصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما يقال لو صح منك الهوى ارشدت للحيل فهذا شيء
لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدقت ارادته
وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها **فان
قلت** فقد قربت الامر فيه بعد ان اكثرت في ذكر مداخل الغرور فيما ذا ينجو العبد من الغرور
فاعلم انه ينجو عنه بثلاث امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلاثة امور لا بد منها **اما**

العقل

العقل فاعني به الفطرة الغريزية والنور الاصلي الذي به يدرك الانسان حقايق الاشياء فالفطنة
والكياسة فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ من الغرور فصفاء العقل
وذكاء الفهم لا بد منه في اصل الفطرة وهذا ان لم يفطر فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل اصله
امكن تقويته بالممارسة فاساس السعادات كلها العقل والكياسة **قال** رسول الله صلى الله
عليه وسلم تبارك الله الذي قسم العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين ليستوي عملهما وبرهما
وصومهما وصلوتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب احد وما قسم الله لخلقه حظا هو
افضل من العقل واليقين **وعن** ابي الدرداء انه قيل يا رسول الله ارايت الرجل يصوم النهار ويقوم
الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف
ما تعلم منزلته عند الله يوم القيمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقله قالوا يا رسول الله
نقول من عبادته وفضله ومن خلقه وتقول كيف عقله فقال ان الاحمق يصيب بجمهته
اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس على قدر عقولهم **وقال** ابو الدرداء كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا سمع عن رجل شدة عبادته سال عن عقله فاذا قالوا حسن قال ارجوه وان
قالوا غير ذلك قال لن يبلغ قال وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشيء قال
لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون والذكاء وصحة غريزة العقل نعمة من الله تع في اصل الفطرة فان فاتت
ببلادة وحماقة فلا تدارك له **الثاني** المعرفة واعني به ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه
ويعرف ربه ويعرف الدنيا ويعرف الآخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا
العالم واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا هي معرفة الله تع والنظر الى
وجهه فقط ولا يتصور ان يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه وليستعن على هذا
بما ذكرناه في كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجايب القلب وكتاب التفكر وكتاب الشكر اذ فيها
اشارات الى وصف النفس والى وصف جلال الله تع ويحصل به التنبيه على الجملة وكمال المعرفة
وراءه فان هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب الا في علم المعاملة واما معرفة الدنيا
والآخرة فيستعين عليه بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب ذكر الموت ليتبين له انه لا نسبة
للدنيا الى الآخرة فاذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله و
بمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير اهم اموره ما يوصله الى الله وينفعه
في الآخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان اكل مثلا او اشتغل
بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على الله وسلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل
غرور منشاه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد للنية وما
دامت الدنيا احب اليه من الآخرة وهوى نفسه احب اليه من رضا الله فلا يمكنه الخلاص من الغرور
فاذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج الى المعنى **الثالث**
وهو العلم اعني العلم بكيفية سلوك الطريق الى الله والعلم بما يقربه من الله وما يبعده عنه والعلم بآفات الطريق
وعقباته وغوايله وجميع ذلك قد اودعناه كتب احياء علوم الدين فيعرف من ربع العبادات شروطها

يراعيها وآفاتها فيتقيها ومن ربع العادات اسرار المعايش وما هو مضطر فيأخذه بأدب الشرع و
ما هو مستغن عنه فيعرض عنه ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة من طريق الله فان
المانع من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه ويعرف من ربع المنجيات
الصفات المحمودة التي لا بد وان يوضع خلفا من المذمومة بعد محوها فاذا احاط بجميع ذلك امكنه
الحذر عن الانواع التي اشرنا اليها من الغرور واصل ذلك كله ان يغلب حب الله على القلب ويسقط
حب الدنيا منه حتى تقوى به الارادة وتصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها فان قلت
فاذا فعل ذلك فما الذي يخاف عليه فاقول يخاف عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى جميع صح
نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس الى ما عرفه من دين الله فان المريد المخلص اذا فرغ من تهذيب
الاخلاق وراقب القلب حتى صفاه عن جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم و
صغرت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طمعه من الخلق فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد
وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه وقد عجز الشيطان عن اغوائه اذ
يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه الى الرحمة
على خلق الله والشفقة على دينهم بالنصح لهم والدعاء الى الله فينظر العبد برحمته الى العبيد فيراهم
حيارى في امرهم سكارى صما عميا في دينهم قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون
وفقدوا الطبيب واشرفوا على العطب فغلبت على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة
المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب
ولا مؤنة ولزوم غرامة فكان مثله كرجل به داء عظيم لا يطاق ألمه وقد كان لذلك يسهر
ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا
من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرئ وصح فطاب نومه بالليل بعد طول سهره
وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر واصاب لذة العافية بعد طول
السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة وقد طال سهرهم واشتد قلقهم و
ارتفع الى السماء انينهم فتذكر ان دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم باسهل ما يكون
وفي اوجز زمان فاخذته الرحمة والرقة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال
بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد ان اهتدى الى الطريق وشفي من امراض القلوب شاهد
الخلق وقد مرضت قلوبهم واعضل داؤهم وقرب هلاكهم وشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث
من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك برجاء ان يجد
مجال الفتنة فلما اشتغل به وجد الشيطان مجال الفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا اخفى
من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق
بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات والتصنع في الزي والهيئات فاقبل الناس يعظمونه و
يبجلونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ رأوه شافيا لادوائهم بمحض الشفقة والرحمة
من غير طمع فصار احب اليهم وقدموه في المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك

استبشر

استبشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يا لها من لذة فاصابت من الدنيا شهوة
يستحقر معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا ووقع في اعظم لذاتها وعند ذلك وجد الشيطان
فرصة وانفذ الى قلبه يده وانفذ الى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة و
امارة استبشار الطبع وركون النفس الى الشيطان انه لو اخطأ فرد عليه بين يدي الخلق غضب
فاذا انكر على نفسه ما وجده من الغضب ناداه الشيطان يخيل اليه ان ذلك غضب لله لانه
اذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع في الغرور وربما اخرجه ذلك الى الوقيعة
فيمن رد عليه فوقع في الغيبة المحظورة بعد تركه للحلال المتسع ووقع في الكبر الذي هو تمرد عن قبول
الحق بعد ان كان يحذر من طوارق الخطرات وكذلك اذا سبقه الضحك وفتر عن بعض
الاوراد جزعت النفس ان يطلعوا عليه فيسقط قبوله اتبع ذلك باستغفار وتنفس صعداء
وربما زاد في الاعمال والاوراد لاجلهم والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك كيلا يفتروا برأيهم
عن طريق الله فيتركون الطريق بتركك وانما ذلك خدعة وغرور بل هي خدع من النفس خيفة فوت
الرياسة ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاعهم على مثل ذلك من اقرانه بل ربما يحب ذلك ويستبشر
به ولو ظهر من اقرانه من مالت القلوب الى قبوله وزاد اثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك
عليه ولولا ان النفس قد استبشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك اذ مثاله
ان يرى الرجل جماعة من اخوانه قد وقعوا في بئر وتغطى راس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الترقي
بسببه فرق قلب بعض اخوانه فجاء يرفع الحجر من راس البئر ويشق عليه فجاء من اعانه على
ذلك حتى تيسر عليه او كفاه ذلك ونحاه بنفسه فيعظم بذلك فرحه اذ غرضه خلاص اخوانه من
البئر فان كان غرض الناصح خلاص اخوانه المسلمين من النار فاذا ظهر من اعانه او كفاه ذلك
لم يثقل عليه ارأيت لو اهتدوا جميعهم بانفسهم اكان ينبغي ان يثقل عليه ذلك وان كان
غرضه امرهم وهو يحب هدايتهم فاذا اهتدوا بغيره لم كان ينبغي ان يثقل عليه ومهما وجد في
نفسه دعاه الشيطان الى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح واهلكه فنعوذ بالله من
زيغ القلوب بعد الهدى ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء فان قلت فمتى يصح له ان يشتغل
بنصح الناس فاقول اذا لم يكن له قصد سوى هدايتهم لله تع وكان يود لو وجد
من يعينه او اهتدوا بانفسهم وانقطع بالكلية طمعه من ثنائهم وعن اموالهم فاستوى عنده حمدهم
وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم اذا لم يقترن به حمد الله تع ونظر
اليهم كما ينظر الى السادات والى البهائم اما الى السادات فمن حيث لا يتكبر عليهم و
يرى كلهم خيرا من نفسه لجهله بالخاتمة واما الى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب
المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع بل راعي الماشية غرضه
رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه فما لم ير سائر الناس كالماشية التي لا
يلتفت الى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد
نفسه باصلاحهم فيكون كالشمع الذي يضيء لغيره ويحترق في نفسه فان قلت فلو

ترك الوعاظ الوعظ الا عند نيل هذه الدرجة خلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب فاقول
قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس كل خطيئة ولولا حب الناس الدنيا لهلك
العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والابدان جميعا الا انه صلى الله عليه وسلم علم ان حب الدنيا
مهلك وان ذكره كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلب الاكثرين الا الاقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم
فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من ان يترك ثقة بالشهوات المهلكة
التي سلط الله على عباده بها يسوقهم الى جهنم تصديقا لقوله لقد حق القول على اكثرهم متى
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فكذلك لا تزال السنة الوعاظ مطلقة لحب الرياسة
ولا يدعونها بقول من يقول ان الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة
والريا والظلم وساير المعاصي لقول الله ورسوله ان ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب
عن حديث الناس فان الله يصلح خلقا كثيرا بافساد شخص واحد واشخاص ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الارض وان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم فانما يخشى ان يفسد
طريق الاتعاظ فاما ان يخرس السنة الوعاظ ووراءهم باعث الرياسة وحب الدنيا فلا يكون
ذلك ابدا فان قلت فان علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح
او نصح وراعى شرط الصدق والاخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من الاخطار
وحبايل الاغترار فاعلم انه بقي عليه اعظمه وهو ان الشيطان يقول له قد اعجزتني وافلت مني
بذكائك وكمال عقلك وقد قدرت على جملة من الاولياء والكبراء وما قدرت عليك فما اصبرك و
ما اعظم عند الله محلك اذ قواك على قهري ومكنك من التفطن لجميع مداخل غروري فيصغي اليه
ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون اعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك
الاكبر فالعجب اعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم اذا ظننت انك بعلمك تخلصت
مني فبجهلك قد وقعت في حبائلي فان قلت فلو لم يعجب بنفسه او علم ان ذلك من الله لا
منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان الا بتوفيق الله ومعونته ومن عرف ضعف
نفسه وعجزه عن اقل القليل فاذا اقدر على مثل هذا الامر العظيم علم انه لم يقو عليه بنفسه
بل بالله تعالى فما الذي يخاف عليه فاقول يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه و
الامن من مكره حتى يظن انه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب
فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون ان يقارنه الخوف من مكره ومن امن مكر الله فهو خاسر
جدا بل طريقه ان يكون مشاهدا جملة ذلك من فضل الله ثم خائفا على نفسه ان يكون قد سدت
عنه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء خلق والتفات الى عز وهو غافل عنه ويكون
غافلا ان يسلب حاله في كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر
لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط ولذلك قال الشيطان لبعض
الاولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال افلت مني يا فلان فقال لا بعد و
لذلك قيل الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون

كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فاذن المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور
على خطر ولذلك لزم الحذر قلوب اولياء الله ابدا فنسال الله حسن الخاتمة فان الامور بخواتيمها
والسلام تم كتاب الغرور وبه تم ربع المهلكات والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله

كتاب التوبة وهو الكتاب الاول من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين
الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب وبذكره يصدر كل خطاب وبحمده يتنعم اهل النعيم في دار
الثواب وباسمه يتسلى الاشقياء وان ارخي دونهم الحجاب وضرب بينهم وبين السعداء بسور
له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ونتوب اليه توبة من يوقن انه رب الارباب
ومسبب الاسباب ونرجوه رجاء من يعلم انه الملك الرحيم الغفور التواب ونمزج برجائنا الخوف
مزج من لا يرتاب انه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ونصلي على نبيه
محمد وصحبه الاكرمين صلوة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب وتمهد لنا عند
الله زلفى وحسن مآب وبعد فان التوبة عن الذنوب بالرجوع الى ستار العيوب
وعلام الغيوب مبدا طريق السالكين وراس مال الفائزين واول اقدام المريدين ومفتاح
استقامة المائلين ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين ولابينا آدم عليه السلام وعلى ساير
الانبياء اجمعين وما اجدر بالاولاد الاقتداء بالآباء والاجداد ولا غرو ان اذنب الآدمي
واجترم فهي شنشنة اعرفها من اخزم ومن اشبه اباه فما ظلم ولكن الاب اذا جبر
بعد ان كسر وعمر بعد ان هدم فليكن النزوع اليه في كلا طرفي النفي والاثبات والوجود والعدم
ولقد قلع آدم سن الندم وتندم على ما سبق منه وتقدم فمن اتخذه قدوة في الذنب دون
التوبة فقد زلت به القدم بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين والتجرد للشر دون التلافي
سجية الشياطين والرجوع الى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين فالمتجرد للخير ملك
مقرب عند الملك الديان والمتجرد للشر شيطان والمتلافي للشر بالرجوع الى الخير بالحقيقة انسان
فقد ازدوج في طينة الانسان شائبتان واصطحبت فيه سجيتان وكل عبد مصحح نسبه اما الى
الملك او الى آدم او الى الشيطان فالتائب قد اقام البرهان على صحة نسبه الى آدم بملازمة حد
الانسان والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان فاما تصحيح النسب بالتجرد لمحض
الخير الى الملائكة فخارج عن حيز الامكان فان الشر معجون مع الخير في طينة آدم عجنا محكما لا
تخلصه الا احدى النارين نار الندم او نار جهنم فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان
عن خبائث الشيطان واليك الآن اختيار اهون الشرين والمبادرة الى اخف النارين قبل
ان يطوى بساط الاختيار ويساق الى دار الاضطرار اما الى الجنة واما الى النار واذ كانت
التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها في صدر ربع المنجيات لشرح حقيقتها وشروطها
وسببها وعلامتها وثمرتها والآفات المانعة منها والادوية الميسرة لها ويتضح ذلك بذكر اربعة

اركان. الركن الاول في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وانها واجبة على الفور وعلى جميع الاشخاص وفي جميع الاحوال وانها اذا صحت كانت مقبولة. الركن الثاني فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها الى صغاير وكباير وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيآت وبيان الاسباب التي بها تعظم الصغاير. الركن الثالث في بيان شروط التوبة في دوامها وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان اقسام التائبين في دوام التوبة. الركن الرابع في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من المذنبين وبه يتم المقصود بهذه الاركان الاربعة.

الركن الاول في نفس التوبة وبيان حقيقة التوبة وحدها. اعلم ان التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة امور مرتبة علم وحال وفعل فالعلم اول والحال ثاني والفعل ثالث والاول موجب للثاني والثاني موجب للثالث ايجابا اقتضاه اطراد سنة الله في الملك والملكوت اما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فاذا عرف ذلك معرفة محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب فان القلب مهما احس بفوات محبوبه تألم فان كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوت لمحبوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب واستولى انبعث من هذا الالم في القلب حالة اخرى تسمى ارادة وقصدا الى فعل له تعلق بالحال وبالماضي وبالاستقبال اما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابسا له واما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوت للمحبوب الى آخر العمر واما بالماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر فالعلم هو الاول وهو مطلع هذه الخيرات واعني بهذا العلم الايمان واليقين فان الايمان عبارة عن التصديق بان الذنوب سموم مهلكة واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الايمان مهما اشرق على القلب نار الندم فيتألم به القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فسطع النور عليه بانقشاع سحاب او انحسار حجاب فراى محبوبه قد اشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه فتنبعث تلك النيران بارادته للانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مترتبة في الحصول يطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر وبهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة اذ لا يخلو الندم عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه اعني ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة انه ذوبان الحشا لما سبق من الخطا فان هذا تعرض لمجرد الالم ولذلك قيل هو نار في القلب تلتهب وصدع في الكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة انه خلع لباس الجفا ونشر بساط الوفا. وقال سهل التستري رحمه الله التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ولا يتم ذلك الا بالخلوة والصمت واكل الحلال وكانه اشار الى المعنى الثالث من التوبة والاقاويل في حدود التوبة لا تنحصر واذا

نبهت

نبهت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتبها عرفت ان جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الاحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقايق الامور اهم من طلب الالفاظ المجردة.

بيان وجوب التوبة وفضلها

اعلم ان وجوب التوبة ظاهر بالاخبار والآيات وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الايمان صدره حتى اقتدر على ان يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قايد يقوده في كل خطوة فالسالك اما اعمى لا يستغني عن القايد في كل خطوة واما بصير يهدى الى اول الطريق ثم يهتدي بنفسه وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوة فيفتقر الى ان يسمع في كل قدم نصا من كتاب الله او سنة رسوله وربما يعوزه ذلك فيتحير فسير هذا وان طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة ومن سعيد شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه يتنبه بادنى اشارة لسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة فيشرق في قلبه نور القرآن ونور الايمان وهو بشدة نور باطنه يجتزي بادنى بيان وكانه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار فاذا مسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء فهذا لا يحتاج الى نص منقول في كل واقعة فمن هذا حاله اذا اراد ان يعرف وجوب التوبة فينظر اولا بنور البصيرة الى التوبة ما هي ثم الى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك بان يعلم ان معنى الواجب ما هو واجب في الوصول الى سعادة الابد والنجاة من هلاك الابد وانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معنى وقول القايل صار واجبا بالايجاب حديث محض فان ما لا غرض لنا عاجلا وآجلا في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به اوجبه علينا غيرنا او لم يوجبه فاذا عرف معنى الوجوب وانه الوسيلة الى سعادة الابد وعلم انه لا سعادة في دار البقاء الا في لقاء الله وان كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهيه محترق بنار الفراق ونار جهنم وعلم انه لا مبعد من لقاء الله الا اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعا وعلم انه لا مقرب من لقاء الله الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله طلبا للانس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين اعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوبا مبعدا عن الله فلا يشك في ان الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول الى القرب وانما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم فانه ما لم يعلم ان الذنوب اسباب للبعد عن المحبوب لم يتندم بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترك والعزم فلا يشك في ان المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول الى المحبوب فهكذا يكون الايمان الحاصل عن نور البصيرة واما من لم يترشح لمثل هذا المقام المحمود المرتفع ذروته عن حدود اكثر الخلق ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به الى النجاة من الهلاك فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون وهذا امر على العموم

وقال تع يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم الآية
ومعنى النصوح الخالص لله خاليا عن الشوائب ماخوذا من النصح ويدل على فضل التوبة قوله تع ان
الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب
من الذنب كمن لا ذنب له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المومن من رجل
نزل في ارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد
ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش او ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي
كنت فيه فانام حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها
زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المومن من هذا براحلته وفي بعض الالفاظ فقال من فرحه
اذا اراد شكر الله اللهم انا ربك وانت عبدي ويروى عن الحسن قال لما تاب الله على آدم عليه السلم
هنته الملائكة فهبط عليه جبرئيل وميكائيل وعزرائيل عليهم السلم فقالوا يا آدم قرت عينك
بتوبة الله تع عليك فقال آدم عليه السلم يا جبرئيل فان كان بعد هذه التوبة سؤال فاين مقامي فاوحى
الله تع فاوحى الله تعالى اليه يا آدم اورثت ذريتك التعب والنصب واورثتهم التوبة فمن دعاني منهم
لبيته تلبيتك ومن سالني المغفرة لم ابخل عليه لاني قريب مجيب يا آدم واحشر التائبين من
قبورهم مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب والاخبار والآثار في ذلك لا تحصى
والاجماع منعقد من الامة على وجوبها اذ معناه العلم بان الذنوب والمعاصي مهلكات و
مبعدات من الله وهذا داخل في وجوب الايمان ولكن قد تدهش الغفلة عنه فمعنى هذا العلم
ازالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في
الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الاحوال وذلك لا يشك في وجوبه واما
الندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلافي فكيف لا يكون واجبا
بل هو نوع الم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله فان قلت
تالم القلب امر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب فاعلم ان
سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم
تحت الوجوب لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم و
الندم والفعل والارادة والقدرة والقادر الكل من خلق الله تعالى وفعله والله خلقكم وما
تعملون هذا امر الحق عند ذوي البصائر وما سوى هذا ضلال فان قلت افليس للعبد اختيار في
الفعل والترك قلنا نعم وذلك لا يناقض قولنا ان الكل من خلق الله بل الاختيار ايضا من خلق
الله والعبد مضطر في الاختيار الذي له فان الله اذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ وخلق
الشهوة للطعام في المعدة وخلق العلم في القلب بان هذا الطعام مسكن للشهوة وخلق الخواطر
المتعارضة في ان هذا الطعام هل فيه مضرة مع انه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتعذر
معه تناوله ثم خلق العلم بانه لا مانع له فعند اجتماع هذه الاسباب تنجزم الارادة الباعثة على
التناول فانجزام الارادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد قوة الشهوة للطعام يسمى اختيارا

ولا بد من حصوله عند تمام اسبابه فاذا حصل انجزام الارادة بخلق الله اياها تحركت اليد
الصحيحة الى جهة الطعام لا محالة اذ بعد تمام الارادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا
فتحصل الحركة فتكون الحركة بخلق الله بعد حصول القدرة وانجزام الارادة وهما من خلق الله وانجزام
الارادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما ايضا من خلق الله ولكن بعض من
المخلوقات يترتب على البعض ترتيبا جرت به سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا فلا
يخلق الله حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حيوة وما لم
يخلق فيها ارادة مجزومة ولا يخلق الارادة المجزومة ما لم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا ينبعث
هذا الميل انبعاثا تاما ما لم يخلق علما بانه موافق للنفس اما في الحال او في المآل ولا يخلق العلم ايضا
الا باسباب ترجع الى حركة وارادة وعلم فالعلم والميل الطبيعي يستتبع الارادة الجازمة والارادة
والقدرة ابدا تستردف الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والكل من اختراع الله تع ولكن بعض
مخلوقاته شرط للبعض فلذلك يجب تقدم البعض وتاخر البعض كما لا تخلق الارادة الا بعد العلم
ولا يخلق العلم الا بعد الحيوة ولا تخلق الحيوة الا بعد الجسم ويكون خلق الجسم شرطا لحدوث لان
الحيوة تتولد من الجسم ويكون خلق الحيوة شرطا لخلق العلم لان العلم يتولد من الحيوة ولكن لا يستعد
المحل لقبول العلم الا اذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الارادة لان العلم يولد الارادة و
لكن لا يقبل الارادة الا جسم حي عالم ولا يدخل في الوجود الا ممكن وللامكان ترتيب لا يقبل التغير
لان تغيره محال فمهما وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف
من الجود الالهي والقدرة الازلية عند حصول الاستعداد ولما كان للاستعداد بسبب
الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله ترتيب والعبد مجرى هذه الحوادث المرتبة وهي
مرتبة في قضاء الله الذي هو واحد كلمح بالبصر ترتيبا كليا لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر
لا يتعداه وعنه العبارة بقوله تع انا كل شيء خلقناه بقدر وعن القضاء الكلي الازلي العبارة
بقوله تع وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر واما العباد فانهم مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر
ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق
ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد وبعد خلق علم بما اليه ميله يسمى الادراك والمعرفة فاذا ظهرت
من باطن الملكوت هذه الامور الاربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق اهل عالم الملك
والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب والملكوت وقالوا ايها الرجل تحركت وكتبت ورميت و
نودي من وراء حجب الغيب وسرادقات الملكوت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وما
قتلت اذ قتلت ولكن الله قتل قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وعند هذا تتحير عقول القاعدين
في بحبوحة عالم الشهادة فمن قائل انه جبر محض ومن قائل انه اختراع صرف ومن متوسط مائل
الى انه كسب ولو فتح لهم ابواب السماء فنظروا الى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم ان كل واحد صادق
من وجه وان القصور شامل لجميعهم فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الامر ولم يحط علمه بجوانبه
وتمام علمه ينال باشراق النور من كوة نافذة الى عالم الغيب وانه تع عالم الغيب والشهادة ولا يطلع

الحيوة

دف

على غيبه احدًا الا من ارتضى من رسول وقد يطلع على عالم الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء و
من حرّك سلسلة الاسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها
بمسبب الاسباب انكشف له سر القدر وعلم علمًا يقينًا ان لا خالق الا الله ولا مبدع سواه فان
قلت فقد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب بانه صادق
من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا متناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن ايصال ذلك
الى الافهام بمثال فاعلم ان جماعة من العميان سمعوا انه قد حمل الى البلدة حيوان عجيب يسمى
الفيل وما كانوا قد شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته
باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا اليه لمسوه فوقع يد بعض العميان على رجله ووقع يد
بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على اذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سأله بقية العميان
فاختلفت اجوبتهم فقال الذي لمس الرجل ان الفيل ما هو الا مثل اسطوانة خشنة الظاهر
الا انه ألين منها وقال الذي لمس الناب ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه واملس لا
خشونة فيه وليس في غلظ الاسطوانة اصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لمس الاذن لعمري
هو لين وذو خشونة فصدق احدهما فيه ولكن قال ما هو مثل عمود ولا مثل اسطوانة وانما هو
مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه اذ اخبر كل واحد عما اصابه من معرفة
الفيل ولم يخرج واحد من خبره عن وصف الفيل ولكنهم بجملتهم قصروا عن الاحاطة بكنه صورة
الفيل فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فانه مثال اكثر ما اختلف الناس فيه وان كان هذا
كلامًا يناطح علوم المكاشفة ويحرك امواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع الى ما كنا بصدده
وهو بيان ان التوبة واجبة بجميع اجزائها الثلاثة العلم والندم والترك وان الندم داخل في
الوجوب لكونه واقعًا في جملة افعال الله المحصورة بين علم العبد وارادته وقدرته المتخللة بينها وما هذا
وصفه فاسم الوجوب يشمله **بيان ان وجوب التوبة على الفور** اما وجوبها على الفور
فلا يستراب فيه اذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الايمان وهو واجب على الفور والمتفصي
عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل فان هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات
التي لا تتعلق بعمل بل هي من علوم المعاملة وكل علم يراد ليكون باعثًا على عمل فلا يقع التفصي عن عهدته
ما لم يصر باعثًا فالعلم بضرر الذنوب انما اريد ليكون باعثًا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء
من الايمان وهو المراد بقوله عليه السلام لا يزني الزاني وهو مؤمن حين يزني وما اراد به نفي الايمان
الذي يرجع الى علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا
ينافيه الزنا والمعاصي وانما اراد به نفي الايمان لكون الزنا مبعدًا عن الله وموجبًا للمقت كما اذا
قال الطبيب هذا سم فلا تتناوله فاذا تناوله يقال تناول وهو غير مؤمن لا بمعنى انه غير مؤمن
بوجود الطبيب وكونه طبيبًا وغير مصدق به بل المراد انه غير مصدق بقوله انه سم مهلك فان
العالم بالسم لا يتناوله اصلا فالعاصي بالضرورة ناقص الايمان وليس الايمان بابًا واحدًا بل
هو نيف وسبعون بابًا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق

ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودًا واحدًا بل هو نيف وسبعون موجودًا اعلاها
القلب والروح وادناها اماطة الاذى عن البشرة بان يكون مقصوص الشارب مقلوم الاظفار
نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بارواثها المستكرهة الصور
بطول مخالبها واظلافها وهذا مثال مطابق فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد
يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح والذي ليس له شهادة التوحيد والرسالة هو كالانسان
مقطوع الاطراف مفقوء العينين فاقد لجميع اعضائه الظاهرة والباطنة لا اصل الروح وكما
ان من هذا حاله قريب من ان يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلف عنها الاعضاء
التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا اصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من ان تنقلع
شجرة ايمانه اذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان في مقدمة قدوم الموت ووروده فكل
ايمان لم يثبت في اليقين اصله ولم ينتشر في الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال
عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما سقي بماء الطاعات على
توالي الايام والساعات حتى رسخ وثبت وقول العاصي للمطيع اني مؤمن كما انك مؤمن
كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر اني شجرة وانت شجرة وما احسن جواب شجرة الصنوبر اذ
قالت ستعرفين اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك تنقلع
اصولك وتتناثر اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع الغفلة عن اسباب
ثبات الاشجار • وسوف ترى اذا انجلى الغبار • افرس تحتك ام حمار • فهذا امر يظهر
عند الخاتمة وانما ينقطع نياط العارفين خوفًا من دواهي الموت ومقدماته الهائلة التي لا
يثبت عليها الا الاقلون فالعاصي اذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته كالصحيح
المنهمك في الشهوات المضرة اذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته وان الموت غالبًا لا
يقع فجاءة فيقال له الصحيح يخاف المرض ثم اذا مرض خاف الموت فكذلك العاصي
يخاف سوء الخاتمة ثم اذا ختم له بالسوء وجب الخلود في النار فالمعاصي للايمان كالمأكولات
المضرة للابدان فلا تزال تجتمع في الباطن حتى تغير مزاج الاخلاط وهو لا يشعر بها الى ان
يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك العاصي فان كان لا يخاف الا من الهلاك
في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم وما يضره من المأكولات في كل حال وعلى الفور
فالخائف من هلاك الابد اولى بان يجب عليه ذلك وكذلك متناول السم اذا ندم يجب
عليه ذلك واذا كان له ان يتقيأ ويرجع عن تناوله بابطاله واخراجه عن المعدة على سبيل الفور
والمبادرة تلافيًا لبدنه المشرف على هلاك لا يفوت عليه الا هذه الدنيا الفانية فمتناول سموم
الدين وهي الذنوب اولى بان يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام يبقى للتدارك مهلة
وهو العمر فان المخوف من هذا السم فوات الآخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم والملك
العظيم وفي فواتها نار الجحيم والعذاب الاليم الذي تتصرم اضعاف اعمار الدنيا دون عشر عشير
مدته اذ ليس لمدته آخر البتة فالبدار البدار الى التوبة قبل ان تعمل سموم الذنوب بروح الايمان

علا ان يجاوز الامر فيه اختيار الاطباء ولا ينتفع بعد الاحتماء فكذا لا ينجع بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بانه من الهالكين ويدخل تحت عموم قوله تع انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم فهم لا يؤمنون ولا يغرنك لفظ الايمان فتقول المراد به الكافر اذ بين لك ان الايمان بضع وسبعون بابا وان الزاني لا يزني وهو مؤمن فالمحجوب عن الايمان الذي هو شعب وفروع سيساق في الخاتمة الى الكفر كما ان الشخص الفاقد لجميع الاطراف التي هي فروع سيساق الى الموت المعدم للروح التي هي اصل فلا بقاء للاصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الاصل ولا فرق بين الفرع والاصل الا في شيء واحد وهو ان وجود الفرع وبقاءه جميعا يستدعي وجود الاصل واما وجود الاصل فلا يستدعي وجود الفرع ولكن بقاؤه يستدعي وجود الفرع فبقاء الاصل بالفرع ووجود الفرع بالاصل فعلوم المكاشفة وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الفرع والاصل فلا يستغني احدهما عن الاخر وان كان احدهما في رتبة الاصل والاخر في رتبة التابع وعلوم المعاملة اذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها فانها ان لم تعمل عملها الذي تراد له قامت مؤكدة للحجة على صاحبها ولذلك يزاد في عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل الفاجر كما اوردناه من الاخبار في كتاب العلم

بيان ان وجوب التوبة عام في الاشخاص والاحوال فلا ينفك عنه احد البتة اعلم ان ظاهر الكتاب قد دل على هذا اذ قال الله تع وتوبوا الى الله جميعا فعمم الخطاب ونور البصيرة ايضا يرشد اليه اذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب الى الشيطان ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل الا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وساير الصفات المذمومة التي هي وسايل الشيطان الى اغواء الانسان اذ كمال العقل انما يكون عند مقاربة الاربعين واصله انما يتم عند مراهقة البلوغ ومباديه تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملايكة واذا اجتمعا قام القتال بين الجندين بالضرورة اذ لا يثبت احدهما للاخر فانهما ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة ومهما غلب احدهما ازعج الاخر بالضرورة واذا كانت الشهوات تكمل في الصبي والشاب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به انس والفة لا محالة مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه ويتعسر عليه الرجوع عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ اوليايه من ايدي اعدايه شيئا شيئا على التدريج فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وانجز اللعين موعوده حيث قال فيما اخبر الله عنه لاحتنكن ذريته الا قليلا وان كمل العقل وقوي كان اول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر الى العبادات ولا معنى للتوبة الا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان الى طريق الله تع وليس في الوجود ادمي الا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدة للشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملايكة فكان الرجوع عما سبق اليه

على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل انسان نبيا كان او غبيا فلا تظنن ان هذه الضرورة اختصت بادم عليه السلم فلا تحسبن هندا لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند بل هو حكم ازلي مكتوب على جنس الانس لا يمكن فرض خلافه ما لم تتبدل السنة الالهية التي لا مطمع في تبديلها فاذن كل من بلغ كافرا جاهلا فعليه التوبة من كفره وجهله فان من بلغ مسلما تبعا لابويه غافلا عن حقيقة اسلامه فعليه التوبة من غفلته بتفهم معنى الاسلام فانه لا يغني عنه اسلام ابويه شيئا ما لم يسلم بنفسه فان فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته والفه الاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع الى قالب حدود الله في المنع والاطلاق والانكفاف والاسترسال وهو من اشق ابواب التوبة وفيه هلك الاكثرون اذ عجزوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل ان التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور ان يستغني عنها احد من البشر كما لم يستغن عنه ادم عليه السلم فخلقة الولد لا تتسع لما لم تتسع له خلقة الوالد اصلا

واما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو ان كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل عنه الانبياء كما ورد في القران والاخبار من خطايا الانبياء ونوبتهم وبكايهم على خطاياهم فان خلا في بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهم بالذنوب بالقلب فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وافعاله وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بالتشاغل باضداده رجوع عن طريق الى ضده والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الادمي عن هذا النقص وانما يتفاوتون في المقادير فاما الاصل فلا بد منه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة فاستغفر الله الحديث ولذلك اكرمه الله تع بان قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واذا كان هذا حاله فكيف غيره **فان قلت** لا يخفى ان ما يطرا على القلب من الهموم والخواطر نقص وان الكمال في الخلو عنه وان القصور عن معرفة كنه جلال الله نقص وانه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال وان الانتقال الى الكمال من اسباب النقص رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضايل لا فرايض وقد اطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الامور ليست بواجبة اذ ادراك الكمال غير واجب في الشرع فما المراد بقولك التوبة واجبة في كل حال **فاعلم** انه قد سبق ان الانسان لا يخلو في مبدا خلقته عن اتباع الشهوات اصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما مضى وكل شهوة اتبعها الانسان ارتفع منها ظلمة الى قلبه كما يرتفع من نفس الانسان ظلمة الى وجه المراة الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس في وجه المراة الصقيلة عند تراكمه خبثا كما قال الله تع كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فاذا تراكم الرين صار طبعا فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المراة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وافسده وصار لا يقبل التصقيل بعده وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو تلك الاثار التي انطبعت في القلب كما لا يكفي في ظهور الصور في

المرآة قطع الانفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من
الآثار وكما يرتفع الى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور من الطاعات وترك الشهوات
فتنمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا
لا يستغني العبد في حال من احواله عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد
آثارها آثار تلك السيئات هذا في قلب حصل اولا صفاؤه وجلاؤه ثم اظلم باسباب عارضة فاما
التصقيل الاول ففيه يطول الشغل اذ ليس شغل الصيقل في ازالة الصدا عن المرآة كشغله في عمل
اصل المرآة فهذه اشغال طويلة لا تنقطع اصلا وكل ذلك يرجع الى التوبة فاما قولك ان
هذا لا يسمى واجبا بل هو فضل وطلب كمال **فاعلم** ان الواجب له معنيان احدهما
ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل كافة الخلق به لم يخرب
العالم ولو كلف الناس كلهم ان يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية ثم
يؤدي ذلك الى بطلان التقوى بالكلية فانه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ احد للتقوى بل شغل
الحياكة والحراثة والخبز يستغرق جميع عمر كل واحد فيما يحتاج اليه فجميع هذه الدرجات ليست
واجبة بهذا الاعتبار والواجب الثاني هو الذي لا بد منه للوصول الى القرب المطلوب من
رب العالمين والمقام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجب في الوصول
اليه كما يقال الطهارة واجبة في صلوة التطوع اي لمن يريدها فانه لا يوصل اليه الا بها فاما
من رضي بالنقصان والحرمان عن فضل صلوة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لاجلها و
كما يقال العين والاذن واليد والرجل شرط في وجود الانسان يعني انه شرط لمن يريد ان يكون
انسانا كاملا ينتفع بانسانيته ويتوصل بها الى درجات العلى في الدنيا فاما من قنع باصل الحيوة و
رضي بان يكون كلحم على وضم او كخرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحيوة عين ويد ورجل
فاصل الواجبات الداخلة في فتوى العامة لا يوصل الا الى اصل النجاة واصل النجاة كاصل الحيوة
وما وراء اصل النجاة من السعادات التي بها تتهيأ النجاة تجري مجرى الاعضاء والآلات التي بها
تتهيأ الحيوة وفيه سعي الانبياء والاولياء والعلماء والامثل فالامثل وعليه كان حرصهم وحواليه
كان تطوافهم ولاجله كان رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية حتى انتهى عيسى صلوات الله عليه الى ان توسد
حجرا في منامه فجاء اليه الشيطان وقال اما كنت تركت الدنيا للآخرة فقال نعم وما الذي حدث
فقال توسدك لهذا الحجر تنعم بالدنيا فلم لا تضع راسك على الارض فرمى عيسى بالحجر ووضع راسه على الارض
وكان رميه الحجر توبة عن ذلك التنعم افترى ان عيسى عليه السلام لم يعلم ان ترك وضع الراس على الارض
لا يسمى واجبا في فتاوى العامة افترى ان نبينا صلى الله عليه وسلم لما شغله الثوب الذي
كان عليه علم في صلوته حتى نزعه وشغله شراك نعله الذي جدده حتى اعاد الشراك الخليع اما
علم ان ذلك ليس واجبا في شرعه الذي شرعه لكافة العباد فاذ علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل
كان ذلك الا لانه رآه مؤثرا في قلبه اثرا يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذي كان قد وعد به افترى
ان الصديق رضي الله عنه بعد ان شرب اللبن وعرف انه من غير وجهه ادخل اصبعه في حلقه ليخرجه

حتى كاد تخرج معه روحه اما علم من الفقه هذا القدر وهو ان ما اكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب في
فتوى الفقه اخراجه فلم تاب عن اكله بالتدارك على حسب امكانه بتخلية المعدة عنه وهل كان ذلك الا
لسر وقر في صدره ان فتوى العامة حديث آخر وان خطر طريق الآخرة لا يعرفه الا الصديقون
فتامل احوال هؤلاء الذين هم اعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله و
اياك مرة واحدة ان تغرك الحيوة الدنيا واياك ثم اياك الف مرة ان يغرك بالله الغرور فهذه اسرار
من استنشق مبادي روايحها علم ان لزوم التوبة النصوح لازم للعبد السالك في كل نفس من
انفاسه ولو عمر عمر نوح وان ذلك واجب على الفور من غير مهلة ولقد صدق ابو سليمان
الداراني حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره الا على فوات ما مضى منه في غير الطاعة لكان
خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله وانما قال
هذا لان العاقل اذا ملك جوهرة نفيسة فاذا ضاعت منه بغير فايدة بكى عليها لا محالة وان
ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منه اشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس
جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها فانها صالحة لان توصلك الى سعادة الابد و
تنقذك من شقاوة الابد واي جوهر انفس من هذا فاذا ضيعتها في الغفلة فقد خسرت خسرانا
مبينا وان صرفتها الى المعصية فقد هلكت هلاكا فاحشا فان كنت لا تبكي على هذه المعصية
فذلك لجهلك ومصيبتك بجهلك اعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب
بها انها مصيبة فان نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا
فعند ذلك ينكشف لكل مفلس افلاسه ولكل مصاب مصيبته وقد وقع الياس عن التدارك قال
بعض العارفين ان ملك الموت عليه السلام اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة و
انك لا تستاخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها
لخرج منها على ان يضم الى تلك الساعة ساعة اخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه
سبيلا وهو اول ما يظهر من معاني قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون واليه الاشارة بقوله
تعالى من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين
ولن يوخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون فقيل الاجل القريب الذي يطلبه معناه
انه يقول عند كشف الغطاء يا ملك الموت اخرني يوما اعتذر فيه الى ربي واتوب واتزود
صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول اخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة
فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر روحه ويتردد انفاسه في شراسيفه ويتجرع غصة الياس عن
التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيضطرب اصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال فاذا
زهقت نفسه فان كان ممن سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة
وان سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء
الخاتمة ولمثل هذا قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار بل انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون

من قريب ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو اثرها بحسنة يردفها بها قبل ان يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها ولذلك قال لقمن لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت ياتي بغتة ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما ان يتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا و طبعا فلا يقبل المحو والثاني ان يعاجله المرض والموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو و لذلك ورد في الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف فما هلك من هلك الا بالتسويف فيكون تسويده للقلب نقدا وجلاؤه بالطاعة نسيئة الى ان يختطفه الاجل فياتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم فالقلب امانة الله تعالى عند عبده والعمر امانة الله عنده وكذا سائر اسباب الطاعة فمن خان في الامانة ولم يتدارك خيانته فامره مخطر قال بعض العارفين ان لله تعالى الى عبده سرين يسرهما اليه على سبيل الالهام احدهما اذا خرج من بطن امه يقول له عبدي قد اخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك وائتمنتك فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقاني والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في امانتي عندك فهل حفظتها حتى تلقاني على العهد فالقاك على الوفاء او اضعتها فالقاك بالمطالبة والعقاب واليه الاشارة بقوله تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وبقوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

بيان ان التوبة اذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة

اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور البصائر المستمدون من انوار القرآن علموا ان كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الآخرة في جوار الله ومستعد لان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله وعلموا ان القلب خلق سليما في الاصل وكل مولود يولد على الفطرة وانما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق تلك الغبرة وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون وكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لان يكون في جواره وكما ان استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه و يطهره ويزكيه وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول فانما عليك التزكية والتطهير واما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الازلي الذي لا مرد له وهو المسمى فلاحا في قوله تعالى قد افلح المؤمنون وقوله قد افلح من زكيها ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة اقوى واجلى من المشاهدة بالبصر ان القلب يتاثر بالمعاصي والطاعات تاثرا متضادا يستعار لاحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل ويستعار للآخر لفظ النور كما يستعار للعلم وان بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا تتصور الجمع بينهما فكانه لم يعرف من الدين الا قشوره ولم يعلق به الا اسماؤه وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه ومن جهل نفسه فهو بغيره اجهل واعني به قلبه اذ بقلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه فمن يتوهم ان التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم ان الشمس

تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول الا لغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه فمثال ذلك ان تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب اصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن منه وهذا حال امتناع اصل التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكنا نعضد جناحه بنقل الآيات والاخبار والآثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الى غير ذلك من الآيات وقال صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة العبد الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة وقال عليه السلام ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى النهار ولمسيء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم وقال ايضا ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذاك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا فارا حتى يدخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم كفارة الذنب الندامة وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ويروى ان حبشيا قال يا رسول الله اني كنت اعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولى ثم رجع فقال يا رسول الله اكان يراني وانا اعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها نفسه ويروى ان الله عز وجل لما لعن ابليس ساله النظرة فانظره الى يوم القيمة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن ادم ما دام فيه الروح فقال الله تعالى وعزتي لا حجبت عنه التوبة ما دام فيه الروح وقال صلى الله عليه وسلم ان الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ والاخبار في هذا لا تحصى اما الآثار فقد قال سعيد بن المسيب رضي انزل الله تعالى قوله انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الفضيل قال الله عز وجل بشر المذنبين انهم ان تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين اني ان وضعت عليهم عدلي عذبتهم وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين وقال عبد الله بن عمر من ذكر خطيئة الم بها فوجل منها قلبه محيت عنه في ام الكتاب ويروى ان نبيا من انبياء بني اسرائيل اذنب فاوحى الله عز وجل اليه وعزتي لئن عدت لاعذبنك فقال يا رب انت انت وانا انا وعزتك لئن لم تعصمني لاعودن فعصمه الله تعالى وقال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ليتني لم اوقعه في الذنب وقال حبيب بن ثابت يعرض على الرجل ذنوبه يوم القيمة فيمر بالذنب فيقول اما اني قد كنت مشفقا منك فيغفر الله له ويروى ان رجلا سال ابن مسعود رضي الله عنه عن ذنب الم به هل له فيه توبة فاعرض عنه ابن مسعود ثم التفت اليه فراى عينيه

تذنب فان تبت فقال له ان للجنة ثمانية ابواب كلها تفتح وتغلق الا باب التوبة فان عليه ملكا موكلا به لا يغلق فاعمل ولا تيأس وقال عبد الرحمن بن ابي القسم رضي الله عنه تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال اني لارجو ان يكون المسلم احسن حالا عند الله ولقد بلغني ان توبة المسلم كاسلام بعد اسلام وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه لا احدثكم الا عن نبي مرسل او كتاب منزل ان العبد اذا اذنب ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه اسرع من طرفة عين وقال عمر رضي الله عنه اجلسوا الى التوابين فانهم ارق افئدة وقال بعضهم انا اعلم متى يغفر الله لي قيل ومتى قال اذا تاب الله علي وقال اخر انا من ان احرم التوبة اخوف من ان احرم المغفرة اي المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة ويروى انه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المراة فراى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال الهي اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك تقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا احببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك فان رجعت الينا قبلناك وقال ذو النون المصري ان لله عبادا نصبوا اشجار الخطايا نصب روامق القلوب وسقوها بماء التوبة فاثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عي ولا بكم وانهم لهم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكاس الصفا فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم في الملكوت وجالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم وقرءوا صحيفة الخطايا فاورثوا انفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت ارواحهم في العلى حتى اناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحيوة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة واقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة فهذا القدر كاف في بيان ان كل توبة صحيحة مقبولة لا محالة فان قلت اتقول ما قاله المعتزلة من ان قبول التوبة واجب على الله تعالى فاقول لا اعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله الا ما يريده القائل بقوله ان الثوب اذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وان العطشان اذا شرب وجب زوال العطش وانه اذا منع الماء مدة وجب العطش وانه اذا دام العطش وجب الموت وليس في شيء من ذلك ما يريده المعتزلة بالايجاب على الله بل اقول خلق الله الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلا للعطش والقدرة متسعة لخلافه لو سبقت به المشية فلا واجب على الله ولكن ما سبقت به ارادته الازلية فواجب كونه لا محالة فان قلت فما من تائب الا وهو شاك في قبول توبته والشارب لا يشك في زوال عطشه فلم يشك فيه فاقول شكه في القبول لشكه في وجود شرائط الصحة فان للتوبة اركانا وشروطا دقيقة كما سياتي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي يشك في دواء شربه للاسهال في انه هل يسهل وذلك لشكه في حصول شرط الاسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية

خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وادويته فهذا وامثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لا محالة على ما سياتي في شروطها

الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغايرها وكبايرها

اعلم ان التوبة ترك الذنوب ولا يمكن ترك الشيء الا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذن واجبة والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لامر الله سبحانه وتعالى من ترك او فعل وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات من اولها الى اخرها وليس ذلك من غرضنا ولكنا نشير الى مجامعها وروابط اقسامها

بيان اقسام الذنوب بالاضافة الى صفات العبد

اعلم ان للانسان اخلاقا واوصافا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجائب القلب وغوائله ولكن تنحصر مثارات الذنوب في اربع صفات صفات ربوبية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طينة الانسان عجنت من اخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الاخلاط في المعجون منه اثرا من الاثار كما تقتضي السكر والخل والزعفران والسكنجبين اثارا مختلفة فاما ما يقتضي النزوع الى الصفات الربوبية فمثل الكبر والعجب والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغناء وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كانه يريد ان يقول انا ربكم الاعلى وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهي المهلكات العظيمة التي هي كالامهات لاكثر المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات الثانية هي الصفات الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد والمنكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة الى البدع والضلال الثالثة الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنها يتشعب الزنا واللواطة والسرقة واكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات الرابعة الصفة السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الاموال ويتفرع عنها جمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدريج في الفطرة فالصفة البهيمية هي التي تغلب اولا ثم يتلوها الصفة السبعية ثانيا ثم اذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالاخرة تغلب الصفات الربوبية وهي الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق فهذه امهات الذنوب ومنابعها ثم تنفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق واضمار السوء للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن ولا حاجة الى بيان تفصيل ذلك فانها واضحة

قسمة ثانية اعلم ان الذنوب تنقسم الى ما بين العبد وبين الله والى ما يتعلق بحقوق العباد فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلوة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكوة فما يتعلق بالعباد كقتله الانفس وغصبه الاموال وشتمه الاعراض وكل متناول من حق الغير فاما نفس او طرف او عرض او دين او جاه وتناول الدين بالاغواء والدعاء الى البدعة

والترغيب في المعاصي وتهييج اسباب الجراة على الله كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب
الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالامر فيه اغلظ وما بين العبد وبين الله اذا لم يكن شركا
فالعفو فيه ارجى واقرب وقد جاء في الخبر الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر
وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تع واما الديوان الذي لا
يغفر فالشرك واما الديوان الذي لا يترك فظالم العباد اي لا بد وان يطالب به حتى تقضى
عنها **تتمة ثالثة** اعلم ان الذنوب تنقسم الى الصغاير والى الكباير وقد كثر اختلاف الناس
فيها فقال قايلون لا صغيرة بل كل مخالفة لله فهي كبيرة وهذا ضعيف اذ قال الله تع
ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وقال تع الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش
الا اللمم وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة تكفر ما بينهن ان اجتنبت
الكباير وفي لفظ آخر كفارات لما بينهن الا الكباير وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمرو
بن العاص رضي الله عنه الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس فاختلفت
الصحابة والتابعون في عدد الكباير من اربع الى سبع الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك فقال
ابن مسعود هن اربع وقال ابن عمر هي سبع وقال عبد الله بن عمرو هن تسع وكان
ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكباير تسع يقول هي الى سبعين اقرب منها الى سبع وقال
رضي الله عنه مرة كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة وقال غيره كل ما اوعد الله عليه بالنار فهو من الكباير
وقال بعض السلف كل ما اوجب الحد في الدنيا فهو كبيرة وقيل انها مبهمة لا يعرف عددها
كليلة القدر وساعة يوم الجمعة وقال ابن مسعود رضي الله عنه لما سئل عنها اقرا من اول
سورة النساء الى راس ثلاثين آية منها عند قوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه فكل ما نهى الله عنه
في هذه السورة الى ههنا فهو كبيرة وقال ابو طالب رضي الله عنه الكباير سبع عشرة جمعتها
من جملة الاخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن مسعود وقول ابن عباس وابن عمر وغيرهم اربعة
في القلب وهو الشرك بالله والاصرار على معصيته والقنوط من رحمته والامن من مكره واربعة
في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين الغموس وهي التي يحق بها باطلا او يبطل بها
حقا وقيل هي التي تقطع بها مال المسلم باطلا ولو سواكا من اراك وسميت غموسا لانها تغمس
صاحبها في النار والسحر وهو كل كلام يغير الانسان وساير الاجسام عن موضوعات الخلقة
وثلثة في البطن وهو شرب الخمر والمسكر من كل شراب واكل مال اليتيم ظلما واكل الربوا وهو
يعلم واثنتان في الفرج وهما الزنا واللواطة واثنتان في اليدين وهما القتل والسرقة
وواحدة في الرجلين وهي الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من عشرين وواحدة في
جميع البدن وهو عقوق الوالدين قال ومن جملة عقوقهما ان يقسما عليه في حق فلا يبر
قسمهما وان يسألاه حاجة فلا يعطيهما وان يسباه فيضربهما ويجوعان فلا يطعمهما هذا
ما قاله وهو قريب ولكن ليس فيه تمام الشفاء اذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل اكل
الربوا ومال اليتيم من الكباير وهو جناية على الاموال ولم يذكر في كباير النفوس الا القتل فاما فقو

العينين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وانواع العذاب لم يتعرض له وضرب
اليتيم وتعذيبه وقطع اطرافه لا شك في انه اكبر من اكل ماله كيف وفي الخبر من الكباير السبتان بالسبة
ومن الكباير استطالة الرجل في عرض اخيه المسلم وهذا زايد على قذف المحصن وقال ابو سعيد
الخدري رضي الله عنه وغيره من الصحابة انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكباير وقالت طايفة كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله عنه
فهو كبيرة وكشف الغطاء في هذا ان نظر الناظر في ان السرقة اهي كبيرة ام لا لا يصح ما لم يفهم
معنى الكبيرة المراد بها كقول القايل السرقة حرام ام لا لا مطمع في معرفته الا بعد تقرير معنى الحرام
اولا ثم البحث عن وجوده للسرقة فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة و
لا في الشرع وذلك لان الصغر والكبر من المضافات وما من ذنب الا وهو كبيرة بالاضافة الى ما
دونه وصغيرة بالاضافة الى ما فوقه فالمضاجعة مع الاجنبية كبيرة بالاضافة الى النظر اليها صغيرة
بالاضافة الى الزنا وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة الى ضربه صغيرة بالاضافة الى قتله نعم للانسان ان
يطلق على ما توعد بالنار على فعله خاصة اسم الكبيرة ونعني بوصفه بالكبيرة ان العقوبة بالنار عظيمة
وله ان يطلق على ما اوجب الحد عليه مصيرا الى ان ما عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله ان
يطلق على ما ورد في نص الكتاب النهي عنه فيقول تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمه ثم يكون عظيما
وكبيرة لا محالة بالاضافة اذ منصوصات القرآن ايضا تتفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات لا
حرج فيها وما نقل من الفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا يبعد تنزيلها على شيء من هذه الاحتمالات
نعم من المهمات ان تعلم معنى قول الله عز وجل ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس كفارات لما بينهن الا الكباير وقوله عليه السلم رمضان
الى رمضان كفارة لما بينهما فان هذا اثبات حكم الكباير **والحق** في ذلك ان الذنوب
منقسمة في نظر الشرع الى ما يعلم استعظامه اياها والى ما يعلم انها معدودة في الصغاير والى ما
نشك فيه ولا ندري حكمه فالطمع في معرفة حد حاصر او عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فان ذلك
لا يمكن الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول انى اردت بالكباير عشرة او خمسة ونفصلها
فاذ لم يرد هذا بل ورد في بعض الالفاظ ثلاث من الكباير وفي بعض سبع من الكباير ثم ورد السبتان
بالسبة الواحدة من الكباير وهو خارج عن السبع والثلاث علم انه لم يقصد به العدد والحصر فكيف
يطمع في عدد ما لم يعدد له الشرع فربما قصد الشرع ابهامه ليكون العباد منه على وجل كما ابهم ليلة
القدر ليعظم جد الناس في طلبها نعم لنا سبيل كلي يمكننا ان نعرف به اجناس الكباير و
انواعها بالتحقيق واما اعيانها فنعرفه بالظن والتقريب ونعرف ايضا اكبر الكباير فاما اصغر
الصغاير فلا سبيل الى معرفته وبيانه انا نعلم بشواهد الشرع وانوار البصاير جميعا ان مقصود
الشرايع كلها سياقة الخلق الى جوار الله وسعادة لقايه وانه لا وصول لهم الى ذلك الا بمعرفة الله سبحانه
وتع ومعرفة صفاته وكتبه ورسله واليه الاشارة بقوله تع وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اي ليكونوا عبيدا لي ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية فلا بد وان يعرف

نفسه وربه فهذا هو المقصود الاقصى ببعثة الانبياء عليهم السلام ولكن لا يتم هذا الا في الحيوة
الدنيا وهو المعنى بقوله عليه السلام الدنيا مزرعة الآخرة فصار حفظ الدنيا ايضا مقصودا تابعا للدين
لانها وسيلة اليه والمتعلق من الدنيا بالآخرة شيآن النفوس والاموال فكل ما يسد باب
معرفة الله تع فهو اكبر الكباير ويليه ما يسد باب حيوة النفوس ويلي ذلك ما يسد باب المعايش
التي بها حيوة النفوس فهذه ثلاث مراتب فحفظ المعرفة على القلوب والحيوة على الابدان والاموال
على الاشخاص ضروري في مقصود الشرايع كلها وهذه ثلاثة امور لا يتصور ان تختلف فيها الملل فلا
يجوز ان يبعث الله نبيا يريد ببعثته اصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يامرهم بما يمنعهم عن معرفته
ومعرفة رسله او يامرهم باهلاك النفوس واهلاك الاموال فحصل من هذا ان الكباير على ثلاث
مراتب الاولى ما يمنع عن معرفة الله تع ومعرفة رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر اذ الحجاب
بين العبد وبين الله هو الجهل والوسيلة المقربة له اليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته و
بعده بقدر جهله ويتلو الجهل الذي يسمى كفرا الامن من مكر الله والقنوط من رحمته فان هذا ايضا
عين الجهل بالله فمن عرف الله لم يتصور ان يكون آمنا ولا ان يكون آيسا ويتلو هذه الرتبة
البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وافعاله وبعضها اشد من بعض وتفاوتها على حسب
تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه وتعالى وبافعاله وبشرايعه وباوامره
ونواهيه ومراتب ذلك لا تنحصر وهي تنقسم الى ما يعلم انها داخلة تحت ذكر الكباير المذكورة في
القرآن والى ما يعلم انها لا تدخل والى ما يشك فيه وطلب دفع الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع
الرتبة الثانية النفوس اذ ببقائها وحفظها تدوم الحيوة وتحصل المعرفة بالله فقتل النفس
لا محالة من الكباير وان كان دون الكفر لان ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود
اذ الحيوة الدنيا لا تراد الا للآخرة والتوصل بها الى معرفة الله سبحانه وتع ويتلو هذه الكبيرة قطع
الاطراف وكل ما يفضي الى الهلاك حتى الضرب وبعضها اكبر من بعض ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط
لانه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات لانقطع النسل ودفع الوجود قريب من
قطع الوجود واما الزنا فانه لا يفوت اصل الوجود ولكن يشوش الانساب ويبطل التوارث و
التناصر وجملة من الامور التي لا ينتظم العيش الا بها وكيف يتم النظام مع اباحة الزنا ولا ينتظم امور
البهايم ما لم يتميز الفحل منها بالاناث يختص بها عن ساير الفحول ولذلك لا يتصور ان يكون الزنا مباحا في
شرع قصد به الاصلاح وينبغي ان يكون الزنا في الرتبة دون القتل لانه ليس يفوت دوام الوجود و
لا يمنع اصله ولكنه يفوت تميز الانساب ويحرك من الاسباب ما يكاد يفضي الى التقاتل وينبغي ان
يكون اشد من اللواط لان الشهوة داعية اليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم اثر الضرر بكثرته ه
الرتبة الثالثة الاموال فانها معايش الخلق فلا يجوز تسليط الناس على تناولها كيف شاؤا
حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرهما بل ينبغي ان تحفظ لتبقى ببقائها النفوس الا ان الاموال
اذا اخذت امكن استردادها وان اكلت امكن تغريمها فليس يعظم الامر فيها نعم اذا جرى تناولها
بطريق يعسر التدارك فينبغي ان يكون ذلك من الكباير وذلك باربعة طرق احدها الخفية وهو

السرقة فانه اذا لم يطلع عليه غالبا فكيف يتدارك والثاني اكل مال اليتيم وهذا ايضا من الخفية
واعني به في حق الولي والقيم به فانه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرف
فتعظيم الامر فيه واجب بخلاف الغصب فانه ظاهر يعرف وبخلاف الخيانة في الوديعة فان المودع
خصم فيه ينتصف لنفسه والثالث تفويتها بشهادة الزور والرابع اخذ الوديعة وغيرها
باليمين الغموس فان هذه طرق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز ان تختلف الشرايع في تحريمها اصلا وبعضها
اشد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس وهذه الاربعة جديرة بان تكون
مرادة بالكباير وان لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن كثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا
تاثيرها واما اكل الربوا فليس فيه الا اكل مال الغير بالتراضي مع الاخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد
ان تختلف الشرايع في مثله واذا لم يجعل الغصب الذي هو اكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضى
الشرع من الكباير فاكل الربوا اكل برضى المالك ولكن دون رضى الشرع وان عظم الشرع الربوا بالزجر عنه
فقد عظم ايضا الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة فالمصير الى ان اكل دانق بالخيانة والغصب
من الكباير فيه نظر وذلك واقع في مظنة الشك واكثر ميل الظن الى انه غير داخل تحت الكباير
بل ينبغي ان يختص الكبيرة بما لا يختلف الشرايع فيه ليكون ضروريا في الدين فيبقى مما ذكره ابو طالب المكي
القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين اما الشرب لما يزيل العقل فهو
جدير بان يكون من الكباير وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر ايضا لان العقل محفوظ كما ان
النفس محفوظة بل لا خير في النفس دون العقل فازالة العقل من الكباير ولكن هذا لا يجري في قطرة
من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وانما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك وايجاب الشرع
الحد به يدل على تعظيم امره فيعد ذلك من الكباير بالشرع وليس في القوة البشرية الوقوف على جميع
اسرار الشرع فان ثبت اجماع في انه كبيرة وجب الاتباع والا فللتوقف فيه مجال واما القذف
فليس فيه الا تناول للاعراض والاعراض دون الاموال في الرتبة ولتناولها مراتب واعظمها
التناول بالاضافة الى فاحشة الزنا وقد عظم الشرع امره واظن ظنا غالبا ان الصحابة كانوا
يعدون كل ما يجب الحد به كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات الخمس وهو الذي نريده بالكبيرة
الآن ولكن من حيث انه يجوز ان تختلف فيه الشرايع فالقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمه بل كان يجوز
ان يرد الشرع بان العدل الواحد اذا راى انسانا يزني فله ان يشهد ويجلد المشهود عليه بمجرد شهادته
فان لم تقبل شهادته فتحديده ليس ضروريا في مصالح الدنيا وان كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة
في رتبة الحاجات فاذن هذا ايضا يلتحق بالكباير في حق من عرف حكم الشرع فاما من ظن ان له
ان يشهد وحده او ظن انه يساعده على الشهادة غيره فلا ينبغي ان يجعل في حقه من الكباير واما
واما السحر فان كان فيه كفر فكبيرة والا فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس او
مرض او غيره واما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا ايضا ينبغي ان يكون من حيث
القياس في محل التوقف واذا قطع بان سب الناس بكل شي سوى الزنا وضربهم والظلم عليهم بغصب
اموالهم واخراجهم من مساكنهم وبلادهم واجلائهم من اوطانهم ليس من الكباير اذ لم ينقل

ذلك في السبعة عشر كبيرة وهو اكثر ما قيل فالتوقف في هذا ايضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسمية كبيرة فيلتحق بالكباير فاذن رجع حاصل الامر الى انا نعني بالكبيرة ما لم تكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما انقسم الى ما علم انه لا تكفره قطعا والى ما ينبغي ان تكفره والى ما يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه مظنون بالنفي والاثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله الا نص كتاب او سنة واذ لا مطمع فيهما فطلب رفع الشك فيه محال **فان قلت** فهذا اقامة برهان على استحالة معرفة حدها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده **فاعلم** ان كل ما يتعلق به حكم الدنيا فيجوز ان يتطرق اليه الابهام لان دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة بل موجبات الحدود معلومة باسمائها كالسرقة والزنا وغيره وانما حكم الكبيرة ان الصلوات الخمس لا تكفرها وهذا امر يتعلق بالآخرة والابهام اليق بها حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يجترؤا على الصغاير اعتمادا على الصلوات الخمس وكذلك اجتناب الكباير يكفر الصغاير بموجب قوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امراة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر ولمس فان مجاهدة نفسه في الكف عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره فان كان عنينا ولم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف امر آخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغاير التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار نعم من يشتهي الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدة النفس بالكف ربما يمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية السماع وكل هذه احكام اخروية يجوز ان يبقى بعضها في محل الشك ويكون من المتشابهات فلا يعرف تفصيلها الا بالنص ولم يرد النص بعدد ولا حد جامع بل ورد بالفاظ مختلفة فقد روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال الصلوة الى الصلوة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلاث اشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة **قيل** ما ترك السنة قال الخروج من الجماعة ونكث الصفقة ان يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله فهذا وامثاله من الالفاظ التي لا تحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى لا محالة مبهما **فان قلت** الشهادة لا تقبل الا ممن يجتنب الكباير والورع عن الصغاير ليس شرطا في قبول الشهادة وهذا من احكام الدنيا **فاعلم** انا لا نخصص رد الشهادة بالكباير فلا خلاف في ان من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب من اواني الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب احد الى ان هذه الامور من الكباير **وقال** الشافعي رضي الله عنه اذا شرب الحنفي النبيذ حددته ولم ارد شهادته فقد جعله كبيرة بايجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل على ان الشهادة نفيا واثباتا لا تدور على الصغاير والكباير بل كل الذنوب تقدح في العدالة الا ما لا يخلو الانسان عنه غالبا بضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الاقوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف واكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زايدا على حد المصلحة واكرام السلاطين

الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه في امر الدين فهذه ذنوب لا يتصور ان ينفك الشاهد عن قليلها او كثيرها الا بان يعتزل الناس ويتجرد لامر الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم يقبل الا قول مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام والشهادات وليس لبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنردشير ومجالسة الشارب في وقت الشرب والخلوة بالاجنبية وامثال هذه الصغاير من هذا القبيل فالى مثل هذا المنهاج ينبغي ان ينظر في قبول الشهادة وردها لا الى الكبيرة والصغيرة ثم آحاد هذه الصغاير التي لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها اثر في رد الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصغاير والكباير

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا

اعلم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب والملكوت واعني بالدنيا حالتك قبل الموت وبالآخرة حالتك بعد الموت فدنياك وآخرتك صفاتك واحوالك يسمى القريب الداني منها دنياك والمتاخر البعيد آخرتك ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فانا الآن في الدنيا وهي عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال ولذلك قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وهذا لان عالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما سيكون في اليقظة لا يتبين لك في النوم الا بضرب الامثال المحوجة الى التعبير فكذلك ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا الا في كسوة الامثال واعني بكسوة الامثال ما تعرفه من علم التعبير ويكفيك منه ان كنت فطنا ثلاثة امثلة فقد جاء رجل الى ابن سيرين وقال رايت كان في يدي خاتما اختم به افواه الرجال وفروج النساء فقال انك مؤذن تؤذن في رمضان قبل الفجر فقال صدقت وجاءه آخر **وقال** رايت كاني اصب الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن حالها فانها امك لان الزيتون اصل الزيت فهو رد الى الاصل فنظر فاذا جاريته كانت امه وقد سبيت في صغره **وقال** آخر رايت كاني اقلد الدر في اعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير اهلها فكان كما **قال** والتعبير من اوله الى آخره يعرفك طريق ضرب الامثال وانما نعني بالمثل اداء المعنى في صورة ان نظر الى معناه وجد صادقا وان نظر الى صورته وجد كاذبا فالمؤذن ان نظر الى صورة الخاتم والختم به على الفروج رآه كاذبا فانه لم يختم به قط وان نظر الى معناه وجده صادقا اذ قد صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذي يراد الختم له وليس للانبياء ان يتكلموا مع الخلق الا بضرب الامثال لانهم كلفوا ان يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم انهم في النوم والنايم لا ينكشف له شيء الا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا ان المثل صادق ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وهو من الامثال التي لا يعقلها الا العالمون فاما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر المثال لجهله بالتفسير الذي يسمى تاويلا كما يسمى

تفسير ما يرى من الامثلة في النوم تعبيراً فيثبت لله يداً واصبعاً تعالى عن قوله وكذلك في قوله
ان الله تع خلق آدم على صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والهيئة والشكل فيثبت لله تع مثله
تعالى عن قوله علواً كبيراً ومن هٰهنا زلت من زلت في صفات الالهية حتى في الكلام وجعلوه صوتاً و
حرفاً الى غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول وكذلك قد يرد في امر الآخرة ضرب امثلة يكذب
بها الملحد بجموده نظره على ظاهر المثال وتناقضه عنده كقوله عليه السلم يؤتى بالموت يوم القيمة
في صورة كبش املح فيذبح فيثور الملحد الاحمق ويكذب به ويستدل به على كذب الانبياء ويقول
سبحان الله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسماً وهل هذا الا محال ولكن الله
تع عزل هؤلاء الحمقى عن معرفة الله تع فقال وما يعقلها الا العالمون ولا يدري المسكين ان من
قال رايت في منامي انه جيء بكبش وقيل هذا هو الوباء الذي في البلد وذبح فقال المعبر صدقت
والامر كما رايت وهذا يدل على ان هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط لان المذبوح وقع الياس عنه
فاذن المعبر صادق في تعبيره وهو صادق في رؤيته ويرجع حقيقته الى ان الملك الموكل
بالرؤيا وهو الذي يطلع الارواح عند النوم على ما في اللوح المحفوظ عرفه ما في اللوح المحفوظ بمثال
يضربه له لان النايم انما يحتمل المثال فكان مثاله صادقاً وكان معناه صحيحاً فالرسل ايضاً
انما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالاضافة الى الآخرة نوم فيوصلون المعاني الى افهامهم بالامثلة
حكمة من الله ولطفاً بعباده وتيسيراً لادراك ما يعجزون عن ادراكه دون ضرب المثل فقوله عليه السلم
يؤتى بالموت في صورة كبش املح مثال ضربه ليوصل الى الافهام حصول الياس عن الموت وقد
جبلت القلوب على التاثر بالامثلة وثبوت المعاني فيها بواسطتها وكذلك عبر القرآن بقوله
كن فيكون عن نهاية القدرة وعبر صلى الله عليه وسلم بقوله قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن
عن سرعة التقليب وقد اشرنا الى جملة ذلك في كتاب قواعد العقايد من ربع العبادات فلنرجع
الآن الى الغرض فالمقصود ان تعريف توزع الدركات والدرجات على الحسنات والسيئات
لا يمكن الا بضرب الامثال فليفهم من المثل الذي نضربه معناه لا صورته فنقول الناس
في الآخرة ينقسمون اصنافاً وتتفاوت درجاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتاً لا يدخل تحت
الحصر كما تتفاوت في سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تفارق الآخرة الدنيا في هذا المعنى اصلاً والبتة
فان مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له وسنته الصادرة عن ارادته الازلية مطردة لا
تبديل لها الا انا ان عجزنا عن احصاء آحاد الدرجات فلا نعجز عن احصاء الاجناس فنقول
الناس في الآخرة ينقسمون بالضرورة الى اربعة اقسام الهالكون والمعذبون والناجون
والفايزون ومثاله في الدنيا ان يستولي ملك من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم فهم
الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ويخلي بعضهم فهم
الناجون ويخلع على بعضهم فهم الفايزون فان كان الملك عادلاً لم يقسمهم كذلك الا
باستحقاق فلا يقتل الا جاحداً لاستحقاق الملك معانداً له في اصل الدولة ولا يعذب
الا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يخلي الا معترفاً له برتبة الملك

اسرار

لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع الا من ابلى عذره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي ان
يكون خلع الفايزين متفاوتة الدرجات بحسب درجات خدمتهم واهلاك الهالكين اما تحقيقاً
بحز الرقبة او تنكيلاً بالمثلة بحسب درجات معاندتهم وتعذيب المعذبين في الخفة والشدة
وطول المدة وقصرها واتحاد انواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم فينقسم كل رتبة من هذه
الرتب الى درجات لا تحصى فكذلك فافهم ان الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون فمنهم هالك
ومن معذب مدة ومن ناج يحل في دار السلامة ومن فايز والفايزون ينقسمون الى من
يحلون في جنات عدن وجنات الماوى او جنات الفردوس والمعذبون ينقسمون الى من يعذب قليلاً
والى من يعذب الف سنة الى سبعة آلاف سنة وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في الخبر وكذا
الهالكون الآيسون عن رحمة الله تع تتفاوت دركاتهم وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات
والمعاصي فلنذكر كيفية توزعها عليها اما الرتبة الاولى وهي الهلاك ونعني بالهالكين
الآيسين من رحمة الله اذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربناه آيس من رضى الملك واكرامه
فلا تغفل عن معاني المثال وهذه الدركة لا تكون الا للجاحدين والمعرضين المتجردين للدنيا
المكذبين بالله ورسله وكتبه فان السعادة الاخروية في القرب من الله والنظر الى وجهه وذلك
لا ينال اصلاً الا بالمعرفة التي يعبر عنها بالايمان والتصديق والجاحدون هم المنكرون المكذبون فهم
الآيسون عن رحمة الله ابد الآباد وهم الذين يكذبون برب العالمين وبانبيايه المرسلين وهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون لا محالة وكل محجوب عن محبوبه فمحول بينه وبين ما يشتهيه فهو لا محالة يكون محترقاً مع
نار جهنم بنار الفراق ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للحور العين
انما مطلبنا اللقاء ومهربنا من الحجاب فقط وقالوا من يعبد الله بعوض فهو لئيم اذ يعبده
لطلب جنته او لخوف ناره بل العارف يعبده لذاته فلا يطلب الا ذاته فقط فاما الحور والفواكه
فقد لا يشتهيها واما النار فقد لا يتقيها اذ نار الفراق اذا استولت ربما غلبت النار
المحرقة للاجسام فان نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ونار جهنم لا شغل
لها الا مع الاجساد والم الاجساد يستحقر مع الم الفواد ولذلك قيل • في فواد المحب نار هوى •
احر نار الجحيم ابردها • ولا ينبغي ان ينكر هذا في عالم الآخرة اذ له نظير مشاهد في عالم الآخرة الدنيا
فقد رئي من غلب عليه الوجد فعدا على النار وعلى اصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس به
لفرط غلبة ما في قلبه وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فتصيبه جراحات و
هو لا يشعر بها في الحال لان الغضب نار في القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغضب
قطعة من النار واحتراق الفواد اشد من احتراق الاجساد والاشد يبطل الاحساس
بالاضعف كما تراه فليس الهلك من النار والسيف الا من حيث انه يفرق بين جزءين يرتبط
احدهما بالآخر برابطة التاليف الممكن في الاجساد فالذي يفرق بين القلب وبين محبوبه المرتبط
به برابطة تاليف اشد احكاماً من تاليف الاجسام فهو اشد ايلاماً ان كنت من ارباب البصاير
وارباب القلوب ولا يبعد ان لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الالم ويستحقرها بالاضافة

الى الطعام الجشع فالصبي لو خير بين الم الحرمان عن الكرة والصولجان وبين الم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بالم الحرمان عن رتبة السلطان اصلاً ولم يعد ذلك الما وقال العدو في الميدان مع الصولجان احب الي من سرير الف سلطان مع الجلوس عليه بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلواء وبين فعل جميل يقهر به الاعداء ويفرح به الاصدقاء لآثر الهريسة والحلواء وهذا كله لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوباً ووجود المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوباً ووجود المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذيذا وذلك لمن استرقته صفات البهائم والسباع ولم تظهر فيه الصفات الملكية التي لا تناسبها ولا يلذها الا القرب من رب العالمين ولا يولمها الا البعد والحجاب وكما لا يكون الذوق الا في اللسان والسمع الا في الآذان فلا تكون هذه الصفة الا في القلب فمن لا قلب له ليس له هذا الحس ومن لا سمع ولا بصر له ليس له لذة الالحان وحسن الصور والالوان وليس لكل انسان قلب ولو كان لما صح قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلساً عن القلب ولست اعني بالقلب هذا اللحم الذي يكتنفه عظام الصدر بل اعني به السر الذي هو من عالم الامر وهذا اللحم الذي هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه وساير الاعضاء عالمه ومملكته ولله الخلق والامر جميعاً ولكن ذلك السر الذي قال الله تعالى فيه قل الروح من امر ربي هو الملك والامير لان بين عالم الامر وعالم الخلق ترتيباً وعالم الامر امير على عالم الخلق وهي اللطيفة التي اذا صلحت صلح بها ساير الجسد من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه وعند ذلك يشم العبد مبادي روايح المعنى المطوي تحت قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته وينظر بعين الرحمة الى الجامدين على ظاهر لفظه والى المتعسفين في طرق تاويله وان كانت رحمته على الجامد على اللفظ اكثر من رحمته على المتعسف في التاويل لان الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة اوليك اكثر وان اشتركوا في مصيبة الحرمان عن حقيقة الامر فالحقيقة فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهي حكمة يخص بها من يريد ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً ولنعد الى الغرض فقد ارخينا الطول وطولنا النفس في امر هو اعلى من علوم المعاملة التي نقصدها في هذا الكتاب فقد ظهر ان رتبة الهلاك ليس الا للجاحدين المكذبين وشواهد ذلك من كتاب الله تعالى وسنة رسوله لا تدخل تحت الحصر فلذلك لم نورده، الرتبة الثانية رتبة المعذبين وهي رتبة من تحلى باصل الايمان ولكن قصر في الوفاء بمقتضاه فان راس الايمان هو التوحيد وهو ان لا يعبد الا الله ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة بل معنى قولك لا اله الا الله قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهو ان تذر بالكلية غير الله ومعنى قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد الا بالاستقامة عليه احد ادق من الشعر واحد من السيف مثل الصراط الموصوف في الآخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في امر يسير ولا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قادح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضي لا محالة نقصاناً في درجة القرب ومع كل نقصان ناران نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان ونار جهنم كما وصفها

القرآن فيكون كل مايل عن الصراط المستقيم معذباً مرتين من وجهين ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدة انما يكون بحسب امرين احدهما قوة الايمان وضعفه والثاني كثرة اتباع الهوى وقلته واذ لا يخلو بشر في غالب الامر عن واحد من الامرين قال الله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ولذلك قال الخايفون من السلف انما خوفنا لانا تيقنا انا على النار واردون وشككنا في النجاة ولما روى الحسن رضي الله عنه الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد الف عام وانه ينادي يا حنان يا منان قال الحسن رضي الله عنه يا ليتني كنت ذلك الرجل، واعلم ان في الاخبار ما يدل على ان آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة وان الاختلاف في المدة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة حتى ان بعضهم قد يجوز على النار كبرق خاطف ولا يكون له فيها لبث وبين اللحظة وسبعة آلاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر وساير المدد وان الاختلاف بالشدة لا نهاية لاعلاها وادناها التعذيب بالمناقشة في الحساب كما ان الملك قد يعذب بعض المقصرين في الاعمال بالمناقشة في الحساب ثم يعفو وقد يضرب بالسياط وقد يعذب بانواع اخر من العذاب ويتطرق الى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة وهو اختلاف الانواع اذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب باخذ المال وبقتل الولد واستباحة الحرم وتعذيب الاقارب والضرب وقطع اللسان واليد والانف والاذن وغيره فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الآخرة دل عليها قواطع الشرع وهي بحسب اختلافات قوة الايمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيات وقلتها اما شدة العذاب فبشدة قبح السيات وكبرها واما كثرة العذاب فبكثرتها واما اختلاف انواعها فباختلاف انواع السيات وقد انكشف هذا لارباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الايمان وهو المعني بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وبقوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وبقوله وان ليس للانسان الا ما سعى وبقوله فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره الى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الاعمال وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه وجانب العفو والرحمة ارجح اذ قال تعالى فيما اخبر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم سبقت رحمتي غضبي وقال وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجراً عظيماً فاذن هذه الامور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيات معلومة بقواطع الشرع وبنور المعرفة فاما التفصيل فلا يعرف الا ظناً ومستنده ظواهر الاخبار ونوع حدس يستمد من انوار الاستبصار بعين الاعتبار فنقول كل من احكم اصل الايمان واجتنب جميع الكباير واحسن جميع الفرايض اعني الاركان الخمسة ولم يكن منه الا صغاير متفرقة لم يصر عليها فيشبه ان يكون عذابه بالمناقشة في الحساب فقط فانه اذا حوسب رجحت حسناته على سياته اذ ورد في الاخبار ان الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهن وكذلك اجتناب الكباير بحكم نص القرآن مكفر للصغاير واقل درجات التكفير ان يدفع العذاب ان لم يدفع الحساب

وكل من هذه احاله فقد ثقلت موازينه فينبغي ان يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية ثم اللحاقة باصحاب اليمين او بالمقربين ونزوله في جنات عدن او في الفردوس الاعلى فذلك بتبع اصناف الايمان لان الايمان ايمانان ايمان تقليدي كايمان العوام يصدقون بما يسمعون ويستمرون عليه وايمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فيتضح ان الكل الى الله مرجعه ومصيره اذ ليس في الوجود الا الله وصفاته وافعاله فهذا الصنف هم المقربون النازلون في الفردوس الاعلى وهم على غاية القرب من الاعلى وهم ايضا على اصناف فمنهم السابقون ومنهم من دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تع ودرجات العارفين في المعرفة لا تنحصر اذ الاحاطة بكنه جلال الله غير ممكن وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق وانما يغوص فيه الغواصون بقدر قوتهم وبقدر ما سبق لهم من الله في الازل فالطريق الى الله لا نهاية لمنازله فالسالكون لسبيل الله لا نهاية لدرجاتهم واما المومن ايمانا تقليديا فهو من اصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين وهم ايضا على درجات فالاعلى من درجات اصحاب اليمين يقارب رتبته رتبة الادنى من درجات المقربين هذا حال من اجتنب كل الكباير وادى كل الفرايض اعني الاركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلوة والزكوة والحج والصوم فاما من ارتكب كبيرة او كباير او اهمل بعض اركان الاسلام فان تاب توبة نصوحا قبل قرب الاجل التحق بمن لم يرتكب لان التايب من الذنب كمن لا ذنب له والثوب المغسول كالذي لم يتوسخ اصلا وان مات قبل التوبة فهذا امر مخطر عند الموت اذ ربما يكون موته على الاصرار سببا لتزلزل ايمانه فيختم له بسوء الخاتمة لا سيما اذا كان ايمانه تقليديا فان التقليد وان كان جزما فهو قابل للانحلال بادنى شك وخيال والعارف البصير ابعد عن ان يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما ان ماتا على الايمان يعذبان الا ان يعفو الله عذابا يزيد على عذاب المناقشة في الحساب ويكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الاصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكباير ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف اصناف السيات وعند انقضاء مدة العقاب ينزل البله المقلدون في درجات اصحاب اليمين والعارفون المستبصرون في اعلى عليين ففي الخبر آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة اضعاف ولا تظنن ان المراد به تقديرها بالمساحة لاطراف الاجسام بان يقابل فرسخ بفرسخين او عشرة فان هذا جهل بطريق ضرب الامثال بل هذا كقول القايل اخذ منه جملا واعطاه عشرة امثاله وكان الجمل مثلا يساوي عشرة دنانير فاعطاه مائة دينار فان لم تفهم من المثل الا المثل في الوزن والثقل فلا يكون مائة دينار لو وضعت في كفة الميزان والابل في الكفة الاخرى عشر عشيره بل هو موازنة معاني الاجسام وارواحها دون اشخاصها وهياكلها فان الابل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته فروحه الماليته وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة امثاله بالموازنة

الملائم

الروحانية

الروحانية لا بالموازنة الجسمانية وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والابل واعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال اعطيته عشرة امثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه الا الجوهري فان روح الجوهر قد لا يدرك بمجرد البصر بل بفطنة اخرى وراء البصر ولذلك يكذب به الصبي بل القروي والبدوي ويقول ما هذه الجوهرة الا حجر وزنها مثقال ووزن الابل الف الف مثقال فقد كذب في قوله اني اعطيته عشرة امثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سبيل الى تحقيق ذلك عنده الا بان ينتظر به البلوغ والكمال وان يحصل في قلبه النور الذي به يدرك ارواح الجواهر وساير الاموال فعند ذلك ينكشف له الصدق والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة اذ يقول الجنة في السموات كما ورد في الاخبار والسموات من الدنيا فكيف يكون عشرة امثال الدنيا في الدنيا وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة وكذلك عن تفهيم البدوي وكما ان الجوهري مرحوم اذ ابتلي بالبليد الابله في تفهيم هذه الموازنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلثة عالما بين الجهال وعزيز قوم ذل وغني قوم افتقر والانبياء مرحومون بين الامة بهذا السبب ومقاساتهم لقصور عقول الامة فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله تع والبلاء والبلاء موكل بهم بسبق بتوكيله القضاء الازلي وهو المعني بقوله صلى الله عليه وسلم البلاء موكل بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل فلا تظنن ان البلاء بلاء ايوب عليه السلم وهو الذي ينزل بالبدن فان بلاء نوح صلوات الله عليه ايضا من البلاء العظيم اذ بلي بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه الا فرارا وكذلك لما اوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر فاذن كما لا يخلو الانبياء عن الابتلاء بالجاحدين فلا يخلو الاولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قلما انفك الاولياء عن ضروب من الايذاء وانواع البلاء بالاخراج من البلاد والسعاية بهم الى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين وواجب ان يكون اهل المعرفة عند اهل الجهل من الكافرين كما يجب ان يكون المعتاض عن الابل الكبير جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين المضيعين فاذا عرفت هذه الدقايق فامن بقوله عليه السلم انه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات واياك ان يقتصر تصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حمارا برجلين لان الحمار يشاركك في الحواس الخمس وانما انت مفارق للحمار بسر الهي عرض على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنه واشفقن منه فادراك ما يخرج عن عالم الحواس الخمس لا يصادف الا في عالم ذلك السر الذي به فارقت الحمار وساير البهايم فمن ذهل عن ذلك وعطله واهمله وقنع بدرجة البهايم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذي اهلك نفسه بتعطيلها ونسيها بالاعراض عنها فلا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم فكل من لم يعرف الا المدرك بالحواس فقد نسي الله اذ ليس ذات الله مدركا في هذا العالم بالحواس الخمس وكل من نسي الله انساه الله لا محالة نفسه ونزل الى رتبة البهايم

وترك الترقي الى افق الملأ الاعلى وخان في الامانة التي اودعها الله تعالى وانعم بها عليه
كافر للنعمة ومتعرضا لنقمته الا انه اسوء حالا من البهيمة فان البهيمة تتخلص بالموت و
اما هذا فعنده امانة تسترجع لا محالة الى مودعها فاليه مرجع الامانة ومصيرها
وتلك الامانة كالشمس الزاهرة وانما هبطت الى هذا القالب الفاني وغربت فيه و
ستطلع هذه الشمس عند خراب القالب من مغربها وتعود الى باريها وخالقها اما
مظلمة منكسفة واما زاهرة مشرقة والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن الحضرة الربوبية والمظلمة
ايضا راجعة الى الحضرة اذ المرجع والمصير للكل اليه الا انها ناكسة رؤسها عن جهة اعلى عليين
الى جهة اسفل السافلين ولذلك قال تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم
فبين انهم عند ربهم منكوسون منحوسون قد انقلبت وجوههم الى اقفيتهم وانتكست
رؤسهم عن جهة فوق الى جهة اسفل وذلك حكم الله تعالى فيمن حرمه توفيقه ولم يهده طريقه
فنعوذ بالله من الضلال والنزول في منازل الجهال فهذا حكم انقسام من يخرج من النار
ويعطى مثل عشرة امثال الدنيا او اكثر ولا يخرج من النار الا موحد ولست اعني بالتوحيد
ان يقول بلسانه لا اله الا الله فان اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع الا في عالم الملك
فيدفع السيف عن رقبته وايدي الغانمين عن ماله ومدة الرقبة والمال مدة الحيوة فحيث لا يبقى
رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان وانما ينفع الصدق في التوحيد وكمال التوحيد ان لا
يرى الامور كلها الا من الله وعلامته ان لا يغضب على احد من خلق الله بما يجري عليه اذ لا يرى
الوسائط وانما يرى مسبب الاسباب كما سيأتي تحقيقه في التوكل وهذا التوحيد متفاوت
فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال ومنهم من له مثقال ومنهم من له مثقال خردلة وذرة
فمن في قلبه مثقال دينار فهو اول من يخرج من النار وفي الخبر يقال اخرجوا من النار من
في قلبه مثقال دينار من ايمان وآخر من يخرج من في قلبه مثقال ذرة من ايمان وما بين المثقال والذرة
على تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمثقال والذرة
على سبيل ضرب المثل كما ذكرناه من الموازنة بين اعيان الاموال وبين النقود واكثر ما يدخل
الموحدين النار مظالم العباد فديوان العباد هو الديوان الذي لا يترك فاما بقية السيئات
فيتسارع العفو والتكفير اليها ففي الاثر ان العبد ليوقف بين يدي الله سبحانه وله من الحسنات
امثال الجبال لو سلمت له لكان من اهل الجنة فيقوم اصحاب المظالم فيكون قد سب عرض
هذا واخذ مال هذا او ضرب هذا فيقتص من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فيقول الملائكة
يا ربنا قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثيرون فيقال القوا من سيئاتهم وصكوا له صكا الى النار
وكما يهلك هو بسيئة غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم اذ تنقل اليه
عوضا عما ظلم به وقد حكي عن ابن الجلاء ان بعض اخوانه اغتابه ثم ارسل اليه يستحله فقال لا
افعل ليس في صحيفتي حسنة افضل منها فكيف امحوها وقال هو وغيره ذنوب اخواني من
حسناتي اريد ان ازين بها صحيفتي فهذا ما اردنا ان نذكره من اختلاف العباد في المعاد

في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر الاسباب يضاهي حكم الطبيب على
مريض بانه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج وعلى مريض آخر بان عارضه خفيف وعلاجه
هين فان ذلك ظن يصيب في اكثر الاحوال ولكن قد تثوب الى المشرف على الهلاك نفسه من حيث
لا يشعر الطبيب وقد يساق الى ذي العارض الخفيف اجله من حيث لا يطلع عليه وذلك لاسرار
الله تعالى الخفية في الحياة وارواح الاحياء وغموض الاسباب التي رتبها مسبب الاسباب
بقدر معلوم اذ ليس في قوة البشر الوقوف على كنهها فكذلك النجاة والفوز في الآخرة لهما
اسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها يعبر عن ذلك السبب الخفي المفضي الى النجاة
بالعفو والرضى وعما يفضي الى الهلاك بالغضب والانتقام ووراء ذلك سر المشية الازلية التي لا
يطلع الخلق عليها فلذلك يجب علينا ان نجوز العفو عن العاصي وان كثرت سيئاته الظاهرة
والغضب على المطيع وان كثرت طاعاته الظاهرة فان الاعتماد على التقوى والتقوى في القلب
اغمض من ان يطلع عليه صاحبه فكيف غيره ولكن قد انكشف لارباب القلوب انه لا عفو عن
عبد الا بسبب خفي فيه يقتضي العفو ولا غضب الا بسبب باطن يقتضي البعد من الله ولولا
ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الاعمال والاوصاف ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلا ولو لم
يكن عدلا لم يصح قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد ولا قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وكل ذلك
صحيح فليس للانسان الا ما سعى وسعيه هو الذي يرى وكل نفس بما كسبت رهينة ولما
زاغوا ازاغ الله قلوبهم ولما غيروا انفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالى ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وهذا كله قد انكشف لارباب القلوب انكشافا
اوضح من المشاهدة بالبصر اذ البصر يمكن الغلط فيه اذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا
ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط فيها وانما الشأن في انفتاح بصيرة القلب والا فما يرى بها
بعد الانفتاح فلا يتصور فيه الكذب واليه الاشارة بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ٭ الرتبة
الثالثة رتبة الناجين واعني بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم
لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه ان يكون هذا حال المجانين
والصبيان من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة في اطراف البلاد وعاشوا
على البله وعدم المعرفة فلم تكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية فلا وسيلة تقربهم
ولا جناية تبعدهم فما هم من اهل الجنة ولا من اهل النار بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين
ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالاعراف وحلول طائفة من الخلق فيه معلوم يقينا
من الآيات والاخبار ومن انوار الاعتبار فاما الحكم على العين كالحكم مثلا بان الصبيان
منهم فهذا مظنون وليس بمستيقن والاطلاع عليه تحقيقا في عالم النبوة ويبعد ان يرتقي
اليه رتبة الاولياء والعلماء والاخبار في حق الصبيان ايضا متعارضة حتى قالت عايشة
رضي الله عنها لما مات بعض الصبيان عصفور من عصافير الجنة فانكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك وقال وما يدريك فاذن الاشكال والاشتباه اغلب في هذا المقام ٭ الرتبة الرابعة

الفائزون وهم العارفون دون المقلدين وهم المقربون السابقون فان المقلد وان كان
له فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من اصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون وما يلقى هؤلاء يجاوز
حد البيان والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن فليس بعد بيان الله بيان والذي لا يمكن
التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي اجمله قوله تع فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وقوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصور ان تخطر على قلب بشر في هذا العالم فاما
الحور والقصور والفواكه واللبن والعسل والخمر والحلي والاساور فانهم لا يحرصون
عليها ولو اعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون الا لذة النظر الى وجه الله الكريم فهي غاية السعادات
ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار
فهؤلاء قوم شغلهم حب الجار عن الدار وزينتها بل عن كل شيء سواه حتى عن انفسهم ومثالهم
مثال العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي همه بالنظر الى وجهه والفكر فيه فانه في حالة
الاستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ويعبر عن هذه الحالة بانه فني عن نفسه
ومعناه انه صار مستغرقا بغيره وصارت همومه هما واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لغير
محبوبه حتى يلتفت اليه لا نفسه ولا غير نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الاخرة الى قرة
عين لا يتصور ان تخطر في هذا العالم على قلب بشر كما لا يتصور ان تخطر صورة الالوان و
الالحان على قلب الاكمه والاصم الا ان يرفع الحجاب عن سمعه وبصره فعند ذلك يدرك
حاله قطعا انه لم يتصور ان تخطر بباله قبل ذلك صورته في الدنيا حجاب على التحقيق وبرفعه
ينكشف الغطاء فعند ذلك يدرك ذوق الحيوة الطيبة وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا
يعلمون فهذا القدر كاف في بيان توزع الدرجات على الحسنات **بيان ما تعظم به
الصغائر من الذنوب** اعلم ان الصغيرة تكبر باسباب منها الاصرار والمواظبة ولذلك
قال عليه السلام لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار فكبيرة واحدة تنصرم و لا
يتبعها مثلها لو تصور ذلك كان العفو عنها ارجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال
ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه
دفعة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاعمال ادومها وان قل والاشياء
تستبان باضدادها فاذا كان النافع من العمل هو الدائم وان قل والكثير المتصرم قليل النفع في
تنوير القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيئات اذا دام عظم تاثيره في اظلام القلب الا ان الكبيرة
قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر فقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة
مقدمات من غير مراودة مقدمات وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة فكل
كبيرة يكتنفها صغائر سابقة ولاحقة ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق اليها عود ربما
كان العفو فيها ارجى من صغيرة واظب الانسان عليها عمره ومنها ان يستصغر الذنب فان
الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله وكلما استصغره كبر عند الله لان استعظامه

يصدر

يصدر عن نفور القلب عنه وكراهته له وذلك النفور يمنع من شدة تاثره به واستصغاره
يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات
والمحذور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة وقد جاء في الخبر المؤمن
يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه فاطاره و
قال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا وانما يعظم
الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله فاذا نظر الى عظم من عصى به راى الصغير كبيرا وقد اوحى
الله تع الى بعض انبيائه لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة و
انظر الى كبرياء من واجهته بها وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة
ولذلك قال بعض الصحابة للتابعين انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا
نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات اذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله اتم فكانت
الصغائر عندهم بالاضافة الى جلال الله كبائر وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم
من الجاهل ويتجاوز عن العامي في امور لا يتجاوز في امثالها عن العارف لان الذنب والمخالفة يكبر
بمعرفة قدر المخالف ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد التمكن من
ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت
الصغيرة وعظم اثرها في تسويد قلبه حتى ان من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة
فرحه بمقارفته اياه كما يقول اما رايتني كيف مزقت عرضه ويقول المناظر في مناظرته اما
رايتني كيف افضحته وكيف ذكرت مساويه حتى خجلته وكيف استخففت به وكيف لبست
عليه ويقول المعامل في التجارة اما رايت كيف روجت عليه الزيف وكيف خدعته و
كيف غبنته في ماله وكيف استحمقته فهذا وامثاله تكبر به الصغائر فان الذنوب مهلكات
واذا دفع العبد اليها وظفر الشيطان به في الحمل عليه فينبغي ان يكون في مصيبة وتاسف بسبب
غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله فالمريض الذي يفرح بان ينكسر اناؤه الذي فيه
دواؤه حتى يتخلص من الم شربه لا يرجى شفاؤه ومنها ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه
وامهاله اياه ولا يدري انه انما يمهل مقتا ليزداد بالامهال اثما فيظن ان تمكنه من المعاصي
عناية من الله تع به فيكون ذلك لامنه من مكر الله تع وجهله بمكامن الغرور بالله كما قال تع ويقولون
في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ومنها ان
ياتي الذنب ويظهره بان يذكره بعد اتيانه في مشهد غيره فان ذلك منه جناية على ستر الله
الذي اسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن اسمعه ذنبه او اشهده فعله فهما جنايتان انضمتا
الى جنايته فغلظت به فان انضاف الى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الاسباب
له صارت جناية رابعة وتفاحش الامر وفي الخبر كل الناس معافى الا المجاهرون يبيت احدهم
على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه وهذا لان من صفات
الله ونعمه انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة قال

بعضهم لا تذنب فان كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين ولذلك قال تع المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وقال بعض السلف ما
انتهك المرء من اخيه حرمة اعظم من ان يساعده على معصية ثم يهونها عليه ومنها ان يكون المذنب
عالما يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الابريسم وركوبه مراكب الذهب
واخذه مال الشبهة من اموال السلاطين ودخوله عليهم وتردده اليهم ومساعدته اياهم بترك
الانكار عليهم واطلاقه اللسان في الاعراض وتعديه باللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف
واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه الا الجاه كعلم الجدل والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها
فيموت العالم ويبقى شره مستطيرا في العالم آمادا متطاولة فطوبى لمن اذا مات ماتت ذنوبه وفي
الخبر من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة لا ينقص من اوزارهم شيئا و
قال تع ونكتب ما قدموا وآثارهم والآثار ما يلحق من الاعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن
عباس رضي الله عنه ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق
وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق وتغرق معها اهلها وفي الاسرائيليات
ان عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته توبة فعمل في الاصلاح دهرا فاوحى الله تع الى
نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن اضللت من عبادي
فادخلتهم النار فبهذا يتضح ان امر العلماء مخطر فعليهم وظيفتان احدهما ترك
الذنب والاخرى اخفاؤه وكما يتضاعف اوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم
على الحسنات اذا اتبعوا فاذا ترك التجمل والميل الى الدنيا وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت
ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدي به العلماء والعوام ويكون له مثل ثوابهم وان مال الى
التجمل مالت طباع من دونه الى التشبه به ولا يقدرون على التجمل الا بخدمة السلاطين وجمع
الحطام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك فحركات العلماء في طرفي الزيادة والنقصان
تتضاعف آثارها اما بالربح واما بالخسران وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي تجب
التوبة عنها **الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها ودوامها الى آخر العمر**
قد ذكرنا ان التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم اورثه العلم بكون المعاصي
حائلة بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام ولتمامها علامة
ولدوامها شرط فلا بد من بيانها اما العلم فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسيأتي و
اما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن
وانسكاب الدمع وطول البكاء فمن استشعر عقوبة نازلة بولده او ببعض اعزته طال عليه مصيبته
وبكاؤه واي عزيز اعز عليه من نفسه واي عقوبة اشد من النار واي سبب ادل على نزول العقوبة
من المعاصي واي مخبر اصدق من الله ورسوله ولو اخبره انسان واحد يسمى طبيبا ان ولده المريض
لا يبرأ وانه سيموت طال في الحال حزنه وليس ولده اعز من نفسه ولا الطبيب باعلم ولا اصدق
من الله ورسوله ولا الموت باشد من النار ولا المرض ادل على الموت من المعاصي على سخط

الله والتعرض بها للنار فألم الندم كلما كان اشد كان تكفير الذنوب بها ارجى فعلامة صحة الندم
رقة القلب وغزارة الدمع وفي الخبر جالسوا التوابين فانهم ارق افئدة ومن علامته ان تتمكن
مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة وفي الاسرائيليات
ان الله سبحانه قال لبعض انبيائه وقد سأله النبي قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في
العبادة ولم ير قبول توبته فقال وعزتي وجلالي لو شفع فيه اهل السموات والارض ما قبلت توبته
وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه فان قلت فالذنوب هي اعمال مشتهاة بالطبع
فكيف يجد مرارتها فاقول من تناول عسلا كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم
مرض وطال المه وتناثر شعره وفلجت اعضاؤه فاذا قدم اليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو في
غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل ام لا فان قلت لا فهو جحد للمشاهدة
بل ربما تنفر عن العسل الذي ليس فيه سم ايضا لشبهه به فوجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون
وذلك لعلمه بان كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا تصح التوبة ولا تصدق الا بمثل هذا
الايمان ولما عز مثل هذا الايمان عزت التوبة والتائبون فلا ترى الا معرضا عن الله متهاونا
بالذنوب مصرا عليها فهذا شرط تمام الندم وينبغي ان يدوم الى الموت وينبغي ان يجد هذه المرارة
في جميع الذنوب وان لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد تائب السم في العسل النفرة من الماء البارد مهما
علم ان فيه مثل ذلك السم اذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه ولم يكن ضرر التائب من سرقته وزناه من حيث
انه سرقة وزنا بل من حيث مخالفته امر الله وذلك جار في كل ذنب واما القصد الذي ينبعث
منه وهو ارادة التدارك فله تعلق بالحال وهو موجب ترك كل محظور هو ملابس له واداء كل فرض هو
متوجه عليه في الحال وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام
ترك المعصية الى الموت وشرط صحته فيما يتعلق بالماضي ان يرد فكره الى اول يوم بلغ فيه بالسن
او الاحتلام ويفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا
وينظر الى الطاعات ما الذي قصر فيه والى المعاصي ما الذي قارفه منها فان كان قد ترك صلوة
او صلاها مع ثوب نجس او صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية فيقضيها عن آخرها فان شك
في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن انه اداه ويقضي الباقي
وله ان ياخذ فيه بغالب الظن ويصل اليه على سبيل التحري والاجتهاد واما الصوم فان كان قد
تركه في سفر ولم يقضه او افطر عمدا او نسي النية ولم يقض فيتعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد
ويشتغل بقضائه واما الزكوة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من اول ملكه لا من زمان
البلوغ فان الزكوة واجبة على الصبي فيؤدي بغالب الظن ما في ذمته وان اداها لا على وجه يوافق
مذهبه بان لم يصرف الى الاصناف الثمانية او اخرج البدل وهو على مذهب الشافعي رضي الله عنه
فيقضي جميع ذلك فان ذلك لا يجزيه اصلا وحساب الزكوة ومعرفة ذلك تطول ويحتاج فيه الى تأمل
شاف ويلزمه ان يسأل كيفية الخروج عنه من العلماء واما الحج فان كان قد استطاع في بعض
السنين ولم يتفق له خروج والآن قد افلس فعليه الخروج فان لم يقدر مع الافلاس فعليه ان يكتسب

من الحلال قدرا لزاد فان لم يكن له كسب ولا مال فعليه ان يسال الناس ليصرف اليه من الزكوات او
الصدقات ما يحج به فانه ان مات قبل الحج مات عاصيا قال عليه السلم من مات ولم يحج فليمت ان
شاء يهوديا وان شاء نصرانيا والعجز الطارئ بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق
تفتيشه عن الطاعات وتداركها واما المعاصي فيجب ان يفتش من اول بلوغه عن سمعه و
بصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وساير جوارحه ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته و
يفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغايرها وكبايرها ثم ينظر فيها فما كان من
ذلك بينه وبين الله من حيث انه لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة كنظر الى غير محرم وقعود في مسجد
مع الجنابة ومس مصحف من غير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاهي وغير ذلك
مما لا يتعلق بمظالم العباد فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها وبان يحسب مقدارها من حيث
الكثرة ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فياتي من الحسنات
بمقدار تلك السيئات آخذا من قوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة
تمحها بل من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن ومجالس الذكر
ويكفر القعود في المسجد جنبا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر مس المصحف محدثا
باكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقبيله وبان يكتب مصحفا ويجعله وقفا ويكفر شرب
الخمر بالتصدق بكل شراب حلال هو اطيب واحب اليه وعد جميع المعاصي غير ممكن وانما المقصود
سلوك طريق المضادة فان المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحوها
الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي ان يمحو كل سيئة
بحسنة من جنسها لكي تضادها فان البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة وهذا التدريج
والتحقيق من التلطف في طريق المحو فالرجاء فيه اصدق والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد
من العبادات وان كان ذلك ايضا موثرا في المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله وتدل على ان الشيء يكفر
بضده ان حب الدنيا راس كل خطيئة واثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والانس بها و
الحنين اليها فلا جرم كان كل اذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له اذ القلب
يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم قال صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب لا يكفرها
الا الهموم وفي لفظ آخر الا الهم بطلب المعيشة وفي حديث عايشة رضي الله عنها اذا كثرت
ذنوب العبد ولم تكن له اعمال تكفرها ادخل الله تعالى عليه الغموم فتكون كفارة لذنوبه ويقال
ان الهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها وشعور القلب بوقفة
الحساب وهول المطلع فان قلت هم الانسان غالبا بماله وولده وجاهه وهي خطيئة
فكيف تكون كفارة فاعلم ان الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت
الخطيئة فقد روي ان جبريل عليه السلم دخل على يوسف في السجن فقال له كيف تركت الشيخ
الكئيب فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال فما له عند الله قال اجر مائة شهيد فاذن
الهموم ايضا مكفرات حقوق الله تعالى فهذا حكم ما بينه وبين الله واما مظالم العباد ففيها

ايضا معصية وجناية على حق الله تعالى فان الله نهى عن ظلم العباد ايضا فما يتعلق منه بحق الله تداركه
بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل والاتيان بالحسنات التي هي اضدادها فيقابل ايذاءه
الناس بالاحسان اليهم ويكفر غصب اموالهم بالتصدق بملكه الحلال ويكفر تناوله اعراضهم
بالغيبة والقدح بالثناء على اهل الدين واظهار ما يعرف من خصال الخير من اقرانه وامثاله و
يكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب لان ذلك احياء اذ العبد مفقود لنفسه موجود
لسيده فالاعتاق ايجاد لا يقدر الانسان على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد وبهذا تعرف
ان ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل
باعتاق رقبة ثم اذا فعل ذلك كله لم ينجه ولم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد اما في النفوس
او الاموال او الاعراض او القلوب اعني به الايذاء المحض اما النفوس فان جرى عليه قتل خطاء
فتوبته بتسليم الدية ووصولها الى المستحق اما منه او من عاقلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول
وان كان عمدا موجبا للقصاص فبالقصاص فان لم يعرف فيجب عليه ان يعترف عند ولي الدم
ويحكمه في روحه فان شاء عفا عنه وان شاء قتله ولا يسقط عهدته الا بهذا ولا يجوز له الاخفاء
وليس هذا كما لو زنى او شرب او سرق او قطع الطريق او باشر ما يجب فيه حد لله فانه لا يلزمه
في التوبة ان يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله بل عليه ان يستتر
بستر الله ويقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة والتعذيب فالعفو في محض حقوق الله قريب
من التائبين النادمين فان رفع امره الى الوالي حتى اقام عليه الحد فالحد وقع موقعه وتكون توبته
صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روي ان ماعز بن مالك اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اني قد ظلمت نفسي وزنيت واني اريد ان تطهرني فرده فلما كان من الغد اتاه فقال
يا رسول الله اني قد زنيت فرده الثانية فلما كان من الغد اتاه فقال يا رسول الله اني قد زنيت فرده
الثالثة فلما كان في الرابعة حفر له حفرة ثم امر به فرجم فكان الناس فيه فرقتين فقايل يقول لقد
هلك ولقد احاطت به خطيئته وقايل يقول ما توبة افضل من توبة ماعز فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم وجاءت الغامدية
فقالت يا رسول الله اني قد زنيت فطهرني وانه ردها فلما كان الغد قالت يا رسول الله
لم تردني لعلك تريد ان تردني كما رددت ماعزا فوالله اني لحبلى فقال اما الآن فاذهبي
حتى تلدي فلما ولدت اتت بالصبي في خرقة فقالت هذا قد ولدته قال اذهبي فارضعيه حتى
تفطميه فلما فطمته اتته بالصبي وفي يده كسرة خبز قالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد
اكل الطعام فدفع الصبي الى رجل من المسلمين ثم امر بها فحفر لها الى صدرها فرجموها فاقبل
خالد بن الوليد بحجر فرمى راسها فنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبه اياها فقال مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس
لغفر له ثم امر بها فصلى عليها ودفنت واما القصاص وحد القذف فلا بد من تحكيمه
المستحق فيه فان كان المتناول مالا تناوله بغصب او خيانة او غبن في معاملة بنوع

تلبيس كترويج زيف او ستر عيب في المبيع او نقص اجرة اجير او منع اجرته فكل ذلك يجب ان
يفتش عنه لا من وقت بلوغه بل من اول مدة وجوده فان ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي
اخراجه بعد البلوغ ان كان الولي قد قصر فيه فان لم يفعل كان ظالما مطالبا به اذ يستوي
في الحقوق المالية الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحبات والذرات من اول يوم حياته الى
اليوم توبته قبل ان يحاسب في القيمة وليناقش قبل ان يناقش فمن لم يحاسب نفسه في
الدنيا طال في الآخرة حسابه فاذا احصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد
ممكن فليكتبه وليكتب اسامي اصحاب المظالم واحدا واحدا وليطف في نواحي العالم وليطلبهم
وليستحلهم او ليؤد حقوقهم وهذه التوبة تشق على الظلمة والتجار فانهم لا يقدرون
على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم ان يفعل منه ما يقدر
عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر من الحسنات حتى تفيض منه يوم القيمة فتوخذ حسناته
وتوضع في موازين ارباب المظالم وليكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فانه ان لم تف بها
حسناته حمل من سيئات ارباب المظالم فيهلك بسيئات غيره فهذا طريق كل تائب في رد
المظالم وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف و
ذلك مما لا يعرف وربما يكون الاجل قريبا فينبغي ان يكون تشمره للحسنات والوقت ضيق
اشد من تشمره الذي كان في المعاصي في متسع الاوقات هذا حكم المظالم الثابتة في ذمته اما
امواله الحاضرة فليرد الى المالك ما يعرف له مالكا معينا وما لا يعرف له مالكا معينا فعليه ان
يتصدق به فان اختلط الحلال بالحرام عرف قدر الحرام بالاجتهاد وتصدق بذلك المقدار كما سبق
تفصيله في كتاب الحلال والحرام واما الجناية على القلوب بمشافهة الناس بما يسوءهم او
تعييبهم في الغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه او آذى قلبه بفعل من افعاله وليستحل
واحدا واحدا منهم ومن مات او غاب فقد فات امره ولا يتدارك الا بتكثير الحسنات لتوخذ
عوضا في القيمة واما من وجده واحله بطيبة قلب منه فذلك كفارة وعليه ان يعرفه قدر جنايته
وتعرضه له فالاستحلال المبهم لا يكفي وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم يطب نفسه
بالاحلال وادخر ذلك في القيمة ذخيرة يأخذ من حسناته او يحمله من سيئاته فان كان في جملة
جنايته على الغير ما لو ذكره له وعرفه لتأذى بمعرفته كزناه بجاريته واهله او نسبته باللسان
الى عيب من خفايا عيوبه يعظم اذاه مهما شوفه به فقد انسد عليه طريق الاستحلال فليس له الا ان
يستحل مبهما ثم يبقى له مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلمة الميت والغائب فاما الذكر
والتعريف فهو سيئة جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنايته وعرفه المجني عليه فلم تسمح نفسه
بالاحلال بقيت المظلمة عليه فان هذا حقه فعليه ان يتلطف به ويسعى في مهماته واغراضه
ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه فان الانسان عبيد الاحسان وكل من
نفر بسيئة مال بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال فان
ابى الا الاصرار فيكون تلطفه به واعتذاره اليه من جملة حسناته التي يمكن ان يجبر بها في

القيمة جنايته وليكن قدر سعيه في فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في ايذائه
حتى اذا قاوم احدهما الآخر او زاد عليه اخذ ذلك منه عوضا في القيمة بحكم الله به عليه كمن اتلف
في الدنيا مالا فجاء بمثله فامتنع من له عن القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض
عنه شاء ام ابى فكذلك يحكم في صعيد القيمة احكم الحاكمين واعدل المقسطين وفي الخبر
المتفق عليه من الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه
فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سال عن
اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه
وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع
الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة
الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة
العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه حكما بينهم فقال قيسوا ما
بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته
ملائكة الرحمة وفي رواية اخرى فكان الى القرية الصالحة اقرب منها بشبر فجعل من اهلها وفي رواية
فاوحى الله الى هذه ان تباعدي والى هذه ان تقاربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه
اقرب بشبر فغفر له فبهذا تعرف انه لا خلاص الا برجحان ميزان الحسنات ولو بمثقال
فلا بد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضي فاما العزم المرتبط
بالاستقبال فهو ان يعقد مع الله عقدا مؤكدا ويعاهده بعهد وثيق ان لا يعود الى تلك
الذنوب ولا الى امثالها كالذي يعلم في مرضه ان الفاكهة تضره مثلا فيعزم عزما جزما انه لا يتناول
الفاكهة ما لم يزل مرضه فان هذا العزم يتأكد في الحال وان كان يتصور ان يغلبه الشهوة في ثاني
الحال ولكن لا يكون تائبا ما لم يتأكد عزمه في الحال ولا يتصور ان يتم ذلك للتائب في اول امره الا
بالعزلة والصمت وقلة الاكل والنوم واحراز قوت حلال فان كان له مال موروث حلال او
كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه فان راس المعاصي اكل الحرام فكيف يكون
تائبا مع الاصرار عليه ولا يكتفي بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر على ترك الشهوات
في الماكولات والملبوسات وقال بعضهم من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله
سبع مرات لم يبتل بها وقال آخر من تاب من ذنب واستقام عليه سبع سنين لم يعد اليه ابدا
ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما ان يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه
حتى يمكنه الاستقامة وان لم يوثر العزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة الا ان يتوب عن
بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والزنا والغصب مثلا وليست هذه توبة مطلقة وقد
قال بعض الناس ان هذه التوبة لا تصح وقال قائلون تصح ولفظ الصحة في هذا المقام
مجمل بل نقول لمن قال لا تصح ان عنيت به ان تركه بعض الذنوب لا يفيد اصلا بل وجوده

لكن تعهد فما اعظم خطاك فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقلتها سبب لقلته
ونقول لمن قال تصح ان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا يوصل الى النجاة او
الفوز فهذا ايضا خطا بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا اسرار
عفو الله سبحانه وتعالى وان قال من ذهب الى انه لا تصح اني اردت به ان التوبة عبارة
عن الندم وانما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لا لكونها سرقة ويستحيل ان يندم عليها
دون الزنا ان كان توجعه لاجل المعصية فان العلة شاملة لهما اذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف
يتوجع على قتله بالسكين لان توجعه بفوات محبوبه سواء كان بالسيف او بالسكين
فكذلك توجع العبد بفوات محبوبه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة او بالزنا فكيف يتوجع
على البعض دون البعض فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية مفوتة للمحبوب من حيث
انها معصية فلا يتصور ان يكون على بعض المعاصي دون بعض ولو جاز هذا لجاز ان يتوب
من شرب الخمر من احد الدنين دون الآخر فان استحال ذلك من حيث ان المعصية في الخمرين
واحدة وانما الدنان ظروف فكذلك اعيان المعاصي آلات للمعصية والمعصية من حيث
مخالفة الامر واحدة فاذن معنى عدم الصحة ان الله وعد التائبين رتبة تلك الرتبة لا
تنال الا بالندم ولا يتصور الندم على بعض المتماثلات فهو كالملك المترتب على الايجاب والقبول
فانه اذا لم يتم الايجاب والقبول يقال ان العقد لم يصح اي لا يترتب عليه الثمرة وهي الملك وتحقيق
هذا ان ثمرة مجرد الترك ان ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير ما سبق فترك
السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور الندم الا لكونه معصية وذلك يعم جميع المعاصي
وهذا كلام مفهوم واقع يستنطق المنصف بتفصيل به ينكشف الغطاء فنقول التوبة
عن بعض الذنوب لا يخلو اما ان تكون عن الكبائر دون الصغائر او الصغائر دون الكبائر او عن
كبيرة دون كبيرة اما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فممكن لانه يعلم ان الكبائر اعظم عند الله
تعالى واجلب لسخط الله ومقته والصغائر اقرب الى تطرق العفو اليه فلا يستحيل ان يتوب
عن الاعظم ويتندم عليه كالذي يجني على اهل الملك وحرمه ويجني على دابته فيكون خائفا من
الجناية على الاهل مستحقرا للجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد كونه
مبعدا عن الله وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر التائبون في الاعصار ولم يكن واحد
منهم معصوما فلا تستدعي التوبة العصمة والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيرا شديدا
ويحذره السكر تحذيرا اخف منه على وجه يشعر معه بانه ربما لا يظهر ضرر السكر اصلا
فيتوب المريض بقوله من العسل دون السكر فهذا غير محال وجوده وان اكلهما جميعا
بحكم شهوته ندم على اكل العسل دون السكر الثاني ان يتوب عن بعض الكبائر دون بعض
وهذا ايضا ممكن لاعتقاده ان بعض الكبائر اشد واغلظ عند الله كالذي يتوب عن القتل
والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه بان ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يتسارع العفو
اليه فهذا ايضا ممكن كما في تفاوت الصغائر لان الكبائر ايضا متفاوتة في انفسها وفي اعتقاد

مرتكبها وكذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون
الزنا مثلا اذ يتضح له ان الخمر مفتاح الشرور وانه اذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي وهو
لا يدري فيحسب ترجح شرب الخمر عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا في المستقبل
وندما على الماضي الثالث ان يتوب عن صغيرة او صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم
انها كبيرة كالذي يتوب عن الغيبة او عن النظر الى غير المحرم وما يجري مجراه وهو مصر على
شرب الخمر وهو ايضا ممكن ووجه امكانه انه ما من مؤمن الا وهو خائف على معاصيه ونادم على
فعله ندما اما ضعيفا واما قويا ولكن تكون لذة نفسه في تلك المعصية اقوى من الم قلبه
في الخوف منها لاسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة واسباب توجب قوة
الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك العزم ولا قويا عليه فان سلم عن يكن
شهوة اقوى منه بان لم يعارضه الا ما هو اضعف منه قهر الخوف الشهوة وغلبها واوجب
ذلك ترك المعصية وقد تشتد ضراوة الفاسق فلا يقدر على الصبر عنه وتكون له ضراوة ما
بالغيبة وثلب الناس والنظر الى غير المحرم وخوفه من الله قد بلغ مبلغا يقمع هذه الشهوة
الضعيفة دون القوية فيوجب عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك بل يقول هذا
الفاسق في نفسه ان قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلا ينبغي ان
اخلع العذار وارخي العنان بالكلية بل اجاهده في بعض المعاصي فعسى ان اغلبه فيكون
قهري له في البعض كفارة لبعض ذنوبي ولو لم يتصور هذا لما تصور من الفاسق ان يصلي ويصوم
ولقيل له ان كانت صلوتك لغير الله فلا تصح وان كانت لله تع فاترك الفسق لله فان امر
الله فيهما واحد فلا يتصور ان تقصد بصلوتك التقرب الى الله ما لم تتقرب بترك الفسق وهذا محال بل يقول
لله علي امران ولي على المخالفة عقوبتان وانا مليء في احدهما بقهر الشيطان عاجز عنه في الآخر فانا اقهره
فيما اقدر عليه وارجو بمجاهدتي فيه ان يكفر عني بعض ما عجزت عنه بفرط شهوتي فكيف لا يتصور
هذا وهو حال كل مسلم اذ لا مسلم الا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب له الا هذا و
اذا فهم هذا فهم ان غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب ممكن وجوده والخوف اذا كان
من فعل ماض اورث الندم والندم يورث العزم وقد قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة و
لم يشترط الندم على كل ذنب وقال التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل التائب من الذنوب
كلها وبهذه المعاني يتبين ان التوبة عن بعض الذنوب ان غير ممكن لانها متماثلة في حق الشهوة وفي
حق التعرض لسخط الله نعم يجوز ان يتوب عن الخمر دون النبيذ لتفاوتهما في اقتضاء السخط و
يتوب عن الكثير دون القليل لان لكثرة المعصية تاثيرا في كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالقدر الذي
يعجز عنه ويترك بعض شهوته كالمريض الذي حذره الطبيب الفاكهة فانه قد يتناول قليلها و
لكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا انه لا يمكن ان يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله بل لا بد وان
يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقي عليه اما في شدة المعصية واما في غلبة الشهوة واذا حصل
هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله في الخوف والندم فيتصور اختلاف حاله

في الترك فندمه على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وان لم يكن قد اطاع
الله في جميع الاوامر والنواهي فان قلت فهل تصح توبة العنين من الزنا الذي قارفه قبل طريان
العنة فاقول لا لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله وما لا يقدر
على فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه ولكني اقول لو طرا عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق به
ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الوقاع باقية لكانت
حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها فاني ارجو ان يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه سيئته
اذ لا خلاف في انه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقيبه كان من التائبين وان لم تطرا عليه حالة
تهيج فيها الشهوة وتتيسر اسباب القضاء للشهوة ولكنه تائب باعتبار ان ندمه بلغ مبلغا
اوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده فاذن لا يستحيل ان يبلغ قوة الندم في حق العنين
هذا المبلغ الا انه لا يعرفه من نفسه فان كل من لا يشتهي شيئا يقدر نفسه قادرا على تركه بادنى
خوف والله مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه بل الظاهر انه يقبله والحقيقة
في هذا ترجع الى ان ظلمة المعصية تنمحي عن القلب بشيئين احدهما حرقة الندم والآخر شدة
المجاهدة بالترك في المستقبل وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا ان يقوى
الندم بحيث يقوى على محوه دون المجاهدة ولولا هذا لقلنا ان التوبة لا تقبل ما لم يعش التائب بعد التوبة
مدة يجاهد نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه
اصلا فان قلت اذا فرضنا تائبين احدهما سكنت نفسه عن النزوع الى الذنب والآخر بقي في
نفسه نزوع اليه وهو يجاهدها ويمنعها فايهما افضل فاعلم ان هذا مما اختلف العلماء فيه فقال
احمد بن ابي الحواري واصحاب ابي سليمن الداراني ان المجاهد افضل لان له مع التوبة فضل الجهاد و
قال علماء البصرة ذاك الآخر افضل لانه لو فتر عن توبته كان اقرب الى السلامة من المجاهد الذي هو
في عرضة الفتور عن المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة
والحق فيه ان الذي انقطع نزوع نفسه له حالتان احداهما ان يكون انقطاع نزوعه اليه بفتور
في نفس الشهوة فقط فالمجاهد افضل من هذا اذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة يقينه واستيلاء دينه
على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين واعني بقوة الارادة التي تنبعث باشارة
اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة باشارة الشياطين فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعا
وقول القائل ان هذا اسلم اذ لو فتر لا يعود الى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الافضل
فيه خطا وهو كقول القائل العنين افضل لانه في امن من خطر الشهوات والصبي افضل من البالغ
لانه اسلم والمفلس افضل من الملك القاهر القامع لاعدائه لان المفلس لا عدو له والملك ربما يغلب مرة
وان غلب مرة وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بان العز في الاخطار وان
العلو شرطه اقتحام الاغرار بل هو كقول القائل الصياد الذي ليس له فرس وكلب افضل في صناعة
الاصطياد واعلى رتبة من صاحب الفرس والكلب لانه آمن من ان يجمح به فرسه فينكسر اعضاؤه
عند السقوط على الارض وآمن من ان يعضه الكلب ويعتدي عليه وهذا خطأ بل صاحب الفرس

والكلب

والكلب اذا كان عالما بطريق تاديبهما اعلى رتبة واجرى بدرك سعادة الصيد الحالة الثانية
ان يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة اذ بلغ مبلغا قمع هيجان
الشهوة حتى تادبت بادب الشرع فلا تهيج الا باشارة الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين
عليها فهذا اعلى رتبة من المجاهد المقاسي لهيجان الشهوة وقمعها وقول القائل ان لذلك
فضل الجهاد قصور عن الاحاطة بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصودا لعينه بل المقصود
قطع ضراوة العدو حتى لا يستجرك الى شهواته وان عجز عن استجرارك فلا يصدك عن سلوك طريق
الدين فاذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت وما دمت في المجاهدة فانت بعد في طلب
الظفر ومثاله مثال من قهر العدو واسترقه بالاضافة الى من هو مشغول بالجهاد في صف
القتال ولا يدري كيف يسلم ومثاله ايضا مثال من علم كلب الصيد وراض الفرس فهما بايمان
عنده بعد ترك الكلب الضراوة والفرس الجماح بالاضافة الى من هو مشغول بمقاساة التاديب
بعد ولقد زل في هذا فريق فظنوا ان الجهاد هو المقصود الاقصى ولم يعلموا ان ذلك
طلب للخلاص من عوائق الطريق وظن آخرون ان قمع الشهوات واماتتها بالكلية مقصود
حتى جرب بعضهم فعجز عنه فظن ان هذا محال فكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل في
اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس فان
قلت فما قولك في تائبين احدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه والآخر جعله نصب
عينيه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندما عليه فايهما افضل فاعلم ان هذا ايضا قد اختلفوا فيه
فقال بعضهم حقيقة التوبة ان تنصب ذنبك بين عينيك وقال آخر ان تنسى ذنبك
وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالاضافة الى حالين وكلام المتصوفة يكون ابدا قاصرا
فان عادة كل واحد ان يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمه حال غيره فتختلف الاجوبة لاختلاف
الاحوال وهذا نقصان بالاضافة الى درجة العلم فان معرفة الاشياء على ما هي عليه افضل
واعلى ولكنه كمال بالاضافة الى الهمة والارادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه
لا يهمه حال غيره اذ طريقه الى الله نفسه ومنازله احواله وقد يكون طريق العبد الى الله العلم
والتعليم فالطرق الى الله كثيرة وان كانت مختلفة في القرب والبعد والله اعلم بمن هو اهدى
سبيلا مع الاشتراك في اصل الهداية فاقول حضور الذنب وذكره والتفجع عليه كمال في
حق المبتدي المريد لانه اذا نسيه لم تكثر احتراقه فلا تقوى ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق و
لان ذلك يستخرج منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله فهو بالاضافة الى الغافل
كمال ولكنه بالاضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع من سلوك الطريق بل سالك
الطريق ينبغي ان لا يعرج على غير السلوك فان ظهرت له مبادي الوصول وانكشف له انوار المعرفة
ولوامع الغيب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات الى ما سبق من احواله وهو
الكمال بل لو عاق عن الطريق الى بلد من البلاد نهر حاجز طال تعب المسافر في عبوره من حيث انه كان قد خرب
جسره من قبل فجلس على شاطئ النهر بعد عبوره يبكي متاسفا على تخريبه الجسر كان هذا مانعا آخر ليشغل

من ابواب المهلكات

به بعد الفراغ من ذلك المانع نعم ان لم يكن الوقت وقت الرحيل بان كان ليلاً فتعذر السلوك وكان على طريقه انهار وهو يخاف على نفسه ان يخرّبها فليطل بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليتأكد بطول الحزن عزمه على ان لا يعود الى مثله فان حصل له من التنبه ما وثق بنفسه انه لا يعود الى مثله فسلوك الطريق اولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا لا يعرفه الا من عرف الطريق والمقصد والعائق وطريق السلوك وقد اشرنا الى تلويحات منه في كتاب العلم من ربع العبادات وفي ربع المهلكات بل نقول شرط دوام التوبة ان يكون كثير الفكر في نعيم الآخرة ليزيد رغبته ولكن ان كان شابا فلا ينبغي ان يطيل فكره في كل ما له نظير في الدنيا كالحور والقصور فان ذلك الفكر ربما يحرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالآجلة بل ينبغي ان يتفكر في لذة النظر الى وجه الله فقط فذلك لا نظير له في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالمبتدي ايضا قد يستضر به فيكون النسيان افضل له عند ذلك ولا يصدنك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود على خطيئته ونياحته فان قياسك نفسك على الانبياء قياس في غاية الاعوجاج لانهم قد ينزلون في اقوالهم وافعالهم الى الدرجات اللائقة باممهم فانهم ما بعثوا الا لارشادهم فعليهم التلبس بما ينتفع امتهم بمشاهدته وان كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم فقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريد بنوع رياضة الا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عنها لفراغه عن المجاهدة وتأديب النفس ولكن تسهيلا للامر على المريد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اما اني لا انسى ولكن انسى لاشرع ولا تعجب من هذا فان الامم في كنف شفقة الانبياء كالصبيان في كنف شفقة الرعاة اما ترى الاب اذا اراد ان يستنطق ولده الصبي كيف ينزل الى درجة نطق الصبي كما قال صلى الله عليه وسلم للحسن رضي الله عنه كخ كخ لما اخذ تمرة من الصدقة ووضعها في فيه وما كانت فصاحته تقصر عن ان يقول ارم هذه التمرة فانها حرام ولكنه اذا علم انه لا يفهم منطقه ترك فصاحته ونزل الى لكنته بل الذي يعلم شاة او طيرا يصوت رغاء وصفيرا تشبها بالبهيمة والطير في تعليمه فاياك ان تغفل عن امثال هذه الدقائق فانها مزلة اقدام العارفين فضلا عن الغافلين والله اعلم

بيان اقسام العباد في دوام التوبة اعلم ان طبقات التائبين اربع **الطبقة الاولى** ان يتوب العاصي ويستقيم على التوبة الى آخر عمره فيتدارك ما فرط فيه من امره ولا يحدث نفسه بالعود الى ذنوبه الا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة هذا هو الاستقامة في التوبة وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس الساكنة النفس المطمئنة التي ترجع الى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين اليهم الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون المستهترون بذكر الله وضع الذكر اوزارهم فوردوا القيامة خفافا فان فيه اشارة الى انهم كانوا تحت اوزار وضعها الذكر عنهم ولاهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع الى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صراعها والى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه مليء بمجاهدتها وردها ثم تتفاوت درجات

النزاع ايضا بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الانواع يختلفون من حيث طول العمر فمن مختطف قريب من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته وحال هذا اعلى وافضل اذ كل سيئة انما يمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء انما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي عشر مرات ان يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى واشتراط هذا بعيد وان كان لا ينكر عظم اثره لو فرض ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف ان يسلك هذا الطريق فيهيج الشهوة ويحضر الاسباب حتى يتمكن ثم يطمع في الانكفاف فانه لا يؤمن خروج عنان الشهوة من اختياره فيقدم على المعصية وينقض توبته بل طريقه الفرار من ابتداء اسبابه الميسرة له حتى يسد طرقها على نفسه ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فبه تسلم توبته في الابتداء **الطبقة الثانية** تائب سلك طريق الاستقامة في امهات الطاعات وكبائر الفواحش كلها الا انه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتصميم وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجاري احواله من غير ان يقدم عزما على الاقدام عليها ولكنه كلما اقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على ان يتشمر للاحتراز من اسبابها التي تعرضه لها فهذه النفس جديرة بان تكون هي النفس اللوامة اذ تلوم صاحبها على ما يستهدف له من الاحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمير راي وقصد وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت نازلة عن الطبقة الاولى وهي اغلب احوال التائبين لان الشر معجون بطينة الآدمي فقلما ينفك عنه وانما غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فيترجح كفة الحسنات فاما ان تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال الله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة فكل المام يقع بصغيرة لا عن توطين نفس عليه فهو جدير بان يكون من اللمم المعفو عنه وقد قال الله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فاثنى عليهم مع ظلمهم انفسهم لندمهم ولومهم انفسهم عليه والى مثل هذه الرتبة الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه علي رضي الله عنه خياركم كل مفتن تواب وفي خبر آخر المؤمن كالسنبلة تفيء احيانا وتميل احيانا وفي الخبر لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة اي الحين بعد الحين فكل ذلك ادلة قاطعة على ان هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين ومن يؤيس مثل هذا عن درجات التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن الصحة عن دوامها بما يتناوله من الفواكه والاطعمة الحارة مرة بعد اخرى من غير مداومة واستمرار وكالفقيه الذي يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق في اوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المختطفات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بني آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون وقال

للمومن وانه واقع بخيرهم من مات على دفعه اي والله بالذنوب واقع بالتوبة والندم وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة فما وصفهم بعدم السيئة اصلا **الطبقة الثالثة** ان يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن قهر الشهوة الا انه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهرته هذه الشهوة الواحدة او الشهوتان وهو يود لو اقدره الله على قمعها وكفاه شرها هذا امنيته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم افعله وسأتوب عنه واجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول النفس المسولة وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فامره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما يتعاطاه مرجو فعسى الله ان يتوب عليه وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتاخيره فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره في المشية فان تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وان غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى ان يحق في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الازل لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على انه سبق له في الازل ان يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء في حقه واذا تيسرت له اسباب المواظبة على التحصيل دلت على انه سبق في الازل ان يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط سعادة الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والاشربة والادوية وارتباط حصول فقه النفس الذي يستحق به المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس فكما لا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية والتطهير هكذا سبق في الازل تقدير رب الارباب ولذلك قال ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فمهما وقع العبد في ذنب فصار الذنب نقدا والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان قال عليه السلام ان العبد ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه من اهلها ولا يبقى بينه وبينها الا شبر ثم يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها فاذن الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس فهو خاتمة اذ يمكن ان يكون الموت متصلا به فليراقب الانفاس والا وقع المحذور ودامت الحسرات حين لا ينفع التحسر **الطبقة الرابعة** ان يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود الى مقارفة الذنب او الذنوب من غير ان يحدث نفسه بالتوبة ومن غير ان يتاسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع شهوته فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هي النفس الامارة بالسوء والفرارة من الخير ويخاف على هذا سوء الخاتمة وامره في مشية الله فان ختم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر لها وان ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل ان يشمله عموم العفو بسبب خفي لا يطلع عليه كما لا يستحيل ان يدخل الانسان خرابا ليجد كنزا فيتفق ان يجده ولا ان يجلس في البيت

عليه

ليجعله الله عالما بالعلوم من غير تعلم كما كان للانبياء صلوات الله عليهم فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرد الرجاء مع خراب الاعمال كطلب الكنوز في المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة وليت من اجتهد تعلم وليت من اتجر استغنى وليت من صام وصلى غفر له فالناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون كلهم محرومون الا العاملون والعاملون كلهم محرومون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم وكما ان من خرب بيته وضيع امواله وترك نفسه وعياله جياعا يزعم انه ينتظر فضل الله بان يرزقه كنزا يجده تحت الارض في بيته الخرب يعد عند ذوي البصاير من الحمقى والمغرورين وان كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله وفضله فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله وهو مقصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة فهو معدود عند ارباب القلوب من المعتوهين والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه حماقته في صيغة حسنة اذ يقول ان الله كريم وجنته واسعة ليست تضيق عن مثلي ومعصيتي ليست تضره ثم تراه يركب البحار ويقتحم الاغوار في طلب الدينار واذا قيل له ان الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة ليس يضره فاجلس في بيتك فعساه يرزقك من حيث لا تحتسب فيستحمق قائل هذا الكلام ويستهزئ به ويقول ما هذا الهوس السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وانما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره الله رب الارباب واجرى به سنته ولا تبديل لسنة الله ولا يعلم المغرور ان رب الآخرة ورب الدنيا واحد وان سنته لا تبديل لها فيهما جميعا وانه قد اخبر اذ قال وان ليس للانسان الا ما سعى فكيف يعتقد انه كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال ومقتضاه الفتور عن الملك المقيم والنعيم الدائم وان ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد وهذا لا ينفعه مع شدة الاجتهاد في غالب الامر فنعوذ بالله من العمى والضلال فما هذا الا انتكاس على ام الراس وانغماس في ظلمات الجهل وصاحبه جدير بان يكون داخلا تحت قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا اي ابصرنا انك صدقت اذ قلت وان ليس للانسان الا ما سعى فارجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب السائق بالضرورة الى سوء المنقلب والمآب **بيان ما ينبغي ان يبادر اليه التائب ان جرى عليه ذنب** اما عن قصد وشهوة غالبة او عن المام بحكم الاتفاق اعلم ان الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضادها كما ذكرنا طريقه فان لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن احد الواجبين فلا ينبغي ان يترك الواجب الثاني وهو ان يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا والحسنات المكفرة للسيئات اما بالقلب واما باللسان واما بالجوارح ولتكن الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق باسبابها فاما بالقلب فليكفره بالتضرع الى الله سبحانه في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الآبق ويكون ذله بحيث يظهره لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فما للعبد المذنب الآبق وجه

للتكبر على سائر العباد وكذلك يضمر بقلبه الخيرات للمسلمين والعزم على الطاعات، واما باللسان فالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار كما اوردناه في كتاب الدعوات والاذكار واما بالجوارح فبالطاعات والصدقات وانواع العبادات وفي الآثار ما يدل على ان الذنب اذا اتبع بثمانية اعمال كان العفو عنه مرجوا اربعة من اعمال القلوب وهي التوبة او العزم على التوبة وحب الاقلاع عنه وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له واربعة من اعمال الجوارح وهي ان يصلي عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر الله بعدهما سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ثم يصوم يوما وفي بعض الآثار يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين وفي بعض الاخبار يصلي اربع ركعات وفي الخبر اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة فانها تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار، وفي الخبر الصحيح ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني عالجت امراة فاصبت منها كل شيء الا الوقاع فاقض علي بحكم الشرع فقال صلى الله عليه وسلم او ما صليت معنا صلوة الغداة فقال نعم فقال ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا يدل على ان ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلوة كفارة له بمقتضى قوله الصلوات الخمس كفارة لما بينهن الا الكبائر فعلى الاحوال كلها ينبغي ان يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجتهد في دفعها بالحسنات فان قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الاصرار، وفي الخبر المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله وكان بعضهم يقول استغفر الله من قولي استغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار فاعلم انه قد ورد في فضل الاستغفار اخبار خارجة عن الحصر ذكرناها في كتاب الاذكار والدعوات حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، وكان بعض الصحابة رضي الله عنه يقول كان لنا امانان ذهب احدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار فان ذهب هلكنا فنقول الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير ان يكون للقلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة وعن راس الغفلة استغفر الله وكما يقول اذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير ان يتأثر به قلبه وهذا يرجع الى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فاما اذا انضاف اليه تضرع القلب الى الله تعالى وابتهاله في سؤال المغفرة عن صدق ارادة وخلوص رغبة فهذه حسنة في نفسها فتصلح لان يدفع بها السيئة وعلى هذا تحمل الاخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال عليه السلام ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب وللتوبة وللاستغفار درجات واوائلها لا تخلو عن الفائدة وان لم ينته الى اواخرها ولذلك قال سهل لا بد للعبد في كل حال من مولاه فاحسن احواله ان يرجع اليه في كل شيء فان عصى قال يا رب استر علي فاذا فرغ من المعصية قال يا رب

تب علي فاذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل حسنة قال يا رب تقبل مني، و سئل ايضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال اول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاه بان يترك الخلق ثم يستغفر من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده ماواه ثم التنقل الى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضى زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وسئل ايضا عن قوله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله فقال انما يكون حبيبا اذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى التائبون العابدون الحامدون الآية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه محبوبه والمقصود ان للتوبة ثمرتين احدهما تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا وللتكفير ايضا درجات فبعضها محو لاصل الذنب بالكلية وبعضها تخفيف له ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وان خلا عن حل عقدة الاصرار من اوائل الدرجات وليس يخلو عن الفائدة اصلا فلا ينبغي ان يظن ان وجودها كعدمها بل عرف اهل المشاهدة وارباب القلوب معرفة لا ريب فيها ان قول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره صدق وانه لا يخلو ذرة من الخير عن اثر كما لا تخلو شعيرة تطرح في الميزان عن اثر ولو خلت الشعيرة الاولى عن اثر لكانت الثانية مثلها ولكان لا يترجح الميزان باحمال وذلك بالضرورة محال بل ميزان الحسنات يترجح بذرات الخيرات الى ان يثقل فيشيل كفة السيئات فاياك وان تستصغر ذرات الطاعات فلا ياتيها وذرات المعاصي فلا يتقيها كالمراة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد وتقول اي غنى يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب ولا تدري المعتوهة ان ثياب الدنيا اجتمعت خيطا خيطا وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذن التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله سبحانه وتعالى اصلا بل اقول الاستغفار باللسان ايضا حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة او فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه وانما يكون نقصانا بالاضافة الى عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه ابي عثمان المغربي رضي الله عنه ان لساني في بعض الاحوال يجري بالذكر والقرآن وقلبي غافل فقال اشكر الله اذ استعمل جارحة من جوارحك في خير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده الفضول وما ذكره حق فان تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي فمن تعود لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره كذبا سبق لسانه الى ما تعوده فقال استغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه الى ان يقول ما احمقك وما اقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة اذا حدث بظهور مبادي الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان نعوذ بالله واذا تعود الفضول قال لعنه الله فيعصي

في احدى الكلمتين ويسلم في الاخرى وسلامته اثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله
تعالى ان الله لا يضيع اجر المحسنين ومعاني قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها فانظر كيف ضاعفها اذ
جعل الاستغفار في الغفلة عادة للسان حتى دفع بتلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن و
الفضول هذا تضعيف في الدنيا لادنى الطاعات وتضعيف الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون
فاياك ان تلمح في الطاعات مجرد الآفات فتفتر رغبتك في العبادات فان هذه مكيدة روجها
الشيطان بلعنته على المغرورين وخيل اليهم انكم ارباب البصائر واهل التفطن للخفايا والسرائر
فاي خير في ذكر باللسان مع غفلة القلب فانقسم الخلق في هذه المكيدة الى ثلاثة اقسام ظالم
لنفسه ومقتصد وسابق اما السابق فقال صدقت يا ملعون ولكن هي كلمة حق اردت
بها باطلا فلا جرم اعذبك مرتين وارغم انفك من وجهين فاضيف الى حركة اللسان حركة القلب
فكان كالذي داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه واما الظالم المغرور فاستشعر في نفسه
خيلاء الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الاخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان الذكر
فاسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاكلة والموافقة كما قيل وافق شن
طبقه وافقه فاعتنقه واما المقتصد فلم يقدر على ارغامه باشراك القلب في العمل وتفطن
لنقصان حركة اللسان بالاضافة الى القلب ولكن اهتدى الى كماله بالاضافة الى السكوت و
الفضول فاستمر عليه وسأل الله سبحانه وتعالى ان يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير
فكان السابق كالحائك ذمت حياكته فتركها واصبح كاتبا والظالم المتخلف كالذي ترك
الحياكة واصبح كناسا والمقتصد كالحائك الذي عجز عن الكتابة فقال انا لا انكر مذمة الحياكة
ولكن الحائك مذموم بالاضافة الى الكاتب لا بالاضافة الى الكناس فاذا عجزت عن الكتابة فلا اترك
الحياكة ولذا قالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار فلا تظن انها ذمت
حركة اللسان من حيث انه ذكر الله بل ذمت غفلة القلب فهو يحتاج الى الاستغفار من غفلة
قلبه لا من حركة لسانه فان سكت عن الاستغفار باللسان ايضا احتاج الى استغفارين لا الى
استغفار واحد فهكذا ينبغي ان تفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمد والا جهلت معنى قال
القائل الصادق حسنات الابرار سيئات المقربين فان هذه امور تثبت بالاضافة فلا ينبغي
ان تؤخذ من غير اضافة بل ينبغي ان لا تستحقر ذرات الطاعات والمعاصي ولذلك قال
جعفر الصادق رضي الله عنه ان الله تعالى خبأ ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئا
فلعل رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلا تحقروا منها شيئا فلعل غضبه فيه وخبأ ولايته في
عباده فلا تحقروا منهم احدا فلعله ولي الله الركن الرابع في دواء التوبة وطريق
العلاج لحل عقدة الاصرار اعلم ان الناس قسمان شاب لا صبوة له نشأ على الخير واجتناب
الشر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب ربك من شاب ليست له صبوة
وهذا عزيز نادر القسم الثاني هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم هم ينقسمون الى
مصرين وتائبين وغرضنا ان نبين العلاج في حل عقدة الاصرار ونذكر الدواء فيه فاعلم ان

شفاء

شفاء التوبة لا يحصل الا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء اذ لا معنى للدواء
الا مناقضة لاسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وابطاله
ولا يبطل الشيء الا بضده ولا سبب للاصرار الا الغفلة والشهوة ولا يضاد الغفلة الا العلم و
لا يضاد الشهوة الا الصبر على قطع الاسباب المحركة للشهوة والغفلة راس الخطايا قال الله تعالى
اولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون فلا دواء اذن للتوبة الا معجون يعجن
من حلاوة العلم ومرارة الصبر كما يجمع في السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل و
يقصد بكل واحد منهما غرض آخر في العلاج بمجموعهما ليقمع الاسباب المهيجة للصفراء فهكذا
ينبغي ان تفهم علاج القلب مما به من مرض الاصرار فاذن لهذا الدواء اصلان احدهما العلم
والآخر الصبر فلا بد من بيانهما فان قلت اينفع كل علم لحل الاصرار ام لا بد من علم مخصوص
فاعلم ان كل العلوم بجملتها ادوية لامراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه كما ان علم
الطب نافع في علاج الامراض بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص فكذلك داء الاصرار فلنذكر
خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الابدان ليكون اقرب الى الفهم فنقول يحتاج المريض
الى التصديق بامور الاول ان يصدق على الجملة بان للمرض والصحة اسبابا يتوصل اليها
بالاختيار على ما رتبه مسبب الاسباب وهذا هو الايمان باصل الطب فان من لا يؤمن به لا
يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه مما نحن فيه الايمان باصل الشرع وهو ان
للسعادة في الآخرة سببا هو الطاعة وللشقاوة سببا وهو المعصية وهو الايمان باصل الشرع
وهذا لا بد من حصوله اما عن تحقيق او تقليد وكلاهما من جملة الايمان الثاني انه لا بد
وان يعتقد المريض في طبيب معين انه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لا يلبس
ولا يكذب فان ايمانه باصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الايمان ووزانه مما نحن فيه العلم
بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان بان كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف
الثالث انه لا بد وان يصغي الى الطبيب فيما يحذره من تناول الفواكه والاسباب المضرة
على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتماء فيكون شدة الخوف باعثا له على الاحتماء
ووزانه من الدين الاصغاء الى الآيات والاخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير
من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقى الى سمعه من ذلك من غير شك
واسترابة حتى ينبعث به الخوف المقوي على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج الرابع
ان يصغي الى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الاحتماء عنه ليعرفه اولا تفصيل ما
يضره من افعاله واحواله ومأكوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شيء ولا ينفعه
كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين ان كل عبد فليس يبتلى بكل
شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص او ذنوب مخصوصة وانما حاجته
في الحال مرهقة الى العلم بانها ذنوب ثم الى العلم بآفاتها وقدر ضررها في الدين ثم الى العلم
بكيفية التوصل الى الصبر عنها ثم الى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم تختص بها

ربع

اطباء الدين وهم العلماء ورثة الانبياء فالعاصي ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب
وهو العالم وان كان لا يدري ان ما يرتكبه ذنب فعلى العالم ان يعرفه وذلك ان يتكفل كل عالم
باقليم او بلدة او محلة او مسجد فيعلم اهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما
يسعدهم ولا ينبغي ان يصبر الى ان يسأل عنه بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس بنفسه فانهم
ورثة الانبياء والانبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون
على ابواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم فان مرضى القلوب لا
يعرفون مرضهم كما ان الذي على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف مرضه ما لم يعرفه غيره و
هذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة ان يرتبوا في كل قرية وكل محلة فقيها متدينا
يعلم الناس دينهم فان الخلق لا يولدون الا جهالا فلا بد من تبليغ الدعوة اليهم في الاصل
والفرع فالدنيا دار المرضى اذ ليس في بطن الارض الا ميت ولا على ظهرها الا سقيم ومرض القلوب
اكثر من مرض الابدان والعلماء اطباء والسلاطين قوام دار المرضى فكل مريض لم يقبل العلاج
بمداواة العالم يسلم الى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي والذي
غلب عليه الجنون الى القيم ليقيده بالسلاسل والاغلال ويكف شره عن نفسه وعن سائر الناس وانما
صار مرض القلوب اكثر من مرض الابدان لثلاث علل احديها ان المريض به لا يدري انه
مريض والثانية ان عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن فان عاقبته
موت مشاهد تنفر الطباع منه وما بعد الموت غير مشاهد فقلت النفرة عن الذنوب و
ان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن
من غير اتكال والثالثة وهو الداء العضال فقد الطبيب فان الاطباء هم العلماء وقد مرضوا
في هذه الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لا
يظهر نقصانهم فاضطروا الى اغواء الخلق والاشارة عليهم بما يزيدهم مرضا لان الداء المهلك هو
حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الاطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافا من ان
يقال لهم فما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون انفسكم فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وانقطع
الدواء وهلك الخلق لفقد الاطباء بل اشتغل الاطباء بفنون الاغواء فليتهم اذ لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا
وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم الا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم
ولا يتوصلون الى ذلك الا بالارجاء وتغليب اسباب الرجاء وذكر دلايل الرحمة لان ذلك
الذ في الاسماع واخف على الطباع فينصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد
جرأة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله ومهما كان الطبيب جاهلا او خائنا اهلك بالدواء
حيث يضعه في غير موضعه فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين متضادي العلة اما
الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا تطيق وضيق العيش
على نفسه بالكلية فيكسر سورة اسرافه في الخوف بذكر اسباب الرجاء ليعود الى الاعتدال
وكذا المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط والياس استعظاما لذنوبه

التي سبقت يعالج ايضا باسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب فاما معالجة
المغرور المسترسل في المعاصي بذكر اسباب الرجاء فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفاء
وذلك من دأب الجهال والاغبياء فاذن فساد الاطباء هي المعضلة الزباء التي ليست تقبل
الدواء اصلا فان قلت فاذكر الطريق الذي ينبغي ان يسلكه الواعظ في وعظه مع الخلق
فاعلم ان ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه نعم نشير الى الانواع النافعة في حل
عقدة الاصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي اربعة انواع النوع الاول ان يذكر ما في
القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين وكذلك ما ورد من الاخبار والآثار مثل قوله
صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان باربعة
اجوبة يقول احدهما يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر يا ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا
خلقوا ويقول الآخر ويا ليتهم اذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا وفي بعض الروايات تجالسوا
فتذاكروا ما علموا فيقول الآخر ويا ليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا وقال بعض السلف
اذا اذنب العبد امر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو امير عليه ان يرفع القلم ست ساعات
فان تاب واستغفر لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها وقال بعض السلف ما من
عبد يعصي الا استأذن مكانه من الارض ان يخسف به واستأذن سقفه من السماء ان
يسقط عليه كسفا فيقول الله تبارك وتعالى للارض والسماء كفا عن عبدي وامهلاه فانكما
لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب الي فاغفر له لعله يستبدل صالحا فابدله
حسنات فذلك معنى قوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما
من احد من بعده وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الطابع معلق بقائمة العرش
فاذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم ارسل الله الطابع فطبع على القلوب بما فيها
وفي حديث مجاهد رضي الله عنه القلب مثل الكف المفتوحة كلما اذنب ذنبا انقبضت اصبع
حتى تنقبض الاصابع كلها فيشتد على القلب فذلك هو القفل وقال الحسن رضي الله عنه
ان بين العبد وبين الله حدا من المعاصي معلوما اذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفقه
بعدها للخير والاخبار والآثار في ذم المعاصي ومدح التائبين لا تحصى فينبغي ان يستكثر الواعظ
منها ان كان وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام ما خلف دينارا ولا درهما انما
خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم بقدر ما اصابه النوع الثاني حكايات الانبياء والسلف
وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق
مثل احوال آدم عليه السلام في عصيانه وما لقيه من الاخراج من الجنة حتى روي انه لما اكل الشجرة
تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته فاستحيى التاج والاكليل من وجهه ان يرتفعا عنه
فجاءه جبريل عليه السلام فاخذ التاج عن راسه وحل الاكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش
اهبطا من جواري فانه لا يجاورني من عصاني فالتفت آدم الى حواء باكيا وقال هذا اول
شوم المعصية اخرجنا من جوار الحبيب وروي ان سليمن عليه السلام لما عوقب على خطيئته لاجل

البقال الذي عبد في داره اربعين يومًا وقيل ان المرأة سألته ان يحكم لابيها فقال نعم ولم يفعل
وقيل بل احب بقلبه ان يكون الحكم لابيها على خصمه لمكانها فسلب ملكه اربعين يومًا فهرب تائهًا
على وجهه وكان يسأل بكفه فلا يطعم فاذا قال اطعموني فاني سليمن بن داود شج وضرب وحكي
انه استطعم من بيت امرأة فطردته وبزقت في وجهه وفي رواية فاخرجت عجوز جرة فيها بول
فصبته على رأسه الى ان اخرج له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الاربعين ايام العقوبة
قال فجاءت الطيور فعكفت على رأسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله
واعتذر اليه من كان جنى عليه فقال لا الومكم فيما فعلتم من قبل ولا احمدكم في عذركم الآن هذا امر
كان من السماء ولا بد منه وروي في الاسرائيليات ان رجلا تزوج امرأة من بلدة وارسل عبده
ليحملها اليه فراودته نفسه وطالبته بها فجاهدها واستعصم قال فنبأه الله تع ببركة تقواه فكان
نبيًا في بني اسرائيل وفي قصص موسى انه قال للخضر عليه السلام بم اطلعك الله على علم الغيب قال بترك
المعاصي لاجل الله تع وروي ان سليمن عليه السلام كانت الريح تسير به فنظر الى قميصه نظرة وكان
عليه قميص جديد فكأنه اعجبه فوضعته الريح فقال لم فعلت ولم آمرك قالت انما نطيعك
اذا اطعت الله وروي ان الله تع اوحى الى يعقوب اتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف
قال لا قال لقولك لاخوته اخاف ان يأكله الذئب لم خفت عليه الذئب ولم ترجني ولم نظرت
الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له وكذلك لما قال يوسف اذكرني عند ربك قال الله تع فانساه
الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وامثال هذه الحكايات لا تحصى ولم يرد بها القرآن
والاخبار ورود الاسمار بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار ليعلم ان الانبياء لم يتجاوز عنهم في الذنوب
الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم نعم سعادتهم في ان عوجلوا بالعقوبة ولم يؤخروا الى الآخرة والاشقياء
يمهلون ليزدادوا اثما ولان عذاب الآخرة اشد واكبر فهذا ايضا مما ينبغي ان يكثر جنسه على اسماع
المصرين فانه نافع في تحريك دواعي التوبة **النوع الثالث** ان يقرر عندهم ان تعجيل العقوبة في
الدنيا متوقع على الذنب وان كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جناياته فرب عبد يتساهل
في امر الآخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا اكثر لفرط جهله فينبغي ان يخوف به فان الذنوب كلها
يتعجل في الدنيا شؤمها في غالب الامر كما حكي في قصة داود وسليمن حتى يضيق على العبد رزقه بسبب
ذنبه وقد تسقط منزلته عن القلوب ويستولي عليه اعداؤه قال صلى الله عليه وسلم ان العبد
ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقال ابن مسعود رضي الله عنه اني لاحسب ان العبد ينسى
العلم بالذنب يصيبه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه
ابدا وقال بعض السلف ليست اللعنة سوادا في الوجه ونقصا في المال انما اللعنة ان لا تخرج
من ذنب الا وقعت في مثله او شر منه وهو كما قال لان اللعنة هي الطرد والابعاد فاذا لم يوفق
للخير ويسر له الشر فقد ابعد والحرمان عن رزق التوفيق اعظم حرمان وكل ذنب فانه
يدعو الى ذنب آخر ويتضاعف فيحرم العبد به عن رزقه النافع في مجالسة العلماء المنكرين للذنوب
وعن مجالسة الصالحين بل يمقته الصالحون وحكي عن بعض العارفين انه كان يمشي في الوحل

جامعا ثيابه محترزا حتى زلقت رجله وسقط فقام وهو يمشي في وسط الوحل ويبكي ويقول
هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب وذنبين فعندها يخوض
الذنوب خوضا وهو اشارة الى ان الذنب يتعجل عقوبته بالانجرار الى ذنب ولذلك قال
الفضيل رضي الله عنه ما انكرت من تغير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك اورثتك ذلك وقال
بعضهم اني لاعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري وقال آخر اعرف العقوبة حتى في
فار بيتي وقال بعض صوفية الشام نظرت الى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت انظر اليه
فمر بي ابن الجلاء الدمشقي فاخذ بيدي فاستحييت منه فقلت يا ابا عبد الله سبحان الله تعجبت من
هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدي وقال لتجدن عقوبتها
ولو بعد حين قال فعوقبت بعد ثلثين سنة وقال ابو سليمن الداراني الاحتلام عقوبة وقال
لا تفوت احدا صلوة جماعة الا بذنب يذنبه وفي الخبر ما انكرتم من زمانكم فبما غيرتم من اعمالكم
وفي الخبر يقول الله عز وجل ان ادنى ما اصنع بالعبد اذا آثر شهوته على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي
وحكي عن ابي عمرو بن علوان في قصة يطول ذكرها قال فيها فكنت قائما اصلي ذات يوم فخامر
قلبي هوى طاولته بفكري حتى تولد منه شهوة الرجال فوقعت على الارض واسود جسدي كله
فاستترت في البيت ولم اخرج ثلاثة ايام وكنت اعالج غسله في الحمام بالصابون فلا يزداد الا
سوادا حتى انكشف بعد ثلاث فلقيت الجنيد رحمه الله وكان قد وجه الي من اشخصني من الرقة
فلما اتيته قال لي اما استحييت من الله تع كنت قائما بين يديه فسامرت نفسك بشهوة حتى استولت
عليك فاخرجتك من بين يدي الله فلولا اني دعوت الله لك وتبت اليه عنك للقيت الله تعالى
بذلك اللون قال فعجبت كيف علم ذلك وهو ببغداد وانا بالرقة واعلم انه لا يذنب العبد ذنبا
الا ويسود وجه قلبه فان كان سعيدا اظهر السواد على ظاهره لينزجر وان كان شقيا
اخفي عليه حتى ينهمك ويستوجب النار والاخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا من
الفقر والمرض وغيره بل من شؤم الذنب في الدنيا ان يكتسب ما بعده صفته فان ابتلي بشيء كان
عقوبة اخرى له ويحرم جميل الصبر حتى يتضاعف شقاوته وان اصابته نعمة كان استدراجا
له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه واما المطيع فمن بركة طاعته ان يكون كل نعمة في حقه
جزاء على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية فكفارة لذنبه وزيادة في درجاته **النوع الرابع** ذكر
ما ورد من العقوبة على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد
وذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير اهله وضع للدواء في غير موضعه بل ينبغي ان يكون العالم كالطبيب
الحاذق يستدل اولا بالنبض والسحنة ووجوه الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها
فليستدل بقرائن الاحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما وقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث قال له واحد اوصني ولا تكثر علي فقال لا تغضب وقال له آخر اوصني فقال
عليك باليأس مما في ايدي الناس فان ذلك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل
صلوة مودع واياك وما يعتذر منه وقال رجل لمحمد بن واسع اوصني فقال اوصيك بان تكون

مثلكا في الدنيا والآخرة فقال كيف لي بذلك قال الزم الزهد في الدنيا فكانه صلى الله عليه وسلم توسم
في السائل الاول مخايل الغضب فنهاه عنه وفي السائل الآخر مخايل الطمع في الناس وطول
الامل وتخيل محمد بن واسع رضي الله عنه في السائل مخايل الحرص على الدنيا وقال رجل
لمعاذ رضي الله عنه اوصني فقال كن رحيما اكن لك بالجنة زعيما فكانه تفرس فيه آثار الفظاظة
وقال رجل لابرهيم بن ادهم اوصني فقال اياك والناس وعليك بالناس ولا بد من الناس
فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقي النسناس وما اراهم
بالناس بل غمسوا في ماء الناس فكانه تفرس فيه آفة المخالطة او اخبر عما كان هو الغالب
على حاله في وقته وكان الغالب اذاه بالناس والكلام على قدر حال السايل اولى من ان يكون
بحسب حال القايل وكتب معوية الى عايشة رضي الله عنها ان اكتبي لي كتابا توصيني فيه و
لا تكثري فكتبت اليه من عايشة الى معوية سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضى الله
بسخط الناس كفاه الله مونة الناس والسلام عليك فانظر الى فقهها كيف تعرضت للآفة
التي تكون الولاة بصددها وهي مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكتبت مرة اخرى اما
بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيا
والسلام فاذا على كل ناصح ان تكون عنايته مصروفة الى توسم الصفات الخفية وتوسم الاحوال
اللايقة ليكون اشتغاله بالمهم فان حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكن و
الاشتغال بوعظه بما هو مستغن عنه وعظ فيه تضييع زمان فان قلت فان كان الواعظ
يتكلم في جمع او ساله من لا يدري باطن حاله ان يعظه فكيف يفعل فاعلم ان طريقه في ذلك
ان يعظه بما يشترك كافة الخلق في الحاجة اليه اما على العموم واما على الاكثر فان في علوم
الشرع اغذية وادوية فالاغذية للكافة والادوية لارباب العلل ومثاله ما روي ان رجلا قال
لابي سعيد الخدري رضي الله عنه اوصني فقال عليك بتقوى الله عز وجل فانه راس كل خير وعليك
بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن فانه نور لك في اهل الارض وذكر في اهل
السماء وعليك بالصمت الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال رجل للحسن رضي الله عنه
اوصني فقال اعز امر الله يعزك الله وقال لقمن لابنه يا بني زاحم العلماء بركبتيك ولا
تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وانفق فضول كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا
كل الرفض فتكون عيالا وعلى اعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر
بصلوتك فان الصلوة افضل من الصوم ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين وقال
ايضا لابنه يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب ولا تسال عما لا يعنيك ولا تضيع
مالك ولا تصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني ان من يرحم يرحم ومن
يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل
لابي حازم رضي الله عنه اوصني فقال كل ما لو جاءك الموت عليه رايته غنيمة فالزمه وكل ما لو جاءك

الموت

الموت عليه فرايته مصيبة فاجتنبه وقال موسى عليه السلام للخضر اوصني فقال كن بساما و
لا تكن غضابا وكن نفاعا ولا تكن ضرارا وانزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير
عجب ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران وقال رجل لمحمد بن كرام اوصني
فقال اجتهد في رضى خالقك بقدر ما تجتهد في رضى نفسك وقال رجل لحامد اللفاف
اوصني فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف كيلا تدنسه الآفات قال وما غلاف
الدين قال ترك طلب الدنيا الا ما لا بد منه وترك كثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس
الا فيما لا بد منه وكتب الحسن البصري رضي الله عنه الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اما بعد
فخف ما خوفك الله واحذر ما حذرك الله وخذ مما في يديك لما بين يديك فعند الموت ياتيك
الخبر اليقين والسلام وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى الحسن رضي الله عنه يساله ان
يعظه فكتب اليه اما بعد فان الهول الاعظم والامور المفظعات امامك ولا بد لك من مشاهدة
ذلك فاما بالنجاة واما بالعطب واعلم ان من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن
نظر في العواقب نجا ومن اطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف امن ومن امن اعتبر ومن
اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم فاذا زللت فارجع واذا ندمت فاقلع واذا
جهلت فسل واذا غضبت فامسك وكتب مطرف بن عبد الله رضي الله عنه الى عمر بن
عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده
فكن فيها يا امير المومنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدوا لما يخاف من عاقبة الداء و
كتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة اما بعد فان الدنيا عدوة اولياء الله وعدوة
اعداء الله اما اولياؤه فغمتهم واما اعداؤه فغرتهم وكتب ايضا الى بعض عماله
اما بعد فقد امكنتك المقدرة من ظلم العباد فاذا هممت بظلم احد فاذكر قدرة الله عليك
واعلم انك لا تاتي الى الناس شيا الا كان زايلا عنهم باقيا عليك واعلم ان الله عز وجل آخذ
للمظلومين من الظالمين والسلام فهكذا ينبغي ان يكون وعظ العامة ووعظ من لا يدرى
خصوص واقعته فهذه المواعظ مثل الاغذية التي تشترك الكافة في الانتفاع بها ولاجل
فقد مثل هولاء الوعاظ انحسم باب الاتعاظ وغلبت المعاصي واستشرى الفساد وبلي
الخلق بوعاظ يزخرفون اسجاعا وينشدون ابياتا ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة علمهم و
يتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادرا من
القلب ليصل الى القلب بل القايل متصلف والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف
واذا كان طلب الطبيب اول علاج المرضى فطلب العلماء اول علاج العاصين فهذا احد
اركان العلاج واصوله الاصل الثاني الصبر ووجه الحاجة اليه ان المريض انما يطول
مرضه لتناوله ما يضره وانما يتناوله اما لغفلته عن مضرته واما لشدة غلبة شهوته
فله سببان فما ذكرناه علاج الغفلة فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجه بين قد ذكرناه
في كتاب رياضة النفس وحاصله ان المريض اذا اشتدت ضراوته بماكول مضر فطريقه

ان يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره ثم يتسلى عنه بما يقرب منه في صورة
ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الالم الذي يناله في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر فكذلك
يعالج الشهوة في المعاصي كالشاب مثلا اذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه وحفظ
قلبه او حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته فينبغي ان يستشعر ضرر دينه بان يستقري المخوفات
التي جاءت فيه من كتاب الله وسنة رسوله فاذا اشتد خوفه تباعد عن الاسباب المهيجة لشهوته و
مهيج الشهوة من خارج هو حضور المشتهى والنظر اليه وعلاجه الهرب والعزلة ومن داخل تناول
لذائذ الاطعمة وعلاجه الجوع والصوم الدائم وكل ذلك لا يتم الا بصبر ولا يصبر الا عن خوف ولا يخاف
الا عن علم ولا يعلم الا عن بصيرة وافتكار او عن سماع وتقليد فاول الامر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع
من قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف الى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم وينبعث من تمامه لا محالة
خوفه واذا قوي الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعثت الدواعي لطلب العلاج وتوفيق الله وتيسيره من
وراء ذلك فمن اعطى من قلبه حسن الاصغاء واستشعر الخوف فاتقى وانتظر الثواب وصدق
بالحسنى فسنيسره الله لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره الله للعسرى
ثم لا يغني عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما على الانبياء الا شرح طرق الهدى
وان لله الآخرة والاولى **فان قلت** فقد رجع الامر كله الى الايمان لان ترك الذنب لا يمكن الا
بالصبر والصبر لا يمكن الا بمعونة الخوف والخوف لا يحصل الا بالعلم بعظم ضرر الذنوب والتصديق
بعظم ضرر الذنوب هو تصديق بالله ورسوله وهو الايمان فكان من اصر على الذنب لم يصر الا لانه غير
مؤمن **فاعلم** ان هذا لا يكون لفقد الايمان بل يكون لضعف الايمان اذ كل مؤمن مصدق
بان المعصية سبب البعد من الله وسبب العقاب في الآخرة ولكن سبب وقوعه في الذنب امور
احدها ان العقاب الموعود غيب ليس بحاضر والنفس جبلت متأثرة بالحاضر فتأثرها
بالموعود ضعيف بالاضافة الى تأثرها بالحاضر الثاني ان الشهوات الباعثة على الذنوب
لذاتها ناجزة وهي في الحال آخذة بالمخنق وقد قوي ذلك واستولى بسبب الالف والاعتياد
والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل لخوف الآجل شديد على النفس ولذلك قال تعالى
كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال بل تؤثرون الحيوة الدنيا وقد عبر عن شدة الامر
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقوله صلى الله
عليه وسلم ان الله خلق النار فقال لجبرئيل عليه السلام اذهب فانظر اليها فنظر فقال وعزتك
لا يسمع بها احد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر اليها فذهب فنظر فقال
وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها فنظر فقال وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها فحفها
بالمكاره فنظر فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يبقى احد الا دخلها وخلق الجنة فقال لجبرئيل
عليه السلام اذهب فانظر اليها فذهب فنظر فقال وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها فحفها
بالمكاره ثم قال اذهب فانظر اليها فذهب فنظر فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احد
فاذن كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متأخرا الى المآل سببان ظاهران في الاسترسال

مع حصول اصل الايمان فليس كل من شرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه مكذبا باصل الطب
ولا مكذبا بان ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تغلبه والم الصبر عنه ناجز فيهون عليه الم المنتظر
الثالث انه ما من مؤمن الا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وقد وعد
بان ذلك يجبره الا ان طول الامل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير فمن حيث
رجاؤه توفيق التوبة ربما يقدم عليه مع الايمان الرابع انه ما من مؤمن الا وهو معتقد ان الذنب
لا يوجب العقوبة ايجابا لا يمكن العفو عنها فهو يذنب وينتظر العفو اتكالا على فضل الله فهذه
اسباب اربعة موجبة للاصرار على الذنب مع بقاء اصل الايمان نعم قد يقدم المذنب بسبب خامس
يقدح في اصل ايمانه وهو كونه شاكا في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي يحذره الطبيب تناول
ما يضره في المرض وكان المحذر ممن لا يعتقد فيه انه عالم بالطب فيكذبه او يشك فيه فلا يبالي به
فهذا هو الكفر **فان قلت** فما علاج الاسباب الخمسة **فاقول** هو الفكر وذلك بان
يقرر على نفسه في السبب الاول وهو تأخر العقاب ان كل ما هو آت آت وان غدا لناظره قريب
وان الموت اقرب الى كل احد من شراك نعله فما يدريه فلعل الساعة قريب والمتأخر اذا وقع صار
ناجزا ويذكر نفسه انه ابدا في دنياه يتعب في الحال لخوف امر في الاستقبال اذ يركب البحار و
يقاسي الاسفار لاجل الربح الذي يظن انه قد يحتاج اليه في ثاني الحال بل لو مرض واخبره نصراني
طبيب بان شرب الماء البارد يضره ويسوقه الى الموت وكان الماء البارد الذ الاشياء عنده
تركه مع ان الموت الم لحظة اذ لم يخف ما بعده ومفارقته للدنيا لا بد منها فكم نسبة وجوده
في الدنيا الى عدمه ازلا وابدا فلينظر كيف يبادر الى ترك ملاذه بقول ذمي لم تقم معجزة على طبه فيقول
كيف يليق بعقلي ان يكون الانبياء المؤيدون بالمعجزات دون نصراني يدعي الطب لنفسه بلا
معجزة ولا يشهد له الا عوام الخلق وكيف يكون عذاب النار اخف عندي من عذاب المرض
وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين الف سنة من ايام الدنيا وبهذا التفكر بعينه يعالج اللذة
الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول اذا كنت لا اقدر على ترك لذاتي ايام العمر وهي ايام قلائل
فكيف اقدر على ذلك ابد الآباد واذا كنت لا اطيق الم الصبر فكيف اطيق الم النار واذا كنت لا اصبر
عن زخارف الدنيا مع كدورتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف اصبر عن نعيم الآخرة و
اما تسويف التوبة فيعالجه بالتفكر في ان اكثر صياح اهل النار من التسويف لان المسوف
يبني الامر على ما ليس اليه وهو البقاء فلعله لا يبقى وان بقي فلا يقدر على الترك غدا كما لا يقدر عليه
اليوم فليت شعري هل عجز في الحال الا لغلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقه غدا بل تتضاعف
اذ تتأكد بالاعتياد فليست الشهوة التي اكدها الانسان بالعادة كالتي لم يؤكدها وعن هذا
هلك المسوفون لانهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون ان الايام متشابهة في ان ترك
الشهوات فيها ابدا شاق وما مثال المسوف الا مثال من احتاج الى قلع شجرة فرآها قوية لا
تنقلع الا بمشقة شديدة فقال اؤخرها سنة ثم اعود اليها وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد
رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا اعظم من حماقته اذ عجز مع

قوته عن مقاومة ضعيف فاخذ ينتظر الغلبة عليه اذا اضعف هو في نفسه وقوي الضعيف
واما المعنى الرابع وهو انتظار عفو الله تعالى عنه فعلاجه ما سبق فمن ينفق جميع امواله ويترك نفسه
وعياله فقراء منتظرا من فضل الله ان يرزقه العثور على كنز في ارض خربة فان امكان العفو
عن الذنب مثل هذا الامكان وهو مثل من توقع النهب من الظلمة في بلده وذخائر امواله في صحن
داره وقدر على دفنها واخفائها فلم يفعل وقال انتظر من فضل الله ان يسلط غفلة على الظالم
الناهب حتى لا يتفرغ الى داري او اذا انتهى الى داري مات على باب الدار فان الموت ممكن و
الغفلة ممكنة وقد حكي في الاسمار ان مثل ذلك وقع فانا انتظر من فضل الله مثله فمنتظر هذا منتظر
امر ممكن ولكنه في غاية الحماقة واما المعنى الخامس وهو الشك وهذا كفر وعلاجه
الاسباب التي تعرفه صدق الرسل وذلك يطول ولكن يمكن ان يعالج بعلم قريب يليق بحد
عقله فيقال له ما قاله الانبياء المؤيدون بالمعجزات صدقه هل هو ممكن او تقول اعلم انه محال كما
اعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فان قال اعلم استحالته كذلك فهو
اخرق معتوه وكانه لا وجود لمثل هذا في العقلاء وان قال انا شاك فيه فيقال ولو اخبرك شخص واحد
مجهول عند تركك طعامك في البيت لحظة انه قد ولغت فيه حية والقت سمها فيه وجوزت صدقه
فهل تاكله ام تتركه وان كان الذ الاطعمة فسيقول اتركه لا محالة لاني اقول ان كذب فلا يفوتني
الا هذا الطعام والصبر عنه وان كان شديدا فهو قريب وان صدق فيفوتني الحيوة والموت
بالاضافة الى الم الصبر عن الطعام واضاعته شديد فيقال يا سبحان الله كيف تاخر صدق الانبياء
كلهم مع ما ظهر عليهم من المعجزات وصدق كافة العلماء والاولياء والحكماء بل جميع اصناف
العقلاء ولست اعني بهم جهال العوام بل ذوي الالباب عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضا
فيما يقول فليس في العقلاء الا من صدق باليوم الآخر واثبت ثوابا وعقابا وان اختلفوا في كيفيته فان
صدقوا فقد اشرفت على عذاب يبقى ابد الاباد وان كذبوا فلا يفوتك الا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية
المكدرة فلا يبقى له توقف ان كان عاقلا مع هذا الفكر اذ لا نسبة لمدة العمر الى ابد الاباد بل لو قدر
الدنيا مملوة بالذرة وقدرنا طائرا يلتقط في كل الف الف سنة منها حبة واحدة لفنيت الذرة و
لم ينقص من ابد الاباد شيء فكيف يفتر راي العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لاجل
سعادة تبقى ابد الاباد وذلك لا منتهى له ولذلك قال ابو العلاء المعري قال المنجم والطبيب
كلاهما لن تحشر الاموات قلت اليكما ان كان صدقا فاستراح جميعنا وان كان كذبا فالخسار عليكما
ولذلك قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الامور وكان
شاكا ان صح ما قلت فقد تخلصنا جميعا والا فقد تخلصنا وهلكت اي العاقل يسلك طريق
الامن في جميع الاحوال فان قلت فهذه امور جلية ولكنها ليست تنال الا بالفكر فما بال القلوب
هجرت الفكر واستثقلته وما علاج القلوب لردها الى الفكر لا سيما من آمن باصل الشرع و
تفصيله فاعلم ان المانع من الفكر امران احدهما ان الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة
واهوالها وشدائدها وحسرات العاصين في الحرمان عن النعيم المقيم وهذا فكر لذاع مؤلم للقلب فينفر

القلب عنه ويتلذذ بالفكر في امور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة والثاني ان الفكر شغل
في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات وما من انسان الا وله في كل حالة من احواله و
نفس من انفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخر الشهوته فهو مشغول بتدبير
طلبه وصارت لذته في طلب الحيلة فيه او في مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك واما
علاج هذين المانعين فهو ان يقول لقلبه ما اشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت
وما بعده تالما بذكره مع استحقار الم مواقعته فكيف تصبر على مقاساته اذا وقع وانت عاجز عن
الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتالم به واما الثاني وهو كون الفكر مفوتا للذات الدنيا
فهو ان يتحقق ان فوات لذات الآخرة اشد واعظم فانها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات
الدنيا سريعة الدثور وهي مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية عن كدر وكيف وفي التوبة
عن المعاصي والاقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تع واستراحة بمعرفته وطاعته وطول الانس
به ولو لم يكن للمطيع جزاء على عمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة الله تع لكان
ذلك كافيا فكيف بما ينضاف اليه من نعيم الآخرة نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكنه يصبر
عليه مدة مديدة وقد صار الخير ديدنا كما كان الشر ديدنا فالنفس قابلة ما عودتها تتعود
الخير عادة والشر لجاجة فاذن هذه الافكار هي المهيجة للخوف المهيج لقوة الصبر عن اللذات
ومهيج هذه الافكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب باسباب تتفق لا تدخل في الحصر فيصير
الفكر موافقا للطبع فيميل القلب اليه ويعبر عن السبب الذي اوقع الموافقة بين الطبع وبين الفكر
الذي هو سبب الخير بالتوفيق اذ التوفيق هو التاليف بين الارادة وبين المعنى الذي هو طاعة
نافعة في الآخرة وقد روي في حديث طويل انه قام عمار بن ياسر رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين
لعلي رضي الله عنه اخبرنا عن الكفر على ماذا بني فقال على اربع دعائم على الجفا والعمى والغفلة و
الشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمي نسي الذكر ومن غفل
حاد عن الرشد وغرته الاماني ومن شك لم يثبت ايمانه ولم يتحقق اسلامه فبقي مذبذبا لا الى هؤلاء ولا
الى هؤلاء الى ان اتاه اليقين فاخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب فما ذكرناه بيان
لبعض آفات الغفلة عن التفكر وهذا القدر كاف في التوبة واذا كان الصبر ركنا من اركان
دوام التوبة فلا بد من بيان الصبر فلنذكره في كتاب مفرد ان شاء الله تع تم كتاب التوبة و
هو الكتاب الاول من ربع المنجيات ويتلوه كتاب الصبر والشكر والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله

كتاب الصبر والشكر وهو الكتاب الثاني من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين
الحمد لله اهل الحمد والثناء المتفرد برداء الكبرياء المتوحد بصفات المجد والعلاء المؤيد
صفوة الاولياء بقوة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء والصلوة على محمد
سيد الانبياء وعلى اصحابه سادة الاصفياء وعلى آله قادة البررة الاتقياء صلوة محروسة

بالدوام عن الفناء ومصونة بالتعاقب عن التصرم والانقضاء. **أما بعد** فإن الإيمان نصفان
نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الأخبار وشهدت له الآثار وهما أيضا وصفان
من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى إذ سمى نفسه صبورا وشكورا فالجهل بحقيقة الصبر والشكر
جهل بكلا شطري الإيمان ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن ولا سبيل للوصول إلى القرب
من الله إلا بالإيمان وكيف يتصور سلوك سبيل الإيمان دون معرفة ما به الإيمان ومن به الإيمان و
التقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الإيمان وعن إدراك ما به الإيمان فما أحوج
كلا الشطرين إلى الإيضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط أحدهما
بالآخر. **الشطر الأول في الصبر** وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته و
بيان كونه نصف الإيمان وبيان اختلاف أساميه باختلاف متعلقاته وبيان أقسامه
بحسب اختلاف القوة والضعف في الإيمان وبيان مظان الحاجة إلى الصبر وبيان دواء
الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول مشتملة على جميع مقاصده. **بيان
فضيلة الصبر** قد وصف الله سبحانه الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف و
سبعين موضعا وأضاف أكثر الخيرات والدرجات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل و
جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا
وقال ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وقال أولئك يؤتون أجرهم مرتين
بما صبروا وقال إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب
إلا الصبر ولأجل كون الصوم من الصبر فإنه نصف الصبر قال الصوم لي وأنا أجزي به فأضافه إلى
نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بأنه معهم قال واصبروا إن الله مع الصابرين
وعلق النصرة على الصبر فقال بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف
من الملائكة مسومين وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال أولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون فالهدى والصلوات والرحمة مجموعة للصابرين و
استقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول. وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم الصبر
نصف الإيمان على ما سيأتي وجه كونه نصفا وقال صلى الله عليه وسلم من أقل ما أوتيتم اليقين
وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولأن تصبروا
على مثل ما أنتم عليه أحب إلي من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني أخاف أن تفتح
عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر
بكمال ثوابه ثم قرأ قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم الآية. و
روى جابر رضي الله عنه أنه سئل صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال الصبر والسماحة وقال أيضا
الصبر كنز من كنوز الجنة وسئل مرة ما الإيمان فقال الصبر وهذا يشبه قوله الحج عرفة وقال
أيضا أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس وقيل أوحى الله إلى داود تخلق بأخلاقي وإن من
أخلاقي أني أنا الصبور. وفي حديث عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه لما دخل رسول الله صلى الله عليه و

سلم على الأنصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقالوا نعم يا رسول الله فقال وما علامة إيمانكم
فقالوا نشكر الله على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال عليه السلام مؤمنون ورب
الكعبة. وقال صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما تكره خير كثير وقال المسيح عليه السلام إنكم لا تدركون
ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون. وقال صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله
يحب الصابرين والأخبار في هذا مما لا يحصى. وأما الآثار فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عليكم بالصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر
الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله واعلم أن الصبر ملاك الإيمان وذلك
بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر وقال علي رضي الله عنه بني الإيمان على أربع دعائم اليقين
والصبر والجهاد والعدل وقال أيضا الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس
له ولا إيمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعم العلاوة للصابرين يعني بالعدلين
الصلوة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير وأشار به إلى قوله تعالى
أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون. وكان حبيب بن أبي حبيب إذا
قرأ هذه الآية إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب بكى وقال واعجباه أعطى وأثنى أي هو المعطي
للصبر وهو المثني عليه وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضى بالقدر
وهذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل وأما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه إلا
بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه إذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل إلا بمعرفة الموصوف
فلنذكر حقيقته ومعناه. **بيان حقيقة الصبر ومعناه** اعلم أن الصبر مقام من مقامات
الدين ومنزل من منازل السالكين وجميع مقامات الدين إنما ينتظم من ثلاثة أمور معارف وأحوال و
أعمال فالمعارف هي الأصول وهي تورث الأحوال والأحوال تثمر الأعمال فالمعارف هي كالأشجار و
الأحوال كالأغصان والأعمال كالثمار وهذا مطرد في جميع منازل السالكين إلى الله تعالى واسم
الإيمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل كما ذكرناه في اختلاف اسم الإيمان والإسلام في
كتاب قواعد العقائد وكذلك الصبر لا يتم إلا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة فالصبر على التحقيق عبارة
عنها والعمل هو كالثمرة يصدر منها ولا يعرف هذا إلا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والإنس و
البهائم فإن الصبر خاصية الإنسان ولا يتصور ذلك في البهائم والملائكة أما في البهائم فلنقصانها
وأما في الملائكة فلكمالها وبيانه أن البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة
لها فلا باعث لها على الحركة والسكون إلا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن
مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا وأما الملائكة فإنهم جردوا ل
لشوق إلى الحضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم يسلط عليهم شهوة صارفة صادة
عنها حتى تحتاج إلى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر تغلب الصوارف وأما الإنسان
فإنه خلق في ابتداء الصبى ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو محتاج إليه
ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة إذ الصبر

عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما وليس
في الصبي الا جند الهوى كما في البهائم ولكن الله بفضله وسعة جوده اكرم ابن آدم ورفع
درجته عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين احدهما يهديه والآخر
يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين احديهما معرفة الله ورسوله ومعرفة المصالح
المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف فالبهيمة لا معرفة لها
ولا هداية الى مصلحة العواقب بل الى مقتضى شهوتها في الحال فقط فلذلك لا تطلب الا اللذيذ فاما الدواء
النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تعرفه ولا تطلبه فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات
له مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر
فكم من مضر يعرفه كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها في
نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله به ملكا آخر يسدده و
يؤيده ويقويه بجنود لم تروها وامر هذا الجند بقتال جنود الشهوة فتارة يضعف هذا الجند
وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله عبده بالتأييد كما ان نور الهداية ايضا يختلف في الخلق اختلافا
لا يحصى فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعثا
دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم ان القتال قائم بين باعث
الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين
من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله فالصبر
عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة
فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبت الشهوة ولم يصبر في دفعها
التحق باتباع الشياطين فاذن ترك الافعال المشتهاة عمل يثمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث
الدين في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال يثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها
لاسباب السعادات في الدنيا والآخرة فاذا قوي يقينه اعني المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون
الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله تعالى قوي ثبات باعث الدين واذا قوي ثباته تمت الافعال على
خلاف ما يتقاضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة
وقوة المعرفة والايمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان
بهذين الجندين باذن الله تعالى وتسخيره اياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الموكلان بكل
شخص من الآدميين واذا عرفت ان رتبة الملك الهادي اعلى من رتبة الملك المقوي لم يخف
عليك ان جانب اليمين الذي هو اشرف الجانبين من جنبي الدست ينبغي ان يكون مسلما له فهو
اذن صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال
والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسيء اليه فيكتب اعراضه سيئة وبالفكر
مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب له حسنة وكذا بالاسترسال معرض عن
صاحب السداد تارك للاستمداد منه فهو به مسيء اليه فيكتب عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من

جوده فيثبت له به حسنة وانما تثبت هذه الحسنات والسيئات باثباتهما فلذلك سميا كراما
كاتبين اما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولان الملائكة كلهم بررة واما الكاتبون فلاثباتهما
الحسنات والسيئات وانما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع
عليه في هذا العالم فانهما وكتبتهما وخطهما وصحائفهما وجملة ما يتعلق بهما من عالم الغيب
والملكوت لا من عالم الشهادة وشيء من عالم الملكوت لا تدركه الابصار في هذا العالم ثم ينشر هذه
الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيمة الصغرى ومرة في القيمة الكبرى واعني بالقيمة الصغرى
حالة الموت اذ قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته وفي هذه القيمة يكون العبد
وحده وعندها يقال له ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وفيها يقال كفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا اما في القيمة الكبرى الجامعة لكافة الخلق لا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من
الخلق وفيها يساق المتقون الى الجنة والمجرمون الى النار زمرا لا آحادا والهول الاول هو هول
يوم القيمة الصغرى ولجميع احوال القيمة الكبرى نظير في القيمة الصغرى مثل زلزلة الارض
مثلا وان ارضك الخاصة بك تزلزل في الموت فانك تعلم ان الزلزلة اذا نزلت ببلدة صدق ان
يقال قد زلزلت ارضهم وان لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الانسان و
داره فقد حصلت الزلزلة في حقه لانه انما يتضرر عند زلزلة جميع الارض بزلزلة مسكنه لا
بزلزلة مسكن غيره فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان واعلم انك ارض مخلوق
من التراب وحظك الخاص من التراب بدنك فقط فاما بدن غيرك فليس بحظك والارض التي انت
جالس عليها بالاضافة الى بدنك ظرف ومكان انما تخاف من تزلزلها ان يتزلزل بدنك بسببه و
الا فالهواء ابدا متزلزل وانت لا تخشاه اذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة الارض كلها
زلزلة بدنك فقط فهي ارضك وترابك الخاص بك وعظامك جبال ارضك ورأسك سماء ارضك
وقلبك شمس ارضك وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك ومفيض العرق من بدنك بحر
ارضك وشعورك نبات ارضك واطرافك اشجار ارضك وهكذا الى جميع اجزائك فاذا انهدم
بالموت اركان بدنك فقد زلزلت الارض زلزالها واذا انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت
الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فاذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفا فاذا اظلم قلبك
عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا فاذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت
النجوم انكدارا فاذا تشقق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا فاذا انفجر من هول الموت عرق
جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدى ساقيك بالاخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار
تعطيلا فاذا فارق الروح الجسد فقد حملت الارض فمدت حتى القت ما فيها وتخلت ولست
اطول بموازنة جميع الاحوال والاهوال ولكني اقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيمة فلا يفوتك
من القيمة الكبرى شيء مما يخصك بل ما يخص غيرك فان بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت
حواسك التي بها تنتفع بالكواكب والاعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها
لانه قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهو حصته منه فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ومن انشقت

راسه فقد انشقت سماؤه اذ السماء عبارة عما يلي جهة الراس فمن لا راس له لا سماء له فمن اين ينفعه بقاء
السماء لغيره فهذه هي الصاخة الصغرى والجرح بعد اسفل والهول بعد مدخر وذلك اذا جاءت
الطامة الكبرى واذا نفخ في الصور وبطلت السموات والارض ونسفت الجبال وتمت الاهوال
واعلم ان هذه الصغرى وان طولنا في وصفها فانا لم نذكر عشر عشير اوصافها فهي بالنسبة الى
القيمة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة الى الولادة الكبرى فان للانسان ولادتين احديهما
الخروج من الصلب والترائب الى مستودع الارحام وهو في الرحم في قرار مكين الى قدر معلوم وله في
سلوكه الى الكمال منازل واطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها الى ان يخرج من مضيق الرحم الى
فضاء العالم فنسبة عموم القيمة الكبرى الى خصوص القيمة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم
الى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه بالموت الى سعة فضاء الدنيا
كنسبة فضاء الدنيا ايضا الى الرحم بل اوسع واعظم فقس الآخرة بالاولى فما خلقكم ولا بعثكم الا
كنفس واحدة وما النشاة الثانية الا على قياس النشاة الاولى بل اعداد النشات ليست محصورة
في اثنين واليه الاشارة بقوله تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون فالمقر بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب
والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمقر بالقيمة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء
الى احد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالاعور الدجال فما اعظم غفلتك يا مسكين
وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الاهوال فان كنت لا تؤمن بالقيمة الكبرى بالجهل والضلال
افلا يكفيك القيمة الصغرى او ما سمعت قول سيد الانبياء كفى بالموت واعظا او ما سمعت بكربه
في وقت الموت حتى قال اللهم هون على محمد سكرات الموت او ما تستحيي من استبطائك هجوم
الموت اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا
يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون فياتيهم المرض نذيرا من الموت فلا ينزجرون
وياتيهم الشيب رسولا منه فما يعتبرون فيا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا
به يستهزؤون افيظنون انهم في الدنيا خالدون او لم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون
انهم اليهم لا يرجعون ام يحسبون ان الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا ان كل
لما جميع لدينا محضرون ولكن ما ياتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين وذلك لانا جعلنا
من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم ءانذرتهم ام
لم تنذرهم لا يؤمنون ولنرجع الى الغرض فان هذه تلويحات تشير الى امور هي اعلى من علوم المعاملة
فنقول قد ظهر ان الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه
المقاومة من خاصية الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئا من الصبيان والمجا
اذ ذكرنا ان الحسنة في الاقبال على الاستفادة منهما والسيئة في الاعراض عنهما وما للصبيان و
المجانين سبيل الى الاستفادة فلا يتصور منهما اقبال واعراض فهما لا يكتبان الا الاقبال و
الاعراض من القادرين على الاقبال والاعراض ولعمري تظهر مبادي اشراق نور الهداية عند سن
التمييز وينمو على التدريج الى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح الى ان يطلع قرص الشمس ولكنها هداية

قاصرة لا ترشد الى مضار الآخرة بل الى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوة ناجزا ولا يعاقب
في الآخرة ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر في الآخرة بل على القيم العدل والولي البر الشفيق
ان كان من الابرار وكان على سمت البررة الاخيار ان يكتب على الصبي سيئته وحسنته على صحيفة
قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذا سمته في حق
الصبي فقد ورث اخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين
كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والمقربين من الصديقين واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة

بيان كون الصبر نصف الايمان

اعلم ان الايمان تارة يختص في
اطلاقه بالتصديقات باصول الدين وتارة يختص بالاعمال الصالحة منها وتارة يطلق عليهما جميعا و
للمعارف ابواب وللاعمال ابواب ولاشتمال لفظ الايمان على جميعها كان الايمان نيفا وسبعين
بابا واختلاف هذه الاطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقايد من ربع العبادات ولكن الصبر
نصف الايمان باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين احدهما ان يطلق على التصديقات والاعمال
جميعا فيكون للايمان ركنان احدهما اليقين والآخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة
بهداية الله عبده الى اصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين اذ اليقين يعرفه ان المعصية
ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو استعمال
باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث الى آخره
الاعتبار الثاني ان يطلق على الاحوال المثمرة للاعمال لا على المعارف وعند ذلك ينقسم
جميع ما يلاقيه العبد الى ما ينفعه في الدنيا والآخرة او يضره فيهما وله بالاضافة الى ما يضره حال الصبر
وبالاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر احد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما ان اليقين
احد الشطرين بالاعتبار الاول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضي الله عنه الايمان نصفان نصف
صبر ونصف شكر وقد يرفع ايضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن
بواعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث
من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى
الشهوة فقط وهو شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لان كمال الصبر بالصبر عن داعي الشهوة وداعي الغضب جميعا
فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الايمان فهكذا ينبغي ان تفهم تقديرات الشرع لحدود الاعمال
والاحوال ونسبتها الى الايمان والاصل فيه ان تعرف كثرة ابواب الايمان وان اسم الايمان يطلق
على وجوه مختلفة

بيان الاسامي التي تتجدد للصبر بالاضافة الى ما عنه الصبر

اعلم ان الصبر
ضربان ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليه وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة
اما من العبادات او من غيرها واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات
الهائلة وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر

النفس عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان على احتمال مكروه اختلفت اساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي عليه الصبر فان كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو اطلاق دواعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وان كان في حرب ومقاتلة تسمى شجاعة ويضاده الجبن وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما ويضاده التذمر وان كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وان كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره فاكثر اخلاق الايمان داخل في الصبر فلذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الايمان قال هو الصبر لانه اكثر اعماله واعزها كما قال الحج عرفة وقد جمع الله اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى والصابرين في البأساء اي المصيبة والضراء اي الفقر وحين البأس اي المحاربة اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فاذن هذه اقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن ياخذ المعاني من الاسامي يظن ان هذه احوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث انه رأى الاسامي مختلفة والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعاني اولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الاسامي فانها وضعت دالة على المعاني وهي الاصول والالفاظ هي التوابع ومن يطلب الاصول من التوابع لا بد وان يزل والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم فان الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه الا بمثل هذه الانعكاسات

بيان انقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف

اعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلاث احوال احديها ان يقهر داعي الهوى فلا يبقى له قوة المنازعة ويتوصل اليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى باعث الدين واياهم ينادي المنادي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية الحالة الثانية ان تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشياطين ولا يجاهد ليأسه عن المجاهدة و هؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا اعداء الله في قلوبهم التي هي سر من اسرار الله وامر من امور الله واليهم الاشارة بقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين و هؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم وقيل لمن قصد ارشادهم فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط او الغرور بالاماني وهو غاية الحمق كما قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان

نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال انا مشتاق الى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست اطمع فيها او لم يكن مشتاقا الى التوبة ولكن قال ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به الى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته فلا يستعمل عقله الا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل الى قضاء شهواته فقد صار عقله في يد شهوته كمسلم اسير في ايدي الكفار يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها و محله عند الله محل من يقهر مسلما ويسلمه الى الكفار ويجعله اسيرا عندهم لانه تفاحش جنايته بسببه انه سخر ما كان حقه ان يتسخر وسلط من حقه ان يتسلط عليه وانما يستحق المسلم ان يكون متسلطا لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وانما يستحق الكافر ان يكون متسلطا عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه اوجب من حق غيره عليه فمهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله كان كمن ارق مسلما لكافر بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فاخذ اعز اولاده وسلمه الى ابغض اعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه لنقمته لان الهوى ابغض اله عبد في الارض عند الله والعقل اعز موجود خلق في الارض الحالة الثالثة ان يكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين يعد لا من الظافرين واهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق اليه ايضا ثلاثة احوال باعتبار عدد ما يصبر عنه فانه اما ان يغلب جميع الشهوات او لا يغلب شيئا منها او يغلب بعضها دون بعض وتنزيل قوله خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض اولى والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقا يشبهون بالانعام بل هم اضل اذ البهيمة لم يخلق لها المعرفة والقدرة التي بها يجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق له ذلك وعطله فهو الناقص حقا المدبر يقينا ولذلك قيل ولم ار في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام وينقسم الصبر ايضا باعتبار اليسر والعسر الى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه الا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبرا والى ما يكون من غير شدة وتعب بل يحصل بادنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر واذا دام التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره فان الرجل القوي يقدر على ان يصرع الضعيف بادنى حيلة واليسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته الاعياء واللغوب ولا تضطرب فيه نفسه ولا ينبهر ولا يقوى على ان يصرع القوي الشديد الا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا يكون المصارعة بين باعث الدين وبين باعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين ومهما اذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة اورث ذلك مقام الرضى كما سياتي في كتاب الرضى والرضى اعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله على الرضى فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقال بعض العارفين اهل الصبر على ثلاث مقامات اولها ترك الشكوى وهذه

درجة التائبين والثانية الرضى بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه
وهذه درجة الصديقين وسنبين في كتاب المحبة ان مقام المحبة اعلى من مقام الرضى كما ان مقام
الرضى اعلى من مقام الصبر وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا
واعلم ان الصبر ينقسم ايضا باعتبار حكمه الى فرض ونفل والصبر على الاذى المحظور كمن يقطع يده او يد ولده
وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حرمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة
ويسكت على ما يجري على اهله فهذا الصبر محرم والصبر المكروه هو الصبر على اذى يناله بجهة مكروهة
في الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغي ان يخيل اليك ان جميعه محمود
بل المراد به انواع من الصبر مخصوصة

بيان مظان الحاجة الى الصبر وان العبد لا يستغني عنه في حال من الاحوال

اعلم ان جميع ما يلقى العبد في هذه الحيوة لا يخلو من نوعين احدهما هو الذي يوافق هواه و
الاخر هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الاحوال
لا يخلو عن احد هذين النوعين او كليهما فهو اذن لا يستغني قط عن الصبر **النوع الاول** ما يوافق
الهوى وهو الصحة والسلامة والجاه والمال وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع
والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه
عن الاسترسال والركون اليها والانهماك في ملاذها المباحة منها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان
فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها
الا الصديقون وقال سهل الصبر على العافية اشد من الصبر على البلاء ولما فتحت اموال الدنيا على
الصحابة قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله عباده
من فتنة المال والزوجة والولد فقال يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله و
قال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال عليه السلام الولد مجبنة مبخلة محزنة
ولما نظر الى ابنه الحسن يعثر في قميصه نزل عن المنبر فاحتضنه ثم قال صدق الله انما اموالكم و
اولادكم فتنة اني رأيت ابني يعثر لم املك نفسي ان اخذته ففي ذلك عبرة لاولي الابصار فالرجل
كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها ان لا يركن اليها ويعلم ان كل ذلك مستودع
عنده وعسى يسترجع على القرب وان لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو و
اللعب وان يرعى حقوق الله في ماله بالانفاق وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه ببذل الصدق
وكذلك في سائر ما انعم عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر كما سياتي و
انما كان الصبر على السراء اشد لانه مقرون بالقدرة ومن العصمة ان لا تقدر والصبر على الحجامة والفصد
اذا تولاه غيرك ايسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك والجائع عند غيبة الطعام اقدر على
الصبر منه اذا حضرت الاطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها فلهذا عظمت فتنة السراء **النوع الثاني**
ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو اما ان يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي او لا يرتبط
باختياره كالمصائب والنوائب او لا يرتبط اوله باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من
المؤذي بالانتقام منه فهي ثلاثة اقسام **القسم الاول** الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها فالصبر

صديق

على الطاعة شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعض العارفين
ما من نفس الا وهي مضمرة ما اظهره فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد له مجالا وقبولا
فاظهره اذ استخف قومه فاطاعوه وما من احد الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه و
كل من هو تحت قهره وطاعته وان كان ممتنعا من اظهاره فان استشاطته وغيظه عند تقصيرهم
في خدمته واستبعاده ذلك منهم ليس يصدر الا من اضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء
فاذن العبودية شاقة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلوة ومنها ما
يكره بسبب البخل كالزكوة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر
على الشدائد ويحتاج العبد الى الصبر على طاعته في ثلاث احوال الحالة الاولى قبل الطاعة وذلك
في تصحيح النية والاخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الافات وعقد العزم على الاخلاص
وآفات الرياء ومكايد النفس وقد نبه عليه صلى الله عليه وسلم اذ قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ
ما نوى وقال الله تع وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولهذا المعنى قدم الصبر على العمل
فقال الا الذين صبروا وعملوا الصالحات الحالة الثانية حالة العمل كيلا يغفل عن الله في اثناء
عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط الادب الى آخر العمل فيلازم الصبر عن دواعي
الفتور الى الفراغ وهذا ايضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تع نعم اجر العاملين الذين صبروا
اي صبروا الى تمام العمل الحالة الثالثة بعد الفراغ اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به
للسمعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط اجره كما قال
تع ولا تبطلوا اعمالكم وكما قال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن و
الاذى فقد ابطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليهما جميعا وقد
جمعهما الله تع في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى فالعدل هو الفرض
والاحسان هو النفل وايتاء ذي القربى هو المروة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى الصبر **القسم**
الثاني المعاصي فما احوج العبد الى الصبر عنها وقد جمع الله تع انواع المعاصي في قوله وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغي وقال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه ويروى
نفسه والمعاصي مقتضاة بباعث الهوى واشد انواع الصبر على المعاصي الصبر عن المعاصي
التي صارت مالوفة بالعادة فان العادة طبيعة خامسة فاذا انضافت الى الشهوة تظاهر
جندان من جنود الشيطان على جند الله تع فلا يقوى باعث الدين على قمعهما ثم ان كان ذلك
الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب
والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا وانواع المزح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي
يقصد بها الازراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم و
مناصبهم فان ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس فللنفس فيه شهوتان احدهما نفي الغير
والاخرى اثبات نفسه وبها تتم له الربوبية التي في طبعه وهي ضد ما امر به من العبودية ولاجتماع
الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا في المحاورات يعسر الصبر عنها حتى تبطل

اسمتكادها واستقباحها من القلوب لكثرة تكررها وعموم الانس بها فيرى الانسان يلبس حريرا مثلا
فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في اعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ما ورد في
الخبر ان الغيبة اشد من الزنا ومن لم يملك نفسه في المحاورات ولم يقدر على الصبر فيجب عليه العزلة
والانفراد فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد اهون من الصبر على السكوت مع المخالطة وتختلف
شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وايسر من حركة
اللسان حركة الخواطر باختلاج الوساوس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه اصلا
الا بان يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن اصبح وهمومه هم واحد والا فان
لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فتور الوسواس القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه
باختياره وله الاختيار في دفعه كما لو اوذي بفعل او قول او جني عليه في نفسه او ماله فالصبر على
ذلك بترك المكافاة تارة يكون واجبا وتارة يكون فضيلة قال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان
الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال الله تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المؤمنون
وقسم صلى الله عليه وسلم مرة فقال بعض الاعرابي من المسلمين هذه قسمة ما اريد بها وجه الله
فاخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحمرت وجنتاه فقال رحم الله اخي موسى قد اوذي
باكثر من هذا فصبر وقال الله تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله وقال فاصبر على ما يقولون واهجرهم
هجرا جميلا وقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وقال ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك
من عزم الامور اي تصبروا عن المكافاة ولذلك مدح الله تعالى العافين عن الناس في حقوقهم في القصاص
وغيره فقال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقال
صلى الله عليه وسلم صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك ورايت في الانجيل قال
عيسى عليه السلام لقد قيل لكم من قبل ان السن بالسن والانف بالانف وانا اقول لكم لا تقاوموا
الشر بالشر بل من ضرب خدك اليمنى فحول اليه خدك اليسرى ومن اخذ رداءك فاعطه ازارك
ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين وكل ذلك امر بالصبر على الاذى فالصبر على
اذى الناس من اعلى مراتب الصبر لانه يتعاون فيه على باعث الدين باعث الشهوة والغضب
جميعا القسم الثالث ما لا يدخل تحت الاختيار اوله وآخره كالمصائب مثل موت الاعزة
وهلاك الاموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الاعضاء وبالجملة سائر انواع
البلاء فالصبر على ذلك من اعلى مقامات الصبر قال ابن عباس رضي الله عنه الصبر في القرآن
على ثلاثة اوجه صبر على اداء فرائض الله وله ثلثمائة درجة وصبر عن محارم الله وله ستمائة درجة
وصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى وله تسعمائة درجة وانما فضل هذه الرتبة مع انها من
الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لان كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم واما على بلاء الله فلا
يقدر عليه الا بضاعة الصديقين فان ذلك شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
اسالك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا فهذا اصبر مستنده حسن اليقين قال

ابو سليمن رضي الله عنه والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وقال عليه السلام يقول الله تعالى اذا
ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني الى عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من
دمه فان ابراته ابراته ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي وقال داود عليه السلام يا رب ما
جزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه ان البسه لباس الايمان فلا انزعه
عنه ابدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبادي
مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب
له ميزانا او انشر له ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة وقال ايضا
ما من عبد مؤمن اصيب بمصيبة فقال كما امر الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني
في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك به وقال انس رضي الله عنه حدثني رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قال يا جبرئيل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا
علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي وقال عمر بن عبد العزيز
في خطبته ما انعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر الا كان ما عوضه منها
افضل مما انتزع منه وقرا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وسئل فضيل عن الصبر
فقال هو الرضا بالقضاء قيل وكيف ذاك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقيل حبس الشبلي في
المارستان فدخل عليه جماعة فقال من انتم قالوا احباؤك جاؤوك زائرين فاخذ يرميهم
بالحجارة فاخذوا يهربون فقال لو كنتم احبائي لصبرتم على بلائي وكان بعض العارفين في جيبه
رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا ويقال ان
امراة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقال ان لذة ثوابه
ازالت عن قلبي مرارة وجعه وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث
حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات وقال نبينا صلى الله
عليه وسلم من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك ويروى عن بعض الصالحين
انه خرج يوما وفي كمه صرة فافتقدها فاذا هي قد اخذت من كمه فقال بارك الله له فيها
لعله كان احوج اليها مني ويروى عن بعضهم انه قال مررت على ابي سالم رضي الله عنه مولى
ابي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له اسقيك ماء فقال جرني الى العدو واجعل الماء في
الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته فهكذا كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء
الله تعالى فان قلت فبماذا تنال درجة الصبر في المصائب وليس الامر الى اختياره وهو
مضطر شاء ام ابى فان كان المراد منه ان لا يكون في نفسه كراهية للمصيبة فذلك غير داخل
في الاختيار فاعلم انه انما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود
والمبالغة في الشكوى واظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمطعم والمفرش وهذه الامور
داخلة تحت اختياره فينبغي ان يجتنب جميعها ويظهر الرضى بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على
عادته ويعتقد ان ذلك كان وديعة فاسترجعت كما روي عن الرميصاء ام سليم انها قالت

توفي ابن لي وزوجي ابو طلحة غائب فقمت فسجيته في ناحية البيت فقدم ابو طلحة فقمت فهيأت
له فطوره فجعل ياكل فقال كيف الصبي فقلت باحسن حال بحمد الله فانه لم يكن منذ اشتكى اسكن منه
الليلة ثم تصنعت له احسن مما كنت اتصنع قبل ذلك حتى قضى مني حاجته ثم قلت الا تعجب من جيرانـ
ـك قال وما لهم قلت اعيروا عارية فلما طلبت جزعوا فقال بئسما صنعوا فقلت هذا ابنك كان
عارية من الله تعالى وان الله قبضه اليه فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره
فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما قال الراوي فلقد رايت بعد ذلك في المسجد سبعة اولاد
كلهم قد قرؤا القرآن • وروى جابر رضي الله عنه انه عليه السلام قال رايتني دخلت الجنة فاذا انا بالرميصا
امراة ابي طلحة وقد قيل الصبر الجميل هو ان لا يعرف صاحب المصيبة اذ يشبه غيره ولا
يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع على الميت فان ذلك مقتضى البشرية
ولا يفارق الانسان الى الموت ولذلك لما مات ابرهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضت
عيناه فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال ان هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء بل ذلك ايضا لا
يخرج من مقام الرضا فالمقدم على الفصد والحجامة راض به وهو متالم بسببه لا محالة وقد تفيض عينه
اذا عظم المه وسياتي ذلك في كتاب الرضا وكتب ابن ابي نجيح يعزي بعض الخلفاء ان احق من عرف
حق الله تعالى فيما اخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما ابقاه واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي بعدك هو الماجور
منك واعلم ان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه فاذن مهما دفع
الكراهية بالتفكر في نعمة الله عليه بالثواب نال درجة الصابرين نعم من كمال الصبر كتمان الذنوب المرض
والفقر وساير المصيبات وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والاوجاع والصدقة فقد
ظهر لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام في جميع الاحوال والافعال فان الذي كفي الشهوات
كلها واعتزل وحده فلا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان
باطنا فان اختلاج الخواطر لا يسكن واكثر جولان الخاطر انما يكون في فائت لا تدارك له او في
مستقبل لا بد ان يحصل منه ما هو مقدر فهو كيف ما كان تضييع الزمان وآلة العبد قلبه وبضاعته
عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله او عن فكر يستفيد به معرفة
بالله ليستفيد بالمعرفة محبة الله فهو مغبون هذا ان كان فكره ووسواسه في المباحات مقصورا
عليه ولا يكون كذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات اذ لا يزال ينازع كل من
تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره او من يتوهم به انه ينازعه ويخالف غرضه بظهور امارة له
منه بل يقدر المخالفة من اخلص الناس في محبته حتى من اهله وولده ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في
كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته ولا يزال في شغل دائم فللشيطان
جندان جند يطير وجند يسير والوسواس عبارة عن حركة جند الطيار والشهوة عبارة عن
حركة جند السيار وهذا لان الشيطان خلق من النار وخلق الانسان من صلصال كالفخار
والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبعه السكون والنار طبعها الحركة فلا تتصور
نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها وقد كلف الملعون المخلوق من النار ان يطمئن

عن

عن حركته ساجدا لما خلق من الطين فابى واستكبر واستعصى وعبر الله عن سبب استعصائه
بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين فاذا لم يسجد الملعون لابينا آدم عليه السلام فلا ينبغي
ان نطمع في سجوده لاولاده ومهما كف عن القلب وسواسه وعداوته وطيرانه وجولانه فقد
اظهر انقياده واذعانه وانقياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود وانما وضع الجبهة على الارض
قالبه وعلامته الدالة بالاصطلاح عليه ولو جعل وضع الجبهة على الارض علامة الاستخفاف بالاصطلاح
لتصور ذلك كما ان الانبطاح بين يدي المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة فلا ينبغي ان
يذهلك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب فتكون ممن
قيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وتحقق ان الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك
بالكف عن الوسواس الى يوم الدين الا ان تصبح وهمومك هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده
فلا يجد الملعون مجالا فيك فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثناء عن
سلطنة هذا اللعين ولا تظنن انه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري مجرى الدم من ابن آدم وسيلانه
مثل الهواء في القدح فانك ان اردت ان يخلو عن الهواء من غير ان تشغله بالماء او بغيره فقد طمعت في غير
مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك القلب المشغول بفكر مهم في الدين
يخلو عن جولان الشيطان ولذلك قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين و
قال عليه السلام ان الله يبغض الشاب الفارغ وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل يشغل
باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعشش فيه الشيطان
ويبيض ويفرخ ثم يزدوج افراخه ايضا وتبيض مرة اخرى وتفرخ وهكذا يتوالد نسل الشيطان
توالدا اسرع من توالد ساير الحيوانات لان طبعه من النار واذا وجد الحلفاء اليابسة كثر
توالده فلا يزال تتولد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسري شيئا شيئا على الاتصال فالشهوة
في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار وكما لا تبقى النار اذا لم يبق لها قوت وهو الحطب
فلا يبقى للشيطان مجال اذا لم تكن شهوة فاذن اذا تاملت علمت ان اعدى عدوك شهوتك
وهي صفة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف
ما هو فقال هو نفسك ان لم تشغلها شغلتك فاذن حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل
حركة مذمومة وحركة الباطن اولى بالصبر عنها وهذا صبر دائم لا يقطعه الا الموت ٥

بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه اعلم ان الذي انزل الداء انزل الدواء ووعد
الشفاء فالصبر وان كان شاقا وممتنعا فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل فالعلم والعمل هما
الاخلاط التي تركب منها الادوية لامراض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مرض الى علم آخر وعمل
آخر وكما ان اقسام الصبر مختلفة فاقسام العلل المانعة منها مختلفة واذا اختلفت العلل اختلف
العلاج اذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها واستيفاء ذلك مما يطول ولكن نحتاج كل مرض
الى علم آخر لكنا نعرف الطريق في بعض الامثلة فنقول اذا افتقر الى الصبر عن شهوة
الوقاع مثلا وقد غلبت عليه بحيث ليس يملك معها فرجه او يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه

او يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه اذ لا يزال يحدثه بمقتضيات الشهوة ويصرفه ذلك عن
المواظبة على الذكر والفكر والاعمال الصالحة فنقول قد قدمنا ان الصبر عبارة عن مصارعة
باعث الدين مع باعث الهوى وكل متصارعين اردنا ان يغلب احدهما الآخر فلا سبيل
لنا الا تقوية من اردنا ان تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين
وتضعيف باعث الشهوة فاما باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلاثة امور احدها ان
ينظر الى مادة قوته وهي الاغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد
من قطعها بالصوم الدايم مع الاقتصاد عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه
فيحترز عن اللحم والاطعمة المهيجة للشهوة والثاني قطع اسبابه المهيجة له في الحال فانه انما
يهيج بالنظر الى مظان الشهوة اذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل له بالعزلة
والانفراد والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر سهم مسموم من سهام ابليس وهذا سهم يسدده الملعون
ولا ترس يمنع منه الا تغميض الاجفان او الهرب عن صوب رميه فانما يرمي هذا السهم من قوس
الصور فاذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه والثالث تسلية النفس بالمباح من
الجنس الذي يشتهيه وذلك بالنكاح فان كل ما يشتهيه الطبع ففي المباحات ما يغني عن المحظورات
وهذا هو العلاج الانفع في حق الاكثر فان قطع الغذاء يضعف عن ساير الاعمال ثم قد لا يقمع الشهوة
في حق اكثر الرجال ولذلك قال عليه السلام عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم
له وجاء فهذه ثلاثة اسباب فالعلاج الاول وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن البهيمة
الجموح وعن الكلب الضاري ليضعف فتسقط قوته والثاني يضاهي تغييب اللحم عن الكلب
وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنهما بسبب مشاهدتهما والثالث يضاهي
تسليتهما بشيء قليل مما يميل اليه طبعهما حتى يبقى معهما من القوة ما يصبر على التاديب
واما تقوية باعث الدين فانما يكون بطريقين احدهما اطماعه في فوايد المجاهدة وثمراتها
في الدين والدنيا وذلك بان يكثر فكره في الاخبار التي وردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه
في الدنيا والآخرة وفي الاثر ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات وانه بسبب ذلك
مغبوط بالمصيبة اذ فاته ما لا يبقى معه الا مدة الحيوة وحصل له ما يبقى بعد موته ابد الدهر
ومن اسلم خسيسا في نفيس فلا ينبغي ان يحزن لفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف
وهو من الايمان وتارة يضعف وتارة يقوى فان قوي حرك الدين هيجه تهييجا شديدا وان
ضعفت ضعفه وانما قوة الايمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر واقل ما
اوتي الناس اليقين وعزيمة الصبر والثاني ان يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى
على التدريج قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها ويقوى منته في مصارعتها
فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة توكد القوى التي تصدر منها تلك الاعمال ولذلك تزيد قوة
الحمالين والفلاحين والمقاتلين وبالجملة الممارسين للاعمال الشاقة على قوة الخياطين والعطارين والفقهاء

والصالحين

والصالحين وذلك لان قواهم لم تتاكد بالممارسة فالعلاج الاول يضاهي اطماع المصارع في الخلعة
عند الغلبة ووعده بانواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند اغرايه اياهم بموسى حيث قال وانكم لمن
المقربين والثاني يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة مباشرة اسباب
ذلك منذ الصبى حتى يستانس به ويستجري عليه ويقوى فيه منته فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر
ضعف فيه باعث الدين فلا يقوى على الشهوة وان ضعفت ومن عود نفسه مخالفة الهوى
قوي عليها مهما اراد فهذا منهاج العلاج في جميع انواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه وانما اشده
كف الباطن عن حديث النفس وانما يشتد ذلك على من تفرغ له بان قمع الشهوات الظاهرة
وآثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر فان الوساوس لا تزال تجاذبه من جانب الى جانب وهذا
لا علاج له البتة الا قطع العلايق كلها ظاهرا وباطنا بالفرار عن الاهل والولد والمال والجاه والرفقاء
والاصدقاء والاعتزال الى زاوية بعد احراز قدر من القوت بعد القناعة ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تصر الهموم
هما واحدا وهو الله تعالى ثم اذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير في الباطن
في ملكوت السموات والارض وعجايب صنع الله تعالى وساير ابواب معرفة الله تعالى حتى اذا استولى ذلك على
قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووساوسه وان لم يكن له سير في الباطن فلا ينجيه الا الاوراد
المتواصلة المترتبة في كل لحظة من القراءة والاذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب
الحضور فان الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الاوراد الظاهرة ثم اذا فعل ذلك كله لم
يسلم له من الاوقات الا بعضها اذ لا يخلو في جميع اوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الذكر والفكر
من مرض وخوف وايذاء من انسان وطغيان من مخالط اذ لا يستغني عن مخالطة من يعينه في بعض
اسباب المعيشة فهذا احد انواع الامور الشاغلة واما النوع الثاني وهو ضروري اشد
ضرورة من الاول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس واسباب المعاش فان تهيية ذلك ايضا يحوج الى
شغل ان تولاه بنفسه وان تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب بمن يتولاه ولكن بعد قطع العلايق
كلها يسلم له اكثر الاوقات ان لم تهجم به ملمة او واقعة وفي تلك الاوقات يصفو القلب ويتيسر
الفكر وينكشف فيه من اسرار الله في ملكوت السموات والارض ما لا يقدر على عشر عشيره في
زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلايق والانتهاء الى هذا هو اقصى المقامات التي يمكن ان تنال
بالاكتساب والجهد فاما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله في الاحوال والاعمال
فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقد يقل الجهد ويجل الصيد وقد يطول الجهد
ويقل الحظ والمعول على وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الحق فانها توازي اعمال الثقلين
وليس ذلك باختيار العبد نعم اختيار العبد في ان يتعرض لتلك الجذبة بان يقطع عن قلبه جواذب الدنيا
فان المجذوب الى اسفل السافلين لا ينجذب الى اعلى عليين وكل مهموم بالدنيا فهو منجذب اليها فقطع العلايق
الجاذبة هو المراد بقوله عليه السلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وذلك لان تلك النفحات
والجذبات لها اسباب سماوية اذ قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وهذا من اعلى انواع الرزق
والامور السماوية غايبة عنا ولا ندري متى ييسر الله اسباب الرزق فما علينا الا تفريغ المحل والانتظار

لتنزول الرحمة وبلوغ الكتاب اجله كالذي يصلح الارض وينقيها من الحشيش ويبث البذر فيها و
كل ذلك لا ينفعه الا بمطر ولا يدري متى يقدر الله اسباب المطر الا انه يثق بفضل الله انه لا يخلي
سنة عن مطر فكذلك قلما تخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات
فينبغي ان يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الارادة والاخلاص و
عرضه لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار الامطار في اوقات الربيع وعند ظهور الغيم فيقوى
انتظار تلك النفحات في الاوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم
الجمعة وايام رمضان فان الهمم والانفاس اسباب بحكم تقدير الله لاستدرار رحمة الله حتى يستدر
بها الامطار في اوقات الاستسقاء وهي لاستدرار امطار المكاشفات ولطائف المعارف
من خزائن الملكوت اشد مناسبة لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من اقطار الجبال و
البحار بل الاحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك وانما انت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك
فصار ذلك حجابا بينك وبينها فلا تحتاج الا الى ان تكسر الشهوة وترفع الحجاب فيشرق نور المعارف من
باطن القلب واظهار ماء الارض بحفر القني اقرب واسهل من استنزال الماء اليها من مكان بعيد
منخفض عنها وكونه حاضرا في القلب ومنسيا بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الايمان تذكرا فقال
وليتذكر اولوا الالباب وقال ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهذا هو علاج الصبر عن
الوساوس والشواغل وهو آخر درجات الصبر وانما الصبر عن العوائق كلها مقدم على الصبر عن
الخواطر قال الجنيد المسير من الدنيا الى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في جنب الحق
صعب شديد والمسير من النفس الى الله صعب شديد والصبر مع الله اشد فذكر شدة الصبر عن شواغل
القلب ثم شدة هجران الخلق واشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فان لذة الرياسة والغلبة
والاستعلاء والاستتباع اغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا يكون اعلى اللذات و
مطلوبها صفة من صفات الله والربوبية مطلوبة ومحبوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة للامور
الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى قل الروح من امر ربي وليس القلب مذموما على حبه ذلك وانما هو
مذموم على غلطه وتغرره بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الامر اذ حسده على كونه من
عالم الامر فاضله واغواه وكيف يكون مذموما عليه وهو يطلب سعادة الآخرة فليس يطلب الا
بقاء لا فناء فيه وعزا لا ذل فيه وامنا لا خوف فيه وغنى لا فقر فيه وكمالا لا نقصان فيه وهذه
كلها من اوصاف الربوبية وليس مذموما على طلب ذلك بل حق كل عبد ان يطلب ملكا عظيما لا آخر
له وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا محالة ولكن الملك ملكان ملك مشوب بانواع الآلام
ومحفوف بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا الم ولا
يقطعه قاطع ولكنه آجل وقد خلق الانسان عجولا راغبا في العاجلة فجاء الشيطان وتوسل اليه بواسطة
العجلة التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة وتوسل اليه بواسطة الحمق فوعده
بالغرور في الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال عليه السلام الاحمق من اتبع نفسه هواها
وتمنى على الله فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر امكانه ولم يتدلك

المؤمن بحبل غروره اذ علم مداخل مكره فاعرض عن العاجلة فعبر عن المخذولين وقيل ان هؤلاء يحبون
العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال تعالى
فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ولما استطار مكر
الشيطان في كافة الخلق ارسل الله الملائكة الى الرسل فاوحوا اليهم ما جرى على الخلق من اهلاك
العدو واغوائه فاشتغلوا بدعوة الخلق الى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا اصل له ان
سلم ولا دوام له اصلا فنادوا فيهم يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله
اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل فالتوراة
والانجيل والزبور والفرقان وصحف ابراهيم وموسى وكل كتاب منزل ما انزل الا لدعوة الخلق
الى الملك الدائم المخلد والمراد منهم ان يكونوا ملوكا في الدنيا ملوكا في الآخرة اما ملك الدنيا فبالزهد
فيها والقناعة باليسير منها واما ملك الآخرة فبالقرب من الله بدرك بقاء لا فناء فيه وعز لا ذل
فيه وقرة اعين اخفيت في هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس والشيطان يدعوهم الى ملك الدنيا
لعلمه بان ملك الآخرة يفوت به اذ الدنيا والآخرة ضرتان ولعلمه بان الدنيا لا تتسلم له ايضا ولو كانت
تتسلم له ايضا لحسده ايضا ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبير
وكذلك سائر اسباب الجاه ثم كما يتسلم ويتم الاسباب ينقضي العمر حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت
وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس
فضرب الله تعالى لها مثلا فقال واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح والزهد في الدنيا لما ان كان ملكا حاضرا حسده عليه الشيطان
فصده عنه ومعنى الزهد ان يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين واشارة
الايمان وهذا ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوات عليه يصير عبدا
لبطنه وفرجه وسائر اغراضه فصار مسخرا مثل البهيمة مملوكا يسخره زمام الشهوة آخذا بمخنقه
الى حيث يريد ويهوى فما اعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال الملك بان يصير مملوكا وينال
الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا هل يكون الا معكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة ولهذا قال
بعض الملوك لبعض الزهاد هل من حاجة فقال كيف اطلب منك حاجة وملكي اعظم من ملكك فقال
كيف قال من انت عبده فهو عبد لي فقال كيف ذلك فقال انت عبد شهوتك وغضبك وفرجك
وبطنك وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيد لي فهذا اذن هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق
الى الملك في الآخرة فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والذين وفقوا
للاستبداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعا فاذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية
ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلط في ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبيسه فيسهل عليك
النزوع عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عند فواته اذ تصير بتركه ملكا في الحال وترجو به ملكا
في الآخرة ومن كوشف بهذه الامور بعد ان الف الجاه وانس به ورسخت فيه باعتياد مباشرة
اسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف بل لا بد وان يضيف اليه العمل والعمل في ثلاثة امور احدها

ان يهرب من موضع الجاه كيلا يشاهد اسبابه فيعسر عليه الصبر مع الاسباب كما يهرب من غلبة
الشهوة من مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله في سعة الارض اذ قال تع الم
تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الثاني ان يكلف نفسه في اعماله افعالا تخالف ما
اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزي الحشمة بزي التواضع وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن
وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه فينبغي ان يبدلها بنقائضها حتى
يترسخ باعتياد ذلك ضد ما رسخ فيه من قبل باعتياد ضده فلا معنى للمعالجة الا المضادة الثالث
ان يراعي في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة الى الطرف الاقصى من التبذل فان
الطبع نفور فلا يمكن نقله عن اخلاقه الا بالتدريج فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض ثم اذا قنعت
نفسه بذلك البعض ابتدا بترك البعض من ذلك البعض الا ان يقنع بالبقية وهكذا يفعل شيا فشيا
الى ان يقمع تلك الصفات التي رسخت فيه والى هذا التدريج الاشارة بقوله عليه السلام ان هذا الدين
متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى
واليه الاشارة بقوله عليه السلام لا تشادوا هذا الدين فان من يشاده يغلبه فاذن ما ذكرناه في علاج
الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه اضفه الى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة
النفس من ربع المهلكات واتخذه دستورك لتعرف به علاج الصبر في جميع الاقسام التي فصلناها
من قبل فان تفصيل الاحاد يطول فمن راعى التدريج ترقى به الصبر الى حالة يشق عليه الصبر عما كان
يشق عليه الصبر معه فينعكس اموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا وما كان مكروها مشربا هنيئا
لا يصبر عنه وهذا لا يعرف الا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات فان الصبي يحمل على التعلم قهرا
فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم حتى اذا انفتحت بصيرته وانس بالعلم انقلب الامر فصار
يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب والى هذا يشير ما حكي عن بعض العارفين انه سال الشبلي عن
الصبر ايه اشد فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا فقال
فاي شي فقال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل في معنى قوله تع يا
ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا اي اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله و
قيل الصبر لله غناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وقد قيل في معناه
والصبر عنك فمذموم عواقبه والصبر في سائر الاشياء محمود وقيل ايضا الصبر يحمد في
المواطن كلها الا عليك فانه لا يحمد وهذا آخر ما اردنا شرحه من علوم الصبر واسراره وحسبنا
الله ونعم المعين ه **الشطر الثاني من الكتاب في الشكر** وله ثلاثة اركان **الركن الاول**
في فضيلة الشكر وحقيقته واقسامه واحكامه **الركن الثاني** في حقيقة النعمة واقسامها
الخاصة والعامة **الركن الثالث** في بيان الافضل من الصبر والشكر **الركن الاول** في نفس
الشكر **بيان فضيلة الشكر** اعلم ان الله تع قرن الشكر بالذكر في كتابه مع انه قال ولذكر الله اكبر
فقال فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال تع ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم و
قال وسنجزي الشاكرين وقال لا قعدن لهم صراطك المستقيم قيل هو طريق الشكر ولعلو رتبة الشكر

طعن اللعين في الخلق بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال الله تع وقليل من عبادي الشكور
وقد قطع الله تع بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فقال لئن شكرتم لازيدنكم واستثنى في خمسة في الاغناء
والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال فيكشف
ما تدعون اليه ان شاء وقال يرزق من يشاء وقال يغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال
ويتوب الله على من يشاء وهو خلق من اخلاق الربوبية اذ قال تع والله شكور حليم وقد جعل الله الشكر
مفتاح كلام اهل الجنة فقال الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين
واما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وروي عن عطاء
انه قال دخلت على عايشة رضي الله عنها فقلت اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبكت وقالت واي شانه لم يكن عجبا انه اتاني في ليلة فدخل معي في فراشي او قالت في لحافي حتى
مس جلدي جلده ثم قال يا بنت ابي بكر ذريني اتعبد لربي قالت قلت اني احب قربك فاذنت
له فقام الى قربة ماء فتوضا فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره
ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع راسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فاذنه بالصلوة فقلت يا رسول الله
ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا ولم لا افعل
وقد انزل الله علي ان في خلق السموات والارض الآية وهذا يدل على ان البكاء ينبغي ان لا ينقطع ابدا
والى هذا السر يشير ما روي انه مر بعض الانبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فانطقه
الله تع فقال منذ سمعت قوله تع وقودها الناس والحجارة فانا ابكي من خوفه فساله ان يجيره من
النار فاجاره ثم رآه بعد مدة مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذاك بكاء الخوف وهذا
بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة او اشد قسوة ولا تزول قسوته الا بالبكاء في حال الخوف
والشكر جميعا وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ينادي يوم القيمة ليقم الحمادون فيقوم زمرة
فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحمادون قال الذين يشكرون الله على كل حال وفي لفظ
آخر الذين يشكرون الله على السراء والضراء وقال صلى الله عليه وسلم الحمد رداء الرحمن واوحى
الله الى ايوب اني رضيت بالشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل واوحى الله ايضا في صفة
الصابرين ان دارهم دار السلام اذا دخلوها الهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر استزيدهم
وبالنظر الي ازيدهم ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه فاي المال نتخذ فقال عليه
السلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا فامر باقتناء القلب الشاكر بدلا عن المال وقال ابن
مسعود رضي الله عنه الشكر نصف الايمان **بيان حد الشكر وحقيقته** اعلم ان الشكر من
جملة مقامات السالكين وهو ايضا ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال
يثمر العمل اما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود
المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل
بمجموعه الاحاطة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاحاطة بكمال معانيه
فالاصل الاول العلم وهو علم بثلاثة امور بعين النعمة ووجه كونه نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود

صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل النعمة اليه
من المنعم بقصد وارادة فهذه الامور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله فاما في حق الله فلا يتم
الا بان يعرف ان النعم كلها من الله وهو المنعم والوسائط مسخرون من جهته وهذه المعرفة وراء التقديس
والتوحيد اذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الاولى في معارف الايمان التقديس ثم اذا عرف
ذاتا مقدسة فيعرف انه لا مقدس الا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم ان كل ما في العالم
فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة اذ ينطوي فيها
مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل وعن هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث
قال من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون ومن قال الحمد لله فله ثلثون
حسنة وقال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله وقال ليس شيء من الاذكار يضاعف
كما يضاعف الحمد لله ولا تظنن ان هذه الحسنات بازاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول
معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا اله الا الله تدل على التوحيد والحمد لله تدل على
معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات بازاء هذه المعارف التي هي من ابواب الايمان واليقين واعلم
ان تمام هذه المعرفة بنفي الشرك في الافعال فمن انعم عليه ملك من الملوك بشيء فان راى لوزيره او لوكيله
دخلا في تيسير ذلك وايصاله اليه فهو اشراك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك بكل وجه بل منه بوجه
ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا في حق الملك نعم لا ينقص عن توحيده في حق الملك و
كمال شكره ان يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وبالكاغذ الذي كتبه عليه فانه لا يفرح
بالقلم والكاغذ ولا يشكرهما لانه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بانفسهما بل من
حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم ان الوكيل الموصل والخازن ايضا مضطران من جهة
الملك في الايصال وانه لو رد الامر اليه ولم يكن من جهة الملك ارهاق وامر جزم يخاف عاقبته
لما سلمه فاذا عرف ذلك كان نظره الى الوكيل الخازن الموصل كنظره الى القلم والكاغذ فلا
يورث ذلك شركا في توحيده من اضافة النعمة الى الملك فكذلك من عرف الله وعرف افعاله
علم ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره كالقلم مثلا في يد الكاتب وان الحيوانات
التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فان الله هو المسلط للدواعي عليها لتفعل شاءت ام
ابت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلا الى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه لما اعطاك
ذرة مما في يده فكل من وصل اليك نعمة الله على يده فهو مضطر اذ سلط الله عليه الارادة وهيج عليه
الدواعي والقى في قلبه ان خيره في الدنيا والاخرة في ان يعطيك ما اعطاك وان غرضه المقصود
عنده في الحال والمال لا يحصل الا به وبعد ما خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلا الى تركه
فهو اذن انما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في الاعطاء لما اعطاك ولو
لم يعلم ان منفعته في منفعتك لما نفعك فهو اذن انما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس
منعما عليك بل اتخذك وسيلة الى نعمة اخرى هو يرجوها وانما الذي انعم عليك هو الذي سخره لك
والقى في قلبه من الاعتقادات والارادات ما صار به مضطرا الى الايصال اليك فان عرفت

الامور

الامور كذلك فقد عرفت الله وعرفت فعله وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه
المعرفة بمجردها شاكرا ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته الهي خلقت آدم وفعلت وفعلت
فكيف شكرك فقال علم ان ذلك مني فكانت معرفته شكرا فاذن لا تشكر الا بان تعرف ان الكل
منه فان خالجك ريب في هذا لم تكن عارفا لا بالنعمة ولا بالمنعم فلا تفرح بالمنعم وحده بل بغيره
فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل

الاصل الثاني الحال المثمرة من اصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع
وهو ايضا في نفسه شكر على تجرده كما ان المعرفة شكر ولكن انما يكون شكرا اذا كان جامعا
شروطه وشرطه ان يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر فهمه عليك
فنضرب لك مثالا فنقول الملك الذي يريد الخروج الى سفر فانعم بفرس على انسان يتصور
ان يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة اوجه احدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس
وانه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك
بل من غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء واخذه لكان فرحه مثل هذا الفرح الوجه الثاني
ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث انه يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه
واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء او اعطاه غير الملك لكان لا يفرح به اصلا
لاستغنائه عن الفرس اصلا او لاستحقاره له بالاضافة الى مطلوبه من نيل المحل في قلب
الملك كما قيل ما ذممت نيل صلاته لو لم يكن صلة الكريم علامة لقبوله الوجه الثالث
ان يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه
ويرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون محله في قلب الملك ان يعطيه
فرسا ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشيء من ماله على احد الا
بواسطته ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة ايضا بل مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو
خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث
درجات فالاولى لا يدخل فيها معنى الشكر اصلا لان نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه
بالفرس لا بالمعطي وهذه حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو
بعيد عن معنى الشكر والثانية داخلة في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم ولكن لا من
حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين
يعبدون الله ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث
وهو ان يكون فرح العبد بنعمة الله من حيث انه يقدر بها على التوصل الى القرب منه والنزول
في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذه هي الرتبة العليا وامارته ان لا يفرح من الدنيا الا بما
هو مزرعة الآخرة ومعينة عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده عن سبيله لانه ليس يريد
النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لانه جواد ومهملج بل من حيث انه يحمله في صحبة
الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي رحمه الله الشكر رؤية المنعم لا رؤية

النعمة وقال الخواص شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات
القلوب وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات
الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب لا يلتذ في حال الصحة الا
بذكر الله ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس
باكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلي الاشياء المرة حتى قيل
ومن يك ذا فم مر مريض ، يجد مرا به الماء الزلالا ، فاذن هذا شرط الفرح بنعمة الله فان لم
يكن ابل فمعزى وان لم يكن هذا فالدرجة الثانية واما الاولى فخارجة عن كل حساب
فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك وكم من فرق بين من يريد الله
تعالى لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها اليه **الاصل الثالث** العمل بموجب
الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح اما بالقلب
فقصد الخير واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه
واما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته على ان شكر
العينين ان تستر كل عيب تراه وشكر الاذنين ان تستر كل عيب تسمعه فيدخل هذا في جملة شكر نعمة
هذه الاعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله وهو مامور به وقال صلى الله عليه وسلم
لرجل كيف اصبحت فقال بخير فاعاد السوال فاعاد جوابه حتى قال في الثالثة بخير احمد الله و
اشكره فقال هذا الذي اردت منك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله ليكون
الشاكر مطيعا والمستنطق له به مطيعا وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد
سئل عن حاله فهو بين ان يشكر او يشكو او يسكت فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة
من اهل الدين وكيف لا يقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شيء الى عبد مملوك لا يقدر على شيء
فالاحرى بالعبد ان لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وافضى به الضعف الى الشكوى ان
يكون شكواه الى الله تع فهو المبتلي وهو القادر على ازالة البلوى وذل العبد لمولاه عز والشكوى
ذلك واظهاره الذل للعبيد مع كونهم اذلاء قبيح قال تع ان الذين تدعون من دون الله لا
يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق وقال ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم
فالشكر باللسان من جملة الشكر وقد روي ان وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام
شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا امير المومنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين
من هو اسن منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة اما الرغبة فقد اوصلها
الينا فضلك واما الرهبة فقد امننا منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك
باللسان وننصرف فهذه هي اصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته فاما قول
من قال ان الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر الى فعل اللسان مع بعض
احوال القلب وقول من قال ان الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه نظر الى مجرد
عمل اللسان وقول القائل ان الشكر هو اعتكاف على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة

جامع لاكثر معاني الشكر لا يشذ منه الا عمل اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة
ان ترى نفسك فيها طفيليا اشارة الى معنى المعرفة من معاني الشكر وقول الجنيد
الشكر ان لا ترى نفسك اهلا للنعمة اشارة الى حال من احوال القلب على الخصوص وهولاء تعرب
اقوالهم عن احوالهم ولذلك تختلف اجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين
لانهم لا يتكلمون الا عن حالتهم الراهنة لغلبتها عليهم اشتغالا بما يهمهم عما لا يهمهم
او يتكلمون بما يرونه لائقا بحال السائل اقتصارا على ذكر القدر الذي يحتاج اليه واعراضا عما
لا يحتاج اليه فلا ينبغي ان تظن ان ما ذكرناه طعن عليهم وانهم لو عرض عليهم جميع المعاني التي
شرحناها كانوا ينكرونها بل لا تظن ذلك بعاقل اصلا الا ان تعرض منازعة من حيث اللفظ
في ان اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني ام يتناول بعضها مقصودا له
وبقية المعاني تكون من توابعها ولوازمها ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات
اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء **بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر
في حق الله تعالى** لعلك يخطر ببالك ان الشكر انما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر
فانا نشكر الملوك اما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد
به جاههم وحشمتهم او بالخدمة التي هي اعانة لهم على بعض اغراضهم او بالمثول بين ايديهم
في صورة الخدم وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم فلا تكونون شاكرين لهم
الا بشيء من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين **احدهما** ان الله منزه عن
الحظوظ والاغراض مقدس عن الحاجة الى الخدمة والاعانة وعن نشر الحشمة بالثناء
والاطراء وعن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه راكعا او ساجدا فشكرنا اياه بما لا حظ له
فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بان ننام في بيوتنا او نسجد او نركع اذ لا حظ للملك فيه
ولا حظ لله تع في افعالنا كلها **والوجه الثاني** ان جميع ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة
اخرى من نعم الله اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وداعيتنا وسائر الامور التي هي اسباب
حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تع ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو اعطانا الملك مركوبا
فاخذنا مركوبا آخر له فركبناه واعطاناه لم يكن الثاني شكرا منا للاول بل كان الثاني يحتاج
الى شكر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة اخرى فيودي الى ان يكون الشكر محالا في
حق الله تع من هذين الوجهين ولسنا نشك في الامرين جميعا والشرع قد ورد به فكيف
السبيل الى الجمع **فاعلم** ان هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلم وكذلك لموسى صلوات الله
عليه فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك
وفي لفظ آخر وشكري لك نعمة اخرى منك توجب علي الشكر لك فاوحى الله اليه اذا عرفت
هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر اذا عرفت ان النعم مني فقد رضيت منك بذلك شكرا
فان قلت فقد فهمت السوال وفهمي قاصر عن ادراك معنى ما اوحي اليهم فاني اعلم استحالة
الشكر لله فاما كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا افهمه فان هذا العلم ايضا نعمة منه فكيف

صار شكورا وكان الحاصل يرجع الى ان من لم يشكر نعمة شكر وان قبول الخلعة الثانية من الملك
شكر للخلعة الاولى والفهم قاصر عن درك السر فيه فان امكن تعريف ذلك بمثال فهو موهم في نفسه
فاعلم ان هذا النوع باب من المعارف وهي اعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير منها
الى مرامز ان تعلم وتقول ههنا نظران نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك
قطعا انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس في الوجود
غيره وان كل شيء هالك الا وجهه وان ذلك صدق في كل حال ازلا وابدا لان الغير هو الذي
يتصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير فلا وجود له بل هو محال ان يوجد اذ الموجود
المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو
موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو
القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقي موجودا فان كان مع قيامه
بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك
فاذن ليس في الوجود غير الحي القيوم الواحد الصمد فان نظرت من هذا المقام علمت ان الكل
منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن
ههنا نظر حبيب بن ابي حبيب حيث قرا قوله تع انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب فقال
واعجباه اعطى واثنى اشارة الى انه اذا اثنى على اعطائه فعلى نفسه اثنى فهو المثني وهو المثنى عليه
ومن ههنا نظر الشيخ ابو سعيد الميهني حيث قرئ بين يديه قوله تع يحبهم ويحبونه فقال
لعمري يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه اشارة الى انه المحب وانه المحبوب
وهذه رتبة عالية لا تفهمها الا بمثال على حد عقلك ولا يخفى عليك ان المصنف اذا احب
تصنيفه فقد احب نفسه والصانع اذا احب صنعته فقد احب نفسه والوالد اذا احب ولده
من حيث انه ولده فقد احب نفسه فكل ما في الوجود سوى الله فهو تصنيف الله وصنعته فان
احبه فما احب الا نفسه واذا لم يحب الا نفسه فبحق احب ما احب وهذا كله نظر بعين
التوحيد ويعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس اي فني عن نفسه وعن غير الله فلم ير الا الله فمن
لا يفهم هذا ينكر عليهم ويقول كيف فني وطول ظله اربعة اذرع ولعله ياكل في كل يوم
ارطالا من الخبز فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعاني كلامهم وشان العارفين ان يكونوا
ضحكة للجاهلين واليه الاشارة بقوله تع ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا
مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين واذا راوهم قالوا ان هؤلاء
لضالون وما ارسلوا عليهم حافظين ثم بين ان ضحك العارفين عليهم اعظم اذ قال فاليوم
الذين امنوا من الكفار يضحكون الاية وكذلك قوم نوح عليه السلم كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله
بعمل السفينة فقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فهذا احد النظرين النظر
الثاني نظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه وهو قسمان قسم لم يثبتوا
الا وجودا لانفسهم وانكروا ان يكون لهم رب يعبد وهؤلاء العميان المنكوسون وعماهم

لا وجود له ط

في كلتا العينين لانهم نفوا ما هو الثابت تحقيقا وهو القيوم الذي القائم بنفسه وقائم
على كل نفس بما كسبت وكل قائم به ولم يقتصروا على هذا حتى اثبتوا انفسهم ولو عرفوا لعلموا
انهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود وانما وجودهم من حيث اوجدوا لا من حيث
وجدوا وفرق بين الموجود وبين الموجد وليس في الوجود الا موجود واحد فالموجود حق و
الموجد باطل من حيث هو هو والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان واذا كان كل من
عليها فانيا فلا يبقى الا وجه ربك القسم الثاني ليس بهم عمى ولكن بهم عور لانهم يبصرون
باحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه والعين الاخرى ان تم عماها لم تبصر بها فناء
غير الموجود الحق فاثبت موجودا اخر مع الله وهذا مشرك تحقيقا كما كان الذي قبله جاحدا
تحقيقا فان جاوز حد العمى الى العمش ادرك تفاوتا بين الموجودين فاثبت عبدا وربا فبهذا
القدر من اثبات التفاوت والنقص في الموجود الاخر دخل في حد التوحيد ثم ان كحل
بصره بما يزيد في انواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له من نقصان ما اثبته سوى الله
فان بقي في سلوكه كذلك فلا يزال يفضي به دقة النقصان الى المحو فينمحي عن رؤيته ما سوى
الله فلا يرى الا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث ادرك نقصانا في وجود ما سوى الله
دخل في اوائل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى فبها تتفاوت درجات الموحدين وكتب الله
المنزلة على السنة رسله هي الكحل الذي به تحصل انوار الابصار والانبياء هم الكحالون وقد
جاؤا داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الا الله ومعناه ان لا يرى الا الواحد
الحق والواصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون والجاحدون والمشركون ايضا قليلون وهم
على الطرف الاقصى المقابل لطرف التوحيد اذ عبدة الاوثان قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى
فكانوا داخلين في اوائل ابواب التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون هم الاكثرون وفيهم
من تنفتح بصيرته في بعض الاحوال فيلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت
وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ما ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز، لكل الى شاو العلى
حركات، ولكن قليل في الرجال ثبات، ولما امر صلى الله عليه وسلم بطلب القرب فقيل له و
اسجد واقترب قال في سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك
منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن
مشاهدة فعل الله فقط فكانه لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففني عن
مشاهدة فعل الله وترقى الى مصادر الافعال وهي الصفات فقال اعوذ برضاك من سخطك
وهما صفتان ثم راى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترب وترقى من مقام مشاهدة الصفات
الى مشاهدة الذات فقال اعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل وصفة
ولكنه راى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا ومثنيا ففني عن مشاهدة نفسه اذ راى
ذلك نقصانا واقترب فقال انت كما اثنيت على نفسك لا احصي ثناء عليك فقوله لا احصي
خبر عن فناء نفسه وخروجه عن مشاهدتها وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان انه المثني و

المثنى عليه وان الكل منه بدا واليه يعود وان كل شيء هالك الا وجهه فكان اول مقامه
نهاية مقامات الموحدين وهو ان لا يرى الا الله وافعاله فيستعيذ بفعل من فعل وانظر الى ماذا
انتهى نهايته صلى الله عليه وسلم اذ انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع فى نظره ومشاهدته سوى
الذات الحق ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرقى من رتبة الى اخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة
الى الثانية فكان يستغفر الله من الاولى ويرى ذلك نقصا فى سلوكه وتقصيرا فى مقامه و
اليه الاشارة بقوله عليه السلم انه ليغان على قلبى فى اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين
مرة فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها بعد البعض اوائلها وان كانت مجاوزة
اقصى غايات الخلق فكان نقصانا بالاضافة الى اواخرها فكان استغفاره لذلك ولما قالت
عايشة رضى الله عنها قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فما هذا البكاء فى السجود وما هذا
الجهد الشديد قال افلا اكون عبدا شكورا معناه افلا اكون طالبا للمزيد فى المقامات فان الشكر
سبب الزيادة حيث قال لئن شكرتم لازيدنكم والان اذ تغلغلنا فى بحار المكاشفة فلنقبض العنان
ولنرجع الى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول الانبياء بعثوا لدعوة الخلق الى كمال التوحيد
الذى وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وانما
الشرع كله تعريف سلوك طريق تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون
النظر عن مشاهدة اخرى ومقام اخر فيظهر فى ذلك المقام وبالاضافة الى تلك المشاهدة
الشكر والشاكر والمشكور ولا تعرف ذلك الا بمثال فاقول يمكنك ان تفهم ان
ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعد منه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده فى الطريق
حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم تكون له حالتان احدهما ان
يكون قصده من وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له غناء فى خدمته
والثانية ان لا يكون للملك حظ فى العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد فى ملكه لانه لا يقوى
على القيام بخدمة تغنى منه غناء وغيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب
والزاد ان يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو فى نفسه لا لينتفع الملك
به وبانتفاعه فنزل العبد من الله فى المنزلة الثانية لا فى المنزلة الاولى فان الاولى محال على الله تع
والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا فى الحالة الاولى بمجرد الركوب والوصول
الى حضرته ما لم يقم بخدمته التى ارادها الملك منه واما فى الحالة الثانية فلا يحتاج الى الخدمة
اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا او كافرا ويكون شكره بان يستعمل ما انفذه اليه مولاه
فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره بان لا يستعمل ذلك فيه بان يعطله او يستعمله فيما يزيد
فى بعده منه فمهما لبس العبد الثوب وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا فى الطريق فقد شكر مولاه
اذا استعمل نعمته فى محبته اى فيما احبه للعبد لا لنفسه وان ركبه واستدبر حضرته واخذ
يبعد منه فقد كفر نعمته اى استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان كان جلس ولم
يركب لا فى طلب القرب ولا فى طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذ اهملها وعطلها وان كان هذا

دون ما لو بعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم فى ابتداء فطرتهم يحتاجون الى
استعمال الشهوات ليكمل بها ابدانهم فيبعدون بها عن حضرته وانما سعادتهم فى القرب منها
واعدلهم من النعم ما يقدرون على استعماله فى نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر الله تع
اذ قال لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا الاية
فاذن نعم الله تع الات يترقى العبد بها عن اسفل السافلين خلقها الله تع لاجل العبد حتى ينال
بها سعادة القرب والله غنى عنه قرب او بعد والعبد فيها بين ان يستعملها فى الطاعة
فيكون قد شكر لموافقته محبة مولاه وبين ان يستعملها فى معصيته فيكون قد كفر لاقتحامه ما
يكرهه مولاه ولا يرضاه له فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان عطلها فلم يستعمل
فى طاعة ولا فى معصية فهو ايضا كفران للنعمة بالتضييع وكل ما خلق الله فى الدنيا انما خلق آلة للعبد
ليتوصل بها الى سعادة الاخرة ونيل القرب من الله تع فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة
الله تع فى الاسباب التى استعملها فى الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال او عاص استعمل فى
طريق البعد فهو كافر جار فى غير محبة الله فالمعصية والطاعة تشملهما المشية ولكن لا
تشملهما المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه وورائه بيان فى هذه
الدقيقة سر القدر الذى منع من افشائه وقد انحل بهذا الاشكال الاول وهو انه اذا لم يكن
للمشكور حظ فكيف يكون الشكر وبهذا ايضا ينحل الثانى فانا لم نعن بالشكر الا انصراف نعمة
الله فى جهة محبة الله فاذا انصرفت النعمة فى جهة المحبة بفعل الله تع فقد حصل المراد وفعلك
عطاء من الله تع ومن حيث انت محله فقد اثنى عليك وثناؤه نعمة اخرى منه اليك فهو الذى
اعطى وهو الذى اثنى وصار احد فعليه سببا لانصراف فعله الثانى الى جهة محبته فله
الشكر على كل حال وانت موصوف بانك شاكر بمعنى انك محل المعنى الذى الشكر عبارة عنه
لا بمعنى انك موجد له كما انك موصوف بانك عارف وعالم لا بمعنى انك خالق العلم وموجده ولكن
بمعنى انك محل له وقد وجد بالقدرة الازلية فيك فوصفك بانك شاكر اثبات شيئية لك
وانت شئ ان جعلك خالق الاشياء شيئا وانما انت لا شئ اذا كنت انت ناظرا لنفسك
شيئية من ذاتك فاما باعتبار النظر الى الذى جعل الاشياء اشياء فانت شئ اذ جعلك
شيئا فان قطع النظر عن جعله كنت لا شئ تحقيقا والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم حيث
قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له لما قيل له ففيم العمل اذ كانت الاشياء قد فرغ عنها من قبل
تبين ان الخلق مجارى قدر الله ومحل افعاله وان كانوا هم ايضا من افعاله ولكن بعض افعاله
محل للبعض وقوله اعملوا وان كان جاريا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فهو فعل من افعاله و
هو سبب لعلم الخلق بان العمل نافع وعلمهم فعل من افعال الله والعلم سبب لانبعاث داعية
جازمة الى الحركة والطاعة وانبعاث الداعية ايضا من افعال الله وهو سبب لحركة الاعضاء وهى
ايضا من افعال الله ولكن بعض افعاله سبب للبعض اى الاول شرط للثانى كما كان خلق الجسم
سببا لخلق العرض اذ لا يخلق العرض قبله وخلق الحيوة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق

الارادة والكل من افعال الله وبعضها سبب للبعض اي هو شرط ومعنى كونه شرطا انه لا يستعد
لقبول فعل الحيوة الا جوهر ولا يستعد لقبول العلم الا ذو حيوة ولا لقبول الارادة الا ذو علم
فيكون بعض افعاله سببا للبعض بهذا المعنى لا بمعنى ان بعض افعاله موجد لغيره بل ممهد شرط
الحصول لغيره وهذا اذا حقق ارتقى الى درجة التوحيد الذي ذكرناه **فان قلت** فلم قال الله
اعملوا والا فانتم معاقبون ومذمومون على العصيان وما الينا شيء فكيف نذم وانما الكل
الى الله تع **فاعلم** ان هذا القول من الله سبب لحصول اعتقاد فينا والاعتقاد سبب لهيجان
الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور وذلك سبب للوصول
الى جوار الله والله تع مسبب الاسباب وهو مرتبها فمن سبق له في الازل السعادة يسر له هذه
الاسباب حتى يقوده بسلسلتها الى الجنة ويعبر عن مثله بان كلا ميسر لما خلق له ومن
لم تسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء فاذا لم يسمع
لم يتعلم واذا لم يتعلم لم يخف واذا لم يخف لم يترك الركون الى الدنيا واذا لم يترك الركون الى الدنيا
بقي في حزب الشيطان وان جهنم لموعدهم اجمعين فاذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقاد ون
الى الجنة بالسلاسل فما من احد الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب وهو تسليط
العلم والخوف عليه وما من مخذول الا وهو مقود الى النار وهو تسليط الغفلة والامن
والغرور عليه فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يساقون الى النار قهرا ولا قاهر
الا الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار واذا انكشف الغطاء عن اعين الغافلين
وشاهدوا الامر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار و
لقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلين لا يسمعون
هذا النداء الا ذلك اليوم فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الاحوال حيث لا
ينفعهم الكشف فنعوذ بالله من الجهل والعمى فانه اصل اسباب الهلاك **بيان
تمييز ما يحبه الله عما يكرهه** اعلم ان فعل الشكر وترك الكفران لا يتم الا بمعرفة ما يحبه الله
معنى الشكر استعمال نعمه في محابه ومعنى الكفر نقيض ذلك اما بترك الاستعمال او
باستعماله في مكارهه ولتمييز ما يحبه الله عما يكرهه مدركان احدهما السمع ومستنده
الآيات والاخبار والثاني بصيرة القلب وهو النظر بعين الاعتبار وهذا الاخير عسير
وهو لاجل ذلك عزيز فلذلك ارسل الله الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تبتني
على معرفة جميع احكام الشرع في افعال العباد فمن لم يطلع على حكم الشرع في جميع افعاله لم يمكنه
القيام بحق الشكر اصلا اما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو ادراك حكمة الله في كل
موجود خلقه اذ ما خلق شيئا في العالم الا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود
هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة الى جلية وخفية اما الجلية فكالعلم بان من الحكم
في خلق الشمس ان يحصل به الليل والنهار فيكون النهار معاشا والليل لباسا فيتيسر
الحركة عند الابصار والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها

حكم اخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في الغيم ونزول الامطار وذلك لانشقاق الارض
بانواع النبات مطعما للخلق ومرعى للانعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية
التي تحتملها افهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه اذ قال تع انا صببنا الماء
صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا الآية واما الحكم في ساير الكواكب
السيارة والثوابت فخفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر الذي يحتمله فهم الخلق انها زينة
للسماء لتستلذ العين بالنظر اليها واشار اليه قوله تع انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب
فجميع اجزاء العالم سماواته وكواكبه وارضه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته واعضاء
حيواناته لا تخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة الى عشر الى الف وكذلك اعضاء
الحيوان تنقسم الى ما يعرف حكمتها كالعلم بان العين للابصار لا للبطش واليد للبطش لا للمشي
والرجل للمشي لا للشم فاما الاعضاء الباطنة من الامعاء والمرارة والكلية والكبد و
آحاد العروق والاعصاب والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفافات والاشتباك
والانحراف والدقة والغلظ وساير الصفات فلا يعرف الحكمة فيها كافة الناس والذين
يعرفونها لا يعرفون منها الا قدرا يسيرا بالاضافة الى ما في علم الله فما اوتيتم من العلم الا قليلا
فاذن كل من استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي اريد به فقد كفر
نعمة الله فيه فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد اذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه
ما يهلكه وياخذ ما ينفعه لا ليهلك بها غيره ومن نظر الى وجه غير محرم فقد كفر نعمة
العين ونعمة الشمس اذ الابصار يتم بهما وانما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه
ويتقي بهما ما يضره فيهما فقد استعملهما في غير ما اريد بهما وهذا لان المراد من خلق الخلق
وخلق الدنيا واسبابها ان يستعين الخلق بها على الوصول الى الله ولا وصول اليه الا بمحبته
والانس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا ولا انس الا بدوام الذكر ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة
بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر الا بدوام البدن ولا يبقى البدن الا بالارض والماء و
الهواء والغذاء ولا يتم ذلك الا بخلق السماء والارض وخلق ساير الاعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك
لاجل البدن والبدن مطية النفس والراجع الى الله هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة ولذلك
قال تع وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله
في جميع الاسباب التي لا بد منها لاقدامه على تلك المعصية ولنذكر مثالا واحدا للحكم الخفية
التي ليست في غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم طريق الشكر والكفران على النعم **فنقول** من نعم الله
تع خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في اعيانهما ولكن يضطر الخلق
اليهما من حيث ان كل انسان محتاج الى اعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وساير حاجاته وقد
يعجز عما يحتاج اليه ويملك ما يستغني عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج الى جمل يركبه
ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه ويحتاج الى الزعفران فلا بد بينهما من معاوضة ولا بد في

مقدار العوض من تقدير اذ لا يبذل صاحب الجمل جملة بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة
بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطي مثله في الوزن والصورة وكذا من يشتري دارا بثياب
او عبدا بخف او دقيقا بحمار فهذه الاشياء لا تناسب فيها فلا يدرى ان الجمل كم يسوى
بالزعفران فيتعذر المعاملات جدا فافتقرت هذه الاعيان المتنافرة المتباعدة الى متوسط
بينهما يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى اذا تقررت المنازل و
ترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي فخلق الله الدراهم والدنانير حاكمين
ومتوسطين بين ساير الاموال حتى يقدر الاموال بهما فيقال هذا الجمل يساوي مائة وهذا
القدر من الزعفران يساوي مائة فهما من حيث انهما مساويان لشيء واحد اذا متساويان وانما
امكن التعديل بالنقدين اذ لا غرض في اعيانهما [ولو كان في اعيانهما صح] غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق
صاحب الغرض ترجيحا ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الامر فاذن خلقهما الله
تع لتتداولهما الايدي ويكونا حاكمين بين الاموال بالعدل ولحكمة اخرى وهي التوسل بهما
الى ساير الاشياء لانهما عزيزان في انفسهما ولا غرض في اعيانهما ونسبتهما الى ساير الاموال
نسبة واحدة فمن ملكهما فكانه ملك كل شيء لا كمن ملك ثوبا فانه لا يملك الا الثوب فلو احتاج الى
طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لان غرضه في دابة مثلا فاحتيج الى شيء آخر
هو في صورته كانه ليس بشيء وهو في معناه كانه كل الاشياء والشيء انما يستوي نسبته الى المختلفات
اذا لم يكن له صورة خاصة تفيدها بخصوصها كالمرآة لا لون لها وتحكي كل لون وكذلك النقد
لا غرض فيه وهو وسيلة الى كل غرض وكالحرف لا معنى له في نفسه ويظهر به المعاني في غيره
فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما ايضا حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملا لا يليق بالحكام
بل يخالف الغرض المقصود بالحكام فقد كفر نعمة الله فيهما فاذن من كنزهما فقد ظلمهما وابطل
الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لانه اذا كنز فقد ضيع
لانه لا يحصل الغرض المقصود به وما خلقت الدراهم لزيد خاصة ولعمرو خاصة اذ لا غرض للآحاد
في اعيانهما فانهما حجران وانما خلقا لتتداولهما الايدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة
معرفة للمقادير مقومة للمراتب فاخبر الله تع الذين يعجزون عن قراءة الاسطر الالهية المكتوبة
على صفحات الموجودات بخط الهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين
البصيرة اخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسوله حتى وصل اليهم بواسطة الحرف والصوت
المعنى الذي عجزوا عن ادراكه فقال والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم وكل من اتخذ الدراهم والدنانير آنية من ذهب وفضة
فقد كفر النعمة وكان اسوأ حالا ممن كنز لان مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في
الحياكة والكنس والاعمال التي تقوم بها اخساء الناس فالحبس اهون منه وذلك لان الخزف
والحديد والرصاص والنحاس ينوب مناب الذهب والفضة في حفظ المايعات عن ان

[منه ص]

تتبدد وانما الاواني لحفظ المايعات ولا يكفي الخزف والحديد في المقصود الذي به اريد به
النقود فمن لم ينكشف له هذا كشف له بالترجمة الالهية وقيل له من شرب في آنية من ذهب
او فضة فكانما يجرجر في بطنه نار جهنم وكل من عامل معاملة الربوا على الدراهم والدنانير
فقد كفر النعمة وظلم لانهما خلقا لغيرهما لا لانفسهما اذ لا غرض في عينهما فاذا اتجر في عينهما
فقد اتخذهما مقصودا على خلاف وضع الحكمة اذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم فان
من معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على ان يشترى به طعاما ودابة اذ ربما لا يباع
الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد ليحصل النقد فيتوصل به الى مقصوده
فانهما وسيلتان الى الغير ولا غرض في اعيانهما وموقعهما من الاموال كموقع الحرف من الكلام
كما قال النحويون ان الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره وكموقع المرآة من الالوان فاما من
معه نقد فلو جاز له ان يبيع بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد
متقيدا عنده وينزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل الى الغير ظلم كما
ان حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد الا باتخاذ النقد مقصودا للادخار وهو
ظلم فان قلت فلم جاز بيع احد النقدين بالآخر ولم جاز بيع الدرهم بمثله فاعلم
ان احد النقدين يخالف الآخر في مقصود التوصل اذ قد يتيسر التوصل باحدهما من
حيث كثرته كالدراهم فيتفرق في الحاجات قليلا قليلا ففي المنع منه ما يشوش المقصود
الخاص به وهو تيسر التوصل به الى غيره واما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث ان
ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به تاجر فانه عبث يجري مجرى وضع الدرهم
على الارض واخذه ونحن لا نخاف على العقلاء بان يصرفوا اوقاتهم الى وضع الدرهم على الارض
واخذه بعينه فلا نمنع مما لا تتشوف النفوس اليه الا ان يكون احدهما اجود وذلك ايضا
لا يتصور جريانه اذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فلا ينتظم العقد وان طلب زيادة
في الرديء فذلك مما نقصده فلا جرم نمنعه منه ونحكم بان جيدها ورديها سواء لان
الجودة والرداءة ينبغي ان ينظر اليهما فيما يقصد في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي
ان ينظر الى مصادفات دقيقة في صفاته وانما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في
الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في اعيانها وحقها ان لا تقصد واما اذا باع درهما
بدرهم مثله نسيئة فانما لم يجز ذلك لانه لا يقدم على هذا الا مسامح قاصد للاحسان في
القرض وهي مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المسامحة فيكون له حمد واجر والمعاوضة
لا حمد فيها ولا اجر وهو ايضا ظلم لانه اضاعة خصوص المسامحة واخراجها في معرض المعاوضة
وكذلك الاطعمة خلقت ليتغذى بها او يتداوى بها فلا ينبغي ان تصرف عن جهتها فان
فتح باب المعاملة فيها يوجب تقييدها في الايدي ويؤخر عنها الاكل الذي اريدت له فما خلق
الطعام الا ليوكل والحاجة الى الاطعمة شديدة فينبغي ان تخرج عن يد المستغني عنها الى المحتاج
ولا يتعامل على الاطعمة الا مستغن عنها اذ من معه الطعام فلم لا ياكله ان كان محتاجا ولم

يجعله بضاعة تجارة وان جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام ليكون
محتاجا اليه فاما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو ايضا مستغن عنه ولهذا ورد في
الشرع لعن المحتكر وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب نعم بايع البر
بالتمر معذور اذ احدهما لا يسد مسد الآخر في الغرض وبايع صاع من البر بصاع منه
غير معذور ولكنه عابث فلا يحتاج الى منع لان النفوس لا تسمح به الا عند التفاوت في الجودة
ومقابلة الجيد بمثله من الردي لا يرضى به صاحب الجيد واما جيد برديين فقد يقصد و
لكن لما كانت الاطعمة من الضرورات والجيد يساوي الردي في اصل الفائدة ويخالفه في وجود
التنعم اسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم الربوا وقد انكشف
لنا هذا بعد الاعراض عن الفقه فليلحق هذا بفن الفقهيات فانه اقوى من جميع ما اوردناه في
الخلافيات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي في التخصيص بالاطعمة دون المكيلات اذ
لو دخل الجص فيه لكان الثياب والدواب اولى بالدخول ولولا الملح لكان مذهب مالك
اقوم المذاهب فيه اذ خصصه بالاقوات ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد ان يضبطه بحد
وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعوم فرأى الشرع التحديد بجنس المطعوم
احوى لكل ما هو ضرورة البقاء وتحديدات الشرع قد تحيط باطراف لا يقوى فيها اصل
المعنى الباعث على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق في تتبع
جوهر المعنى مع اختلافه بالاحوال والاشخاص فتعين المعنى بكمال قوته تختلف بالاحوال والاشخاص
فيكون الحد ضرورة ولذلك قال الله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولان اصول هذه
المعاني لا تختلف فيها الشرائع وانما تختلف في وجوه التحديد كما يحد شرع عيسى تحريم الخمر تحريم
بالسكر وقد حده شرعنا بكونه من جنس المسكر لان قليله يدعو الى كثيره والداخل في الحدود داخل
في التحريم بحكم الحسم كما دخل اصل المعنى بالحكمة الاصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من
حكم النقدين فينبغي ان يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق الله لحكمة فلا ينبغي ان
يصرف عنها ولا يعرف هذا الا من عرف الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولكن لا
تصادف جواهر الحكمة في قلوب هي مزابل الشهوات وملاعب الشياطين بل لا يتذكر الا اولوا الالباب
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى
ملكوت السماء واذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك
وكل فعل صادر منك فانه اما شكر واما كفران لا يتصور ان تنفك عنهما وبعض ذلك نصفه
في لسان الفقه الذي تناطق به عوام الخلق بالكراهة وبعضه بالحظر وكل ذلك عند ارباب
القلوب موصوف بالحظر فاقول مثلا اذا استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة اليدين
اذ خلق الله لك اليدين وجعل احديهما اقوى من الاخرى فاستحق الاقوى بمزيد رجحانها في الغالب
التشريف والتفضيل اذ تفضيل الناقص عدول عن العدل والله لا يأمر الا بالعدل ثم احوجك
من اعطائك اليدين الى اعمال بعضها شريفة كاخذ المصحف وبعضها خسيسة كازالة النجاسة

فاذا اخذت المصحف باليسار وازلت النجاسة منك باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس
فغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل وكذلك اذا بزقت مثلا الى جهة القبلة او
استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله في خلق الجهات وخلق سعة العالم لانه
خلق الجهات لتكون متسعك في حركاتك وقسم الجهات الى ما لم يشرفها والى ما شرفها
بان وضع فيها بيتا اضافه الى نفسه استمالة لقلبك اليه ليتقيد بتقيده قلبك فيتقيد
بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار اذا عبدت ربك وكذلك انقسمت
افعالك الى ما هو شريفة كالطاعات والى ما هو خسيسة كقضاء الحاجة ورمي البزاق
فاذا رميت بزاقك الى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي
بوضعها كمال عبادتك وكذلك اذا لبست خفك فابتدات باليسرى فقد ظلمت لان الخف
وقاية للرجل وللرجل فيه حظ والبداية في الحظوظ ينبغي ان تكون بالاشرف فهو العدل والوفاء
بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران النعمة للرجل والخف وهذا عند العارفين كبيرة وان سماه
الفقيه مكروها حتى ان بعضهم كان قد جمع اكرارا من الحنطة وكان يتصدق بها فسئل
عن سببه فقال لبست المداس مرة فابتدات بالرجل اليسرى سهوا فاريد ان اكفره بالصدقة
نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الامر في هذه الامور لانه مسكين بلي باصلاح العوام الذين
تقرب درجتهم من درجة الانعام وهم منغمسون في ظلمات اطم واعظم من ان يظهر امثال هذه
الظلمات بالاضافة اليها فقبيح ان يقال للذي شرب الخمر واخذ القدح باليسار فقد
تعدى من وجهين احدهما الشرب والآخر الاخذ باليسار ومن باع خمرا في وقت النداء
يوم الجمعة فقبيح ان يقال خالف من وجهين احدهما بيع الخمر والآخر البيع في وقت
النداء ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبرا للقبلة فقبيح ان يذكر ترك الادب في
قضاء الحاجة من حيث لم يجعل القبلة على يمينه فالمعاصي كلها ظلمات وبعضها فوق بعض
فينمحق بعضها في جنب البعض فالسيد قد يعاقب عبده اذا استعمل سكينه بغير اذنه
ولكن لو قتل بتلك السكين اعز اولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير اذنه حكم ونكاية
في نفسه فكل ما راعاه الانبياء والاولياء من الآداب وتسامحنا به في الفقه مع العوام
فسببه هذه الضرورة والا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان
عن الدرجة المبلغة للعبد الى درجات القرب نعم بعضها يؤثر في البعد بنقصان القرب
وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب الى عالم البعد الذي هو مستقر
الشياطين وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير غرض صحيح
فقد كفر نعمة الله في خلق الاشجار وخلق اليد اما اليد فانها لم تخلق للعبث بل للطاعة
وللاعمال المعينة على الطاعة واما الشجرة فانها خلقها الله تعالى وخلق لها العروق وساق
اليها الماء وخلق فيها قوة الاغتذاء والنماء لتبلغ منتهى نشوها فينتفع به عباده فكسره قبل
منتهى نشوها لا على وجه ينتفع به عباده مخالف لمقصود الحكمة وعدول عن العدل فان كان

له غرض صحيح فله ذلك اذا الشجر والحيوان جعلا فداء الاغراض للانسان فانهما جميعا فانيان هالكان فافناء الاخس في بقاء الاشرف مدة ما اقرب الى العدل من تضييعهما جميعا واليه الاشارة بقوله تع وسخر لكم ما في الارض جميعا نعم ان كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم ايضا وان كان محتاجا لان كل شجرة بعينها لا تفي بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحد ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلما وصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الارض وساق اليه الماء وقام بها بالتعهد فهو اولى به من غيره فيترجح جانبه بذلك فان نبت ذلك في موات لا بسعي آدمي اختص بغرسه او بغرسه فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق الى الاخذ فللسابق خاصية السبق فالعدل ان يكون هو اولى به وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو مجاز محض اذ لا ملك الا لمالك الملكوت الذي له ما في السموات والارض وكيف يكون العبد مالكا وهو في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره نعم الخلق عباد الله والارض مائدة الله تع وقد اذن لهم في الاكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لعبيده فمن اخذ لقمة بيمينه واحتوت عليه براجمه فجاء عبد آخر واراد ان ينتزعها من يده لم يمكن منه لا لان اللقمة صارت ملكا له بالاخذ باليد فان اليد وصاحب اليد ايضا مملوك ولكن اذا كان كل لقمة بعينها لا تفي بحاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص ضد حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والاخذ اختصاص ينفرد به العبد فمنع من لا يدلي بذلك الاختصاص عن مزاحمته فهكذا ينبغي ان يفهم امر الله في عباده ولذلك نقول من اخذ من اموال الدنيا اكثر من حاجته وكنزه وامسكه وفي عباد الله من يحتاج اليه فهو ظالم وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وانما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته اموال الدنيا اذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم نعم لا يدخل هذا في حد فتاوي الفقه لان مقادير الحاجات خفية والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة واواخر الاعمار غير معلومة فتكليف العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهم بحكم نقصانهم لا يطيقونه فتركنا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو واباحتنا اياهم ذلك لا يدل على ان اللهو واللعب حق فكذلك اباحتنا للعوام حفظ الاموال والاقتصاد في الانفاق على قدر الزكوة لضرورة ما جبلوا عليه من البخل لا يدل على انه غاية الحق وقد اشار القرآن اليه اذ قال ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه ان لا يأخذ احد من عباد الله من مال الله الا بقدر زاد الراكب وكل عباد الله ركاب لمطايا الابدان الى حضرة الملك الديان فمن اخذ زيادة عليه ومنعه عن راكب آخر محتاج اليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تع عليه بالقرآن والرسول والعقل وساير الاسباب التي بها عرف ان ما سوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تع في جميع انواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستقصاء ذلك يحتاج الى مجلدات ثم لا تفي الا بالقليل وانما

اوردنا هذا القدر لتعلم علة الصدق في قوله تع وقليل من عبادي الشكور وفرح ابليس لعنه الله بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف هذا كله وامور اخر وراء هذا تستغرق الاعمار دون استقصاء مباديها واما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفها كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير **فان قلت** فقد رجع حاصل الكلام الى ان لله تع حكمة في كل شيء وانه جعل بعض افعال العباد سببا لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض افعالهم مانعا من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة الى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الاسباب من ان تنساق الى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الاشكال باق وهو ان فعل العبد المنقسم الى ما يتم الحكمة والى ما يدفعها هو ايضا من فعل الله تع فاين العبد في البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا اخرى **فاعلم** ان تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا فيما سبق الى تلويحات لمباديها ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الايضاع في السير فضلا عن ان يجول في جو الملكوت جولان الطير **فنقول** ان لله سبحانه في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة اعلى واجل من ان تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها فلم يكن في العالم لها عبارة لعلو شانها وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن ان يمتد طرفهم الى مبادي اشراقها فانخفضت عن ذروتها ابصارهم كما تنخفض ابصار الخفافيش عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس ولكن لضعف في ابصار الخفافيش فاضطر الذين فتحت ابصارهم لملاحظة جلالها الى ان يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة توهم من مبادي حقايقها شيا ضعيفا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع ثم الخلق ينقسم في الوجود الى اقسام وخصوص صفات ومصدر انقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة اخرى استعيرت لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة المشية فهي توهم منها امرا مجملا عند المتناطقين باللغات التي هي حروف واصوات المتفاهمين بها وقصور لفظ المشية عن الدلالة على كنه الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة **ثم انقسمت** الافعال الصادرة من القدرة الى ما ينساق الى المنتهى الذي هو عبارة عن غاية حكمتها والى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة الى الصفة المشية لرجوعها الى الاختصاصات التي بها تتم القسمة والاختلاف فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبوب واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقيل انهما جميعا داخلان في وصف المشية ولكن لكل واحد خاصية اخرى في النسبة يوهم لفظ المحبة والكراهة منها امرا مجملا عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات ثم انقسم عباده الذين هم ايضا من خلقه واختراعه الى ما سبقت له في المشية الازلية

ان يستعمله لاستيفاء حكمة دون غايتها ويكون ذلك قهرا في حقهم بتسليط الدواعي
والبواعث عليهم والى من سبقت لهم في الازل ان يستعملهم لسياقة حكمته الى غايتها
في بعض الامور وكان لكل واحد من الفريقين نسبة الى المشية خاصة فاستعير لنسبة
المستعملين في تمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقفت بهم اسباب الحكمة دون
غايتها عبارة الغضب وظهر على من غضب عليه في الازل فعل وقفت الحكمة به دون غايتها فاستعير
له الكفران واردف ذلك بنقمة اللعنة والمذمة زيادة في النكال وظهر على من ارتضاه في الازل
فعل انساقت بسببه الحكمة الى غايتها فاستعير له عبارة الشكر واردف ذلك بخلعة الثناء
والاطراء زيادة في الرضا والقبول والاقبال فكان الحاصل انه اعطى الجمال ثم اثنى واعطى النكال
ثم قبح واردى وكان مثاله ان ينظف الملك عبده الوسخ من اوساخه ثم يلبسه من
محاسن ثيابه فاذا تمم زينته قال الجميل ما اجملك وما اجمل ثيابك وما انظف وجهك
فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثني على الجمال فهو المثني عليه بكل حال فكانه لم يثن من
حيث المعنى الا على نفسه وانما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت
الامور في ازل الآزال وهكذا تسلسلت الاسباب والمسببات بتقدير رب الارباب
ومسبب الاسباب ولم يكن ذلك عن اتفاق وبخت بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وامر جزم
استعير له لفظ القضاء وقيل انه كلمح البصر ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم
بما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقدرات بعضها على بعض لفظ القدر
فكان لفظ القضاء بازاء الامر الواحد الكلي ولفظ القدر بازاء التفصيل المتمادي الى
غير نهاية وقيل ان شيئا من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر فخطر لبعض العباد ان
القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل
وكان بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة كنه هذا الامر والاحتواء على مجامعه فالجموا
عما لم يطيقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا الامر خلقتم لا يسأل عما يفعل
وهم يسألون وامتلأت مشكوة بعضهم نورا مقتبسا من نور الله في السموات والارض وكان
زيتهم اولا صافيا يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فمسته نار فاشتعل نورا على نور فاشرقت
اقطار الملكوت بين ايديهم بنور ربها فادركوا الامور كما هي عليه فقيل لهم تأدبوا بادب الله
واسكتوا واذا ذكر القدر فامسكوا فان للحيطان آذانا وحواليكم ضعفاء الابصار فسيروا
سير اضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لابصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاككم
فتخلقوا باخلاق الله وانزلوا الى السماء الدنيا من منتهى علوكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا
من بقايا انواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفاش من بقايا نور الشمس والكواكب في
جنح الليل فيحيى به حيوة يحتملها شخصه وحاله وان كان لا يحيى به حيوة المترددين في كمال نور
الشمس وكونوا كمن قيل فيهم ٭ شربنا شرابا طيبا عند طيب ٭ كذاك شراب الطيبين يطيب ٭
شربنا واهرقنا على الارض فضله ٭ وللارض من كاس الكرام نصيب ٭ فهكذا كان اول هذا الامر و

آخر

آخره ولا تفهمه الا اذا كنت اهلا له واذا كنت اهلا له فتحت عينك وابصرت فلا تحتاج
الى قائد يقودك والاعمى يمكن ان يقاد ولكن الى حد ما فاذا ضاق الطريق وصار احد من السيف
وادق من الشعر قدر الطائر على ان يطير عليه ولم يقدر على ان يستجر وراءه اعمى واذا دق
المجال ولطف لطف الماء مثلا لم يمكن العبور الا بالسباحة فقد يقدر الماهر بصناعة السباحة
ان يعبر بنفسه وربما لم يقدر ان يستجر وراءه اعمى فهذه امور نسبة السير عليها الى
السير على ما هو مجال جماهير الخلق كنسبة المشي على الماء الى المشي على الارض والسباحة يمكن ان
تتعلم فاما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعلم بل ينال بقوة اليقين ولذلك قيل للنبي صلى الله عليه و
سلم ان عيسى يقال انه مشى على الماء فقال لو ازداد يقينا لمشى على الهواء فهذه رموز واشارات
الى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم المعاملة اكثر منه وقد
ضرب الله تع مثلا لذلك تقريبا الى افهام الخلق اذ عرف انه ما خلق الجن والانس الا ليعبدون
فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم اخبر ان له عبدين يحب احدهما واسمه جبريل و
روح القدس والامين وهو محبوب مطاع مكين ويبغض الآخر واسمه ابليس وهو اللعين
المنظر الى يوم الدين ثم احال الارشاد الى جبريل فقال قل نزله روح القدس من ربك بالحق
وقال يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده واحال الاغواء على ابليس فقال ليضلهم عن سبيله
والاغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبه الى العبد الذي
غضب عليه والارشاد سياقة لهم الى الغاية فانظر كيف نسبه الى العبد الذي احبه وعندك
في العادة له مثال فالملك اذا كان يحتاج الى من يسقيه الشراب والى من يحجمه وينظف فناء
داره عن القاذورات وكان له عبدان فلا يعين للتنظيف والحجامة الا اقبحهما واخسهما
ولا يفوض حمل الشراب الطيب الا الى احسنهما واكملهما واحبهما اليه ولا ينبغي ان
تقول هذا فعلي فلم لم يكن فعله على وفق فعلي فانك اخطأت اذا اضفت ذلك الى نفسك
بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشي المكروه والفعل المحبوب بالشي المحبوب
اتماما للعدل فان عدله تارة يتم بامور لا مدخل لك فيها وتارة يتم بك فانك ايضا من افعاله
فداعيتك وقدرتك وعلمك وعملك وسائر اسباب حركاتك في التعيين هو فعله الذي رتبه بالعدل
ترتيبا يصدر منه الافعال المعتدلة الا انك لا ترى الا نفسك فتظن ان ما يظهر عليك في عالم
الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت فلذلك تضيفه الى نفسك وانما انت مثل
الصبي الذي ينظر ليلا الى لعب المشعبذ الذي يخرج صورا من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم
وتقعد وهي مؤلفة من خرق لا تتحرك بانفسها انما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام
الليل ورؤسها في يد المشعبذ وهو محتجب عن ابصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم
ان تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد واما العقلاء فانهم يعلمون ان ذلك تحريك و
ليس بتحرك ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلمه المشعبذ الذي
الامر اليه والجاذب بيده فكذلك صبيان اهل الدنيا والخلق كلهم صبيان الا العلماء ينظرون الى

هذه الاشخاص فيظنون انها المتحركة فيحملون عليها والعلماء يعلمون انهم محركون الا انهم لا
يعرفون كيفية التحريك وهم الاكثرون الا العارفون والعلماء الراسخون فانهم ادركوا بحدة ابصارهم
خيوطا دقيقة عنكبوتية بل ادق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الاطراف باشخاص
اهل الارض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الابصار الظاهرة ثم شاهدوا رؤس تلك الخيوط
في مناطات لها معلقة منها وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في ايدي الملائكة
المحركين للسموات وشاهدوا ابصار ملائكة السموات مصروفة الى حملة العرش ينتظرون
منهم ما ينزل عليهم من الامر من حضرة الربوبية كيلا يعصوا الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن فقيل وفي السماء رزقكم وما توعدون وعبر عن انتظار ملائكة
السموات لما ينزل لهم من الامر والقدر فقيل سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر
بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وهذه امور لا يعرفها ولا يعلم
تأويلها الا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنه عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم
لا يحتملها افهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى يتنزل الامر بينهن فقال لو ذكرت ما اعرفه من معنى
هذه الآية لرجمتموني وفي لفظ آخر لقلتم انه كافر ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان
الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منه فلنرجع الى مقاصد الشكر فاقول
اذا رجع حقيقة الشكر الى كون العبد مستعملا في اتمام حكمة الله فاشكر العباد احبهم الى الله
واقربهم الى الملائكة ولهم ايضا ترتيب وما منهم الا له مقام معلوم واعلاهم رتبة في القرب
اسمه اسرافيل وانما علو درجتهم لانهم في انفسهم كرام بررة وقد اصلح الله بهم الانبياء وهم اشرف
مخلوق على وجه الارض ويلي درجتهم درجة الانبياء فانهم في انفسهم اخيار وقد هدى الله بهم سائر
الخلق وبهم تم حكمته واعلاهم رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم اذ اكمل الله به الدين وختم به النبيين
ويليهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء فانهم في انفسهم صالحون وقد اصلح الله بهم سائر الخلق ودرجة
كل واحد بقدر ما اصلح من نفسه ومن غيره ثم يليهم السلاطين بالعدل لانهم اصلحوا دنيا الخلق كما
اصلح العلماء دينهم ولاجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا كان صلى الله عليه وسلم افضل من
سائر الانبياء فانه اكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الانبياء ثم يلي
العلماء الصالحون الذين اصلحوا نفوسهم فقط فلم تتم حكمة الله بهم الا فيهم ومن عدا هؤلاء فهمج
رعاع واعلم ان السلطان به قوام الدين فلا ينبغي ان يستحقر وان كان ظالما فاسقا قال
عمرو بن العاص رضي الله عنه امام غشوم خير من فتنة تدوم وقال النبي صلى الله عليه وسلم
سيكون عليكم امراء يفسدون وما يصلح الله بهم اكثر فان احسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر
وان اساؤا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وقال سهل رضي الله عنه من انكر امامة السلطان
فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن اتاه من غير دعوة فهو جاهل وسئل
اي الناس خير فقال السلطان فقيل كنا نرى ان شر الناس السلطان فقال مهلا ان
لله تعالى في كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة اموال الناس ونظرة الى سلامة ابدانهم فيطلع في

ونعم بهم

كان صم

صحيفته فيغفر له جميع ذنوبه وكان يقول الخشبات السود المعلقة على ابوابهم خير من سبعين
قاصا يقصون **الركن الثاني من اركان الشكر ما عليه الشكر وهو النعمة** فلنذكر
حقيقة النعمة واقسامها ودرجاتها واصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فان احصاء نعم الله تعالى
على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فنقدم امورا
كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتغل بذكر الآحاد **بيان حقيقة النعمة واقسامها**
اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة ولكن النعمة بالحقيقة هي
السعادة الاخروية وتسمية ما عداها نعمة وسعادة اما غلط واما مجاز كتسمية السعادة
الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فان ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء
صدقا ولكن يكون اطلاقه على السعادة الاخروية اصدق بل كل سبب يوصل الى سعادة
الآخرة ويعين عليها اما بواسطة واحدة او بوسائط فان تسميته نعمة صحيح وصدق لاجل
انه يفضي الى النعمة الحقيقية والاسباب المعينة واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات
القسمة الاولى ان الامور كلها بالاضافة الينا تنقسم الى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا كالعلم
وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما جميعا كالجهل وسوء الخلق والى ما ينفع في الحال ويضر في المآل
كالتلذذ باتباع الشهوات والى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات و
مخالفة النفس فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما
هو البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي البصائر
ويظنه الجهال نعمة ومثاله الجائع اذا وجد فيه عسلا فيه سم فانه يعده نعمة ان كان جاهلا
به واذا علمه علم انه بلاء سيق اليه والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الالباب
بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه الا انه شاف من الامراض والاسقام
وجالب للصحة والسلامة فالصبي الجاهل اذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة و
يتقلد المنة ممن يهديه اليه ويهيئ له اسبابه فلذلك تمنع الام ولدها من الحجامة والاب
يدعوه اليها فان الاب بكمال عقله يلحظ العاقبة والام لقصورها وفرط حبها تلحظ الحال و
الصبي بجهله يتقلد منة من امه دون ابيه ويأنس اليها والى شفقتها ويقدر الاب عدوا
له ولو عقل لعلم ان الام عدو باطن في صورة صديق لان منعها اياه من الحجامة يسوقه الى امراض
وآلام اشد من الحجامة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل انسان فانه صديق نفسه و
لكنه صديق جاهل فلذلك تعمل به ما لا يعمل به العدو **قسمة ثانية** اعلم ان الاسباب الدنيوية
مختلطة قد اختلط خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها كالمال والاهل والولد والاقارب والجاه وسائر
الاسباب ولكن تنقسم الى ما نفعه اكثر من ضرره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الاسباب
والى ما ضرره اكثر من نفعه في حق اكثر الاشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما يكافئ
ضرره نفعه وهذه امور تختلف بالاشخاص فرب انسان صالح ينتفع بالمال الكثير وان كثر
فينفقه في سبيل الله ويصرفه الى الخيرات فهو مع التوفيق نعمة في حقه ورب انسان يستضر

بالقليل ايضا اذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع
هذا الخذلان بلاء في حقه **قسمة ثالثة** اعلم ان الخيرات باعتبار آخر ينقسم الى ما هي موثرة
لذاتها والى ما هي موثرة لغيرها والى ما هي موثرة لذاتها ولغيرها فالاول ما يوثر لذاته لا
لغيره كلذة النظر الى وجه الله تع وسعادة لقائه وبالجملة سعادة الآخرة التي لا انقضاء
لها فانها لا تطلب ليتوصل بها الى غاية اخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها الثاني
ما يقصد لغيره ولا غرض اصلا في ذاته كالدراهم والدنانير فان الحاجات لو كانت لا تنقضي
بها لكانت هي والحصى بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة الى اللذات سريعة الايصال
اليها صارت عند الجهال محبوبة في انفسها حتى انهم يجمعونها ويكنزونها ويتصارفون
عليها بالربوا ويظنون انها مقصودة ومثال هولاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه
رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول محبة الاصل فيعرض عنه طول عمره
ولا يزال بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده وهو غاية الجهل والضلال الثالث ما يقصد مشغولا م
لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين
الى لقاء الله سبحانه وتعالى او ليتوصل بها الى استيفاء لذات الدنيا وتقصد ايضا لذاتها فان
الانسان وان استغنى عن المشي الذي تراد سلامة الرجل لاجله يريد ايضا سلامة الرجل
من حيث انها سلامة فاذن المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقا وما يوثر لذاته ولغيره ايضا
فهو نعمة ولكن دون الاول فاما ما لا يوثر الا لغيره كالنقدين فلا يوصفان في نفسهما من
حيث هما جوهران بانهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد امرا
ليس يمكنه ان يتوصل اليه الا بهما فلو كان مقصوده العلم والعبادة ومعه الكفاية التي
هي ضرورة حيوته استوى عنده الذهب والمدر فكان وجودهما وعدمهما عنده
بمثابة واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان
نعمة **قسمة رابعة** اعلم ان الخيرات باعتبار آخر تنقسم الى نافع وجميل ولذيذ فاللذيذ هو
الذي يدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المآل والجميل هو الذي يستحسن
في سائر الاحوال والشرور ايضا تنقسم الى ضار وقبيح ومولم وكل واحد من القسمين ضربان
مطلق ومقيد فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الاوصاف الثلاثة اما في الخير فكالعلم والحكمة
فانها نافعة وجميلة ولذيذة عند اهل العلم والحكمة واما في الشر فكالجهل فانه ضار وقبيح
ومولم وانما يحس الجاهل بالم جهله اذا عرف انه جاهل بان يرى غيره عالما ويرى نفسه جاهلا
فيدرك الم النقص فينبعث منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد يمنعه الحسد والكبر والشهوات
البدنية عن التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم المه فانه ان ترك التعلم تالم بالجهل ودرك
النقصان وان اشتغل بالتعلم تالم بترك الشهوات او بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص
لا يزال في عذاب دائم لا محالة والضرب الثاني مقيد وهو الذي يجمع بعض هذه الاوصاف
دون بعض فرب نافع مولم كقطع الاصبع المتآكلة والسلعة الخارجة من البدن ورب

نافع قبيح كالحمق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال نافع اذ يقال استراح من لا عقل له فانه لا يهتم
بالعاقبة يستريح في الحال الى ان يجيء وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه
كالقاء المال في البحر عند خوف الغرق فانه ضار للمال ونافع للنفس في نجاتها والنافع قسمان
ضروري كالايمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الآخرة واعني بهما العلم والعمل اذ لا يقوم
مقامهما البتة غيرهما وما لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا في تسكين الصفراء فانه قد يمكن
تسكينها بما يقوم مقامه **قسمة خامسة** اعلم ان النعمة يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالاضافة
الى الانسان من حيث اختصاصه بها ومشاركة لغيره ثلاثة انواع عقلية وبدنية مشتركة
مع بعض الحيوانات اما العقلية فكلذة العلم والحكمة اذ ليس يستلذها السمع والبصر و
الشم ولا البطن ولا الفرج وانما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل و
هذه اقل اللذات وجودا وهي اشرفها اما قلتها فلان العلم لا يستلذه الا عالم والحكمة لا
يستلذها الا حكيم وما اقل اهل العلم والحكمة وما اكثر المتشبهين باسمهم والمترسمين برسومهم
واما شرفها فلانها لازمة لا تزول ابدا لا في الدنيا ولا في الآخرة ودائمة لا تمل فالطعام يشبع
منه فيمل وشهوة الوقاع يفرغ عنها فتستثقل والعلم والحكمة لا يتصور قط ان يمل ويستثقل
ومن قدر على الشريف الباقي ابد الآباد اذا رضي بالخسيس الفاني في اقرب الآماد فهو مصاب
في عقله محروم لشقاوته وادباره واقل امر فيه ان العلم والعقل لا يحتاج الى اعوان و
حفظة بخلاف المال اذ العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال
ينقص بالانفاق والمال يسرق والولاية يعزل عنها صاحبها والعلم لا تمتد اليه ايدي
السراق بالاخذ ولا ايدي السلاطين بالعزل فيكون صاحبه في روح الامن ابدا وصاحب
المال والجاه في كرب الخوف ابدا ثم العلم نافع ولذيذ وجميل في كل حال وابدا والمال تارة
يجذب الى الهلاك وتارة يجذب الى النجاة ولذلك ذم الله تع المال في القرآن في مواضع
وان سماه خيرا في مواضع واما قصور اكثر الخلق عن ادراك لذة العلم فاما لعدم الذوق
فمن لم يذق لم يعرف ولم يشتق اذ الشوق يتبع الذوق واما لفساد امزجتهم ومرض
قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه مرا واما
لقصور فطرتهم اذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا
يدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ الا اللبن وذلك لا يدل على انها ليست لذيذة
ولا استطابته اللبن تدل على انه الذ الاشياء فالقاصرون عن درك لذة الحكمة والعلم ثلثة
اما من لم يحي بعد باطنه كالطفل واما من مات باطنه بعد الحيوة باتباع الشهوات
واما المرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تع في قلوبهم مرض اشارة الى مرض القلوب و
قوله لينذر من كان حيا اشارة الى من حي حيوة باطنة وكل حي بالبدن ميت بالقلب
فهو عند الله من الموتى وان كان عند الجهال من الاحياء ولذلك كان الشهداء احياء عند ربهم
يرزقون فرحين وان كانوا موتى بالابدان الثانية لذة يشارك الانسان فيها بعض

الحيوانات كلذة الرياسة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الاسد والنمر وبعض الحيوانات
الثالثة ما يشارك فيها ساير الحيوانات كلذة البطن والفرج وهذه اكثرها وجودا
وهي اخسها ولذلك اشترك فيها كل ما دب ودرج حتى الديدان والحشرات ومن جاوز هذه
الرتبة تشبث به لذة الغلبة وهي اشدها التصاقا بالمتغافلين فان جاوز ذلك ارتقى الى الثالثة
فصار اغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لا سيما لذة معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله و
هذه رتبة الصديقين ولا ينال تمامها الا بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب وآخر ما
يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة واما شره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه
الصالحون وشهوة الرياسة لا يقوى على قهرها الا الصديقون فاما قمعها بالكلية حتى
لا يقع بها الاحساس على الدوام وفي اختلاف الاحوال يشبه ان يكون خارجا عن مقدور البشر
نعم تغلب لذة معرفة الله في احوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرياسة والغلبة ولكن ذلك
لا يدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود اليه الصفات البشرية فتكون موجودة لكن تكون
مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل وعند هذا تنقسم القلوب الى
اربعة اقسام قلب لا يحب الا الله ولا يستريح الا بزيادة المعرفة به والفكر فيه وقلب لا
يدري لذة المعرفة وما معنى الانس بالله وانما لذته بالجاه والرياسة والمال وساير الشهوات
البدنية وقلب اغلب احواله الانس بالله والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتريه
في بعض الاحوال الرجوع الى الاوصاف البشرية وقلب اغلب احواله التلذذ بالصفات
البشرية وقد يعتريه في بعض الاحوال تلذذ بالمعرفة والعلم اما الاول فان كان ممكنا في الوجود
فهو في غاية البعد واما الثاني فالدنيا طافحة به واما الثالث والرابع فموجود ولكن
على غاية الندور ولا يتصور ان يكون الا نادرا شاذا وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة
وانما تكون كثيرة في الاعصار القريبة من اعصار الانبياء فلا يزال العهد يزداد طولا ويزداد
مثل هذه القلوب قلة الى ان تقرب الساعة ويقضي الله امرا كان مفعولا وانما وجب ان
يكون هذا نادرا لانه مبادي ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لا يكثرون فكما لا يكون الفائق
في الملك والجمال الا نادرا واكثر الناس من دونهم فكذا في ملك الآخرة فان الدنيا مرآة الآخرة
فانها عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب
كما ان الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة والصورة في المرآة وان كانت الثانية
في رتبة الوجود فانها اول في حق رؤيتك فانك لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة اولا
فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانيا على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود
متبوعا في حق المعرفة وانقلب المتاخر متقدما وهذا نوع من الانعكاس لكن الانعكاس والانتكاس
ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة محاك لعالم الغيب والملكوت فمن الناس من
يتيسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك الا ويعبر به الى عالم الملكوت فيسمى عبوره
عبرة وقد امر الخلق به فقيل فاعتبروا يا اولي الابصار ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر

فاحتبس

فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستنفتح الى حبسه ابواب جهنم وهذا الحبس ممتلئ نارا
شانها ان تطلع على الافئدة الا ان بينها وبين ادراكه لها حجابا فاذا رفع الحجاب بالموت ادرك
وعن هذا اظهر الله تع الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان
ولكن الجحيم تدرك مرة بادراك يسمى علم اليقين وعين اليقين لا تكون الا في الآخرة وعلم
اليقين قد يكون الآن في الدنيا ولكن للذين توفر حظهم من نور اليقين فلذلك قال الله تع كلا
لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم اي في الدنيا ثم لترونها عين اليقين اي في الآخرة فاذن قد ظهر
ان القلب الصالح لملك الآخرة لا يكون الا عزيزا كالشخص الصالح لملك الدنيا **قسمة سادسة**
حاوية لمجامع النعم اعلم ان النعم تنقسم الى ما هي غاية مطلوبة لذاتها والى ما هي مطلوبة لاجل الغاية
اما الغاية فانها سعادة الآخرة ويرجع حاصلها الى اربعة امور بقاء لا فناء له وسرور لا
غم فيه وعلم لا جهل معه وغنى لا فقر معه وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لا عيش الا عيش الآخرة وقال ذلك مرة في الشدة تسلية للنفس وذلك في وقت حفر الخندق
في شدة الضر وقال ذلك مرة في السرور منعا للنفس من الركون الى سرور الدنيا وذلك
عند احداق الناس به في حجة الوداع وقال رجل اللهم اني اسالك تمام النعمة فقال
صلى الله عليه وسلم وهل تعلم ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة واما الوسايل فتنقسم الى
الاقرب الاخص كفضايل النفس والى ما يليه في القرب كفضايل البدن وهو الثاني و
الى ما يليه في القرب ويجاوز الى غير البدن كالاسباب المطيفة بالبدن من الاهل والمال و
العشيرة والى ما يجمع بين هذه الاسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق
والهداية فهي اذا اربعة انواع النوع الاول وهو الاخص الفضايل النفسية ويرجع حاصلها
مع انشعاب اطرافها الى الايمان وحسن الخلق وينقسم الايمان الى علوم المكاشفة وهو العلم
بالله وصفاته وملايكته ورسله والى علوم المعاملة وحسن الخلق ينقسم الى قسمين ترك
مقتضى الشهوة والغضب واسمه العفة ومراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات
والاقدام حتى لا يمتنع اصلا ولا يقدم كيف شاء بل يكون احجامه واقدامه بالميزان العدل
الذي انزله الله تع على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم اذ قال الا تطغوا في الميزان واقيموا
الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان فمن اخصى نفسه لترك شهوة النكاح او ترك النكاح مع
القدرة والامن من الآفات او ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد
اخسر الميزان ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان وانما العدل ان
يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعتدل به كفتا الميزان فاذن الفضايل الخاصة
بالنفس المقربة الى الله تع اربع علم المكاشفة وعلم المعاملة وعفة وعدالة ولا يتم هذا في غالب
الامر الا بالنوع الثاني وهي النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي اربعة المال والجاه والاهل
وكرم العشيرة ولا ينتفع بشيء من هذه الاسباب الخارجة والبدنية الا بالنوع الرابع وهي
الاسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضايل النفسية الداخلة وهي اربع هداية الله ورشده

الا بالنوع الثاني وهي الفضايل البدنية
وهي اربع الصحة والقوة والجمال و
طول العمر ولا تتهيأ هذه الاربعة الا هو

وتسديده وتأييده فمجموع هذه النعم ستة عشر اذ قسمناها الى اربع وقسمنا كل واحد الى اربع وهذه الجملة يحتاج البعض منها الى البعض اما حاجة ضرورية او نافعة اما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة الى الايمان وحسن الخلق اذ لا سبيل الى الوصول الى سعادة الآخرة البتة الا بهما فليس للانسان الا ما سعى وليس لاحد في الآخرة الا ما تزود من الدنيا وكذلك حاجة الفضائل النفسية بكسب العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن ضرورية واما الحاجة النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية الى النعم الخارجة مثل المال والعز والاهل فان ذلك لو عدم ربما تطرق الخلل الى بعض النعم الداخلة **فان قلت** فما وجه الحاجة لطريق الآخرة الى النعم الخارجة من المال والجاه والاهل والعشيرة **فاعلم** ان هذه الاسباب جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود **اما المال** فالفقير في طلب العلم بدون ما فيه كفاية كساع الى الهيجاء بغير سلاح وكبازي متصيد بلا جناح ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال نعم العون على تقوى الله المال وكيف ومن عدم المال صار مستغرق الاوقات في طلب القوت وفي تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لانواع من الاذى تشغله عن الذكر والفكر ولا تندفع الا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم فضيلة الحج والزكوة والصدقات وافاضة الخيرات وقيل لبعض الحكماء ما النعم قال الغنى فاني رأيت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال العافية فاني رأيت المريض لا عيش له قيل زدنا قال الامن فاني رأيت الخائف لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فاني رأيت الهرم لا عيش له فكأن ما ذكره اشارة الى نعيم الدنيا ولكن من حيث انه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال عليه السلام من اصبح معافى في بدنه آمنا في سربه وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها **واما** الاهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة اليهما اذ قال صلى الله عليه وسلم نعم العون على الدين المرأة الصالحة وقال في الولد اذا مات الرجل انقطع عمله الا من ثلاث ولد صالح يدعو له وقد ذكرنا فوائد الاهل والولد في كتاب النكاح **واما** الاقارب فمهما كثر اولاد الرجل واقاربه كانوا له مثل الاعين والايدي فيتيسر له بسببهم من الامور الدنيوية المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال شغله وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين على الدين فهو اذن نعمة **واما** العز والجاه فيه يدفع الانسان عن نفسه الضيم والذل فلا يستغني عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وانما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه ولذلك قيل الدين والملك توأمان وقال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولا معنى للجاه الا الملك في القلوب كما لا معنى للغنى الا ملك الدراهم ومن ملك القلوب تسخرت له ارباب القلوب لدفع الاذى عنه فكما يحتاج الانسان الى سقف يدفع عنه المطر وجبة تدفع عنه البرد وكلب يدفع الذئب عن ماشيته فيحتاج ايضا الى من يدفع الشر عن نفسه وعلى هذا القصد كان الانبياء الذين

الى صحة البدن

لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائنهم والاستئثار والاستكثار في الدنيا بما يعتقدهم ولا تظنن ان نعمة الله على رسوله حيث نصره واكمل دينه واظهره على جميع اعدائه ومكن له في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه كان اقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر الى الهرب والهجرة **فان قلت** فكرم العشيرة وشرف الاهل هل هو من نعم الله ام لا **فاقول** نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم ارومة في نسب آدم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم فان العرق نزاع وقال اياكم وخضراء الدمن فقيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء فهذا ايضا من النعم ولست اعني به الانتساب الى الظلمة وارباب الدنيا بل الانتساب الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الائمة والعلماء والى الصلحاء والابرار المتوسمين بالعلم والعمل **فان قلت** فما معنى الفضائل البدنية **فاقول** لا خفاء بشدة الحاجة الى الصحة والقوة والى طول العمر اذ لا يتم علم ولا عمل الا بهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعة الله وانما يستحقر من جملته امر الجمال فيقال يكفي ان يكون البدن سليما من الامراض الشاغلة عن تحري الخيرات ولعمري الجمال قليل الغناء ولكنه من الخيرات ايضا اما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها واما في الآخرة فمن وجهين احدهما ان القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل الى الاجابة اقرب وجاهه في الصدور اوسع فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه اذ هو نوع قدرة اذ يقدر الجميل الوجه على تنجز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء الحاجات في الدنيا فمعين على الآخرة بواسطتها **والثاني** ان الجمال في الاكثر يدل على فضيلة النفس لان نور النفس اذا تم اشراقه تأدى الى البدن فالمنظر والمخبر كثيرا ما يتلازمان ولذلك عول اصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيئة البدن وقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ولذلك يظهر فيه اثر الغضب والسرور والغم ولذلك قيل طلاقة الوجه عنوان ما في النفس وقيل ما في الارض قبيح الا ووجهه احسن ما فيه واستعرض المأمون جيشا فعرض عليه رجل قبيح الوجه فاستنطقه فاذا هو ألكن فاسقط اسمه من الديوان وقال الروح اذا اشرقت على الظاهر فصباحة وعلى الباطن ففصاحة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن وقد قال عليه السلام اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وقال عمر رضي الله عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن الوجه حسن الاسم وقال الفقهاء اذا تساوت درجات المصلين فاحسنهم وجها اولاهم بالامامة وقال تعالى ممتنا به وزاده بسطة في العلم والجسم ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فان ذلك انوثة وانما نعني به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الاعضاء وتناسب خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر اليه **فان قيل** فقد ادخلت المال والجاه والنسب

والاهل والولد في حيز النعم وقد ذم الله تع المال والجاه وكذا رسوله وكذا العلماء وقال الله تع
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وقال تع انما اموالكم واولادكم فتنة وقال علي رضي الله عنه
في ذم النسب الناس ابناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه وقيل المرء بنفسه لا بابيه
فما معنى كونها مذمومة شرعا **فاعلم** ان من ياخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المأولة و
العمومات المخصصة كان الضلال عليه اغلب ما لم يهتد بنور الله الى ادراك الامور على ما هي عليه
ثم تنزيل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتاويل مرة وبالتخصيص اخرى فهذه نعم معينة على امر
الاخرة ولا سبيل الى جحدها الا ان فيها فتنا ومخاوف فمثال المال مثال الحية التي فيها
ترياق نافع وسم ناقع فان اصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج
ترياقها النافع كانت نعمة وان اصابها السوادي الغر فهي عليه بلاء وهلاك وهو مثل البحر
الذي تحته اصناف الجواهر واللآلي فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق الغوص و
طريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمة وان خاضه جاهلا بذلك فقد هلك ولذلك
مدح الله تع المال وسماه خيرا وقد مدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم العون على
تقوى الله المال وكذلك مدح الجاه والعز اذ من الله تعالى على نبيه بان اظهره على الدين
كله وبان حببه في قلوب الخلق وهو المعني بالجاه ولكن المنقول في مدحهما قليل والمنقول
في ذم المال والجاه كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه اذ الرياء مقصوده اجتلاب
القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب وانما كثر هذا وقل ذاك لان الناس اكثرهم جهال
بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم لانهم يهلكون بسم المال
قبل الوصول الى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره ولو كانا في اعيانهما
مذمومين بالاضافة الى كل احد لما تصور ان ينضاف الى النبوة الملك كما كان لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا ان ينضاف اليها الغنى كما كان لسليمن عليه السلم فالناس كلهم صبيان
والاموال حيات والانبياء والعارفون معزمون وقد يضر الصبي ما لا يضر المعزم نعم المعزم
لو كان له ولد يريد بقاءه واصلاحه وقد وجد حية وعلم انه لو اخذها لاجل ترياقها لاقتدى
به ولده فاخذ الحية اذا رآها ليلعب بها فيهلك فله غرض في الترياق وله غرض في حفظ
الولد فواجب عليه ان يزن غرضه في الترياق ولا يستضر به ضررا كثيرا ولو اخذها لاخذ
الصبي ويعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه ان يهرب عن الحية اذا رآها ويشير على الصبي بالهرب
ويقبح صورتها في عينه ويعرفه ان فيها سما قاتلا لا ينجو منه احد ولا يخبره اصلا بما
فيها من الترياق فان ذلك ربما يغره فيقدم عليها من غير تمام المعرفة وكذلك الغواص لو علم
انه لو غاص وهلك فوجب عليه ان يحذر الصبي ساحل البحر والنهر
فان كان الصبي ينزجر بمجرد الزجر مهما راى اباه يحوم حول الساحل فواجب عليه ان يبعد من
الساحل مع الصبي فلا يقرب منه بين يديه فكذلك الامة في حجر الانبياء كالصبيان الاغبياء
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده وقال انكم تتهافتون على النار

تهافت الفراش وانا آخذ بحجزكم وحظهم الاوفر في حفظ اولادهم عن المهالك فانهم لم
يبعثوا الا لذلك وليس لهم في المال حظ الا بقدر الكفاية فلا جرم اقتصروا على قدر القوت و
ما فضل منه فانفقوه ولم يمسكوه فان الانفاق فيه الترياق والامساك فيه السم ولو فتح للناس باب كسب
المال ورغبوا فيه لرغبوا في سم الامساك ورغبوا عن ترياق الانفاق فلذلك قبحت الاموال
والمعني به تقبيح امساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها ربما يوجب
الركون الى الدنيا ولذاتها فاما اخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل الى الخيرات فليس بمذموم و
حق كل مسافر ان لا يحمل الا بقدر زاده في السفر اذا صمم العزم على ان يختص بما يحمله فاما ان
سمحت نفسه باطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا باس بالاستكثار وقوله عليه السلم
لا تاخذوا من الدنيا الا بقدر زاد الراكب ليكن بلاغ احدكم من الدنيا كزاد الراكب معناه لانفسكم
خاصة والا فقد كان ممن يروي هذا الحديث ويعمل به ياخذ مائة الف درهم في موضع واحد
ويفرقها في موضعه ولا يمسك منها حبة ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاغنياء
يدخلون الجنة بعد الفقراء استاذنه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في ان يخرج من جميع ما
يملكه فاذن له فنزل جبرئيل وقال مره بان يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف الحديث
فاذن النعم الدنيوية مشوبة وقد امتزج دواؤها بدائها ومرجوها بمخوفها ونفعها بضرها فمن
وثق ببصيرته وكمال معرفته فله ان يقرب منها متقيا داءها ومستخرجا دواءها والا فالبعد
البعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار فلا تعدل بالسلامة شيئا في حق هؤلاء وهم الخلق
كلهم الا من عصمه الله تع وهداه الطريق **فان قلت** فما معنى النعم التوفيقية الراجعة الى
الهداية والرشد والتاييد والتسديد **فاعلم** ان التوفيق لا يستغني عنه احد وهو عبارة
عن التاليف والتلفيق بين ارادة العبد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما
هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من
جملة قضاء الله وقدره كما ان الالحاد عبارة عن الميل فخصص بمن يميل الى الباطل من الحق وكذا
الارتداد ولا خفاء بالحاجة الى التوفيق ولذلك قيل. اذا لم يكن عون من الله للفتى. فاكثر
ما يجني عليه اجتهاده فاما الهداية فلا سبيل لاحد الى طلب السعادة الا بها لان داعية
الانسان قد تكون مائلة الى ما فيه صلاح آخرته ولكن اذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن
الفساد صلاحا فمن اين ينفعه مجرد الارادة فلا فائدة في الارادة والقدرة والاسباب الا بعد
الهداية ولذلك قال تع ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال تع ولولا فضل الله عليكم
ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد
يدخل الجنة الا برحمة الله تع اي بهدايته فقيل ولا انت يا رسول الله فقال ولا انا وللهداية
ثلاث منازل الاولى معرفة طريق الخير والشر المشار اليه بقوله تع وهديناه النجدين وقد انعم
الله تع به على كافة عباده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ولذلك قال تع واما ثمود
فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقول

وهي مبذولة فلا يمنع منها الا الحسد والكبر وحب الدنيا والاسباب التي تعمي القلوب وان
كانت لا تعمي الابصار ومن جملة المعميات الالف والعادة وحب استصحابها وعنه
العبارة بقوله تع انا وجدنا اباءنا على امة وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تع وقالوا لولا
نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقوله تع ابشرا منا واحدا نتبعه فهذه المعميات
هي التي منعت الاهتداء والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة وهي التي يمد الله
بها العبد حالا بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وهو المراد بقوله تع والذين اهتدوا زادهم هدى والهداية الثالثة وراء الثانية وهي النور
الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدي بها الى ما لا يهتدى اليه بالعقل
الذي يحصل التكليف وامكان تعلم العلوم به وهو الهدى المطلق وما عداه حجاب ومقدمات
لها وهو الذي شرفه الله تع بتخصيص الاضافة وان كان الكل من جهته فقال قل ان هدى الله
هو الهدى وهو المسمى حيوة في قوله تع او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في
الناس وبقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه واما الرشد فنعني به
العناية الالهية التي تعين الانسان عند توجهه الى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره
عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تع ولقد آتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا
به عالمين فالرشد عبارة عن هداية باعثة الى جهة السعادة محركة اليها فالصبي اذا بلغ خبيرا
بحفظ المال وطرق التجارة ولكنه مع ذلك يبذر ولا يريد الاستنماء لا يسمى رشيدا لا لعدم
هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته فكم من شخص يقدم على ما يعلم انه يضره فقد
اعطي الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري انه يضره ولكنه ما اعطي الرشد فالرشد بهذا
الاعتبار اكمل من مجرد الهداية الى وجوه الاعمال وهي نعمة عظيمة واما التسديد فهو توجيه
حركاته الى صوب المطلوب وتيسيرها عليه ليشتد في صوب الصواب في اسرع وقت
فان الهداية صوب مجردها لا تكفي بل لا بد من هداية محركة للداعية وهو الرشد والرشد لا
يكفي بل لا بد من تيسير الحركات بمساعدة الاعضاء والآلات حتى يتم المراد بما انبعثت الداعية
اليه فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك والتسديد اعانة
ونصرة بتحريك الاعضاء في صوب السداد واما التاييد فكانه جامع للكل وهو عبارة
عن تقوية امره بالبصيرة من داخل وبقوة البطش ومساعدة الاسباب من خارج وهو المراد
بقوله اذ ايدتك بروح القدس ويقرب منه العصمة وهي عبارة عن جود الهي يسبح في
الباطن يقوى به الانسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس
واياه عنى بقوله تع ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه فهذه هي مجامع النعم ولن
يثبت الا بما يخوله الله تع من الفهم الثاقب الصافي والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع
المراعي والمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلبه القاصر عما يشغل عن الدين
بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفهاء وظلم الاعداء ويستدعي كل واحد من هذه

الكبار

الاسباب الستة عشر اسبابا ويستدعي تلك الاسباب اسبابا الى ان تنتهي بالاخرة الى دليل
المتحيرين وملجا المضطرين ذلك رب الارباب ومسبب الاسباب واذا كانت تلك الاسباب
طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها فلنذكر منها انموذجا لتعلم به معنى قوله تع وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها

بيان وجه الانموذج في كثرة نعم الله تع وتسلسلها وخروجها عن الحصر والاحصاء

اعلم انا جمعنا النعم في ستة عشر ضربا وجعلنا صحة البدن نعمة من
النعم الواقعة في الرتبة المتاخرة فهذه النعمة الواحدة لو اردنا ان نستقصي الاسباب التي بها تمت
هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن الاكل احد اسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الاسباب التي
بها تتم نعمة الاكل ولا يخفى ان الاكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة فلا بد لها من
جسم متحرك هو آلتها ولا بد لها من قدرة على الحركة ولا بد من ارادة للحركة ولا بد من علم بالمراد
وادراك له ولا بد للاكل من ماكول ولا بد للماكول من اصل منه يحصل ولا بد له من صانع يصلحه
فلنذكر اسباب الادراك ثم اسباب الارادات ثم اسباب القدرة ثم اسباب الماكول على سبيل
التلويح لا على سبيل الاستقصاء

الطرف الاول في نعم الله تع في خلق اسباب الادراك

اعلم ان الله تع خلق النبات وهو اكمل وجودا من الحجر والمدر والحديد والنحاس وغيره من
الجواهر التي لا تنمو ولا تغتذي فان النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء الى نفسه من
جهة اصله وعروقه التي في الارض وهي له آلات بها يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة
التي تراها في كل ورقة تغلظ اصولها ثم تتشعب ولا تزال تتشعب وتستدق الى عروق شعرية
تنبسط في اجزاء الورقة حتى تغيب عن الابصار الا ان النبات مع هذا الكمال ناقص فانه لو اعوزه
غذاء يساق اليه ويماس اصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فان الطلب
انما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال اليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعم الله تع عليك
ان خلق لك آلة الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر الى ترتيب حكمة الله سبحانه و
تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الادراك فاولها حاسة اللمس وانما خلقت لك
حتى اذا مستك نار محرقة او سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا اول حس يخلق للحيوان
ولا يتصور حيوان الا وان يكون له هذا الحس لانه ان لم يحس اصلا فليس بحيوان وانقص
درجات الحس ان يحس بما يلاصقه ويماسه فان الاحساس بما يبعد عنه احساس اتم لا
محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فانها اذا غرز فيها ابرة
انقبضت للهرب لا كالنبات فان النبات يقطع فلا ينقبض اذ لا يحس بالقطع الا انك لو لم
يخلق لك الا هذا الحس لكنت ناقصا كالدود لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك
بل ما يمس بدنك فتحس به فتجذبه الى نفسك فقط فافتقرت الى حس تدرك به ما بعد عنك
فخلق لك الشم الا انك تدرك به الرائحة ولا تدري انها جاءت من اية ناحية فتحتاج
الى ان تطوف كثيرا من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذي شممت رائحته وربما لا
تعثر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك الا هذا فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد

عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها الا انه لو لم يخلق لك الا هذا لكنت ناقصا اذ لا تدرك بهذا اما وراء الجدران والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب بينك وبينه وقد لا ينكشف الحجاب الا بعد قرب العدو فتعجز عن الهرب فخلق لك السمع حتى تدرك به الاصوات من وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات ولانك لا تدرك بالبصر الا شيئا حاضرا واما الغائب فلا يمكنك معرفته الا بكلام ينتظم من حروف واصوات تدرك بحس السمع فاشتدت اليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس الذوق اذ يصل الغذاء اليك فلا تدرك انه موافق لك او مخالف فتاكله فتهلك كالشجرة يصب في اصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق لك في مقدمة دماغك ادراك آخر يسمى حسا مشتركا تتادى اليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولاه لطال الامر عليك فانك اذا اكلت شيئا اصفر مثلا فوجدته مرا مخالفا لك فتركته فاذا رايته مرة اخرى فلا تعرف انه مر ما لم تذقه ثانيا لولا الحس المشترك اذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعا حتى اذا ادرك الصفرة حكم بانه مر فيمتنع عن تناوله ثانيا وهذا كله يشاركك فيه الحيوانات اذ للشاة هذه الحواس كلها فلو لم يكن لك الا ذلك لكنت ناقصا فان البهيمة يحتال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة وكيف تتخلص وقد تلقي نفسها في البير ولا تدري ان ذلك يهلكها وكذلك قد تاكل البهيمة ما تستلذه في الحال ويضرها في المآل فتمرض وتموت اذ ليس لها الا احساس بالحاضر فاما ادراك العواقب فلا فميزك الله تع وكرمك بصفة اخرى هي اشرف من الكل وهي العقل فبه تدرك مضرة الاطعمة ومنفعتها وما يضر في المآل وبه تدرك كيفية طبخ الاطعمة وتاليفها واعداد اسبابها فتنتفع بعقلك في الاكل الذي هو سبب صحتك وهو اخس فوائد العقل واقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تع ومعرفة افعاله ومعرفة الحكمة في عالمه وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس واصحاب الاخبار الموكلين باطراف المملكة وقد وكلت واحدة منها باخبار الالوان والاخرى باخبار الاصوات والاخرى باخبار الروائح والاخرى باخبار الطعوم والاخرى باخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتنصون الاخبار من اقطار المملكة ويسلمونها الى الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فياخذها وهي مختومة اذ ليس له الا اخذها وحفظها فاما حقائق ما فيها فلا ولكن اذا صادف القلب العاقل الذي هو الامير والملك يسلم الانهاآت اليه مختومة فيفتشها الملك ويطلع منها على اسرار المملكة ويحكم فيها باحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الاحكام والمصالح يحرك الجنود وهي الاعضاء

مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في اتمام التدبيرات التي تعن له فهذه سياقة نعمة الله عليك في الادراكات ولا تظنن انا استوفيناها فان الحواس الظاهرة هي بعض الادراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها اغشية وبعض الاغشية كانها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة وبعض تلك الرطوبات كانها بياض البيض وبعضها كانه الجمد ولكل واحد من هذه الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر او صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنه الاطباء والكحالون كلهم فهذه في حس واحد فقس به حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن ان يستوفى حكم الله و انواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع ان جملته لا تزيد على جوزة صغيرة فما ظنك بجميع البدن وسائر اعضائه وعجائبه فهذه مرامز الى نعم الله تع في خلق الادراكات

الطرف الثاني في اصناف النعم في خلق الارادات

اعلم انه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق اليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو انفع الاشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والادراك معطلا في حقه فاضطررت الى ان يكون لك ميل الى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة فخلق الله فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضي الذي يضطرك الى التناول حتى تتناوله وتتغذى فتبقى بالغذاء وهذا مما يشاركك فيه الحيوان دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن اذا اخذت مقدار الحاجة اسرفت واهلكت نفسك فخلق الله تع الكراهة فيك عند الشبع لتترك الاكل بها كالزرع فانه لا يزال يجتذب الماء اذا انصب في اسافله حتى يفسد فيحتاج الى الآدمي يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء اخرى وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تاكل خلقت لك شهوة الجماع حتى تجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك عجائب صنع الله تع في خلق الرحم وخلق دم الحيض وتاليف الجنين من النطفة ودم الحيض وكيفية خلق الانثيين والعروق الساكلة اليها من الفقار الذي هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المراة من الترائب بواسطة العروق و كيفية انقسام مقعر الرحم الى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتتشكل بشكل الاناث وكيفية ادارتها في اطوار خلقتها مضغة وعلقة ثم عظما ولحما ودما وكيفية قسمة اجزائها الى راس ورجل وبطن وظهر ويد وسائر الاعضاء لقضيت العجب من انواع نعم الله تع عليك في مبدا خلقك فضلا عما تراه الآن ولكنا لسنا نريد ان نتعرض الا لنعم الله تع في الاكل وحده كيلا يطول الكلام فاذن شهوة الطعام احد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه ياتيك المهلكات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك لبقيت عرضة للآفات و

ولاخذ منك كل ما حصلته من الغذاء فان كل احد يشتهي ما في يديك فتحتاج الى داعية
في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب ثم هذا لا يكفيك اذ الشهوة والغضب لا تدعوان
الا الى ما ينفع ويضر في الحال اما في المآل فلا تكفي فيه هذه الارادة فخلق الله لك ارادة اخرى
مسخرة تحت اشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرين تحت ادراك
الحس المدرك للحاجة الحاضرة فيتم بها انتفاعك بالعقل اذ كان مجرد المعرفة بان هذه
الشهوة مثلا تضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل الى العمل بموجب المعرفة
وهذه الارادة افردت بها عن البهائم اكراما لبني آدم كما افردت بمعرفة العواقب وقد سمينا
هذه الارادة باعثا دينيا وفصلناه في كتاب الصبر تفصيلا اوفى من هذا **الطرف
الثالث في نعم الله في خلق القدرة وآلات الحركة** اعلم ان الحس لا يفيد الا الادراك و
الارادة لا معنى لها الا الميل الى الطلب والهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن آلة الطلب
والهرب فكم من زمن مشتاق الى شيء بعيد عنه مدرك له لكنه لا يمكنه ان يمشي اليه لفقد
رجله اولا يمكنه ان يتناوله لفقد يده او لفلج وخدر فيهما فلا بد من آلات للحركة وقدرة في
تلك الآلات على الحركة ليكون حركتها بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهة هربا فلذلك خلق
الله لك الاعضاء التي تنظر الى ظاهرها ولا تعرف اسرارها فمنها ما هو للطلب كالرجل للانسان و
الجناح للطاير والقوائم للدواب ومنها ما هي للدفع كالاسلحة للانسان والقرون للحيوان وفي
هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فمنها ما يكثر اعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج الى سرعة
الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة ومنها ما خلق له اربع قوائم ومنها ما خلق له رجلان ومنها
ما يدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الاعضاء التي يتم بها الاكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول
رؤيتك الطعام من بعد وحركتك اليه لا تكفي ما لم تاخذه فافتقرت الى آلة باطشة فانعم الله
عليك بخلق اليدين وهما طويلتان فتمتدان الى الاشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة
لتتحرك في الجهات فتمتد وتنثني اليك فلا تكون كخشبة منصوبة ثم جعل راس اليد عريضا بخلق
الكف ثم قسم راس الكف بخمسة اقسام هي الاصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الابهام
في جانب وتدور على الاربعة الباقية ولو كانت مجتمعة او متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها
وضعا ان بسطتها كانت مجرفة وان ضممتها وثنيتها كانت لك مغرفة وان جمعتها كانت
لك آلة للضرب واذا نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض ثم خلق لها اظفارا واسند
اليها رؤس الاصابع حتى لا تتفتت وحتى تلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تحويها الاصابع
فتاخذها برؤس اظفارك ثم هب انك اخذت الطعام باليد فمن اين يكفيك هذا ما لم يصل الى
المعدة وهي في الباطن فلا بد وان يكون من الظاهر دهليز اليه حتى يدخل الطعام منه فجعل
الفم منفذا الى المعدة مع ما فيه من الحكمة الكثيرة سوى كونه منفذا للطعام الى المعدة ثم ان
وضعت الطعام الى الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج الى طاحونة تطحن بها
الطعام فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيهما الاسنان وطبق الاضراس من العليا على

السفلى ليطحن بها الطعام طحنا ثم الطعام تارة يحتاج الى الكسر وتارة يحتاج الى القطع ثم يحتاج الى
الطحن بعد ذلك فقسم الاسنان الى عريضة طواحين كالاضراس والى حادة قواطع كالرباعيات
والى ما يصلح للكسر كالانياب ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الاسفل و
يتاخر حتى يدور على الفك الاعلى دوران الرحى ولولاه لما تيسر الا ضرب احدهما على الآخر
مثل تصفيق اليدين مثلا وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحي الاسفل متحركا حركة دورية واللحي الاعلى
ثابتا لا يتحرك فانظر الى عجيب صنع الله تعالى فان كل رحى صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الاسفل
ويدور الاعلى الا هذا الرحى الذي صنعه الله اذ يدور فيه الاسفل على الاعلى فسبحانه ما اعظم
شانه واتم برهانه واوسع امتنانه ثم هب انك وضعت الطعام في فضاء الفم فكيف يتحرك
الطعام الى ما تحت الاسنان او كيف تستجره الاسنان الى نفسها او كيف تتصرف باليد في
داخل الفم فانظر كيف انعم الله عليك بخلق اللسان فانه يطوف في جوانب الفم فيرد الطعام
من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التي ترد الطعام الى الرحى هذا مع ما فيه من
فائدة الذوق وعجائب قوة النطق التي لسنا نطنب بذكرها ثم هب انك قطعت الطعام
وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع الا بان يتزلق الى الحلق بنوع رطوبة فانظر
كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى
ينعجن به الطعام فانظر كيف سخرها الله لهذا الامر فانك ترى الطعام من بعيد فتثور المسكينة
للخدمة وتنصب اللعاب حتى تتحلب اشداقك والطعام بعد بعيد منك ثم هذا الطعام
المطحون المعجون من يوصله الى المعدة وهو في الفم ولا تقدر على ان تدفعه باليد ولا
في المعدة يد حتى تمتد فتجذب الطعام فانظر كيف هيا الله تعالى المريء والحنجرة وجعل
على راسها طبقات تنفتح لاخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى ينقلب الطعام بضغطه
فيهوي الى المعدة في دهليز المريء فاذا ورد الطعام على المعدة فهو خبز وفاكهة مقطعة
فلا يصلح ان يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل لا بد ان يطبخ طبخا تاما تتشابه
اجزاؤه فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتنغلق عليه
الابواب ولا يزال لابثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من
الاعضاء الباطنة اذ من جانبها الايمن الكبد ومن الايسر الطحال ومن قدامها الترائب
ومن خلفها لحم الصلب فتتعدى الحرارة اليها من تسخين هذه الاعضاء من الجوانب حتى
ينطبخ ويصير مائعا متشابها يصلح للنفوذ في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه
ماء الشعير في تشابه اجزائه ورقته وهو بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها و
بين الكبد مجاري من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي الى
الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كانه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في اجزاء
الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في اجزائها حتى تستولي عليه قوة
الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر وتحصل له هيئة الدم

الصافي الصالح لغذاء الاعضاء الا ان حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا
الدم فضلتان كما يتولد من جميع ما يطبخ احديهما شبيهة بالدردي والعكر وهو الخلط
السوداوي والاخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء ولو لم يفصل عنها الفضلتان
فسد مزاج الاعضاء فخلق الله تع المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا ممدودا الى
الكبد داخلا في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداوي
فيبقى الدم صافيا ليس فيه الا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية ولولاها لما انتشر
في تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعدا الى الاعضاء فخلق الله تع الكليتين واخرج
من كل واحدة عنقا طويلا الى الكبد ومن عجايب حكمة الله تع ان عنقهما ليس داخلا في
تجويف الكبد بل متصلا بالعروق الطالعة من حدبة الكبد حتى يجذب ما يأتيها بعد الطلوع
من العروق الدقيقة التي في الكبد اذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق
فاذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث نقيا من
كل ما يفسد الغذاء ثم ان الله تع اطلع من الكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع اقساما وشعب
كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق الى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم
الصافي فيها ويصل الى ساير الاعضاء حتى تصير العروق المنقسمة شعرية كعروق الاوراق و
الاشجار بحيث لا تدرك بالابصار فيصل منها الغذاء بالترشح الى ساير الاجزاء ولو حلت بالمرارة
آفة فسد منه الدم وحصل منه الامراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة وان حلت
بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداوي حدثت الامراض السوداوية كالبهق والجذام و
الماليخوليا وغيرها وان لم تندفع المائية نحو الكلى حدثت الامراض البلغمية مثل الاستسقاء
وغيره ثم انظر الى حكمة الله تع الفاطر الحكيم كيف رتب منافع هذه الفضلات الثلاث الخسيسة
اما المرارة فانها تجذب باحد عنقيها وتقذف بعنقها الآخر الى الامعاء ليحصل به في ثفل الطعام
رطوبة مزلقة ويحدث في الامعاء لذعا يحركها اللذع فينضغط حتى يندفع الثفل ويتزلق
ويكون صفرة لذلك واما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة احالة يحصل منها فيه حموضة
وقبض ثم يرسل منها في كل يوم شيئا الى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضته وينبهها ويثير ها
ويخرج الباقي مع الثفل واما الكلية فانها تغتذي بما في تلك المائية من دم وترسل الباقي الى المثانة
ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعمة الله تع في الاسباب التي اعدت للاكل ولو ذكرنا كيفية
احتياج الكبد الى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الاعضاء الرئيسة الى صاحبه وكيفية
انشعاب العروق السواكن من الكبد الى ساير البدن وبواسطتها يصل الغذاء ثم كيفية تركب الاعضاء
وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها واوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال
الكلام وكل ذلك محتاج اليه للاكل ولامور اخر سواه بل في الآدمي من العضلات والعروق و الآفه
الاعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ولا شيء منها الا وفيه
حكمة او اثنتان او ثلاث او اربع الى عشر وزيادة وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من

جملتها عرق متحرك او تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين فانظر الى نعمة الله تع او لا لتقوى بعدها
على الشكر فانك لا تدري من نعمة الله تع الا الاكل وهي اخسها ثم لا تعرف منها الا انك تجوع فتاكل
والحمار ايضا يعلم انه يجوع فياكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع ويستريح فيقمص و
يرمح واذا لم تعرف انت من نفسك الا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر الله تع عليك وهذا
الذي رمزنا اليه على الايجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله تع عليك فقط فقس على الاجمال
ما اهملناه من جملة ما عرفناه حذرا من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالاضافة
الى ما لم يعرفوه من نعم الله تع اقل من قطرة في بحر الا ان من علم شيئا من هذا ادرك شمة من معاني قوله
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انظر كيف ربط الله تع قوام هذه الاعضاء وقوام منافعها و
ادراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ومستقره القلب ويسري في
جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي الى جزء من اجزاء البدن الا ويحدث عند
وصوله في تلك الاجزاء ما يحتاج اليه من قوة حس وادراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يدار
في اطراف البيت فلا يصل الى جزء الا ويحصل بسبب وصوله ضوء على اجزاء البيت من خلق
الله واختراعه ولكنه جعل السراج سببا له بحكمته وهذا البخار اللطيف هو الذي يسميه
الاطباء الروح ومحله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة والدم الاسود
الذي في باطن القلب له كالفتيلة والغذاء له كالزيت والحيوة الظاهرة في ساير اعضاء البدن
بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكما ان السراج اذا انقطع زيته انطفى فسراج الروح
ايضا ينطفي مهما انقطع غذاؤه وكما ان الفتيلة قد تحترق وتصير رمادا بحيث لا تقبل
الزيت فينطفي السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذي تتشبث به هذا البخار في القلب
قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفي مع وجود الغذاء فانه لا يقبل الغذاء الذي به يبقى الروح
كما لا يقبل الرماد الزيت قبولا تتشبث النار به وكما ان السراج تارة ينطفي بسبب من داخله كما
ذكرناه وتارة بسبب من خارج كريح عاصفة فكذلك الروح تارة ينطفي بسبب من خارج وهو القتل
وكما ان انطفاء السراج بفناء الزيت او بفساد الفتيلة او بريح عاصف او باطفاء انسان لا
يكون الا باسباب مقدرة في علم الله مرتبة ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح
وكما ان السراج اذا انطفا اظلم البيت كله فالروح اذا انطفا اظلم البدن كله وفارقته انوارها
التي كان يستفيدها من الروح وهي انوار الاحساسات والقدر والارادات وساير ما
يجمعها معنى لفظ الحيوة وهذا ايضا رمز وجيز الى عالم آخر من عوالم نعمة الله تع وعجايب صنعه
وحكمته ليعلم انه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الآية فبؤسا لمن كفر بالله وتعسا وسحقا لمن
كفر بنعمته سحقا **فان قلت** فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل
عن الروح فلم يزد على ان قال قل الروح من امر ربي فلم لم يصفه لهم على هذا الوجه **فاعلم** ان هذا
غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح يطلق لمعان كثيرة لا نطول بذكرها ونحن
انما وصفنا من جملتها جسما لطيفا يسميه الاطباء روحا وقد عرفنا صفته ووجوده وكيفية

انطفاء السراج موقوف على
وجوده فيكون ذلك الحد الذي
اجل له فلم الكتاب فكذلك
انطفاء الروح وكما ان صح

سريانه في الاعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الاعضاء بحيث اذا اخذ بعض
الاعضاء علموا ان ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت
الاعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يفتح السدة فان هذا الجسم بلطفه ينفذ
في شباك العصب وبواسطته يتادى من القلب الى سائر الاعضاء وما يرتقي اليه معرفة
الاطباء فامر سهل نازل واما الروح التي هي الاصل وهي التي اذا افسدت فسد لها سائر
البدن فذلك سر من اسرار الله لم نصفه ولا رخصة في وصفه الا بان يقال هو امر
رباني كما قال تع قل الروح من امر ربي والامور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل يتحير فيها
عقول اكثر الخلق واما الاوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن ادراك
الاصوات ويتزلزل في ذكر مبادي وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة
في مضيقهما فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل بنور آخر اعلى واشرف من العقول يشرق ذلك
النور في عالم الولاية والنبوة نسبته الى العقل نسبة العقل الى الوهم والخيال وقد خلق الله تعالى
الخلق اطوارا فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لان ذلك طور لم يبلغه
بعد فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها لان ذلك طور لم يبلغه بعد وانه لمقام
شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق بنور الايمان واليقين وذلك
المشرب اعز من ان يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه الا واحد بعد واحد ولجناب الحق
صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وعلى اول الميدان عتبة هي مستقر ذلك الامر
الرباني فمن لم يكن له على العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال ان يصل الى الميدان
فكيف بالانتهاء الى ما وراءه من المشاهدات العالية ولذلك قيل من لا يعرف نفسه لم
يعرف ربه وانى يصادف هذا في خزانة الاطباء ومن اين للطبيب ان يلاحظه بل المعنى المسمى
روحا عند الطبيب بالاضافة الى هذا الامر الرباني كان كالكرة التي يحركها صولجان
الملك بالاضافة الى الملك فمن عرف الروح الطبي فظن انه ادرك الامر الرباني كان كمن راى الكرة فظن
انه راى الملك فلا يشك في ان خطاه فاحش وهذا الخطاء افحش منه جدا ولما كانت العقول
التي بها يحصل التكليف وبها يدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الامر لم
ياذن الله تع لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يتحدث عنه بل امره ان يكلم الناس على قدر عقولهم ولم
يذكر الله تع في كتابه من حقيقة هذا الامر شيئا لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته اما نسبته
ففي قوله تع قل الروح من امر ربي واما فعله فقد ذكر في قوله تع يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي
الآية ولنرجع الآن الى الغرض فان المقصود ذكر نعم الله تع في الاكل فقد ذكرنا بعض نعم الله تع في
آلات الاكل الطرف الرابع في نعم الله تع في الاصول التي منها تحصل الاطعمة وتصير صالحة لان
يصلحها الآدمي بعد ذلك بصنعته اعلم ان الاطعمة كثيرة ولله تع في خلقها عجايب كثيرة لا
تحصى واسباب متوالية لا تتناهى وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان الاطعمة اما ادوية و
اما فواكه واما اغذية فلنأخذ الاغذية فانها الاصل ولناخذ من جملتها حبة من البر ولندع

سابر الاغذية فنقول اذا وجدت حبة او حبات فلو اكلتها فنيت وبقيت جائعا فما
احوجك الى ان تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بجميع حاجاتك فخلق الله في حبة الحنطة
من القوى ما تغتذي به كما خلق فيك فان النبات انما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك
في الاغتذاء لانه يغتذي بالماء ويجتذب الى باطنه بواسطة العروق كما تغتذي انت وتجتذب
ولسنا نطنب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء الى نفسه ولكن نشير الى غذائه
فنقول كما ان الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذي
بكل شيء بل تحتاج الى شيء مخصوص بدليل انك لو تركتها في البيت لم تزد لانه ليس يحيط بها الا
الهواء ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها ولو تركتها في الماء لم تزد ولو تركتها في ارض لا ماء فيها لم
تزد بل لا بد من ارض فيها ماء يمتزج ماؤها بالارض فيصير طينا واليه الاشارة بقوله تع
فلينظر الانسان الى طعامه الآية ثم لا يكفي الماء والتراب اذ لو تركت في ارض ندية صلبة متراكمة لم
تنبت لفقد الهواء فتحتاج الى تركها في ارض رخوة متخلخلة يتغلغل الهواء اليها ثم الهواء لا يتحرك
اليها بنفسه فتحتاج الى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه
الاشارة بقوله تع وارسلنا الرياح لواقح وانما القاحها في ايقاع الازدواج من الهواء والماء
والارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط وشتاء شات فتحتاج الى حرارة الربيع و
الصيف فقد بان احتياج غذائك الى هذه الاربعة فانظر الى الذي يحتاج كل واحد منها اليه
اذ يحتاج الماء لينساق الى ارض الزراعة الى البحار والعيون والانهار والسواقي فانظر كيف
خلق الله البحار وفجر العيون واجرى منها الانهار ثم الارض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع
اليها فانظر كيف خلق الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه الى اقطار العالم و
هي سحاب ثقال حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مدرارا على الاراضي في وقت الربيع والخريف
على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت
دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي ونعم الله تع في السحاب والجبال والبحار والامطار
لا يمكن احصاؤها واما الحرارة فانها لا تحصل بين الماء والارض وكلاهما باردان فانظر كيف
سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل
البرد عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها اكثر
من ان تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فتفتقر
الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية
الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل
يمنع شروق الشمس والقمر وساير الكواكب عليها كانت فاسدة ناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة
تفسد اذا اظلتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بان تكشف راسك له في الليل
فتغلب على راسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب راسك يرطب الفواكه ايضا ولا
نطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول كل كوكب في السماء فقد سخر لنوع فائدة كما

سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب ولا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصائها ولو لم يكن كذلك لكان خلقتها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تع ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله تع وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وكما انه ليس في اعضاء بدنك عضو الا لفائدة فليس في اعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة والعالم كله كشخص واحد و آحاد اجسامه كالاعضاء له وهي متعاونة تعاون اعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي ان تظن ان الايمان بان النجوم والشمس والقمر مسخرات بامر الله تع في امور جعلت اسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل المنهي عنه في النجوم امران احدهما ان تصدق بانها فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر وهذا تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا تشترك كافة الخلق في دركها لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم احكام النجوم كان معجزة لبعض الانبياء ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطا فاعتقاد كون الكواكب لآثار تحصل بخلق الله تعالى في الارض والنبات والحيوان ليس بقادح في الدين بل هو الحق ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين ولذلك اذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك اخرج الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحمي الهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحوالته حمي الهواء على طلوع الشمس واذا سالت عن تغير وجه الانسان فقال ضربتني الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه وقس بهذا سائر الآثار الا ان الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالمجهول لا يجوز دعوى العلم فيه والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر فاذن الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء وقرا قوله تع ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال ويل لمن قرا هذه الاية ثم مسح بها سبلته ومعناه ان يقرا ويترك التامل ويقتصر من فهم ملكوت السموات على ان يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم ايضا فمن قنع منه بمعرفة ذلك هو الذي مسح بها سبلته فلله في ملكوت السموات والآفاق والانفس والحيوانات والنبات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله فان من احب عالما فلا يزال مشغولا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له فكذلك الامر في عجائب صنع الله تع فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده فان تعجبت من تصنيف فلا تعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتصنيفه بما انعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه كما اذا رايت لعب المشعوذ المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الابصار فاذن المقصود ان غذاء النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر و الكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم الافلاك الا بحركاتها ولا تتم حركاتها

الا بملائكة

الا بملائكة سماوية يحركونها وكذلك يتمادى ذلك الى اسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه على ما اهملناه ولنقتصر على هذا من ذكر اسباب غذاء النبات

الطرف الخامس في نعم الله تع في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك

اعلم ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها توجد في بعض الاماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الارض وقد تبعد عنهم الاطعمة وتحول بينهم وبينها البحار والبراري فانظر كيف سخر الله تع التجار وسلط عليهم حرص المال وشره الربح مع انه لا يغنيهم في غالب الامر شيئا بل يجمعون فاما ان تغرق به السفن او ينهبه قطاع الطريق او يموتون في بعض البلاد فياخذه السلاطين واحسن احوالهم ان تاخذه ورثتهم وهم اشد اعدائهم لو عرفوهم فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى انهم يقاسون الشدائد في طلب الربح ويركبون الاخطار ويغررون بالارواح في ركوب البحار فيحملون الاطعمة وانواع الحوائج من اقصى الشرق والغرب اليك فانظر كيف علمهم الله صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل في البراري وانظر الى الابل كيف خلقت والى الفرس كيف امدت بسرعة الحركة والى الحمار كيف جعل صبورا على التعب والى الجمال كيف تقطع البوادي والبراري وتطوي المراحل تحت الاعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله بواسطة السفن و الحيوانات في البر والبحر ليحملوا اليك الاطعمة وسائر الحوائج وتامل ما يحتاج اليه الحيوانات من اسبابها وادواتها وعلفها وما يحتاج اليه السفن فقد خلق الله تع جميع ذلك الى حد الحاجة وفوق الحاجة واحصاء ذلك غير ممكن ويتمادى ذلك الى امور خارجة عن الحصر نرى تركها طلبا للايجاز

الطرف السادس في اصلاح الاطعمة

اعلم ان الذي ينبت من الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان يقضم ويؤكل وهو كذلك بل لا بد في كل واحد من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بالقاء البعض وابقاء البعض الى امور اخر لا تحصى واستقصاء ذلك في كل طعام طويل فلنعين رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للاكل من بعد القاء البذر في الارض فاول ما يحتاج الحراث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي يثير به الارض والفدان وجميع اسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية الارض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك و التنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فتامل عدد هذه الافعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الاشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر وغيره وانظر الى اعمال الصناع في اصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيرهما وانظر الى حاجة الحداد الى الحديد والرصاص والنحاس وانظر كيف خلق الله تع الجبال والاحجار والمعادن وكيف جعل الارض قطعا متجاورات مختلفة فان فتشت علمت ان رغيفا واحدا لا يستدير بحيث يصلح لاكلك يا مسكين ما لم يعمل عليه اكثر من الف صانع فابتدئ من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء الى آخر اعمال الملائكة حتى تنتهي النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قريب من

سبعة آلاف صانع كل صنع اصل من اصول الصنايع التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تامل كثرة اعمال
الانسان في تلك الآلات حتى ان الابرة التي هي آلة صغيرة فايدتها خياطة اللباس الذي يمنع
البرد عنك لا يكمل صورتها من حديدة تصلح للابرة الا بعد ان تمر على ايدي الابار خمسة و
عشرين مرة يتعاطى في كل مرة منها عملا فلو لم يجمع الله البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت الى عمل
المنجل الذي به يحصد البر مثلا بعد نباته لنفد عمرك وعجزت عنه افلا ترى كيف هدى الله
عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لان يعمل هذه الاعمال العجيبة والصنايع الغريبة فانظر
الى المقراض مثلا وهما جلمان متطابقان ينطبق احدهما على الآخر فيتناولان الشيء معا و
يقطعانه بسرعة ولو لم يكشف الله طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا الى استنباط
الطريق فيه بفكرنا ثم الى استخراج الحديد من الحجر والى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقراض وعمر
الواحد منا عمر نوح واوتي اكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في اصلاح هذه الآلة وحدها
فضلا عن غيرها فسبحان من الحق ذوي الالباب بالعميان وسبحان من منع التبيين مع هذا
البيان فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلا وعن الحداد او عن الحجام الذي هو اخس العمال او
عن الحايك وعن واحد من جملة الصناع فماذا يصيبك من الاذى فكيف يضطرب عليك امورك
كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت مشيته وتمت به حكمته ولنوجز القول
في هذه الطبقة ايضا فان الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء **الطرف السابع
في اصلاح المصلحين** اعلم ان هؤلاء الصناع المصلحين للاطعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم و
تنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحوش
لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف الف الله بين قلوبهم وسلط الانس و
المحبة عليهم ولو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم ولاجل الالف
وتعارف الارواح اجتمعوا وايتلفوا وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة
متجاورة ورتبوا الاسواق والخانات وساير اصناف البقاع مما يطول احصاؤه ثم هذه المحبة
تزول باغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففي جبلة الانسان الغيظ والحسد والمنافسة
وذلك يؤدي الى التقاتل والتنائي والتنافر فانظر كيف سلط الله السلاطين وامدهم
بالقوة والعدة والاسباب والقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى اذعنوا لهم طوعا وكرها وكيف
هدى السلاطين الى طريق اصلاح العباد والبلاد حتى رتبوا اجزاء البلد كانها اجزاء
شخص واحد تتعاونون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض فرتبوا الرؤساء والقضاة و
السجن وزعماء الاسواق واضطروا الخلق الى قانون العدل والزموهم التساعد والتعاون
حتى صار الحداد ينتفع بالخباز والقصاب وساير اهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد و
صار الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتبهم واجتماعهم و
انضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما يتعاون جميع اعضاء البدن وينتفع بعضها
ببعض وانظر كيف بعث الانبياء حتى اصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين

الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من احكام الامامة
والسلطنة واحكام الفقه ما اهتدوا به الى صلاح الدنيا فضلا عما ارشدوهم اليه من
اصلاح الدين وانظر كيف اصلح الله الانبياء بالملايكة وكيف اصلح الله الملايكة بعضهم ببعض
الى ان ينتهي الى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى فالخباز يخبز العجين
والطحان يطحن الحب والحراث يصلحه بالحصاد والحداد يصلح آلات الحراثة والنجار يصلح آلات
الحداد وكذا جميع ارباب الصناعات المصلحين لآلات الاطعمة والسلطان يصلح الصناع
والانبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثة الانبياء والعلماء يصلحون السلاطين والملايكة يصلحون
الانبياء الى ان ينتهي الى الحضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ
كل تاليف وترتيب فكل ذلك نعم من رب الارباب ومسبب الاسباب ولولا فضله وكرمه اذ قال
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا لما اهتدينا الى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله
ولولا عزله ايانا عن ان نطمح بعين الطمع الى الاحاطة بكنه نعمه لتشوفنا الى طلب الاحاطة و
الاستقصاء ولكنه عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان
تكلمنا فباذنه انبسطنا وان سكتنا فبقهره انقبضنا اذ لا معطي لما منع ولا مانع لما اعطى
لانا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار فالحمد لله الذي ميزنا عن الكفار واسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الاعمار
الطرف الثامن في بيان نعمة الله في خلق الملايكة ليس يخفى عليك ما سبق
من نعمة الله في الملايكة باصلاح الانبياء وهدايتهم وتبليغ الوحي اليهم ولا تظنن انهم
مقتصرون في افعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملايكة مع كثرتها وترتب مراتبها تنحصر
بالجملة في ثلاث طبقات الملايكة الارضية والسماوية وحملة العرش فانظر كيف وكلهم الله
بك فيما يرجع الى الاكل والغذاء الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية والارشاد
وغيرهما واعلم ان كل جزء من اجزاء بدنك بل من اجزاء النبات لا يتغذى الا بان يوكل به
سبع من الملايكة هو اقله الى عشرة الى ماية الى ما وراء ذلك وبيانه ان معنى الاغتذاء ان
يقوم جزء من الغذاء مقام جزء قد تلف وذلك الغذاء يصير دما في آخر الامر ثم يصير لحما وعظما
فاذا صار لحما وعظما تم اغتذاؤك والدم واللحم اجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي
لا تتحرك بانفسها ولا تتغير بانفسها ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في اطوارها كما ان البر
بنفسه لا يصير طحينا ثم عجينا ثم خبزا مستديرا ثم مخبوزا الا بصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير
لحما وعظما وعرقا وعصبا الا بصناع والصناع في الباطن هم الملايكة كما ان الصناع في الظاهر
هم اهل البلد وقد اسبغ الله عليك نعمه ظاهرة وباطنة ولا ينبغي ان تغفل عن نعمه الباطنة
فاقول لا بد من ملك يجذب الغذاء الى جوار العظم واللحم فان الغذاء لا يتحرك بنفسه
ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يخلع عليه صورة الدم ولا بد من
رابع يكسوه صورة اللحم او العظم او العرق ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل من حاجة الغذاء

ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب من صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا
ولا بد من سابع يرعى المقادير في الالصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا
يزيل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من
الغذاء على انف الصبي ما يجمع على فخذه لكبر انفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته بل ينبغي ان
يسوق الى الاجفان مع رقتها والى الحدقة مع صفائها والى الافخاذ مع غلظها والى العظم مع
صلابته ما يليق بكل واحد منه من حيث القدر والشكل والا بطلت الصورة وربما بعض المواضع
وضعف بعض المواضع بل لو لم يراع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيط فساق الى راس
الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به الا الى احدى الرجلين مثلا لبقي تلك الرجل كما كان في حد
الصغر وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل وعليه رجل واحدة كانها رجل
صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فمراعاة هذه الهندسة في القسمة مفوضة الى ملك من الملائكة و
لا تظنن ان الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فان محيل هذه الامور على الطبع جاهل لا يدري
ما يقول فهذه هي الملائكة الارضية وقد شغلوا بك وانت في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد
وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من اجزائك الذي لا يتجزى حتى
يفتقر بعض الاجزاء كالعين والقلب الى اكثر من مائة ملك تركنا تفصيل ذلك للايجاز و
الملائكة الارضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه الا الله ومدد الملائكة
السماوية من حملة العرش والمنعم على جميعهم بالتاييد والهداية والتسديد القدوس المهيمن المتفرد
بالملك والملكوت والعز والجبروت وجبار السموات والارض مالك الملك ذو الجلال والاكرام
والاخبار الواردة في الملائكة بالسموات والارضين واجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من —الموكلين صح
المطر وحتى كل سحاب ينجر من جانب الى جانب اكثر من ان تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد به
فان قلت فهلا فوضت هذه الافعال الى ملك واحد ولم افتقر الى سبعة املاك و الحنطة
ايضا تحتاج الى من يطحن اولا ثم الى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيا ثم الى من يصب الماء
عليه ثالثا ثم الى من يعجن رابعا ثم الى من يقطعه كرات مدورة خامسا ثم الى من يرققها رغفانا
عريضة سادسا ثم الى من يلصقها بالتنور سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل
به فهلا كانت اعمال الملائكة باطنا كاعمال الانسان ظاهرا فاعلم ان خلقة الملائكة تخالف خلقة
الانس وما من احد منهم الا وهو وحداني الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل
واحد منهم الا فعل واحد واليه الاشارة بقوله تع وما منا الا له مقام معلوم فلذلك ليس بينهم
تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعيين مرتبة كل واحد منهم وفعله عليه مثال الحواس الخمس فان
البصر لا يزاحم السمع في ادراك الاصوات ولا الشم يزاحمهما ولا هما ينازعان الشم وليس كاليد
والرجل فانك قد تبطش باصابع الرجل بطشا ضعيفا فتزاحم به اليد وقد تضرب غيرك براسك
فتزاحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالانسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والخبز فان هذا نوع
من الاعوجاج والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الانسان واختلاف دواعيه وصفاته

وذلك غير ممكن في طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم فلا جرم
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون والراكع
منهم راكع ابدا والساجد منهم ساجد ابدا والقائم قائم ابدا لا اختلاف في افعالهم ولا فتور ولكل واحد
مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تع من حيث لا مجال للمعصية فيهم يمكن ان تشبه بطاعة
اطرافك لك فانك مهما جزمت الارادة بفتح الاجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في
طاعتك مرة ومعصيتك اخرى بل كانه منتظر لامرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلا باشارتك
فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه اذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحا واطباقا
والملائكة احياء عالمون بما يفعلون فاذن هذه نعمة الله عليك في الملائكة الارضية والسماوية و
حاجتك اليها في غرض الاكل فقط دون ما عداها من الحركات والحاجات كلها فانا لم نطول بذكرها
فهذه طبقة اخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها فكيف آحاد ما يدخل
تحت مجامع فاذن قد اسبغ الله عليك نعمه ظاهرة وباطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فترك
باطن الاثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة واضمار الشر للناس الى غير ذلك
من آثام القلوب هو شكر للنعم الباطنة وترك الاثم الظاهر بالجوارح شكر للنعم الظاهرة بل
اقول كل من عصى الله ولو بطرفة واحدة بان فتح عينه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر
كل نعمة لله عليه في السموات والارض وما بينهما فان كل ما خلقه الله تع حتى الملائكة والسموات
والارض والحيوانات والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وان انتفع غيره
ايضا به فان لله في كل تطريفة في نفس الجفن اذ خلق لكل جفن عضلات ولها اوتار ورباطات متصلة —نعمتين صح
باعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الاعلى وارتفاع الجفن الاسفل وعلى كل جفن شعور وسود
ونعمة الله في سوادها انها تجمع ضوء العين اذ البياض يفرق الضوء والسواد يجمعه ونعمة الله
في ترتيبها صفا واحدا ان يكون مانعا للهوام من الدبيب الى باطن العين ومتشبثا للاقذاء التي تتناثر
في الهواء وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين اصلها ومع اللين قوة نصبها وله في اشتباك
الاهداب نعمة اعظم من الكل وهو ان غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يبصر فيجمع
الاجفان مقدار ما تتشابك الاهداب فينظر من وراء شباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعا
من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم ان اصاب الحدقة غبار فقد
خلق اطراف الاجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة فيطبقها مرة ومرتين وقد
انصقلت الحدقة عن الغبار وخرجت الاقذاء الى زوايا العين والاجفان والذباب لما لم يكن
لحدقته جفن خلق له يدين فتراه على الدوام يمسح بهما حدقته ليصقلهما عن الغبار واذ تركنا
الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقاره الى تطويل يزيد على اصل هذا الكتاب ولعلنا نستانف
له كتابا مقصورا عليه ان امهل الزمان وساعد التوفيق نسميه عجائب صنع الله تع فلنرجع الى
غرضنا فنقول قد كفر بفتح العين نعمة الله في الاجفان ولا تقوم الاجفان الا بعين ولا
العين الا براس ولا الراس الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا بالماء و

الارض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر ولا يقوم شي من ذلك الا بالسموات ولا السموات الا بالملايكة فان الكل كالشي الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط اعضاء البدن بعضها ببعض فاذن قد كفر كل نعمة الله تع في الوجود من منتهي الثريا الي منتهي الثري فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد الا ويلعنه ولذلك ورد في الاخبار ان البقعة التي يجتمع فيها الناس اما ان تلعنهم اذا تفرقوا او تستغفر لهم وكذلك ورد ان العالم يستغفر له كل شي حتي الحوت في البحر وان الملايكة يلعنون العصاة في الفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها وكل ذلك اشارة الي ان العاصي بطرفة واحدة جني علي ما في الملك والملكوت وقد اهلك بها نفسه الا ان يتبع السيية بحسنة تمحوها فيتبدل اللعن بالاستغفار فعسي الله ان يتوب عليه ويتجاوز عنه واوحي الله تع الي ايوب ما من عبد لي من الادميين الا ومعه ملكان فاذا شكرني علي نعمايي قال الملكان اللهم زده نعما علي نعم فانك اهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريبا فكفي بالشاكرين علو رتبة عندي اني اشكر شكرهم وملايكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والاثار تبكي عليهم وكما عرفت ان في كل طرفة عين نعما كثيرة فاعلم ان في كل نفس ينقبض وينبسط نعمتين اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك وبانقباضه يجمع روح الهواء الي القلب ولو سد متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك بل اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة في كل ساعة قريب من الف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فعليك في كل لحظة الاف الاف نعمة في كل جزء من اجزاء بدنك بل في كل جزء من اجزاء العالم فانظر هل يتصور احصاء ذلك ام لا ولما انكشف لموسي عليه السلم حقيقة قوله تع وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال الهي كيف اشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان ان لينت اصلها وان طامنت راسها ولذلك ورد في الاثر من لم يعرف نعم الله تع الا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وقد حضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع الي المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فان البصير لا تقع عينه في العالم علي شي ولا يلم خاطره بموجود الا ويتحقق ان لله فيه نعمة عليه فلنترك الاستقصاء والتفصيل فانه طمع في غير مطمع

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر

اعلم انه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة الا الجهل والغفلة فانهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد معرفتها ثم ان عرفوا نعمة ظنوا ان الشكر عليها ان يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا ان معني الشكر ان يستعمل النعمة في تمام الحكمة التي اريدت بها وهي طاعة الله فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين الا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان اما الغفلة عن النعم فلها اسباب واحد اسبابها ان الناس لجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلمهم في جميع احوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون علي جملة ما ذكرناه من النعم لانها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع احوالهم فلا يري كل واحد لنفسه اختصاصا به فلا يعده نعمة فلا تراهم يشكرون الله تع علي روح الهواء ولو اخذ بمخنقهم لحظة حتي انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا في بيت حمام فيه هواء حار او بير فيها هواء ثقيل برطوبة الماء ماتوا غما فان

ابتلي واحد منهم بشي من ذلك ثم نجا ربما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليها وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم موقوفا علي ان تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الاحوال والنعمة في جميع الاحوال اولي بان تشكر من النعمة في بعضها فلا تري البصير يشكر صحة بصره الا ان تعمي عينه فعند ذلك لو اعيد عليه احس به وشكره وعده نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة عم الخلق وبذل في جميع الاحوال فلم يعده الجاهلون نعمة وهذا الجاهل مثل العبد السوء حقه ان يضرب دايما حتي اذا ترك ضربه ساعة تقلد منه منة فان ترك ضربه علي الدوام غلبه البطر وترك الشكر فصار الناس لا يشكرون الا المال الذي يتطرق الاختصاص اليه من حيث القلة والكثرة وينسون جميع نعم الله عليهم كما شكا بعضهم فقره الي بعض ارباب البصاير واظهر شدة اغتمامه فقال له ايسرك انك اعمي ولك عشرة آلاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اخرس ولك عشرة الاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اقطع اليدين والرجلين ولك عشرون الف درهم فقال لا فقال ايسرك انك مجنون ولك عشرة الاف درهم فقال لا فقال اما تستحيي ان تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين الفا وحكي ان بعض الفقراء اشتد به الفقر حتي ضاق به ذرعا فراي في المنام كان قايلا يقول له تود انا انسيناك سورة الانعام ولك الف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا قال فمعك قيمة ماية الف وانت تشكو فاصبح وقد سري عنه ودخل ابن السماك علي بعض الخلفاء وفي يده كوز ماء يشربه فقال عظني فقال لو لم تعط هذه الشربة الا ببذل جميع اموالك والا بقيت عطشان فهل تعطيه قال نعم فقال ولو لم تعط الا بملكك كله فهل تتركه قال نعم قال فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ماء فبهذا يتبين ان نعمة الله علي العبد في شربة ماء عند العطش اعظم من ملك الارض كلها واذا كانت الطباع مايلة الي اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر اشارة وجيزة الي النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا ولو امعن النظر في احواله راي من الله نعمة او نعما كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيه احد وذلك يعترف به كل عبد في ثلاثة امور في العقل والخلق والعلم اما العقل فما من عبد لله تع الا وهو راض عن الله في عقله يعتقد انه اعقل الناس وقل ما يسال الله العقل وان من شرف العقل ان يفرح به الخالي كما يفرح به المتصف به فاذا كان اعتقاده انه اعقل الناس فواجب عليه ان يشكره لانه ان كان كذلك فالشكر واجب وان لم يكن ولكنه يعتقد انه كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كنزا تحت الارض فهو يفرح به ويشكر عليه فان اخذ الكنز من حيث لا يدري فيبقي فرحه بحسب اعتقاده ويبقي شكره لانه في حقه كالباقي واما الخلق فما من عبد الا ويري من غيره عيوبا يكرهها واخلاقا يذمها وانما يذمها من حيث انه يري نفسه بريا عنها فاذن لم يشتغل بذم الغير فينبغي ان يشتغل بشكر الله اذ حسن خلقه وابتلي غيره بالخلق السيي واما العلم فما من احد الا ويعرف من بواطن امور نفسه وخفايا افكاره ما هو منفرد به ولو انكشف الغطاء حتي اطلع عليه احد من الخلق لافتضح فكيف لو اطلع الناس كافة فاذن لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه احد من عباد الله فلم لا يشكر الله علي ستره الجميل الذي

اسبله على جميع مساويه فاظهر الجميل وستر القبيح واخفى ذلك عن اعين الخلق وخصص
علمه به حتى لا يطلع عليه احد فهذه ثلاث من النعم خاصة يعترف بها كل عبد اما مطلقا واما في بعض
الامور فلننزل عن هذه الى طبقة اخرى اعم منها قليلا فنقول ما من عبد الا وقد رزقه
الله في صورته او شخصه او اخلاقه او صفاته او اهله او ولده او مسكنه او بلده او رفيقه او
اقاربه او عزه او جاهه او في سائر محابه امورا لو سلبت منه واعطي ما خصص به غيره لكان
لا يرضى به وذلك مثل ان جعله مؤمنا لا كافرا وحيا لا جمادا وانسانا لا بهيمة وذكرا لا انثى و
صحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه خصائص وان كان فيها عموم ايضا فان هذه
الاحوال لو بدلت باضدادها لم يرض بها بل له امور لا يبدلها باحوال الآدميين ايضا وذلك
اما ان يكون بحيث لا يبدله بما خص به احد من الخلق او لا يبدله بما خص به الاكثر فاذا كان
لا يبدل حال نفسه بحال غيره فاذا حاله احسن من حال غيره فان كان لا يرتضي بعرف شخصا
يرتضي لنفسه حاله بدلا عن حال نفسه اما على الجملة واما في امر خاص فاذن لله عليه نعمة ليست
له على احد من عباده وان كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر الى عدد المغبوطين
فانه لا محالة يراهم اقل بالاضافة الى غيرهم فيكون من دونه في الحال اكثر بكثير ممن هو فوقه فما باله
ينظر الى من هو فوقه ليزدري نعم الله على نفسه ولا ينظر الى من دونه ليستعظم نعم الله عليه وما باله
لا يسوي دنياه بدينه اليس اذا لامته نفسه على سيئة تقارفها يعتذر اليه بان في الفساق
كثرة فينظر ابدا في الدين الى من دونه لا الى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فاذا كان
حال الاكثر الخلق في الدين خيرا منه وحاله في الدنيا خير من حال الاكثر الخلق فكيف لا يلزمه
الشكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من نظر في الدنيا الى من هو دونه ونظر في الدين الى من هو
فوقه كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر في الدنيا الى من هو فوقه وفي الدين الى من هو دونه لم يكتبه
الله صابرا ولا شاكرا فاذن كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله على نفسه نعما
كثيرة لا سيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والامن وغير ذلك
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من لم يستغن بآيات الله فلا اغناه الله وهذا اشارة الى نعمة العلم
وقال ان القرآن هو الغنى الذى لا غنى بعده ولا فقر معه وقال من آتاه الله القرآن
فظن ان احدا اغنى منه فقد استهزء بآيات الله وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن
وقال كفى باليقين غنى وقال بعض السلف يقول الله تع ان عبدا اغنيته عن ثلاث لقد
اتممت عليه نعمتي عن سلطان يأتيه وعن طبيب يداويه وعما في يد اخيه وعبر الشاعر عن هذا
فقال اذا القوت تأتى لك والصحة والامن واصبحت اخا حزن فلا فارقك الحزن بل
ارشق العبارات وافصح الكلمات كلام افصح من نطق بالضاد حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن
هذا المعنى فقال من اصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا
بحذافيرها ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من امور وراء هذه
الثلاث مع انها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم

في الايمان الذي به وصولهم الى النعيم المقيم والملك العظيم بل البصير ينبغي ان لا يفرح الا بالمعرفة
واليقين والايمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض
من الشرق الى الغرب من اموال واتباع وانصار وقيل له خذ هذا عوضا عن علمك بل عن عشر
عشير علمك لم يأخذه وذلك لرجائه ان نعمة العلم تفضي به الى قرب الله سبحانه وتعالى في الآخرة بل
لو قيل له لك في الآخرة ما ترجوه بكماله فخذ هذه اللذات بدلا عن التذاذك بالعلم في الدنيا (في الدنيا)
وفرحك به لكان لا يأخذه لعلمه بان لذة العلم دائمة لا تنقطع وثابتة لا تسرق ولا تغصب ولا
ينافس فيها وانها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة ومكدرة ومشوشة ولا
يفي مرجوها بمخوفها ولا المها بلذتها ولا فرحها بغمها هكذا دنيا الى الآن وهكذا يكون ما بقي
من الزمان اذ ما خلقت لذات الدنيا الا لتخلب بها العقول الناقصة وتخدع حتى اذا انخدعت
وتقيدت بها ابت عليه واستعصت كالمراة الجميلة بظاهرها تتزين للشاب الشبق
الغني حتى اذا انقيد بها قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها في عناء دائم
وتعب قائم وكل ذلك لاغتراره بلذة النظر اليها في لحظة ولو عقل وغض البصر واستهان
بتلك اللذة سلم جميع العمر فهكذا وقعة ارباب الدنيا في شبكات الدنيا وحبائلها ولا
ينبغي ان تقول ان المعرض عن الدنيا يتألم بالصبر عنها فان المقبل عليها ايضا متألم بالصبر
عليها وحفظها وتحصيلها ودفع القصود عنها وتألم المعرض عن الدنيا يفضي الى لذة في الآخرة
وتألم المقبل يفضي الى آلام في الآخرة فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تع ولا تهنوا في ابتغاء القوم
ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون فاذن انما انسد طريق
الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة فان قلت فما
علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعمة الله فعساها تشكر فاقول اما القلوب البصيرة
فعلاجها التأمل فيما رمزنا اليه من اصناف نعم الله تع العامة واما القلوب البليدة التي لا تعد
النعمة نعمة الا اذا خصتها او تشعر بالبلاء معها فسبيله ان ينظر ابدا الى من دونه ويفعل ما كان
يفعله بعض الصوفية اذ كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود
فكان يحضر دار المرضى ليشاهد انواع بلاء الله تع عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته فيشعر قلبه
بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الامراض ويحضر المواضع التي تقام فيها الحدود ليشاهد الجناة الذين
يقتلون ويقطع اطرافهم ويعذبون بانواع العذاب ليشكر الله على عصمته من الجنايات ومن
تلك العقوبات ويشكر على نعمة الامن ويحضر المقابر فيعلم ان احب الاشياء الى الموتى ان يردوا
الى دار الدنيا ولو يوما واحدا اما من عصى فليتدارك واما من اطاع فليزيد في طاعته فان
يوم القيمة يوم التغابن فالمطيع مغبون اذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت اقدر على اكثر من
هذه الطاعات فما اعظم غبني اذ ضيعت بعض الاوقات في المباحات واما العاصي
فغبنه ظاهر فاذا شاهد المقابر وعلم ان احب الاشياء اليهم ان يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي
له فيصرف بقية العمر الى ما يشتهي اهل القبور العود لاجله ليكون ذلك معرفة لنعمة الله في بقية العمر

بل في الامهال في كل نفس من الانفاس فاذا عرف تلك النعمة شكر بان يصرف العمر الى ما خلق العمر لاجله
وهو التزود من الدنيا للآخرة فهذا علاج القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر الله ولقد
كان الربيع بن خثيم مع تمام استبصاره يستعين بهذا الطريق ليكون تاكيدا للمعرفة فكان
قد حفر في داره قبرا وكان يضع غلا على عنقه وينام في لحده ثم يقول رب ارجعون لعلي
اعمل صالحا فيما تركت ثم يقوم ويقول يا ربيع قد اعطيت ما سالت فاعمل قبل ان تسال الرجوع فلا
ترد ومما ينبغي ان يعالج به القلوب البعيدة عن الشكر ان تعرف ان النعمة اذا لم تشكر زالت
فلم تعد ولذلك كان الفضيل يقول عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت
اليهم وقال بعض السلف ان النعم وحشية فقيدوها بالشكر وفي الخبر ما عظمت نعمة الله
على عبد الا كثرت حوائج الناس اليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقال سبحانه وتعالى
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فهذا تمام هذا الركن ه **الركن الثالث من
كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر** ويرتبط من احدهما بالآخر **بيان** وجه اجتماع
الصبر والشكر على شيء واحد لعلك تقول ما ذكرته في النعم اشارة الى ان لله تعالى في كل موجود
نعمة وهذا يشير الى ان البلاء لا وجود له اصلا فما معنى الصبر اذن وان كان البلاء موجودا فما معنى
الشكر على البلاء فقد ادعى مدعون انا نشكر على البلاء فضلا من الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر
على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عنه والصبر يستدعي الما والشكر يستدعي فرحا وهما متضا دان
وما معنى ما ذكرتموه من ان لله في كل ما اوجده نعمة على عباده فاعلم ان البلاء موجود كما ان
النعمة موجودة والقول باثبات النعمة يوجب القول باثبات البلاء لانهما متضادان ففقد البلاء
نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد سبق ان النعمة تنقسم الى نعمة مطلقة من كل وجه اما في الآخرة
فكسعادة العبد بالنزول في جوار الله واما في الدنيا فالايمان وحسن الخلق وما يعين عليهما
والى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه
فكذلك البلاء ينقسم الى مطلق ومقيد اما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى اما مدة
واما ابدا واما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي الى البلاء المطلق و
اما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر انواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا
فالشكر المطلق للنعمة المطلقة اما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليها لان
الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر ان يترك كفره وكذا حق العاصي
نعم الكافر قد لا يعرف انه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بها بسبب غشية او غيرها فلا
صبر عليه والعاصي يعرف انه عاص فعليه ترك المعصية بل كل بلاء يقدر الانسان على دفعه
فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الانسان الماء مع طول العطش حتى عظم المه فلا يؤمر بالصبر
بل يؤمر بازالة الالم وانما الصبر على الم ليس الى العبد ازالته فاذن يرجع الصبر في الدنيا الى
ما ليس ببلاء مطلق بل يجوز ان يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور ان يجتمع عليه وظيفة الصبر
والشكر فان الغنى مثلا يجوز ان يصير سبب هلاك الانسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل ويقتل

اولاده والصحة ايضا كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية الا ويجوز ان تصير بلاء ولكن
بالاضافة اليه فكذلك ما من بلاء الا ويجوز ان يصير نعمة ولكن بالاضافة الى حاله فرب عبد يكون
الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض وقال ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
ليحمي عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه وكذلك الزوجة والقريب والولد وكل ما ذكرنا
من الاقسام الستة عشر من النعم سوى الايمان وحسن الخلق فانها يتصور ان تكون بلاء في حق
بعض الناس فتكون اضدادها اذن نعمة في حقهم اذ قد سبق ان المعرفة كمال ونعمة فانها
صفة من صفات الله تعالى ولكن قد تكون على العبد في بعض الامور بلاء ويكون فقدها نعمة مثاله
جهل الانسان باجله فانه نعمة عليه اذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله
بما يضمره الناس عليه من معارفه واقاربه نعمة عليه اذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال المه و
حقده وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه اذ لو
عرفها ابغضه وآذاه وكان ذلك وبالا عليه في الدنيا والآخرة بل جهله بالخصال المحمودة في
غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون وليا لله وهو يضطر الى ايذائه واهانته ولو عرف وآذى
كان اثمه اعظم لا محالة فليس من آذى نبيا او وليا وهو يعرفه كمن آذى وهو لا يعرف و
منها ابهام الله امر القيمة وابهامه ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وابهامه بعض
الكبائر فكل ذلك نعمة لان هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه
نعم الله في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا ان لله في كل موجود نعمة فهو حق وذلك
مطرد في حق كل واحد ولا يستثنى عنه بالظن الا الالام التي يخلقها في بعض الناس وهي ايضا
قد تكون نعمة في حق المتألم فان لم تكن نعمة في حقه كالالم الحاصل من المعصية كقطعه يده
نفسه ووشمه بشرته فانه يتألم به وهو عاص به والم الكفار في النار فهو ايضا نعمة ولكن
في حق غيرهم من العباد لا في حقهم فمصائب قوم عند قوم فوائد ولولا ان الله خلق العذاب
وعذب به طائفة لما عرف المتنعمون قدر نعمته ولا كثر فرحهم بها ففرح اهل الجنة
انما يتضاعف اذا تفكروا في آلام اهل النار اما ترى اهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور
الشمس مع شدة حاجتهم اليه من حيث انه عام مبذول ولا يشتد فرحهم بالنظر الى
زينة السماء وهي احسن من كل بستان لهم في الارض يجتهدون في عمارتها ولكن زينة
السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فاذن قد صح ما ذكرناه من ان الله لم يخلق
شيئا الا وفيه حكمة ولا خلق شيئا الا وفيه نعمة اما على جميع عباده او على بعضهم فاذن
في خلق الله البلاء ايضا نعمة اما على المبتلى او على غير المبتلى فاذن كل حالة لا توصف بانها
بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا **فان
قلت** فهما متضادان فكيف يجتمعان اذ لا صبر الا على غم ولا شكر الا على فرح

ان الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث
الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة امور ينبغي
ان يفرح العاقل بها ويشكر عليها احدها ان كل مصيبة ومرض يتصور ان تكون اكبر
منها اذ مقدورات الله لا تتناهى فلو ضعفها الله تع وزادها ماذا كان يرده ويحجزه فليشكر
اذ لم تكن اعظم منها في الدنيا الثاني انه كان يمكن ان تكون مصيبته في دينه قال
رجل لسهل بن عبد الله دخل اللص بيتي واخذ متاعي فقال اشكر الله لو دخل الشيطان قلبك و
افسد توحيدك ماذا كنت تصنع ولذلك استعاذ عيسى عليه السلام في دعائه اذ قال اللهم لا
تجعل مصيبتي في ديني وقال عمر رضي الله عنه ما ابتليت ببلاء الا كان لله تع علي فيه اربع نعم
اذ لم يكن في ديني واذ لم يكن اعظم منه واذ لم احرم الرضا به واذ ارجو الثواب عليه وكان
لبعض ارباب القلوب صديق فحبسه السلطان فارسل اليه فقال له اشكر الله فضرب فقال
اشكر الله فجيء بمجوسي محبوس مبطون وقيد وجعل حلقة من قيده في رجله وحلقة في
رجل المجوسي فارسل اليه فقال اشكر الله فكان يحتاج المجوسي الى ان يقوم مرات وهو يحتاج
الى ان يقوم معه ويقف على راسه حتى يقضي حاجته فكتب اليه بذلك فقال اشكر الله فقال الى متى هذا
واي بلاء اعظم من هذا فقال لو جعل الزنار الذي في وسطه على وسطك ماذا كنت تصنع فاذن ما
من انسان قد اصيب ببلاء الا ولو تامل حق التامل في سوء ادبه ظاهرا وباطنا في حق مولاه
لكان يرى انه يستحق اكثر مما اصيب به عاجلا وآجلا ومن استحق عليك ان يضربك مائة سوط
فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على راسه
طست من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل له ما هذه السجدة فقال كنت انتظر ان تصب
علي النار فالاقتصار على الرماد نعمة وقيل لبعضهم الا تخرج للاستسقاء فقد احتبست
الامطار فقال انتم تستبطئون المطر وانا استبطئ الحجر فان قلت كيف افرح وارى
جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما اصبت به حتى الكفار فاعلم ان الكافر
قد خبئ له ما هو اكثر وانما امهل حتى يستكثر من الاثم ويطول عليه العقاب كما قال الله تع
انما نملي لهم ليزدادوا اثما واما العاصي فمن اين تعلم ان في العالم من هو اعصى منك ورب
خاطر بسوء ادب في حق الله تع وفي صفاته اعظم واطم من شرب الخمر والزنا وسائر
المعاصي بالجوارح ولذلك قال تع في مثله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فمن اين تعلم ان
غيرك اعصى منك ثم لعله قد اخرت عقوبته الى الآخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر
الله على ذلك وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو انه ما من عقوبة الا وكان يتصور
ان تؤخر الى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب اخر تهون المصيبة فيخف وقعها
ومصيبة الآخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلي اذ اسباب التسلي مقطوعة
بالكلية في الآخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانيا اذ قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا فاصابته شدة او بلاء في الدنيا فالله اكرم من
ان يعذبه ثانيا الرابع ان هذه البلية والمصيبة كانت مكتوبة عليه في ام الكتاب
وكان لا بد من وصولها اليه فاذن قد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها او من
جميعها فهذه نعمة الخامس ان ثوابها اكثر منها فان مصائب الدنيا طرق الى الآخرة
من وجهين احدهما الوجه الذي به يكون الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من
اسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والادب
فكان يخسر جميع عمره فكذلك المال والاهل والاقارب والاعضاء حتى العين التي هي اعز
الاشياء قد تكون اسبابا لهلاك الانسان في بعض الاحوال بل العقل الذي هو اعز الامور
قد يكون سببا للهلاك فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين او صبيانا ولم يتصرفوا بعقولهم في
دين الله وما من شيء من هذه الاسباب يوجد من العبد الا ويتصور ان يكون له فيه خيرة دينية
فعليه ان يحسن الظن بالله ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فان حكمة الله واسعة وهو بمصالح
العباد اعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا اذا راوا ثواب البلايا كما يشكر الصبي بعد
البلوغ والعقل استاذه واباه على ضربه وتاديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التاديب والبلاء
تاديب من الله تع وعنايته بعباده اتم واوفر من عناية الآباء بالاولاد فقد روي ان رجلا
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال لا تتهم الله في شيء قضاه عليك ونظر صلى الله عليه وسلم
الى السماء فضحك فسئل فقال عجبت لقضاء الله تع للمؤمن ان قضى له بالسراء رضي وكان خيرا له
وان قضى له بالضراء رضي وكان خيرا له والوجه الثاني ان راس الخطايا المهلكة حب الدنيا و
راس اسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور وموافاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء
ومصيبة تورث طمانينة القلب الى الدنيا واسبابها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند
الموت بسبب مفارقته واذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن اليها ولم
يانس بها وصارت الدنيا سجنا عليه وكانت نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والكافر كل من اعرض عن الله ولم يرد الا الحيوة
الدنيا ورضي بها واطمان اليها والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين الى الخروج منها
والكفر بعضه جلي وبعضه خفي وبقدر حب الدنيا في القلب يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد
المطلق هو الذي لا يحب الا الواحد الحق فاذن في البلاء نعم من هذه الجهة فيجب الفرح واما التالم
فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة الى الحجامة بمن يتولى حجامتك مجانا او يسقيك دواء
نافعا بشعا وهو مجان فانك تتالم وتفرح وتصبر على الالم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء
في الامور الدنياوية مثاله الدواء الذي يولم في الحال وينفع في المآل بل من دخل دار الملك
للنظارة وعلم انه يخرج منها لا محالة فراى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك بلاء
عليه لانه يورث الانس بمنزل لا يمكن المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من ان يطلع
عليه الملك فيعذبه واصابه ما يكره حتى نفر عن المقام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل والناس

دخلوها من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب اللحد فكلما يحقق انسهم بالمنزل فهو بلاء و
كل ما يزعج قلبهم عنها ويقطع انسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه ان يشكر على البلاء
ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لان الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن
لم يومن بان ثواب المصيبة اكثر من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة وحكي ان اعرابيا
عزى ابن عباس على ابيه فقال اصبر نكن بك صابرين فانما ، صبر الرعية بعد صبر الراس ،
خير من العباس اجرك بعده ، والله خير منك للعباس ، فقال ابن عباس ما عزاني احد
احسن من تعزيته والاخبار الواردة في الصبر على المصائب كثيرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وقال صلى الله عليه وسلم اذا وجهت الى عبد من
عبادي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب
له ميزانا او انشر له ديوانا وقال ما من عبد اصيب بمصيبة فقال كما امر الله عز وجل انا لله و
انا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا منها الا فعل الله ذلك به وقال
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من سلبت كريمتيه فصبر فجزاؤه الخلود في داري والنظر الى
وجهي وروي ان رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسدي فقال النبي صلى الله عليه و
سلم لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسده ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه
صبره وقال عليه السلام ان الرجل ليكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء في
جسمه فيبلغها بذلك وعن خباب بن الارت قال اتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد
بردايه في ظل الكعبة فشكونا اليه فقلنا يا رسول الله الا تدعو الله تستنصر لنا فجلس محمارا
لونه ثم قال ان من كان قبلكم ليوتى بالرجل فيحفر له في الارض حفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع
على راسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ، وعن علي رضي الله عنه ايما رجل حبسه
السلطان ظلما فمات فهو شهيد وقال ايضا ان من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو
وجعك ولا تذكر مصيبتك وقال ابو الدرداء تولدون للموت وتعمرون للخراب و
تحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى الا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض والموت وعن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا واراد ان يصافيه صب
عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا فاذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف فان دعاه
ثانيا فقال يا رب قال الله تعالى لبيك يا عبدي وسعديك لا تسالني شيئا الا اعطيتك او دفعت
عنك ما هو خير او ادخرت لك عندي ما هو افضل منه فاذا كان يوم القيمة جيء باهل الاعمال
فوفوا اعمالهم بالميزان اهل الصلوة والصوم والصدقة والحج ثم يوتى باهل البلاء فلا ينصب لهم
ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا فيود اهل
العافية في الدنيا لو انهم كانت تقرض اجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به اهل البلاء
من الثواب فذلك قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ، وعن ابن عباس رضي الله
عنه قال شكا نبي من الانبياء عليهم السلام الى ربه فقال يا رب العبد المومن يطيعك و

يجتنب المعاصي تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجتري
على معاصيك تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا فاوحى الله تعالى اليه ان العباد لي والبلاء
لي وكل يسبح بحمدي فيكون المومن عليه من الذنوب فازوي عنه الدنيا واعرض له البلاء فيكون
كفارة لذنوبه حتى يلقاني فاجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فابسط له في الرزق
وازوي عنه البلاء فاجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني فاجزيه بسيئاته ، وروي انه لما نزل
قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كيف الفرح بعد هذه الآية فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض اليس يصيبك الاذى الست
تحزن فهذا ما تجزون به يعني ان جميع ما يصيبك يكون كفارة ذنوبك وعن عقبة بن عامر
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رايتم الرجل يعطيه الله ما يحبه وهو مقيم
على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج ثم قرا قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب
كل شي يعني لما تركوا ما امروا فتحنا عليهم ابواب الخيرات حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي بما اعطوا من الخير
اخذناهم بغتة ، وعن الحسن البصري ان رجلا من الصحابة راى امراة كان يعرفها في الجاهلية
فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشي فصدمه حايط فاثر في وجهه فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا وقال علي رضي الله عنه
الا اخبركم بارجى آية في كتاب الله قالوا بلى فقرا عليهم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم و
يعفو عن كثير فالمصايب في الدنيا بكسب الاوزار فاذا عاقبه الله في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه
ثانيا وان عفا عنه في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه يوم القيمة ، وعن انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ما تجرع عبد قط جرعتين احب الى الله من جرعة غيظ ردها بحلم وجرعة
مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرتان احب الى الله من قطرة دم اهريقت في سبيل الله
وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه الا الله وما خطا عبد خطوتين احب الى
الله من خطوة الى الصلوة الفريضة وخطوة الى صلة الرحم ، وعن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال
توفي ابن لسليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فاتاه ملكان فجلسا بين
يديه في زي الخصوم فقال احدهما بذرت بذرا فلما استحصد مر به هذا فافسده فقال للآخر ما
تقول فقال اخذت الجادة فاتيت على زرع فنظرت يمينا وشمالا فاذا الطريق عليه فقال سليمان
عليه السلام ولم بذرت على الطريق اما علمت ان لا للانسان من الطريق فقال فلم تحزن على ولدك
اما علمت ان الموت سبيل الآخرة فتاب سليمن الى ربه ولم يجزع على ولده بعد ذلك ودخل
عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض فقال يا بني لان تكون في ميزاني احب الي من ان اكون في
ميزانك فقال يا ابت لان تكون ما تحب احب الي من ان يكون ما احب ، وعن ابن عباس
رضي الله عنه انه نعي اليه ابنة له فاسترجع وقال عورة سترها الله ومؤنة كفاها الله واجر
قد ساقه الله ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال قد صنعنا ما امر الله تعالى قال الله تعالى واستعينوا
بالصبر والصلوة ، وعن ابن المبارك انه مات ابن له فعزاه مجوسي يعرفه فقال له ينبغي للعاقل

بدم

ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة ايام فقال ابن المبارك اكتبوا عنه هذه وقال
بعض العلماء ان الله عز وجل ليبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي وما له ذنب وقال الفضيل
ان الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل اهله بالخير وقال حاتم الاصم
ان الله عز وجل يحتج على الخلق يوم القيمة باربعة انفس على اربعة اجناس على الاغنياء بسليمن
وعلى الفقراء بعيسى وعلى العبيد بيوسف وعلى المرضى بايوب صلوات الله عليهم اجمعين
وروى ان زكريا عليه السلم لما هرب من كفار بني اسرائيل واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك فجيء
بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار الى راس زكريا فان انة فاوحى الله اليه لئن صعدت
منك انة ثانية لامحونك من ديوان النبوة فعض زكريا عليه السلم على الصبر حتى قطع بشطرين
وقال ابو مسعود البلخي من اصيب بمصيبة فمزق ثوبا او ضرب صدرا فكانما اخذ رمحا
يريد ان يقاتل ربه وقال لقمن لابنه يا بني ان الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب
بالبلاء فاذا احب الله قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط وقال الاحنف
بن قيس اصبحت يوما اشتكي ضرسي فقلت لعمي ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها
ثلثا فقال لقد اكثرت من ضرسك الشكوى في ليلة واحدة وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة و
ما علم بها احد واوحى الله تعالى الى عزير اذا نزلت بك بلية فلا تشكني الى خلقي كما لا اشكوك الى ملائكتي
اذا صعدت مساويك وفضائحك **بيان فضل النعمة على البلاء** لعلك تقول
هذه الاخبار تدل على ان البلاء خير في الدنيا من النعيم فهل لنا ان نسال الله البلاء **فاقول**
لا وجه لذلك لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا و
عذاب الاخرة وكان يقول هو والانبياء عليهم السلام ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار وكانوا يستعيذون من شماتة الاعداء وغيره وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول
اللهم اني اسالك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم لقد سالت الله البلاء فاسأله العافية وروى الصديق
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافية فما اعطي عبد افضل من العافية الا
اليقين واشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية
البدن وقال الحسن الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر وقال
مطرف بن عبد الله لان اعافى فاشكر احب الي من ان ابتلى فاصبر وقد قال صلى الله عليه و
سلم في دعائه وعافيتك احب الي وهذا اظهر من ان يحتاج فيه الى استشهاد وهذا لان البلاء
صار نعمة باعتبارين احدهما بالاضافة الى ما هو اكبر اما في الدنيا او في الدين والآخر بالاضافة الى ما
يرجى من الثواب فينبغي ان يسال الله تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه من البلاء ونساله الثواب
في الاخرة على الشكر على نعمة فانه قادر على ان يعطي على الشكر ما يعطيه على الصبر **فان قلت** قد قال
بعضهم اود ان اكون جسرا على النار يعبر علي الخلق كلهم فينجون واكون انا في النار
وقال سمنون وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فاختبرني فهذا من هولاء
سوال البلاء **فاعلم** انه حكي ان سمنون بلي بعد هذا البيت بعلة الحصر فكان بعد ذلك يدور

على ابواب المكاتب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب واما محبة الانسان ليكون هو في
النار دون سائر الخلق فغير ممكن ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن المحب بنفسه انه
يحب لمثل ذلك فمن شرب بكاس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولو زايله سكره علم ان ما
غلب عليه كانت حالة لا حقيقة لها فما تسمعه من هذا الفن هو كلام العشاق الذين افرط حبهم
وكلام العشاق يستلذ سماعه ولا يعول عليه كما حكي ان فاختة كانت يراودها زوجها فتمنعه
فقال لها ما الذي يمنعك عني ولو اردت ان اقلب لك ملك سليمن ظهرا لبطن لفعلته لاجلك
فسمعه سليمن فاستدعاه وعاتبه فقال يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال الشاعر
اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد وهو ايضا محال ومعناه اني اريد ما لا اريد
لان من اراد الوصال ما اراد الهجر فكيف اراد الهجر الذي لم يرده بل لا يصدق هذا الكلام الا بتاويلين
احدهما ان يكون ذلك في بعض الاحوال حتى يكتسب به رضاه الذي يتوصل به الى مراد الوصال
في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة الرضا والرضا وسيلة لوصال المحبوب والوسيلة الى المحبوب
محبوب فيكون مثاله مثال محب المال اذا اسلم درهما في درهمين فهو لحب الدرهمين ترك الدرهم
في الحال **الثاني** ان يصير رضاه عنده مطلوبا من حيث انه رضي فقط ويكون له لذة في
استشعار رضى محبوبه فهذه تزيد تلك اللذة على لذته في مشاهدته مع كراهته فعند ذلك يتصور
ان يريد ما فيه الرضا فكذلك قد انتهى حال بعض المحبين الى ان صارت لذتهم في استشعارهم رضى
الله عنهم اكثر من لذتهم في العافية من غير شعور الرضا فهولاء اذا قدروا رضاه في البلاء صار البلاء
احب اليهم من العافية وهذه حالة لا يبعد وقوعها في غلبات الحب ولكنها لا تثبت وان ثبتت
مثلا فهل هي حالة صحيحة ام هي حالة اقتضتها حالة اخرى وردت على القلب فمالت به
عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق ان العافية
خير من البلاء فنسال الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة **بيان الافضل من الصبر
والشكر** اعلم ان الناس اختلفوا في ذلك فقال قائلون الصبر افضل من الشكر وقال
آخرون هما سيان وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الاحوال واستدل كل فريق بكلام
شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطويل بالنقل بل المبادرة الى اظهار الحق اولى
فنقول في بيان ذلك مقامان **المقام الاول** البيان على سبيل التساهل وهو ان
ينظر الى ظاهر الامر ولا يطلب بالتفتيش لحقيقته وهو البيان الذي ينبغي ان يخاطب به عوام الخلق
لقصور افهامهم عن درك الحقائق الغامضة وهذا الفن من الكلام هو الذي ينبغي ان يعتمده
الوعاظ اذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام اصلاحهم والظير المشفقة لا ينبغي ان تصلح الصبي
الطفل بالطيور السمان وضروب الحلاوى بل باللبن وعليها ان تؤخر عنه اطايب الاطعمة الى
ان يصير محتملا لها بقوته ويفارق الضعف الذي هو عليه في بنيته فنقول هذا المقام
في البيان يابى البحث والتفصيل عليه ومقتضاه النظر الى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وفي
ذلك يقتضي تفضيل الصبر فان الشكر وان وردت اخبار في فضله فاذا اضيف اليه ما ورد في

فضايل الصبر كان فضايل الصبر اكثر بل فيها الفاظ صريحة في التفضيل كقوله عليه السلم من افضل ما
اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر وفي الخبر يوتى باشكر اهل الارض فيجزيه الله تع جزاء الشاكرين ويوتى
باصبر اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يارب فيقول
الله تع كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزاء
الشاكرين وقد قال تع انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب واما قوله الطاعم الشاكر بمنزلة
الصايم الصابر فهو دليل على الفضيلة في الصبر اذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر
فالحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولا انه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان الحاق
الشكر به مبالغة في الشكر وهو كقوله صلى الله عليه وسلم الجمعة حج المساكين وجهاد المراة حسن التبعل
وكقوله شارب الخمر كعابد الوثن وابدا المشبه به ينبغي ان يكون اعلى رتبة فكذلك قوله
الصبر نصف الايمان لا يدل على ان الشكر مثله وهو كقوله الصوم نصف الصبر فان كل ما ينقسم بقسمين
يسمى احدهما نصفا وان كان بينهما تفاوت كما يقال الايمان هو العلم والعمل فالعمل نصف الايمان ولا يدل
هذا على ان العمل يساوي العلم وفي الخبر آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر
اصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي لفظ آخر يدخل الجنة سليمان بعد الانبياء
باربعين خريفا وفي الخبر ابواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد واول
من يدخله اهل البلاء امامهم ايوب عليه السلم وكل ما ورد في فضايل الفقر يدل على فضيلة الصبر
لان الصبر حال الفقير والشكر حال الغني فهذا هو المقام الذي يقنع به العوام ويكفيهم في
الوعظ اللايق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم **المقام الثاني** هو البيان الذي يقصد
به تعريف اهل العلم والاستبصار بحقايق الامور بطريق الكشف والايضاح فنقول فيه كل
امرين مبهمين لا يمكن الموازنة بينهما مع الابهام ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكشوف
يشتمل على اقسام لا يمكن الموازنة بين الجملة والجملة بل يجب ان يفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان
فالصبر والشكر اقسامهما وشعبهما كثيرة فلا يتبين حكمهما في الرجحان والنقصان مع الاجمال
فنقول قد ذكرنا ان هذه المقامات تنتظم من ثلاثة امور علوم واحوال واعمال والشكر و
الصبر وساير المقامات هي كذلك وهذه الثلاثة اذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين
الى الظواهر ان العلوم تراد للاحوال والاحوال تراد للاعمال فالاعمال هي الافضل واما ارباب
البصاير فالامر عندهم بالعكس من ذلك فان الاعمال تراد للاحوال والاحوال تراد للعلوم فالافضل
العلوم ثم الاحوال ثم الاعمال لان كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة افضل منه واما آحاد هذه
الثلاثة فالاعمال قد تتساوى وقد تتفاوت اذا اضيف بعضها الى بعض وكذا آحاد الاحوال
اذا اضيف بعضها الى البعض وكذا آحاد المعارف وافضل العلوم علوم المكاشفة وهي ارفع من
علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة فانها تراد للمعاملة ففايدتها اصلاح العمل
وانما فضل العالم بالمعاملة على العابد اذا كان علمه مما يعم نفعه فيكون بالاضافة الى عمل خاص افضل
والا فالعلم القاصر بالعمل ليس بافضل من العمل القاصر فنقول فايدة اصلاح العمل اصلاح حال القلب

وفايدة اصلاح حال القلب ان ينكشف له جلال الله في ذاته وصفاته وافعاله فارفع علوم المكاشفة
معرفة الله سبحانه وتع وهي الغاية التي تطلب لذاتها فان السعادة تنال بها بل هي عين السعادة
ولكن قد يشعر القلب في الدنيا بانها عين السعادة وانما يشعر بها في الآخرة فهي المعرفة الحرة
التي لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالاضافة اليها فانها
انما تراد لاجلها ولما كانت مرادة لاجلها كان تفاوتها بحسب نفعها في الافضاء الى معرفة
الله سبحانه وتعالى فان بعض المعارف يفضي الى بعض اما بواسطة او بوسايط كثيرة فكلما
كانت الوسايط بينه وبين معرفة الله اقل فهي افضل واما الاحوال فنعني بها احوال
القلب في تصفيته وتطهيره عن شوايب الدنيا وشواغل الخلق حتى اذا طهر وصفا اتضح
له حقيقة الحق فاذن فضايل الاحوال بقدر تاثيرها في اصلاح القلب وتطهيره واعداده
لان يحصل له علوم المكاشفة وكما ان تصقيل المراة يحتاج الى ان يتقدم على تمامه احوال للمراة بعضها
اقرب الى الصفا له من بعض فكذلك احوال القلب فالحالة القريبة او المقربة من صفاء القلب هي
افضل مما في دونها لا محالة بسبب القرب من المقصود وهكذا ترتيب الاعمال فان تاثيرها
في تاكد صفاء القلب وجلب الاحوال اليه وكل عمل فاما ان يجلب اليه حالة مانعة من المكاشفة
موجبة ظلمة القلب جاذبة الى زخارف الدنيا واما ان يجلب اليه حالة مهيئة للمكاشفة موجبة
صفاء القلب وقطع علايقه عن الدنيا واسم الاول المعصية واسم الثاني الطاعة والمعاصي
من حيث التاثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته
فدرجاتها بحسب درجات تاثيرها وذلك يختلف باختلاف الاحوال وذلك انا بالقول
المطلق ربما نقول الصلوة النافلة افضل من كل عبادة نافلة والحج افضل من الصدقة
وان قيام الليل افضل من غيره ولكن التحقيق فيه ان الغني الذي معه مال وقد غلبه البخل و
حب المال على امساكه فاخراج درهم له افضل من قيام ليالي وصيام ايام لان الصيام يليق
بمن غلبته شهوة البطن فاراد كسرها او منعه الشبع عن صفاء الفكر في علوم المكاشفة فاراد
تصفية القلب بالجوع فاما هذا المدبر اذا لم يكن حاله هذه الاحوال فليس يستضر بشهوة بطنه
ولا هو يشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منها فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله الى حال غيره
وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن اذا استعمل دواء الصداع فلا ينتفع به بل حقه ان ينظر
في المهلك الذي استولى عليه والشح المطاع من جملة المهلكات ولا يزيل صيام ماية سنة
وقيام الف ليلة منه ذرة بل لا يزيله الا اخراج المال فعليه ان يتصدق بما معه وتفصيل هذا مما
ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع اليه فاذن باعتبار هذه الاحوال تختلف الاعمال وعند ذلك
يعرف البصير ان الجواب المطلق فيه خطا ولو قال لنا قايل الخبز افضل ام الماء لم يكن
فيه جواب حق الا ان الخبز للجايع افضل والماء للعطشان فان اجتمعا فينظر الى الاغلب فان كان
العطش هو الاغلب فالماء افضل وان كان الجوع هو الاغلب فالخبز افضل فان تساويا فهما
متساويان وكذا اذا قيل السكنجبين افضل ام الشراب النيلوفري لم يصح الجواب عنه مطلقا

اصلا نعم لو قيل لنا السكنجبين افضل ام عدم الصفراء فنقول عدم الصفراء لان السكنجبين
يراد له وما يراد لغيره فذلك الغير افضل منه لا محالة فاذن في بذل المال عمل وهو الانفاق ويحصل
به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب وتهيأ القلب بسبب خروج حب الدنيا منه
لمعرفة الله وحبه فالافضل المعرفة ودونها الحالة ودونها العمل فان قلت فقد حث الشرع على
الاعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
وقال ويأخذ الصدقات فكيف لا يكون الفعل وهو الانفاق افضل من الاحوال فاعلم
ان الطبيب اذا اثنى على الدواء لم يدل على ان الدواء مراد لعينه وعلى انه افضل من الصحة والشفاء
الحاصل به ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلوب مما لا يشعر به غالبا فهو كبرص
على وجه من لا مرآة معه فانه لا يشعر به ولو ذكر له لم يصدق ان المقصود زوال البرص عن وجهه ربما
ترك العلاج وزعم ان وجهي لا عيب فيه ولنضرب مثلا لا اقرب من هذا فنقول من له
ولد علمه العلم او القرآن واراد ان يبقى ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم انه لو امره بالتكرار
والدراسة ليبقى له محفوظا لقال انه محفوظ ولا حاجة بي اليه لانه يظن ان ما يحفظه في الحال يبقى كذلك
ابدا وكان له عبيد فامر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل ليتوفر داعيته على كثرة التكرار
بالتعليم فربما يظن الصبي المسكين ان المقصود تعلم العبيد القرآن وانه قد استخدم لتعليمهم
فيشكل عليه الامر فيقول ما بالي قد استخدمت لاجل العبيد وانا اجل منهم واعز عند الوالد
وانا اعلم ان ابي لو اراد تعليم العبيد لقدر عليه دون تكليفي واعلم انه لا نقصان لابي
بفقد هؤلاء العبيد فضلا عن عدم علمهم بالقرآن فربما يتكاسل هذا المسكين في ترك تعليمهم
اعتمادا على استغناء ابيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبرا محروما
من حيث لا يدري وقد انخدع بمثل هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الاباحة وقالوا ان الله غني
عن المساكين عبادتنا وغني عن ان يستقرض منا فاي معنى لقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا فلو شاء الله اطعام المساكين لاطعمهم فلا حاجة بنا الى صرف اموالنا اليهم كما قال
تعالى حكاية عن الكفار واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من
لو يشاء الله اطعمه وقالوا ايضا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم
وكيف هلكوا بصدقهم فسبحان من اذا شاء اهلك بالصدق واذا شاء اسعد بالجهل
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فهؤلاء لما ظنوا انهم استخدموا لاجل الفقراء والمساكين
او لاجل الله ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا ولا في اموالنا انفقنا او امسكنا
هلكوا كما هلك الصبي لما ظن ان مقصود الوالد استخدامه لاجل العبيد ولم يعلم بانه كان
المقصود منه ثبات صفة العلم في نفسه وتأكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في
الدنيا وانما كان ذلك تلطفا به من الوالد في استجراره الى ما فيه سعادته فهذا المثال
يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق فاذن المسكين الآخذ لمالك يستوفي بواسطة
المال خبث الدنيا وخبث البخل من باطنك فانه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم منك

ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك فالحجام خادم لك لا انت خادم للحجام ولا
يخرج الحجام عن كونه خادما بان يكون له غرض في ان يصبغ شيئا بالدم ولما كانت الصدقات
مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبائث الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اخذها وانتهى عنها كما نهى عن كسب الحجام وسماها اوساخ اموال الناس وشرف اهل
بيته بالصيانة عنها والمقصود ان الاعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربع المهلكات في
القلب بحسب تأثرها يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة فهذا هو القول الكلي والقانون
الاصلي الذي ينبغي ان يرجع اليه في معرفة فضائل الاعمال والاحوال والمعارف فلنرجع الآن
الى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فنقول في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل فلا يجوز
ان يقابل المعرفة في احدهما بالحال او العمل في الآخر بل يقابل كل واحد بنظيره حتى يظهر التناسب
وبعد التناسب يظهر الفضل ومهما قوبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعتا الى
معرفة واحدة اذ معرفة الشاكر ان يرى نعمة العينين مثلا من الله ومعرفة الصابر ان يرى العمى من الله
وهما معرفتان متلازمتان ومتساويتان هذا ان اعتبرا في البلاء والمصيبة
وقد بينا ان الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيهما يتحد الصبر والشكر لان الصبر
على الطاعة هو عين شكر الطاعة لان الشكر يرجع الى صرف نعمة الله تعالى الى ما هو المقصود منها
بالحكمة والصبر يرجع الى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى والصبر والشكر فيهما اسمان
لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فاثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى يسمى صبرا بالاضافة
الى باعث الهوى ويسمى شكرا بالاضافة الى باعث الدين اذ باعث الدين انما خلق لهذه الحكمة وهو ان يصرع
به باعث الشهوة فقد صرفه الى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معبر واحد فكيف يفضل الشيء
على نفسه فاذن مجاري الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلايا وقد ظهر حكمهما في الطاعة والمعصية
اما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة اما ان تقع ضرورية كالعينين مثلا واما ان تقع في
محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال اما العين فصبر الاعمى عنها بان لا يظهر الشكوى
ويضمر الرضا بالقضاء ولا يترخص بسبب العمى في بعض المعاصي وشكر البصير عليها من حيث العمل
بامرين احدهما ان لا يستعين بها على معصية والآخر ان يستعملها في الطاعة وكل واحد من
الامرين لا يخلو عن الصبر فان الاعمى كفي الصبر عن الصور الجميلة لانه لا يراها والبصير اذا وقع بصره
على جميل فصبر كان شاكرا لنعمة العينين وان اتبع النظر كفر نعمة العينين فقد دخل الصبر في شكره
وكذلك اذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد فيه ايضا من صبر على الطاعة ثم قد يشكرهما
بالنظر الى عجائب صنع الله ليتوصل به الى معرفة الله فيكون هذا الشكر افضل من الصبر ولولا هذا لكان
رتبة شعيب مثلا وقد كان ضريرا من الانبياء فوق رتبة موسى عليه السلام وغيره لانه صبر على فقد
البصر وموسى لم يصبر ولكان الكمال في ان يسلب الاطراف كلها ويترك الانسان لحما على وضم و
ذلك محال جدا لان كل واحد من هذه الاعضاء آلة في الدين فيفوت بفواتها ذلك الركن من
الدين وشكرها استعمالها فيما هي آلة فيه من الدين وذلك لا يكون الا بصبر واما ما يقع في

محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فانه اذا لم يترك الا قدر الضرورة وما وراءه محتاج اليه تنفي الصبر
عنها مجاهدة وهو جهاد الفقراء ووجود الزيادة نعمة وشكرها ان يصرف الى الخيرات وان
لا يستعمل في المعصية فان اضيف الصبر الى الشكر الذي هو صرف الى الطاعة فالشكر افضل
لانه تضمن الصبر ايضا وفيه فرح بنعمة الله سبحانه وتعالى وفيه احتمال الم في صرفه الى الفقراء وترك صرفه
الى التنعم المباح وكان الحاصل يرجع الى ان شيئين افضل من شيء واحد وان الجملة اعلى رتبة من
البعض وهذا فيه خلل اذ لا يصح الموازنة بين الجملة وبين ابعاضها واما اذا كان شكره بان لا يستعين
به على معصية بل يصرفه الى التنعم المباح فالصبر ههنا افضل من الشكر والفقير الصابر افضل من
الغني الممسك ماله الصارف ماله الى المباحات لا من الغني الصارف ماله الى الخيرات لان الفقير
قد جاهد نفسه وكسر نهمتها واحسن الرضا على بلاء الله وهذه الحالة تستدعي لا محالة قوة
والغني اتبع نهمته واطاع شهوته ولكنه اقتصر على الاء الله وهذه الحالة تستدعي في المباح
وفيه مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام ايضا الا ان القوة التي عنها يصدر
صبر الفقير اعلى واتم من القوة التي يصدر عنها الاقتصار في التنعم على المباح والشرف لتلك القوة
التي يدل العمل عليها فان الاعمال لا تراد الا لاحوال القلب وتلك القوة حالة للقلب تختلف
بحسب قوة اليقين والايمان فما دل على زيادة قوة في الايمان فهو افضل لا محالة وجميع ما ورد من
تفضيل اجر الصبر على الشكر في الآيات والاخبار انما اريد هذه الرتبة على الخصوص لان السابق
الى افهام الناس من النعمة الاموال والغني بها والسابق الى الافهام من الشكر ان يقول الانسان
الحمد لله ولا يستعين بالنعم على المعصية لا ان يصرفها الى الطاعة فاذن الصبر افضل من الشكر اي الصبر
الذي تفهمه العامة افضل من الشكر الذي تفهمه العامة والى هذا المعنى على الخصوص اشار
الجنيد حيث سئل عن الصبر والشكر ايهما افضل فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير
بالعدم وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغني يصحبه فيما عليه اشياء تلائم
صفته وتمتعها وتلذذها والفقير يصحبه فيما عليه اشياء تؤلم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا
كان الاثنان قائمين لله عز وجل بشرط ما عليهما كان الذي آلم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع صفته وانعمها
والامر على ما قاله وهو صحيح من جملة اقسام الصبر والشكر في القسم الاخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواه
ويقال كان ابو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال الغني الشاكر افضل من الفقير
الصابر فدعا عليه الجنيد فلحقه ما اصابه من البلاء من قتل ولاده وتلف ماله وزوال
عقله اربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد اصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على
الغني الشاكر فمهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت ان لكل واحد من القولين وجها
في بعض الاحوال فرب فقير صابر افضل من غني شاكر ورب غني شاكر افضل من فقير صابر وذلك
هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير ولا يمسك لنفسه من ماله الا قدر الضرورة والباقي يصرفه
الى الخيرات او يمسكه على اعتقاد انه خازن المساكين وانما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرفه اليها
ثم اذا صرفه لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولا لتقليد منة بل اداء لحق الله تع في تفقد عباده فهذا

افضل

افضل من الصابر **فان قلت** فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه الفقر لانه يستشعر
لذة القدرة وذلك يستشعر الم الصبر فان كان متألما بفراق المال فينجبر ذلك بلذته في القدرة
على الانفاق **فاعلم** ان الذي نراه ان من ينفق ماله عن رغبة وطيبة نفس اكمل حالا فيما سبق
من كتاب التوبة فايلام النفس ليس مطلوبا لعينه بل لتأديبها وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد
والكلب المتأدب اكمل من الكلب المحتاج الى الضرب وان كان صابرا على الضرب ولذلك يحتاج الى
الايلام والمجاهدة في البداية ولا يحتاج اليه في النهاية بل النهاية ان يصير ما كان مؤلما في حقه لذيذا
عنده كما يصير التعلم عند الصبي العاقل لذيذا وقد كان مؤلما له اولا ولكن لما كان الناس كلهم الا
الاقلون في البداية بل قبل البداية بكثير اطلق الجنيد القول بان الذي يؤلم صفته افضل وهو
كما قال صحيح فيما اراده من عموم الخلق فاذا اذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه لارادة
الاكثر فاطلق القول بان الصبر افضل من الشكر فانه صحيح بالمعنى السابق الى الافهام فاما اذا اردت
التحقيق فتفصل فان للصبر درجات اقلها ترك الشكوى مع الكراهة ووراءها الرضا وهو مقام
وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا اذ الصبر مع الالم والرضا يمكن بما لا الم فيه و
لا فرح والشكر لا يمكن الا على محبوب مفروح به وكذلك للشكر درجات كثيرة ذكرنا اقصاها ويدخل
في جملتها امور ومنها فان حياء العبد من تتابع نعم الله تع عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن
الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم حلم الله وكنه ستره شكر والاعتراف بان
النعم من الله ابتداء من غير استحقاق شكر والعلم بان الشكر ايضا نعمة من الله وموهبة منه شكر
وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط شكر اذ قال عليه السلام من لم يشكر الناس
لم يشكر الله وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب اسرار الزكوة وقلة الاعتراض وحسن الادب بين
يدي المنعم شكر وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر فما يندرج من الاحوال
والاعمال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن اجمال القول
بتفضيل لاحدهما على الاخر الا على سبيل ارادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الاخبار والاثار
وقد روي عن بعضهم انه قال رايت في بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسالته
عن حاله فقال اني كنت في ابتداء عمري اهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني فاتفق
انها زوجت مني فليلة زفافها قلت لها تعالي حتى نحيي هذه الليلة شكرا لله تع على ما جمعنا
فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ احدنا الى صاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك
فصلينا طول الليل فمنذ سبعين او ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة ثم التفت الى
تلك العجوز وقال اليس كذلك يا فلانة فقالت العجوز هو كما يقول الشيخ فانظر اليهما لو صبرا على
بلاء الفرقة ان لو لم يجمع الله بينهما وانسب صبر الفرقة الى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك
ان هذا الشكر افضل فاذن لا وقوف على حقائق المفضلات الا بتفصيل كما سبق والله اعلم
تم كتاب الصبر والشكر وهو الكتاب الثاني من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين
والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد واله الطيبين الطاهرين اجمعين

كتاب الرجاء والخوف

وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله المرجو لطفه وثوابه، المخوف مكره وعقابه، الذي عمر قلوب اوليائه بروح رجائه حتى ساقهم بلطائف آلائه الى النزول بفنائه، والعدول عن دار بلائه التي هي مستقر اعدائه، وضرب بسياط التخويف وزجر العنيف وجوه المعرضين عن حضرته الى دار ثوابه وكرامته، وصدهم عن التعرض للايمته، والتهدف لسخطه ونقمته، قودا لاصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وازمة الرفق واللطف الى جنته، والصلوة على محمد سيد انبيائه وخير خليقته، وعلى آله واصحابه وعترته. اما بعد فان الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود، فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجاء ثقيل الاعباء محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والاعضاء الا ازمة الرجاء، ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الاليم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات الا سياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد اذن من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل الى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد مشتمل على شطرين الشطر الاول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف. اما الشطر الاول فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطريق الذي به يجتلب الرجاء.

بيان حقيقة الرجاء اعلم ان الرجاء من جملة مقامات السالكين واحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت واقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا سريع الزوال وكما ان الصفرة تنقسم الى ثابتة كصفرة الذهب والى سريع الزوال كصفرة الوجل والى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الاقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من اوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجاء فالرجاء ايضا يتم من علم وحال وعمل فالعلم يثمر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجاء اسم للحال من جملة الثلاثة وبيانه ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود في الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر في الاستقبال فاذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكرا وتذكرا وان كان ما خطر بقلبك موجودا في الحال سمي وجدا وذوقا وادراكا وانما سمي وجدا لانها حالة تجدها من نفسك وان كان قد خطر ببالك وجود شيء في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظارا وتوقعا فان كان المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب سمي خوفا واشفاقا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح يسمى ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد وان يكون له سبب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وان كان ذلك انتظارا مع انخرام

اسبابه

اسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه اصدق من اسم الرجاء وان لم يكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمني اصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الا على ما يتردد فيه اما ما يقطع به فلا اذ لا يقال ارجو طلوع الشمس وقت الطلوع واخاف غروبها وقت الغروب لان ذلك مقطوع به نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه وقد علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتطهيرها ومجرى حفر الانهار وسياقة الماء اليها والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيمة يوم الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقلما ينفع ايمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر في ارض سبخة فينبغي ان يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من طلب ارضا طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس ثم امده بما يحتاج اليه وهو سياق الماء اليه في اوقاته ثم طهره عن الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر او يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء وان بث البذر في ارض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب اليها ماء ولم يشتغل بتعهد البذر اصلا ثم انتظر حصاد الزرع منه سمي انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء وان بث البذر في ارض طيبة ولكن لا ماء لها واخذ ينتظر مياه الامطار حيث لا تغلب الامطار ولا يمتنع ايضا سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذن اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الردية وانتظر من فضل الله تثبيته عليه الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في تمام اسباب المغفرة الى الموت وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات او ترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور قال صلى الله عليه وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال الله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وذم الله سبحانه وتعالى صاحب البستان اذ دخل جنته وقال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فاذن العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بان ينتظر من فضل الله تعالى تمام النعمة وما تمام النعمة الا بدخول الجنة واما العاصي اذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بان يرجو قبول التوبة واما قبل التوبة اذا كان كارها للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق اليها فحقيق بان يرجو من الله تعالى التوفيق للتوبة لان كراهته للمعصية و

حرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي الى التوبة وانما الرجاء بعد تأكد الاسباب ولذلك
قال تع ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله معناه ان
اولئك يستحقون ان يرجو رحمة الله وما اراد به تخصيص وجود الرجاء لان غيرهم ايضا قد يرجو
ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء فاما من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على
التوبة والرجوع فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر في ارض سبخة وعزم على ان لا يتعهده
بسقي ولا تطهير ولا تنقية قال يحيى بن معاذ من اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب
على رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تع بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار
وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله مع الافراط فاذا عرفت
حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت انها حالة اثمرها العلم بجريان اكثر الاسباب وهذه الحالة تثمر
الجهد للقيام ببقية الاسباب على حسب الامكان فان من حسن بذره وطابت ارضه وغزر
ماؤه صدق رجاؤه فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تعهد الارض وتفقدها وتنحية كل حشيش ينبت
فيها فلا يفتر عن تعهدها اصلا الى وقت الحصاد وهذا لان الرجاء يضاده اليأس واليأس
يمنع من التعهد فمن علم ان الارض سبخة وان الماء معوز وان البذر فيه لا ينبت فيترك لا محالة
تفقد الارض والتعب في تعهدها والرجاء محمود لانه باعث واليأس مذموم وهو ضده لانه صارف
عن العمل والخوف ليس بضد الرجاء بل هو رفيق له كما سيأتي بيانه بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما ان
الرجاء باعث بطريق الرغبة فاذن حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالاعمال والمواظبة على الطاعات
كيف ما تقلبت الاحوال ومن آثاره التلذذ بدوام الاقبال على الله تع والتنعم بمناجاته والتلطف في
التملق له فان هذه الاحوال لا بد وان تظهر على كل من يرجو ملكا من الملوك او شخصا من الاشخاص فكيف
لا يظهر ذلك في حق الله تع فان كان ذلك لا يظهر فليستدل به على الحرمان من مقام الرجاء والنزول
في حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما اثمر من العلم ولما استثمر منه
من العمل ويدلك على اثماره لهذه الاعمال حديث زيد الخيل اذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت
لاسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت فقال اصبحت احب
الخير واهله واذا قدرت على شيء منه سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا فاتني شيء منه حزنت عليه
وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو ارادك بالاخرى هيأك لها ثم لا يبالي في اي اوديتها
هلكت فقد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من اريد به الخير فمن ارتجى ان يكون مرادا بالخير من غير
هذه العلامات فهو مغرور

بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه

اعلم ان العمل على الرجاء اعلى
منه على الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم اليه والحب يغلب بالرجاء واعتبر ذلك
بملكين يخدم احدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء لثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب
لا سيما وقت الموت قال الله تع لا تقنطوا من رحمة الله فحرم اصل اليأس وفي اخبار يعقوب
ان الله تع اوحى اليه اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك اخاف ان يأكله الذئب وانتم
عنه غافلون ولم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي له

وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو حسن الظن بالله وقال صلى الله عليه وسلم قال
الله تع انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل وهو
في النزع فقال كيف تجدك فقال اجدني ارجو الله واخاف ذنوبي فقال عليه السلام ما اجتمعا
في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجا وآمنه مما يخاف وقال علي رضي الله عنه لرجل
اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك وقال
سفين من اذنب ذنبا فعلم ان الله تع قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه قال لان الله
عير قوما فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم الآية وقال تع وظننتم ظن السوء وكنتم
قوما بورا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تع يقول للعبد يوم القيمة ما منعك اذا رأيت
المنكر ان تنكره فان لقنه الله تع حجته قال يا رب رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله تع
قد غفرت لك وفي الخبر الصحيح ان رجلا كان يداين الناس ويسامح الغني ويتجاوز عن المعسر
فلقي الله تع ولم يعمل خيرا قط فقال الله تع من احق بذلك منا فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه ان
يعفو عنه مع افلاسه عن الطاعات وقال الله تع ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ولما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجارون الى
ربكم فهبط جبريل فقال ان ربك تعالى يقول لم تقنط عبادي فخرج اليهم فرجاهم وشوقهم
وفي الخبر ان الله تع اوحى الى داود احبني واحب من يحبني وحببني الى خلقي فقال يا رب
وكيف احببك الى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم
لا يعرفون مني الا الجميل ورئي ابان بن ابي عياش في النوم وكان يكثر ذكر ابواب الرجاء
فقيل له ما فعل الله بك فقال اوقفني الله تع بين يديه فقال ما الذي حملك على ذلك فقلت اردت
ان احببك الى خلقك فقال قد غفرت لك ورئي يحيى بن اكثم في النوم بعد موته فقيل له ما فعل
الله بك فقال اوقفني بين يديه فقال يا شيخ فعلت وفعلت قال فاخذني من الرعب ما يعلم
الله ثم قلت يا رب ما هكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عني فقلت حدثنا عبد الرزاق عن
معمر عن الزهري عن انس بن مالك عن نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل انك قلت انا عند ظن عبدي
بي فليظن بي ما شاء وكنت اظن بك ان لا تعذبني فقال تع صدق جبريل وصدق
نبيي وصدق انس وصدق الزهري وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فالبست ومشي
بين يدي الولدان الى الجنة فقلت يا لها من فرحة وفي الخبر ان رجلا من بني اسرائيل كان يقنط
الناس ويشدد عليهم فيقول الله تع له يوم القيمة اليوم اويسك من رحمتي كما كنت
تقنط عبادي منها وقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا في جهنم ينادي الف سنة يا حنان يا منان
فيقول الله لجبريل اذهب فائتني بعبدي قال فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول الله له كيف وجدت
مكانك فيقول شر مكان فيقول ردوه الى مكانه قال فيمشي ويلتفت الى ورائه فيقول الله تع الى
اي شيء تلتفت فيقول لقد رجوت ان لا تعيدني اليها بعد اذ اخرجتني منها فيقول الله

اذهبوا به الى الجنة فدل هذا على ان رجاءه كان سبب نجاته **بيان دواء الرجاء** والسبيل
الذى منه تحصل حال الرجاء وتغلب اعلم ان هذا الدواء يحتاج اليه احد رجلين اما رجل غلب عليه الياس فترك
العبادة واما رجل غلب عليه الخوف فاسرف فى المواظبة على العبادة حتى اضر بنفسه واهله و
هذان رجلان مائلان عن الاعتدال الى طرفى الافراط والتفريط فيحتاجان الى علاج يردهما
الى الاعتدال فاما العاصى المغرور المتمنى على الله مع الاعراض عن العبادة واقتحام المعاصى فادوية
الرجاء تنقلب سموما فى حقه مهلكة وتنزل منزلة العسل الذى هو شفاء لمن غلب عليه البرودة وهو
سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل المغرور لا يستعمل فى حقه الا ادوية الخوف والاسباب المهيجة له فلهذا يجب
ان يكون واعظ الخلق متلطفا ناظرا الى مواقع العلل معالجا لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها فان
المطلوب هو العدل والقصد فى الصفات والاخلاق كلها وخير الامور اوساطها فاذا جاوز
الوسط الى احد الطرفين عولج بما يرده الى الوسط لا بما يزيد فى ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا
ينبغى ان يستعمل فيه مع الخلق اسباب الرجاء بل المبالغة فى التخويف ايضا يكاد لا يردهم الى جادة
الحق وسنن الصواب فاما ذكر اسباب الرجاء فيهلكهم ويرديهم بالكلية ولكنها لما كانت اخف
على القلوب والذ عند النفوس ولم يكن غرض الوعاظ الا استمالة القلوب واستنطاق الخلق
بالثناء كيف ما كانوا مالوا الى الارجاء حتى ازداد الفساق فسادا وازداد المنهمكون فى طغيانهم
تماديا قال علي رضى الله عنه انما العالم الذى لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله
ونحن نذكر اسباب الرجاء لتستعمل فى حق الآيسين او فيمن غلب عليه الخوف اقتداء بكتاب الله
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعا لانهما جامعان لاسباب
الشفاء فى حق اصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الانبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق
لا استعمال الاخرق الذى يظن ان كل شئ من الادوية صالح لكل مريض كيف ما كان وحال الرجاء تغلب
بشيئين احدهما الاعتبار والآخر استقراء الآيات والاخبار **اما الاعتبار** فهو ان يتامل جميع ما ذكرناه
فى اصناف النعم فى كتاب الشكر حتى اذا علم لطائف نعم الله بعباده فى الدنيا وعجائب حكمه التى راعاها فى
فطرة الانسان حتى اعد له فى الدنيا كل ما هو ضرورى له فى دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج
اليه كالاظفار والاصابع وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف الوان العينين وحمرة
الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينثلم بفقده غرض مقصود وانما كان يفوت به مزية جمال فالعناية
الالهية اذا لم تقصر عن عباده فى امثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده ان يفوتهم المزائد و
المزايا فى الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقتهم الى الهلاك المؤبد بل اذا نظر الانسان نظرا شافيا
علم ان اكثر الخلق قد هيئ له اسباب السعادة فى الدنيا حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت
وان اخبر بانه لا يعذب بعد الموت مثلا او لا يحشر اصلا فليس كراهتهم للعدم الا لان
اسباب النعم اغلب لا محالة وانما الذى يتمنى الموت نادر ثم لا يتمناه الا فى حالة نادرة وواقعة
هاجمة غريبة فاذا كان حال اكثر الخلق فى الدنيا الغالب عليهم الخير والسلامة وسنة الله لا تجد لها
تبديلا فالغالب ان امر الآخرة هكذا يكون لان مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم

لطيف بعباده متعطف عليهم فهذا اذا تؤمل حق التامل قوى به اسباب الرجاء ومن
الاعتبار ايضا النظر فى حكم الشريعة وسنتها فى مصالح الدنيا ووجه الرحمة على العباد بها
حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة فى البقرة من اقوى اسباب الرجاء ومن الاعتبار
ايضا فقيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين
قليل من رزقه فانظر كيف انزل الله فيه اطول آية ليهدى عبده الى طريق الاحتياط فى حفظ
دينه فكيف لا يحفظ دينه الذى لا عوض له منه **الفن الثانى** استقراء الآيات و
الاخبار فما ورد فى الرجاء خارج عن الحصر اما الآيات فقد قال الله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يبالى انه هو الغفور الرحيم وقال تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون
لمن فى الارض واخبر تعالى ان النار اعدها لاعدائه وانما خوف بها اولياءه فقال لهم من فوقهم
ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون وقال واتقوا النار
التى اعدت للكافرين وقال فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى الذى كذب وتولى وقال
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ويقال ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل يسال فى امته حتى
قيل له اما ترضى وقد انزلت عليك هذه الآية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفى تفسير
قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد واحد من امته فى النار وقال ابو جعفر
محمد بن علي يقول انتم اهل العراق تقولون ارجى آية فى كتاب الله تعالى قوله تعالى يا عبادى الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ونحن اهل البيت نقول ارجى آية فى كتاب الله تعالى ولسوف يعطيك ربك
فترضى **واما الاخبار** فقد روى ابو موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال امتى امة مرحومة لا
عذاب عليها فى الآخرة عجل عقابها فى الدنيا بالزلازل والفتن فاذا كان يوم القيمة دفع الى كل رجل من
امتى رجل من اهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من النار وفى لفظ آخر ياتى كل رجل من هذه الامة
بيهودى او نصرانى الى جهنم فيقول هذا فدائى من النار فيلقى فيها وقال صلى الله عليه وسلم الحمى من
فيح جهنم وهو حظ المؤمن من النار وروى فى تفسير قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين
آمنوا معه ان الله تعالى اوحى الى نبيه انى اجعل حساب امتك اليك فقال لا يا رب انت خير
لهم منى فقال اذن لا اخزيك فيهم وروى عن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم سال ربه فى ذنوب
امته فقال يا رب اجعل حسابهم الى لئلا يطلع على مساويهم غيرى فاوحى الله تعالى اليه امتك
وهم عبادى وانى ارحم بهم منك لا اجعل حسابهم الى غيرى لئلا ينظر الى مساويهم انت ولا غيرك
وقال صلى الله عليه وسلم حياتى خير لكم وموتى خير لكم اما حياتى فاسن لكم السنن واشرع لكم
الشرائع واما موتى فان اعمالكم تعرض علي فما رايت منها حسنا حمدت الله تعالى عليه وما رايت منها
شيئا استغفرت الله تعالى لكم وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا كريم العفو فقال جبريل اتدرى ما تفسير
يا كريم العفو هو ان عفا عن السيآت برحمته ثم بدلها حسنات بكرمه وسمع صلى الله عليه وسلم
رجلا يقول اللهم انى اسالك تمام النعمة فقال هل تدرى ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة فقال

العلماء قد اتم نعمته علينا برضاه الاسلام لنا اذ قال واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا
وفي الخبر اذا اذنب العبد فاستغفر الله يقول الله عز وجل للملائكة انظروا الى عبدي اذنب ذنبا
فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له وفي الخبر لو اذنب العبد
حتى يبلغ عنان السماء غفرتها ما استغفرني ورجاني وفي الخبر لو لقيني عبدي بقراب
الارض ذنوبا لقيته بقراب الارض مغفرة وفي الحديث ان الملك ليرفع القلم عن العبد اذا
اذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه والا كتبها سيئة وفي لفظ آخر
فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو امير عليه الق هذه السيئة
حتى القي من حسناته واحدة من تضعيف العشرة وارفع له تسع حسنات فيلقى عنه هذه السيئة
وروى انس رضي الله عنه في حديث آخر انه عليه السلم قال اذا اذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال
اعرابي فان تاب عنه قال محي عنه قال فان عاد قال عليه السلم يكتب عليه فقال الاعرابي فان تاب
قال محي عن صحيفته قال الى متى قال الى ان يستغفر ويتوب الى الله العزيز ان الله لا يمل من المغفرة حتى
يمل العبد من الاستغفار فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فان
عملها كتب عشر حسنات ثم يضاعفها الله الى سبعماية ضعف واذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فان
عملها كتبت خطيئة واحدة وورا ما احسن عفو الله تع وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اني لا اصوم الا الشهر ولا ازيد عليه ولا اصلي الا الخمس ولا ازيد عليها وليس
لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع اين انا اذا مت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
نعم معي ان حفظت قلبك من اثنين الغل والحسد ولسانك من اثنين الغيبة والكذب وعينيك
من اثنين النظر الى ما حرم الله وان تحقر بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين وفي
الحديث الطويل لانس بن مالك ان الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق فقال
الله عز وجل فقال هو بنفسه قال نعم فتبسم الاعرابي فقال صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا اعرابي
فقال ان الكريم اذا قدر عفا واذا حاسب سامح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الاعرابي
الا ولا كريم اكرم من الله وهو اكرم الاكرمين ثم قال فقه الاعرابي وفيه ايضا ان الله تع شرف
الكعبة وعظمها ولو ان عبدا هدمها حجرا حجرا ثم حرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من
اولياء الله قال الاعرابي ومن اولياء الله قال المومنون كلهم اولياء الله تع اما سمعت قول
الله سبحانه وتعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وفي بعض الاخبار المومن
افضل من الكعبة والمومن طيب طاهر والمومن اكرم على الله تع من الملائكة وفي الخبر خلق الله تع جهنم
من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة وفي خبر آخر يقول الله تع انما خلقت
الخلق ليربحوا علي ولم اخلقهم لاربح عليهم وفي حديث ابي سعيد الخدري عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تع شيئا الا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه و
في الخبر المشهور ان الله تع كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي وعن معاذ
بن جبل وانس بن مالك انه صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه

قول لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي الله تع لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار ولا يدخل
النار من في قلبه وزن ذرة من ايمان وفي خبر آخر لو علم الكافر سعة رحمة الله ما ايس من جنته
احد ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تع ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال اتدرون اي يوم
هذا هذا يوم يقال لآدم قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول كم فيقال من كل الف تسعماية
وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة قال فابلس القوم وجعلوا يبكون يومهم وتعطلوا
عن الاشتغال والعمل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لكم لا تعملون فقالوا من يشتغل بعمل
بعد ما حدثتنا بهذا فقال كم انتم في الامم اين تاويل وتاريس ومنسك وياجوج وماجوج امم
لا يحصيها الا الله تع انما انتم في ساير الامم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود او كالرقمة
في ذراع الدابة فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بازمة الرجاء الى الله تع
اذ ساقهم بسياط الخوف اولا فلما خرج بهم ذلك عن حد الاعتدال الى فرط الياس داواهم بدواء
الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد والاخير لم يكن مناقضا للاول ولكن ذكر في الاول ما
راه سببا للشفاء واقتصر عليه فلما احتاجوا الى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الامر فعلى الواعظ
ان يقتدي بسيد الوعاظ فيتلطف في استعمال اخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد
ملاحظة العلل الباطنة وان لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه اكثر مما يصلحه وفي الخبر لو لم
تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون ليغفر لهم وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاء بخلق آخر يذنبون
فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم وفي الخبر لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل ما هو قال
العجب وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لله ارحم بعبده المومن من الوالدة الشفيقة
بولدها وفي الخبر ليغفرن الله يوم القيمة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى ان ابليس
ليتطاول لها رجاء ان تصيبه وفي الخبر ان لله تع ماية رحمة ادخر منها عنده تسعا وتسعين
رحمة واظهر منها رحمة واحدة في الدنيا فبها يتراحم الخلق فتحن الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة
على ولدها فاذا كان يوم القيمة ضم هذه الرحمة الى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل
رحمة منها ملء طباق السموات والارضين قال ولا يهلك على الله تع الا هالك وفي الخبر
ما منكم من احد يدخله عمله الجنة فلا ينجيه من النار قالوا ولا انت قال ولا انا الا ان يتغمدني الله
برحمته وقال اعملوا وابشروا واعلموا ان احدا لن ينجيه عمله وقال اني اختبات شفاعتي
لاهل الكباير من امتي اترونها للمطيعين المتقين بل هي للمخلطين المتلوثين وقال عليه السلم
بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وقال احب ان يعلم اهل الكتابين ان في ديننا سماحة
ويدل على معناه استجابة الله للمومنين في قوله لا تحمل علينا اصرا كما حملته الآية وقوله ويضع عنهم
اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وروى محمد بن الحنفية عن علي رضي الله عنه قال لما نزل قوله
تع فاصفح الصفح الجميل قال يا جبريل وما الصفح الجميل قال اذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال
يا جبريل فالله اكرم من ان يعاتب من عفا عنه فبكى جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الله تع
اليهما ميكائيل وقال ان ربكما يقريكما السلام ويقول كيف اعاتب من عفوت عنه هذا ما

يومئذ ص

يشبه كرمي والاخبار الواردة في اسباب الرجاء اكثر من ان تحصى واما الآثار فقد قال علي رضي الله عنه من اذنب ذنبا فستره الله تع عليه في الدنيا فالله اكرم من ان يكشف ستره في الآخرة ومن اذنب ذنبا فعوقب عليه في الدنيا فالله تع اعدل من ان يثني عقوبته على عبده في الآخرة وقال الثوري ما احب ان يجعل حسابي الى ابوي لاني اعلم ان الله تع ارحم بي منهما وقال بعض السلف المومن اذا عصى الله تع ستره الله عن ابصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه وكتب محمد بن مصعب الى الاسود بن سالم بخطه ان العبد اذا كان مسرفا على نفسه فرفع يديه يدعو فيقول يا رب حجبت الملائكة صوته وكذا الثانية والثالثة حتى اذا قال الرابعة يا رب قال الله تع متى تحجبون صوت عبدي عني قد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري اشهدكم اني قد غفرت له وقال ابرهيم بن ادهم خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابرهيم تسالني العصمة وكل عبادي المومنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر وكان الحسن يقول لو لم يذنب المومن لكان يطير في الملكوت ولكن قمعه الله بالذنوب وقال الجنيد ان بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين ولقي مالك بن دينار ابانا فقال له الى كم تحدث الناس بالرخص فقال يا ابا يحيى اني لارجو ان ترى من عفو الله يوم القيمة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح وفي حديث ربعي بن خراش عن اخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات اخي سجي بثوبه والقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا فقال اني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان واني رايت الامر ايسر مما تظنون ولا تغتروا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرني واصحابه حتى ارجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكانها كانت حصاة وقعت في طست فحملناه ودفناه وفي الحديث ان رجلين من بني اسرائيل تواخيا في الله عز وجل فكان احدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابدا وكان يردعه فكان يقول دعني وربي ابعثت علي رقيبا حتى راه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تع له يوم القيمة ايستطيع احد ان يحظر رحمتي على عبادي اذهب فقد غفرت لك ثم يقول للعابد وانت قد اوجبت لك النار فقال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة هلكت دنياه وآخرته وروي ان لصا كان يقطع الطريق في بني اسرائيل اربعين سنة فمر عليه عيسى عليه السلم وخلفه عابد من عباد بني اسرائيل من الحواريين فقال اللص في نفسه هذا نبي الله يمر والى جنبه حواريه ولو نزلت فكنت معهما ثالثا قال فنزل فجعل يريد ان يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظيما للحواري ويقول في نفسه مثلي لا يمشي الى جنب مثل هذا العابد قال واحس به الحواري فقال في نفسه هذا يمشي الى جنبي فضم نفسه وتقدم الى عيسى فمشى الى جانبه فبقي اللص خلفه قال فاوحى الله تع الى عيسى قل لهما ليستانفا العمل فقد احبطت ما سلف من اعمالهما اما الحواري فقد احبطت

حسناته عجبا بنفسه واما الآخر فقد احبطت سيآته بما ازدرى بنفسه فاخبرهما بذلك وضم اللص اليه في سياحته وجعله من حوارييه وروي عن مسروق ان نبيا من الانبياء كان ساجدا فوطئ بعض العتاة عنقه حتى الزق الحصى بجبهته قال فرفع النبي صلى الله عليه وسلم راسه مغضبا فقال اذهب فلن يغفر الله لك فاوحى الله تع اليه تتالى علي في عبادي اني قد غفرت له وقريب منه ما روى ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلوته فنزل قوله تع ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم الى قوله تع ليس لك من الامر شيء فترك الدعاء عليهم وهدى الله تع عامة اولئك الى الاسلام وفي الآثار ان رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة قال فاذا ادخلا الجنة رفع احدهما في الدرجات العلى على صاحبه فيقول الآخر يا رب ما كان هذا في الدنيا باكثر مني عبادة فرفعته في عليين فيقول الله سبحانه وتعالى انه كان يسالني في الدنيا الدرجات العلى وانت كنت تسالني النجاة من النار فاعطيت كل عبد سوله وهذا يدل على ان العبادة على الرجاء افضل لان المحبة اغلب على الراجي منها على الخائف فكم من فرق في العبيد بين من يخدم الملك اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لانعامه واكرامه ولذلك امر الله تع بحسن الظن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم سلوا الله الدرجات العلى فانما تسالون كريما وقال عليه السلم اذا سالتم الله تع فاعظموا الرغبة وسلوا الفردوس الاعلى فان الله تع لا يتعاظمه شيء وقال بكر بن سليم الصواف دخلنا على مالك بن انس في العشية التي قبض فيها فقلنا يا ابا عبد الله كيف تجدك فقال لا ادري ما اقول لكم الا انكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى غمضناه وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف احرزها وانا بالآفة معروف واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وقيل ان مجوسيا استضاف ابرهيم الخليل صلوات الله عليه فقال ان اسلمت اضفتك فمر المجوسي فاوحى الله تع الى ابرهيم فقال يا ابرهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره فلو اضفته ليلة ما ذا كان عليك فمر ابرهيم يسعى خلف المجوسي فرده واضافه فقال المجوسي ما السبب فيما بدا لك فذكر له فقال المجوسي اهكذا يعاملني ثم قال اعرض علي الاسلام فاسلم وراى استاذ ابي سهل الصعلوكي ابا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بوعيد الابد فقال وجدنا الامر ايسر مما توهمنا وراى بعضهم ابا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال له يا استاذ بم نلت هذا فقال بحسن ظني بربي وحكي ان ابا العباس بن سريج رحمه الله راى في مرض موته في منامه كان القيمة قد قامت واذا الجبار يقول اين العلماء قال فجاؤا ثم قال ماذا عملتم فيما علمتم قال فقلنا يا رب قصرنا واسانا قال فاعاد السؤال كانه لم يرض بالجواب واراد جوابا غيره فقلت اما انا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت ان تغفر ما دونه فقال اذهبوا فقد غفرت لكم ومات بعد ذلك بثلاث ليال وقيل كان رجل شرير جمع قوما من ندمائه ودفع الى غلام له اربعة دراهم وامره بان يشتري شيئا من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب

مجلس منصور بن عمار وهو يسأل للفقير شيئاً ويقول من دفع اليه اربعة دراهم دعوت له
اربع دعوات قال فدفع الغلام الدراهم اليه فقال له منصور ما الذي تريد ان ادعو لك فقال
لي سيد اريد ان اتخلص منه فدعا منصور وقال الاخرى فقال ان يخلف الله علي دراهمي فدعا
ثم قال الآخر قال ان يتوب الله على سيدي فدعا ثم قال الآخر قال ان يتوب الله على سيدي
فقال ان يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور فرجع الغلام فقال سيده لم ابطأت
فقص عليه القصة فقال وبم دعا فقال سألت لنفسي العتق فقال اذهب فانت حر وايش الثاني
فقال ان يخلف الله علي الدراهم فقال لك اربعة الاف درهم قال وايش الثالث قال ان
يتوب الله عليك فقال تبت الى الله تع وايش الرابع قال ان يغفر الله لي ولك وللمذكر وللقوم فقال
هذا الواحد ليس الي فلما بات تلك الليلة راى في المنام كان قايلا يقول له انت فعلت ما
كان اليك افترى اني لا افعل ما الي قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين
اجمعين ٭ وروي عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي قال رايت جنازة يحملها ثلاثة من الرجال
وامراة قال فاخذت مكان المراة وذهبنا الى المقبرة وصلينا عليها ودفنا الميت فقلت
للمراة من كان هذا منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران فقالت بلى ولكن صغروا امره
فقلت وايش كان هذا فقالت مخنث قال فرحمتها وذهبت بها الى منزلي واعطيتها دراهم وحنطة
وثيابا قال فرايت تلك الليلة كانه اتاني آت كانه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يشكر
لي فقلت من انت فقال المخنث الذي دفنتموه اليوم رحمني ربي باحتقار الناس اياي وقال
ابرهيم الاطروش كنا قعودا ببغداد مع معروف الكرخي على دجلة اذ مر قوم احداث في
زورق يضربون بالدف ويلعبون فقالوا للمعروف اما تراهم يعصون الله مجاهرين ادع الله
عليهم فرفع يديه وقال الهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة فقالوا انما سألناك
ان تدعو عليهم فقال اذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم ٭ وكان بعض السلف يقول في دعائه
يا رب واي اهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم دارا سبحانك
ما احلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى لكانك يا ربنا لا تغضب
فهذه هي الاسباب التي تجتلب بها روح الرجاء الى قلوب الخائفين الآيسين واما الحمقى
المغرورون فلا ينبغي ان يسمعوا شيئا من ذلك بل يسمعون ما سنورده من اسباب الخوف
فان اكثر الناس لا يصلح الا على الخوف كالعبد السوء والصبي العرم لا يستقيم الا بالضرب والعصا
واظهار الخشونة في الكلام فاما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا

الشطر الثاني من الكتاب في الخوف وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجات
الخوف وبيان اقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الافضل من الخوف والرجاء
وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الخاتمة وبيان احوال الخائفين من الانبياء والصالحين

بيان حقيقة الخوف اعلم ان الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع
مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن انس بالله وملك الحق قلبه

وصار ابن وقته مشاهدا الجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات الى المستقبل فلم
يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله اعلى من الخوف والرجاء فانهما زمامان يمنعان النفس من
الخروج الى رعوناتها والى هذا اشار الواسطي حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد
وقال ايضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا خوف وبالجملة فالمحب
اذا اشتغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصانا في الشهود وانما
دوام الشهود غاية المقامات ولكنا الآن انما نتكلم في اوايل المقامات فنقول
حال الخوف ينتظم ايضا من علم وحال وعمل اما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه وذلك
كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات ولكن
يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية الى قتله وهو تفاحش جنايته وكون
الملك في نفسه حقودا غضوبا منتقما وكونه محفوفا بمن يحثه على الانتقام خاليا عمن يتشفع اليه
في حقه وكان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنة تمحو اثر جنايته عند الملك فالعلم
بتظاهر هذه الاسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الاسباب
يضعف الخوف وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوف كالذي
وقع في مخالب سبع فانه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي سطوته وحرصه على الافتراس
غالبا وان كان افتراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى
السيل او جوار حريق فان الماء يخاف لانه بطبعه مجبول على السيلان والاغراق وكذا النار
على الاحراق فالعلم باسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتألمه وذلك الاحتراق
هو الخوف فكذلك الخوف من الله تارة يكون لمعرفة الله تع ومعرفة صفاته وانه لو اهلك العالمين
لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون
بهما جميعا وبحسب معرفته لعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله وتعاليه واستغنائه وانه لا يسال
عما يفعل يكون قوة خوفه فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم انا اخوفكم لله ولذلك قال الله تع انما يخشى الله من عباده العلماء ثم اذا كملت المعرفة
اورثت حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر الحرقة على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات
اما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء وقد تنشق منه المرارة فيفضي
الى الموت او يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث القنوط والياس واما في
الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعدادا للمستقبل
ولذلك قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه وقال ابو القسم
الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقيل لذي النون المصري متى يكون
العبد خائفا قال اذا انزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام واما في الصفات
فبان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل
مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان فيه سما فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب

الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والاستكانة والذلة ويفارقه الكبر والحسد
والحقد بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له
شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس في
الخطرات والخطوات في الكلمات ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضاري لا يدري
انه يغفل عنه فيفلت او يهجم فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خايف منه لا
متسع فيه لغيره هذا حال من غلب عليه الخوف واستولى عليه وهكذا كان جماعة من الصحابة
والتابعين وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي تالم القلب واحتراقه موم
وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وافعاله وبعيوب النفس وما بين ايديها من
الاخطار والاهوال واقل درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان يمنع عن المحظورات ويسمى
الكف الحاصل عن المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف
عما لا يتيقن ايضا تحريمه ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على
ترك ما لا باس به مخافة ما به باس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا
يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا ياكله ولا يلتفت الى دنيا يعلم انها تفارقه ولا يصرف الى غير الله
نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى
ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات
خاصة فاذن الخوف يوثر في الجوارح خاصة بالكف والاقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم
العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة واعلى منها الورع فانه اعم لانه كف عن كل محظور واعلى
منه التقوى فانه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعا ووراءه اسم الصديق والمقرب
ويجري الرتبة الاخيرة مما قبلها مجرى الاخص من الاعم فاذا ذكرت الاخص فقد ذكرت الكل
كما انك تقول الانسان اما عربي واما عجمي والعربي اما قرشي او غيره والقرشي اما هاشمي او غيره
والهاشمي اما علوي او غيره والعلوي اما حسني او حسيني فاذا ذكرت انه حسني مثلا فقد
وصفته بالجميع وان وصفته بانه علوي وصفته بما فوقه مما هو اعم منه فكذلك اذا قلت
صديق فقد قلت انه متق وورع وعفيف فلا ينبغي ان تظن ان كثرة هذه الاسامي تدل
على معان كثيرة متباينة فتختلط عليك كما اختلط على كل من طلب المعاني من الالفاظ ولم يتبع
الالفاظ المعاني فهذه اشارة الى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو
كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالاعمال الصادرة منه كفا واقداما بيان درجات
الخوف واختلافه في القوة والضعف اعلم ان الخوف محمود وربما تظن ان كل ما هو محمود فكلما
كان اكثر كان احمد وهو غلط بل الخوف سوط الله تع به يسوق عباده الى المواظبة على العلم والعمل لينالوا
بهما رتبة القرب من الله تع والاصلح للبهيمة ان لا تخلو عن سوط وكذا الصبي ولكن ذلك
لا يدل على ان المبالغة في الضرب محمود فكذلك الخوف له قصور وافراط واعتدال والمحمود
هو الاعتدال والوسط فاما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال

عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء ويفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب
هايل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل
الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذي يضرب به دابة قوية لا يولمها
الما مبرحا فلا يسوقها الى المقصد ولا يصلح لرياضتها وهكذا خوف الناس كلهم الا
العارفين والعلماء ولست اعني بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين باسمهم
فانهم ابعد الناس عن الخوف بل اعني بهم العلماء بالله وباياته وافعاله وذلك مما
عز وجوده الآن ولذلك قال الفضيل رحمه الله اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت
فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واشار به الى ان الخوف هو الذي يكف الجوارح عن
المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يوثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق ان
يسمى خوفا واما المفرط فهو الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى الياس والقنوط
وهو مذموم ايضا لانه يمنع من العمل والمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل
ولولاه لما كان الخوف كمالا لانه بالحقيقة نقصان لان منشاه الجهل والعجز اما الجهل فهو انه ليس
فهو انه ليس يدري عاقبة امره ولو عرف لم يكن خايفا لان المخوف هو الذي يتردد فيه واما العجز
فهو انه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه فاذا هو محمود بالاضافة الى نقص الادمي وانما المحمود في
نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز ان يوصف الله تع به وما لا يجوز وصف الله تع به فليس
بكمال في ذاته وانما يصير محمودا بالاضافة الى نقص اعظم منه كما يكون احتمال الم الدواء محمودا
لانه اهون من الم المرض والموت فما يخرج الى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف ايضا
الى المرض والضعف والى الوله والدهشة وزوال العقل فقد يخرج الى الموت وكل ذلك
مذموم كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة او يمرضها او يكسر عضوا من
اعضايها وانما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسباب الرجاء واكثر منها ليعالج بها
صدمة الخوف المفرط المفضي الى القنوط او احد هذه الامور فكل ما يراد لامر فالمحمود
منه ما يفضي الى المراد المقصود منه وما يقصر عنه او يجاوزه فهو مذموم وفايدة الخوف الحذر
والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وساير الاسباب الموصلة الى الله
تع وكل ذلك يستدعي الحيوة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما يقدح في هذه الامور فهو
مذموم فان قلت من خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموما
فاعلم ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك
الوقت لا بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة فاما بالاضافة الى تقدير بقايه وطول
عمره في طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة بل للسالك سبيل الله بطريق الفكر والمشاهدة والترقي
في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ولولا هذا لكان رتبة صبي يقتل او مجنون
يفترسه سبع اعلى من رتبة نبي او ولي يموت حتف انفه وهو محال فلا ينبغي ان تظن هذا
بل افضل السعادات طول العمر في طاعة الله فكل ما ابطل العمر او العقل والصحة التي يتعطل

العمى بتعطلها فهو خسران ونقصان بالاضافة الى امور وان كان بعض اقسامها فضيلة بالاضافة
الى امور اخر كما كانت الشهادة فضيلة بالاضافة الى ما دونها لا بالاضافة الى درجة النبيين
والصديقين فاذن الخوف ان لم يؤثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد
في حركة الدابة وان اثر فله درجات بحسب ظهور اثره فان لم يحمل الا على العفة وهو الكف
عن مقتضى الشهوات فله درجة فان اثمر الورع فهو اعلى واقصى درجاته ان يثمر درجات الصديقين
وهو ان يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع فهذا اقصى ما يحمد
منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب
علاجه ان قدر عليه ولو كان محمودا لما وجب علاجه باسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ولذلك
كان سهل يقول للمريدين الملازمين للجوع اياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولي
ناقص العقل **بيان اقسام الخوف بالاضافة الى ما يخاف منه** اعلم ان الخوف لا يتحقق
الا بانتظار مكروه والمكروه اما ان يكون مكروها لانه يفضي الى المكروه كما يكره المعاصي
لادائها الى مكروه في الآخرة وكما يكره المريض الفواكه المضرة لادائها الى الموت ولا بد لكل خائف
من ان يتمثل في نفسه مكروها من احد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب
استشعاره ذلك المكروه ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة
فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت
قبل التوبة او خوف نقض التوبة ونكث العهد او خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق
الله او خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة او خوف الميل عن الاستقامة او خوف
استيلاء العادة في اتباع الشهوات المالوفة او خوف ان يكله الله الى حسناته التي
اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله او خوف البطر بكثرة نعم الله عليه او خوف الاشتغال عن
الله بغير الله او خوف الاستدراج بتواتر النعم او خوف انكشاف غوائل طاعاته حيث
يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب او خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش
واضمار السوء او خوف الاغترار برجاء كاذب او خوف ما لا يدري انه يحدث في بقية
عمره او خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل الموت او خوف الاغترار بزخارف
الدنيا او خوف اطلاع الله على سريرته في حالة غفلته عنه او خوف الختم له عند الموت
بخاتمة السوء او خوف السابقة التي سبقت له في الازل فهذه كلها مخاوف العارفين
ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي الى المخوف فمن خاف استيلاء
العادة عليه فليواظب على الفطام عن العادة والذي يخاف من اطلاع الله على سريرته فليشتغل
بتطهير قلبه عن الوساوس وهكذا الى بقية الاقسام واغلب هذه المخاوف على المتقين
خوف الخاتمة فان الامر فيه مخطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة
لان الخاتمة تبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تخلل اسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق
به القضاء في ام الكتاب والخائف من الخاتمة بالاضافة الى الخائف من السابقة كرجلين

وقع الملك في حقهما بتوقيع يحتمل ان يكون فيه حز الرقبة ويحتمل ان يكون فيه تسليم الوزارة
اليه ولم يصل التوقيع اليهما بعد فيرتبط قلب احدهما بحالة وصول التوقيع اليه ونشره وانه
عماذا ينطوي ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفيته وانه ما الذي خطر له في حال
التوقيع من رحمة او غضب وهذا التفات الى السبب فهو اعلى من الالتفات الى ما هو فرع
فكذلك الالتفات الى القضاء الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم اعلى من الالتفات الى ما يظهر
في الابد واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى
ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم وانسابهم لا يزاد فيهم ولا ينقص
ثم قبض كفه اليسرى وقال هذا كتاب الله كتب فيه اهل النار باسمائهم وانسابهم
لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقاء حتى يقال كانهم منهم
بل هم هم ثم يستنقذهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن اهل الشقاء
بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله تعالى قبل
الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والاعمال
بالخواتيم وهذا كانقسام الخائفين الى من يخاف معصيته وجنايته والى من يخاف
الله تعالى نفسه لصفته وجلاله واوصافه التي تقتضي الهيبة لا محالة فهذا اعلى رتبة ولذلك
يبقى خوفه وان كان في طاعة الصديقين واما الآخر فهو في عرضة الغرور والامن لو
واظب على الطاعات فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله تعالى خوف الموحدين
والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله فكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير
بان يخاف من غير جناية بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف معصيته ولولا انه
مخوف في نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيل ذلك ومهد له اسبابها فان تيسير اسباب
المعصية ابعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها ان يسخر للمعصية ويجري عليه
اسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها من يسرت له الطاعات ومهد له سبيل
القربات فالعاصي قد قضي عليه بالمعصية شاء ام ابى وكذا المطيع فالذي يرفع محمدا صلى
الله عليه وسلم الى اعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ويضع ابا جهل في
اسفل السافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بان يخاف لصفة جلاله
فان من اطاع الله فانما اطاع بان سلط عليه ارادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد خلق
الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذي عصى فانما عصى لانه سلط
عليه ارادة قوية جازمة وآتاه الاسباب والقدرة فكان الفعل بعد الارادة والقدرة ضروريا
فليت شعري ما الذي اوجب اكرام هذا وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه وما
الذي اوجب اهانة الآخر وابعاده بتسليط دواعي المعصية عليه وكيف يحال ذلك على العبد
واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي
بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه ولا يمكن

تفهيم الخوف منه في صفاته الا بمثال لولا اذن الشرع لم يتجرى على ذكره ذو بصيرة فقد جاء في الخبر ان الله تع اوحى الى داود عليه السلم يا داود خفني كما تخاف من السبع الضاري فبهذا المثال يعرفك حاصل المعنى وان كان لا يفيد بك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك الا لاهله والحاصل ان السبع يخاف لا لجناية سبقت اليه بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولانه يفعل ما يفعل ولا يبالي فان قتلك لم يرق قلبه ولم يتالم بقتلك وان خلاك لم يخلك شفقة عليك وابقاء على روحك بل انت عنده اخس من ان يلتفت اليك حيا كنت او ميتا بل اهلاك الف مثلك واهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة اذ لا يقدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ولله المثل الاعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي اقوى واوثق و اجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي ويكفيك من موجبات الخوف والهيبة المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة **الطبقة الثانية** من الخايفين ان يتمثل في انفسهم ما هو المكروه وذلك مثل سكرات الموت وشدته او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول المطلع او هيبة الموقف بين يدي الله تع و الحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او الخوف من النار واغلالها واهوالها او الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات او الخوف من الحجاب عن الله تع وكل هذه الاسباب مكروهة في انفسها فهي لا محالة مخوفة ويختلف احوال الخايفين فيها واعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تع وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين والصالحين والزاهدين وكافة العاملين ومن لم يكمل معرفته ولم ينفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق واذا ذكر له ان العارف لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب وجد ذلك منكرا في باطنه وتعجب منه في نفسه وربما انكر لذة النظر الى وجه الله الكريم لولا منع الشرع اياه من انكاره فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد والا فباطنه لا يصدق به لانه لا يعرف الا لذة البطن والفرج والعين بالنظر الى الالوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لذة تشاركه البهايم فيها فاما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس اهلا له ومن كان اهلا له استبصر بنفسه واستغنى عن ان يشرحه غيره له فالى هذه الاقسام يرجع خوف الخايفين

بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه

اعلم ان فضل الخوف تارة يعرف بالتامل والاعتبار وتارة بالآيات و الاخبار اما الاعتبار فسبيله ان فضيلة الشيء بقدر اعانته في الافضاء الى سعادة لقاء الله اذ لا مقصود سوى السعادة ولا سعادة للعبد الا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما اعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر اعانته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله في الآخرة الا بتحصيل محبته والانس به في الدنيا ولا تحصل المحبة الا بالعلم

ولا تحصل المعرفة الا بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا يتيسر المواظبة على الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا و شهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات الا بقمع الشهوات ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي يتقرب بها الى الله تعالى واما بطريق الاقتباس من الآيات والاخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله للخايفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات اهل الجنان قال الله تع هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلماء فوصفهم بالعلم لخشيتهم وقال تع رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لان الخوف ثمرة العلم ولذلك جاء في خبر موسى عليه السلم واما الخايفون فان لهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فانظر كيف افردهم بمرافقة الرفيق الاعلى وذلك لانهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الانبياء لانهم ورثة الانبياء ومرافقة الرفيق الاعلى للانبياء ومن يلحق بهم ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله كان يقول اسالك الرفيق الاعلى فاذن ان نظر الى مثمره فهو العلم وان نظر الى ثمرته فهو الورع و التقوى ولا يخفى ما ورد في فضايلهما حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة به كما صار الحمد مخصوصا بالله تع والصلوة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلوة على محمد واله اجمعين وقد خص الله تعالى التقوى بالاضافة الى نفسه فقال الله تع لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وانما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال الله تع ان اكرمكم عند الله اتقيكم ولذلك وصى الله تع الاولين والاخرين بالتقوى فقال تع ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وقال تع وخافون ان كنتم مومنين فامر بالخوف واوجبه وشرطه في الايمان فلذلك لا يتصور ان ينفك مومن عن خوف وان ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وايمانه وقال صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى اذا جمع الله تع الاولين والاخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع اقصاهم كما يسمع ادناهم فيقول يا ايها الناس اني قد انصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا الي اليوم انما هي اعمالكم ترد عليكم ايها الناس اني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقيكم فابيتم الا فلان بن فلان وفلان اغنى من فلان فاليوم اضع نسبكم وارفع نسبي اين المتقون فينصب للقوم لواء

فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب وقال عليه السلم راس الحكمة مخافة الله
وقال عليه السلم لابن مسعود رضي الله عنه ان اردت ان تلقاني فاكثر من الخوف بعدي و
قال الفضيل من خاف الله دله الخوف على كل خير وقال الشبلي ما خفت الله يوما الا رايت له بابا
من الحكمة والعبرة ما رايته قط وقال يحيى بن معاذ ما من مومن يعمل سيئة الا ويلحقها حسنتان
خوف العقاب ورجاء العفو كثعلب بين اسدين وفي خبر موسى عليه السلم ان الله تعالى يقول واما الورعون
فانه لا يبقى احد الا ناقشته في الحساب وفتشته عما في يديه الا الورعين فاني استحييهم و
اجلهم ان اوقفهم للحساب والورع والتقوى اسامي اشتقت من معان شرطها الخوف
فان خلا شي منها عن الخوف لم يسم بهذه الاسامي وكذلك ما ورد في فضايل الذكر لا يخفى وقد جعله
الله مخصوصا بالخايفين فقال سيذكر من يخشى وقال تع ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال
صلى الله عليه وسلم قال الله تع وعزتي لا اجمع على عبد بين خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امنني في
الدنيا اخفته يوم القيمة واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من خاف
الله عز وجل اخاف منه كل شي ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شي وقال صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا
اشدكم لله عز وجل خوفا واحسنكم فيما امر الله به ونهى عنه نظرا وقال يحيى بن معاذ مسكين ابن
آدم لو خاف النار كما يخاف من الفقر دخل الجنة وقال ذو النون من خاف الله تع ذاب
قلبه واشتد حبه وصح له لبه وقال ايضا ينبغي ان يكون الخوف ابلغ من الرجاء فاذا
غلب الرجاء تشوش القلب وكان ابو الحسين الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة
لان الخوف زمام بين الله وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ
من آمن الخلق غدا قال اشدهم خوفا اليوم وقال سهل لا تجد الخوف حتى تاكل الحلال وقيل
للحسن يا با سعيد كيف نصنع بمجالس اقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال انك والله ان
تصحب قوما يخوفونك حتى يدركك امن خير لك من ان تصحب قوما يومنونك حتى يدركك
الخوف وقال ابو سليمن الداراني ما فارق الخوف قلبا الا خرب وقالت عايشة رضي
الله عنها قلت يا رسول الله والذين يوتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني قال لا
بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ان لا يقبل منه والتشديدات الواردة في الامن
من مكر الله وعذابه لا تحصر وكل ذلك ثنا على الخوف لان مذمة الشي ثنا على ضده الذي
ينفيه وضد الخوف الامن كما ان ضد الرجاء الياس وكما دل مذمة القنوط على فضيلة
الرجاء فكذلك يدل مذمة الامن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول كل ما ورد في فضل
الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لانهما متلازمان فان كل من رجا محبوبا فلا بد من ان يخاف
فواته وان كان لا يخاف فواته فهو اذن لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجيا فالخوف والرجاء
متلازمان يستحيل انفكاك احدهما عن الآخر نعم يجوز ان يغلب احدهما على الآخر وهما مجتمعان
ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الآخر في الحال لغفلة عنه وهذا لان من
شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فاذن المحبوب

الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير
عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران متقابلان لا محالة اذا كان ذلك الامر المنتظر
مشكوكا فيه نعم احد طرفي الشك قد يترجح بحضور الاسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك
سبب غلبة احدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجاء وخفي الخوف
بالاضافة اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تع ويدعوننا رغبا و
رهبا وقال يدعون ربهم خوفا وطمعا ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء قال الله تع ما لكم
لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون وكثيرا ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى الخوف وذلك لتلازمهما
اذ عادة العرب التعبير عن الشي بما يلازمه بل نقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله تع
فهو اظهار لفضيلة الخشية فان البكاء ثمرة الخشية وقد قال الله تع فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا
وقال تع يبكون ويزيدهم خشوعا وقال تع افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون
وانتم سامدون وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد مومن تخرج من عينيه قطرة وان كان
مثل راس الذباب من خشية الله تع ثم تصيب شيا من حر وجهه الا حرمه الله على النار وقال عليه السلم
اذا اقشعر قلب المومن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها وقال
صلى الله عليه وسلم لا يلج النار احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع وقال عقبة
بن عامر ما النجاة يا رسول الله قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك
وقالت عايشة قلت يا رسول الله ايدخل احد من امتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر
ذنوبه فبكى وقال صلى الله عليه وسلم ما من قطرة احب الى الله من قطرة دمع من خشية الله
او قطرة دم اهريقت في سبيل الله تع وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقني عينين هطالتين
تشفيان بذروف الدمع قبل ان يصير الدمع دما والاضراس جمرا وقال صلى الله عليه وسلم
سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه من
خشية الله وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع ان يبكي فليبك ومن لم يستطع
فليتباك وكان محمد بن المنكدر اذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول بلغني ان
النار لا تاكل موضعا مسته الدموع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا
فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وقال
ابو سليمن الداراني ما تغرغرت عين بمائها الا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيمة
فان سالت دموعه اطفت باول قطرة منها بحارا من النيران ولو ان رجلا بكى في امة
ما عذبت تلك الامة وقال ابو سليمن البكاء من الخوف والرجاء والطرب والشوق وقال
كعب الاحبار رضي الله عنه والذي نفسي بيده لان ابكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على
وجنتي احب الي من ان اتصدق بالف دينار وروي عن حنظلة قال كنا عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت
الى اهلي فدنت مني المراة وجرى بيننا شي من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله

صلى الله عليه وسلم واخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنت فيه وقلت في نفسي قد نافقت حين تحول
عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت انادي نافق حنظلة فقال صلى الله عليه وسلم كلا
لم تنافق يا حنظلة فقلت يا رسول الله فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وانا اقول نافق حنظلة
نافق حنظلة فقال صلى الله عليه وسلم كلا لم تنافق يا حنظلة فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة
وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فاخذنا في حديث الدنيا
ونسيت ما كنا عندك عليه فقال يا حنظلة لو انكم كنتم ابدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في الطريق وعلى فرشكم
ولكن يا حنظلة ساعة وساعة فاذن كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الامن
فهو دلالة على فضل الخوف لان جملة ذلك متعلقة به اما تعلق السبب او تعلق المسبب بيان ان الافضل
هو غلبة الخوف او غلبة الرجاء او اعتدالهما اعلم ان الاخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت و
ربما ينظر اليهما فيعتريه شك في ان الافضل ايهما وقول القائل الخوف افضل ام الرجاء سؤال فاسد يضاهي قول
القائل الخبز افضل ام الماء وجوابه ان تقول الخبز افضل للجائع والماء افضل للعطشان فان اجتمعا نظر الى الاغلب
فان كان الجوع اغلب فالخبز افضل فان استويا فهما متساويان وهذا لان كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالاضافة
الى مقصوده لا الى نفسه والخوف والرجاء دواءان يداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب
على القلب داء الامن من مكر الله والاغترار به فالخوف افضل وان كان الغالب هو الياس والقنوط من رحمة الله فالرجاء
افضل وكذلك ان كان الغالب على العبد المعصية فالخوف افضل ويجوز ان يقال مطلقا الخوف افضل على
التاويل الذي يقال الخبز افضل من السكنجبين اذ يعالج بالخبز مرض الجوع وبالسكنجبين مرض الصفراء و
مرض الجوع اغلب واكثر فالحاجة الى الخبز اكثر فهو افضل فبهذا الاعتبار غلبة الخوف افضل لان المعاصي و
الاغترار على الخلق اغلب فان نظر الى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء افضل لانه مستقى من بحر الرحمة
ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة
عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام واما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التي تقتضي
العنف ولا تمازجها المحبة ممازجتها للرجاء وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي ان يستعمل فيه لفظ
الاصلح لا لفظ الافضل فنقول اكثر الخلق الخوف لهم اصلح من الرجاء وذلك لاجل غلبة
المعاصي فاما التقي الذي ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالاصلح ان يعتدل خوفه و
رجاؤه وروي ان عليا رضي الله عنه قال لبعض اولاده يا بني خف الله خوفا ترى انك ان اتيته
بحسنات اهل الارض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء ترى انك ان اتيته بسيئات اهل الارض
غفرها لك ولذلك قيل لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا ولذلك قال عمر رضي الله عنه لو
نودي ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت ان اكون ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة
كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت ان اكون انا ذلك الرجل وهذه عبارة عن غاية الخوف والرجاء
واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر ينبغي ان يساوي
خوفه رجاءه فاما العاصي اذا ظن انه الرجل الذي استثني من الذين امروا بدخول النار كان ذلك
دليلا على اغتراره فان قلت مثل عمر رضي الله عنه لا ينبغي ان يستوي خوفه رجاءه بل ينبغي

ان يغلب رجاؤه كما سبق في اول كتاب الرجاء وان قوته ينبغي ان تكون بحسب قوة اسبابه كما مثل
بالبذر والزرع ومعلوم ان من بث البذر الصحيح في ارض نقية وواظب على تعهدها وجاء
بجميع شروط الزراعة غلب على قلبه رجاء الادراك ولم يكن خوفه مساويا لرجائه فهذا ينبغي ان يكون
احوال المتقين فاعلم ان من ياخذ المعارف من الالفاظ والامثلة يكثر زلله وذلك وان
اوردناه مثالا فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لان سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة
بصحة الارض ونقائها وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وغيرها
وانما مثال مسئلتنا نبت لم يجرب جنسه وبذر في ارض غريبة لم يتعهدها الزارع ولم
يختبرها وهو في بلاد ليس يدري ايكثر الصواعق بها ام لا فمثل هذا الزارع وان ادى كنه مجهوده
وجاء بكل مقدور له فلا يغلب رجاؤه على خوفه والبذر في مسئلتنا الايمان وشروط صحته دقيقة
والارض القلب وخفايا خبثه وصفاته من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخبايا الاخلاق فيها
غامضة والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب اليها في مستقبل الزمان وان
سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة اذ قد يعرض من الاسباب ما لا يطاق مخالفته و
لم يجرب مثله والصواعق هي اهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما
لم يجرب ثم الحصاد والادراك عند المنصرف من القيامة الى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقائق
هذه الامور فان كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما سنحكي في
احوال الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى
خوفه ورجاؤه فاما ان يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى
كان يسأل حذيفة رضي الله عنه انه هل يعرف به من آثار النفاق شيئا اذ كان قد خصه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعلم المنافقين فمن ذا الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك
الخفي وان اعتقد نقاء قلبه من ذلك فمن اين يامن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه واخفاء عيبه
منه وان وثق به فمن اين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم
ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر وفي رواية الا قدر
فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل النار وقدر فواق ناقة لا يحتمل عملا بالجوارح
انما بقدر خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السوء فكيف يؤمن ذلك فاذا
اقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه واما غلبة الرجاء في غالب الناس يكون مستنده
الاغترار وقلة المعرفة ولذلك جمع الله تعالى بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال يدعون ربهم خوفا وطمعا و
قال ويدعوننا رغبا ورهبا واين مثل عمر رضي الله عنه فالخلق الموجودون في هذا الزمان كلهم
الاصلح لهم غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى الياس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون
ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك في المعاصي فان ذلك قنوط وليس بخوف وانما
الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا ويدعوه
الى التجافي عن دار الغرور فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والحث و

دون اليأس الموجب للقنوط وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله تع بمحض الخوف غرق
في بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجاء تاه في مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام
في محجة الاذكار وقال مكحول الدمشقي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء
فهو مرجي ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد فاذن لا بد
من الجمع بين هذه الامور وغلبة الخوف هو الاصلح ولكن قبل الاشراف على الموت فاما عند الموت
فالاصلح غلبة الرجاء وحسن الظن بالله تع لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد
انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق اسباب الخوف فان ذلك
يقطع نياط القلب ويعين على تعجيل موته واما روح الرجاء فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي
اليه رجاؤه ولا ينبغي ان يفارق احد الدنيا الا محبا لله ليكون محبا للقاء الله فان من احب
لقاء الله احب الله لقاءه والرجاء تقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب والمقصود من العلوم
والاعمال كلها معرفة الله تع حتى تثمر المعرفة المحبة فان المصير اليه والقدوم بالموت عليه ومن
قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه فمهما كان
الغالب على القلب عند الموت حب الاهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقاء والاصحاب
فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالدنيا جنته اذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموته
خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه فاما
اذا لم يكن له محبوب سوى الله وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه فالدنيا وعلائقها شاغلة له عن
المحبوب فالدنيا اذن سجنه اذ السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الانسراح الى محابه فموته
قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من افلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه بلا مانع
ولا مكدر فهذا اول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب فضلا
عما اعده الله لعباده الصالحين مما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر وفضلا عما اعد للذين استحبوا
الحيوة الدنيا على الاخرة ورضوا بها واطمأنوا اليها من الانكال والسلاسل والاغلال وضروب
الخزي والنكال فنسأل الله تع ان يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين ولا مطمع في اجابة هذا الدعاء
الا باكتساب حب الله ولا سبيل اليه الا باخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله
من جاه ومال ووطن فالاولى ان ندعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم اذ قال اللهم ارزقني حبك
وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد والغرض ان
غلبة الرجاء عند الموت اصلح لانه اجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت اصلح لانه احرق لنار الشهوات
وامنع لمحبة الدنيا عن القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو حسن الظن بربه
وقال تع انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ولما حضرت سليمان التيمي الوفاة قال لابنه
يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى القى الله تع على حسن الظن به وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة
واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه وقال احمد بن حنبل عند الموت لابنه اذكر لي الاخبار
التي فيها الرجاء وحسن الظن والمقصود من ذلك كله ان يحبب الله الى نفسه ولذلك اوحى الله تع

داود عليه السلام ان حببني الى عبادي فقال بماذا فقال بان تذكرهم آلائي ونعمائي فاذن غاية السعادة
ان يموت العبد محبا لله وانما تحصل المحبة بالمعرفة وباخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كالسجن
المانع من المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين ابا سليمان الداراني في المنام وهو يطير فسأله فقال الآن
افلت فلما اصبح سأل عن حاله فقالوا انه مات البارحة **بيان الدواء الذي به يستجلب حال
الخوف** اعلم ان ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض
لان الصبر لا يمكن الا بعد حصول الخوف والرجاء لان اول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن
قوة الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار و
الرجاء للجنة والخوف والرجاء يقويان على الصبر فان الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها
الا بقوة الرجاء والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها الا بقوة الخوف ولذلك قال
علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ثم
يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء الى مقام المجاهدة والتجرد لله باطنا وظاهرا
ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق الا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة الا المحبة و
الانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل فاذن فيما ذكرناه
في علاج الصبر كفاية ولكنا نفرد الخوف بكلام جملي فنقول الخوف يحصل بطريقين مختلفين
احدهما اعلى من الآخر ومثاله ان الصبي اذا كان في بيت فدخل عليه سبع او حية ربما كان لا يخاف
وربما مد يده الى الحية ليأخذها ويلعب بها ولكن اذا كان معه ابوه وهو عاقل خاف من الحية
وهرب منها فاذا نظر الصبي الى ابيه وهو يرتعد فرائصه ويحتال في الهرب قام معه و
غلب عليه الخوف ووافقه في الهرب فخوف الاب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها و
خاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته واما خوف الابن فبمجرد التقليد لانه
يحسن الظن بابيه ويعلم انه لا يخاف الا من سبب مخوف في نفسه فيعلم ان السبع مخوف ولا
يعرف وجهه فاذا عرفت هذا المثال فاعلم ان الخوف من الله تعالى على مقامين احدهما الخوف
من عذابه والثاني الخوف منه في ذاته فاما الخوف منه فهو خوف العلماء وارباب القلوب العارفين
من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر قوله تع ويحذركم الله نفسه وقوله
واتقوا الله حق تقاته فاما الاول فهو خوف الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنة والنار
وكونهما جزاءين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وانما تزول
الغفلة بالوعظ والتذكر وملازمة الفكر في اهوال القيامة واصناف العذاب في الآخرة ويزيد ايضا
بالنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة احوالهم فان فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تأثير واما
الثاني وهو الاعلى ان يكون الله هو المخوف اعني ان يخاف العبد البعد والحجاب عنه ويرجو القرب
منه قال ذو النون رضي الله عنه خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي وهذه
خشية العلماء حيث قال تع انما يخشى الله من عباده العلماء ولعموم المؤمنين ايضا حظ من هذه
الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضاهي خوف الصبي من الحية تقليدا لابيه وذلك لا يستند

الي بصيرة فلاجرم يضعف ويزول على قرب حتى ان الصبي ربما يرى المعزم يقدم على اخذ الحية فينظر اليه
ويغتر به فيتجرأ على اخذها تقليدا له كما احترز من اخذها تقليدا لابيه والعقائد التقليدية
ضعيفة في الغالب الا اذا قويت بمشاهدة اسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها
في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فاذن من ارتقى الى ذروة المعرفة
وعرف الله خافه بالضرورة فلا يحتاج الى علاج يجلب الخوف الى قلبه كما ان من عرف السبع ورأى
نفسه واقعا في مخالبه لا يحتاج الى علاج يجلب الخوف الى قلبه بل يخاف بالضرورة شاء ام ابى و
لذلك اوحى الله الى داود خفني كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة في جلب الخوف من السبع
الضاري الا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه ولا يحتاج الى حيلة سواه فمن عرف الله عرف
انه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة وابعد
ابليس من غير جريمة سالفة بل صفته ما ترجمه قوله تعالى هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار
ولا ابالي فان خطر ببالك انه لا يعاقب الا على معصية ولا يثيب الا على طاعة فتامل انه لم يمد
المطيع باسباب الطاعة حتى يطيع شاء ام ابى ولم يمد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصي
شاء ام ابى فانه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعا
بالضرورة فان كان ابعده لانه عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى
يتسلسل الى غير نهاية او يقف لا محالة على اول لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه في الازل
وعن هذا المعنى عبر النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال احتج آدم وموسى فحج آدم موسى قال
موسى انت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته واسكنك في
جنته ثم اهبطت الناس بخطيئتك الى الارض فقال آدم انت موسى الذي اصطفاك الله
برسالته وبكلامه واعطاك الالواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكم وجدت الله
كتب التورية قبل ان اخلق قال موسى باربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم
ربه فغوى قال نعم قال افتلومني على ان عملت عملا كتبه الله علي ان اعمله قبل ان يخلقني
باربعين سنة قال صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى فحج آدم موسى فمن عرف السبب في
هذه الامور معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر
ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من
الفريقين خوف فان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب
السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق
ولذلك الاتفاق اسباب مرتبة بقدر معلوم ولكن اذا اضيف الى من لا يعرفه يسمى
اتفاقا وان اضيف الى علم الله لم يجز ان يسمى اتفاقا والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته
لكان لا يخاف السبع لان السبع مسخر ان سلط عليه الجوع افترس وان سلط عليه الغفلة
خلى وترك وانما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلست اقول امثال الخوف من الله الخوف
من السبع بل اذا كشف الغطاء علم ان الخوف من السبع هو عين الخوف من الله لان المهلك

بواسطة السبع هو الله فاعلم ان سباع الآخرة مثل سباع الدنيا وان الله خلق اسباب العذاب
واسباب الثواب وخلق لكل واحد اهلا يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم الازلي الى ما خلق
له فخلق الجنة وخلق لها اهلا سخروا لاسبابها شاءوا ام ابوا وخلق النار وخلق لها اهلا سخروا
لاسبابها شاءوا ام ابوا فلا يرى احد نفسه في ملتطم امواج القدر الا غلبه الخوف بالضرورة
فهذه مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن الارتفاع الى بقاع الاستبصار
فسبيله ان يعالج نفسه بسماع الاخبار والآثار فيطالع احوال الخائفين واقوالهم وينسب عقولهم
ومناصبهم الى مناصب الراجين المغرورين فلا يتمارى في ان الاقتداء بهم اولى لانهم الانبياء
والاولياء والعلماء واما الآمنون فهم الفراعنة الجهال الاغبياء اما رسولنا صلى الله عليه وسلم
فهو سيد المرسلين الاولين والآخرين وكان اشد الناس خوفا حتى روي انه صلى الله عليه وسلم كان
يصلي على طفل ففي رواية انه سمع في دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار وفي رواية
ثانية انه سمع قائلة تقول هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال وما يدريك انه كذلك
والله اني رسول الله وما ادري ما يصنع بي ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا لا يزاد فيهم ولا
ينقص منهم وروى انه قال ذلك ايضا على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الاولين
لما قالت ام سلمة هنيئا لك الجنة فكانت تقول ام سلمة بعد ذلك والله لا ازكي احدا بعد عثمان
وقال محمد بن خولة الحنفية والله لا ازكي احدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابي الذي ولدني
قال فثارت الشيعة عليه فاخذ يذكر من فضائل علي ومناقبه وروى في حديث آخر ان
رجلا من اهل الصفة استشهد فقالت امه هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان
يتكلم بما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث آخر انه دخل عليه السلام على بعض اصحابه وهو عليل
فسمع امرأة تقول هنيئا لك الجنة فقال عليه السلام من هذه المتالية على الله فقال المريض
هي امي يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل
بما لا يغنيه وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول شيبتني سورة هود
واخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك لما في
سورة هود من الابعاد كقوله تعالى الا بعدا لعاد قوم هود الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت
ثمود مع علمه صلى الله عليه وسلم بانه لو شاء الله ما اشركوا اذ لو شاء لآتى كل نفس هداها وفي سورة
الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اي جف القلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة
اما خافضة قوما كانوا مرفوعين في الدنيا واما رافعة قوما كانوا مخفوضين في الدنيا وفي سورة
التكوير اهوال القيمة وانكشاف الخاتمة وهو قوله واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت
علمت نفس ما احضرت وفي عم يتساءلون يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقوله لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا والقرآن من اوله الى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ولو لم
يكن فيه الا قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى لكان كافيا اذ علق

قوما

المغفرة على اربعة شروط يحيى العبد عن احادها واشد منه قوله تع واما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين وكقوله تع ليسال الصادقين عن صدقهم وقوله سنفرغ لكم ايه الثقلان وقوله افامنوا مكر الله الاية وقوله وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الاية وقوله وان منكم الا واردها الاية وقوله اعملوا ما شئتم الاية وقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه الاية وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل الاية وكذلك قوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر فهذه اربعة شروط للخلاص عن الخسران وانما كان خوف الانبياء مع ما فاض عليهم من النعم لانهم لم يامنوا مكر الله فقال ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون حتى روي ان النبي صلى الله عليه وسلم وجبرئيل بكيا خوفا من الله عز وجل فاوحى الله تع اليهما لم تبكيان وقد امنتكما فقالا ومن يامن مكرك وكانهما اذ علما ان الله هو علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الامور لم يامنا ان يكون قوله قد امنتكما ابتلاء لهما وامتحانا ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد امنا من المكر وما وفيا بقولهما كما ان ابرهيم صلى الله عليه وسلم لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله وكانت هذه من الدعاوي العظام فامتحن وعورض بجبرئيل في الهواء حتى قال له الك حاجة فقال اما اليك فلا فكان ذلك وفاء بمقتضى قوله حسبي الله وبمثل هذا اخبر عن موسى صلى الله عليه حيث قالا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى فقال تع انني معكما اسمع وارى ومع هذا لما القى السحرة سحرهم اوجس موسى في نفسه خيفة اذ لم يامن مكر الله والتباس الامر عليه حتى جدد عليه الامن وقيل له لا تخف انك انت الاعلى ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم اللهم ان كسر هؤلاء لم يبق على وجه الارض احد يعبدك فقال ابو بكر رضي الله عنه دع مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق رضي الله عنه مقام الثقة بوعد الله وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو اتم لانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة باسرار الله وخفايا افعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعضها يصدر عنها بالمكر وما لاحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله ومن عرف حقيقة المعرفة قصور معرفته عن الاحاطة بكنه الامور عظم خوفه لا محالة ولذلك قال عيسى عليه السلم لما قيل له ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم الاية فوض الامر الى المشية واخرج نفسه بالكلية من البين لعلمه بانه ليس اليه من الامر شي وان الامور مرتبطة بالمشية ارتباطا يخرج عن حد المعقولات والمالوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس وحدس وحسبان فضلا عن التحقق والاستيقان وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين اذ الطامة الكبرى هي ارتباط امرك بمشية من لا يبالي بك ان اهلكك فقد اهلك من لا يحصى من امثالك ولم يزل في الدنيا يعذبهم بانواع الالام والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم

بالكفر والنفاق ثم يخلد العقاب عليهم ابد الاباد ثم يخبر عنه ويقول ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم الاية وقال تع وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لاملان جهنم الاية فكيف لا يخاف ما حق من القول في الازل ولا مطمع في تداركه ولو كان الامر انفا لكانت الاطماع تمتد الى حيلة فيه ولكن ليس الا التسليم واستقراء خفي الاسباب السابقة من جلي الاسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن يسر له اسباب الشر وحيل بينه وبين اسباب الخير واحكمت علاقته مع الدنيا فكانه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له وان كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منعطفا وبظاهره وباطنه على الله تع مقبلا كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف اشتعالا ولا يمكنها من الانطفاء وكيف يومن تغير الحال وقلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه اشد تقلبا من القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب ان عذاب ربهم غير مامون فاجهل الناس من امنه وهو ينادي بالتحذر من الامن ولولا ان الله لطف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجاء رحمة من الله واسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه اذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف تقلب القلوب قال بعض العارفين لو حال بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم اقطع له بالتوحيد لاني ما ادري ما ظهر له من التقليب وقال بعضهم لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام على باب الحجرة لاخترت الموت على الاسلام لاني لا ادري ما يعرض لقلبي بين باب الحجرة وباب الدار وكان ابو الدرداء يحلف بالله ما احد امن على ايمانه ان يسلبه عند الموت الا سلبه وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله تع اذ قال وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ولما احتضر سفين جعل يبكي ويجزع فقيل له يا ابا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله اعظم من ذنوبك فقال او على ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال ان القى الله بامثال الجبال من الخطايا وحكي عن بعض الخائفين انه اوصى بعض اخوانه فقال اذا حضرتني الوفاة فاقعد عند راسي فان رايتني مت على التوحيد فخذ جميع ما املكه واشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان اهل البلد وقل هذا عرس المنقلب وان مت على غير التوحيد فاعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من احب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الموت قال وبم اعلم ذلك فذكر له علامة فراى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقه وكان سهل يقول المريد يخاف ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر وكان ابو يزيد يقول اذا توجهت الى المسجد كان في وسطي زنارا اخاف ان يذهب بي الى البيعة وبيت النار حتى ادخل المسجد فينقطع عني الزنار فهذا لي كل يوم خمس مرات وروي عن عيسى عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر وروي

في اخبار الانبياء ان نبيا شكا الى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف
فاوحى الله عز وجل اليه عبدي اما رضيت ان عصمت قلبك ان تكفر بي حتى تسالني الدنيا فاخذ التراب
فوضعه على راسه وقال بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر فاذا كان خوف العارفين
مع رسوخ اقدامهم وقوة ايمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا تخافه الضعفاء ولسوء الخاتمة
اسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة ولذلك
اشتد خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن لو اني اعلم اني بريء من النفاق كان احب الي مما
طلعت عليه الشمس وما عنوا به النفاق الذي هو ضد اصل الايمان بل المراد به ما يجتمع مع اصل الايمان
فيكون مسلما منافقا وله علامات كثيرة قال صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص
وان صام وصلى وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها
من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفي لفظ آخر واذا عاهد
غدر وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منه الا صديق اذ قال
الحسن ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل و
المخرج ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه الامور مالوفة بين الناس معتادة ونسي
كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة فكيف الظن بزماننا حتى قال
حذيفة ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا اني
لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم
لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر
وقال بعضهم علامة النفاق ان تكره من الناس ما تاتي بمثله وان تحب على شيء من الجور
وان تبغض على شيء من الحق وقيل من النفاق اذا مدح بشيء ليس فيه ان يعجبه ذلك وقال رجل
لابن عمر انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال
كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع
فيه فقال ارايت لو كان الحجاج حاضرا اكنت تتكلم بما تكلمت به فقال لا قال كنا نعد هذا نفاقا
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين واسباب النفاق
وكان يقول ياتي على القلب ساعة واشد من ذلك ما روي ان نفرا قعدوا على باب حذيفة
ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شانه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون
فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حذيفة كان
قد خص بعلم المنافقين واسباب النفاق وكان يقول ياتي على القلب ساعة يمتلي بالايمان حتى لا
يكون للنفاق فيه مغرز ابرة وتاتي عليه ساعة يمتلي بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغرز ابرة
فقد عرفت بهذا ان خوف العارفين من سوء الخاتمة وان سببه امور مقدمة منها البدع ومنها
المعاصي ومنها النفاق ومتى يخلو العبد عن شيء من جملة ذلك وان ظن انه قد خلا عنه فهو النفاق
اذ قيل من امن النفاق فهو منافق وقال بعضهم لبعض العارفين اني اخاف على نفسي النفاق

فقال لو كنت منافقا لما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات الى السابقة والخاتمة
خائفا منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله
صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت مستعتب و
لا بعد الدنيا من دار الا الجنة والنار ؞ **بيان معنى سوء الخاتمة** فان قلت ان
اكثر هؤلاء رجع خوفهم الى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة فاعلم ان سوء الخاتمة على
رتبتين احديهما اعظم من الاخرى فاما الرتبة العظيمة الهائلة ان يغلب على القلب
عند سكرات الموت وظهور اهواله اما الشك واما الجحود فيقبض الروح في حال غلبة
الجحود او الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين الله ابدا وذلك يقتضي
البعد الدائم والعذاب المخلد والثانية وهي دونها ان يغلب على قلبه عند الموت حب
امر من امور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك
الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه به منكسا راسه الى الدنيا
وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل
العذاب اذ نار الله الموقدة لا تاخذ الا المحجوبين فاما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف
همه الى الله تعالى فتقول له النار جز يا مؤمن فان نورك قد اطفا لهبي فمهما اتفق قبض الروح في حالة
غلبة حب الدنيا فالامر مخطر لان المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة اخرى
للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب الا باعمال الجوارح
وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في الرجوع الى الدنيا
ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة الا ان اصل الايمان وحب الله تعالى اذا كان قد رسخ
في القلب مدة طويلة وتاكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت
له عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال اخرجه من النار في زمان اقرب وان
كان اقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد ان يخرجه من النار ولو
بعد آلاف سنين فان قلت فما ذكرته يقتضي ان تسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر
الى القيمة ويمهل طول هذه المدة فاعلم ان من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الايمان
ونور القرآن بل الصحيح عند ذوي الابصار ما صحت به الاخبار وهو ان القبر اما حفرة من
حفر النيران او روضة من رياض الجنة وانه قد ينفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم
كما وردت به الاخبار فلا يفارقه روحها الا وقد نزل به البلاء ان كان قد شقي بسوء الخاتمة و
انما تختلف اصناف العذاب باختلاف الاوقات فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع
في القبر والتعذيب بعده ثم المناقشة في الحساب والافتضاح على ملا الاشهاد في القيمة
ثم بعد ذلك خطر الصراط وهول الزبانية الى آخر ما وردت به الاخبار فلا يزال الشقي مترددا
في جميع احواله بين اصناف العذاب وهو في جملة الاحوال معذب الا ان يتغمده الله برحمته
ولا تظنن ان محل الايمان ياكله التراب بل التراب ياكل جميع الجوارح ويبددها الى ان يبلغ

الكتاب اجله فتجمع الاجزاء المتفرقة وتعاد اليها الروح التي هي محل الايمان وقد كانت من وقت الموت
الى الاعادة اما في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش ان كانت سعيدة واما على حالة تضاد هذه
الحالة ان كانت والعياذ بالله شقية فان قلت فما السبب الذي يفضي الى سوء الخاتمة فاعلم ان اسباب
هذه الامور لا يمكن احصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك والجحود
فينحصر سببه في فنين احدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الاعمال
كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وان كانت اعماله صالحة ولست اعني مذهبا
واقول انه بدعة فان بيان ذلك يطول القول فيه بل اعني بالبدعة ان يعتقد الرجل في ذات الله
وصفاته وافعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ما هو عليه اما برايه ومعقوله ونظره الذي
به يجادل الخصوم وعليه يعول وبه يغتر واما اخذا بالتقليد ممن هذا حاله فاذا قرب الموت
وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه فربما ينكشف له في حال سكرات الموت
بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادي سكراته منه فقد
ينكشف به بعض الامور فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند
نفسه لم يظن بنفسه انه اخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لا لمجانبة فيه الى رايه الفاسد وعقله الناقص
بل ظن ان كل ما اعتقده لا اصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة و
بين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية
اعتقاداته او لشكه فيها فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل ان يتثبت ويعود الى
اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه فهؤلاء هم المرادون
بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل
سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكما انه قد ينكشف في النوم ما سيكون
في المستقبل وذلك بسبب خفة اشغال الدنيا عن القلب فكذلك ينكشف في سكرات الموت
بعض الامور اذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من ان ينظر الى الملكوت
فيطالع ما في اللوح المحفوظ لينكشف له الامور على ما هي عليه فيكون مثل هذه الحالة سبب
الكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات وكل من اعتقد في الله تعالى و
في صفاته وافعاله شيئا على خلاف ما هو به اما تقليدا واما نظرا بالراي والمعقول فهو
في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينجي منه الا الاعتقاد الحق والبله
بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين امنوا بالله ورسله واليوم الاخر ايمانا مجملا راسخا كالاعراب و
السوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ولا
اصغوا الى اصناف المتكلمين في تقليد اقاويلهم المختلفة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اكثر
اهل الجنة البله ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الامور
وامروا الخلق ان يقتصروا على ان يؤمنوا بما انزل الله جميعا وبكل ما جاء من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه
ومنعوهم عن الخوض في التاويل لان الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤدة ومسالكه وعرة

والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب
الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطرب ومتعارض والقلوب لما القي
اليها في بدء النشو الفة وبه متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير موكدة للعقائد
الموروثة او الماخوذة بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة و
عليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام في
الله تعالى وفي اوصافه بالراي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في
طباعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال والاحاطة بكنه الحق انطلقت السنتهم بما
يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتاكد ذلك بطول الالف بهم وانسد
بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يتعرضوا
لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الان قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل
جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد ان ذلك علم واستيقان وانه صفو الايمان
ويظن ان ما وقع به من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين ولتعلمن نباه بعد حين وينشد
في هؤلاء عند كشف الغطاء
احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ، ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ، وعند صفو الليالي يحدث الكدر
واعلم
يقينا ان كل من فارق الايمان الساذج بالله ورسله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر
ومثاله من انكسرت سفينته وهو في ملتطم الامواج يرميه موج الى موج فربما يتفق ان
يلقيه الى الساحل وذلك بعيد والهلاك اغلب عليه وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين
ببضاعة عقولهم اما مع الادلة التي حرروها في تعصباتهم او دون الادلة ان كان شاكا فيه فهو فاسد الدين
وان كان واثقا به فهو آمن من مكر الله تعالى مغتر بعقله الناقص وكل خائض في البحر فلا ينفك عن هاتين
الحالتين الا اذا جاوز حدود المعقول الى نور المكاشفة الذي يشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك
هو الكبريت الاحمر واني يتيسر وانما يسلم من هذا الخطر البله من العوام او الذين شغلهم خوف النار
بطاعة الله فلم يخوضوا في هذه الفضول فهذا احد الاسباب المخطرة في سوء الخاتمة واما السبب الثاني
فهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ومهما ضعف الايمان ضعف حب الله وقوي
حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله الا من حيث حديث نفس لا يظهر له اثر
في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب
ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال تطفئ ما فيه من نور الايمان على ضعفه حتى يصير طبعا و
رينا فاذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب اعني حب الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق
الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب فيتالم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره
بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك من حيث انه من الله فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله بدل الحب كما ان
الذي يحب ولده حبا ضعيفا اذا اخذ ولده امواله التي هي احب اليه من ولده واحرقها انقلب ذلك الحب
الضعيف بغضا فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك

هلاكا مؤبدا والسبب الذي يفضي الى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون اليها
والفرح باسبابها مع ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله فمن وجد في قلبه حب الله اغلب من حب الدنيا
وان كان يحب الدنيا ايضا فهو ابعد عن هذا الخطر وحب الدنيا راس كل خطيئة وهو الداء العضال وقد عم اصناف
الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تع اذ لا يحبه الا من عرفه ولهذا قال تع قل ان كان اباوكم وابناوكم
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره فاذن من فارقته روحه في حالة خطرة
الانكار على الله تع بباله وظهور بغض فعل الله تع بقلبه في تفريقه بينه وبين اهله وماله وساير
محابه فيكون موته قدوما على ما ابغضه وفراقا لما احبه فيقدم على الله تع قدوم العبد المبغض الابق
اذا قدم به على مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال واما الذي يتوفى على الحب فانه
يقدم على الله قدوم العبد المحسن المشتاق الى مولاه الذي تحمل مشاق الاعمال ووعثاء الاسفار طمعا
في لقائه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الاكرام
وبدايع الانعام واما الخاتمة الثانية التي هي دون الاولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها
ايضا سببان احدهما كثرة المعاصي وان قوي الايمان والاخر ضعف الايمان وان قلت المعاصي
وذلك لان مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة
وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود ذكره الى قلبه عند موته فان كان ميله الاكثر الى الطاعات
كان اكثر ما يحضره ذكر طاعة الله وان كان ميله الاكثر الى المعاصي غلب ذكره على قلبه عند الموت
فربما يقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فيتقيد بها قلبه
ويصير محجوبا عن الله تع فالذي لا يقارف الذنب الا الفينة بعد الفينة فهو ابعد عن هذا الخطر
والذي لم يقارف ذنبا اصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت
اكثر من طاعاته وقلبه بها افرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جدا ونعرف هذا
بمثال وهو انه لا يخفى عليك ان الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول
عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته في اليقظة وحتى ان المراهق الذي يحتلم لا يرى
صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما راى عند الاحتلام صورة الوقاع
ثم لا يخفى ان الذي قضى عمره في الفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء اكثر مما
يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة باسباب التجارة اكثر
مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الالف
او بسبب اخر من الاسباب والموت شبه النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الموت وما يتقدمه
من الغشية قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المالوفات وعودها الى القلب واحد الاسباب
المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف فطول الالف بالمعاصي والطاعات ايضا مرجحة
ولذلك تخالف ايضا منامات الصالحين منامات الفساق فتكون غلبة الالف سببا لان تتمثل
صورة فاحشة في قلبه وتميل اليها نفسه فربما يقبض عليها روحه فيكون ذلك سوء خاتمة وان

كان اصل الايمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها وكما ان ما يخطر في اليقظة انما يخطر بسبب
خاص يعلمه الله تع فكذلك آحاد المنامات لها اسباب عند الله نعرف بعضها ولا نعرف
بعضها كما انا نعلم ان الخاطر ينتقل من الشي الى ما يناسبه اما بالمشابهة واما بالمضادة واما
بالمقارنة بان يكون قد ورد على الحس معه اما المشابهة فبان ينظر الى جميل فيتذكر جميلا آخر
واما المضادة فبان ينظر الى جميل فيتذكر قبيحا ويتامل في شدة التفاوت بينهما واما
المقارنة فبان ينظر الى فرس قد راه من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان وقد ينتقل الخاطر
من شي الى شي ولا يدري وجه مناسبته له وانما يكون ذلك بواسطة واسطتين مثل ان ينتقل
من شي الى ثان ومنه الى ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والاول ولكن يكون بينه
وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والاول مناسبة فكذلك للانتقالات للخواطر في المنام اسباب
من هذا الجنس وكذا عند سكرات الموت ومن اراد ان يكف خاطره عن الانتقال الى المعاصي و
الشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول العمر في فطام نفسه عنها وفي قمع الشهوات من القلب فهذا
هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة
وذخيرة لحالة سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه و
لذلك نقل عن بقال انه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة وهو يقول ستة اربعة وكان
مشغول النفس بالحساب الذي طال الفه له قبل الموت قال بعض العارفين من السلف
ان العرش جوهرة تتلالا نورا فلا يكون العبد على حال الا انطبع مثاله في العرش على الصورة
التي كان عليها فاذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش فربما يرى نفسه على
صورة معصية وكذلك يكشف له في القيمة فيرى احوال نفسه فياخذه من الحياء والخوف
ما يجل عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرويا الصادقة قريب من ذلك فان النايم
يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من اجزاء النبوة فاذن
رجع سوء الخاتمة الى احوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله والاتفاقات المقتضية
لسوء الخاتمة غير داخلة تحت الاختيار دخولا كليا وان كان لطول الالف فيه تاثير فلهذا عظم خوف
العارفين من سوء الخاتمة لانه لو اراد الانسان ان لا يرى في المنام الا احوال الصالحين واحوال
الطاعات والعبادات تعسر عليه ذلك وان كان كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يوثر فيه ولكن
اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط وان كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم
لما غلب في اليقظة حتى سمعت الشيخ ابا علي الفارمذي رحمه الله يصف لي وجوب حسن ادب
المريد لشيخه وان لا يكون في قلبه انكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت
للشيخ ابي القسم الكركاني مناما لي وقلت رايت انك قلت لي كذا فقلت لم ذاك قال فهجرني
شهرا ولم يكلمني وقال لولا انه كان في باطنك تجويز المطالبة والانكار لما اقوله لك لما جرى ذلك
على لسانك في المنام وهو كما قال اذ قلما يرى الانسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة
على قلبه فهذا هو القدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة من اسرار امر الخاتمة وما وراء ذلك

فهو داخل في علم المكاشفة فقد ظهر لك بهذا ان الامن من سوء الخاتمة بان ترى الاشياء كما
هي عليه من غير جهل وتزجي جميع العمر في طاعة الله من غير معصية فان كنت تعلم ان ذلك محال او عسير فلابد
ان يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم
به حزنك وقلقك كما سنحكيه من احوال الانبياء والاولياء والسلف الصالحين ليكون ذلك احد الاسباب
المهيجة لنار الخوف من قلبك قد عرفت بهذا ان اعمال العمر كلها ضايعة ان لم تسلم في
النفس الاخير الذي عليه خروج الروح وان سلامته مع اضطراب امواج الخواطر مشكل جدا
ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول اني لا اعجب ممن هلك كيف هلك ولكني اعجب ممن نجا كيف
نجا ولذلك قال حامد اللفاف اذا صعدت الملايكة بروح المومن وقد مات على الخير والاسلام
تعجبت الملايكة منه وقالوا كيف نجا من دنيا فسد فيها خيارنا . وكان الثوري يبكي فقيل له
علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا فالآن نبكي على الاسلام وبالجملة من وقعت سفينته في لجة
البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الامواج كانت النجاة في حقه ابعد من الهلاك
وقلب المومن اشد اضطرابا من السفينة وامواج الخواطر اعظم التطاما من امواج البحر وانما المخوف
عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل
اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب
ولا يتسع فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف
وقال سهل رايت كاني ادخلت الجنة فرايت ثلثماية نبي فسالتهم ما اخوف ما كنتم تخافون
في الدنيا فقالوا سوء الخاتمة ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطا عليها وكان موت
الفجاة مكروها اما الموت فجاة فلانه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلايه على القلب والقلب
لا يخلو عن امثالها الا ان يدفع بالكراهة او بنور المعرفة واما الشهادة فلانها عبارة عن قبض الروح في
حالة لم يبق في القلب سوى حب الله وخرج حب الدنيا والاهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب
اذ لا يهجم احد على صف القتال موطنا نفسه على الموت الا حبا لله وطلبا لرضاه وبايعا دنياه
باخرته وراضيا بالبيع الذي بايعه الله به اذ قال تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان
لهم الجنة والبايع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه من القلب ومجرد حب العوض المطلوب في قلبه
ومثل هذه الحالة قد يغلب على القلب في بعض الاحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها فصف القتال
سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة
فان من هذا حاله وان قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الاخبار واذا بان
لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله واخرج من
قلبك حب الدنيا واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن
مشاهدة المعاصي ومشاهدة اهلها جهدك فان ذلك ايضا يوثر في قلبك ويصرف اليه فكرك
وخواطرك واياك ان تسوف وتقول سأستعد لها اذا جاءت الخاتمة فان كل نفس من
انفاسك خاتمتك اذ يمكن ان يختطف فيه روحك فراقب قلبك في كل لحظة واياك ان تهمله

لحظة فلعل ان تلك اللحظة خاتمتك هذا ما دمت في يقظتك واما اذا نمت فاياك ان تنام الا على طهارة
الظاهر والباطن وان يغلبك النوم الا بعد غلبة ذكر الله على قلبك لست اقول على لسانك فان حركة اللسان
بمجردها ضعيفة الاثر واعلم قطعا انه لا يغلب عند النوم على قلبك الا ما كان قبل النوم
غالبا عليه وانه لا يغلب في النوم الا ما كان غالبا قبل النوم ولا يبعث عن نومك الا على ما غلب
على قلبك في نومك والموت والبعث شبه النوم واليقظة فكما لا ينام العبد الا على ما غلب
عليه في يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان عليه في نومه فكذلك لا يموت المرء الا على ما عاش
عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه وتحقق قطعا ويقينا ان الموت والبعث حالتان من
احوالك كما ان الموت واليقظة حالتان من احوالك وآمن بهذا تصديقا باعتقاد القلب
ان لم تكن اهلا لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب انفاسك ولحظاتك واياك
ان تغفل عن الله تعالى طرفة عين فانك اذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف اذا لم
تفعل فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون
كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم واعلم ان ذلك لم يتيسر لك ما لم تقنع
من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقي كله فضول والضرورة
من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك فينبغي ان يكون تناولك تناول مضطر كاره له
ولا يكون رغبتك فيه اكثر من رغبتك في قضاء حاجتك اذ لا فرق بين ادخال الطعام الى
البطن وبين اخراجه فهما ضرورتان في الجبلة وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي تشغل
بها قلبك فلا ينبغي ان يكون تناول الطعام من همتك واعلم انه ان كان همتك ما
يدخل بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك واذا لم يكن قصدك من الطعام الا التقوي على عبادة
الله كقصدك من قضاء حاجتك فعلامة ذلك تظهر في ثلاثة امور من ماكولك في وقته و
قدره وجنسه اما الوقت فاقله ان تكتفي في اليوم والليلة بمرة واحدة فتواظب على الصوم
واما قدره فان لا يزيد على ثلث البطن واما جنسه فان لا تطلب اللذايذ من الاطعمة بل تقنع
بما يتفق فان قدرت على هذه الثلاث وسقط عنك مونة الشهوات الزايدة قدرت بعد
ذلك على ترك الشبهات وامكنك ان لا تاكل الا من حله فان الحلال يعز ولا يفي بالشهوات
واما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة فكل ما دفع البرد عن
راسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيره فضول منك يضيع زمانك ويلزمك الشغل الدايم في
العناء القايم في تحصيله بالكسب مرة والطمع اخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا ما تدفع
به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود اللباس ان لم تكتف به في خساسة قدره وجنسه
لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لا يملا بطنه الا التراب وكذلك المسكن ان اكتفيت
بمقصوده كفاك السماء سقفا والارض مستقرا فان غلبك حر او برد فالمساجد وان طلبت مسكنا
خاصا طال عليك وانصرف اليه اكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ثم ان تيسر لك فقصدت من
الحايط سوى كونه حايلا بينك وبين الابصار ومن السقف سوى كونه دافعا للامطار فاخذت

ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة يبعد رقيك منها وهكذا جميع ضرورات
امرك ان اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على التزود لآخرتك والاستعداد لخاتمتك وان
جاوزت حد الضرورة الى اودية الاماني تشعبت همومك ولم يبال الله في اي واد اهلكك
فاقبل هذه النصيحة ممن هو احوج الى النصيحة منك واعلم ان متسع التدبير والتزود والاحتياط
هذا العمر القصير فاذا دفعته يوما بيوم في تسويفك او غفلتك اختطفت فجاة في غير وقت
ارادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما ارشدت اليه لضعف
خوفك اذ لم يكن فيما وصفناه كفاية في تخويفك فانا سنورد عليك من احوال الخائفين ما نرجو ان
تزيل بعض القساوة من قلبك فانك تتحقق ان عقل الانبياء والاولياء والعلماء وعلمهم ومكانهم
عند الله لم يكن دون عقلك وعلمك ومكانك فتامل مع كلال بصيرتك وعمش عين قلبك في
احوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم
يدهش وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا الى الارض ولا غرو ان كان ذلك
لا يوثر في قلبك فان قلوب الغافلين مثل الحجارة او اشد قسوة **بيان احوال الانبياء والملائكة
في الخوف** روت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت
ريح عاصفة يتغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله و
قرا صلى الله عليه وسلم اية في سورة الحاقة فصعق وقال الله تع وخر موسى صعقا ورأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم جبرئيل بالابطح فصعق وروي انه عليه السلم كان اذا دخل في الصلوة يسمع
لصدره ازيز كازيز المرجل وقال صلى الله عليه وسلم ما جاءني جبرئيل قط الا وهو يرعد فرقا من
الجبار وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبرئيل وميكائيل عليهما السلم يبكيان فاوحى
الله تع اليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا رب ما نامن مكرك فقال الله تع هكذا كونا لا تامنا
مكري وعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت افئدة الملائكة من اماكنها فلما
خلق بنو آدم عادت وعن انس انه عليه السلام سال جبرئيل ما لي لا ارى ميكائيل يضحك
فقال جبرئيل ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار ويقال ان لله تع ملائكة لم يضحك
احد منهم منذ خلقت النار مخافة ان يغضب الله عليهم فيعذبهم وقال ابن عمر خرجت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر وياكل قال
فقال يا ابن عمر ما لك لا تاكل فقلت يا رسول الله لا اشتهيه فقال لكني اشتهيه وهذا صبح
رابعة منذ لم اذق طعاما ولم اجده ولو سالت ربي لاعطاني ملك كسرى وقيصر فكيف بك
يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال فوالله ما برحنا
ولا قمنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم قال فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله لم يامركم بكنز المال ولا باتباع الشهوات من كنز دنانير يريد بها حيوة فانية
فان الحيوة بيد الله الا واني لا اكنز دينارا ولا درهما ولا اخبا رزقا لغد وقال ابو الدرداء
كان يسمع ازيز قلب ابرهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه اذا قام في الصلوة من مسيرة ميل خوفا من

من احوال الخائفين

ربه وقال مجاهد بكى داود اربعين يوما ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى
غطى راسه فنودي يا داود اجائع انت فتطعم ام ظمآن فتسقى ام عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود
فاحترق من حر جوفه ثم انزل الله عليه التوبة والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته
مكتوبة في كفه فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره الا رآها فابكته قال وكان يؤتى بالقدح
ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه و
يروى عنه عليه السلم انه ما رفع راسه الى السماء حتى مات حياء من الله تع وكان يقول في مناجاته
الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتدت الي روحي سبحانك
الهي اتيت اطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني فبوسا للقانطين من رحمتك وقال
الفضيل بلغني ان داود عليه السلم ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضعا يده على راسه حتى لحق
بالجبال فاجتمعت اليه السباع فقال ارجعوا لا اريدكم انما اريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني الا
البكاء ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول
دعوني ابكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام واشتعال الحشا وقيل ان يؤمر بي ملائكة
غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال عبد العزيز بن عمير
لما اصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال الهي بح صوتي في صفاء اصوات الصديقين وروي انه
عليه السلم لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك فضاق ذرعه واشتد غمه قال يا رب اما ترحم
بكائي فاوحى الله تع اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهي وسيدي كيف انسى
ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح واظلني الطير
على راسي وانست الوحوش الى محرابي الهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني وبينك فاوحى الله
اليه يا داود ذاك انس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود آدم خلق من خلقي خلقته
بيدي ونفخت فيه من روحي واسجدت له ملائكتي والبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج
وقاري وشكا الي الوحدة فزوجته حواء امتي واسكنته جنتي عصاني فطردته عن جواري عريانا
ذليلا يا داود اسمع مني والحق اقول اطعتنا فاطعناك وسالتنا فاعطيناك وعصيتنا فامهلناك
وان عدت الينا على ما كان منك قبلناك وقال يحيى بن ابي كثير بلغنا ان داود عليه السلم كان اذا اراد
ان ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا ياكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فاذا كان قبل
ذلك بيوم اخرج له الى البرية منبر فامر سليمن ان ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها
من الغياض والآكام والجبال والبراري والصوامع والبيع فينادي فيها الا من اراد ان يسمع نوح
داود على نفسه فلياته قال فياتي الوحوش من البراري والآكام وتاتي السباع من الغياض
وتاتي الهوام من الجبال وتاتي الطير من الاوكار وتاتي العذارى من خدورهن ويجتمع الناس لذلك
اليوم وياتي داود حتى يرقى على المنبر ويحيط به بنو اسرائيل وكل صنف على حدته محيطون به وسليمن
عليه السلم قائم على راسه فياخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم ياخذ في ذكر الجنة
والنار فتموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم ياخذ في اهوال القيمة و

في النياحة على نفسه فتموت من كل نوع طايفة فاذا راى سليمن كثرة الموتى قال يا ابتاه قد مزقت
المستمعين كل ممزق وماتت طايفة من بني اسرايل ومن الوحوش ومن الهوام فياخذ في الدعاء فبينا
هو كذلك اذ ناداه بعض عباد بني اسرايل يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال فيخر داود مغشيا
عليه فاذا نظر سليمن الى ما اصابه اتى بسرير فحمله عليه ثم امر مناديا ينادي الا من كان له مع
داود حميم او قريب فلياتِ بسرير فليحمله فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار
فكانت المراة تاتي بالسرير وتحمل قريبها وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله ثم اذا
افاق داود عليه السلم وضع يده على راسه ودخل بيت عبادته واغلق بابه ويقول يا اله داود اغضبان
انت على داود ولا يزال يناجي فياتي سليمن ويقعد على الباب ويستاذن ثم يدخل ومعه قرص من
شعير فيقول يا ابتاه تقوّ بهذا على ما تريد فياكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج الى بني اسرايل فيكون بينهم
وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم فخرج في اربعين الفا فما رجع الا في
عشرة آلاف قال وكان له جاريتان اتخذهما حتى اذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا
على صدره وعلى رجليه مخافة ان يتفرق اعضاؤه ومفاصله فيموت وقال ابن عمر دخل يحيى
بن زكرياء عليهما السلم بيت المقدس وهو ابن ثماني حجج فنظر الى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر و
الصوف ونظر الى مجتهديهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدوا انفسهم الى
اطراف بيت المقدس فهاله ذلك فرجع الى ابويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا
لنلعب فقال اني لم اخلق للعب قال فاتى ابويه فسالهما ان يدرعاه الشعر ففعلا فرجع الى
بيت المقدس وكان يخدمه نهارا ويصبح فيه ليلا حتى اتت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم
اطواد الارض وغيران الشعاب فخرج ابواه في طلبه فادركاه على بحيرة الاردن وقد انقع رجليه
في الماء وقد كاد العطش يذبحه وهو يقول وعزتك وجلالك لا اذوق بارد الشراب حتى
اعلم اين مكاني منك فساله ابواه ان يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل
وكفر عن يمينه فمدح بالبر فرده ابواه الى بيت المقدس فكان اذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر و
المدر ويبكي زكريا لبكايه حتى يغمى عليه فلم يزل يبكي حتى احرقت دموعه لحم خديه وبدت اضراسه
للناظرين فقالت له امه يا بني لو اذنت لي ان اتخذ لك شيا تواري به اضراسك عن الناظرين
فاذن لها فعمدت الى قطعتي لبود فالصقتهما على خديه فكان اذا قام يصلي بكى فاذا استنقعت
دموعه في القطعتين اتت اليه امه فعصرتهما فاذا راى دموعه تسيل على ذراعي امه قال
اللهم هذه دموعي وهذه امي وانا عبدك وانت ارحم الراحمين فقال له زكريا يا بني انما
سالت ربي ان يهبك لي لتقر عيناي فقال يحيى يا ابت ان جبريل اخبرني ان بين الجنة والنار
مفازة لا يقطعها الا كل بكاء قال زكريا عليه السلام فابك يا بني وقال عيسى عليه السلم معاشر
الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من النار وحق
اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل وقيل كان الخليل صلوات
الله عليه اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فياتيه جبريل فيقول له

الجبار يقرئك السلام ويقول هل رايت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل اني اذا ذكرت خطيئتي
نسيت خلتي فهذه احوال الانبياء عليهم السلم فدونك والتامل فيها فانهم اعرف خلق الله بالله
تعالى وبصفاته

بيان احوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف

روي ان
ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال لطاير يا ليتني مثلك يا طاير ولم اخلق بشرا وقال ابو ذر وددت
لو اني شجرة تعضد وكذا قال طلحة وقال عثمان وددت اني اذا مت لم ابعث وقالت عايشة وددت
اني كنت نسيا منسيا وروي ان عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف اذا سمع آية من القرآن
مغشيا عليه فكان يعاد اياما واخذ يوما تبنة فقال يا ليتني كنت هذه التبنة يا ليتني لم اكن شيا
مذكورا يا ليتني لم تلدني امي يا ليتني كنت نسيا منسيا وكان في وجه عمر رضي الله عنه خطان اسودان من
الدموع وقال عمر رضي الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا
يوم القيمة لكان غير ما ترون ولما قرا عمر رضي الله عنه اذا الشمس كورت فانتهى الى قوله واذا الصحف
نشرت خر مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلي ويقرا سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ
قوله ان عذاب ربك لواقع نزل عن حماره واستند الى حايط ومكث زمانا ورجع الى منزله فمرض
شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه وقال علي رضي الله عنه وقد سلم عن صلوة الفجر وقد
علاه كآبة وهو يقلب يده لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلم ار اليوم شيا يشبههم
لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا سجدا وقياما
يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا وذكروا الله مادوا كما
يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم الدموع حتى تبل ثيابهم والله كاني بالقوم باتوا غافلين
ثم قام فما رُيي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وقال عمران بن الحصين لوددت اني
رماد تنسفني الرياح في يوم عاصف وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت اني كبش فيذبحني اهلي
فياكلون لحمي ويحسون مرقتي وكان علي بن الحسين اذا توضا اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا
الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم وقال موسى بن مسعود كنا
اذا جلسنا الى الثوري كان النار قد احاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه وقرا مضر القاري يوما
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق الآية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه ثم افاق وقال وعزتك لا
عصيتك جهدي ابدا فاعني بتوفيقك على طاعتك وكان المسور بن مخرمة لا يقوى ان يسمع القرآن
من شدة خوفه ولقد كان يقرا عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل اياما حتى اتى عليه رجل من
خثعم فقرا عليه يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال انا من المجرمين
ولست من المتقين اعد علي القول ايها القاري فاعاد عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة وقري عند
يحيى البكاء ولو ترى اذ وقفوا على ربهم فصاح صيحة ومكث منها مريضا اربعة اشهر يعاد من اطراف
البصرة وقال مالك بن دينار بينا انا اطوف بالبيت اذا انا بجويرية متعبدة متعلقة باستار الكعبة
وهي تقول يا رب كم من شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب اما كان لك ادب و
عقوبة الا النار وتبكي فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال مالك فلما رايت ذلك وضعت يدي

على راسي صارخا اقول ثكلت ما اكما امه • وروي ان الفضيل في يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة حتى اذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع راسه الى السماء وقال واسواتاه منك وان غفرت ثم انقلب مع الناس • وسئل ابن عباس رضي الله عنه عن الخائفين فقال قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر امامنا والقيمة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا موقفنا • ومر الحسن بشاب وهو مستغرق في ضحكه وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن يا فتى هل مررت بالصراط قال لا قال وهل تدري الى الجنة تصير ام الى النار قال لا قال فما هذا الضحك فما رئي ذلك الفتى بعدها ضاحكا • وكان حماد بن عبد ربه اذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو اطمانت فيقول تلك جلسة الآمن وانا غير آمن اذ عصيت الله عز وجل وقال عمر بن عبد العزيز انما جعل الله تع هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله وقال مالك بن دينار لقد هممت اذا انا مت آمرهم ان يقيدوني ويغلوني ثم ينطلقوا بي الى ربي كما ينطلق بالعبد الآبق الى سيده وقال حاتم الاصم لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح من الجنة وقد لقي آدم عليه السلام فيها ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول تعبده لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر ماذا لقي ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص اكبر منزلة عند الله تع من المصطفى صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بلقائه اقاربه واعداؤه وقال السري اني لانظر الى انفي كل يوم مرات مخافة ان يكون قد اسود وجهي وقال ابو حفص منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله تع ينظر الي نظر السخط واعمالي تدل على ذلك • وخرج ابن المبارك يوما على اصحابه فقال اني اجترات البارحة على الله سالته الجنة وقالت ام محمد بن كعب القرظي لابنها يا بني اني اعرفك صغيرا طيبا وكبيرا طيبا وكانك احدثت حدثا موبقا لما اراك تصنع في ليلك ونهارك فقال يا اماه ما يؤمنني ان يكون الله عز وجل قد اطلع علي وانا على بعض ذنوبي فمقتني وقال وعزتي لا غفرت لك وقال الفضيل اني لا اغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا ولا عبدا صالحا اليس هؤلاء يعاينون يوم القيمة انما اغبط من لم يخلق • وروي ان فتى من الانصار دخلته خشية النار فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه فخر ميتا فقال صلى الله عليه وسلم جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار فتت كبده • وروي عن ابن ابي ميسرة انه كان اذا اوى الى فراشه قال يا ليت امي لم تلدني فقالت له امه يا ميسرة ان الله تعالى قد احسن اليك هداك للاسلام قال اجل ولكن الله قد بين لنا انا واردون النار ولم يبين لنا انا صادرون عنها وقيل لفرقد السبخي اخبرنا باعجب شيء بلغك عن بني اسرائيل فقال بلغني انه دخل بيت المقدس خمس مائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح فذكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعا في يوم واحد • وكان عطاء السلمي من الخائفين ولم يكن يسال الله تع الجنة ابدا انما كان يسال العفو وقيل له في مرضه الا تشتهي شيئا فقال ان خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعا للشهوة ويقال انه ما رفع راسه الى السماء ولا ضحك اربعين سنة وانه رفع راسه يوما ففزع فسقط فانفتق في بطنه فتق • وكان يمس جسده في بعض الليل مخافة ان يكون قد مسخ • وكان اذا اصابتهم ريح او برق او غلاء طعام قال هذا من اجلي يصيبهم لو مات عطاء لاستراح الناس

وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلوة الفجر بطهور العشاء قد تورمت اقدامهم من طول القيام وغارت اعينهم في رؤسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كانها الاوتار يصبحون كان جلودهم قشور البطيخ وكانهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف اكرم الله المطيعين وكيف اهان العاصين فبينا هم يمشون اذ مر بمكان فخر مغشيا عليه فجلس اصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاءوا بماء فمسحوا وجهه فافاق وسالوه عن امره فقال انا اني ذكرت اني كنت عصيت الله في ذلك المكان وقال صالح المري قرات على رجل من المتعبدين يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فصعق ثم افاق وقال زدني يا صالح فاني اجد غما فقرات كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فخر ميتا • وروي ان زرارة بن ابي اوفى صلى بالناس صلوة الغداة فلما قرا فاذا نقر في الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا • ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال عظني يا يزيد فقال يا امير المؤمنين اعلم انك لست اول خليفة يموت فبكى ثم قال زدني فقال يا امير المؤمنين ليس بينك وبين آدم اب الا ميت فبكى وقال زدني يا يزيد فقال يا امير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا عليه وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية وان جهنم لموعدهم اجمعين صاح سلمان الفارسي ووضع يده على راسه ثم خرج هاربا ثلاثة ايام لا يقدر عليه • ورأى داود الطائي امراة تبكي على راس قبر ولد لها وهي تقول يا ابناه ليت شعري اي خديك بدا به الدود اولا فصعق داود وسقط مكانه وقيل مرض سفين الثوري فعرض دليله على طبيب ذمي فقال هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء وجس عرقه ثم قال ما علمت ان في الحنيفية مثله وقال احمد بن حنبل سالت الله عز وجل ان يفتح علي بابا من الخوف ففتح فخفت على عقلي فقلت يا رب على قدر ما اطيق فسكن قلبي وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وكانه اشار الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال العنبري اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقران عليكم بالصلوة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ورئي الفضيل يوما وهو يمشي فقيل الى اين فقال لا ادري وكان يمشي والها من الخوف وقال ذر بن عمر لابيه عمر بن ذر ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي احد فاذا تكلمت سمعت البكاء من كل جانب فقال يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستاجرة • وحكي ان قوما وقفوا بعابد وهو يبكي فقالوا ما الذي يبكيك يرحمك الله قال روعة يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا وما هي قال روعة النداء بالعرض على الله عز وجل • وكان الخواص يبكي ويقول في مناجاته قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فاعتقني وقال صالح المري قدم علينا ابن السماك مرة فقال ارني شيئا من بعض عجائب عبادكم فذهبت به الى رجل في بعض الاحياء في خص له فاستاذنا عليه فاذا رجل يعمل خوصا فقرات اذ الاغلال في

أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فشهق الرجل شهقة وخر مغشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا الى الآخر فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية فشهق شهقة وخر مغشيا عليه واستاذنا على الثالث فقال ادخلوا ان لم تشغلونا عن ربنا فقرأت ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فشهق شهقة فبدا الدم من منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى يبس فتركناه على حاله وخرجنا فادرته على ستة انفس كل نخرج من عنده ونتركه مغشيا عليه ثم اتيت به السابع فاستاذنا فاذا امراة من وراء الخص تقول ادخلوا فدخلنا فاذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عال ان للخلق غدا مقاما فقال الشيخ بين يدي من ويحك ثم بقي مبهوتا فاتحا فاه شاخصا بصره يصيح بصوت له ضعيف اوه اوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امراته اخرجوا فانكم لا تنتفعون به الساعة فلما كان بعد ذلك سالت عن القوم فاذا ثلاثة قد افاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله واما الشيخ فانه مكث ثلاثة ايام على حالته مبهوتا متحيرا لا يؤدي فرضا فلما كان بعد ذلك سالت عن القوم ثلاث عقل. وكان يزيد بن الاسود يرى انه من الابدال وكان قد حلف ان لا يضحك ابدا ولا ينام مضطجعا ولا ياكل سمينا حتى مات رحمه الله وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني انك لم تضحك قط فقال كيف اضحك وجهنم قد سعرت والاغلال قد نصبت و الزبانية قد اعدت وقال رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت قال بخير قال كيف حالك فتبسم الحسن وقال تسالني عن حالي ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على اي حال هم قال الرجل على حالة شديدة قال الحسن حالي اشد من حالهم. ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز على عمر رضي الله عنه فسلمت عليه ثم قامت الى المسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها فرقدت فاستبكت في منامها فقالت يا امير المومنين اني رايت والله عجبا قال وما ذاك قالت رايت النار وهي تزفر على اهلها ثم جيء بالصراط فوضع على متنها فقال هيه قالت فجيء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه الا يسيرا حتى انكفا به الصراط فهوى فقال هيه قالت ثم جيء بسليمن بن عبد الملك فما مضى عليه الا يسيرا حتى انكفا به الصراط فهوى فقال عمر هيه قالت ثم جيء بك والله يا امير المومنين فصاح عمر رضي الله عنه صيحة خر مغشيا عليه فقامت اليه فجعلت تنادي في اذنه يا امير المومنين اني رايتك والله حتى نجوت اني رايتك والله حتى نجوت اني رايتك والله حتى نجوت قال وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجله. ويحكى ان اويسا القرني رحمه الله كان يحضر عند القاص فيبكي من كلامه فاذا ذكر النار صرخ اويس ثم يقوم منطلقا فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ان المومن لا يسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه. وكان طاوس يفرش فراشه فيتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الخائفين وقال الحسن البصري رحمه الله يخرج من النار رجل بعد الف عام وياليتني ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوفه الخلود بسوء الخاتمة. وروي انه ما ضحك اربعين سنة قال وكنت اذا رايته قاعدا كانه اسير قد قدم ليضرب عنقه واذا تكلم كانه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها واذا سكت كان النار تسعر بين

عينيه

عينيه. وعوتب في شدة حزنه فقال ما يومنني ان يكون الله قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني فقال اذهب فلا غفرت لك فانا اعمل في غير معتمل. وعن ابن السماك قال وعظت يوما في مجلس فقام شاب من القوم فقال يا ابا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالي ان لا نسمع غيرها قلت وما هي رحمك الله قال قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما في الجنة او في النار ثم غاب عني ففقدته في المجلس الآخر فلم اره فسالت عنه فاخبرت انه مريض يعاد فاتيته اعوده فقلت يا اخي ما الذي اري بك فقال يا ابا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين اما في الجنة واما في النار قال ثم مات رحمه الله فرايته في المنام فقلت يا اخي ما صنع الله بك قال غفر لي ورحمني وادخلني الجنة قلت بماذا قال بالكلمة. فهذه مخاوف الانبياء والاولياء والعلماء ونحن اجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة والا فليس امننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة احوالنا غفلتنا وقسوتنا فلا قرب الرحيل ينبهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة احوال الخائفين تخوفنا ولا خطر الخاتمة يزعجنا فنسال الله تعالى ان يتدارك بفضله وجوده احوالنا فيصلحها ان كان تحريك اللسان بمجرد السوال دون الاستعداد ينفعنا ومن العجائب انا اذا اردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري و خاطرنا وان اردنا طلب رتبة بالعلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره ونجتهد في طلب اقواتنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم اذا طمحت اعيننا نحو الملك الدائم المقيم قنعنا بان نقول بالسنتنا اللهم اغفر لنا وارحمنا والذي اليه رجاؤنا وبه اعتزازنا ينادينا ويقول وان ليس للانسان الا ما سعى ولا يغرنكم بالله الغرور ويا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ثم كل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن اودية غرورنا وامانينا فما هذه الا محنة هائلة ان لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا فنسال الله تعالى ان يتوب علينا بل نساله ان يشوق الى التوبة سرائر قلوبنا وان لا يجعل حركة اللسان بسوال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل اذا سمعنا الوعظ بكينا واذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للخذلان اعظم من هذا فنسال الله تعالى ان يمن بالتوفيق علينا بمنه وفضله ولنقتصر من حكاية احوال الخائفين على ما اوردنا فان القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكفي والكثير منه وان افيض على القلب الغافل فلا يغني ولقد صدق الراهب الذي حكى عنه عيسى بن مالك الخولاني وكان من خيار العباد انه راه على باب بيت المقدس واقفا كهيئة المحزون من شدة الوله ما يكاد يرقا دمعه من كثرة البكاء قال عيسى فلما رايته هالني منظره فقلت ايها الراهب اوصني بوصية احفظها عنك فقال يا اخي بماذا اوصيك ان استطعت ان تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف ان يغفل فتفترسه السباع او يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة ليله وان امن المغترون وفي الحزن نهاره وان فرح البطالون ثم ولى وتركني فقلت لو زدتني شيئا عسى ان ينفعني فقال الظمآن يجزيه من الماء ايسره و قد صدق فان القلب الصافي يحركه ادنى مخافة والقلب الجامد ينبو عنه كل المواعظ وما ذكره من تقديره انه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي ان يظن انه تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت نور

البصيرة باطنك لرأيته مشحونا باصناف السباع وانواع الهوام مثل الغضب والشهوة و
الحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك ان سهوت
عنها لحظة الا انك محجوب العين عن مشاهدتها فاذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها
وقد تمثلت لك بصورها واشكالها الموافقة لمعانيها فترى بعينيك العقارب والحيات قد احدقت
بك في قبرك وانما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها فان اردت ان تقتلها وتقهرها وانت
قادر عليها قبل الموت فافعل والا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك فضلا عن ظاهر بشرتك و
جسمك والسلام تم كتاب الرجاء والخوف بحمد الله وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله

كتاب الفقر والزهد وهو الكتاب الرابع من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين
الحمد لله الذي تسبح له الرمال وتسجد له الظلال وتندكدك من هيبته الجبال خلق الانسان من
الطين اللازب والصلصال وزين صورته باحسن تقويم واتم اعتدال وعصم قلبه بنور الهداية عن
ورطات الضلال واذن له في قرع باب الخدمة بالغدو والآصال ثم كحل بصيرة المخلص في خدمته بنور
العبرة حتى لاحظ بضيائه حضرة الجلال فلاح له من البهجة والبهاء والكمال ما استقبح دون مبادي اشراقه
كل حسن وجمال واستثقل كل ما صرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال وتمثل له ظاهر الدنيا
في صورة امرأة جميلة تميس وتختال وانكشف له باطنها عن عجوز شوهاء عجنت من طينة الخزي و
ضربت في قالب النكال وهي متلفعة بجلبابها لتخفي قبائح اسرارها بلطائف السحر والاحتيال وقد نصبت
حبائلها في مدارج الرجال فهي تقتنصهم بضروب المكر والاغتيال ثم لا تحتمي معهم بالخلف في مواعيد الوصال
بل تتقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والاغلال وتبليهم بانواع البلايا والانكال فلما انكشف للعارفين
منها قبائح الاسرار والافعال زهدوا فيها زهد المبغض لها فتركوا التفاخر والتكاثر بالاموال واقبلوا بكنه
هممهم على حضرة الجلال واثقين منها بوصال ليس له انفصال ومشاهدة ابدية لا يعتريها فناء ولا زوال اما
بعد فان الدنيا عدوة لله عز وجل بغرورها ضل من ضل وبمكرها زل من زل فحبها رأس الخطايا و
السيئات وبغضها ام الطاعات واس القربات وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب
ذم الدنيا من ربع المهلكات ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فانه رأس المنجيات فلا مطمع في النجاة
الا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها ولكن مقاطعتها اما ان تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا واما بانزواء
العبد عنها ويسمى ذلك زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات وحظ في الاعانة على الفوز والنجاة
ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما واقسامهما وشروطهما واحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب
والزهد في شطر آخر منه ونبدأ بذكر الفقر

الشطر الاول من الكتاب في الفقر

وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر مطلقا وبيان فضيلة خصوص الفقراء وبيان فضل الفقر على الغنى
وبيان ادب الفقير في فقره وبيان ادبه في قبول العطاء وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان
مقدار الغنى المحرم للسؤال وبيان احوال السائلين

بيان حقيقة الفقر واختلاف احوال

الفقير واساميه اعلم ان الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه اما فقد ما لا حاجة اليه فلا
يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه مقدورا عليه لم يكن المحتاج فقيرا واذا فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود
سوى الله فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله وجوده
فان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود
الا واحدا فليس في الوجود الا غني واحد وكل من عداه فانهم محتاجون اليه ليمد وجودهم بالدوام والى هذا
الحصر الاشارة بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء هذا معنى الفقر مطلقا ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر
المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والا ففقر العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته لا ينحصر لان حاجاته
لا حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليه بالمال وهو الذي نريد الآن بيانه فقط فنقول كل فاقد للمال
فانا نسميه فقيرا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان ذلك المفقود محتاجا اليه في حقه ثم يتصور
ان يكون له خمسة احوال عند الفقر ونحن نميزها ونخصص كل حال باسم ليتوصل بالتمييز الى ذكر احكامها
الحالة الاولى وهي العليا ان يكون بحيث لو اتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب من اخذه مبغضا له ومحترزا
من شره وشغله وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد الثانية ان يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح لحصوله
ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهد فيه لو اتاه وصاحب هذه الحالة نسميه راضيا الثالثة ان
يكون وجود المال احب اليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان ينهض لطلبه بل ان اتاه عفوا
اخذه وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشتغل به وصاحب هذه الحالة نسميه قانعا اذ اقنع نفسه
بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة الرابعة ان يكون تركه للطلب لعجزه والا
فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب لطلبه او هو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة
نسميه الحريص الخامسة ان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد
للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة مضطرا كيف ما كانت رغبته في الطلب اما ضعيفة واما قوية وقلما تنفك
هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة احوال اعلاها الزهد والاضطرار ان انضم اليه الزهد وتصور ذلك
فهو اقصى درجات الزهد كما سيأتي بيانه ووراء هذه الاحوال الخمسة حالة هي اعلى من الزهد وهي ان
يستوي عنده وجود المال وفقده فان وجده لم يفرح به ولم يتأذ وان فقد فكذلك بل حاله كما كان حال عائشة
رضي الله عنها اذ اتاها مائة الف درهم من العطاء فاخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمتها لو اشتريت
لنا بدرهم لحما فقالت لو ذكرتيني لفعلت فمن هذا حاله فلو كانت الدنيا بحذافيرها في يده وخزائنه لم
تضره اذ هو يرى الاموال في خزانة الله لا في يد نفسه لا يفرق بين ان تكون في يده او في يد غيره وينبغي ان يسمى
صاحب هذه الحالة المستغني لانه غني عن فقد المال ووجوده جميعا وليفهم من هذا الاسم معنى يفارق اسم
الغني المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد فان من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير الى
بقاء المال في يده وانما هو غني عن دخول المال في يده وعن خروجه من يده ايضا فانه ليس يتأذى به ليحتاج الى اخراجه
وليس يفرح به ليحتاج الى بقائه وليس فاقدا له ليحتاج الى الدخول في يده فغناه الى العموم اميل فهو الى الغني الذي
هو وصف الله تعالى اقرب وانما قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة
غنيا بل مستغنيا ليبقى الغني اسما لمن له الغنى المطلق عن كل شيء واما هذا العبد فان استغنى عن المال وجودا

وعدمًا فلم يستغن عن اشياء اخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليبقى استغناؤه الذ
زين الله تعالى قلبه به فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغني عنه حر والله تع هو الذي اعتقه عن
هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في اوقات متقاربة
لانها بين اصبعين من اصابع الرحمن فلذلك لم يكن اسم الغني مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا واعلم
ان الزهد درجة هي كمال الابرار وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصانا
اذ حسنات الابرار سيئات المقربين وهذا لان الكاره للدنيا مشغول بالدنيا كما ان الراغب فيها مشغول
بها والشغل بما سوى الله تع حجاب عن الله تع اذ لا بعد بينك وبين الله حتى يكون البعد حجابا فانه اقرب اليك من حبل الوريد
وليس هو في مكان حتى يكون السموات والارضون حجابا بينك فلا حجاب بينك وبينه الا شغلك بغيره وشغلك
بنفسك وبشهواتك شغل بغيره وانت لا تزال مشغولا بنفسك وبشهوات نفسك فلذلك لا تزال محجوبا عنه
فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول ببغض نفسه ايضا مشغول عن الله بل كل ما سوى الله تعالى
مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس جمع العاشق والمعشوق فان التفت قلب العاشق الى الرقيب والى بغضه
واستثقاله وكراهة حضوره فهو في حالة اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو
استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت اليه فكما ان النظر الى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق
شرك في العشق ونقص فيه فكذا النظر الى غيره لبغضه شرك فيه ونقص ولكن احدهما اخف من الآخر بل الكمال في
ان لا يلتفت القلب الى غير المحبوب بغضا وحبا فانه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع ايضا بغض
وحب في حالة واحدة فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها الا ان المشغول بحبها غافل وهو
في غفلته سالك في طريق البعد والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك طريق القرب اذ يرجى له ان ينتهي
حاله الى ان تزول هذه الغفلة وتتبدل بالشهود فالكمال له مرتقب لان بغض الدنيا مطية توصل الى الله تعالى
فالمحب والمبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ولكن احدهما مستدبر للكعبة
والآخر مستقبل لها فهما سيان بالاضافة الى الحال في ان كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل
محمود بالاضافة الى المستدبر اذ يرجى له الوصول وليس محمودا بالاضافة الى المعتكف في الكعبة والملازم لها الذي
لا يخرج منها حتى يفتقر الى الاشتغال بالدابة في الوصول اليها فلا ينبغي ان يظن ان بغض الدنيا مقصود في عينه
بل الدنيا عائق عن الله تع ولا وصول اليه الا بدفع العائق ولذلك قال ابو سليمن الداراني رحمه الله من زهد في الدنيا واقتصر
عليه فقد استعجل الراحة بل ينبغي ان يشتغل بالآخرة فبين ان سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما ان سلوك طريق
الحج وراء دفع الغريم العائق عن الحج فاذن قد ظهر ان الزهد في الدنيا ان اريد به عدم الرغبة في وجودها وعدمها
فهو غاية الكمال وان اريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالاضافة الى درجة الراضي والقانع والحريص ونقصان بالاضافة
الى درجة المستغني بل الكمال في حق المال ان يستوي عندك المال والماء فكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بان تكون
على شاطئ البحر ولا قلته توذيك الا في قدر الضرورة مع ان الماء محتاج اليه كما ان المال محتاج اليه فلا يكون قلبك مشغولا
بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا تبغض الماء الكثير بل تقول اشرب منه بقدر الحاجة واسقي منه عباد الله بقدر الحاجة ولا
ابخل عليه احد فهكذا ينبغي ان يكون المال لان الخبز والماء واحد في الحاجة وانما الفرق بينهما في قلة احدهما وكثرة الآخر
واذا عرفت الله تع ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت ان قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة مادمت

كما يأتيك قدر حاجتك من الماء على ما سنبين ذلك في كتاب التوكل ان شاء الله تع قال احمد بن ابي الحواري قلت
لابي سليمن الداراني قال مالك بن دينار للمغيرة اذهب الى البيت فخذ الركوة التي اهديتها لي فان العدو يوسوس
الي ان اللص قد اخذها فقال ابو سليمن هذا من ضعف قلوب الصوفية قد زهد في الدنيا ما عليه من اخذها فتبين
ان كراهية كون الركوة في بيته التفات اليها بسبب الضعف والنقصان فان قلت فما بال الانبياء والاولياء
هربوا من المال ونفروا منه كل النفار فاقول كما هربوا من الماء على معنى انهم ما شربوا اكثر من حاجتهم ونفروا
عما وراءه ولم يجمعوه في القرب والروايا يديرونه مع انفسهم بل تركوه في الانهار والآبار والبراري محتاجين
اليه لا انهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه او ببغضه وقد حملت خزائن الارض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابي
بكر وعمر رضي الله عنهما فاخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها اذ كان قد استوى عندهم الماء و
المال والذهب والحجر وما ينقل عنهم من الامتناع فاما ان ينقل عن خائف ان لو اخذها ان يتخذ على المال
ويقيد قلبه فيدعوه الى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا جرم البغض للمال والهرب منه في حقهم كمال
وهذا حكم جميع الخلق لان كلهم ضعفاء الا الانبياء والاولياء واما ان ينقل عن قوي بلغ الكمال
ولكن اظهر الفرار والنفار نزولا الى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك اذ لو اقتدوا به في الاخذ لهلكوا
كالمعزم الرجل المحترم بين يدي اولاده من الحية لا لضعفه عن اخذها ولكن لعلمه بانه لو اخذها لاخذها اولاده
فهلكوا والسير بسير الضعفاء ضرورة الانبياء والاولياء والعلماء فقد عرفت اذن ان المراتب
وان اعلاها رتبة المستغني ثم الزاهد ثم الراضي ثم القانع ثم الحريص واما المضطر فيتصور في حقه ايضا الزهد
والرضا والقناعة ودرجته مختلفة بحسب اختلاف هذه الاحوال فاسم الفقير يطلق على هذه الخمسة
اما تسمية المستغني فقيرا فلا وجه له بهذا المعنى بل بمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا الى الله تع
في جميع اموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه
بالعبودية واقر بها فانه احق باسم العبد من الغافلين وان كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقير عام ومن
عرف نفسه بالفقر الى الله تع فهو احق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين واذا عرفت
هذا الاشتراك فهمت ان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من الفقر وقوله عليه السلام كاد الفقر ان
يكون كفرا لا يناقض قوله احيني مسكينا وامتني مسكينا اذ فقر المضطر هو الذي استعاذ منه والفقر
الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار الى الله تع هو الذي سأله في دعائه **بيان فضيلة
الفقر مطلقا** اما من الآيات فيدل عليه قوله تع للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم وقال تع
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض ساق الكلام في معرض المدح ثم قدم وصفهم
بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر واما الاخبار في
مدح الفقر فاكثر من ان تحصى وروى عبد الله بن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه
اي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس
يا رسول الله فقال الفقير يعطي جهده وقال صلى الله عليه وسلم لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال وفي الخبر المشهور يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة
عام وفي حديث آخر باربعين خريفا اي اربعين سنة فيكون المراد به تقدير تقدم الفقير الحريص على الغني الحريص و

التقدير بخمسماية تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقير يعرفك
ضرورة تفاوت بين الفقراء في درجاتهم وكان الفقير الحريص على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد اذ هذه
نسبة الاربعين الى خمسماية ولا تظنن ان تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم يجري على لسانه جزافا وبالاتفاق بل
لا ينطق صلى الله عليه وسلم الا بحقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم
الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فانه تقدير تحقيق لا محالة. ولكن ليس في قوة غيره ان يعرف
علة تلك النسبة الا بتخمين فاما بالتحقيق فلا اذ نعلم ان النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره
وهو يختص بانواع من الخواص احدها انه يعرف حقايق الامور المتعلقة بالله وصفاته وملايكته والدار الآخرة لا
كما يعلمه غيره بل مخالفا له بكثرة المعلومات وزيادة اليقين والتحقيق والكشف والثاني ان له في نفسه صفة
بها تتم الافعال الخارقة للعادات كما ان لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة بارادتنا واختيارنا وهي
القدرة وان كانت القدرة والمقدور جميعا من فعل الله والثالث ان له صفة بها يبصر الملايكة ويشاهدهم
كما ان للبصير صفة بها يفارق الاعمى حتى يدرك بها المبصرات والرابع ان له صفة بها يدرك ما سيكون
في الغيب اما في اليقظة واما في المنام اذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب فهذه كمالات وصفات
نعلم ثبوتها للانبياء ونعلم انقسام كل واحد منها الى اقسام وربما يمكننا ان نقسمها الى اربعين والى خمسين والى
ستين ويمكننا ايضا ان نتكلف تقسيمها الى ستة واربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة جزءا واحدا من جملتها و
لكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يمكن الا بظن وتخمين ولا ندري تحقيقا انه الذي اراده
صلى الله عليه وسلم ام لا وانما المعلوم مجامع الصفات التي بها تتم النبوة واصل انقسامها وذلك لا يرشدنا
الى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم ان الفقراء لهم درجات كما سبق فاما لم كان هذا الفقير الحريص مثلا
على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يقتض له التقدم باكثر من اربعين سنة الى الجنة واقتضى ذلك
التقدم بخمسماية عام فليس في قوة غير الانبياء الوقوف على ذلك الا بنوع من التخمين لا يوثق به والغرض التنبيه
على منهاج التقدير في امثال هذه الامور فان الضعيف الايمان قد يظن ان ذلك يجري من رسول الله صلى
الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشى منصب النبوة ذلك ولنرجع الى نقل الاخبار فقد قال صلى الله
عليه وسلم ايضا خير هذه الامة فقراؤها واسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وقال صلى الله عليه وسلم
ان لي حرفتين اثنتين فمن احبهما احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني الفقر والجهاد. وروي ان
جبرئيل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يقرا عليك السلام ويقول اتحب ان
اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فاطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال
يا جبرئيل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له فقال له جبرئيل يا محمد
ثبتك الله بالقول الثابت. وروي ان عيسى عليه السلام مر في سياحته برجل نايم ملتف في عباءة فايقظه
وقال يا نايم قم فاذكر الله فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذن حبيبي ثم
ومر موسى عليه السلام برجل نايم على التراب وتحت راسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر
بعباءة فقال يا رب عبدك هذا ضايع في الدنيا فاوحى الله تعالى اليه يا موسى اما علمت اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي
كله زويت عنه الدنيا كلها وعن ابي رافع انه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم اجد

عن

عنده ما يصلحه فارسلني الى رجل من يهود خيبر وقال قل له يقول لك محمد اسلفني او بعني دقيقا
الى هلال رجب قال فاتيته فقال لا والله الا برهن فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
فقال اما والله اني لامين في اهل الارض ولو باعني او اسلفني لاديت اليه اذهب بدرعي هذا اليه
فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا تعزية
له صلى الله عليه وسلم عن الدنيا فقال صلى الله عليه وسلم الفقر ازين بالمومن من العذار الحسن على خد الفرس وقال
صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم معافى في جسمه آمنا في سربه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا وقال
كعب الاحبار قال الله تعالى لموسى يا موسى اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين وقال عطاء
الخراساني مر نبي من الانبياء بساحل فاذا هو برجل يصطاد حيتانا فقال بسم الله والقى شبكته فلم
يخرج فيها شيء ثم مر باخر فقال باسم الشيطان والقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس
من كثرتها فقال النبي يا رب ما هذا وقد علمت ان كل ذلك بيدك فقال الله عز وجل للملايكة اكشفوا لعبدي
عن منزلتيهما فلما راى ما اعد الله عز وجل لهذا من الكرامة ولذلك من الهوان قال رضيت يا رب وقال
نبينا صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقراء واطلعت في النار فرايت اكثر
اهلها الاغنياء وفي لفظ آخر فقلت اين الاغنياء فقال حبسهم الجد وفي حديث آخر فرايت اكثر اهل النار
النساء فقلت ما شانهن فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران وقال صلى الله عليه وسلم
تحفة المومن في الدنيا الفقر وفي الخبر آخر الانبياء دخولا الجنة سليمن بن داود لمكان ملكه وآخر اصحابي
دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفي حديث آخر رايته دخل الجنة زحفا وقال عيسى عليه
السلام بشدة يدخل الغني الجنة وفي خبر عن اهل البيت انه صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا
ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا وفي الخبر
اذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت
عقوبته وقال موسى عليه السلام يا رب من احباوك من خلقك حتى احبهم لاجلك فقال كل فقير
فقير فيمكن ان يكون الثاني للتاكيد ويمكن ان يكون المراد به شديد الضر وقال عيسى عليه السلام اني
لاحب المسكنة وابغض النعماء وكان احب الاسامي اليه ان يقال يا مسكين ولما قالت سادات العرب
واغنياوها للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون اليك ولا نجيء ونجيء
اليك ولا يجيئون يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وابي ذر وخباب
بن الارت وعمار بن ياسر وابي هريرة واصحاب الصفة من الفقراء فاجابهم النبي صلى الله عليه و
سلم الى ذلك لانهم شكوا اليه التاذي بروايحهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فاذا عرقوا فاحت
الروايح من ثيابهم فاشتد على الاغنياء ذلك منهم الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن بدر
الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يجمعهم واياهم
مجلس فنزل عليه قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الى عنهم يعني الفقراء تريد زينة الحيوة
الدنيا يعني الاغنياء ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني الاغنياء وقل الحق من ربكم مع الفقراء فمن
شاء فليومن ومن شاء فليكفر الآية واستاذن ابن ام مكتوم رضي على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل من

اشراف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى الى الذكرى يعني
ابن ام مكتوم اما من استغنى فانت له تصدى يعني هذا الشريف • وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالعبد
يوم القيمة فيعتذر الله اليه كما يعتذر الرجل الى الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي مازويت الدنيا عنك
لهوانك علي ولكن لما اعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدي الى هذه الصفوف فمن اطعمك في او
كساك في يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد الجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر
من فعل ذلك به فياخذ بيده ويدخله الجنة وقال عليه السلام اكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادي فان
لهم دولة فقالوا يا رسول الله وما دولتهم قال اذا كان يوم القيمة قيل لهم انظروا من اطعمكم كسرة وسقاكم
شربة وكساكم ثوبا فخذوا بيده ثم افضوا به الجنة وقال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت حركة امامي فنظرت
فاذا بلال ونظرت في اعلاها فاذا فقراء امتي واولادهم ونظرت في اسفلها فاذا فيهم من الاغنياء و
النساء قليل فقلت يارب ما شانهم قال اما النساء فاضر بهن الاحران الذهب والحرير واما الاغنياء فاشتغلوا
بطول الحساب وتفقدت اصحابي فلم ار عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت ما خلفك عني
فقال اما والله يا رسول الله ما خلصت اليك حتى لقيت المشيبات وظننت اني لا اراك فقلت ولم قال كنت
احاسب بمالي فانظر الى هذا وعبد الرحمن بن عوف صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من
العشرة المخصوصين بانهم من اهل الجنة وهو من الاغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من
قال بالمال هكذا وهكذا ومع هذا فقد استضر بالغنى الى هذا الحد • ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل فقير و
لم ير له شيئا فقال لو قسم نور هذا على اهل الارض لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بملوك اهل
الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف اغبر اشعث ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وقال
عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل
لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نعم بابي انت وامي يا رسول الله فقام وقمت معه حتى
وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال السلام عليكم ءادخل فقالت ادخل بابي انت وامي يا رسول الله قال انا و
من معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ما علي الا عباءة قال
اصنعي بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت هذا جسدي فقد واريته فكيف براسي فالقى اليها ملاءة كانت عليه
خلقة فقال شدي بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليكم يا بنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله
وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر على طعام آكله فقد اضر بي الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم و
قال لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث واني لاكرم على الله منك ولو سالت ربي لاطعمني و
لكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة
قالت فاين آسية امراة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها
وخديجة سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ولا
نصب ثم قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة • وروي عن علي رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا ابغض الناس فقراءهم واظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم
رماهم الله باربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء

واما الآثار فقد قال ابو الدرداء رضي الله عنه ذو الدرهمين اشد حبسا او قال اشد حسابا من
ذي الدرهم • وارسل عمر رضي الله عنه الى سعيد بن عامر بالف دينار فجاء كئيبا حزينا فقالت امراته احدث
امر قال اشد من ذلك ثم قال ادني درعك الخلق فشقه وجعله صررا وفرقه ثم قام يصلي ويبكي الى الغداة
ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى ان الرجل
من الاغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج • وقال ابو هريرة ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب
رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين ورجل دعا بشرابه فلا يقال
له ايها تريد • وقيل جاء فقير الى مجلس الثوري فقال له تخط لو كنت غنيا ما قربتك وكان الاغنياء
من اصحابه يودون انهم فقراء لكثرة تقريبه الفقراء واعراضه عن الاغنياء • وقال المؤمل ما
رايت الغني اذل منه في مجلس الثوري ولا رايت الفقير اعز منه في مجلس الثوري • وقال بعض الحكماء
مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعا ولو رغب في الجنة كما يرغب
في الغنى لفاز بهما جميعا ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين
جميعا • وقال ابن عباس رضي الله عنه ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقر • وقال لقمان لابنه لا
تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد • وقال يحيى بن معاذ حبك للفقراء من
اخلاق المرسلين وايثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة
المنافقين • وفي الاخبار عن الكتب السالفة ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه احذر ان امقتك
فتسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صبا • ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تفرق مائة الف درهم في يوم واحد
يوجهها اليها معوية وابن عامر وغيرهما وان درعها لمرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم
لحما تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتني لفعلت • وكان قد اوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان اردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي درعا حتى ترقعيه • وجاء رجل الى ابرهيم بن ادهم بعشرة آلاف درهم فابى عليه ان يقبلها فطلب اليه الرجل
فقال ابرهيم تريد ان امحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا افعل

بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به • وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء
اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا فالاول للقانع وهذا للراضي ويكاد
يشعر هذا بمفهومه ان الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل
على ان له ثوابا كما سياتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله في حبس الدنيا عنه
ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب
الفقر • روي عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة حب
المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيمة • وروي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
احب العباد الى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى • وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
اجعل قوت آل محمد كفافا • وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا

واوحى الله تعالى الى اسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال ومن هم يا ربنا فيقول فقراء الصادقين وقال صلى الله عليه وسلم لا احد افضل من الفقير اذا كان راضيا وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيمة اين صفوتي من خلقي فيقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها وياكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون فهذا في القانع والراضي فاما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب ان شاء الله واما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى ان القناعة يضادها الطمع وقد قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وانه من ييأس عما في ايدي الناس وقنع استغنى عنهم وقال ابن مسعود ما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال ابو الدرداء رضي الله عنه ان الطمع فقر الا وفي عقله نقص وذلك انه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك وقيل كان ابرهيم بن ادهم من اهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصره ذات يوم اذ نظر الى رجل في فناء القصر وبيده رغيف ياكله فلما اكل نام فقال لبعض غلمانه اذا قام فجئني به فلما قام جاء به اليه فقال ابرهيم ايها الرجل اكلت الرغيف وانت جائع قال نعم قال ثم نمت طيبا قال نعم فقال ابرهيم في نفسه فما اصنع انا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر ومر رجل بعامر بن عبد قيس وهو ياكل ملحا وبقلا فقال يا عبد الله ارضيت من الدنيا بهذا فقال الا ادلك على من رضي بشر من هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن الآخرة وكان محمد بن واسع يخرج خبزا يابسا فيبله بالماء وياكله بالملح ويقول من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج الى احد وقال الحسن رحمه الله لعن الله اقواما اقسم الله عز وجل لهم ثم لم يصدقوه ثم قرأ وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق وكان ابو ذر يوما جالسا في الناس فاتته امرأته فقالت له تجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة فقال يا هذه ان بين ايدينا عقبة كؤدا لا ينجو منها الا كل مخف فرجعت وهي راضية وقال ذو النون اقرب الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له وقيل لبعض الحكماء ما مالك فقال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في ايدي الناس ويروى ان الله تعالى قال في بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا محسن اليك وقد قيل في القناعة

اضرع الى الله لا تضرع الى الناس ٭ واقنع بيأس فان العز في الياس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ٭ ان الغني من استغنى عن الناس

وقيل ايضا

يا جامعا مانعا والدهر يرمقه ٭ مقدرا اي باب منه يغلقه
مفكرا كيف تأتيه منيته ٭ اغاديا ام بها يسري فتطرقه
جمعت مالا ففكر هل جمعت له ٭ يا جامع المال اياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه ٭ ما المال مالك الا يوم تنفقه
ارفه ببال فتى يغدو على ثقة ٭ ان الذي قسم الارزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ما يدنسه ٭ والوجه منه جديد ليس يخلقه
ان القناعة من يحلل بساحتها ٭ لم يلق في ظلها هما يورقه

بيان فضل الفقر على الغنى

اعلم ان الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيد والخواص والاكثرون الى تفضيل الفقر وقال ابن عطاء الغني الشاكر القائم بحقه افضل من الفقير الصابر ويقال ان الجنيد دعا على ابن عطاء لمخالفته اياه في هذا فاصابته محنة وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الاعمال والاحوال وان ذلك لا يمكن الا بتفصيل واما الفقر والغنى اذا اخذا مطلقا لم يسترب من قرأ الاخبار والآثار في تفضيل الفقر ولا بد فيه من تفصيل فنقول انما يتصور الشك في مقامين احدهما فقير صابر ليس حريصا على الطلب بل هو قانع او راض بالاضافة الى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصا على امساك المال والثاني فقير حريص وغني حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من الغني الحريص الممسك وان الغني المنفق في الخيرات افضل من الفقير الحريص اما الاول فربما يظن ان الغني افضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذي ظنه ابن عطاء فيما نحسبه فاما الغني المتمتع بالمال ولو في مباح فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يستشهد له بما روي في الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما نال الاغنياء فتعلم الاغنياء ذلك فكانوا يقولونه فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد استشهد ابن عطاء ايضا لما سئل عن ذلك فقال الغني افضل لانه وصف الحق اما دليله الاول ففيه نظر لان الخبر قد روي مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك وهو ان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني وان فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد روى زيد بن اسلم عن انس بن مالك قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم احبهم قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقراء ان لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء اما خصلة واحدة فان في الجنة غرفا ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مؤمن فقير والثانية يدخل الجنة الفقراء قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني الفقير وان انفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا فهذا يدل على ان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اي مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم واما قوله ان الغني وصف الحق فقد اجابه بعض الشيوخ فقال أترى ان الحق غني بالاسباب والاعراض فانقطع ولم ينطق واجاب آخرون فقالوا التكبر من صفات الحق فينبغي ان يكون افضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقر افضل لان صفات العبودية افضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبيه عليه السلام الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته وقال سهل حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لانه من صفات الرب تعالى فمن هذا الجنس تكلموا في الغنى والفقر وحاصل ذلك يتعلق بعمومات تقبل التأويل وبكلمات قاصرة لا يبعد مناقضتها اذ كما يناقض قول من فضل الغني بانه صفة الحق بالتكبر فكذلك

يناقض قول من فضل الفقر لانه وصف العبد بالجهل والغفلة لان العلم والمعرفة وصف الرب والجهل والغفلة وصف العبد وليس لاحد ان يفضل الغفلة على العلم فكشف الغطاء في هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو ان ما يراد لعينه لا يراد لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن لكونها عائقة عن الوصول الى الله تعالى ولا الفقر مطلوب لعينه ولكن لان فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكم من غني لم يشغله الغنى مثل سليمن عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا اذ لا يجتمع معه حب الله في القلب والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه او في وصاله وربما يكون شغله في الفراق اكثر وربما يكون في الوصال اكثر والدنيا معشوقة الغافلين المحروم عنها مشغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها فاذن ان فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد اذ كل واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة افضل من فقده اذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة وان اخذت الامر باعتبار الاكثر فالفقير عن الخطر ابعد اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا يقدر ولذلك قال الصحابة رضي الله عنهم بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر وهذه خلقة الآدميين كلهم الا الشاذ الفذ الذي لا يوجد في الاعصار الكثيرة الا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر والضراء اصلح للكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن الغنى وذمه الله وفضل الفقر ومدحه حتى قال عيسى عليه السلام لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض العلماء تقليب الاموال يمص حلاوة الايمان وفي الخبر لكل امة عجل وعجل هذه الامة الدينار والدرهم وكان اصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة ايضا فاستواء المال والماء والذهب والحجر انما يتصور للانبياء والاولياء ثم يتم لهم بعد ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة اذ كان النبي عليه السلام يقول للدنيا اليك عني اذ كانت تتمثل له بزينتها وكان علي رضي الله عنه يقول يا صفراء غري غيري ويا بيضاء غري غيري وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادي الاغترار بها لولا ان رأى برهان ربه وذلك هو الغنى المطلق اذ قال عليه السلام ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس واذا كان ذلك بعيدا فاذن الاصلح لكافة الخلق فقد المال وان تصدقوا به وصرفوه الى الخيرات لانهم لا ينفكون في القدرة على المال عن انس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة في بذلها وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم وبقدر ما يانس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ومهما انقطعت اسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب اذا تجافى عما سوى الله وكان مؤمنا بالله انصرف لا محالة الى الله اذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود الا الله وغيره فمن اقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن اقبل عليه فقد تجافى عن غيره ويكون اقباله على احدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من احدهما بقدر بعده من الآخر ومثالهما مثل المشرق والمغرب فانهما جهتان فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب من

احدهما

احدهما يبعد من الآخر بل عين القرب من احدهما هو عين البعد من الآخر فعين حب الدنيا هو عين بغض حب الله فينبغي ان يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوبه عن الدنيا وانسه به فاذن فضل الغني والفقير بحسب تعلق قلبيهما بالمال فقط فان تساويا فيه تساوت درجتهما الا ان هذا مزلة قدم وموضع غرور فان الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به وانما يشعر به اذا فقده فليجرب نفسه بتفريقه واذا سرق منه فان وجد لقلبه اليه التفاتا فليعلم انه كان مغرورا فكم من رجل باع سرية له لظنه انه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتحقق اذ ذاك انه كان مغرورا فكم من رجل باع سرية له لظنه انه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فتحقق اذ ذاك انه كان مغرورا وان العشق كان مستكنا في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد وهذا حال كل الاغنياء الا الانبياء والاولياء واذا كان ذلك محالا او بعيدا فلنطلق القول بان الفقر اصلح لكافة الخلق وافضل لان علاقة الفقير وانسه بالدنيا اضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فان حركات اللسان ليست مرادة لاعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور فلا يكون تاثيره في اثارة الانس في قلب فارغ عن غير المذكور كتاثيره في قلب مشغول ولذلك قال بعض السلف مثل من تعبد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفي النار بالحلفاء ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك وقال ابو سليمن الداراني رحمه الله تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها افضل من عبادة غني الف عام وعن الضحاك قال من دخل السوق فرأى شيئا يشتهيه فصبر واحتسب كان خيرا له من الف دينار ينفقها كلها في سبيل الله وقال رجل لبشر بن الحارث ادع الله لي فقد اضر بي العيال فقال اذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع لي في ذلك الوقت فان دعاءك افضل من دعائي وكان يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد الحسناء وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء وقد قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه اللهم اني اسالك الذل عند النصف من نفسي والزهد فيما جاوز الكفاف واذا كان مثل الصديق في كمال حاله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في ان فقد المال اصلح من وجوده هذا مع ان احسن احوال الغني ان يأخذ حلالا وينفق طيبا ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيمة ويطول انتظاره ومن نوقش في الحساب فقد عذب ولهذا تاخر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان مشغولا بالحساب كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال ابو الدرداء ما احب ان لي حانوتا على باب المسجد ولا تخطيني فيه صلوة وذكر واربح كل يوم اربعين دينارا واتصدق بها في سبيل الله قيل وما تكره قال سوء الحساب ولذلك قال شقيق اختار الفقراء ثلاثة اشياء واختار الاغنياء ثلاثة اشياء اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الاغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب وما ذكره ابن عطاء من ان الغنى وصف الحق فهو افضل صحيح ولكن اذا كان العبد غنيا عن وجود المال وعدمه جميعا بان يستوي عنده كلاهما فاما اذا كان غنيا بوجوده ومفتقرا الى بقائه

فلا يضاهي غناه غنى الله تعالى لان الله تعالى غنى بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور ان يسرق وما ذكر في الرد عليه من ان الله تعالى ليس غنيا بالاسباب والاعراض صحيح في ذم غني يريد بقاء المال وما ذكر من ان صفات الحق لا تليق بالعبد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو افضل شي للعبد بل منتهى العبد ان يتخلق باخلاق الله وقد سمعت بعض المشايخ يقول ان سالك الطريق الى الله قبل ان يقطع الطريق تصير الاسماء التسعة والتسعون اوصافا له اي يكون له من كل واحد نصيب واما التكبر فلا يليق بالعبد فان التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله واما التكبر على من يستحقه كتكبر المومن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فيليق به نعم قد يراد بالكبر الزهو والصلف والايذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى وانما وصف الله تعالى انه اكبر من كل شي وانه يعلم انه كذلك والعبد مامور بان يطلب اعلى المراتب ان قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس فعلى العبد ان يعلم ان المومن اكبر من الكافر والمطيع اكبر من العاصي والعالم اكبر من الجاهل والانسان اكبر من البهيمة والجماد والنبات واقرب الى الله منها فلو راى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها لكان صفة الكبر حاصلة له ولائقة به وفضيلة في حقه الا انه لا سبيل له الى معرفته فان ذلك موقوف على الخاتمة وليس يدري الخاتمة كيف تكون وكيف تتفق فلجهله بذلك وجب ان لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر اذ ربما يختم للكافر بالايمان وقد يختم له بالكفر فلم يكن ذلك لائقا به لقصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور ان يعلم الشي على ما هو عليه كان العلم كمالا في حقه لانه من صفات الله ولما كان معرفة بعض الاشياء قد تضره صار ذلك العلم نقصا في حقه اذ ليس من وصف الله علم يضره فمعرفة الامور التي لا ضرر فيها هي التي تتصور في العبد من صفات الله فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الانبياء والاولياء والعلماء فاذن لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهي نوعا من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة اما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه اصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع الى حال الغني الشاكر المقام الثاني في نسبة حال الفقير الحريص الى الغني الحريص ولنفرض ذلك في شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقد وحالة الوجود فاي حالتيه افضل فنقول ينظر فان كان مطلوبه ما لا بد منه في المعيشة وكان قصده ان يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود افضل لان الفقد يشغله بالطلب وطالب القوت لا يقدر على الذكر والفكر الا قدرة مدخولة بشغل والمكفي هو القادر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال كاد الفقر ان يكون كفرا اي الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وان كان المطلوب فوق الحاجة او كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحالة الفقد اصلح وافضل لانهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في ان كل واحد ليس يقصد الاستعانة على طريق الدين واستويا في ان كل واحد ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن افترقا في ان الواجد يانس بما وجده فيتاكد حبه في قلبه ويطمئن الى الدنيا والفاقد المضطر بحيا

قلبه ويكون الدنيا عنده مثل السجن الذي يبغي الخلاص منه ومهما استوت الامور كلها وخرج من الدنيا رجلان احدهما اشد ركونا الى الدنيا فحاله اشد لا محالة اذ يلتفت قلبه الى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تاكد انسه بالدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وهذا تنبيه على ان فراق المحبوب شديد فينبغي ان تحب من لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا فانك اذا احببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون اذاه في فراقه بقدر حبه وقدر انسه به وانس الواجد للدنيا بالدنيا اكثر من انس الفاقد لها وان كان حريصا عليها فاذن قد انكشف بهذا التحقيق ان الفقر هو الاشرف والافضل والاصلح لكافة الخلق الا في موضعين احدهما غنى مثل غنى عائشة رضي الله عنها يستوي عندها الوجود والعدم فيكون الوجود مزيدا لها اذ تستفيد به ادعية الفقراء والمساكين وجمع هممهم والثاني الفقر عن مقدار الضرورة فان ذلك يكاد ان يكون كفرا ولا خير فيه بوجه من الوجوه الا اذا كان وجوده يبقي حياته ثم يستعين بقوته على الكفر والمعاصي ولو مات جوعا لكانت معاصيه اقل فالاصلح له ان يموت جوعا ولا يجد ما يضطر اليه ايضا فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر ويبقى النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غني دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقده فهذا في محل النظر والاظهر ان بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما بفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند الله فيه بيان ادب الفقير في فقره اعلم ان للفقير آدابا في باطنه وظاهره ومخالطته وافعاله ينبغي ان يراعيها فاما ادب باطنه فان لا يكون فيه كراهة لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر اعني انه لا يكون كارها فعل الله من حيث انه فعله وان كان كارها للفقر كالمحجوم يكون كارها للحجامة لتالمه بها ولا يكون كارها فعل الحجام ولا كارها للحجام بل ربما يتقلد منه منة فهذا اقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله عليه السلام يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وارفع من هذا ان لا يكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وارفع منه ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلا في باطنه على الله وواثقا به في قدر ضرورته انه ياتيه لا محالة ويكون كارها للزيادة على الكفاف وقد قال علي رضي الله عنه ان لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامة الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله على فقره ومن علامته اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء وهذا يدل على ان كل فقير ليس بمحمود بل الذي لا يتسخط او يرضى او يفرح بالفقر لعلمه بثمرته اذ قيل ما اعطي عبد شيئا من الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة اثلاث شغل وهم وطول حساب واما ادب ظاهره فان يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستر انه يستره ففي الحديث ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف ابا العيال وقال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال سفين افضل الاعمال التجمل عند المحنة وقال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر

وامّا في اعماله فادبه ان لا يتواضع لغني لاجل غناه بل يتكبر عليه قال علي رضي الله عنه ما احسن تواضع
الغني للفقير رغبة في ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل فهذه رتبة وادنى
منها ان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك من مبادي الطمع قال الثوري رحمه الله
اذا خالط الفقير الاغنياء فاعلم انه مراء واذا خالط السلطان فاعلم انه لص وقال بعض العارفين
اذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته فاذا سكن اليهم ضل
وينبغي ان لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للاغنياء وطمعا في العطاء وامّا ادبه في افعاله فان
لا يفتر بسبب الفقر عن عبادة ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من
اموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى وروي عن زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم من
الصدقة افضل عند الله من مائة الف درهم قيل وكيف ذاك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف
درهم فتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة بها نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب
المائة الالف وينبغي ان لا يدخر مالا بل ياخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلاث درجات احدها
ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين والثانية ان يدخر لاربعين يوما فان ما زاد عليه داخل
في طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة في امل الحياة اربعين
يوما وهذه درجة المتقين والثالثة ان يدخر لسنة وهي اقصى المراتب وهي رتبة الصالحين ومن
زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف في طمانينة
قلبه في قوت سنة وغنى الخصوص في اربعين يوما وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة **بيان آداب الفقير
في قبول العطاء اذا جاءه بغير سؤال** ينبغي ان يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة امور نفس المال وغرض المعطي
وغرضه في الاخذ اما نفس المال فينبغي ان يكون حلالا خاليا عن الشبهات كلها فان كان فيه شبهة فليحترز
من اخذه وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب واما غرض المعطي فلا
يخلو اما ان يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية او الثواب وهو الصدقة والزكوة او الذكر والرياء
والسمعة اما على التجرد واما ممزوجا ببقية الاغراض اما الاول وهو الهدية فلا باس بقبولها فان قبولها
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ينبغي ان لا يكون فيها منة وان كان فيها منة فالاولى تركها فان علم
ان بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض فقد اهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم سمن واقط وكبش
وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال لقد هممت ان لا اتهب الا من قرشي او انصاري
او ثقفي او دوسي وفعل هذا جماعة من التابعين وجاءت الى فتح الموصلي رحمه الله صرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا
عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اتاه رزق من غير مسئلة فرده فانما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة
فاخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن يروي هذا الحديث ايضا ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة من رقيق
ثياب خراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله عز وجل يوم القيمة وليس له خلاق
وهذا يدل على ان امر الواعظ والعالم اشد في قبول العطاء وقد كان الحسن يقبل من اصحابه وكان ابرهيم التيمي
يسال اصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويعرض عليه غيرهم المائتين فلا ياخذ وكان بعضهم اذا اعطاه صديقه شيئا
قال اتركه عندك وانظر ان كنت بعد قبوله في قلبك افضل مني قبل القبول فاخبرني حتى آخذه والا فلا وامارة

هذا ان يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه في قبول صديقه هديته فان علم انه يمازجه
منة فاخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين وقال بشر ما سالت احدا شيئا الا
سريا السقطي لانه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم ببقائه عنده فيكون
عونا له على ما يحب وجاء خراساني الى الجنيد بمال وساله ان ياكله فقال افرقه على الفقراء
فقال ما اريد هذا فقال ومتى اعيش حتى اكل هذا فقال ما اريد ان تنفقه في الخل والبقل
بل في الحلواء والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراساني ما اجد ببغداد امن علي منك
فقال الجنيد ولا ينبغي ان يقبل الا من مثلك الثاني ان يكون للثواب المجرد وذلك صدقة او
زكوة فعليه ان ينظر في صفات نفسه انه هل هو مستحق للزكوة فان اشتبه عليه فهو في محل
شبهة وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب اسرار الزكوة وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر
الى باطنه فان كان مقارفا لمعصية في السر يعلم ان المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب الى الله
بالتصدق عليه فهذا حرام اخذه كما لو اعطاه لظنه انه عالم او علوي ولم يكن فان اخذه حرام محض لا شبهة فيه
الثالث ان يكون غرضه الشهرة والرياء والسمعة فينبغي ان يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله اذ يكون معينا
له على غرضه الفاسد وكان سفيان الثوري رحمه الله يرد ما يعطى ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك
افتخارا به لاخذت وعوتب بعضهم في رده ما كان ياتيه من صلة فقال انما ارد صلتهم اشفاقا
ونصحا لانهم يذكرون ذلك افتخارا ويحبون ان يعلم به فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم واما
غرضه في الاخذ فينبغي ان ينظر اهو محتاج اليه ام لا فان كان محتاجا اليه فيما لا بد منه او هو مستغن
عنه فان كان محتاجا اليه وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في المعطي فالافضل له الاخذ قال
النبي صلى الله عليه وسلم ما المعطي من سعة باعظم اجرا من الآخذ اذا كان محتاجا وقال صلى
الله عليه وسلم من اتاه شيء من هذا المال من غير مسئلة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه
الله اليه وفي لفظ آخر فلا يرده وقال بعض العلماء من اعطي ولم ياخذ سال ولم يعط وقد
كان سري السقطي يوصل الى احمد بن حنبل شيئا فيرده فقال له السري يا احمد احذر آفة
الرد فانها اشد من آفة الاخذ فقال له احمد اعد علي ما قلت فاعاده فقال احمد ما رددت
عليك الا لان عندي قوت شهر فاحبسه لي عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الي وقد قال العلماء
يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع او دخول في شبهة او غيره فاما اذا كان
ما اتاه زائدا على حاجته فلا يخلو اما ان يكون حاله الاشتغال بنفسه او التكفل بامور الفقراء
والانفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء فان كان مشغولا بنفسه فلا وجه لاخذه
وامساكه ان كان طالبا طريق الآخرة فان ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس لله فهو
في سبيل الشيطان او داع اليه ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه ثم له مقامان احدهما
ان ياخذ في العلانية ويرد في السر او يفرق في السر وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس
لا يطيقه الا من اطمانت نفسه بالرياضة والثاني ان يترك ولا ياخذ ليصرفه صاحبه الى من هو احوج منه
او ياخذ ويوصل الى من هو احوج فيفعل كلاهما في السر وكلاهما في العلانية وقد ذكرنا ان الافضل اظهار

الاخذ واخفائه في كتاب اسرار الزكوة مع جملة من احكام الفقر فليطلب من موضعه واما امتناع احمد عن قبول عطاء سري السقطي رحمهما الله فانما كان لاستغنائه عنه اذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه ان يشتغل باخذه وصرفه الى غيره فان في ذلك آفات واخطارا والورع يكون حذورا من مظان الآفات اذ لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم اعددتها للانفاق في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى فنظرت فاذا عليه خلقان لا يكاد يواريه فقلت في نفسي لا اجد لدراهمي موضعا احسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها فاخذ منها خمسة دراهم فقال اربعة ثمن مئزرين وواحد انفقه ثلاثا فلا حاجة لي الى الباقي قال فرأيته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان فهجس في نفسي منه شيء فالتفت الي فاخذ بيدي فاطافني معه اسبوعا كل شوط منها في جوهر من معادن الارض يتخشخش تحت اقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس فقال هذا كله قد اعطانيه فزهدت فيه وآخذ من ايدي الخلق لان هذه اثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود ان الزيادة على قدر الحاجة انما يأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال تع انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فاذا انت في اخذ الحاجة من هذه الثلاث مثاب وفيما زاد عليه ان لم تعص الله تع متعرض للحساب وان عصيت الله تع فانت متعرض للعذاب ومن الاختبار ايضا ان تعزم على ترك لذة من اللذات تقربا الى الله تع وكسرا لصفة النفس فتأتيك عفوا صفوا ليمتحن بها قوة عقدك فالاولى الامتناع عنها فان النفس اذا رخص لها في نقض العزم الفت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد فان اخذته وصرفته الى محتاج فهو غاية الزهد ولا يقدر عليه الا الصديقون فاما اذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء فخذ ما زاد على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء وبادر به الى الصرف اليهم ولا تدخرن امساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار فربما يحلو في قلبك فتمسكه فيكون فتنة عليك وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة الى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب وذلك محض الهلاك ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله ان يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة فان رزقه الله من حلال قضاه وان مات قبل القضاء قضى الله تع عنه وارضى غرماءه وذلك بشرط ان يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على اقراضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب ان يقضى من مال بيت المال ومن الزكوات وقد قال تع ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله قيل معناه ليبع احد ثوبيه وقيل معناه فليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله وقال بعضهم لله عباد ينفقون على قدر بضائعهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تع ومات بعضهم فاوصى

بماله لثلاث طوائف الاقوياء والاسخياء والاغنياء فقيل من هؤلاء قال اما الاقوياء فهم اهل التوكل على الله تع واما الاسخياء فهم اهل حسن الظن بالله تع واما الاغنياء فهم اهل الانقطاع الى الله فاذن مهما وجدت هذه الشروط فيه وفي المال وفي المعطي فليأخذه وينبغي ان يرى ما يأخذه من الله لا من المعطي لان المعطي واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر اليه بما سلط عليه من الدواعي والارادات والاعتقادات وقد حكي ان بعض الناس دعا شقيقا في خمسين من اصحابه فوضع الرجل مائدة حسنة فلما قعد قال لاصحابه ان هذا الرجل يقول من لم ير اني صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا كان دونهم في الدرجة فقال صاحب المنزل لشقيق ماذا قصدت بهذا فقال اردت ان اختبر توحيد اصحابي كلهم وقال موسى عليه السلام يا رب جعلت رزقي هكذا على ايدي بني اسرائيل يغديني هذا يوما ويعشيني هذا ليلة فاوحى الله تع اليه هكذا اصنع باوليائي اجري ارزاقهم على ايدي البطالين من عبادي ليؤجروا فيهم فلا ينبغي ان يرى المعطي الا من حيث انه مسخر مأجور

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر اليه

اعلم انه قد وردت مناه في السؤال وتشديدات وورد فيه ايضا ما يدل على الرخصة اذ قال صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس وفي الحديث ردوا السائل ولو بظلف محرق ولو كان السؤال حراما مطلقا لما جاز اعانة المعتدي على عدوانه والاعطاء اعانة فالكاشف للغطاء فيه ان السؤال حرام في الاصل وانما يباح بضرورة او حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام وانما قلنا ان الاصل فيه التحريم لانه لا ينفك عن ثلاثة امور محرمة الاول اظهار الشكوى من الله اذ السؤال اظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله عنه وهو عين الشكوى وكما ان العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله تشنيعا على سيده فكذا سؤال العباد تشنيع على الله تع وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا بضرورة كما تحل الميتة والثاني ان فيه اذلال السائل نفسه لغير الله تع وليس للمؤمن ان يذل نفسه بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه عزه فاما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي ان يذل لهم الا بضرورة وفي السؤال ذل للسائل بالاضافة الى المسؤول والثالث انه لا ينفك عن ايذاء المسؤول غالبا لانه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيبة قلب منه فان بذل حياء من السائل او رياء فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحيى وتأذى في نفسه بالمنع اذ يرى نفسه في صورة البخلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو السبب في الايذاء والايذاء حرام الا بضرورة ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فهمت قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال مسألة الناس من الفواحش ما احل من الفواحش غيرها فانظر كيف سماها فاحشة ولا يخفى ان الفاحشة تباح بضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها وقال صلى الله عليه وسلم من سأل عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم وفي لفظ آخر كانت مسألته خدوشا وكدوحا في وجهه وهذه الالفاظ صريحة في التحريم والتشديد وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام واشترط عليهم السمع

والطاعة ثم قال كلمة خفية ولا تسالوا الناس شيئا فكان صلى الله عليه وسلم يامر كثيرا بالتعفف
عن السؤال ويقول من سالنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله وقال ومن لم يسالنا فهو احب
الينا وقال صلى الله عليه وسلم استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك
يا رسول الله قال ومني وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسال بعد المغرب فقال لواحد من قومه
عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانيا يسال فقال الم اقل لك عش الرجل فقال قد عشيته فنظر
عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم اخذ المخلاة ونثرها
بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لا تعد ولولا ان سؤاله كان حراما لما ضربه ولا اخذ مخلاته يدي
ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول اما ضربه
فهو تاديب وقد ورد الشرع بالتعزير فاما اخذ ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بالمال فكيف
استجازه وهذا استبعاد مصدره القصور في الفقه فاين يظهر الفقهاء كلهم في حوصلة عمر
بن الخطاب رضي الله عنه واطلاعه على اسرار دين الله ومصالح عباده افترى انه لم يعلم ان المصادرة
بالمال غير جائزة او علم ذلك ولكن اقدم عليه غضبا في معصية الله وحاشاه او اراد الزجر بالمصلحة بغير
طريق شرعه النبي صلى الله عليه وسلم وهيهات فان ذلك ايضا معصية بل الفقه الذي لاح له فيه
انه رآه مستغنيا عن السؤال وعلم ان من اعطاه شيئا فانما اعطاه على اعتقاد انه محتاج وقد كان
كاذبا فلم يدخل في ملكه باخذه مع التلبيس وعسر تمييز ذلك ورده الى اصحابه اذ لا يعرف اصحابه
باعيانهم فبقي مالا لا مالك له فوجب صرفه الى المصالح وابل الصدقة وعلفها من المصالح ويتنزل
اخذ السائل مع اظهار الحاجة كاذبا كاخذ العلوي بقوله اني علوي وهو كاذب فانه لا يملك ما ياخذ
وكاخذ الصوفي والصالح الذي يعطى لصلاحه وهو في الباطن مقارف معصية لو عرفها المعطي لما
اعطاه وقد ذكرنا في مواضع ان ما اخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم
الرد على مالكيه فاستدل بفعل عمر رضي الله عنه على صحة هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير من
الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر رضي
الله عنه فاذ عرفت ان السؤال يباح بضرورة فاعلم ان الشيء اما ان يكون مضطرا اليه
او محتاجا اليه حاجة مهمة او حاجة خفيفة او مستغنى عنه فهذه اربعة احوال اما المضطر اليه
فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا او مرضا وسؤال العاري وبدنه مكشوف ليس معه ما
يواريه وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط في المسؤول بكونه مباحا والمسؤول منه بكونه
راضيا في الباطن وفي السائل بكونه عاجزا عن الكسب فان القادر على الكسب وهو بطال
ليس له السؤال الا اذا استغرق طلب العلم اوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة
واما المستغني فهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله وامثاله فسؤاله حرام قطعا و
هذان طرفان واضحان واما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذي يحتاج الى دواء ليس
يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكنه لا يخلو عن خوف وكمن له جبة ولا قميص تحتها في الشتاء وهو
يتاذى بالبرد تاذيا لا ينتهي الى حد الضرورة وكذلك من يسال لاجل الكراء وهو قادر على

المشي

المشي بمشقة فهذا ايضا ينبغي ان يسترسل عليه الاباحة لانها ايضا حاجة محققة ولكن الصبر عنها اولى
وهو بالسؤال تارك للاولى ولا يسمى سؤاله مكروها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتي
قميص والبرد يؤذيني اذى اطيقه ولكن يشق علي فاذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله ان
شاء الله واما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصا ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الخروق
من ثيابه عن اعين الناس وكمن يسال لاجل الادم وهو واجد للخبز وكمن يسال الكراء للفرس في الطريق
وهو واجد كراء الحمار او يسال كراء المحمل وهو قادر على الراحلة فهذا ان كان فيه تلبيس حال باظهار حاجة
غير هذه فهو حرام وان لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة من الشكوى والذل وايذاء المسؤول فهو
حرام لان مثل هذه الحاجة لا تصلح لان تباح بها هذه المحذورات وان لم يكن فيها شيء من ذلك فهو
مباح مع الكراهة فان قلت فكيف يمكن اخلاء السؤال عن هذه المحذورات فاعلم ان الشكوى
تندفع بان يظهر الشكر لله تعالى والاستغناء عن الخلق ولا يسال سؤال محتاج ولكن يقول انا مستغن
بما املكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة على الحاجة وفضول من النفس فيخرج
به من حد الشكوى واما الذل فبان يسال اباه او قريبه او صديقه الذي يعلم انه لا ينقصه ذلك في
عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله او الرجل السخي الذي قد اعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله وتتقلد
منه منة بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك فان الذل لازم للمنة لا محالة واما الايذاء فسبيل الخلاص
عنه ان لا يعين شخصا بالسؤال بعينه بل يلقي الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق
الرغبة وان كان في القوم شخص مرموق لو لم يبذل لكان يلام فهذا ايذاء فانه ربما يبذل كرها خوفا
من الملامة وكان الاحب اليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير ملامة واما اذا كان يسال معينا
فينبغي ان لا يصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيل الى التغافل ان اراد فاذا لم يتغافل مع القدرة عليه
فذلك لرغبته وانه غير متاذ به وينبغي ان يسال من لا يستحيي منه لو رده او تغافل فان الحياء من
السائل يؤذي كما ان الرياء مع غير السائل يؤذي فان قلت فاذا اخذ مع العلم بان باعث المعطي هو الحياء
منه او من الحاضرين ولولاه لما ابتدأه به فهو حلال او شبهة فاقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين
الامة وحكمه حكم اخذ مال الغير بالضرب والمصادرة اذ لا فرق بين ان يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب
او يضرب باطن قلبه بسياط الحياء وخوف الملام وضرب الباطن اشد نكاية في قلوب العقلاء ولا
يجوز ان يقال هو في الظاهر قد رضي به وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر
فان هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات اذ لا يمكن ردهم الى البواطن وقرائن الاحوال فاضطروا
الى الحكم بظاهر اللسان مع انه ترجمان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت اليه وهذا سؤال عما
بين العبد وبين الله والحاكم فيه احكم الحاكمين والقلوب عنده كالالسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في
مثل هذا الا الى قلبك وان افتوك وافتوك فان المفتي معلم القاضي والسلطان ليحكموا في عالم
الشهادة ومفتي القلوب هم علماء الآخرة وبفتواهم النجاة عن سطوة سلطان الآخرة كما ان بفتوى
الفقيه النجاة عن سطوة سلطان الدنيا فان ما ياخذه مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله ويجب عليه
رده على صاحبه فان كان يستحيي من ان يسترده ولم يسترده فعليه ان يثيبه على ذلك بما يساوي

قيمته في معرض الهدية والمقابلة ليتفصى عن عهدته فان لم يقبل هديته فعليه ان يرد ذلك الى
ورثته فان تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي
حصل به الاذى **فان قلت** فهذا امر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل فيه فربما يظن السائل
انه راض ولا يكون هو في الباطن راضيا **فاقول** لهذا ترك المتقون السؤال راسا فما كانوا ياخذون
من احد شيئا اصلا فكان بشر لا ياخذ من احد اصلا الا من السري وقال لاني علمت انه يفرح بخروج ج
المال من يده فانا اعينه على ما يحبه وانما عظم النكير في السؤال والامر بتعفف هذا لان هذا الاذى
انما يحل بضرورة وهو ان يكون مشرفا على الهلاك ولم يبق له سبيل الى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة
واذى فيباح له ذلك كما يباح له لحم الخنزير واكل الميتة فكان الامتناع طريق الورعين ومن ارباب
القلوب من كان واثقا ببصيرته في الاطلاع على قرائن الاحوال فكانوا ياخذون من بعض الناس دون
البعض ومنهم من كان لا ياخذ الا من اصدقائه ومنهم من كان ياخذ مما يعطى بعضا ويرد بعضا
كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكبش والاقط وكان هذا فيما ياتيهم من غير سؤال فان ذلك لا يكون
الا عن رغبة ولكن قد يكون رغبته طمعا في جاه او طلبا لرياء وسمعة فكانوا يحترزون من ذلك
فاما السؤال فقد امتنعوا عنه راسا الا في موضعين احدهما الضرورة فقد سال ثلاثة من الانبياء
في موضع الضرورة سليمن وموسى والخضر عليهم السلام ولا شك في انهم ما سالوا الا من علموا انه يرغب فيه
والثاني السؤال من الاصدقاء والاخوان فقد كانوا ياخذون مالهم بغير سؤال واستيذان لان
ارباب القلوب علموا ان المطلوب رضى القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم انهم كانوا يفرحون
بمباسطتهم فاذا كانوا يسالون الاخوان عند شكهم في اقتدار اخوانهم على ما يريدونه والا كانوا يستغنون
عن السؤال وحد اباحة السؤال ان تعلم ان المسئول بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتداك دون
السؤال فلا يكون لسؤالك تاثير الا في تعريف حاجتك فاما في تحريكه بالحياء واثارة داعيته بالحيل
فلا ويتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في رضى الباطن وحالة لا يشك في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة
الاحوال فالاخذ في الحالة الاولى حلال طلق وفي الثانية حرام سحت ويتردد بين الحالتين تشك
فيها فليستفت فيها قلبه وليترك حزاز القلب فانه الاثم وليدع ما يريبه الى ما لا يريبه وادراك ذلك
بقراين الاحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته فان قوي الحرص وضعف الفطنة
تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقراين الدالة على الكراهة وبهذه الدقايق تطلع على سر قول النبي
صلى الله عليه وسلم حيث قال ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وقد اوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم لان من لا كسب
له ولا مال ورثه من كسب ابيه او احد اقربيه فياكل من ايدي الناس ان علمت ان جميع ما ياكله او
اكثره سحت وان الطيب هو الكسب الذي اكتسبته انت او مورثك فاذن بعيد ان يجتمع الورع
مع الاكل من ايدي الناس فنسال الله تع ان يقطع طمعنا عن غيره وان يغنينا بحلاله عن حرامه بمنه
وسعة جوده **بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال** اعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم من سال عن
ظهر غنى فانما يسال جمرا فليستقل منه او ليستكثر صريح في التحريم ولكن حد الغنى مشكل وتقديره
عسير وليس الينا وضع المقادير بل نستدرك ذلك بالتوقيف وقد ورد في الحديث استغنوا بغنى

الله تع قالوا وما هو قالوا غداء يوم او عشاء ليلة وفي حديث آخر من سال وله خمسون درهما او عدلها من الذهب
فقد سال الحافا وورد في لفظ آخر اربعون درهما ومهما اختلفت التقديرات وصحت الاخبار فينبغي ان يقطع بورودها
على احوال مختلفة فان الحق في نفسه لا يكون الا واحدا والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك الا بتقسيم
محيط باحوال المحتاجين **فنقول** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا في ثلاث
طعام يقيم صلبه وثوب يواري به عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فلنجعل هذه الثلاث اصلا
في الحاجات لبيان اجناسها والنظر في الاجناس والمقادير والاوقات **فاما الاجناس** فهي هذه
الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكرا للمسافر اذا كان لا يقدر على المشي وكذلك ما يجري
مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفالته **واما المقادير** فالثوب
يراعى فيه ما يليق بذوي الدين وهو ثوب واحد قميص ومنديل وسراويل ومداس فاما الثاني من
كل جنس فهو مستغنى عنه وليقس على هذا اثاث البيت جميعه ولا ينبغي ان يطلب دقة الثياب وكون
الاواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف فان ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد
من النوع على اخس اجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة **واما الطعام** فقدره في اليوم مد
وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان الشعير والادم على الدوام فضلة وقطعه بالكلية
اضرار ففي طلبه في بعض الاحوال رخصة واما المسكن فاقله ما يجزي من حيث المقدار وذلك
من غير زينة فاما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى **واما بالاضافة الى الاوقات**
فما يحتاج اليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه وماوى يكنه فلا يشك فيه فاما سؤاله
للمستقبل فهذا له ثلاث درجات **احدها** ما يحتاج اليه في غد **والثانية** ما يحتاج اليه الى اربعين
يوما او خمسين يوما **والثالثة** ما يحتاج اليه في السنة ولنقطع بان من معه ما يكفيه له ولعياله
ان كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فان ذلك غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في
الحديث فان خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة اذا اقتصد اما المعيل فربما لا يكفيه ذلك وان
كان يحتاج اليه قبل السنة وان كان قادرا على السؤال ولا يفوته فرصته فلا يحل له السؤال لانه مستغن
في الحال وربما لا يعيش الى الغد فيكون قد سال ما لا يحتاج اليه فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة
وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وان كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه
لو اخر فيباح له السؤال لان امل البقاء سنة غير بعيد فهو بتاخير السؤال خائف ان يبقى
مضطرا عاجزا عما يعينه فان كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان ما لاجله السؤال
خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهة ويكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار
وخوف الفوت وتراخي المدة التي فيها يحتاج الى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد
العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله عز وجل فيستفتي فيه قلبه ويعمل به ان كان سالكا طريق الاخرة
وكلما كان يقينه اقوى وثقته بمجيء الرزق في المستقبل اتم وقناعته بقوت الوقت اظهر فدرجته
عند الله اعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعيالك الا من ضعف اليقين
والاصغاء الى تخويف الشيطان وقد قال الله تع فلا تخافوهم وخافوني ان كنتم مؤمنين **وقال** تع

الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء اي بالبخل والسؤال من الفحشاء الذي ابيح بالضرورة وحال من
يسأل لحاجة متراخية عن يومه وان كان مما يحتاج اليه في السنة اشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره
لحاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهر ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الامل
وعدم الثقة بفضل الله وهذه الخصلة من امهات المهلكات **بيان احوال السائلين**
كان بشر رحمه الله يقول الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان أعطي لم يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين
وفقير لا يسأل وان اعطي اخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس وفقير يسأل عند الفاقة فهذا مع
الصادقين من اصحاب اليمين فاذن قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى انه مع الفاقة يحط المرتبة
والدرجة وقال ابرهيم بن ادهم لشقيق بن ابرهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء
من اصحابك قال تركتهم ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال فقد
اثنى عليهم غاية الثناء فقال ابرهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال شقيق فكيف الفقراء عندك
يا ابا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا آثروا فقبل راسه وقال صدقت يا
استاذ فاذن درجات ارباب الاحوال في الرضى والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك
طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة اقسامها واختلاف درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الرقي
من حضيضها الى يفاعها ومن اسفل السافلين الى اعلى عليين وقد خلق الانسان في احسن تقويم ثم رد
الى اسفل سافلين ثم امر بان يترقى الى اعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الترقي قطعا
وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما يقدر عليه وارباب الاحوال قد تغلبهم حالة تقتضي ان يكون
السؤال مزيدا لهم في درجاتهم ولكن بالاضافة الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روي
ان بعضهم راى ابا الحسين النوري رحمه الله يمد يده ويسأل الناس في بعض المواطن قال فاستعظمت
ذلك واستقبحته له فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسأل الناس الا ليعطيهم
انما سألهم ليثيبهم من الآخرة فيوجرون من حيث لا يضرهم وكانه اشار به الى قوله صلى الله عليه وسلم
يد المعطي هي العليا فقال بعضهم يد المعطي هي يد الآخذ لما له لانه يعطي الثواب والقدر له لا لما
يأخذه ثم قال قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة والقاها على المائة ثم قال
احملها اليه فقلت في نفسي انما يوزن الشيء ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم
فاستحييت ان اسأله فذهبت بالصرة الى النوري فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه
وقل له انا لا اقبل منك شيئا واخذ ما زاد على المائة قال فزاد تعجبي فسألته فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان ياخذ
الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فاخذت
ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى وقال اخذ ماله
ورد مالنا الله المستعان فانظر الآن كيف صفت قلوبهم واحوالهم وكيف خلصت لله اعمالهم حتى
كان يشاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي
الاسرار وذلك نتيجة اكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال على الله بكنه الهمة فمن
انكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل كمن شكر مثلا كون الدواء مسهلا قبل شربه ومن انكره بعد ان طال

اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فانكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر في
حقه خاصة لعلة في باطنه فاخذ ينكر كون الدواء مسهلا وهذا وان كان في الجهل دون الاول
ولكنه ليس خاليا عن حظ وافر من الجهل بل البصير احد رجلين اما رجل سلك الطريق فظهر له مثل
ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل الى عين اليقين واما رجل لم يسلك الطريق
او سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وصدق فهذا صاحب علم اليقين وان لم يكن واصلا الى عين
اليقين ولعلم اليقين ايضا رتبة وان كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو
خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتلى العقول
الضعيفة واتباع الشياطين فنسأل الله تعالى ان يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين آمنا به كل من
عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب **الشطر الثاني من الكتاب في الزهد** وفيه بيان حقيقة
الزهد وبيان فضيلة الزهد وبيان درجات الزهد واقسامه وبيان تفصيل الزهد في المطعم
والملبس والمسكن والاثاث وضروريات المعيشة وبيان علامة الزهد **بيان حقيقة
الزهد** اعلم ان الزهد مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل
كسائر المقامات لان ابواب الايمان كلها كما قال السلف ترجع الى عقد وقول وعمل وكان القول لظهوره
اقيم مقام الحال اذ به يظهر الحال الباطن والا فليس القول مرادا لعينه وان لم يكن صادرا عن
حال سمي اسلاما ولم يسم ايمانا والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر والعمل من الحال يجري
مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل اما الحال فنعني بها ما يسمى زهدا وهو عبارة
عن انصراف الرغبة عن الشيء الى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء الى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فانما
عدل عنه لرغبته عنه وانما رغب عنه لرغبته في غيره فحاله بالاضافة الى المعدول عنه يسمى زهدا
وبالاضافة الى المعدول اليه يسمى رغبة وحبا فاذن يستدعي حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه
هو خير من المرغوب عنه وشرط المرغوب عنه ان يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة
ايضا مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوبا في نفسه لا يسمى زاهدا اذ تارك التراب
والحجر وما اشبهه لا يسمى زاهدا وانما يسمى زاهدا من ترك الدراهم والدنانير لان التراب والحجر ليسا
في مظنة الرغبة وشرط المرغوب فيه ان يكون عنده خيرا من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة
فالبايع لا يقدم على البيع الا والمشترى عنده خير من المبيع فيكون حاله بالاضافة الى المبيع زهدا فيه و
بالاضافة الى العوض عنه رغبة وحبا ولذلك قال تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه
من الزاهدين معناه باعوه وقد يطلق الشرى بمعنى البيع ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه اذ طمعوا
في ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك عندهم احب من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذن
كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد ولكن العادة
جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد في الدنيا كما خصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل خاصة
وان كان هو للميل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور الا بالعدول
الى شيء هو احب منه والا فترك المحبوب لغير الاحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى الله حتى الفراديس

ولا يحب الا الله فهو الزاهد المطلق والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك
الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والانهار والفواكه فهو ايضا زاهد ولكنه دون الاول
والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه او يترك التوسع في
الاكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزهد مطلقا ودرجته في الزهاد درجة من يتوب
عن بعض المعاصي في التائبين وهو زهد صحيح كما ان التوبة عن بعض المعاصي صحيحة فان التوبة
عبارة عن ترك المحظورات والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ولا يبعد ان يقدر
على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات والمقتصر على ترك المحظورات
لا يسمى زاهدا وان كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك
المباحات فاذن الزهد عبارة عن رغبة عن الدنيا عدولا الى الآخرة او عن غير الله تعالى عدولا الى الله
تعالى وهي الدرجة العليا وكما يشترط في المرغوب فيه ان يكون خيرا عنده فيشترط في المرغوب عنه ان
يكون مقدورا عليه فان ترك ما لا يقدر عليه محال وبالترك يتبين زوال الرغبة ولذلك قيل لابن المبارك
يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيماذا زهدت
واما العلم الذي هو المثمر لهذه الحال فهو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى المأخوذ كعلم
التاجر بان العوض خير من المبيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لا يتصور ان تزول الرغبة عن المبيع
فكذلك من عرف ان ما عند الله باق وان الآخرة خير وابقى اي لذاتها خير في انفسها وابقى كما يكون
الجوهر خيرا من الثلج ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجوهر واللآلي فهكذا مثال الدنيا والآخرة
فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان الى الانقراض والآخرة كالجوهر الذي لا فناء
له فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة في البيع والمعاملة حتى
ان من قوي يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم و
اموالهم بان لهم الجنة ثم بين ان صفقتهم رابحة فقال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فليس
يحتاج من العلم للزهد الا الى هذا القدر وهو ان الآخرة خير وابقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على
ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه واما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في
يد الشيطان واما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوما بعد يوم الى ان يختطفه الموت
ولا يبقى معه الا الحسرة بعد الفوت والى تعريف خساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى قل متاع
الدنيا قليل والى تعريف نفاسة الآخرة الاشارة بقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير
لمن آمن فنبه على ان العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه ولما لم يتصور الزهد الا بمعاوضة
ورغبة عن محبوب في احب منه قال رجل في دعائه اللهم ارني الدنيا كما تراها فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم لا تقل هكذا ولكن قل ارني الدنيا كما اريتها عبادك الصالحين من عبادك وهذا لان الله تعالى
يراها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالاضافة الى جلاله حقير والعبد يراها حقيرة في حق نفسه
بالاضافة الى ما هو خير له ولا يتصور ان يرى بائع الفرس وان رغب عن فرسه كما يرى حشرات الارض
مثلا لانه مستغن عن الحشرات وليس مستغنيا عن الفرس والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه فيرى الكل

في درجة واحدة بالاضافة الى جلاله ويراه متفاوتا بالاضافة الى غيره والزاهد الذي يرى تفاوته
بالاضافة الى نفسه لا الى غيره واما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واخذ لانه بيع و
معاملة واستبدال للذي هو خير بالذي هو ادنى فكما ان العمل الصادر ممن عقد البيع هو
ترك المبيع واخراجه من اليد واخذ العوض فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي
الدنيا باسرها مع اسبابها ومقدماتها وعلائقها فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات
ويخرج من اليد والعين ما اخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات
والا كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن فاذا وفى بشرط الجانبين في الاخذ والترك فليستبشر ببيعه
الذي بايع به فان الذي بايعه بهذا البيع وفي بالعهد فمن اسلم حاضرا في غائب وسلم الحاضر واخذ
يسعى في طلب الغائب سلم اليه الغائب حين فراغه من سعيه ان كان العاقد ممن يوثق بصدقه و
قدرته ووفائه بالعهد وما دام ممسكا للدنيا لا يصح زهده اصلا ولذلك لم يصف الله تعالى اخوة يوسف بالزهد
في بنيامين وان كانوا قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا وعزموا على ابعاده كما عزموا على يوسف
حتى يشفع فيه احدهم فترك ولا وصفهم ايضا بالزهد في يوسف عند العزم على اخراجه بل عند
التسليم والبيع فعلامة الرغبة الامساك وعلامة الزهد الاخراج فان اخرجت عن اليد بعض الدنيا
دون البعض فانت زاهد فيما اخرجت فقط ولست زاهدا مطلقا وان لم يكن لك مال ولم تساعدك
الدنيا لم يتصور منك الزهد لان ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان
بغروره ويخيل اليك انك وان لم تأتك فانت زاهد فيه فلا ينبغي ان تتدلى بحبل غروره دون ان تستظهر
بموثق غليظ من الله فانك اذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من
ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها فلما تيسرت له اسبابها من غير مكدر ولا خوف
من الخلق وقع فيها واذا كان هذا غرور النفس في المحظورات فاياك ان تثق بوعدها في المباحات
والموثق الغليظ ان تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فاذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء
الصوارف والاعذار ظاهرا وباطنا فلا بأس ان تثق بها وثوقا ما ولكن تكون من تغيرها ايضا
على حذر فانها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع الى مقتضى الطبع وبالجملة فلا امان منها الا عند
الترك بالاضافة الى ما ترك فقط وذلك عند القدرة قال ابن ابي ليلى لابن شبرمة الا ترى الى هذا ابن
الحائك لا نفتي في مسئلة الا رد علينا يعني ابا حنيفة فقال ابن شبرمة لا ادري اهو ابن الحائك ام
ما هو لكن اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها وكذلك قال جميع المسلمين
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نحب ربنا ولو علمنا في اي شيء محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى
ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود
رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انت منهم يعني من القليل قال وما عرفت ان
فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة واعلم انه ليس من الزهد
ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوة ولا على سبيل استمالة القلوب ولا على سبيل الطمع
فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات وانما الزهد ان تترك الدنيا

لعلمه بحقارتها بالاضافة الى نفاسة الآخرة فاما كل نوع من الترك يتصور ممن لا يؤمن بالآخرة وذلك قد يكون مروّة وفتوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا اذ حسن الذكر وميل القلوب من الحظوظ العاجلة وهي الذ واهنأ من المال وكما ان ترك المال على سبيل السلم طمعا في العوض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء او استثقالا له لما في حفظ المال من المشقة والعناء والحاجة الى التذلل للسلاطين والاغنياء ليس من الزهد اصلا بل هو استعجال لحظ آخر للنفس بل الزاهد من اتته الدنيا راغمة عفوا صفوا وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم ولا فوات حظ فتركها خوفا من ان يانس بها فيكون آنسا بغير الله ومحبا لما سوى الله ويكون مشركا في حب الله تعالى غيره او تركها طمعا في ثواب الآخرة فترك التمتع باشربة الدنيا طمعا في اشربة الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعا في الحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة واشجارها وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك المطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا فآثر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفوا صفوا لعلمه بان ما في الآخرة خير وابقى وما سوى هذا فمعاملات دنياوية لا جدوى لها في الآخرة اصلا

بيان فضيلة الزهد

قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته الى قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن فنسب الزهد الى العلماء ووصف اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا جاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل معناه ايهم ازهد فيها فوصف الزهد بانه من احسن الاعمال وقال تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا الى قوله وابقى وقال تعالى الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة وصف الكفار بذلك فمفهومه ان المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو ان يستحب الآخرة على الدنيا واما الاخبار فما ورد منها في ذم الدنيا كثير وقد اوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات اذ حب الدنيا من المهلكات ونحن نقتصر الآن على فضيلة بغض الدنيا فانه من المنجيات وهو المعني بالزهد وقد قال صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وقد قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ولذلك قيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله تعالى ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وعن بعض الصحابة انه قال قلنا يا رسول الله اي الناس خير فقال كل مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قيل يا رسول الله فمن على اثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة ومفهوم هذا ان شر الناس

الحيوة م

يلقن

الذي

الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان اردت ان يحبك الله فازهد في الدنيا فجعل الزهد سببا للمحبة فمن احبه الله تعالى فهو في اعلى الدرجات فينبغي ان يكون الزهد من افضل المقامات ومفهومه ايضا ان محب الدنيا متعرض لبغض الله تعالى وفي خبر من طريق اهل البيت الزهد والورع يجولان في القلب كل ليلة فان صادفا قلبا فيه الايمان والحياء اقاما فيه والا ارتحلا ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا مؤمن حقا فقال له ما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكاني بالجنة والنار وكاني بعرش ربي بارزا فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبد نور الله قلبه فانظر كيف بدا اظهار حقيقة الايمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال عبد نور الله قلبه بالايمان ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وقيل له ما هذا الشرح فقال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافي عن دار الغرور وقال صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قالوا انا لنستحيي فقال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تاكلون فبين ان ذلك يناقض الحياء من الله تعالى ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا انا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء فقال عليه السلام ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تاكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة لايمانهم وقال جابر رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه علي رضي الله عنه فقال بابي انت وامي يا رسول الله وما لا يخلط معها غيرها صفه لنا فسره لنا فقال حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون اعمال الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة وفي الخبر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك وقال ايضا السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة وروى ابن المسيب عن ابي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه وانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام وروي انه صلى الله عليه وسلم مر في اصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من احب اموالهم وانفسها عندهم لانها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر ولعظمها في قلوبهم قال الله تعالى واذا العشار عطلت قال فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه انفس اموالنا لم لا تنظر اليها قال قد نهاني الله تعالى عن ذلك ثم تلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الآية وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله الا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رايت به من الجوع فقال يا عائشة والذي نفسي بيده

لو سالت ربي ان يجري معي جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكن اخترت
جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها يا عايشة ان الدنيا لا
تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عايشة ان الله لم يرض لاولي العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر
عن محبوبها ثم لم يرض لي الا ان يكلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والله ما
لي بد من طاعته واني والله لاصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوة الا بالله ، وروي عن عمر رضي الله عنه
انه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها البس لين الثياب اذا قدمت
عليك الوفود من الافاق ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر فقال عمر رضي الله عنه يا حفصة
الست تعلمين ان اعلم الناس بحال الرجل اهل بيته فقالت بلى فقال ناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا اهل بيته غدوة الا جاعوا عشية
ولم يشبعوا عشية الا جاعوا غدوة وناشدتك الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرب اليه
يوما طعاما ما لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا اهل بيته حتى فتح الله عليه خيبر ناشدتك
الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرب اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك
عليه حتى تغير لونه ثم امر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك او وضع على الارض ناشدتك
الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عباءة مثنية فاثنيت له اربع طاقات فنام
عليها فلما استيقظ قال منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها باثنين كما كنتم تثنونها وناشدتك
الله هل تعلمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه لتغسل فياتيه بلال فيوذنه بالصلوة فما يجد
ثوبا يخرج به الى الصلوة حتى تجف ثيابه فيخرج فيها الى الصلوة وناشدتك الله هل تعلمين ان امراة
من بني ظفر صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كساءين ازارا ورداء وبعثت اليه باحدهما قبل ان
يبلغ الآخر فخرج الى الصلوة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك فما
زال يبكي حتى ابكاها وبكى عمر رضي الله عنه وانتحب حتى ظننا ان نفسه ستخرج وفي بعض الروايات
زيادة من قول عمر وهو انه قال كان لي صاحبان سلكا طريقا فان سلكت غير طريقهما سلك بي
طريق غير طريقهما واني والله ساصبر على عيشهما الشديد لعلي ادرك معهما عيشهما الرغد ، وعن
ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر فلا يجد
الا العباء وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم
وعن ابن عباس قال لما ورد موسى ماء مدين كانت خضرة البقل ترى من بطنه من الهزال فهذا
ما كان قد اختاره انبياء الله ورسله وهم اعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة وفي حديث
عمر انه لما نزل قوله تع والذين يكنزون الذهب والفضة قال صلى الله عليه وسلم تبا للدينار والدرهم فقلنا
هانا الله عن كنز الذهب والفضة فاي شيء ندخر فقال صلى الله عليه وسلم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا و
قلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على امر آخرته وفي حديث حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث هم لا يفارق قلبه ابدا وفقر لا يستغني ابدا وحرص لا
يشبع ابدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف

وحتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته وقال عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها
وقيل له يا نبي الله لو امرتنا ان نبني بيتا نعبد الله فيه فقال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا
كيف يستقيم بنيان على الماء فقال وكيف يستقيم عبادة مع حب الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه و
سلم ان ربي عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اجوع يوما واشبع يوما
فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك واثني
عليك ، وعن ابن عباس انه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه فصعد على
الصفا فقال له يا محمد والذي بعثك بالحق ما امسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه
باسرع من ان سمع هدة من السماء افظعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله القيمة ان تقوم
قال لا ولكن هذا اسرافيل قد نزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل عليه السلام فقال ان الله عز وجل
سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الارض وامرني ان اعرض عليك ان احببت ان اسير معك جبال
تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وان شئت نبيا عبدا فاوما اليه جبريل
ان تواضع لله فقال نبي عبد ثلثا وقال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في
الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه وقال صلى الله عليه وسلم ازهد في الدنيا يحبك
الله وازهد مما في ايدي الناس يحبك الناس وقال صلى الله عليه وسلم من اراد ان يوتيه الله
علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم من اشتاق الى
الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات
ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ، ويروى عن نبينا وعن عيسى بن مريم صلى الله عليهما
اربع لا يدركن الا بعجب الصمت وهو اول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشيء وجمع الاخبار
الواردة في مدح بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن وان الانبياء ما بعثوا الا لصرف الناس عن
الدنيا الى الآخرة واليه يرجع اكثر كلامهم مع الخلق وفيما اوردناه كفاية واما الآثار فقد
جاء في الاثر لا يزال لا اله الا الله يدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يبالوا ما نقص من
دنياهم وفي لفظ آخر ما لم يوثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله
الا الله قال الله تع كذبتم لستم بها صادقين ، وعن بعض الصحابة قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر
في امر الآخرة ابلغ من زهد في الدنيا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذاك قال كانوا ازهد
في الدنيا منكم وقال عمر رضي الله عنه الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد وقال بلال بن
سعد كفى بنا ذنبا ان الله تع يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفين اشتهي
ان ارى عالما زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه ان للجنة ثمانية
فاذا صار اهل الجنة اليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها احد قبل الزاهدين في
الدنيا والعاشقين للجنة وقال يوسف بن اسباط اني لا اشتهي من الله ثلاث خصال ان
اموت حين اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا على عظمي لحم فاعطي ذلك كله

ويروى ان بعض الخلفاء ارسل الى الفقهاء بجوايز فقبلوها وارسل الى الفضيل بعشرة آلاف درهم
فلم يقبلها فقال له بنوه قد قبل الفقهاء وانت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال
اتدري ما مثلي ومثلكم انما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها
قبل ان لا ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحي على كبر سني موتوا اهلي جوعا خير لكم من
ان تذبحوا فضيلا وقال عبيد بن عمير كان عيسى بن مريم عليه السلام يلبس الشعر وياكل الشجر وليس
له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد اين ما ادركه المساء نام وقالت امراة ابي حازم هذا الشتاء
قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والحطب فقال لها ابو حازم من هذا كله بد ولكن لا بد
لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله ثم الجنة او النار وقيل للحسن لم لا تغسل قميصك
قال الامر اعجل من ذلك وقال ابرهيم بن ادهم قد حجب علينا بثلاثة اغطية فلن يكشف للعبد اليقين
حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فانت
حريص واذا حزنت على المفقود فانت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فانت
معجب والعجب يحبط العمل وقال ابن مسعود ركعتان من زاهد قلبه خير له واحب الى الله
من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر ابدا سرمدا وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيما صرف
عنا اكثر من نعمته فيما صرف الينا وكانه التفت الى معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحمي عبده الدنيا
وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه واذا فهم هذا علم ان النعمة في
المنع المودي الى الصحة اكثر منه في الاعطاء المودي الى السقم وكان الثوري يقول الدنيا دار التوى لا
دار استواء ودار ترح لا منزل فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء وقال سهل لا
يخلص العمل المتعبد حتى لا يفزع من اربعة اشياء الجوع والعري والفقر والذل وقال الحسن ادركت
اقواما وصحبت طوايف ما كانوا يفرحون على شي من الدنيا اقبل ولا ياسفون على شي منها ادبر و
لهي كانت في اعينهم اهون من التراب كان احدهم يعيش خمسين سنة وستين سنة لم يطو له ثوب
ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض شيئا ولا امر من في بيته بصنعة طعام قط واذا
كان الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم وهم يناجون
ربهم في فكاك رقابهم كانوا اذا عملوا الحسنة دابوا في شكرها وسالوا الله ان يتقبلها واذا
عملوا السيئة احزنتهم وسالوه ان يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك والله ما سلموا من الذنوب
ولا نجوا الا بالعفو **بيان درجات الزهد واقسامه بالاضافة الى نفسه والى المرغوب
عنه والى المرغوب فيه** اعلم ان الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاث
الدرجة السفلى منها ان يزهد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه اليها مايل ونفسه اليها
ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها وهذا يسمى المتزهد وهو مبدا الزهد في حق من يصل الى
درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والمتزهد يذيب اولا نفسه ثم كيسه والزاهد يذيب اولا
كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة لا في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فانه ربما تغلبه نفسه
وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة بها في قليل او كثير الدرجة الثانية ان يترك الدنيا

طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه كالذي يترك درهما لاجل درهمين فانه لا يشق
ذلك عليه وان كان يحتاج الى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه
كما يرى البايع المبيع ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه انه ترك
شيا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان الدرجة الثالثة وهي العليا
ان يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده اذ لا يرى انه ترك شيا اذ عرف ان الدنيا لا شي
فيكون كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيا والدنيا
بالاضافة الى الله تعالى ونعيم الآخرة اخس من خزفة بالاضافة الى جوهرة فهذا هو الكمال في الزهد
وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الخزف بالجوهرة
آمن من طلب الاقالة في البيع قال ابو يزيد لابي موسى عبد الرحيم في اي شي تتكلم قال في الزهد قال
في اي شي قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انه يتكلم في شي الدنيا لا شي ايش يزهد فيها ومثل
من ترك الدنيا للآخرة عند اهل المعرفة وارباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه عن باب الملك
كلب على بابه فالقى اليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ امره في جميع
مملكته افترى انه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز القاها الى كلبه في مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب
الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز ان اكلت فلذتها في
حال المضغ وتنقضي بالقرب على الابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم تنتهي الى النتن والقذر ثم يحتاج بعد ذلك
الى اخراج ذلك الثقل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ونسبة الدنيا كلها اعني ما يسلم
لكل شخص منها وان عمر مائة سنة بالاضافة الى نعيم الآخرة اقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا
اذ لا نسبة للمتناهي الى ما لا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافية
عن كل كدر لكان لا نسبة لها الى الابد فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية فاي نسبة
لها الى نعيم الابد فاذن لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى ما زهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا لانه
يراه شيا معتدا به ولا يراه شيا معتدا به الا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت
درجات الزهد وكل درجة من هذه ايضا لها درجات اذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت ايضا باختلاف
قدر المشقة في الصبر وكذلك درجة المعجب بزهده في قدر التفاته الى زهده **واما انقسام الزهد**
بالاضافة الى المرغوب فيه فهو ايضا على ثلاث درجات الدرجة السفلى ان يكون المرغوب فيه النجاة من النار و
من ساير الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وساير ما بين يدي العبد من الاهوال
كما وردت به الاخبار وفي الخبر ان الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بعير عطاشا على عرقه
لصدرت رواء فهذا زهد الخايفين وكانهم رضوا بالعدم لو اعدموا فان الخلاص من الالم يحصل بمجرد العدم
الدرجة الثانية ان يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموجودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا
زهد الراجين فان هولاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الالم بل طمعوا في وجود دايم ونعيم سرمد
لا آخر له الدرجة الثالثة وهي العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله وفي لقايه فلا يلتفت قلبه الى الآلام ليقصد
الخلاص منها ولا الى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي اصبح وهمومه

هم واحد وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله لان من طلب غير الله فقد عبده وكل مطلوب معبود
وكل طالب عابد بالاضافة الى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون
لانه لا يحب الله تعالى خاصة الا من عرفه وكما ان من عرف الدينار والدرهم وعلم انه لا يقدر على
الجمع بينهما لا يحب الا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف ان الجمع
بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر الى نقش القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا
لذة النظر ولا يؤثر غيره ولا تظنن ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع
في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف الارض و
رقاب الخلق بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم الجنة عند اهل
المعرفة وارباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك
لذة الملك لا لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى والذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق
واما انقسامه بالاضافة الى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الاقاويل ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول
فلا نشتغل بنقل الاقاويل ولكن نشير الى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح ان اكثر ما ذكر فيه قاصر عن
الاحاطة بالكل فنقول المرغوب عنه بالزهد له اجمال وتفصيل ولتفصيله مراتب بعضها
اشرح لآحاد الاقسام وبعضها اجمع للجمل اما الاجمال في الدرجة الاولى فهو كل ما سوى الله
فينبغي ان يزهد فيه حتى يزهد في نفسه ايضا والاجمال في الدرجة الثانية ان يزهد في كل صفة
للنفس فيها متعة وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة
والمال والجاه وغيرها وفي الدرجة الثالثة ان يزهد في المال والجاه واسبابهما اذ اليهما يرجع جميع
حظوظ النفس وفي الدرجة الرابعة ان يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم اذ الاموال
وان كثرت اصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه وان كثرت اسبابه فيرجع الى العلم والقدرة
واعني به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب اذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها
كما ان معنى المال ملك الاعيان والقدرة عليها فان جاوزت هذا التفصيل الى شرح وتفصيل ابلغ من
هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال زين للناس
حب الشهوات الى قوله ذلك متاع الحيوة الدنيا ثم رده في آية اخرى الى خمسة فقال اعلموا انما الحيوة
الدنيا لعب ولهو الى قوله والاولاد ثم رده في موضع آخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان الجنة (ثم رده في موضع آخر الى اثنين فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو ثم رد الكل الى واحد)
هي المأوى فلفظ الهوى يجمع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي ان يكون الزهد فيه واذا فهمت طريق الاجمال
والتفصيل عرفت ان البعض من هذه لا يخالف البعض وانما يفارقه في الشرح مرة والاجمال اخرى
والحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب
عن البقاء في الدنيا فقصر امله لا محالة لانه يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بارادة البقاء
فان من اراد شيئا اراد دوامه ولا معنى لحب الحيوة الا حب دوام ما هو موجود او ممكن في
هذه الحيوة فاذا رغب عنها لم يردها ولذلك لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا
القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل اي لستم تريدون البقاء الا لمتاع

الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين فاما الزاهدون المحبون لله فقاتلوا في
سبيل الله كانهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين وكانوا اذا دعوا الى القتال
يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة الظمآن الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله او نيل
رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة حتى ان خالد بن الوليد لما احتضر
للموت على فراشه كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعا في الشهادة وانا الآن
اموت موت العجائز فلما مات عد على جسده ثمانمائة نقب من آثار الجراحات فهكذا كان حال
الصادقين في الايمان رضي الله عنهم اجمعين واما المنافقون ففروا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم
ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم فايثارهم البقاء على الشهادة استبدال للذي هو ادنى
بالذي هو خير فاولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين و
اما المخلصون فان الله اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فلما راوا انهم تركوا تمتع عشرين سنة
مثلا او ثلاثين سنة بتمتع الابد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به فهذا بيان المزهود
منه واذا فهمت هذا علمت ان ما ذكره المتكلمون في حد الزهد لم يشيروا به الا الى بعض
اقسامه فذكر كل واحد ما رآه غالبا على نفسه او على من كان يخاطبه وقال بشر رحمه الله الزهد في
الدنيا هو الزهد في الناس وهذا اشارة الى الزهد في الجاه خاصة وقال قاسم الجوعي الزهد في الدنيا
هو الزهد في الجوف فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد وهذا اشارة الى الزهد
في شهوة واحدة ولعمري هي اغلب الشهوات على الاكثر وهي المهيجة لاكثر الشهوات وقال الفضيل الزهد
هو القناعة وهذا اشارة الى المال خاصة وقال الثوري الزهد هو قصر الامل وهذا جامع لجميع الشهوات
فان من يميل الى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول امله ومن قصر امله فكانه رغب عن
الشهوات كلها وقال اويس ايضا هو ترك الطلب للمضمون وهو اشارة الى الرزق وقال اهل
الحديث الدنيا هو العمل بالرأي والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة وهذا ان اريد
به الرأي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه اشارة الى بعض اسباب الجاه
خاصة او الى بعض ما هو من فضول الشهوات فان من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة وقد طولوها حتى
ينقضي عمر الانسان في الاستغلال بواحد منها فشرط الزاهد ان يكون الفضول اول مرغوب عنه عنده وقال
الحسن الزاهد الذي اذا رأى احدا قال هذا افضل مني فذهب الى ان الزهد هو التواضع وهذا اشارة
الى نفي الجاه والعجب وهو بعض اقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال واين هذا ممن يقول هو
ترك الطلب كما قال اويس ولا شك في انه اراد به ترك طلب الحلال وكان يوسف بن اسباط يقول من صبر
على الاذى وترك الشهوات واكل الخبز من حلال فقد اخذ باصل الزهد وفي الزهد اقاويل وراء ما نقلناه فلم
نر في نقلها فائدة فان من طلب كشف حقائق الامور من اقاويل الناس ورآها مختلفة فلا يستفيد الا
الحيرة واما من انكشف له الحق في نفسه وادركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه وثق بالحق واطلع
على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم
اقتصروا لا لقصور في البصيرة ولكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات

تختلف فلاجرم الكمالات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الاخبار عن الحالة الراهنة التي هي
مقام العبد في نفسه والاحوال تختلف فلاجرم الاقوال المخبرة عنها تختلف واما الحق
في نفسه فلا يكون الا واحدا ولا يتصور ان يختلف وانما الجامع من هذه الاقوال الكامل في نفسه
وان لم يكن فيه تفصيل ما قاله ابو سليمن الداراني اذ قال قد سمعنا في الزهد كلاما كثيرا والزهد
عندنا ترك كل شي يشغلك عن الله عز وجل وقد فصل مرة وقال من تزوج او سافر في طلب المعيشة
او كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا فجعل جميع ذلك ضد الزهد وقرا ابو سليمن قوله تعالى الا من
اتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذي ليس فيه غير الله وقال انما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم
من همومها للاخرة فهذا بيان انقسام الزهد بالاضافة الى اصناف المزهود فيه واما بالاضافة
الى احكامه فينقسم الى فرض ونفل وسلامة كما قاله ابرهيم بن ادهم فالفرض هو الزهد في الحرام و
النفل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشبهات وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في
كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد اذ قيل لمالك بن انس ما الزهد فقال التقوى واما بالاضافة
الى خفايا ما يترك فلا نهاية للزهد اذ لا نهاية لما تتمتع به النفس في الخطرات واللحظات وساير الحالات
لا سيما خفايا الرياء فان ذلك لا يطلع عليه سماسرة العلماء بل الاموال الظاهرة ايضا درجات الزهد فيها
لا تتناهى فمن اقصى درجاته زهد عيسى عليه السلم اذ توسد حجرا في منامه فقال له الشيطان اما
كنت تركت الدنيا فما الذي بدا لك فقال وما الذي تجدد قال توسدك الحجر اي تنعمت برفع راسك
عن الارض في النوم فرمى الحجر وقال خذه فيما تركته لك وروي عن يحيى بن زكرياء عليهما السلام انه لبس
المسوح حتى ثقب جلده تركا للتنعم بلبس اللباس واستراحة حس اللمس فسالته امه ان يلبس مكان
المسح جبة من صوف ففعل فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى آثرت على الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد الى
ما كان وقال احمد الزهد زهد اويس بلغ من العري الى ان جلس في قوصرة وجلس عيسى عليه السلام
في ظل حايط انسان فاقامه صاحب الحايط فقال ما اقمتني انت انما اقامني الذي لم يرض لي
ان انعم بظل الحايط فاذن درجات الزهد ظاهرا وباطنا لا حصر لها واقل درجات الزهد
في كل شبهة ومحظور وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور
فليس ذلك من درجاته في شي ثم راوه انه لم يبق حلال في اموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن فان
قلت مهما كان الصحيح هو ان الزهد ترك ما سوى الله فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب
واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم فكل ذلك اشتغال بما سوى الله فاعلم ان معنى الانصراف
عن الدنيا الى الله تعالى هو الاقبال بكل القلب عليه ذكرا وفكرا ولا يتصور ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا
بضروريات النفس فمهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة
بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله فان ما لا يتوصل الى الشي الا به فهو منه فالمشتغل
بعلف الناقة وسقيها في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي ان يكون بدنك في طريق الله مثل
ناقتك في طريق الحج ولا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات
حتى يسير بك الى مقصدك فكذلك ينبغي ان تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك

بالاكل

بالاكل والشرب وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل
التقوي على طاعة الله فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد فان قلت لا بد ان اتلذذ بالاكل
عند الجوع فاعلم ان ذلك لا يضرك اذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب الماء البارد قد يستلذ
الشرب ويرجع حاصله الى زوال الم العطش ومن يقضي حاجته يستريح بذلك ولكن لا يكون
ذلك مقصودا عنده ومطلوبا بالقصد فلا يكون القلب منصرفا اليه فالانسان قد يستريح
في قيام الليل بنسيم الاسحار وصوت الطيور ولكن اذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة
فما يصيبه من ذلك بغير قصده لا يضره ولقد كان في الخايفين من طلب موضعا لا يصيبه
نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وانس القلب معه فيكون فيه انس الى الدنيا ونقصان
في الانس بالله بقدر وقوع الانس بغير الله ولذلك كان داود الطائي له جب مكشوف فيه ماء فكان
لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة
الدنيا فهذه مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وان كان شاقا فمدته
قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التابيد لا يثقل على اهل المعرفة القادرين بسياسة الشرع
المعتصمين بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين ه

بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحيوة

اعلم ان ما الناس منهمكون فيه ينقسم الى فضول والى مهم فالفضول
كالخيل المسومة مثلا اذ غالب الناس انما يقتنيها للترفه بركوبها وهو قادر على المشي والمهم
كالاكل والشرب ولسنا نقدر على تفصيل اصناف الفضول فان ذلك لا ينحصر وانما ينحصر المهم
الضروري والمهم ايضا يتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه واوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد
فيه والمهمات ستة امور المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح والمال والجاه يطلب لاغراض وهذه
الستة من جملتها وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الرياء من
ربع المهلكات ونحن الآن نقتصر على بيان هذه المهمات الستة الاول المطعم ولا بد للانسان
من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فاما
طوله فبالاضافة الى جملة العمر فان من يملك طعام يومه قد لا يقنع به واما عرضه ففي مقدار
الطعام وجنسه ووقت تناوله فاما طوله فلا يقصر الا بقصر الامل واقل درجات الزهد
فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فاذا استقل بما
تناوله لم يدخر من غدايه لعشايه وهذه هي الدرجة العليا الدرجة الثانية ان يدخر لشهر
ولا ربعين يوما والثالثة ان يدخر لسنة فقط وهذه رتبة ضعفاء الزهاد ومن ادخر لاكثر
من ذلك فتسميته زاهدا محال لان من امل بقاء اكثر من سنة فهو طويل الامل جدا فلا يتم
منه الزهد الا اذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الاخذ من ايدي الناس كداود الطائي فانه
ورث عشرين دينارا فامسكها وانفقها في عشرين سنة فهذا لا يضاد اصل الزهد الا عند
من جعل التوكل شرطا للزهد واما عرضه فبالاضافة الى المقدار فاقل درجاته في اليوم و
الليلة نصف رطل واوسطه رطل واعلاه مد واحد وهو ما قدره الله تعالى في طعام المساكين في الكفارة

وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له
في البطن من الزهد نصيب واما بالاضافة الى الجنس فاقله كل ما يقوت ولو الخبز من النخالة واوسطه
خبز الشعير واعلاه خبز البر غير منخول فاذا ميزت النخالة وصار حواريّ فقد دخل في التنعم وخرج عن
آخر ابواب الزهد فضلا عن اوايله واما الادم فاقله الملح او البقل والخل واوسطه الزيت وشي من الادهان
اي دهن كان واعلاه اللحم اي لحم كان وذلك في الاسبوع مرة او مرتين فان صار دايما او اكثر من
مرتين في الاسبوع خرج من آخر ابواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهدا في البطن اصلا واما بالاضافة
الى الوقت فاقله في اليوم والليلة مرة وهو ان يكون صايما واوسطه ان يصوم ويشرب ليله
ولا ياكل ويأكل ليله ولا يشرب واعلاه ينتهي الى ان يطوي ثلاثة ايام واسبوعا وما زاد عليه
وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات ولينظر الى احوال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والصحابة في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الادم قالت عايشة كانت تاتي
اربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل لها فبم كنتم
تعيشون قالت بالاسودين التمر والماء وهذا ترك اللحم والمرقة والادم وقال الحسن كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق اصابعه وياكل على الارض
ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد وقال عيسى عليه السلام بحق اقول لكم من طلب الفردوس
فخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير وقال الفضيل ما شبع رسول الله صلى الله
عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة ايام من خبز البر وكان عيسى عليه السلام يقول يا بني اسرايل
عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره
وقد ذكرنا سيرة الانبياء في المطعم في ربع المهلكات فلا نعيده ولما اتى رسول الله صلى الله عليه و
سلم اهل قبا اتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال اما اني لست احرمه
ولكني اتركها تواضعا لله تع واتي عمر بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صايف فقال اعزلوا عني
حسابها وقد قال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر
ومسكنه حيث ادرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن
حديثه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والرب انيسه و
الذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شانه والحياء شعاره والجوع ادامه والحكمة كلامه
والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه و
العقل دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه ان شاء الله تع **المهم الثاني**
الملبس واقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص
وقلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث المقدار
فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد ان لا يكون له ثوب يلبسه اذا غسل ثوبه بل يلزمه
القعود في البيت فاذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومنديلين فقد خرج عن جميع ابواب
الزهد هذا من حيث القدر واما الجنس فاقله المسوح الخشنة واوسطه الصوف الخشن

واعلاه

واعلاه القطن الغليظ واما من حيث الوقت فاقصاه ما يستر سنة واقله ما يبقى يوما
حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وان كان يتسارع الجفاف اليه واوسطه ما يتماسك عليه شهرا
وما يقاربه فطلب ما يبقى اكثر من سنة خروج الى طول الامل وهو مضاد للزهد الا اذا كان
المطلوب خشونته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي ان
يتصدق به فان امسكه لم يكن زاهدا بل كان محبا للدنيا ولينظر فيه الى احوال الانبياء و
الصحابة كيف تركوا الملابس قال ابو بردة اخرجت لنا عايشة كساء ملبدا وازارا
غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب
المتبذل الذي لا يبالي ما لبس وقال عمرو بن الاسود العنسي لا البس مشهورا ابدا
ولا انام بليل على دثار ابدا ولا اركب على ماثور ابدا ولا املا جوفي من طعام ابدا فقال عمر رضي الله
عنه من سره ان ينظر الى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر الى عمرو بن الاسود وفي الخبر ما
من عبد لبس ثوب شهرة الا اعرض الله تع عنه حتى ينزعه وان كان عنده حبيبا واشترى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا باربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة وكان ازاره اربعة
اذرع ونصفا واشترى سراويل بثلاثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت
تسمى حلة لانهما ثوبان من جنس واحد وربما كان يلبس بردين يمانيين او سحوليين من هذه
الغلاظ وفي الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قميص زيات ولبس رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما ثوبا سيراء من سندس قيمته مايتا درهم فكان اصحابه يلمسونه ويقولون يا
رسول الله انزل هذا عليك من الجنة تعجبا وكان قد اهداه اليه المقوقس ملك الاسكندرية فاراد
ان يكرمه بلبسه ثم نزعه وارسل به الى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج وكانه انما
لبسه اولا تاكيدا للتحريم كما لبس خاتما من ذهب يوما ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعايشة
في شان بريرة اشترطي لاهلها الولاء فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه وكما اباح المتعة ثلثا
ثم حرمها لتاكيد امر النكاح وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خميصة لها علم فلما سلم قال شغلني
النظر الى هذه اذهبوا بها الى ابي جهم وايتوني بانبجانيته يعني كساءه فاختار لبس الكساء على الثوب
الناعم وكان شراك نعله قد اخلق فابدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال اعيدوا الشراك الخلق
وانزعوا هذا الجديد فاني نظرت اليه في الصلوة ولبس خاتما فنظر اليه على المنبر نظرة فرمى به و
قال شغلني هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلين جديدتين
فاعجبه حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني ثم خرج بهما فدفعهما الى اول مسكين رآه و
عن سنان بن سعد قال حيكت للنبي صلى الله عليه وسلم جبة صوف من صوف انمار وجعلت
حاشيتها سوداء فلما لبسها قال انظروا ما احسنها ما الينها قال فقام اليه اعرابي فقال يا
رسول الله هبها لي قال وكان صلى الله عليه وسلم اذا سيل شيا لم يبخل به قال فدفعها اليه وامر
ان يحاك له واحدة اخرى فمات صلى الله عليه وسلم وهي في المحاكة وعن جابر قال دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم على فاطمة وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من اجلة الابل فلما نظر اليها بكى وقال يا فاطمة تجر

عي

عن ان الدنيا لنعيم الابد فانزلت عليه ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال صلى الله عليه وسلم
ان من خيار امتي فيما انباني الملا الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون
سرا من خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان
ويتبعون الرهبان اجسامهم في الارض وافئدتهم عند العرش فهذه كانت سيرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الملابس وقد اوصى امته عامة باتباعه اذ قال من احبني فليستن بسنتي
وقال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وقال تع قل
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله واوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عايشة رضي الله عنها خاصة
وقال لها ان اردت اللحوق بي فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعي ثوبا حتى ترقعيه وعد على قميص
عمر رضي الله عنه اثنا عشرة رقعة بعضها من ادم . واشترى علي رضي الله عنه ثوبا بثلاثة دراهم
ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله الذي هذا من رياشه وقال
الثوري وغيره البس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال . وكان
يقول ان الفقير ليمر بي وانا اصلي فادعه يجوز ويمر بي واحد من ابناء الدنيا وعليه هذه البزة
فامقته فلا ادعه يجوز وقال بعضهم قومت ثوبي سفين ونعليه بدرهم واربعة دوانيق
وقال ابن شبرمة خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته وقال بعض السلف البس من
الثياب ما يخلطك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر اليك وقال ابو سليمن الثياب
ثلثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه وثوب للناس وهو
ما طلب جوهره وحسنه وقال بعضهم من رق ثوبه رق دينه وكان جمهور العلماء من التابعين
قيمة ثيابهم ما بين العشرين الى الثلاثين . وكان الخواص لا يلبس اكثر من قطعتين قميص ومئزر
تحته ويعطف ذيل قميصه على راسه وقال بعض السلف اول النسك الزي وفي الخبر البذاذة
من الايمان وفي الخبر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله وابتغاء لوجهه كان حقا
على الله ان يدخر له من عبقري الجنة في تخات الياقوت . واوحى الله تع الى بعض انبيائه قل لاوليائي
لا تلبسوا ملابس اعدائي ولا تدخلوا مداخل اعدائي فتكونوا كما هم اعدائي . ونظر رافع بن
خديج الى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا الى اميركم يعظ الناس وعليه ثياب
الفساق وكان عليه ثياب رقاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة الى ابي ذر في بزته فجعل يتكلم
في الزهد فوضع ابو ذر راحته في فيه وجعل يضرط به فغضب ابن عامر فشكاه الى ابن عمر فقال
انت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البزة وقال علي رضي الله عنه ان الله عز و
جل اخذ على ايمة الهدى ان يكونوا في مثل احوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزدي بالفقير فقره
ولما عوتب في خشونة لباسه قال هو ادنى الى التواضع واجدر ان يقتدي به المسلم . ونهى صلى الله
عليه وسلم عن التنعم وقال ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين . وروي فضالة بن عبيد وهو والي مصر اشعث
حافيا فقيل له انت الامير وتفعل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وامرنا
ان نحتفي احيانا وقال علي لعمر رضي الله عنهما ان اردت ان تلحق بصاحبيك فارقع القميص و

لي

ادنى م

تكن

تكن الازار واخصف النعل وكل دون الشبع وقال عمر رضي الله عنه اخلولقوا واخشوشنوا واياكم
وزي العجم كسرى وقيصر وقال علي رضي الله عنه من تزيى بزي قوم فهو منهم وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان من شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون الوان الطعام والوان الثياب
ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه وسلم ازرة المومن الى انصاف ساقيه ولا جناح عليه
فيما بينه وبين الكعبين وما اسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ازاره بطرا
وقال ابو سليمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلبس الشعر من امتي الا مراء او احمق و
قال الاوزاعي لباس الصوف في السفر سنة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن واسع على قتيبة
بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة ما دعاك الى مدرعة الصوف فسكت فقال
اكلمك ولا تجيبني فقال اكره ان اقول زهدا فازكي نفسي او فقرا فاشكو ربي وقال ابو سليمن
لما اتخذ الله ابرهيم خليلا اوحى اليه ان وار عورتك من الارض وكان لا يتخذ من كل شي الا واحدا
سوى السراويل فانه كان يتخذ سراويلين فاذا غسل احدهما لبس الاخر حتى لا ياتي عليه حال الا و
عورته مستورة وقيل لسلمان الفارسي ما لك لا تلبس الجيد فقال وما للعبد والثوب الحسن
فاذا اعتق فله والله ثياب لا تبلى ابدا . ويروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله انه كان له جبة
شعر وكساء شعر يلبسهما من الليل اذا قام يصلي وقال الحسن لفرقد السنجي تحسب ان لك
فضلا على الناس بكسائك بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية وقال يحيى بن معين
رايت ابا معوية الاسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت
انك تكسى خيرا من هذا فقال ما ضرهم ما اصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل
مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بهذا ويبكي **المهم الثالث** المسكن وللزهد فيه ايضا
ثلاث درجات اعلاها ان لا يطلب موضعا خاصا لنفسه فيقنع بزوايا المسجد كاصحاب الصفة
واوسطها ان يطلب موضعا خاصا لنفسه مثل كوخ مبني من سعف او خص او ما يشبهه
وادناها ان يطلب حجرة مبنية اما بشراء او اجارة فان كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته
من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم تخرجه هذا القدر عن اخر درجات الزهد فان طلب التشييد و
التجصيص والسعة وارتفاع السقف اكثر من ستة اذرع فقد جاوز بالكلية حد الزهد في
المسكن فباختلاف جنس البناء بان يكون من الجص والقصب او بالطين او بالاجر واختلاف قدره
بالسعة والضيق واختلاف طوله بالاضافة الى الاوقات بان يكون مملوكا او مستاجرا او
مستعارا وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي ان يجاوز حد الضرورة
وقدر الضرورة من الدنيا الة الدين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض
من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الاعين والايدي واقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه
فهو من الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جدا وقد
قيل اول شي ظهر من طول الامل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدريز والتشييد يعني بالتدريز
كف دروز الثياب فانها كانت تشل شلا والتشييد هو البنيان بالجص والاجر وانما كانوا يبنون

بالسعف والجريد وقد جاء في الاثر يأتي على الناس زمان يوشون ثيابهم كما يوشى البرود اليمانية
وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس ان يهدم علية كان قد علا بها ومر عليه السلام بجنبذة
معلاة فقال لمن هذه فقالوا لفلان فلما جاءه الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان
فسأل الرجل اصحابه عن تغير وجهه صلى الله عليه وسلم فاخبر فذهب فهدمها فمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فاخبر بانه هدمها فدعا له بخير وقال الحسن مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا اراد الله بعبد شرا اهلك ماله في الماء والطين وقال عبد الله بن عمرو مر علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا فقال ما هذا قلنا خص لنا قد وهى فقال ارى الامر اعجل من
ذلك واتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت وقال
الحسن دخلنا على صفوان بن محرز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له لو اصلحته فقال
كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف
ان يحمله يوم القيامة وفي الخبر كل نفقة العبد يؤجر عليها الا ما انفقه في الماء والطين وفي
قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا انه الرياسة والتطاول
في البنيان وقال صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة الا ما اكن من حر وبرد
وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي شكا اليه ضيق منزله اتسع في السماء اي في الجنة و
نظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بني بجص وآجر فكبر وقال ما كنت اظن
ان يكون في هذه الامة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون فاوقد لي يا هامان
على الطين يعني الآجر ويقال ان فرعون هو اول من بني له بالجص والآجر واول من عمله هامان
ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف وذكر بعض السلف جامعا في بعض الامصار فقال
ادركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأيته مبنيا من رهوص ثم رأيته الآن
مبنيا باللبن فكان اصحاب السعف خيرا من اصحاب الرهص وكان اصحاب الرهص خيرا من
اصحاب اللبن وكان في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وقصر امله وزهده
في احكام البنيان وكان منهم من اذا حج او غزا نزع بيته او وهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده
وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهي عادة العرب الآن ببلاد اليمن وكان ارتفاع
بناء السلف قامة وبسطة قال الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضربت بيدي الى السقف وقال عمرو بن دينار اذا اعلى العبد البناء فوق ستة اذرع ناداه
ملك الى اين يا افسق الفاسقين وقد نهى سفيان عن النظر الى بناء مشيد وقال لولا نظر
الناس لما شيدوه فالناظر معين عليه وقال الفضيل اني لا اعجب ممن بنى وترك ولكني
اعجب ممن نظر اليه ولم يعتبر وقال ابن مسعود يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين
ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم ويموتون على غير دينكم المهم الرابع اثاث البيت
وللزهد فيه ايضا درجات واعلاها حال عيسى عليه السلام اذ كان لا يصحبه الا مشط وكوز فرأى

انسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى المشط ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز وهذا
حكم كل اثاث فانه انما يراد لمقصود فاذا استغني عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة وما لا يستغنى
عنه فيقتصر فيه على اقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي ان يكون
مكسورا اذا كان المقصود يحصل به واوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة صحيح في
نفسه لكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة يشرب فيها ويأكل الثريد
فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في اشياء للتخفيف
واعلاها ان يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فان زاد في العدد او في
نفاسة الجنس خرج عن جميع ابواب الزهد وركن الى طلب الفضول ولينظر الى سيرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة فقد قالت عائشة رضي الله عنها كان ضجاع رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف وقال الفضيل ما كان فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عباءة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف وروي ان عمر
بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشريط
فجلس فرأى اثر الشريط في جنبه صلى الله عليه وسلم فدمعت عينا عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ما الذي ابكاك يا ابن الخطاب فقال ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك
وانت رسول الله وحبيبه وصفيه نائم على سرير مرمول بالشريط فقال صلى الله عليه وسلم اما
ترضى يا عمر ان تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك ودخل
رجل على ابي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر ما ارى في بيتك متاعا ولا غير ذلك
من الاثاث فقال ان لنا بيتا نوجه اليه صالح متاعنا فيه فقال انه لا بد لك من متاع ما
دمت هنا فقال ان صاحب المنزل لا يدعنا فيه ولما قدم عمير بن سعد امير حمص على عمر
قال له ما معك من الدنيا فقال معي عصاي اتوكأ عليها واقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي
احمل فيه طعامي ومعي قصعتي آكل فيها واغسل فيها رأسي وثوبي ومعي مطهرتي احمل فيها
شرابي ووضوئي للصلوة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال عمر صدقت رحمك الله
وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فرأى على باب منزلها سترا
وفي يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها ابو رافع وهي تبكي فاخبرته برجوع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسأله ابو رافع فقال من اجل الستر والسوارين فارسلت بهما بلالا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى فقال اذهب
فبعه وادفعه الى اهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بها عليهم فدخل عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بابي انت قد احسنت ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على
باب منزل عائشة رضي الله عنها سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا ارسلي بها الى
آل فلان وفرشت عائشة رضي الله عنها ذات ليلة فراشا جديدا وقد كان صلى الله عليه
وسلم ينام على عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته فلما اصبح قال لها اعيدي العباءة الخلقة

الخلفة ونحي هذا الفراش عني فقد اسهرني الليلة وكذلك انته دنانير خمسة اوستة عشر فبيتها فسهر ليله حتى اخرجها من آخر الليل قالت عايشة رضي الله عنها فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده وقال الحسن ادركت سبعين من الاخيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا اراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه **المهم الخامس** المنكح وقد قال قايلون لا معنى للزهد في اصل النكاح ولا في كثرته واليه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حبب الى سيد الزاهدين النساء فكيف يزهد فيهن ووافقه ابن عيينة وقال كان ازهد الصحابة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكان له اربع نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح ما قاله ابو سليمن الداراني اذ قال كل ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد فهو عليك مشوم والمراة قد تكون شاغلة عن الله عز وجل وكشف الحق فيه انه قد تكون العزوبة افضل في بعض الاحوال كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح افضل للشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد وان لم يكن عليه آفة في تركه وفي فعله ولكن ان ترك النكاح احترازا من ميل القلب اليهن والانس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فذلك من الزهد وان علم ان المراة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا عن لذة النظر والمضاجعة والمواقعة فليس هذا من الزهد اصلا فان الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير امة رسول الله صلى الله عليه وسلم من القربات واللذة التي تلحق الانسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تضره اذا لم تكن هي المطلب والمقصد وهذا كمن يترك اكل الخبز وشرب الماء احترازا من لذة الاكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لان في ترك ذلك فوات بدنه فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله فلا يجوز ان يترك النكاح زهدا في لذته من غير خوف آفة اخرى وهذا ما عناه سهل لا محالة ولاجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت هذا فمن حاله حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه لا تشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب باصلاحهن والانفاق عليهن فلا معنى لزهده فيهن حذرا من مجرد لذة الوقاع والنظر ولكن انى يتصور ذلك لغير الانبياء والاولياء فاكثر الناس تشغلهم كثرة النسوان فينبغي ان يترك الاصل ان كان يشغله وان لم يشغله وكان يخاف ان تشغله الكثرة منهن او جمال المراة فلينكح واحدة غير جميلة وليراع قلبه في ذلك قال ابو سليمن الزهد في النساء ان يختار المراة الدون او اليتيمة على المراة الجميلة والشريفة وقال الجنيد احب للمريد المبتدي ان لا يشتغل قلبه بثلاث والا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزوج وقال احب للصوفي ان لا يقرا ولا يكتب لانه اجمع لهمه فاذا ظهر ان لذة النكاح كلذة الاكل فما يشغل عن الله فهو محذور فيهما جميعا **المهم السادس** ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة وهو المال والجاه **اما الجاه** فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به الى الاستعانة في الاغراض والاعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته و

افتقر الى من يخدمه افتقر الى الجاه لا محالة في قلب خادمه لانه ان لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه وهذا له اول قريب ولكن يتمادى الى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وانما يحتاج الى المحل في القلوب اما لجلب نفع او لدفع ضر والخلاص من ظلم فاما النفع فيغني عنه المال فان من يخدم باجرة يخدم وان لم يكن للمستاجر عنده قدر وانما يحتاج الى الجاه في قلب من يخدم بغير اجرة واما دفع الضر فيحتاج لاجله الى الجاه في بلد لا يكمل العدل فيه او يكون بين جيران يظلمونه فلا يقدر على دفع شرهم الا بمحل له في القلوب او محل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخايض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد ان لا يسعى لطلب المحل في القلوب اصلا فان اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع به عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين واما التوهمات والتقديرات التي تحوج الى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي اوهام كاذبة اذ من طلب الجاه ايضا لم يخل عن اذى في بعض الاحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر اولى من علاجه بطلب الجاه فاذن طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه اصلا واليسير منه داع الى الكثير وضراوته اشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره **واما المال** فهو ضروري في المعيشة اعني القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب حاجة يومه فينبغي ان يترك الكسب كان بعضهم اذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك الى ما يكفيه اكثر من سنة فقد خرج من حد ضعفاء الزهاد واقويائهم وان كانت له ضيعة ولم يكن له قوة يقين في التوكل فامسك منها مقدار ما يكفي ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنته ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فان شرط التوكل في الزهد كما شرطه اويس القرني فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا انه خرج من حد الزهاد نعني به ان ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات المحمودة لا يناله والا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالاضافة الى ما زهد فيه من الفضول الكثيرة وامر المنفرد في جميع ذلك اخف من امر المعيل وقد قال ابو سليمن لا ينبغي ان يرهق الرجل اهله الى الزهد بل يدعوهم اليه فان اجابوا والا تركهم وفعل بنفسه ما شاء معناه ان التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله نعم لا ينبغي ان يجيبهم ايضا فيما يخرج عن حد الاعتدال وليتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انصرف من بيت فاطمة رضي الله عنها بسبب ستر وقلبين لان ذلك من الزينة لا من الحاجة فاذن ما يضطر اليه الانسان من جاه ومال ليس بمحذور بل الزايد على الحاجة سم قاتل والمقتصر على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة فما يقرب من الزيادة وان لم يكن سما قاتلا فهو مضر وما يقرب من الضرورة فهو وان لم يكن دواء نافعا ولكنه قليل الضرر والسم محظور شربه والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه امره فمن احتاط فانما يحتاط لنفسه ومن تساهل فانما يتساهل على نفسه ومن استبرا لدينه وترك ما يريبه الى ما لا يريبه ورد نفسه الى مضيق الضرورة فهو الآخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة والمقتصر على الضرورة والمهم لا يجوز ان ينسب الى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لانه

شرط الدين والشرط من جملة المشروط ويدل عليه ما روي ان ابرهيم صلوات الله وسلامه
عليه اصابته حاجة فذهب الى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى
الله تع اليه لو سالت خليلك لاعطاك فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسالك منها
شيئا فاوحى الله تع اليه ليس الحاجة من الدنيا فاذا قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال
في الآخرة وهو في الدنيا ايضا كذلك يعرفه من يخبر احوال الاغنياء وما عليهم من المحنة
في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه وغاية سعادته ان يسلم لورثته فياكلونه و
ربما يكونون اعداء له وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو معينا لهم عليها ولذلك شبه
جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حتى يقتلها ثم يروم الخروج فلا
يجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه قال الشاعر ، كدود كدود القز
ينسج دائما ، ويهلك غما وسط ما هو ناسجه ، فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فانما يحكم
على قلبه سلاسل تقيده بما يشتهيه حتى يتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والاهل و
الولد وشماتة الاعداء ومراياة الاصدقاء وسائر حظوظ الدنيا فلو خطر له انه قد اخطا فيه
وقصد الخروج من الدنيا لم يقدر وراى قلبه مقيدا بسلاسل واغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك
محبوبا من محابه باختياره كاد ان يكون قاتلا لنفسه وساعيا في هلاكه الى ان يفرق ملك الموت
بينه وبين جميعها دفعة واحدة فتبقى السلاسل من قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها
فهي تجاذبه الى الدنيا ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه الى الآخرة فيكون اهون
احواله عند الموت ان يكون كشخص ينشر بالمنشار ويفصل احد جانبيه عن الآخر بالمجاذبة من
الجانبين والذي ينشر بالمنشار انما ينزل الالم ببدنه ويتالم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث اثره
فما ظنك بالم تمكن اولا من صميم القلب مخصوصا به لا بطريق السراية اليه من غيره فهذا اول عذاب
يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت النزول في اعلى عليين وجوار رب العالمين فبالنزول الى الدنيا
يحجب عن لقاء الله وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم اذ النار غير مسلطة الا على محجوب
قال الله تع كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم فرتب العذاب بالنار على الحجاب
والم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف اذا اضيفت العلاوة اليه فنسال الله تع ان يقرر في
اسماعنا ما نفث في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له احبب ما احببت فانك مفارقه
ولما انكشف للاولياء الله تع ان العبد مهلك نفسه باعماله واتباعه هوى نفسه اهلاك
دود القز نفسه رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن رايت سبعين بدريا كانوا فيما احل
الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم وفي لفظ آخر كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم بالخصب والرخاء
ولو رايتموهم قلتم مجانين ولو راوا اخياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو راوا اشراركم قالوا
ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب وكان احدهم يعرض عليه المال الحلال فلا ياخذه يقول اخاف ان
يفسد علي قلبي فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فساده والذين امات حب الدنيا قلوبهم
فقد اخبر الله تع عنهم اذ قال تع ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون وقال

تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وقال تع فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد
الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فاحال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلم
احملني في سياحتك فقال اخرج مالك والحقني فقال لا استطيع فقال عليه السلم بعجب يدخل
الغني الجنة او قال بشدة وقال بعضهم ما من يوم ذر شارقه الا واربعة املاك ينادون
في الآفاق باربعة اصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول احدهم من المشرق يا باغي
الخير هلم ويا باغي الشر اقصر ويقول الآخر اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا ويقول
اللذان بالمغرب احدهما لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الآخر كلوا وتمتعوا لطول الحساب ه

بيان علامات الزهد اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال
واظهار الخشونة سهل على من احب المدح بالزهد فكم من الرهابين ردوا انفسهم كل يوم الى قدر
يسير من الطعام ولازموا ديرا لا باب له وانما مسرة احدهم معرفة الناس حاله ونظرهم اليه
ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى
يكمل الزهد بل في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الاصواف
الفاخرة والثياب الرفيعة كما قال الخواص في وصف المدعين اذ قال وقوم ادعوا الزهد و
لبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم لئلا ينظر اليهم
بالعين التي ينظر بها الى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون لنفوسهم
باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها وانما ياخذون
بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقائق والجئوا الى المضايق وكل هؤلاء اكلة الدنيا بالدين لم يعنوا
بتصفية اسرارهم ولا بتهذيب اخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها
حالا لهم فهم مائلون الى الدنيا متبعون للهوى فهذا كله كلام الخواص فاذن معرفة الزهد مشكل
بل حال الزاهد على الزاهد مشكل وينبغي ان يعول في باطنه على ثلاث علامات الاولى انه لا يفرح
بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تع لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم بل ينبغي ان
يكون بالضد من ذلك وهو ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده العلامة الثانية ان يستوي
عنده ذامه ومادحه فالاولى علامة الزهد في المال والثانية علامة الزهد في الجاه العلامة الثالثة
ان يكون انسه بالله والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة اما
محبة الدنيا واما محبة الله وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء و
لا يجتمعان وكل من انس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره ولذلك قيل لبعضهم الى ماذا
افضى بهم الزهد فقال الى الانس بالله فاما الانس بالدنيا وبالله فلا يجتمع وقد قال اهل المعرفة
اذا تعلق الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما واذا بطن الايمان في
سويداء القلب وباشره ابغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلم
اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي وقال ابو سليمن من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا
مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لا بد ان يكون

في احد هذين المقامين ومقامه الاول ان يشتغل بنفسه وعند ذلك يستوي عنده الذم والمدح
والوجود والعدم فلا يستدل بامساكه قليلاً من المال على فقد زهده اصلاً قال ابن ابي الحواري
قلت لابي سليمان كان داود الطائي زاهداً قال نعم قلت بلغني انه ورث من ابيه عشرين ديناراً
فانفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهداً وهو يمسك الدنانير فقال اردت منه ان يبلغ
حقيقة الزهد واراد بالحقيقة الغاية فان الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس ولا يتم
الزهد الا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئاً مع القدرة عليه خوفاً على قلبه وعلى دينه
فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه وآخره ان يترك كل ما سوى الله حتى لا يتوسد حجراً كما فعله عيسى صلوات
الله عليه فنسال الله تع ان يرزقنا من مباديه نصيباً وان قل فان امثالنا لا تستجري على الطمع
في غاياته وان كان قطع الرجاء عن فضل الله تع غير ماذون فيه واذا الاحظنا عجائب نعم الله تع
علينا علمنا ان الله لا يتعاظمه شيء فلا بعد في ان نعظم السؤال اعتماداً على الجود المجاوز لكل كمال
فاذن علامة الزهد استواء الغنى والفقر والعز والذل والمدح والذم وذلك لغلبة الانس بالله
ويتفرع عن هذه العلامات علامات اخر لا محالة مثل ان يترك الدنيا ولا يبالي من اخذها وقيل
علامته ان يترك الدنيا كما هي فلا يقول ابني رباطاً او اعمر مسجداً وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد
السخاء بالموجود وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة في الخروج من الملك وقال ايضاً
الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف وقال ابو سليمان الصوف علم من اعلام الزهد
فلا ينبغي ان يلبس صوفاً بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم وقال احمد بن حنبل
وسفيان علامة الزهد قصر الامل وقال سري لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا
يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه وقال النصراباذي الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب
في الآخرة وقال يحيى بن معاذ علامة الزهد ثلاثة عمل بلا علاقة وقول بلا طمع وعز بلا رياسة
وقال ايضاً الزاهد يسعطك الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر وقال له رجل
متى ادخل حانوت التوكل والبس رداء الزهد واقعد مع الزاهدين فقال اذا صرت من رياضتك
لنفسك في السر الى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة ايام لم تضعف في نفسك فاما ما لم تبلغ
هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن ان تفتضح وقال ايضاً الدنيا كالعروس
ومن يطلبها ماشطها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف
يشتغل بالله لا يلتفت اليها وقال السري مارست كل شيء من امر الزهد فنلت منه ما اريد الا
الزهد في الناس فاني لم ابلغه ولم اطقه وقال الفضيل جعل الله الشر كله في بيت و
جعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد فيها فهذا ما
اردنا ان نذكره من حقيقة الزهد واحكامه واذا كان الزهد لا يتم الا بالتوكل فلنشرع في
بيانه ان شاء الله تع. تم كتاب الفقر والزهد والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله

كتاب التوحيد والتوكل وهو
الكتاب الخامس من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين
الحمد لله المدبر للملك والملكوت. المتفرد بالعزة والجبروت. الرافع السماء بغير عماد.
المقدر فيها ارزاق العباد. الذي صرف اعين ذوي القلوب والالباب. عن ملاحظة الوسايط
والاسباب. ورفع هممهم عن الالتفات الى ما عداه. والاعتماد على مدبر سواه. فلم يعبدوا الا
اياه. علماً بانه الفرد الواحد الصمد الاله. وتحققاً بان جميع اصناف الخلق عباد امثالهم لا يبتغى
عندهم الرزق. وانه ما من ذرة الا الى الله خلقها. وما من دابة الا على الله رزقها. فلما تحققوا
انه لرزق عباده ضامن وبه كفيل. توكلوا عليه وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. والصلوة
على محمد قامع الاباطيل. الهادي الى سواء السبيل. وعلى آله واصحابه وسلم كثيراً اما بعد
فان التوكل منزل من منازل الدين. ومقام من مقامات الموقنين. بل من معالي درجات
المقربين. وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل. ووجه غموضه
من حيث الفهم ان ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتباعد عنها بالكلية
طعن في السنة وقدح في الشرع والاعتماد على الاسباب من غير ان ترى اسباباً تغيير في وجه
العقل وانغماس في غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد و
العقل والشرع في غاية الغموض والعسر ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة هذا الخفاء
الا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله بانوار الحقايق فابصروا وتحققوا ثم نطقوا بالاعراب
عما شاهدوا من حيث استنطقوا. ونحن الآن نبتدي بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة
ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الاول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني
ان شاء الله تع

بيان فضيلة التوكل

اما من الآيات فقد قال الله تع وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مومنين وقال وعلى الله فليتوكل المومنون وقال تع ومن يتوكل على الله فهو حسبه
وقال تع ان الله يحب المتوكلين واعظم بمقام موسوم بمحبة الله تع صاحبه ومضمون
بكفاية الله ملابسه فمن الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فان
المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقد قال الله تع اليس الله بكاف عبده فطالب
الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب بهذه الآية فانه سوال في معرض استنطاق بالحق
كقوله تع هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً وقال ومن يتوكل على الله فان
الله عزيز حكيم اي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ الى ذمامه وحكيم لا يقصر
عن تدبير من توكل على تدبيره وقال تع ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم بين ان كل
ما سوى الله تع عبد مسخر حاجته مثل حاجتك فكيف تتكل عليه وقال تع ان الذين تعبدون من دون
الله عباد امثالكم لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال تع ولله خزائن السموات
والارض ولكن المنافقين لا يفقهون وقال تع يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وكل
ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار
واما الاخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود اريت الامم بالموسم فرايت امتي

فدلوني السهل والجبل فاعجبني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي ارضيت قلت نعم فقيل ومع هؤلاء
سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله فقال الذين لا يكتوون
ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله
ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم
فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق
توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال صلى الله عليه وسلم من انقطع الى
الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال
عليه السلام من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يديه ويروى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا الى الصلوة ويقول بهذا امرني
ربي قال الله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها الاية وقال صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من استرقى
واكتوى وروي انه لما قال جبريل لابرهيم وقد رمي الى النار من المنجنيق الك حاجة فقال
اما اليك فلا وفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل اذ قال ذلك حين اخذ ليرمى به واوحى الله تعالى
الى داود يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والارض الا جعلت له
مخرجا واما الاثار فقد قال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فاقسمت علي امي لتسترقين
فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ وقرا الخواص قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت الى آخرها
فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الاية ان يلجا الى احد غير الله وقيل لبعض العلماء في المنام من وثق بالله
فقد احرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك
من العمل فتضيع امر آخرتك ولا تنال من الدنيا الا ما قد كتبه الله لك وقال يحيى بن معاذ في
وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على ان الرزق مامور بطلب العبد وقال ابرهيم بن
ادهم سألت بعض الرهبان من اين تاكل فقال ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من اين يطعمني
وقال هرم بن حيان لاويس القرني اين تامرني ان اكون فاومى الى الشام فقال هرم كيف
المعيشة بها قال اويس اف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة وقال
بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا **بيان حقيقة التوحيد الذي
هو اصل التوحيد** اعلم ان التوكل من ابواب الايمان وجميع ابواب الايمان لا ينتظم الا بعلم
وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الاصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل
فلنبدأ **ببيان العلم** الذي هو الاصل وهو المسمى ايمانا في اصل اللسان اذ الايمان هو التصديق
وكل تصديق بالقلب فهو علم واذا قوي سمي يقينا ولكن ابواب اليقين كثيرة ونحن انما نحتاج منها
الى ما يبنى عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له و
الايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك والايمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك وله
الحمد فمن قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فقد تم له الايمان الذي
هو اصل التوكل اعني ان يصير معنى هذا القول وصفا لازما لقلبه غالبا عليه فاما التوحيد فهو

الاصل

الاصل والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفة يتعلق بالاعمال
بواسطة الاحوال ولا يتم علم المعاملة الا به فاذن لا نتعرض الا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة والا
فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فنقول للتوحيد اربع مراتب وهو ينقسم الى لب
ولب اللب والى قشر وقشر القشر ولنمثل ذلك تقريبا الى الافهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا
فان له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب فالمرتبة الاولى من التوحيد ان يقول الانسان
باللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه او منكر له كتوحيد المنافق والثانية ان يصدق بمعنى
اللفظ قلبه كما صدق به عموم الناس وهو اعتقاد والثالثة ان يشاهد ذلك بطريق الكشف
بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين وذلك بان يرى اشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة
من الواحد القهار والرابعة ان لا يرى في الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين و
يسميه الصوفية الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير
نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه فالاول
موحد بمجرد اللسان وذلك يعصم صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان والثاني
موحد بمعنى انه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة
على القلب ليس فيه انشراح وانفتاح ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في الآخرة ان توفي
عليها ولم تضعف بالمعاصي عقدتها ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله
تسمى بدعة وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها ايضا احكام هذه
العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاما والعارف بها يسمى متكلما وهو في مقابلة المبتدع
ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام وقد يخص المتكلم باسم الموحد من
حيث انه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته والثالث
موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا اذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا فاعل بالحقيقة
الا واحد وقد انكشف له الحقيقة كما هي عليه لا انه كلف قلبه ان يعقد على مفهوم لفظ
الحقيقة فان ذلك رتبة العوام والمتكلمين اذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة
تلفيق الكلام الذي به تدفع حيل المبتدع في تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى انه لم
يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية
القصوى في التوحيد فالاول كالقشرة العليا من الجوز والثاني كالقشرة السفلى والثالث
كاللب والرابع كالدهن المستخرج من اللب وكما ان القشرة العليا لا خير فيها بل ان اكلت فهي
مر المذاق وان نظر الى باطنها فهو كريه المنظر وان اتخذ حطبا اطفا النار واكثر الدخان
وان ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة على الجوز للصوان ثم يرمى به عنه
فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم
الظاهر والباطن لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى الى وقت الموت والقشرة السفلى
هي القلب والبدن وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة فانهم لم يؤمروا بشق القلوب

كان صح

فانيا عن صح

والسيف انما يصيب جسم البدن وهو القشر وانما يجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة
بعده وكما ان القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة العليا فانها تصون اللب عن
تغيره عن الفساد عند الادخار واذا فصل امكن ان ينتفع به حطبا لكنه نازل القدر بالاضافة
الى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالاضافة الى مجرد نطق اللسان ناقص
القدر بالاضافة الى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق
فيه اذ ذلك الشرح هو المراد بقوله تع فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله تع
افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وكما ان اللب نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر
وكانه المقصود ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد
الفعل مقصد عال للسالكين ولكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة
بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق **فان قلت** كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا
وهو يشاهد السماء والارض وساير الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا
فاعلم ان هذا غاية علوم المكاشفات واسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب فقد
قال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة نعم ذكر ما يكسر سورة
استبعادك ممكن وهو ان الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون واحدا بنوع آخر من
المشاهدة والاعتبار وهذا كما ان الانسان كثير اذا التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه
واحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة اخرى واحد اذ نقول انه انسان واحد فهو بالاضافة الى
الانسانية واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعائه وعروقه واطرافه
وتفصيل روحه وجسده والفرق بينهما فهو في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق
بواحد ليس فيه تفرق وكانه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقة فكذلك كل ما في الوجود من
الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات
واحد وباعتبار آخر سواه كثير بعضه اشد كثرة من بعض ومثاله الانسان وان كان لا يطابق
الغرض ولكنه ينبه بالجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحدا وتستفيد بهذا الكلام ترك
الانكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به ايمان تصديق فيكون لك من حيث انك مؤمن بهذا
التوحيد نصيب وان لم يكن ما آمنت به صفتك كما انك اذا آمنت بالنبوة وان لم تكن نبيا كان
لك نصيب منها بقدر قوة ايمانك وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم
وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز والى هذا اشار الحسين بن منصور
الحلاج حيث راى الخواص يدور في البوادي فقال فيما ذا انت فقال ادور في الاسفار لاصحح الاسفار
حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء
في التوحيد فكان الخواص كان في تصحيح المقام الثالث من التوحيد فطالبه بالمقام الرابع
فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال **فان قلت** فلا بد لهذا من شرح بقدر
ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه **فاقول** اما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه وليس التوكل ايضا

مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث واما الاول وهو النفاق فواضح
واما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين وطريق تاكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة
فيه مذكور في علم الكلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه واما الثالث
فهو الذي يبتني التوكل عليه اذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر
الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله امثال هذا الكتاب وحاصله ان ينكشف
لك ان لا فاعل الا الله تع وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحيوة وموت وغنى وفقر
الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله تع لا شريك له فيه واذا انكشف لك
هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على
الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات و
الارض واذا انفتحت لك ابواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر وانما
يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقامين يبتغي به ان يطرق الى قلبك شائبة الشرك
احدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات الى الجمادات **اما الالتفات**
الى الجمادات كاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه وعلى الغيم في نزول المطر وعلى
البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل
بحقائق الامور ولذلك قال تع فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجيهم الى البر
اذا هم يشركون معناه انهم يقولون لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له امر العالم
كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا الى
هي ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه فالتفات العبد في النجاة الى الريح يضاهي
التفات من اخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعا بالعفو عنه وتخليته فاخذ يشتغل بذكر
الحبر والكاغذ والقلم الذي به كتب التوقيع ويقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم
لا من محرك القلم وهو غاية الجهل ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه وانما هو مسخر في يد الكاتب
لم يلتفت اليه ولم يشكر الا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك الموقع عن ان يخطر بباله
القلم والحبر والدواة فالشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والارض وكل حيوان وجماد مسخرات
في قبضة القدرة تسخر القلم في يد الكاتب بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك ان الملك الموقع هو
كاتب التوقيع والحق ان الله تع هو الكاتب كما قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاذا
انكشف لك ان جميع ما في السموات والارض مسخرة على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان
خائبا وايس عن مزج توحيدك بهذا الشرك فياتيك في المهلكة الثانية **وهي الالتفات**
الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية ويقول كيف ترى الكل من الله تعالى وهذا الانسان
يعطيك رزقك باختياره فان شاء اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك
بسيفه وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا ترجو
وامرك بيده وانت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول له ايضا نعم ان كنت لا ترى القلم لانه مسخر

فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له وعند هذا زلت اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين
لا سلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد
جميع الضعفاء كون القلم مسخرا وعرفوا ان غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلا لو كانت تدب
على الكاغد فرأت رأس القلم يسود البياض ولم يمتد بصرها الى الاصابع الكاتب وبده فضلا عن صاحب
اليد لغلطت فظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم
لضيق حدقتها فكذلك من لم ينشرح بنور الله صدره قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات
والارض ومشاهدة كونه قهارا وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض بل ارباب
القلوب والمشاهدات قد انطق الله في حقهم كل ذرة في الارض والسموات بقدرته التي بها نطق كل
شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله وشهادتها على انفسها بالعجز بلسان ذلق يتكلم بلا حرف
ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع لمعزولون ولست اعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز
الاصوات فان الحمار شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه البهايم وانما اريد به سمعا يدرك به كلام
ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي فان قلت فهذه اعجوبة لا يقبلها العقل فصف
لي كيفية نطقها وانها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف سبحت وقدست وكيف شهدت على
انفسها بالعجز فاعلم ان لكل ذرة في السموات والارض مع ارباب القلوب مناجاة في السر
وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله الذي لا نهاية له ولو كان البحر
مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ثم انها تناجي باسرار الملك
والملكوت وافشاء السر لؤم بل صدور الاحرار قبور الاسرار وهل رأيت قط امينا على
اسرار الملك قد نوجي بخفاياه فينادي به على ملأ من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر ذلك
لهم حتى يبكون ولا يضحكون ولما نهى عن افشاء سر القدر ولما قال اذا ذكر النجوم
فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا ولما خص حذيفة رضي الله عنه
ببعض الاسرار فاذن عن حكاية مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب ارباب المشاهدات
مانعان احدهما استحالة افشاء السر والثاني خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكنا
في المثال الذي كنا فيه وهو حركة القلم نحكي عن مناجاتها قدرا يسيرا تفهم به على الاجمال
كيفية ابتناء التوكل عليه ونرد كلماتها الى الحروف والاصوات وان لم تكن هي حروفا واصواتا
ولكن هي ضرورة التفهيم فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغذ و
قد رآه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان ابيض مشرقا فالآن قد ظهر عليه السواد
فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغذ ما انصفتني في هذه المطالبة فاني ما سودت
وجهي بنفسي ولكن سل الحبر فانه كان مجموعا في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن وطنه
ونزل بساحة وجهي عدوانا وظلما فقال صدقت فسأل الحبر عن ذلك فقال ما انصفتني فاني
كنت في المحبرة وادعا ساكنا عازما على ان لا ابرح منها فاعتدى علي القلم بطمعه الفاسد واختطفني

من وطني

من وطني واجلاني عن بلدي وفرق جمعي وبددني كما ترى على ساحة بيضاء فالسؤال عليه
لا علي فقال صدقت ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه واخراج الحبر عن وطنه فقال
سل اليد والاصابع فاني كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها بين خضرة الاشجار
فجاءتني اليد بسكين فنحتت عني قشري ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من اصلي ثم فصلت
بين انابيبي ثم برتني وشقت راسي ثم غمستني في سواد الحبر ومرارته وهو ذا يستخدمني
ويمشيني على قمة راسي فلقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك فتنح عني
وسل من قهرني فقال صدقت ثم سأل اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم وتحذيبها عليه واستخدامها
له فقالت ما انا الا لحم وعظم ودم وهل رأيت لحما يظلم او جسما يتحرك بنفسه وانما
انا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والقوة فهي التي ترددني وتجول بي في نواحي
اما ترى المدر والشجر والحجر لا يتعدى شيء منها مكانه ولا يتحرك بنفسه اذ لم يركبه مثل هذا
الفارس القوي القاهر اما ترى ايدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة
بينها وبين القلم فانا ايضا من حيث انا لا معاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شأني
فاني مركب ازعجني من ركبني فقال صدقت ثم سأل القدرة عن شأنها في استعمال اليد واستخدامها
وكثرة ترديدها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم
لا ذنب له وكيف خفي عليك امري وكيف ظننت اني ظلمت اليد لما ركبتها ولقد كنت لها راكبة
قبل التحريك وما كنت احركها ولا استسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الظانون بي اني ميتة
او معدومة لاني ما كنت اتحرك ولا احرك حتى جاءني موكل ازعجني وارهقني الى ما تراه مني فكانت لي
قوة على مساعدته ولم يكن لي قوة على مخالفته وهذا الموكل يسمى الارادة ولا اعرفه الا باسمه
وهجومه وصياله اذ ازعجني من غمرة النوم وارهقني الى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني
ورأيي فقال صدقت ثم سأل الارادة ما الذي جرأك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة
حتى صرفتها الى التحريك وارهقتها اليه ارهاقا لم تجد عنه مخلصا ومناصا فقالت الارادة
لا تعجل علي فلعل لنا عذرا وانت تلوم فاني ما انتهضت بنفسي ولكني انهضت وما انبعثت
ولكني بعثت بحكم قاهر وامر جازم وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم
على لسان العقل بالاشخاص للقدرة فاشخصتها باضطرار واني مسكينة مسخرة تحت قهر
العلم والعقل ولا ادري باي جرم وقفت عليه وسخرت له والزمت طاعته لكني ادري اني في دعة
وسكون ما لم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل او الظالم وقد وقفت عليه
وقفا والزمت طاعته الزاما بل لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة على المخالفة لعمري
ما دام هو في التردد مع نفسه والتحير في حكمه فانا ساكنة لكن مع استشعار وانتظار لحكمه فاذا
انجزم حكمه ازعجت بطبع وقهر تحت طاعته واشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن
شأني ودع عني عتابك فاني . مهما ترحلت عن قوم وقد قدروا . ان لا تفارقهم
فالراحلون هم . فقال صدقت واقبل على العقل والعلم والقلب مطالبا لهم ومعاتبا

ايا هم على استنهاضها للارادة وتشجيعها لاشخاص القدرة فقال العقل اما انا فسراج
ما اشتعلت بنفسي ولكني أشعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي
ولكني بُسطت وقال العلم انما انا نقش نُقشت في بياض لوح القلب لما اشرق
سراج العقل وما انخططت بنفسي فكم كان هذا اللوح قبلي خاليا عني فسل القلم عني فان
الخط لا يكون الا بالقلم فعند هذا تتعتع السائل ولم يُقنعه جوابه فقال قد طال تعبي في هذا
الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت في معرفة هذا الامر منه على غيره ولكني قد كنت
أطيب نفسا بكثرة الترداد لما كنت اسمع كلاما مقبولا في الفؤاد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال
فاما قولك اني خط ونقش وانما خطني قلم فلست افهمه فاني لا اعلم قلما الا من القصب
ولا لوحا الا من العظم او الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار واني اسمع في هذا
المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا اشاهد من ذلك شيئا اسمع جعجعة و
لا ارى طحنا فقال له العلم ان صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك
ضعيف واعلم ان المهالك في الطريق الذي توجهت اليه كثيرة فالصواب لك ان
تنصرف وتدع ما انت فيه فما هذا بعُشّك فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له وان كنت
راغبا في استتمام الطريق الى المقصد فالق سمعك وانت شهيد واعلم ان العوالم
في طريقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة اولها ولقد كان الكاغذ والحبر والقلم واليد
من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت وهو ورائي
فاذا جاوزتني انتهيت الى منازله وفيها المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار
المغرقة ولا ادري كيف تسلم فيها والثالث عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت
ولقد قطعت منه ثلاث منازل اذ في اوله منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة
عالم بين الملك والملكوت لان عالم الملك اسهل منه طريقا وعالم الملكوت اوعر منه منهجا و
انما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين
الارض والماء فلا هي في حد اضطراب الماء ولا هي في حد سكون الارض وثباتها وكل
من يمشي على الارض يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته الى حد يقوى على
ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى ان يمشي على الماء من غير
سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تتعتع فان كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف
فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك الا الماء الصافي واول
عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم وحصول اليقين الذي به يمشي على الماء اما
سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى على الهواء لما
ان قيل له انه كان يمشي على الماء فقال السالك السائل قد تحيرت في امري و
استشعر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست ادري أطيق قطع هذه المهامه
التي وصفتها ام لا فهل لذلك من علامة فقال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدّق

فان ظهر لك القلم الذي به ينكتب في لوح القلب فيشبه ان تكون اهلا لهذا الطريق فان
كل من جاوز عالم الجبروت وقرع اول باب من ابواب الملكوت كوشف بالقلم اما ترى النبي
صلى الله عليه وسلم كوشف في اول امره بالقلم اذ نزل عليه قوله تع اقرأ باسم ربك الذي خلق
خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السائل
لقد فتحت بصري وحدقته فوالله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال
العلم لقد ابعدت النجعة اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت اما علمت ان
الله تع لا يشبه ذاته سائر الذوات فكذلك لا تشبه يده الايدي ولا قلمه الاقلام ولا كلامه
سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه امور الهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته
بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب حبره صح
ولا لوحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا زاج وعفص فان كنت
لا تشاهد هذا هكذا فما اراك الا مخنثا بين فحولة التنزيه وانوثة التشبيه مذبذبا بين هذا
وذاك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فكيف نزهت ذاته تع وصفاته عن الاجسام وصفاتها ونزهت
كلامه عن معاني الحروف والاصوات واخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه فان
كنت قد فهمت من قوله ان الله خلق آدم على صورته الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبها
مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا والا فلا تلعب بالتوراة وان فهمت منه الصورة الباطنة التي
تدرك بالبصائر لا بالابصار فكن منزها صرفا ومقدسا فحلا واطو الطريق فانك بالواد
المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من
سرادقات العرش تنادى بما نودي موسى اني انا ربك الاعلى فلما سمع السالك من العلم ذلك
استشعر قصور نفسه وانه مخنث في التشبيه والتنزيه فاشتعل قلبه نارا من حدة غضبه
على نفسه لما رآها بعين النقص ولقد كان زيته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم
تمسسه نار فلما نفخ فيه العلم بحدته اشتعل زيته فاصبح نورا على نور فقال له العلم اغتنم
الآن هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على هذه النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم
الالهي واذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له راس ولا ذنب و
هو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم اصناف العلوم وكان له في كل قلب راسا ولا راس له فقضى
منه العجب وقال نعم الرفيق العلم جزاه الله عني خيرا اذ الآن ظهر لي صدق انبائه عن اوصاف
القلم فاني اراه قلما لا كالاقلام فعند هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامي عندك
ومرادي لك وانا عازم على السفر الى حضرة القلم فاساله عن شانه فسار اليه وقال ايها القلم
ما بالك تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الارادات الى اشخاص القدر و
صرفها الى المقدورات فقال اوقد نسيت ما رايت في عالم الملك والشهادة وسمعته من جواب
القلم اذ سالته فاحالك على اليد فقال لم انس ذلك فقال فجوابي مثل جوابه قال كيف وانت
لا تشبهه قال القلم اما سمعت ان الله خلق آدم على صورته قال بلى قال فسل عن شاني الملقب

يمين الملك فاني في قبضته وهو الذي يرددني وانا مقهور مسخر فلا فرق بين القلم الالهي وقلم الادمي
في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال ومن يمين الملك فقال القلم اما سمعت قوله
تعالى والسموات مطويات بيمينه قال بلى قال فالاقلام ايضا في قبضة يمينه هو الذي يرددها فسافر
السالك من عنده الى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء
من ذلك ولا شرحه بل لا تحوي مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه والجملة فيه انه يمين لا كالايمان
ويد لا كالايدي واصبع لا كالاصابع فرأى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل اليمين
عن شانه وتحريكه للقلم فقال جوابي ما سمعته من اليمين التي رايتها في عالم الشهادة وهي
الحوالة على القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها القدرة لا محالة فسافر السالك
الى عالم القدرة فراى فيه من العجائب ما استحقر عندها ما قبل ذلك فسألها عن تحريك اليمين
فقالت انما انا صفة فسل القادر اذ العهدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا
كاد ان يزيغ ويطلق بالجراة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات
الحضرة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا يضطرب في
غشيته مدة فلما افاق قال سبحانك ما اعظم شانك تبت اليك وتوكلت عليك وآمنت
بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك من
عقابك وبرضاك من سخطك وما لي الا ان اسألك واتضرع اليك وابتهل بين يديك فاقول
اشرح لي صدري لاعرفك واحلل عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك
ان تطمع في الثناء وتزيد على سيد الانبياء بل ارجع اليه فما آتاك فخذه وما نهاك عنه فانته
وما قاله فقله فانه ما زاد في هذه الحضرة على ان قال سبحانك لا احصي ثناء عليك انت
كما اثنيت على نفسك فقال الهي ان لم يكن للسان جراة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع
في معرفتك فنودي اياك وان تتخطى رقاب الصديقين فارجع الى الصديق الاكبر واقتد به
فان اصحاب سيد الانبياء صلى الله عليه وسلم كالنجوم بايهم اقتديت اهتديت اما سمعته
يقول العجز عن درك الادراك ادراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا ان تعرف انك محروم من
حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا فعند هذا رجع السالك واعتذر عن اسولته و
معاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري فاني
كنت غريبا جديد العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة فما كان انكاري عليكم
الا عن قصور وجهل والان فقد صح عندي عذركم وانكشف لي ان المتفرد بالملك والملكوت
والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما انتم الا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون
في قبضته وهو الاول والاخر والظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة
استبعد منه ذلك وقيل له كيف يكون هو الاول والاخر وهما وصفان متناقضان
وكيف يكون هو الظاهر والباطن والاول ليس باخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الاول
بالاضافة الى الوجود اذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الاخر بالاضافة الى

سير المسافرين اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل الى ان يقع الانتهاء الى
تلك الحضرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في المشاهدة واول في الوجود وهو باطن بالاضافة
الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس الخمس ظاهر بالاضافة الى من
يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت فهذا
كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل اعني من انكشف له ان الفاعل واحد
فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد الى انه يبتني على الايمان بعالم الملكوت فمن لا يفهم
ذلك فيجحده فما طريقه فاقول اما الجاحد فلا علاج له الا ان يقال انكارك لعالم
الملكوت كانكار السمنية لعالم الجبروت وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فانكروا
القدرة والارادة والعلم لانها لا تدرك بالحواس الخمس ولازموا حضيض عالم الشهادة
فان قال وانا منهم فاني لا اهتدي الا الى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا اعلم شيئا
سواه فيقال انكارك لما شاهدناه مما وراء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية
للحواس الخمس فانهم قالوا ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه في المنام فان قال وانا من جملتهم
فاني شاك ايضا في المحسوسات فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك
فلا كل مريض يقدر على علاجه الاطباء فهذا حكم الجاحد واما الذي لا يجحد ولكن
لا يفهم فطريق السالكين معه ان ينظروا الى عينه التي بها يشاهد عالم الملكوت فان
وجدوها صحيحة في الاصل وقد نزل فيها ماء اسود يقبل الازالة اشتغلوا بازالته
وتنقيته اشتغال الكحال بالابصار الظاهرة فاذا استوى بصره ارشد الى الطريق
ليسلكه كما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بخواص اصحابه وان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه
ان يسلك السبيل الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه يسمع كلام ذرات الملك والملكوت
لمشاهدة التوحيد كلموه بحرف وصوت وردوا ذروة التوحيد الى حضيض فهمه فان
في عالم الشهادة ايضا توحيدا اذ يعلم كل احد ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين
فيقال له على حد عقله اله العالم واحد والمدبر واحد اذ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
فيكون ذلك على ذوق ما رآه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق
اللائق بقدر عقله وقد كلف الانبياء ان يكلموا الناس على قدر عقولهم ولذلك نزل
القرآن بلسان العرب وعلى حد عادتهم في المحاورة فان قلت فمثل هذا التوحيد
الاعتقادي هل يصلح ان يكون عمادا للتوكل واصلا فيه فاقول نعم فان الاعتقاد
اذا قوي عمل عمل الكشف في اثارة الاحوال الا انه في الغالب يضعف ويتسارع اليه الاضطراب
والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه الى متكلم يحرسه بكلامه او الى ان يتعلم هو الكلام
ليحرس به العقيدة التي تلقفها من استاذه او من ابويه او من اهل بلده واما الذي شاهد الطريق
وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وان كان
يزداد وضوحا كما ان الذي يرى انسانا في وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس

بالانسان ولكن يزداد وضوحاً في تفصيل خلقته وما مثال المكاشفين والمعتقدين
الا كسحرة فرعون مع اصحاب السامري فان سحرة فرعون لما ان كانوا مطلعين على منتهى تأثير
السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى ما جاوز حدود السحر انكشف لهم حقيقة الامر
فلم يكترثوا بقول فرعون لاقطعن ايديكم وارجلكم بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات و
الذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا فان البيان والكشف يمنع التغير
واما اصحاب السامري لما ان كان ايمانهم عن النظر الى ظاهر الثعبان فلما نظروا الى
عجل السامري وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله هذا الهكم واله موسى ونسوا الا يرجع اليهم
قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكل من آمن بالنظر الى ثعبان يكفر لا محالة اذا نظر الى عجل لان
كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير واما عالم الملكوت من
عند الله فلذلك لا تجد فيه اختلافا وتناقضا اصلا **فان قلت** ما ذكرته من التوحيد ظاهر
مهما ثبت ان الوسائط والاسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر الا في حركات الانسان فانه
يتحرك ان شاء ويسكن ان شاء فكيف يكون مسخرا **فاعلم** انه لو كان مع هذا يشاء ان شاء ولا
يشاء ان لم يرد ان يشاء لكان هذا مزلة القدم وموقع الغلط ولكن علمت انه يفعل اذا
شاء ويشاء شاء ام لم يشأ فليست المشية اليه اذ لو كانت اليه لافتقرت الى مشية اخرى
وتسلسل الى غير نهاية واذا لم تكن المشية اليه فمهما وجدت المشية التي تصرف القدرة
الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة
بالقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشية والمشية تحدث ضرورة في القلب
فهذه ضروريات ترتب بعضها على البعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشية ولا انصراف
القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشية للقدرة فهو مضطر في الجميع
فان قلت فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف يكون
مجبورا مختارا **فاقول** لو انكشف لك الغطاء لعرفت انه في عين الاختيار مجبور فهو
اذن مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لم يفهم الاختيار فلنشرح الاختيار
بلسان المتكلمين شرحا وجيزا يليق بما نذكر متطفلا وتابعا فان هذا الكتاب لم نقصد به
الا علم المعاملة ولكني **اقول** لفظ الفعل من الانسان يطلق على ثلاثة اوجه اذ يقال الانسان
يكتب بالاصابع ويتنفس بالحنجرة والرية ويخرق الماء اذا وقف عليه بجسمه فينسب اليه الخرق
للماء والتنفس والكتبة وهذه الثلاث في حقيقة الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف
وراء ذلك في امور فاعرب لذلك عنها بثلاث عبارات فنسمي خرقه للماء عند وقوعه على وجهه
فعلا طبيعيا ونسمي تنفسه فعلا اراديا ونسمي كتبته فعلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل
الطبيعي لانه مهما وقف على وجه الماء او تخطى من السطح الى الهواء انخرق لا محالة به فيكون   انخرق الماء
الخرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان نسبة حركة الحنجرة الى ارادة النفس
كنسبة انخراق الماء الى ثقل البدن مهما كان الثقل موجودا وجد الانخراق بعده وليس الثقل

الى

اليه فكذلك الارادة ليست اليه ولذلك لو قصدت عين الانسان بابرة طبق الاجفان اضطرارا
ولو اراد ان يتركها مفتوحة لم يقدر مع ان تغميض الاجفان فعل ارادي ولكنه اذا تمثل
صورة الابرة في مشاهدته بالادراك حدثت الارادة للتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو
اراد ان يتركه لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والارادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في
كونه ضروريا فاما **الثالث** وهو الاختياري فهو مظنة الالتباس كالكتبة والنطق وهو
الذي يقال فيه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء فيظن من هذا
ان الامر اليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه ان الارادة تبع العلم الذي
يحكم بان الشيء موافق لك والاشياء تنقسم الى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة او الباطنة
بانه يوافقك من غير تحير وتردد والى ما قد يتردد العقل فيه فالذي يقطع به من غير تردد
ان تقصد عينك مثلا بابرة او بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في ان دفع ذلك خير
لك وموافق فلا جرم تنبعث الارادة بالعلم والقدرة بالارادة وتحصل حركة الاجفان
بالدفع وحركة اليد بدفع السيف وذلك من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالارادة ومن الاشياء
ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري انه موافق ام لا فيحتاج الى روية وفكر حتى يتبين ان
الخير في الفعل او الترك فاذا حصل بالفكر والروية العلم بان احدهما خير التحق ذلك
بالذي يقطع به من غير روية وفكر وانبعثت الارادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان
فاذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل انه خير سميت هذه الارادة اختيارا مشتقا من الخير
اي هو انبعاث الى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الارادة ولم ينتظر في انبعاثها
الا ما انتظرت تلك الارادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه الا ان الخيرية في دفع السيف
ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا افتقر الى الروية **فالاختيار** عبارة عن ارادة
خاصة وهي انبعثت باشارة العقل فيما له في ادراكه توقف وعن هذا قيل العقل يحتاج
اليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور ان تنبعث الارادة الا بحكم الحس   التمييز بين
او التخيل او بحكم جزم من العقل ولذلك لو اراد الانسان ان يحز رقبة نفسه مثلا لم
يمكنه لا لعدم القدرة في اليد ولا لعدم السكين ولكن لفقد الارادة الداعية المشخصة للقدرة
وانما فقدت الارادة لانها تنبعث بحكم العقل والحس بكون الفعل موافقا وقتله نفسه
ليس موافقا له فلا يمكنه مع قوة الاعضاء ان يقتل نفسه الا اذا كان في عقوبة مؤلمة
لا تطاق فان العقل ههنا يتوقف في الحكم ويتردد لانه تردد بين شر الشرين فان ترجح
له بعد الروية ان ترك القتل اقل شرا لم يمكنه قتل نفسه وان حكم بان القتل اقل شرا وكان حكمه
جزما لا ميل فيه ولا صارف منه انبعثت الارادة والقدرة واهلك نفسه كالذي يتبع
بالسيف للقتل فانه يرمي نفسه من السطح مثلا وان كان مهلكا ولا يبالي ولا يمكنه
ان لا يرمي نفسه ولو كان يتبع بضرب خفيف فاذا انتهى الى طرف السطح حكم العقل بان
الضرب اهون من الرمي فوقفت اعضاؤه فلا يمكنه ان يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية

البتة لان داعية الارادة مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة للداعية والحركة مسخرة
للقدرة والكل يصدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فانما هو محل ومجرى لهذه الامور فاما
ان يكون منه فكلا ولما فاذن معنى كونه مجبورا ان جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه ومعنى
كونه مختارا انه محل لارادة حدثت فيه جبرا بعد حكم العقل بكون الفعل خيرا وحدث الحكم ايضا
جبرا فاذن هو مجبور على الاختيار ففعل النار في الاحراق مثلا جبر محض وفعل الله اختيار
محض وفعل الانسان على منزلة بين المنزلتين فانه جبر على الاختيار فطلب اهل الحق لهذا
لهذا عبارة ثالثة لما ان كان فنا ثالثا واتبعوا فيه بكتاب الله تع فسموه كسبا وليس مناقضا
للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله يسمى اختيارا بشرط ان لا يفهم
من الاختيار ارادة بعد تحير وتردد فان ذلك في حقه محال وجميع الالفاظ المذكورة في اللغات
لا يمكن ان تستعمل في حق الله تع الا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم
ويطول القول فيه فان قلت فهل تقول ان العلم ولد الارادة والارادة ولدت القدرة
والقدرة ولدت الحركة وان كل متاخر حدث من المتقدم فان قلت ذلك فقد حكمت بحدوث
شيء لا من قدرة الله وان ابيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض فاعلم
ان القول بان بعض ذلك حدث من بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد او بغيره بل
حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة الازلية وهو الاصل الذي لم يقف عليه كافة
الخلق الا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع
تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك يطول ولكن بعض المقدورات مترتبة
على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا يصدر من القوة الازلية ارادة الا بعد علم
ولا علم الا بعد حيوة ولا حيوة الا بعد محل الحيوة وكما لا يجوز ان يقال الحيوة حصلت من الجسم الذي
هو شرط الحيوة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشروط مما ظهر للعامة وبعضها
لم يظهر الا للخواص المكاشفين بنور الحق والا فلا يتقدم متقدم ولا يتاخر متاخر الا بالحق واللزوم
وكذلك جميع افعال الله تع ولولا ذلك لكان التقديم والتاخير عبثا يضاهي فعل المجانين تعالى
الله عن قول الجاهلين علوا كبيرا والى هذا اشار قوله تع وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق فكل ما بين السماء والارض حادث على ترتيب واجب
وحق لازم لا يتصور ان يكون الا كما حدث وعلى الترتيب الذي وجد فما تاخر ما تاخر الا
لانتظار شرطه والمشروط قبل الشرط محال والمحال لا يوصف بكونه مقدورا فلا يتاخر العلم عن
النطفة الا لفقد شرط الحيوة ولا تاخر عنها الارادة بعد العلم الا لفقد شرط العلم وكل ذلك
على منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتدبير
وتفهيم ذلك عسير ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط
مثالا يقرب مبادي الحق من الافهام الضعيفة وذلك بان نقدر انسانا محدثا قد انغمس في
ماء الى رقبته فالحدث لا يرتفع عن اعضائه وان كان الماء هو الذي يرفع الحدث وهو ملاق له فقدر

القدرة الازلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للاعضاء ولكن لا
يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظارا للشرط وهو غسل الوجه فاذا وضع
الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في ساير الاعضاء وارتفع الحدث فربما يظن
الجاهل ان الحدث ارتفع عن اليد برفعه عن الوجه لانه حدث عقيبه اذ يقول كان الماء
ملاقيا ولم يكن رافعا والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل
ارتفاع الحدث من اليد عند غسل الوجه فاذن غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليد وهذا
جهل يضاهي ظن من يظن ان الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم وكل
ذلك خطا بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي لها لا بغسل الوجه
والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيهما شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر اثر العلة
فهكذا ينبغي ان يفهم صدور المقدورات من القدرة الازلية مع ان القدرة قديمة والمقدورات
حادثة وهذا قرع باب لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلنترك جميع ذلك فان مقصودنا
التنبيه على طريق التوحيد في الفعل وان الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو وعليه
الاعتماد والتوكل ولم نقدر على ان نذكر من بحار التوحيد الا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات
التوحيد واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر باخذ قطرات منه وكل ذلك
ينطوي تحت قولك لا اله الا الله وما اخف مؤنتها على اللسان وما اسهل اعتقاد مفهوم لفظها
على القلب وما اعز حقيقتها عند العلماء الراسخين فكيف عند غيرهم فان قلت فكيف
الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد ان لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال
للعباد فان كان العبد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا وان كان الله فاعلا فكيف يكون العبد
فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فاقول نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى
واحد وان كان له معنيان ويكون الاسم مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير
فلانا ويقال قتله الجلاد ولكن الامير قاتل بمعنى والجلاد بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله
فاعل بمعنى فارتبطت القدرة بالارادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبط
بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع وكل ما له ارتباط بقدرة
فان محل القدرة يسمى فاعلا له كيف ما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلا والامير قاتلا لان
القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين فلذلك سمي فعلا لهما فكذلك ارتباط المقدور
بين القدرتين ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تع الافعال في القرآن مرة الى الملايكة و
مرة الى العباد ونسبها بعينها مرة اخرى الى نفسه فقال تع في الموت قل يتوفاكم ملك
الموت الذي وكل بكم ثم قال الله يتوفى الانفس حين موتها وقال تع افرايتم ما تحرثون
اضاف الحرث الينا ثم قال تع انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا و
عنبا وقضبا وزيتونا وقال تع فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ثم قال فنفخنا فيها من
روحنا وكان النافخ جبرئيل وكما قال تع فاذا قراناه فاتبع قرآنه قيل في التفسير معناه اذا

وا عليك جبرئيل وقال تع قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فاضاف القتل اليهم والتعذيب الى
نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تع فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقال وما رميت اذ
رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن معناه اذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد منه
راميا به فما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به راميا اذ هما معنيان مختلفان وقال تع الذي علم بالقلم ثم
قال الرحمن علم القرآن وقال علمه البيان وقال ان علينا بيانه وقال افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الارحام انه يدخل الرحم فياخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا
فيقول يا رب اذكر ام انثى اسوي ام معوج فيقول الله ما شاء ويخلق الملك وفي لفظ آخر يصور
الملك ثم ينفخ فيها الروح بالسعادة او بالشقاوة وقد قال بعض السلف ان الملك الذي يقال
له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجساد وانه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من انفاسه روحا
يلج في جسم ولذلك سمي روحا وما ذكره من مثل هذا الملك وصفته فهو حق يشاهده ارباب القلوب
ببصائرهم فاما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن ان يعلم الا بالنقل والحكم به دون النقل تخمين
مجرد وكذلك ذكر الله تع في القرآن الادلة والآيات في الارض والسموات ثم قال اولم يكف بربك
انه على كل شيء شهيد وقال شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس
بمتناقض بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف كل الموجودات بالله كما قال بعضهم عرفت
ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي وهذا معنى قوله تع اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد و
قد وصف الله نفسه بانه المحيي والمميت ثم فوض الموت والحيوة الى ملكين ففي الخبر ان ملكي الموت
والحيوة تناظرا فقال ملك الموت انا اميت الاحياء وقال ملك الحيوة انا احيي الاموات فاوحى الله تع
اليهما كونا على عملكما وما سخرتما له من الصنع وانا المميت والمحيي لا مميت ولا محيي سواي فاذن الفعل
يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني اذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
للذي ناوله التمرة خذها لو لم تاتها لاتتك اضاف الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة لا تاتي
على الوجه الذي ياتي الانسان اليها ولذلك لما قال التائب اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد قال
صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله فكل من اضاف الكل الى الله تع فهو المحقق الذي عرف الحق و
الحقيقة لاهله ومن اضاف الى غيره فهو المتجوز المستعير في كلامه وللتجوز وجه كما ان للحقيقة وجها
واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع ولكن ظن ان الانسان مخترع بقدرته فسماه فاعلا بحركته
وظن انه تحقيق وتوهم ان نسبته الى الله تع على سبيل المجاز مثل نسبة القتل الى الامير فانه مجاز
بالاضافة الى نسبته الى الجلاد فلما انكشف الحق لاهله عرفوا ان الامر بالعكس وقالوا ان كان الفاعل
قد وضعته ايها اللغوي للمخترع فلا فاعل الا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز اي تجوز به عما
وضعه اللغوي له ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب قصدا او اتفاقا صدقه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اصدق بيت قالته العرب قول لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل
اي كل ما لا قوام له بنفسه وانما يقوم بغيره فهو باعتبار نفسه باطل فانما هو حقيقته وحقيقته
بغيره لا بنفسه فاذن لا حق بالحقيقة الا الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فانه

قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل ولذلك قال سهل يا مسكين كان
ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول انا وانا كن الآن كما لم تكن فانه اليوم كما كان
فان قلت فقد ظهر ان الكل جبر فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضا وكيف
غضبه على فعل نفسه فاعلم ان معنى ذلك قد اشرنا اليه في كتاب الشكر فلا نطول باعادته
فهذا هو القدر الذي رايناه الرمز اليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا الا بالايمان
بالرحمة والحكمة فان التوحيد يورث النظر الى مسبب الاسباب والايمان بالرحمة وسعتها هو
الذي يورث الثقة بمسبب الاسباب ولا يتم حال التوكل كما سياتي الا بالثقة بالوكيل وطمانينة
القلب الى حسن نظر الكفيل وهذا الايمان ايضا باب عظيم من ابواب الايمان وحكاية طريق
المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقادا قاطعا لا
يسترِيب فيه وهو ان يصدق تصديقا يقينيا لا ريب فيه ولا ضعف ان الله عز وجل لو خلق
الخلائق كلهم على عقل اعقلهم وعلم اعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وافاض
عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفه ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف
لهم عواقب الامور واطلعهم على اسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات
حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر ثم امرهم ان يدبروا الملك والملكوت بما اعطوا من
العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ان يزاد فيما دبر الله سبحانه
الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة ولا ان ينقص منها جناح بعوضة ولا ان يرفع فيها
ذرة او يخفض ذرة ولا ان يدفع مرض او عيب او نقص او فقر او ضر عمن بلي به ولا ان يزال صحة
او كمال او غنى او نفع عمن انعم عليه بل كل ما خلقه الله تع من السموات والارض اذا رجعوا فيها
البصر وطولوا فيها النظر لم يروا فيها تفاوتا ولا فطورا وكل ما قسم الله تع بين عباده من رزق و
اجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه
وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي و
ليس في الامكان اصلا احسن منه ولا اتم ولا اكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يفعله لكان
بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان عجزا يناقض الالهية بل كل فقر وضر
في الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة في الآخرة وكل نقص بالاضافة الى شخص فهو نعيم بالاضافة
الى غيره اذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لم يتنعم الاصحاء بالصحة ولولا
النار لم يعرف اهل الجنة قدر النعمة وكما ان فداء ارواح الانس بارواح البهائم وتسليطهم
على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل فكذلك تفخيم النعم على سكان
الجنان بتعظيم العقوبة على اهل النار فداء لاهل الايمان باهل الكفر عين العدل ولو لم يخلق
الناقص لا يعرف الكامل ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس فان الكمال والنقص يظهر
بالاضافة فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعا وكما ان قطع اليد اذا تآكلت ابقاء
على الروح عدل لانه فداء كامل بناقص فكذلك الامر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في

في الدنيا والاخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه وهذا الآن بحر آخر عظيم
واسع الاطراف مضطرب الامواج قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين
ولم يعلموا ان ذلك غامض لا يعقله الا العالمون ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الاكثرون
ومنع عن افشاء سره المكاشفون والحاصل ان الخير والشر مقضي به وقد صار ما قضي به
واجب الحصول بعد سبق المشية فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وامره بل كل صغير و
كبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما اصابك لم يكن ليخطئك وما اخطاك لم يكن
ليصيبك ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي اصول مقام التوكل فلنرجع الى
علم المعاملة ه **الشطر الثاني من الكتاب في احوال التوكل واعماله** وفيه بيان حال التوكل وبيان
ما قاله الشيوخ في حد التوكل وبيان التوكل في الكسب للمنفرد والمعيل وبيان التوكل
في الكسب للمنفرد والمعيل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع المضار وبيان التوكل
في ازالة الضرر بالتداوي وغيره **بيان حال التوكل** قد ذكرنا ان مقام التوكل ينتظم من علم و
حال وعمل وذكرنا العلم فاما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وانما العلم اصله والعمل
ثمرته وقد اكثر الخائضون في بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام
نفسه واخبر عن حده كما جرت عادة اهل التصوف به ولا فائدة في النقل والاكثار فلنكشف
الغطاء عنه فنقول التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل امره الى فلان اي فوضه اليه
واعتمد عليه فيه ويسمى الموكول اليه وكيلا ويسمى المفوض عليه متكلا عليه ومتوكلا عليه مهما
اطمانت اليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل
عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ولنضرب الوكيل في الخصومة مثلا فنقول
من ادعي عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلا
عليه ولا واثق القلب مطمئن النفس بوكيله الا اذا اعتقد فيه اربعة امور منتهى الهداية و
منتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة اما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس
حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شيء اصلا واما القدرة والقوة فليستجرئ على التصريح بالحق
فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحيي ولا يجبن فانه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف و
الجبن والحياء وصارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به واما الفصاحة فهي ايضا
من القدرة الا انها قدرة في اللسان على الافصاح عن كل ما استجرأ القلب عليه واشار اليه فلا
كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبيس واما منتهى الشفقة فليكون
باعثا له على بذل كل ما يقدر عليه من المجهود في حقه فان قدرته لا تغني دون العناية به اذا كان
لا يهمه امره ولا يبالي به ظفر بخصمه او لم يظفر هلك حقه او لم يهلك فان شك في هذه الاربع
او في واحد منها او جوز ان يكون خصمه اكمل في هذه الاربعة منه لم تطمئن نفسه الى وكيله بل
بقي منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة
خصمه ويكون تفاوت احواله في شدة الثقة والطمانينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده بهذه

الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتا لا ينحصر فلا جرم تتفاوت
احوال المتوكلين في قوة الطمانينة والثقة تفاوتا لا ينحصر الى ان ينتهي الى اليقين الذي لا ضعف فيه
كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى بجمع الحلال والحرام لاجله فانه يحصل له يقين
بمنتهى الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الاربع قطعية وكذلك سائر الخصال يتصور
ان يحصل القطع بها وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الاخبار بانه افصح الناس لسانا و
اقواهم بيانا واقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فاذا عرفت
التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل على الله فان ثبت في نفسك بكشف او باعتقاد جازم انه لا فاعل
الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية
والرحمة بجملة العباد وبالآحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء
منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه
ولا الى نفسك وحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة
والقدرة فان الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فان كنت لا تجد هذه الحالة من
نفسك فسببه احد امرين اما ضعف اليقين باحدى هذه الخصال الاربع واما ضعف القلب ومرضه
باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم و
طاعة له من غير نقصان في اليقين وان من كان يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما
نفر طبعه عنه وان كان متيقنا لكونه ميتا وانه جماد في الحال وان سنة الله مطردة بان
لا يحشره الآن ولا يحييه وان كان تع قادرا عليه كما انها مطردة بان القلم الذي في يده
لا يقلبه حية ولا يقلب السنور اسدا وان كان قادرا عليه ومع انه لا يشك في هذا اليقين
ينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش او المبيت معه في بيت ولا ينفر عن سائر الجمادات
وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شيء منه وان قل وقد يقوى فيصير
مرضا حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذن لا يتم التوكل الا
بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمانينته فالسكون في القلب شيء
واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمانينة معه كما قال تع اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
فالتمس ان يشاهد احياء الميت بعينه ليثبت في خياله فان النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا
تطمئن باليقين في ابتداء امره الى ان تبلغ بالآخرة الى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية
اصلا وكم من مطمئن لا يقين له كسائر ارباب الملل والمذاهب فان اليهودي مطمئن القلب
الى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم اصلا وانما يتبعون الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم
من ربهم الهدى وهو سبب اليقين الا انهم معرضون عنه فاذا الجبن والجراة غرائز ولا ينفع
اليقين معها فهي احد الاسباب التي تضاد حال التوكل كما ان ضعف اليقين بالخصال الاربع احد
الاسباب واذا اجتمعت هذه الاسباب حصلت الثقة بالله وقد قيل مكتوب في التورية ملعون
من ثقته انسان مثله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من اعتز بالعبيد اذله الله واذا انكشف

معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلاً **فاعلم** ان تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات الدرجة الاولى ما ذكرناه وهو ان يكون حاله في حق الله والثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل الثانية وهي اقوى ان يكون حاله مع الله كحال الطفل مع امه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى سواها ولا يعتمد الا اياها فاذا راها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها وان نابه امر في غيبتها كان اول سابق الى لسانه يا اماه واول خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه وقد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليست خالية عن نوع ادراك بالتمييز الذي له ويظن انه طبع من حيث ان الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلفيق لفظه ولا على احضاره مفصلا في ذهنه ولكن كل ذلك وراء الادراك فمن كان تألهه الى الله ونظره اليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بامه فيكون متوكلا حقا فان الطفل متوكل على امه والفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل الى المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فمتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله اي له التفات الى توكله وشعور به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة اشار سهل رحمه الله حيث سئل عن التوكل ما ادناه فقال ترك الاماني قال فاوسطه قال ترك الاختيار وهذا اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لا يعرفه الا من بلغ اوسطه الثالثة وهي اعلاها ان يكون بين يدي الله في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بانه مجرى الحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وان كله يحدث جبرا فيكون بائنا عن الانتظار لما يجري عليه ويفارق الصبي فان الصبي يفزع الى امه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل مثاله هذا مثال صبي علم انه وان لم يزعق بامه فالام تطلبه وانه وان لم يتعلق بذيل امه فالام تحمله وان لم يطلب منها اللبن فالام تبتدي وترضعه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وانه يعطي ابتداء افضل مما يسأل فكم من نعمة ابتداها قبل الدعاء وبغير الاستحقاق والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وانما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط **فان قلت** فهذه الاحوال هل يتصور وجودها **فاعلم** ان ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر والمقام الثالث والثاني اعزهما والاول اقرب الى الامكان ثم اذا وجد الثالث والثاني فدوامه ابعد منه بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه الا كصفرة الوجل فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبع وانقباضه عارض والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة الى الباطن حتى تمحي عن ظاهر البشرة الحمرة التي كانت تتراءى من وراء الرقيق من ستر البشرة فان البشرة ستر رقيق تتراءى من وراءه حمرة الدم فانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم فكذلك انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الاسباب الظاهرة لا يدوم واما المقام الثاني فيشبه صفرة المحموم فانه قد يدوم يوما ويومين والاول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد ان يدوم ولا يبعد ان يزول **فان قلت** فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال **فاعلم** ان المقام الثالث ينفي التدبير راسا ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبه كالمبهوت والمقام الثاني ينفي كل تدبير الا من حيث الفزع الى الله بالدعاء

والابتهال كتدبير الطفل في التعلق بامه فقط والمقام الاول لا ينفي اصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي اشار اليه وكيله او التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذي يعرفه باشارته فان يقول له لست اتكلم الا في حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا توكله عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوتها في اظهار الحجج ولا الى حول غيره بل من تمام توكله عليه ان يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا عليه ولا معتمدا له في قوله لما حضر بقوله واما المعلوم بعادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته انه لا يحاج الخصم الا من السجل فمن تمام توكله ان كان متوكلا عليه ان يكون معولا على سنته وعادته ووافيا بمقتضاها وهو ان يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذا لا يستغني عن التدبير في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ولو ترك شيئا من ذلك كان نقصانا في توكله فكيف يكون فعله نقصانا فيه نعم بعد ان حضر ووفى باشارته واحضر السجل ووفى بسنته وعادته وقعد ناظرا الى محاجته فقد ينتهي الى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت المنتظر لا يفزع الى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل باشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق الا طمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري واذا تأملت هذا اندفع عنك كل اشكال في التوكل وعلمت وفهمت انه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وان كل تدبير وعمل لا يجوز ايضا مع التوكل بل هو على الانقسام وسياتي تفصيله في الاعمال فاذن فزع المتوكل الى حوله وقوته في الحضور والاحضار لا ينافي التوكل لانه يعلم ان لولا الوكيل لكان حضوره واحضاره باطلا وتعبا محضا بلا جدوى فاذن لم يصر مفيدا من حيث انه حوله وقوته بل من حيث ان الوكيل جعله مفيدا للمحاجة وعرفه ذلك باشارته وسنته فاذن لا حول ولا قوة الا بالوكيل الا ان هذه الكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل لانه ليس خالق حوله وقوته بل هو جاعلهما مفيدا اي انفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله وانما يصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله اذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهما مفيدين اذ جعلهما شرطا لما سيخلقه من بعدهما من الفوائد والمقاصد فاذا لا حول ولا قوة الا بالله حقا صدقا فمن شاهد هذا كذلك كان له الثواب العظيم الذي وردت به الاخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة الا بالله وذلك قد يستبعد فيقال كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب لمفهوم لفظها وهيهات فانما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها الى كلمة لا اله الا الله وثوابها كنسبة معنى احديهما الى الاخرى اذ في هذه الكلمة اضافة لشيئين الى الله تعالى فقط وهو الحول والقوة واما كلمة لا اله الا الله فهي نسبة الكل اليه فانظر الى التفاوت بين الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب لا اله الا الله بالاضافة الى هذا وكما ذكرنا من قبل ان للتوحيد قشرين ولبين فكذلك لهذه الكلمات ولسائر الكلمات واكثر الخلق قد تقيدوا بالقشرين وما طرقوا الى اللبين والى اللبين الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله صادقا من قلبه

مخلصا وجبت له الجنة وحيث اطلق من غير ذكر الصدق والاخلاص اراد بالمطلق من المقيد
كما اضاف المغفرة الى الايمان والعمل الصالح في بعض المواضع واضافه الى مجرد الايمان في بعض
المواضع والمراد به المقيد بالعمل الصالح فالملك لا ينال بالحديث وحركة اللسان حديث و
عقد القلب ايضا حديث ولكنه حديث نفس وانما الصدق والاخلاص وراءهما ولا ينصب
سرير الملك الا للمقربين وهم المخلصون نعم لمن يقرب منهم في الرتبة من اصحاب اليمين ايضا
درجات عند الله وان كانت لا تنتهي الى الملك اما ترى ان الله تع لما ذكر في سورة الواقعة
المقربين السابقين تعرض لسرير الملك فقال على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين
ولما انتهى الى اصحاب اليمين ما زاد على ذكر الماء والظل والفواكه والاشجار والحور العين
وكل ذلك لذات المنظور والماكول والمشروب والمنكوح ويتصور ذلك للبهايم على الدوام
واين لذات البهايم من لذات الملك والنزول في اعلى عليين في جوار رب العالمين ولو
كان لهذه اللذات قدر لما وسعت على البهايم ولما رفع عنها درجة الملايكة افترى ان احوال
البهايم مسيبة في الرياض متنعمة بالمياه والاشجار واصناف الماكولات متمتعة بالنزوان
والسفاد اعلى والذ واشرف واجدر بان يكون عند ذوي الكمال مغبوطة من احوال الملايكة في
سرورهم بالقرب من جوار الله في اعلى عليين هيهات هيهات ما ابعد عن التحصيل من
اذا خير بين ان يكون حمارا او يكون في درجة جبريل فيختار درجة الحمار على درجة جبريل
وليس يخفى ان شبه كل شيء منجذب اليه وان النفس التي نزوعها الى صنعة الكنس والدباغة
اكثر من نزوعها الى صنعة الكتابة فهو بالكناس والدباغ اشبه في جوهره منه بالكاتب
فكذلك من نزوع نفسه الى نيل لذات البهايم اكثر من نزوعها الى نيل لذات الملايكة
فهو بالبهايم اشبه منه بالملايكة لا محالة وهولاء هم الذين يقال فيهم اولئك كالانعام بل
هم اضل لان الانعام ليس في قوتها طلب درجة الكمال فتركها ذلك للعجز واما الانسان ففي قوته ذلك
والقادر على نيل الكمال احرى بالذم واجدر بالنسبة الى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال
واذا كان هذا كلاما معترضا فلنرجع الى المقصود فقد بينا معنى قول لا اله الا الله ومعنى
قول لا حول ولا قوة الا بالله وان من ليس قايلا بهما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل فان قلت
ليس في قولك لا حول ولا قوة الا بالله الا نسبة شيئين الى الله فلو قال قايل السماء والارض خلق
الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه فاقول لا لان الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة
بين الدرجتين ولا ينظر الى عظم السماء والارض وصغر الحول والقوة ان جاز وصفهما بالصغر
تجوزا فليست الامور بعظم الاشخاص بل كل عامي يفهم ان الارض والسماء ليس من جهة
الادميين بل هو من خلق الله واما الحول والقوة فقد اشكل امرهما على المعتزلة والفلاسفة
وطوايف كثيرة ممن يدعي انه يدقق في الراي والمعقول حتى يشق الشعر بحدة نظره فهي مهلكة
مخطرة ومزلة عظيمة هلك فيها العالمون اذ اثبتوا لانفسهم امرا وهو شرك في التوحيد
واثبات خالق سوى الله تع فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعظمت

درجته فهذا الذي يصدق قوله لا حول ولا قوة الا بالله وقد ذكرنا انه ليس في التوحيد الا عقبتان
احدهما النظر الى السماء والارض والشمس والقمر والغيم والمطر وساير الجمادات والثانية
النظر الى اختيار الحيوانات وهي اعظم العقبتين واخطرهما وكانه كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب
هذه الكلمة اعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجمتها فاذن يرجع حال التوكل الى التبري من
الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل اعمال التوكل ان
شاء الله تع **بيان ما قاله الشيوخ في احوال التوكل** ليتبين ان شيئا من احواله لا يخرج عما
ذكرناه ولكن كل واحد يشير الى بعض الاحوال فقد قال ابو موسى الديبلي قلت لابي يزيد ما التوكل
فقال ما تقول انت فقلت ان اصحابنا يقولون لو ان السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك
لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب لكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون واهل النار في
النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل فما ذكره ابو موسى خبر عن اعلى احوال
التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم الذي هو من اصول التوكل
وهو العلم بالحكمة وان ما فعله الله تع فعله بالواجب فلا تمييز بين اهل النار واهل الجنة
بالاضافة الى اصل العدل والحكمة وهذا اغمض انواع العلم ووراءه سر القدر وابو يزيد قلما
يتكلم الا عن اعلى المقامات واقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحيات شرطا في المقام
الاول من التوكل فقد احترز ابو بكر الصديق رضي الله عنه في الغار اذ سد منافذ الحيات
الا ان يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره او يقال انما فعل ذلك شفقة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا على نفسه وانما يزول التوكل بحركة سره وتغيره لامر يرجع الى نفسه
وللنظر في هذا مجال ولكن سياتي ان امثال ذلك واكثر منه لا تناقض التوكل فان حركة السر من
الحيات هو الخوف وحق المتوكل ان يخاف مسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة لها الا بالله تع
وان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير و
سيل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب وخلع الارباب اشارة الى
علوم التوحيد وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وان كان اللفظ
يتضمنه فقيل له زدنا فقال القاء النفس في العبودية واخراجها من الربوبية وهذا اشارة
الى التبري من الحول والقوة فقط وسيل حمدون القصار عن التوكل فقال التعلق بالله في
كل حال ان كان لك عشرة الاف درهم وعليك دانق لم تامن ان تموت ويبقى ذلك في عنقك و
لو كان عليك عشرة الاف درهم دين من غير ان تترك لها وفاء لا تياس من الله ان يقضيها عنك
وهذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات اسبابا خفية سوى
الاسباب الظاهرة وسيل ابو عبد الله القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال السايل زدني
فقال ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق هو المتولي لذلك والاول عام للمقامات
الثلاثة والثاني اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابرهيم الخليل صلوات الله عليه اذ
قال له جبريل الك حاجة فقال اما اليك فلا اذ كان سواله له سببا يفضي الى سبب وهو حفظ

جبريل له فتركه ثقة بان الله ان اراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولي لذلك وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله تع فلم ير معه غيره وهو حال عزيز في نفسه ودوامه ان وجد ابعد منه واعز وقال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير الى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وثقته به و اضطرابه بلا سكون اشارة الى فزعه اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه الى امه وسكون قلبه الى تمام شفقتها وقال ابو علي الدقاق للتوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفي بعلمه وصاحب التفويض يرضى بحكمه و هذا اشارة الى تفاوت درجات نظره بالاضافة الى المنظور اليه فان العلم هو الاصل والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد ولا يبعد ان يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شي من ذلك وللشيوخ في التوكل اقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول بايرادها فان الكشف انفع من الرواية والنقل فهذا ما يتعلق بحال التوكل

بيان اعمال المتوكلين

اعلم ان العلم يورث الحال والحال يثمر الاعمال وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة او كلحم على وضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل نكشف عن الحق فيه فنقول انما يظهر تاثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعمله الى مقاصده وسعي العبد باختياره اما ان يكون لاجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب او حفظ نافع هو موجود عنده كالادخار او لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع او لازالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الاربعة وهو جلب النافع او حفظه او دفع الضار او قطعه فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع

الفن الاول في جلب النافع

فنقول فيه الاسباب التي بها يجتلب النافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن اليه الدرجة الاولى المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيته ارتباطا مطردا لا يختلف كما اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد الى الطعام سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون محض وليس من التوكل في شي فانك ان انتظرت ان يخلق الله تعالى فيك شبعا دون اكل الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تع وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت في ان يخلق الله تع نباتا من غير بذر او تلد الزوجة من غير وقاع كما ولدت مريم فكل ذلك جنون وامثال هذا مما يكثر ولا يمكن احصاؤه فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم اما العلم فهو ان تعلم ان الله خالق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه الذي يطعمك ويسقيك واما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتماده على فضل الله تع لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك

وربما تجف في الحال وتفلج وكيف تعول على قدرتك وربما يطرا عليك في الحال ما يزيل عقلك و يبطل قوة حركتك وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله تع عليك من يغلبك عليه او يبعث حية تزعجك من مكانك وتفرق بينك وبين طعامك واذا احتمل امثال ذلك ولم يكن له علاج الا بفضل الله فبذلك فليفرح وعليه فليعول فاذا كان هذا حاله وعلمه فليمد اليد اليه فانه متوكل

الدرجة الثانية الاسباب التي ليست متيقنة لكن الغالب ان المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الامصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس الا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاولين ولا يزول التوكل به بعد ان يكون الاعتماد على فضل الله تع لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز وهو من اعالي مقامات التوكل وكذلك كان يفعله الخواص **فان قلت** فهذا سعي في الهلاك والقاء النفس في التهلكة **فاعلم** ان ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين احدهما ان يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام اسبوعا فما يقاربه بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تع والثاني ان يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الاشياء الخسيسة فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الامر في البوادي في كل اسبوع عن ان يلقاه آدمي او ينتهي الى بلدة او قرية او الى حشيش يزجي به وقته فيحيى به مجاهدا نفسه والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يعول الخواص ونظراؤه من المتوكلين والدليل عليه ان الخواص كان لا يفارقه الابرة و المقراض والحبل والركوة ويقول هذا لا يقدح في التوكل وسببه انه علم ان البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الارض وما جرت سنة الله تع بصعود الماء من البير بغير حبل ولا دلو ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البراري كما يغلب وجود الحشيش والماء يحتاج اليه لوضوئه كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم او يومين مرة فان المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وان صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فينكشف عورته ولا يوجد المقراض والابرة في البوادي غالبا عند كل صلوة ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شي مما يوجد في البوادي فكل ما في معنى هذه الاربعة ايضا يلتحق بالدرجة الاولى لانه مظنون ظنا ليس مقطوعا به لانه لا يحتمل ان لا يتخرق الثوب او يعطيه انسان ثوبا او يجد على راس البير من يسقيه ولا يحتمل ان يتحرك ممضوغا الى فيه فبين الدرجتين فرق ولكن الثاني في معنى الاول ولهذا نقول لو انحاز الى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم به ساع في اهلاك نفسه كما روي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل سبعا وقال لا اسال احدا شيئا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد يموت ولم ياته رزق فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله تع اليه وعزتي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تع اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت

اني ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذن التباعد عن الاسباب
كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تع والعمل بموجب سنة الله مع الاتكال على الله تع دون
الاسباب لا يناقض التوكل كما ضربناه مثلا في الوكيل بالخصومة من قبل ولكن الاسباب تنقسم الى
ظاهرة والى خفية فمعنى التوكل الاكتفاء بالاسباب الخفية عن الاسباب الظاهرة مع سكون النفس
الى مسبب الاسباب الخفية لا الى السبب **فان قلت** فما قولك في القعود في البلد بغير
كسب اهو حرام ام مباح ام مندوب **فاعلم** ان ذلك ليس بحرام لان صاحب السياحة
في البوادي اذا لم يكن مهلكا نفسه فهذا كيف كان مهلكا نفسه حتى يكون فعله حراما بل لا
يبعد ان ياتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتاخر عنه والصبر ممكن الى ان يتفق و
لكن لو اغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لاحد اليه ففعله ذلك حرام وان فتح باب البيت
وهو غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج له اولى ولكن ليس فعله حراما الا ان يشرف على الموت
فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وان كان مشغول القلب بالله غير مستشرف الى
الناس ولا متطلع الى من يدخل من الباب فياتيه برزق تطلعه الى فضل الله تع واشتغاله بالله
فهذا افضل وهو من مقامات التوكل وهو ان يشتغل بالله ولا يهتم برزقه فان الرزق ياتيه لا محالة
وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو ان العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من
الموت لادركه وانه لو سال الله تع ان لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ولقال له يا جاهل
كيف اخلقك ولا ارزقك ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه اختلف الناس في كل شيء الا في الرزق
والاجل فانهم اجمعوا ان لا رازق ولا مميت الا الله وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق
توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال وقال عيسى
انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تع يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن اكبر بطونا
فانظروا الى الانعام كيف قيض الله لها هذا الخلق وقال ابو يعقوب السوسي المتوكلون تجري
ارزاقهم على يد العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون وقال بعضهم
العبيد كلهم في رزق الله ولكن بعضهم ياكل بذل كالسؤال وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار
وبعضهم بامتهان كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فياخذون رزقهم
من يده ولا يرون الواسطة **الدرجة الثالثة** ملابسة الاسباب بتوهم افضائها الى
المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه
وذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم اعني من يكتسب بالحيل
الدقيقة اكتسابا مباحا لمال مباح فاما اخذ الشبهة او اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية
الحرص على الدنيا والاتكال على الاسباب فلا يخفى ان ذلك يبطل التوكل وهي مثل الاسباب
التي نسبتها الى جلب النافع مثل نسبة الرقية والطيرة والكي بالاضافة الى ازالة الضار فان
النبي صلى الله عليه وسلم وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يسكنون
الامصار ولا ياخذون من احد شيئا بل وصفهم بانهم لا يكتسبون ولا يسكنون الامصار

يتعاطون هذه الاسباب وامثال هذه الاسباب التي لا يوثق بها في المسببات مما يكثر فلا يمكن احصاؤه
وقال سهل التوكل ترك التدبير وقال ان الله تع خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجابهم
تدبيرهم ولعله اراد به استنباط الاسباب البعيدة بالفكر فهي التي تحتاج الى التدبير دون
الاسباب الجلية فاذن قد ظهر ان الاسباب منقسمة الى ما يخرج التعلق بها عن التوكل والى ما لا يخرج
وان الذي لا يخرج ينقسم الى مقطوع به والى مظنون وان المقطوع لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل
وعلمه وهو الاتكال على مسبب الاسباب فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل فاما المظنونات فالتوكل
فيها بالحال والعلم لا بالعمل فاما المظنونات والعمل جميعا والمتوكلون في ملابسة هذه الاسباب
على ثلاثة مقامات **الاول** مقام الخواص ونظرائه وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة
بفضل الله تع عليه في تقويته على الصبر اسبوعا وما فوقه او بتيسير حشيش له او قوت او تثبيته على
الرضا بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك فان الذي يحمل الزاد قد يؤخذ زاده او يضل بعيره و
يموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما انه ممكن مع فقده **المقام الثاني** ان يقعد في بيته او في مسجد
ولكنه في القرى والامصار فهذا اضعف من الاول ولكنه ايضا متوكل لانه تارك للكسب والاسباب
الظاهرة ومعول على فضل الله تع في تدبير امره من جهة الاسباب الخفية ولكنه بالقعود في الامصار
متعرض لاسباب الرزق فان ذلك من الاسباب الجالبة الا ان ذلك لا يبطل توكله اذا كان نظره الى
الذي يسخر سكان البلد لايصال رزقه اليه لا الى سكان البلد اذ يتصور ان يغفل جميعهم
عنه ويضيعوه لولا فضل الله بتعريفهم وتحريك دواعيهم **المقام الثالث** ان يخرج و
يكتسب اكتسابا على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب و
هذا السعي ايضا لا يخرجه عن مقامات التوكل اذا لم يكن طمانينة نفسه الى كفايته وقوته وجاهه
وبضاعته فان ذلك كله ربما اهلكه الله جميعه في لحظة بل يكون نظره الى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك
وتيسير اسبابه له بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة الى قدرة الله تع كما يرى القلم في يد
الملك الموقع فلا يكون نظره الى القلم بل الى قلب الملك انه باذا يتحرك والى ماذا يميل وبم يحكم ثم ان كان
هذا المكتسب مكتسبا لعياله او ليفرق على المساكين فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع فحال
هذا اشرف من حال القاعد في بيته والدليل على ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذا روعيت فيه
الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة كما سبق ان الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة
اصبح فاخذ رزمة متاعه تحت حضنه ودخل السوق فكره المسلمون ذلك وقالوا كيف تفعل هذا
وقد اقمت بخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضعتهم كنت لما سواهم اضيع
حتى فرضوا له قوت اهل بيت من المسلمين فلما رضوا بذلك راى مساعدتهم وتطييب قلوبهم و
استغراق وقته بمصالح المسلمين اولى ويستحيل ان يقال لم يكن الصديق رضي الله عنه في مقام
التوكل فمن اولى بهذا المقام منه فدل انه كان متوكلا لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار
قطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله تع هو ميسر الاكتساب ومدبر الاسباب
وبشروط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر و

الادخار ومن غيران يكون درهم اليه احب من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ولا يصح التوكل الا مع الزهد في الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد وقال ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق اكتسب كل يوم دينارًا ولا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط ادخل به الحمام بل اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول استحيي ان اتكلم في مقامه وهو حاضر عندي واعلم ان الجلوس في رباط الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل وان لم يكن معلوم ووقف وامروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل الا على ضعف ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب وان لم يسالوا بل قنعوا بما يحمل اليهم فهو اقوى لكنه بعد اشتهار القوم بذلك فقد صار سوقا فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلا الا بشروط كثيرة كما سبق فان قلت فالافضل ان يقعد في بيته او يخرج ويكتسب فاعلم انه ان كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر واخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك ومع هذا لا تستشرف نفسه الى الناس في انتظار من يدخل عليه فيحمل اليه شيئا بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله فالقعود له اولى وان كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف الى الناس فالكسب اولى لان استشراف القلب الى الناس سؤال بالقلب وتركه اهم من ترك الكسب وما كان المتوكلون ياخذون ما تستشرف اليه نفوسهم كان احمد بن حنبل رضي الله عنه قد امر ابا بكر المروزي ان يعطي بعض الفقراء شيئا فضلا عما كان استاجره عليه فرده فلما ولى قال له الحقه واعطه فانه يقبل فلحقه واعطاه فقبله فسال احمد عن ذلك فقال كان قد استشرفت نفسه فرد فلما رجع انقطع طمعه واخذ وكان الخواص اذا نظر الى عبد في العطاء او خاف اعتياد النفس له لم يقبل منه شيئا وقال الخواص وقد سئل عن اعجب ما راه في اسفاره فقال رايت الخضر ورضي بصحبتي ولكني فارقته خيفة ان تسكن نفسي اليه فيكون نقصا في توكلي فاذن المكتسب اذا راعى اداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب ولم يقصد الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلا فان قلت ما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية فاقول علامته انه ان سرقت بضاعته او خسرت تجارته او تعوق امر من اموره كان راضيا ولم تبطل طمانينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحدا فان من لم يسكن الى شيء لم يضطرب بفقده ومن اضطرب بفقد شيء فقد سكن اليه وكان بشر يعمل المغازل فترك ذلك وذلك لان البعلوي كاتبه بلغني انك استعنت على رزقك بالمغازل ارايت ان اخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من فوقع ذلك في قلبه فاخرج آلة المغازل من يده وقيل تركها لما نوهت باسمه وقصد لاجلها وقيل فعل ذلك لما مات عياله كما كان لسفيان خمسون دينارا يتجر فيها فلما مات عياله فرقها فان قلت فكيف يتصور ان يكون له بضاعة ولا يسكن اليها وهو يعلم ان الكسب بغير بضاعة لا يمكن فاقول بان يعلم ان الذين يرزقهم الله بغير بضاعة فيهم كثرة وان الذين كثرت بضائعهم فسرقت وهلكت فيهم كثرة وان يوطن نفسه على ان الله لا

يفعل به الا ما فيه صلاحه فان اهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركها كانت سببا لفساد دينه وقد لطف الله تعالى به وغايته ان يموت جوعا فينبغي ان يعتقد ان الموت جوعا خير له في الآخرة مهما قضى الله عليه بذلك من غير تقصير من جهته فاذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده جميع وجود البضاعة وعدمها ففي الخبر ان العبد ليهم من الليل بامر من امور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره وابن عمه من سبقني من دهاني وما هو الا رحمة رحمه الله بها ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي ومن لم يتكامل يقينه بهذه الامور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال ابو سليمن الداراني لاحمد بن ابي الحواري لي من كل مقام نصيب الا من هذا التوكل المبارك فاني ما شممت منه رايحة هذا كلامه مع علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما ادركته ولعله اراد ادراك اقصاه وما لم يكمل الايمان بان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وبان كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير مما يتمناه العبد لم يكمل حال التوكل فبناء التوكل على قوة الايمان بهذه الامور كما سبق وكذا ساير مقامات الدين من الاحوال والاعمال يبتني على اصولها من الايمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على الكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على التوكل فقد طعن على التوحيد فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون الى الاسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الاسباب الخفية فاقول نعم هو ان تعرف ان سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين من الله سبحانه قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان ولذلك قيل الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الاسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية بل رؤية الرزق من الاسباب الخفية ايضا تبطل التوكل فقد حكي عن عابد انه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام لو اكتسبت كان افضل لك فلم يجبه حتى اعاد ثلثا فقال في الرابعة يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك فقال يا هذا لو لم تكن اماما تقف بين الله وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيرا لك اذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى للرزق وقال امام مسجد لبعض المصلين من اين تاكل فقال اصبر حتى اعيد الصلوة التي صليتها خلفك ثم اجيبك وينفع في حسن الظن بمجيء الرزق من لطف الله تعالى بواسطة الاسباب الخفية ان يسمع الحكايات التي فيها عجايب صنع الله تعالى في وصول الرزق الى صاحبه وفيها عجايب قهر الله تعالى في اهلاك اموال التجار والاغنياء وقتلهم جوعا كما روي عن حذيفة المرعشي وكان قد خدم ابرهيم بن ادهم فقيل له ما اعجب ما رايت منه فقال بقينا في طريق مكة اياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الي ابرهيم وقال يا حذيفة ارى بك الجوع

فقلت هو ما راى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجيت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم انت
المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى • انا حامد انا شاكر انا ذاكر • انا جائع انا نائع
انا عاري • هي ستة وانا الضمين لنصفها • فكن الضمين لنصفها يا باري • مدحي لغيرك لهب
نار خضتها • فاجر عبيدك من دخول النار • ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله
وادفع الرقعة الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة
فاخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني
فدفع الي صرة فيها ستماية دينار ثم لقيت رجلا آخر فسالته عن راكب البغلة فقال هذا رجل
نصراني فجيت الى ابرهيم واخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجي الساعة فلما كان بعد ساعة
دخل النصراني فاكب على راس ابرهيم يقبله واسلم • وقال ابو يعقوب الاقطع البصري جعت مرة
بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي بالخروج فخرجت الى الوادي لعلي اجد شيا
يسكن ضعفي فرايت شلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت في قلبي منها وحشة وكان قايلا
يقول لي جعت عشرة ايام وآخره يكون حظك شلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد
فقعدت فاذا انا برجل اعجمي قد اقبل فجاء حتى جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت
كيف خصصتني بها قال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق
فنذرت ان خلصني الله ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصري من المجاورين وانت
اول من لقيته فقلت افتحها فاذا فيها سميذ مصري ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت
قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية مني لكم وقد قبلتها
ثم قلت في نفسي رزقك يسير اليك من عشرة ايام وانت تطلبه من الوادي • وقال
ممشاد الدينوري كان علي دين فاشتغل قلبي بسببه فرايت في النوم كان قايلا يقول يا بخيل
اخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الاخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك
بقالا ولا قصابا ولا غيرهما • وحكي عن بنان الحمال قال كنت في طريق مكة اجي من مصر ومعي
زاد فجاءتني امراة وقالت يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك قال
فرميت بزادي ثم اتى علي ثلاث لم آكل فوجدت خلخالا في الطريق فقلت في نفسي احمله حتى يجي
صاحبه فربما يعطيني شيا فارده عليه فاذا انا بتلك المراة قالت لي انت تاجر تقول عسى ان
ياتيني صاحبه فآخذ منه شيا ثم رمت الي شيا من الدراهم وقالت انفقه فاكتفيت بها
الى قريب من مصر • ويحكى ان بنانا احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له
ثمنها وقالوا هو ذا يجي العير فنشتري ما يوافق فلما وردت العير اجتمع رايهم على واحدة وقالوا
انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه الجارية فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها
لبنان الحمال اهدتها اليه امراة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت له القصة • وقيل
كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت فوكل الله به ملكا وقال
ان اكله فارزقه وان لم ياكل فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم ياكل وبقي القرص

بعده • وقال ابو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابتني فاقة فرايت المرحلة من بعيد
فسررت بان وصلت ثم فكرت في نفسي اني سكنت واتكلت على غيره فآليت ان لا ادخل القرية
الا ان احمل اليها فحفرت لنفسي في الرمل حفيرة وواريت جسدي فيها الى صدري فسمعوا
صوتا في نصف الليل عاليا يا اهل القرية ان لله وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة
فاخرجوني وحملوني الى القرية • وروي ان رجلا لازم باب عمر رضي الله عنه فقال عمر
يا هذا اهاجرت الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب
الرجل وغاب حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال عمر اني اشتقت
اليك فما الذي شغلك عنا فقال اني قرات القرآن فاغناني عن عمر وآل عمر فقال عمر رحمك
الله فما وجدت فيه قال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السماء و
انا اطلبه من الارض فبكى عمر وقال صدقت فكان عمر بعد ذلك ياتيه ويجلس اليه و
قال ابو حمزة الخراساني حججت سنة من السنين فبينا انا امشي في الطريق ان
وقعت في بير فنازعتني نفسي ان استغيث ثم قلت لا والله لا استغيث فما استتممت
هذا الخاطر حتى مر براس البير رجلان فقال احدهما للآخر تعال حتى نسد راس هذا البير
لئلا يقع فيها احد فاتوا بقصب وبارية وطموا راس البير فهممت ان اصيح ثم قلت في
نفسي الى من هو اقرب منهما وسكنت فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشي جاء وكشف عن راس
البير وادلى رجله وكانه يقول تعلق بي في همهمة له كنت اعرف ذلك فتعلقت به فاخرجني فاذا
هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف
فمشيت وانا اقول • نهاني حيائي منك ان اكتم الهوى • واغنيتني بالفهم منك عن الكشف
تلطفت في امري فابديت شاهدي • الى غايبي واللطف يدرك باللطف • ترايت لي بالغيب حتى
كانما • تبشرني بالغيب انك في الكف • اراك وبي من هيبتي لك وحشة • فتونسني باللطف منك
وبالعطف • وتحيي محبا انت في الحب حتفه • وذا عجب كون الحيوة مع الحتف • وامثال
هذه الوقايع مما يكثر واذا قوي الايمان وانضم اليه القدرة على الجوع قدر اسبوع من غير ضيق صدر
وقوي الايمان بانه ان لم يسق اليه رزقه في اسبوع فالموت خير له عند الله ولذلك حبسه عنه
تم التوكل بهذه الاحوال والمشاهدات والا فلا يتم اصلا

بيان توكل المعيل

اعلم ان من
له عيال فحكمه يفارق المنفرد ولا يصح توكله الا بامرين احدهما قدرته على الجوع اسبوعا من
غير استشراف وضيق نفس والآخر ابواب من الايمان ذكرناها ومن جملتها ان يطيب نفسا
بالموت ان لم ياته رزقه علما بان رزقه الموت والجوع وهو وان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة
في الآخرة فيرى انه سيق اليه خير الرزقين وهو رزق الآخرة فبهذا يتم التوكل ولا يجوز تكليف العيال
الصبر على الجوع ولا يمكن ان تقرر عندهم الايمان بالتوحيد وبان الموت على الجوع رزق مغبوط عليه
في نفسه ان اتفق ذلك نادرا وكذلك ساير ابواب الايمان فاذن لا يمكنه في حقهم الا توكل المكتسب
وهو المقام الثالث كتوكل ابي بكر الصديق رضي الله عنه اذ خرج للكسب فاما دخول البوادي و

وترك العيال متوكلا في حقهم والقعود عن الاهتمام بامرهم توكلا في حقهم فهذا حرام وقد
يفضي الى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا بهم بل التحقيق انه لا فرق بينه وبين عياله فانه لو ساعده العيال على
الصبر مع الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة في الآخرة فله ان يتوكل في حقه
ونفسه ايضا عيال عنده لا يجوز له ان يضيعها الا ان تساعده على الصبر مع الجوع مدة فان كان لا
يطيقه ويضطرب عليه قلبه ويتشوش عبادته لم يجز له التوكل ولذلك روي ان ابا تراب النخشبي نظر الى
صوفي قد مد يده الى قشر بطيخ لياكله بعد ثلاثة ايام فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق اي لا تصوف
الا مع التوكل ولا يصح التوكل لمن لا يصبر عن الطعام اكثر من ثلاثة ايام وقال ابو علي الروذباري
اذا قال الفقير بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب فاذن بدنه
عياله فتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله وانما يفارقه في شيء وهو ان له تكليف نفسه الصبر
على الجوع وليس له ذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا ان التوكل ليس انقطاعا عن الاسباب
بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت ان تأخر الرزق نادرا وملازمة البلاد والامصار
او ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها اسباب البقاء ولكن مع نوع من
الاذى لا يمكن الاستمرار عليه الا بالصبر والتوكل في الامصار اقرب الى الاسباب من التوكل في
البوادي وكل ذلك من الاسباب الا ان الناس عدلوا الى اسباب اظهر منها فلم يعدوا ذلك اسبابا
وذلك لضعف ايمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الاذى في الدنيا لاجل الآخرة واستيلاء الجبن
على قلوبهم باساءة الظن وطول الامل ومن نظر في ملكوت السموات والارض انكشف له تحقيقا
ان الله تع دبر الملك والملكوت تدبيرا لا يجاوز العبد رزقه وان ترك الاضطراب فان العاجز عن
الاضطراب لم يجاوزه رزقه اما ترى الجنين في بطن امه لما ان كان عاجزا عن الاضطراب كيف
وصل سرته بالام حتى ينتهي اليه فضلات غذاء الام بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين
ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الام لتتكفل به شاءت ام ابت اضطرارا من الله اليه بما
اشتعل في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي
لا يحتاج الى المضغ ولانه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فادر له اللبن اللطيف في
ثدي الام عند انفصاله على حسب حاجته افكان هذا بحيلة الطفل او بحيلة الام فاذا صار
بحيث يوافقه الغذاء الكثيف انبت له اسنانا قواطع وطواحن لاجل المضغ فاذا كبر واستقل
يسر له اسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة فجبنه بعد البلوغ جهل محض لانه ما نقصت اسباب
معيشته ببلوغه بل زادت فانه لم يكن قادرا على الاكتساب والآن قد قدر فزادت قدرته
نعم كان المشفق عليه شخصا واحدا وهو الام والاب وكان شفقته مفرطة جدا فكان يطعمه و
يسقيه في اليوم مرة او مرتين وكان اطعامه بتسليط الله الشفقة والحب على قلبه فكذلك
قد سلط الله الشفقة والمودة والرقة والرحمة على قلوب المسلمين واهل البلد كافة حتى ان كل واحد
منهم اذا احس بمحتاج تألم قلبه ورق عليه وانبعثت له داعية الى ازالة حاجته فقد كان
المشفق عليه واحدا والآن المشفق عليه الف وزيادة ولقد كانوا لا يشفقون عليه لانهم رأوه

في كفالة الام وهي مشفقة خاصة فلم يروه محتاجا ولو راوه يتيما لسلط الله تع داعية الرحمة على
واحد من المسلمين او على جماعة حتى ياخذونه ويكفلونه فما رئي الى الآن في سني الخصب
يتيم قد مات جوعا مع انه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله تع كافله بواسطة
الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي ان يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل
في الصبى وقد كان المشفق واحدا والمشفق الآن الف نعم كانت شفقة الام اقوى و
اخص ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وان ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد
الغرض فكم من يتيم قد يسر الله له حالا احسن من حال من له اب وام فينجبر ضعف شفقة
الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التنعم والاقتصاد على قدر الضرورة ولقد احسن الشاعر حيث
قال ؛ جرى قلم القضاء بما يكون ؛ فسيان التحرك والسكون ؛ جنون منك ان تسعى لرزق ؛
ويرزق في غشاوته الجنين ؛ فان قلت الناس يكفلون اليتيم لانهم يرونه عاجزا بصباه واما
هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون اليه ويقولون هو مثلنا فليجتهد لنفسه
فاقول ان كان هذا القادر بطالا فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه
فان التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تع فما للبطال والتوكل وان
كان مشتغلا بالله ملازما لمسجد او بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه
في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله بالله يقرر حبه في قلوب الناس حتى يحملون اليه
فوق كفايته وانما عليه ان لا يغلق الباب ولا يهرب الى جبل من بين الناس وما رئي الى الآن
عالم او عابد استغرق الاوقات بالله وهو في الامصار فمات جوعا ولا يرى قط بل لو اراد ان يطعم
جماعة من الناس بقوله لقدر عليه فان من كان لله كان الله له ومن اشتغل بالله القى الله حبه
في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الام لولدها فقد دبر الله تع الملك والملكوت
تدبيرا كافيا لاهل الملك والملكوت فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به و
امن ونظر الى مدبر الاسباب لا الى الاسباب نعم ما دبره تدبيرا يصل الى المشتغل به الحلواء
والطيور السمان والثياب الرفيعة والخيول النفيسة على الدوام لا محالة وقد يتفق ذلك ايضا في
بعض الاحوال لكن دبره تدبيرا يصل الى كل مشتغل بعبادة الله في كل اسبوع قرص شعير او حشيش
يتناوله لا محالة والغالب انه يصل اكثر منه بل يصل ما يزيد على الحاجة والكفاية فلا سبب لترك
التوكل الا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الاغذية اللطيفة و
ليس ذلك من طرق الآخرة وذلك قد لا يحصل من غير اضطراب وهو في الغالب ايضا ليس يحصل
مع الاضطراب وانما يحصل نادرا وفي النادر ايضا قد يحصل بغير اضطراب فاذن الاضطراب
ضعيف عند من انفتحت بصيرته فلذلك لا يطمئن الى الاضطراب بل الى مدبر الملك تدبيرا لا يجاوز
عبدا من عباده رزقه وان سكن الا نادرا اعظما بتصور مثله في حق المضطرب فاذا انكشفت ندورا
هذه الامور وكان معه قوة في القلب وشجاعة اثمر ذلك كما قاله الحسن البصري اذ قال وددت
ان اهل البصرة في عيالي وان حبة بدينار وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء

نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقي لظننت اني مشرك فاذا فهمت هذه الامور فهمت ان التوكل مقام مفهوم في نفسه ويمكن الوصول اليه لمن قهر نفسه وعلمت ان من انكر اصل التوكل وامكانه انكره عن جهل فاياك ان تجمع بين افلاسين الافلاس عن وجود المقام ذوقا والافلاس عن الايمان به علما فاذن عليك بالقناعة باليسير والقليل والرضا بالموت فانه ياتيك لا محالة وان فررت منه وعند ذلك على الله ان يبعث اليك رزقك على يد من لا تحتسب فاذا اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تع ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الا انه لم يتكفل ان يرزقه لحم الطير ولذايذ الاطعمة فما ضمن الا الرزق الذي تدوم به حيوته وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن واطمأن الى ضمانه فان الذي احاط به تدبير الله من الاسباب الخفية للرزق اعظم مما ظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا تهتدي اليها وذلك لان ظهوره على الارض وسببه في السماء قال الله تع وفي السماء رزقكم وما توعدون واسرار السماء لا مطلع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم اي موضع هو فاطلبوه قالوا فنسال الله ذلك قال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت ونتوكل وننتظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة وقال احمد بن عيسى الخراز كنت في البادية فنالني جوع شديد فغلبتني نفسي ان اسال الله عز وجل طعاما فقلت ليس هذا من افعال المتوكلين فطالبتني ان اسال الله عز وجل صبرا فلما هممت بذلك سمعت هاتفا يقول ويزعم انه منا قريب وانا لا نضيع من اتانا ويسالنا القوي جهدا وصبرا كانا لا نراه ولا يرانا فقد فهمت ان من انكسرت نفسه قوي قلبه ولم يضعف بالجبن وقوي ايمانه بتدبير الله تع كان مطمئن النفس ابدا واثقا بالله فان اسوء حاله ان يموت ولا بد ان ياتيه الموت كما ياتي من ليس مطمئنا فاذن تمام التوكل بالقناعة من جانب والوفاء بالمضمون من جانب والذي ضمن رزق القانعين بهذه الاسباب التي ترها صادق فاقنع وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقا بما يرد عليك من الارزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك وحسبانك ولا تكن في توكلك منتظرا للاسباب بل لمسبب الاسباب كما لا تكون منتظرا لقلم الكاتب بل لقلب الكاتب فانه اصل حركة القلم والمحرك الاول واحد فلا ينبغي ان يكون النظر الا اليه وهذا شرط توكل من يخوض البوادي بلا زاد او يقعد في الامصار وهو خامل فاما الذي له ذكر بالعبادة والعلم فاذا اقنع في اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وان لم يكن من اللذايذ و بثوب خشن يليق باهل الدين فهذا ياتيه من حيث لا يحتسب ولا يحتسب على الدوام بل ياتيه اضعافه فتركه التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور فان اشتهاره سبب ظاهر لجلب الرزق اليه اقوى من دخول الامصار في حق الخامل مع الاكتساب فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء اقبح لان شرطهم القناعة والعالم القانع ياتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وان كان معه الا اذا اراد ان لا ياخذ من ايدي الناس وياكل من كسبه فذلك له وجه لايق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير بالفكر

الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ ممن يتقرب الى الله بما يعطيه اولى لانه تفرغ لله و اعانة للمعطي على سبيل الثواب ومن نظر الى مجاري سنة الله تع علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب ولذلك سال بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل احمق يظن ان العقل رزق صاحبه فلما راوا خلافه علموا ان الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم

بيان احوال المتوكلين في التعلق بالاسباب بضرب مثال

اعلم ان مثال الخلق مع الله تع مثال طايفة من السوال وقفوا في ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون الى الطعام فاخرج اليهم غلمانا كثيرة ومعهم ارغفة من الخبز وامرهم ان يعطوا بعضهم رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفا رغيفا ويجتهدوا في ان لا يغفلوا عن واحد منهم وامر مناديا حتى نادى فيهم ان اسكنوا ولا تتعلقوا بغلماني اذا خرجوا اليكم بل ينبغي ان يطمئن كل واحد منكم في موضعه فان الغلمان مسخرون وهم مامورون بان يوصلوا اليكم فمن تعلق بالغلمان واذاهم واخذ رغيفين فاذا فتح باب الميدان وخرج اتبعته بغلام يكون موكلا به الى ان اقدم بعقوبته في ميعاد معلوم عندي ولكني اخفيه ومن لم يوذ الغلمان وقنع برغيف واحد اتاه من يد الغلام وهو ساكن فاني اخصه بخلعة سنية الى الميعاد المذكور بعقوبة الاخر ومن ثبت في مكانه ولكنه اخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة ومن اخطاه غلماني فلم يوصلوا اليه شيا فبات الليلة جايعا غير متسخط على الغلمان ولا قايلا ليته اوصل الى رغيفا فاني غدا استوزره وافوض ملكي اليه فانقسم السوال الى اربعة اقسام قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا الى العقوبة الموعودة وقالوا من اليوم الى الغد فرج ونحن الان جياع فبادروا الى الغلمان واذوهم واخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة اليهم في الميعاد المذكور فندموا ولم ينفعهم الندم وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن اخذوا الرغيفين لغلبة الجوع فسلموا عن العقوبة ولم يفوزوا بالخلعة وقسم قالوا نحن نجلس بمراى من الغلمان حتى لا يخطونا ولكنا لا ناخذ اذا اعطونا الا رغيفا واحدا ونقنع به فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان وانحرفوا عن مراى اعين الغلمان وقالوا ان اتبعونا واعطونا قنعنا برغيف واحد وان اخطونا قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فما نفعهم ذلك اذ تتبعهم الغلمان في كل زاوية واعطوا كل واحد رغيفا واحدا وجرى مثل ذلك اياما حتى اتفق على الندور ان اختفى ثلاثة في زاوية ولم يقع عليهم ابصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم ليتني تعرضت الغلمان واخذت طعامي فلست اطيق الصبر وسكت الثالث الى الصباح فنال درجة القرب والوزارة فهذا مثال الخلق فالميدان هو الحيوة الدنيا وباب الميدان الموت والميعاد المجهول القيمة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل اذا مات جايعا راضيا من غير تاخير ذلك الى ميعاد القيمة لان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون والمتعلق بالغلمان هو المتعدي في الاسباب والغلمان المسخرون هم الاسباب والجالس في ظاهر الميدان بمراى الغلمان

هم المقيمون في الامصار والرباطات والمساجد على هيئة السكون والمختفون في الزوايا
هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل والاسباب تتبعهم والرزق يأتيهم الا على
سبيل الندور فان مات واحد منهم جايعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تع وقد انقسم الخلق
الى هذه الانسام الاربعة فلعل من كل مائة تعلق بالاسباب تسعون واقام سبعة من العشرة الباقية
في الامصار متعرضين للاسباب بمجرد حضورهم واشتهادهم وساح في البوادي ثلاثة فتسخط
منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كذلك كان في الاعصار السالفة واما الآن فالتارك
للاسباب لا ينتهي الى واحد من عشرة آلاف

الفن الثاني في التعرض لاسباب الادخار

فمن حصل له مال بارث او كسب او سؤال او سبب من الاسباب فله في ادخاره ثلاثة احوال الاولى
ان ياخذ قدر حاجته في الوقت فياكل ان كان جايعا ويلبس ان كان عاريا ويشتري مسكنا
مختصرا ان كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال اولا ياخذه ولا يدخره الا القدر الذي يدرك به من
يستحقه ويحتاج اليه فيدخره على هذه النية فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقا وهي
الدرجة العليا الحالة الثانية المقابلة لهذه المخرجة له عن حد التوكل ان يدخره لسنة
فما فوقها فهذا ليس من المتوكلين اصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات الا ثلاثة الفارة والنمل
وابن آدم الثالثة ان يدخر لاربعين يوما فما دونه فهذا هل يوجب حرمانه عن المقام المحمود الموعود
في الآخرة للمتوكلين اختلفوا فيه فذهب سهل الى انه يخرج عن التوكل وذهب الخواص
الى انه لا يخرج باربعين يوما ويخرج بما يزيد على الاربعين وقال ابو طالب المكي لا يخرج عن
حدود التوكل بالزيادة على الاربعين ايضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز اصل الادخار
نعم يجوز ان يظن ظان ان اصل الادخار يناقض التوكل فاما التقدير بعد ذلك فلا مدرك
له وكل ثواب موعود على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى اصحاب
النهايات السابقين واصحاب البدايات اصحاب اليمين ثم اصحاب اليمين ايضا على درجات
وكذا السابقون واعلى درجات اصحاب اليمين يلاصق اسفل درجات السابقين فلا معنى
للتقدير في هذا بل التحقيق ان التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل واما عدم امل البقاء
فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده اما الناس فمتفاوتون في طول الامل
وقصره واقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات واقصاه ما يتصور ان يكون
عمر الانسان وبينهما درجات لا حصر لها فمن لم يامل اكثر من شهر اقرب الى المقصود ممن يامل
سنة وتقييده اربعين لاجل ميعاد موسى عليه السلام بعيد فان تلك الواقعة ما قصد بها بيان مقدار
ما يرخص الامل فيه ولكن استحقاق موسى عليه السلام لنيل الموعود كان لا يتم الا بعد اربعين يوما
لسر جرت به وبامثاله سنة الله تع في تدريج الامور كما قال خمرت طينة آدم بيده اربعين صباحا لان
استحقاق تلك الطينة للتخمير كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر فاذن ما وراء السنة لا يدخر له
الا بحكم ضعف القلب والركون الى ظاهر الاسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق باحاطة
التدبير من الوكيل الحق بخفايا الاسباب فان اسباب الدخل في الارتفاعات والزكوات تتكرر

تكرر السنين غالبا ومن ادخر لاقل من سنة فله درجة بحسب قصر امله ومن كان امله شهرين
لم يكن درجته درجة من امل شهرا ولا درجة من امل ثلاثة اشهر بل هو بينهما في الرتبة ولا يمنع من
الادخار الا قصر الامل فالافضل ان لا يدخر اصلا فان ضعف قلبه فكلما قل ادخاره كان فضله
اكثر وقد روي في الفقير الذي خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا واسامة فغسلاه وكفناه
ببردته فلما دفنه قال لاصحابه انه يبعث يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة
كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية قلنا وما هي يا رسول الله قال كان صواما قواما
كثير الذكر لله تع غير انه كان اذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه واذا جاء الصيف
ادخر حلة الشتاء لشتاء آخر ثم قال من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث وليس الكوز
والسفرة وما يحتاج اليه على الدوام في معنى ذلك فادخاره لا ينقص الدرجة واما ثوب الشتاء فلا يحتاج
اليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزعج قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه الى ايدي
الخلق بل لا يلتفت قلبه الا الى الوكيل الحق فان كان يستشعر في نفسه اضطرابا يشغل قلبه
عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له اولى بل لو امسك ضيعة يكون دخلها وافيا بقدر
كفايته وكان لا يفرغ قلبه الا به فذلك له اولى لان المقصود اصلاح القلوب ليتجرد لذكر الله
ورب شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل عن الله والا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا
عدمها ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون و
اهل الحرف والصناعات فلم يامر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لهما
بالاشتغال بهما بل دعا الكل الى الله تع وارشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم
عن الدنيا الى الله تع وعمدة الاشتغال بالله تع القلب فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته كما
ان القوي صوابه ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد واما المعيل فلا يخرج عن حد التوكل
بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وادخار اكثر من ذلك مبطل
للتوكل لان الاسباب تتكرر عند تكرر السنين فادخار ما يزيد على ذلك سببه ضعف قلب وذلك
يناقض التوكل فالمتوكل عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن النفس الى فضل الله واثق بتدبيره دون
وجود الاسباب الظاهرة وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ونهى ام ايمن وغيرها
ان تدخر شيئا لغد ونهى بلالا عن الادخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها فقال انفق بلال
ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال له اذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبا فالاقتداء
بسيد المتوكلين صلوات الله وسلامه عليه وقد كان قصر امله بحيث كان اذا بال تيمم مع قرب
الماء ويقول لعله يدركني اجلي لا ابلغه وكان صلى الله عليه وسلم لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله اذ كان
لا يثق بما ادخره ولكنه ترك ذلك تعليما للاقوياء من امته فان اقوياء امته ضعفاء بالاضافة الى
قوته وادخر لعياله سنة لا لضعف قلب فيه وفي عياله ولكن ليسن ذلك للضعفاء من امته ثم
اخبر ان الله تع يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزايمه تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا
ينتهي بهم الضعف الى الياس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات

فما ارسل صلى الله عليه وسلم الا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف اصنافهم ودرجاتهم فاذا فهمت
هذا علمت ان الادخار قد يضر الناس وقد لا يضر ويدل عليه ما روى ابو امامة الباهلي ان بعض اصحاب
الصفة توفي فما وجد له كفن فقال صلى الله عليه وسلم فتشوا ثوبه فوجدوا دينارين في داخل ازاره
فقال عليه السلام كيتان وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا فلا يقول ذلك في حقه وهذا
يحتمل وجهين لان حاله يحتمل حالين احدهما انه اراد كيتان من النار كما قال تع فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس عنه فهو نوع تلبيس و
الثاني ان يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به عن درجة كماله كما ينقص عن جمال الوجه اثر كيتين
وذلك ان لا يكون عن تلبيس فان كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة اذ لا يؤتى
احد من الدنيا شيئا الا نقص بقدره من الآخرة واما بيان ان الادخار مع فراغ القلب عن المدخر
ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشهد له ما روي عن بشر قال الحسين المغازلي من اصحابه كنت عنده
ضحوة من النهار فدخل كهل اسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر وما رايته قام لاحد غيره قال
ودفع الي كفا من دراهم فقال اشتر لنا من اطيب ما تقدر عليه من الطعام والطيب و
ما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته فاكل منه وما رايته اكل مع غيره قال فاكلنا
حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فاخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله وانصرف فتعجبت من ذلك و
كرهته له فقال لي بشر لعلك انكرت فعله قلت نعم اخذ بقية الطعام من غير اذن فقال ذلك اخونا
فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما اراد ان يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار
الفن الثالث في مباشرة الاسباب الدافعة للضرر المتعرض للخوف اعلم ان الضرر قد يتعرض
للخوف في نفس او مال وليس من شرط التوكل ترك الاسباب الدافعة راسا اما في النفس فكالنوم
في المسبعة او في مجرى السيل من الوادي او تحت الجدار المائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه و
صاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة ثم تنقسم هذه الاسباب الى مقطوع به والى مظنون والى
موهوم فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فان الكي و
الرقية قد يتقدم به على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور للازالة ورسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يصف المتوكلين الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع
بارد لم يلبسوا الجبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع وكذلك كل ما في معناها من الاسباب ثم الاستظهار
باكل الثوم مثلا عند الخروج الى سفر في الشتاء تهييجا لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل
التعمق في الاسباب والتعويل عليها فكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة وترك الاسباب الدافعة
وان كانت مقطوعة وجه اذا نالك الضرر من انسان فانه اذا امكنه الصبر وامكنه الدفع والتشفي
فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال اسه تع فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون وقال تع ولنصبرن
على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تع ودع اذاهم وتوكل على الله وقال تع فاصبر كما
صبر اولوا العزم من الرسل وقال تع نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وهذا في اذى
الناس واما الصبر على اذى السباع والحيات والعقارب وترك دفعها ليس من التوكل في

النقصان ع

شيء اذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا ترك السعي لعينه بل للاعانة على الدين وترتب الاسباب ههنا
كترتبها في الكسب وجلب النافع فلا نطول وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل
باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بان يعقل البعير لان هذه اسباب عرفت بسنة الله تع اما
قطعا واما ظنا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للاعرابي لما ان اهمل البعير وقال توكلت على الله
فقال عليه السلم اعقلها وتوكل وقال تع خذوا حذركم وقال تع في كيفية صلوة الخوف وليأخذوا اسلحتهم
وقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال تع لموسى عليه السلم فاسر بعبادي ليلا
والتحصن بالليل اختفاء عن اعين العدو ودفعا للضرر واخذ السلاح في الصلوة ليس دافعا قطعا
كقتل الحية والعقرب فانه دافع قطعا ولكن اخذ السلاح سبب مظنون وقد بينا ان المظنون
كالمقطوع وانما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه فان قلت فقد حكي عن جماعة ان
الاسد وضع يديه على كتفيه ولم يتحرك فاقول وقد حكي عن جماعة انهم ركبوا الاسد وسخروه ولا
ينبغي ان يغرك ذلك فانه وان كان صحيحا في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير بل
ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه اسرار لا تقف عليها ما لم تنته اليه
فان قلت وهل من علامة اعلم بها اني قد وصلت اليه فاقول الواصل لا يحتاج الى طلب العلامات
ولكن من العلامات السابقة على ذلك المقام ان يسخر لك كلب هو معك في اهابك يسمى الغضب
لا يزال يعضك ويعض غيرك فان تسخر لك هذا الكلب بحيث اذا هيج واشلي لم يسترسل الا
باشارتك وكان مسخرا لك فربما ترتفع درجتك الى ان يسخر لك الاسد الذي هو ملك السباع
وكلب دارك اولى بان يكون مسخرا لك من كلب البوادي وكلب اهابك اولى بان يسخر من كلب
دارك فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استسخار الكلب الظاهر فان قلت فاذا اخذ
المتوكل سلاحه حذرا من العدو واغلق بابه حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من الشرود فباي اعتبار
يكون متوكلا فاقول يكون متوكلا بالعلم والحال اما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم
يندفع بكفايته في اغلاق الباب بل بدفع الله تع اياه فكم من باب يغلق ولا ينفع وكم من بعير
يعقل ويموت او ينفلت وكم من اخذ سلاحه فقتل فلا يتكل على هذه الاسباب اصلا بل على مسبب
الاسباب كما ضربنا المثل في الموكل بالخصومة فانه وان حضر واحضر السجل فلا يتكل على نفسه و
على سجله بل على كفاية الوكيل وقوته واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضي الله تع به في نفسه وبيته
ويقول اللهم ان سلطت على ما في البيت من ياخذه ففي سبيلك وانا راض بحكمك فاني لا ادري
ان ما اعطيتني هبة فلا تسترجعها او عارية ووديعة فتسترده ولا ادري انها رزقي
او سبقت مشيتك في الازل بانه رزق غيري وكيف ما قضيت فانا راض به وما اغلقت الباب
تحصنا من قضائك وتسخطا له بل جريا على مقتضى سنتك في ترتيب الاسباب فلا ثقة الا بك يا
مسبب الاسباب فاذا كان هذا حاله وذاك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل
البعير واخذ السلاح واغلاق الباب ثم اذا عاد فوجد متاعه في البيت فينبغي ان يكون ذلك
عنده نعمة جديدة من الله وان لم يجده بل وجده مسروقا نظر الى قلبه فان وجده راضيا او فرحا بذلك

عاملا بانه ما اخذ الله تع ذلك منه الا ليزيد رزقه في الآخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه وان
تالم قلبه ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا في دعوى التوكل لان التوكل مقام
بعد الزهد ولا يصح الزهد الا ممن لا يأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي بل قد يكون على
العكس من ذلك فقد يصح له التوكل نعم قد يصح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم
يكثر سعيه في الطلب والتجسس وان لم يقدر على ذلك حتى تأذى بقلبه واظهر الشكوى بلسانه او
استقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة مزيدا له في دينه من حيث انها اظهرت له قصوره
عن جميع المقامات وكذبه في جميع الدعاوي فبعد هذا ينبغي ان يجتهد حتى لا يصدق نفسه
في دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها خداعة امارة بالسوء ومدعية للخير **فان قلت**
فكيف يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ **فاقول** المتوكل لا يخلو بيته عن متاع كقصعة يأكل فيها
وكوز يشرب فيه واناء يتوضأ عنه وجراب يحفظ به زاده وعصى يدفع بها عدوه وغير ذلك من
ضرورات المعيشة من اثاث البيت وقد يدخل في يده مال فيمسكه ليجد محتاجا فيصرفه اليه ولا
يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله وليس من شرط التوكل اخراج الكوز الذي يشرب منه
والجراب الذي فيه زاده وانما ذلك في المأكول وفي كل مال زائد على قدر الضرورة لان سنة الله
تع جارية بوصول الخبز الى الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد وما جرت السنة بتفرقة الكيزان
في كل يوم ولا في كل اسبوع والخروج عن سنة الله ليس شرطا في التوكل ولذلك كان الخواص
يأخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة دون الزاد لان سنة الله جارية بالفرق
بين الامرين **فان قلت** فكيف يتصور ان لا يحزن اذا اخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يأسف
عليه فان كان لا يشتهيه ولا يريده فلم امسكه واغلق الباب عليه وان امسكه لانه يشتهيه
لحاجته اليه فكيف لا يتأذى ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه **فاقول** انما كان
يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخيرة له في ان يكون له ذلك المتاع ولولا ان
الخيرة له فيه لما رزقه الله ولما اعطاه فاستدل على ذلك بتيسير الله وحسن الظن بالله مع ظنه
ان ذلك معين له على اسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعا به اذ يحتمل ان يكون خيرته
في ان يبتلى بفقد ذلك حتى يتعب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في التعب والنصب اكثر فلما
اخذه الله تع منه بتسليط اللص تغيرت ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول
لولا ان الله علم ان الخيرة كانت في وجودها الى الآن والخيرة الآن في عدمها لما اخذها
مني فبمثل هذا الظن يتصور ان يندفع عنه الحزن اذ به يخرج عن ان يكون فرحه بالاسباب
من حيث انها اسباب بل من حيث انها يسرها مسبب الاسباب عناية به وتلطفا وهو
كالمريض بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فان قدم اليه الغذاء فرح وقال لولا انه
عرف ان الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قربه الي وان اخر عنه الغذاء بعد ذلك
فرح ايضا وقال لولا ان الغذاء يضرني ويسوقني الى الموت لما حال بيني وبينه وكل من
لا يعتقد في لطف الله تع ما يعتقده المريض في الوالد المشفق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه

التوكل اصلا ومن عرف الله تع وعرف افعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه
بالاسباب فانه لا يدري اي الاسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت غنيا
او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي فلا في الدنيا ولا في الآخرة فكم من متاع في الدنيا يكون
سبب هلاك الانسان وكم من غني يبتلى بواقعة لاجل غناه فيقول ليتني كنت فقيرا

بيان آداب المتوكلين اذا سرق متاعهم

للمتوكل آداب في متاع بيته اذا خرج عنه
الاول ان يغلق الباب ولا يستقصي في اسباب الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ
مع الغلق وكجمعه اغلاقا كثيرة فقد كان مالك بن دينار لا يغلق بابه ولكن يشده بشريط و
يقول لولا الكلاب ما شددته ايضا **الثاني** ان لا يترك في البيت متاعا يحرص عليه السراق
فيكون هو سبب معصيتهم او يكون امساكه سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما اهدى المغيرة
الى مالك بن دينار ركوة قال له خذها فلا حاجة بي اليها قال لم قال يوسوس الي العدو ان اللص
قد اخذها فكانه احترز من ان يعصي السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها و
لذلك قال ابو سليمن هذا من ضعف قلوب الصوفية هو قد زهد في الدنيا فما عليه من اخذها
الثالث ان ما يضطر الى تركه في البيت ينبغي ان ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه من
تسليط سارق عليه ويقول ما يأخذه السارق فهو منه في حل او هو في سبيل الله وان كان
فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو اولى ويكون له نيتان لو اخذه غني او فقير احدهما
ان يكون ماله مانعا له من المعصية فانه ربما يستغني به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه
باكل الحرام لما ان جعله في حل **والثانية** ان لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم
آخر ومهما نوى حراسة مال غيره بماله نفسه او نوى دفع المعصية عن السارق وتخفيفها
عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما ونصرة الظالم
بمنعه من الظلم وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له وليتحقق ان هذه النية لا تضره بوجه
من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الازلي ولكنه يتحقق بالزهد بنيته
فان اخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لانه نواه وقصده وان لم يؤخذ حصل له الاجر ايضا
كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل واقر النطفة قرارها ان له اجر غلام ولد له
من ذلك الجماع وعاش وقتل في سبيل الله وان كان لم يولد لانه ليس اليه من امر الولد الا الوقاع
فاما الخلق والحيوة والرزق والبقاء فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم
فكذلك امر السرقة **الرابع** انه اذا وجد المال وقد سرق فينبغي ان لا يحزن بل يفرح ان
امكنه ويقول لولا ان الخيرة كانت في ذلك لما سلبه الله تع ثم ان لم يكن قد جعله في سبيل الله
فلا يبالغ في طلبه و في اساءة الظن بالمسلمين وان كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه فانه
قد قدمه ذخيرة لنفسه الى الآخرة فان اعيد عليه فالاولى ان لا يقبله بعد ان كان قد جعله
في سبيل الله وان قبله فهو ملكه في ظاهر العلم لان الملك لا يزول بمجرد تلك النية ولكنه غير
محبوب عند المتوكلين وقد روي ان ابن عمر رضي الله عنه سرقت ناقته فطلبها حتى اعيى

ثم قال في سبيل الله تع فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان نعلك
في مكان كذا فلبس نعله وقام ثم قال استغفر الله وجلس فقيل الا تذهب فتاخذها فقال
اني كنت قلت في سبيل الله وقال بعض الشيوخ رايت بعض اخواني في النوم بعد موته
فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لي وادخلني الجنة وعرض علي منازلي فيها فرايتها عوالي
وهو مع ذلك كئيب حزين فقلت قد دخلت الجنة وغفر لك وانت حزين فتنفس صعدا
ثم قال نعم اني لا ازال حزينا الى يوم القيمة قلت ولم ذاك قال اني لما رايت منازلي من الجنة
رفعت لي مقامات في عليين ما رايت مثلها فيما رايت ففرحت بها فلما هممت بدخولها
نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليست هي له انما هذه لمن امضى السبيل فقلت وما
امضى السبيل فقيل لي قد كنت تقول للشي انه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت امضيت السبيل
لامضيناه لك وحكي عن بعض العباد بمكة انه كان نائما بجنب رجل معه هميان فانتبه الرجل
وفقد هميانه فاتهمه به فقال كم كان فذكره فحمله الى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك اعلمه
اصحابه انهم كانوا قد اخذوا الهميان مزحا معه فجاء هو واصحابه وردوا الذهب
فابى عليهم وقال خذوها حلالا طيبا فما كنت لاعود في مال اخرجته في سبيل الله ولم يقبله فالحوا عليه فدعا
ابنا له وجعل يصرها صررا ويبعث بها الى الفقراء حتى لم يبق منه شي فهكذا كانت اخلاق السلف
رضي الله عنهم وكذلك من اخذ رغيفين مثلا ليعطيه فقيرا فغاب عنه كره له رده الى البيت بعد
اخراجه فيعطيه فقيرا آخر وكذلك يفعل في الدراهم وساير الصدقات الخامس وهو اقل الدرجات
ان لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهته وتاسفه على
ما فات وبطل زهده وان بالغ في الدعاء بطل ايضا اجره فيما اصيب به في الخبر من دعا على ظالمه فقد
انتصر وحكي ان الربيع بن خثيم سرق فرس له وكان ثمنه عشرين الفا وكان قايما يصلي فلم يقطع
صلوته ولم ينزعج لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال اما اني قد كنت رايته وهو يحله قيل و
ما منعك ان تزجره قال كنت فيما هو احب الي من ذلك يعني الصلوة قال فجعلوا يدعون على السارق
فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فاني قد جعلتها صدقة عليه وقيل لبعضهم في شي قد كان سرق
له الا تدعو على ظالمك قال ما احب ان اكون عونا للشيطان عليه قيل ارايت لو ردت
عليك قال لا آخذها ولا انظر اليها لاني كنت قد احللته له وقيل لآخر ادع الله على من ظلمك
فقال ما ظلمني احد ثم قال انما ظلم نفسه الا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى ازيده شرا واكثر
بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال لا تغرق في شتمه فان الله تع
ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن اخذ ماله وفي الخبر ان العبد ليظلم
المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة
بما زاد عليه يقتص له من المظلوم السادس ان يغتم لاجل السارق وعصيانه وتعرضه
لعقاب الله تع ويشكر الله اذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نقصانا في دنياه
لا في دينه فقد شكا بعض الناس الى عالم انه قطع عليه الطريق واخذ ماله فقال ان لم يكن

وهوم

غمك انه قد صار في المسلمين من يستحل هذا اكثر من غمك على مالك فما نصحت للمسلمين وسرق
من علي بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه ابوه يبكي ويحزن فقال اعلى الدنيا تبكي قال
لا والله ولكن على المسكين انه يسال يوم القيمة ولا يكون له حجة وقيل لبعضهم ادع على من
ظلمك فقال اني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء **الفن الرابع في ازالة الضرر كمداواة المرض
وامثاله** اعلم ان الاسباب المزيلة للضرر ايضا تنقسم الى مقطوع به كالماء المزيل
لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع والى مظنون كالفصد والحجامة وشرب المسهل وساير
ابواب الطب اعني معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة وهي الاسباب الظاهرة
في الطب والى موهوم كالكي والرقية اما المقطوع به فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند
خوف الموت واما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
المتوكلين واقواها الكي ويليه الرقية والطيرة آخر درجاتها والاعتماد عليها والاتكال اليها
غاية التعمق في ملاحظة الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهي المظنونة كالمداواة بالاسباب
الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظورا بخلاف
المقطوع بل قد يكون افضل من فعله في بعض الاحوال وفي بعض الاشخاص فهي على درجة
بين الدرجتين ويدل على ان التداوي غير مناقض للتوكل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله وامره اما قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله
من جهله الا السام يعني الموت وقال عليه السلم تداووا عباد الله وسيل عن الدواء و
الرقى هل ترد من قدر الله تع فقال هي من قدر الله تع وفي الخبر المشهور ما مررت بملأ من الملايكة
الا قالوا مر امتك بالحجامة وفي الحديث انه امر بها وقال احتجموا لسبع عشرة ولتسع عشرة
واحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم فذكر ان تبيغ الدم سبب الموت وانه قاتل باذن
الله وبين ان اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الاهاب وبين
اخراج العقرب من تحت الثياب واخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك
ذلك بل هو كصب الماء على النار لاطفائها وكدفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس
من التوكل الخروج عن سنة الوكيل ايضا وفي خبر منقطع من احتجم يوم الثلاثا لسبع عشرة
من الشهر كان له دواء من داء سنة واما امره فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
غير واحد من الصحابة بالتداوي والحمية وقطع لسعد بن معاذ عرقا اي فصده وكوى لسعد
زرارة وقال لعلي رضي الله عنه وكان رمد العين لا تاكل من هذا وكل من هذا فانه اوفق لك
يعني سلقا قد طبخ بدقيق او شعير وقال لصهيب وقد رآه ياكل التمر وهو وجع العين
تاكل تمرا وانت رمد فقال انما آكل بالجانب الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واما
فعله فقد روي من طريق اهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء
كل سنة وتداوى صلى الله عليه وسلم غير مرة من العقرب وغيرها وروي انه كان اذا نزل عليه
الوحي صدع راسه فكان يغلفه بالحنا وفي خبر انه كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها

حتا وقد جعل على قرحة خرجت به ترابا وما زلنا في تداويه وامره بذلك خارج عن الحصر وقد
صنف في ذلك كتاب وسمي طب النبي عليه السلام وذكر بعض العلماء في الاسرائيليات ان موسى
عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له لو تداويت بكذا لبرأت
فقال لا اتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء فطالت علته فقالوا ان دواء هذه العلة معروف
مجرب وانا نتداوى به فنبرأ فقال لا اتداوى فدامت علته فاوحى الله تع اليه وعزتي لا
ابرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرأ فاوجس في
نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي من اودع العقاقير
منافع الاشياء غيري وروي في خبر آخر ان نبيا من الانبياء شكا علة يجدها فاوحى
اليه كل البيض وشكا نبي آخر الضعف فاوحى اليه كل اللحم باللبن فان فيهما القوة قيل هو
الضعف عن الجماع وقد روي ان قوما شكوا الى نبيهم قبح اولادهم فاوحى الله تعالى
اليه مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد ويفعل ذلك في
الشهر الثالث والرابع اذ فيه يصور الله تع الولد وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل
والنفساء الرطب فبهذا يتبين ان مسبب الاسباب اجرى سنته بربط المسببات بالاسباب
اظهارا للحكمة والادوية اسباب مسخرة بحكم الله تع كسائر الاسباب فكما ان الخبز دواء الجوع والماء
دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لا يفارقه الا في امرين احدهما
ان معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين
يدركه بعض الخواص فمن ادركه بالتجربة التحق في حقه بالاول والثاني ان الدواء يسهل والسكنجبين
يسكن الصفراء بشروط اخرى في الباطن واسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها
وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الاسهال فاما زوال العطش فلا يستدعي سوى
الماء شروطا كثيرة وقد يتفق من العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر و
اختلاف الاسباب ابدا ينحصر في هذين الفنين والا فالمسبب يتلو السبب لا محالة مهما تم شروط
السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته فلا يضر المتوكل
استعماله مع النظر الى مسبب الاسباب دون الطبيب والدواء فقد روي عن موسى عليه السلام
انه قال يا رب ممن الداء والشفاء فقال تع مني قال فما يصنع الاطباء قال يأكلون ارزاقهم
ويطيبون نفوس عبادي حتى يأتي شفائي او قضائي فاذن معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم
والحال كما سبق في فنون الاعمال الدافعة للضرر والجالبة للنفع فاما ترك التداوي راسا فليس شرطا فيه
فان قلت فالكي ايضا من الاسباب الظاهرة النفع **فاقول** ليس كذلك اذ الاسباب الظاهرة
مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقي المبردات للمحرور واما الكي فلو كان مثلها في الظهور
لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقلما يعتاد الكي في اكثر البلاد وانما ذلك عادة بعض الاتراك والاعراب
فهو من الاسباب الموهومة كالرقية الا انه يتميز عنها بامر وهو انه احراق بالنار في الحال مع
الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فان سرايتهما بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما

ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكي دون الرقى وكل واحد منهما بعيد عن التوكل وروي
ان عمران بن الحصين اعتل فاشاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتوى
فكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا وتسلم علي الملائكة فلما اكتويت انقطع عني ذلك فكان
يقول اكتوينا كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من ذلك واناب الى الله تع فرد الله تع
عليه ما كان يجد من امر الملائكة قال لمطرف بن عبد الله المزني الكرامة التي اكرمني الله بها
قد ردها علي بعد ان كان قد اخبره بفقدها فاذن الكي وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالمتوكل
لانه يحتاج في استنباطه الى تدبير ثم هو موهوم فيدل على شدة ملاحظة الاسباب وعلى
التعمق فيها **بيان ان ترك التداوي قد يحمد في بعض الاحوال** ويدل على قوة المتوكل وان ذلك
لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم ان الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن
قد ترك التداوي ايضا جماعة من الاكابر فربما يظن ان ذلك نقصان لانه لو كان كمالا لتركه
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا يكون حال غيره في التوكل اكمل من حاله وقد روي عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه انه قيل لو دعونا لك طبيبا فقال قد رآني الطبيب وقال اني فعال لما اريد وقيل
لابي الدرداء في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال رحمة ربي قالوا الا ندعو لك
طبيبا فقال قد رآني الطبيب وقال اني فعال لما اريد وقيل لابي الدرداء قال الطبيب امرضني
وقيل لابي ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما فقال اني عنهما مشغول قيل لو سألت الله تع ان
يعافيك فقال اسأله فيما هو اهم علي منهما وكان قد اصاب الربيع بن خثيم فالج فقيل له لو
تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطباء
فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيئا وكان احمد بن حنبل يقول لمن اعتقد التوكل
وسلك هذا الطريق ان يترك التداوي من شرب الدواء وغيره وكان به علل لا يخبر بها المتطبب
ايضا اذا سأله وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في
ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله تع عليه فاذن من ترك التداوي وراه فيهم
كثرة ولا يتضح وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وافعالهم الا بحصر الصوارف عن التداوي
فنقول لترك التداوي اسباب الاول ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف
بانه انتهى اجله وان الدواء لا ينفعه ويكون معلوما عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحدس
وظن وتارة بكشف محقق ويشبه ان يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي من هذا السبب
فانه كان من المكاشفين فانه قال لعائشة في امر الميراث انما هما اختاك ولم تكن لها الا اخت واحدة
ولكن كانت امرأته حاملا فولدت انثى فعلم انه كان قد كوشف بانها حامل بانثى فلا يبعد ان
يكون قد كوشف ايضا بانتهاء اجله والا فلا يظن به انكار التداوي وقد شاهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم تداوى وامر به السبب الثاني ان يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته
واطلاع الله تع عليه فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلا بحاله وعليه
يدل كلام ابي ذر اذ قال اني عنهما مشغول وكلام ابي الدرداء اذ قال انما اشتكي ذنوبي فكان تالم

قلبه خوفا من خروجه اكثر من تاذي بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من اعزته او كالخائف
الذي يحمل الى ملك من الملوك ليقتل اذا قيل له الا تاكل وانت جائع فيقول انا مشغول عن الم
الجوع فلا يكون ذلك انكارا لكون الخبز نافعا من الجوع ولا طعنا فيمن اكل ويقرب من هذا
اشتغال سهل رحمه الله حيث قيل له ما القوت فقال هو الحي القيوم فقالوا انما سالناك عن
القوام فقال القوام هو العلم قيل سالناك عن الغذاء قال الغذاء هو الذكر قيل سالناك عن طعمة الجسد
قال ما لك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه آخرا اذا دخل عليه علة فرده الى صانعه اما رايت
الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها السبب الثالث ان تكون العلة مزمنة
والدواء الذي يومر به بالاضافة الى علته موهوم النفع جار مجرى الكي والرقية فيتركه المتوكل
واليه يشير قول الربيع بن خثيم اذ قال ذكرت عادا وثمودا وفيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى
ان الدواء غير موثوق وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند المريض كذلك
لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يغلب على ظنه كونه نافعا ولا شك في ان الطبيب
المجرب اشد اعتقادا في الادوية من غيره فيكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد
بحسب التجربة واكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد هذا مستندهم لانه يبقى الدواء
عندهم شيئا موهوما لا اصل له وذلك صحيح في بعض الادوية عند من عرف صناعة الطب غير
صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر الى الكل نظرا واحدا فيرى التداوي تعمقا في الاسباب
كالكي والرقى فيتركه توكلا السبب الرابع ان يقصد العبد بترك التداوي استبقاء المرض
لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى او ليجرب نفسه في القدرة على الصبر فقد ورد في
ثواب المرض ما يكثر ذكره فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء اشد الناس بلاء
ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان
في ايمانه ضعف خفف عنه وفي الخبر ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار
فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم من دون ذلك ومنهم من يخرج اسود محترقا
وفي حديث من طريق اهل البيت ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي
اصطفاه وقال صلى الله عليه وسلم تحبون ان تكونوا كالحمر الصالة لا تمرضون ولا تسقمون وقال
ابن مسعود تجد المؤمن اصح شيء قلبا وتجد المنافق اصح شيء جسما وامرضه قلبا فلما عظم
الثناء على المرض والبلاء احب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه فكان منهم من له
علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسي العلة ويرضى بحكم الله تعالى ويعلم ان الحق اغلب على قلبه
من ان يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلوتهم قاعدا مثلا مع الصبر على قضاء
الله افضل من الصلوة قائما مع العافية والصحة ففي الخبر ان الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لعبدي
الصالح ما كان يعمل فانه في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من
دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الاعمال ما اكرهت
عليه النفوس فقيل معناه ما دخل من الامراض والمصائب واليه الاشارة بقوله تعالى وعسى ان

تكرهوا

تكرهوا شيئا وهو خير لكم وكان سهل يقول ترك التداوي وان ضعف عن الطاعات وقصر
عن الفرائض افضل من التداوي لاجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها
وكان يداوي الناس منها وكان اذا راى العبد يصلي من قعود ولا يستطيع اعمال البر من
الامراض فيتداوى للقيام في الصلوة والنهوض الى الطاعة تعجب من ذلك ويقول صلوته من
قعود مع الرضا بحاله افضل من التداوي للقوة والصلوة قائما وسئل عن شرب الدواء فقال
كل من دخل في شيء من الدواء فانما هو سعة من الله تعالى لاهل الضعف ومن لم يدخل في شيء منه
فهو افضل لانه ان اخذ شيئا من الدواء ولو كان هو الماء البارد يسال عنه لم اخذت ذلك و
من لم ياخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع و
كسر الشهوات لعلمهم بان ذرة من اعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل افضل من
امثال الجبال من اعمال الجوارح والمرض لا يمنع من اعمال القلوب الا اذا كان المه غالبا
مدهشا وقال سهل علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة السبب الخامس
ان يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض اذا طال تكفيرا
فيترك التداوي خوفا من ان يسرع زوال المرض فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزال الحمى
والمليلة بالعبد حتى يمشي على الارض كالبردة ما عليه خطيئة وفي الخبر حمى يوم كفارة سنة
فقيل لانها تهد قوة سنة وقيل للانسان ثلثمائة وستون مفصلا فيدخل الحمى في جميعها
ويجد من كل واحد الما فيكون كل الم كفارة يوم ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة
الذنوب بالحمى سال زيد بن ثابت ربه عز وجل ان لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه حتى
مات رحمه الله وقد سال طائفة من الانصار فكانت الحمى لا تزايلهم ولما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اذهب الله تعالى كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة قال فلقد كان في
الانصار من يتمنى العمى وقال عيسى عليه السلام لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض
على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه وروي ان موسى نظر الى عبد عظيم البلاء
فقال يا رب ارحمه فقال كيف ارحمه مما به ارحمه اي به اكفر ذنوبه وازيد في درجاته السبب
السادس ان يستشعر العبد من نفسه مبادي البطر والطغيان بطول مدة الصحة
فيترك التداوي خوفا من ان يعاجله زوال المرض فتعاوده البطر والطغيان والغفلة او
طول الامل والتسويف في تدارك الفائت وتاخير الخيرات فان الصحة عبارة عن قوة
الصفات وبها تنبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي واقلها ان تدعو
الى التنعم في المباحات وهو تضييع للاوقات واهمال للربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة
الطاعات فاذا اراد الله تعالى بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالامراض والمصائب ولذلك
قيل لا يخلو المؤمن من علة او قلة او ذلة وقد روي ان الله تعالى يقول الفقر سجني والمرض قيدي
احبس به من احب من خلقي فاذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فاي خير
يزيد عليه ولم ينبغي ان يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية في ترك المعاصي

[illegible] صح

فقد قال بعض العارفين لانسان كيف كنت بعدي قال في عافية قال ان كنت لم تعص الله
تع فانت في عافية وان كنت قد عصيته فاي داء ادوى من المعصية ما عوفي من عصى وقال
علي رضي الله عنه لما راى زينة النبط بالعراق في يوم عيدهم ما هذا الذي اظهروه قالوا يا امير
المومنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا نعصي الله فيه فهو عيد لنا وقال تع وعصيتم من بعد
ما اراكم ما تحبون قيل العوافي والانسان يطغى ان راه استغنى فكذلك اذا استغنى بالعافية و
قال بعضهم انما قال فرعون انا ربكم الاعلى لطول العافية لانه لبث اربعمائة سنة لم يصدع
له راس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة كل يوم لشغلته
عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر
هادم اللذات وقد قيل الحمى بريد الموت فهو مذكر به ودافع للتسويف وقال تع اولا
يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون قيل يفتنون
بالامراض يختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضتين ثم لم يتب ثم لم يتب قال
ملك الموت يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تجب وقد كان السلف يستوحشون
لذلك اذا خرج عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس او مال وقالوا لا يخلو المومن كل اربعين يوما
ان يروع روعة او يصاب بنكبة حتى روي ان عمار بن ياسر تزوج امراة لم تكن تمرض
فطلقها وان النبي صلى الله عليه وسلم عرضت عليه امراة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوجها
فقيل وانها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراض
والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما اعرفه فقال صلى الله عليه وسلم اليك
عني من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا وهذا لانه ورد في الخبر ان الحمى
حظ كل مومن من النار وفي حديث انس وعايشة رضي الله عنهما قيل يا رسول الله هل يكون
مع الشهداء يوم القيمة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة وفي لفظ آخر
الذي يذكر ذنوبه فتحزنه ولا شك في ان ذكر الموت على المريض اغلب ولما كثرت فوايد المرض
راى جماعة ترك الحيلة في زوالها اذ راوا لانفسهم مزيدا فيها لا من حيث راوا التداوي
نقصانا وكيف يكون نقصانا وقد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم

بيان الرد على من قال ان ترك التداوي افضل بكل حال

فان قال قايل ان فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك ليسن لغيره والا فهذا حال الضعفاء ودرجة الاقوياء توجب التوكل بترك الدواء فيقال
له فينبغي ان يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم وان قيل ذلك
ايضا شرط فليكن من شرطه ان تلدغه العقرب والحية فلا ينحيها عن نفسه اذ الدم
يلدغ الباطن والعقرب يلدغ الظاهر فاي فرق بينهما فان قال وذلك ايضا شرط التوكل
فيقال فينبغي ان لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجبة
وهذا لا قايل به ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك اسباب رتبها مسبب الاسباب
واجرى بها سنته ويدل على ان ذلك ليس من شرط التوكل ما روي عن عمر رضي الله عنه

وعن الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام وانتهوا الى الجابية بلغهم الخبر
ان به موتا ذريعا ووباء عظيما فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنلقي
بايدينا الى التهلكة وقالت الطايفة الاخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله ولا
نفر من الموت فنكون كمن قال الله تع الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر
الموت فرجعوا الى عمر رضي الله عنه فسالوه عن رايه فقال نرجع ولا ندخل على الوباء فقال
له المخالفون في رايه انفر من قدر الله فقال عمر نعم نفر من قدر الله الى قدر الله تع ثم ضرب
لهم مثلا وقال ارايتم ان كان لاحدكم غنم وله شعبان احدهما مخصبة والاخرى
مجدبة اليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله تع وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله تع فقالوا
نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليساله عن رايه فكان غايبا فلما اصبحوا جاء عبد الرحمن
فساله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يا امير المومنين شي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا سمعتم بالوباء في ارض فلا تقدموا عليه وان وقع في ارض وانتم بها فلا تخرجوا
فرارا منه ففرح عمر بذلك وحمد الله تع اذ وافق رايه ورجع بالناس من الجابية فاذن كيف
اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من اعلى المقامات ان كان امثال هذا من شروط التوكل
فان قلت فلم نهي عن الخروج من البلد الذي فيه الوباء وسبب الوباء في الطب الهواء و
اظهر طرق التداوي الفرار من المضر والهواء هو المضر فلم لم يرخص فيه فاعلم انه
لا خلاف في ان الفرار عن المضر غير منهي عنه اذ الحجامة فرار من المضر فترك التوكل في
امثال هذا مباح فهذا لا يدل على المقصود ولكن الذي ينقدح فيه والعلم عند الله ان الهواء
لا يضر من حيث تلاقي ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق له فانه اذا كان فيه
عفونة ووصل الى الرية والقلب وباطن الاحشاء اثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر
الوباء الا بعد طول التاثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخلص غالبا من الاثر الذي استحكم
من قبل ولكنه يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة و
غيرهما ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضا للتوكل ولم يكن منهيا عنه ولكن صار منهيا عنه
لانه انضاف اليه امر آخر وهو انه لو رخص للاصحاء في الخروج لما بقي في البلد الا المرضى
الذين اقعدهم الطاعون وانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين ولم يبق في البلد من
يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرة ذلك بانفسهم فيكون ذلك
سعيا في اهلاكهم تحقيقا وخلاصهم منتظر كما ان خلاص الاصحاء منتظر ولو اقاموا
لم تكن الاقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع في
اهلاك الباقين والمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضا والمومنون كالجسد الواحد اذا
اشتكى منه عضو تداعى الى سائر اعضائه فهذا هو الذي ينقدح عندنا في تعليل النهي
وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فانه لم يوثر الهواء في باطنهم ولا باهل البلد
حاجة اليهم نعم لو لم يبق في البلد الا مطعونون وافتقروا الى المتعهدين وقدم عليهم قوم

فربما كان يقدح استحباب الدخول هنا لاجل الاعانة اذ لا ينهى عن الدخول لانه تعرض
لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين وسعيا في اهلاكهم ولهذا شبه الفرار
من الطاعون في بعض الاخبار بالفرار من الزحف لان فيه كسرا لقلوب بقية المسلمين وسعيا
في اهلاكهم فهذه امور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر الى ظواهر الاخبار والآثار ربما تناقض
عنده اكثر ما يسمعه وغلط الزهاد والعباد في مثل هذا اكثر وانما شرف العلم وفضيلته لاجل
ذلك فان قلت ففي ترك التداوي فضل كما ذكرتم فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التداوي
لينال الفضل فنقول فيه فضل بالاضافة الى من كثرت ذنوبه ليكفرها او خاف على نفسه
طغيان العافية وغلبة الشهوات او احتاج الى ما يذكره الموت لغلبة الغفلة او احتاج
الى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين او قصرت بصيرته عن
الاطلاع على ما اودع الله الادوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوما كالرقية او
كان شغله بحاله يمنعه عن التداوي وكان التداوي يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع
فالى هذه المعاني رجعت الصوارف في ترك التداوي وكل ذلك كمالات بالاضافة الى بعض
الخلق ونقصان بالاضافة الى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه اعلى من هذه
المقامات كلها اذ كان حاله تقتضي ان تكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الاسباب
وفقدها فانه لم يكن له نظر في الاحوال الا الى مسبب الاسباب ومن كان هذا مقامه
لم تضره الاسباب كما ذكرنا ان الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كراهة له وان كان
كمالا فهو ايضا نقص بالاضافة الى من يستوي عنده وجود المال وعدمه فاستواء الحجر والذهب
اكمل من الهرب عن الذهب دون الحجر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء المدر والذهب عنده
وكان لا يمسكه لتعليم الخلق مقام الزهد فانه منتهى قوتهم لا لخوفه على نفسه من
امساكه فانه اعلى رتبة من ان تغره الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الارض فابى ان يقبلها
فكذلك يستوي عنده مباشرة الاسباب وتركها بمثل هذه المشاهدة وانما لم يترك استعمال الدواء
جريا على سنة الله وترخيصا لامته فيما تمس اليه حاجتهم مع انه لا ضرر فيه بخلاف
ادخار الاموال فان ذلك يعظم ضرره نعم التداوي لا يضر الا من حيث رؤية الدواء نافعا دون
خالق الدواء وهذا قد نهي عنه ومن حيث انه قد يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصي
وذلك منهي عنه والمومن في غالب الامر لا يقصد ذلك واحد من المومنين لا يرى الدواء نافعا
بنفسه بل من حيث ان جعله الله سببا للنفع كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا فحكم
التداوي في مقصوده حكم الكسب فانه ان اكتسب للاستعانة على الطاعة او على المعصية كان
له حكمهما وان اكتسب للتنعم المباح فله حكمه فقد ظهر بالمعاني التي اوردناها ان ترك
التداوي قد يكون افضل في بعض الاحوال وان التداوي قد يكون افضل في بعض وان ذلك
يختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والنيات وان واحدا من الفعل والترك ليس شرطا
في التوكل الا ترك الموهومات كالكي والرقى فان ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين

بيان حكم المتوكل في اظهار المرض وكتمانه اعلم ان كتمان المرض واخفاء الفقر وانواع
البلاء من كنوز البر وهو من اعالي المقامات لان الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة
بين العبد وبين الله فكتمانه اسلم عن الآفات ومع هذا فالاظهار لا باس اذا صحت النية
فيه والقصد ومقاصد الاظهار ثلاثة الاول ان يكون غرضه التداوي فيحتاج الى
ذكره للطبيب فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تع
فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المتطبب اوجاعه وكان احمد بن حنبل يخبر بامراض
يجدها ويقول انما اصف قدرة الله في الثاني ان يصف لغير الطبيب وكان ممن
يقتدى به وكان ممكنا في المعرفة فاراد من ذكره ان يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر
بان يظهر انه يرى المرض نعمة ويشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم وقد قال الحسن
البصري اذا حمد المريض الله تع وشكره ثم ذكر اوجاعه لم يكن ذلك شكوى الثالث
ان يظهر بذلك عجزه وافتقاره الى الله تع وذلك يحسن ممن يليق به القوة والشجاعة و
يستبعد منه العجز كما روي انه قيل لعلي رضي الله عنه في مرضه كيف انت فقال بشر فنظر
بعضهم الى بعض كانهم كرهوا ذلك وظنوا انه شكاية فقال اتجلد على الله فاحب ان يظهر
عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والضراعة وتادب فيه بتاديب النبي صلى الله عليه وسلم
اياه حيث مرض علي فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول اللهم صبرني على البلاء
فقال لقد سالت الله البلاء فسل الله العافية فبهذه النيات يرخص في ذكر
المرض وانما يشترط ذلك لان ذكره شكاية والشكوى من الله تعالى حرام كما ذكرناه في تحريم
السؤال على الفقراء الا بضرورة ويصير الاظهار شكاية بقرينة السخط واظهار الكراهة
لفعل الله تع فان خلا عن قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم و
لكن يحكم فيه بان الاولى تركه لانه ربما يوهم الشكاية ولانه ربما يكون فيه تصنع وتزيد في
الوصف على الموجود من العلة ومن يترك التداوي توكلا فلا وجه في حقه للاظهار
لان الاستراحة الى الدواء احسن من الاستراحة الى الافشاء وقد قال بعضهم من
بث فلم يصبر وقيل في معنى قوله تع فصبر جميل لا شكوى فيه وقيل ليعقوب عليه السلام
ما الذي اذهب بصرك قال مر الزمان وطول الاحزان فاوحى الله تع اليه تفرغت لشكواي
الى عبادي فقال يا رب اتوب اليك وروي عن طاوس ومجاهد انهما قالا يكتب على
المريض انينه في مرضه وكانوا يكرهون انين المريض لانه اظهار معنى يقتضي الشكوى حتى
قيل ما اصاب ابليس من ايوب الا انينه في مرضه فجعل الانين حظه منه وفي الخبر
اذا مرض العبد اوحى الله تع الى الملكين انظرا ما يقول للعواده فان حمد الله واثنى عليه
بخير دعوا له وان شكا وذكر شرا قالا كذلك تكون وانما كره بعض العيادة خشية الشكاية
وخوف الزيادة في الكلام وكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه فلم يدخل عليه احد حتى يبرا
فيخرج اليهم منهم الفضيل بن عياض ووهيب بن الورد وبشر بن الحارث وكان

فضيل يقول اشتهي ان امرض بلا عواد وقال ايضا لا اكره العلة الا لاجل العواد تم
كتاب التوحيد والتوكل والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله الطيبين الطاهرين

كتاب المحبة والشوق والرضا

وهو الكتاب السادس من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي نزه قلوب اوليائه عن الالتفات الى متاع الدنيا وخضرتها، وصفى اسرارهم عن ملاحظة غير حضرته، ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته، ثم تجلى لها باسمائه وصفاته حتى اشرقت بانوار معرفته، ثم كشف لها عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته، ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيداء كبريائه وعظمته، فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما غبر في وجه العقل وبصيرته، وكلما همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا ايها الآيس عن نيل الحق بجهله وعجلته، فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته محترقة بنار محبته، والصلوة على محمد خاتم الانبياء بكمال نبوته، وعلى آله واصحابه سادة الخلق وائمته، وقادة الحق وازمته، وسلم كثيرا **اما بعد** فان المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضا واخواتها ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها وساير المقامات ان عز وجودها لم تخل القلوب عن الايمان بامكانها واما محبة الله تعالى فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض العلماء امكانها وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى واما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبة انكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وساير لوازم الحب وتوابعه ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الامر ونحن نذكر في هذا الباب بيان شواهد الشرع في المحبة وبيان حقيقتها واسبابها وبيان ان لا مستحق للمحبة الا الله تعالى وبيان ان اعظم اللذات لذة النظر الى وجه الله وبيان سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا وبيان الاسباب المقوية لحب الله تعالى وبيان السبب في تفاوت الناس في الحب وبيان السبب في قصور الافهام عن معرفة الله وبيان معنى الشوق وبيان محبة الله العبد والقول في علامات محبة العبد لله تعالى وبيان معنى الانس بالله وبيان معنى الانبساط في الحب والقول في معنى الرضا وبيان فضيلته وبيان تحقيقته وبيان ان الدعاء وكراهة المعاصي لا تناقضه وكذا الفرار من المعاصي وبيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة **بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى** اعلم ان الامة مجمعة على ان الحب لله ولرسوله فرض وكيف يفترض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد ان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من احب ويدل على اثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل يحبهم ويحبونه وقوله تعالى والذين آمنوا اشد حبا لله وهو دليل على اثبات الحب واثبات التفاوت

وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الايمان في اخبار كثيرة اذ قال ابو رزين العقيلي يا رسول الله ما الايمان قال ان يكون الله ورسوله احب اليك مما سواهما وفي حديث آخر لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما، وفي حديث آخر لا يؤمن العبد حتى اكون احب اليه من اهله وماله والناس اجمعين وفي رواية ومن نفسه كيف وقد قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم الآية وانما اجرى ذلك في موضع التهديد والانكار وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحبة فقال احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله وروي ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك فقال صلى الله عليه وسلم استعد للفقر فقال اني احب الله فقال استعد للبلاء، وعن عمر رضي الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه لقد رايته بين ابوين يغذوانه باطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون، وفي الخبر المشهور ان ابرهيم صلوات الله عليه قال لملك الموت اذ جاءه ليقبض روحه هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه هل رايت محبا يكره لقاء حبيبه فقال يا ملك الموت الآن فاقبض وهذا لا يجده الا عبد يحب الله بكل قلبه فاذا علم ان الموت سبب اللقاء انزعج قلبه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت اليه وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من احبك وحب ما يقربني الى حبك واجعل حبك احب الي من الماء البارد، وجاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما ذا اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب قال انس فما رايت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله عز وجل شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال الحسن من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن وقال ابو سليمن الداراني ان من خلق الله خلقا ما تشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا ويروى ان عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلثة آخرين فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان على وجوههم المرائي من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا نحب الله عز وجل فقال انتم المقربون انتم المقربون وقال عبد الواحد بن زيد مررت برجل نائم في الثلج فقلت اما تجد البرد فقال من شغله حب الله لم يجد البرد، وعن سري السقطي قال تدعى الامم يوم القيمة بانبيائها عليهم السلم فيقال يا امة موسى ويا امة عيسى ويا امة محمد غير المحبين لله تعالى فانهم ينادون يا اولياء الله هلموا الى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تنخلع فرحا وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه عز وجل احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا

بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهو بجسده في الدنيا وبروحه في الآخرة وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول فكيف وده ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه ، وفي بعض الكتب عبدي انا وحقك لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب احب الي من عبادة سبعين سنة بلا حب وقال ايضا الهي اني مقيم بفنائك مشغول بثنائك صغيرا اخذتني اليك وسربلتني بمعرفتك وامكنتني من لطفك ونقلتني في الاحوال وقلبتني في الاعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضى وحبا تسقيني من حياضك وتهملني في رياضك ملازما لامرك ومشغوفا بقولك ولما طر شاربي ولاح طائري فكيف انصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا فلي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة اليك همهمة لاني محب وكل حبيب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد في حب الله تعالى من الاخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك امر ظاهر وانما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به

بيان حقيقة المحبة واسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى

اعلم ان المطلب من هذا الفصل لا ينكشف الا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها واسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى فاول ما ينبغي ان يتحقق انه لا يتصور ان يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك ثم المدركات من انقسامها تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤثر فيه بايلام والتذاذ فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في ادراكه الم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب الم ولذة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذن كل لذيذ محبوب عند الملتذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذ فان تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوي سمي مقتا فهذا اصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته الاصل الثاني ان الحب لما كان تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة ادراك لنوع من المدركات ولكل واحدة منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة ولذة الاذن في النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم في الروائح الطيبة ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة اي كان للطبع السليم ميل اليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلوة فسمى الطيب محبوبا ومعلوم ان لا حظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط وسمى النساء محبوبات ولا حظ فيهن الا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلوة قرة عين وجعلها ابلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس مظنته القلب لا يدركه الا من كان له قلب ولذات الحواس الخمس يشارك فيها البهائم الانسان فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب فاذ قد بطلت خاصية الانسان وما تميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل او بالنور او بالقلب او بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات فالبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر والقلب اشد ادراكا من العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار فيكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن ان تدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح اليه اقوى ولا معنى للحب الا الميل الى ما في ادراكه لذة كما سيأتي تفصيله فاذا لا ينكر حب الله تعالى الا من قعد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز ادراك الحواس اصلا الاصل الثالث ان الانسان لا يخفى انه يحب نفسه ولا يخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور ان يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون انه لا يتصور ان يحب الانسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراك ذاته والحق ان ذلك متصور وموجود فلنبين اقسام المحبة واسبابها وبيانه ان المحبوب الاول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه ان في طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لان المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب واي شيء اتم ملائمة من نفسه ودوام وجوده واي شيء اعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه فلذلك يحب الانسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا لمجرد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير الم واميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض الا لمقاساة الم في الحيوة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فان احب العدم لم يحبه لانه عدم بل لان فيه زوال البلاء فالهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب فكمال الوجود ايضا محبوب لان الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالاضافة الى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة اليه والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال الوجود كما انه ممقوت في اصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما ان دوام اصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذن المحبوب الاول للانسان ذاته ثم سلامة اعضائه ثم ماله وولده وعشيرته واصدقاؤه فالاعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لان كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لانه ايضا آلة في دوام الوجود وكماله وكذا سائر الاسباب فان الانسان يحب هذه الاشياء لا لاعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله بها حتى انه ليحب ولده وان كان لا يناله منه حظ بل يتحمل المشاق لاجله لانه يخلفه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكانه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقاء نفسه ابدا نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله آثر بقاء نفسه على بقاء ولده لان بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه المحقق

كذلك يحب اقاربه وعشيرته يرجع الى حبه لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجملا
بكمالهم فان العشيرة والمال والاسباب الخارجة كالجناح المكمل للانسان وكمال الوجود
ودوامه محبوب بالطبع لا محالة فاذن المحبوب الاول عند كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله
والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو اول الاسباب السبب الثاني الاحسان فان الانسان
عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي اشار الى ان حب القلب للمحسن
اضطرارا لا يستطاع دفعه وهو جبلة وفطرة لا سبيل الى تغييرها وبهذا السبب يحب
الانسان الاجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا اذا حقق رجع الى السبب الاول
فان المحسن من امده بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وكمال الوجود
وحصول الحظوظ التي بها يتهيأ الوجود الا ان الفرق ان اعضاء الانسان محبوبة لان بها كمال
وجوده وهي عين الكمال المطلوب فاما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا
له كالطبيب الذي يكون سببا في دوام صحة الاعضاء ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب
الذي هو سبب الصحة اذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لا لذاته بل لانه سبب للصحة
وكذلك العلم محبوب والاستاذ محبوب ولكن العلم محبوب لذاته والاستاذ محبوب لكونه
سبب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته
والدنانير محبوبة لانها وسيلة الى الطعام فاذن يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة والا فكل
واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكل من احب المحسن لاحسانه فما احب ذاته تحقيقا بل احب
احسانه وهو فعل من افعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد و
تطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه السبب الثالث
ان يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل يكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي
البالغ الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال فهو محبوب عند مدرك
الجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا
تظنن ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذة اخرى
قد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف
ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوبة لا ليشرب الماء وتؤكل الخضرة او ينال منها حظ
سوى نفس الرؤية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع السليمة
قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة
الشكل حتى ان الانسان لينفرج عنه الغموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر فهذه
الاسباب ملذة وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال فلا يخلو ادراكه عن لذة ولا ينكر احد
كون الجمال محبوبا بالطبع فان ثبت ان الله جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له
جماله وجلاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال الاصل

الرابع في بيان معنى الحسن والجمال اعلم ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما
يظن انه لا معنى للحسن والجمال الا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا
بالحمرة وامتداد القامة الى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الانسان فان الحسن
الاغلب على الخلق حسن الابصار واكثر التفاتهم الى صور الاشخاص فيظن ان ما ليس مبصرا
ولا متخيلا متشكلا ولا متلونا متقدرا فلا يتصور حسنه واذا لم يتصور حسنه لم يكن
في ادراكه لذة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فان الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر
ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة فانا نقول هذا خط حسن وهذا صوت
حسن وهذا فرس حسن بل نقول هذا ثوب حسن وهذا اناء حسن فاي معنى لحسن الصوت
والخط وسائر الاشياء ان لم يكن الحسن الا في الصورة ومعلوم ان العين تستلذ النظر الى الخط
الحسن والاذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من المدركات الا وهي
منقسمة الى حسن وقبيح فما معنى الحسن الذي يشترك فيه هذه الاشياء فلا بد من البحث عنه وهذا
بحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الاطناب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شيء فجماله
وحسنه في ان يحضر كماله اللائق به الممكن له فاذا كانت جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية
الجمال وان كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن هو الذي
جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه والخط
الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن
انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذي يليق
به فلا يحسن الانسان بما يحسن به الفرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن
الاواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء فان قلت فهذه الاشياء وان لم يدرك
جميعها بحس البصر مثل الاصوات والطعوم فانها لا تنفك عن ادراك الحواس لها فهي محسوسات
وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادراك حسنها وانما ينكر ذلك في
غير المدرك بالحواس فاعلم ان الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات اذ يقال هذا خلق
حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه اخلاق جميلة وانما الاخلاق الجميلة يراد بها
العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروة وسائر خلال الخير وشيء من هذه الصفات
لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخصال الجميلة محبوبة والموصوف
بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ان الامر كذلك ان الطباع مجبولة على
حب الانبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضي الله عنهم مع انهم لم يشاهدوا
بل حب ارباب المذاهب مثل الشافعي وابي حنيفة ومالك وغيرهم حتى ان الرجل قد يجاوز به
حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على ان ينفق جميع ماله في نصرة مذهبه والذب
عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في امامه ومتبوعه فكم من دم اريق في نصرة ارباب
المذاهب وليت شعري من يحب الشافعي مثلا فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده

ربما لم يستحسن صورته فاستحسانه الذي حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فان صورته الظاهرة قد انقلبت ترابا مع التراب وانما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لافاضة علم الشرع ونشره هذه الخيرات في العالم وهذه امور جميلة لا يدرك جمالها الا بنور البصيرة فاما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب ابا بكر الصديق رضي الله عنه ويفضله على غيره او يحب عليا رضي الله عنه ويفضله ويتعصب له فلا يحبهم الا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم ان من يحب الصديق رضي الله عنه مثلا ليس يحب لحمه وعظمه وجلده واطرافه وشكله اذ كل ذلك لو زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقا وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السير الجميلة لكان الحب باقيا ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور وتلك الصفات ترجع جملتها الى العلم والقدرة اذ علم حقائق الامور وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير يتشعب عن هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزى فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزى صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوبا لاجله فاذن الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهي الاخلاق الحميدة والفضائل الشريفة وترجع جملتها الى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى ان الصبي المخلى وطبعه اذا اردنا ان نحبب اليه غائبا او حاضرا حيا او ميتا لم يكن لنا سبيل الا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر ان لا يحبه فهل غلب حب الصحابة رضي الله عنهم وبغض ابي جهل وبغض ابليس لعنهما الله الا بالاطناب في وصف المحاسن والمقابح التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتما بالسخاء ووصفوا خالدا بالشجاعة احبتهم القلوب حبا ضروريا وليس ذلك عن نظر الى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم بل اذا حكي من سيرة بعض الملوك في بعض اقطار الارض العدل والاحسان وافاضة الخير غلب حبه على القلوب مع الياس من انتشار احسانه الى المحبين لبعد المزار وتنائي الدار فاذن ليس حب الانسان مقصورا على من احسن اليه بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي قط احسانه الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب والصور ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا على الحائط بجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الانبياء بجمال صورته الباطنة **السبب الخامس** المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب

جمال او حظ ولكن بمجرد تناسب الارواح كما قال صلى الله عليه وسلم فما تعارف منها ائتلف وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لانه ايضا من عجائب اسباب الحب فاذن ترجع اقسام الحب الى خمسة اسباب وهو حب الانسان وجود نفسه وكماله وبقاءه وحبه من احسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه وحبه من كان محسنا في نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة او الباطنة وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان للانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن الى الخلق ومحسن الى الوالد كان محبوبا لا محالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها فان كانت هذه الصفات في اقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في اعلى الدرجات فلنبين الآن ان هذه الاسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها الا في حق الله فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله سبحانه وتعالى

بيان ان المستحق للمحبة هو الله تعالى وحده

وان من احب غير الله لا من حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تع وان حب الرسول محمود لانه عين حب الله وكذا حب العلماء والاتقياء لان محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع الى حب الاصل فلا يجاوزه الى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر الا الله تع ولا مستحق للمحبة سواه وايضاحه بان نرجع الى الاسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين انها مجتمعة في حق الله تع بجملتها ولا يوجد في غيره الا آحادها وانها حقيقة في حق الله تع ووجودها في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله ضعفاء العقول من استحالة حب الله تع تحقيقا وبان ان التحقيق يقتضي ان لا يحب احد غير الله تع **اما السبب الاول** وهو حب الانسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده وبغضه هلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حي ولا يتصور ان ينفك عنها وهذا يقتضي غاية المحبة لله فان من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا انه لا وجود له من ذاته وانما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله تع وبالله تع والى الله فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الاسباب الموصلة اليه وخلق الهداية الى استعمال الاسباب والا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تع عليه بالايجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام الا الحي القيوم الذي هو قائم بذاته وكل ما سواه قائم به فان احب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له ان عرفه خالقا موجدا ومخترعا ومبقيا وقيوما بنفسه ومقوما لغيره فان كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه والمحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصري من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها

وكيف يتصور ان يحب الانسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه ومعلوم ان المبتلى بحر الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الاشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالاضافة الى قدرة الله تع فهو كالظل بالاضافة الى الشجر والنور بالاضافة الى الشمس فان الكل من آثار قدرته ووجود الظل تابع لوجوده كما ان وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشخص بل هذا المثال صحيح بالاضافة الى اوهام العوام اذ تخيلوا ان النور اثر الشمس وفايض منها وموجود بها وهو خطا محض اذ انكشف لارباب القلوب انكشافا اظهر من مشاهدة الابصار ان النور حاصل من قدرة الله تع اختراعا عند وقوع المقابلة بين الشمس وبين الاجسام الكثيفة كما ان نور الشمس وعينها وشكلها و صورتها ايضا حاصل من قدرة الله تع ولكن الغرض من الامثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقايق فاذا ان كان حب الانسان نفسه ضروريا فحبه لمن به قوامه اولا ودوامه ثانيا في اصله وصفاته و ظاهره وباطنه وجواهره واعراضه ايضا ضروري ان عرف ذلك كذلك ومن خلا عن هذا الحب فلانه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته واقتصر نظره على شهواته و محسوساته وهو عالم الشهادة الذي يشاركه البهايم في التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذي لا يطا ارضه الا من يضرب الى شبه الملايكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملايكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه الى حضيض عالم البهايم **واما السبب الثاني** وهو حبه من احسن اليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وامده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع اعدائه وقام بدفع شر الاشرار عنه وانتهض وسيلة الى جميع حظوظه واغراضه في نفسه واولاده واقاربه فانه محبوب لا محالة عنده وهذا بعينه يقتضي ان لا يحب الا الله فانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان المحسن اليه هو الله تع فقط فاما انواع احسانه الى كل عبيده فلست اعدها اذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تع وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد اشرنا الى طرف منه في كتاب الشكر ولكنا نقتصر الآن على بيان ان الاحسان من الناس غير متصور الا بالمجاز وانما المحسن هو الله تع ولنفرض ذلك فيمن انعم عليك بجميع خزائنه ومكنك منها لتتصرف كيف تشاء فانك تظن ان هذا الاحسان منه وهو غلط فانه انما تم احسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال اليك فمن الذي انعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق ارادته وداعيته ومن الذي حببك اليه وصرف وجهه اليك والقى في نفسه ان صلاح دينه ودنياه في الاحسان اليك ولولا كل ذلك لما اعطاك حبة من ماله ومهما سلط الله تع عليه الدواعي وقرر في نفسه ان صلاح دينه ودنياه ان يسلم اليك ماله كان مقهورا مضطرا في التسليم لا يستطيع مخالفته فالمحسن هو الذي اضطره وسخره لك وسلط الدواعي الباعثة له المرهقة الى الفعل واما يده فواسطة يصل بها احسان الله اليك وصاحب اليد مضطر في ذلك اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه فان اعتقدته محسنا او شكرته من حيث هو بنفسه لا من حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الامر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان الا الى نفسه اما الاحسان الى غيره فمحال من المخلوقين لانه لا يبذل ماله الا لغرض له في البذل اما آجل وهو الثواب واما عاجل وهو المنة

والاستسخار

والاستسخار او الثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم او جذب قلوب الخلق الى الطاعة والمحبة كما ان الانسان لا يلقي ماله في البحر اذ لا غرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده واما انت فلست مقصودا بل يدك آلة له في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء والشكر او الثواب بسبب قبضك المال فقد استسخرك في القبض للتوصل الى غرض نفسه فهو اذن محسن الى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو ارجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عنه لاجلك اصلا والبتة فاذن هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين احدهما انه مضطر بتسليط الله الدواعي عليه فلا قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى خازن الامير فانه لا يرى محسنا بتسليم خلعة الامير الى من خلع عليه لانه من جهة الامير مضطر الى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الامير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى سلط الله الدواعي عليه والقى في نفسه ان حظه دينا ودنيا في بذله فبذله لذلك والثاني انه معتاض عما بذله حظا هو اوفى عنده واحب مما بذله فكما لا يعد البايع محسنا لانه بذل بعوض هو احب عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب او الحمد والثناء او غرضا آخر وليس من شرط العوض ان يكون عينا متمولا بل الحظوظ كلها اغراض تستحقر الاموال والاعيان بالاضافة اليها فالاحسان في الجود والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع الى الباذل وذلك محال من غير الله تع فهو الذي انعم على العالمين احسانا اليهم ولاجلهم لا لحظ وغرض يرجع اليه فانه يتعالى عن الاغراض فلفظ الجود والاحسان في حق غيره كذب او مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض فهو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان فان كان في الطبع حب المحسن فينبغي ان لا يحب العارف الا الله تع اذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده واما غيره فيستحق المحبة على الاحسان بشرط الجهل بمعنى الاحسان وحقيقته **واما السبب الثالث** وهو حبك المحسن في نفسه وان لم يصل اليك احسانه وهذا ايضا موجود في الطباع فانه اذا بلغك خبر ملك عادل عابد عالم رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من اقطار الارض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو ايضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك تفرقة بينهما اذ تجد في القلب ميلا الى الاول وهو الحب ونفرة عن الثاني وهو البغض مع انك آيس من خير الاول وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل الى بلادهما فهذا حب المحسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن اليك وهذا ايضا يقتضي حب الله تع بل يقتضي ان لا يحب غيره اصلا الا من حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن الى الكافة المتفضل على جميع اصناف الخلائق اولا بايجادهم وثانيا بتكميلهم بالاعضاء والاسباب التي هي من ضروراتهم وثالثا بترفيههم وتنعيمهم بخلق الاسباب في مظان حاجاتهم وان لم يكن في مظان الضرورة ورابعا بتجميلهم بالمزايا و الزوايد التي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري

من الاعضاء الرأس والقلب والكبد ومثال المحتاج العين واليد والرجل ومثال الزينة
استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين الى غير ذلك مما لو فات لم تنخرم به حاجة
ولا ضرورة ومثال الضرورة من النعم الخارجة عن بدن الانسان الماء والغذاء ومثال الحاجة
الدواء واللحم والفواكه ومثال المزايا والزوايد خضرة الاشجار وحسن اشكال الانوار والازهار
ولذايذ الفواكه والاطعمة التي لا تنخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة وهذه الاقسام الثلاثة موجودة
لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من اصناف الخلق من ذروة العرش الى منتهى الثرى فاذن
هو المحسن وكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن
وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق اسباب الاحسان فالحب بهذه العلة ايضا لغيره جهل
محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة الا الله تع واما السبب الرابع وهو حب كل جميل
لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء ادراك الجمال فقد بينا ان ذلك مجبول في الطباع وان الجمال ينقسم
الى جمال الصور الظاهرة المدركة بعين الراس والى جمال الصور الباطنة المدركة بعين القلب
ونور البصيرة والاول يدركه الصبيان والبهايم والثاني يختص بدركه ارباب القلوب ولا يشاركهم
فيه من لا يعلم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فان كان مدركا
بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في المشاهدة حب الانبياء والعلماء وذوي المكارم
السنية والاخلاق المرضية فان ذلك متصور مع تشوش صورة الوجه وساير الاعضاء وهو
المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه نعم يدرك الحس آثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى اذا
دل القلب عليه مال القلب اليه فاحبه فمن يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم او الصديق رضي الله
عنه او الشافعي رحمه الله فلا يحبهم الا لحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا
لحسن افعالهم بل دل حسن افعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الافعال اذ الافعال
آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن راى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن
نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الافعال صفاتهم الجميلة الباطنة التي يرجع
حاصلها عند البحث الى العلم والقدرة ثم كلما كان المعلوم اشرف واتم جمالا وعظمة كان العلم اشرف
واجمل وكذا المقدور وكلما كان اعظم رتبة واجل منزلة كانت القدرة عليه اجل رتبة و
اشرف قدرا واجل المعلومات هو الله تع فلا جرم احسن العلوم واشرفها معرفة الله تع وكذلك
ما يقاربه ويحيط به فشرفه على قدر تعلقه به فاذا جمال صفات الصديقين الذين يحبهم
القلوب طبعا يرجع الى ثلاثة امور احدها علمهم بالله وملايكته وكتبه ورسله وشرايع انبيايه
والثاني قدرتهم على اصلاح انفسهم واصلاح عباد الله بالارشاد والسياسة والثالث
تنزههم عن الرذايل والخبايث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة الى طريق
الشر وبمثل هذا يحب الانبياء والخلفاء والعلماء والملوك الذين هم اهل العدل والكرم
فانسب هذه الصفات الى صفات الله تع اما العلم فاين علم الاولين والآخرين من علم الله الذي
يحيط بالكل احاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض و

قد خاطب الخلق كلهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا بل لو اجتمع اهل الارض والسماء
على ان يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة او بعوضة لم يطلعوا على عشر عشير ذلك ولا
يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والقدر اليسير الذي علمه الخلايق كلهم فبتعليمه علموه كما قال
تع خلق الانسان علمه البيان فان كان جمال العلم وشرفه امرا محبوبا وكان هو في نفسه زينة
وكمالا للموصوف به فلا ينبغي ان يحب بهذا السبب الا الله تع فعلوم العلماء جهل بالاضافة الى علمه
بل من عرف اعلم اهل زمانه واجهل اهل زمانه استحال ان يحب بسبب العلم الاجهل ويترك الاعلم
وان كان الاجهل لا يخلو عن علم ما تتقاضاه معيشته والتفاوت بين علم الله تع وبين علم الخلايق
اكثر من التفاوت بين علم اعلم الخلايق واجهلهم لان الاعلم لا يفضل الاجهل الا بعلوم
معدودة متناهية يتصور في الامكان ان يناله الاجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله
سبحانه على علوم الخلايق كلهم خارج عن النهاية اذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق
متناهية واما صفة القدرة فهي ايضا كمال والعجز نقص فكل كمال وبهاء وعظمة ومجد و
استيلاء فانه محبوب وادراكه لذيذ حتى ان الانسان ليسمع في الحكاية شجاعة علي وخالد رضي
الله عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلاءهما على الاقران فيصادف في قلبه اهتزازا
وفرحا وارتياحا ضروريا بمجرد لذة السماع فضلا عن المشاهدة ويورث ذلك حبا في القلب ضروريا
للمتصف به فانه نوع كمال فانسب الآن قدرة الخلق كلهم الى قدرة الله تع فاعظم الاشخاص
قوة واوسعهم ملكا واقواهم بطشا واقهرهم للشهوات واقمعهم لخبايث النفس
واجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره ما منتهى قدرته وانما غايته ان يقدر
على بعض صفات نفسه وعلى بعض اشخاص الانس في بعض الامور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه
موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا نفعا ولا ضرا بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس و
اذنه من الصمم وبدنه من المرض ولا يحتاج الى عد ما يعجز عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة يتعلق
به قدرته فضلا عما لا يتعلق به قدرته من ملكوت السموات وافلاكها وكواكبها والارض وجبالها
وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتاتها وحيواناتها وجميع اجزائها فلا قدرة
له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله
خالقه وخالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على اعظم ملك
واقوى شخص من الحيوانات لاهلكته فليس للعبد قدرة الا بتمكين مولاه كما قال في اعظم ملوك
الارض ذي القرنين انا مكنا له في الارض فلم يكن جميع ملكه وسلطنته الا بتمكين الله تع اياه في
جزء من الارض والارض كلها مدرة بالاضافة الى اجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى
بها الناس من الارض غبرة من تلك المدرة ثم تلك الغبرة ايضا من فضل الله وتمكينه فيستحيل
ان يحب عبد من عباد الله تع لقدرته وسياسته وتمكينه وكمال قوته واستيلائه ولا
يحب الله تع لذلك ولا حول لاحد ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهو الجبار القاهر والعليم
القادر السموات مطويات بيمينه والارض وما عليها في قبضته وناصية جميع المخلوقات

في قبضة قدرته إن أهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وإن خلق أمثالهم
ألف مرة لم يعي بخلقه ولا يمسه لغوب ولا فتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر إلا وهو أثر
من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستيلاء فإن كان يتصور أن يحب
قادر لكمال قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواه أصلاً وأما صفة التنزه عن العيوب
والنقائص والتقدس عن الرذائل والخبائث فهو أحد موجبات الحب ومقتضيات الحسن و
الجمال في الصور الباطنة والأنبياء والصديقون وإن كانوا منزهين من العيوب والخبائث
فلا يتصور كمال التقديس والتنزيه إلا للواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والإكرام وأما كل
مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزاً مخلوقاً مسخراً مضطراً عين العيب والنقص فالكمال
لله وحده وليس لغيره كمال إلا بقدر ما أعطاه وليس في المقدور أن ينعم بمنتهى الكمال على غيره فإن
منتهى الكمال أقل درجاته أن لا يكون عبداً مسخراً لغيره وقائماً بغيره وذلك محال في حق غيره فهو
المنفرد بالكمال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب وشرح وجوه التقديس والتنزيه في حقه
عن النقائص يطول وهو من أسرار علوم المكاشفات فلا نطول بذكره فهذا الوصف أيضاً
إن كان كمالاً وجمالاً محبوباً فلا يتم حقيقته إلا له وكمال غيره وتنزيهه لا يكون مطلقاً بل
بالإضافة إلى ما هو أشد نقصاناً كما أن للفرس كمالاً بالإضافة إلى الحمار وللإنسان كمالاً بالإضافة إلى الفرس
وأصل النقص شامل للكل وإنما يتفاوتون في درجات النقصان فإذن الجميل محبوب والجميل
المطلق هو الواحد الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له الصمد الذي لا منازع له الغني الذي لا حاجة
له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا
يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته أعناق
الجبابرة ولا ينفلت من سطوته وبطشه رقاب القياصرة الأزلي الذي لا أول لوجوده
والأبدي الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحوم حول حضرته إمكان العدم القيوم
الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار الأرض والسموات خالق الجماد والحيوان والنبات
المنفرد بالعزة والجبروت المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال و
القدرة والكمال الذي يتحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه الألسنة الذي كمال
معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الأنبياء الإقرار بالقصور عن وصفه
كما قال سيد الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك
وقال سيد الصديقين سبحان من لم يجعل للخلق طريقاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته
فليت شعري من ينكر إمكان حب الله تعالى تحقيقاً ويجعله مجازاً أينكر أن هذه الأوصاف
من أوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن أو ينكر كون الله تعالى موصوفاً بها أو ينكر
كون الجمال والكمال والبهاء والعظمة محبوباً بالطبع عند من أدركه فسبحان من احتجب عن بصائر
العميان غيرة على جماله وجلاله أن يطلع عليه إلا من سبقت له منه الحسنى هم عن نار الحجاب
مبعدون وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم

يترددون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم
لا يعلمون والحب بهذا السبب أقوى من الحب بالإحسان لأن الإحسان يزيد وينقص و
لذلك أوحى الله تعالى إلى داود أن أود الأوداء إلي من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية
حقها وفي الزبور من أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا ناراً لم أكن أهلاً أن أطاع
ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلوا وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم
مخلوقاً خفتم ومخلوقاً رجوتم ومر بقوم آخرين كذلك فقالوا نعبده حباً له وتعظيماً لجلاله فقال
أنتم أولياء الله حقاً معكم أمرت أن أقيم وقال أبو حازم إني لأستحيي أن أعبده
للعقاب والثواب فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل وكالأجير السوء إن لم يعط
لم يعمل وفي الخبر لا يكون أحدكم كالأجير السوء إن لم يعط أجراً لم يعمل ولا كالعبد السوء إن
لم يخف لم يعمل وأما السبب الخامس للحب فهو المناسبة والمشاكلة لأن شبه الشيء
منجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير الكبير و
يألف الطير نوعه وينفر من غير نوعه وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف وأنس النجار
بالنجار أكثر من أنسه بالفلاح وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهد له الأخبار والآثار كما
استقصيناه في باب الأخوة في الله من كتاب آداب الصحبة فليطلب منه وإذا كانت المناسبة
سبب المحبة فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي الصبي في معنى الصبى و
قد يكون خفياً حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال
أو طمع في مال أو غيره كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها
ائتلف وما تناكر منها اختلف والتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا
السبب أيضاً يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع إلى المشابهة في الصور والأشكال
بل إلى معان باطنة يجوز أن يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت
غطاء الغيرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق إذا استكملوا شرط السلوك فالذي يذكر هو
قرب العبد من الله تعالى في الصفات التي أمر فيها بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية
حتى قيل تخلقوا بأخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الإلهية
من العلم والبر والإحسان واللطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وإرشادهم
إلى الحق ومنعهم من الباطل إلى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب إلى الله سبحانه
لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات وأما ما لا يجوز أن يسطر في الكتب من المناسبة
الخاصة التي اختص بها الآدمي فهي التي يومي إليها قوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من
أمر ربي إذ بين أنه أمر رباني خارج عن حد عقول الخلق ويشير إليه قوله تعالى إنا جعلناك
خليفة في الأرض إذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى إلا بتلك المناسبة وإليه يرمز قوله عليه السلام
إن الله خلق آدم على صورته حتى ظن القاصرون أن لا صورة إلا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس
فشبهوا وجسموا وصوروا تعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علواً كبيراً و

اليه الاشارة بقوله تع لموسى مرضت فلم تعدني فقال وكيف ذلك فقال مرض عبدي فلان
ولو عدته لوجدتني عنده وهذه المناسبة لا تظهر الا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرايض
كما قال الله تع لا يزال يتقرب العبد الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه
فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر والى غالين مسرفين جاوزوا
حد المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم انا الحق وضل النصارى في عيسى
عليه السلام فقالوا هو الاله وقال آخرون تدرع الناسوت باللاهوت وقال آخرون
اتحد به واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول
واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الاقلون ولعل ابا الحسين النوري عن هذا المقام
كان ينظر اذ غلبه الوجد في قول القايل • ما زلت انزل في ودادك منزلا • يتحير الالباب
عند نزوله • فلم يزل يعدو في وجد على الاجمة قصب قطعت حتى تشققت قدماه وتورمتا ومات
من ذلك وهذا اعظم اسباب الحب واقواها وهو اعزها وابعدها واقلها وجودا
فهذا هو المعلوم من اسباب الحب وجملة ذلك متظاهرة في حق الله تع تحقيقا لا مجازا وفي
اعلى الدرجات لا في ادناها فكان المعقول المقبول عند ذوي البصاير حب الله تع فقط كما ان
المعقول الممكن عند العميان حب غير الله تع فقط ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الاسباب
يتصور ان يحب غيره لمشاركته اياه في السبب والشركة نقصان في الحب وغض عن كماله ولا
ينفرد احد بوصف محبوب الا وقد يوجد له شريك فيه فان لم يوجد فيمكن ان يوجد الا الله تعالى
فانه موصوف بهذه الاوصاف التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجودا ولا
يتصور ان يكون ذلك امكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان الى حبه كما لا يتطرق
الشركة الى كمال صفاته فهو المستحق اذا لاصل المحبة ولكمال المحبة استحقاقا لا يساهم فيه اصلا

بيان ان اجل اللذات واعلاها معرفة الله تع والنظر الى وجهه الكريم وانه لا يتصور ان

يوثر عليها لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة • اعلم ان اللذات تابعة للادراكات والانسان
جامع بجملة القوى والغرايز ولكل قوة وغريزة لذة ولذتها في نيلها لمقتضى طبعها الذي
خلقت له فان هذه الغرايز ما ركبت في الانسان عبثا بل ركبت كل قوة وغريزة لامر من الامور هو
مقتضاها بالطبع فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام
الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام
فلا جرم لذتها في نيل الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في
الابصار والاستماع فلا تخلو غريزة من هذه الغرايز عن الم ولذة بالاضافة الى مدركاتها فكذلك
في القلب غريزة تسمى النور الالهي لقوله تع افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه
وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الايمان واليقين ولا معنى للاشتغال
بالاسامي فان الاصطلاحات مختلفة • والضعيف يظن ان الاختلاف واقع في المعاني

لان الضعيف يطلب المعاني من الالفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لساير
اجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كادراكه خلق العالم
وافتقاره الى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الالهية ولنسم تلك الغريزة عقلا
بشرط ان لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل
بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية والا فالصفة التي فارق الانسان بها البهايم وبها يدرك
معرفة الله عز وجل اعز الصفات فلا ينبغي ان تذم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقايق
الامور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما ان مقتضى ساير الغرايز هو لذتها وليس
يخفى ان في العلم والمعرفة لذة حتى ان الذي ينسب الى العلم والمعرفة ولو في شي خسيس يفرح به و
الذي ينسب الى الجهل ولو في شي حقير يغتم به وحتى ان الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم
والتمدح به في الاشياء الحقيرة فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت عن التعليم و
ينطلق لسانه بذكر ما يعلمه وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعر من كمال ذاته به فان العلم
من اخص صفات الربوبية وهو منتهى الكمال ولذلك يرتاح الطبع اذا اثني عليه بالذكاء وغزارة
العلم لانه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به ثم ليس لذة العلم
بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير امر الخلق ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة
العلم بالله تع وصفاته وملايكته وملكوت السموات والارض بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر
شرف المعلوم حتى ان الذي يعرف بواطن احوال الناس ويخبر به يجد له لذة وان جهله تقاضاه
طبعه ان يتفحص عنه فان علم بواطن احوال رييس البلد واسرار تدبيره في رياسته كان ذلك
الذ عنده واطيب من علمه بباطن حال فلاح او حايك فان اطلع على اسرار الوزير وتدبيره
وما هو عازم عليه في امر الوزارة فهو اشهى عنده والذ من علمه باسرار الرييس فان كان خبيرا
بباطن احوال الملك والسلطان الذي هو المستولي على الوزير كان ذلك اطيب عنده والذ
من علمه بباطن امر الوزير وكان تمدحه بذلك وحرصه على البحث عنه اشد وحبه له اكثر لان
لذته فيه اعظم فبهذا استبان ان الذ المعارف اشرفها وشرفها بحسب شرف المعلوم فان
كان في المعلومات ما هو الاجل والاكمل والاشرف والاعظم فالعلم به الذ العلوم لا محالة واشرفها
واطيبها وليت شعري هل في الوجود شي اجل واعلى واشرف واكمل واعظم من خالق الاشياء كلها
ومكملها ومرتبها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومزينها وهل يتصور ان يكون حضرة في
الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال اعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادي جلالها و
عجايب احوالها وصف الواصفين فان كنت لا تشك في ان الاطلاع على اسرار الربوبية والعلم
بترتيب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو اعلى انواع المعارف والاطلاعات و الذها — في ذلك فلا ينبغي ان لا تشك ثم
واطيبها واشهاها واخلق ما استشعرت النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها واجدر
بما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار وبهذا تبين ان العلم لذيذ وان الذ العلوم العلم
بالله تع وصفاته وافعاله وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه الى تخوم الارضين فينبغي ان تعلم ان

لذة المعرفة اقوى من سائر اللذات اعني لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس فان اللذات
مختلفة بالنوع اولا كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ولذة المعرفة ولذة الرياسة وهي مختلفة بالضعف
والقوة كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع الشبق المغتلم من الجماع للذة الفاتر الشهوة و
كمخالفة لذة النظر الى الوجه الجميل الفائق الجمال للذة النظر الى ما دونه في الجمال وانما يعرف اقوى اللذات
بان تكون مؤثرة على غيرها فان المخير بين النظر الى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق
روائح طيبة اذا اختار النظر الى الصورة الجميلة علم انها عنده الذ من الروائح الطيبة وكذلك
اذا حضر الطعام ووقت الاكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الاكل فيعلم به ان لذة
الغلبة في الشطرنج اقوى عنده من لذة الاكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات
فنعود ونقول اللذات تنقسم الى ظاهرة كلذات الحواس الخمس والى باطنة كلذة الرياسة والغلبة
والكرامة والعلم وغيره اذ ليست هذه اللذة للعين ولا للانف ولا للاذن ولا للمس ولا للذوق و
المعاني الباطنة اغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة فلو خير الرجل بين لذة الدجاج المسمن
واللوزينج وبين لذة الرياسة وقهر الاعداء ونيل درجة الاستيلاء فان كان المخير خسيس الهمة
ميت القلب شديد البهيمية اختار اللحم والحلاوة وان كان علي الهمة كامل العقل اختار الرياسة
وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت اياما كثيرة فاختياره للرياسة يدل على انها الذ
عنده من المطعومات الطيبة نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي والذي
ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد ان يؤثر لذة المطعومات على لذة الرياسة وكما ان لذة
الرياسة والكرامة اغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبي والعته فلذة معرفة الله ومطالعة
جمال الحضرة الربوبية والنظر الى اسرار الامور الالهية الذ من الرياسة التي هي اعلى اللذات الغالبة
على الخلق وغاية العبارة عنه ان يقال لا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وانه اعد
لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه الا من ذاق
اللذتين جميعا فانه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرياسة
ويستحقر الخلق الذين يرؤسهم لعلمه بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالكدورات
التي لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا بالموت الذي لا بد من اتيانه مهما اخذت الارض زخرفها
وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها فيستعظم بالاضافة اليها لذة معرفة الله تع ومطالعة
صفاته وافعاله ونظام مملكته من اعلى عليين الى اسفل السافلين فانها خالية عن المزاحمات
والكدورات ومتسعة للمتواردين عليها لا يضيق عنهم بكثرتها وانما عرضها من حيث التقدير السموات
والارض واذا خرج النظر عن المقدورات فلا نهاية لعرضها فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة
عرضها السموات والارض يرتع في رياضها ويقتطف من ثمارها ويكرع في حياضها وهو آمن
من انقطاعها اذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي ابدية سرمدية لا يقطعها الموت اذ
الموت لا يهدم محل معرفة الله ومحلها الروح الذي هو امر رباني سماوي وانما الموت يغير احوالها
ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها فاما ان يعدمها فلا ولا تحسبن الذين قتلوا

في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله ويستبشرون
بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ولا تظنن ان هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فان للعارف
بكل نفس درجة الف شهيد وفي الخبر ان الشهيد يتمنى في الآخرة ان يرد الى الدنيا ليقتل مرة
اخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وان الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء
فاذن جميع اقطار ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة الى
ان يتحرك اليها بجسمه وشخصه فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والارض و
كل عارف فله مثلها من غير ان يضيق بعضهم على بعض اصلا الا انهم يتفاوتون في سعة متنزهاتهم
بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل
في الحصر تفاوت درجاتهم فقد ظهر ان لذة الرياسة وهي باطنة اقوى في ذوي الكمال من
لذات الحواس كلها وان هذه اللذة لا تكون لبهيمة ولا لصبي ولا لمعتوه وان لذة المحسوسات
والشهوات تكون لذوي الكمال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فاما كون معرفة الله و
صفاته وافعاله وملكوت سمواته واسرار ملكه اعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من
نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن اثبات ذلك عند من لا قلب له لان القلب معدن هذه القوة
كما انه لا يمكن اثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحانه على
لذة شم البنفسج عند العنين لانه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة
العنة وسلمت حاسة شمه ادرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى الا ان يقال
من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وان لم يشتغلوا بطلب معرفة الامور الالهية فقد استنشقوا
رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات في انحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها فانها
ايضا معارف وعلوم وان كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الالهية فاما من
طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من اسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فانه يصادف
في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه
وسروره وهذا مما لا يدرك الا بالذوق والحكاية فيه قليلة الجدوى فهذا القدر ينبهك على ان
معرفة الله سبحانه الذ الاشياء وانه لا لذة فوقها ولهذا قال ابو سليمن الداراني ان لله عبادا ليس يشغلهم
عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض اخوان معروف
الكرخي له اخبرني يا با محفوظ اي شيء هاجك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقال ذكر
الموت فقال واي شيء الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال واي شيء القبر فقال خوف النار و
رجاء الجنة فقال واي شيء هذا ان ملكا كل هذا بيده ان احببته انساك جميع ذلك وان
كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا وفي اخبار عيسى عليه السلم اذا رايت الفتى مشغوفا
بطلب الرب تع فقد الهاه ذلك عما سواه ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحارث في النوم فقال
ما فعل ابو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله تع ياكلان و
يشربان فقلت فانت فقال علم الله قلة رغبتي في الاكل والشرب فاعطاني النظر اليه وعن علي

بن الموفق قال رأيت في النوم كأني أدخلت الجنة فرأيت رجلاً قاعداً على مائدة وملكان عن يمينه
وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلاً قائماً على باب الجنة يتصفح وجوه قوم
فيدخل بعضاً ويرد بعضاً قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرأيت في سرادقات العرش رجلاً
قد شخص ببصره ينظر الى الله تع لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوفاً
من ناره ولا شوقاً الى جنته بل حباً له فاباحه الله النظر اليه الى يوم القيمة وذكر ان الآخرين بشر بن
الحارث واحمد بن حنبل ولذلك قال ابو سليمن من كان اليوم مشغولاً بنفسه فهو غداً مشغول
بنفسه ومن كان اليوم مشغولاً بربه فهو غداً مشغول بربه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك
قالت ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حباً له وشوقاً اليه و
قالت في معنى المحبة نظماً ، احبك حبين حب الهوى ، وحباً لانك اهل لذاكا ، فاما
الذي هو حب الهوى ، فشغلي بذكرك عمن سواكا ، واما الذي انت اهل له ، فكشفك للحجب
حتى اراكا ، فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ، ولكن لك الحمد في ذا وذاكا ، ولعلها ارادت بحب
الهوى حب الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بالحظوظ العاجلة وبحبه لما هو اهل له الحب لجماله
وجلاله الذي انكشف لها وهو اعلى الحبين واقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها
رسول الله صلعم حيث قال حاكياً عن ربه تبارك وتعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد تعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه
الى الغاية ولذلك قال بعضهم اني اقول يا رب يا الله فاجد ذلك اثقل على قلبي من الجبال
لان النداء من وراء حجاب وهل رأيت جليساً ينادي جليسه وقال اذا بلغ الرجل في هذا العلم
الغاية رماه الخلق بالحجارة اي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنوناً او كفراً فمقصد
العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما اخفي لهم منها واذا حصلت
انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقاً بنعيمها فلو القي في النار لم يحس بها
لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت اليه لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية
وليت شعري من لا يفهم الا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر الى وجه الله تع و
ما له صورة ولا شكل واي معنى لوعد الله تع به عباده وذكره انه اعظم النعم بل من عرف الله عرف
ان اللذات المتفرقة والشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم ، كانت لقلبي
اهواء مفرقة ، فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائي ، فصار يحسدني من كنت احسده
وصرت مولى الورى اذ صرت مولائي ، تركت للناس دنياهم ودينهم ، شغلاً بذكرك يا ديني
ودنيائي ، ولذلك قال بعضهم ، وهجره اعظم من ناره ، ووصله اطيب من جنته ، و
ما ارادوا بهذا الا ايثار لذة القلب في معرفة الله على لذة الاكل والشرب والنكاح فان الجنة
معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله تع فقط ومثال اطوار الخلائق في لذاتهم
ما نذكره وهو ان الصبي في اول حركته وتمييزه تظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى
يكون ذلك عنده الذ من سائر الاشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب

فيستحقر معها اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول
اليها ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا واعلاها واقواها كما قال تع اعلموا
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة الآية ثم بعد هذا يظهر غريزة اخرى تدرك بها لذة معرفة الله تع ومعرفة
افعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها وكل متأخر فهو اقوى وهذا هو الاخير اذ يظهر حب اللعب في سن
التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد العشرين وحب العلوم بقدر الاربعين
وهي الغاية العليا وكما ان الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة
فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله والعارفون يقولون ان تسخروا
منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون **بيان السبب في زيادة لذة النظر في الآخرة
على المعرفة في الدنيا** اعلم ان المدركات تنقسم الى ما يدخل في الخيال كالصور المتخيلة والاجسام
المتلونة المتشكلة من اشخاص الحيوانات والنبات والى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تع وكل
ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والارادة وغيرها ومن رأى انساناً ثم غض بصره وجد صورته حاضرة في
خياله كأنه ينظر اليها ولكن اذا فتح العين وابصر ادرك تفرقة بينهما ولا يرجع التفرقة الى اختلاف بين
الصورتين لان الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وانما الافتراق لمزيد الوضوح والكشف
فان صورة المرئي صارت بالرؤية اتم انكشافاً ووضوحاً وهو كشخص يرى في وقت الاسفار
قبل انتشار ضوء النهار ثم يرى عند تمام الضوء فانه لا يفارق احدى الحالتين الاخرى الا في
مزيد الانكشاف فاذن الخيال اول الادراك والرؤية هو استكمال لادراك الخيال وهو غاية الكشف
وسمي ذلك رؤية لانه غاية الكشف لا لانه في العين بل لو خلق الله هذا الادراك الكامل المكشوف
في الجبهة او الصدر مثلاً استحق ان يسمى رؤية واذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم ان المعلومات
التي لا تتشكل في الخيال ايضاً لمعرفتها وادراكها درجتان احديهما اولى والثانية استكمال
لها وبين الثانية والاولى من التفاوت في مزيد الكشف والايضاح ما بين المتخيل والمرئي
فيسمى الثاني ايضاً بالاضافة الى الاول مشاهدة ولقاء ورؤية وهذه التسمية حق لان الرؤية
سميت رؤية لانها غاية الكشف وكما ان سنة الله تع جارية بان تطبيق الاجفان يمنع من تمام
الكشف بالرؤية ويكون حجاباً بين البصر والمرئي ولا بد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية وما لم ترتفع
كان الادراك الحاصل مجرد التخييل فكذلك مقتضى سنة الله تع ان النفس ما دامت محجوبة بعوارض
البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي الى المشاهدة
واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحيوة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الاجفان
عن رؤية الابصار والقول في سبب كونه حجاباً يطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تع لموسى
عليه السلم لن تراني وقال تع لا تدركه الابصار اي في الدنيا والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما رأى الله تع ليلة المعراج فاذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات
الدنيا غير منفكة عنها بالكلية وان كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة
التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا يقبل الاصلاح والتصقيل وهؤلاء هم المحجوبون عن

بهم ابد الآباد نعوذ بالله من ذلك ومنها ما لم ينته الى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل
فيعرض على النار عرضا يقمع منه الخبث الذي هو مدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة الى
التزكية واقلها لحظة خفيفة واقصاها في حق المؤمنين كما وردت به الاخبار سبعة آلاف سنة
ولن تخلو نفس عن هذا العالم الا وتصحبها غبرة وكدورة ما وان قلت ولذلك قال الله تعالى
وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فكل
نفس مستيقنة للورود على النار غير مستيقنة للصدر منها فاذا اكمل الله تطهيرها وتزكيتها و
بلغ الكتاب اجله ووقع الفراغ عن جملة ما ورد به الشرع من العرض والحساب وغيره ووافى
استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه احدا من خلقه فانه واقع بعد القيمة ووقت القيمة
مجهول فعند ذلك يستعد بصفائه ونقائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة
لان يتجلى فيه الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالاضافة الى ما علمه كانكشاف
تجلي المرئيات بالاضافة الى ما تخيله وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية فاذن الرؤية حق بشرط
ان لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان فان ذلك مما يتعالى
عنه رب الارباب علوا كبيرا بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصور و
تقدير وشكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك بل اقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي
التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة وبين
المعلوم في الدنيا اختلاف الا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضربنا من المثال في استكمال
الخيال بالرؤية فاذا لم يكن في معرفة الله تعالى اثبات صورة ولا جهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة
بعينها وترقيها في الوضوح الى غاية الكشف ايضا جهة وصورة لانها هي بعينها لا تفترق الا في زيادة الكشف
واليه الاشارة بقوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اذ تمام
النور لا يؤثر الا في زيادة الكشف ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون في الدنيا
لان المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحب زرعا ومن
لا نواة في ارضه فكيف يحصل له نخل ومن لم يزرع الحب فكيف يحصد الزرع فكذلك من لم يعرف
الله في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي ايضا على
درجات متفاوتة فاختلاف التجلي بالاضافة الى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالاضافة
الى اختلاف البذور اذ تختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة فلا يظنن ان غير ابي بكر ممن هو دونه
يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده ابو بكر بل لا يجد الا عشر عشيره ان كانت معرفته في الدنيا
عشر عشيره ولما فضل الناس بشيء وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به وكما انك ترى في
الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المطعوم والمنكوح وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات
ملكوت السموات والارض وساير الامور الالهية على الرياسة وعلى المطعوم والمشروب جميعا فكذلك
يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر الى وجه الله تعالى على نعيم الجنة اذ يرجع نعيمها الى المطعوم والمنكوح

وهولاء

وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما وصفنا من ايثار لذة العلم والمعرفة والاطلاع
على اسرار الربوبية على لذة المطعوم والمشروب والمنكوح وساير الخلق مشغولون به ولذلك لما
قيل لرابعة ما تقولين في الجنة فقالت الجار ثم الدار فبينت انه ليس في قلبها التفات
الى الجنة فكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد
لذة النظر في الآخرة اذ ليس يستأنف لاحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصد احد الا ما
زرع ولا يحشر المرء الا على ما مات عليه ولا يموت الا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو الذي
يتنعم به بعينه فقط الا انه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فيتضاعف اللذة به كما تتضاعف لذة
العاشق اذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فان ذلك هو منتهى لذته وانما طيبة
الجنة ان لكل احد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي الا لقاء الله فلا لذة له في غيره بل ربما يتأذى به
فاذن نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله بقدر معرفته فاصل السعادات هي المعرفة التي عبر
الشرع عنها بالايمان فان قلت فلذة الرؤية ان كان لها نسبة الى لذة المعرفة فهي قليلة وان
كان اضعافها لان لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها الى حد قريب لا ينتهي في القوة الى
ان يستحقر ساير لذات الجنة فيها فاعلم ان هذا الاستحقار للذة المعرفة مصدره الخلو
عن المعرفة فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وان انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلايق
الدنيا فكيف يدرك لذتها فللعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو
عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها هذه اللذة ثم كمالها لا نسبة لها اصلا الى لذة
اللقاء والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق الى رؤيته ولا للذة استنشاق روايح الاطعمة
الشهية الى ذوقها ولا للذة اللمس باليد الى لذة الوقاع واظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن الا
بضرب مثال فنقول لذة النظر الى وجه المعشوق في الدنيا تتفاوت باسباب احدها كمال
جمال المعشوق ونقصانه فان اللذة في النظر الى الاجمل اكمل لا محالة والثاني كمال قوة الحب والشهوة
والعشق فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه والثالث كمال
الادراك فليس التذاذه برؤية المعشوق في ظلمة او من وراء ستر رقيق او من بعد كالتذاذه
بادراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا ادراك لذة المضاجعة مع ثوب حايل كادراكها مع
التجرد والرابع اندفاع العوايق المشوشة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذاذ الصحيح الفارغ
المتجرد للنظر الى المعشوق كالتذاذ الخايف المذعور او المريض المتألم او المشغول قلبه بمهم من
المهمات فقدر عاشقا ضعيف العشق ينظر الى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد
بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل
قلبه فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه فلو طرأت على الفجاءة حالة انهتك
بها الستر واشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سليما فارغا وهجمت عليه الشهوة القوية
والعشق المفرط حتى بلغ اقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للاولى اليها
نسبة يعتد بها فكذلك فافهم نسبة لذة النظر الى لذة المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن

والاشتغال به والعقارب والزنابير من الشهوات المسلطة على الانسان من الجوع و
العطش والغضب والغم والحزن وضعف الشهوة والحب فذاك لقصور النفس في الدنيا ونقصانها
عن التشوق الى الملا الاعلى والتفاتها الى اسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة
لذة الرياسة والتفاته الى اللعب بالعصفور فالعارف وان قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو عن
هذه المشوشات ولا يتصور ان يخلو عنها البتة نعم قد تضعف هذه العوايق في بعض الاحوال و
لا تدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر
لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقلما يدوم بل يعرض من الشواغل والافكار والخواطر
ما يشوشه وينغصه وهذه ضرورة قائمة في هذه الحيوة الفانية فلا تزال هذه اللذة منغصة
الى الموت وانما الحيوة الطيبة بعد الموت وانما العيش عيش الآخرة وان الدار الآخرة لهي الحيوان
لو كانوا يعلمون فكل من انتهى الى هذه الرتبة فانه يحب لقاء الله تع فيحب الموت ولا يكرهه
الا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له والاحاطة
بكنه جلال الله محال وكلما كثرت المعرفة بالله تع وبصفاته وبافعاله وباسرار مملكته وقويت
كثرت النعم في الآخرة وعظمت كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن
تحصيل هذا البذر الا في الدنيا ولا يزرع الا في صعيد القلب ولا حصاد الا في الآخرة ولهذا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل السعادات طول العمر في طاعة الله لان المعرفة انما تكمل و
تكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علايق الدنيا
والتجرد للطلب ويستدعي ذلك زمانا لا محالة فمن احب الموت احبه لانه راى نفسه واقفا
في المعرفة بالغا الى منتهى ما يسر له ومن كره الموت كرهه لانه كان يامل مزيد معرفة قد
تحصل له بطول حيوته وراى نفسه مقصرا عما تحتمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت
وحبه عند اهل المعرفة واما ساير الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا ان اتسعت
احبوا البقاء وان ضاقت تمنوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة
فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة والعلم والمعرفة اساس كل سعادة وقد عرفت بما ذكرناه معنى
المحبة ومعنى العشق فانه المحبة المفرطة القوية ومعنى لذة المعرفة ومعنى لذة الرؤية ومعنى كونها
الذ من ساير اللذات عند ذوي الكمال وان لم يكن كذلك عند ذوي النقصان كما لم تكن
الرياسة الذ من المطعومات عند الصبيان فان قلت فهذه الرؤية محلها القلب او العين
في الآخرة فاعلم ان الناس اختلفوا فيه وارباب البصاير لا يلتفتون الى ذلك ولا ينظرون
فيه بل العاقل ياكل البقل ولا يسال عن المبقلة ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه
عن ان يلتفت الى ان رؤيته هل تخلق في جبهته او في عينه بل يقصد الرؤية ولذتها سواء
كانت بالعين او بغيرها فان العين محل وظرف ولا نظر اليه ولا حكم له والحق فيه ان القدرة
الازلية واسعة فلا يجوز ان يحكم عليها بالقصور عن احد الامرين هذا في حكم الجواز فاما الواقع
في الآخرة من الجايزين فلا يدرك الا بالسمع والحق فيه ما ظهر لاهل السنة والجماعة من شواهد

الشرع ان ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وساير الالفاظ الواردة في الشرع مجرى على
ظاهرها اذ لا يجوز ازالة الظواهر الا بضرورة والله اعلم **بيان الاسباب المقوية لحب الله تع**
اعلم ان اسعد الخلق حالا في الآخرة اقواهم حبا لله تع فان الآخرة معناها القدوم على الله تع ودرك
سعادة لقايه وما اعظم نعيم المحب اذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته
ابد الآباد من غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع الا ان هذا النعيم على
قدر قوة الحب فكلما ازداد الحب ازدادت اللذة وانما يكتسب العبد حب الله تع في الدنيا واصل الحب
لا ينفك عنه مؤمن لانه لا ينفك عن اصل المعرفة واما قوة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي الى الاستهتار
الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الاكثرون وانما يحصل ذلك بسببين احدهما قطع علايق
الدنيا واخراج حب غير الله من القلب فان القلب مثل الذي لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء
وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب في ان يحب الله تع بكل قلبه وما دام يلتفت
الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله تع
وبقدر ما يبقى من الماء في الاناء ينقص من الخل المصبوب فيه والى هذا التفريد والتجريد الاشارة
بقوله تع قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وبقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
بل هو معنى قولك لا اله الا الله اي لا معبود ولا محبوب سواه وكل محبوب فانه معبود فان
العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به وكل محب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال تع افرايت
من اتخذ الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد في الارض الهوى وقال صلى الله عليه
وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ومعنى الاخلاص ان يخلص قلبه لله تع فلا يبقى فيه شركة
لغير الله تع فيكون الله تع محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط ومن هذا حاله فالدنيا
سجنه لانها مانعة له عن مشاهدة محبوبه وموته خلاص له من السجن وقدوم على المحبوب فما حال
من ليس له الا محبوب واحد وقد طال اليه شوقه وتمادى عنه حبسه فخلي من السجن ومكن من
المحبوب وروح بالامن ابد الآباد فاحد اسباب ضعف حب الله تع في القلوب قوة حب الدنيا
ومنه حب الاهل والمال والولد والاقارب والعقار والدواب والبساتين والمتنزهات حتى
ان المتفرج بطيب اصوات الطيور وروح نسيم الاسحار ملتفت الى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان
حب الله تع بسببه فبقدر ما انس بالدنيا ينقص انسه بالله ولا يؤتى احد من الدنيا شيئا الا وينقص
بقدره من الآخرة بالضرورة كما انه لا يقرب الانسان من المشرق الا ويبعد بالضرورة من المغرب
بقدره ولا يطيب قلب امراته الا ويضيق قلب ضرتها فالدنيا والآخرة ضرتان وهما كالمشرق
والمغرب وقد انكشف ذلك لذوي القلوب انكشافا اوضح من الابصار بالعين وسبيل
قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والانقياد اليهما بزمام الخوف
والرجاء فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب
بها احد ركني المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله واوله الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار
ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك الى الزهد في الدنيا وفي

المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى تحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله تع فقط حتى
يتسع بعده لنزول معرفة الله تع وحبه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو احد ركني المحبة و
اليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان كما ذكرناه في اول كتاب الطهارة ٥
السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تع واتساعها واستيلاؤها على القلب وذلك
بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلايقها جري مجرى البذر في الارض بعد تطهيرها من
الحشيش وهو الشطر الثاني ويتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة التي
ضرب الله لها مثلا حيث قال ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء واليها
الاشارة بقوله تع اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فالعمل الصالح كالحمال له وكالخادم
وانما العمل الصالح اثره كله في تطهير القلب اولا من الدنيا ثم ادامة طهارته فلا يراد العمل الا
لهذه المعرفة واما العلم بكيفية العمل فانه يراد للعمل فالعلم هو الاول وهو الآخر وانما الاول علم المعاملة و
غرضه العمل وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم
المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة كما ان من كان معتدل المزاج اذا
ابصر الجميل وادركه بالعين الظاهرة احبه ومال اليه ومهما احبه حصلت اللذة فاللذة تتبع المحبة
بالضرورة والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولا يوصل الى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب
الا بالفكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تع وفي صفاته وملكوت
سمواته وساير مخلوقاته والواصلون الى هذه الرتبة ينقسمون الى الاقوياء ويكون اول معرفتهم
بالله تع ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء ويكون اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها الى الفاعل
والى الاول الاشارة بقوله تع اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وبقوله تع شهد الله انه لا اله الا
هو ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت
ربي والى الثاني الاشارة بقوله تع سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الآية وبقوله تع اولم
ينظروا في ملكوت السموات والارض وبقوله تع قل انظروا ماذا في السموات والارض وبقوله تع الذي
خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر
كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين وهو الاوسع على
السالكين واليه اشارة دعوة القرآن عند الامر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر في آيات خارجة
عن الحصر فان قلت كلا الطريقين مشكل فاوضح منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل
بها الى المحبة فاعلم ان الطريق الاعلى هو الاستشهاد به على ساير الخلق غامض والكلام فيه خارج
عن حد فهم اكثر الخلق فلا فايدة في ايراده في الكتب واما الطريق الاسهل الادنى فاكثره غير خارج عن
حد الافهام وانما قصرت الافهام عنها لاعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ
النفس المانعة عن الذكر مع كثرتها وانشعاب ابوابها الخارجة عن الحصر والنهاية اذ ما من ذرة من
اعلى السموات الى تخوم الارضين الا وفيها عجايب وآيات تدل على كمال قدرة الله تع وكمال حكمته ومنتهى
جلاله وعظمته وذلك مما لا يتناهى بل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي

فالخوض فيه انغماس في بحار علوم المكاشفة فلا يمكن ان يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن
الرمز الى مثال واحد على الايجاز ليقع التنبه بجنسه فنقول اسهل الطريقين النظر الى الافعال
فلنتكلم فيها ولنترك الاعلى ثم الافعال الالهية كثيرة فلنطلب اقلها واصغرها واحقرها ولننظر في
عجايبها فاقل المخلوقات هي الارض وما عليها اعني بالاضافة الى الملائكة وملكوت السموات فانك ان
نظرت فيها من حيث الجسم والعظم والشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها مثل الارض مائة ونيفا
وستين مرة فانظر الى صغر الارض بالاضافة اليها ثم انظر الى صغر الشمس بالاضافة الى فلكها الذي
هي مركوزة فيه فانه لا نسبة لها اليه وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالاضافة الى ما فوقها
من السموات ثم السموات السبع في الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة والكرسي في العرش كذلك فهذا
نظر الى ظاهر الاشخاص من حيث المقادير وما اصغر الارض كلها بالاضافة اليها بل ما اصغر الارض
بالاضافة الى البحار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل في الارض
ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم ان المكشوف من الارض عن الماء كجزيرة صغيرة
بالاضافة الى كل الارض ثم انظر الى الآدمي المخلوق من التراب الذي هو جزء من الارض والى ساير الحيوانات
والى صغره بالاضافة الى الارض ودع عنك جميع ذلك فاصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض
والنمل وما يجري مجراه فانظر في البعوض على صغر قدره وتأمله بعقل حاضر وفكر صاف
انظر كيف خلقه الله تع على شكل الفيل الذي هو اعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما مثل خرطومه و
خلق له على شكله الصغير ساير الاعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين وانظر كيف قسم اعضاءه
الظاهرة فانبت جناحيه فاخرج يديه ورجليه وشق سمعه وبصره ودبر في باطنه من اعضاء
الغذاء وآلاته ما دبره في ساير الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم انظر الى هدايته كيف هداه
الله تع الى غذائه وعرفه ان غذاءه من دم الانسان ثم كيف انبت له آلة الطيران الى الانسان وكيف
خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الراس وكيف هداه الى مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه
في واحد منها ثم كيف قواه حتى غرز الخرطوم فيه وكيف علمه المص والتجرع للدم وكيف خلق الخرطوم
مع دقته مجوفا حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي الى باطنه وينتشر في اجزائه ويغذيه ثم انظر كيف
عرفه ان الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعمال آلته وخلق له السمع الذي يسمع به
خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب ثم اذا سكنت اليد يعود اليه ثم انظر
كيف خلق له حدقتين حتى يبصر مواضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه وانظر الى حدقة كل حيوان
صغير لما لم يحتمل حدقته الاجفان لصغرها وكانت الاجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن الغبار و
القذى خلق للبعوض والذباب يدين فتنظر الى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه
واما الانسان والحيوان الكبير خلق لحدقتيه الاجفان حتى ينطبق احدهما على الآخر واطرافها
حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة وترميها الى اطراف الاهداب وخلق الاهداب السود لتجمع
ضوء العين وتعين على الابصار وتحسن صورة العين ولتشبكها عند هيجان الغبار فتنظر من
وراء شباك الاهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الابصار واما البعوض فخلق له

حدقتين مصقلتين من غير اجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين ولاجل ابصارها تتهافت على السراج لان بصرها ضعيف فهي تطلب ضوء النهار فاذا رأى المسكين السراج بالليل ظن انه في بيت مظلم وان السراج كوة في البيت المظلم الى الموضع المضيء فلا تزال تطلب الضوء وترمي نفسها الى الكوة فاذا جاوزتها ورأت الظلام ظنت انها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فتعود اليها مرة اخرى الى ان تحترق ولعلك تظن ان هذا لنقصانها وجهلها فاعلم ان جهل الانسان اعظم من جهلها بل صورة الآدمي في الاكباب على شهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار اذ يلوح للآدمي انوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري ان تحتها السم القاتل فلا يزال يرمي نفسه عليها الى ان ينغمس فيها ويتقيد بها فيهلك هلاكا مؤبدا فليت كان جهل الآدمي كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار ابد الآباد او مدة مديدة ولذلك كان ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول انكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وانا آخذ بحجزكم فهذه لمعة من عجائب صنع الله تعالى في اصغر الحيوانات وفيها من العجائب ما لو اجتمع الاولون والآخرون على الاحاطة بكنهها لعجزوا عن حقيقتها ولم يطلعوا على امور جلية من ظاهر صورتها فاما خفايا معانيها فلا يطلع عليها الا الله تعالى ثم في كل حيوان ونبات اعجوبة واعاجيب تخصه لا يشاركه فيها غيره فانظر الى النحل وعجائبها وكيف اوحى الله تعالى اليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل احدهما ضياء والآخر شفاء ثم لو تاملت عجائب امرها في تناولها الازهار والانوار واحترازها عن النجاسات والاقذار وطاعتها لواحد من جملتهم هو اكبرها شخصا وهو اميرها ثم ما سخر الله لاميرها من العدل والانصاف بينها حتى انه ليقتل على باب المنفذ كل من وقع منها على نجاسة لقضيت منها آخر العجب ان كنت بصيرا في نفسك فارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة اقرانك وموالاة اخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر الى بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل المسدس فلا تبني بيتها مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية في شكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركها وهو ان اوسع الاشكال واحواها المستدير وما يقرب منه فان المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف الهم الله تعالى النحل على صغر جرمه لطفا به وعناية بوجوده وما هو محتاج اليه ليتهنا عيشه فسبحانه ما اعظم شانه واوسع لطفه وامتنانه فاعتبر بهذه اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الارض والسموات فان القدر الذي بلغه فهمنا القاصر منه تنقضي الاعمار دون ايضاحه ولا نسبة لما احاط به علمنا الى ما احاط به علم العلماء والانبياء ولا نسبة لما احاط به علم

الخلايق كلهم الى ما استاثر الله تعالى بالاضافة اليه بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق ان يسمى علما في جنب الله تعالى فبالنظر في هذا وامثاله تزداد المعرفة الحاصلة باسهل الطريقين وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فان كنت طالبا سعادة لقاء الله تعالى فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدائم والفكر اللازم فعساك تحظى منها بقدر يسير ولكن تنال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له

بيان السبب في تفاوت الناس في الحب

اعلم ان المؤمنين مشتركون في اصل الحب لاشتراكهم في اصل المعرفة ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا اذ الاشياء انما تتفاوت بتفاوت اسبابها واكثر الناس ليس لهم من الله تعالى الا الصفات والاسماء التي قرعت اسماعهم فتلقفوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الارباب وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسدا بل آمنوا بها ايمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم اهل السلامة من اصحاب اليمين والمتخيلون هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقربون وقد ذكر الله تعالى حال الاصناف الثلاثة في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الآيات واذا كنت لا تفهم الامور الا بالامثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالا فنقول اصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي العوام والفقهاء لانهم يشتركون في معرفة فضل رتبته وحسن دينه ومحامد خصاله ولكن العامي يعرف علمه مجملا والفقيه يعرفه مفصلا فيكون معرفة الفقيه اتم وحبه له اشد فمن رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله احبه لا محالة ومال اليه قلبه فان رأى تصنيفا آخر احسن منه واعجب تضاعف لا محالة حبه لانه تضاعف معرفته لعلمه وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر انه حسن الشعر فيحبه فاذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذلك سائر الصناعات والفضائل والعامي قد يسمع ان فلانا مصنف وانه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل والبصير اذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لا محالة لان عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال الصانع والمصنف والعالم بجملته صنع الله تعالى وتصنيفه والعامي يعلم ذلك ويعتقده واما البصير فانه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلا من عجائب صنع الله تعالى ما ينبهر به عقله ويتحير فيه لبه ويزداد بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا فكلما ازداد اطلاعا على اعاجيب صنع الله تعالى استدل به على عظمة الصانع وجلاله وازداد به معرفة له وحبا وبحر هذه المعرفة اعني معرفة عجائب صنع الله تعالى لا ساحل له فلا جرم ان تفاوت اهل المعرفة في الحب لا حصر له ومما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الاسباب الخمسة التي ذكرناها للحب فان من يحب الله تعالى مثلا لكونه محسنا اليه منعما عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته اذ تتغير بتغير الاحسان اليه فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرخاء والنعماء واما من يحبه لذاته ولانه مستحق للحب بسبب كماله وجماله وبهائه ومجده وعظمته فانه لا يتفاوت

جته بتفاوت الاحسان اليه فهكذا وامثاله سبب تفاوت الناس في المحبة والتفاوت في المحبة هو سبب التفاوت في سعادة الآخرة ولذلك قال الله تع وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان السبب في قصور افهام الخلق عن معرفة الله تع

اعلم ان اظهر الموجودات واجلاها هو الله تع وكان هذا يقتضي ان تكون معرفته اول المعارف واسبقها الى الافهام واسهلها على العقول ونرى الامر بالضد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وانما قلنا انه اظهر الموجودات واجلاها لمعنى لا تفهمه الا بمثال وهو انا اذا راينا انسانا يكتب او يخيط كان كونه حيا عندنا من اظهر الموجودات فحيوته وعلمه وقدرته وارادته للخياطة اجلى عندنا من ساير صفاته الظاهرة والباطنة اذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه كل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته اما حيوته وقدرته وارادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جلي عندنا من غير ان يتعلق حس البصر بحيوته وقدرته وارادته الا بخياطته وحركته فلو نظرنا الى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته فما عليه الا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح ووجود الله تع وقدرته وعلمه وساير صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وارض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل اول شاهد عليه انفسنا واجسامنا واوصافنا وتقلب احوالنا وتغير قلوبنا وجميع اطوارنا في حركاتنا وسكناتنا واظهر الاشياء في علمنا انفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وادلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته والموجودات المدركة لا حصر لها فان كانت حيوة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها الا شاهد واحد وهو ما احسسنا به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها الا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله اذ كل ذرة من ذرات العالم تنادي بلسان حالها انه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وانها تحتاج الى موجد ومحرك لها يشهد بذلك اولا تركيب اعضائنا وايتلاف عظامنا ولحومنا واعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل اطرافنا وساير اجزائنا الظاهرة والباطنة فانا نعلم انها لا تاتلف بنفسها كما نعلم ان يد الكاتب لا تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب الا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن ادراكه فان ما يقصر عن فهمه عقولنا فله سببان احدهما خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله والآخر ما يتناهى وضوحه وهذا كما ان الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره ولكن لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا اشرقت فيكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يرى شيئا الا اذا امتزج الظلام بالضوء وضعف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في نهاية الاشراق والاستنارة وفي غاية الاستغراق و

الشمول

الشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والارض فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار بظهوره فلا تتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء تستبان باضدادها وما عم وجوده حتى لا ضد له عسر ادراكه فلو اختلفت الاشياء فدل بعضها دون البعض لادركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد اشكل الامر ومثاله نور الشمس المشرق على الارض فانا نعلم انه عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن ان لا هيئة في الاجسام الا الوانها وهي السواد والبياض وغيرهما فانا لا نشاهد في الاسود الا السواد وفي الابيض الا البياض فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت المواضع ادركنا تفرقة بين الحالين فعلمنا ان الاجسام كانت قد استضائت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الاجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات اذ به يدرك ساير المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره كيف تصور استبهام امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالله تع هو اظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او تغير لانهدت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ولادرك به التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الاشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لادركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الاشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم اورث شدة الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الافهام واما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فانه في حال اعتدال امره لا يرى الا الله ولا يعرف غيره ويعلم انه ليس في الوجود الا الله تع وافعاله اثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه وانما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الافعال كلها ومن هذا حاله فلا ينظر في شيء من الافعال الا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه سماء وارض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث انه صنع الله تع فلا يكون نظره مجاوزا منه الى غيره كمن نظر في شعر انسان او خطه او تصنيفه فراى فيه الشاعر والكاتب والمصنف وراى آثاره لا من حيث انه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض فلا يكون قد نظر الى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله فمن نظر الى العالم من حيث انه فعل الله وعرفه من حيث انه فعل الله واحبه من حيث انه فعل الله عز وجل لم يكن ناظرا الا في الله ولا عارفا الا بالله ولا محبا الا لله تع فكان هو الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث انه نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا هو الذي يقال فيه انه فني في التوحيد وانه فني عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن فهذه امور معلومة عند ذوي البصائر اشكلت لضعف الافهام عن دركها وقصور قدرة العلماء عن ايضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض الى الافهام او لاشتغالهم بانفسهم واعتقادهم

ان بيان ذلك لغيرهم مما لا يغنيهم فهذا هو السبب في قصور الافهام عن معرفة الله تع و
انضم اليه ان المدركات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدركها الانسان في الصبى عند فقد
العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد انس بمدركاته و
محسوساته وألفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الانس ولذلك اذا راى على سبيل الفجاة حيوانا
غريبا ونباتا غريبا او فعلا من افعال الله خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه بالمعرفة طبعا فقال
سبحان الله وهو يرى طول النهار نفسه واعضاءه وساير الحيوانات المالوفة وكلها شواهد
قاطعة ولا يحس بشهادتها لطول الانس بها ولو فرض اكمه بلغ عاقلا ثم انقشعت غشاوة عن
عينه فامتد نظره الى السماء والارض والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجاة
لخيف على عقله ان ينبهر لعظم تعجبه من مشاهدة هذه العجايب على خالقها فهذا وامثاله من الاسباب
مع الانهماك في الشهوات هي التي سدت على الخلق سبيل الاستضاءة بانوار المعرفة والسباحة
في بحارها الواسعة فالناس في طلبهم معرفة الله تع كالمدهوش يضرب به المثل اذا كان راكبا لحماره
وهو يطلب حماره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت معتاصة فهذا سر هذا الامر فليحقق
ولذلك قيل ۰ لقد ظهرت فما تخفى على احد ۰ الا على اكمه لا يعرف القمرا ۰ لكن بطنت بما
اظهرت محتجبا ۰ فكيف يعرف من بالعرف استترا

بيان معنى الشوق الى الله تعالى

اعلم ان من انكر حقيقة المحبة لله تع فلا بد وان ينكر حقيقة الشوق اذ لا يتصور الشوق الا الى محبوب
ونحن نثبت وجود الشوق الى الله تع بكون العارف مضطرا اليه بطريق الاعتبار والنظر بانوار
البصاير وبطريق الاخبار والاثار **اما الاعتبار** فيكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب و
كل محبوب فهو مشتاق اليه في غيبته لا محالة فان الحاصل الحاضر لا يشتاق اليه فان الشوق
طلب وتشوق الى نيل امر والموجود لا يطلب ولكن بيانه ان الشوق لا يتصور الا الى شيء ادرك
من وجه ولم يدرك من وجه فاما ما لا يدرك اصلا فلا يشتاق اليه فمن لم ير شخصا ولم يسمع وصفه
لا يتصور ان يشتاق اليه وما ادرك بكماله لا يشتاق اليه وكمال الادراك بالروية فمن كان في مشاهدة
محبوبه مداوما للنظر اليه لا يتصور ان يكون له شوق ولكن الشوق انما يتعلق بما ادرك من وجه ولم
يدرك من وجه وهو من وجهين ولا ينكشف الا بمثال من المشاهدات فنقول مثلا من غاب عنه
معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق الى استكمال خياله بالروية فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته
حتى نسيه لم يتصور ان يشتاق اليه ولو رآه لم يتصور ان يشتاق في وقت الروية فمعنى شوقه تشوق
نفسه الى استكمال خياله ولذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا تنكشف له حقيقة صورته فيشتاق
الى استكمال رويته وتمام الانكشاف في صورته باشراق الضوء عليه والثاني ان يرى وجه
محبوبه ولا يرى شعره مثلا ولا ساير اعضائه فيشتاق الى رويته وان لم يرها قط ولم يثبت في نفسه
خيال صادر عن الروية ولكنه يعلم ان له عضوا واعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالروية
فيشتاق الى ان ينكشف له ما لم يره قط والوجهان جميعا متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان
بالضرورة لكل العارفين فان ما اتضح للعارفين من الامور الالهية وان كانت في غاية الوضوح

فكانه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحا غاية الاتضاح بل يكون مشوبا بشوايب التخيلات
فان الخيال لا يفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف
ومنغصات وكذلك تنضاف اليها شواغل الدنيا وانما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام اشراق التجلي
ولا يكون ذلك الا في الاخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فانه منتهى محبوب العارفين فهذا
هو احد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما الثاني ان الامور الالهية لا نهاية
لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى امور لا نهاية لها غامضة والعارف يعلم وجودها
وكونها معلومة لله تع ويعلم ان ما غاب عن علمه من المعلومات اكثر مما حضر فلا يزال متشوقا الى
ان يحصل له اصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها اصلا لا معرفة واضحة ولا
معرفة غامضة والشوق الاول ينتهي في الدار الاخرة بالمعنى الذي يسمى روية ولقاء ومشاهدة و
لا يتصور ان يسكن في الدنيا وقد كان ابرهيم بن ادهم من المشتاقين فقال قلت ذات يوم يا رب
ان اعطيت احدا من المحبين لك ما يسكن به قلوبهم قبل لقائك فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق
قال فرايت في المنام كانه اوقفني بين يديه وقال يا ابرهيم اما استحييت مني ان تسالني ان اعطيك
ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب تهت في
حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني ما اقول فقال تع قل اللهم رضني بقضائك وصبرني
على بلائك واوزعني شكر نعمائك فاذن هذا الشوق يسكن في الاخرة واما الشوق الثاني
فيشبه ان لا يكون له نهاية لا في الدنيا ولا في الاخرة اذ نهايته ان ينكشف للعبد في الاخرة
من جلال الله وصفاته وحكمته وافعاله ما هو معلوم لله وهو محال لان ذلك لا نهاية له ولا يزال
العبد عالما بانه بقي من الجلال والجمال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه لا سيما من يرى فوق درجته
درجات كثيرة الا انه تشوق الى استكمال الوصال مع حصول اصل الوصال فهو لذلك شوق
لذيذ لا يظهر فيه الم ولا يبعد ان يكون الطاف الكشف والنظر متوالية الى غير نهاية ولا يزال
النعيم واللذة تتزايد ابد الاباد ويكون لذة ما يتجدد من لطايف النعيم شاغلا عن الاحساس
بالشوق الى ما لم يحصل وهذا بشرط ان يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا
اصلا فان كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفا على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على
الدوام وقوله سبحانه وتعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
محتمل لهذا المعنى وهو ان ينعم عليه باتمام النور مهما تزود من الدنيا اصل النور ويحتمل ان يكون المراد
اتمام النور في غير ما استنار في الدنيا استنارة محتاجة الى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هذا
المراد بتمامه وقوله تع انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا يدل على ان الانوار
لا بد وان يتزود اصلها في الدنيا ثم تزداد في الاخرة اشراقا فاما ان يتجدد نور فلا والحكم في هذا
برجم الظنون مخطر ولم ينكشف لنا بعد فيه ما يوثق به فنسال الله تع ان يزيدنا علما
ونورا ويرشدنا ويرينا الحق حقا فهذا القدر من انوار البصاير كاشف لحقايق الشوق و
معانيه **واما شواهد الاخبار والاثار** فاكثر من ان تحصى فمما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

انه كان يقول اللهم اني اسألك الرضا بالقضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم
وشوقا الى لقائك وقال ابو الدرداء لكعب اخبرني عن اخص آية في التورية فقال يقول الله تع
الا طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم لاشد شوقا قال ومكتوب الى جانبها من
طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فقال ابو الدرداء اشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه و
سلم يقول هذا وفي اخبار داود عليه السلم ان الله تع قال يا داود ابلغ اهل ارضي اني حبيب لمن
احبني وجليس لمن جالسني ومونس لمن آنس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني
ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد اعلم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه
احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من
غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي فآنسوا بي اؤانسكم واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة
احبائي من طينة ابرهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صلى الله عليه وسلم صفيي اني خلقت قلوب المشتاقين
من نوري ونعمتها بجلالي وقال بعض السلف ان الله تع اوحى الى بعض الصديقين ان لي عبادا
من عبادي يحبوني واحبهم ويشتاقون الي واشتاق اليهم ويذكروني واذكرهم وينظرون الي وانظر اليهم
فان حذوت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم قال عز وجل يراعون
الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها
عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب
بحبيبه نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا الي بانعامي فهم بين
صارخ وباك وبين متاوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد فبعيني ما يتحملون من اجلي
وبسمعي ما يشتكون من حبي اول ما اعطيهم ثلاث اقذف في قلوبهم من نوري فيخبرون عني كما اخبر
عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة
اقبل بوجهي عليهم لا يعلم احد ما اريد ان اعطيه وفي اخبار داود عليه السلم ان الله تع اوحى
اليه يا داود الى كم تذكر الجنة ولا تسالني الشوق الي قال يا رب من المشتاقون اليك قال
ان المشتاقين الي صفيتهم عن كل كدر وانبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم الي خرقا ينظرون
الي واني لاحمل قلوبهم بيدي فاضعها على سمائي ثم ادعوا بنجباء ملائكتي فاذا اجتمعوا سجدوا
لي فاقول اني لم ادعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لاعرض عليكم قلوب المشتاقين الي وابا هي بكم
اهل الشوق الي فان قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء الشمس لاهل الارض يا داود اني
خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي محدثي وجعلت ابدانهم
موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الي يزدادون في كل يوم شوقا قال
داود يا رب ارني اهل محبتك فقال يا داود ائت جبل لبنان فان فيه اربعة عشر نفسا فيهم شبان
وكهول ومشايخ فاذا اتيتهم فاقرئهم مني السلام وقل لهم ان ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم الا
تسألوني حاجة فانكم احبائي واصفيائي واوليائي افرح بفرحكم واسارع الى محبتكم فاتاهم داود
عليه السلم فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله عز وجل فلما نظروا الى داود نهضوا ليتفرقوا

عنه

عنه فقال داود عليه السلم اني رسول الله اليكم جئتكم لابلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه والقوا
اسماعهم نحو قوله والقوا ابصارهم الى الارض فقال داود اني رسول الله اليكم ان ربكم يقرئكم السلام و
يقول لكم الا تسألون حاجة الا تنادوني اسمع صوتكم وكلامكم فانكم احبائي واصفيائي واوليائي
افرح لفرحكم واسارع الى محبتكم وانظر اليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة قال فجرت
الدموع على خدودهم فقال شيخهم سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر
لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا وقال الآخر سبحانك سبحانك نحن عبيدك
وبنو عبيدك افنجترئ على الدعاء وقد علمت انه لا حاجة لنا في شيء من امورنا فادم لنا لزوم الطريق
اليك واتمم بذلك المنة علينا وقال الآخر نحن مقصرون في طلب رضاك فاعنا عليه بجودك
وقال الآخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك افيجترئ على الكلام من
هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبنا الدنو من نورك وقال الآخر كلت
السنتنا عن دعائك لعظم شانك وقربك من اوليائك وكثرة منتك على اهل محبتك وقال
الآخر انت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك وقال
الآخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر الى وجهك وقال الآخر كيف يجترئ العبد على سيده
اذ امرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نورا نهتدي به في الظلمات من اطباق السموات و
قال الآخر ندعوك ان تقبل علينا وتديمه عندنا وقال الآخر نسألك تمام نعمتك فيما وهبت
لنا وتفضلت به علينا وقال الآخر لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر الى جمال
وجهك وقال الآخر اسألك من بينهم ان تعمي عيني عن النظر الى الدنيا واهلها وقلبي عن
الاشتغال بغيرك وقال الآخر قد عرفت تباركت وتعاليت انك تحب اولياءك فامنن
علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك فاوحى الله تعالى الى داود قل لهم قد سمعت كلامكم
واجبتكم الى ما احببتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف الحجاب
فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى نوري وجلالي فقال داود يا رب بم نالوا منك هذا قال بحسن الظن
والكف عن الدنيا واهلها والخلوات بي ومناجاتهم وان هذا منزل لا يناله الا من
رفض الدنيا واهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك
اعطف عليهم وافرغ نفسي واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر الي نظر الناظر بعينه الى الشيء
واريه كرامتي في كل ساعة اقربه من نور وجهي ان مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها وان
عطش اروته واذيقه طعم ذكري فاذا فعلت ذلك به يا داود عميت نفسه عن الدنيا واهلها
ولم احببه اليه لا يفتر من الاشتغال بي يستعجل القدوم وانا اكره ان اميته لانه موضع نظري
من بين خلقي لا يرى غيري ولا ارى غيره فلو رايته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت
اعضاؤه وانخلع قلبه اذا سمع بذكري اباهي به ملائكتي واهل سمواتي ويزداد خوفا وعبادة و
عزتي وجلالي يا داود لاقعدنه في الفردوس ولاشفين صدره بالنظر الي حتى يرضى وفوق الرضا
وفي اخبار داود ايضا يا داود قل لعبادي المتوجهين الى محبتي ما ضركم اذا احتجبت عن خلقي و

رفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الي بعيون قلوبكم وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا
اذا بسطت دينكم وما ضركم مسخطة الخلق اذا التمستم رضائي وفي اخبار داود ايضا ان
الله تع اوحى اليه تزعم انك تحبني فان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها لا
يجتمعان في قلب يا داود خالص محبتي مخالصة وخالط اهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا
تقلد دينك الرجال اما ما استبان لك مما يوافق محبتي فتمسك به واما ما اشكل عليك فقلدنيه حقا
علي ان اتي سياستك وتقويمك واكون قائدك ودليلك اعطيك من غير ان تسالني واعينك
على الشدائد فاني حلفت على نفسي الا اثيب عبدا الا عبدا قد عرفت من طلبته وارادته القاء نفسه
بين يديه فانه لا غنى به عني فاذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك واسكنت الانس
والحلاوة قلبك فاني قد حلفت على نفسي انه لا يطمئن عبد لي الى نفسه ينظر الى فعالها الا وكلته
اليها اضف الاشياء اليّ لا الى عملك فتكون متعنتا ولا ينفع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفتي
حدا فليس لها غاية ومتى طلبت مني الزيادة اعطك ولا تجد لزيادتي مني حدا ثم اعلم بني اسرائيل انه
ليس بيني وبين احد من خلقي نسب فلتعظم رغبتهم وارادتهم عندي ابيح لهم ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضعني بين عينيك وانظر الي ببصر قلبك ولا تنظر
بعينك التي في راسك الى الذين حجبت عقولهم عني فامرجوها وسحت بانقطاع ثوابي عنها فاني
حلفت بعزتي وجلالي لا ابيح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه
ولا تطاول على المريدين فلو علم اهل محبتي منزلة المريدين عني لكانوا لهم ارضا يمشون عليها يا داود
ان تخرج مريدا من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندي جهبذا ومن كتبته جهبذا لا
يكون عليه وحشة ولا فاقة الى المخلوقين يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا
تؤتين منها فاحجب محبتي عنك لا تؤيس عبادي من رحمتي اقطع شهوتك لي فانما ابحت الشهوات
لضعفة خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتي وانما عقوبة
الاقوياء عندي في موضع التناول ادنى ما يصل اليهم ان احجب عقولهم عني فاني لم ارض الدنيا
لحبيبي ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما يحجبك بسكره عن محبتي اولئك قطاع
الطريق على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم واياك والتجربة في الافطار
فان محبتي للصوم ادمانه يا داود تحبب الي بمعاداة نفسك امنعها الشهوات انظر اليك وترى
الحجب بيني وبينك مرفوعة انما اداريك مداراة لتقوى على ثوابي اذا مننت به عليك واني اخفيته
عنك وانت متمسك بطاعتي واوحى الله تع الى داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي
بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذه
ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى
عني وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عندي اذا رجع الي فهذه الاخبار
ونظائرها مما لا يحصى تدل على اثبات المحبة والشوق والانس واما تحقيق معناها فينكشف بما سبق

بيان محبة الله تعالى للعبد ومعناها

اعلم ان شواهد القرآن متظاهرة على ان الله تع

بين يدي نسخه

يحب عبده فلا بد من معرفة معناها ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال الله تع يحبهم ويحبونه
وقال الله تع ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وقال الله تع ان الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين ولذلك رد سبحانه على من ادعى انه حبيب الله تع فقال تع قل فلم يعذبكم بذنوبكم وقد
روى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين ومعناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره
الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضر الكفر الماضي بعد الاسلام وقد اشترط الله تع للمحبة غفران
الذنب فقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم الآية وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله تع يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب وقال
صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله
وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تع لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث وقال زيد بن اسلم ان الله تع ليحب العبد حتى
يبلغ من حبه له ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك وما ورد من الفاظ المحبة خارج عن الحصر
وقد ذكرنا ان محبة العبد لله تع حقيقة وليست بمجاز اذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس
الى الشيء الموافق والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط وقد بينا ان الاحسان موافق للنفس
والجمال موافق ايضا وان الجمال والاحسان تارة يدرك بالبصر وتارة بالبصيرة والحب يتبع كل واحد
منهما فلا يختص بالبصر فاما حب الله للعبد فلا يمكن ان يكون بهذا المعنى اصلا بل الاسامي كلها اذا
اطلقت على الله تع وعلى غير الله لم ينطلق عليهما بمعنى واحد اصلا حتى ان اسم الوجود الذي هو اعم الاسماء
اشتراكا لا يشمل الخالق والمخلوق على وجه واحد بل كل ما سوى الله فوجوده مستفاد من وجود الله
تع فالوجود التابع لا يكون مساويا للوجود المتبوع وانما الاستواء في اطلاق الاسم نظيره
اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم اذ معنى الجسم وحقيقته متشابهة فيهما من غير استحقاق احدهما
لان يكون فيه اصلا فليست الجسمية لاحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا
لخلقه وهذا التباعد في سائر الاسامي اظهر كالعلم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه
الخالق الخلق وواضع اللغة انما وضع هذه الاسامي اولا للخلق فان الخلق اسبق الى العقول والافهام
من الخالق فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل والمحبة في وضع اللسان
عبارة عن ميل النفس الى موافق ملائم وهذا انما يتصور في نفس ناقصة فاتها ما يوافقها فيستفيد
بنيله كمالا فيلتذ بنيله وهذا محال على الله تع فان كل كمال وجمال وجلال ممكن في الالهية فهو حاضر
وحاصل وواجب الحصول ابدا وازلا ولا يتصور تجدده ولا زواله فلا يكون له الى غيره نظر من حيث انه
غيره بل نظره الى ذاته والى افعاله فقط وليس في الوجود الا ذاته وافعاله ولذلك قال الشيخ
ابو سعيد المهيني لما قرئ عليه قوله تع يحبهم ويحبونه بحق يحبهم فانه ليس يحب الا نفسه على
معنى انه الكل وانه ليس في الوجود غيره فمن لا يحب الا نفسه وافعال نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع
ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو اذن لا يحب الا نفسه وما ورد من الالفاظ في حبه لعباده
فهو مؤول ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلوبهم حتى يروه بقلوبهم والى تمكينه اياهم من

القرب منهم والى ارادته ذلك بهم في الازل فحبه لمن احبه ازلي مهما اضيف الى الارادة الازلية
التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طريق القرب واذا اضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب
عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضي له كما قال لا يزال يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجات
القرب من ربه وكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه ولا تفهم هذا الا بمثال وهو ان
الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك اليه اما لينصره
بقوته او ليستريح الى مشاهدته او ليستشيره في رايه او ليهيئ اسباب شرابه وطعامه فيقال
ان الملك يحبه ويكون معناه ميله اليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم وقد يقرب عبدا ولا يمنعه من
الدخول عليه لا للانتفاع به والاستنجاد ولكن لكون العبد في نفسه موصوفا من الاخلاق المرضية
والخصال الحميدة بما يليق به ان يكون قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه مع ان الملك لا غرض
له فيه اصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد احبه واذا اكتسب من الخصال الحميدة ما
اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل وحبب نفسه الى الملك فحب الله للعبد انما يكون بالمعنى الثاني
لا بالمعنى الاول وانما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط ان لا يسبق الى فهمك دخول تغير عليه
عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله في البعد عن صفات البهائم
والسباع والشياطين والتخلق بمكارم الاخلاق التي هي الاخلاق الالهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان
ومن لم يكن قريبا فصار قريبا فقد تغير فربما يظن ان هذا القرب لما تجدد فقد تغير فربما
يظن ان هذا القرب لم وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال
في حق الله تعالى اذ التغير عليه محال بل لا يزال من نعوت الكمال على ما كان عليه في ازل الازال ولا ينكشف
هذا الا بمثال القرب بين الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون
احدهما ثابتا فيتحرك الاخر فيحصل القرب بتغير في احدهما من غير تغير في الاخر بل القرب
في الصفات ايضا كذلك فان التلميذ يطلب القرب من درجة استاذه في كمال العلم وجماله و
الاستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول الى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من
حضيض الجهل الى يفاع العلم فلا يزال دائبا في التغير والترقي الى ان يقرب من استاذه والاستاذ
ثابت من غير تغير فكذلك ينبغي ان يفهم ترقي العبد في درجات القرب فكلما صار اكمل صفة و
اتم علما واحاطة بحقائق الامور واثبت قوة في قهر الشيطان وقمع الشهوات واظهر نزاهة عن
الرذائل صار اقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله بقدر كماله نعم قد
يقدر التلميذ على القرب من الاستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله محال فانه لا
نهاية لكماله وسلوك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي الا الى حد محدود فلا مطمع له
في المساواة ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتا لا نهاية له ايضا لاجل انتفاء النهاية عن ذلك
الكمال فاذن محبة الله تعالى للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه
عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كانه يراه بقلبه واما محبة العبد لله

تعالى فهي ميله الى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له فلا جرم يشتاق الى ما فاته فاذا ادرك
منه شيئا يلتذ به والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى **فان قلت** محبة الله للعبد امر ملتبس
فبم يعرف العبد انه حبيب الله تعالى **فاقول** يستدل عليه بعلاماته وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه فان احبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناه قال
لم يترك له مالا ولا اهلا فعلامة محبة الله تعالى للعبد ان يوحشه من غيره ويحول بينه وبين
غيره قيل لعيسى عليه السلام لم لا تشتري حمارا تركبه قال انا اعز على الله تعالى من ان يشغلني عن نفسه
بحمار وفي الخبر اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال بعض
العلماء اذا رايت الله يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت نعت
بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه اياه فقال لا فقال لا تطمع في المحبة
فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا جعل له واعظا من
نفسه وزاجرا من قلبه يامره وينهاه وقال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب
نفسه فاخص علاماته حبه لله فان ذلك يدل على حب الله تعالى اياه واما الفعل الدال على كونه
محبوبا فهو ان يتولى الله امره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لامره والمزين
لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل لهمومه هما واحدا والمبغض
للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب
بينه وبين معرفته فهذا وامثاله هو علامة حب الله تعالى للعبد فلنذكر الآن علامات محبة الله
العبد لله تعالى فانها ايضا علامات حب الله سبحانه للعبد

القول في علامات محبة العبد لله تعالى

اعلم ان المحبة يدعيها كل احد وما اسهل الدعوى وما اعز المعنى فلا ينبغي ان
يغتر الانسان بتلبيس الشيطان وخدع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات ولم
يطالبها بالبراهين والادلة والمحبة شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها تظهر على القلب
واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان
على النار ودلالة الثمار على الاشجار وهي كثيرة **فمنها** حب لقاء الحبيب بطريق الكشف
والمشاهدة في دار السلام فلا يتصور ان يحب القلب محبوبا الا ويحب مشاهدته ولقاءه واذا
علم انه لا وصول الا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي ان يكون محبا للموت غير نافر
منه فان المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه الى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح
اللقاء وباب الدخول الى المشاهدة قال صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب الله لقاءه و
قال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم وقال بعض السلف ما من خصلة
احب الى الله تعالى ان تكون في العبد بعد حب لقائه من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله تعالى
على السجود وقد شرط الله سبحانه لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا انا نحب الله
تعالى فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته وقال ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله
صفا وقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفي وصية ابي بكر لعمر رضي الله عنهما الحق

ثقيل وهو مع ثقله مري والباطل خفيف وهو مع خفته وبي فان حفظت وصيتي لم يكن غايب احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن غايب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه • وروي عن ابي اسحق بن سعد بن ابي وقاص قال حدثني ابي ان عبد الله بن جحش قال له يوم احد الا نخلو في ناحية وندعو الله فدعا عبد الله بن جحش فقال يا رب اني اقسم عليك اذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا باسه شديدا حرده اقاتله فيك ويقاتلني ثم ياخذني فيجدع انفي واذني ويبقر بطني فاذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله من جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فلقد رايته آخر النهار وان انفه واذنه لمعلقتان في خيط وقال سعيد بن المسيب ارجو ان يبر الله آخر قسمه كما ابر اوله • وقد كان الثوري وبشر الحافي يقولان لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب وقال البويطي لبعض الزهاد اتحب الموت فكانه توقف فقال لو كنت صادقا لاحببته وتلا قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فقال الرجل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت فقال انما قاله لضر نزل به لان الرضا بقضاء الله افضل من طلب الفرار منه فان قلت فمن لا يحب الموت فهل يتصور ان يكون محبا لله فاقول كراهة الموت قد يكون لحب الدنيا والتاسف على فراق الاهل والمال والولد وهذا ينافي كمال حب الله تع لان الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد ان يكون له مع حب الاهل والولد شايبة من حب الله تع ضعيفة فان الناس متفاوتون في الحب ويدل على التفاوت ما روي ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش في ذلك وقالوا انكحت عقيلة من عقايل قريش لمولى فقال والله لقد انكحته اياها واني لاعلم انه خير منها فكان قوله اشد عليهم من فعله قالوا وكيف وهي اختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله تع بكل قلبه فلينظر الى سالم فهذا يدلت على ان من الناس من لا يحب الله تعالى بكل قلبه بل يحبه ويحب ايضا غيره فلا جرم يكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه له وعذابه لفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها واما السبب الثاني في الكراهة ان يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وانما يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء الله تع فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فاحب ان يتاخر قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعد له اسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوايق فالكراهة بهذا السبب لا تنافي كمال الحب اصلا وعلامته الدوب في العمل واستغراق الهم في الاستعداد ومنها ان يكون موثرا ما احبه الله على محبته في ظاهره وباطنه فيجتنب اتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل ولا يزال مواظبا على طاعة الله تع ومتقربا اليه بالنوافل وطالبا عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب من قلب محبوبه وقد وصف الله تع المحبين بالايثار فقال جل وعز يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة الآية ومن بقي مستمرا على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل في معناه • اريد وصاله ويريد هجري • فاترك ما اريد لما يريد • بل الحب اذا غلب قمع الهوى فلم يبق معه تنعم بغير المحبوب كما روي ان زليخا لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت الى الله عز وجل فكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها الى فراشه ليلا سوفت به الى النهار ثم قالت يا يوسف انما كنت احبك قبل ان اعرفه فاما اذا عرفته فما ابقت محبته محبة لسواه وما اريد به بدلا حتى قال لها ان الله تع امرني بذلك واخبرني انه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت اما اذا كان الله تع امرك بذلك وجعلني طريقا اليه فطاعة لامر الله تع فعندها سكنت اليه فاذن من احب الله تع لا يعصيه ولذلك قال ابن المبارك فيه • تعصي الاله وانت تظهر حبه • هذا لعمري في الفعال بديع • لو كان حبك صادقا لاطعته • ان المحب لمن يحب مطيع • وقيل في هذا المعنى • واترك ما اهوى لما قد هويته • وارضى بما يرضى وان سخطت نفسي • وقال سهل علامة الحب ايثاره الحبيب على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله تع صار حبيبا وانما الحبيب من اجتنب المناهي وهو كما قال لان محبته لله سبب محبة الله له كما قال عز وجل يحبهم ويحبونه واذا احبه الله تولاه ونصره على اعدائه وانما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله الله عز وجل ولا يكله الى نفسه وهواه وشهواته ولذلك قال الله تع والله اعلم باعدايكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فان قلت فالعصيان هل يضاد اصل المحبة فاقول انه يضاد كمالها ولا يضاد اصلها فكم من انسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة وياكل ما يضره مع العلم بانه يضره وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدلك عليه ما روي ان نعيمان كان يوتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قليل فيحده في معصية يرتكبها الى ان اتي به يوما فحده فلعنه رجل وقال ما اكثر ما يوتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة نعم يخرجه المعصية عن كمال الحب وقال بعض العارفين اذا كان الايمان في ظاهر القلب احب الله تع حبا متوسطا فاذا دخل سويداء القلب احبه الحب البالغ وترك المعاصي وعلى الجملة في دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل اذا قيل لك اتحب الله تع فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم وليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم اعلى من نعيم اهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك ومنها ان يكون مستهترا بذكر الله تع لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه فمن احب شيئا اكثر بالضرورة ذكره وذكر ما يتعلق به فعلامة حب الله تع حب ذكره وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب كل ما ينسب اليه فان من يحب انسانا يحب كلب محلته فالمحبة اذا قويت تعدت من المحبوب الى كل ما يكتنف المحبوب ويحيط به ويتعلق باسبابه وذلك ليس شركة في الحب فان من احب رسول المحبوب لانه رسوله وكلامه لانه كلامه فلم يجاوز حبه الى غيره بل هو دليل كمال حبه ومن غلب حب الله تع على قلبه احب جميع خلق الله تع لانهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله

الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب آداب الاخوة والصحبة ولذلك قال الله تع قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال صلى الله عليه وسلم احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني
لله تع وقال سفين من احب من يحب الله تع فانما احب الله تع ومن اكرم من يكرم الله تع فانما
يكرم الله تع وحكي عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في بداية الارادة
فادمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول
لي في المنام ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كتابي اما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي فانتبهت وقد
اشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت الى حالي وقال ابن مسعود لا ينبغي ان يسأل احدكم عن نفسه
الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله تع وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله والقرآن من العباد
وقال سهل علامة حب الله تع حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم
وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة
بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا ياخذ منها الا زادا وبلغة الى الآخرة ومنها ان يكون انسه
بالخلوة ومناجاة الله تع وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد ويغتنم هدو الليل وصفاء الوقت بانقطاع
العوائق فاقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته فمن كان النوم او الاشتغال
بالحديث الذ عنده واطيب من مناجاة الله تع كيف تصح محبته قيل لابراهيم بن ادهم وقد نزل من الجبل من
اين اقبلت فقال من الانس بالله وفي اخبار داود عليه السلم لا تستانسن الى احد من خلقي فاني انما
اقطع عني رجلين رجل استبطأ ثوابي فانقطع ورجل نسيني فرضي بحاله وعلامة ذلك ان اكله الى
نفسي وان ادعه في الدنيا حيران ومهما انس بغير الله مستوحشا من الله تعالى ساقطا عن درجة
محبته وفي قصة برخ وهو العبد الاسود الذي استسقى به موسى عليه السلم ان الله تع قال لموسى ان
برخا نعم العبد هو لي الا ان فيه عيبا قال يارب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن
احبني لم يسكن الى شيء وروي ان عابدا عبد الله تعالى في غيضة دهرا فنظر الى طائر وقد عشش
في شجرة يأوي اليها ويصفر عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة لكنت آنس بصوت
هذا الطائر قال ففعل فاوحى الله الى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد استانست بمخلوق لاحطنك
درجة لا تنالها بشيء من عملك ابدا فاذن علامة المحبة كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم
بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة وعلامة الانس مصير
العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه
اللذة ببعضهم حتى كان في صلوته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به ومهما غلب الحب والانس صارت انه ص
الخلوة والمناجاة قرة عينه تدفع جميع الهموم بل يستغرق الانس والحب قلبه حتى لا يفهم امور
الدنيا ما لم تكرر على سمعه مرارا مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه وانسه في الباطن
بذكر حبيبه فالمحب من لا يطمئن الا بمحبوبه وقال قتادة في قوله تع الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب قال هشت اليه واستانست به وقال الصديق رضي الله عنه من
ذاق خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر وقال مطرف

ابي بكر المحب لا يسأم من حديث حبيبه واوحى الله تع الى داود عليه السلم قد كذب من ادعى محبتي اذا
جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها انا ذا موجود لمن طلبني وقال موسى
عليه السلم يا رب اين انت فاقصدك فقال عز وجل اذا قصدت فقد وصلت وقال يحيى
بن معاذ من احب الله تع ابغض نفسه وقال ايضا من لم يكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر
كلام الله تع على كلام الخلق ولقاء الله تع على لقاء الخلق وعبادة الله تع على عبادة الخلق ومنها
ان لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله تع ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت من ذكر الله تع و
طاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة وقال بعض العارفين
ان لله عبادا احبوه فاطمأنوا اليه فذهب عنهم التأسف على ما فات فلم يتشاغلوا بحظ انفسهم اذ
كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم
وحق المحب اذا رجع من غفلته في لحظته ان يقبل على محبوبه ويشتغل بالاستعتاب ويسأله
ويقول يا رب باي ذنب قطعت برك عني وابعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي وبمتابعة الشيطان
فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ما سبق من الغفلة ويكون هفوته سببا
لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيئا الا منه لم يأسف ولم يشك
واستقبل الكل بالرضا وعلم ان المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيرته ويذكر قوله تع وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ومنها ان يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها و
يسقط عنه تعبها كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال الجنيد
علامة المحبة دوام النشاط والدؤب بشهوة يفتر بدنه ولا يفتر قلبه وقيل العمل على المحبة لا يدخله
الفتور وقال عالم والله ما اشتفى محب لله تع من طاعته ولو حل بعظيم الوسائل وكل هذا امثاله
موجود في المشاهدات فان العاشق لا يستثقل السعي في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه و
ان كان ذلك شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان احب الاشياء اليه ان يعاوده القدرة ويفارقه
العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله تع فان كل حب صار غالبا فهو قهر لا محالة ما هو دونه
فمن كان محبوبه احب اليه من الكسل ترك الكسل في خدمته وان كان احب اليه من المال ترك المال
في حبه وقيل لبعض المحبين وقد كان بذل ماله ونفسه حتى لم يبق له شيء ما كان سبب حالك في
هذه المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا بمحبوبه وهو يقول انا والله احبك بقلبي كله وانت
معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبني فايش تنفق علي فقال يا سيدي املكك
ما املك ثم انفق عليك روحي حتى يهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبد
لمعبود فكان هذا سببه ومنها ان يكون مشفقا على جميع عباد الله رحيما بهم شديدا
على جميع اعداء الله وعلى كل ما يقارف شيئا مما يكرهه الله عز وجل كما قال الله تع اشداء على الكفار
رحماء بينهم ولا تأخذه في الله لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله تع اولياءه
اذ قال الله عز وجل في بعض الكتب الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالشيء ويأوون الى ذكري كما
يأوي النسر الى وكره ويغضبون لمحارمي كما يغضب النمر اذا حرد فانه لا يبالي قل الناس او كثروا فانظر

الى هذا المثال فان الصبي اذا كلف بالشيء لم يفارقه اصلاً فان اخذ منه لم يكن له شغل الا البكاء والصياح حتى يرد اليه فان نام اخذه معه في ثيابه فان انتبه عاد فتمسك به ومهما فاته بكى ومهما وجده فرح وضحك ومن نازعه فيه ابغضه ومن اعطاه اياه احبه واما التمر فانه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه ان يهلك نفسه فهذه علامات المحبة فمن تمت فيه العلامات فقد تمت محبته وخلصت وصفا في الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تعالى تنعم في الآخرة بقدر حبه اذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى ان الابرار لفي نعيم ثم قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون فانما طاب شراب الابرار لشوب الشراب الصرف الذي للمقربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما ان الكتاب عبر به عن جميع الاعمال فقال تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين ثم قال يشهده المقربون وكما كان الابرار يجدون المزيد في حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حالهم في الآخرة ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة كما بدأنا اول خلق نعيده وقال جزاء وفاقا اي وافق الجزاء اعمالهم فقوبل الخالص بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه واعماله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين فمن كان حبه في الدنيا ورجاؤه لنعيم الجنة والحور والقصور مكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه الا حبه بالاخلاص والصدق انزل في مقعد صدق عند مليك مقتدر فالابرار يرتعون في البستان ويتنعمون في الجنان مع الحور العين والولدان والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالاضافة الى ذرة منها فقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون وللمجالسة اقوام آخرون ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب ولما قصرت الافهام عن درك معنى عليين عظم امره فقال وما ادراك ما عليون كما قال القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة

ومنها ان يكون في حبه خائفا متضائلا تحت الهيبة والتعظيم وقد يظن ان الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل ادراك العظمة يوجب الهيبة كما ان ادراك الجمال يوجب الحب ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم وبعض مخاوفهم اشد من بعض فاولها خوف الاعراض واشد منه خوف الحجاب واشد منه خوف الابعاد وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين صلى الله عليه وسلم اذ سمع قوله تعالى الا بعدا لعاد قوم هود الا بعدا لثمود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وانما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من الف القرب وذاقه وتنعم به فتحدثه من ان يرد البعد في حق المبعدين يشيب سماعه اهل القرب في القرب ولا يحن الى القرب من الف البعد ولا يبكي لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب المزيد فانا قدمنا ان درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد ان يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون ولذلك قال ايضا صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة فاستغفر الله تعالى وانما كان ذلك استغفارا من القدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور في الطريق والالتفات الى غير المحبوب كما روي عن بعض الكتب ان الله تعالى يقول ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوات الدنيا على طاعتي ان اسلبه لذيذ مناجاتي فسلب المزيد بسبب لذة الشهوات عقوبة العموم واما الخصوص فيحجبهم عن المزيد مجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادي اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا ذوو الاقدام الراسخة ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته سمع ابن ادهم قائلا ينشد في سياحته وكان على جبل

كل شيء لك مغفور سوى الاعراض عنا ❊ قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات منا

فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت عليه احوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا قال فكنت عبدا فاسترحت ثم خوف السلو عنه فان المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى الا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه او سبب رجعته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل الحب عليه من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات في القلب لها اسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها واذا اراد الله تعالى المكر به واستدراجه اخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء او يغتر بحسن الظن او بغلبة الغفلة والهوى والنسيان وكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان وكما ان من اوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهو اوصاف اللطف والرحمة والحكمة فمن اوصافه ما يلوح فيورث السلو كاوصاف الجبروت والعزة والاستغناء وذلك من مقدمات المكر والشقاء والحرمان ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه الى حب غيره وذلك هو المقت والسلو مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبر وانقباضه عن دوام الذكر وملاله لوظائف الاوراد اسباب هذه المعاني ومقدماتها فظهور هذه الاسباب دليل على النقل عن مقام الحب الى مقام المقت نعوذ بالله منه وملازمة الخوف لهذه الامور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل صدق الحب فان من احب شيئا خاف لا محالة فقده فلا يخلو الحب عن خوف اذا كان المحبوب مما يمكن فواته وقد قال بعض العارفين من عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف احبه الله تعالى فقربه وعلمه ومكنه فالمحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت لها طاقة البشر فانما الخوف يعدلها ويخفف وقعها على القلب فقد روي في الاخبار ان بعض الصديقين سأله بعض الابدال ان يسأل

الله تعالى ان يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك فهام في الجبال وحار عقله ووله قلبه وبقي شاخصا
سبعة ايام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسأل الصديق ربه فقال يا رب انقصه من الذرة بعضها
فاوحى الله تعالى اليه انما اعطيناه جزءا من مائة الف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة الف عبد
سألوني شيئا من المحبة في الوقت الذي سألني هذا فاخرت اجابتهم الى ان شفعت انت لهذا فلما
اجبتك فيما سألت اعطيتهم كما اعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة الف عبد فهذا ما اصابه
من ذلك فقال سبحانك يا احكم الحاكمين انقصه مما اعطيته فاذهب الله عنه جملة الجزء وبقي معه
عشر معشاره وهو جزء من مائة الف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن وصار
كسائر العارفين وقد قيل في وصف حال العارف • قريب الوجد ومرمى بعيد • على الاحرار
منهم والعبيد • غريب الوصف ذو علم غريب • كأن فؤاده زبر الحديد • لقد عزت معانيه فغابت
عن الابصار الا للشهيد • يرى الاعياد في الاوقات تجري • له في كل يوم الف عيد • وللاحباب افراح بعيد
ولا يجد السرور له بعيد • وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد ابياتا يشير بها الى اسرار احوال
العارفين وان ذلك لا يجوز اظهاره • سرت باناس في الغيوب قلوبهم • فحلوا بقرب الماجد المتفضل
عراصا بقرب الله في ظل قدسه • تجول بها ارواحهم وتنقل • مواردهم فيها على العز والنهى
ومصدرهم فيها لما هو اكمل • تروح بعز مفرد من صفاته • وما كنه اولى لديهم واعدل
ساكتم من علمي بها ما يصونه • وابذل منه ما ارى الحق يبذل • واعطي عباد الله منه حقوقهم
وامنع منه ما ارى المنع افضل • على ان للرحمن سرا يصونه • الى اهله في السر والصون اجمل •
وامثال هذه المعارف التي اليها الاشارة لا يجوز ان يشترك الناس فيها ولا يجوز ان يظهرها من
انكشف له شيء منها لمن لم ينكشف له بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا فالحكمة تقتضي شمول
الغفلة لعمارة الدنيا بل لو اكل الناس كلهم الحلال اربعين يوما لخربت الدنيا لزهدهم فيها و
بطلت الاسواق والمعايش بل لو اكل العلماء الحلال لاشتغلوا بانفسهم ولوقفت الالسنة والاقلام
عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن لله فيما هو شر في الظاهر اسرار وحكم كما ان له في الخير اسرارا وحكما
ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من
اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من اسرار
الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم
العقوبة عليه في العقبى وتتعجل عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه
ويضطرب احواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك عن غير تمحل واكتساب فهو معذور لانه مقهور
وربما تشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب فلا يندفع فيضانه فالقادر على
الكتمان يقول • وقالوا قربت قلت ما انا صانع • بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري • فما لي منه غير
ذكر بخاطر • يهيج نار الحب والشوق في صدري • والعاجز عنه يقول • يخفي فيبدي الدمع
اسراره • ويظهر الوجد عليه النفس • ويقول ايضا • ومن قلبه مع غيره كيف حاله • ومن سره في
جفنه كيف يكتم • وقال بعض العارفين اكثر الناس من الله بعدا اكثرهم اشارة به كأنه اراد به

من

من يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل احد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء
بالله تعالى ودخل ذو النون على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه من وجد
الم ضره فقال الرجل لكني اقول لا يحبه من لا يتنعم بضره فقال ذو النون ولكني اقول لا يحبه من شهر
نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فان قلت المحبة منتهى المقامات واظهارها
اظهار للخير فلماذا يستنكر فاعلم ان المحبة محمودة وانما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من
الدعوى والاستكبار وحق المحب ان ينم على حبه الخفي افعاله واحواله دون اقواله بل ينبغي ان يظهر
حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي ان يكون قصد المحب
اطلاع الحبيب فقط فاما ارادته اطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه كما ورد في الانجيل اذا
تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك فالذي يرى الخفيات يجزيك به علانية
واذا صمت فاغسل وجهك وادهن راسك لئلا يعلم بذلك غير ربك فاظهار الفعل والقول كله
مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه حكي
ان رجلا راى من بعض المجانين ما استجهله منه فاخبر بذلك معروفا الكرخي فتبسم ثم قال يا اخي
له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذي رايته من مجانينهم ومما يكره التظاهر
بالحب بسببه ان المحب لو كان عارفا وعرف احوال الملائكة في حبهم الدائم وشوقهم اللازم
الذي به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
لاستنكف من نفسه ومن اظهار حبه وعلم قطعا انه اخس المحبين في مملكته وان حبه انقص من
حب كل محب لله تعالى قال بعض المكاشفين من المحبين عبدت الله ثلاثين سنة باعمال القلوب و
الجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لي عند الله شيئا فذكر اشياء من مكاشفات
آيات السموات في قصة طويلة قال في آخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء
فقلت من انتم فقالوا نحن المحبون لله تعالى نعبده ههنا منذ ثلاثمائة الف سنة ما خطر على قلوبنا
قط سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من اعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنهم
في جهنم فاذن من عرف نفسه وعرف ربه واستحيى منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر
بالدعوى نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته واقدامه واحجامه وتردداته كما حكي عن الجنيد قال
مرض استاذنا السري فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سببا فوصف لنا طبيب حاذق فاخذنا
قارورة مائه فنظر اليه الطبيب وجعل ينظر مليا وكرر النظر ثم قال لي اراه بول عاشق قال الجنيد
فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت الى السري فاخبرته فتبسم ثم قال
قاتله الله ما ابصره قلت يا استاذ وتتبين المحبة في البول قال نعم وقد قال السري مرة لو شئت
ان اقول ما ايبس جلدي على عظمي ولا سل جسمي الا حبه ثم غشي عليه وتدل الغشية على انه افصح في
غلبة الوجد ومقدمات الغشية فهذه مجامع علامات المحبة لله تعالى وثمراته ومنها الانس و
الرضا كما سياتي وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الاخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو
اتباع للهوى وهو من رذائل الاخلاق نعم قد يحب الله لاحسانه اليه وقد يحبه لجلاله وجماله وان

لم يحسن اليه والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين ولذلك قال الجنيد الناس في محبة الله عام وخاص
فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان احبوه الا انهم تقل محبتهم
وتكثر على قدر النعم والاحسان فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة و
التفرد بالملك والملكوت فلما عرفوا صفاته الكاملة واسماءه الحسنى لم يمتنعوا ان احبوه اذ استحق
عندهم المحبة بذلك لانه اهل لها ولو ازال عنهم جميع النعم نعم من الناس من يحب هواه وعدو الله
ابليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل ويظن انه محب لله تعالى وهو الذي فقدت
فيه هذه العلامات او يتلبس بها نفاقا ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من
نفسه خلاف ذلك كالعلماء السوء والقراء السوء اولئك بغضاء الله في ارضه وكان سهل
اذا تكلم مع انسان قال يا دوست اي يا حبيب فقيل له قد لا يكون حبيبا فكيف تقول هذا فقال
في اذن القائل سرا لا يخلو اما ان يكون مؤمنا او منافقا فان كان مؤمنا فهو حبيب الله وان كان
منافقا فهو حبيب ابليس وقد قال ابو تراب النخشبي في علامات الحب ابياتا وهي هذه

لا تخدعن فللحبيب دلائل ● ولديه من تحف الحبيب وسائل ●
منها تنعمه بطول بلائه ● وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة ● والفقر اكرام وبر عاجل ●
ومن الدلائل ان يرى من عزمه ● طوع الحبيب وان الح العاذل
ومن الدلائل ان يرى متبسما ● والقلب فيه من الحبيب بلابل ●
ومن الدلائل ان يرى متفهما ● لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل ان يرى متقشفا ● متحفظا في كل ما هو قائل ●
ومن الدلائل ان يرى متشمرا ● في خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه ● جوف الظلام فما له من عاذل ●
ومن الدلائل ان تراه مسافرا ● نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى ● من دار ذل والنعيم الزائل ●
ومن الدلائل ان تراه مسلما ● كل الامور الى المليك العادل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى ● والقلب محزون كقلب الثاكل ●

بيان معنى الانس بالله تعالى

قد ذكرنا ان الانس والخوف والشوق من آثار المحبة الا ان هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب
نظره وما يغلب عليه في وقته فاذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيوب الى منتهى الجمال و
استشعر قصوره عن الاطلاع الى كنه الجلال انبعث القلب الى الطلب وانزعج له وهاج اليه فتسمى
هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الى امر غائب واذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة
الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت
الى ما لم يدركه بعد استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا وان كان نظره الى صفات
العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعد تألم قلبه بهذا الاستشعار فيسمى
تألمه خوفا وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات والملاحظات تابعة لاسباب تقتضيها
لا يمكن حصرها فالانس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى انه اذا غلب وتجرد عن
ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق اليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هنا نظر بعضهم حيث
قيل له انت مشتاق فقال لا انما الشوق الى غائب فاذا كان الغائب حاضرا فالى من يشتاق
وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت الى ما بقي في الامكان من مزايا الالطاف ومن
غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد والخلوة كما حكي ان ابن ادهم لما نزل من الجبل فقيل

له من اين اقبلت فقال من الانس بالله وذلك لان الانس بالله يلازمه التوحش من غير الله بل كل ما يعوق
عن الخلوة يكون من اثقل الاشياء على القلب كما روي ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع
كلام احد من الناس الا اخذه الغثيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره
فيخرج من القلب عذوبة ما سواه ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من آنسني بذكره واوحشني من
خلقه وقال الله تعالى لداود عليه السلام كن بي مستأنسا ومن سواي مستوحشا وقيل لرابعة بم نلت
هذه المنزلة قالت بتركي ما لا يعنيني وانسي بمن لم يزل وقال عبد الواحد بن زيد مررت براهب
فقلت له يا راهب لقد اعجبتك الوحدة فقال يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها
من نفسك الوحدة راس العبادة قلت يا راهب ما اقل ما تجد في الوحدة فقال الراحة من مداراة
الناس والسلامة من شرهم قلت يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الانس بالله تعالى قال اذا صفا
الود وخلصت المعاملة قلت متى يصفو الود قال اذا اجتمع الهم فصار هما واحدا في الطاعة و
قال بعض الحكماء عجبا للخلائق كيف ارادوا بك بدلا عجبا للقلوب كيف استأنست عنك
بسواك **فان قلت** فما علامة الانس **فاعلم** ان علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة
الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في
خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور مخالط بالبدن منفرد
بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي رضي الله عنه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة
الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون
صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه فهذا
معنى الانس بالله تعالى وهذه علامته وهذه شواهده وقد ذهب بعض المتكلمين الى انكار الانس
والشوق والحب لظنه ان ذلك يدل على التشبيه وجهله ان جمال المدركات بالبصائر اكمل من
جمال المبصرات ولذة معرفتها اغلب على ذوي القلوب منهم احمد بن غالب يعرف بغلام الخليل
انكر على الجنيد وعلى ابي الحسين النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى انكر بعضهم مقام
الرضا وقال ليس الا الصبر فاما الرضا فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من
مقامات الدين الا على القشور فظن انه لا وجود الا للقشر فان المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال
في طريق الدين قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب فمن لم يصل من الجوز الا الى قشره ظن ان
الجوز خشب كله واستحال عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول
وقد قيل ● الانس بالله لا يحويه بطال ● وليس يدركه بالحول محتال ● والآنسون رجال كلهم نجب
وكلهم صفوة لله عمال

بيان معنى الانبساط والادلال الذي تثمره غلبة الحب

اعلم
ان الانس اذا دام وغلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب
فانه يثمر نوعا من الانبساط في الاقوال والافعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما
فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام وتشبه بهم في
الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى

عليه السلام ان يسأله ان يستسقي لبني اسرايل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلم ليستسقي
بهم في سبعين الفا فاوحى الله تع كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم سرايرهم خبيثة
يدعونني على غير يقين ويامنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب
له فسال عنه موسى فلم يعرف فبينا موسى عليه السلم ذات يوم يمشي في طريق اذا بعبد اسود قد استقبله
بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى عليه السلم بنور الله فسلم عليه
وقال له ما اسمك قال اسمي برخ قال فانت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه
ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذي بدا لك انقصت عليك عيونك ام عاندت الرياح
عن طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين ام نفد ما عندك الست كنت غفارا
قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة
قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرايل بالقطر وانبت الله تع العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب فرجع
برخ فاستقبله موسى عليه السلم فقال كيف رايت حين خاصمت ربي كيف انصفني فهم به موسى
عليه السلم فاوحى الله تع اليه ان برخا يضحكني كل يوم ثلاث مرات ، وعن الحسن قال احترقت اخصاص
بالبصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق وابو موسى يومئذ امير البصرة فاخبر بذلك فبعث الى صاحب
الخص قال فاتي بشيخ فقال له ما بال خصك لم يحترق قال اني اقسمت على ربي تعالى ان لا يحرقه فقال
ابو موسى اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في امتي قوم شعثة رؤوسهم دنسة ثيابهم
لو اقسموا على الله تع لابرهم قال ووقع حريق بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له
امير البصرة انظر لا تحترق بالنار قال فاعزم عليه ان تنطفي قال فعزم عليه فطفيت ، وكان ابو حفص
يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له ابو حفص وقال وعزتك لا اخطو خطوة
ما لم ترد علي حماري قال فظهر الحمار في الوقت ومضى ابو حفص رحمه الله فهذا وامثاله يجري
لذوي الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في
خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة وقال مرة لو سمعها العوام لكفروهم وهم يجدون المزيد
في احوالهم بذلك وذلك يحتمل منهم ويليق بهم واليه اشار القائل ، قوم تخالجهم زهو بسيدهم
والعبد يزهى على مقدار مولاه ، تاهوا برؤيته عما سواه به ، يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا ،
ولا تستبعدون رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما ففي القرآن تنبيهات
على هذه المعاني لو فطنت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لاولي الابصار والبصاير حتى ينظرون
اليها بعين الاعتبار وانما هي عند ذوي الاغترار من الاسمار فاول القصص قصة آدم عليه السلم
وابليس اما تراهما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتباء والعصمة اما
ابليس فابلس من رحمته وقيل انه من المبعدين واما آدم عليه السلم فقيل فيه وعصى آدم ربه فغوى
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقد عاتب الله تع نبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراض عن عبد و
الاقبال على عبد وهما في العبودية سيان ولكن في الحال مختلفان فقال عز وجل واما من جاءك يسعى
وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال في الآخر اما من استغنى فانت له تصدى وكذلك امره بالتعرض

مع طايفة فقال تع واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم وامره بالاعراض عن غيرهم
فقال الله تع واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى قال فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم
الظالمين فقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فكذا
الانبساط والادلال يحتمل من بعض العباد دون بعض فمن انبساط الانس قول موسى عليه السلم
ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ، وقال في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب
الى فرعون فقال ولهم علي ذنب وقوله اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري وقوله اننا نخاف
ان يفرط علينا او ان يطغى وهذا من غير موسى عليه السلم من سوء الادب لان الذي اقيم مقام
الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس عليه السلم ما دون هذا لما ان اقيم مقام القبض
والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلاث ونودي عليه السلم الى يوم القيمة لولا ان
تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم قال الحسن العراء القيمة ونهي نبينا صلى الله عليه و
سلم ان يقتدي به فقيل له فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم
وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الاحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الازل
من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد وقد قال الله تع ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض وقال تعالى منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وكان عيسى عليه السلام من
المفضلين ولادلاله سلم على نفسه فقال والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث
حيا وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس واما يحيى بن زكريا عليه السلم فاقيم
مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى اثنى عليه خالقه جل وعز فقال تع وسلام عليه يوم ولد
ويوم يموت ويوم يبعث وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوه بيوسف وقد قال بعض
العلماء قد عددت من اول قوله تع ليوسف واخوه احب الى ابينا منا الى راس العشرين آية من
اخباره تع عن زهدهم فيه نيفا واربعين خطيئة بعضها اكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة
الثلاث والاربع فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل لعزير مسيلة واحدة سال عنها في القدر حتى قيل
انه محي من ديوان النبوة ، وكذلك كان بلعم بن باعوراء من اكابر العلماء فاكل الدنيا بالدين فلم
يحتمل له ذلك وكان آصف بن برخيا من المسرفين وكان معصيته في الجوارح فعفي عنه فقد
روي ان الله سبحانه وتع اوحى الى سليمن عليه السلم يا راس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين
الى كم يعصيني ابن خالتك آصف وانا احلم عنه مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي لئن اخذته عصفة
من عصفاتي لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده فلما دخل آصف على سليمن عليه السلم اخبره بما اوحى
الله تع اليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع راسه ومد يده نحو السماء وقال الهي وسيدي انت
انت وانا انا فكيف اتوب ان لم تتب علي وكيف استعصم ان لم تعصمني وان لم تعصمني لاعودن ثم
لاعودن فاوحى الله تع اليه صدقت يا آصف انت انت وانا انا استقبل التوبة الي فقد تبت عليك
وانا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه اليه وناظر به اليه وفي الخبر ان الله تعالى
اوحى الى عبد تداركه بعد ان كان اشفى على الهلكة كم من ذنب واجهتني به غفرته لك قد اهلكت

في دونه امة من الامم فهذه سنة الله في عباده الذين خلوا بالتفضيل والتقديم والتاخير على ما سبقت به المشية الازلية وهذه القصص اوردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل فما في القرآن شيء الا وهو نور وتعرف من الله تعالى الى خلقه فتارة تعرف اليهم بصفات جلاله فيقول الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وتارة يتعرف اليهم بافعاله المخوفة والمرجية فيتلو عليهم سنته في انبيائه واعدائه فيقول الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ولا يعدو القرآن هذه الاقسام الثلاثة وهي الارشاد الى معرفة ذات الله تع وتقديسه او معرفة صفاته واسمائه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن فقال من قرا سورة الاخلاص فقد قرا ثلث القرآن لان منتهى التقديس ان يكون واحدا في ثلاثة امور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولا يكون هو حاصلا ممن هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله ولم يولد ولا يكون في درجته وان لم يكن اصلا له ولا فرعا ممن هو مثله ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا احد ويجمع جميع ذلك قوله تع قل هو الله احد وجملته تفصيل قولك لا اله الا الله فهذه اسرار القرآن ولا تتناهى امثال هذه الاسرار في القرآن ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ولذلك قال ابن مسعود ثوروا القرآن والتمسوا غرائبه ففيه علم الاولين و
٥٨ الآخرين وهو كما قال ولا يعرفه الا من طال في آحاد كلماته فكره وصفي له فهمه حتى تشهد له كل كلمة بانه كلام جبار قاهر مليك مقتدر وانه خارج عن حد استطاعة البشر واكثر اسرار القرآن معبات في طي القصص والاخبار فكن حريصا على استنباطها لينكشف لك فيها من العجائب ما تستحقر معها العلوم المزخرفة عنها فهذا ما اردنا ذكره من معنى الانس والانبساط الذي هو ثمرة و تفاوت عباد الله فيه

القول في معنى الرضا بقضاء الله وحقيقته وما ورد في فضيلته

اعلم ان الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من اعلى مقامات المقربين وحقيقته غامضة على الاكثرين وما يدخل عليها من التشابه والابهام غير منكشف الا لمن علمه الله تع التاويل وفقهه في الدين فقد انكر منكرون تصور الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا ان امكن الرضا بكل شيء لانه فعل الله فينبغي ان يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع به قوم فراوا الرضا بالفجور والفسق وترك الاعتراض والانكار من باب التسليم بقضاء الله تع ولو انكشفت هذه الاسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فلنبدا ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات الاحوال من الراضين ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى ثم نذكر ما يظن انه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصي ٥

بيان فضيلة الرضا اما الآيات فقوله تع رضي الله عنهم ورضوا عنه وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومنتهى الاحسان رضى الله تع عن عبده وهو ثواب رضى العبد عنه وقال تع هل جزاء الاحسان الا الاحسان ومساكن طيبة في جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلوة حيث قال ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر فكان مشاهدة المذكور في الصلوة اكبر من الصلوة فرضوان رب الجنة اعلى من الجنة بل هو غاية مطالب سكان الجنة وفي الحديث ان الله تع يتجلى للمومنين فيقول سلوني فيقولون رضاك يا ربنا فسوالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل واما رضى العبد فسنذكر حقيقته واما رضوان الله عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله تع للعبد ولا يجوز ان يكشف عن حقيقته اذ تقصر افهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادراكه من نفسه وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر اليه عز وجل وانما سالوا الرضا لانه سبب دوام النظر فكانهم راوه غاية الغايات واقصى الاماني لما ظفروا بنعيم النظر فلما امروا بالسوال لم يسالوا الا دوامه وعلموا ان الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب وقال تع ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه ياتي اهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين احدها هدية من عند الله تع ليس عندهم في الجنان مثلها وذلك قوله تع فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية وهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تع اني عنكم راض فيكون ذلك افضل من الهدية و التسليم فذلك قوله تع ورضوان من الله اكبر اي من النعيم الذي هم فيه فهذا فضل رضى الله وهو ثمرة رضى العبد واما من الاخبار فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سال طايفة من اصحابه ما انتم فقالوا مومنون فقال صلى الله عليه وسلم ما علامة ايمانكم قالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال صلى الله عليه وسلم مومنون ورب الكعبة وفي خبر آخر انه قال صلى الله عليه وسلم حين قالوا ذلك حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء وفي الخبر طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وقال صلى الله عليه وسلم من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي الله تع منه بالقليل من العمل وقال صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة انبت الله تع لطايفة من امتي اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤا فيقول لهم الملايكة من امة من انتم فيقولون من امة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون لهم نشدناكم الله تع حدثونا ما كانت اعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحيي ان نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فيقول الملايكة يحق لكم هذا وقال صلى الله عليه وسلم اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب يوم فقركم والا فلا وفي اخبار موسى عليه السلم ان بني اسرائيل قالوا له سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى عليه السلام الهي قد سمعت ما قالوا فقال تع يا موسى قل لهم يرضون عني حتى ارضى عنهم ويشهد لهذا ما روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال من احب ان يعلم ماله عند الله تع فلينظر ما لله عنده فان الله تع ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه وفي اخبار داود عليه السلم ما لاوليائي والهم بالدنيا ان الهم بالدنيا يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داود ان محبتي من اوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون وروي ان موسى عليه السلام قال يا رب دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله تع اليه ان رضاي في كرهك وانت لا تصبر

على ما تكره فقال يا رب دلني عليه قال فان رضاي في رضاك بقضائي • وفي مناجاة موسى عليه السلم اي رب اي خلقك احب اليك قال من اذا اخذت منه المحبوب سالمني قال فاي خلقك انت عليه ساخط قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيت له سخط قضائي وقد روي ما هو اشد منه وذلك ان الله تع قال انا الله لا اله الا انا من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ ربا سوائي • ومثله ايضا في الشدة قوله تع فيما حكى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم قدرت المقادير ودبرت التدبير واحكمت الصنع فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني وفي الخبر المشهور يقول الله تع خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف • وفي الاخبار السالفة ان نبيا من الانبياء شكا الى الله تع الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما اجيب الى ما اراد ثم اوحى الله تع اليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندي في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما احب ويكون ما تريد فوق ما اريد وعزتي وجلالي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لامحونك من ديوان النبوة • وروي ان آدم عليه السلم كان بعض اولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون يجعل احدهم رجله على اضلاعه كهيئة الدرج فيصعد على راسه ثم ينزل على اضلاعه كذلك قال وهو مطرق الى الارض لا ينطق ولا يرفع راسه فقال له بعض ولده يا ابت اما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال يا بني اني رايت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا اني تحركت حركة واحدة فاهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان ومن دار النعيم الى دار الشقاء فاخاف ان اتحرك حركة اخرى فيصيبني ما لا اعلم وقال انس بن مالك خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم افعله الا فعلته ولا قال صلى الله عليه وسلم في شيء كان ليته لم يكن ولا في شيء لم يكن ليته كان • وكان اذا خاصمني مخاصم يقول النبي صلى الله عليه وسلم دعوه لو قضي شيء لكان • ويروى ان الله تع اوحى الى داود عليه السلم يا داود تريد واريد ولا يكون الا ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد • واما الآثار فقد قال ابن عباس اول من يدعى الى الجنة يوم القيمة الذين يحمدون الله على كل حال وقال عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور الا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما يقضي الله وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال الفضيل ان لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك وقال عبد العزيز بن ابي رواد ليس الشان في اكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشان في الرضا عن الله تع وقال عبد الله بن مسعود لان الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت احب الي من ان اقول لشيء كان ليته لم يكن او لشيء لم يكن ليته كان • ونظر رجل الى قرحة في رجل محمد بن واسع فقال له اني لارحمك من هذه القرحة فقال اني لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج في عيني • وروي في الاسرائيليات ان عابدا عبد الله تع دهرا طويلا فاري في المنام ان فلانة الراعية

رفيقتك في الجنة فسال عنها الى ان وجدها فاستضافها ثلثا لينظر الى عملها فكان يبيت قائما وتبيت نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة فقال لها اما لك عمل غير ما رايت فقالت ما هو والله الا ما رايت لا اعرف غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصيلة واحدة هي في ان كنت في شدة لم اتمن ان اكون في رخاء وان كنت في مرض لم اتمن ان اكون في صحة وان كنت في الشمس لم اتمن ان اكون في الظل فوضع العابد يديه على راسه وقال اهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد وعن بعض السلف ان الله اذا قضى من السماء قضاء احب من اهل الارض ان يرضوا بقضائه اذا

وقال ابو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر وقال عمر رضي الله عنه ما ابالي على اي حال اصبحت وامسيت من شدة او رخاء وقال الثوري يوما عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت اما تستحيي من الله تعالى ان تساله الرضا وانت عنه غير راض فقال استغفر الله واتوب اليه فقال جعفر بن سليمان الضبعي فمتى يكون العبد راضيا عن الله فقالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة • وكان الفضيل يقول اذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي عن الله تع وقال احمد بن ابي الحوارى قال ابو سليمان الداراني ان الله تع من كرمه قد رضي من عباده بما رضي العبيد من مواليهم قلت وكيف ذلك قال اليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله تع من عبيده ان يرضوا عنه وقال سهل حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله تع وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله تع بحكمه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط

بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى

اعلم ان من قال ليس فيما يخالف الهوى من انواع البلاء الا الصبر فاما الرضا فلا يتصور فانما اتي من ناحية انكار المحبة فاما اذا ثبت تصور الحب لله تع واستغراق الهم به فلا يخفى ان الحب يورث الرضا بافعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين احدهما ان يبطل الاحساس بالالم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس به وتصيبه الجراحة ولا يدرك المها ومثاله الرجل المحارب فانه في حال غضبه او حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى اذا راى الدم استدل به على الجراحة بل الذي يغدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بالمها لشغل قلبه بل الذي يحتجم او يحلق راسه بحديدة كالة يتالم بها فان كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين او الحجام وهو لا يشعر به وكل ذلك لان القلب اذا صار مستغرقا بامر من الامور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه او بحبه قد يصيبه ما كان يتالم به او يغتم به لولا عشقه ثم لا يدرك غمه والمه لفرط استيلاء الحب على قلبه هذا اذا اصابه من غير حبيبه فكيف اذا اصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من اعظم الشواغل واذا تصور هذا في الم يسير بسبب حب خفيف تصور في الالم العظيم بالحب العظيم فان الحب ايضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الالم وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة وجمال الحضرة الربوبية

وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن انكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى
عليه فلا يحس بما يجري عليه فقد روي ان امراة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها
فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبي مرارة وجعه وكان
سهل به علة وهو يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال يا دوست ضرب
الحبيب لا يوجع واما الوجه الثاني فهو ان يحس به ويدرك المه ولكن يكون راضيا به بل
راغبا فيه مريدا له اعني بعقله وان كان كارها بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد و
الحجامة فانه يدرك المه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له ومتقلدا من الفصاد منة
بفعله فهذا حاله حال الراضي بما يجري عليه من الالم وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة
السفر ولكن حبه لثمرة سفره يطيب عنده مشقة السفر ويجعله راضيا به ومهما اصابته
بلية من الله تعالى وكان له يقين بان ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه واحبه وشكر الله
تعالى عليه هذا ان كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازى عليه ويجوز ان يغلب الحب بحيث
يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبا
عنده ومطلوبا وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في
نظمهم ونثرهم ولا معنى له الا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فان نظر الى الجمال فما هو الا
جلد على لحم ودم مشحون بالاقذار والاخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة
وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وان نظر الى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة التي تغلط فيما
ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقبيح جميلا فاذا تصور
استيلاء هذا الحب فمن اين يستحيل ذلك في حب الجمال الازلي الابدي الذي لا منتهى لكماله المدرك
بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا يدورها الموت بل يبقى بعد الموت حيا عند الله فرحا برزق الله
تعالى مستفيدا بالموت مزيد تنبه واستكشاف فهذا امر واضح من حيث النظر بعين الاعتبار
ويشهد لذلك الوجود وحكايات احوال المحبين واقوالهم فقد قال شقيق من يرى ثواب الشدة
لا يشتهي المخرج منها وقد قال الجنيد سالت سريا السقطي هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت
وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت
كل شيء بحبه حتى لو احب ان ادخل النار لاحببت دخول النار وقال بشر بن الحارث مررت
برجل في شرقي بغداد وقد ضرب الف سوط في سرقة ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت
له لم ضربت فقال لاني عاشق فقلت له ولم سكت قال لان معشوقي كان بحذائي ينظر الي قلت
ولو نظرت الى المعشوق الاكبر قال فزعق زعقة خر مغشيا عليه ومات وقال يحيى بن معاذ
الرازي اذا نظر اهل الجنة الى الله ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع
اليهم فما ظنك بقلوب وقفت بين جماله وجلاله اذا لاحظت جلاله هابت واذا لاحظت
جماله تاهت وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فاذا انا برجل اعمى مجذوم مجنون قد صرع
والنمل ياكل لحمه فرفعت راسه فوضعته في حجري وانا اردد الكلام فلما افاق قال من هذا الفضولي

الذي يدخل بيني وبين ربي لو قطعني اربا اربا ما ازددت له الا حبا قال بشر فما رايت بعد ذلك
نقمة بين عبد وبين ربه فانكرتها وقيل ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر الى وجه
يوسف عليه السلام كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بالم الجوع بل في القرآن
ما هو ابلغ من ذلك وهو قطع النسوة ايديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما احسسن بالقطع
وقال سعيد بن احمد رايت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شابا وفي يده مدية وهو ينادي
باعلى صوته والناس حوله وهو يقول ۞ يوم الفراق من القيامة اطول ۞ والموت من الم التفرق اجمل
قالوا الرحيل فقلت لست براحل ۞ لكن مهجتي التي ترتحل ۞ ثم بقر بها بطنه وخر ميتا فسالت عن
امره فقيل لي انه كان يهوى فتى لبعض الملوك فحجب عنه يوما واحدا ۞ وروي ان يونس عليه السلام قال
لجبريل عليه السلام دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره
وسمعه وهو يقول الهي متعتني بهما ما شئت انت وسلبتني ما شئت انت وابقيت لي فيك الامل
يا بر يا وصول ۞ ويروى عن عبد الله بن عمر انه اشتكى ابن له فاشتد وجده عليه حتى قال بعض
القوم لقد خشينا على هذا الشيخ ان حدث بهذا الغلام حدث فمات الغلام فخرج ابن عمر في
جنازته وما رجل ابدى سرورا منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر انما كان حزني رحمة له فلما وقع امر الله رضينا
به وقال مسروق كان لرجل بالبادية كلب وحمار وديك فالديك يوقظهم للصلوة والحمار ينقلون
عليه الماء ويحمل لهم خباءهم والكلب يحرسهم فجاء الثعلب واخذ الديك فحزنوا له وكان الرجل
صالحا فقال عسى ان يكون خيرا ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا له فقال الرجل عسى
ان يكون خيرا ثم اصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى ان يكون خيرا ثم اصبحوا ذات يوم فنظروا
فاذا قد سبي من حولهم وبقوا قال وانما اخذوا اولئك لما كان عندهم من اصوات الكلاب والحمير والديكة
وكانت الخيرة لهؤلاء في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله فاذا من عرف خفي لطف الله تعالى رضي
بفعله على كل حال ۞ وروي ان عيسى عليه السلام مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر
لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى عليه السلام
يا هذا اي شيء من البلاء اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل
في قلبي من معرفته فقال له ان صدقت فهات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم
هيئة قد اذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه ۞ وقطع عروة بن الزبير رجله
من ركبته من اكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي اخذ مني واحدة وايمك لئن كنت اخذت
لقد ابقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة ۞ وكان ابن مسعود يقول
الفقر والغنى مطيتان ما ابالي ايتهما ركبت ان كان الفقر فان فيه الصبر وان كان الغنى فان
فيه البذل وقال ابو سليمان الداراني قد نلت من كل مقام حظا الا الرضا فما لي منه الا مشام
الريح وعلى ذلك لو ادخل الخلائق كلهم في الجنة وادخلني النار كنت بذلك راضيا وقيل لعارف
آخر هل نلت غاية الرضا عن الله عز وجل فقال اما الغاية فلا ولكن مقاما من الرضا قد نلته لو جعلني
جسرا على جهنم يعبر علي الخلائق الى الجنة ثم ملا بي جهنم تحلة القسم وبدلا عن خليقته لاحببت

ذلك عن حكمه ورضيت به من قسمه وهذا كلام من علم ان الحب قد استغرق همه حتى منعه الاحساس
بالم النار وان بقي احساس فيغمره ما يحصل له من لذته في استشعار حصول رضا محبوبه بالقائه اياه
في النار واستيلاء مثل هذه الحالة غير محال في نفسها وان كان بعيدا من احوالنا الضعيفة ولكن
ينبغي ان لا يستنكر الضعيف المحروم احوال الاقوياء ويظن ان ما هو عاجز عنه يعجز الاولياء عنه
وقال الروذباري قلت لابي عبد الله بن الجلاء الدمشقي قول فلان وددت ان جسدي قرض
بالمقاريض وان هذا الخلق اطاعوه ما معناه فقال يا هذا ان كان هذا من طريق الاشفاق والنصيحة
للخلق فاعرف وان كان من طريق التعظيم والاجلال فلا اعرف ثم غشي عليه • وكان عمران بن الحصين
استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد وقد نقب له في سرير من جريد
كان عليه موضع لقضاء حاجته ودخل عليه مطرف واخوه العلاء فجعل يبكي لما يرى من حاله
قال لم تبكي فقال لاني اراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فان احبه الى الله تعالى احبه الي ثم
قال احدثك شيئا لعل الله تعالى ان ينفعك به واكتم علي حتى اموت ان الملائكة تزورني فآنس بهم
وتسلم علي فاسمع تسليمها فاعلم بذلك ان هذا البلاء ليس بعقوبة اذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة فمن
يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيا به قال ودخلنا على سويد بن شعبة نعوده فرأينا
ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شيئا حتى كشف لوجهه فقالت له امرأته اهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك
فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف واصبحت نضوا لا اطعم طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر
اياما اربعين او نحوها وما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر • ولما قدم سعد بن ابي وقاص
الى مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس يهرعون كل واحد يسأله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا
وكان مجاب الدعوة قال عبد الله بن السائب فاتيته وانا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال
انت قارئ اهل مكة قلت نعم فذكر قصة قلت في آخرها فقلت له يا عم انت تدعو للناس فلو دعوت
لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال قضاء الله عندي احسن من بصري • وضاع لبعض
الصوفية ولد صغير ثلاثة ايام لم يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله تعالى ان يرده عليك فقال
اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي • وعن بعض العباد انه قال اذنبت ذنبا عظيما
فانا ابكي عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له
وما هو قال قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض لكان احب
الي من ان اقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه وقيل لعبد الواحد بن زيد ههنا رجل قد تعبد خمسين
سنة فقصده فقال له حبيبي اخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل انست به قال لا قال فهل رضيت
عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصوم والصلوة قال نعم قال لولا اني استحيي منك لاخبرتك بان
معاملتك خمسين سنة مدخولة ومعناه لم يفتح باب القلب لك فتترقى الى درجات القرب باعمال
القلوب وانما انت تعد في طبقات اصحاب اليمين لان مزيدك منه في اعمال الجوارح التي هي مزيد اهل العموم
ودخل جماعة من الناس على الشبلي في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال
من انتم فقالوا محبوك فاقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال لهم ما بالكم ادعيتم محبتي ان

صدقتم فاصبروا على بلائي • وللشبلي • ان المحبة للرحمن اسكرني • وهل رايت محبا غير سكران •
وقال بعض عباد اهل الشام كلكم يلقى الله عز وجل وقد كذبه وذلك ان احدكم لو كان له اصبع
من ذهب لظل يشير بها ولو كان بها شلل لظل يواريها يريد بذلك ان الذهب مذموم عند الله و
الناس يتفاخرون بها والبلاء زينة اهل الآخرة والناس يستنكفون منه • واحترق السوق
ببغداد فقيل للسري احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله
على سلامتي دون المسلمين فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد لله
فاذا تاملت هذه الحكايات عرفت قطعا ان الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلا بل هو مقام
عظيم من مقامات اهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حب
الله تعالى وحظوظ الآخرة قطعا وامكانه من وجهين احدهما الرضا بالالم لما يتوقع من الثواب الموعود
كالرضا بالحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء والثاني الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب
ورضا له فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب فيكون الذ الاشياء عنده سرور
قلب محبوبه ورضاه ونفوذ ارادته ولو في هلاك روحه كما قيل • فما لجرح اذا ارضاكم الم • و
هذا ممكن مع الاحساس بالالم وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن ادراك الالم فالقياس والتجربة و
المشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي ان ينكره من فقده من نفسه لانه انما فقده لفقد سببه وهو فرط
حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين عجائب اعظم مما وصفناه • وقد روي عن عمرو بن
الحرث الرافقي قال كنت في مجلس بالرقة عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية وكانت معنا
في المجلس فضربت بالقضيب وغنت • علامة ذل الهوى • على العاشقين البكا • ولا سيما عاشق
اذا لم يجد مشتكى • فقال لها الفتى احسنت والله يا سيدتي • افتاذنين لي ان اموت فقالت
مت راشدا قال فوضع راسه على الوسادة واطبق فمه وغمض عينيه فحركناه فاذا هو ميت و
قال الجنيد رايت رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع اليه ويظهر له المحبة فالتفت اليه الصبي وقال
الى متى هذا النفاق الذي تظهر فقال قد علمت اني صادق فيما اورده حتى لو قلت لي مت لمت فقال
ان كنت صادقا فمت قال فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا وقال سمنون المحب كان
في جيراننا رجل له جارية يحبها غاية المحبة فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيسا فبينا هو
يحرك ما في القدر اذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل الرجل يحرك
باصابعه ما في القدر حتى تساقطت اصابعه فقالت له الجارية ما هذا فقال الرجل هذا موضع
قولك آه وقال محمد بن عبد الله البغدادي رايت بالبصرة شابا على سطح مرتفع وقد اشرف على
الناس وهو يقول من مات عاشقا فليمت هكذا • لا خير في عشق بلا موت • ثم القى نفسه الى
الارض فحملوه ميتا فهذا وامثاله قد يصدق به في حب المخلوقين والتصديق به في حب الخالق
اولى لان البصيرة الباطنة اصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربوبية اوفى من كل جمال
بل كل جمال فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور والذي فقد
السمع ينكر لذة الالحان والنغمات الموزونة فالذي فقد القلب لا بد وان ينكر ايضا هذه اللذات

التي لا مظنة لها سوى القلب **بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا ولا مخرج صاحبه عن مقام الرضا** وكذلك كراهة المعاصي ومقت اهلها ومقت اسبابها والسعي في ازالتها بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه ايضا وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين وزعموا ان المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله تع وقدره فيجب الرضا بها وهذا جهل بالتاويل وغفلة عن اسرار الشرع فاما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام على ما نقلناه في كتاب الدعوات يدل عليه ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعلى مقامات الرضا وقد اثنى الله تع على بعض عباده بقوله ويدعوننا رغبا ورهبا واما انكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله به عباده وذمهم على الرضا بها فقال تع ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وقال تع رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم وفي الخبر المشهور من شهد منكرا ورضي به فكانه قد فعله وفي الحديث الدال على الخير كفاعله وعن ابن مسعود ان العبد ليغيب عن المنكر وعليه وزر صاحبه قيل وكيف ذلك فقال يبلغه فيرضى به وفي الخبر لو ان عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر في المغرب كان شريكه في قتله وقد امر الله تع بالمنافسة في الخيرات والتوقي من الشرور فقال تع وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها في الناس ويعلمها ورجل آتاه الله تع مالا فسلطه على هلكته في الحق وفي لفظ آخر ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار فيقول الرجل لو آتاني الله مثل ما آتى هذا لفعلت مثل ما يفعل واما بغض الكفار والفجار والانكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والاخبار لا يحصى مثل قوله تع لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء من دون المومنين وقال تع وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وفي الخبر ان الله تع اخذ الميثاق على كل مومن ان يبغض كل منافق وعلى كل منافق ان يبغض كل مومن وقال ايضا المرء مع من احب وقال من احب قوما ووالاهم حشر معهم يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله وشواهد هذا قد ذكرناه في كتاب آداب الصحبة في باب الحب في الله تع والبغض في الله تع وفي كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا نعيده **فان قلت** فقد وردت الآيات والاخبار بالرضا بقضاء الله تع فان كانت المعاصي بغير قضاء الله تع فهو محال وهو قادح في التوحيد وان كانت بقضاء الله تع فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تع فكيف السبيل الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد **فاعلم** ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس ذلك على قوم حتى راوا السكوت على المنكرات مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل نقول الرضا والكراهة يتضادان اذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد وليس من التضاد في شيء واحد ان يكره من وجه ويرضى من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو ايضا عدو بعض اعدائك وساع في اهلاكك واهلاك عدوك فتكره موته من حيث انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تع من حيث انه فعله واختياره وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليما

للملك الى مالك الملك ورضي بما يفعله فيه ووجه الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله وبغيضا عنده حيث سلط عليه اسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ولا ينكشف لك هذا الا بمثال فلنفرض محبوبا من الخلق قال بين يدي محبيه اني اريد ان اميز بين من يحبني ومن يبغضني وانصب فيه معيارا صادقا وميزانا ناطقا وهو اني اقصد الى فلان فاوذيه واضربه ضربا يضطره ذلك الى الشتم لي حتى اذا شتمني ابغضته واتخذته عدوا فكل من احبه فاعلم ايضا انه عدوي وكل من ابغضه فاعلم انه صديقي ومحبي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة فحق على كل من هو صادق في محبته وعالم بشروط المحبة ان يقول اما تدبيرك في ايذاء هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضك اياه للبغض والعداوة فانا محب له وراض به فانه رايك وتدبيرك وفعلك وارادتك واما شتمه اياك فانه عدوان من جهته اذ كان حقه ان يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث انه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذي دبرته فانا راض به ولو لم يحصل لكان ذلك نقصانا في تدبيرك وتعويقا عن مرادك وانا كاره لفوات مرادك ولكنه من حيث انه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك اذ كان ذلك يقتضي ان يحتمل منك الضرب ولا يقابله بالشتم فانا كاره له من حيث نسبته اليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك واما بغضك له بسبب شتمك فانا راض به ومحب له لانه مرادك وانا على موافقتك ايضا مبغض له لان شرط المحب ان يكون حبيب المحبوب حبيبا وعدوه عدوا واما بغضه لك فاني ارضاه من حيث انك اردت ان يبغضك اذ ابعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني ابغضه من حيث انه وصف ذلك المبغض وفعله وكسبه وامقته لذلك فهو ممقوت عندي لمقتك اياه وبغضك ومقته لك ايضا مكروه عندي من حيث انه وصف له وكل ذلك من حيث انه مرادك فهو مرضي عندي وانما التناقض ان يقول هو من حيث انه مرادك مرضي ومن حيث انه مرادك مكروه فاما اذا كان مكروها لا من حيث انه فعله ومراده بل من حيث انه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظاير ذلك لا تحصى فاذن تسليط الله تع دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك الى حب المعصية ويجره الحب الى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلا ليجره الضرب الى الغضب والغضب الى الشتم ومقت الله لمن عصاه وان كان معصيته بتدبيره يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وان كان شتمه انما حصل بتدبيره واختياره لاسبابه وفعل الله ذلك بكل عبد من عبيده اعني تسليط دواعي المعصية عليه يدل على انه سبقت مشيته بابعاده ومقته فواجب على كل عبد محب لله تع ان يبغض من ابغضه تع ويمقت من مقته ويعادي من ابعده عن حضرته وان اضطره بقهره وقدرته الى معاداته ومخالفته فانه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة وان كان بعيدا بابعاده قهرا ومطرودا بطرده اضطرارا والمبعد عن درجات القرب ينبغي ان يكون مقيتا بغيضا الى الجميع

المحبين موافقة للمحبوب باظهار الغضب على من اظهر المحبوب الغضب عليه بابعاده وبهذا يتقرر جميع ما وردت الاخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تع من حيث انه قضاء الله تع وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في افشائه وهو ان الشر والخير كليهما داخلان في المشية والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به فمن قال ليس الشر من الله تعالى فهو جاهل وكذا من قال انهما جميعا من الله من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو ايضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير مأذون فيه فالاولى السكوت والتادب بادب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم القدر سر الله فلا تفشوه وذلك يتعلق بعلم المكاشفة وغرضنا الآن بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضى بقضاء الله تع ومقت المعاصي مع انها من قضاء الله تع وقد ظهر الغرض من غير حاجة الى كشف السر فيه وبهذا يعرف ايضا ان الدعاء للمغفرة والعصمة من المعاصي وساير الاسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تع فان الله تع تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف كما ان حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله في العطش وشرب الماء طلبا لازالة العطش ومباشرة سبب رتبه مسبب الاسباب فكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وامر به وقد ذكرنا ان التمسك بالاسباب جريا على سنة الله تع لا يناقض التوكل واستقصيناه في كتاب التوكل فهو ايضا لا يناقض الرضا لان الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم اظهار البلاء في معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله تع مناقض للرضا واظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تع لا يناقض وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله تع ان لا تقول هذا يوم حار اي في معرض الشكاية وذلك في الصيف فاما في الشتاء فهو شكر والشكوى مناقض للرضا بكل حال وذم الاطعمة وعيبها يناقض الرضا لان مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل من صنع الله تع وقول القايل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قادح في الرضا بل ينبغي ان يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ما قاله عمر رضي الله عنه لا ابالي اصبحت فقيرا او غنيا فاني لا ادري ايهما خير لي

بيان ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا ولا يناقضه

اعلم ان الضعيف قد يظن ان نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون يدل على النهي عن الخروج من بلد يظهر فيه المعاصي لان كل واحد منهما فرار من قضاء الله تع وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الاصحاء وبقي فيه المطعونون مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزالا وضرا ولذلك شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار بالفرار من الزحف ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما اذن لمن قارب البلد في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل اذا عرفت المعنى ظهر ان الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فرارا من القضاء بل القضاء الفرار مما لا بد من الفرار منه وكذلك

مذمة

مذمة المواضع التي تدعو الى المعاصي والاسباب التي تدعو اليها لاجل التنفير عن المعصية ليس مذموما فما زال السلف الصالحون والائمة الماضون يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد واظهارهم ذلك وطلب الفرار منها فقال ابن المبارك قد طفت الشرق والغرب فما رايت بلدا اشر من بغداد قيل وكيف قال هي بلدة يزدرى فيها نعمة الله ويستصغر فيها معصية الله فلما قدم خراسان قيل له كيف رايت بغداد فقال ما رايت بها الا شرطيا غضبانا او تاجرا لهفانا او قاريا حيرانا ولا ينبغي ان تظن ان ذلك من الغيبة لانه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به وانما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج الى مكة وكان مقامه ببغداد يترصد استعداد القافلة ستة عشر يوما ونحوها فكان يتصدق فيها بستة عشر دينارا لكل يوم دينار كفارة لمقامه وذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الاحبار وقال ابن عمر لمولى له اين تسكن فقال العراق قال له فما تصنع هناك بلغني انه ما من احد يسكن العراق الا قيض له قرين من البلاء وذكر كعب الاحبار يوما العراق فقال فيه تسعة اعشار الشر وفيه الداء العضال وقد قيل قسم الخير عشرة اجزاء فتسعة اعشاره بالشام وعشره بالعراق وقسم الشر بالعكس منه وقال بعض اصحاب الحديث كنا يوما عند الفضيل فجاءه صوفي متدرع بعباءة فاجلسه الى جانبه واقبل عليه ثم قال له اين تسكن فقال بغداد فاعرض عنه وقال يأتينا احدهم في زي الرهبان فاذا سألناه اين تسكن قال في عش الظلمة وكان بشر بن الحارث يقول مثل المتعبد ببغداد مثل المتعبد في الحش وكان يقول لا تقتدوا بي في المقام بها من اراد ان يخرج فليخرج وكان احمد بن حنبل رضي الله عنه يقول لولا تعلق هولاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر في نفسي قيل له واين تختار السكنى قال بالثغور وقال بعضهم وقد سئل عن اهل بغداد زاهدهم زاهد وشريرهم شرير فهذا يدل على انه من بلي ببلدة تكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها بل ينبغي ان يهاجر عنها الى غيرها من البلاد قال الله تع الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فان منعه عن ذلك عيال او علاقة فلا ينبغي ان يكون راضيا بحاله مطمئن النفس اليه بل ينبغي ان يكون منزعج القلب عنها قائلا على الدوام ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها وذلك لان الظلم اذا عم نزل البلاء ودمر على الجميع وشمل المطيعين والعاصين وقال الله تع واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فاذن ليس في شيء من اسباب نقصان الدين البتة رضا مطلقا الا من حيث اضافتها الى فعل الله فاما هي في نفسها فلا وجه للرضا بها بحال وقد اختلف العلماء في الافضل من اهل مقامات ثلاث رجل يحب الموت شوقا الى لقاء الله تع ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا بل ارضى بما اختاره الله لي فرفعت هذه المسئلة الى بعض العارفين فقال صاحب الرضا افضلهم لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد والثوري ويوسف بن اسباط فقال الثوري كنت اكره ان اموت موت الفجاة قبل اليوم واليوم فوددت اني مت فقال له يوسف لم قال لما اتخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا اكره طول البقاء فقال سفين لم قال لعلي اصادف يوما اتوب فيه و

أعمل صالحا فقيل لوهيب ايش تقول انت فقال انا لا اختار شيا احب ذلك الي احبه الي الله تع
فقبل الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة **بيان جملة من حكايات المحبين**
واقوالهم ومكاشفاتهم قيل لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب وقيل له ايضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال انا كل السبعة وكان يقول اذا رايتموني
فقد رايتم اربعين بدلا قيل وكيف وانت شخص واحد قال لاني رايت اربعين بدلا واخذت
من كل بدل خلقا من اخلاقه وقيل له بلغنا انك ترى الخضر عليه السلم فتبسم وقال ليس
العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحتجب عنه ويحكى عن الخضر عليه السلم
انه قال ما حدثت نفسي يوما قط انه لم يبق ولي لله تع الا عرفته الا ورايت في ذلك اليوم وليا لم اعرفه
وقيل لابي يزيد البسطامي حدثنا عن مشاهدتك من الله تع فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان
تعلموا ذلك قيل له فحدثنا باشد مجاهدتك لنفسك في الله تع فقال وهذا ايضا لا يجوز ان اطلعكم
عليه قيل له فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي الى الله تع فجمحت علي
فعزمت عليها ان لا اشرب الماء سنة ولا اذوق النوم سنة فوفت لي بذلك ، ويحكى عن يحيى
بن معين انه راى ابا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلوة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على
صدور قدميه رافعا اخمصيه مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه
لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فاطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي
على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك قال الحق عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات
الاولياء ثم التفت فرآني فقال يا يحيى فقلت نعم يا سيدي قال مذ متى انت هاهنا قلت مذ حين فسكت فقلت
يا سيدي حدثني بشي فقال احدثك بما يصلح لك ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت السفلي
واراني الارضين وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الفلك العلوي فطوف بي السموات واراني ما فيها
من الجنان الى العرش ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شي رايت حتى اهبه لك فقلت يا سيدي
ما رايت شيا استحسنه فاسالك اياه فقال انت عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن
بك ولافعلن فذكر اشياء قال يحيى فهالني ذلك وامتلات به وعجبت منه فقلت يا
سيدي لم لم تساله المعرفة به وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شيت قال فصاح بي صيحة
وقال اسكت ويلك غيرة عليه مني لا احب ان يعرفه سواه ، ويحكى ان ابا تراب النخشبي
كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته وتواجده فقال
له ابو تراب يوما لو رايت ابا يزيد فقال المريد اني مشغول عنه فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله
لو رايت ابا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما اصنع بابي يزيد قد رايت الله تع فاغناني
عن ابي يزيد قال ابو تراب فهاج طبعي ولم املك نفسي فقلت ويلك تغتر بالله تع لو رايت
ابا يزيد مرة واحدة كان انفع لك من ان ترى الله سبعين مرة قال فبهت الفتى من قولي
وانكره فقال وكيف ذلك قال فقلت له ويلك اما ترى الله عز وجل عندك فيظهر لك على
مقدارك وترى ابا يزيد عند الله فقد ظهر له على مقداره فعرف ما قلت فقال احملني اليه فذكر

قصة قال في آخرها فوقفنا على تل ننتظره ليخرج علينا من الغيضة وكان ياوي الى
غيضة فيها سباع قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا ابو يزيد فانظر
اليه فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت فتعاونا على دفنه فقلت لابي يزيد
يا سيدي نظره اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبك صادقا واستكن في قلبه سر لم
ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه في مقام ضعفاء
المريدين فقتله ذلك ، ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل
اخوانه فقالوا لو سالت الله تع دفعهم فسكت ثم قال لله عباد في هذه البلدة لو دعوا على
الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الا مات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل لم قال
لانهم لا يحبون ما لا يحب الله تع ثم ذكر من اجابة الله تع اشياء لا يستطاع ذكرها حتى قال لو سالوه
ان لا يقيم الساعة لم يقمها وهذه امور ممكنة في نفسها فمن لم يحظ بشي منها فلا ينبغي ان يخلو
عن التصديق والايمان بامكانها فان القدرة واسعة والفضل عظيم وعجائب الملك والملكوت
كثيرة ومقدورات الله تع لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ولذلك
كان ابو يزيد يقول ان اعطاك مناجاة موسى عليه السلام وروحانية عيسى عليه السلم وخلة
ابرهيم عليه السلم فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك اضعافا مضاعفة فان سكنت الى
ذلك حجبك به وهذا بلاء مثلهم ومن هو في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل وقد
قال بعض العارفين كوشفت باربعين حوراء رايتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب
من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما
ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال وقيل لي انظر اليهن قال فسجدت
وغمضت عيني في سجودي لئلا انظر وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا فلم
ازل اتضرع حتى صرفهن عني فامثال هذه المكاشفات لا ينبغي ان ينكرها المومن لافلاسه
عن مثلها فلو لم يومن كل واحد الا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال
الايمان عليه بل هذه احوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة ادناها الاخلاص
واخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الاعمال ظاهرا وباطنا ثم مكاتمة ذلك على الخلق
بستر الحال حتى يبقى متحصنا بحصن الخمول فهذه اوائل سلوكهم واقل مقاماتهم وهي اعز موجود في
الاتقياء من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورات الالتفات الى الخلق يفيض عليه نور اليقين
وينكشف له مبادي الحق وانكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجري مجرى انكار من انكر
امكان انكشاف الصور في الحديد اذا شكلت ونقيت وصقلت وصورت بصورة المرآة
فنظر المنكر الى ما في يده من زبرة حديد مظلمة قد استولى عليها الصدا والخبث وهي لا تحكي صورة
من الصور فانكر امكان انكشاف المرئي عند ظهور جوهرها وانكار ذلك غاية الجهل والضلال فهذا
حكم كل من انكر كرامات الاولياء ولا مستند له الا قصوره عن ذلك وقصور من رآه وبيس المستند ذلك
في انكار قدرة الله تع بل انما يشم روائح المكاشفة من سلك شيا ولو من مبادي الطريق كما قيل لبشر

بأي شيء بلغت هذه المنزلة فقال كنت أكابر الله تعالى حالي معناه أسأله أن يكتم علي ويخفي أمري، وروي أنه رأى الخضر عليه السلام فقال له ادع الله تعالى لي قال يسّر الله عليك طاعته فقلت زدني فقال وسترها عليك فقيل ومعناه سترها عن الخلق وقيل سترها عنك حتى لا تلتفت أنت إليها، وعن بعضهم أنه قال أقلقني الشوق إلى الخضر عليه السلام فسألت الله تعالى مرة أن يريني إياه ليعلمني شيئاً كان أهم الأشياء علي قال فرأيته فما غلب على همي ولا همتي إلا أن قلت له يا أبا العباس علمني شيئاً إذا قلته حجبت في قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولم يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم أسبل علي كثيف سترك وحط علي سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني في قلوب خلقك قال ثم غاب فلم أره ولم أشتق إليه بعد ذلك فما تركت أن أقول هذه الكلمات في كل يوم فحكي أنه صار بحيث كان يستذل ويمتهن حتى كان أهل الذمة يسخرون منه ويستسخرونه في الطرق بحمل الأشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يولعون به فكانت راحته ووجود قلبه واستقامة حاله في ذله وخموله فهكذا حال أولياء الله تعالى ففي أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا والمغرورون إنما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيرة الله تعالى على أوليائه تأبى إلا إخفاءهم كما قال تعالى أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري وقال صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وبالجملة فأبعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بأنفسها المستبشرة بعلمها وعملها وأقرب القلوب إليها المنكسرة المستشعرة ذل أنفسها استشعاراً إذا أذل أحدهم واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه فإذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضاً بعدم التفاته إلى الذل بل كان عند نفسه أخس منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذلاً في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته فمثل هذا القلب يرجى له أن يستنشق مبادئ هذه الروائح فإن فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذا الروح فلا ينبغي أن نطرح الإيمان بإمكان ذلك لأهله فمن لا يقدر أن يكون من أولياء الله تعالى فليكن محباً للأولياء الله مؤمناً بهم فعسى أن يحشر مع من أحب ويشهد لهذا ما روي أن عيسى عليه السلام قال لبني إسرائيل أين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق أقول لكم لا تنبت الحكمة إلا في قلب مثل التراب ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى في طلبه وشرطها بإذلال النفس إلى منتهى الضعة والخسة حتى روي عن أستاذ الجنيد وهو ابن الكريبي أن رجلاً دعاه ثلاث مرات إلى الطعام ثم كان يرده ثم يستدعيه ويرجع إليه بعد ذلك حتى أدخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبت وعنه أيضاً أنه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فنشّت قلبي فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت أمشي قليلاً قليلاً حتى رأوا ثار الثياب من تحت المرقعة فنزعوا المرقعة واسترجعوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضرباً فصرت بعد ذلك أعرف

بلص الحمام فسكنت نفسي فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله تعالى من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس فإن الملتفت إلى النفس محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله تعالى حجاب بعد وتخلل حائل وإنما بعد القلوب شغلها بغيره أو بنفسها فأعظم الحجب شغل النفس ولذلك حكي أن شاهداً عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد فقال له يوماً يا أبا يزيد أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئاً وأنا أصدق به وأحبه فقال له أبو يزيد إن صمت ثلاثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لأنك محجوب بنفسك قال أفلهذا دواء قال نعم قال قل لي حتى أعمله قال لا تقبله قال فاذكره لي حتى أعمل قال اذهب الساعة إلى المزين فاحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزاً واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعة أعطيته جوزة فادخل السوق وطف الأسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك قال وكيف قال لأنك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال هذا لا أفعله ولكن دلني على غيره فقال له ابتدئ بهذا قبل كل شيء فقال لا أطيقه قال قد قلت لك إنك لا تقبل فهذا الذي ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتل بنظره إلى نفسه ومرض بنظر الناس إليه ولا ينجي عن هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغي أن ينكر إمكان الشفاء في حق من داوى نفسه بهذا الدواء بعد المرض أو لم يمرض بمثل هذا المرض أصلاً فأقل درجات الصحة الإيمان بإمكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل أيضاً وهذه أمور جلية في الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من علماء الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرة الشيء وحتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر أمر الآخرة على أمر الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لا يكمل إيمان العبد حتى يكون فيه ثلاث خصال من إذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل وإذا قدر لم يتناول ما ليس له وفي خبر آخر من أوتيهن فقد أوتي مثل ما أوتي آل داود العدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وخشية الله في السر والعلانية فهذه شروط ذكرها صلى الله عليه وسلم لأهل الإيمان فالعجب ممن يدعي علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله أن يجحد ما لا يكون إلا بعد مجاوزة مقامات عظيمة وراء الإيمان وفي الأخبار أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه إنما أتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له غيري ولا يؤثر علي شيئاً من خلقي وإن أحرق بالنار لم يجد لحراق النار وجعاً وإن قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد ألماً فمن لم يبلغه الحب إلى هذا الحد فمن أين يعرف ما وراء الحب من الكرامات

والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الايمان ومقامات الايمان وتفاوته في الزيادة والنقصان لا حصر لها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للصديق رضي الله عنه ان الله قد اعطاك مثل ايمان كل من آمن بي من امتي واعطاني مثل ايمان كل من آمن به من ولد آدم عليه السلم وفي خبر آخر عنه صلى الله عليه وسلم ان لله تع ثلثماية خلق فمن لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله هل فيّ خلق منها فقال صلى الله عليه وسلم كلها فيك يا ابا بكر واحبها الى الله تع السخاء وقال صلى الله عليه وسلم رايت ميزانا دلي من السماء فوضعت في كفة ووضعت امتي في كفة فرجحت بهم ووضع ابو بكر في كفة وجي بامتي فوضعت في كفة فرجح بهم ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تع بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعني نفسه صلى الله عليه وسلم

خاتمة الكتاب في كلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها

قال سفين المحبة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وقال غيره ايثار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله اشارة الى ثمرات المحبة فاما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب تعجز القلوب عن ادراكه وتمتنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله تع المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وقال ذو النون قل لمن اظهر حب الله تع احذر ان تذل لغير الله و قيل للشبلي صف لنا العارف والمحب فقال العارف ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك وقال الشبلي

يا ايها السيد الكريم ، حبك بين الحشا مقيم ، يا رافع النوم عن جفوني ، انت بما حل بي عليم ،

ولغيره

عجبت لمن يقول ذكرت ربي ، وهل انسى فاذكر ما نسيت
اموت اذا ذكرتك ثم احيي ، ولولا حسن ظني ما حييت ،
فاحيي بالمنى واموت شوقا ، فكم احيي عليك وكم اموت
شربت الحب كاسا بعد كاس ، فما نفد الشراب وما رويت ،
فليت خياله نصب لعيني ، فان قصرت في نظري عميت

وقالت رابعة يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت خادمتها لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلاء اوحى الله تع الى عيسى عليه السلم اني اذا اطلعت على سر عبدي فلم اجد فيه حب الدنيا والآخرة ملاته من حبي وتوليته بحفظي وقيل تكلم سمنون يوما في المحبة فاذا بطاير نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الارض حتى سال منه الدم فمات وقال ابرهيم بن ادهم الهي انك تعلم ان الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما اكرمتني من محبتك وآنستني من ذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك وقال السري من احب الله تع عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يروح ويغدو في لاش وقيل لرابعة كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم فقالت اني والله لاحبه حبا شديدا ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين وسئل عيسى عليه السلم عن افضل الاعمال فقال الرضا عن الله تع والحب له وقال ابو يزيد المحب لا يحب الدنيا ولا الآخرة انما يحب من مولاه مولاه وقال الشبلي الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم وقيل المحبة ان تمحو اثرك عنك حتى لا يبقى فيك شيء راجع منك اليك وقيل المحبة قرب القلب من المحبوب

بالاستبشار والفرح وقال الخواص المحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات وسئل سهل عن المحبة فقال عطف الله تع بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه وقيل معاملة المحب على اربع منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وافضلها التعظيم والمحبة لان هاتين المنزلتين تبقيان في الجنة مع اهل الجنة ويرفع عنهم غيرها وقال هرم بن حيان المومن اذا عرف ربه عز وجل احبه واذا احبه اقبل عليه واذا وجد حلاوة الاقبال عليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة و قال عبد الله بن محمد سمعت امراة من المتعبدات تقول وهي باكية والدموع على خديها جارية والله لقد سئمت من الحيوة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقا الى الله تع وحبا للقائه قال فقلت لها فعلى ثقة انت من عملك قال لا ولكني لحبه وحسن ظني به افتراه يعذبني وانا احبه ، واوحى الله تع الى داود عليه السلم لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم عن محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين علي يا داود احوج ما يكون العبد الي اذا استغنى عني وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون عبدي اذا رجع الي وقال ابو خلف الصفار لقي نبي من الانبياء عابدا فقال له انكم معاشر العباد تعملون على امر لسنا معاشر الانبياء نعمل عليه انتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة و الشوق وقال الشبلي اوحى الله تع الى داود ذكري للذاكرين وجنتي للمطيعين وزيارتي للمشتاقين وانا خاصة للمحبين ، واوحى الله تع الى آدم عليه السلم يا آدم من احب حبيبا صدق قوله ومن انس بحبيبه رضي فعله ومن اشتاق اليه جد في مسيره ، وكان الخواص يضرب على صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا اراه وقال الجنيد بكى يونس عليه السلم حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى حتى اقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته اليك شوقا مني اليك ، وعن علي رضي الله عنه انه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والفقر فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة وقال ذو النون سبحان من جعل الارواح جنودا مجندة فارواح العارفين جلالية قدسية فلذلك اشتاقوا الى الله تع وارواح المومنين روحانية فلذلك حنوا الى الجنة و ارواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا الى الدنيا وقال بعض المشايخ رايت في جبل لكام رجلا اسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر الى حجر ويقول الشوق والهوى صيراني كما ترى ويقال الشوق نار الله تع اشعلها في قلوب اوليايه حتى تحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فهذا القدر كاف في شرح المحبة والانس والشوق والرضا فلنقتصر عليه والسلام ، تم كتاب المحبة والشوق والرضا والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله

كتاب النية والاخلاص والصدق
وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين
الحمد لله حمد الشاكرين ونؤمن به ايمان الموقنين ونقر بوحدانيته اقرار الصادقين
ونشهد ان لا اله الا هو رب العالمين وخالق السموات والارضين ومكلف الجن والانس والملائكة
المقربين ان تعبدوه عبادة المخلصين فقال تع وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
فما لله الا الدين الخالص المتين فانه اغنى الاغنياء عن شركة المشاركين والصلوة على نبيه محمد
سيد المرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين **اما بعد**
فقد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وانوار القرآن ان لا وصول الى السعادة الا
بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون
كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم والعمل بغير نية عناء والنية بغير اخلاص رياء
وهو للنفاق كفاء ومع العصيان سواء والاخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال
الله تع في كل عمل كان بارادة غير الله مشوبا مغمورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية او كيف يخلص من
صحح النية اذا لم يعرف حقيقة الاخلاص وكيف يطالب المخلص نفسه بالصدق اذا لم يتحقق
معناه فالوظيفة الاولى على كل عبد اراد طاعة الله تع ان يتعلم النية لتحصيل المعرفة ثم يصححها
بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والاخلاص اللذان هما وسيلتا العبد الى النجاة والخلاص ونحن
نذكر معاني النية والصدق والاخلاص في ثلثة ابواب الباب الاول في حقيقة النية ومعناها
الباب الثاني في الاخلاص وحقايقه الباب الثالث في الصدق وحقيقته

الباب الاول في النية
وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون
النية خيرا من العمل وبيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية وبيان خروج النية عن الاختيار

بيان فضيلة النية قال الله تع ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
والمراد بتلك الارادة هي النية وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى انما
فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة
يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وقال صلى الله عليه وسلم اكثر شهداء امتي اصحاب الفرش ورب
قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته وقال الله تع ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية
سبب التوفيق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تع لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى
قلوبكم واعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل
اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تع فيقول القوا هذه الصحيفة
فانه لم يرد بها وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا واكتبوا له كذا فيقولون يا ربنا انه لم
يعمل شيئا من ذلك فيقول عز وجل انه نواه انه نواه وقال صلى الله عليه وسلم الناس اربعة رجل آتاه

الله تع

الله تع مالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو آتاني الله تع ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر
سواء ورجل آتاه الله تع مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله
مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الوزر سواء الا ترى كيف شركه في النية في محاسن عمله و
مساويه وكذلك في حديث انس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال ان بالمدينة
اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة
الا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حبسهم العذر فشاركونا بحسن النية وفي حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي
شيئا فهو له فهاجر رجل وتزوج امراة منا فكان يسمى مهاجر ام قيس وكذلك جاء في الخبر ان
رجلا قتل في سبيل الله فكان يدعى قتيل الحمار لانه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره فقتل على
ذلك فاضيف الى نيته وفي حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غزا وهو لا ينوي
الا عقالا فله ما نوى وقال ابي استعنت رجلا يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا
فجعلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته الا ما جعلت
له وروي في الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل وبالناس مجاعة فقال في نفسه
لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تع الى نبيهم ان قل له ان الله قد قبل صدقتك
وقد شكر حسن نيتك واعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وقد ورد في اخبار كثيرة
من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وفي حديث عبد الله بن عمر من كانت الدنيا
نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها ارغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله
غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها ازهد ما يكون فيها وفي حديث ام سلمة ان
النبي صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره
والاجير فقال يحشرون على نياتهم وقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات وقال عليه السلم اذا التقى الصفان نزلت الملائكة
تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية الا فلا
تقولوا فلان قتل في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وعن جابر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر كل عبد على ما مات عليه وفي حديث الاحنف عن ابي
بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل تل
فما بال المقتول فقال لانه اراد قتل صاحبه وفي حديث ابي هريرة من تزوج امراة على
صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال
صلى الله عليه وسلم من تطيب لله تع جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله
جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة واما الآثار فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه افضل الاعمال
اداء ما افترض الله تع والورع عما حرم الله تع وصدق النية فيما عند الله تع وكتب سالم بن عبد الله
الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان عون الله تع للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان نقصت

نقص بقدره وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره
النية وقال داود الطائي البر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته
يوما الى نيته الصالحة وكذلك الفاجر بعكس ذلك وقال الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما
يتعلمون العمل فقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فانت بخير
وكان بعض المريدين يطوف على العلماء رضي الله عنهم ويقول من يدلني على عمل لا ازال فيه عاملا
لله تع فاني لا احب ان تاتي علي ساعة من ليل ونهار الا وانا عامل من عمال الله تع فقيل له فقد
وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت او تركته فهم بعمله فان الهام بعمل
الخير كعامله وكذلك قال بعض السلف ان نعمة الله عليكم اكثر من ان تحصوها وان ذنوبكم اخفى
من ان تعلموها ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلكم وقال عيسى عليه السلم
طوبى لعين نامت ولا تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم وقال ابو هريرة يبعثون يوم القيمة على
قدر نياتهم وكان الفضيل بن عياض اذا قرا ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم
يبكي ويرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وقال الحسن انما خلد اهل الجنة
في الجنة واهل النار في النار بالنيات وقال ابو هريرة مكتوب في التورية يقول الله ما اريد به وجهي
فقليله كثير وما اريد به غير وجهي فكثيره قليل وقال بلال بن سعد ان العبد ليقول قول مومن
فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله فاذا عمل فلا يدعه حتى ينظر في ورعه فان تورع فلا يدعه
حتى ينظر فيما ذا نوى فان صلحت النية فبالحري ان يصلح ما دون ذلك فاذن عماد الاعمال النيات
فالعمل مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية في نفسها خير وان تعذر العمل بعايق **بيان**
حقيقة النية اعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهي حالة وصفة
للقلب يكتنفها امران علم وعمل العلم يتقدمها لانه اصلها وشرطها والعمل يتبعها لانه ثمرتها وفرعها وذلك
لان كل عمل اعني كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم الا بثلثة امور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان
ما لا يعلمه فلا بد ان يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من الارادة ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا
للغرض اما في الحال او في المال فقد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور ويلايم غرضه ويخالفه بعض
الامور فاحتاج الى جلب الموافق الملايم الى نفسه ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر بالضرورة الى
معرفة وادراك للشيء المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا
يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها اسبابا
وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو ابصر الغذاء وعرف انه موافق له فلا يكفيه
ذلك للتناول ما لم يكن له ميل اليه ورغبة فيه وشهوة باعثة عليه اذ المريض يرى الغذاء ويعلم انه
موافق له ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل ولفقد الداعية المحركة اليه فخلق الله تع له الميل
والرغبة والارادة واعني به نزوعا في نفسه اليه وتوجها في قلبه نحوه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما
راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضاء المتحركة حتى يتم به التناول
والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة والظن

والاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه كون الشيء موافقا له فاذا جزمت المعرفة بان الشيء موافق
له ولا بد ان يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل
فاذا انبعثت الارادة انتهضت القدرة لتحريك الاعضاء فالقدرة خادمة للارادة والارادة تابعة
لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة
والميل الى ما هو موافق للغرض اما في الحال واما في المال فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث
والغرض الباعث هو المقصود المنوي والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الارادة
بتحريك الاعضاء هو العمل الا ان انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا
في فعل واحد واذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد منهما بحيث لو انفرد لكان مليا بانهاض
القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع وقد يكون احدهما كافيا لولا الآخر لكن الآخر
انتهض عاضدا له ومعاونا فيخرج عن هذا التقسيم اربعة اقسام فلنذكر لكل واحد منها مثالا واسما
اما الاول فهو ان ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما اذا هجم على الانسان سبع فكما رآه قام
من موضعه فلا مزعج له الا غرض الهرب من السبع فانه راى السبع وعرفه ضارا فانبعثت نفسه
الى الهرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث فيقال نيته الفرار من السبع
نيته له في القيام غيره وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض الباعث
ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره وممازجته واما الثاني فهو ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل
بالانهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس ان يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من
القوة كانت كافية في الحمل لو انفردت به ومثاله في غرضنا ان يساله قريبه الفقير حاجة فيقضيها
لفقره ولقرابته وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة وانه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد
الفقر وعلم ذلك من نفسه بان يحضره قريب غني فيرغب في قضاء حاجته وفقير اجنبي فيرغب ايضا
فيه وكذلك من امره الطبيب بترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يتركه لاجل انه عرفة وقد اجتمعا جميعا
فاقدم على الفعل فكان الباعث الثاني رفيقا للاول فلنسم هذا مرافقة البواعث الثالث
ان لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي مجموعهما على انهاض القدرة ومثاله في المحسوس
ان يتعاون على حمل ما لا ينفرد احدهما به ومثاله في غرضنا ان يقصده قريبه الغني فيطلب درهما
فلا يعطيه ويقصده الاجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم يقصده الفقير القريب فيعطيه
فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهما القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس
لغرض الثواب ولغرض الثناء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء
ولو كان الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء ولما اجتمعا
اورثا بمجموعهما تحريك القلب ويسمى هذا الجنس مشاركة الرابع ان يكون احد الباعثين مستقلا
لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف اليه لم ينفك عن تاثير بالاعانة والتسهيل
ومثاله في المحسوس ان يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد الرجل القوي لاستقل
ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويوثر في تخفيفه ومثاله في غرضنا

ان يكون للانسان وِردٌ في الصلوات وعادة في الصدقات واتفق ان حضر في وقتهما جماعة
من الناس فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفرداً خالياً لم
يفتر عن عمله وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق الى النية ولنسم
هذا الجنس المعاونة فالباعث الثاني اما ان يكون رفيقاً او شريكاً او معيناً وسنذكر حكمها في باب
الاخلاص والغرض الآن بيان اقسام النيات فان العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك
قيل انما الاعمال بالنيات لانها تابعة لا حكم لها في نفسها وانما الحكم للمتبوع **بيان سر قوله صلى
الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله** اعلم انه قد يظن ان سبب هذا الترجيح ان النية سر لا
يطلع عليه الا الله تع والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لانه لو نوى
ان يذكر الله تع بقلبه او يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث ان يكون نية التفكر خيراً
من التفكر وقد يظن ان سبب الترجيح ان النية تدوم الى آخر العمل والاعمال لا تدوم وهو ضعيف
لان ذلك يرجع معناه الى ان العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية اعمال الصلوة
قد لا تدوم الا في لحظات معدودة والاعمال تدوم والعموم يقتضي ان يكون نيته خيراً من
عمله وقد يقال ان معناه ان النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية وهو كذلك
ولكنه بعيد ان يكون هو المراد اذ العمل بلا نية او على الغفلة لا خير فيه اصلاً والنية بمجردها خير
والظاهر ان الترجيح للمشتركين في اصل الخير بل المعنى به ان كل طاعة ينتظم بنية وعمل كانت النية
من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعات خير من العمل اي لكل
واحد منهما اثر في المقصود واثر النية اكثر من اثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير
من عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض ان للعبد اختياراً في النية وفي العمل فهما عملان والنية
من الجملة خيرهما فهذا معناه واما سبب كونها خيراً ومترجحة على العمل فلا يفهمه الا من
يفهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ اثر الطريق في الايصال الى المقصد وقاس بعض الآثار
بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الارجح بالاضافة الى المقصود فمن قال ان الخبز خير من الفاكهة
فانما يعني به انه خير بالاضافة الى مقصود القوت والاغتذاء ولا يفهم ذلك الا من فهم ان للغذاء
مقصداً وهو الصحة والبقاء وان الاغذية مختلفة الآثار فيها وفهم اثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض
فالطاعات غذاء القلوب والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتنعمها
بلقاء الله تع فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله تع فقط ولن يتنعم بلقاء الله تع الا من مات محباً لله سبحانه
عارفاً بالله تع ولن يحبه الا من عرفه ولن يانس بربه الا من طال ذكره له فالانس يحصل بدوام الذكر
والمعرفة بدوام الفكر والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر الا اذا فرغ
من شواغل الدنيا ولن يتفرغ من شواغلها الا اذا انقطع عن نفسه شهواتها حتى يصير مائلاً الى الخير
مريداً له نافراً عن الشر مبغضاً له وانما يميل الى الخيرات والطاعات اذا علم ان سعادته
في الآخرة منوطة بهما كما يميل العاقل الى الفصد والحجامة لعلمه بان سلامته فيهما فاذا حصل اصل
الميل بالمعرفة فانما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه فان المواظبة على مقتضى صفات القلب

وارادته بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى ترسخ الصفة ويقوى بسببها فالمائل
الى طلب العلم او طلب الرياسة لا يكون ميله في الابتداء الا ضعيفاً فان اتبع مقتضى الميل و
اشتغل بالعلم وتربية الرياسة والاعمال المطلوبة تاكد ميله وترسخ وعسر عليه النزوع وان
خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق بل الذي ينظر الى وجه حسن مثلاً
فيميل اليه الطبع ميلاً ضعيفاً لو اتبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة
والمحاورة تاكد ميله حتى يخرج امره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه ولو فطم نفسه
ابتداءً وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل ويكون ذلك
زجراً او دفعاً في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه او ينقمع وينمحي وهكذا جميع الصفات
والخيرات والطاعات كلها التي يراد بها الدنيا لا الآخرة وميل النفس الى الخيرات
الاخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتاكد ذلك الا بالمواظبة
على اعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح لان بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى انه
يتاثر كل واحد منهما بالآخر فترى العضو اذا اصابته جراحة تالم القلب وترى القلب اذا
تالم بعلمه بموت عزيز من اعزته او بهجوم امر مخوف تاثرت الاعضاء وارتعدت الفرائص
وتغير اللون الا ان القلب هو الاصل المتبوع وكانه الامير والراعي والجوارح كالخدم والرعايا
والاتباع فالجوارح خادمة للقلب بتاكيد صفاتها فيه فالقلب هو المقصود والاعضاء آلات
موصلة الى المقصود ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان في الجسد لمضغة اذا صلحت صلح
لها سائر الجسد وقال اللهم اصلح الراعي والرعية واراد بالراعي القلب وقال تع لن ينال
الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وهي صفة القلب فمن هذا الوجه يجب لا محالة
ان يكون اعمال القلب على الجملة افضل من حركات الجوارح ثم يجب ان تكون النية من جملتها افضل
لانها عبارة عن ميل القلب الى الخير وارادته له وغرضنا من الاعمال بالجوارح ان يعود القلب ارادة
الخير ويوكد فيه الميل اليه ليتفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون
خيراً بالاضافة الى الغرض لانه متمكن من نفس المقصود وهذا كما ان المعدة اذا تالمت فقد يداوى
بان يوضع الطلاء على الصدر ويداوى بشرب الدواء والواصل الى المعدة بالشرب خير من طلاء
الصدر لان طلاء الصدر ايضاً انما اريد به ان يسري منه الاثر الى المعدة فما يلاقي عين المعدة
فهو خير وانفع فهكذا ينبغي ان تفهم تاثير الطاعات كلها اذ المطلوب منها تغيير القلوب
وتبديل صفاتها فقط دون الجوارح فلا تظنن ان في وضع الجبهة على الارض غرضاً من
حيث انه جمع بين الجبهة والارض بل من حيث انه بحكم العادة يوكد صفة التواضع في القلب فان
من يجد في نفسه تواضعاً فاذا استعان باعضائه وصورها بصورة التواضع تاكد تواضعه
ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فاذا مسح راسه وقبله تاكدت الرقة في قلبه ولهذا لم يكن العمل
بغير نية مفيداً اصلاً لان من يمسح راس يتيم وهو غافل بقلبه او ظان انه يمسح ثوباً
لم ينتشر من اعضائه اثر الى قلبه لتاكيد الرقة وكذلك من يسجد غافلاً وهو مشغول الهم باغراض

الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الارض اثر الى قلبه بتاكيد التواضع وكان وجوده
كعدمها وما ساوى وجوده عدمه بالاضافة الى الغرض المطلوب منه يسمى باطلا فيقال العبادة
بغير نية باطل وهذا معناه وهذا اذا فعل عن غفلة فان قصد به رياء او تعظيم شخص آخر
لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شرا فانه لم يؤكد الصفة المطلوب قمعها وهي صفة الرياء التي
هي من الميل الى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل وبهذا ايضا يعرف معنى قوله
صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة لان هم القلب هو ميله الى الخير و
انصرافه عن الهوى وحب الدنيا وذلك غاية الحسنات وانما الاتمام بالعمل يزيدها تاكيدا
فليس المقصود من اراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها ايثارا
لوجه الله تع وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهم فان عاق عن العمل عائق فلن
ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى هي عمل القلب ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم ان قوما بالمدينة قد شركونا في جهادنا كما رويناه لان قلوبهم في
صدق ارادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة واعلاء كلمة الله تع كقلوب
الخارجين في الجهاد وانما فارقوهم بالابدان لعوائق تخص الاسباب الخارجة من القلب و
ذلك غير مطلوب الا لتاكيد هذه الصفات وبهذه المعاني تفهم جميع الاحاديث التي اوردناها
في فضيلة النية فاعرضها عليك لينكشف لك اسرارها فلا نطول بالاعادة

بيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية

اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساما كثيرة من فعل وقول و
حركة وسكون وجلب ودفع وذكر وفكر وغير ذلك مما لا يتصور احصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة
اقسام طاعات ومعاص ومباحات **القسم الاول** المعاصي وهي لا تتغير عن موضوعها
بالنية فلا ينبغي ان يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات
فيظن ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا
من مال غيره او يبني مسجدا او مدرسة او رباطا بالمال الحرام وقصده الخير فهذا كله جهل والنية لا
تؤثر في اخراجها عن كونها ظلما وعدوانا ومعصية بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر
فان عرفه فهو معاند للشرع وان جهله فهو عاص بجهله اذ طلب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات
انما عرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن ان يكون الشر خيرا هيهات بل المروج لذلك على
القلب خفي الشهوة وباطن الهوى فان القلب اذا كان مائلا الى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس
وساير حظوظ الناس توسل الشيطان بذلك الى التلبيس على الجاهل ولذلك قال سهل ما عصى
الله تع بمعصية اعظم من الجهل قيل يا ابا محمد هل تعرف شيئا اشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو
كما قال لان الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن يظن بنفسه انه عالم فكيف يتعلم وكذلك اعظم ما
اطيع الله سبحانه به العلم وراس العلم العلم بالعلم كما ان راس الجهل الجهل بالجهل فان من لا يعلم العلم
النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم الى
الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم والمقصود ان من قصد الخير بمعصية عن جهل

فهو غير معذور الا اذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم وقد قال
الله سبحانه فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال صلى الله عليه وسلم لا يعذر الجاهل على الجهل
ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه ويقرب من تقرب السلاطين
ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والاشرار المشغولين
بالفسق والفجور القاصرين هممهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس
وجمع حطام الدنيا واخذ اموال السلاطين والمساكين واليتامى فان هؤلاء اذا تعلموا كانوا قطاع
طريق الله وانتهض كل واحد في بلدة نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى
ويستجري الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله تع ثم قد ينتشر ذلك العلم الى مثله وامثاله ويتخذونه
ايضا آلة ووسيلة الى الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووبال الجميع يرجع الى المعلم الذي علمه العلم
مع علمه يقينا بفساد نيته وقصده ومشاهدته انواع المعصية من اقواله وافعاله وفي مطعمه
وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم ويبقى آثار شره منتشرة في العالم الف سنة مثلا او
الفي سنة فطوبى لمن مات وماتت معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول انما الاعمال بالنيات
وقد قصدت بذلك نشر علوم الدين فان استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما
قصدت به الا ان يستعين به على الخير وانما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم
يحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن
وهب سيفا لقاطع طريق واعد له خيلا واسبابا يستعين بها على مقصوده ويقول انما اردت
البذل والسخاء والتخلق باخلاق الله تع وقصدت به ان يغزو بهذا السيف والفرس فان اعداد
الخيل والرباط والقوة للغزاة من افضل القربات فان هو صرفه الى قطع الطريق فهو العاصي و
قد اجمع الفقهاء على ان ذلك حرام مع ان السخاء هو احب الاخلاق الى الله تع حتى قال صلى الله عليه و
سلم ان لله تع ثلثمائة خلق من تقرب اليه بواحد منها دخل الجنة واحبها اليه السخاء فليت شعري
لم حرم هذا السخاء ولم وجب عليه ان ينظر الى قرينة الحال فاذا لاح له من عادته انه يستعين
بالسلاح على الشر فينبغي ان يسعى في سلب سلاحه لا ان يمده بغيره والعلم سلاح
يقاتل به الشيطان واعداء الله سبحانه وقد يعاون به اعداء الله وهو الهوى فمن لا يزال مؤثرا
لدنياه على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عن ذلك لقلة فضله فكيف يجوز امداده بنوع علم
يتمكن به من الوصول الى شهواته بل لم يزل علماء السلف يتفقدون احوال من يتردد اليهم فاذا راوا منهم
تقصيرا في نفل من النوافل انكروه وتركوا اكرامه واذا راوا منه فجورا واستحلال حرام هجروه ونفوه
عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم بان من تعلم مسئلة ولم يعمل بها وجاوزها الى
غيرها فليس يطلب الا آلة الشر وقد تعوذ بالله جميع السلف من الفاجر العليم بالسنة وما تعوذوا
من الفاجر الجاهل وحكى عن بعض اصحاب احمد بن حنبل رحمه الله انه كان يتردد اليه سنين ثم اتفق
ان احمد اعرض عنه وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يساله عن تغيره وهو لا يذكره حتى قال بلغني انك
طينت حائط دارك من جانب الشارع فقد اخذت قدر سمك الطين من الطريق وهو انملة من

شارع المسلمين فلا تصلح لتعلم العلم فهكذا كان مراقبة السلف لاحوال الطلبة العلم فهذا وامثاله مما
يلتبس على الاغبياء واتباع الشيطان وان كانوا ارباب الطيالسة والاكمام الواسعة واصحاب
الالسنة الطويلة والفضل الكثير اعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها
والترغيب في الآخرة والدعاء اليها بل هي العلوم التي تتعلق ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع
الناس والتقدم على الاقران فاذن قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات يختص من الاقسام الثلاثة
بالطاعات والمباحات دون المعاصي اذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد ويكون طاعة بالقصد
والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد فاما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد اصلا نعم للنية
مدخل فيها وهو انه اذا انضاف اليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في
كتاب التوبة القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في اصل صحتها وفي تضاعف
فضلها اما الاصل فهو ان ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فان نوى الرياء صارت معصية واما
تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون
فيكون له بكل نية ثواب اذ كل واحد منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر امثالها كما ورد به الخبر
ومثاله القعود في المساجد فانه طاعة ويمكن ان ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل اعمال
المتقين ويبلغ به درجات المتقين اولها ان يعتقد انه بيت الله تعالى وان داخله زائر الله سبحانه
فيقصد به زيارة مولاه عز وجل رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قعد في
المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره وثانيها ان ينتظر الصلوة بعد الصلوة فيكون
في جملة انتظاره في الصلوة وهو معنى قوله تعالى ورابطوا وثالثها الترهب بكف السمع والبصر
والاعضاء عن الحركات والترددات فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رهبانية امتي القعود في المساجد ورابعها عكوف
الهم على الله ولزوم السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصادفة عنه بالاعتزال في المسجد وخامسها
التجرد لذكر الله سبحانه او لاستماع ذكره او للتذكير به كما روي من غدا الى المسجد يذكر الله تعالى او يذكر
به كان كالمجاهد في سبيل الله عز وجل وسادسها ان يقصد افادة علم بمعروف ونهي عن منكر
اذ المسجد لا يخلو عمن يسيء صلوته او يتعاطى ما لا يحل له فيامره بالمعروف ويرشده الى الدين فيكون
شريكا معه في خيره الذي يعلم منه فيتضاعف خيراته وسابعها ان يستفيد اخا في الله تعالى
فانها غنيمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشش اهل الدين المحبين لله وفي الله عز وجل وثامنها
ان يترك الذنوب حياء من الله تعالى وتجنبا عن ان يتعاطى في بيت الله سبحانه ما يقتضي هتك الحرمة و
قد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما من ادمن الاختلاف الى المسجد رزقه الله تعالى احدى سبع خصال
اخا مستفادا في الله عز وجل ورحمة منتشرة له او علما مستطرفا او كلمة تدله على هدى او تصرفه
عن ردى او يترك الذنوب خشية او حياء فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر الطاعات
والمباحات اذ ما من طاعة الا ويحتمل نيات كثيرة وانما يحصل في قلب العبد بقدر جده في
طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف الحسنات القسم الثالث

المباحات وما من شيء من المباحات الا ويحتمل نية او نيات يصير بها من محاسن القربات و
ينال بها معالي الدرجات فما اعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن
سهو وغفلة ولا ينبغي ان يستحقر العبد الخطرات والخطوات واللحظات فكل ذلك يسأل عنها
في القيمة انه لم فعلها وما الذي قصد بها هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وفي حديث معاذ بن جبل انه صلى الله عليه و
سلم قال ان العبد ليسأل يوم القيمة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعيه وعن
لمسه ثوب اخيه وفي خبر آخر من تطيب لله تعالى جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب
لغير الله تعالى جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من النية
فان قلت فما الذي يمكن ان ينوي بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب
لله تعالى فاعلم ان من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفي سائر الاوقات يتصور ان يقصد التنعم
بلذات الدنيا او يقصد به اظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الاقران او يقصد به رياء الخلق ليقوم
له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة او ليتودد به الى قلوب النساء الاجنبيات اذا كان مستحلا
للنظر اليهن ولامور اخر لا تحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية فبذلك يكون انتن من الجيفة في
القيمة الا القصد الاول وهو التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية الا انه يسأل عنه ومن نوقش
في الحساب عذب ومن اوتي شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص له من نعيم
الآخرة بقدره وناهيك خسرانا بان تستعجل ما يفنى وتخسر زيادة نعيم يبقى واما النيات الحسنة
فان ينوي به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وان ينوي به تعظيم المسجد الذي هو
بيت الله تعالى فلا يرى ان يدخله زائر الله الا طيب الرائحة وان يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا
في المسجد عند مجاورته بروائحه وان يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي الى ايذاء
مخالطيه وان يقصد حسم باب الغيبة على المغتابين اذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله
بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل
مهما ترحلت عن قوم وقد قدروا • الا تفارقهم فالراحلون هم • وقال الله تعالى
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم اشار به الى ان التسبب الى
الشر شر وان يقصد به معالجة دماغه ليزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات
دينية بالفكر فقد قال الشافعي رضي الله عنه من طاب ريحه زاد عقله فهذا وامثاله من
النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كان غرضه تجارة الآخرة وطلب الخير غالبا على قلبه واذا لم يغلب
على قلبه الا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وان ذكرت له لم ينبعث لها قلبه ولا يكون معه
منها الا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء والمباحات كثيرة ولا يمكن احصاء
النيات فيها فقس بهذا الواحد غيره ولهذا قال بعض السلف اني لاستحب ان يكون
لي في كل شيء نية حتى في اكلي وشربي ونومي ودخولي الخلاء وكل ذلك مما يمكن ان يقصد به وجه
الله تعالى لان كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين ومن

كان قصده من الاكل التقوي على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب اهله والتوصل به الى ولد يعبد الله تعالى بعده ويكثر به امة محمد صلى الله عليه وسلم كان مطيعا باكله ونكاحه واغلب حظوظ النفس الاكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة وكذلك ينبغي ان يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله تعالى واذا بلغه اغتياب غيره له فليطيب قلبه بانه سيحمل سيآته وسينقل الى ديوانه حسناته فلينو ذلك بسكوته عن الجواب ففي الخبر ان العبد ليحاسب فيبطل اعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من الاعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يا رب هذه اعمال ما عملتها قط فيقال هي اعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك وفي الخبر ان العبد ليوافي القيمة بحسنات امثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فياتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول الملائكة قد فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله عز وجل القوا عليه من سيآتهم ثم صكوا له صكا الى النار وبالجملة فاياك ثم اياك ان تستحقر شيئا من حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها يوم السوال والحساب فان الله تعالى مطلع عليك وشهيد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقد قال بعض السلف كتبت كتابا واردت ان اتربه من جدار جاري فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب فتربته فهتف بي هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب • وصلى رجل مع الثوري فرآه مقلوب الثوب فعرفه فمد اليد ليصلحه ثم قبضها فلم يسوه فسأله عن ذلك فقال اني لبسته لله تعالى ولا اريد ان اسويه لغير الله وقد قال الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيمة فيقول بيني وبينك الله تعالى فيقول والله ما اعرفك فيقول بلى انت اخذت لبنة من حائطي واخذت خيطا من ثوبي فهذا وامثاله من الاخبار قطع قلوب الخائفين فان كنت من اولي الحزم والنهى ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب عليها قبل ان يدقق عليك وراقب احوالك ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتأمل اولا انك لم تتحرك وماذا تقصده وما الذي تنال به من الدنيا وما الذي يفوتك به من الآخرة وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة فاذا علمت انه لا باعث لك الا الدين فامض عزمك وما خطر ببالك والا فامسك ثم راقب ايضا قلبك في امساكك وامتناعك فان ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة فلا ينبغي ان تغفل فلعله ان يكون الداعي هوى خفي لا تطلع عليه ولا يغرنك ظواهر الامور ومشهورات الخيرات وافطن للاغوار والاسرار تخرج من حيز اهل الاغترار فقد روي من زكريا عليه السلام انه كان يعمل في حائط قوم بالطين وكان اجيرا لقوم فقدموا اليه رغيفين اذ كان لا ياكل الا من كسب يده فدخل عليه قوم فلم يدعهم الى الطعام حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا ان الخير في طلب المساعدة في الطعام فقال اني اعمل لقوم باجرة وقدموا الي الرغيفين لاتقوى بهما على عملهم فلو اكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر الى البواطن بنور الله تعالى فان ضعفه عن العمل نقص في فضل والاكل للفضائل مع ترك الفرائض وقال بعضهم دخلت على سفين وهو ياكل فما كلمني حتى لعق اصابعه ثم قال لولا اني اخذته بدين لاحببت ان

تاكل منه وقال سفين من دعا رجلا الى طعامه وليس له رغبة في ان ياكل فان اجابه فاكل فعليه وزران وان لم ياكل فعليه وزر واحد واراد باحد الوزرين النفاق وبالثاني تعريض اخيه لما يكرهه لو علمه فهكذا ينبغي ان يتفقد العبد نيته في سائر الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا بنية فان لم تحضره النية توقف فان النية لا تدخل تحت الاختيار

بيان ان النية لا تدخل تحت الاختيار

اعلم ان الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه او تجارته او اكله نويت ان ادرس لله تعالى او اتجر لله ويظن ان ذلك نية وهيهات فذلك حديث نفس او حديث لسان او فكر او انتقال من خاطر الى خاطر والنية بمعزل عن جميع ذلك وانما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها الى ما ظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلا واما آجلا والميل اذا لم يكن لم يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك كقول الشبعان نويت ان اشتهي الطعام واميل اليه او قول الفارغ نويت ان اعشق فلانا واحبه واعظمه بقلبي وذلك محال بل لا طريق الى اكتساب صرف القلب الى الشيء وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب اسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وقد لا يقدر وانما تنبعث النفس الى الفعل اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها وما لم يعتقد الانسان ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها اسباب كثيرة بها تجتمع وتختلف ذلك بالاشخاص وبالاحوال وبالاعمال فاذا غلبت شهوة النكاح مثلا ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد دينا ودنيا لا يمكنه ان يواقع على نية الولد بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث فلا باعث له الا الشهوة فكيف ينوي الولد واذا لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم فضله لا يمكن ان ينوي بالنكاح اتباع السنة الآن يقول ذلك بلسانه او قلبه وهو حديث محض وليس بنية نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا ان يقوي اولا ايمانه بالشرع ويقوي ايمانه بعظم ثواب من يسعى في تكثير امة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره فاذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة فتتحرك اعضاؤه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناويا فان لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف عن جملة من الطاعات اذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرنا نية حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن رحمه الله وقال ليس تحضرني نية ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره ان هاتي المدرى فقالت اجيء بالمرآة فسكت ساعة ثم قال نعم فقيل له في ذلك فقال كان لي في المدرى نية ولم تحضرني في المرآة نية فتوقفت حتى هيأها الله تعالى ومات حماد بن ابي سليمان وكان احد علماء الكوفة

فقيل للثوري الا تشهد جنازة فقال لو كان لي نية لفعلت ، وكانوا اذا سئلوا عملا من
اعمال البر قالوا ان رزقنا الله تع نية فعلنا ، وكان طاوس لا يحدث الا بنية فكان يسال
ان يحدث فلا يحدث ولا يسال فيبتدي فقيل له في ذلك فقال اتحبون ان احدث بغير نية
اذا احضرت لي نية فعلت ، وحكي ان داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاءه احمد
بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحا فرده فقال له ما لك قال فيه اسانيد ضعاف
فقال له ابن المحبر انا لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت فيه بعين
العمل فنفعت قال احمد فرده علي حتى انظر فيه بالعين التي نظرت بها فاخذه ومكث عنده
طويلا ثم قال له جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجد
له نية وقال بعضهم انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد وقال
عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت فقال له
ابنه الا تعرض عليه العشاء قال ليس من نيتي وهذا لان النية تتبع النظر فاذا تغير
النظر تغيرت النية وكانوا لا يرون ان يعملوا عملا الا بالنية لعلمهم بان النية روح الاعمال
وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب وعلموا ان النية
ليس هو قول القايل بلسانه نويت بل هو انبعاث القلب يجري مجرى الفتوح من الله تع وقد تتيسر
في بعض الاوقات وقد تتعذر في بعضها نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين تيسر عليه في
اكثر الاحوال احضار النية للخيرات فان قلبه مايل بالجملة الى اصل الخير فينبعث الى التفاصيل
غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرايض الا بجهد
جهيد وغايته ان يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها او نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما
تنبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته واما الطاعة على نية اجلال الله
تع لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا يتيسر للراغب في الدنيا وهذه اعز النيات واعلاها
ويعز على بسيط الارض من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها ونيات الناس بالطاعات
اقسام اذ منهم من يكون عمله اجابة لباعث الخوف وانه يتقي النار ومنهم من يعمل اجابة
لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة الى قصد طاعة الله تع
وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لامر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لانه ميل الى الموعود
في الاخرة وان كان من جنس المالوفات في الدنيا واغلب البواعث الفرج والبطن وموضع
قضاء وطرهما الجنة فالعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير السوء ودرجته
درجة البله وانه لينالها بعمله اذ اكثر اهل الجنة البله واما عبادة ذوي الالباب فلا تجاوز
ذكر الله تع والفكر فيه حبا لجماله وجلاله وساير الاعمال يكون موكدات وروادف وهولاء
ارفع درجة من الملتفتين الى المنكوح والمطعوم فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر الى
وجه الكريم ويسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر الى الحور العين ممن تنعم

بالنظر الى وجه الصور المصنوعة من الطين بل اشد فان التفاوت بين جمال الحضرة الربوبية
وجمال الحور العين اشد واعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة
من الطين بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان
واعراضها عن جمال وجه الكريم يضاهي استعظام الخنفساء لصاحبتها والفها لها واعراضها
عن النظر الى جمال وجوه النساء فعمى اكثر القلوب عن ابصار جمال الله سبحانه وجلاله
يضاهي عمى الخنفساء عن ادراك جمال النساء فانها لا تشعر به اصلا ولا تلتفت اليه ولو كان لها عقل
وذكاء لاستحقت عقل من يلتفت اليهن ولا يزالون مختلفين كل حزب بما لديهم فرحون و
لذلك خلقهم راى احمد بن خضرويه ربه عز وجل في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا
ابو يزيد فانه يطلبني ، وراى ابو يزيد ربه عز وجل في المنام فقال يا رب كيف الطريق اليك
فقال الله تع اترك نفسك وتعال ، ورؤي الشبلي بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله تع بك
فقال لم يطالبني على الدعاوي بالبرهان الا على قول واحد قلت يوما اي خسارة اعظم من
خسران الجنة فقال اي خسارة اعظم من خسران لقائي والغرض ان هذه النيات متفاوتة الدرجات
ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لم يتيسر له العدول الى غيرها ومعرفة هذه الحقايق تورث اعمالا
وافعالا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء فانا نقول من حضرت له نية في مباح ولم
تحضر في فضيلة فالمباح اولى وانتقلت الفضيلة اليه وصارت الفضيلة في حقه نقيصة لان
الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه افضل من الانتصار في الظلم وربما تحضره نية الانتصار
دون العفو فيكون ذلك افضل ومثل ان يكون له نية في الشرب والاكل والنوم ليريح نفسه
ويتقوى على العبادة في المستقبل وليس تنبعث نيته في الحال للصوم والصلوة فالاكل والنوم هو
الافضل له بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم انه لو ترفه
ساعة بلهو وحديث لعاد نشاطه فاللهو افضل من الصلوة هنا قال ابو الدردا اني
لاستجم نفسي بالشي من اللهو فيكون ذلك عونا لي على الحق وقال علي رضي الله عنه روحوا هذه القلوب
فانها اذا اكرهت عميت وهذه دقايق يدركها سماسرة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق
بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر في الطب وانما يبتغي به ان يعيد
اولا قوته ليحتمل المعالجة بالضد والحاذق في الشطرنج قد ينزل عن الرخ والفرس مجانا ليتوصل
به الى الغلبة والضعيف البصيرة في الشطرنج قد يضحك منه ويتعجب منه والخبير بالقتال قد يري
الهزيمة فيولي الخصم دبره حيلة ليستجره الى المضيق فيكر عليه فيقهره فكذلك سلوك طريق
الله تع كله قتال مع الشيطان ومعالجة القلب والبصير الموفق يقف فيها على لطايف من الحيل
يستبعدها الضعفاء فلا ينبغي للمريد ان يضمر انكارا على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم ان يعترض
على استاذه بل ينبغي ان يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه من احوالهما يسلمه لهما الى ان
ينكشف له اسرارهما بان يبلغ رتبتهما وينال درجتهما

الباب الثاني في الاخلاص

وفضيلته وحقيقته ودرجاته **فضيلة الاخلاص** قال الله تع وما امروا الا ليعبدوا الله

مخلصين له الدين وقال تع الا لله الدين الخالص وقال تع الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا
بالله واخلصوا دينهم لله وقال تع فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا انزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن
قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله سبحانه الحديث وعن مصعب بن سعد عن ابيه قال ظن ابي
ان له فضلا على من دونه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انما نصر الله هذه الامة بضعفا ئها
ودعوتهم واخلاصهم وصلوتهم وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تع
الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احببته من عبادي وقال علي رضي الله عنه لا تهتموا
لقلة العمل واهتموا للقبول فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ اخلص العمل يجزيك منه
القليل وقال صلى الله عليه وسلم يسال يوم القيمة ثلثة رجل آتاه الله العلم فيقول الله تع ما
ذا صنعت فيما علمت فيقول يا رب كنت اقوم اناء الليل والنهار فيقول الله سبحانه كذبت وتقول
الملايكة كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم الا فقد قيل ذلك ورجل آتاه الله مالا فيقول الله تع
لقد انعمت عليك فماذا صنعت فيقول يا رب كنت اتصدق اناء الليل والنهار فيقول الله تع كذبت
وتقول الملايكة كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد الا فقد قيل ذلك ورجل قتل في سبيل الله
تع فيقول الله تع ماذا صنعت فيقول يا رب امرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تع
كذبت وتقول الملايكة كذبت بل اردت ان يقال فلان شجاع الا فقد قيل ذلك قال ابو هريرة
ثم حط رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق تسعر بهم
نار جهنم يوم القيمة ودخل راوي هذا الحديث على معوية وروى ذلك له فبكى حتى كادت
نفسه تخرج ثم قال صدق الله تع اذ قال عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الاية وفي
الاسرائيليات ان عابدا كان يعبد الله تع دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان هنا قوما يعبدون
شجرة من دون الله تع فغضب لذلك فاخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله
ابليس في صورة شيخ فقال له اين تريد يرحمك الله قال اريد ان اقطع هذه الشجرة قال وما انت و
ذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتي
فقال اني لا اتركك ان تقطعها فقاتله فاخذه العابد فطرحه الى الارض وقعد على صدره
فقال له ابليس اطلقني حتى اكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله تعالى قد اسقط عنك
هذا ولم يفترضه عليك وما تعبدها انت وما عليك من غيرك ولله تع انبياء في الارض ولو شاء
لبعثهم الى اهلها وامرهم بقطعها قال العابد لا بد لي من قطعها فنابذه القتال فغلبه
العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز ابليس فقال له هل لك في امر فصل بيني وبينك وهو خير لك وانفع
قال وما هو قال اطلقني حتى اقول لك فاطلقه فقال ابليس انت رجل فقير لا شيء لك انما انت
كل على الناس يعولونك ولعلك تحب ان تتفضل على اخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني
عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر ولك علي ان اجعل عند راسك في كل ليلة دينارين
اذا اصبحت اخذتهما فانفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون ذلك انفع لك

وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها غيرها فلا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع اخوانك
المومنين قطعك اياها فنظر العابد فيما قال وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع
هذه الشجرة ولا امرني الله ان اقطعها فاكون عاصيا بتركها وما ذكره اكثر منفعة فعاهده
على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات فلما اصبح راى دينارين عند
راسه فاخذهما وكذلك الغد ثم اصبح اليوم الثالث ولم ير شيئا فغضب واخذ فاسه على
عاتقه فاستقبله ابليس في صورة الشيخ فقال الى اين فقال لاقطع تلك الشجرة فقال له
كذبت والله ما انت بقادر على ذلك ولا سبيل لك اليها قال فتناوله العابد ليأخذه كما فعل
اول مرة فقال ابليس له هيهات فاخذه ابليس وصرعه فاذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد
ابليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الامر او لاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به قال
يا هذا غلبتني فخل عني واخبرني كيف غلبتك اولا وغلبتني الآن فقال لانك غضبت
اول مرة لله عز وجل وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك وهذه المرة غضبت لنفسك و
للدنيا فصرعتك وهذه الحكاية تصديق قوله تع اخبارا عن ابليس لعنه الله الا عبادك
منهم المخلصين اذ لا يتخلص العبد من حبائل الشيطان الا بالاخلاص ولذلك كان معروف
الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تتخلصي وقال يعقوب المكفوف المخلص من
يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري رحمه الله من خلصت
نيته كفاه الله تع ما بينه وبين الناس وكتب بعض الاولياء الى اخ له اخلص النية في اعمالك يكفك
القليل من العمل وقال ايوب السختياني تخليص النيات على العمال اشد عليهم من جميع
الاعمال وكان مطرف يقول من صفى صفي له ومن خلط خلط عليه ورئي بعضهم في المنام وقيل له
كيف وجدت اعمالك قال كل شيء عملته لله تع وجدته حتى حبة رمان التقطتها من طريق وحتى
هرة ماتت لنا رايتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير رايته في كفة السيئات
وكان قد نفق حمار لي قيمته مائة دينار فما رايت له ثوابا فقلت موت سنور في الحسنات
وموت حمار ليس فيها فقيل لي انه قد وجه حيث بعثت لما قيل لك قد مات قلت في لعنة الله
فبطل اجرك ولو قلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك وفي رواية وكنت تصدقت بصدقة بين الناس
فاعجبني نظرهم الي فوجدته لا لي ولا علي وقال سفين لما سمع هذا ما احسن حاله اذا لم يكن عليه
فقد احسن اليه وقال يحيى بن معاذ الرازي الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث
والدم وقيل كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر موضعا فيه عرس او مأتم ويجتمع فيه النساء فاتفق ان
حضر يوما موضعا فيه مجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا ان اغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون
واحدة واحدة حتى بلغت النوبة اليه والى امراة فدعا الله تع بالاخلاص وقال ان نجوت من هذه الفضيحة
لا اعود الى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المراة وصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة و
قال بعض الصوفية كنت قائما مع ابي عبيد التستري وهو يحرث ارضه بعد العصر من يوم عرفة
فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشيء فقال ابو عبيد لا فمر الرجل كالسحاب يمسح الارض حتى

غاب عن عيني فقلت لابي عبيد ما قال لك فقال سالني ان احج معه فقلت لا قلت فهلا فعلت
قال ليس لي في الحج نية وقد نويت ان اتم هذه الارض العشية فاخاف ان حججت معه لاجله
ان اتعرض لمقت الله لاني ادخل في عمل الله تع شيئا غيره فيكون ما انا فيه اعظم عندي من سبعين
حجة ويروى عن بعضهم قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت اشتريها فانتفع بها في
غزوتي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها وربحت منها فاشتريتها فرايت تلك الليلة في النوم كان
شخصين نزلا من السماء فقال احدهما لصاحبه اكتب الغزاة فاملى عليه اكتب خرج فلان متنزها
وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر الي وقال اكتب خرج فلان تاجرا فقلت
الله في امري ما خرجت اتجر ولا معي تجارة فيها ما خرجت الا للغزو فقال لي يا شيخ قد
اشتريت امس مخلاة تريد ان تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني تاجرا فنظر الى صاحبه فقال
ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا الا انه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله تع فيه
ما يرى وقال سري لان تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من ان تكتب سبعين حديثا
او قال سبعماية بعلو اسناد وقال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد لكن الاخلاص عزيز
ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص وقال بعضهم اذا ابغض الله عبدا اعطاه
ثلاثا ومنعه ثلثا اعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم واعطاه الاعمال الصالحة
ومنعه الاخلاص فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها وقال السوسي مراد الله من عمل
الخلق الاخلاص فقط وقال الجنيد ان لله عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا اخلصوا
فاستدعاهم الاخلاص الى ابواب البر اجمع وقال محمد بن سعيد المروزي الامر كله يرجع الى
اصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل فاذا انت قد سعدت
بهذين وفزت في الدارين **بيان حقيقة الاخلاص** اعلم ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره
فاذا صفي عن شوبه وخلص عنه سمي خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال الله تع من
بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين وانما خلوص اللبن ان لا يكون فيه شوب من الدم
والفرث ومن كل ما يمكن ان يمتزج به والاخلاص يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان
للشرك درجات فالاخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الالهية والشرك منه خفي ومنه جلي
وكذا الاخلاص والاخلاص وضده يتواردان على القلب فمحلهما القلب وانما يكون ذلك في القصود
والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وانها ترجع الى اجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على
التجريد سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوي فمن تصدق بصدقة وغرضه محض الرياء
فهو مخلص وان كان غرضه محض التقرب الى الله تع فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم
الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تع عن جميع شوائبه كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن
خصصته العادة بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو متعرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه
اذ قد ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات واقل اموره ما ورد في الخبر من ان المرائي
يدعى يوم القيمة باربعة اسامي يا مرائي يا مخادع يا مشرك يا كافر وانما نتكلم الآن فيمن انبعث لقصد

التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر اما من الرياء او من غيره من حظوظ النفس
مثال ذلك ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة به مع قصد التقرب او يعتق عبدا ليتخلص
من مؤنته وسوء خلقه او يحج ليصح مزاجه بحركة السفر او ليتخلص من شر يعرض له في بلده
او ليهرب من عدو له في منزله او يتبرم باهله وولده او لشغل هو فيه فاراد ان يستريح عنه
اياما او يغزو ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه ويقدر بذلك على تهيئة العساكر وجرها او يصلي
بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه بالصلوة ليراقب اهله ورحله او يتعلم العلم ليسهل
عليه طلب ما يكفيه من المال او ليكون عزيزا بين العشيرة او ليكون عقاره وامواله محروسا بعز العلم
عن الاطماع او يشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث او يتكفل
بخدمة العلماء والصوفية ليكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس او لينال به رفقا في الدنيا او
يكتب مصحفا ليجود بالمواظبة على الكتبة خطه او يحج ماشيا ليخفف عن نفسه الكراء او يتوضا
ليتنظف ويتبرد او اغتسل ليطيب رائحته او يروي الحديث ليعرف بعلو الاسناد او يعتكف
في المسجد ليخفف عليه كراء المسكن او صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام او ليتفرغ
لاشغاله ولا يشغله الاكل عنها او تصدق على السائل ليقطع ابرامه في السؤال عن نفسه او يعود
مريضا او يشيع جنازة ليعاد اذا مرض ويشيع جنائز اهله او يفعل شيئا من ذلك ليعرف
بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله تع ولكن
انضاف اليه خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه الامور فقد
خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون خالصا لوجه الله تع وتطرق الشرك اليه وقد
قال الله تع انا اغنى الشركاء عن الشركة وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح اليه النفس
ويميل اليه القلب قل ام كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به صفوه وزال به اخلاصه والانسان
مرتبط في حظوظ نفسه منغمس في شهواتها قلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته
عن حظوظ واغراض عاجلة من هذه الاجناس ولذلك قيل من سلم له في عمره لحظة واحدة خالصة
لوجه الله تع نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا
باعث فيه الا طلب التقرب الى الله تع وهذه الحظوظ ان كانت هي الباعثة وحدها فلا تخفى
شدة الامر على صاحبها فيها وانما نظرنا فيما اذا كان القصد الاصلي هو التقرب وانضاف هذه
الامور اليه ثم هذه الشوائب اما ان تكون في رتبة الموافقة او في رتبة المشاركة او في رتبة
المعاونة كما سبق في باب النية وبالجملة فاما ان يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني او
اقوى منه او اضعف ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره وانما الاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب
كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور
الا من محب لله تع مستهتر به مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا
يحب الاكل والشرب ايضا بل يكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة
فلا يشتهي الطعام لانه طعام بل لانه يقويه على عبادة الله تع ويتمنى لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج

الى الاكل فلو يبقى في قلبه حظ من المقصود الزايد على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لانه ضرورة دينه فلا يكون له هم الا الله تع فمثل هذا الشخص لو اكل او شرب او قضى حاجته لكان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا ليريح نفسه فيتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس كذلك فباب الاخلاص في الاعمال كالمسدود عليه الا على الندور وكما ان من غلب عليه حب الله تع وحب الاخرة اكتسب حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت اخلاصا فالذي يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير الله اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته وصومه وصلوته الا نادرا فعلاج الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للاخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذ ذاك يتيسر الاخلاص وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تع وليست كما ظن ويكون فيها مغرورا لانه لا يدري وجه الافة فيها كما حكي عن بعضهم انه قال قضيت صلوات ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الاول وذلك لاني تاخرت يوما بعذر وسبقت الى الصف الاول فصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث راوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان مسرتي وسبب استراحة قلبي من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض وقلما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له الا من وفقه الله و الغافلون يرون حسناتهم في الاخرة كلها سيات وهم المرادون بقوله تع وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيات ما عملوا وبقوله هل ننبيكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا واشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء فان الباعث للاكثرين منهم على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع و الاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله و النضال عن شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وترى الواعظ يمن على الله تع بنصيحة للخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله واقبالهم عليه وهو يدعي انه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من اقرانه من هو احسن منه وعظا وانصرف الناس عنه واقبلوا على ذلك سائه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله تع اذ كفاه الله تع هذا المهم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول انما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك اذ لو اتعظوا بقولك لكنت انت المثاب فاغتمامك لفوات الثواب محمود ولا يدري المسكين ان انقياده للحق وتسليمه الامر للافضل اجزل ثوابا واعود عليه في الاخرة من انفراده وليت شعري لو اغتم عمر رضي الله عنه لتصدي ابي بكر للامامة رضي الله عنه اكان غمه محمودا او مذموما ولا يستريب ذو دين ان ذلك كان مذموما لان انقياده للحق وتسليمه الامر الى من هو اصلح اعود عليه في الدين من تكفله مصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضي الله عنه باستقلال من هو اولى منه بالامر فما بال العلماء لا يفرحون بمثل ذلك وقد ينخدع بعض اهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بانه لو ظهر من هو اولى منه بالامر لفرح به واخباره بذلك

عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الغرور والجهل فان النفس سهلة القياد في الوعد بامثال ذلك قبل نزول الامر ثم اذا دهاه الامر تغير ورجع ولم يف بالوعد وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد النفس وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع الا الشاذ والنادر والفرد والفذ وهو المستثنى في قوله تع الا عبادك منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقايق والا التحق باتباع الشياطين وهو لا يشعر

بيان اقاويل الشيوخ في الاخلاص

قال السوسي الاخلاص فقد روية الاخلاص لان من شاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه الى اخلاص وما ذكره اشارة الى تصفية العمل عن العجب بالفعل فان الالتفات الى الاخلاص والنظر اليه عجب وهو من جملة الافات والخالص ما صفي من جميع الافات فهذا تعرض لافة واحدة وقال سهل الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركاته لله تع خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول ابرهيم بن ادهم الاخلاص صدق النية مع الله تع وقيل لسهل اي شي اشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين وهذه اشارة الى ان حظوظ النفس افة عاجلا واجلا والعابد لاجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول بالحقيقة اذ المراد بالعمل وجه الله تع وهو اشارة الى اخلاص الصديقين وهو الاخلاص المطلق فاما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالاضافة الى الحظوظ العاجلة والا فهو في طلب حظ البطن والفرج وانما المطلوب الحق لذوي الالباب وجه الله تع فقط وقول القايل لا يتحرك الانسان الا لحظ والبراءة من الحظوظ صفة الالهية ومن ادعى ذلك فهو كافر فقد قضى القاضي ابو بكر الباقلاني بتكفير من يدعي البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات الالهية وما ذكره فهو حق ولكن القوم انما ارادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظا وهو الشهوات الموصوفة في الجنة فقط واما التلذذ بمجرد المعرفة و المناجاة والنظر الى وجه الله تع فهذا حظ هولاء وهذا لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهولاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا جميع نعيم الجنة لاستحقروا ولم يلتفتوا اليه فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال ابو عثمان الاخلاص نسيان روية الخلق بدوام النظر الى الخالق وهذا اشارة الى افة الرياء فقط دون غيره وكذلك قول بعضهم الاخلاص ان لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه اشارة الى مجرد الاخفاء وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلايق وصفي عن العلايق وهذا القول اجمع للمقاصد وقال المحاسبي هو اخراج الخلق عن معاملة الرب وهو ايضا اشارة الى مجرد نفي الرياء وكذلك قول الخواص من شرب من كاس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية وقال الحواريون لعيسى عليه السلم ما الخالص من الاعمال قال الذي يعمل لله تع لا يحب ان يحمده عليه احد وهذا ايضا تعرض لترك الرياء وانما خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من الكدورات

وقال الفضيل ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان
يعافيك الله تعالى عنهما وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا بيان
الكامل والاقاويل في هذا كثيرة فلا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وانما البيان
الشافي بيان سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن الاخلاص فقال صلى الله
عليه وسلم ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم
في عبادته كما امرت وهذه اشارة الى قطع كل ما سوى الله تعالى عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا
بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للاخلاص اعلم ان الآفات المشوشة للاخلاص
بعضها جلية وبعضها خفية وبعضها ضعيفة مع الجلاء وبعضها قوية مع الخفاء ولا
يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء الا بمثال واظهر مشوشات الاخلاص المكدرة
له الرياء فلنذكر منه مثالا فنقول الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصا
في صلوته اذا نظر اليه جماعة او دخل عليه داخل فيقول له حسن صلوتك حتى ينظر اليك هذا
الحاضر بعين الوقار والصلاح فلا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن اطرافه ويحسن
صلوته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين الدرجة الثانية
ان يكون المريد قد فهم هذه الآفة فاخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت اليه ويستمر في صلوته
كما كان فيأتيه في معرض الخير فيقول له انت متبوع ومقتدى به ومنظور اليه وما تفعله
يؤثر عنك ويتأسى بك غيرك فيكون لك ثواب اعمالهم ان احسنت وعليك الوزر ان اسأت
فاحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا اغمض من الاول
وقد ينخدع به من لا ينخدع بالاول وهو ايضا عين الرياء فيبطل الاخلاص فانه ان كان يرى الخشوع
وحسن العبادة خيرا لا يرتضي لغيره تركه فلم يرتضي لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن
ان يكون نفس غيره اعز عليه من نفسه فهذا محض التلبيس بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه و
استنار قلبه فانتشر نوره الى غيره فيكون له ثواب على اقتدائه فاما هذا فهو محض النفاق والتلبيس
فمن اقتدى به اثيب عليه واما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على اظهاره من نفسه ما ليس
متصفا به الدرجة الثالثة وهي ادق مما قبلها ان يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد
الشيطان ويعلم ان مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ويعلم ان الاخلاص في
ان يكون صلوته في الخلوة مثل صلوته في الملا ويستحيي من نفسه ومن ربه ان يتخشع لمشاهدة
خلقه تخشعا زائدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلوته على الوجه الذي يرتضيها
في الملا ويصلي في الملا ايضا مثل ذلك فهذا ايضا من الرياء الغامض لانه حسن صلوته في الخلوة
ليحسن في الملا فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته في الخلوة والملا الى الخلق بل الاخلاص ان
يكون مشاهدة البهائم لصلوته ومشاهدة الخلق بالسوية فكان نفس هذا ليست تسمح باساءة الصلوة
بين اظهر الناس ثم يستحيي من نفسه ان يكون في صورة المرائين ويظن ان ذلك يزول بان
يستوي صلوته في الخلا والملا وهيهات بل زوال ذلك بان لا يلتفت الى الخلق كما لا يلتفت الى

الجمادات في الخلا والملا جميعا وهذا شخص مشغول الهم بالخلق في الخلا والملا جميعا وهذا
من المكائد الخفية للشيطان الدرجة الرابعة وهي ادق واخفى ان ينظر الناس اليه
وهو في صلوته فيعجز الشيطان عن ان يقول له اخشع لاجلهم فانه قد عرف ان يفطن
لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله ومن انت واقف بين يديه واستحي ان
ينظر الله تعالى الى قلبك وانت غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك عين
الاخلاص وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره الى جلاله لكانت هذه الخطرة
تلازمه في الخلوة وكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الآفة ان
يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملا فلا يكون حضور الغير هو السبب في حضور
الخاطر كما لا يكون حضور بهيمة سببا في ذلك فما دام يفرق في احواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة
بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء وهذا الشرك
اخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد به الخبر
ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان
ملازم للمتشمرين لعبادة الله تعالى لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات
حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن في اوقات
مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستيناس الطبع بها فيدعو الشيطان
الى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي ان تتركها ويكون انبعاث القلب باطنا لها لاجل تلك
الشهوات الخفية او مشوبة بها شوبا يخرج عن حد الاخلاص بسببها وما لا يسلم عن هذه الآفات
كلها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف العمارة حسن البناء ويأنس الطبع به
فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الانس
بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع اليه ويتبين ذلك في ميله الى احد المسجدين او احد الموضعين
اذا كان احسن من الآخر وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الاخلاص
ولعمري الغش الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها ما يقل ولكن
يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد البصير وغش القلب ودغل الشيطان و
خبث النفس اغمض من ذلك وادق كثيرا ولهذا قيل ركعتان من عالم افضل عند الله من عبادة سنة
من جاهل واريد به العالم البصير بدقائق آفات الاعمال حتى يخلص منها فان الجاهل نظره الى ظاهر
العبادة واغتراره بها كنظر السوادي الى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو زائف في نفسه
وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغر الغبي فهكذا يتفاوت امر العبادات
بل اشد واعظم ومداخل الآفات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فلينتفع بما
ذكرناه مثالا والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل ايضا فلا فائدة في التفصيل
بيان حكم العمل المشوب في استحقاق الثواب عليه اعلم ان العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله
تعالى بل امتزج به شوب من الرياء او حظوظ النفس فقد اختلف في ان ذلك هل يقتضي ثوابا ام يقتضي

عقاباً لم لا يقتضي شيئاً اصلاً فلا يكون لا له ولا عليه اما الذي لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعاً
وهو سبب المقت والعقاب واما الخالص لوجه الله تع فهو سبب الثواب وانما النظر في المشوب
فظاهر الاخبار يدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي ينقدح
لنا فيه والعلم عند الله تع ان ينظر الى قدر قوة الباعث فان كان الباعث الديني مساوياً للباعث
النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الرياء اغلب واقوى فهو ليس
بنافع بل هو مع ذلك مضر ومقتض للعقاب نعم العقاب الذي فيه اخف من عقاب العمل الذي
تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد التقرب بالاضافة الى الباعث الآخر
فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله تع فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره
ولقوله تع ان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالباً على قصد الرياء
حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوباً سقط بسببه شيء من عقوبة
القصد الفاسد وكشف الغطاء عن هذا ان الاعمال تاثيرها في القلوب بتاكيد صفاتها فداعية
الرياء من المهلكات وانما غذاء هذا المهلك وقوته العمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات و
انما قوتها العمل على وفقها فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى
الرياء فقد قوى تلك الصفة واذا كان ذلك العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوي ايضاً
تلك الصفة واحدهما مهلك والآخر منج فان كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما
فكان المستضر بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات ما يقاوم قدر قوته فيكون
بعد تناولهما كانه لم يتناولهما وان كان احدهما غالباً لم يخل الغالب عن اثر فكما لا يضيع مثقال
ذرة من الطعام والشراب والادوية ولا ينفك عن اثر في الجسد بحكم سنة الله وقدرته الجارية
بذلك فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تاثير في انارة القلب او
تسويده وفي تقريبه من الله تع او ابعاده فاذا جاء بما يقربه شبراً مع ما يبعده شبراً فقد عاد الى
ما قد كان فلا يكون له ولا عليه وان كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبراً واحداً
فضل له لا محالة شبر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها فاذا
كان الرياء المحض يمحوه الاخلاص المحض عقيبه فاذا اجتمعا جميعاً فلا بد ان يتدافعا بالضرورة
ويشهد لهذا اجماع الامة على ان من خرج حاجاً ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه وقد
امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة
وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة
ولكن الصواب ان يقال مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين
والتابع فلا ينفك نفس السفر عن الثواب وما عندي ان الغزاة يدركون في انفسهم
تفرقة بين غزو الكفار في جهة يكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد ان يقال
ادراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل ان يقال اذا كان الباعث الاصلي
والمزعج القوي هو اعلاء كلمة الله تع وانما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب

نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه الى الغنيمة اصلاً فان هذا الالتفات نقصان
لا محالة فان قلت فالآيات والاخبار تدل على ان شوب الرياء محبط للثواب و
في معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ فقد روى طاوس وغيره من
التابعين ان رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف او قال يتصدق
فيحب ان يحمد ويوجر فلم يدر ما يقول له حتى نزل فيه قوله تع فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً
صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً وقد قصد الاجر والحمد جميعاً وروى معاذ عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ادنى الرياء شرك وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يقال
لمن اشرك في عمله خذ اجرك ممن عملت له وعن عبادة بن الصامت ان الله تع يقول انا اغنى
الاغنياء عن الشركة من عمل لي عملاً فاشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي وروى
ابو موسى ان اعرابياً اتاه فقال له يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل
شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله تع فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله
هي العليا فهو في سبيل الله وقال صلى الله عليه وسلم عمر رضي الله عنه تقولون فلان شهيد
ولعله ان يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقاً وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من هاجر يبتغي شيئاً من الدنيا فهو له فنقول هذه الاحاديث لا
تناقض ما ذكرناه بل المراد بها ما لم يرد به الا الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم من هاجر يبتغي
شيئاً من الدنيا وكان ذلك هو الاغلب على همه وقد ذكرنا ان ذلك عصيان وعدوان لا
لان طلب الدنيا حرام ولكن طلبها باعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن وضعها
وما واما لفظ الشركة حيث ورد فمطلقه للتساوي وقد بينا انه اذا تساوى القصدان تقاوما
ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي ان يرجى عليه ثواب ثم ان الانسان عند الشركة ابداً في خطر
فانه لا يدري اي الامرين اغلب على قصده فربما يكون عليه وبالاً ولذلك قال الله تع فمن كان
يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً اي لا يرجى اللقاء مع الشركة التي احسن احوالها التساقط
ويجوز ان يقال ايضاً منصب الشهادة لا ينال الا بالاخلاص في الغزو ويبعد ان يقال
من كانت داعيته بحيث تزعجه الى مجرد الغزو وان لم يكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار
احدهما اغنياء والاخرى فقراء فمال الى جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله تع والغنيمة انه لا ثواب
له على غزوه البتة ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل الياس
على المسلمين لان امثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك الانسان عنها الا على الندور
فيكون تاثير هذا في نقصان الثواب فاما ان يكون في احباطه فلا نعم الانسان فيه على خطر
عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى هو قصد التقرب ويكون الاغلب على سره الحظ
النفسي وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الامن الا بالاخلاص والاخلاص قلما يستيقنه
العبد من نفسه ولو بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي ان يكون ابداً بعد كمال الاجتهاد متردداً
بين الرد والقبول خائفاً ان يكون في عبادته آفة يكون وبالها اكثر من ثوابها وهكذا كان

الخايفون من ذوي البصاير وهكذا ينبغي ان يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال سفين لا اعتد بما ظهر من عملي وقال عبد العزيز بن ابي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شي من اعمال الله سبحانه الا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان اوفى من نصيب الله ليته لا لي ولا علي ومع هذا فلا ينبغي ان يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان منه اذ المقصود ان لا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا ويحكى ان بعض الفقراء كان يخدم ابا سعيد الخراز ويخف في اعماله فتكلم ابو سعيد يوما في اخلاص الحركات فاخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة يطالب نفسه بالاخلاص فتعذر عليه قضاء الحوايج واستضر الشيخ بذلك فساله عن امره فاخبره بمطالبته نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها في اكثر اعماله فيتركها فقال له ابو سعيد لا تفعل فان الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فما قلت اترك العمل وانما قلت اخلص العمل وقد قال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لاجل الخلق شرك

الباب الثالث في الصدق

وفضيلته وحقيقته **فضيلة الصدق** قال الله تعالى من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ويكفي في فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه والله تعالى وصف به الانبياء في معرض المدح والثناء فقال تعالى واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا وقال تعالى واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا وقال ابن عباس اربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر وقال بشر بن الحارث من عامل الله بالصدق استوحش من الناس وقال ابو عبد الله الرملي رايت منصورا الدينوري في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي ورحمني اعطاني ما لم آمل فقلت له احسن ما يوجه العبد به الى الله تعالى ماذا قال الصدق واقبح ما يوجه به الكذب وقال ابو سليمن اجعل الصدق مطيتك والحق سفينتك والله تعالى غاية طلبتك وقال رجل لحكيم ما رايت صادقا فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا دين الله تعالى مبنيا على ثلاثة اركان الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول وقال الثوري في قوله تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا فيها صادقين واوحى الله سبحانه وتعالى الى داود يا داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى نفسه في دجلة فقال ان كان صادقا فالله تعالى ينجيه كما انجى موسى عليه السلام وان كان كاذبا فالله تعالى يغرقه كما اغرق فرعون وقال بعضهم اجمع العلماء والفقهاء على ثلاث خصال انها اذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الاعمال وطيب المطعم وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التورية اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بني اسرائيل يجتمعون فيقرؤونها

ويتدارسونها لا كنز انفع من العلم ولا مال اربح من الحلم ولا حسب اوضع من الغضب ولا قرين ازين من العمل الصالح ولا رفيق اشين من الجهل ولا شرف اعز من التقوى ولا كرم اوفر من ترك الهوى ولا عمل افضل من الفكر ولا حسنة اعلى من الصبر ولا سيئة اخزى من الكبر ولا دواء الين من الرفق ولا داء اوجع من الخرق ولا رسول اعدل من الحق ولا دليل انصح من الصدق ولا فقر اذل من الطمع ولا غنى اشقى من الجمع ولا حيوة اطيب من الصحة ولا معيشة اهنى من العفة ولا عبادة احسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس احفظ من الصمت ولا غايب اقرب من الموت وقال سعيد بن محمد المروزي اذا طلبت الله عز وجل بالصدق افادك الله تعالى مرآة بيدك حتى تبصر كل شي من عجايب الدنيا والآخرة وقال ابو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين خلق الله تعالى وقيل لذي النون هل للعبد الى اصلاح اموره سبيل فقال قد بقينا مذ بين حيارى نطلب الصدق ما اليه سبيل فدواعي الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا ثقيل وقيل لسهل ما اصل هذا الامر الذي نحن فيه فقال الصدق والسخاء والشجاعة فقيل له زدنا فقال الحياء والتقى وطيب الغذاء وروي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق وقال الجنيد في قوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم يسال الصادقين عند انفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا امر على خطر **بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه** اعلم ان لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية والارادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لانه مبالغة في الصدق ثم هو ايضا على درجات ومن كان له حظ من الصدق في شي من الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقه **الصدق الاول** صدق اللسان وذلك لا يكون الا في الاخبار او فيما يتضمن الاخبار وينبه عليه والخبر اما ان يتعلق بالماضي او بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد ان يحفظ الفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو اشهر انواع الصدق واظهرها فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان احدهما الاحتراز عن المعاريض فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لانها تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشي على خلاف ما هو عليه في نفسه الا ان ذلك مما تمس اليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الاحوال والاوقات في تاديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر عن الظلمة وفي قتال الاعداء ونحو الاحتراز عن اطلاعهم على اسرار الملك فمن اضطر الى شي من ذلك فصدقه فيه ان يكون نطقه فيه لله تعالى فيما يامر الحق به ويقتضيه الدين فاذا نطق فهو صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لان الصدق ما اريد لذاته بل للدلالة على الحق فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي ان يعدل الى المعاريض ما وجد اليها سبيلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا

توجه الى سفر ورّى بغيره وذلك كيلا ينتهي الخبر الى الاعداء فيتأهبوا وليس هذا من الكذب
في شيء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكاذب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا
ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلاث مواضع من اصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان
ومن كان في مصالح الحرب والصدق ههنا يتحول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق النية وارادة الخير
فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير ارادته كان صادقا وصديقا كيف ما كان
لفظه ثم التعريض فيه اولى وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره
فقال لزوجته خطي باصبعك دائرة وضعي الاصبع عليها وقولي ليس هو ههنا فاحترز بذلك
عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وافهم الظالم انه ليس في الدار فالكمال الاول
في اللفظ ان يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند الضرورة والكمال الثاني
ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه كقوله وجهت وجهي للذي فطر السموات و
الارض فان قلبه ان كان منصرفا عن الله مشغولا بامانى الدنيا وشهواتها فهو كاذب وكقوله
اياك نعبد واياك نستعين وقوله انا عبد الله عز وجل فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية و
كان له مطلب سوى الله عز وجل لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيمة بالصدق في قوله
انا عبد الله لعجز عن تحقيقه فان كان عبدا لنفسه او عبدا للدنيا او عبدا لشهواته لم يكن صادقا
في قوله وكل ما تقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلم يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى
الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة سمى كل من تقيد
قلبه بشيء عبدا له وانما العبد الحق لله عز وجل من عتق اولا عن غير الله سبحانه فصار حرا مطلقا
فاذا تقدمت هذه الحرية وصار القلب فارغا حلت فيه العبودية لله تع فيشغله بالله سبحانه
وبمحبته وتقيد ظاهره وباطنه بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تع ثم قد يجاوز هذا الى مقام هو
اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق ايضا عن ارادته لله عز وجل من حيث هو هو بل يقنع بما يريد
الله سبحانه له من تقريب او ابعاد فيفنى ارادته في ارادة الله تع وهذا عبد عتق عن غير الله
فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرا عن نفسه وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده و
مولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضي لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض
بل هو بين يدي الله تع كالميت بين يدي الغاسل فهذا منتهى الصدق في العبودية فالعبد الحق
هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجات الصديقين واما الحرية عن غير الله فدرجات
الصادقين وبعدها يتحقق العبودية لله تع وما قبل هذه فلا يستحق صاحبه ان يسمى صادقا ولا
صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول **الصدق الثاني** في النية والارادة ويرجع ذلك
الى الاخلاص وذلك ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات الا الله تع فان مازجه شوب
من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز ان يسمى كاذبا كما رويناه في فضيلة الاخلاص
من حديث الثلاثة حيث يسأل العالم ما ذا عملت فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال الله تع
كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم فانه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكن كذبه في ارادته ونيته

وقوله

وقد قال بعضهم الصدق صحة التوحيد في القصد ولذلك قال الله تع والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل
من حيث عقد القلب وكان التكذيب يتطرق الى الخبر وهذا القول يتضمن اخبارا بقرينة الحال
اذ صاحبه يظهر من نفسه ان يعتقد ما يقوله فكذب في ذلك لا انه بقرينة الحال على قلبه فانه كذب في
ذلك وان لم يكذب فيما يلفظ به فيرجع احد معاني الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص فكل
صادق فلا بد ان يكون مخلصا **الصدق الثالث** صدق العزم فان الانسان قد يقدم العزم
على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره او ان لقيت عدوا
في سبيل الله عز وجل قاتلت ولا ابالي وان قتلت وان اعطاني الله سبحانه ولاية عدلت فيها ولم
اعص الله سبحانه بظلم وميل الى خلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة
وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة وكان الصدق ههنا
عبارة عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة صادقة وقد يقال هذا المريض شهوته كاذبة
مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوي او كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى
فالصادق والصديق هو الذي يصادف عزيمته في الخيرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف
ولا تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه لان
اقدم فيضرب عنقي احب الي من ان اتأمر على قوم فيهم ابو بكر فانه قد وجد من نفسه العزم
الجازم والمحبة الصادقة بانه لا يتأمر مع وجود ابي بكر رضي الله عنه واكد ذلك بما ذكره من القتل و
مراتب الصديقين في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به الى ان يرضى بالقتل فيه
ولكن اذا خلي ورأيه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لا نتقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين
من لو خير بين ان يقتل هو وابو بكر كانت حيوته احب اليه من حيوة ابي بكر رضي الله عنه **الصدق الرابع**
في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة
فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوة لم
تتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله تع رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فقد روي عن انس ان عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق
ذلك عليه وقال اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه اما والله لئن اراني الله
مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما اصنع فشهد احدا من العام القابل
فاستقبله سعد بن معاذ فقال له يا ابا عمرو الى اين فقال واها لريح الجنة اني لاجدها
دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من بين رمية بسهم وضربة وطعنة
فقالت بنت النضر اخته ما عرفت اخي الا ببنانه ونزلت هذه الآية رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم
احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر الآية وقال فضالة بن عبيد قال سمعت

عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء ثلاثة رجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله عز وجل حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس اليه اعينهم يوم القيمة هكذا و رفع راسه حتى وقعت قلنسوته قال الراوي فلا ادري قلنسوة عمر او قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل جيد الايمان اذا لقي العدو فكانما يضرب وجهه بشوك الطلح اتاه سهم فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مومن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة وقال مجاهد رجلان خرجا على ملأ من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله تعالى مالا لنصدقن فرزقهما فبخلا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لين آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين وقال بعضهم انما هو شي نووه في انفسهم لم يتكلموا به فقال ومنهم من عاهد الله لين آتانا من فضله لنصدقن الى قوله بما اخلفوا الله ما وعدوه و بما كانوا يكذبون فجعل العزم عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق اشد من الصدق الثالث فان النفس قد تسخو بالعزم ثم تكيع عند الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوات عند التمكن وحصول الاسباب ولذلك استثنى عمر رضي الله عنه فقال لان اقدم فيضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر اللهم الا ان تسول لي نفسي عند القتل شيا لا اجده لاني لا آمن ان يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها اشاد بذلك الى شدة الوفاء بالعزم وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ملكين نزلا من السماء فقالا لي ما الصدق فقلت الوفاء بالعهد فقالا لي صدقت و عرجا الى السماء الصدق الخامس في الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا يدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا يخالف ما ذكرناه من ترك الرياء لان المرائي هو الذي يقصد ذلك ورب واقف على هيئة الخشوع في صلوته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلوة فمن ينظر اليه يراه قايما بين يدي الله تعالى وهو بالباطن قايم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهذه اعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن اعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الاعمال وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم ولا ينجو عن هذا الا باستواء السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن فاذن مخالفة الظاهر للباطن ان كان عن قصد يسمى رياء ويفوت به الاخلاص وان كان عن غير قصد فيفوت به الصدق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة و قال يزيد بن الحرث اذا استوى سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت سريرته افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته افضل من سريرته فذلك الجور وانشدوا

اذا السر والاعلان في المومن استوى • فقد عز في الدارين واستوجب الثنا •
فان خالف الاعلان سرا فما له • على سعيه فضل سوى الكد والعنا •
كما خالص الدينار في السوق نافق • ومغشوشه المردود لا يقتضي المنى

وقال

وقال عطية بن عبد الغفار اذا وافقت سريرة المومن علانيته باهى الله تعالى به الملائكة يقول عز وجل هذا عبدي حقا وقال معوية بن قرة من يدلني على بكاء بالليل بسام بالنهار وقال عبد الواحد كان الحسن اذا امر بشي كان من اعمل الناس به واذا نهى عن شي كان من اترك الناس له ثم لم ار احدا قط اشبه سريرة بعلانية منه • وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول الهي عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويبكي وقال ابو يعقوب النهرجوري الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فاذن مساواة السريرة للعلانية احد انواع الصدق الصدق السادس وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل وساير هذه الامور فان هذه الامور لها مبادي ينطلق عليها الاسم لظهورها ثم لها غايات وحقايق والصادق المحقق من نال حقيقتها واذا غلب الشي وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صادق القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة قال تعالى انما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون وقال تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله تعالى اولئك الذين صدقوا وسيل ابو ذر عن الايمان فقرا هذه الآية فقيل له سالناك عن الايمان فقال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقرا هذه الآية ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يومن بالله الا وهو خايف من الله تعالى خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرائصه وتتنغص عليه عيشته ويتعذر عليه اكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا ينتفع به اهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالانس وحشة وبالراحة تعبا ومشقة وتعرضا للاخطار كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شي من ذلك عند جريان معصية عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم ار مثل النار نام هاربها ولم ار مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق في مثل هذه الامور عزيز جدا ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منها حظ بحسب حاله اما ضعيف واما قوي فاذا قوي سمي صادقا فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لا نهاية له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام احب ان اريك في صورتك فقال لا تطيق ذلك قال بلى ارني قال فواعده بالبقيع في ليلة مقمرة فاتاه فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو به قد سد الافق يعني جوانب السماء فوقع النبي عليه السلام مغشيا عليه فافاق وقد عاد جبريل الى صورته الاولى فقال صلى الله عليه وسلم ما ظننت ان احدا من خلق الله هكذا قال كيف لو رايت اسرافيل ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارضين السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع يعني كالعصفور الصغير فانظر ما الذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع الى ذلك الحد وساير الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم وقال جابر قال صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي وجبريل بالملا الاعلى كالحلس البالي يعني بالحلس الكساء الذي

يلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا بلغوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عمر لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كلهم حمقى في ذات الله تع وقال مطرف ما من الناس احد الا وهو احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الحمق اهون من بعض وقال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كالاباعر في جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها احقر حاقرة فالصدق اذن في جميع هذه المقامات عزيز ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض وان كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا وقال سعد بن معاذ ثلاثة انا فيهن قوي وفيما سواهن ضعيف ما صليت صلوة منذ اسلمت فحدثت نفسي فيها حتى افرغ منها ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قولا الا وعلمت انه حق فقال ابن المسيب ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا في النبي صلى الله عليه وسلم فهذا صدق في هذه الامور وكم من جلة الصحابة قد اداوا الصلوة وتبعوا الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هي درجات الصدق ومعانيه والكلمات الماثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الاغلب لا تتعرض الا لآحاد هذه المعاني نعم قد قال ابوبكر الوراق الصدق ثلثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تع والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وصدق الطاعة لاهل العلم والورع وصدق المعرفة لاهل الولاية الذين هم اوتاد الارض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكن ذكر اقسام ما فيه الصدق وهذا ايضا غير محيط بجميع الاقسام وقال ابو جعفر الصدق الصادق مع المجاهدة وان لا تختار على الله تع غير الله كما لم يختر عليك غيرك فقال هو اجتباكم وقيل انه اوحى الله تع الى موسى عليه السلام اني اذا احببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وان وجدته جزوعا يشكوني الى خلقي خذلته ولا ابالي فاذن من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها والله اعلم تم كتاب النية والاخلاص والصدق والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله

كتاب المحاسبة والمراقبة

وهو الكتاب الثامن من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على كل جارحة بما اجترحت، المطلع على ضمائر القلوب اذا هجست، الحسيب على خواطر عباده اذا اختلجت، الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والارض تحركت او سكنت، المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الاعمال وان خفيت، المتفضل بقبول طاعات العباد وان صغرت، المتطول بالعفو عن معاصيهم وان كثرت، وانما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما احضرت، وتنظر فيما قدمت واخرت فتعلم انه لولا لزومها المراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيمة وهلكت وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضل الله بقبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت، فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت واستغرقت رحمته الخلائق في الدنيا والآخرة وغمرت فبنفحات فضله اتسعت القلوب للايمان وانشرحت، وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتادبت وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبتاييده ونصرته انقطعت مكايد الشيطان واندفعت، وبلطف عنايته ترجح كفة الحسنات اذا ثقلت وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت فمنه العطاء والجزاء والابعاد والادناء والاسعاد والاشقاء، والصلوة على محمد سيد الانبياء وعلى آله سادة الاصفياء وعلى اصحابه قادة الاتقياء وسلم كثيرا اما بعد فقد قال الله تع ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال وووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقال تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصيه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد وقال تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تع يوم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال تع يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه الآية وقال تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فعرف ارباب البصائر من جملة العباد ان الله تع لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا انهم لا ينجيهم من هذه الاخطار الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف في القيمة حسابه، وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته، وطالت في عرصات القيمة وقفاته وقادته الى الخزي والمقت سيئاته، فلما انكشف لهم ذلك علموا انه لا ينجيهم منه الا طاعة الله تع وقد امرهم بالصبر والمرابطة فقال يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا انفسهم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ست مقامات ولا بد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الاعمال فيها فاصلها المحاسبة ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعها عند الخسران معاتبة ومعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات

المقام الاول من المرابطة المشارطة اعلم ان مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم اليه المال حتى يتجر فيه ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وانما مطلبه وربحه تزكية النفس اذ بذلك فلاحها قال الله تع قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة

والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارات اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه او يعاتبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظائف ويشرط عليها الشروط ويرشدها الى طريق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة فانه لو اهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع راس المال كالعبد الخائن اذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس اهم كثيرا من تدقيقه في ارباح الدنيا مع انها محتقرة بالاضافة الى نعيم العقبى ثم كيف ما كانت فمصيرها الى التصرم والانقضاء ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لان الشر الذي لا يدوم اذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دائما وقد انقضى الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الاسف على انقطاعه دائما وقد انقضى الخير وفي مثل ذلك قيل

اشد الغم عندي في سرور … تيقن عنه صاحبه انتقالا

فحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر ان لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وخطواتها ولحظاتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كنز من الكنوز التي لا يتناهى نعيمها ابد الآباد فانفاق هذه الانفاس ضايعة او مصروفة الى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح بها نفس عاقل فاذا اصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي ان يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس ما لي بضاعة الا العمر ومهما فني نفد فني راس المال ووقع الياس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني الله تع فيه وانسانى اجلي وانعم علي به ولو توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا واحسبي انك قد توفيت ثم رددت فاياك ثم اياك ان تضيعي هذا اليوم فان كل نفس من هذه الانفاس جوهرة لا قيمة لها واعلمي يا نفس ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد بكل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار التي هي وسيلته عند الملك الجبار ما لو وزع على اهل النار لادهشهم ذلك الفرح عن الاحساس بالم النار ويفتح له خزانة اخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما يسره وما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها او غفل او اشتغل بشيء من المباحات فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما يناله القادر على الربح الكثير والملك الكبير اذا اهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك بذلك حسرة وغبنا وهكذا تعرض عليه خزاين اوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجتهدي اليوم في ان تعمري خزاينك ولا تدعيها فارغة

الى الذي لا يدوم … دائما

لها

عن

عن كنوزك التي هي اسباب ملكك ولا تميلي الى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك ويبقى عندك حسرة لا تفارقك وان دخلت الجنة فالم الغبن والحسرة لا يطاق وان كان دون الم النار وقد قال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين اشار به الى الغبن والحسرة وقد قال تع يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهذه وصيته لنفسه في اوقاته ثم ليستانف لها وصية في اعضائه السبعة وهي العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة لها في التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة فان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما تتعين تلك الابواب لمن عصى الله بهذه الاعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها اما العين فيحفظها عن النظر الى عورة مسلم او وجه من ليس له بمحرم او النظر الى مسلم بعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فان الله تع يسال عبده عن فضول النظر كما يساله عن فضول الكلام ثم اذا اصرفها عن هذا لم يقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وذلك هو الذي خلقت له من النظر الى عجائب صنع الله تع بعين الاعتبار والنظر الى اعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وسنة رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة وهكذا ينبغي ان يفصل عليها الامر في عضو عضو لا سيما اللسان والبطن واما اللسان فلانه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايتها عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق والاطعمة واللعن والدعاء على الاعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في كتاب آفات اللسان فهو بصدد ذلك كله مع انه خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وارشاد عباد الله الى طريق الله واصلاح ذات البين وساير خيراتها فليشترط على نفسه ان لا تحرك اللسان طول نهاره الا في الذكر فنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد واما البطن فيكلفه ترك الشره وتقليل الاكل من الحلال واجتناب الشبهات ويمنعها من الشهوات ويقتصر على قدر الضرورة ويشترط على نفسه انها ان خالفت شيئا من ذلك عاقبها بالمنع عن شهواتها كلها ليفوتها اكثر مما نالته بشهوتها وهكذا يشترط عليها في جميع الاعضاء واستقصاء ذلك يطول ولا يخفى معاصي الاعضاء وطاعاتها ثم يستانف وصيتها في وظايف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفية الاستعداد لها باسبابها وهذه شروط يفتقر اليها كل يوم ولكن اذا تعود الانسان شرط ذلك على نفسه اياما وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها فان اطاعت في بعضها بقيت الحاجة الى تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه فيها حق ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من اعمال الدنيا من ولاية او تجارة او تدريس اذ قل ما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج الى ان يقضي حق الله فيها فعليه ان يشترط على نفسه فيها الاستقامة والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الاهمال ويعظها كما يوعظ العبد المتمرد الآبق فان النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتاديب يؤثر فيها قال

الله تع وذكر فان الذكرى تنفع المومنين فهذا وما يجري مجراه هو اول مقام المرابطة مع النفس وهي
المحاسبة قبل العمل والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال تع الم نجعل له عينين
ولسانا وشفتين وهديناه النجدين قال تع واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وهذا
للمستقبل وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فانه يسمى محاسبة فالنظر فيما بين يدي العبد
في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تع يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في
سبيل الله فتبينوا وقال تع يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة
وقال تع ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ذكر ذلك تنبيها وتحذيرا للاحتراز منه
في المستقبل • وروي عبادة بن الصامت انه عليه السلم قال لرجل سأله ان يوصيه ويعظه اذا
اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته وقال بعض الحكماء
اذا اردت ان يكون العقل غالبا على الهوى فلا تعجل بقضاء الشهوة حتى تنظر الى العاقبة فان
مكث الندامة في القلب اكثر من مكث لذة الشهوة وقال لقمن ان المومن ابصر العاقبة فامن الندامة
وروى شداد بن اوس عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله دان نفسه اي حاسبها ويوم الدين هو يوم الحساب
وقوله تع انا لمدينون اي محاسبون وقال عمر بن الخطاب حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا
وزنوها قبل ان توزنوا وتهيئوا للعرض الاكبر وكتب الى ابي موسى الاشعري حاسب نفسك في
الرخاء قبل الحساب في الشدة وقال عمر رضي الله عنه لكعب كيف تجدها في كتاب الله تع قال ويل
لديان الارض من ديان السماء فعلاه بالدرة وقال الا من حاسب نفسه فقال كعب والله
يا امير المومنين انها الى جنبها في التورية ما بينهما حرف الا من حاسب نفسه وهذا كله اشارة الى
المحاسبة في المستقبل اذ قال دان نفسه فعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الامور اولا وقدرها
ونظر فيها وتدبرها ثم اقدم عليها فباشرها **المرابطة الثانية المراقبة** فانه اذا اوصى الانسان
نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى الا المراقبة لها عند الخوض في الاعمال وملاحظتها بالعين
الكالية فانها ان تركت طغت وفسدت فلنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها اما الفضيلة
فقد سال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه وقال
ايضا اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد قال تع افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت
وقال تع الم يعلم بان الله يرى وقال تع ان الله كان عليكم رقيبا وقال تع والذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال ابن المبارك لرجل راقب الله تع فسأله عن تفسير المراقبة فقال
كن ابدا كانك ترى الله سبحانه وقال عبد الواحد بن زيد اذا كان سيدي رقيبا علي فما ابالي بغيره
وقال ابو عثمان المغربي افضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة
عمله بالعلم وقال ابن عطاء افضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الاوقات وقال الجريري
امرنا هذا مبني على اصلين ان تلزم نفسك المراقبة لله تع ويكون العلم على ظاهرك قائما وقال
ابو عثمان قال لي ابو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم

عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك • وحكي انه كان لبعض مشايخ هذه
الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض اصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب
ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طيرا وسكينا وقال لهم ليذبح كل واحد منكم
طيره بحيث لا يراه احد ودفع الى الشاب مثل ذلك وقال له اذبحه بحيث لا يراك احد فرجع كل
واحد بطيره مذبوحا ورجع الشاب والطير في يده حيا فقال له ما لك لم تذبح وقد ذبح اصحابك
فقال لم اجد موضعا لا يراني فيه احد اذ الله مطلع علي في كل مكان فاستحسنوا مراقبته و
قالوا حق لك ان تكرمه • وحكي ان زليخا لما خلت بيوسف عليه السلم قامت فغطت وجه
صنمها فقال يوسف عليه السلم ما لك اتستحيين من مراقبة الجماد ولا استحيي من مراقبة الملك
الجبار وحكي عن بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها فقالت الا تستحيي فقال ممن استحيي
ولا يرانا الا الكواكب فقالت واين مكوكبها وقال رجل للجنيد بم استعين على غض البصر
فقال بعلمك ان نظر الناظر اليك اسبق من نظرك الى المنظور اليه وقال الجنيد انما يتحقق
بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل وعن مالك بن دينار قال جنات عدن من
جنات الفردوس فيها جوار خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها قال يقول الله تع انما يسكن
جنات عدن الذين اذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انثنت اصلابهم من
خشيتي وعزتي وجلالي اني لاهم بعذاب اهل الارض فاذا نظرت الى اهل الجوع والعطش
من مخافتي صرفت عنهم العذاب • وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال اولها علم القلب بقرب الرب
تع وقال المرتعش المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة • وروي ان
الله تع قال للملائكة انتم موكلون بالظواهر وانا الرقيب على البواطن وقال محمد بن علي الترمذي
اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره اليك واجعل شكرك لمن لا ينقطع نعمه عنك واجعل
طاعتك لمن لا تستغني عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه وقال سهل
لم يتزين القلب بشيء افضل ولا اشرف من علم العبد بان الله شاهده حيث كان • وسئل بعضهم عن
قوله تع رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه فقال معناه ذلك لمن راقب ربه تع وحاسب
نفسه وتزود لمعاده وسئل ذو النون بم ينال العبد الجنة فقال بخمس استقامة ليس فيها روغان
واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تع في السر والعلانية وانتظار الموت بالتاهب له
ومحاسبة نفسك قبل ان تحاسب وقيل في معنى هذا • اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ولكن قل علي رقيب • ولا تحسبن الله يغفل ساعة • ولا ان ما تخفي عليه يغيب •
الم تر ان اليوم اسرع ذاهب • وان غدا للناظرين قريب • وقال حميد الطويل لسليمن بن علي
عظني فقال لئن كنت اذ عصيت الله خاليا ظننت انه يراك لقد اجترات على امر عظيم ولئن كنت تظن
انه لا يراك فلقد كفرت وقال سفين الثوري عليك بالمراقبة ممن لا يخفى عليه خافية وعليك
بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة وقال فرقد السبخي ان المنافق ينظر
فاذا لم ير احدا ادخل مداخل السوء وانما يراقب الناس ولا يراقب الله وقال عبد الله بن دينار

خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة من هذه الغنم فقال اني مملوك فقال قل لسيدك اكلها الذئب قال فاين الله قال فبكى عمر ثم غدا الى صاحب المملوك فاشتراه من مولاه واعتقه وقال اعتقتك في الدنيا بهذه الكلمة وارجوان تعتقك في الآخرة

بيان حقيقة المراقبة

اعلم ان حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم اليه فمن احترز من امر من الامور بسبب غيره يقال انه يراقب فلانا ويراعي جانبه ونعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة اعمالا في الجوارح وفي القلب اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته اليه وملاحظته اياه وانصرافه نحوه واما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بان الله تعالى مطلع على الضماير عالم بالسراير رقيب على اعمال العباد قايم على كل نفس بما كسبت وان سر القلب في حقه مكشوف كما ان ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل اشد من ذلك فهذه المعرفة اذا صارت يقينا اعني انها اذا خلت عن الشك ثم استولت على القلب استجرت القلب الى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه اليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون الى الصديقين والى اصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين الدرجة الاولى مراقبة المقربين من الصديقين وهي مراقبة التعظيم والاجلال وهو ان يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسرا تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع الى الالتفات الى الغير اصلا وهذه مراقبة لا نطول النظر في تفصيل اعمالها فانها مقصورة على القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة لها فلا تحتاج الى تدبير وتثبت في حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي فاذا صار مستوفى صار همه هما واحدا وكفاه الله ساير الهموم ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع انه لا صمم به وقد يمر عليه ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن عاتبه اذا مررت بي فحركني ولا تستبعد هذا فانك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة لملوك الارض حتى ان خدم الملوك لشدة استغراقهم بهم قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم بل قد يشتغل القلب بمهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي فربما يجاوز الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض اليه وقد قيل لعبد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق قال ما اعرف الا رجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان الا سريعا حتى دخل عتبة الغلام فقال له عبد الواحد بن زيد من اين جئت يا عتبة فقال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من لقيت في الطريق فقال ما رايت احدا وروي عن يحيى بن زكريا انه مر بامراة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا قال ما ظننتها الا جدارا وحكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا منهم فتقدمت اليه فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله تعالى اشهى الي فقلت انت وحدك فقال معي ربي وملكاي

فقلت

فقلت من سبق من هولاء قال من غفر الله له فقلت اين الطريق فاشار الى السماء وقام ومشى وقال اكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم الا منه ولا يسمع الا فيه فهذا لا يحتاج الى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لا تتحرك الا بما هو فيه ودخل الشبلي على ابي الحسين النوري رحمة الله عليهما وهو معتكف فوجده ساكنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شيء فقال له ممن اخذت هذه المراقبة فقال من سنور كانت لنا كانت اذا ارادت الصيد رابطت راس الجحر لا تتحرك لها شعرة وقال ابو عبد الله بن خفيف رحمة الله عليه خرجت من مصر اريد الرملة للقاء ابي علي الروذباري فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد ان في صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لعلك تستفيد منهما فدخلت صور وانا جايع وعطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شيء فدخلت المسجد فاذا بشخصين قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما اجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم اسمع الجواب فقلت نشدتكما بالله الا رددتما علي فرفع الشاب راسه من مرقعته فنظر الي فقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقي من القليل الا قليل فخذ من القليل الكثير يا ابن خفيف ما اقل شغلك حتى تفرغ الى لقايتنا قال فاخذ بكليتي ثم طاطا راسه في المكان فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعيائي فلما كان بعد العصر قلت عظني فرفع راسه الي وقال يا ابن خفيف نحن اصحاب المصايب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة ايام لا اكل ولا اشرب ولا انام ولا رايتهما اكلا ولا شربا ولا ناما فلما كان في اليوم الثالث قلت في سري احلفهما ان يعظاني لعلي انتفع بوعظهما فرفع الشاب راسه وقال لي يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رويته ويقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك الدرجة الثانية مراقبة الورعين من اصحاب اليمين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم ولكن لم يدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع ممارسة الاعمال لا تخلو عن المراقبة نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون ولا يحجمون الا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في يوم القيمة فانهم يرون الله تعالى في الدنيا مطلعا عليهم فلا يحتاجون الى انتظار القيمة ويعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدة فانك في خلوتك في الدنيا قد تتعاطى اعمالا فيحضرك صبي او امراة فتعلم انه مطلع عليك فتستحيي منه فتحسن جلوسك وتراعي احوالك لا عن اجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وان كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فانه يهيج الحياء عنك وقد يدخل عليك ملك من الملوك او كبير من الاكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما انت فيه شغلا به لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد في مراقبة الله تعالى ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج الى ان يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته وبالجملة جميع اختياراته وله فيه نظران نظر قبل العمل ونظر في العمل اما قبل العمل فلينظر ان الذي ظهر له وتحرك لفعله خاطره اهو لله تعالى خاصة او هو في

هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق فان
كان لله امضاه وان كان لغير الله استحيى من الله وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبتها فيه
وهمها به وميلها اليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وانها عدوة نفسها ان لم يتداركها
الله بعصمته وهذا التوقف في بداية الامور الى حد البيان واجب محتوم لا محيص لاحد عنه
فان في الخبر انه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وان صغرت ثلاثة دواوين الديوان الاول
لم والديوان الثاني كيف والثالث لمن ومعنى لم اي لم فعلت هذا اكان عليك ان تفعله
لمولاك او ملت اليه لشهوتك وهواك فان سلم منه بان كان عليه ان يعمل ذلك لمولاه سئل عن
الديوان الثاني فقيل له كيف فعلت هذا فان لله تعالى في كل عمل شرطا وحكما لا تدرك قدره ووقته
ووصفه الا بعلم فيقال له كيف فعلت ابعلم محقق ام بجهل وظن فان سلم من هذا نشر الديوان
الثالث وهو المطالبة بالاخلاص فيقال لمن عملت الوجه الله تعالى خالصا وفاء بقولك لا
اله الا الله فيكون اجرك على الله او للمرآة لخلق مثلك فخذ اجرك منه ام عملته لتنال عاجل دنياك
فقد وفيناك نصيبك من الدنيا ام عملت سهوا وغفلة فقد سقط اجرك وحبط عملك وخاب
سعيك وان عملت لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي اذ كنت عبدا لي تاكل رزقي وتترفه
بنعمتي ثم تعمل لغيري اما سمعتني اقول ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ويحك اما سمعتني اقول
الا لله الدين الخالص فاذا عرف العبد انه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات طالب
نفسه قبل ان يطالب واعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا فلا يبدي ولا يعيد الا بعد التثبت ولا
يحرك جفنا ولا انملة الا بعد التامل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ ان الرجل ليسال
عن كحل عينيه وعن فتات الطين باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه قال الحسن كان احدهم اذا
اراد ان يتصدق بصدقة نظر وتثبت فان كان لله امضاها وقال الحسن ايضا رحم الله عبدا
وقف عند همه فان كان لله امضاه وان كان لغيره تاخر وقال في حديث سعد حين اوصاه سلمان
اتق الله عند همك اذا هممت وقال محمد بن علي ان المومن وقاف متان يقف عند همه ليس
كحاطب ليل فهذا هو النظر الاول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا الا العلم المتين والمعرفة
الحقيقية باسرار الاعمال واغوار النفس ومكايد الشيطان ومتى لم يعرف نفسه وربه وعدوه
الشيطان ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله ويرضاه في نيته وهمته وفكرته وسكونه
وحركته فلا يسلم في هذه المراقبة بل الاكثرون يرتكبون بالجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا فلا تظنن ان الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر هيهات بل طلب العلم فريضة
على كل مسلم ولهذا كانت ركعتان من عالم افضل من الف ركعة من غير عالم لانه يعلم آفات النفوس
ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقيه والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل
في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة فنعوذ من الجهل والغفلة فهما راس كل شقاوة واساس كل
خسران فحكم الله على كل عبد ان يراقب نفسه عند همه بالفعل وسعيه بالجوارح فيتوقف عند التعي

وعند الهم حتى ينكشف له بنور العلم انه لله تعالى فيمضيه او هو لهوى النفس فيتقيه ويزجر القلب
عن الفكر فيه وعن الهم به فان الخطرة الاولى في الباطل اذا لم تدفع اورثت الرغبة والرغبة
تورث الهم والهم يورث جزم القصد والقصد يورث الفعل والفعل يورث البوار والمقت
فينبغي ان يحسم مادة الشر من منبعه الاول وهو الخاطر فان جميع ما وراءه يتبعه ومهما
اشكل على العبد ذلك واظلمت الواقعة ولم ينكشف له فليتفكر في ذلك بنور العلم وليستعذ بالله
من مكر الشيطان بواسطة الهوى فان عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستضيء بنور علماء
الدين وليفر من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل اشد فقد اوحى
الله تعالى الى داود لا تسال عني عالما اسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي اولئك قطاع الطريق
على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى فان
مستقى انوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بها من استدبرها واقبل على عدوها
او عشق ضدها وهي شهوات الدنيا فليكن همة المريد اولا في احكام العلم او في طلب عالم
معرض عن الدنيا او ضعيف الرغبة فيها فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب البصر النافذ
عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات جمع بين الامرين وهما متلازمان
حقا فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر نافذ في الشبهات ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود اليه ابدا انما قدر العقل الضعيف الذي
سعد الآدمي به حتى يحتاج الى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب ومعرفة آفات الاعمال قد
اندرست في هذه الاعصار فان الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم واشتغلوا بالتوسط
بين الخلق في الخصومات الثائرة من اتباع الشهوات وقالوا هو الفقه واخرجوا هذا
العلم الذي هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجرد والفقه الدنيا الذي لم يقصد به الا
دفع الشواغل عن القلوب لتتفرغ لفقه الدين فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا
الفقه وفي الخبر انكم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسياتي عليكم زمان خيركم فيه
المتثبت ولمثل هذا توقفت طايفة من الصحابة في القتال مع اهل العراق واهل الشام
لما اشكل عليهم الامر كسعد بن ابي وقاص وابن عمر واسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة و
غيرهم فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعا لهواه معجبا برايه وكان ممن وصفه رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ قال اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك
بخاصة نفسك وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم
وقوله عليه السلام اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث واراد به ظنا بغير دليل كما يستفتي
بعض العوام قلبه فيما اشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الامر وعظمه كان دعاء
الصديق الاكبر رضي الله عنه اللهم ارني الحق حقا وارزقني اتباعه وارني الباطل باطلا و
ارزقني اجتنابه ولا تجعله علي متشابها فاتبع الهوى وقال عيسى عليه السلام الامور ثلاثة امر
استبان رشده فاتبعه وامر استبان غيه فاجتنبه وامر اشكل عليك فكله الى عالم وقد

كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك ان اقول في الدين بغير علم واعظم نعم الله تع على عباده نور العلم وكشف الحق والايمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تع امتنانا على عبده وكان فضل الله عليك عظيما واراد به العلم وقال تع فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال ان علينا للهدى وقال ثم ان علينا بيانه وقال وعلى الله قصد السبيل وقال علي رضي الله عنه الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة رب بعيد اقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء ظن نعم الخلق التكرم والحياء سبب الى كل جميل واوثق العرى التقوى واوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله تعالى انما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تأته اتاك وان كنت جازعا على ما افلت من يديك فلا تجزع على ما لم يصل اليك واستدل على ما لم يكن بما كان فان الامور اشباه وانما المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك اسفا وليكن سرورك بما قدمت واسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت وغرضنا من نقل هذا كله قوله رضي الله عنه ومن التوفيق التوقف عند الحيرة فاذن النظر الاول للمراقب نظره في الهم والحركة اهي لله ام للهوى وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فقد استكمل ايمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله واذا عرض له امران احدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا واظهر ما ينكشف له في حركاته ان يكون مباحا ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه النظر الثاني المراقبة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه ويحسن النية في اتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على اكمل ما يمكنه وهذا لازم له في جميع احواله فانه لا يخلو في جميع احواله عن حركة وسكون فاذا راقب الله تع في جميع ذلك قدر على عبادة الله فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الادب فان كان قاعدا مثلا يقعد مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم خير المجالس ما استقبل به القبلة ولا يجلس متربعا اذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه وقال ابرهيم بن ادهم جلست مرة متربعا فسمعت هاتفا يقول اهكذا تجالس الملوك فلم اجلس بعد ذلك كذلك وان كان يريد ان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع ساير الآداب التي ذكرناها في موضعها وكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة فاذن لا يخلو العبد اما ان يكون في طاعة او في معصية او مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص والاكمال ومراعاة الادب وحراستها عن الآفات وان كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتفكير وان كان في مباح فمراقبته بمراعاة الادب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها ولا يخلو العبد في جملة احواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال

من فرض لله عليه اما فعل يلزمه مباشرته او محظور يلزمه تركه او ندب حث عليه ليسارع به الى مغفرة الله ويسابق به عباد الله او مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة لها ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فينبغي ان يتفقد العبد نفسه في جميع اوقاته في هذه الاقسام الثلاثة فاذا كان فارغا من الفرايض وقدر على الفضايل فينبغي ان يلتمس افضل الاعمال ليشتغل به فان من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والارباح تنال بمزايا الفضايل فبذلك يأخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال الله تع ولا تنس نصيبك من الدنيا وكل ذلك انما يمكن بصبر ساعة واحدة فان الساعات ثلاث ساعة مضت ولا تعب على العبد فيها كيف ما انقضت في مشقة او في رفاهية وساعة مستقبلة لم تأت بعد لا يدري العبد ايعيش اليها ام لا ولا يدري ما يقضي الله فيها وساعة راهنة ينبغي ان يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربه فان لم تأته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وان اتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الاولى ولا يطول امله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كانه في آخر انفاسه وهو لا يدري واذا امكن ان يكون آخر انفاسه فينبغي ان يكون على وجه لا يكره ان يدركه الموت وهو على تلك الحالة ويكون جميع احواله مقصورة على ما رواه ابو ذر من قوله عليه السلام لا يكون المؤمن ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم وفي معناه ما روي ايضا ان يكون له اربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة تفكر في صنع الله تع وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان في هذه الساعة عونا له على الساعات ثم هذه الساعة التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي ان يخلو فيها من عمل هو افضل الاعمال وهو الذكر والفكر فان الطعام الذي يتناوله مثلا فيه من العجايب ما لو تفكر فيه وتفطن لها كان ذلك افضل من كثير من اعمال الجوارح والناس فيه اقسام قسم ينظرون اليه بعين البصيرة والاعتبار فينظرون في عجايب صنعه وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله تع لاسبابه وخلق الشهوة الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيه كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر وهذا هو مقام ذوي الالباب وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار اليه ويودون لو استغنوا عنه ولكن يرون انفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهوته وهذا مقام الزاهدين وقسم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها الى صفات الخالق فيكون مشاهدة ذلك سببا لتذكر ابواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه وهذا هو اعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين اذ المحب اذا راى صنعة حبيبه او كتابه او تصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله تع فله في النظر منه الى الصانع مجال رحب الى ان انفتحت له ابواب الملكوت وذلك عزيز جدا وقسم رابع ينظرون اليه بعين الرغبة والحرص فيتأسفون

على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملته ويذمون منه ما لا يوافق هواهم و
يعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطبيخ والطباخ ولقدرته وعمله هو الله تع وان
من ذم شيئا من خلق الله بغير اذن الله فقد ذم الله ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
الدهر فان الله هو الدهر فهذه هي المرابطة الثانية بمراقبة الاعمال على الدوام والاتصال
وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن احكم الاصول المرابطة الثالثة
محاسبة النفس بعد العمل ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها اما الفضيلة فقد
قال الله تع يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهذه اشارة الى المحاسبة
على ما مضى من الاعمال ولذلك قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها
قبل ان توزنوا وفي الخبر انه عليه السلم جاءه رجل فقال يا رسول الله اوصني فقال امستوص
انت قال نعم قال اذا هممت بامر فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته
عنه وفي الخبر ينبغي ان يكون للعاقل اربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه الحديث وقد
تقدم ذكره وقال الله تع وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ
منه بالندم عليه وقال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله تع واتوب اليه في اليوم مائة مرة و
قال الله تع ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وعن
عمر رضي الله عنه انه كان يضرب قدميه بالدرة اذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم
وعن ميمون بن مهران انه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبة شريكه
والشريكان انما يتحاسبان بعد العمل وروي عن عائشة رضي الله عنها وعن ابيها ان ابا بكر الصديق
رضي الله عنه قال لها عند الموت ما احد من الناس احب الي من عمر ثم قال لها كيف قلت
فقالت قلت ما احد من الناس احب الي من عمر فقال لا ما احد اعز علي من عمر فانظر
كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وابدلها بكلمة غيرها وحديث ابي طلحة حين شغله
الطير في صلوته فتدبر شغله فجعل حائطه صدقة لله ندما ورجاء للعوض بما فاته وفداء
لشغله به وفي حديث ابن سلام انه حمل حزمة من حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان في
بنيك وغلمانك ما يكفيك هذا فقال اردت ان اجرب نفسي هل تنكره وقال الحسن المومن
قوام على نفسه يحاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما شق
الحساب يوم القيمة على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبته ثم فسر المحاسبة وقال ان المومن
يفجاه الشي يعجبه فيقول والله انك لتعجبني وانك لمن حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك
وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويفرط منه الشي فيرجع الى نفسه فيقول ما اردت بهذا
والله لا اعذر بهذا والله لا اعود لهذا ابدا ان شاء الله وقال انس بن مالك رضي الله عنه سمعت
عمر بن الخطاب يوما وقد خرجت معه حتى دخل حائطا فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو
في الحائط عمر بن الخطاب امير المومنين بخ بخ والله لتتقين الله او ليعذبنك وقال الحسن
في قوله تع ولا اقسم بالنفس اللوامة قال لا تلقى المومن الا يعاتب نفسه ماذا اردت بكلمتي

ماذا اردت بشربتي ماذا اردت باكلتي والفاجر يمضي قدما قدما لا يعاتب نفسه وقال
مالك بن دينار رحم الله عبدا قال لنفسه الست صاحبة كذا الم تفعلي كذا ثم زمها ثم خطمها ثم الزمها
كتاب الله تع فكان له قائدا وهذا من معاتبة النفس كما سياتي في موضعه وقال
ميمون بن مهران التقي اشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح وقال
ابرهيم التيمي مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها واشرب من انهارها واعانق ابكارها
ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها واشرب من صديدها واعالج سلاسلها واغلالها
فقلت لنفسي يا نفس اي شي تريدين فقالت اريد ان ارد الى الدنيا فاعمل صالحا قلت
فانت في الامنية فاعملي وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول رحم الله امرا
حاسب نفسه قبل ان يصير الحساب الى غيره رحم الله امرا اخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد
به رحم الله امرا نظر الى مكياله رحم الله امرا نظر في ميزانه وما زال يقول رحم الله امرا حتى
ابكاني وحكى صاحب الاحنف بن قيس قال كنت اصحبه فكان عامة صلوته
بالليل الدعاء وكان يجي الى المصباح فيضع اصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا
حنف ما حملك على ما صنعت يوم كذا ما حملك على ما صنعت يوم كذا بيان حقيقة
المحاسبة بعد العمل اعلم ان العبد كما يكون له وقت في اول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل
التوصية بالحق فكذلك ينبغي ان يكون له في آخر النهار ايضا ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على
جميع حركاتها وسكناتها وكذلك يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة او شهر او يوم
حرصا منهم على الدنيا وخوفا من ان يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته
ولو حصل ذلك لهم لكان لا يبقى الا اياما قلائل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق
به خطر الشقاوة والسعادة ابد الآباد ما هذه المساهلة الا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق
نعوذ بالله من ذلك ومعنى المحاسبة مع الشريك ان ينظر في راس المال وفي الربح والخسران
ليتبين له الزيادة من النقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وان كان من خسران
طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل وكذلك راس مال العبد في دينه الفرائض وربحه
النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعامله نفسه الامارة
بالسوء فليحاسبها على الفرائض فان اداها على وجهها شكر الله عليه ورغبها في مثلها وان
فوتها من اصلها طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وان
ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاقبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما
كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه يفتش في حساب الدنيا عن القيراط والحبة فيحفظ مداخل
الزيادة والنقصان حتى لا يغبن في شي منها فينبغي ان يتقي غشة النفس ومكرها فانها
خداعة ملبسة مكارة فليطالبها اولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل
بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وافكاره
وقيامه وقعوده واكله وشربه ونومه حتى عن سكوته انه لم سكت وعن سكونه انه لم سكن فاذا عرف

بمجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر اداء الواجب الحق فيه كان ذلك القدر محسوبا
له فيظهر له الباقي عليها فليثبته عليها وليكتب على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على
شريكه على قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه او على جريدته ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي
منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على
ذلك فلا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل
ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء ثم ينبغي ان يحاسب النفس على جميع العمر يوما
يوما وساعة ساعة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب
يوما فاذا هو ابن ستين سنة فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمس مائة
يوم فصرخ وقال يا ويلتي القى الملك باحد وعشرين الف سيئة وخمس مائة سيئة كيف وفي كل
يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قايلا يقول يا لك ركضة
الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي ان يحاسب نفسه على الانفاس واللحظات وعلى معصيتها
بالقلب والجوارح في كل ساعة ولو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره لامتلات داره في مدة
قريبة من عمره ولكنه متساهل في حفظه والملكان يحفظان عليه احصاه الله ونسوه
المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة
معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي ان يهملها فانه ان اهملها سهل عليها مقارفة
المعاصي وانست بها نفسه وعسر عليه فطامها وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي ان يعاقبها
فاذا اكل لقمة شبهة بشهوة نفس فينبغي ان يعاقب البطن بالجوع واذا نظر الى غير محرم ينبغي
ان يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من الاطراف بمنعه عن شهواته هكذا
كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روي عن منصور بن ابرهيم ان رجلا من العباد كلم امراة
فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده في النار حتى نشت . وروي انه كان في بني
اسرايل رجل يتعبد في صومعته فمكث بذلك زمانا طويلا فاشرف ذات يوم فاذا هو بامراة
فافتتن بها وهم بها فاخرج رجله لينزل اليها فادركه الله عز وجل بسابقة فقال ما هذا
الذي اريد ان اصنع فرجعت اليه نفسه وعصمه الله فندم فلما اراد ان يعيد رجله الى
الصومعة قال هيهات هيهات رجل خرجت تريد ان تعصي الله تعود معي لا يكون
ذلك والله ابدا فتركها معلقة من الصومعة تصيبها الامطار والرياح والثلج والشمس حتى
تقطعت فسقطت فشكر الله تع له ذلك وانزل ذكره في بعض الكتب . وحكي عن الجنيد انه قال
سمعت ابن الكريني يقول اصابتني ليلة جنابة احتجت ان اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت
في نفسي تاخيرا وتقصيرا فحدثتني نفسي بالتاخير حتى اصبح واسخن الماء او ادخل الحمام ولا
اعنى على نفسي فقلت واعجباه انا اعامل الله تع في طول عمري فيجب له علي حق فلا اجد في المسارعة
واجد في الوقوف والتاخير آليت ان لا اغتسل الا في مرقعتي هذه وآليت ان لا انزعها و
لا اعصرها ولا اجففها في الشمس . وحكي ان غزوان وابا موسى كانا في بعض مغازيهما فتكشفت

جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى بقرت وقال انك للحاظة الى كل ما يضرك
ونظر بعضهم الى امراة نظرة واحدة فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء البارد طول عمره و
كان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش . وحكي ان حسان بن ابي سنان مر
بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال لها تسالين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم
سنة فصامها وقال مالك بن ضيغم جاء رباح العبسي يسال عن ابي بعد العصر فقلنا له
انه نايم قال نوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفا فاتبعناه رسولا وقلنا الا نوقظ
لك قال فجاء الرسول وقال هو اشغل من ان يفهم شيئا ادركته وهو يدخل المقابر وهو
يعاتب نفسه ويقول أقلت نوم هذه الساعة أفكان هذا عليك ينام الرجل متى شاء وما
يدريك ان هذا ليس وقت نوم تكلمين بما لا تعلمين اما ان لله تع عهدا ان لا انقضه ابدا الا
اوسدك الارض لنوم حولا كاملا الا لمرض حايل او عقل زايل سوءاة لك اما تستحيين كم
توبخين وعن غيك لا تنتهين وقال وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني فلما رايت ذلك
انصرفت وتركته . وحكي ان تميما الداري نام ليلة لم يقم للتهجد فقام سنة لم ينم فيها
عقوبة للذي صنع . وعن طلحة رضي الله عنه قال انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ
في الرمضاء وكان يقول لنفسه ذوقي نار جهنم اشد حرا اجيفة بالليل بطالة بالنهار قال
فبينا هو كذلك اذ ابصر النبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فاتاه فقال غلبتني نفسي فقال النبي
صلى الله عليه وسلم الم يكن لك بد من الذي صنعت اما لقد فتحت لك ابواب السماء ولقد
باهى الله بك الملايكة ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم تزودوا من اخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان
ادع لي يا فلان ادع لي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عمهم فقال اللهم اجعل التقوى
زادهم واجمع على الهدى امرهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدده فقال
الرجل اللهم اجعل الجنة مآبهم وقد قال حذيفة بن قتادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك
في شهواتها فقال ما على وجه الارض نفس ابغض الي منها فكيف اعطيها شهوتها . ودخل
ابن السماك على داود الطايي حين مات وهو في بيته على التراب فقال يا داود سجنت نفسك
قبل ان تسجن وعذبت نفسك قبل ان تعذب فاليوم ترى ثواب من كنت تعمل له . وعن
وهب بن منبه ان رجلا تعبد زمانا ثم بدت له الى الله تع حاجة فقام سبعين سبتا
ياكل في كل سبت احدى عشرة تمرة ثم سال حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه وقال منك اتيت
لو كان فيك خير لاعطيت حاجتك وقال عبد الرحمن بن قيس كنا في غزاة لنا فحضر العدو
فصيح في الناس فقاموا الى المصاف في يوم شديد الريح فاذا رجل امامي وهو يخاطب نفسه
ويقول لها اي نفسي الم اشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي اهلك وعيالك فاطعتك و
رجعت والله لاعرضنك اليوم على الله اخذك او تركك فقلت لارمقنه اليوم فرمقته فحمل
الناس على عدوهم وكان في اوايلهم ثم ان العدو حمل على الناس فانكشفوا وكان في موضعه
حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل فوالله ما زال ذلك دابه حتى رايته صريعا فعددت به

وبد ابته اكثر من ستين طعنة وقد ذكرنا حديث ابي طلحة لما اشتغل قلبه في الصلوة بطير في حائطه فتصدق بالحائط كفارة له • وكان عمر رضي الله عنه يضرب قدميه بالدرة ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم • وعن مجمع انه رفع راسه الى السطح فوقع بصره على امراة فجعل على نفسه ان لا يرفع راسه الى السماء ما دام في الدنيا وكان الاحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل وكان يضع اصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك على ان صنعت في يوم كذا وكذا كذا وكذا ويكرر ذلك على نفسه • وانكر وهيب بن الورد شيئا على نفسه فنتف شعرات على صدره حتى عظم المه ثم جعل يقول لنفسه ويحك انما اريد بك الخير • وراى محمد بن بشر داود الطائي وهو ياكل عند افطاره خبزا بغير ملح فقال له لو اكلت بملح فقال ان نفسي لتدعوني الى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحا ما دام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة اولي الحزم والعجب انك تعاقب عبدك وامتك واهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في امر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج امرهم من الاختيار ولبغوا عليك ثم تهمل نفسك وهي اعظم عداوة لك واشد طغيانا عليك وضررك من طغيانها اعظم من طغيان اهلك فان غايتهم ان يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان العيش عيش الآخرة وان فيه النعيم المقيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنغص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة اولى من غيرها **المرابطة الخامسة المجاهدة** وهي انها اذا حاسبت نفسك فرايتها قد قارفت معصية فينبغي ان تعاقبها بالعقوبات التي مضت وان رايتها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل او ورد من الاوراد فينبغي ان تؤدبها بتثقيل الاوراد عليها وتلزمها فنونا من الوظائف جبرا لما فات وتداركا لما فرط فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى وقد عاقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه نفسه حين فاتته صلوة العصر في جماعة بان تصدق بارض له قيمتها مائتا الف درهم • وكان ابن عمر اذا فاتته صلوة في جماعة احيى تلك الليلة واخر ليلة صلوة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وفاتت ابن ابي ربيعة ركعتا الفجر فاعتق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة او الحج ماشيا او التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها **فان قلت** ان كانت لا تطاوعني نفسي على الاجتهاد والمواظبة على الاوراد فما سبيل معالجتها ان تمعتها ما ورد في الاخبار من فضل المجتهدين ومن انفع اسباب العلاج ان يطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فيلاحظ احواله ويقتدي به كان بعضهم يقول كنت اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت الى محمد بن واسع وعملت عليها اسبوعا الا ان هذا علاج قد تعذر اذ فقد في هذا الزمان من عباد الله تعالى من يجتهد في العبادة اجتهاد الاولين فينبغي ان تعدل من المشاهدة الى السماع فلا شيء انفع من سماع احوالهم ومطالعة اخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم ابد الآباد لا ينقطع فما اعظم ملكهم وما اشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه اياما قلائل بشهوات مكدرة ثم ياتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه

فان قيل [illegible]

ابد الآباد نعوذ بالله منه • ونحن نورد من اوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك به رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال صلى الله عليه وسلم رحم الله اقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن اجهدهم العبادة وقال الله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يعملون ما عملوا من اعمال البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب الله و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله • ويروى ان الله تعالى يقول للملائكة ما بال عبادي مجتهدين فيقولون الهنا خوفتهم شيئا فخافوه وشوقتهم الى شيء فاشتاقوا اليه فيقول تبارك وتعالى فكيف لو راوني عبادي لكانوا اشد اجتهادا وقال الحسن ادركت اقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل ولا ياسفون على شيء منها ادبر ولهي كانت اهون في اعينهم من هذا التراب الذي تطاونه بارجلكم ان كان احدهم ليعيش عمره كله ما طوي له ثوب ولا امر اهله بصنعة طعام قط وادركتهم عاملين بكتاب الله وسنة نبيهم اذا جنهم الليل فقيام على اطرافهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم يناجون ربهم في فكاك رقابهم اذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودابوا في شكرها وسالوا الله تعالى ان يتقبلها واذا عملوا السيئة احزنتهم وسالوا الله تعالى ان يغفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا الا بالمغفرة • ويحكى ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه واذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له عمر يا فتى ما الذي بلغ بك ما ارى فقال امير المؤمنين اسقام و امراض فقال سالتك بالله الا صدقتني فقال يا امير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة فصغرت عندي زهرتها وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وكاني انظر الى عرش ربي والناس يساقون الى الجنة والنار فاظمات لذلك نهاري واسهرت ليلي وقليل حقير كل ما انا فيه في جنب ثواب الله وعقابه وقال ابو نعيم كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا ياكل الخبز فقيل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية • ودخل عليه رجل يوما فقال له ان في سقف بيتك جذعا مكسورا فقال يا ابن اخي اني في هذا البيت منذ عشرين سنة ما نظرت الى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام وقال محمد بن عبد العزيز جلسنا الى احمد بن رزين من غدوة الى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة فقيل له في ذلك فقال ان الله تعالى خلق العينين لينظر بهما الى عظمة الله تعالى فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة وقالت امراة مسروق ما كان يوجد مسروق الا وساقاه منتفختان من طول الصلوة وقالت والله ان كنت لاجلس خلفه فابكي رحمة له وقال ابو الدرداء لولا ثلاث ما احببت العيش يوما واحدا الظما لله بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة اقوام ينتقون اطايب الكلام كما ينتقى اطايب الثمر • وكان الاسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى يخضر جسده ويصفر • وكان علقمة بن قيس يقال له لم تعذب نفسك فيقول كرامتها اريد وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلي حتى يسقط ودخل عليه انس

بن مالك والحسن وقالا ان الله تع لم يامرك بكل هذا فقال انما انا عبد مملوك لا ادع من
الاستكانة شيئا الا جئت به • وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم الف ركعة حتى اقعد من رجليه
فكان يصلي جالسا الفي ركعة فاذا صلى العصر احتبى ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت بك
بدلا عجبت للخليقة كيف انست بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك
وكان ثابت البناني قد حببت اليه الصلوة فكان يقول اللهم ان كنت اذنت لاحد
ان يصلي لك في قبره فاذن لي ان اصلي في قبري وقال الجنيد ما رايت اعبد من السري
اتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعا الا في علة الموت وقال الحارث بن
سعد مر قوم براهب فراوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال وما هذا
عند ما يراد بالخلق من ملاقاة الاهوال وهم غافلون قد اعتكفوا على حظوظ انفسهم ونسوا
حظهم الاكبر من ربهم فبكى القوم عن اخرهم وعن ابي محمد بن المغازلي قال جاور ابو محمد الجريري
بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند الى عمود ولا الى حائط ولم يمد رجليه فعبر عليه ابو بكر
الكتاني فسلم عليه فقال له يا ابا محمد بم قدرت على اعتكافك فقال علم صدق باطني فاعانني على ظاهره
فاطرق الكتاني ومشى متفكرا • وعن بعضهم قال دخلت على فتح الموصلي فرايته وقد مد كفيه
يبكي حتى رايت الدموع تنحدر من بين اصابعه فدنوت منه فاذا دموعها قد خالطها صفرة
فقلت له بالله يا فتح بكيت الدم فقال والله لولا انك حلفتني بالله لما اخبرتك نعم بكيت دما
فقلت له على ماذا بكيت الدموع فقال على تخلفي عن واجب حق الله وبكيت الدم على الدموع لئلا
تكون صحت لي الدموع قال فرايته بعد موته في المنام فقلت له ما صنع الله بك فقلت غفر لي فقلت
له فما صنع في دموعك فقال قربني ربي تعالى وقال لي يا فتح الدموع على ماذا قلت يا ربي على
تخلفي عن واجب حقك فقال والدم على ماذا قلت على دموعي ان لا تصح لي فقال لي يا فتح ما
ذا اردت بهذا كله وعزتي وجلالي لقد صعد الي حافظاك بصحيفتك اربعين سنة ما فيها
خطيئة وقيل ان قوما ارادوا سفرا فحادوا عن الطريق فانتهوا الى راهب منفرد عن الناس
فنادوه فاشرف عليهم من صومعته فقالوا يا راهب انا قد اخطانا الطريق قال فاومى براسه
الى السماء فعلم القوم ما اراده فقالوا يا راهب انا سائلوك فهل انت مجيبنا فقال سلوا ولا تكثروا
فان النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فتعجب القوم من كلامه فقالوا يا راهب علام
الخلق غدا عند مليكهم فقال على نياتهم فقالوا اوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فان
خير الزاد ما بلغ البغية ثم ارشدهم الى الطريق وادخل راسه في صومعته وقال عبد الواحد
بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبني فناديته
الثالثة فاشرف علي وقال يا هذا ما انا براهب انما الراهب من رهب الله في سمائه وعظمه
في كبريائه وصبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل
لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر في حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم
قد اسهره ذكر النار ومسائلة الجبار فذلك هو الراهب واما انا فكلب عقور حبست نفسي

في هذه الصومعة عن الناس لئلا اعقرهم فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن
الله تع بعد ان عرفوه فقال يا اخي لم يقطع عن الله تع الا حب الدنيا وزينتها لانها محل المعاصي
والذنوب فالعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب الى الله من ذنبه واقبل على ما يقربه من ربه وقيل
لداود الطائي لو سرحت لحيتك فقال اني اذا لفارغ وكان اويس القرني يقول هذه
ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة واذا كانت الليلة الآتية قال هذه ليلة السجود فيحيي الليل كله في سجدة
وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنا بالطعام والشراب فقالت له امه لو رفقت بنفسك
فقال الرفق اطلب دعيني اتعب قليلا واتنعم كثيرا وقيل حج مسروق فما نام الا ساجدا على وجهه
وقال سفين الثوري عند الصباح يحمد القوم السرى • وعند الممات يحمد القوم التقى وقال عمر
بن اخت بشر بن الحارث سمعت خالي بشر بن الحارث يقول لامي جوفي وخواصري تضرب
علي فقالت له امي يا اخي ائذن لي حتى اصلح لك قليل حساء بكف دقيق عندي فتحساه يرم جوفك
فقال لها ويحك اخاف ان يقول لي من اين لك هذا الدقيق فلا ادري ايش اقول فبكت امي
وبكى معها وبكيت معهما ورات امي ما به من شدة الجوع وجعل يتنفس نفسا ضعيفا فقالت له
امي يا اخي ليت امك لم تلدني فقد والله تقطع كبدي مما ارى بك فسمعته يقول لها وانا فليت
امك لم تلدني واذ ولدتني لم تدر ثديها علي قال عمر وكانت امي تبكي عليه الليل والنهار وقال
عبد الله بن داود وكان احدهم اذا بلغ اربعين سنة طوى فراشه اي كان لا ينام
طول الليل • وكان كهمس بن الحسن يصلي كل يوم الف ركعة ثم يقول لنفسه قومي يا ماوى كل شر
فلما ضعف اقتصر على خمسمائة ثم كان يبكي ويقول ذهب نصف عملي • وكانت ابنة الربيع بن
خثيم تقول يا ابت ما لي ارى الناس ينامون وانت لا تنام فيقول يا ابنتاه ان اباك يخاف
النار ولما رات ام الربيع ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته يا بني لعلك قتلت قتيلا فقال
نعم يا والدتي قالت فمن هو حتى نطلب الى اهله فيعفوا عنك فوالله لو يعلمون ما انت فيه لرحموك
وعفوا عنك فقال يا والدتي هي نفسي وقال الربيع اتيت اويسا فوجدته جالسا قد صلى الفجر
فجلست اليه فقلت لا اشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى
الفجر ثم جلس فغلبته عيناه فقال اللهم اني اعوذ بك من عين نوامة ومن بطن لا يشبع فقلت
حسبي منه هذا ثم رجعت • ونظر رجل الى اويس فقال له يا ابا عبد الله ما لي اراك كانك مريض
فقال وما لاويس ان لا يكون مريضا يطعم المريض واويس غير طاعم وينام المريض واويس غير نائم
وكان ورد سمنون كل يوم خمسمائة ركعة • وعن ابي بكر المطوعي قال كان وردي في شبيبتي كل
يوم وليلة اقرا فيه قل هو الله احد ثلاثين الف مرة او اربعين الف مرة شك الراوي • وكان منصور بن
المعتمر اذا رايته قلت رجل اصيب بمصيبة منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين ان حركته
جاءت عيناه باربع ولقد قالت له امه ما هذا الذي تصنع بنفسك تبكي عامة الليل لا تسكت لعلك
يا بني اصبت نفسا لعلك قتلت قتيلا فيقول يا امه انا اعلم بما صنعت بنفسي وقال احمد بن حرب
يا عجبا لمن يعرف ان الجنة تزين فوقه وان النار تسعر تحته كيف ينام بينهما وقال رجل من

النساك أتيت ابرهيم بن ادهم فوجدته قد صلى العشاء فقعدت أرقبه فلف نفسه بعباء
ثم رمى بنفسه فلم ينقلب من جنب الى جنب حتى طلع الفجر واذن المؤذن فوثب الى الصلوة ولم يحدث
وضوءا فحاك ذلك في صدري فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجدد الوضوء
فقال كنت الليلة كلها جائلا في رياض الجنة احيانا وفي اودية النار احيانا فهل في ذلك نوم و
قال ثابت البناني ادركت رجالا كان احدهم يصلي حتى يعجز فما ياتي فراشه الا حبوا وقيل
مكث ابوبكر بن عياش اربعين سنة لا يضع جنبه على فراش ونزل في احدى عينيه الماء فمكث
عشرين سنة لا يعلم به اهله وقال له عمر بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وجوع النهار وظما
الهواجر فقال هل هو الا اني صرفت طعام النهار الى الليل ونوم الليل الى النهار وليس في ذلك
خطير امر وكان يقول ما رايت مثل الجنة نام طالبها وما رايت مثل النار نام هاربها وكان اذا
جن الليل قال اذهب حر النار النوم فلا ينام حتى يصبح واذا جاء النهار قال اذهب حر النار
النوم فلا ينام حتى يمسي فاذا جاء الليل قال من خاف ادلج عند الصباح يحمد القوم السرى و
قال بعضهم صحبت عامر بن عبد قيس اربعة اشهر فما رايته نام بليل ولا نهار وروى عن رجل
من اصحاب علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال صليت خلف علي بن ابي طالب الفجر فلما سلم انفتل
عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلع الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رايت اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم وما ارى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون شعثا صفرا غبرا قد باتوا
لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين اقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكروا الله
مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت اعينهم حتى تبل ثيابهم وكان القوم باتوا غافلين
يعني من كان حوله وكان ابو مسلم الخولاني قد علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه وكا
يقول لنفسه قومي فوالله لا زحفن بك زحفا حتى يكون الكلال منك لا مني فاذا دخلت الفترة
تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول لنفسه انت اولى بالضرب من دابتي ويقول ايظن
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستاثروا به دوننا كلا والله لنزاحمنهم عليه زحاما حتى
يعلموا انهم قد خلفوا وراءهم رجالا وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول
القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غدا ما وجد مزيدا وكان اذا جاء الشتاء اضطجع
على السطوح ليضربه البرد واذا كان في الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر والغم فلا ينام و
انه مات وهو ساجد وكان يقول اللهم اني احب لقاءك فاحب لقائي وقال القسم بن
محمد غدوت يوما وكنت اذا غدوت بدات بعايشة اسلم عليها فغدوت يوما اليها فاذا هي
تصلي صلوة الضحى وهي تقرا فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وتبكي وتدعو وتردد الاية فقمت حتى
مللت وهي كما هي فلما رايت ذلك ذهبت الى السوق فقلت افرغ من حاجتي ثم ارجع ففرغت من
حاجتي ثم رجعت وهي كما هي تردد الاية وتبكي وتدعو وقال محمد بن اسحق لما ورد علينا عبد
الرحمن بن الاسود حاجا فاعتلت احدى قدميه فقام يصلي على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء
العشاء وقال بعضهم ما اخاف من الموت الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وقال

علي بن ابي طالب سيما الصالحين صفرة الالوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه
من الصوم عليهم غبرة الخاشعين وقيل للحسن ما بال المتهجدين احسن الناس وجوها فقال
لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وكان عامر بن قيس يقول الهي خلقتني ولم تؤامرني
وتميتني ولا تعلمني وخلقت معي عدوا وجعلته يجري مني مجرى الدم وجعلته يراني ولا اراه ثم قلت
لي استمسك منه الهي كيف استمسك ان لم تمسكني الهي في الدنيا الهموم والاحزان وفي
الاخرة العقاب والحساب فاين الراحة والفرح وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع
الليل بثلاث صيحات كان اذا صلى العتمة وضع راسه بين ركبتيه متفكرا فاذا مضى ثلث الليل
الاول صاح صيحة ثم يضع راسه بين ركبتيه يتفكر فاذا كان السحر صاح صيحة قال
جعفر بن محمد حدثت به بعض البصريين فقال لا تنظر الى صياحه وانظر الى ما كان فيه بين الصيحتين
حتى صاح وعن القسم بن راشد الشيباني قال كان زمعة نازلا عندنا بالمحصب وكان له اهل وبنات
وكان يقوم ويصلي ليلا طويلا فاذا كان السحر نادى باعلى صوته ايها الركب المعرسون اكل هذا
الليل ترقدون افلا تقومون فترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع ومن ههنا
قاري ومن ههنا متوضي فاذا طلع الفجر نادى باعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى وقال
بعض الحكماء ان لله تع عبادا انعم عليهم فعرفوه وشرح صدورهم فاطاعوه وتوكلوا عليه
وسلموا الخلق والامر اليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت
للعظمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلايق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول في الملكوت و
تلوذ بمحجوب الغيوب ثم ترجع ومعها طرايف من لطف الفوايد ما لا يمكن واصف ان يصفه
فهم في باطن امورهم كالديباج حسنا وهم في الظاهر مناديل مبذولون لمن ارادهم تواضعا
وهذه طريقة لا يبلغ اليها بالتكلف وانما هو فضل الله يؤتيه من يشاء وقال بعض الصالحين
بينما انا اسير في بعض جبال بيت المقدس اذ هبطت الى واد هنالك فاذا انا بصوت قد علا واذا
تلك الجبال تجيبه لها دوي عال فاتبعت الصوت فاذا انا بروضة عليها شجر ملتف واذا انا برجل
قايم يردد هذه الاية يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الى قوله ويحذركم الله نفسه قال
فجلست خلفه اسمع كلامه وهو يردد هذه الاية اذ صاح صيحة خر منها مغشيا عليه فقلت وا
اسفاه هذا لشقائي ثم انتظرت افاقته فافاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول اعوذ بك من
مقام الكذابين اعوذ بك من اعمال البطالين اعوذ بك من اعراض الغافلين ثم قال لك خشعت قلوب
الخايفين واليك فزعت امال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم نفض يديه وقال
مالي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك يا دنيا بابناء جنسك والاف نعيمك الى محبيك فاذهبي
واياهم فاخدعي ثم قال اين القرون الماضية واهل الدهور السالفة في التراب يبلون
وعلى مر الزمان يفنون فناديته يا عبد الله انا منذ اليوم خلفك انتظر فراغك فقال وكيف يفرغ
من يبادر الاوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت الى نفسه ام كيف يفرغ من ذهبت ايامه
وبقيت اثامه ثم قال انت لها ولكل شدة اتوقع نزولها ثم لهي عني ساعة وقرا وبدا لهم من الله ما لم

يكونوا يحتسبون ثم صاح صيحة اشد من الاولى خر مغشيا عليه فقلت قد خرجت نفسه
فدنوت منه فاذا هو يضطرب ثم افاق وهو يقول من انا ما خطري هب لي اساءتي بفضلك
وجللني بسترك واعف عن ذنوبي بكرم وجهك اذا وقفت بين يديك فقلت له بالذي
ترجو لنفسك وتثق به الا كلمتني فقال عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من اوثقته
ذنوبه اني لفي هذا الموضع منذ شاء الله اجاهد ابليس ويجاهدني فلم يجد عونا علي ليخرجني
مما انا فيه غيرك فاليك عني يا مخدوع فقد عطلت علي لساني وملت الى حديثك شعبة من
قلبي فانا اعوذ من شرك بمن ارجو ان يعيذني من سخطه ويتفضل علي برحمته قال فقلت
هذا ولي لله اخاف ان اشغله فاعاقب في موضعي هذا فانصرفت وتركته وقال بعض
الصالحين بينما انا اسير في مسير لي اذ ملت الى شجرة لاستريح تحتها فاذا بشيخ قد اشرف
علي فقال لي يا هذا قم فان الموت لم يمت ثم هام على وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول كل نفس
ذائقة الموت اللهم بارك لي في الموت فقلت وفيما بعد الموت فقال من ايقن بما بعد الموت
شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي
بالنظر اليك واملأ قلبي من المحبة لك واجرني من ذلة التوبيخ غدا عندك فقد آن لي الحياء منك
وحان لي الرجوع عن الاعراض عنك ثم قال لولا حلمك لم يسعني اجلي ولولا عفوك لم ينبسط
فيما عندك املي ثم مضى وتركني وانشدوا في مثله

نحيل الجسم مكتئب الفؤاد ، تراه بقنة او بطن وادي
تنوح على معاص فادحات ، يكدر ثقلها صفو الرقاد
فان هاجت مخاوفه وزادت ، فدعوته اغثني يا عمادي
فانت بما الاقيه عليم ، كثير الصفح عن زلل العباد

وقيل

الذ من التلذذ بالغواني ، اذا اقبلن في حلل حسان
منيب فر من اهل ومال ، يسيح الى مكان من مكان
ليخمل ذكره ويعيش فردا ، فيظفر في العبادة بالاماني
تلذذه التلاوة اين ولى ، وذكر بالفؤاد وباللسان
فعند الموت يأتيه بشير ، يبشر بالنجاة من الهوان
فيدرك ما اراد وما تمنى ، من الراحات في غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة يختم
القرآن في كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه في العبادات غاية المجاهدة فقيل له قد اجهدت نفسك
فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة آلاف سنة فقال كم مقدار يوم القيمة فقيل خمسون الف سنة
فقال فكيف يعجز احدكم عن ان يعمل سبع يوم حتى يامن من ذلك اليوم يعني انك ان عشت عمر الدنيا و
اجتهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين الف سنة لكان
ربحك كثيرا وكنت بالرغبة فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والآخرة لا غاية لها فهكذا كانت
سيرة السلف الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من
المواظبة على العبادة فطالع احوال هؤلاء فانه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة
من اقتدى بهم لكان انجع في القلب وابعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة واذا عجزت عن هذا
فلا تغفل عن سماع احوال هؤلاء فان لم يكن ابل فمعزى وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون في غمارهم
وهم العقلاء والحكماء وذووا الابصار والبصائر في الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من اهل
عصرك ولا ترض لها ان تنخرط في سلك الحمقى وتقنع بالتشبه بالاغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء فان

حدثتك نفسك بان هؤلاء رجال اقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع احوال النساء المجتهدات
وقل لها الا تستنكفين يا نفس ان تكوني اقل من امراة فاخسس برجل يقصر حاله عن حال
امراة في امر دينها ودنياها

ذكر بعض النساء المجتهدات

فقد روي عن حبيبة
العدوية انها كانت اذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم
قالت الهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك ابوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا
مقامي بين يديك ثم تقبل على صلوتها فاذا كان السحر وطلع الفجر قالت الهي هذا الليل قد ادبر وهذا النهار
قد اقبل فليت شعري اقبلت مني ليلتي فاهنأ او رددتها علي فاعزى وعزتك هذا دابي ودابك
ما ابقيتني وعزتك لو انتهرتني من بابك ما برحته لما وقع في نفسي من جودك وكرمك ويروى
عن عجردة انها كانت تحيي الليل كله وكانت مكفوفة فاذا كان وقت السحر نادت بصوت لها
محزون اليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون الى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا الهي
اسالك لا بغيرك ان تجعلني في اول زمرة السابقين وان ترفعني لديك في عليين في درجة المقربين
وان تلحقني بعبادك الصالحين وانت ارحم الرحماء واعظم العظماء واكرم الكرماء يا كريم ثم تخر ساجدة فتسمع
لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي الى الفجر وقال يحيى بن بسطام كنت اشهد مجلس شعوانة فكنت
ارى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي لو اتيناها اذا خلت فامرناها بالرفق بنفسها
فقال انت وذاك قال فاتيناها فقلت لها لو رفقت بنفسك واقصرت عن هذا البكاء شيئا لكان
لك اقوى على ما تريدين قال فبكت ثم قالت والله لوددت اني ابكي حتى تنفد دموعي ثم ابكي دما حتى
لا تبقى في قطرة من دم في جارحة من جوارحي وانى لي بالبكاء حتى غشي عليها وقال محمد بن معاذ
حدثتني امراة من المتعبدات قالت رايت في منامي كاني ادخلت الجنة فاذا اهل الجنة قيام على ابوابهم
فقلت ما شان اهل الجنة قياما فقال لي قائل خرجوا ينظرون الى هذه المراة التي زخرفت الجنة
لقدومها قلت ومن هذه المراة قال امة سوداء من اهل الابلة يقال لها شعوانة قالت فقلت اختي
والله قال فبينا انا كذلك اذ اقبل بها على نجيبة تطير بها في الهواء فلما رايتها ناديتها يا اختي اما
ترين مكاني من مكانك فلو دعوت لي مولاك فالحقني بك قالت فتبسمت الي وقالت لم يان
لقدومك ولكن احفظي عني اثنتين الزمي الحزن قلبك وقدمي محبة الله على هواك ولا يضرك
متى مت وقال عبد الله بن الحسين كانت لي جارية وكنت بها معجبا وكانت في بعض الليالي
نائمة الى جنبي فانتبهت فالتمستها فلم اجدها فقمت اطلبها فاذا هي ساجدة وهي تقول بحبك
لي الا غفرت لي ذنوبي فقلت لها لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقالت لا يا مولاي بحبه
لي اخرجني من الشرك الى الاسلام وبحبه لي ايقظ عيني وكثير من خلقه نيام وقال ابو هاشم القرشي
قدمت علينا امراة من اهل اليمن يقال لها سرية فنزلت في بعض دارنا قال فكنت اسمع لها في الليل
انينا وشهيقا فقلت يوما لخادم لي اشرف على هذه المراة فانظر ما ذا تصنع قال فاشرف عليها فما رآها
تصنع شيئا غير انها لا ترد طرفها عن السماء وهي مستقبلة القبلة تقول خلقت سرية وغذيتها
بنعمك من حال الى حال وكل احوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لسخطك

بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة أتراها تظن انك لا ترى سوء فعالها وانت عليم خبير
وانت على كل شيء قدير وقال ذو النون المصري خرجت ليلة من وادي كنعان فلما علوت
الوادي اذا سواد مقبل علي وهو يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبكي فلما قرب
مني السواد اذا هي امراة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت لي من انت غير خايفة مني
فقلت رجل غريب فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله تع غربة قال فبكيت لقولها فقالت لي
ما الذي ابكاك قلت وقع الدواء على داء قد قرح فاسرع في نجاحه قالت فان كنت صادقا فلم
بكيت قلت رحمك الله والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم قالت لان البكاء راحة للقلب
فسكت متعجبا من قولها وقال احمد بن علي استاذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب
فلما علمت ذلك قامت لتفتح لنا الباب فسمعتها وهي تقول اللهم اني اعوذ بك ممن جاء
يشغلني عن ذكرك ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا امة الله ادعي لنا فقالت جعل الله قراكم
في بيتي المغفرة ثم قالت لنا مكث عطاء السلمي اربعين سنة لا ينظر الى السماء فحانت منه
نظرة فخر مغشيا عليه فاصابه فتق في بطنه فيا ليت عفيرة اذ رفعت راسها الى السماء لم
تعص ويا ليتها اذا عصت لم تعد وقال بعض الصالحين خرجت يوما الى السوق ومعي
جارية حبشية فاجلستها في موضع بناحية السوق فذهبت في بعض حوايجي فقلت
لا تبرحي حتى انصرف اليك قال فانصرفت فلم اجدها في الموضع فانصرفت الى منزلي وانا شديد
الغضب عليها فلما راتني عرفت الغضب في وجهي فقالت لي يا مولاي لا تعجل علي انك
اجلستني في موضع لم ار فيه ذاكرا لله تع فخفت ان يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها
وقلت لها انت حرة فقالت ساء ما صنعت كنت اخدمك واطيع ربي فيكون لي اجران
واما الآن فقد ذهب عني احدهما وقال ابن العلاء السعدي كانت لي ابنة عم يقال
لها بريرة تعبدت فكانت تكثر القراءة في المصحف فكلما اتت على آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل
تبكي حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا الى هذه المراة حتى نعذلها في
كثرة البكاء قال فدخلنا عليها فقلنا لها يا بريرة كيف اصبحت فقالت اصبحنا اضيافا منيخين
بارض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب فقلنا لها كم هذا البكاء قد ذهبت عيناك منه فقالت ان
يكن لعيني عند الله تع خير فما يضرهما ما ذهب منهما في الدنيا وان كان لهما عند الله تع
شر فسيزيدهما بكاء اطول من هذا ثم اعرضت عنا فقال القوم قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما
نحن فيه وكانت معاذة العدوية اذا جاءها النهار تقول هذا يومي الذي اموت
فيه فما تطعم فيه حتى تمسي فاذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي اموت فيها فما تنام
وتصلي حتى تصبح وقال ابو سليمن الداراني بت ليلة عند رابعة فقامت الى محراب لها
وقمت انا الى ناحية من البيت فلم تزل قايمة الى السحر فلما كان السحر قلت لها ما جزاء
من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه ان نصوم له غدا وكانت شعوانة تقول في دعائها
الهي ما اشوقني الى لقايك واعظم رجايي لجزايك وانت الكريم الذي لا يخيب لديك امل

الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهي ان كان دنا اجلي ولم يقربني منك عملي
فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسايل عللي فان عفوت فمن اولى بذلك منك وان عذبت
فمن اعدل منك هنالك الهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك فالويل لها
ان لم يسعدها الهي انك لم تزل بي برا ايام حيوتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي ابدا ولقد
رجوت ممن تولاني في حيوتي باحسانه ان يشفعه لي عند مماتي بغفرانه الهي كيف آيس
من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني الا الجميل في حيوتي الهي ان كانت ذنوبي قد اخافتني فان
محبتي لك قد اجرتني فتول من امري ما انت اهله وعد بفضلك على من غمره جهله الهي لو
اردت اهانتي لما هديتني ولو اردت فضيحتي لم تسترني فمتعني بما له هديتني وادم لي ما به
سترتني الهي ما اظنك تردني في حاجة افنيت فيها عمري الهي لولا ما قارفت من الذنوب
ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك وقال الخواص دخلنا
على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى اقعدت
فكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئا من العفو ليهون عليها الامر قال فشهقت
ثم قالت علمي بنفسي قرح فوادي وكلم كبدي والله لوددت انه تع لم يخلقني ولم اك شيئا مذكورا
ثم اقبلت على صلوتها فعليك ان كنت من المرابطين المراقبين لنفسك ان تطالع احوال
الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك واياك ان تنظر الى اهل عصرك
فانك ان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيما
ذكرناه كفاية للمعتبر وان اردت مزيدا فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية
الاولياء فهو مشتمل على شرح احوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم فبالوقوف عليه يستبين
لك بعدك وبعد اهل عصرك من اهل الدين فان حدثتك نفسك بالنظر الى اهل زمانك وقالت
لك انما يتيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الاعوان فان خالفت اهل زمانك راوك مجنونا
وسخروا منك فوافقهم فيما هم عليه فلا يجري عليك الا ما يجري عليهم والمصيبة اذا عمت طابت
فاياك ان تتدلى بحبل غرورها وتنخدع بتزويرها وقل لها ارايت لو هجم سيل جارف يغرق اهل
البلد وثبتوا على مواضعهم ولم ياخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال وقدرت على ان تفارقيهم
وتركبي سفينة لتنجي بها من الغرق فهل يختلج في نفسك اذ ذاك ان المصيبة اذا عمت طابت
ام تتركين موافقتهم وتستجهلينهم في صنيعهم وتاخذين حذرك مما دهاك فاذا كنت تتركين
موافقتهم خوفا من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى الا ساعة فكيف لا تهربين من عذاب الابد
انت متعرضة له في كل حال ومن اين تطيب المصيبة اذا عمت ولاهل النار شغل شاغل عن الالتفات
الى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار الا بموافقتهم اهل زمانهم حيث قالوا انا وجدنا اباءنا على امة
وانا على اثارهم مهتدون فعليك اذا اشتغلت بمعاتبة نفسك او حملها على الاجتهاد فاستعصت
ان لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها بسوء نظرها لنفسها فعسى ان تنزجر عن طغيانها

المرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها اعلم ان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك

وقد خلقت امارة بالسوء ميالة الى الشر فرارة من الخير وقد امرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي اقسم الله تع بها فرجوت ان تصير النفس المطمئنة المدعوة الى ان تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ نفسك فان الله تع اوحى الى عيسى بن مريم عليه السلم يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وقال تع وذكر فان الذكرى تنفع المومنين وسبيلك ان تقبل عليها فتقرر عليها جهلها وحماقتها وغباوتها فانها ابدا تتعزز بفطنتها وهدايتها وتشتد انفتها واستنكافها اذا نسبت الى الحمق فتقول لها ما اعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وانت اشد الناس غباوة وحمقا اما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وانك صائرة الى احديهما على القرب فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وانت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين او غدا فاراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا اما تعلمين ان كل ما هو آت قريب وان البعيد ما ليس بآت اما تعلمين ان الموت ياتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة ومواطاة وانه لا ياتي في شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار ولا ياتي في سن الصبي دون الشباب ولا في الشباب دون الصبي بل كل نفس من الانفاس يمكن ان يكون فيه الموت فجاة فان لم يكن الموت فجاة فيكون المرض فجاة ثم يفضي الى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك من كل قريب اما تتدبرين قوله تع اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ويحك يا نفس ان كانت جراتك على معصية الله لاعتقادك ان الله تع لا يراك فما اعظم كفرك وان كان ذلك مع علمك باطلاعه عليك فما اشد وقاحتك واقل حياءك ويحك لو واجهك عبد من عبيدك بل اخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فباي جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه افتظنين انك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك وان الهاك البطر عن اليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس او في بيت الحمام او قربي اصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك ام تغترين بكرم الله وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعولين على كرم الله تع في مهمات دنياك فاذا قصدك عدو فلم لا تستنبطين الحيل في دفعه ولا تكلينه الى كرم الله تع فاذا ارهقتك حاجة الى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضي الا بالدينار والدرهم فانك تنزعين الروح في طلبه وتحصيله بوجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله تع حتى يعثرك على كنز او يسخر عبدا من عبيده يحمل اليك حاجتك من غير سعيك وطلبك افتحسبين ان الله كريم في الآخرة لا في الدنيا وقد عرفت ان سنة الله لا تبديل لها وان رب الدنيا والآخرة واحد وان ليس للانسان الا ما سعى ويحك

يا نفس ما اعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فانك تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر عليك الم يقل لك سيدك ومولاك وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال في امر الآخرة وان ليس للانسان الا ما سعى فقد تكفل لك بامر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبته بافعالك واصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر ووكل امر الآخرة الى سعيك فاعرضت عنها اعراض المغرور المستحقر ما هذا من علامات الايمان لو كان الايمان باللسان كافيا فلم كان المنافقون في الدرك الاسفل من النار ويحك يا نفس كانك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين انك اذا مت انفلتت وتخلصت وهيهات اتحسبين ان تتركي سدى الم تكوني نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى اللهم بلى فان كان هذا من اضمارك فما اكفرك واجهلك اما تتفكرين انه من ماذا خلقك من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم اماتك فاقبرك افتكذبينه في قوله ثم اذا شاء انشرك فان لم تكوني مكذبة فما لك لا تاخذين حذرك ولو ان يهوديا اخبرك عن الذ الاطعمة بانه يضرك في مرضك لصبرت عنها وتركته وجاهدت نفسك فيه افكان قول الانبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تع في كتبه المنزلة اقل عندك تاثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور علم والعجب انه لو اخبرك طفل بان في ثوبك عقربا لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة له ببرهان ودليل افكان قول الانبياء والعلماء والحكماء وكافة الاولياء اقل عندك من قول صبي من جملة الاغبياء اوصار حر جهنم واغلالها وانكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وافاعيها وعقاربها احقر عندك من عقرب لا تحسين بالمه الا يوما او اقل منه ما هذا افعال العقلاء بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك فان كنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فما لك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهلة فبماذا امنت استعجال الاجل وهب انك وعدت بالامهال مائة سنة فتؤخرين العمل الى آخرها افتظنين ان من يطعم الدابة في حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ان ظننت ذلك فما اعظم جهلك ارايت لو سافر رجل ليتفقه في الغربة فاقام فيها سنين متعطلا بطالا يعد نفسه بالتفقه في السنة الاخيرة من رجوعه الى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه ان تفقه النفس مما يطمع فيه في مدة قريبة او حسبانه ان مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتمادا على كرم الله تع ثم هب ان الجهد في آخر العمر نافع وانه موصل الى الدرجات العلى ولعل اليوم آخر عمرك فلم لا تشتغلين فيه بذلك فان اوحي اليك بالامهال فما المانع لك من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب الا عجزك عن مخالفة شهوتك لما فيه من التعب والمشقة افتنتظرين يوما ياتيك لا يعسر فيه مخالفة الشهوات هذا يوم لم يخلقه الله تع قط ولا يخلقه ولا تكون الجنة قط الا محفوفة بالمكاره ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس هذا محال وجوده اما تتاملين منذ كم تعدين نفسك وتقولين غدا وغدا فقد جاء الغد وصار اليوم فكيف وجدته اوما علمت ان الغد الذي جاء وصار اليوم كان له حكم الامس لا بل ما تعجزين عنه اليوم فانت غدا عنه اعجز واعجز لان

الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبّد العبد بقلعها فاذا عجز عن قلعها لضعفه واخرها كان كمن
عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فاخره الى سنة اخرى مع العلم بان الشجرة يزيدها طول المدة قوة
ورسوخا ويزيد القالع ضعفا ووهنا فما لا يقدر عليه في الشباب فلا يقدر عليه قط في المشيب
بل يعنا من العنا رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب والقضيب الرطب يقبل الانحنا
فاذا جف وطال عليه الزمان لم يقبله فاذا كنت لا تفهمين هذه الامور الجلية وتركنين الى
التسويف فمالك تدعين الحكمة واي حماقة وجهل تزيد على هذه الحماقة والجهل و لعلك تقولين
ما يمنعني من الاستقامة الا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الالام والمشقات فما
حمقك واقبح اعتذارك ان كنت صادقة في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن الكدورات
الدائمة ابد الاباد ولا مطمع في ذلك الا في الجنة فان كنت ناظرة لنفسك فانظرها في مخالفتها
فربما اكلة تمنع اكلات وما قولك في عقل مريض اشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة ايام
ليصح ويتهنا بشربه طول العمر واخبره انه ان شربه مرض مرضا مزمنا وامتنع عليه شربه الماء
البارد طول عمره فما مقتضى العقل في قضاء حق هذه الشهوة ايصبر ثلاثة ايام ليتنعم طول
العمر ام يقضي شهوته في الحال خوفا من الم المخالفة ثلاثة ايام حتى يلزمه الم المخالفة ثلثماية يوم و
ثلاثة الاف يوم او اكثر وجميع عمرك بالاضافة الى الابد الذي هو مدة نعيم اهل الجنة وعقاب اهل
النار اقل من ثلاثة ايام بالاضافة الى جميع العمر وان طالت مدته وليت شعري الم الصبر عن
الشهوات اعظم شدة واطول مدة ام الم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على الم المجاهدة
كيف يطيق الم عذاب الله • جسمي على البرد ليس يقوى • ولا على ايسر الحرارة • فكيف يقوى على جحيم
وقودها الناس والحجارة • ما اراك تتوانين عن النظر لنفسك الا لكفر خفي او لحمق جلي اما
الكفر الخفي فهو ضعف ايمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب واما
الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله تع وعفوه من غير التفات الى مكره واستدراجه واستغنائه عن
عبادتك مع انك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز وحبة من الماء وكلمة واحدة تستجمينها
من الخلق بل تتوصلين الى غرضك فيها بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله ويحك لا ينبغي ان تغرنك الحيوة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور فانظري لنفسك
فما امرك بمهم لغيرك فلا تضيعي اوقاتك فالانفاس معدودة عليك فاذا مضى نفس من انفاسك فقد
ذهب منك بعضك فاغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل
الهرم والحيوة قبل الموت واستعدي للاخرة على قدر بقائك فيها كما تستعدين للشتاء بقدر طول
مدته فتجمعين الحطب واللبد والجبة ولا تتكلين على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة و
لبد وحطب فانه قادر على ذلك افتظنين ان زمهرير جهنم اخف بردا ام اقصر مدة من زمهرير الشتاء
ام تظنين ان العبد ينجو من ذلك من غير تعب وسعي هيهات كما لا يندفع برد الشتاء الا بالجبة والنار
وساير الاسباب فلا يندفع حر النار وبردها الا بحصن التوحيد وخندق الطاعات وانما كرم الله

تعالى في ان عرفك طريق التحصن ويسر لك اسبابه لا في ان يدفع عنك العذاب دون حصنه
كما ان من كرم الله تع في دفع برد الشتاء ان خلق النار وهداك الطريق استخراجها من بين حديد و
حجر حتى يدفع برد الشتاء عن نفسك كما ان شرى الحطب والجبة مما تستغنين به ويستغني عنه
خالقك ومولاك وانما تشترينه لنفسك اذ خلقه سببا لاستراحتك فكذلك طاعاتك و
مجاهداتك ايضا وهو مستغن عنها وانما هي طريقك الى نجاتك فمن احسن فلنفسه ومن اساء فعليها
والله غني عن العالمين ويحك يا نفس انزعي عن جهلك وقيسي اخرتك بدنياك فما بعثك ولا خلقك
الا كنفس واحدة وكما بدأكم تعودون وسنة الله لن تجدي لها تبديلا ولا تحويلا ويحك ما اراك
الا الفت الدنيا وانست بها فعسر عليك مفارقتها فانت مقبلة على مقاربتها وتوكدين في نفسك
مودتها فاحسبي انك غافلة عن عقاب الله تع وثوابه وعن اهوال القيمة واحزانها فما انت
بمؤمنة بالموت المفرق بينك وبين محابك افترين ان من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب
الاخر فمد بصره الى وجه مليح يعلم انه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لا محالة الى مفارقته اهو
معدود من العقلاء ام من الحمقى اما تعلمين ان الدنيا دار لملك الملوك وما لك فيها الا مجاز
وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ولذلك قال سيد البشر صلى الله عليه وسلم ان
روح القدس نفث في روعي احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما
شئت فانك مجزي به اما تعلمين ان كل من يلتفت الى ملاذ الدنيا ويانس بها مع ان الموت من
وراءه فانما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وانما يتزود من السم المهلك وهو لا يدري وما تنظرين
الى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف اورث الله تع ارضهم وديارهم اعداءهم
اما تريهم كيف يجمعون ما لا ياكلون ويبنون ما لا يسكنون ويأملون ما لا يدركون يبني كل واحد
قصرا مرتفعا الى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الارض فهل في الدنيا حمق وانتكاس
اعظم من هذا يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقينا ويخرب آخرته وهو صاير اليها قطعا
اما تستحيين من مساعدة هولاء على حماقتهم واحسبي انك لست ذا بصيرة تهتدين
الى هذه الامور وانما تميلين بالطبع الى التشبه والاقتداء فقيسي عقل الانبياء والحكماء والعلماء
بعقل هولاء المكبين على الدنيا واقتدي من الفريقين بمن هو اعقل عندك ان كنت تعتقدين
في نفسك العقل والذكاء ما اعجب امرك واشد جهلك واظهر طغيانك عجبا لك كيف تعمين عن
هذه الامور الواضحة الجلية ولعلك اسكرك حب الجاه وادهشك عن فهمه او ما تتفكرين ان
الجاه لا معنى له الا ميل قلوب بعض الناس اليك فاحسبي ان كل من على وجه الارض قد عبدك
وسجد لك واطاعوك افما تعرفين انه بعد خمسين سنة لا تبقين انت ولا من على وجه الارض ممن
عبدك وسجد لك وسياتي زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك كما ورد على الملوك الذين من
قبلك فهل تحسين منهم من احد او تسمع لهم ركزا فكيف تبيعين ما يبقى ابد الاباد بما لا يبقى اكثر من
خمسين سنة ان بقي هذا وكنت ملكا مطاعا من ملوك الارض وسلم لك الشرق والغرب حتى اذعنت
لك الرقاب وانتظمت لك الاسباب وكيف وبالي ادبارك وشقاوتك ان يسلم لك امر محلتك بل

امر دارك فضلًا عن محلتك فان كنت لا تتركين الدنيا بجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعًا
عن خسة شركائها وتنزهًا عن كثرة عنائها وتوقيًا عن سرعة فنائها ام ما لك لا تزهدين في قليلها
بعد اذ زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا ان ساعدتك فلا يخلو بلدك عن جماعة من اليهود و
المجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها فان الدنيا سبقتك بها هولاء الاخساء
فما اجهلك واخس همتك واسوء رأيك اذ رغبت عن ان تكوني في زمرة المقربين من النبيين والصديقين
في جوار رب العالمين ابد الآباد لتكوني في صف النعال من غمار الحمقى الجاهلين اياما قلايل فيا
حسرة عليك اذ خسرت الدنيا والدين فبادري ويحك فقد اشرفت على الهلاك واقترب الموت
وورد النذير فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ومن ذا يترضى عنك
ربك بعد الموت ما لك الا ايام معدودة هي بضاعتك ان اتجرت فيها وقد ضيعت اكثرها فلو بكيت
بقية عمرك على ما ضيعت منها كنت مقصرة في حق نفسك فكيف اذا ضيعت البقية واصررت
على عادتك اما تعلمين ان الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود انيسك و
الفزع الاكبر بين يديك اما علمت ان عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك وقد آلوا كلهم على انفسهم
بالايمان المغلظة انهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يأخذوك الى انفسهم اما تعلمين انهم يتمنون الرجعة
الى الدنيا يوما واحدا ليشتغلوا بتدارك ما فرطتهم وانت في امنيتهم ويوم من عمرك لو بيع
منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه لو قدروا عليها وانت تضيعين ايامك في الغفلة والبطالة
ويحك اما تستحيين تزيينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر بالعظائم فتستحيين من الخلق
ولا تستحيين من الخالق ويحك اهو اهون الناظرين عليك تامرين الناس بالخير وانت متلطخة
بالرذائل اتدعين الى الله تعالى وانت منه فارة وتذكرين بالله تعالى وانت له ناسية اما تعلمين ان
المذنب انتن من العذرة وان العذرة لا يطهرها غيرها من النجاسات فلم تطمعين في تطييب
غيرك وانت غير طيبة في نفسك لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت ان الناس لا يصيبهم بلاء
الا بشومك ويحك قد جعلت نفسك حمارا لابليس يقودك الى حيث يريد ويسخر منك ومع
هذا تعجبين بعملك وفيه من الآفات ما لو نجوت منها راسا برأس لربحت وكيف تعجبين بعملك
مع كثرة خطاياك وقد لعن الله ابليس وابعده بخطيئة واحدة بعد ان عبد الله تعالى مائتي الف سنة
واخرج اباك آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه ويحك يا نفس ما اغدرك
ويحك ما اوقحك ويحك يا نفس ما اجهلك وما اجراك على المعاصي ويحك يا نفس كم تعقدين و
تنقضين ويحك كم تعهدين وتغدرين ويحك اتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كانك
غير مرتحلة عنها اما تنظرين الى اهل القبور كيف كانوا قد جمعوا كثيرا وبنوا مشيدا واملوا بعيدا
فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا وآمالهم غرورا اما لك بهم عبرة اما لك اليهم نظرة
اتظنين انهم دعوا الى الآخرة وانت من المخلدين هيهات هيهات ساء ما تظنين ما انت
الا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن امك فابني على ظهر الارض قصرك فان بطنها عن قليل
يكون قبرك اما تخافين اذا بلغت النفس منك التراقي ان تبدو رسل ربك منحدرة اليك

سود الالوان كالحة الوجوه تبشر بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم او يقبل منك الحزن او
يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك انك تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك انك تفرحين
في كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك وما نفع مال يزيد وعمر ينقص تعرضين عن
الآخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك فكم من مستقبل يوما لا يستكمله
ومومل لغد لم يبلغه وانت تشاهدين ذلك في اخوانك واقاربك وجيرانك وترين
تحسرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك فاحذري يا مسكينة يوما آلى الله عز وجل فيه
على نفسه ان لا يترك فيه عبدا امره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره
وعلانيته فانظري باي قلب تقفين بين يديه وباي لسان تجيبين فاعدي للسؤال جوابا
وللجواب صوابا واعملي ببقية عمرك في ايام قصار لايام طوال وفي دار زوال لدار مقامة وفي دار
حزن ونصب لدار نعيم وخلود اعملي قبل ان لا تعملي اخرجي من الدنيا اختيارا خروج الاحرار قبل
ان تخرجي منها على الاضطرار ولا تفرحي بدنياك وما ساعدك من زهراتها فرب مسرور مغبون
ورب مغبون لا يشعر فويل لمن له الويل ثم لا يشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمرح وياكل ويشرب
وقد حق له في كتاب الله انه من اهل النار فليكن نظرك يا نفس الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها
اضطرارا ورفضك لها اختيارا وطلبك للآخرة ابتدارا ولا تكوني ممن يعجز عن شكر ما اوتي و
يبتغي الزيادة فيما بقي وينهى الناس ولا ينتهي واعلمي انه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا
للجسم خلف ومن كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان لم يسر فاتعظي يا نفس بهذه
الموعظة واقبلي هذه النصيحة فان من اعرض عن هذه الموعظة فقد رضي بالنار وما اراك بها
راضية ولا لهذه الموعظة واعية فان كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني
عليها بدوام التهجد والقيام فان لم تزل فبقلة المخالطة والكلام فان لم تزل فبصلة الارحام
واللطف بالايتام فان لم تزل فاعلمي ان الله تعالى قد طبع على قلبك واقفل عليه وانه قد تراكمت
ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطني نفسك على النار فقد خلق الله تعالى الجنة وخلق لها اهلا
وخلق النار وخلق لها اهلا وكل ميسر لما خلق له فان لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي من نفسك
والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله منه فلا سبيل لك الى القنوط ولا سبيل لك الى الرجاء
مع انسداد طرق الخير عليك فان ذلك اغترار وليس برجاء فانظر الآن هل يأخذك حزن على هذه
المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح عيناك بدمعة رحمة منك لنفسك فان سمحت فمستقى الدمع مع
من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع الرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واقتدي بابيك آدم عليه السلام
واستغيثي بارحم الراحمين واشتكي الى اكرم الاكرمين وادمني الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية
لعله ان يرحم ضعفك ويغيثك فان مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك
قد طال وقد انقطع منك الحيل وزاحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث و
لا مهرب ولا منجا ولا ملجا الا الى مولاك فافزعي اليه بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم
جرمك وكثرة ذنوبك لانه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة المضطر

الذليل وقد اصبحت والله مضطرة والى رحمته محتاجة ولم تنجع فيك العظات وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم يكسرك التوبيخ فالمطلوب منه كريم والمسئول منه جواد والمستغاث منه بر رؤف والرحمة واسعة والكرم فائض والعفو شامل وقولي يا ارحم الراحمين يا رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم انا المذنب المصر انا الجريء الذي لا اقلع انا المتمادي الذي لا استحيي هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل يا مولاي اغاثتي وفرجي وارني آثار رحمتك واذقني برد عفوك ومغفرتك وقوة عصمتك يا ارحم الراحمين ابتداء بابيك آدم عليه السلام قال وهب بن منبه لما اهبط الله تعالى آدم عليه السلام من الجنة فمكث لا ترقأ له دمعة فاطلع الله جلت قدرته عليه في اليوم السابع وهو محزون كئيب كظيم منكس راسه فاوحى الله اليه يا آدم ما هذا الجهد الذي ارى بك قال يا رب عظمت مصيبتي واحاطت بي خطيئتي واخرجت من ملكوت ربي فصرت في دار الهوان بعد الكرامة وفي دار الشقاء بعد السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلاء بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار وفي دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا ابكي على خطيئتي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم الم اصطفك لنفسي واحللتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي الم اخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي واسجدت لك ملائكتي فعصيت امري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي وجلالي لو ملأت الارض رجالا كلهم مثلك يعبدونني ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فبكى آدم عليه السلام عند ذلك ثلثمائة عام الى ان غفر الله تعالى له وكان عبيد الله البجلي كثير البكاء يقول في بكائه طول ليلته الهي انا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي انا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة اخرى واعبيداه خطيئة لم تبل وصاحبها في طلب اخرى واعبيداه ان كانت النار لك مقيلا ومأوى واعبيداه قضيت حاجة الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى واعبيداه ان كانت المقامع لراسك تهيئا وقال منصور بن عمار سمعت في بعض الليالي عابدا بالكوفة يناجي ربه وهو يقول يا رب وعزتك ما اردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك اذ عصيتك وانا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت لي نفسي واعانني على ذلك شقاوتي وغرني سترك المرخى علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي فمن عذابك الآن من يستنقذني وبحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني واسوأتاه من الوقوف بين يديك غدا اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا امع المخفين اجوز ام مع المثقلين احط ويلي كلما كبر سني كثرت ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي فمن كم اتوب وفي كم اعود اما آن لي ان استحيي من ربي فهذه طريقة القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم فان مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء فمن اهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعيا فيوشك ان لا يكون الله سبحانه عنه راضيا نعوذ بالله من ذلك تم كتاب المراقبة والمحاسبة والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله اجمعين

كتاب التفكر والاعتبار

وهو الكتاب التاسع من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي لم يقدر لعزته نحوا ولا قطرا ولم يجعل لمراقي اقدام الاوهام ومرامي سهام الافهام على حمى عظمته مجرى فترك قلوب الطالبين في بيداء كبريائه والهة حيرى كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا واذا همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبرا صبرا ثم قيل لها اجيلي في ذل العبودية منك فكرا لانك لو تفكرت في جلال الربوبية لم تقدري قدرها قدرا وان طلبت وراء الفكر في صفاتك امرا فانظري في نعم الله واياديه كيف توالت عليك تترى وجددي لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتاملي في بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيرا وشرا ونفعا وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطيا ونشرا وايمانا وكفرا وعرفانا ونكرا وان جاوزت النظر في الافعال الى النظر في الذات فقد حاولت امرا امرا وخاطرت بنفسك مجاوزا حد طاقة البشرية ظلما وجورا فقد انبهرت العقول دون مبادي اشراقه وانتكصت على اعقابها اضطرارا وقهرا والصلوة على محمد اذ كان سيد ولد آدم ولم يعد سيادته فخرا صلوة تبقى لنا في عرصة القيمة عدة وذخرا وعلى آله واصحابه الذين اصبح كل واحد منهم في سماء الدين بدرا ولطوائف المسلمين صدرا وسلم تسليما كثيرا

اما بعد فقد وردت السنة بان تفكر ساعة خير من عبادة سنة وكثر الحث في كتاب الله على التدبر والاعتبار والنظر والافكار ولا يخفى ان الفكر مفتاح الانوار ومبدا الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم واكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته ولكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلموا كيف يتفكرون ولماذا يتفكرون وما الذي يطلبونه اهو مراد لعينه او لثمرة تستفاد منه وان كان لثمرة فما تلك الثمرة اهي من العلوم ام من الاحوال او منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر اولا فضيلة التفكر ثم حقيقته وثمرته ثم مجاري الفكر ومسارحه ان شاء الله تعالى

فضيلة التفكر قد امر الله بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى واثنى على المتفكرين فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال ابن عباس رضي الله عنه ان قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي عليه السلام تفكروا في خلق الله تعالى ولا تفكروا في الله تعالى فانكم لن تقدروا قدره وعن النبي عليه السلام انه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تتكلمون فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال وكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب ارضا بيضاء نورها بياضها او بياضها نورها مسيرة الشمس اربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله عز وجل طرفة عين قالوا يا رسول الله فاين الشيطان عنهم قال ما يدرون خلق الشيطان ام لا قالوا امن ولد آدم قال لا يدرون خلق آدم ام لا وعن عطاء قال انطلقت انا وعبيد بن عمير الى عائشة رضي الله عنها وبينها وبيننا حجاب

فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا قال قول النبي عليه السلام زر غبا تزدد حبا قال ابن عمير فاخبرينا
باعجب شيء رايته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت وقالت كل امره كان عجبا اتاني في ليلتي
حتى مس جلدي جلده ثم قال ذريني حتى اتعبد لربي عز وجل ثم قام الى القربة فتوضا منها ثم قام يصلي
فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الارض ثم اضطجع على جنبه حتى اتى بلال يؤذنه بصلوة الصبح فقال
يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال ويحك يا بلال وما
يمنعني ان ابكي وقد انزل الله تبارك وتعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لايات لاولي الالباب ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها فقيل للاوزاعي ما غاية
التفكر فيهن قال يقراهن ويعقلهن • وعن محمد بن واسع ان رجلا من اهل البصرة ركب الى
ام ذر بعد موت ابي ذر فسالها عن عبادة ابي ذر فقالت كان نهاره اجمع في ناحية يتفكر وعن الحسن
قال تفكر ساعة خير من قيام ليلة • وعن الفضيل قال الفكر مرآة تريك حسناتك وسيآتك وقيل
لابرهيم انك تطيل الفكرة فقال الفكرة مخ العقل • وكان سفين بن عيينة كثيرا ما يتمثل وينشد
اذا المرء كانت له فكرة • ففي كل شيء له عبرة • وعن طاوس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم يا روح الله
هل على الارض اليوم مثلك فقال نعم من كان نطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة فانه مثلي وقال
الحسن من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو
وفي قول الله عز وجل ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال امنع قلوبهم التفكر
في امري • وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطوا اعينكم حظها من
العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند
عجائبه • وعن امراة كانت تسكن البادية قريبا من مكة انها قالت لو طالعت قلوب المتقين
بفكرها الى ما ذخر في حجب الغيوب من خير الآخرة لم يصف لهم عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين • و
كان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاه فيقول يا لقمان انك تديم الجلوس وحدك فلو جلست
مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان ان طول الوحدة افهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق
الجنة وقال وهب بن منبه ما طالت فكرة امرئ قط الا علم وما علم امرؤ قط الا عمل وقال عمر
بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله عز وجل من افضل العبادة وقال عبد الله بن المبارك يوما لسهل بن
علي وقد رآه ساكتا متفكرا اين بلغت قال الصراط وقال بشر لو تفكر الناس في عظمة الله عز وجل
ما عصوا الله • وعن ابن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب وبينا ابو شريح
يمشي اذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكي فقلنا ما يبكيك قال تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب
اجلي وقال ابو سليمن عودوا اعينكم البكاء وقلوبكم التفكر وقال الفكرة في الدنيا حجاب عن
الآخرة وعقوبة لاهل الولاية والفكرة في الآخرة تورث الحكمة وتحيي القلوب وقال حاتم من العبرة
يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكر يزيد الخوف وقال ابن عباس التفكر في الخير يدعو الى
العمل به والندم على الشر يدعو الى تركه • ويروى ان الله عز وجل قال في بعض كتبه اني لست اقبل
كلام كل حكيم ولكن انظر الى همه وهواه فان كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرا وكلامه حمدا وان لم

يتكلم وقال الحسن ان اهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى
استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة وقال اسحق بن خلف كان داود الطائي على سطح في
ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والارض وهو ينظر الى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار
له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا وبيده سيف فظن انه لص فلما نظر الى داود رجع و
وضع السيف فقال له ما الذي طرحك من السطح قال ما شعرت بذلك وقال الجنيد اشرف
المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكاس
المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل ثم قال يا لها من مجالس ما اجلها ومن شراب
ما الذه طوبى لمن رزقه وقال الشافعي استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر
وقال ايضا صحة النظر في الامور نجاة من الغرور والعزم في الراي سلامة من التفريط والندم و
الروية والفكرة تكشفان عن الحزم والفطنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة
ففكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان تهجم وشاور قبل ان تقدم وقال ايضا الفضائل اربع احديها
الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها في الشهوة والثالثة القوة وقوامها في الغضب
والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس فهذه اقاويل العلماء في الفكرة وما شرع احد منهم
في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها

بيان حقيقة التفكر وثمرته

اعلم ان معنى الفكرة
هو احضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة ومثاله ان من مال الى العاجلة وآثر الحيوة
الدنيا واراد ان يعرف ان الآخرة اولى بالايثار من العاجلة فله طريقان احدهما ان
يسمع من غيره ان الآخرة اولى بالايثار فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الامر فيميل بعمله الى
ايثار الآخرة اعتمادا على مجرد قوله فهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة والطريق الثاني ان يعرف
ان الابقى اولى بالايثار ثم يعرف ان الآخرة ابقى فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة و
هو ان الآخرة اولى بالايثار ولا يمكن تحقيق المعرفة بان الآخرة اولى بالايثار الا بالمعرفتين السابقتين
فاحضار المعرفتين السابقتين في القلب ليتوصل بهما الى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا و
تذكرا ونظرا وتاملا وتدبرا اما التدبر والتامل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد
ليس تحتها معان مختلفة واما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وان كان اصل
المسمى واحدا كما ان اسم الصارم والمهند والسيف تتوارد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة
فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع والمهند يدل عليه من حيث نسبته الى موضعه و
السيف يدل دلالة مطلقة من غير اشعار بهذه الزوايد فكذلك الاعتبار ينطلق على احضار معرفتين
من حيث انه يعبر منهما الى معرفة ثالثة فان لم يقع العبور ولم يكن الا الوقوف على المعرفتين فينطلق
عليه اسم التذكر لا اسم الاعتبار واما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث ان فيه طلب معرفة ثالثة
فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة فلا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا وفائدة
التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ وتثبت فلا تنمحي عن القلب وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب
معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر والمعارف اذا اجتمعت في القلب و

ازدوجت على ترتيب مخصوص اثمرت معرفة اخرى فالمعرفة نتاج المعرفة فاذا حصلت معرفة و
ازدوجت مع معرفة اخرى حصل منه نتاج آخر وهكذا يتمادى النتاج ويتمادى العلوم ويتمادى
الفكر الى غير نهاية وانما ينسد طريق زيادة المعارف بالموت او بالعوائق هذا لمن يقدر على
استثمار العلوم ويهتدي الى طريق التفكر واما اكثر الناس فانما منعوا الزيادة في العلوم لفقدهم
راس المال وهو المعارف التي بها تستثمر العلوم كالذي لا بضاعة له فانه لا يقدر على الربح وقد
يملك البضاعة ولكن لا يحسن صنعة التجارة فلا يربح وكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو
راس مال العلوم ولكن لا يحسن استعمالها وتأليفها وايقاع الازدواج المفضي الى النتاج فيها
ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور الهي في القلب يحصل بالفطرة كما كان للانبياء
صلوات الله عليهم وذلك عزيز جدا وقد يكون بالتعلم والممارسة وهو الاكثر ثم المتفكر قد تحضره
هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنها لقلة
ممارسته لصناعة التعبير والايراد فكم من انسان يعلم ان الآخرة اولى بالايثار علما حقيقيا
ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على ايراده والتعبير عنه مع انه لم يحصل معرفته الا عن المعرفتين السابقتين
وهو ان الابقى اولى بالايثار وان الآخرة ابقى من الدنيا فتحصل له معرفة ثالثة واما ثمرة الفكر
فهي العلوم والاحوال والاعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير نعم اذا حصل العلم في القلب تغير
حال القلب واذا تغير حال القلب تغيرت اعمال الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع للعلم والعلم
تابع للفكر فالفكر اذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها وهذا الذي يكشف لك عن فضيلة
التفكر وانه خير من الذكر والتذكر لان في الفكر ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح
بل شرف العمل لما فيه من الذكر فاذا التفكر افضل من جملة الاعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير
من عبادة سنة فقيل هو الذي ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى الزهد والقناعة
وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى لعلهم يتقون او يحدث
لهم ذكرا وان اردت ان تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من امر الآخرة فان
الفكر في ذلك يعرفنا ان الآخرة اولى بالايثار فاذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت
القلوب الى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وهذا ما عنيناه بالحال اذ كان حال القلب
قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل اليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة
تغير حال القلب وتبدلت ارادته ورغبته ثم اثمر تغير الارادة اعمال الجوارح في اطراح الدنيا
والاقبال على اعمال الآخرة فههنا خمس درجات اوليها التذكر وهو احضار المعرفتين في القلب
والثانية التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منه والثالثة حصول المعرفة المطلوبة
واستنارة القلب بها والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة والخامسة
خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء
بها الموضع فتصير العين مبصرة بعد ان لم تكن تبصر وتنتهض الاعضاء للعمل فكذلك زناد نور المعرفة
هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفا مخصوصا كما يضرب

الحجر على الحديد فيخرج منه نار ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما تنبعث النار من الحديد
ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل الى ما لم يكن يميل اليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى
ما لم يكن يراه ثم تنتهض الاعضاء الى العمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب
الظلمة للعمل عند ادراك البصر ما لم يكن يبصره فاذن ثمرة الفكر العلوم والاحوال والعلوم لا نهاية
لها والاحوال التي يتصور ان تنقلب على القلب لا يمكن حصرها فلهذا لو اراد مريد ان يحصي
فنون الفكر ومجاريه وانه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لان مجاري الفكر غير محصورة وثمراته
غير متناهية نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالاضافة الى مهمات العلوم الدينية وبالاضافة الى
الاحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جمليا فان تفصيل ذلك يستدعي
شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فانها مشتملة على علوم تلك العلوم كلها
تستفاد من افكار مخصوصة فلنشر الى ضبط المجامع فيها ليحصل الوقوف على مجاري الفكر

بيان مجاري الفكر

اعلم ان الفكر قد يجري في امر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق
بغير الدين وانما غرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الآخر ونعني بالدين المعاملة التي بين
العبد وبين الرب تعالى فجميع افكار العبد اما ان يتعلق بالعبد وصفاته واحواله واما ان يتعلق
بالمعبود وصفاته ولا يمكن ان يخرج من هذين القسمين وما يتعلق بالعبد اما ان يكون نظرا فيما
هو محبوب عند الرب سبحانه او فيما هو مكروه ولا حاجة الى الفكر في غير هذين القسمين وما
يتعلق بالرب تعالى اما ان يكون نظرا في ذاته وصفاته واسمائه الحسنى واما ان يكون نظرا في
افعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والارض وما بينهما وينكشف لك انحصار الفكر في هذه
الاقسام بمثال وهو ان حال السائرين الى الله تعالى والمشتاقين الى لقائه يضاهي حال العشاق
فلنتخذ العاشق المستهتر مثالا لنا فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره من
ان يتعلق بمعشوقه او يتعلق بنفسه فان تفكر في معشوقه فاما ان يتفكر في جماله وحسن صورته
في ذاته ليتنعم بالفكر فيه وبمشاهدته واما ان يتفكر في افعاله اللطيفة الحسنة الدالة على اخلاقه
وصفاته ليكون ذلك مضعفا للذته ومقويا لمحبته وان تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي
تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها او في الصفات التي تقربه منه وتحببه اليه حتى يتصف
بها فان تفكر في شيء خارج عن هذه الاقسام فذلك خارج عن حد العشق وهو نقصان فيه لان
العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه متسعا لغيره فمحب
الله ينبغي ان يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه ومهما كان تفكره محصورا في هذه الاقسام
الاربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة اصلا **فلنبدأ بالقسم الاول** وهو تفكره في صفات نفسه
وافعال نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه فان هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو
مقصود هذا الكتاب واما القسم الآخر فيتعلق بعلم المكاشفة ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله
او محبوب ينقسم الى ظاهر كالطاعات والمعاصي والى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات
التي محلها القلب وقد ذكرنا تفصيلها في ربع المهلكات والمنجيات والطاعات والمعاصي

ينقسم الى ما يتعلق بالاعضاء السبعة والى ما ينسب الى جميع البدن كالفرار من الزحف عن صف
القتال وعقوق الوالدين والسكنى في المسكن الحرام فيجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة امور
الاول التفكر في انه هل هو مكروه عند الله تعالى ام لا فرب شيء لا يظهر كونه مكروها بل يدرك بدقيق
النظر والثاني التفكر في انه ان كان مكروها فما طريق الاحتراز منه والثالث ان هذا المكروه
هل هو متصف به في الحال فيتركه ام هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه او قارفه فيما مضى من الاحوال
فيحتاج الى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم هذه الانقسامات فاذا جمعت هذه الاقسام
زادت مجاري الفكر في هذه الاقسام على مائة والعبد مدفوع الى التفكر اما في جميعها او في اكثرها وشرح آحاد
هذه الاقسام يطول ولكن تنحصر هذه الاقسام في اربعة انواع الطاعات والمعاصي والصفات
المهلكات والصفات المنجيات فلنذكر في كل نوع مثالا ليقيس به المريد سائرها فينفتح له ابواب
الفكر ويتسع عليه طريقه. النوع الاول المعاصي ينبغي ان يفتش العبد صبيحة كل يوم جميع اعضائه
السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية فيتركها او لابسها بالامس فيتداركها
بالترك والندم او هو متعرض لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد منها فينظر في اللسان و
يقول انه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء والمماراة والممازحة والخوض فيما لا
يعني الى غير ذلك من المكاره فليقرر اولا في نفسه انها مكروهة عند الله ويتفكر في شواهد القرآن و
السنة فيقف على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في احواله انه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ثم يتفكر
انه كيف يحترز منها ويعلم انه لا يتم له ذلك الا بالعزلة والانفراد وبان لا يجالس الا صالحا تقيا ينكر عليه
مهما تكلم بما يكرهه الله او يضع حصاة في فيه اذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فهكذا يكون
الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في سمعه انه يصغي به الى الغيبة والكذب وفضول الكلام والى اللهو و
البدعة وان ذلك انما يسمعه من زيد وعمرو وانه كيف ينبغي ان يحترز عنهم بالاعتزال او بالنهي
عن المنكر مهما سمع ذلك ويتفكر في بطنه انه انما يعصي الله فيه بالاكل والشرب اما بكثرة الاكل من
الحلال فان ذلك مكروه عند الله ومقو للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله واما باكل الحرام
او الشبهة فينظر من اين مطعمه وملبسه ومسكنه ويتفكر في طرق الحلال ومداخله ثم يتفكر في وجوه
الحيلة في الاكتساب منه وللاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه ان العبادات كلها ضائعة مع
اكل الحرام وان اكل الحلال هو اساس العبادات كلها وان الله عز وجل لا يقبل صلوة عبد في ثمن ثوبه درهم
حرام ورد به الخبر فهكذا يتفكر في اعضائه ففي هذا القدر غنية عن الاستقصاء فمهما حصل بالفكر حقيقة
المعرفة بهذه الاحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الاعضاء عنها واما النوع الثاني
وهو الطاعات فينظر اولا في الفرائض المكتوبة عليه انه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان
والتقصير او كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل ثم يرجع الى عضو عضو فيتفكر في الافعال التي تتعلق
بذلك العضو مما يحبه الله فيقول مثلا ان العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والارض
وغير ذلك من آيات الله عز وجل ولتستعمل في طاعة الله عز وجل وتنظر في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم وانا قادر على ان اشغل العين بمطالعة القرآن والسنة فلم لا افعله وانا قادر على ان انظر

الى فلان المطيع بعين التعظيم فادخل السرور على قلبه وانظر الى فلان الفاسق بعين الازدراء فازجره
بذلك عن معصيته فلم لا افعله وكذلك يقول ايضا في سمعه اني قادر على استماع كلام ملهوف او
استماع حكمة وعلم او استماع قراءة وذكر فما لي اعطله وقد انعم الله علي به واودعنيه لاشكره فما لي
اكفر نعمة الله فيه بتضييعه وتعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول اني قادر على ان اتقرب الى
الله عز وجل بالتعليم والوعظ وبالتودد الى قلوب اهل الصلاح وبالسؤال عن احوال الفقراء وادخال
السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فانها صدقة وكذلك يتفكر في
ماله فيقول انا قادر على ان اتصدق بالمال الفلاني فاني مستغن عنه ومهما احتجت اليه رزقني الله
مثله وان كنت محتاجا الآن فانا الى ثواب الايثار احوج مني الى ذلك المال وهكذا يفتش
عن اعضائه وجملة بدنه وامواله بل عن دوابه وغلمانه واولاده فان كل ذلك ادواته واسبابه ويقدر ان
يطيع الله بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يرغبه في البدار الى تلك الطاعة
ويتفكر في اخلاص النية فيها فيطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا
سائر الطاعات واما النوع الثالث فهي الصفات المهلكة التي محلها القلب فيعرفها مما
ذكرناه في ربع المهلكات وهي استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء
الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويتفقد من قلبه هذه الصفات فان ظن ان قلبه منزه عنها
فيتفكر في كيفية امتحانه نفسه فيها والاستشهاد بالعلامات على ذلك فان النفس ابدا تعد
بالخير من نفسها وتكذب فاذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي ان يجرب بحمل حزمة حطب
او نحوها في السوق كما كان الاولون يجربون بذلك انفسهم واذا ادعت الحلم فليتعرض لغضب
يناله من غيره ثم يجرب نفسه في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا تفكر في انه هل
موصوف بالصفة المكروهة ام لا ولذلك علامات قد ذكرناها في ربع المهلكات فاذا دلت
العلامات على وجودها فليتفكر في الاسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وليتبين ان منشاها
من الجهل والغفلة وخبث الدخلة كما لو راى في نفسه عجبا بالعمل فيتفكر ويقول انما عملي بجوارحي
وقدرتي وارادتي وهو الذي حرك اعضائي بقدرته واقدرني واراد ارادتي فكيف اعجب
بعملي وبنفسي ولا قوام لنفسي بنفسي واذا احس من نفسه بالكبر فليقرر عليها ما في الكبر من الحماقة
وليقل لها لم ترين نفسك اكبر والكبير من هو كبير عند الله وذلك ينكشف بعد الموت
وكم من كافر في الحال يموت مقربا عند الله بنزوعه عن الكفر وكم من مسلم يموت شقيا بتغير حاله عند
سوء الخاتمة فاذا عرف ان الكبر مهلك وان اصله الحماقة فيتفكر في علاج ازالته بتعاطي اعمال
المتواضعين واذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر في ان هذه صفة البهائم ولو كان
في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله تعالى وصفات الملائكة كالعلم والقدرة
ولما اتصف به البهائم ومهما كان الشره عليه اغلب كان بالبهائم اشبه وعن الملائكة المقربين
ابعد وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب
لمن اراد ان يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيلها في هذه الكتب واما النوع الرابع فهو المنجيات

فمنها التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد في
الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله وتعظيمه والرضا بافعاله والشوق اليه والخشوع
والتواضع له فكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا اسبابه وعلاماته فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي
يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة الى الله تع فاذا افتقر الى شي منها فليعلم انها احوال لا يثمرها
الا العلوم وان العلوم لا يثمرها الا الافكار فاذا اراد ان يكتسب لنفسه حال التوبة والندم فليفتش
اولا عن ذنوبه وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه ثم لينظر الى الوعيد والتشديد
الذي ورد في الشرع في ذلك وليحقق عند نفسه انه متعرض لمقت الله حتى ينبعث له حال الندم واذا
اراد ان يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في احسان الله اليه واياديه لديه وفي ارسال جميل ستره
عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر وليطالع ذلك واذا اراد حال المحبة والشوق فليتفكر في
جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجايب حكمته وبدايع صنعه كما سنرمز الى طرف
يسير منه في القسم الثاني من الفكر واذا اراد حال الخوف فلينظر اولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم
لينظر في الموت وسكراته ثم فيما بعده من سوال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه
ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلايق على صعيد واحد ثم في المناقشة
في الحساب والمضايقة في النقير والقطمير ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الامر عنده انه
هل يصرف الى الشمال فيكون من اصحاب النار او يصرف الى اليمين وينزل دار القرار ثم ليحضر بعد هول
القيمة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها واغلالها وسلاسلها وزقومها وصديدها و
انواع عذابها وقبح صورة الزبانية الموكلين بها وانه كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وانهم
كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وانهم اذا راوها من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا و
زفيرا وشهيقا الى جميع ما ورد في القرآن من شرحها واذا اراد ان يستجلب حال الرجاء فليتفكر
في الجنة ونعيمها واشجارها وثمارها وحورها ولذاتها ونعيمها المقيم وملكها الدايم فهكذا طريق
الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب احوال محبوبة او التنزه عن صفات مذمومة وقد
ذكرنا في كل واحد من هذه الاحوال كتابا يستعان به على تفصيل الفكر اما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه
انفع من قراءة القرآن بالتفكر فانه جامع لجميع المقامات والاحوال وفيه شفاء للعالمين وفيه
ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وساير الاحوال وفيه ما يزجر عن
ساير الصفات المذمومة فينبغي ان يقراه العبد ويردد الآية التي هو محتاج الى التفكر فيها مرة
بعد اخرى ولو مائة مرة وقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وتفهم وتفكر وليتوقف في
التامل فيها ولو ليلة كاملة فان تحت كل كلمة من القرآن اسرارا لا تنحصر ولا يوقف عليها الا بدقيق
الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة وكذلك مطالعة اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اوتي
جوامع الكلم وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة لو تاملها العالم حق تامله لم ينقطع فيها نظره طول
عمره وشرح آحاد الآيات والاخبار يطول فانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي
احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فان

وليتهم

له

هذه الكلمات جامعة لحكم الاولين والآخرين وهي كافية للمتاملين فيها طول العمر اذ لو وقفوا
على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم وحالت بينهم وبين التلفت
الى الدنيا بالكلية فهذا هو طريق التفكر على علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي محبوبة
عند الله او مكروهة والمبتدي ينبغي ان يكون مستغرق الوقت في هذه الافكار حتى يعمر قلبه
بالاخلاق المحمودة والمقامات الشريفة وينزه باطنه وظاهره عن المكاره وليعلم ان هذا
مع انه افضل من ساير العبادات فليس هو غاية المطلب بل المشغول به محجوب عن مطلب
الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه
اي ينسى نفسه واحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر
عند لقاء الحبيب فانه لا يتفرغ للنظر في احوال نفسه واوصافه بل يبقى كالمبهوت الغافل
عن نفسه وذلك منتهى لذة العشاق فاما ما ذكرناه فهو تفكر في عمارات الباطن ليصلح
للقرب والوصال فاذا ضيع جميع عمره في اصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب وكذلك لما كان
الخواص يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور فقال له فيم انت فقال ادور في البوادي
لاصحح حالي في التوكل فقال له افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد فالفناء
في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين واما التنزه عن الصفات
المهلكات فيجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح واما الاتصاف بالصفات المنجيات
وساير الطاعات فيجري مجرى تهيية المراة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها
لتصلح بذلك للقاء زوجها فان استغرقت جميع عمرها في تبرية الرحم وتزيين الوجه كان
ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب فهكذا ينبغي ان تفهم طريق الدين ان كنت من اهل المجالسة
وان كنت كالعبد السوء لا يتحرك الا خوفا من الضرب وطمعا في الاجر فدونك واتعاب البدن بالاعمال
الظاهرة فان بينك وبين القرب حجابا كثيفا فاذا قضيت حق الاعمال كنت من اهل الجنة ولكن
للمجالسة اقوام آخرون واذا عرفت مجال الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه
فينبغي ان تتخذ ذلك عادتك وديدنك صباحا ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك
المبعدة من الله واحوالك المقربة اليه تع بل كل مريد فينبغي ان تكون له جريدة يثبت فيها جملة
الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض
نفسه عليها كل يوم ويكفيه من النظر في المهلكات عشر فانه ان سلم منها سلم من غيرها وهي
البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه
ويكفيه من المنجيات عشر الندم على الذنوب والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر
على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص في الاعمال وحسن الخلق مع
الخلق وحب الله تع والخشوع له فهذه عشرون خصلة عشر مذمومة وعشر محمودة
فمهما كفي من الخصال المذمومة واحدة فيخط عليها من جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تع على
كفايته اياها وتنزيه قلبه عنها ويعلم ان ذلك لم يتم الا بتوفيق الله وعونه ولو وكله الى

نفسه لم يقدر على محو اقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات فاذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي وهذا يحتاج اليه المريد المتشمر فاما اكثر الناس المعدودون اليوم من الصالحين فينبغي ان يثبتوا في جرائدهم المعاصي الظاهرة كاكل الشبهة واطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس والافراط في معاداة الاعداء وموالاة الاولياء والمداهنة مع الخلق في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان اكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم يتطهر الجوارح عن الآثام فلا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية فينبغي ان يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاصي هم بمعزل عنها مثاله العالم الورع فانه لا يخلو في غالب الامر من اظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت اما بالتدريس او بالوعظ ومن فعل ذلك فقد تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها الا الصديقون فانه ان كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الاعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وكل ذلك من المهلكات وان رد كلامه لم يخل عن انفة وغيظ وحقد على من يرده اكثر من غيظه على من يرد كلام غيره وقد يلبس الشيطان عليه ويقول له ان غيظك من حيث انه رد الحق وانكره فان وجد تفرقة بين ان يرد عليه كلامه او يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح للقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد والاعراض لم يخل عن تكلف وتصنع بتحسين اللفظ والايراد حرصا على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين والشيطان قد يلبس عليه ويقول انما حرصك على تحسين الالفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه في القلوب اعلاء لدين الله عز وجل فان كان فرحه بتحسين الفاظه وثناء الناس عليه اكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من اقرانه فهو مخدوع وانما يدندن حول طلب الجاه وهو يظن ان مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهرت على ظاهره حتى يكون للموقر له والمعترف بفضله اكثر احتراما ويكون بلقائه اشد استبشارا ممن يغلو في موالاة غيره وان كان ذلك الغير مستحقا للموالاة وربما ينتهي الامر باهل العلم ان يتغايروا تغاير النساء فيشق على احدهم ان يختلف بعض تلامذته الى غيره وان كان يعلم انه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل هذا رشح الصفات المهلكات المستكنة في سر القلب التي قد يظن العالم النجاة منها وهو اما مالك واما هالك فالواجب عليه الانفراد والعزلة وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل فلقد كان المسجد في زمن الصحابة يحوي جمعا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم بصير بالفتوى وكانوا يتدافعون الفتوى وكل من كان يفتي كان يود ان يكفيه غيره وعندها ينبغي ان يتقي شياطين الانس اذا قالوا لا تفعل هذا فان هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم بين الخلق فليقل لهم ان دين الاسلام مستغن عني وقد كان معمورا قبلي وكذلك يكون بعدي ولو مت لم ينهدم اركان الاسلام فالدين مستغن

عني واما انا فلست مستغنيا عن اصلاح قلبي واما اداء ذلك الى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل فان الناس لو حبسوا في السجون وقيدوا بالقيود فتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب العلو والرياسة يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان السجون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس ما دام الشيطان يحبب الى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتر عن عمله الى يوم القيمة بل ينتهض لنشر العلم اقوام لا نصيب لهم في الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلا ينبغي ان يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى في قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فان ذلك بذر النفاق قال صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب الجاه والمال في دين المرء المسلم ولا ينقلع حب الجاه من القلب الا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا هذه الصفات في قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها وهذه وظيفة العالم المتقي فاما امثالنا فينبغي ان يكون تفكرنا فيما يقوي ايماننا بيوم الحساب اذ لو رآنا السلف الصالح لقالوا قطعا ان هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب فما اعمالنا اعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه وقد علمنا ان الهرب من النار بترك الشبهات والحرام وبترك المعاصي ونحن منهمكون فيها وان طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقتصرون في الفرائض منها فلم يحصل لنا من ثمرة العلم الا انه يقتدى بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مذموما لكان العلماء اولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوام اذا متنا ماتت معنا ذنوبنا فما اعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا فنسال الله ان يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل ان يتوفانا انه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا فهذه مجاري افكار العلماء الصالحين في علم المعاملة فان فرغوا منها انقطع التفاتهم عن انفسهم وارتقوا منها الى التفكر في جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك الا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات وان ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكدرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد اخرى فينغص عليه لذة المشاهدة ولا طريق له في كمال التنعم الا باخراج العقارب من ثيابه وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوشات وفي القبر يزيد الم لدغها على لدغ العقارب والحيات وهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه

القسم الثاني

الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامان المقام الاعلى الفكر في ذاته وفي صفاته ومعاني اسمائه وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله وذلك لان العقول تتحير فيه ولا يطيق

مد البصر اليه الا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق احوال ابصارهم بالاضافة
الى جلال الله سبحانه كحال بصر الخفاش بالاضافة الى نور الشمس فانه لا يطيقه البتة بل يختفي وانما
يتردد ليلاً لينظر في بقية نور الشمس فانه يقدر على النظر اليها ولكن لا يطيق دوام النظر ويخشى
على بصره بدوام النظر ونظر المختطف يورث العمش ويفرق البصر فكذلك النظر الى ذات الله يورث
الحيرة والدهش واضطراب العقل فالصواب اذن ان لا نتعرض لمجاري الفكر في ذات الله سبحانه
وصفاته فان اكثر العقول لا تحتمله بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو ان الله تعالى مقدس
عن المكان منزه عن الاقطار والجهات وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو
منفصل عنه قد حير عقول اقوام حتى انكروه اذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت طائفة عن
احتمال اقل من هذا اذ قيل لهم انه يتعالى عن ان يكون له راس ورجل ويد وعين وعضو وان يكون
جسما متشخصا له مقدار وحجم فانكروا هذا وظنوا ان ذلك قدح في عظمته وجلاله حتى قال بعض
الحمقى من العوام ان هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الاله لظن المسكين ان الجلالة و
العظمة في هذه الاعضاء وهذا لان الانسان لا يعرف الا نفسه فلا يستعظم الا نفسه فكل ما
لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه نعم غايته ان يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على
سرير وبين يديه غلمان يمتثلون امره فلا جرم غايته ان يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم
العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لانكر
ذلك وقال كيف يكون خالقي انقص مني أفيكون مقصوص الجناحين او يكون زمنا لا يقدر على
الطيران او يكون لي آلة وقدرة ولا يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري وعقول اكثر الخلق قريبة
من هذا العقل وان الانسان لظلوم جهول كفار ولذلك اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه لا تخبر
عبادي بصفاتي فينكروني ولكن اخبرهم عني بما يفهمون ولما كان النظر في ذات الله و
صفاته مخطرا من هذا الوجه اقتضى ادب الشرع وصلاح الخلق ان لا نتعرض لمجاري الفكر فيه لكنا
نعدل الى المقام الثاني وهو النظر في افعاله وعجائب صنعه وبدائع امره في خلقه
فانها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته
فننظر الى صفاته من آثار صفاته فانا لا نطيق النظر الى صفاته كما انا نطيق النظر الى الارض مهما
استنارت بنور الشمس ونستدل به على عظمة نور الشمس بالاضافة الى نور القمر وسائر الكواكب لان
نور الارض من آثار نور الشمس والنظر في الاثر يدل على المؤثر دلالة ما وان كان لا يقوم مقام النظر في
نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا اثر من آثار قدرة الله ونور من انواره بل لا ظلمة اشد من العدم
ولا نور اظهر من الوجود ووجود الاشياء كلها نور من انوار ذات الله تعالى اذ قوام وجود الاشياء بذات
القيوم بنفسه كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها ومهما انكسف بعض الشمس
فقد جرت العادة بان يوضع طست ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر اليها فيكون الماء
واسطة يغض قليلا من نور الشمس حتى يطاق النظر اليها فكذلك الافعال واسطة نشاهد فيها
صفات الفاعل فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله ٥

بيان كيفية النظر في خلق الله تعالى اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلقه
وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها
حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن لانه لو كان البحر مدادا لذلك لنفد البحر
قبل ان ينفد عشر عشير ذلك ولكنا نشير الى جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول
الموجودات المخلوقات منقسمة الى ما لا يعرف اصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات
التي لا نعلمها كما قال سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون
وقال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون والى ما يعرف اصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا ان
نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الى ما ادركناه بحس البصر والى ما لا ندركه بالبصر اما الذي لا ندركه
بالبصر فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغيرها ومجال الفكر في هذه الاشياء مما
يغمض فلنعدل الى الاقرب الى الافهام وهي المدركات بحس البصر وهي السموات السبع و
الارض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها
وغروبها والارض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وانهارها وبحارها وحيوانها و
نباتها وما بين السماء والارض وهو الجو مدرك بغيومه وامطاره وثلوجه ورعده وبرقه و
صواعقه وسحبه وعواصف رياحه فهذه هي الاجناس المشاهدة من السموات والارض وما
بينهما وكل جنس منها ينقسم الى انواع وكل نوع ينقسم الى اقسام ويتشعب كل قسم الى اصناف ولا نهاية
لانشعاب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاته وهيئاته ومعانيه الظاهرة والباطنة وجميع
ذلك مجال الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والارض من جماد ونبات وحيوان وفلك و
كوكب الا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة او حكمتان او عشرة او الف حكمة كل ذلك شاهد
لله بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه وقد ورد القرآن بالحث على
التفكر في هذه الآيات كما قال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات
وكما قال ومن آياته ومن آياته من اول القرآن الى آخره فلنذكر كيفية الفكر في بعض الآيات
فمن آياته الانسان المخلوق من النطفة واقرب شيء اليك نفسك وفيك من العجائب
الدالة على عظمة الله تعالى ما تنقضي الاعمار في الوقوف على عشر عشيره وانت غافل عنه فيا من هو غافل
عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرها وقد امرك الله بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال
تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره
ثم اذا شاء انشره وقال تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال الم
يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى وقال الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار
مكين الى قدر معلوم وقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال
انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج ثم ذكر كيف جعل النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة
عظاما فقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم
خلقنا النطفة علقة الآية فتكرير ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك التفكر

في معناها فانظر الآن الى النطفة وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء
لفسدت وانتنت كيف اخرجها رب الارباب من بين الصلب والترائب وكيف جمع بين
الذكر والانثى والقى الالفة والمحبة في قلوبهم وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع
وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع وكيف استجلب دم الحيض من اعماق العروق
وجمعه في الارحام ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بدم الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر وكيف
جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف قسم اجزاء النطفة وهي
متشابهة الى العظام والاعصاب والعروق والاعضاء الظاهرة ودور الراس وشق السمع والبصر
والانف والفم وسائر المنافذ ثم مد اليد والرجل وقسم رؤسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل
ثم كيف ركب الاعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء
كل واحد من ذلك على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الاعضاء
باقسام اخر وركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص لو فقدت طبقة منها او زالت
صفة من صفاتها لتعطلت العين عن الابصار ولو ذهبنا نصف ما في احد هذه الاعضاء من العجائب و
الآيات لانقضت في ذلك الاعمار فانظر الآن الى العظام وهي اجسام قوية صلبة كيف خلقها من نطفة
سخيفة رقيقة ثم جعلها قواما للبدن وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة فمنها صغير وكبير وطويل و
مستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة بجملة بدنه وببعض
اعضائه للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى يتيسر بها
الحركة وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها بالبعض
باوتاد انبتها من احد طرفي العظم والصقها بالطرف الآخر كالرباط له ثم خلق في احد طرفي العظم
زوائد خارجة منه وفي الآخر نقرا غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها
فصار العبد ان اراد ان يحرك جزءا من بدنه لم يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم انظر كيف
خلق عظام الراس وكيف جمعها وركبها من خمس وخمسين عظما مختلفة الاشكال والصور فالف
بعضها الى البعض بحيث استوت بها كرة الراس كما تراه فمنها ستة تخص القحف واربعة عشر للحى
الاعلى واثنان للحى الاسفل والبقية هي الاسنان بعضها عريض يصلح للطحن وبعضها حادة تصلح
للقطع وهي الانياب والاضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مركبا للراس وركبها من سبع خرزات مجوفات
مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على البعض يطول ذكر
وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من اسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من اربع و
عشرين خرزة وركب عظم العجز من ثلاثة اجزاء مختلفة ويتصل به من اسفله عظم العصعص وهو
ايضا من ثلاثة اجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام العانة
وعظام العجز ثم عظام الفخذين والساقين واصابع الرجلين فلا نطول بذكر عدد ذلك و
مجموع عدد العظام في بدن الانسان مائتا عظم وثمانية واربعون عظما سوى العظام الصغار
التي حشي بها خلل المفاصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة وليس المقصود من

ذكر اعداد العظام ان يعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الاطباء والمشرحون وانما
الغرض ان ينظر منها في مدبرها وخالقها انه كيف قدرها ودبرها وخالف بين اشكالها
واقدارها وخصصها بهذا العدد المخصوص وانه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان
يحتاج الى قلعه ولو نقص منها واحدا لكان نقصانا يحتاج الى جبره فالطبيب ينظر فيها ليعرف
وجه العلاج في جبرها واهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصورها
فشتان بين النظرين ثم انظر كيف خلق آلات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الانسان
خمسمائة عضلة وتسعة وعشرين عضلة والعضلة هي مركبة من لحم وعصب ورباط واغشية
وهي مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وحاجاتها فاربع وعشرون عضلة
منها لتحريك حدقة العين واجفانها لو نقصت واحدة من جملتها لاختل امر العين فهكذا لكل
عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وامر الاعصاب والعروق والاوردة و
الشرايين وعددها ومنابتها وتشعبها اعجب من هذا كله وشرح ذلك يطول وللتفكر مجال
رحب في آحاد هذه الاجزاء ثم في آحاد الاعضاء ثم في جملة البدن وكل ذلك نظر الى عجائب اجسام
البدن وعجائب المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس اعظم فانظر الآن الى ظاهر الانسان
وباطنه والى بدنه وصفاته لترى فيها من الصنعة ما يقضي منه العجب وكل ذلك صنع الله تعالى في قطرة
ماء قذرة فترى من هذا صنعه في قطرة ماء فما صنعه في ملكوت السموات وكواكبها وما حكمتها
في اوضاعها واشكالها ومقاديرها واعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف
صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظنن ان ذرة من ملكوت السموات والارض تنفك عن
حكمة وحكم بل هي احكم خلقا واتقن صنعا واجمع للعجائب من بدن الانسان بل لا نسبة لجميع ما في الارض
الى عجائب السموات ولذلك قال تعالى أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها فارجع الآن الى النطفة وتامل
حالها اولا وما صارت اليه ثانيا وتامل لو اجتمع الجن والانس على ان يخلقوا للنطفة سمعا
او بصرا او عقلا او قدرة او علما او روحا او يخلقوا فيها عظما او عرقا او عصبا او جلدا او شعرا
هل يقدرون على شيء من ذلك بل لو ارادوا ان يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد
ان خلقه الله تعالى ذلك لعجزوا عنه فالعجب منك انك لو نظرت الى صورة انسان مصورة على جدار
تانق النقاش في تصويرها حتى قربت من صورة الانسان وقال الناظر اليها كانها انسان
لعظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته ولعظم في قلبك محله مع
انك تعلم ان تلك الصورة انما تمت بالصبغ وبالقلم وبالجدار وباليد وبالقدرة وبالعلم وبالارادة
وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وانما منتهى فعله الجمع بين
الصبغ والجدار على ترتيب مخصوص فيكثر تعجبك من ذلك وتستعظمه وانت ترى النطفة
القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها في الاصلاب والترائب ثم اخرجها منها وشكلها
فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها وتصويرها وقسم اجزاءها المتشابهة الى اجزاء
مختلفة فاحكم العظام في ارجائها وحسن اشكال اعضائها ودبر ظاهرها وباطنها ورتب

عروقها واعصابها وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سببا لبقائها وجعلها سميعا
بصيرا عالما ناطقا وخلق لها الظهر اساسا لبدنها والبطن حاويا لآلات غذائها والرأس جامعا
لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها واحسن شكلها ولونها وهيئتها ثم حماها بالاجفان
لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الاقذاء عنها ثم اظهر في مقدار عدسة منها صورة السموات
مع اتساع اكنافها وتباعد اقطارها فهو ينظر اليها ثم شق اذنيه واودعهما ماء مرا ليحفظ سمعها
ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الاذن لتجمع الصوت فترده الى صماخها ولتحس بدبيب
الهوام اليها وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه
فيتنبه من النوم صاحبها اذا قصدها الدبيب في حالة النوم ثم رفع الانف من وسط الوجه
واحسن شكله وفتح منخريه واودع فيهما حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروايح على مطاعمه
واغذيته وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه و
فتح الفم واودعه اللسان ناطقا وترجمانا ومعربا عما في القلب وزين الفم بالاسنان
ولتكون آلة للطحن والكسر والقطع فاحكم اصولها وحدد رؤوسها وبيض لونها ورتب صفوفها
متساوية الرؤوس متناسقة الترتيب كانها الدر المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونهما وشكلهما
لتنطبق على الفم فتسد منافذه وليتم بهما حروف الكلام ثم خلق الحنجرة وهيأها لخروج الاصوات
وخلق للسان قدرة الحركات والتقطيعات لتقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف
بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق والسعة
والخشونة والرقة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسبب ذلك   والملاسة م
الاصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس
عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة ثم زين الراس بالشعر والاصداغ وزين الوجه باللحية والحاجبين
وزين الحاجب برقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالاهداب ثم خلق الاعضاء
الباطنة وسخر كل واحد منها لفعل مخصوص فسخر المعدة لنضج الغذاء والكبد لاحالة الغذاء الى
الدم والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال لخدمه بجذب السوداء عنه و
المرارة تخدمه بجذب الصفراء عنه والكلية تخدمه بجذب المائية عنه والمثانة تخدم الكلية
بقبول الماء عنها ثم تخرجه في طريق الاحليل والعروق تخدم الكبد في ايصال الدم الى ساير
اطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما لتمتدا الى المقاصد وعرض الكف وقسم الاصابع
بالخمس وقسم كل اصبع بثلاث انامل ووضع الاربع في جانب والابهام في جانب لتدور الابهام على
الجميع ولو اجتمع الاولون والآخرون على ان يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر في وضع الاصابع سوى
ما وضعت عليه من بعد الابهام عن الاربع وتفاوت الاربع في الطول وترتيبها في صف واحد لم
يقدروا على ذلك اذ بها يصلح القبض والاعطاء فان بسطها كانت له طبقا يضع عليها ما يريد
وان جمعها كانت آلة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم اصابعها
كانت مجرفة له ثم خلق الاظفار على رؤوسها زينة للانامل وعمادا لها من ورائها حتى لا تتقطع

وليلتقط

وليلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا تتناولها الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر
الذي هو اخس الاعضاء لو عدمه الانسان وظهرت به حكة لكان اعجز الخلق واضعفهم ولم
يقم شيء مقامه في حك بدنه ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى تمتد ولو في النوم والغفلة من غير حاجة
الى طلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله في النطفة
وهي في جوف الرحم في ظلمات ثلاث ولو كشف الغشاء والغطاء وامتد البصر اليه لكان يرى
التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئا فشيئا ولا يرى المصور ولا آلته فهل رأيت مصورا او فاعلا
لا يمس آلته مصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيها فسبحانه ما اعظم شانه واظهر برهانه
ثم انظر مع كمال قدرته الى تمام رحمته فانه لما ضاق الرحم على الجنين لما كبر كيف هداه السبيل
حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كانه عاقل بصير بما يحتاج اليه ثم انه لما
خرج واحتاج الى الغذاء كيف هداه الى التقام الثدي ثم لما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية
الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم سائغا خالصا
وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وانبت منهما الحلمتين على قدر ما ينطبق عليه فم الصبي ثم فتح
في حلمة الثدي ثقبا ضيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه الا بعد المص تدريجا فان الطفل لا
يطيق منه الا القليل ثم كيف هداه الى الامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير
عند شدة الجوع به ثم انظر الى عطفه ورأفته ورحمته كيف اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه في
الحولين لا يغتذي الا باللبن ويستغني عن السن واذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج الى
طعام غليظ ويحتاج الطعام الى المضغ والطحن فانبت له الاسنان عند الحاجة لا قبلها ولا
بعدها فسبحانه كيف اخرج تلك العظام الصلبة من تلك اللثات اللينة ثم حنن قلوب الوالدين
عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما
لكان الطفل اعجز الخلق عن تدبير نفسه ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية
تدريجا حتى بلغ وتكامل فصار مراهقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا اما كفورا واما شكورا مطيعا او
عاصيا مومنا او كافرا تصديقا لقوله تع هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا
خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما
كفورا فانظر الى اللطف والكرم ثم الى القدرة والحكمة تبهرك عجايب الحضرة الربوبية فالعجب كل العجب
ممن يرى خطا حسنا او نقشا حسنا على حايط فيستحسنه فيصرف جميع همه الى الفكر في النقاش و
الخطاط وانه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه ويقول ما احذقه وما اكمل
صنعته واحسن قدرته ثم ينظر الى هذه العجايب في نفسه وفي غيره ثم يغفل عن صانعها ومصورها
فلا تدهشه عظمته وجلاله وحكمته فهذه نبذة من عجايب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها
وهو اقرب مجال لفكرك واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت غافل عنها مشغول ببطنك وفرجك
لا تعرف من نفسك الا ان تجوع فتاكل وتشبع فتنام وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل ويشاركك
في معرفة ذلك البهائم والسباع كلها وانما خاصية الانسان التي حجبت البهائم عنها معرفة الله تع

بالنظر الى ملكوت السموات والارض وعجايب الآفاق والانفس اذ بها يدخل العبد في زمرة الملائكة المقربين
ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليس هذه الرتبة للبهايم ولا
لانسان رضي من الدنيا بشهوات البهايم فانه شر من البهيمة بكثير اذ لا قدرة للبهيمة على ذلك واما هذا فقد
خلقت له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها فاولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا فاذا عرفت
طريق الفكر في نفسك فتفكر في الارض التي هي مقرك ثم في انهارها وبحارها وجبالها ومعادنها
ثم ارتفع منها الى ملكوت السماء اما الارض فمن آياته ان خلق الارض فراشا ومهادا وسلك لكم فيها
سبلا فجاجا وجعلها ذلولا لتمشوا في مناكبها وجعلها قارة لا تتحرك وارسى فيها الجبال اوتادا لها
تمنعها من ان تميد ثم وسع اكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت اعمارهم
وكثر تطوافهم فقال تع والسماء بنيناها وجعلها قارة لا تتحرك وارسى فيها الجبال اوتادا لها
تمنعها من ان تميد ثم وسع اكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت اعمارهم و
وكثر تطوافهم فقال تع والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون
وقال تع الذي جعل لكم الارض فراشا واكثر في كتابه ذكر الارض ليتفكر في عجايبها فظهرها مقر
الاحياء وبطنها مرقد للاموات ولذلك قال تع الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فانظر الى
الارض وهي ميتة فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وانبتت عجايب النبات
وخرج منها اصناف الحيوانات ثم انظر كيف احكم جوانب الارض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم
الصلاب وكيف اودع المياه تحتها ففجر العيون واسال الانهار تجري على وجهها واخرج من الحجارة
اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقا عذبا صافيا زلالا وجعل منه كل شي حي فاخرج به فنون
الاشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة
الاشكال والالوان والطعوم والصفات والارايح يفضل بعضها على بعض في الاكل يسقى جميعها
بماء واحد ويخرج من الارض واحدة فان قلت ان اختلافها لاختلاف بزورها واصولها
فمتى كانت في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومتى كانت في حبة واحدة سبع سنابل في كل
سنبلة ماية حبة ثم انظر الى ارض البوادي وفتش ظاهرها وباطنها فتراها ترابا متشابها وغير متشابه
فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج الوانا مختلفة ونباتا متشابها
وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الشكل الآخر فانظر الى كثرتها واختلاف اصنافها
وكثرة اشكالها ثم اختلاف طبايع النبات وكثرة منافعه وكيف اودع العقاقير المنافع الغريبة
فهذا النبات يغذي وهذا يقوي وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا اذا حصل في
المعدة قمع الصفراء من اعماق العروق وهذا يستحيل الى الصفراء وهذا يقمع البلغم والسوداء
وهذا يستحيل اليها وهذا يستحيل دما وهذا يصفي الدم وهذا ينوم وهذا يفرح وهذا يقوي
وهذا يضعف فلم ينبت من الارض ورقة ولا تبنة الا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف
على كنهها وكل واحد يحتاج في تربيتها الى عمل مخصوص فالنخل يؤبر والكرم يكسح والزرع ينقى
منه الحشيش والدغل وبعضه يستنبت بنث البذر في الارض وبعضه يغرس الاغصان و

بعضه يركب في الشجر ولو اردنا ان نذكر اجناس النبات ومنافعه واحواله وعجايبه لانقضت
الايام في وصفه فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر فهذه عجايب النبات
ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الارض ففي الارض قطع
متجاورات مختلفة فانظر الى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج
واللعل وغيرها وكيف هدى الله تع الناس الى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني والآلات
والنقود والحلي منها ثم انظر الى معادن الارض من النفط والكبريت والقار وغيرها واقلها
الملح فلا يحتاج اليه الا لتطييب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر الى
رحمة الله كيف خلق بعض الاراضي سبخة بجوهرها بحيث يجمع فيها الماء الصافي من المطر فيستحيل
ملحا مالحا محرقا لا يمكن تناول وزن مثقال منه ليكون تطييبا لطعامك اذا اكلته فيتهنا عيشك
وما من جماد وحيوان ونبات الا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس وما خلق الله عز وجل شيئا من
ذلك ضايعا ولا هزلا ولا عبثا بل خلق الكل بالحق وكما ينبغي وعلى ما ينبغي وكما يليق بجلاله و
كرمه ولطفه ولذلك قال عز من قايل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما
الا بالحق ومن آياته اصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشي وانقسام
ما يمشي الى ما يمشي على رجلين والى ما يمشي على اربع وعشر ومائة كما نشاهد في بعض الحشرات ثم انقسامها
في المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع فانظر الى طير الجو والى وحش البر والبهايم
الاهلية ترى فيها من العجايب ما لا تشك معها في عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصورها
وكيف يمكن ان يستقصي ذلك بل لو اردنا ان نذكر عجايب البقة والنملة والنحلة والعنكبوت
وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي الفها لزوجها وفي ادخارها لنفسها
وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجتها لم نقدر ان نستوفي النظر في ذلك فترى
العنكبوت يبني بيتها على طرف نهر فيطلب اولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار
ذراع فما دونه حتى يمكنها ان يصل بالخيط بين طرفيه ثم يبتدي فيلقي اللعاب الذي هو خيطها
على جانب فتلتزق به ثم تعدو الى الجانب الآخر فتحكم الطرف الآخر من الخيط ثم يحكم كذلك
ثانيا وثالثا وتجعل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا احكمت معاقد القمط
ورتبت الخيوط كالسدى اشتغلت باللحمة فتضع اللحمة على السدى وتضيف بعضه الى
بعض وتحكم العقد على مواضع التقاء اللحمة بالسدى فترعى في جميع ذلك تناسب الهندسة وتجعل
ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب وتقعد في زاوية مترصدة لوقوع الصيد في الشبكة فاذا
وقع فيها صيد بادرت الى اخذه واكلته فان عجزت عن الصيد كذلك طلبت لنفسها زاوية
من جدار ووصلت بين طرفي الزاوية بخيط ثم علقت نفسها منه بخيط آخر وبقيت منكسة في
الهواء تنتظر ذبابة تطير فاذا طارت رمت بنفسها اليها فاخذتها ولفت خيطها على رجلها
واحكمتها ثم اكلت الذباب وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من العجايب ما لا يحصى افترى
انها تعلمت هذه الصنعة من نفسها او تكونت بنفسها او كونها آدمي وعلمها ام لا هادي لها

ولا تعلم انه ذو بصيرة فانها مسكينة عاجزة ضعيفة بل الفيل العظيم شخصه الظاهرة قوته عاجز عن امر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف افلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجايب صنعه لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الالباب والعقول فضلا عن ساير الحيوانات وهذا الباب ايضا لا حصر له فان الحيوانات واشكالها واخلاقها وطباعها غير محصورة وانما سقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهدة نعم اذا راى حيوانا غريبا ولو دودة تجدد تعجبه وقال سبحان الله ما اعجبه والانسان اعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر الى الانعام التي الفها فنظر الى اشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوايدها في جلودها واصوافها واوبارها واشعارها التي جعلها الله عز وجل لباسا لخلقه واكنانا لهم في ظعنهم واقامتهم وآنية لاشربتهم واوعية لاغذيتهم وصونا لاقدامهم وجعل البانها ولحومها اغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للاثقال قاطعة للبوادي والمفازات لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها الا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه اياها فسبحان من الامور مكشوفة في علمه من غير تفكر ومن غير تامل وتدبر ومن غير استعانة بوزير او مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج باقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق الا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته فمن الذي يحصي ثناء عليه بل هو كما اثنى على نفسه وانما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسال الله تع ان يكرمنا بهدايته منه ورافته **ومن آياته** البحار العميقة المكتنفة لاقطار الارض التي هي قطع من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من البوادي والجبال عن الماء بالاضافة الى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الارض مستورة بالماء قال النبي صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل في الارض فانسب اصطبلا الى جميع الارض واعلم ان الارض بالاضافة الى البحر مثله وقد شاهدت عجايب الارض التي انت فيها فتامل عجايب البحار فان عجايب ما فيها من الحيوان والجواهر اضعاف جميع ما تشاهده على وجه الارض كما ان سعتها اضعاف سعة الارض ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما يرى ظهورها فيظن انها جزيرة ويتنازل الركاب عليها وربما احست بالنار اذا اشتعلت فتتحرك فيعلم بذلك انها حيوان وما من صنف من اصناف حيوان البر من فرس وطير وبقر وانسان الا وفي البحر امثالها واضعافها وفيها اجناس لا يعهد لها نظير في البر وقد ذكرت اوصافها في مجلدات وجمعها اقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجايبه ثم انظر كيف خلق الله سبحانه اللؤلؤ ودوره في صدفه تحت الماء وانظر كيف انبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وانما هو نبات على هيئة اشجار هت من الحجارة ثم تامل ما عدا ذلك من العنبر واصناف النفايس التي يقذفها البحر وتستخرج منه ثم انظر الى عجايب السفن كيف امسكها الله تع على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب الاموال وسخر لهم الفلك لتحمل اثقالهم ثم ارسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ولا يستقصى

على الجملة عجايب صنع الله سبحانه في البحر في مجلدات واعجب من ذلك ما هو اظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطر الماء وهو جسم لطيف رقيق سيال مشف متصل الاجزاء كانه شيء واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كانه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حيوة كل ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد الى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزاين الدنيا لو ملكها في تحصيل تلك الشربة فلو شربها ومنع من اخراجها لبذل ايضا جميع ما يملكه في ذلك والعجب من ابن آدم كيف يستعظم الدينار والدرهم ونفايس الجواهر ويغفل عن نعمة الله في شربة ماء ولو احتاج الى شربها او الاستفراغ منها ومنع من ذلك بذل جميع الدنيا فيها فتامل في عجايب المياه والآبار والانهار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال باريها معربة عن كمال الحكمة فيها منادية لارباب القلوب بنغماتها قايلة اما تراني وترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوايدي اتظن اني تكونت بنفسي او خلقني احد من جنسي او ما تستحيي تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة احرف فتقطع بانها صنعة آدمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر الى عجايب الخطوط الالهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الالهي الذي لا تدرك الابصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه وتقول النطفة لارباب الاسماع والابصار والقلوب لا للذين هم عن السمع لمعزولون توهمني في ظلمة الاحشاء مغموسة في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حدقتي واجفاني وجبهتي وخدي وشفتي فترى النقوش تظهر شيئا فشيئا على التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجه ولا خبر من ذلك عند الام ولا الاب ولا النطفة ولا الرحم افما هذا النقاش باعجب ممن تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت اليه مرة او مرتين لتعلمت ذلك فهل تقدر على ان تتعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع اجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير اتصال بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت لا تتعجب من هذه العجايب ولا تفهم منها ان الذي صورها ونقشها وقدرها لا نظير له ولا يساويه نقاش ولا مصور كما ان نقشه وصنعته لا يساويها نقش وصنعة فبين الفعلين من المباينة والتباعد ما بين الفاعلين فان كنت لا تتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فانه اعجب من كل عجب فان الذي اعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك التبين مع هذا البيان جدير بان تتعجب منه فسبحان من هدى واضل واغوى وارشد واشقى واسعد وفتح بصاير احبابه فشاهدوه في جميع ذرات العالم واجزائه واعمى قلوب اعدائه واحتجب عنهم بعزه وعلائه فله الخلق والامر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه

ومن آياته الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الارض يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه ولا ترى العين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة في جو السماء ومستقيمة سباحة فيها باجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء فتضطرب جوانبه وامواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب امواج البحر فاذا حرك الله الهواء وجعله ريحا هابة فان شاء جعلها نشرا بين

بيدي رحمته كما قال وارسلنا الرياح لواقح فيصل بحركته روح الهواء الى الحيوانات والنبات وتستعد
للنماء وان شاء جعله عذابا على العصاة من خليقته كما قال تع انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا
في يوم نحس مستمر تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر ثم انظر الى لطف الهواء ثم شدته وقوته مهما
ضغط في الماء فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الماء فيعجز عنه والحديد الصلب
تضعه على وجه الماء فيرسب فيه فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوته مع لطافته وبهذه
الحكمة امسك الله تع السفن على وجه الماء وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص في الماء لان
الهواء ينقبض عن الغوص في الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع
قوتها وصلابتها معلقة في الهواء اللطيف كالذي يقع في بير فيتعلق بذيل رجل قوي فيمتنع من الهوي
في البير فالسفينة بمقعرها تتشبث باذيال الهواء القوي حتى تمتنع من الهوي والغوص في الماء
فسبحان من علق المركب الثقيل في هواء لطيف من غير علاقة تشاهد ولا عقدة تشد ثم انظر
الى عجايب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق
فهي عجايب ما بين السماء والارض امور لا تحصى وقد اشار القرآن الى جملة في قوله تع وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين وهذا هو الذي بينهما واشار الى تفصيله في مواضع شتى حيث قال والسحاب
المسخر بين السماء والارض وحيث تعرض للرعد والبرق والسحب والمطر فاذا لم يكن لك حظ من هذه
الحكمة الا ان ترى المطر بعينك وتسمع الرعد باذنك فالبهيمة تشاركك في هذه المعرفة فارتفع
في حضيض عالم البهايم الى عالم الملا الاعلى فقد فتحت عينك فادركت ظاهرها فغمض عينك الظاهرة
وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجايب باطنها وغرايب اسرارها وهذا ايضا باب يطول فيه الفكر
ولا مطمع في استقصايه فتامل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة فيه
وكيف يخلقه الله تع اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له في جو السماء
الى ان ياذن الله تع في ارسال الماء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذي اراده وعلى الشكل
الذي شاءه فترى السحاب يرش الماء على الارض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها
قطرة ولا تتصل واحدة باخرى بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم لها لا تعدل عنه ولا يتقدم
المتاخر ولا يتاخر المتقدم حتى يصيب الارض قطرة قطرة فلو اجتمع الاولون والآخرون على ان يخلقوا
منها قطرة او يعرفوا عدد ما ينزل منها في بلدة واحدة او قرية واحدة لعجز حساب الجن والانس عنه فلا
يعلم عددها الا الذي اوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء منها مخصوص ولكل حيوان فيها من
طير ووحش وجميع الحشرات والدواب مكتوب على تلك القطرة بخط الهي لا يدرك بالبصر الظاهر
رزق الدود الفلاني الذي هو في ناحية الجبل الفلاني تصل اليه عند عطشه في الوقت الفلاني للدود
هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف
من العجايب التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما ليس لاحد من الخلق
فيه شرك ومدخل بل ليس للمومن من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته ولا
للعميان الجاحدين الا الجهل بكيفيته ورجم الظن بذكر سببه وعلته فيقول الجاهل المغرور

انما

انما ينزل الماء لانه ثقيل بطبعه وهذا سبب نزوله فيظن ان هذه معرفة انكشفت له فيفرح بها
من نفسه ولو قيل له ما معنى الطبع وما الذي خلقه وما الذي خلق الماء الذي طبعه الثقل وما
الذي يرقى الماء المصبوب في اسفل الاشجار الى اعلى الاغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى الى
اسفل ثم ارتفع الى فوق في داخل تجاويف الاشجار شيا فشيا بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع
اطراف الاوراق فيغتذي كل جزء من كل ورقة ويجري اليه في تجاويف عروق شعرية صغار
يرى منه العرق الذي هو اصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود في طول الورقة عروق صغار
فكان الكبير نهر وما ينشعب منه جداول ثم ينشعب من الجداول سواق اصغر منها ثم ينتشر منها خطوط
عنكبوتية دقيقة تخرج عن ادراك البصر حتى تنبسط في جميع عرض الورقة فيصل الماء في اجوافها الى ساير
اجزاء الورق ليغذيها وينميها ويزينها ويبقى طراوتها ونضارتها وكذلك الى ساير اجزاء الفواكه فان
كان الماء يتحرك بطبعه الى اسفل فكيف تحرك الى فوق فان كان ذلك بجذب جاذب فما الذي
سخر ذلك الجاذب فان كان ينتهي بالآخرة الى خالق السموات والارض وجبار الملك والملكوت فلم لا
يحال ذلك عليه من اول الامر فنهاية الجاهل بداية العاقل ومن آياته ملكوت السموات والارض
وما فيها من الكواكب وهو الامر كله فمن ادرك الكل وفاته عجايب السموات فقد فاته الكل تحقيقا والارض
والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالاضافة الى السموات كقطرة في بحر واصغر فانظر كيف
عظم الله امر السماء والنجوم في كتابه فما من سورة الا وتشتمل على تفخيم ذلك في مواضع وكم من قسم في
القرآن بها كقوله والسماء ذات البروج والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب وقوله
والشمس وضحيها وقوله والنجم اذا هوى وقوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس وقوله فلا اقسم بمواقع النجوم
وانه لقسم لو تعلمون عظيم فقد علمت ان عجايب النطفة القذرة عجز عن معرفتها الاولون والآخرون
وما اقسم الله بها فكيف ظنك بما اقسم الله بها سبحانه به واحال الارزاق اليه فقال وفي السماء رزقكم
وما توعدون واثنى على المتفكرين فيها فقال عز وجل ويتفكرون في خلق السموات والارض وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرا هذه الآية ثم مسح بها سبلته اي تجاوزها من غير تفكر وذم المعرضين
عن آياته فقال عز وجل وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون فاي نسبة لجميع
البحار والارض الى السماء وهي متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد محفوظات
عن التغير الى ان يبلغ الكتاب اجله ولذلك سماه الله تع محفوظا فقال تع وجعلنا السماء سقفا
محفوظا وقال عز وجل وبنينا فوقكم سبعا شدادا وقال تع ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع
سمكها فسويها فانظر الى الملكوت لترى عجايب العز والجبروت ولا تظنن ان معنى النظر الى الملكوت
ان تمد اليه البصر فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فان البهايم تشاركك في هذا
النظر فان كان هذا هو المراد فلم مدح الله ابرهيم عليه السلم بقوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات
والارض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الابصار فيعبر
عنه بالغيب والملكوت والله تع عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط احد بشيء
من علمه الا بما شاء وهو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فاطل ايها الغافل

فكرك في الملكوت فعسى يفتح لك ابواب السماء فتجول بقلبك في اقطارها الى ان يقوم قلبك بين
يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجى لك ان تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال
راى قلبي ربي وهذا لان بلوغ الاقصى لا يكون الا بعد مجاوزة الادنى وادنى شيء اليك نفسك
ثم الارض التي هي مقرك ثم الهواء المكتنف لك ثم النبات والحيوان وما على وجه الارض ثم عجايب
الجو وما هو ما بين السماء والارض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم الملايكة الذين
هم حملة العرش وخزان السموات ثم من ذلك تجاوز الى النظر الى رب العرش والكرسي والسموات
والارض وما بينهما فبينك وبينه هذه المفاوز الفيح والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة
وانت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق لسانك
بوقاحتك وتدعي معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا اتفكر والى ماذا اتطلع
فارفع الآن راسك الى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها
وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودوبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها ومن غير
تغير في سيرها بل تجري جميعا في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص الى ان
يطويها الله عز وجل طي السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف لونها فبعضها يميل
الى الحمرة وبعضها الى البياض وبعضها الى اللون الرصاصي ثم انظر كيفية اشكالها فبعضها
على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والاسد والانسان فما من صورة في الارض الا
ولها تمثال في السماء ثم انظر الى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي تطلع كل يوم وتغرب
بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم يعرف المواقيت
واطبق الظلام على الدوام او الضياء على الدوام وكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة
فانظر كيف جعل الله تعالى الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر الى ايلاجه الليل في
النهار والنهار في الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر الى
امالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسبب ذلك الصيف والشتاء والربيع و
الخريف فاذا انخفض عن وسط السماء مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء واذا استوى في
وسط السماء اشتد القيظ واذا كان فيما بينهما اعتدل الزمان وعجايب السموات لا مطمع في
احصاء عشر عشير جزء من اجزائها وانما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على الجملة انه ما من كوكب
من الكواكب الا ولله عز وجل حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء
بالموضع الذي هو به وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده منها وقس
ذلك بما ذكرناه في اعضاء بدنك اذ ما من جزء الا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وامر السماء اعظم بل
لا نسبة لعالم الارض الى عالم السماء لا في كبر جسمه ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي
بينهما في كثرة معانيه بما بينهما من التفاوت في كبر الارض فانت تعرف من كبر الارض واتساع اطرافها
انه لا يقدر آدمي على ان يدور بجوانبها وقد اتفق النظار على ان الشمس مثل الارض مائة مرة ونيفا
وستين مرة وفي الاخبار ما يدل على عظمها والكواكب التي تراها اصغرها مثل الارض ثمان

مرات واكبرها ينتهي الى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الارض وبهذا يعرف ارتفاعها و
بعدها اذ للبعد صارت ترى صغيرا ولذلك اشار تعالى الى بعدها فقال رفع سمكها فسواها
وفي الاخبار ان بين كل سماء الى الاخرى مسيرة خمسمائة عام فاذا كان هذا مقدار كوكب واحد
من الارض فانظر الى كثرة الكواكب ثم انظر الى السماء التي الكواكب مركوزة فيها والى عظمها ثم انظر
الى سرعة حركتها وانت لا تحس بحركتها فضلا من ان تدرك سرعتها لكن لا تشك في انه في لحظة
يسير مقدار عرض كوكب لان الزمان من طلوع اول جزء من كوكب الى تمامه يسير وذلك الكوكب
هو مثل الارض مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الارض مائة مرة وهكذا يدور
على الدوام وانت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركتها اذ قال له النبي صلى الله
عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف قلت لا نعم فقال من حيث قلت لا الى ان
قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام فانظر الى عظم شخصها ثم انظر الى خفة حركتها ثم انظر
الى قدرة الفاطر الحكيم كيف اثبت صورتها مع اتساع اكنافها في حدقة العين مع صغرها حتى
تجلس على الارض وتفتح عينك نحوها فترى جميعها فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها
بل انظر الى باريها كيف خلقها ثم امسكها من غير عمد ترى ومن غير علاقة تتدلى بها وكل العالم
كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك انك تدخل الى بيت بعض ابناء الدنيا فتراه مزخرفا بالصبغ
مموها بالذهب فيعظم تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وانت ابدا تنظر الى
هذا البيت العظيم والى ارضه والى سقفه والى هوايه والى عجايب امتعته وغرايب حيواناته وبدايع بع
نقوشه ثم لا يعظم تعجبك منه ولا تتحدث به ولا تلتفت بقلبك اليه فما هذا البيت دون البيت الذي
تصفه بل ذلك البيت ايضا جزء من الارض والارض اخس اجزاء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر
اليه وليس لهذه الغفلة سبب الا انه بيت ربك الذي انفرد ببنايه وتزيينه وانت قد نسيت
نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم الا شهوتك وحشمتك
وغاية شهوتك ان تملأ بطنك ولا تقدر ان تاكل عشر ما تاكله بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر
درجات وغاية حشمتك ان يقبل عليك عشرة او مائة من معارفك فينافقونك بالسنتهم في حضرتك
ويضمرون خبايث الاعتقادات فيك وان صدقوك في مودتهم اياك فلا يملكون لك ولا لانفسهم ضرا و
لا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا وقد يكون في بلدك من اغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على
جاهك وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن جمال ملكوت السموات والارض ثم عن التنعم بالنظر الى
جلال مالك الملك والملكوت وما مثلك ومثل عقلك الا كمثل النملة تخرج من جحرها الذي حفر
الى قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الاركان مزين بالجواري والغلمان وانواع
الذخاير والنفايس فانها اذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق
الا عن بيتها وغذايها وكيفية ادخارها فاما حال القصر والملك الذي في القصر فهي بمعزل عنه وعن
التفكر فيه بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذايها وبيتها الى غيرها وكما غفلت النملة
عن القصر وعن ارضه وسقفه وحيطانه وساير بنيانه غفلت ايضا عن سكانه فانت غافل عن بيت

الله وملايكته الذين هم سكان سمواته فلا تعرف من السماء الا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملايكة السموات الا ما تعرفه النملة منك ومن سكان بيتك نعم ليس للنملة طريق الى ان تعرفك و تعرف عجايب قصرك وبدايع صنعة الصانع فيه واما انت فلك قدرة على ان تجول بفكرك في الملكوت وتعرف من عجايبه ما الخلق غافلون عنه ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فانه مجال لا آخر له فلو استقصيناه اعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله علينا بمعرفته وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالاضافة الى ما عرفه جملة العلماء والاولياء وما عرفه العلماء والاولياء نزر حقير بالاضافة الى ما عرفه الانبياء وما عرفه الانبياء صلوات الله عليهم قليل بالاضافة الى ما عرفه الملايكة المقربون كاسرافيل وجبرئيل وغيرهما ثم جميع علوم الملايكة والانس والجن اذا اضيف الى علم الله لم يستحق ان يسمى علما بل هو الى ان يسمى دهشا وحيرة وقصورا وعجزا اقرب فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا فهذا بيان معاقد الجمل التي يجول فيها فكر المتفكرين من خلق الله وليس فيها فكر في ذات الله ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله كانت معرفتك بجلاله وعظمته اتم وهذا كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه ولا تزال تطلع على غريبة غريبة من تصنيفه او شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسب ذلك له توقيرا وتعظيما واحتراما حتى ان كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من ابيات شعره يزيده محلا في قلبك ويستدعي التعظيم له من نفسك فهكذا تامل في خلق الله تع وتصنيفه وتاليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر في ذلك لا يتناهى ابدا وانما لكل عبد منه بمقدار ما رزق فلنقتصر على ما ذكرناه ولنضف اليه ما فصلناه في كتاب الشكر فانا نظرنا في ذلك الكتاب في فعل الله تع من حيث هو احسان الينا وانعام علينا وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث انه فعل الله فقط وكل ما نظرنا فيه فان الطبيعي ايضا ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلاله وشقاوته والموفق ينظر فيه ويكون سبب هدايته و سعادته وما من ذرة في السموات والارض الا والله تع يضل بها من يشاء ويهدي من يشاء فمن نظر في هذه الامور من حيث انها فعل الله تع وصنعه استفاد منها المعرفة بجلال الله سبحانه و عظمته واهتدى ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث يؤثر بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الاسباب فقد شقي وتردى نعوذ بالله من الضلال ونسأله ان يجنبنا مزلة اقدام الجهال انه ذو المن والافضال تم كتاب التفكر والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله

كتاب ذكر الموت وما بعده

وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات من كتاب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم عليه نتوكل وبه نستعين

الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة وكسر به ظهور الاكاسرة وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق فاذاهم في الحافرة فنقلوا من القصور الى القبور ومن ضياء المهود الى ظلمة اللحود ومن ملاعبة الجواري والغلمان الى مصاحبة الهوام والديدان ومن التنعم بالطعام والشراب الى التمرغ في التراب ومن انس العشرة الى وحشة الوحدة ومن المضجع الوثير الى المصرع الوبيل فانظر هل وجدوا من الموت حصنا وعزا ام اتخذوا من دونه حجابا وحرزا وانظر هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا فسبحان من تفرد بالقهر والاستيلاء واستاثر باستحقاق البقاء واذل اصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء ثم جعل الموت مخلصا للاتقياء وموعدا في حقهم للقاء وجعل القبر سجنا للاشقياء وحبسا ضيقا عليهم الى يوم الفصل والقضاء فله الانعام بالنعم المتظاهرة وله الانتقام بالنقم القاهرة وله الشكر في السموات والارض وله الحمد في الاولى والآخرة والصلوة على محمد ذي المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة اما بعد فجدير بمن الموت مصرعه والتراب مضجعه والدود انيسه ومنكر ونكير جليسه والقبر مقره وبطن الارض مستقره والقيمة موعده والجنة او النار مورده ان لا يكون له فكر الا في الموت ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله ولا تدبير الا فيه ولا تطلع الا اليه ولا تعريج الا عليه ولا اهتمام الا به ولا حوم الا حوله ولا انتظار وتربص الا له وحقيق بان يعد نفسه من الموتى ويراها في اصحاب القبور فان كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشيء الا عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغاء الى المذكرات له والنظر الى المنبهات عليه ونحن نذكر من امر الموت و مقدماته ولواحقه واحوال الآخرة والقيمة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون ذلك مستحثا له على الاستعداد فقد قرب الرحيل و ما بقي من العمر الا القليل والخلق غافلون اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين الشطر الاول في مقدمات الموت وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ثمانية ابواب الباب الاول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه الباب الثاني في طول الامل وقصره الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت الباب الرابع في وفاة النبي عليه السلام والخلفاء الراشدين الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء الصالحين الباب السادس في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في النوم الباب الاول في ذكر الموت والترغيب فيه اعلم ان المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكر به كرهه ونفر منه واولئك هم الذين قال الله تع فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم الآية والناس اما منهمك واما تائب مبتدئ او عارف منتهي اما المنهمك فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره ليتاسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا واما التائب فانه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح

الزاد وهو معذور في كراهة الموت بخيفة من ان يختطف قبل تمام التوبة ولا يدخل هذا تحت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتاخر عن لقاء الحبيب اشتغالا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه وعلامة صدقه هذا ان يكون دائم الاشتغال بالاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك في الدنيا واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد لقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد اللقاء وهذا في غالب الامر يستبطئ الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين كما روي عن حذيفة رضي الله عنه لما حضرته الوفاة انه قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الي من الغنى والسقم احب الي من الصحة والموت احب الي من البقاء فسهل علي الموت حتى القاك فاذن التائب معذور في كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت وتمنيه واعلى منهما مرتبة من فوض امره الى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حيوة بل يكون احب الاشياء اليه احبها الى مولاه فهذا قد انتهى فرط الحب والولاء الى مقام التسليم والرضى وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فان المنهمك في الدنيا ايضا يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا اذ ينغص عليه نعيمه ويتكدر عليه صفو لذاته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من اسباب النجاة **بيان فضل ذكر الموت كيفما كان** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات اي نغصوا به اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلون على الله تع وقال صلى الله عليه وسلم لو ان البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا وقالت عايشة رضي الله عنها يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء احد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها ان ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك في شهوات الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاقه والاطلاق تحفة وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم واراد بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذي سلم المسلمون من لسانه ويده وتحققت فيه اخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي الا باللمم والصغائر فالموت يطهره ويكفرها عنه بعد اجتنابه الكبائر واقامته الفرائض وقال عطاء الخراساني مر النبي صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم كفى بالموت مفرقا وقال كفى بالموت واعظا وخرج صلى الله عليه وسلم يوما الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت اما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وذكر عند الرسول صلى الله عليه وسلم يوما رجل فاحسنوا الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هناك وقال ابن عمر رضي الله عنه اتيت النبي صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من اكيس الناس واكرم

الناس يا رسول الله قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم استعدادا له اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة واما الآثار فقد قال الحسن رحمه الله فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا وقال الربيع بن خثيم ما غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي احدا وسلوني الى ربي سلا وكتب بعض الحكماء الى رجل من اخوانه يا اخي احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يجمع الفقهاء كل ليلة فيتذاكرون الموت والقيمة والآخرة ثم يبكون حتى كان بين ايديهم جنازة وقال ابرهيم التيمي شيئان قطعا عني لذاذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله تع وقال كعب من عرف الدنيا هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقال مطرف رايت فيما يرى النائم كان قائلا يقول في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم الا والهين وقال اشعث كنا ندخل على الحسن فانما هو ذكر النار وامر الآخرة وذكر الموت وقالت صفية ان امراة شكت الى عايشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت لها اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عايشة رضي الله عنها وكان عيسى عليه السلام اذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما وكان داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيمة بكى حتى تنخلع اوصاله فاذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه وقال الحسن ما رايت عاقلا قط الا اصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظني فقال له انت لست اول خليفة يموت قال زدني قال ليس من آبائك احد الى آدم الا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك وكان الربيع بن خثيم قد احتفر قبرا في داره فكان ينام في اللحد كل يوم مرات ليستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد وقال مطرف بن عبد الله ان هذا الموت قد نغص على اهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة اكثر ذكر الموت فان كنت واسع العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال ابو سليمن الداراني قلت لام هرون اتحبين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا لما اشتهيت لقاءه فكيف احب لقاءه وقد عصيته **بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب** اعلم ان الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره منهم فليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه ان يفرغ العبد قلبه عن كل شيء الا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى مفازة مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك ان يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وانفع طريق فيه ان يكثر ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم ويتامل كيف محا التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت اجزاؤهم في قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم فمهما تذكر رجلا رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية موته

ونوحهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الأسباب وركونه إلى القوة والشباب وميله إلى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وأنه كيف كان يتردد وقد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه وأنه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه فانكشف له صورة الموت وقرع سمعه النداء إما بالجنة أو بالنار فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم قال أبو الدرداء إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم وقال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غاديًا أو رائحًا إلى الله تعالى تضعونه في صدع من الأرض قد توسد التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب وعزة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا فينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بد من مفارقته نظر ابن مطيع يومًا إلى داره فأعجبه حسنها فبكى ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورًا ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى بكاء شديدًا حتى ارتفع نشيجه

الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته

فضيلة قصر الأمل قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدًا وقال صلى الله عليه وسلم إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيعدل عن الحق وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا ثم قال ألا إن الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض وإذا أحب عبدًا أعطاه الإيمان ألا إن للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا إن الدنيا قد ارتحلت مولية ألا إن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ألا وإنكم ستكونون في يوم حساب ليس فيه عمل وقالت أم المنذر اطلع النبي صلى الله عليه وسلم ذات عشية إلى الناس فقال أيها الناس أما تستحيون من الله قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال أبو سعيد الخدري اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت أني واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين وقال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يهريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول يا رسول الله إن الماء منك

قريب

قريب فيقول ما يدريني لعلي لا أبلغه وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودًا بين يديه والآخر إلى جنبه وأما الثالث فأبعده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الإنسان وهذا الأجل وذاك الأمل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الأجل دون الأمل وقال صلى الله عليه وسلم مثل ابن آدم وإلى جنبه تسعة وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع في الهرم وقال ابن مسعود هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع إليه والأمل وراء الحتوف والهرم وهو يؤمل وهذه الحتوف شوارع إليه فأيتها أمر به أخذه فإن أخطأته الحتوف قتله الهرم وهو ينظر إلى الأمل وقال عبد الله خط لنا النبي صلى الله عليه وسلم خطًا مربعًا وخط وسطه خطًا وخط خطوطًا إلى جنب الخط وخط خطًا خارجًا فقال أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا الإنسان للخط الذي في وسطه وهذا الأجل محيط به وهذه الأعراض للخطوط تنهشه إن أخطأه هذا نهشه هذا وذلك الأمل للخط الخارج وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنان الحرص والأمل وفي رواية ويشب معه اثنان الحرص على المال والحرص على العمر وقال صلى الله عليه وسلم نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل وقال بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الأرض فقال عيسى عليه السلام اللهم انزع منه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى عليه السلام اللهم اردد إليه الأمل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عليه السلام عن ذلك فقال بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير فألقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقمت إلى مسحاتي وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم أكلكم يحب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من الأمل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم إني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل

الآثار قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى أجلي لخشيت على ذهاب عقلي ولكن الله من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق وقال الحسن السهو والأمل نعمتان عظيمتان على ابن آدم ولولاهما ما مشى المسلمون في الطرق وقال الثوري بلغني أن الإنسان خلق أحمق لولا ذلك لم يهنأه العيش وقال سعيد بن عبد الرحمن إنما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها وقال سلمان الفارسي ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط عليه رب العالمين أم راض وثلاث أحزنتني حتى أبكتني فراق محمد وحزبه والأحبة وهول المطلع والوقوف بين يدي ربي ولا أدري إلى الجنة يؤمر بي أو إلى النار وقال بعضهم رأيت زرارة بن أوفى بعد موته في المنام فقلت أي الأعمال أبلغ عندكم فقال التوكل وقصر الأمل وقال الثوري الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء وسأل المفضل بن فضالة ربه أن يرفع عنه الأمل فذهب عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه عز وجل فرد عليه الأمل فرجع إلى الطعام والشراب وقيل للحسن يا أبا سعيد

الا تغسل قميصك قال الامر اعجل من ذلك وقال الحسن ان الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى
من ورائكم وقال بعضهم انا كرجل مادّ عنقه والسيف عليه لا يدري متى يضرب عنقه وقال داود
الطائي لو أملت أن أعيش شهرًا لرأيتني قد اتيت عظيمًا وكيف آمل ذلك وارى الفجائع تغشى الخلائق
في ساعات الليل والنهار وحكي انه جاء شقيق البلخي الى استاذه فقال له ابو هاشم الرماني وفي
طرف كسائه مصرور فقال له استاذه ايش هذا معك قال لوزات دفعهن اليّ اخ لي وقال
احب ان تفطر عليهن فقال يا شقيق وانت تحدث نفسك انك تبقى الى الليل لا كلمتك ابدًا فاغلق
الباب في وجهي ودخل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان لكل سفر زادًا لا محالة فتزودوا لسفركم
من الدنيا الى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما اعد الله له من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا
يطولن عليكم الامل فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط امله من لا يدري لعله لا يصبح
بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه وربما كان بين ذلك خطفات المنايا وكم رأيتم ورأينا من كان
بالدنيا مغترًا وانما تقرّ عين من وثق بالنجاة من عذاب الله وانما يفرح من أمن من اهوال القيمة فاما
من لا يداوي كلمًا الا اصابه جارح من ناحية اخرى فكيف يفرح اعوذ بالله ان آمركم بما انهى عنه
نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيبتي وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغني والفقير والموازين فيه
منصوبة لقد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت
به الارض لتشققت اما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صائرون الى احدهما وكتب
رجل الى اخ له اما بعد فان الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في اضغاث
احلام وكتب آخر الى اخ له ان الحزن على الدنيا طويل والموت من الانسان قريب وللنقص منه
في كل يوم نصيب وللبلاء في جسمه دبيب فبادر قبل ان تنادي بالرحيل والسلام وقال الحسن كان
آدم عليه السلم قبل ان يخطئ امله خلف ظهره واجله بين عينيه فلما اصاب الخطيئة حوّل فجعل امله بين
عينيه واجله خلف ظهره وقال عبد الله بن شميط سمعت ابي يقول ايها المغتر بطول صحته
اما رأيت ميتًا قط من غير سقم ايها المغتر بطول المهلة اما رأيت ماخوذًا قط من غير عدة انك لو فكرت
في طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك افبالصحة تغترون ام بطول العافية تمرحون ام الموت
تامنون ام على ملك الموت تجترون ان ملك الموت اذا جاء لم يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة
احتشادك اما علمت ان ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط ثم قال رحم الله عبدًا
عمل لما بعد الموت رحم الله عبدًا انظر لنفسه قبل نزول الموت وقال ابو زكريا التيمي بينما سليمن بن
عبد الملك في المسجد الحرام اذ اتي بحجر منقور فطلب من يقرؤه فاتي بوهب بن منبه فاذا فيه ابن آدم
انك لو رأيت قرب ما بقي من اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت
من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدًا ندمك لو قد زلت بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك ففارقك الولد
القريب ورفضك الوالد والنسيب فلا انت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيمة
قبل الحسرة والندامة فبكى سليمن بكاءً شديدًا وقال بعضهم رأيت كتابًا من محمد بن يوسف سلام
عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فاني احذرك متحولك من دار مهلتك الى دار اقامتك

وجزاء اعمالك فتصير في قرار باطن الارض بعد ظاهرها فياتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك
فان يكن الله معك فلا وحشة ولا فاقة وان يكن غير ذلك فاعاذني الله واياك من سوء مصرع و
ضيق مضجع ثم تبلغه صيحة الحشر ونفخة الصور وقيام الجبار بفصل قضاء الخلائق وخلت الارض
من اهلها والسموات من سكانها فباحت الاسرار وسعرت النار ووضعت الموازين وجيء
بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم
هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فيا ليت شعري ما حالي وحالك يومئذ ففي مثل هذا ما هدم اللذات
وسلى عن الشهوات وقصر في الامل وايقظ النائمين وحذر الغافلين اعاننا الله واياك على هذا
الخطر العظيم واوقع الدنيا والآخرة في قلبي وقلبك موقعهما من قلوب العابدين المتقين فانما نحن له وبه
والسلام وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس انكم لم تخلقوا عبثًا
ولن تتركوا سدى وان لكم معادًا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقي عبد اخرجه
الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والارض وانما يكون الامان غدًا لمن
خاف واتقى وباع قليلًا بكثير وفانيًا بباق وشقاوة بسعادة الا ترون انكم في اسلاب الهالكين
وسيخلف بعدكم الباقون الا ترون انكم في كل يوم تشيعون غاديًا ورائحًا الى الله قد قضى نحبه وانقطع
امله فتضعونه في بطن صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد قطع الاسباب وفارق الاحباب وواجه
الحساب وايم الله اني اقول مقالتي هذه ولا اعلم عند احد منكم من الذنوب اكثر مما اعلم من نفسي ولكنها
سنن من الله عادلة امر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته واستغفر الله ووضع كمه على وجهه و
بكى حتى بلت دموعه لحيته وما عاد الى مجلسه حتى مات رحمه الله وقال القعقاع بن حكيم قد
استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو اتاني لما احببت تاخير شيء عن شيء وقال الثوري
رايت شيخًا في مسجد الكوفة يقول انا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة انتظر الموت ان ينزل بي لو امرته
بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على احد شيء ولا لاحد عندي شيء وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك
ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابو محمد الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج
فيها داود الطائي فانتبذ فقعد في ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريبًا منه فتكلم فقال من
خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال امله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب واعلم يا اخي ان
كل شيء شغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم واعلم ان اهل الدنيا جميعًا من اهل القبور انما يندمون على
ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه اهل القبور اهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون
وعليه عند القضاة يختصمون واقام معروف الكرخي الصلوة قال محمد بن ابي توبة فقال لي تقدم
فقلت ان صليت بكم هذه الصلوة لم اصل بكم غيرها فقال معروف وانت تحدث نفسك ان تصلي صلوة
اخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان الدنيا ليست
بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على اهلها منها الظعن فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من
مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة باحسن ما بحضرتكم من النقلة و
تزودوا فان خير الزاد التقوى انما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو بها

قرير العين اذ دعاه الله بقدرته ورماه بيوم حتفه فسلبه آماله ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر انها تسر قليلا وتحزن طويلا وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يقول في خطبته اين الوضاة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم اين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان اين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فاصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجا النجا

بيان السبب في طول الامل وعلاجه

اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل والآخر حب الدنيا اما حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه والانسان مشغوف بالاماني الباطلة فيمني نفسه ابدا بما يوافق مراده وانما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال واهل ودار واصدقاء ودواب وساير اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحوال امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك فالى ان تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى ان تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة او ترجع من هذه السفرة او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له او تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة اشغال اخر وهكذا على التدريج يؤخر يوما بعد يوم ويفضي به شغل الى شغل بل الى اشغال الى ان تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه فيطول عند ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم وبكاؤهم من سوف يقولون واحزناه من سوف والمسوف المسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن انه يتصور ان يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات ما فرغ منها الا من رفضها وقيل: فما قضى احد منها لبانته • وما انتهى ارب الا الى ارب • واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم احبب ما احببت فانك مفارقه واما الجهل فهو ان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت في الشباب اكثر فالى ان يموت شيخ يموت الف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجاءة ولا يدري ان ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجاءة غير بعيد وكل مرض فانما يقع فجاءة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا فلو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره ولاشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو ابدا يظن انه يشيع الجنائز ولا يقدر ان يشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه وهو مشاهدة موت غيره واما موت نفسه فلم

يالفه ولا يتصور ان يالفه فانه لا يقع واذا وقع مرة لم يقع بعدها فهو الاول وهو الآخر فسبيله ان يقيس نفسه بغيره ويعلم انه لا بد ان تحمل جنازته وتدفن في قبره ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منها وهو لا يدري فتسويفه جهل محض فاذا عرفت ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه اما الجهل فيندفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة واما حب الدنيا فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذي اعيى الاولين والآخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير فاذا راى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف ان يلتفت الى الدنيا كلها وان اعطي ملك الارض من المشرق الى المغرب فكيف وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها او يترسخ في قلبه حبها مع الايمان بالآخرة فنسأل الله تعالى ان يرينا الدنيا كما اراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقرير الموت في القلب مثل النظر الى من مات من الاقران والاشكال وانهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوه اما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما واما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر الانسان كل ساعة في اطرافه واعضائه وليتذكر انها كيف تأكلها الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر ان الدود يبدأ بالحدقة اليمنى اولا او باليسرى فما على بدنه شيء الا وهو طعمة للدود وما له من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر واهوال يوم القيمة وقرع النداء يوم العرض الاكبر وامثال هذه الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له

بيان مراتب الناس في طول الامل وقصره

اعلم ان الخلق في ذلك متفاوتون فمنهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك ابدا قال الله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر ومنهم من يأمل البقاء الى الهرم وهو اقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا قال النبي صلى الله عليه وسلم الشيخ شاب في حب الدنيا وان التفت ترقوتاه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ما هم ومنهم من يأمل الى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراء ذلك فلا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف (يعد ظ) شيئا للشتاء وفي الشتاء للصيف فاذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة ومنهم من يأمل مدة الصيف والشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع امله الى يوم وليلة فلا يستعد الا لنهاره واما للغد فلا قال عيسى عليه السلام لا تهتموا برزق غد فان يكن غد من آجالكم فسيأتي فيه ارزاقكم مع آجالكم وان لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز امله ساعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ومنهم من لا يقدر البقاء ايضا ساعة كان النبي صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول لعلي لا ابلغه ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كانه واقع به وهو ينتظره وهذا الذي يصلي صلوة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ انه ساله النبي صلى الله عليه وسلم عن حقيقة

ايمانه قال ما خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها اخرى وكما نقل عن الاسود ومن الحبشي انه كان يصلي ويلتفت يمينا وشمالا فقال له قائل ما هذا قال انتظر ملك الموت من اي جهة يأتيني فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من امله مقصور على شهر كمن امله مقصور على شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله تع فان الله لا يظلم مثقال ذرة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم يظهر اثر قصر الامل في المبادرة الى العمل وكل انسان يدعي انه قصير الامل وهو كاذب وانه يظهر ذلك باعماله وانه يتعنى باسباب ربما لا يحتاج اليها في سنته فيدل ذلك على طول امله وانما علامة التوفيق ان يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فيستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت فان عاش الى المساء شكر الله على طاعته وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستانف مثل ذلك الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر هذا الا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا اذا مات سعد وغنم وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة والحيوة له مزيد فليكن الموت على بالك يا مسكين فان السير جاد بك وانت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا يكون ذلك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس امهلت فيه

بيان المبادرة الى العمل وحذر آفة التاخير

اعلم ان من له اخوان غائبان ينتظر قدوم احدهما في غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر او سنة فلا يستعد للذي يقدم الى شهر او سنة وانما يستعد للمنتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل ابدا فانه ابدا يرى لنفسه متسعا في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ينتظر احدكم الا غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال والدجال شر غائب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحيوتك قبل موتك وقال صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ اي انه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله هي الجنة وقال صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وكان صلى الله عليه وسلم اذا احس من اصحابه غفلة او غرة نادى فيهم بصوت رفيع اتتكم المنية راتبة لازمة اما بشقاوة او بسعادة وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم انا النذير والموت المغير والساعة الموعد وقال ابن عمر خرج النبي صلى الله عليه وسلم والشمس على اطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا الا مثل ما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقال جابر كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش يقول صبحتكم ومسيتكم

بعث

بعثت انا والساعة كهاتين وقرن بين اصبعيه وقال قرا النبي صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقال صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال السدي في قوله تع الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ايكم اكثر للموت ذكرا وله احسن استعدادا ومنه اشد خوفا وحذرا وقال حذيفة ما من صباح ولا مساء الا ومناد ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تع انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر في الموت وقال سحيم مولى بني تميم جلست الى عامر بن عبد الله وهو يصلي فاوجز في صلوته ثم اقبل علي فقال ارحني بحاجتك فاني ابادر قلت وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام الى صلوته ومر داود الطائي فساله رجل عن حديث فقال دعني انما ابادر خروج نفسي وقال عمر التؤدة في كل شيء خير الا في اعمال الآخرة وقال المنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادري قبل ان ياتيك الامر حتى كرر ذلك ستين مرة اسمعه ولا يراني وكان الحسن يقول في موعظته المبادرة المبادرة فانما هي الانفاس لو حبست لانقطعت عنكم اعمالكم التي تتقربون بها الى الله تع رحم الله امرءا نظر لنفسه وبكى على ذنوبه ثم يقرا هذه الآية انما نعد لهم عدا يعني الانفاس آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد دخولك قبرك واجتهد ابو موسى الاشعري قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو امسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال ان الخيل اذا ارسلت فقاربت راس مجراها اخرجت جميع ما عندها والذي بقي من اجلي اقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات وكان يقول لامراته شدي رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض الخلفاء على منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا واعلموا ان الدنيا ليست لكم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد اظلكم وترحلوا فقد جد بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وان غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يحل بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل العدة فاتقى عبد ذلك ربه وناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها حتى تهجم منيته اغفل ما يكون عنها وانه ما بين احدكم وبين الجنة والنار الا الموت ان ينزل به فيالها حسرة على ذي غفلة ان يكون عمره عليه حجة وان يرده اياماه الى شقوة جعلنا الله واياكم ممن لا يبطره نعمة ولا يقصر به عن طاعة الله معصية ولا يحل به بعد الموت حسرة انه سميع الدعاء وانه بيده الخير دائما فعال لما يشاء وقال بعض المفسرين في قوله تع فتنتم انفسكم قال بالشهوات واللذات وتربصتم قال بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء امر الله قال الموت وغركم بالله الغرور قال طول الامل وقال الحسن تصبروا وتشددوا فانما هي ايام قلائل وانما انتم ركب وقوف يوشك ان يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم وقال ابن مسعود ما منكم احد اصبح الا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة

وقال ابو عبيدة الناجي دخلنا على الحسن في يومه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم واهلا حياكم الله بالسلام وادخلنا واياكم دار المقامة هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم واتقيتم فلا يكن حظكم من هذا الخير رحمكم الله ان تسمعوه بهذه الاذن وتخرجوه من هذه الاذن فان من راى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد راه غاديا ورايحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون انتم ورب الكعبة كانكم والامر معا رحم الله امرءا جعل العيش عيشا واحدا فاكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالارض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى ياتيه اجله وهو على ذلك وقال عاصم الاحول قال لي فضيل الرقاشي وانا اسايله يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم ولا تقل اذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار في لا شيء فان العمر محفوظ عليك ولم تر شيئا قط احسن طلبا ولا اسرع ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم

الباب الثالث

في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت

اعلم انه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بان يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه شهوته وغفلته وحقيقا بان يطول فيه فكرته ويعظم له استعداده لاسيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك وقال لقمن لابنه يا بني امر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل ان يفجاك والعجب ان الانسان لو كان في اعظم اللذات واطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو في كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب الا الجهل والغرور واعلم ان شدة الالم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس الى الالام التي ادركها واما بالاستدلال باحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه فاما القياس الذي يشهد له فهو ان كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالالم واذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هو الروح فمهما اصاب العضو جرح او حريق سرى الاثر الى الروح فبقدر ما يسري الى الروح يتالم والمولم يتفرق على اللحم والدم وساير الاجزاء فلا يصيب الروح الا بعض الاثر فان كان في الالام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما اعظم ذلك الالم وما اشده والنزع عبارة عن مولم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع اجزايه حتى لم يبق جزء من اجزاء الروح المنتشر في اعماق البدن الا وقد حل به الالم فلو اصابته شوكة فالالم الذي يجده انما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي اصابه الشوك وانما يعظم اثر الاحتراق لان اجزاء النار تغوص في ساير اجزاء البدن ولا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا او باطنا الا وتصيبه النار فتحسه الاجزاء الروحانية المنتشرة في ساير اجزاء اللحم واما الجراحة فانما تصيب الموضع الذي يمسه الحديد فقط ولذلك كان الم الجرح دون الم النار فالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع اجزايه فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الاعصاب وجزء من الاجزاء ومفصل من المفاصل ومن اصل كل شعرة وبشرة من القرن الى القدم فلا تسال عن كربه والمه حتى قالوا ان الموت اشد من ضرب بالسيف

ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان قطع البدن بالسيف انما يولم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر نفس الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوة في القلب واللسان وانما ينقطع صوت المحتضر وصياحه مع شدة المه لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع منه وهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة اما العقل فقد غشيه وشوشه واما اللسان فقد ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبه خوارا وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه واربد حتى كانه ظهر منه التراب الذي هو اصل خلقته وفطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله فالالم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان الى اعالي الجفون وتتقلص اللسان الى اصله وترتفع الانثيان الى اعالي موضعهما ومن المراة الثديان وتخضر انامله فلا تسال عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان المه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح المتالم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من اعضايه تدريجا فيبرد اولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا واهلها ويغلق دونه باب التوبة ويحيط به الحسرة والندامة قال النبي صلى الله عليه وسلم يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وقال مجاهد في قوله تع وليست التوبة للذين يعملون السيات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن قال اذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسال عن طعم مرارة الموت وكربه عند سكراته ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت والناس انما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشياء قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء والاولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلم يا معشر الحواريين ادعوا الله تع ان يهون علي هذه السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة اوقفني خوفي من الموت على الموت وروي ان نفرا من بني اسرايل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض لو دعوتم الله تع ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسالونه فدعوا الله تع فاذا هم برجل قد قام بين عينيه اثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما اردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة الموت من قلبي وقالت عايشة رضي الله عنها ما اغبط احدا يهون عليه الموت بعد الذي رايت من شدة موت النبي صلى الله عليه وسلم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انك تاخذ الروح من بين العصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه علي وعن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته والمه فقال هو قدر ثلثماية ضربة بالسيف وسيل صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدته فقال ان اهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض فقال اني اعلم ما يلقى ما فيه من عرق الا وهو يالم للموت على حدته وكان علي رضي الله عنه يحض على القتال ويقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف اهون من موت على فراش وقال الاوزاعي

بلغنا ان الميت يجد الم الموت ما لم يبعث من قبره وقال شداد بن اوس الموت افظع هول
في الدنيا والآخرة على المومن وهو اشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور
ولو ان الميت نشر فاخبر اهل الدنيا بالم الموت لما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم • وعن زيد بن
اسلم عن ابيه قال اذا بقي على المومن من درجاته شي لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغه سكرات
الموت وكربته درجته في الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به في الدنيا هون عليه الموت ليستكمل
ثواب معروفه فيصير الى النار • وعن بعضهم انه كان يسال كثيرا المحتضرين كيف يجدون الموت
فلما احتضر قيل له فانت كيف تجده قال اجد كان السموات مطبقة على الارض وكان نفسي تخرج
من ثقب ابرة وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجاة راحة للمومن واسف على الفاجر • وروى مكحول
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان شعرة من شعر الميت وضعت على اهل السموات والارض
لماتوا باذن الله تعالى لان في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشي الا امات • ويروى لو ان قطرة
من الم الموت وضعت على جبال الارض كلها لذابت • وروي ان ابرهيم الخليل صلى الله عليه لما مات
قال الله تع كيف وجدت الموت يا خليلي قال كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب فقال تعالى
اما انا قد هونا عليك • وروي انه لما صار روح موسى عليه السلم الى الله تع قال له ربه عز وجل يا موسى كيف
وجدت الموت قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى فما يموت فيستريح ولا ينجو فيطير
وروي انه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب • وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان عنده قدح فيه ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول لا كرب على
ابيك بعد اليوم وقال عمر رضي الله عنه لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا امير
المومنين الموت كغصن كثير الشوك ادخل في جوف رجل فاخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب
فاخذ ما اخذ وابقى ما ابقى وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات
الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول عليك السلام تفارقني وافارقك الى يوم القيمة
فهذه سكرات الموت على اولياء الله تع واحبائه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتوالي
علينا مع سكرة الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلاث الاولى شدة النزع كما ذكرنا
الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو راى
صورته التي عليها يقبض روح العبد المذنب اعظم الرجال قوة لم يطق رويته روي عن الخليل عليه السلم
انه قال لملك الموت هل تستطيع ان تريني الصورة التي فيها تقبض روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال
بلى قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب
يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان فغشي على ابرهيم عليه السلم ثم افاق وقد عاد ملك
الموت الى صورته الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك لكان
حسبه • وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلم كان رجلا غيورا و
كان اذا خرج غلق الابواب فغلق ذات يوم وخرج فاشرفت امراته فاذا هي برجل في الدار فقالت
من ادخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عنتا فجاء داود عليه السلم فراه فقال له من انت فقال

انا الذي لا اهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب قال فانت والله اذا ملك الموت فزمل داود عليه السلم
مكانه • وروي ان عيسى عليه السلم مر بجمجمة فضربها برجله وقال تكلمي باذن الله فقالت يا روح الله
انا ملك زمان كذا وكذا بينا انا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي
اذ بدا الي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم خرجت نفسي اليه فيا ليت ما كان من تلك
الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة فهذه داهية تلقاها العصاة
ويكفاها المطيعون فقد حكى من النبي صلى الله عليه وسلم مجرد سكرة النزع دون الروعة التي
يدركها من مشاهدة صورة ملك الموت كذلك ولو راها في منامه ليلة لتنغص عليه عيشه بقية
عمره فكيف برويته في مثل تلك الحال واما المطيع فانه يراه في احسن صورة واجملها وقال
ابن عباس ان ابرهيم عليه السلم كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا خرج اغلقه فرجع
ذات يوم فاذا هو برجل في جوف البيت فقال من ادخلك داري فقال ادخلنيها ربها فقال
انا ربها فقال ادخلنيها من هو املك بها مني ومنك قال فمن انت من الملايكة قال انا ملك الموت
قال هل تستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح المومن قال نعم فاعرض عني فاعرض عنه
ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت
لو لم يلق المومن عند الموت الا صورتك لكان حسبه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين
قال وهب بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يتراى له ملكاه الكاتبان عمله فان كان مطيعا
قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق اجلستنا ورب عمل صالح احضرتنا وان كان
فاجرا قالا لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء قد اجلستنا ورب عمل غير صالح قد احضرتنا و
كلام قبيح قد اسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك الذي يرى من شخوص بصر المحتضر اليهما ولا يرجع
الى الدنيا ابدا الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم وخوفهم قبل المشاهدة
فانهم في حال السكرات وقد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج ارواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت
باحدى البشريين اما ابشر يا عدو الله بالنار او ابشر يا ولي الله بالجنة • وعن هذا الخطب كان
خوف ارباب القلوب والالباب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج احد من الدنيا حتى يعلم اين
مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة او النار وقال صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله احب
الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذاك بذاك ان المومن
اذا فرج له عما هو قادم عليه احب لقاء الله واحب الله لقاءه • وروي ان حذيفة بن اليمان قال
لابن مسعود وهو لما به من آخر الليل قم فانظر اي ساعة هي فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال طلعت
الحمراء فقال حذيفة اعوذ بالله من صباح الى النار • ودخل مروان على ابي هريرة فقال مروان اللهم
خفف عنه فقال ابو هريرة اللهم اشدد ثم بكى ابو هريرة وقال والله ما ابكي حزنا على الدنيا ولا جزعا
على فراقكم ولكن انتظر احدى البشريين من ربي اما بالجنة واما بالنار • وفي حديث عن النبي صلى الله عليه و ذوي هم
سلم انه قال ان الله اذا رضي عن عبد قال لملك الموت اذهب الى فلان فاتني بروحه لاريحه حسبي
من عمله قد بلوته فوجدته حيث احب فينزل ملك الموت ومعه خمس مائة من الملايكة معهم قضبان

ريحان واصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه ويقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فاذا نظر اليهم ابليس وضع يده على راسه ثم صرخ فيقول له جنوده ما لك يا سيدنا فيقول اما ترون ما اعطي هذا العبد من الكرامة اين كنتم عن هذا فيقولون قد جهدنا به فكان معصومًا وقال الحسن رحمه الله لا راحة للمؤمن الا في لقاء الله ومن كانت راحته في لقاء الله فيوم الموت يوم سروره وفرحه وامنه وعزه وشرفه وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة الى الحسن فلما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه اليه ثم قال يا اخوتاه الساعة والله افارقكم الى النار او الى الجنة وقال محمد بن واسع عند الموت يا اخوتاه عليكم السلام اما الى النار او يعفو الله وتمنى بعضهم ان يبقى في النزع ابدًا ولا يبعث لثواب ولا لعقاب فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهي من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منها في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع ولكنا لا نطول بذكره واعادته

بيان ما يستحب من احوال المحتضر عند الموت

اعلم ان المستحب عند الموت من حالة المحتضر الهدوء والسكون ومن لسانه ان يكون ناطقًا بالشهادة ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله تعالى اما الصورة في الهدوء والسكون فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه وذرفت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به واما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله وفي رواية حذيفة فانها تهدم ما قبلها من الخطايا وقال عثمن رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة وقال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان اذا احتضر الميت فلقنوه لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت زاده الى الجنة وقال عمر رضي الله عنه احضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا اله الا الله وقال ابو هريرة رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول حضر ملك الموت رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئًا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص وينبغي للملقن ان لا يلح في التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطق لسان المريض فيشق عليه ذلك فيؤدي الى استثقاله التلقين وكراهته للكلمة ويخشى ان يكون ذلك سبب سوء الخاتمة وانما معنى هذه الكلمة ان يموت العبد وليس في قلبه غير الله تعالى فاذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق فان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وان كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها متاسفا على لذاتها وكانت الكلمة على طرف اللسان ولم ينطق القلب على تحقيقها وقع الامر في خطر المشية فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله بالقبول واما حسن الظن فانه يستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الاخبار بفضل حسن الظن دخل واثلة بن الاسقع على مريض فقال اخبرني كيف ظنك بالله قال اغرقتني ذنوب لي واشفيت على الهلكة ولكني ارجو رحمة ربي فكبر واثلة وكبر اهل البيت

بكبيرة وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ودخل صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال له كيف تجدك قال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله الذي يرجو وآمنه من الذي يخاف وقال ثابت البناني كان شاب به حدة وكانت امه تعظه وتقول كثيرًا يا بني ان لك يومًا فاذكر يومك فلما نزل به امر الله تعالى اكبت عليه امه فجعلت تقول يا بني قد كنت احذرك مصرعك هذا واقول لك ان لك يومًا فقال لها يا امه ان لي ربا كثير المعروف واني لارجو ان لا يعدمني اليوم بعض معروفه قال فرحمه الله بحسن ظنه به وقال جابر بن وداعة كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له امه يا بني توصي بشيء قال نعم خاتمي لا تسلبينه فان فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمني فلما دفن رئي في المنام فقال اخبروا امي ان الكلمة قد نفعتني وان الله قد غفر لي ومرض اعرابي فقيل له انك تموت قال اين يذهب بي قالوا الى الله قال فما كراهتي ان اذهب الى من لا يرى الخير الا منه وقال المعتمر بن سليمان قال لي ابي حين حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلي القى الله وانا احسن الظن به وكانوا يستحبون ان يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه

بيان الحيرة عند لقاء ملك الموت بحكايات تعرب بلسان الحال

قال اشعث بن اسلم سال ابرهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال له يا ملك الموت ما تصنع اذا كانت نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بارض والتقى الزحفان كيف تصنع قال ادعو الارواح باذن الله فتكون بين اصبعي هاتين قال ودحيت له الارض فجعلت مثل الطست بين يديه يتناول منها حيث يشاء قال وهو الذي بشره بانه خليل الله عز وجل وقال سليمن بن داود لملك الموت ما لي لا اراك تعدل بين الناس تاخذ هذا وتدع هذا قال ما انا بذلك اعلم منك انما هي صحف وكتب تلقى الي فيها اسماء وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك اراد ان يركب الى ارض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما اعجبه بعد مرات وهو لا ينظر الى الناس كبرًا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فاخذ بلجام دابته فقال ارسل اللجام فقد تعاطيت امرًا عظيمًا قال ان لي اليك حاجة قال اصبر حتى انزل قال لا الآن فقهره على لجام دابته فقال اذكرها فقال هي سر فادنى اليه راسه فساره وقال انا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى ارجع الى اهلي واقضي حاجتي واودعهم قال لا والله لا ترى اهلك وثقلك ابدًا فقبض روحه فخر كانه خشبة ثم مضى فلقي عبدًا مؤمنًا في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لي حاجة اذكرها في اذنك فقال هات فساره فقال انا ملك الموت فقال مرحبًا واهلا بمن طالت غيبته عني فوالله ما كان غائب احب الي ان القاه منك فقال ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت اليها فقال ما لي حاجة اكبر عندي ولا احب من لقاء الله تعالى قال فاختر على اي حالة شئت ان اقبض روحك فقال تقدر على ذلك قال نعم اني امرت بذلك قال فدعني حتى اتوضا واصلي فاقبض روحي وانا ساجد فقبض روحه وهو ساجد وقال بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني اسرائيل مالا فلما اشرف على الموت قال

لبنيه أروني أصناف أموالي فأتي بشيء كثير من الخيل والإبل والرقيق وغيره فلما نظر إليه بكى تحسرا عليه
فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال ما يبكيك فوالذي خولك ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك
وبدنك قال فالمهلة حتى أفرقه قال هيهات حتى انقطعت عنك المهلة فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك
فقبض روحه ❊ وروي أن رجلا جمع مالا فأوعى ولم يدع صنفا من المال إلا اتخذه وابتنى قصرا وجعل
عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرسا من غلمانه ثم جمع أهله ووضع لهم طعاما وقعد على سريره ورفع إحدى
رجليه على الأخرى وهم يأكلون فلما فرغوا قال يا نفس انعمي لسنين فقد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ
من كلامه حتى أقبل إليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه
بالمساكين فقرع الباب بشدة عظيمة قرعا أفزعه وهو على فراشه فوثب إليه الغلمان وقالوا ما شأنك
فقال ادعوا إلي مولاكم فقالوا إلى مثلك يخرج مولانا قال نعم فأخبروه بذلك فقال هلا فعلتم به
وفعلتم فقرع الباب قرعا أشد من الأولى فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أني ملك الموت فلما
سمعوه ألقي عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع فقال قولوا له قولا لينا وقولوا هل تأخذ
معك أحدا فدخل عليه وقال اصنع في مالك ما أنت صانع فإني لست بخارج منها حتى أخرج نفسك فأمر
بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال أنت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني أن
أتخلى لربي فأنطق الله المال فقال لم تسبني وقد كنت تدخل على السلطان بي ويرد المتقون عن بابه
وكنت تنكح المتنعمات بي وتجلس مجالس الملوك بي وترد المتقين وتنفقني في سبيل الشر فلا أمتنع منك
ولو أنفقتني في سبيل الخير نفعتك خلقت يا ابن آدم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق بإثم ثم قبض ملك الموت
روحه وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الأرض مثله ثم
عرج إلى السماء فقالت له الملائكة لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه قال أمرت بقبض
روح امرأة في فلاة من الأرض فأتيتها وقد ولدت مولودا فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره
وكونه في فلاة لا متعهد بها فقالت الملائكة الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود
الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء وقال عطاء بن يسار إذا كان ليلة
نصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال له اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة
قال فإن العبد ليغرس الغرس وينكح الأزواج ويبني البنيان وإن اسمه في تلك الصحيفة وهو لا
يدري وقال الحسن ما من يوم إلا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم
قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه فإذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء فيأخذ ملك
الموت بعضادتي الباب فيقول والله ما أكلت له رزقا ولا أفنيت له عمرا ولا انتقصت له أجلا
وإن لي فيكم عودة ثم عودة حتى لا أبقي منكم أحدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون
كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من الجبابرة من
بني إسرائيل جالس في مجلسه قد خلا ببعض أهله إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته فثار إليه
فزعا مغضبا وقال من أنت ومن أدخلك علي داري قال أما الذي أدخلني الدار فربها وأما
أنا فالذي لا يمنع مني الحجاب ولا أستأذن على الملوك ولا أخاف صولة المتسلطين ولا يمتنع مني

كل جبار عنيد ولا شيطان مريد قال فأسقط في يدي الجبار وارتعد حتى سقط منكبا على وجهه
ثم رفع إليه رأسه مستخذيا متذللا فقال أنت إذا ملك الموت قال أنا هو قال فهل أنت ممهلي
حتى أحدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك فليس
إلى تأخيرك سبيل قال فإلى أين تذهب بي قال إلى عملك الذي قدمته وإلى بيتك الذي مهدته قال
فإني لم أقدم عملا صالحا ولم أمهد بيتا حسنا قال فإلى لظى نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط
بين أهله فمن صارخ وباك وقال يزيد الرقاشي لو تعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك
أكثر وعن الأعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر إلى
رجل من جلسائه يديم النظر إليه فلما خرج قال الرجل لسليمان عليه السلام من هذا قال هذا ملك الموت
قال لقد رأيته ينظر إلي كأنه يريدني قال فماذا تريد قال أريد أن تخلصني منه فتأمر الريح
حتى تحملني إلى أقصى الهند فأمر الريح ففعلت الريح ذلك ثم قال سليمان بعد أن أتاه ثانيا رأيتك
تديم النظر إلى رجل من جلسائي قال نعم كنت أتعجب منه لأني كنت أمرت أن أقبضه بأقصى الهند
في ساعة قريبة وكان عندك فتعجبت من ذلك **الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم والخلفاء الراشدين** اعلم أن في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حيا وميتا
وفعلا وقولا وجميع أحواله عبرة للناظرين وبصيرة للمستبصرين إذ لم يكن أحد أكرم على الله منه
إذ كان صلى الله عليه وسلم خليل الله عز وجل وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر
هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته وهل أخره لحظة بعد حضور منيته لا بل أرسل إليه الملائكة
الكرام الموكلين بقبض أرواح الأنام فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها
عن جسده الطاهر إلى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل إلى مقعد صدق في جوار الرحمن
فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر أنينه وترادف قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه و
عرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب
لشدة حاله من شاهد منظره فهل رأيت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا وهل راقب الملك
فيه أهلا وعشيرا وهل سامحه إذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا هيهات بل امتثل ما كان
به مأمورا واتبع ما وجده في اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض
المورود وهو أول من تنشق عنه الأرض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب أنا لا نعتبر به و
لسنا على ثقة فيما يلقاه بل نحن أسراء الشهوات وقرناء المعاصي والسيئات فما بالنا لا نتعظ
بمصرع محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا نظن أنا مخلدون أو نتوهم
أنا مع سوء أعمالنا عند الله مكرمون هيهات هيهات بل نتيقن أنا جميعا على النار واردون ثم
لا ينجو منها إلا المتقون فنحن للورود مستيقنون وللصدر عنها متوهمون لا بل ظلمنا أنفسنا
إن كنا كذلك بغالب الظن منتظرين فما نحن والله من المتقين فقد قال رب العالمين وإن منكم إلا
واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فلينظر كل عبد إلى نفسه أنه
إلى الظالمين أقرب أم إلى المتقين وانظر إلى نفسك بعد أن تنظر إلى سيرة السلف الصالحين ولقد

كانوا مع ما وفقوا له من الخايفين ثم انظر الى سيد المرسلين فانه كان من امره على يقين اذ كان سيد
النبيين وقايد المتقين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد امره عند الانقلاب
الى جنة الماوى قال ابن مسعود رضي الله عنه دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عايشة
رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر الينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بكم حياكم الله
آويكم الله نصركم الله اوصيكم بتقوى الله واوصي بكم الله اني لكم منه نذير مبين ان لا تعلوا على الله في عباده و
بلاده وقد دنا الاجل والمنقلب الى الله والى سدرة المنتهى والى جنة الماوى والكاس الاوفى فاقروا
على انفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله وروى انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل
عليه السلام عند موته ما يفعل ربي لامتي بعدي فاوحى الله تعالى الى جبريل ان بشر حبيبي اني لا اخذله في امته
وبشره بانه اسرع الناس خروجا من الارض اذا بعثوا وسيدهم اذا جمعوا وان الجنة محرمة
على الامم حتى تدخلها امته فقال الآن قرت عيني وقالت عايشة رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان نغسله بسبع قرب من سبع آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس
واستغفر لاهل احد ودعا لهم واوصى بالانصار فقال اما بعد يا معاشر المهاجرين فانكم اصبحتم
تزيدون واصبحت الانصار لا تزيد على هيئتها التي عليها اليوم وان الانصار عيبتي التي اويت اليها
فاكرموا كريمهم يعني محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال ان عبدا خير ما بين الدنيا وبين ما
عند الله فاختار ما عند الله فبكى ابو بكر رضي الله عنه وعلم انه يريد نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم على رسلك يا ابا بكر سدوا هذه الابواب الشوارع في المسجد الا باب ابي بكر فاني لا اعلم امرا افضل
عندي في الصحبة من ابي بكر قالت عايشة رضي الله عنها فقبض صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي
وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت ودخل علي اخي عبد الرحمن وبيده
سواك فجعل ينظر اليه فعرفت انه يعجبه فقلت آخذه لك فاومى براسه ان نعم فناولته اياه فادخله
في فيه فاشتد عليه فقلت اليّنه لك فاومى براسه ان نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء
فجعل يدخل يده فيها ويمسح بها وجهه ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات ثم نصب يده وهو
يقول الرفيق الاعلى الرفيق الاعلى فقلت اذا والله لا يختارنا • وروى سعيد بن عبد الله عن ابيه
قال لما رات الانصار النبي صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلا اطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله
عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فاعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فاعلمه بمثل ذلك
ثم دخل عليه علي بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال ما يقولون قالوا يقولون نخشى ان يموت
ونصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فبادر رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متوكيا
على علي والفضل والعباس امامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الراس يخط برجليه
حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس اليه فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس انه
بلغني انكم تخافون علي الموت كانه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم الم انع
اليكم ونعيت انفسكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون
به واني اوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى قال والعصر ان

اليكم صح

الانسان

الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وان
الامور تجري باذن الله تعالى فلا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله فان الله تعالى لا يعجل بعجلة احد
ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض
وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان
تحسنوا اليهم الم يشاطروكم الثمار الم يوسعوا عليكم في الديار الم يوثروكم على انفسهم و
بهم الخصاصة الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن
مسيئهم الا ولا تستاثروا عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض
حوضي اعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماؤه اشد بياضا
من اللبن والين من الزبد واحلى من الشهد من شرب منه لم يظما ابدا احصاوه اللولو وبطحاوه
من مسك من حرمه في الموقف غدا حرم الخير الا فمن احب ان يرده علي غدا فليكفف لسانه ويده
الا مما ينبغي فقال العباس يا نبي الله اوص بقريش فقال انما اوصي بهذا الامر قريشا والناس
تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا الى قريش بالناس خيرا
يا ايها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برتهم ائمتهم واذا فجر الناس
عقوهم قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وروى ابن مسعود ان صلى
الله عليه وسلم قال لابي بكر سل يا ابا بكر فقال يا رسول الله دنا الاجل فقال قد دنا الاجل وتدلى
فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري ما منقلبنا فقال الى الله والى سدرة المنتهى ثم الى
جنة الماوى والفردوس الاعلى والكاس الاوفى والرفيق الاعلى والحظ والعيش المهنى فقال
يا نبي الله من يلي غسلك قال رجل من اهل بيتي الادنى فالادنى قال ففيم نكفنك قال في ثيابي
هذه وفي حلة يمنية وفي بياض مصري فقال كيف الصلوة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال مهلا
غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا اذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير
قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي علي ربي الله هو الذي يصلي عليكم وملايكته ثم ياذن
للملايكة في الصلوة علي فاول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبريل ثم ميكايل ثم اسرافيل
ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملايكة باجمعها صلى الله عليهم اجمعين ثم انتم فادخلوا علي افواجا
فصلوا علي افواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا توذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدا منكم
الامام واهل بيتي الادنى فالادنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخل القبر قال زمر
من اهل بيتي الادنى فالادنى مع ملايكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فادوا عني الى من بعدي
وقال عبد الله بن زمعة جاء بلال اول ربيع الاول فاذن بالصلوة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
مروا ابا بكر يصلي بالناس فخرجت فلم ار بحضرة الباب الا عمر في رجال ليس فيهم ابو بكر فقلت قم
يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول الله صوته بالتكبير فقال
اين ابو بكر يابى الله ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عايشة
رضي الله عنها ان ابا بكر رجل رقيق اذا قام في مقامك غلبه البكاء فقال انكن صواحبات يوسف

مروا ابا بكر فليصل بالناس قال فصلى ابو بكر بعد الصلوة التي صلى عمر وكان عمر يقول لعبد الله
بن زمعة بعد ذلك ويحك ماذا صنعت بي والله لولا اني ظننت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرك ما فعلت فيقول عبد الله اني لم ار احدا اولى بذلك منك قالت عايشة وما قلت ذلك ولا
صرفته عن ابي بكر الا رغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة الا ما سلم الله وخشيت
ايضا ان لا يكون الناس يحبون رجلا يصلي في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي ابدا الا ان يشاء
الله يحسدونه ويبغون عليه ويتشامون به فاذا الامر امر الله والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ما تخوفت
عليه من امر الدنيا والدين قالت عايشة رضي الله عنها فلما كان اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم راوا منه في اول النهار خفة فتفرق عنه الرجال الى منازلهم وحوايجهم مستبشرين
وخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرخاء والفرج
قبل ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجن عني هذا الملك يستاذن علي فخرج من في البيت غيري
وراسه في حجري فجلس وتنحيت في ناحية البيت فناجى الملك طويلا ثم انه دعاني فاعاد راسه في حجري
وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل يا عايشة
هذا ملك الموت جاءني فقال ان الله ارسلني وامرني ان لا ادخل عليك الا بالاذن وان لم تاذن لي رجعت
وان اذنت لي دخلت وامرني ان لا اقبضك حتى تامرني فماذا امرك فقلت اكفف عني حتى ياتيني جبريل
عليه السلم فهذه ساعة جبريل قالت عايشة رضي الله عنها فاستقبلنا بامر لم يكن له عندنا جواب
ولا راي فوجمنا وكانما ضربنا بصاخة ما نحير اليه شيا وما يتكلم احد من اهل البيت استعظاما
لذلك الامر وهيبة ملات اجوافنا قالت وجاء جبريل عليه السلم في ساعته فسلم فعرفت حسه
وخرج اهل البيت فدخل فقال ان الله يقرا عليك السلم ويقول كيف تجدك وهو اعلم بالذي تجد منك
ولكن اراد ان يزيدك كرامة وشرفا وان يتم كرامتك وشرفك على الخلق وان يكون سنة في امتك فقال
صلى الله عليه وسلم اجدني وجعا قال ابشر فان الله اراد ان يبلغك ما اعد لك فقال جبريل يا محمد ان
ربك اليك مشتاق الم اعلمك الذي يريد بك لا والله ما استاذن ملك الموت على احد قط ولا
يستاذن عليه ابدا الا ان ربك متم شرفك وهو اليك مشتاق قال فلا تبرح اذا حتى يجيء واذن
للنساء فقال ادني يا فاطمة فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام
ثم قال ادني مني راسك فاكبت عليه فناجاها فرفعت راسها وهي تضحك وما تطيق الكلام وكان الذي
راينا منها عجبا فسالناها بعد ذلك فقالت اخبرني وقال اني ميت اليوم فبكيت ثم قال اني دعوت
الله ان يلحقك بي في اول اهلي وان يجعلك معي فضحكني وادنت ابنيها منه فشمهما قالت و
جاء ملك الموت فسلم واستاذن فاذن له فقال الملك ما تامرني يا محمد قال الحقني بربي الآن فقال
فقال بلى من يومك هذا اما ان ربك اليك مشتاق ولم يتردد عن احد تردده عنك ولم ينهني عن
الدخول على احد الا باذن غيرك ولكن ساعتك امامك وخرج قالت وخرج جبريل فقال عليه
السلم يا رسول الله هذا آخر ما انزل فيه الى الارض ابدا اطوي الوحي وطويت الدنيا وما كانت لي في الارض
حاجة غيرك وما لي فيها حاجة الا حضورك ثم لزوم موقفي ولا والذي بعث محمدا بالحق ما في البيت

يستطيع ان يحير اليه في ذلك كلمة ولا يبعث الى احد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا
واشفاقنا قالت فقمت الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى اضع راسه بين ثديي وامسكت بصدره
وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبينه يرشح رشحا ما رايته من انسان قط فجعلت اسلت ذلك
العرق وما وجدت رايحة شيء قط اطيب منه فكنت اقول له اذا افاق بابي وامي ونفسي واهلي
ما يلقى جبينك من الرشح فقال يا عايشة ان نفس المومن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من
شدقه كنفس الحمار فعند ذلك ارتعنا وبعثنا الى اهلينا فكان اول رجل جاءنا ولم يشهده اخي
بعثه الي ابي فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يجيئني احد وانما صدهم الله تع عنه لانه ولاه
جبريل وميكائيل وجعل اذا اغمي عليه يقول بل الرفيق الاعلى كان الخيرة (التخيير) تعاد عليه فاذا اطاق الكلام
قال الصلوة الصلوة فانكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلوة الصلوة كان يوصي بها حتى
مات وهو يقول الصلوة الصلوة قالت عايشة رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين قالت فاطمة ما لقيت من يوم الاثنين والله
لا تزال الامة تصاب فيه بعظيمة وقالت ام كلثوم يوم اصيب علي رضي الله عنه بالكوفة مثلها
ما لقيت من يوم الاثنين مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل علي وفيه قتل ابي ما لقيت
من يوم الاثنين وقالت عايشة رضي الله عنها لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس حين
حيث ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملايكة بثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته
واخرس بعضهم فما تكلم الا بعد البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون
ومعهم عقولهم واقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلي فيمن اقعد وعثمان
فيمن اخرس فخرج عمر على الناس وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت وليرجعنه الله تع وليقطعن
ايديا وارجلا من رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت انما واعده ربه تع كما
واعد موسى عليه السلم وهو آتيكم وفي رواية انه قال ايها الناس كفوا السنتكم عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانه لم يمت والله لا اسمع احدا يذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات الا علوته بسيفي
هذا واما علي رضي الله عنه فانه اقعد فلم يبرح البيت واما عثمان رضي الله عنه فجعل لا يكلم احدا يوخذ
بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن احد من المسلمين في مثل حال ابي بكر والعباس رضي الله عنهما
فان الله عزم لهما على التوفيق والسداد وان كان الناس لم يرعووا الا بقول ابي بكر جاء العباس
رضي الله عنه فقال والله الذي لا اله الا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل له وهو بين اظهركم انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند
ربكم تختصمون وبلغ ابا بكر رضي الله عنه الخبر وهو في بني حرث بن الخزرج فجاء فدخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنظر اليه ثم اكب عليه فقبله فقال بابي انت وامي ما كان ليذيقك الموت مرتين
فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج الى الناس فقال ايها الناس من كان يعبد محمدا
فان محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فانه حي لا يموت قال الله تع وما محمد الا رسول قد خلت من
قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الآية فكان الناس لم يسمعوا هذه الآية الا يومئذ

وفي رواية ان ابا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد الفعل والمقال فاكب عليه
فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بابي انت وامي ونفسي و
اهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبياء وهو النبوة فعظمت عن
الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا ان موتك
كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء لانفدنا عليك ماء الشؤون
فاما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار مخالفان لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا محمد
صلى الله عليك عند ربنا ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم احد لما خلفت من الوحشة
اللهم ابلغ نبيك عنا واحفظه فينا. وعن ابن عمر رضي الله عنه انه لما دخل ابو بكر رضي الله عنه
البيت وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم واثنى عليه عج اهل البيت عجيجا سمعه اهل المصلى كلما
كلما ذكر شيئا ازدادوا فما سكن عجيجهم الا بتسليم رجل على الباب صيت جلد قال السلام عليكم
يا اهل البيت كل نفس ذائقة الموت الآية ان في الله خلفا من كل احد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل
مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا فاستمعوا اليه فانكروه وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء فقد صوته
فاطلع احدهم فلم ير احدا ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته يا اهل البيت اذكروا
الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين ان في الله تع عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله
فاطيعوه وبامره فاعملوا فقال ابو بكر رضي الله عنه هذا الخضر والياس حضرا النبي صلى الله عليه وسلم. واستوفى
القعقاع بن عمرو حكاية خطبة ابي بكر قال فقام ابو بكر رضي الله عنه في الناس خطيبا حين قضى الناس
عبراتهم بخطبة جلها الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله على كل حال واثنى عليه وقال اشهد ان
لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده ولله الحمد وحده واشهد ان محمدا
عبده ورسوله وخاتم انبيائه واشهد ان الكتاب كما نزل وان الدين كما شرع وان الحديث كما حدث وان القول
كما قال وان الله هو الحق المبين اللهم فصل على محمد عبدك ورسولك وحبيبك ونبيك وامينك وخيرتك
وصفوتك بافضل ما صليت به على احد من خلقك اللهم اجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك
على سيد المرسلين وخاتم النبيين وامام المتقين محمد قائد الخير وامام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب
زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاما محمودا يغبطه به الاولون والآخرون وانفعنا
بمقامه المحمود يوم القيمة واخلفه فينا في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة في الجنة اللهم صل على محمد
وآل محمد كما صليت وباركت على ابرهيم انك حميد مجيد ايها الناس انه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد
مات ومن كان يعبد الله فانه حي لم يمت وان الله قد تقدم اليكم في امره فلا تدعوه جزعا وان الله قد
اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنته
وسنة نبيه عليه السلام فمن اخذ بهما عرف ومن فرق بينهما انكر يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط
ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا
تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم وقال ابن عباس لما فرغ ابو بكر من خطبته قال يا عمر انت الذي بلغني

عنك انك تقول ما مات نبي الله صلى الله عليه وسلم اما ترى ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا وكذا ويوم كذا
وكذا وقال الله تبارك وتعالى في كتابه انك ميت وانهم ميتون فقال عمر والله لكاني لم اسمع بها في كتاب
الله قبل الآن لما نزل بنا اشهد ان الكتاب كما نزل وان الحديث كما حدث وان الله حي لا يموت انا لله
وانا اليه راجعون وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله صلى الله عليه وسلم ثم جلس الى
ابي بكر وقالت عايشة لما اجتمعوا لغسله قالوا والله لا ندري كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم انجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا او نغسله في ثيابه قالت فارسل الله عليهم النوم حتى ما
بقي منهم الا واضع لحيته في صدره نائما ثم قال قائل لا ندري من هو اغسلوا النبي عليه السلم وعليه ثيابه
فانتبهوا ففعلوا فغسل النبي صلى الله عليه وسلم في قميصه حتى اذا فرغ من غسله كفن وقال علي رضي
الله عنه اردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فاقررناه فغسلناه في
قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ما نشاء ان نقلب لنا منه عضوا لم نبالغ فيه الا قلب لنا حتى نفرغ
منه وان معنا لحفيفا في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا ارفقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم
ستكفون فهكذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك سبدا ولا لبدا الا ادفن معه قال
ابو جعفر فرش لحده بمفرشه وقطيفته وفرشت ثيابه عليها التي كان يلبس يقظان على القطيفة و
المفرش ثم وضع عليها في اكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنى في حيوته لبنة على لبنة ولا قصبة
على قصبة ففي وفاته عبرة تامة وللمسلمين به اسوة حسنة **وفاة ابي بكر رضي الله عنه**
لما احتضر ابو بكر رضي الله عنه جاءت عايشة فتمثلت بهذا البيت. لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر. فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي و
جاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما
فان الحي اولى بالجديد وقالت عايشة رضي الله عنها عند موته. وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل. فقال ابو بكر رضي الله عنه ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم. ودخلوا
عليه فقالوا الا ندعو لك طبيبا ينظر اليك فقال قد نظر الي وقال اني فعال لما اريد. ودخل
سلمان الفارسي عليه يعوده فقال يا ابا بكر اوصنا فقال ان الله فاتح عليكم الدنيا فلا تاخذن منها
الا بلاغك واعلم ان من صلى صلوة الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك
ولما ثقل ابو بكر واراد الناس منه ان يستخلف فاستخلف عمر فقال الناس استخلفت علينا فظا
غليظا فماذا تقول لربك فقال اقول استخلفت على خلقك خير خلقك ثم ارسل الى عمر فجاءه فقال
اني موصيك بوصية اعلم ان لله حقا في النهار لا يقبله بالليل وان له حقا بالليل لا يقبله بالنهار و
انه لا يقبل نافلة حتى يؤدي الفريضة وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة باتباعهم
الحق في الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يثقل وانما خفت موازين من
خفت موازينهم يوم القيمة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل
ان يخف ثم ان الله تع ذكر اهل الجنة باحسن اعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل انا دون هؤلاء و

لا ابلغ هولاء وان الله ذكر اهل النار باسوء اعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول
القايل انا افضل من هولاء وان الله ذكر الرحمة وآية العذاب ليكون المومن راغبا راهبا فلا يلقي
بيده الى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا يكون لك غايب احب اليك
من الموت ولا بد لك منه وان ضيعت وصيتي فلا يكون غايب ابغض اليك من الموت ولست
بمعجزه قال سعيد بن المسيب لما احتضر ابو بكر اتاه ناس من اصحابه فقالوا يا خليفة رسول الله
زودنا فانا نراك لما بك فقال ابو بكر رضي الله عنه من قال هولاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في
الافق المبين قالوا وما الافق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه رياض وانهار واشجار يغشاه كل يوم مائة
رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه في ذلك المكان اللهم انك ابتدات الخلق من غير حاجة بك اليهم
ثم جعلتهم فريقين فريقا للنعيم وفريقا للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم انك خلقت
الخلق فرقا وميزتهم قبل ان تخلقهم فجعلت منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا فلا تشقني بمعاصيك
اللهم انك علمت ما تكسب كل نفس قبل ان تخلقها فلا محيص لهم مما علمت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك
اللهم ان احدا لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيتك ان اشاء ما يقربني اليك اللهم انك قدرت حركات
العباد فلا يتحرك شي الا باذنك فاجعل حركاتي في تقواك اللهم انك خلقت الخير والشر وجعلت لكل منهما
عاملا يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم انك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منهما اهلا فاجعلني
من سكان جنتك اللهم انك اردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدري للايمان
وزينه في قلبي اللهم انك دبرت الامور فجعلت مصيرها اليك فاحيني بعد الموت حيوة طيبة وقربني
اليك زلفى اللهم من اصبح وامسى ثقته ورجاوه غيرك فانت ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة الا بك
قال ابو بكر رضي الله عنه هذا كله في كتاب الله عز وجل **وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه** قال عمرو بن
ميمون كنت قائما غداة اصيب عمر ما بيني وبينه الا عبد الله بن عباس وكان اذا مر بين الصفين قام بينهما
واذا راى خللا قال استووا حتى اذا لم ير فيهم خللا تقدم فكبر قال فربما قرا سورة يوسف او النحل
او نحو ذلك في الركعة الاولى حتى يجتمع الناس فما هو الا ان كبر فسمعته يقول قتلني او اكلني الكلب حين
طعنه ابو لولوة فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على احد يمينا وشمالا الا طعنه حتى طعن ثلاثة
عشر رجلا فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما راى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا
فلما ظن العلج انه ماخوذ نحر نفسه وتناول عمر عبد الرحمن بن عوف فقدمه فاما من كان يلي عمر فقد
راى الذي رايت واما نواحي المسجد فلا يدرون ما الامر غير انهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان
الله فصلى بهم عبد الرحمن صلوة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلني قال فغاب ساعة ثم
جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة قال قاتله الله لقد كنت امرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل
منيتي بيد رجل مسلم قد كنت وابوك تحبان ان تكثر العلوج بالمدينة وكان العباس اكثرهم رقيقا فقال
ابن عباس ان شيت فعلت اي ان شيت قتلناهم قال بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا الى قبلتكم وحجوا
حجكم فاحتمل الى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ قال فقايل يقول

اخاف

اخاف عليه وقايل يقول لا باس فاتي بنبيذ فشرب منه فخرج من جرحه فعرفوا انه ميت قال فدخلنا
عليه وجاء الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال ابشر يا امير المومنين ببشرى من الله عز و
جل قد كانت لك صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الاسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت
ثم شهادة قال وددت ان ذلك كان كفافا لا علي ولا لي فلما ادبر الرجل اذا ازاره يمس الارض فقال
عمر رضي الله عنه ردوا علي الغلام قال ابن اخي ارفع ثوبك فانه انقى لثوبك واتقى لربك ثم قال يا عبد الله
انظروا ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين الفا او نحوها فقال ان وفى به مال آل عمر
فاده من اموالهم والا فاسال في بني عدي بن كعب فان لم تف اموالهم فاسال في قريش ولا تعدهم
الى غيرهم واد عني هذا المال وانطلق الى ام المومنين عايشة رضي الله عنها فقل عمر يقرا عليك السلام
ولا تقل امير المومنين فاني لست للمومنين اميرا وقل يستاذن عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه
فقالت كنت اريده لنفسي ولاوثرنه به اليوم على نفسي فلما اقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال
ارفعوني فاسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذي تحب يا امير المومنين اذنت قال الحمد لله ما كان
شي اهم علي من ذلك فاذا انا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل يستاذن عمر فان اذنت لي فادخلوني
وان ردتني فردوني الى مقابر المسلمين وجاءت ام المومنين حفصة والنساء يسترنها فلما
رايناها قمنا فولجت داخلا فسمعنا بكاء من داخل الدار فقالوا اوص يا امير المومنين استخلف فقال
ما ارى احق بهذا الامر من هولاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا
وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له في الامر
شي كهيئة التعزية له فان اصابت الامارة سعدا فذاك والا فليستعن به ايكم امر فاني لم اعزله من
عجز ولا خيانة ثم قال اوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الاولين ان يعرف لهم حقهم واوصيه
بالانصار خيرا الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم ان يقبل من محسنهم وان يعفو عن مسيئهم
واوصيه باهل الامصار فانهم ردء الاسلام وجباة المال وغيظ العدو وان لا يوخذ منهم الا فضلهم
عن رضى منهم واوصيه بالاعراب خيرا فانهم اصل العرب ومادة الاسلام ان يوخذ من حواشي اموالهم
فيرد على فقرائهم واوصيه بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ان يوفي لهم بعهدهم وان
يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلم عبد الله بن
عمر وقال يستاذن عمر بن الخطاب قالت ادخلوه فادخل فوضع هنالك مع صاحبيه الحديث
وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال لي جبريل عليه السلام ليبك الاسلام على موت عمر وعن ابن عباس
قال وضع عمر على سريره فاكتنفه الناس يدعون ويصلون قبل ان يرفع وانا فيهم فلم يرعني الا رجل
اخذ بمنكبي فالتفت فاذا هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه فترحم على عمر وقال ما خلفت احدا احب
الي ان القى الله بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لاظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك اني كنت
كثيرا اسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت انا وابو بكر وعمر ودخلت انا وابو بكر وعمر وخرجت
انا وابو بكر وعمر فان كنت لارجو واظن ان يجعلك الله معهما **وفاة عثمان بن عفان رضي الله عنه**
الحديث في قتله مشهور فقد قال عبد الله بن سلام اتيت اخي عثمان لاسلم عليه وهو محصور فدخلت

عليه فقال مرحبا باخي رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الخوخة والخوخة في البيت فقال يا عثمان حصروك
فقلت نعم فقال اعطشوك قلت نعم قال فادلى دلوا فيه ماء فشربت حتى رويت حتى اني لاجد برده بين ثديي
وبين كتفي وقال لي ان شئت نصرت عليهم وان شئت افطرت عندنا فاخترت ان افطر عنده
فقتل في ذلك اليوم رضي الله عنه وقال عبد الله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان رضي الله عنه في الموت حين جرح
ماذا قال عثمان وهو يتشحط قالوا سمعناه يقول اللهم اجمع امة محمد عليه السلام ثلثا قال والذي نفسي بيده
لو دعا الله ان لا يجتمعوا ما اجتمعوا ابدا الى يوم القيمة • وعن ثمامة بن حزن القشيري قال شهدت الدار
حين اشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال ايتوني بصاحبيكم الذين البا كم علي قال فجيء بهما كانهما جملان
او حماران فاشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بير رومة فقال من يشتري بير رومة
يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي وانتم اليوم تمنعوني ان
اشرب منها ومن ماء البحر قالوا اللهم نعم قال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق
باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة
فاشتريتها من صلب مالي وانتم اليوم تمنعوني ان اصلي فيه ركعتين قالوا اللهم نعم قال انشدكم
بالله والاسلام هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم نعم ثم قال انشدكم بالله و
الاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل
حتى تساقط حجارته بالحضيض قال فركضه برجله فقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان
قالوا اللهم نعم قال الله اكبر شهدوا لي ورب الكعبة اني شهيد • وروي عن شيخ بن ضبة ان عثمان
رضي الله عنه حين ضرب والدماء على لحيته تسيل جعل يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من
الظالمين اللهم استعديك عليهم واستعينك على جميع اموري واسالك الصبر على ما ابتليتني

وفاة علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال الاصبغ الحنظلي لما كانت الليلة التي اصيب فيها
علي رضي الله عنه اتاه ابن النواح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلوة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية
وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام وهو يقول • اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيكا •
ولا تجزع من الموت اذا حل بواديكا • فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضربه فخرجت ام كلثوم ابنة
علي رضي الله عنه فجعلت تقول ما لي ولصلوة الغداة قتل زوجي امير المومنين صلوة الغداة وقتل ابي
صلوة الغداة • وعن شيخ من قريش ان عليا رضي الله عنه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة • و
عن محمد بن علي انه لما ضربه اوصى بنيه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله حتى قبض **ولما ثقل الحسن بن علي**
دخل عليه الحسين رضي الله عنهم فقال له يا اخي لاي شي تجزع تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم و
على علي بن ابي طالب وهما ابواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما اماك وعلى حمزة و
جعفر وهما عماك فقال يا اخي اقدم على امر لم اقدم على مثله **وعن محمد بن الحسين** قال لما نزل القوم
بالحسين وايقن انهم قاتلوه قام في اصحابه خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال قد نزل من الامر ما ترون
وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها وتشمرت حتى لم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء

والا

والا خسيس العيش كالمرعى الوبيل الا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المومن في لقاء
الله عز وجل واني لا ارى الموت الا سعادة والحيوة مع الظالمين الا حرما ه **الباب الخامس**
في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء الصالحين لما حضرت معوية بن ابي سفيان الوفاة قال اقعدوني
فاقعد فجعل يسبح الله ويذكره ثم يبكي ويقول تذكر ربك يا معوية بعد الهرم والانحطام الا كان
هذا وغصن الشباب نضير ريان وبكى حتى علا بكاؤه وقال يا رب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي
اللهم اقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق باحد سواك • وروي عن شيخ
من قريش انه دخل مع جماعة عليه في مرضه فراوا في جلده غضونا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فهل
الدنيا اجمع الا ما جربنا فراينا اما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا واستلذذنا بعيشنا فما لبثت
الدنيا ان نقضت ذلك منا حالا بعد حال وعروة بعد عروة فاصبحت الدنيا قد وترتنا واخلقتنا و
استلامت الينا فاف للدنيا من دار ثم اف لها من دار • وروي ان آخر خطبة خطبها معوية ان قال
ايها الناس ان من زرع قد استحصد واني قد وليتكم ولن يليكم احد بعدي الا من هو شر مني كما
كان من قبلي خيرا مني ويا يزيد اذا وفى اجلي فول غسلي رجلا لبيبا فان اللبيب من الله بمكان فلينعم
الغسل وليجهر بالتكبير ثم اعمد الى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم وقراضة من
شعره واظفاره فاستودع القراضة انفي وفمي واذني وعيني واجعل الثوب على جلدي دون اكفاني و
يا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين فاذا ادرجتموني في اكفاني ووضعتموني في حفرتي فخلوا معوية و
ارحم الراحمين وقال محمد بن عقبة لما نزل بمعوية الموت قال يا ليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى
واني لم ال من هذا الامر شيئا • ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر الى غسال بجانب دمشق
يلوي ثوبا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك ليتني كنت غسالا آكل كسب يدي يوما بيوم ولم
ال من امر الناس شيئا فبلغ ذلك ابا حازم وقال الحمد لله الذي جعلهم اذا حضرهم الموت يتمنون
ما نحن فيه واذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه كيف تجدك
يا امير المومنين قال اجدني كما قال الله تع ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة الآية وقالت فاطمة
بنت عبد الملك امراة عمر بن عبد العزيز كنت اسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول اللهم اخف عليهم
موتي ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت آخر بيني وبينه
باب وهو في قبة له فسمعته يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
والعاقبة للمتقين ثم هدا فجعلت لا اسمع له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف له انظر انائم هو فلما
دخل صاح فوثب واذا هو ميت • وقيل له لما حضره الموت اعهد يا امير المومنين قال احذركم مثل
مصرعي هذا فانه لابد لكم منه • وروي انه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له بطبيب فلما نظر اليه قال ارى
الرجل قد سقي السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر اليه بصره وقال فلا تامن الموت ايضا على من لم يسق السم
قال الطبيب هل احسست بذلك يا امير المومنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فتعالج
يا امير المومنين فاني اخاف ان تذهب نفسك قال ربي خير مذهوب اليه والله لو علمت ان شفائي
عند شحمة اذني ما رفعت يدي الى اذني فتناولته اللهم خر لعمر في لقائك فلم يلبث الا اياما حتى مات

وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك يا امير المومنين ابشر فقد احيى الله سننا واظهر بك عدلا فبكى ثم قال أليس أوقف فأسئل عن امر هذا الخلق فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي ان لا تقوم بحجتها بين يدي الله الا ان يلقنها حجتها فكيف بكثير مما صنعنا وفاضت عيناه فلم يلبث الا يسيرا حتى مات ولما قرب وقت موته قال اجلسوني فاجلسوه فقال انا الذي امرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلاث مرات ولكن لا اله الا الله ثم رفع راسه فاحد النظر فقيل له في ذلك فقال اني لارى خضرة ما هم بانس ولا جن ثم قبض . وحكي عن هرون الرشيد انه انتقى اكفانه عند الموت بيده وكان ينظر اليها ويقول ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه . وفرش المامون رمادا واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه . وكان المعتصم يقول عند موته لو علمت ان عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت . وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لا بأس عليك يا امير المومنين فقال ليس الا هذا لقد ذهبت الدنيا والآخرة . وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد نظر الى صناديق له من ياخذها بما فيها ليته كان بعرا . وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فانهم يقولون انك لا تغفر لي فكان عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها ولما حكي ذلك للحسن قال اقالها قيل نعم قال عسى

بيان اقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من اهل التصوف

ولما حضرت معاذا الوفاة قال اني قد كنت اخافك وانا اليوم ارجوك اللهم انك تعلم اني لم اكن احب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الانهار ولا لغرس الاشجار ولكن لظما الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر . ولما اشتد به النزع ونزع نزعا لم ينزعه احد وكان كلما افاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب اخنقني خنقك وعزتك انك تعلم ان قلبي يحبك . ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال ما ابكي جزعا على الدنيا ولكن عهد عهده الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكون بلغة احدنا من الدنيا كزاد الراكب فلما مات سلمان نظر فيما ترك فاذا قيمته بضعة عشر درهما . ولما حضرت بلالا الوفاة قالت امراته واحزناه فقال لا بل واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه . وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون . ولما حضرت ابرهيم النخعي الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال انتظر من الله رسولا يبشرني بالجنة او بالنار . ولما حضرت ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال والله ما ابكي لذنب اعلم اني اتيته ولكن اخاف اني اتيت شيئا حسبته هينا وهو عند الله عظيم . ولما حضرت عامر بن عبد القيس الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما ابكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكن ابكي على ما يفوتني من ظما الهواجر وعلى قيام الليل في الشتاء . ولما حضرت الفضيل الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه وقال وابعد سفري وقلة زادي . ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه اجعل راسي على التراب فبكى نصر فقال ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وانت هو ذا تموت فقيرا غريبا قال اسكت فاني سالت الله ان يحييني حيوة الاغنياء وان يميتني موت الفقراء ثم قال له لقني ولا تعد علي ما لم اتكلم بكلام ثان . وقال عطاء بن يسار تبدى ابليس لرجل عند الموت فقال له ما يبكيك قال آية في كتاب الله تعالى قوله انما يتقبل الله من المتقين . ودخل الحسن على رجل يجود بنفسه فقال ان امرا هذا اوله لجدير ان يتقى آخره وان امرا هذا آخره لجدير ان يزهد في اوله . وقال الجريري كنت

عند

عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت له في هذه الحالة يا ابا القسم قال ومن اولى بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفتي . وقال رويم حضرت وفاة ابي سعيد الخراز وهو يقول . حنين قلوب العارفين الى الذكر . وتذكارهم وقت المناجاة للسر . ادبرت كؤوس المنايا عليهم . فاغفوا عن الدنيا كاغفاء ذي الشكر . همومهم جوالة بمعسكر . به اهل ود الله كالانجم الزهر . فاجسامهم في الارض قتلى بحبه . وارواحهم في الحجب نحو العلى تسري فما عرسوا الا بقرب حبيبهم . وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر . وقيل للجنيد ان ابا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال لم يكن بعجب ان يطير روحه اشتياقا . وقيل لذي النون عند موته ما تشتهي قال ان اعرفه قبل موتي ولو بلحظة . وقيل لبعضهم وهو في النزع قل الله قال الى متى تقولون وانا محترق بالله . وقال بعضهم كنت عند ممشاذ الدينوري فقدم فقير وقال السلام عليكم ههنا موضع نظيف يمكن الانسان ان يموت فيه فاشاروا اليه بمكان وكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء وركع ما شاء الله ومضى الى ذلك المكان ومد رجليه ومات . وكان ابو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه فصاحت امراة تواجدا فقال لها موتي فقامت المراة فلما بلغت باب الدار التفتت اليه فقالت قد مت ووقعت ميتة . ويحكى عن فاطمة اخت ابي علي الروذباري وكان راسه في حجري فتح عينه وقال هذه ابواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول يا ابا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وان لم تردها ثم انشا يقول . وحقك لا نظرت الى سواكا . بعين مودة حتى اراكا . اراك معذبي بفتور لحظ . وبالخد المورد من حياكا . وقيل للجنيد قل لا اله الا الله فقال ما نسيته فاذكره . وسال جعفر بن نصير بكران الدينوري خادم الشبلي ما الذي رايت منه عند موته فقال قال علي درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل اعظم منه ثم قال وضيني للصلوة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد امسك على لسانه فقبض على يدي وادخلها لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره ادب من آداب الشريعة وقيل لبشر بن الحارث لما احتضر وكان يشق عليه كانك تحب الحيوة فقال القدوم على الله شديد وقيل لصالح بن مسمار الا توصي بابنك وعيالك فقال اني لاستحيي من الله ان اوصي بهم الى غيره . ولما احتضر ابو سليمن الداراني اتاه اصحابه فقالوا ابشر فانك تقدم على رب غفور فقال لهم الا تقولون تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير . ولما احتضر الواسطي قيل له اوصني قال احفظوا مراد الحق فيكم واحتضر احد فبكت امراته فقال لها ما يبكيك فقالت عليك ابكي فقال لها ان كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم اربعين سنة . وقال الجنيد دخلت على سري السقطي اعوده في مرض موته فقلت كيف تجدك فانشا يقول . كيف اشكو الى طبيبي ما بي . والذي بي اصابني من طبيبي . فاخذت المروحة لاروحه فقال كيف يجد روح المروحة من جوفه يحترق ثم انشا يقول القلب محترق والدمع مستبق . والكرب مجتمع والصبر مفترق . كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق . يا رب ان يك شيء فيه لي فرج . فامنن علي به ما دام بي رمق وحكي ان قوما من اصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له قل لا اله الا الله فانشا يقول

ان بيتًا انت ساكنه ، غير محتاج الى السرج ، وجهك المأمول حجتنا ، يوم يأتي الناس بالحجج ، لا اتاح الله لي فرجًا ، يوم ادعو منك بالفرج . وحكي ان العباس بن عطاء دخل على الجنيد في وقت نزعه فسلم عليه فلم يجبه الجنيد ثم اجاب بعد ساعة وقال له اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولى وجهه الى القبلة وكبر ومات وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقترب اجلي ما اخبرتكم وقفت على باب قلبي اربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه . وحكي عن المعتمر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات الموت فانه كان وكان فذكرت محاسنه فافاق فقال من المتكلم فقلت انا فقال ان ملك الموت عليه السلام قال لي اني بكل سخي رفيق ثم طفى ولما حضرت يوسف بن اسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقا فقال يا ابا محمد هذا اوان القلق والجزع فقال يا عبد الله وكيف لا اقلق ولا اجزع ولا اعلم اني صدقت الله في شيء من عملي فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته انه لا يعلم انه صدق الله تع في شيء من عمله . وعن المغازلي قال دخلت على شيخ من اصحاب هذه القصة وهو عليل وهو يقول اعلمك ان تفعل بي ما تريد فارفق ودخل بعض المشايخ على ممشاد الدينوري في وقت وفاته فقال له فعل الله تع وصنع من باب الدعا فضحك ثم قال منذ ثلثين سنة يعرض علي الجنة بما فيها فما اعرتها طرفي وقيل لرويم عند الموت قل لا اله الا الله فقال ابس الحيم امرء . ودخل المزني على الشافعي في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف اصبحت يا ابا عبد الله فقال اصبحت من الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا وبكاس المنية شاربا وعلى الله تع واردا ولا ادري اروحي تصير الى الجنة فاهنيها ام الى النار فاعزيها ثم انشا يقول . ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ، جعلت رجائي نحو عفوك سلما ، تعاظمني ذنبي فلما قرنته ، بعفوك ربي كان عفوك اعظما . فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ، تجود وتعفو منة وتكرما ، ولولاك لم يسلم من ابليس عابد ، وكيف وقد اغوى صفيك آدما . ولما حضرت احمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسئلة فدمعت عيناه وقال يا بني باب كنت ادقه خمسا وتسعين سنة هو ذا يفتح لي الساعة لا ادري ايفتح لي بالسعادة او بالشقاوة فانى لي اوان الجواب فهذه اقاويلهم وانما اختلفت بحسب اختلاف احوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب فتكلم كل واحد منهم على مقتضى حاله والجميع صحيح بالاضافة الى احوالهم

الباب السادس في اقاويل القاعدين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور

اعلم ان الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير الا لاهل الغفلة فانه لا يزيدهم مشاهدتها الا قساوة لانهم يظنون انهم ابدا الى جنازة غيرهم ينظرون ينظرون ولا يحسبون انهم لا محالة على الجنائز يحملون ويحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون ان المحمولين على الجنائز كلهم هكذا كانوا يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظرن عبد الى جنازة الا ويقدر نفسه محمولا عليها فانه محمول عليها على القرب وكأن قد ولعله في غد او بعد غد . ويروى عن ابي هريرة انه كان اذا راى جنازة قال امض فانا على الاثر . وكان مكحول الدمشقي اذا راى جنازة قال اغد فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لا عقل له وقال اسيد بن الحضير ما شهدت جنازة فحدثت نفسي بسوى ما هو مفعول به وما هو صائر اليه

ولما

ولما مات اخو مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما ذا صار ولا اعلم ذلك ما دمت حيا وقال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متقنعا باكيا فهكذا كان خوفهم من الموت والان فلا ننظر الى جماعة يحضرون جنازة الا ونرى اكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون الا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر اقرانه واقاربه الا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد في جنازة نفسه وفي حاله اذا حمل عليها الا من شاء الله ولا سبب لهذه الغفلة الا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تع واليوم الآخر والاهوال التي بين ايدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا فنسال الله اليقظة من هذه الغفلة فان احسن احوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت فلو عقلوا لبكوا على انفسهم لا على الميت . نظر ابراهيم الزيات الى اناس يترحمون على ميت فقال لو ترحمون انفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من اهوال ثلاثة وجه ملك الموت قد راى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن قال ابو عمرو بن العلاء جلست الى جرير وهو يملي على كاتبه شعرا فاطلع على جنازة فامسك وقال شيبتني والله هذه الجنائز وانشا يقول . تروعنا الجنائز مقبلات ، ونلهو حين تذهب مدبرات ، كروعة ثلة لمغار ذيب ، فلما غاب عادت راتعات ، فمن آداب حضور الجنائز التفكر والتنبه والاستعداد والمشي امام الجنازة على هيئة التواضع كما ذكر آدابها وسننها في فن الفقه ومن آدابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة مخطرة لا يدرى حقيقتها ولذلك روي عن عمر بن ذر انه مات واحد من جيرانه وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس جنازته فحضر عمر بن ذر وصلى عليها فلما ادلي في قبره وقف على شفير القبر وقال رحمك الله يا ابا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا . ويحكى ان رجلا من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امراته من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها احد من جيرانه لكثرة فسقه فاستاجرت حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليها احد فحملتها الى الصحراء للدفن وكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار فرآه كالمنتظر للجنازة فقصد ان يصلي عليها فانتشر الخبر في البلد بان الزاهد نزل ليصلي على فلان فخرج اهل البلد فصلى الزاهد عليه وصلى الناس معه وتعجب الناس من صلوة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام انزل الى الموضع الفلاني ترى فيه جنازة ليس معها الا امراة فصل عليها فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امراته وسالها عن حاله وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين منه شيئا من اعمال الخير قالت نعم ثلاثة كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح فيبدل ثيابه ويتوضأ ويصلي الصبح بالجماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق والثاني انه كان ابدا لا يخلو بيته عن يتيم او يتيمين وكان احسانه اليهم اكثر من احسانه لاولاده وكان شديد التفقد لهم والثالث انه كان يفيق في اثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب اي زاوية من زوايا جهنم تريد ان تملأها بهذا الخبيث ويعني بذلك نفسه فانصرف

الزاهد وقد ارتفع اشكاله في امره • وعن صلة بن اشيم وقد دفن اخا له فقال على قبره • فان تنج منها
تنج من ذي عظيمة • والا فاني لا اخالك ناجيا **بيان حال القبر واقاويلهم على القبور** قال
الضحاك قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا
وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من اهل القبور وقيل لعلي رضي الله عنه ما
شانك جاورت المقبرة قال اني اجدهم خير جيران اني اجدهم جيران صدق يكفون الالسنة
ويذكرون الآخرة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما رايت منظرا الا والقبر افظع منه وقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى المقابر فجلس الى قبر فكنت ادنى القوم منه
فبكى وبكيت وبكوا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر امي آمنة بنت وهب استاذنت
ربي في زيارتها فاذن لي فاستاذنته في ان استغفر لها فابى فادركني ما يدرك الولد من الرقة
وكان عثمان بن عفان اذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار
فلا تبكي وتبكي اذا وقفت على قبر فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر اول منزل من منازل
الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج منه فما بعده اشد وقيل ان عمرو بن العاص نظر
الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه فقال ذكرت اهل القبور وما حيل بينهم
وبينه فاحببت ان اتقرب الى الله بهما وقال مجاهد اول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول انا بيت الدود
وبيت الوحدة وبيت الوحشة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما اعددت لك فما اعددت لي وقال
ابو ذر الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري • وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له في
ذلك فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي وان قمت لم يغتابوني • وكان جعفر بن محمد ياتي القبور
ليلا ويقول يا اهل القبور ما لي اذا دعوتكم لا تجيبوني ثم يقول حيل والله بينهم وبين جوابي وكاني
اكون مثلهم فيستقبل الصلوة الى طلوع الفجر وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد
ارقت الليلة تفكرا في القبر وساكنه انك لو رايت الميت بعد ثالثة في قبره لاستوحشت من
قربه بعد طول الانس منك به ولرايت بيتا تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخترقه الديدان
مع تغير الريح وبلى الاكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب ثم شهق شهقة خر
مغشيا عليه • وكان يزيد الرقاشي يقول ايها المقبور في حفرته والمتخلي في القبر بوحدته المستانس
في بطن الارض باعماله ليت شعري باي اعمالك استبشرت وباي اخوانك اغتبطت ثم بكى حتى تبل لحيته ثم يقول
استبشر والله باعماله الصالحة واغتبط والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان اذا نظر الى
القبور خار كما يخور الثور وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان
نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول يا اماه ليتك كنت عقيما ان لابنك في القبر حبسا طويلا
ومن بعد ذلك منه رحيلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم دعاك ربك الى دار السلام فانظر من اين
تجيبه ان اجبته من دنياك فاشتغلت بالرحلة اليها دخلتها وان اجبته من قبرك منعتها وكان
الحسن بن صالح اذا اشرف على المقابر يقول ما احسن ظواهرك انما الدواهي في باطنك • وكان عطاء
السلمي اذا جن عليه الليل خرج الى المقبرة فوقف ثم يقول يا اهل القبور متم فوا موتاه وعاينتم اعمالكم

فوا عملاه ثم يقول غدا عطاء في القبر فلا يزال كذلك دابه حتى يصبح وقال سفين من اكثر ذكر
القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكر القبر وجده حفرة من حفر النار وكان
الربيع بن خثيم قد حفر في داره قبرا فكان اذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما
شاء الله ثم يقول رب ارجعوني لعلي اعمل صالحا فيما تركت يردده ثم يرد على نفسه يا ربيع قد
رجعتك فاعمل وقال احمد بن حرب تتعجب الارض من رجل يمهد مضجعه ويسوي فراشه
للنوم تقول يا ابن آدم لم لا تتذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء وقال ميمون بن مهران خرجت
مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى ثم اقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني امية كانهم
لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم اما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات واستحكم فيهم
البلى واصابت الهوام مقيلا في ابدانهم ثم بكى وقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور
قد امن من عذاب الله وقال ثابت البناني دخلت المقابر فلما اردت ان اخرج منها اذا
بصوت قائل يقول يا ثابت لا يغرنك صموت اهلها فكم من نفس مغمومة فيها • ويروى ان فاطمة
بنت الحسين نظرت الى جنازة زوجها الحسن بن الحسين فغطت وجهها وقالت • وكانوا رجاء ثم
امسوا رزية • لقد عظمت تلك الرزايا وجلت • وقيل انها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت
عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع
هل وجدوا ما فقدوا فسمعوا من الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا وقال ابو موسى التميمي توفيت
امراة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه اهل البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا ابا فراس ما
ذا اعددت لهذا اليوم قال شهادة ان لا اله الا الله منذ ستين سنة فلما دفنت قام الفرزدق على
قبرها فقال • اخاف وراء القبر ان لم تعافني • اشد من القبر التهابا واضيقا • اذا جاءني يوم القيمة
قائد • عنيف وسواق يسوق الفرزدقا • لقد خاب من اولاد آدم من مشى • الى النار مغلول
القلادة ازرقا • وقد انشدوا في اهل القبور • قف بالقبور وناد في ساحاتها • من منكم المغمور
في ظلماتها • ومن المكرم منكم في قعرها • قد ذاق برد الامن من روعاتها • اما السكون
لذا العيون فواحد • لا يستبين الفضل في درجاتها • لو جاوبوك فاخبروك بالسن • تصف
الحقائق بعد من حالاتها • اما المطيع فنازل في روضة • تفضي الى ما شاء من دوحاتها • والمجرم
الطاغي بها متقلب • في حفرة ياوي الى حياتها • وعقارب تسعى اليه وروحه • في شدة
التعذيب من لدغاتها • ومر داود الطائي على امراة تبكي على قبر وهي تقول • عدمت الحيوة
ولا نلتها • اذا انت في القبر قد الحدوكا • وكيف اذوق لذيذ الكرى • وانت بيمناك قد وسدوكا •
ثم قالت يا ابناه ليت شعري باي خديك بدا الدود فصعق داود مكانه وخر مغشيا عليه و
قال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فانشات اقول • اتيت القبور فناديتها • اين المعظم و
المحتقر • واين المدل بسلطانه • واين المزكي اذا ما افتخر • قال فنوديت من بينهم اسمع
صوتا ولا ارى شخصا وهو يقول • تفانوا جميعا فلا مخبر • وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى • فتمحو محاسن تلك الصور • فيا سائلي عن اناس مضوا • اما لك فيما ترى

معتبر • لقد قلّدا القوم أوزارهم • فأما نعيم وأما سقر • قال فرجعت وأنا أبكي أبيات وُجدت مكتوبة على القبور وُجد على قبر مكتوبا • تناجيك أجداث وهن سكوت • وسكانها تحت التراب صموت • أيا جامع الدنيا لغير بلاغه • لمن تجمع الدنيا وأنت تموت • وعلى قبر آخر • أيا غانم أما ذراك فواسع • وقبرك معمور الجوانب محكم • وما ينفع المقبور عمران قبره • إذا كان فيه جسمه يتهدم • قال ابن السماك مررت بالمقابر فإذا على قبر مكتوب • يمر أقاربي بجنبات قبري كأن أقاربي لم يعرفوني • ذووا الميراث يقتسمون مالي • وما يألون أن جحدوا ديوني • وقد أخذوا سهامهم وعاشوا • فيا الله أسرع ما نسوني • ووجد على قبر مكتوبا • إن الحبيب من الأحباب مختلس لا يمنع الموت بواب ولا حرس • فكيف تفرح بالدنيا ولذتها • يا من يعد عليه اللفظ والنفس أصبحت يا غافلا في النقص منغمسا • وأنت دهرك في اللذات منغمس • لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ولا الذي كان منه العلم يقتبس • كم أخرس الموت في قبر مررت به • عن الجواب لسانا ما به خرس قد كان قصرك معمورا له شرف • وقبرك اليوم في الأجداث مندرس • ووجد على قبر مكتوبا وقفت على الأحبة حين صفت • قبورهم كأفراس الرهان • فلما أن بكيت وفاض دمعي • رأت عيناي بينهم مكاني • ووجد على قبر طبيب مكتوبا • قد قلت لما قال لي قائل • قد صار لقمان إلى رمسه • فأين ما يوصف من طبه • وحذقه في الماء مع جسه • هيهات لا يدفع عن غيره • من كان لا يدفع عن نفسه • ووجد على قبر مكتوبا • يا أيها الناس كان لي أمل • قصر بي عن بلوغه الأجل فليتق الله ربه رجل • أمكنه في حياته العمل • ما أنا وحدي نقلت حيث ترى • كل إلى مثله سينتقل فهذه أبيات كتبت على القبور لتقصير ساكنيها عن الاعتبار قبل الموت والبصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم واحد من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها لأنهم عرفوا قدر الأعمال وانكشفت لهم حقائق الأمور وإنما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص عن العقاب وليستزيد الموفق به رتبة فيتضاعف له الثواب فإنهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحيوة وأنت قادر على تلك الساعة ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الأمر عن الاختيار إن لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رأيت أخا لي في الله فيما يرى النائم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين فقال لأن أقدر على أن أقولها يعني الحمد لله رب العالمين أحب من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنوني فإن فلانا قام فصلى ركعتين لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إلي من الدنيا وما فيها

بيان أقاويلهم عند موت الولد

حق على من مات ولده أو قريب من أقاربه أن ينزله في تقدمه عليه في الموت منزلة ما لو كان في سفر يسبقه ولده إلى البلد الذي هو مستقره ووطنه فإنه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه بأنه لاحق به على القرب وليس بينهما إلا تقدم وتأخر وهكذا الموت فإن معناه السبق إلى الوطن إلى أن يلحق المتأخر فإذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يتعزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أقدم سقطا أحب إلي من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله وإنما ذكر السقط تنبيها بالأدنى على الأعلى وإلا فالثواب على قدر محل الولد من القلب قال زهير بن أسلم توفي ابن لداود عليه السلم فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك قال ملء الأرض ذهبا قيل له فإن لك من الأجر مثل ذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار فقالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اثنان قال أو اثنان وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فإنه أرجى دعاء وأقربه للاستجابة ووقف محمد بن سليمن على قبر ولده فقال اللهم إني أصبحت أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي • ووقف أبو سنان على قبر ولده فقال اللهم إني قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فإنك أجود وأكرم • ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال اللهم إني قد وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك • ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه عمر بن ذر بعدما وضع في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم إن هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتي اللهم فما وعدتني عليه من الأجر في مصيبتي فقد وهبت له ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فأبكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا إلى أحد مع الله حاجة ولقد مضينا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك • ونظر رجل إلى امرأة بالبصرة فقال ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك إلا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله إني لفي حزن شديد ما يشركني فيه أحد قلت وكيف قالت إن زوجي ذبح شاة يوم الأضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان فقال أكبرهما للآخر أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة قال نعم فأخذه فذبحه فما شعرنا به إلا متشحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ إلى الجبل فرهقه ذئب فأكله وخرج أبوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فأفردني الدهر كما ترى فأمثال هذه المصائب ينبغي أن تذكر عند موت الأولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع فما من مصيبة إلا ويتصور ما هو أعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الأكثر

بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرك مع الاعتبار وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن فيها وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكرة للآخرة غير أن لا تقولوا هجرا وزار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه في ألف مقنع فلم ير باكيا أكثر من يومئذ وفي ذلك اليوم قال صلى الله عليه وسلم أذن لي في الزيارة دون الاستغفار كما رويناه من قبل وقال ابن أبي مليكة أقبلت عائشة رضي الله عنها يوما من المقابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبر أخي عبد الرحمن فقلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم أمر بها ولا ينبغي أن يتمسك بهذا فيؤذن للنساء في الخروج إلى المقابر فإنهن يكثرن الهجر على رؤس

المقابر فلا يفي خير زيارتهن بشرها ولا يخلون في الطريق عن تكشف وتبرج وصنع عظائم والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لاجلها نعم لا باس بخروج المراة في ثياب بذلة تردّ اعين الرجال وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على راس القبر وقال ابو ذر قال لي النبي صلى الله عليه وسلم زر القبور تذكر بها الآخرة واغسل الموتى فان في معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصلّ على الجنائز لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين في ظل الله وقال ابن ابي مليكة قال النبي صلى الله عليه وسلم زوروا موتاكم فسلموا عليهم وصلوا عليهم فان لكم فيهم عبرة • وعن نافع ان ابن عمر كان لا يمر بقبر واحد الا وقف عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن ابيه ان فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة في الايام فتصلي وتبكي عنده وقال صلى الله عليه وسلم من زار قبر ابويه او احدهما في كل جمعة غفر له وكتب برًّا • وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فكتبه الله من البارين وقال صلى الله عليه وسلم من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي وقال صلى الله عليه وسلم من زار بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة وقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج صلى الله عليه وسلم في سبعين الفا من الملائكة يزفونه والمستحب في زيارة القبور ان يقف مستدبر القبلة مستقبلا لوجه الميت وان يسلم ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فان ذلك من عادة النصارى قال نافع كان ابن عمر رايته مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي صلى الله عليه وسلم السلام على ابي بكر السلام على ابي وينصرف • وعن ابي امامة قال رايت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استانس به ورد عليه حتى يقوم وقال سليمان بن سحيم رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين ياتونك ويسلمون عليك اتفقه سلامهم قال نعم واردّ عليهم وقال ابو هريرة اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وقال رجل من آل عاصم الجحدري رايت عاصما في منامي بعد موته بسنين فقلت اليس قد مت قال بلى قلت فاين انت قال انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى اخباركم فقلت اجسامكم ام ارواحكم فقال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال فقلت هل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه • وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو اخرت الى الاثنين فقال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل له وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة

وقال

وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجنازة ليشهد الصلوة على الجنائز فاذا امسى وقف على باب المقابر فقال آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فامسيت ذات ليلة فانصرفت الى اهلي ولم آت المقابر فادعو كما كنت ادعو فبينا انا نائم اذا انا بخلق كثير قد جاءوني قلت ما انتم وما حاجتكم قالوا نحن اهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا انك كنت عودتنا منك هدية عند انصرافك الى اهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو بهن قلت فاني اعود لذلك فما تركتها بعد ذلك وقال بشار بن غالب النجراني رايت رابعة العدوية في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشار بن غالب هداياك تاتينا على اطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذلك قالت هكذا دعاء المؤمنين الاحياء اذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على اطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم اتي به الميت فقيل هذه هدية فلان اليك وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما الميت في قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابنه او اخيه او صديق له فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار وقال بعضهم مات اخ لي فرايته في المنام فقلت له ما كان حالك حين وضعت في قبرك قال اتاني آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لي لرايت انه سيضربني به • وعن من التلقين الميت بعد الدفن والدعاء له وقال ابو قلابة اقبلت من الشام الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين ثم وضعت راسي على قبر فنمت فاذا صاحب القبر يشكوني يقول لقد آذيتني منذ الليلة ثم قال انكم تعلمون وتقدرون على العمل ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله اهل الدنيا عنا خيرا اقرئهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم نور امثال الجبال قال سعيد بن عبد الله شهدت ابا امامة الباهلي وهو في النزع فقال يا با سعيد اذا مت فاصنعوا بي كما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا مات احدكم فسويتم عليه التراب فليقم احدكم على قبره ثم يقول يا فلان بن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة فانه يقول ارشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا ياخذ كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما نقعد عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم امه قال فلينسبه الى حواء • ولا باس بقراءة القرآن على القبر روي عن علي بن موسى الحداد قال كنت مع احمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرا عند القبر فقال له احمد يا هذا ان القراءة على القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد يا ابا عبد الله ما تقول في مبشر بن اسمعيل بن عبد الرحمن بن العلاء بن الجلاج فقال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا قال نعم قال اخبرني مبشر بن اسمعيل الحلبي عن ابيه انه

اوصى اذا دفن ان يقرا عند راسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له احمد فارجع الى الرجل فقل له يقرا وقال محمد بن المروزي سمعت احمد يقول اذا دخلتم المقابر فاقرؤا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله احد واجعلوا ثواب ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار وللمزور الانتفاع بالدعاء فلا ينبغي ان يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار بالموتى وانما يحصل له الاعتبار بان يصور في قلبه الميت كيف تفرقت اجزاؤه وكيف يبعث من قبره وانه على القرب سيلحق به كما روى عن مطرف بن ابي بكر الهذلي قال كانت عجوز في عبد القيس متعبدة وكانت اذا جاء الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب واذا جاء النهار خرجت الى القبور فبلغني انها عوتبت في كثرة اتيانها المقابر فقالت ان القلب القاسي اذا جفا لم يلينه الا رسوم البلى واني لآتي القبور فكاني انظر وقد خرجوا من بين اطباقها وكاني انظر الى تلك الوجوه المتعفرة والى تلك الاجسام المتغيرة والى تلك الاكفان الدسمة فيا لها من نظرة لو اشربها العباد قلوبهم ما انكل مرارتها للانفس واشد اتلافها للابدان بل ينبغي ان يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه بعض الفقهاء فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لو رايتني بعد ثلاثة في قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان على الاسنان وخرج الصديد من الفم ونتا البطن فعلا على الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من المناخر لرايت اعجب مما رايته الان ويستحب ايضا الثناء على الميت وان لا يذكر الا بالجميل قالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير فانهم ان يكونوا من اهل الجنة تاثموا وان يكونوا من اهل النار بحسبهم ما هم فيه وقال انس بن مالك مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاثنوا عليه خيرا فقال عليه السلام وجبت ومروا باخرى فاثنوا شرا فقال وجبت فساله عمر عن ذلك فقال ان هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وانتم شهداء الله في الارض وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليموت فيثني عليه القوم الثناء الذي يعلم الله منه غيره فيقول تعالى لملائكته اشهدكم اني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي

الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت

اعلم ان الناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد اخطاوا فيها فظن بعضهم ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا نشر وان لا عاقبة للخير والشر وان موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا راي الملحدة وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وظن قوم انه ينعدم بالموت ولا يتالم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر الى ان يعاد في وقت الحشر وقال آخرون ان الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب هي الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر اصلا وكل هذه الظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي يشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والاخبار ان الموت معناه تغير حال فقط وان الروح باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة واما منعمة ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضاء آلات للروح تستعملها حتى انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الاشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح فالروح تعلم الاشياء بنفسها من غير آلة ولذلك قد تتالم بنفسها بانواع الحزن والغم والكمد وتتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالاعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها يبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الاعضاء فيتعطل بموت الجسد الى ان تعاد الروح الى الجسد ولا يبعد ان تعاد الى الجسد في القبر ولا يبعد ان يؤخر الى يوم البعث والله اعلم بما حكم به على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل اعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيها وبشدة تقع في الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الاعضاء وقد استعصى عليها بعض الاعضاء والموت عبارة عن استعصاء الاعضاء كلها وكل الاعضاء آلات والروح هي المستعملة لها واعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم والآلام والغموم ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم يبطل منها العلوم والادراكات ولم يبطل منها الافراح والغموم ولم يبطل منها قبولها للآلام واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك لا يموت اي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن ان يكون آلة له كما ان معنى الزمانة خروج اليد والرجل عن ان تكون آلة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الاعضاء كلها وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهي باقية نعم تغير حاله من وجهين احدهما انه سلب عنه اذنه وعينه ولسانه ويده ورجله وجميع اعضائه وسلب منه اهله وولده واقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر املاكه فلا فرق بين ان تسلب هذه الاشياء من الانسان وبين ان يسلب الانسان من هذه الاشياء فان المولم هو الفراق والفراق يحصل تارة بنهب مال الرجل وتارة بان يسبى الرجل عن المال والالم واحد في الحالتين وانما معنى الموت سلب الانسان عن امواله بازعاجه الى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فان كان له في الدنيا شيء يانس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم عليه تحسره بعد الموت ويعظم شقاؤه بمفارقته بل يلتفت قلبه الى شيء من امواله وجاهه وعقاره حتى الى قميص كان يلبسه مثلا ويفرح به وان لم يكن يفرح الا بذكر الله ولم يانس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته اذ خلي بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل اذ جميع اسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله فهذا احد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحياة والثاني انه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفا له في الحياة كما ينكشف للمستيقظ ما لم يكن مكشوفا له في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع اعماله فلا ينظر الى سيئة الا ويتحسر عليها تحسرا يؤثر ان يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ويكشف

كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق اعني فراق ما كان يطمئن اليه من متع الدنيا الفانية دون ما اراد منها لاجل الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة اذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم ياخذ من الدنيا الا قدر الضرورة وكان يود ان ينقطع ضرورته ليستغني عنه فقد حصل له ما كان يوده وهذه انواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه الى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد يعفى عنه ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحريمه اعتمادا على ان الملك يتساهل في امره او على ان الملك ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح افعاله فاخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دون فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت الى من يتشفع اليه في العصاة عليه فانظر الى حال هذا الماخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن اليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته نعوذ بالله من ذلك فان الخزي والافتضاح وهتك الستر اعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها اولوا الابصار بمشاهدة باطنة اقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحيوة ومعرفة الحيوة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتكلم فيها ولا ان يزيد على ان يقول الروح من امر ربي فليس لاحد من علماء الدين ان يكشف عن سر الروح وان اطلع عليه وانما الماذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام ادراكها آيات واخبار كثيرة اما الآيات فما ورد في الشهداء اذ قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله ولما قتلت صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون على الجواب فهذا نص على بقاء روح الشقي وبقاء ادراكها ومعرفتها والآية نص في ارواح الشهداء ولا يخلو الميت عن سعادة او شقاوة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النار واما روضة من رياض الجنة وهذا نص صريح في ان الموت معناه تغير حال فقط وان ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تاخر وانما يتاخر بعض انواع الثواب والعقاب دون اصله وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الموت القيمة من مات فقد قامت قيامته وقال صلى الله عليه وسلم اذا مات احدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار يقال هذا مقعدك حتى

يبعثك الله اليه يوم القيمة وليس يخفى ما في مشاهدة المقعد من عذاب ونعيم في الحال وعن ابي قيس قال كنا مع علقمة في جنازة فقال اما هذا فقد قامت قيامته وقال علي رضي الله عنه حرام على كل نفس ان تخرج من الدنيا حتى تعلم من اهل الجنة هي ام من اهل النار وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات غريبا مات شهيدا ووقي فتان القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة وقال مسروق ما غبطت مؤمنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وامن من عذاب الله وقال يعلى بن الوليد كنت امشي يوما مع ابي الدرداء فقلت له ما تحب لمن تحب قال الموت قلت فان لم يمت قال يقل ماله وولده وانما احب الموت لانه لا يحبه الا المؤمن والموت اطلاق المؤمن من السجن وانما احب قلة الولد والمال لانه فتنة وسبب للانس بالدنيا والانس بمن لا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال عبد الله بن عمرو انما مثل المؤمن حين تخرج نفسه او روحه مثل رجل كان في سجن فاخرج منه فهو يتفسح في الارض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له انس الا بذكر الله وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه وكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به انسه من غير عائق ولا دافع وما اجدر ذلك بان يكون منتهى النعيم واللذات واكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لانهم ما اقدموا على القتال الا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين الى لقاء الله راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا بالآخرة والبائع لا يلتفت قلبه الى المبيع وان نظر الى الآخرة فقد اشتراها وتشوق اليها فما اعظم فرحه بما اشتراه اذا رآه وما اقل التفاته الى ما باعه اذا فارقه وتجرد القلب لحب الله قد يتفق في بعض الاحوال ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير والقتال سبب الموت فكان سببا لادراك الموت على مثل هذه الحالة فلهذا عظم النعيم اذ معنى النعيم ان ينال الانسان ما يريده قال الله تعالى ولهم فيها ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لمعاني لذات الجنة واعظم العذاب ان يمنع الانسان عن مراده كما قال وحيل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة لعقوبات اهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد لما انقطع من الدنيا من غير تاخير وهو امر انكشف لارباب القلوب بنور اليقين وان اردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع احاديث الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى النعيم بعبارة اخرى فقد روي عن عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لجابر الا ابشرك وكان قد استشهد ابوه فقال ان الله احيى اباك فاقعده بين يديه فقال تمن علي عبدي ما شئت اعطيكه فقال يا رب ما عبدتك حق عبادتك اتمنى عليك ان تردني الى الدنيا فاقاتل مع نبيك فاقتل فيك مرة اخرى قال له انه قد سبق مني انك اليها لا ترجع وقال كعب وجد رجل في الجنة تبكي فقيل له لم تبكي وانت في الجنة فقال ابكي اني لم اقتل في الله الا قتلة واحدة وكنت اشتهي ان ارد فاقتل في الله قتلات واعلم ان المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما يكون الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب الى بستان واسع الاكناف لا يبلغ طرفه اقصاه وفيه انواع الاشجار والازهار والطيور والثمار ولا يشتهي العود الى

الدنيا السجن المظلم وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً فقال لرجل مات اصبح هذا مرتحلاً
من الدنيا وتركها لاهلها فان كان قد رضي فلا يسره ان يرجع الى الدنيا كما لا يسر احدكم ان
يرجع الى بطن امه فعرفك بهذا ان نسبة سعة الاخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم
وقال صلى الله عليه وسلم ايضا ان مثل المومن في الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا خرج من
بطنها بكى على مخرجه حتى اذا راى الضوء ووضع لم يحب ان يرجع الى مكانه وكذلك المومن يجزع من
الموت فاذا افضى الى ربه لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه وقيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا مات فقال مستريح او مستراح منه اشار بالمستريح الى
المومن وبالمستراح منه الى الفاجر اذ يستريح اهل الدنيا منه وقال ابو عمر صاحب السقيا مررنا
بابن عمر ونحن صبيان فنظر الى قبر فاذا جمجمة بادية فامر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان
ليس يضرها هذا الثرى شيئا وانما الارواح التي تعاقب وتثاب الى يوم القيامة وعن عمرو بن دينار قال
ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم
وقال مالك بن انس بلغني ان ارواح المومنين مرسلة تذهب حيث شاءت وقال
النعمان بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول الا انه لم يبق من الدنيا
الا مثل الذباب يمر في جوها فالله الله في اخوانكم من اهل القبور فان اعمالكم تعرض عليهم وقال ابو هريرة
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضحوا امواتكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم من اهل القبور
ولذلك قال ابو الدرداء اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند عبد الله بن رواحة وهو خاله
وكان قد مات وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن ارواح المومنين اذا ماتوا اين هي قال في صور طير بيض
في ظل العرش وارواح الكافرين في الارض السابعة قال ابو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلعم
يقول ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره وقال صالح المري بلغني ان
الارواح تتلاقى عند الموت فتقول ارواح الموتى للروح التي تخرج اليهم كيف كان ماواك وفي اي الجسدين
كنت في طيب او خبيث وقال عبيد بن عمير اهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا اتاهم الميت قالوا
ما فعل فلان فيقول الم ياتكم او ما قدم عليكم فيقولون لا فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك
به غير سبيلنا • وعن جعفر بن سعيد قال اذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغايب
وقال مجاهد ان الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره • وروى ابو ايوب الانصاري عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ان نفس المومن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في
الدنيا يقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه في كرب شديد فيسالونه ماذا فعل فلان وما فعلت كانه
فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سالوه عن رجل مات قبله فقال انه مات قبلي قالوا انا لله وانا اليه راجعون
ذهب به الى امه الهاوية

بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى

اما بلسان الحال الذي هو افصح
في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الاحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت
حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي الم تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت
الدود ما غرك بي اذ كنت تمر بي فذاذا فان كان مصلحا اجاب عنه مجيب القبر فيقول ارايت ان كان
آدم

يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر اني اذا اتحول عليه خضرا ويعود جسمه نورا ويصعد روحه
الى الله والفذ هو الذي يتقدم رجلا ويوخر اخرى كذلك فسره الراوي وقال عبيد بن عمير الليثي
ليس من ميت يموت الا نادته حفرته التي يدفن فيها انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت
في حياتك مطيعا لله كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا فانا عليك اليوم نقمة انا الذي
من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن دخلني عاصيا خرج مثبورا وقال محمد بن صبيح بلغنا ان
الرجل اذا وضع في قبره فعذب واصابه ما يكره ناداه جيرانه من الموتى ايها المتخلف في الدنيا بعد
اخوانه وجيرانه اما كان لك فينا معتبر اما كان لك في تقدمنا اياك فكرة اما رايت انقطاع
اعمالنا عنا وانت في المهلة فهلا استدركت ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض ايها المغتر بظاهر
الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من اهلك في بطن الارض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به اجله الى القبر
وانت تراه محمولا تتهاداه احبته الى المنزل الذي لا بد له منه وقال يزيد الرقاشي بلغني ان
الميت اذا وضع في قبره احتوشته اعماله ثم انطقها الله فقالت ايها العبد المنفرد في حفرته انقطع
عنك الاخلاء والاهلون فلا انيس لك اليوم عندنا وقال كعب اذا وضع العبد الصالح
في القبر احتوشته اعماله الصالحة الصلوة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال فتجيء ملائكة العذاب
من قبل رجليه فتقول الصلوة اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد اطال بي القيام لله عليهما فياتونه من قبل
راسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد اطال ظماه لله في دار الدنيا فياتونه من قبل جسده
فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد انصب نفسه واتعب بدنه وحج وجاهد لله لا سبيل لكم عليه قال
فياتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى
وقعت في يد الله ابتغاء وجه الله فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا
قال وتاتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويوتى بقنديل من
الجنة فيستضيء بنوره الى يوم يبعثه الله من قبره وقال عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة
بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء
الا قبره يقول ويحك يا ابن آدم اليس قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي
فما اعددت لي

بيان عذاب القبر وسوال منكر ونكير

قال البراء بن عازب خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره
منكسا راسه ثم قال اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ثلثا ثم قال ان المومن اذا كان في قبل
من الاخرة بعث الله اليه ملائكة كان وجوههم الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره
فاذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وفتحت ابواب السماء فليس
منها باب الا يحب ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه قيل اي رب عبدك فلان فيقول
ارجعوه فاروه ما اعددت له من الكرامة فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الاية وانه ليسمع خفق
نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام
ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم قال فينتهرانه انتهارا شديدا وهي آخر فتنة تعرض على الميت فاذا قال

ذلك نادى منادٍ أن صدقت وهو معنى قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا
الآية ثم يأتيه آتٍ حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب فيقول له ابشر برحمة من ربك وجنات
فيها نعيم مقيم فيقول وانت فبشرك الله بخير من انت فيقول انا عملك الصالح والله ما علمت إن
كنت لسريعًا في طاعة الله بطيئًا عن معصية الله فجزاك الله خيرًا ثم قال ينادي منادٍ ان افرشوا له من
فرش الجنة وافتحوا له بابًا الى الجنة فيفرش له فرش من الجنة ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام
الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي قال واما الكافر فانه اذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع
من الدنيا نزلت اليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت
نفسه لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وغلقت ابواب السماء فليس منها باب
الا يكره ان يدخل بروحه منه فاذا اصعد بروحه نبذ وقيل اي رب عبدك فلان لم يقبله سماء ولا
ارض فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له من الشر اني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الآية
وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول
لا ادري فيقول لا دريت ثم يأتيه آتٍ قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول ابشر بسخط من
الله وبعذاب اليم مقيم فيقول بشرك الله بشر من انت فيقول انا عملك الخبيث والله ان كنت لسريعًا
في معصية الله بطيئًا عن طاعة الله فجزاك الله شرًا فيقول وانت جزاك الله شرًا ثم يقيض له اصم
اعمى ابكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع الثقلان على ان يقلوها لم يستطيعوا لو ضرب بها جبل
لصار ترابًا فيضربه بها ضربة فيصير ترابًا ثم يعود فيه الروح فيضرب بها بين عينيه ضربة يسمعها من على
الارض غير الثقلين قال ثم ينادي منادٍ ان افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابًا الى النار
فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب الى النار وقال محمد بن علي ما من ميت يموت
الا مثل له عند الموت اعماله الحسنة واعماله السيئة قال فيشخص الى حسناته ويطرق عن سيئاته
وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان المومن اذا احتضر اتته الملائكة بحريرة فيها
مسك وضبائر الريحان فيسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها النفس المطمئنة اخرجي
راضية مرضيًا عنك الى روح الله وكرامته فاذا اخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان
وطويت عليها الحريرة وبعث بها الى عليين وان الكافر اذا احتضر اتته الملائكة بمسح فيه
جمرة فينتزع روحه انتزاعًا شديدًا ويقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطًا عليك
الى هوان الله وعذابه فاذا اخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وان لها نشيشًا فيطوى عليها
المسح ويذهب بها الى سجين وعن محمد بن كعب القرظي انه كان يقرأ قوله تعالى حتى اذا جاء احدهم
الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحًا فيما تركت فقال اي شيء تريد في اي شيء ترغب اتريد ان
ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني بناء وتشق الانهار قال لا لعلي اعمل صالحًا فيما تركت
قال فيقول الجبار تعالى كلا انها كلمة هو قائلها اي ليقولنها عند الموت وقال ابو هريرة
قال النبي صلى الله عليه وسلم المومن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعين ذراعًا و
يضيء حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما اذا انزلت فان له معيشة ضنكًا قالوا الله ورسوله

اعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسع وتسعون تنينًا هل تدرون ما التنين تسع وتسعون
حية لكل حية سبعة رؤس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون ولا ينبغي ان
يتعجب من هذا العدد على الخصوص فان اعداد هذه الحيات والعقارب بقدر اعداد الاخلاق
المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وساير الصفات فان لها اصولًا معدودة ثم
يتشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها باقسام وتلك الصفات باعيانها تنقلب عقارب و
حيات فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف منها يلدغ لدغ العقرب وما بينهما يؤذي ايذاء
الحية وارباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها
الا ان مقدار عددها لا يوقف عليه الا بنور النبوة فامثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة و
اسرار خفية ولكنها عند ارباب البصائر واضحة فمن لم ينكشف له حقايقها فلا ينبغي ان ينكر ظواهرها
بل اقل درجات الايمان التسليم والتصديق فان قلت فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا
نشاهد شيئًا من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك ثلاث مقامات في
التصديق بامثال هذا احدها وهو الاظهر والاصح والاسلم ان تصدق بانها موجودة وهي
تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق
بالآخرة فهو من عالم الملكوت اما ترى الصحابة كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه
ويؤمنون بانه عليه السلام يشاهده فان كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح اصل الايمان بالملائكة والوحي اهم عليك
وان آمنت به وجوزت ان يشاهد النبي ما لا يشاهده الامة فكيف لا تجوز هذا في الميت فكما ان
الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من
جنس حيات عالمنا بل هي من جنس آخر وتدرك بحاسة اخرى المقام الثاني ان تتذكر
امر النايم وانه قد يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه في نومه ربما يصيح ويعرق
جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وانت
تشاهده وترى ظاهره ساكنًا ولا ترى حوله حية ولا عقربًا والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل
ولكنه في حقك غير مشاهد واذا كان العذاب في الم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل او تشاهد المقام
الثالث ان تعلم ان الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها وهو السم ليس هو الالم بل عذابك في
الاثر الذي يحصل فيك من السم فاذا حصل مثل ذلك الاثر من غير سم كان العذاب قد توفر وكان لا يمكن
تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان يضاف الى السبب الذي يفضي اليه في العادة فانه لو خلق
في الانسان لذة الوقاع مثلًا من غير مباشرة صورة الوقاع لا يمكن تعريفها الا بالاضافة اليه ليكون
الاضافة للتعريف بالسبب ويكون ثمرة السبب حاصلة وان لم تحصل صورة السبب والسبب
يراد لثمرته لا لذاته وهذه الصفات المهلكات تنقلب موذيات ومرديات للنفس عند الموت
تكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة موذية يضاهي انقلاب
العشق موذيًا عند موت المعشوق فانه كان لذيذًا فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مولمًا حتى
نزل العذاب بالقلب من انواع العذاب ما يتمنى معه انه لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال بل من ابعينه

هو احد انواع عذاب الميت فانه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده واقاربه ومعارفه ولو اخذ جميع ذلك في حيوته اخذا لا يرجو رجوعه اليه فماذا ترى يكون حاله اليس يعظم شقاوه ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه قط ولا اتاذى بنرافة فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة • ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد • فما حال من لا يفرح الا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا ويسلم الى اعدائه ثم يضاف الى هذا العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الاخرة والحجاب عن الله تع فان حب غير الله يحجبه عن لقاء الله سبحانه والتنعم به فيتوالى عليه الم فراق جميع محبوباته وحسرة ما فاته من نعيم الاخرة ابد الاباد وذل الرد والحجاب عن الله تع هو الذي يعذب به اذ لا يتبع نار الفراق الا نار جهنم كما قال تع كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم واما من لم يانس بالدنيا ولم يحب الا الله ولم يزل مشتاقا الى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوايق والصوارف فتوفر عليه النعيم مع الامن من الزوال ابد الاباد ولمثل هذا فليعمل العاملون و المقصود ان الرجل قد يحب فرسه مثلا بحيث لو خير بين ان يؤخذ منه وبين ان تلدغه عقرب لاثر الصبر على لدغ العقرب فاذا الم فراق الفرس عنده اعظم من لدغ العقرب وحبه للفرس هو الذي يلدغه اذا اخذ منه فرسه فليستعد لهذه اللدغات فان الموت ياخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره واهله وولده واحبابه ومعارفه وياخذ منه جاهه وقبوله بل ياخذ منه سمعه وبصره و اعضاءه وييئس عن رجوع جميع ذلك اليه واذا لم يحب سوى ذلك وقد اخذ جميعه منه فهو اعظم عليه من العقارب والحيات وكما لو اخذ ذلك منه وهو حي لعظم تالمه وعقابه فكذلك اذا مات لانا قد بينا ان المعنى الذي هو المدرك للالام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت اشد لانه في الحيوة يتسلى باسباب تشتغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى ايضا برجاء عود ذلك اليه ويتسلى برجاء العوض منه ولا سلوة بعد الموت اذ قد انسدت عليه طرق التسلي وحصل الياس فاذن كل ما يتيسر له ومنديل غيره مما كان قد احبه بحيث كان يشق عليه لو اخذ منه فانه يبقى متاسفا ومعذبا به وان كان مخفا من الدنيا سلم وهو المعنى بقولهم نجا المخفون وان كان مثقلا اعظم عذابه وكما ان حال من يسرق منه دينار اخف من حال من يسرق منه عشرة دنانير فكذلك صاحب الدرهم اخف من صاحب الدرهمين وما من شيء من الدنيا يتخلف عنك عند الموت الا وهو حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر وان شئت فاستقلل فان استكثرت فلست مستكثرا الا من الحسرة وان استقللت فلست تخفف الا عن ظهرك وانما تكثر الحيات والعقارب في قبور الاغنياء الذين استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة وفرحوا بها واطمانوا اليها فهذه مقامات الايمان بحيات القبر وعقاربه وبساير انواع عذابه راى ابو سعيد ابنا له قد مات في المنام فقال له يا بني عظني فقال لا تخالف الله فيما يريد قال يا بني زدني قال يا ابت لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله قميصا قال فما لبس قميصا ثلثين سنة فان قلت فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث فاعلم ان في الناس من لا يثبت الا الاول وانكر ما بعده ومنهم من

انكر الاول واثبت الثاني ومنهم من لم يثبت الا الثالث وانما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار ان كل ذلك في حيز الامكان وان من انكر بعض ذلك فانما ينكر لضيق حوصلته و جهله باتساع قدرة الله سبحانه وعجايب تدبيره فينكر من افعال الله عز وجل ما لم يانس به ويالفه وذلك جهل وقصور بل هذه الطرق الثلاث في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الانواع ورب عبد يجمع عليه بين الانواع الثلاثة نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره وهذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الارض من يعرف ذلك تحقيقا والذي اوصيك به ان لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيف ما كان فان اهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن اخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع انفه فاخذ طول الليل يتفكر في انه هل يقطعه بموسى او بسكين او بسيف واهمل طريق الحيلة في دفع اصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع ان العبد بعد الموت لا يخلو عن عقاب عظيم او نعيم مقيم فينبغي ان يكون الاستعداد لذلك فاما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر قال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما منكر ونكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي صلى الله عليه وسلم فان كان مؤمنا قال هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقولان ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له نم فيقول دعوني ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيا وكنت اقوله فيقولان ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك • وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا عمر كيف بك اذا انت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة اذرع وشبرا ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران اشعارهما ويبحثان القبر بانيابهما فتلتلاك وترترك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال عمر ويكون معي مثل عقلي الان قال نعم قال فاذن اكفيكهما وهذا نص صريح في ان العقل لا يتغير بالموت انما يتغير البدن والاعضاء فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالالام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل المدرك هذه البضعة بل هو شيء باطن ليس بطول ولا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك للاشياء ولو تناثرت اعضاء الانسان كلها ولم يبق الا الجزء المدرك الذي لا يتجزى ولا ينقسم لكان الانسان العاقل بكماله قايما باقيا وهو كذلك بعد الموت فان ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرء عليه العدم قال محمد بن المنكدر بلغني ان الكافر تسلط عليه في قبره

دابة عمياء صماء في يدها سوط من حديد في رأسه مثل غارب الجمل تضربه به إلى يوم القيامة لا تراه فتتقيه
ولا تسمع صوته فترحمه وقال أبو هريرة إذا وضع الميت في قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته فإن
أتاه من قبل رأسه جاءت قراءة القرآن وإن أتاه من قبل رجليه جاء قيامه وإن أتاه من قبل يديه
قالت اليدان لقد كان يبسطنا للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه وإن جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه
وكذلك الصلاة والصبر ناحية فيقول أما إني لو رأيت خللاً لكنت أنا صاحبه قال سفيان يحاجش
عنه أعماله الصالحة كما يحاجش الرجل عن أخيه وأهله وولده ثم يقال له عند ذلك بارك الله لك في مضجعك
فنعم الأخلاء أخلاؤك ونعم الأصحاب أصحابك وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المؤمن في هذا ضغطة تزول منها حمائله وقالت
عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للقبر ضغطة لو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد
معاذ وعن أنس قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء ناحلة فلما انتهينا إلى القبر دخله
فامتقع وجهه صفرة فلما خرج أسفر وجهه فقلنا يا رسول الله رأينا فيك شيئاً فمم ذلك قال ذكرت ضغطة
ابنتي وشدة عذاب القبر فأتيت فأخبرت أن الله قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها
ما بين الخافقين **الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة** اعلم أن أنوار البصائر المستفادة
من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج الاعتبار تعرفنا أحوال الموتى على
الجملة وانقسامهم إلى سعداء وأشقياء ولكن حال زيد وعمرو بعينه لا ينكشف بذلك أصلاً فإنا إن
عولنا على إيمان زيد فلا ندري على ماذا مات وكيف ختم له وإن عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محله
القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى
الباطن قال الله تعالى إنما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو إلا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه
وإذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة إلى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وإنما
يدرك بعين أخرى خلقت تلك العين في قلب كل إنسان ولكن الإنسان جعل عليها غشاوة كثيفة من
شهواته وأشغاله الدنياوية فصار لا يبصر بها ولا يتصور بها شيئاً من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك
الغشاوة من عين قلبه ولما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الأنبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا
إلى الملكوت وشاهدوا عجائبه فالموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم وأخبروا عنهم ولذلك رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال أبي
جابر لما استشهد إذ أخبر أن الله تعالى أقعده بين يديه ليس بينهما ستر ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها
لغير الأنبياء والأولياء الذين تقرب درجتهم منهم وإنما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضعيفة إلا
أنها أيضاً مشاهدة نبوية وأعني بها المشاهدة في المنام وهي من أنوار النبوة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة وهو أيضاً انكشاف لا يحصل إلا بانقشاع
الغشاوة عن القلب فلذلك لا يوثق إلا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه ومن كثر
فساده ومعاصيه أظلم قلبه فكان ما يراه أضغاث أحلام ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة

عند النوم لينام طاهراً وذلك إشارة إلى طهارة الباطن فهو الأصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة ومهما
صفا الباطن انكشف لحدقة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في النوم حتى نزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقلما يخلو الإنسان من منامات دلت على أمور فوجدت
صحيحة والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الآدمي وهي من أوضح
الأدلة على عالم الملكوت والخلق غافلون عنه لغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول
في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة ولكن القدر الذي يمكن
ذكره ههنا مثال يفهمك المقصود وهو أن تعلم أن القلب مثاله مثال مرآة تتراءى فيها الصور و
حقائق الأمور وأن كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى
يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بإمام مبين كما ورد في القرآن فجميع ما جرى في العالم وما
سيجري مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشاً لا تشاهد بهذه العين ولا تظنن أن ذلك اللوح من خشب
أو حديد وأن ذلك الكتاب من كاغد أو رق بل ينبغي أن تفهم أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه
كتاب الخلق كما أن ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم بل إن كنت تطلب له مثالاً يقربه إلى
فهمك فاعلم أن ثبوت المقادير في اللوح المحفوظ يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ
القرآن وقلبه فإنه مسطور فيه حتى كأنه حين يقرأه ينظر إليه ولو فتشت دماغه جزءاً جزءاً لم تشاهد من ذلك
الخط حرفاً فمن هذا النمط ينبغي أن تفهم كون اللوح منقوشاً بجميع ما قدره الله وقضاه واللوح في مثال
مرآة ظهرت فيها الصور فلو وضع في مقابلة هذه المرآة مرآة أخرى لكانت صور تلك المرآة تتراءى في هذه
إلا أن يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلوم واللوح مرآة رسوم العلوم كلها موجودة
فيه واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من
عالم الملكوت فإن هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق
الخاطف وقد يثبت فيدوم وقد لا يدوم وهو الأغلب وما دام مستيقظاً فهو مشغول بما يورده
الحواس عليه من عالم الشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ومعنى النوم أن تركد الحواس فلا تورد على
القلب فيتشغل فإذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافياً في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ
فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كما تقع الصورة من مرآة في مرآة إذا ارتفع الحجاب بينهما إلا أن النوم مانع سائر الحواس
عن العمل وليس مانعاً للخيال عن عمله وعن تحركه فما يقع في القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون
المتخيلات أثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فإذا انتبه لم يتذكر إلا الخيال فيحتاج المعبر
أن ينظر أن هذا الخيال حكاية أي معنى من المعاني فيرجع إلى المعاني بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني
وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير ويكفيك مثال واحد وهو أن رجلاً قال
لابن سيرين رأيت كأن بيدي خاتماً أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال إنك مؤذن تؤذن
قبل الصبح في رمضان فقال صدقت فانظر أن روح الختم هو المنع ولأجله يراد الختم وإنما ينكشف
للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعاً الناس من الأكل والشرب ولكن
الخيال ألف المنع عند الختم بالخاتم فمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ إلا

الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا الذي لا تحصر عجائبه وكيف لا وهو اخو
الموت وهو اعجب العجائب فلما كان يشبهه من وجه ضعيف اثر في كشف الغطاء عن عالم الغيب
حتى صار النايم يعرف ما سيكون في المستقبل فما ذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطاء
بالكلية حتى ان الانسان عند انقطاع النفس من غير تاخر نفسه اما محفوفة بالانكال والمخازي
والفضايح نعوذ بالله من ذلك واما مكنوفة بنعيم مقيم وملك كبير لا آخر له وعند هذا يقال للاشقيا
وقد انكشف الغطاء لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ويقال افسحر هذا
ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون والية الاشارة
بقوله تع وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فاعلم العلماء واعرفهم ينكشف له عقيب الموت من العجايب والآيات
ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم الا التفكر في تلك الحالة ان الحجاب
عما ذا يرتفع وما الذي ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة او سعادة دايمة لكان ذلك كافيا في
استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظايم بين ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا و
باسبابنا وودورنا واهلينا بل باعضائنا وسمعنا وبصرنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن اين من
ينفث روح القدس في روعه فيقول له ما قال لسيد المرسلين احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت
فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر
سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا
نعم قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين ان تخلة الرحمن
تخللت باطن قلبه وان حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا لخليل وقد قال لامته ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله وانما امته من اتبعه وما اتبعه الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الآخرة فانه ما دعا
الا الى الله واليوم الآخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عن الدنيا واقبلت
على الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما اتبعته صرت من امته وبقدر ما اقبلت على
الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال تع فيهم فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا
فان الجحيم هي الماوى فلو خرجت عن مكمن الغرور وانصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت
انك من حين تصبح الى حين تمسي لا تسعى الا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك ولا تسكن الا للعاجل
الدنيا ثم تطمع في ان تكون غدا من امته واتباعه ما ابعد ظنك وابرد طمعك افنجعل المسلمين كالمجرمين
ما لكم كيف تحكمون ولنرجع الى ما كنا فيه وبصدده فقد امتد عنان الكلام الى غير مقصده ولنذكر
الآن من المنامات الكاشفة لاحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به اذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات
وليس ذلك الا المنامات

بيان منامات تكشف عن احوال الموتى والاعمال النافعة في الآخرة

فمن ذلك رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني فان
الشيطان لا يتمثل بي قال عمر رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما شاني فما لتفت
الي فقال الست المقبل وانت صايم قال عمر والذي نفسي بيده لا اقبل امراة وانا صايم ابدا وقال العباس
كنت ود العمر فاشتهيت ان اراه في المنام فما رايته الا عند راس الحول فرايته يمسح العرق عن جبينه

ويقول هذا اوان فراغي ان كاد عرشي ليهوي لولا اني لقيته رؤوفا رحيما وقال الحسن بن علي قال
لي علي ان النبي صلى الله عليه وسلم سنح لي الليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من امتك
قال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم من هو خير لي منهم وابدلهم بي من هو شر لهم مني
فخرج فضربه ابن ملجم وقال بعض الشيوخ رايت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
استغفر لي فاعرض عني فقلت يا رسول الله ان سفين بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر
عن جابر بن عبد الله انك لم تسال عن شيء قط فقلت لا فاقبل علي فقال غفر الله لك • وروي
عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لابي لهب مصاحبا له فلما مات واخبر الله عنه
بما اخبر حزنت عليه واهمني امره فسالت الله حولا ان يريني اياه في المنام قال فرايته يلتهب
نارا فسالته عن حاله فقال صرت الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين
في كل الليالي والايام قلت وكيف ذاك قال ولد في تلك الليلة محمد عليه السلم فجاءتني اميمة فبشرتني
بولادة آمنة اياه ففرحت به واعتقت وليدة لي فرحا به فاثابني الله بذلك ان يرفع عني العذاب
في كل ليلة الاثنين وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجا فصحبني رجل لا يقوم ولا يقعد
ولا يسكن ولا يتحرك الا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فقال اخبرك عن ذلك
خرجت اول مرة الى مكة ومعي ابي فلما انصرفنا غفت في بعض المنازل فبينا انا نايم اذا اتاني آت فقال
قم قد امات الله اباك وسود وجهه فقمت مذعورا وكشفت عن وجهه فاذا هو ميت اسود
الوجه فدخلني من ذلك رعب فبينا انا في ذلك الغم اذ غلبتني عيني فاذا على راس ابي اربعة
سودان معهم اعمدة الحديد اذ اقبل رجل حسن الوجه في ثوبين اخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه
بيده ثم اتاني فقال ثم فقد بيض الله وجه ابيك فقلت من انت بابي انت وامي فقال انا محمد
فكشفت الثوب عن وجه ابي فاذا هو ابيض فما تركت الصلوة بعد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم
وعن عمر بن عبد العزيز قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر جالسان عنده فسلمت
وجلست فبينا انا جالس اذ اتي بعلي ومعوية فادخلا بيتا واجيف عليهما الباب وانا انظر
فما كان باسرع ان خرج علي وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان باسرع ان خرج معوية على
اثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة • واستيقظ ابن عباس من نومه مرة فاسترجع وقال
قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فانكره اصحابه فقال رايت النبي صلى الله عليه وسلم
ومعه زجاجة من دم فقال الا تعلم ما صنعت امتي بعدي قتلوا ابني الحسين وهذا دمه
ودماء اصحابه ارفعها الى الله فجاء الخبر بعد اربعة وعشرين يوما بقتله من اليوم الذي رآه • و
رئي الصديق رضي الله عنه فقيل له انك كنت تقول ابدا في لسانك هذا اوردني الموارد ما فعل الله
بك قال قلت به لا اله الا الله فاوردني الجنة

بيان منامات المشايخ رحمهم الله

قال بعض المشايخ رايت تميما الدوركي في المنام فقلت يا سيدي ما فعل الله بك قال دير بي في
الجنان فقيل لي يا تميم هل استحسنت فيها شيئا قلت لا يا سيدي فقال لو استحسنت فيها
شيئا لوكلتك اليه وما اوصلتك الي • ورئي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك

فقال غفر لي قال بماذا قال ما خلطت جداً بهزل • وعن منصور بن اسمعيل قال رايت عبد الله البزاز
في النوم فقلت ما فعل الله بك قال اوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب اقررت به الا ذنباً واحداً فاني استحييت
ان اقر به فوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت الى
غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله ان اذكره وقال ابو جعفر الصيدلاني رايت
النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وحوله جماعة من الفقراء فبينا نحن كذلك اذا انشقت السماء
فنزل ملكان احدهما بيده طست والاخر ابريق فوضع الطست بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه
فغسل يده ثم امر حتى غسلوا ثم وضع الطست بين يدي فقال احدهما للاخر لا تصب على يديه فانه
ليس منهم فقلت يا رسول الله اليس قد روي عنك انك قلت المرء مع من احب قال بلى قلت يا رسول الله
فاني احبك واحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله عليه وسلم صب على يديه فانه منهم وقال الجنيد
رايت في النوم كاني اتكلم على الناس فوقف علي ملك فقال اقرب ما تقرب به المتقربون الى الله ماذا
فقلت عمل خفي في ميزان وفي فولى الملك وهو يقول كلام موفق • ورئي مجمع في
النوم فقيل له كيف رايت الزاهدين في الدنيا فقال ذهبوا بخير الدنيا والاخرة وقال رجل من
اهل الشام للعلاء بن زياد رايتك في النوم كانك في الجنة فنزل عن مجلسه واقبل عليه ثم قال لعل
الشيطان اراد امراً فعصمت منه فاشخص رجلا يقتلني وقال محمد بن واسع الرؤيا تسر
المؤمن ولا تغره وقال صالح بن بشير رايت عطاء السلمي في النوم فقلت رحمك الله لقد كنت
طويل الحزن في الدنيا فقال اما والله لقد اعقبني ذلك راحة طويلة وفرحاً دائما فقلت في اي الدرجات
انت فقال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين الاية • وسئل زرارة بن ابي اوفى اي الاعمال افضل
عندكم فقال الرضا وقصر الامل وقال يزيد بن مذعور رايت الاوزاعي في النوم فقلت يا ابا عمرو دلني على
عمل اتقرب به الى الله قال ما رايت هناك درجة ارفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين قال وكان
يزيد شيخاً كبيراً فلم يزل يبكي حتى اظلمت عيناه وقال ابن عيينة رايت اخي في المنام فقلت
يا اخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر لي وقال علي
الطلحي رايت في النوم امراة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من انت قالت حوراء قلت زوجيني نفسك
قالت اخطبني الى سيدي وامهرني قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن افاتها وقال ابرهيم
بن اسحق الحربي رايت زبيدة في المنام فقلت ما فعل الله بك فقالت كل ذنب استغفرت منه
غفر لي فقلت لها بما انفقت في طريق مكة قالت اما النفقات التي انفقتها رجعت اجورها
الى اربابها وغفر لي بنيتي • ولما مات سفين الثوري رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك
قال وضعت اول قدمي على الصراط والثاني في الجنة وقال احمد بن ابي الحواري رايت فيما
يرى النائم جارية ما رايت احسن منها وكان وجهها يتلالا نوراً فقلت لها مما ذا اضوء وجهك
فقالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت اخذت دمعة فمسحت بها وجهي فمن
ثم ضوء وجهي كما ترى وقال الكتاني رايت الجنيد في المنام فقلت ما فعل الله بك قال
طاحت الاشارات وذهبت العبارات وما حصلت الا ركعتين كنا نصليها في الليل • ورئيت

زبيدة في المنام فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي بهذه الكلمات الاربع لا اله الا الله افني بها عمري
لا اله الا الله ادخل بها قبري لا اله الا الله اخلو بها وحدي لا اله الا الله القى بها ربي • ور
رئي بشر في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال رحمني وما كان شيء اضر علي من اشارات القوم
الي وقال ابو بكر الكتاني رايت في النوم شاباً لم ار احسن منه فقلت من انت قال التقوى
قلت فاين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فاذا امراة سوداء كاوحش ما يكون فقلت من
انت قالت السقم قلت فاين تسكنين قالت كل قلب فرح قالت فانتبهت واعتقدت ان لا
اضحك الا غلبة وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ابليس وثب علي فاخذت العصا
لاضربه فلم يفزع منها فهتف بي هاتف ان هذا لا يخاف من هذه وانما يخاف من نور يكون في القلب
وقال المسوحي رايت ابليس في المنام يمشي عرياناً فقلت الا تستحيي من الناس فقال بالله هؤلاء ناس
لو كانوا من الناس ما كنت العب بهم طرفي النهار كما تتلاعب الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هؤلاء
قد اسقموا جسمي واشار بيده الى اصحابنا الصوفية وقال ابو سعيد الخراز كنت في دمشق فرايت
في المنام كان النبي صلى الله عليه وسلم جاءني متكئاً على ابي بكر وعمر فجاء فوقف علي وانا اقول
شيئاً من الاصوات وادق في صدري فقال شر هذا اكثر من خيره • وعن ابن عيينة قال رايت
سفين الثوري في المنام كانه في الجنة يطير من شجرة الى شجرة يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت
له اوصني فقال اقلل من معرفة الناس • وروى ابو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبة قال
رايت سفين الثوري فقلت ما فعل الله بك فقال • نظرت الى ربي كفاحاً فقال لي • هنيئاً رضاي
عنك يا ابن سعيد • فقد كنت قواماً اذا اظلم الدجى • بعبرة مشتاق وقلب عميد • فدونك فاختر اي قصر اردته
وزرني فاني منك غير بعيد • ورئي الشبلي بعد موته بثلاثة ايام فقيل له ما فعل الله بك فقال
ناقشني حتى ايست فلما راى ياسي تغمدني برحمته • ورئي مجنون بني عامر في المنام بعد موته فقيل له ما
فعل الله بك قال غفر لي وجعلني حجة على المحبين • ورئي الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال
رحمني فقيل له ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين • ورئي بعضهم
فسئل عن حاله فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا • ورئي مالك بن انس فقيل له ما فعل الله بك
فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت • ورئي في
الليلة التي مات فيها الحسن البصري كان ابواب السماء مفتحة وكان منادياً ينادي الا ان الحسن
البصري قدم على الله وهو عنه راض • ورئي الجاحظ فقيل له ما فعل الله بك فقال • ولا تكتب بخطك غير شيء
يسرك في القيمة ان تراه • وراى الجنيد ابليس في المنام عرياناً فقال الا تستحيي من الناس فقال و
هؤلاء ناس الناس اقوام في مسجد الشونيزية قد اضنوا جسدي واحرقوا كبدي فلما انتبهت غدوت الى
المسجد فرايت جماعة قد وضعوا رؤسهم على ركبهم يتفكرون فلما راوني قالوا لا يغرنك حديث الخبيث • و
رئي النصراباذي بمكة بعد وفاته في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا
ابا القسم ابعد الاتصال انفصال فقلت لا يا ذا الجلال فما وضعت في اللحد حتى لحقت بالاحد • وراى في المنام
عتبة الغلام حوراء على هيئة حسنة فقالت يا عتبة انا لك عاشقة فلا تعمل من الاعمال شيئاً يحول بيني وبينك

فقال عتبة طلقت الدنيا ثلاثا لا رجعة لي عليها حتى ألقاك وقيل رأى أبو أيوب السختياني جنازة
عاص فدخل الدهليز لئلا يصلي عليه فرأى بعضهم الميت في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي
وقال قل لأبي أيوب لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وقال بعضهم
رأيت في الليلة التي مات فيها داود الطائي نورا وملائكة نزولا وملائكة صعودا فقيل أي ليلة هذه فقالوا
ليلة مات فيها داود الطائي وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه وقال أبو سعيد الشحام
رأيت سهلا الصعلوكي في المنام فقلت أيها الشيخ فقال دع التشييخ فقلت وما فعلت تلك الأحوال التي
شاهدتها قال لم تغن عنا فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي بمسائل كان تسألها العجز وقال أبو بكر
الرشيدي رأيت محمدا الطوسي في النوم فقال قل لأبي سعيد الصفار المؤدب يذكر • وكنا على أن لا
نحول عن الهوى • فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا • قال فانتبهت فذكرت له ذلك فقال كنت أزور
قبره كل جمعة فلم أزره هذه الجمعة وقال ابن راشد رأيت ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت أليس قد مت قال
بلى قلت فما صنع بك ربك قال غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثوري قال بخ بخ ذاك من الذين أنعم
الله عليهم من النبيين الآية وقال الربيع بن سليمان رأيت الشافعي بعد وفاته في المنام فقلت يا أبا عبد الله ما صنع
الله بك قال أجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب • ورأى رجل من أصحاب الحسن البصري ليلة مات
الحسن كأن مناديا ينادي إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن البصري
على أهل زمانه وقال يعقوب القارئ الدقيقي رأيت في منامي رجلا آدم طوالا والناس يتبعونه فقلت من هذا
قيل أويس القرني فاتبعته فقلت أوصني يرحمك الله فكلح في وجهي فقلت مسترشد فأرشدني أرشدك الله فأقبل
علي وقال ابتغ رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك ثم
ولى وتركني وقال أبو بكر بن أبي مريم رأيت ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت ما فعلت يا ورقاء قال نجوت بعد كل
جهد قلت فأي الأعمال وجدتموها أفضل قال البكاء من خشية الله وقال يزيد بن نعامة هلكت جارية في الطاعون
الجارف فرآها أبوها في المنام فقال لها أخبريني عن الآخرة فقالت يا أبت قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون
ولا تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في صحيفة عملي أحب إلي من الدنيا وما فيها وقال بعض أصحاب
عتبة الغلام رأيت عتبة في المنام فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك فلما أصبحت
جئت إلى بيتي فإذا بخط عتبة في حائط البيت مكتوب يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين
ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا من الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين آمين رب العالمين وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثوري في الجنة يطير من نخلة إلى نخلة
ومن شجرة إلى شجرة فقلت يا أبا عبد الله بم نلت هذا قال بالورع قلت فما بال علي بن عاصم قال ذاك لا يكاد يرى إلا كما يرى الكوكب
ورأى رجل من الثقات النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا رسول الله عظني قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو في
نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له وقال الشافعي همني في هذه الأيام أمران أمر مضى وآخر لم يطلع عليه
غير الله فلما كان البارحة أتاني آت في منامي فقال يا محمد بن إدريس قل اللهم إني لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا
ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ولا أتقي إلا ما وقيتني فوفقني لما تحب وترضى من
القول والعمل في عافية فلما أصبحت أعدت ذلك فلما ترحل النهار أعطاني الله طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت

فيه

فيه فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها فهذه جملة من المكاشفات تدل على أحوال الموتى وعلى الأعمال المقربة
إلى الله زلفى فلنذكر بعد هذا ما بين يدي الموتى من ابتداء نفخة الصور إلى آخر الاستقرار إما في الجنة أو في
النار **الشطر الثاني من كتاب ذكر الموت** في أحوال الميت من نفخة الصور إلى آخر الاستقرار
في الجنة أو النار وتفصيل ما بين يديه من الأخطار وفيه صفة نفخة الصور وصفة أرض المحشر
وصفة عرق أهله وصفة يوم القيامة ودواهيها وأساميها وصفة المساءلة عن الذنوب وصفة
الميزان وصفة الخصماء ورد المظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة وصفة الحوض وصفة جهنم و
أهوالها وأنكالها وأغلالها وصفة الجنة وأصناف نعيمها وعدد الجنان وأبوابها وغرفها وحيطانها
وأنهارها وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان
وصفة النظر إلى الله تعالى وباب في سعة رحمة الله تعالى وبه نختم الكتاب إن شاء الله تعالى **صفة**
نفخة الصور قد عرفت فيما سبق شدة أحوال الميت في سكرات الموت وخطره وخوف
العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم لمنكر ونكير وسؤالهما ثم لعذاب القبر وخطره إن كان
مغضوبا عليه وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض
على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم
انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالإسعاد أو بالإشقاء فهذه أحوال وأهوال لا بد لك من معرفتها
ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر فيها لتنبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها
وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ويدل على ذلك
شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما يكتنفه
من المصاعب والأهوال بل إذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنها قلوبهم ومن
أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه صدقت ثم مد اليد لتناوله كان مصدقا باللسان
ومكذبا بالعمل وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى شتمني
ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني أما شتمه إياي فيقول إن لي ولدا وأما تكذيبه
فقوله لن يعيدني كما بدأني وإنما قصور البواطن عن قوة التصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم
لأمثال تلك الأمور ولو لم يشاهد الإنسان توالد الحيوانات وقيل له إن صانعا يصنع من النطفة
القذرة مثل هذا الآدمي المصور العاقل المتكلم المتصرف لاشتد نفور طبعه عن التصديق به ولذلك
قال أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وقال أيحسب الإنسان أن يترك سدى
ألم يك نطفة من مني يمنى فخلق الآدمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه أعجب من بعثه وإعادته
فكيف ينكر ذلك من حكمة الله وقدرته من يشاهد ذلك في صنعه وقدرته فإن كان في إيمانك ضعف فقو
الإيمان بالنظر في النشأة الأولى فإن النشأة الثانية مثلها وأسهل منها وإن كنت قوي الإيمان بها فأشعر
قلبك تلك المخاوف والأخطار وأكثر فيها التفكر والاعتبار ليسلب عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشمر
للعرض على الجبار وتفكر أولا فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور فإنها صيحة واحدة
تنفرج بها القبور عن رؤوس الموتى فيثورون دفعة واحدة فتوهم نفسك وقد وثبت متغيرا

وجهك مغبرًا بدنك من قرنك الى قدمك فى تراب قبرك مبهوتًا من شدة الصعقة شاخص العين نحو
النداء وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاهم وقد ازعجهم الفزع والرعب مضافا الى ما
كان عندهم من الغموم والهموم وشدة الانتظار لعاقبة الامر كما قال تع ونفخ فى الصور فصعق من
فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال فاذا نقر
فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون الى قوله وصدق المرسلون فلو لم يكن بين يدي
الموتى الا هول تلك النفخة لكان جديرًا بان يتقى فانها نفخة وصيحة يصعق بها من فى السموات والار
اى يموتون الا من شاء الله وهم بعض الملائكة ولذلك قال عليه السلم كيف انعم وصاحب الصور قد
التقم القرن وحنى الجبهة واصغى بالاذن متى يؤمر فينفخ قال مقاتل الصور هو القرن وذلك
ان اسرافيل واضع فاه على القرن كهيئة البوق ودائرة راس القرن كعرض السموات والارض وهو
شاخص ببصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الاولى فاذا نفخ صعق من فى السموات و
الارض اى مات كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله وهو جبريل وميكايل واسرافيل وملك
الموت ثم يامر ملك الموت ان يقبض روح جبريل ثم روح ميكايل ثم روح اسرافيل ثم يامر ملك
الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى فى البرزخ اربعين سنة ثم يحيى الله اسرافيل فيامره ان
ينفخ الثانية فذلك قوله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون قيام على ارجلهم ينظرون البعث
قال عليه السلم حين بعث الى بعث الى صاحب الصور فاهوى به الى فيه وقدم رجلا واخر اخرى ينتظر متى
يؤمر بالنفخ الا فاتقوا النفخ فتفكر فى الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفا من
هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من سعادة او شقاوة وانت فيما بينهم منكسر كانكسارهم
متحير كتحيرهم بل ان كنت فى الدنيا من المترفين والاغنياء المتنعمين فملوك الارض فى ذلك اليوم هم
اذل الجمع واصغرهم واحقرهم يوطئون بالاقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش من البرارى
والجبال منكسة رؤسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست
بها ولكن حشرهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم عن الهرب من الخلق والتوحش منهم
وذلك قوله تع واذا الوحوش حشرت ثم اقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها واذعنت خاشعة
من هيبة العرض على الله تصديقا لقوله تع فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا
فتفكر فى حالك وحال قلبك هنالك **صفة ارض المحشر واهله** ثم انظر كيف يساقون بعد
الموت والنشور وهم حفاة عراة الى ارض المحشر ارض بيضاء فيحاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا
امتا ولا ترى عليها ربوة يختفى الانسان وراءها ولا وهدة ينخفض عن الاعين فيها بل هو صعيد واحد
بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض
اذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هى النفخة الاولى والرادفة الثانية وحقيق لتلك القلوب
ان تكون واجفة ولتلك الابصار ان تكون خاشعة قال النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ارض
بيضاء عفراء كقرصة نقى ليس فيها معلم لاحد قال الراوى والعفرة بياض ليس بالناصع والنقى هو

النقى عن القشر والنخالة ولا معلم اى لا تباين ولا تفاوت يرده البصر ولا تظنن ان تلك الارض مثل ارض
الدنيا بل لا يساويها الا فى الاسم قال الله تع يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال ابن عباس
رضى الله عنهما يزاد فيها وينقص ويذهب اشجارها وجبالها واوديتها وما فيها ويمد مد الاديم العكاظى
ارض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات يذهب شمسها و
قمرها فانظر يا مسكين فى هول اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم
نجوم السماء وطمست الشمس والقمر واظلمت الارض بخمود سراجها فبينما انت كذلك اذ دارت السماء
من فوق رؤسهم وانشقت مع غلظها وشدتها وغلظها خمسمائة عام والملائكة قيام على حافاتها
وارجائها فيا هول انشقاقها فى سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها ثم
تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل
وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قال النبى صلى
الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان قالت سودة
زوج النبى صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض قال شغل الناس عن
ذلك لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه فاعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك من النظر و
الالتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم ولا قدرة لهم على الالتفات الى غيرهم قال ابو هريرة
قال النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة اصناف ركبانا ومشاة وعلى وجوههم فقال رجل
يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم فقال الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم
وفى طبع الآدمى انكار كل ما لم يانس به ولو لم يشاهد الانسان الحية وهى تمشى على بطنها كالبرق الخاطف لانكر
تصور المشى من غير رجل والمشى بالرجل ايضا يستبعد عند من لم يشاهد ذلك فانك ان تنكر شيئا من عجائب
الدنيا ثم عرض عليك قبل المشاهدة لكنت اشد انكارا لها فاحضر فى قلبك صورتك وانت واقف عريان
مكشوف ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا منتظرا لما يجرى عليك بالسعادة او بالشقاوة وعظم هذه الحالة فانها
عظيمة **صفة العرق** ثم تفكر فى ازدحام الخلائق واجتماعهم حين ازدحم على الموقف
اهل السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان ووحش وسبع وطير
اشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة امرها ثم ادنيت من رؤس
الخلائق كقاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا ظل عرش الرحمن ولن يمكن من الاستظلال به الا المقربون
فمن بين مستظل بالعرش وبين مضحى لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت الخلائق و
دفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام وانضاف اليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح و
الاختزاء عند العرض على جبار السماء واجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء
والخوف ففاض العرق من اصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيمة ثم ارتفع الى ابدانهم على قدر منازلهم
عند الله فبعضهم يبلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم شحمة اذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه قال
ابن عمر رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيمة حتى يذهب عرقهم فى الارض سبعين باعا
ويلجمهم ويبلغ آذانهم هكذا رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما وفى حديث آخر قياما شاخصة ابصارهم

اربعين سنة الى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب وقال عقبة بن عامر قال النبي صلى الله عليه وسلم تدنو الشمس من الارض يوم القيمة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه واشار بيده الى فيه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على راسه هكذا فتامل يا مسكين في عرق اهل المحشر وشدة كربهم وان منهم من ينادي ويقول ارحمني من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدري الى اين يبلغك العرق واعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وحمل مشقة في امر بمعروف ونهي عن منكر فيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيمة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم ان تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات اهون امرا واقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار في القيمة فانه يوم عظيم شديد طويل مدته **صفة طول يوم القيمة** يوقف فيه الخلايق شاخصة ابصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في امرهم يقفون ثلثماية عام لا ياكلون فيه اكلة ولا يشربون شربة ولا يجدون فيه روح نسيم قال كعب وقتادة يوم يقوم الناس لرب العالمين يقومون مقدار ثلثماية عام قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال كيف بكم اذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر اليكم وقال الحسن ما ظنك بقوم قاموا على اقدامهم مقدار خمسين الف سنة لم ياكلوا فيها اكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى اذا انقطعت اعناقهم عطشا واحترقت اجوافهم جوعا انصرف بهم الى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا بنبي الا دفعهم وقال دعوني نفسي نفسي شغلني امري عن امر غيري واعتذر كل واحد بشدة غضب الله وقالوا قد غضب ربنا اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وسلم لمن يؤذن له فيه لا يملكون الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا فتامل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم ان من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه اهون من الصلوة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد ان تكون من اولئك المؤمنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالامر اليك والاستعداد بيدك فاعمل في ايام قصار لايام طوال تربح ربحا لا منتهى لسروره واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة الاف سنة فانك لو صبرت سبعة الاف سنة مثلا لتتخلص من يوم مقداره خمسون الف سنة فلو لم تعمل الا للخلاص من ذلك اليوم دون رجاء الجنة وخوف من النار لكان ربحك كثيرا وتعبك يسيرا **صفة يوم القيمة ودواهيها واسمائها** فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شانه المديد زمانه القاهر سلطانه القريب اوانه يوم السماء فيه انفطرت والكواكب من هوله انتثرت والنجوم الزواهر انكدرت والشمس فيه كورت والجبال سيرت والعشار عطلت

والوحوش حشرت والبحار سجرت والنفوس الى الابدان زوجت والجحيم سعرت والجنة ازلفت والجبال قد نسفت والارض قد مدت يوم زلزلت فيه الارض زلزالها واخرجت اثقالها يوم يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يوم حملت فيه الارض والجبال فدكتا دكة واحدة ثم وقعت فيه كل واقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية يوم تسير الجبال وترى الارض بارزة يوم رجت فيه الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار يوم تنسف فيه الجبال نسفا فتترك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب يوم انشقت فيه السماء فكانت وردة كالدهان فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان يوم يمنع فيه العاصي عن الكلام ولا يسال فيه عن الاجترام بل يؤخذ بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يوم تعلم فيه كل نفس ما احضرت وتشهد بما قدمت واخرت يوم تخرس فيه الالسن وتنطق فيه الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين اذ قال له الصديق اراك قد شبت فقال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فيا ايها العاجز حظك من قراءتك ان تمجمج القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا لكنت جديرا بان تشيب مثل ما شاب به شعر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم واذا اقنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن فالقيمة احدهما ذكر فيها وقد وصف الله بعض دواهيها واكثر اساميها لتعقف بكثرة اساميها على كثرة معانيها فليس المقصود تكرير الاسماء والالقاب بل الغرض تنبيه اولي الالباب ففي كل اسم من اسماء القيمة سر وفي كل نعت من نعوتها معنى خاص فاحرص على معرفة معانيها ونحن الآن نجمع لك اساميها يوم القيمة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم المحاسبة ويوم المسايلة ويوم المسابقة ويوم المناقشة ويوم الزلزلة ويوم الدمدمة ويوم الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجفة ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الداهية ويوم الآزفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاخة ويوم الفراق ويوم المساق ويوم القصاص ويوم التناد ويوم الحساب ويوم المآب ويوم العذاب ويوم الفرار ويوم القرار ويوم اللقاء ويوم البقاء ويوم القضاء ويوم الجزاء ويوم البلاء ويوم البكاء ويوم الحشر ويوم الوعيد ويوم العرض ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم البعث ويوم الفتح ويوم الخزي ويوم عظيم ويوم عقيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النشور ويوم المصير ويوم النفخة ويوم الصيحة ويوم الرجفة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم الفزع ويوم الجزع ويوم المثاوي ويوم الميقات ويوم الميعاد ويوم المرصاد ويوم القلق ويوم العرق ويوم الافتقار ويوم الانكدار ويوم الانتشار ويوم الانشقاق ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود ويوم التغابن ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم لا ريب فيه ويوم تبلى السرائر يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا يوم لا تملك نفس لنفس شيئا يوم يدعون الى نار جهنم دعا يوم يسحبون في النار على وجوههم يوم لا يجزي والد عن ولده يوم

يفر المرء من اخيه يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون يوم لا مرد له يوم هم بارزون يوم هم على
النار يفتنون يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار يوم ردت
فيه المعاذير يوم تبلى فيه السرائر يوم ظهرت فيه الضمائر يوم كشفت الاستار يوم خشعت الابصار
يوم سكنت الاصوات يوم قل الالتفات يوم برزت الخفيات يوم ظهرت الخطيات يوم سيق
العباد يوم الاشهاد يوم شاب فيه الصغير يوم فيه سكر الكبير يوم وضعت الموازين يوم نشرت
الدواوين يوم برزت الجحيم يوم اغلي الحميم يوم زفرت النيران يوم ييئس الكفار وسعرت النيران و
تغير الالوان وخرس اللسان ونطق جوارح الانسان فيا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث
اغلقت الابواب وارخيت الستور واستترت عن الخلايق فقارفت الفجور فماذا تفعل وقد
شهدت عليك جوارحك فالويل كل الويل لنا معشر الغافلين يرسل الله تعالى الينا سيد المرسلين و
ينزل علينا الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا
ويقول اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم الى قوله لاهية قلوبهم ثم يعرفنا قرب القيمة
فيقول اقتربت الساعة وانشق القمر انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا وما يدريك لعل الساعة قريب
ثم يكون احسن احوالنا ان نتخذ دراسة القرآن عملا فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة اوصاف
هذا اليوم واساميه ولا نستعد للقرار من دواهيه نعوذ بالله من هذه الغفلة ان لم يتداركنا الله بواسع
الرحمة **صفة المسايلة** ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الاحوال فيما يتوجه عليك من السؤال
شفاها من غير ترجمان فتسال عن القليل والكثير والنقير والقطمير فبينما انت في كرب القيمة وعرقها
وشدة عظايمها اذ نزلت ملايكة من ارجاء السماء باجسام عظام واشخاص ضخام غلاظ شداد امروا
ان ياخذوا بنواصي المجرمين الى موقف العرض على الجبار وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى
ملكا ما بين شفري عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هؤلاء الملايكة ارسلوا
اليك لياخذوك الى مقام العرض وتراهم على عظم اشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين مما
بدا من غضب الجبار على العباد وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح الا ويخرون
لاذقانهم خوفا من ان يكونوا ماخوذين فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين وعند
ذلك يبادر اقوام من شدة الفزع فيقولون للملايكة افيكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم
فتفزع الملايكة من سؤالهم اجلالا لخالقهم عن ان يكون فيهم فنادوا باصواتهم متنزهين
لمليكهم عما توهمه اهل الارض وقالوا سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك
تقوم الملايكة صفا محدقين بالخلايق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة
الخوف والمهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن
المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون فيبدا
بالانبياء يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا فلشدة اليوم تذهل فيه عقول الانبياء و
تمحي علومهم من شدة الهيبة اذ يقال لهم ماذا اجبتم وقد ارسلتم الى الخلايق وكانوا قد علموا فدهش
عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا انك انت علام الغيوب

وهم في ذلك الوقت صادقون اذ طارت فيه العقول وانمحقت العلوم الى ان يقويهم الله فيدعى نوح
فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير فيؤتى بعيسى فيقول
الله تعالى له ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فيبقى متشحطا تحت هذا السؤال فيا
لعظم يوم تقام فيه السياسة على الانبياء بمثل هذا السؤال ثم تقبل الملايكة فيقودون واحدا واحدا يا فلان
بن فلان هلم الى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرايص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ويتمنى
ان يذهب بهم الى النار ولا يعرض قبايح اعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم علام الغيوب وقبل
الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش واشرقت الارض بنور ربها وايقن كل عبد باقبال الجبار لمسايلة العباد
وظن كل واحد انه ما يريد احد سواه وانه المقصود بالاخذ بالسؤال دون من عداه فيقول الجبار عند
ذلك يا جبريل ايتني بالنار فجاء بها جبريل وقال لها يا جهنم اجيبي خالقك ومليكك فيصادفها
جبريل على تغيظها وغضبها فلم يلبث بعد ندايه ان برزت وثارت وفارت وزفرت الى الخلايق
غضبا على من عصى الله وخالفه فاخطر ببالك واحضر في قلبك قلوب العباد وقد امتلأت فزعا
ورعبا فتساقطوا على ركبهم وولوا مدبرين وترى كل امة جاثية وسقط بعضهم على الوجه منكبين
وينادي الظالمون بالويل والثبور وينادي الصديقون نفسي نفسي فبينما هم كذلك اذ زفرت النيران
زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم وظنوا انهم ماخوذون ثم زفرت الثالثة فتساقط
الخلايق لوجوههم وشخصوا بابصارهم وهم ينظرون من طرف خفي وانصدعت عند ذلك قلوب الظالمين
وبلغت لدى الحناجر كاظمين وذهلت القلوب من السعداء والاشقياء اجمعين وبعد ذلك
يقبل الله على الرسل فيقول ماذا اجبتم فاذا راوا ما اقيم من السياسة على الانبياء اشتد الفزع على العصاة
ففر الوالد من ولده والاخ من اخيه والزوج من زوجته وبقي كل واحد منتظرا لامره ثم يؤخذ واحد
واحد ويساله الله شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه واعضائه
قال ابو هريرة قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيمة قال هل تضارون في رؤية الشمس في
الظهيرة ليست في سحابة قالوا لا قال فهل تضارون في القمر ليلة البدر ليس في سحابة قالوا لا قال
فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم فيلقى العبد فيقول له الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك
الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول العبد نعم فيقول افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول فاني
انساك كما نسيتني فتوهم نفسك يا مسكين وقد اخذت الملايكة بعضديك وانت واقف
بين يدي الله يسالك شفاها فيقول لك الم انعم عليك بالشباب ففيماذا ابليته الم امهل لك في العمر
ففيماذا افنيته الم ارزقك الاموال فمن اين اكتسبته وفيماذا انفقته الم اكرمك بالعلم فماذا عملت
فيما علمت فكيف ترى حالك وخجلتك وهو يعد عليك انعامه ومعاصيك واياديه ومساويك
فان انكرت شهدت جوارحك قال انس كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال اتدرون
مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول الم تجرني من الظلم قال فيقول بلى قال
فيقول لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين
شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعمالهم ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول

الاعضايه بعد الكرب وسحقا فعنكن كنت اناضل فنعوذ بالله من الانفضاح على ملا الخلق بشهادة
الاعضاء الا ان الله تع وعد المومنين ان يستر عليهم ولا يطلع عليهم غيرهم سال ابن عمر
رجل فقال له كيف سمعت النجوى من النبي صلى الله عليه وسلم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يدنو
احدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول
نعم فيقول اني سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من
ستر على مومن عورته ستر الله عورته يوم القيمة فهذا انما يرجوه عبد مومن ستر على الناس عيوبهم
واحتمل في حق نفسه تقصيرهم فلم يحرك لسانه بذكر مساوي الناس ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون
لو سمعوه فهو جدير بان يجازي بمثله يوم القيمة وهب انه ستره من غيرك اليس قد قرع سمعك النداء الى
العرض فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك اذ يوخذ بناصيتك فتقاد وفوادك يضطرب وفرايصك ترتعد
وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم فقدر نفسك وانت بهذه الصفة
تتخطى الرقاب فتخرق الصفوف وتقاد كما تقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلايق اليك ابصارهم
فتوهم نفسك في ايدي الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهوا بك الى عرش الرحمن فرموك من ايديهم و
ناداك الله بعظيم كلامه يا ابن آدم ادن مني فدنوت بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل
وفواد منكسر واعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها فكم من فاحشة نسيتها
فتذكرتها وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشف لك عن مساويها فكم لك من خجل وحصر وكم لك
من حصر وعجز فليت شعري باي قدم تقف بين يديه وباي لسان تجيب وباي قلب تعقل ثم تفكر في
عظيم عتابك اذا ذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدي اما استحييت مني فبارزتني بالقبيح
واستحييت من خلقي فاظهرت لهم الجميل اكنت اهون عليك من ساير عبادي استخففت
بنظري اليك فلم تكترث بي واستعظمت نظر غيري الم انعم عليك فماذا غرك بي اظننت اني
لا اراك وانك لا تلقاني قال النبي صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا ويساله رب العالمين
ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليقفن احدكم بين يدي الله
تع ليس بينه وبينه حجاب فيقول الم اوتك مالا فيقول بلى فيقول الم ارسل اليك رسولا فيقول
بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى الا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى الا النار فليتق احدكم النار ولو
بشق تمرة فان لم يجد فبكلمة طيبة قال ابن مسعود رضي الله عنه ما منكم من احد الا سيخلو الله به
كما يخلو احدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما عملت فيما علمت يا ابن آدم
ماذا اجبت المرسلين يا ابن آدم الم اكن رقيبا على عينك وانت تنظر بها الى ما لا يحل لك الم
اكن رقيبا على اذنك وهكذا على ساير الاعضاء قال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيمة من بين
يدي الله حتى يساله عن اربع خصال عن عمره فيما افناه وعن علمه ما عمل به وعن جسمه فيما ابلاه
وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه فاعظم يا مسكين بحياتك عند ذلك وبخطرك فانك بين ان
يقال لك سترتها لك في الدنيا وانا اغفرها لك في الآخرة وعند ذلك يعظم سرورك وفرحك
ويغبطك الاولون والآخرون وان يقال لك خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه وعند

ذلك

ذلك لو بكت عليك السموات والارض لكان جديرا بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه
من طاعة الله تع وعلى ما بعت به من آخرتك من دنيا فانية لم تبق معك

صفة الميزان

ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب الى الشمايل والايمان فان الناس بعد السوال ثلاث فرق
فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق اسود فيلتقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم و
يلقيهم في النار وينادي عليهم بشقاوة لا سعادة بعدها ابدا وقسم آخر لا سيية لهم فينادي عليهم مناد
ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون ويسرحون الى الجنة ثم يفعل ذلك باهل قيام الليل ثم بمن لم تشغله
تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله وينادي عليهم بسعادة لا شقاوة بعدها ويبقى قسم ثالث
هم الاكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله ان الغالب حسناتهم
او سيئاتهم ولكن يابى الله الا ان يعرفهم حقيقة ذلك ليتبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب
فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتشخص الابصار الى الكتب
اتقع في اليمين او في الشمال ثم الى لسان الميزان ايميل الى جانب السيئات ام الى الحسنات وهذه حالة
هايلة تطيش فيها عقول الخلايق روى الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان راسه في حجر عايشة رضي الله
عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سالت دموعها على خد النبي صلى الله عليه وسلم فانتبه وقال ما
يبكيك يا عايشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون اهليكم يوم القيمة قال والذي نفسي بيده في ثلاث
مواطن لا يذكر احد الا نفسه اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن آدم ايخف ميزانه
او يثقل وعند الصحيفة ينظر ابيمينه ياخذ ام شماله وعند الصراط وعن انس قال يوتى بابن آدم يوم القيمة
حتى يوقف بين كفتي الميزان فيوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلايق شقي فلان شقاوة
لا يسعد بعدها ابدا وعند خفة الحسنات تقبل الزبانية وبايديهم مقامع من حديد
وعليهم ثياب النار فياخذون نصيب النار الى النار قال النبي صلى الله عليه وسلم في يوم القيمة
انه يوم ينادي الله فيه قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول وكم بعث النار فيقول من كل الف
تسعماية وتسع وتسعون في النار وواحد في الجنة فلما سمع الصحابة ذلك ابلسوا حتى ما اوضحوا الضاحكة
فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك من اصحابه قال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ان معكم لخليقتين
ما كانتا مع احد قط الا كثرتاه مع من هلك من بني آدم وبني ابليس قيل وما هما يا نبي الله قال
ياجوج وماجوج قال فسري عن القوم فقال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما انتم في الناس
الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة

صفة الخصماء ورد المظالم

قد عرفت هول الميزان وخطره وان الاعين شاخصة الى لسان الميزان فمن ثقلت موازينه فهو في
عيشة راضية ومن خفت موازينه فامه هاوية وما ادريك ما هيه نار حامية واعلم انه
لا ينجو من خطر الحساب والميزان الا من حاسب نفسه في الدنيا ووزن فيها بميزان الشرع اعماله
واقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل
ان توزنوا وانما حسابه لنفسه ان يتوب من كل معصية توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من
تقصيره في فرايض الله ويرد المظالم حبة بعد حبة ويستحل عن كل من تعرض له بلسانه ويده و

سطوته ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب
وان مات قبل رد المظالم احاط به خصماؤه فهذا ياخذ بيده وهذا يقول شتمتني وهذا يقول
استهزات بي وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فاسات جواري وهذا
يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني واخفيت عني عيب متاعك وهذا يقول كذبت
في سعر متاعك وهذا يقول رايتني محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتني وهذا يقول وجدتني مظلوما و
كنت قادرا على دفع الظالم فداهنت الظالم وما راعيتني فبينا انت كذلك وقد انشبت الخصماء فيك مخالبهم
واحكموا في تلابيبك ايديهم وانت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك احد عاملته
على درهم او جالسته في مجلس الا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة او خيانة او نظر بعين استحقار
وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عين الرجاء الى سيدك ومولاك لعله يخلصك من ايديهم
اذ يقرع سمعك نداء الجبار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة
وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما انذرك الله به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الله غافلا عما
يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى قوله وافئدتهم هواء فما اشد فرحك اليوم بتمضمضك باعراض
الناس وتناولك موالهم وما اشد حسراتك في ذلك اليوم اذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت بخطاب
السياسة وانت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على ان ترد جوابا او تظهر عذرا فعند ذلك تؤخذ
حسناتك التي انفقت فيها عمرك وتنقل الى خصمائك عوضا عن حقوقهم قال ابو هريرة رضي الله عنه قال
النبي صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس
من امتي من ياتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا واخذ مال هذا وسفك
دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته وان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما
عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر الى مصيبتك في مثل هذا اليوم اذ ليس يسلم
لك حسنة من آفات الدنيا ومكايد الشيطان وان سلمت واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك
واخذوها ولعلك لو حاسبت نفسك وانت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت انه لا
ينقضي عنك يوم الا ويجري على لسانك من غيبة ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيآت من اكل
الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات فكيف ترجوا الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه
للجماء من القرناء فعن ابي ذر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم راى شاتين تنتطحان
فقال يا ابا ذر اتدري فيم تنتطحان قلت لا قال ولكن ربك تدري وسيقضي بينهما يوم القيمة وقال
ابو هريرة رضي الله عنه في قوله تع وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم انه
يحشر الخلق كلهم يوم القيمة البهائم والدواب والطيور وكل شيء فيبلغ من عدل الله ان ياخذ
للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف انت يا
مسكين يوم ترى صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك فتقول اين حسناتي فيقال نقلت الى
صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيآت طال في الصبر عنها نصبك واشتد بسبب
الكف عنها عناؤك فتقول يا رب سيآت ما اقترفتها قط فيقال هذه سيآت الذين اغتبتهم

وشتمتهم

وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المعاملة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة
والمدارسة وساير اصناف المعاملة قال ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان
الشيطان قد يئس ان يعبد الاصنام بارض العرب ولكن سيرضى منكم بما دون ذلك بالمحقرات
وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فان العبد ليجيء يوم القيمة بامثال الجبال من الطاعات
يرى انهن ستنجيه فما يزال العبد يجيء فيقول يا رب ان فلانا ظلمني مظلمة فيقول امح من حسناته فلا
يزال كذلك حتى ما يبقى له من حسناته شيء وان مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الارض ليس معهم
حطب فتفرق القوم فاحتطبوا فلم يلبثوا ان اعظموا نارهم وصنعوا ما ارادوا فكذلك الذنوب
ولما نزل قوله تع انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله
ايكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا الى كل ذي حق
حقه قال الزبير والله ان الامر لشديد فاعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن
لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال انس سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
يحشر الله العباد عراة غرلا بهما قال قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم بصوت
يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك الديان لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة ولا
لاحد من اهل النار ان يدخل النار وعنده مظلمة حتى اقتصه منه حتى اللطمة قلنا وكيف وانما
ناتي الله عراة غرلا بهما فقال بالحسنات والسيآت فاتقوا الله عباد الله مظالم العباد باخذ موالهم و
التعرض لاعراضهم وتضييق قلوبهم واساءة الخلق في معاشرتهم فان ما بين العبد وبين الله خاصة
فالمغفرة اليه اسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال ارباب المظالم فليكثر
من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه
الا الله فعساه يقربه ذلك الى الله فينال به لطفه الذي ادخره لاجابة المؤمنين في دفع مظالم
العباد عنهم كما روى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس اذ رايناه يضحك
حتى بدت ثناياه فقال عمر ما يضحكك يا رسول الله بابي انت وامي قال رجلان جثيا من امتي بين
يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من اخي فقال الله تع اعط اخاك مظلمته فيقول
يا رب لم يبق من حسناتي فقال الله تع للطالب كيف يصنع ولم يبق شيء من حسناته قال يا رب فليحمل
من اوزاري قال وفاضت عينا النبي صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يحتاج
الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال فقال الله تع للطالب ارفع راسك فانظر في الجنان فرفع
راسه فقال يا رب ارى مداين من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا ولاي
صديق هذا ولاي شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال انت تملكه قال وما هو
قال عفوك عن اخيك قال يا رب اني قد عفوت عنه قال الله خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين في القيمة
وهذا تنبيه على ان ذلك انما ينال بالتخلق باخلاق الله وهو اصلاح ذات البين وساير الاخلاق فتفكر
الآن في نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم او تلطف لك حتى عفا عنك واوتيت سعادة الابد

كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضا وعرفت بسعادة
ليس بعدها شقاء ونعيم لا يدور بحواشيها الفناء وعند ذلك طار قلبك سرورًا وفرحًا وابيض وجهك
واستنار واشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعًا راسك خاليًا
من الاوزار ظهرك نضارة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك وخلق الاولين والآخرين ينظرون
اليك والى حالك ويغبطونك على حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون
على رؤس الاشهاد هذا فلان ابن فلان وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدًا افترى ان المنصب
ليس باعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك
وان كنت تعلم انه خير منه بل لا نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافي والنية
الصافية في معاملتك مع الله فلن تدرك ذلك الا به وان يكن الاخرى والعياذ بالله وخرجت من صحيفتك
جريمة كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيمة فمقتك لاجلها فقال عليك لعنتي يا عبد السوء لا اتقبل
منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء الا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله فيقولون وعليك
لعنتنا ولعنة الخلائق اجمعين وعند ذلك تتنال الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فاقدمت عليك
بفظاظتها وزعارتها وصورها المنكرة فاخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملأ الخلق وهم
ينظرون الى سواد وجهك والى ظهور خزيك وانت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لك
لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرًا وتنادي الملائكة ويقولون هذا فلان بن فلان كشف
الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائحه ومساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدًا وربما يكون
ذلك بذنب اذنبته خيفة من عباد الله او طلبًا للمكانة في قلوبهم او خوفًا من الافتضاح عندهم
فما اعظم جهلك اذ تحترز من الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا المنقرضة ثم لا
تخشى من الافتضاح العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الاليم وسياق الزبانية الى سواء الجحيم
فهذه احوالك وانت بعد لم تشعر بالخطر الاعظم وهو خطر الصراط **صفة الصراط**
ثم تفكر بعد هذه الاهوال في قوله تع يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدًا ونسوق المجرمين الى جهنم وردًا
وفي قوله تع فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون والناس بعد هذه الاهوال يساقون
الى الصراط وهو جسر ممدود على متن النار احد من السيف وادق من الشعر من استقام في هذا
العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا واثقل
ظهره بالاوزار وعصى تعثر على اول قدم من الصراط وتردى فتفكر الآن فيما يحل بك من الفزع
بفؤادك اذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار
وتغيظها وقد كلفت ان تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل وثقل ظهرك
بالاوزار المانعة لك من المشي على بساط الارض فضلًا عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت احدى
رجليك فاحسست بحدته واضطررت الى ان ترفع القدم الثانية والخلائق بين يديك يزلون
ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف ينكسون
فتسفل الى جهة النار رؤسهم وتعلوا ارجلهم فياله من منظر ما افظعه ومرتقى ما اصعبه

ومجاز ما اضيقه فانظر الى حالك وانت تزحف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر باوزارك
تلتفت يمينًا وشمالًا الى الخلق وهم يتهافتون والنبي صلى الله عليه وسلم يقول يا رب سلم سلم و
الزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زاغ عن الصراط من الخلائق فكيف بك
لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك وقلت يا ويلاه هذا ما كنت اخافه فيا ليتني اتخذت مع الرسول
سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانًا خليلًا يا ليتني كنت ترابًا يا ليتني لم تلدني امي وعند ذلك تختطفك
النيران والعياذ بالله وينادي المنادي اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الى الصلاح والا الانين
والتنفس والاستكانة فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن به فما اطول
مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت به مؤمنًا وعنه غافلًا وبالاستعداد لها متهاونًا
فما اعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك ايمانك اذا لم يبعثك الى السعي في طلب رضى الله بطاعته و
ترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا اهوال الصراط وارتياع قلبك من خطرك في الجواز وان سلمت فناهيك
به هولًا وفزعًا ورعبًا قال النبي صلى الله عليه وسلم يضرب الصراط بين ظهري جهنم واكون اول
من جاز بامته من الرسل ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم
كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله يختطف الناس
باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه و
سلم يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يمينًا وشمالًا وعلى
جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم سلم ومن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالفرس ومنهم
من يسعى سعيًا ومنهم من يمشي مشيًا ومنهم من يحبو ومنهم من يزحف زحفًا فاما اهل النار
الذين هم اهلها فلا يموتون ولا يحيون واما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون
فحمًا ثم يؤذن في الشفاعة الحديث وعن ابن مسعود انه عليه السلم قال يجمع الله الخلائق الاولين و
الآخرين لميقات يوم معلوم قيامًا اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السماء ينتظرون فصل القضاء
وذكر الحديث الى سجود المؤمنين قال ثم يقول ارفعوا رؤسكم فيرفعون رؤسهم فيعطيهم نورهم
على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ومنهم من يعطى اصغر من ذلك حتى يكون آخرهم
رجلًا يعطى نوره على ابهام قدميه فيضيء مرة ويطفأ مرة فاذا اضاء قدم قدمه فمشى واذا طفئ قام
ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق و
منهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من
يمر كشد الرجل حتى يمر الذي اعطي نوره على ابهام قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر يد و
تعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف
عليها ثم قال الحمد لله الذي اعطاني ما لم يعط احدًا اذ نجاني منها بعد اذ رأيتها فينطلق به الى غدير
عند باب الجنة فيغتسل وقال انس بن مالك رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
الصراط كحد السيف او كحد الشعرة وان الملائكة تنجي المؤمنين والمؤمنات وان جبريل عليه السلم
لآخذ بحجزتي واني لاقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات كثير فهذا اهوال الصراط وعظائمه فطول

فيه فكرك فانه سلم من اهوال القيمة من طال فيها فكره في الدنيا فان الله لا يجمع على احد خوفين فمن
خاف هذه الاهوال في الدنيا امنها في الآخرة ولست اعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك
ويرق قلبك في حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود الى لهوك ولعبك فما ذاك من الخوف في شيء لان
من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك الا خوف يمنعك من معاصي الله ويحثك
على طاعته وابعد من رقة النساء خوف الحمقى اذا سمعوا الاهوال سبقت السنتهم الى الاستعاذة
وقالوا نستعيذ بالله نعوذ بالله سلم سلم وهم مع ذلك يصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم
فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن
فاذا رأى انياب السبع وصولته من بعيد قال بلسانه اعوذ بهذا الحصن واستعين بشدة
بنيانه واحكام اركانه يقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فانى يغني ذلك من السبع وكذلك
اهوال الآخرة ليس لها حصن الا قول لا اله الا الله صادقا ومعنى صدقه ان لا يكون لك مقصد
سوى الله ولا معبود سواه ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد من الصدق في توحيده وامره مخطر
في نفسه فان عجزت عن ذلك كله فكن محبا للنبي صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سنته
متشوقا الى مراعاة قلوب الصالحين من امته وتبركا بادعيتهم فعساك تنال من شفاعته
او شفاعتهم فتنجو بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة **صفة الشفاعة** اعلم انه اذا
حقت النار على طوايف من المؤمنين فان الله بفضله يقبل فيهم شفاعة الانبياء والصديقين
بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له جاه عند الله بحسن معاملته فان له شفاعة في اهله و
قرابته واصدقايه ومعارفه فكن حريصا على ان تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بان
لا تحقر آدميا قط فان الله تع خبا ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا
تستصغر معصية فان الله خبا غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه ولا تستحقر طاعة
فان الله تع خبا رضاه في طاعته فلعل رضاه فيه ولو الكلمة الطيبة او اللقمة او النية الحسنة وما
يجري مجراه وشواهد الشفاعة في القرآن والاخبار والآثار كثيرة قال الله تع ولسوف يعطيك
ربك فترضى وروى عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلا قول ابرهيم عليه السلم
رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى
عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ثم رفع يديه فقال
امتي امتي وبكى فقال الله تع يا جبريل اذهب الى محمد فسله ما يبكيك فاتاه فاخبره والله اعلم
به فقال يا جبريل اذهب الى محمد فسله ما يبكيك فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك
وقال عليه السلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي
الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وترابها لي طهورا فايما رجل من امتي ادركته
الصلوة فليصل واعطيت الشفاعة وكل نبي يبعث الى قوم خاصة وبعثت الى الناس عامة
وقال عليه السلم اذا كان يوم القيمة كنت امام الناس وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير
فخر وقال عليه السلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وانا اول من تنشق عنه الارض وانا اول شافع

مشفع بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه وقال عليه السلم لكل نبي دعوة مستجابة فاريد ان اختبئ دعوتي شفاعة
لامتي وقال ابن عباس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم للانبياء منابر من ذهب
فيجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قايما بين يدي ربي منتصبا مخافة ان يبعث بي الى الجنة
وتبقى امتي بعدي فاقول يا رب امتي فيقول الله تع يا محمد وما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم
فما زال اشفع حتى اعطى صكوكا برجال قد بعث بهم الى النار وحتى ان مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت للنار لغضب
ربك في امتك من بقية وقال عليه السلام اني لاشفع يوم القيمة لاكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر و
قال ابو هريرة رضي الله عنه اتي النبي صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكان يعجبه فنهش منها
نهشة ثم قال انا سيد الناس يوم القيمة وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الناس الاولين والآخرين في صعيد واحد
يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول
الناس بعضهم لبعض الا ترون ما قد بلغكم الا تنظرون من يشفع الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض
عليكم بآدم عليه السلام فياتون آدم فيقولون له انت ابو البشر خلقك الله تع بيده ونفخ فيك من روحه
وامر الملايكة فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم
آدم ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد نهاني عن الشجرة
فعصيته نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فياتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح
انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه
الا ترى ما قد بلغنا فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله
وانه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى ابرهيم خليل الرحمن فياتون ابرهيم
عليه السلام فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول
لهم ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلاث كذبات
ويذكرها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فياتون موسى عليه السلم فيقولون يا موسى انت رسول الله
فضلك برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قتلت نفسا لم اومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا
الى غيري اذهبوا الى عيسى فياتون عيسى عليه السلام فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الى مريم
وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى ان ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد
فياتون محمدا فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم الانبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فانطلق فآتي تحت العرش فاقع ساجدا ثم يفتح الله لي من محامده
وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي ثم قال يا محمد ارفع راسك وسل تعط واشفع تشفع فارفع راسي
فاقول امتي امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة و
هم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة
وحمير وبين مكة وبصرى وفي خبر آخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا ابرهيم وهو قوله في الكواكب هذا ربي

وقوله لا لهتهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم فهذه شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ولآحاد امته
من العلماء الصالحين شفاعة ايضا قال النبي صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر
من ربيعة ومضر وقال عليه السلم يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم فيشفع للقبيلة ولاهل البيت وللرجل
والرجلين على قدر عمله وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا من اهل الجنة
يشرف يوم القيمة على اهل النار فيناديه رجل من اهل النار ويقول يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما اعرفك من انت
فيقول انا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك
فيسال الله تع ويقول اني اشرفت على اهل النار فرأني رجل من اهلها فقال هل تعرفني فقلت لا من
انت قال انا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي بها فشفعني فيه فيشفعه الله فيؤمر به
فيخرج من النار. وعن انس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا و
انا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر و
قال النبي صلى الله عليه وسلم فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلق يقوم ذلك المقام
غيري وقال ابن عباس رضي الله عنه جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج
حتى دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله تع اتخذ من خلقه خليلا اتخذ
ابرهيم خليلا وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم الله
اصطفى آدم فخرج عليهم فسلم فقال قد سمعت كلامكم من تعجبكم ان ابرهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله
وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل
لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيمة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي
فادخلها ومعي فقراء المومنين وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر صلوات الله عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين

صفة الحوض

اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص الله تع بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت
الاخبار على وصفه ونحن نرجوان يرزقنا الله في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه فان من صفاته ان من شرب منه
لم يظما ابدا قال انس رضي الله عنه اغفى النبي صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع راسه متبسما فقالوا يا رسول الله لم
ضحكت فقال آية انزلت علي آنفا وقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر حتى ختمها
ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي في الجنة عليه خير كثير عليه حوض يرد
عليه امتي يوم القيمة آنيته عدد الكواكب وقال انس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم بينما انا اسير في
الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب اللولو المجوف قلت ما هذا يا جبرئيل قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك
فضرب الملك بيده فاذا طينته مسك اذفر وقال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما بين لابتي حوضي ما بين صنعاء
والمدينة او مثل ما بين المدينة وعمان وروى ابن عمر رضي الله عنه انه لما نزل قوله تع انا اعطيناك الكوثر قال النبي صلى الله عليه و
سلم هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واشد ريحا من المسك يجري على
جنادل اللولو والمرجان وقال ثوبان مولى النبي صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان حوضي ما بين عدن
الى عمان البلقاء ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظما
بعدها ابدا اول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر رضي الله عنه ومن هم يا رسول الله قال هم الشعث

رؤسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا يفتح لهم السدد وقال عمر بن عبد العزيز لقد نكحت المتنعمات
فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي السدد الا ان يرحمني الله لا جرم لا ادهن راسي حتى يشعث ولا اغسل ثوبي الذي
على جسدي حتى يتسخ. وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفسي بيده لآنيته
اكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية من شرب منها لم يظما آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة
عرضه مثل طوله ما بين عمان وايلة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واكوابه عدد نجوم السماء من شرب
منه شربة لم يظما بعدها ابدا. وعن سمرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا و
انهم يتباهون ايهم اكثر واردة واني ارجو ان اكون اكثرهم واردة فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فليرج كل عبد ان يكون من جملة الواردين وليحذر ان يكون متمنيا ومغترا وهو يظن انه راج فان الراجي
للحصاد من بث البذر بعد ان نقى الارض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالانبات ودفع الصواعق الى
اوان الحصاد فاما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الارض وسقيها واخذ يرجو من فضل الله ان ينبت له الحب
والفاكهة فهذا مغتر ومتمن وليس من الراجين في شي وهكذا حال اكثر الخلق وهو غرور الحمقى نعوذ بالله من
الغرور والغفلة فان الاغترار بالله اعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تع فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

القول في صفة جهنم واهوالها وانكالها

ايها الغافل عن نفسه المغرور بما انت فيه من شواغل
الدنيا المشرفة على الانقضاء دع التفكر فيما انت عنه مرتحل واصرف الفكر الى موردك فانك اخبرت ان النار مورد
الجميع اذ قيل وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فانت من
الورود على يقين ومن النجاة على شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تتهيأ للنجاة بالتشمر لاعمالها و
تامل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيمة ما قاسوا فبيناهم في كربها واهوالها واقفين ينتظرون حقيقة
انبائها وتشفع شفعائها اذ احاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب واظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة
ينفصح عن شدة الغيظ والغضب وايقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى اشفق
البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قايلا اين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول
الامل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظايم التهديد ويسوقونه الى العذاب
الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له ذق انك انت العزيز الكريم فاسكنوا دارا ضيقة الارجاء مظلمة المسالك
مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم في الجحيم الزبانية تقمعهم
والهاوية تجمعهم اماني فيها الهلاك وما لهم منها فكاك قد شدت اقدامهم الى النواصي واسودت وجوههم من
ظلمات المعاصي ينادون من اكنافها ويصيحون في اطرافها يا مالك قد اثقلنا الحديد يا مالك قد حق
علينا الوعيد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك اخرجنا منها فانا لا نعود فتقول الزبانية لات حين امان
ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون ولو اخرجتم لكنتم الى ما نهيتم عنه عائدين فعند ذلك
يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتاسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الاسف بل يكبون على وجوههم مغلولين
النار من فوقهم ومن تحتهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار و
لباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل
فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها تغلي بهم النيران كغلي القدور

ويهتفون بالويل والعويل والثبور ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤسهم الحميم يصهر
به ما في بطونهم والجلود فيهشم بالمقامع جماجمهم فينفجر الصديد من أفواههم و
تتقطع من العطش أكبادهم ويسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومهم ويتمعط
من الأطراف شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها وعريت من اللحم عظامهم
فبقيت الأرواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون
الموت ولا يموتون فكيف بك لو نظرت إليهم وقد سودت وجوههم أشد سواداً من الحمم وأعميت أبصارهم
وأخرست ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت
أيديهم إلى أعناقهم وجمعت بين نواصيهم وأقدامهم وهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤن حسك
الحديد بأحداقهم فلهيب النار سار في بواطن أحداقهم وحيات الهاوية وعقاربها بظواهر أعضائهم
هذه جملة أحوالهم وانظر الآن في تفصيل أحوالهم وتفكر أولاً في أودية جهنم فقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون
ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله وقال علي رضي الله عنه قال
النبي صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن قيل يا رسول الله وما وادي الحزن أو جب الحزن
قال واد في جهنم يتعوذ منه جهنم في كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين فهذه سعة جهنم وسعة
أوديتها وهي بحسب أودية الدنيا وشهواتها وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التي بها يعصي
العبد بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فانظر الآن
إلى عمق الهاوية فإنه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا وكما لا ينتهي أرب من الدنيا إلا إلى أرب
أعظم منه فلا ينتهي هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها قال أبو هريرة رضي الله عنه كنا مع النبي صلى الله عليه و
سلم فسمعنا وجبة فقال أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاماً
الآن حين انتهى إلى قعرها ثم انظر إلى تفاوت الدركات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا فكما أن
إكباب الناس على الدنيا متفاوت فمن منهمك مستهتر كالغريق فيها ومن خائض فيها إلى حد محدود فكذلك تناول
النار لهم متفاوت فإن الله لا يظلم مثقال ذرة فلا يترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيف كان بل لكل واحد
حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه إلا أن أقلهم عذاباً لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من
شدة ما هو فيه قال النبي صلى الله عليه وسلم إن أدنى أهل النار عذاباً ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من
حرارة نعليه فانظر الآن إلى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما شككت في شدة عذاب النار فقرب
أصبعك من النار وقس ذلك به ثم اعلم أنك أخطأت في القياس فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما
كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها
هرباً مما هم فيه وعن هذا عبر في بعض الأخبار حيث قيل إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من
مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا بل صرح النبي صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال أوقدت النار ألف
سنة حتى احمرت ثم أوقدت عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقدت عليها ألف سنة حتى اسودت
فهي سوداء مظلمة وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها

بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف إشارة إلى أن حر الشمس وبرد زمهرير الشتاء من نفسيها
قال أنس بن مالك يؤتى بأنعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل
رأيت نعيماً قط فيقول لا فيؤتى بأشد الناس ضراً في الدنيا فيقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له هل
رأيت ضراً قط فيقول لا وقال أبو هريرة رضي الله عنه لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس
رجل من أهل النار لماتوا وقد قال بعض العلماء في قوله عز وجل تلفح وجوههم النار إنها لفحتهم لفحة فما
أبقت لحماً على عظم إلا ألقته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من أبدانهم
حتى يغرقوا فيه وهو الغساق قال أبو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم لو أن دلواً من
غساق جهنم ألقي في الدنيا لأنتن أهل الأرض فهذا شرابهم إذا استغاثوا من العطش ومنهم من يسقى
من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وإن يستغيثوا
يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال تعالى ثم
إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم
وقال تعالى إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم إلى قوله لشوباً من حميم وقال تعالى تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية وقال
تعالى إن لدينا أنكالاً وجحيماً وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً وقال ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن
قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ذلك وقال
أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله فيه واحذروا وخافوا مما خوفكم الله به من عذابه وعقابه
ومن جهنم فإنه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها حلتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم
في دنياكم التي أنتم فيها خبثتها عليكم وقال أبو الدرداء قال النبي صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع
حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع و
يستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب
فيستغيثون بالشراب فيرفع الحميم إليهم بكلاليب الحديد فإذا دنا من وجوههم شوى وجوههم
وإذا دخل بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم أن ادعوا
ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما
دعاء الكافرين إلا في ضلال قال فيقولون ادعوا مالكاً فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك
قال فيجيبهم إنكم ماكثون قال الأعمش أنبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام قال
فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال
فيجيبهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير
والحسرة والويل وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد
يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الآية قال يقرب إليه فيتكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت
فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم ويقول
الله تعالى وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم
فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفظاعة منظرها وقد

سلطت على اهلها واغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكوته مثّل له يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوّقه ثم ياخذ بلهزمته يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا قوله تع ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتيهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في النار لحيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا وان فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا وهذه العقارب والحيات انما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس ومن وقي ذلك وقي من الحيات فلم تمثل له ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم اجسام اهل النار فان الله يزيد في اجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عقابهم بسبب ذلك فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات في جميع اجزائهم دفعة واحدة على التوالي قال ابو هريرة رضي الله عنه ضرس الكافر في النار مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاث وقال النبي صلى الله عليه وسلم شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال صلى الله عليه وسلم ان الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيمة يتوطاه الناس ومع عظم الاجسام تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن في قوله تع كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ثم تفكر الآن في بكاء اهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور فان ذلك يسلط عليهم في اول القائهم النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل على اهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع حتى يبكوا الدم حتى يرى في خدودهم هيئة الاخدود لو ارسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم مستروح ولكنهم يمنعون ايضا من ذلك قال محمد بن كعب رحمه الله لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله في اربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيقول الله تع مجيبا لهم ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم الآية ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم الله تع اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال فيقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيقول الله تع اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر الآية ثم يقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيجيبهم الله تع اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا وذلك غاية شدة العذاب قال مالك بن انس قال زيد بن اسلم في قوله تع سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيمة كانه كبش املح فيذبح فيقال يا اهل الجنة خلود لا موت ويا اهل النار خلود لا موت وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد الف عام ويا ليتني كنت ذلك الرجل ورئي الحسن

جالسا

جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له لم تبكي فقال اخشى ان يطرحني في النار ولا يبالي فهذه اصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها واحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية لها فاعظم الامور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تع وفوت رضاه مع علمهم بانهم باعوا ذلك كله بثمن بخس دراهم معدودة اذ لم يبيعوه الا بشهوات حقيرة في الدنيا اياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة فيقولون في انفسهم واحسرتاه كيف اهلكنا انفسنا بعصيان ربنا وكيف لم نكلف انفسنا الصبر اياما قلايل ولو صبرنا لكانت ايام الصبر قد انقضت عنا وبقينا الآن في جوار الرحمن متنعمين بالرضا والرضوان فيا لتحسر هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها ثم انهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيمة بناس من النار الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا الى قصورها والى ما اعد الله لاهلها فيها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون والآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تُرينا ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا قال ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بي بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم العذاب الاليم مع ما حرمتكم من الثواب قال احمد بن حرب ان احدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار وقال عيسى عليه السلم كم جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين اطباق النيران يصيح وقال داود الهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك فانظر يا مسكين في هذه الاهوال واعلم ان النار خلقها الله باهوالها وخلق لها اهلا لا يزيدون ولا ينقصون وان هذا امر قد قضي وفرغ منه قال الله تع وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة ولعمري الاشارة به الى يوم القيمة ولكن ما قضي الامر يوم القيمة بل في ازل الآزال ولكن اظهر يوم القيمة ما سبق به القضاء والعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري ان القضاء بماذا سبق في حقك فان قلت فليت شعري موردي والى ماذا مآلي ومرجعي وما الذي سبق به القضاء في حقي قلت لك علامة تستانس بها وتصدق رجاءك بسببها وهي ان تنظر الى احوالك واعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار وان كنت لا تقصد خيرا الا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرا الا ويتيسر لك اسبابه فاعلم انك مقضي عليك بالنار فان دلالة هذا الامر على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار وقد قال الله تع ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين

المقول في صفة الجنة واصناف نعيمها

اعلم ان تلك الدار التي عرفت همومها وغمومها وشرورها تقابلها دار اخرى فتامل نعيمها وسرورها فان من بعد من احديهما استقر لا محالة في الاخرى فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في اهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء الى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الاليم فتفكر في اهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر من الياقوت الاحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الابيض فيها

يسط من العبقري الاخضر ومتكئين على ارائك منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل والماء واللبن
محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كانهن الياقوت والمرجان لم
يطمثهن قبلهم انس ولا جان يمشين في درجات الجنان اذا اختالت احديهن في مشيها حمل اعطافها سبعون
الفا من الولدان عليها من طرايف الحرير الابيض ما يتحير فيه الابصار مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ و
المرجان شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبوس مقصورات في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات
الجنات قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم وعليهن باكواب واباريق وكاس من معين ويطوف عليهم خدام وولدان
كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون في مقام امين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك
وينظرون فيها الى وجه الملك الكريم وقد اشرقت في وجوههم نضرة النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد
مكرمون وبانواع التحف من ربهم يتعاهدون فهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يخافون فيها
ولا يحزنون وهم عن ريب المنون آمنون فهم فيها يتنعمون وياكلون من اطعمتها ويشربون من انهارها
ماء ولبنا وخمرا وعسلا في انهار اراضيها فضة وحصباؤها مرجان وعلى ارض ترابها مسك اذفر
ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور ويؤتون باكواب واي
اكواب اكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيها من الرحيق المختوم الممزوج
بماء السلسبيل العذب كوب يشرق نورا من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم
يصنعه آدمي فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صياغته في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في اشرا تنا
ولكن من اين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن اصداغه وملاحة احداقه فيا عجبا لمن يؤمن بدار
هذه صفتها ويوقن بانه لا يموت اهلها ولا تحل الفجايع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الاحداث بعين
التغير الى اهلها كيف يانس بدار قد اذن الله في خرابها ويتهنا بعيش دونها والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان
مع الامن من الموت والجوع والعطش وساير اصناف الحدثان لكان جديرا بان تهجر الدنيا بسببها
وان لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضروراتها كيف واهلها ملوك آمنون وفي انواع السرور ممتعون لهم فيها كل
ما يشتهون وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون والى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون
معه الى ساير نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام في اصناف هذه النعم يترددون ومن زوال هذه
النعم آمنون قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا
وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا
فذلك قوله تع ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ومهما اردت ان تعرف صفة الجنة
فاقرء القرآن فليس وراء بيان الله بيان واقرا من قوله تع ولمن خاف مقام ربه جنتان واقرا
سورة الواقعة وغيرها من السور وان اردت ان تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتامل الآن
تفصيلها بعد ان اطلعت على جملتها وتامل اولا عدد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم في قوله تع ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب
آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ثم انظر
الى ابواب الجنة فانها كثيرة بحسب اصول الطاعات كما ان ابواب النار بحسب اصول المعاصي قال

النبي صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من ابواب الجنة وللجنة ابواب فمن كان
من اهل الصلوة دعي من باب الصلوة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الصيام ومن كان من اهل
الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد فقال ابو بكر رضي الله
عنه والله ما على احد من ضرورة من ايها دعي فهل يدعى احد منها كلها فقال نعم ارجو ان تكون منهم
وعن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه انه ذكر النار فعظم امرها ذكرا لا احفظه ثم قال وسيق
الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة تخرج من تحت
ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احديهما كانما امروا به فشربوا منها فاذهبت ما في بطونهم من
اذى او باس ثم عمدوا الى الاخرى فتوضوا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلا تغبر اشعارهم بعدها ابدا
ولا تشعث رؤسهم كانما ادهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف اهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبة
يقولون له ابشر اعد الله لك من الكرامة كذا قال ثم ينطلق غلام من اولئك الولدان الى بعض ازواجه
من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا قالت رايته فيقول رايته و
هو باثري فاخذ بها الفرح حتى تقوم على اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس بنائه فاذا جندل
اللؤلؤ فوقه صرح اخضر واصفر من كل لون ثم يرفع راسه فينظر الى سقفه فاذا مثل البرق
ولولا ان الله تع قدره للابد كاد ان يذهب بصره ثم يطاطي راسه فاذا اكواب موضوعة ونمارق
مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكئوا فقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا
الله ثم ينادي مناد تحيون فلا تموتون ابدا وتقيمون فلا تظعنون ابدا وتصحون فلا تمرضون ابدا
وقال صلى الله عليه وسلم آتي يوم القيمة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول
بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك ثم تامل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فان
الآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا وكما ان بين الناس في الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة
المحمودة تفاوت ظاهر فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب اعلى الدرجات
فاجتهد ان لا يسبقك احد بطاعة الله فقد امرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال سابقوا
الى مغفرة من ربكم وقال وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك
او جيرانك بزيادة درهم او بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به ذرعك وتنغص بسبب الحسد عيشك
واحسن احوالك ان تستقر في الجنة وانت لا تسلم فيها عن اقوام يسبقونك بلطايف لا توازيها
الدنيا بحذافيرها فقد قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل
الجنة ليرون اهل الغرف فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم
قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله
وصدقوا المرسلين وقال ايضا ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في
افق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وقال جابر رضي الله عنه قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم الا احدثكم بغرف
الجنة فقلنا بلى يا رسول الله بابينا انت وامنا قال ان في الجنة غرفا من اصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من

باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر فقلت يا رسول الله لمن هي الغرف قال لمن افشى السلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام
قال قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال امتي تطيق ذلك وساخبركم عن ذلك من لقي اخاه فسلم عليه
او رده عليه فقد افشى السلام ومن اطعم اهله وعياله حتى يشبعهم فقد اطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن
كل شهر ثلثة ايام فقد ادام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام اي
اليهود والنصارى والمجوس وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تع ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصور من لولؤ
في كل قصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمرد اخضر في كل بيت سبعون سريرا وعلى كل
سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مايدة على كل مايدة سبعون
لونا من الطعام وفي رواية في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المومن في كل غداة من القوة ما ياتي على ذلك اجمع
صفة الجنة وارضها واشجارها وانهارها تامل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها و
حسرة من حرم عنها القناعة بالدنيا ثمنا عنها قال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان حايط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ترابها زعفران وطينها مسك وسئل عليه السلام عن تربة الجنة فقال فضة
بيضاء مسك خالص وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يسقيه الله الخمر في الآخرة فليتركه
في الدنيا ومن سره ان يكسيه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا انهار الجنة تتفجر من تحت تلال او تحت
جبال المسك ولو كان ادنى اهل الجنة حلية عدلت بحلية اهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله به في الآخرة
افضل من حلية اهل الدنيا جميعا وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير
الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها فاقروا ان شئتم وظل ممدود قال ابو امامة رضي الله عنه كان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ان الله تع ينفعنا بالاعراب ومسايلهم اقبل اعرابي فقال يا رسول الله
قد ذكر الله في القرآن شجرة موذية وما كنت ارى ان في الجنة شجرة توذي صاحبها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هي
قال هي السدر فان لها شوكا فقال قال الله تع في سدر مخضود يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم يتفتق
الثمر منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر وقال جرير بن عبد الله نزلنا
الصفاح فاذا رجل نايم تحت شجرة قد كادت الشمس ان تبلغه فقلت للغلام انطلق بهذا النطع
فاظله فلما استيقظ اذا هو سلمان فاتيته اسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه
الله يوم القيمة هل تدري ما الظلمات يوم القيمة قلت لا ادري قال ظلم الناس بينهم ثم اخذ عويدا لا اكاد اراه
من الصغر فقال يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده قلت يا عبد الله فاين النخل والشجر قال اصولها اللولؤ
والذهب واعلاها الثمر **صفة لباس اهل الجنة وفرشهم وسررهم وارايكهم وخيامهم**
قال الله تع يحلون فيها من اساور من ذهب ولولؤا ولباسهم فيها حرير والآيات في تفصيل ذلك كثيرة
واما تفصيله في الاخبار فقد روى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم
ولا يباس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال
رجل يا رسول الله اخبرنا عن ثياب اهل الجنة اتخلق خلقا ام تنسج نسجا فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وضحك بعض
القوم فقال عليه السلام مم تضحكون من جاهل سال عالما ثم قال عليه السلام بل تتشقق عنها ثمر الجنة مرتين او

قال ابو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر
لا يبصقون فيها ولا يتمخطون ولا يتغوطون فيها آنيتهم وامشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك
ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقيهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم
على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وفي رواية انه على كل زوجة سبعون حلة وقال النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله تع يحلون فيها الآية قال ان عليهم التيجان ان ادنى لولؤة فيها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وقال
عليه السلام الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للمومن اهل لا يراه
الآخرون رواه البخاري في الصحيح قال ابن عباس الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها اربعة آلاف مصراع من
ذهب وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين
السماء والارض **صفة طعام اهل الجنة** بيان طعام اهل الجنة مذكور في القرآن من الفواكه
والطيور السمان والسلوى والعسل واللبن واصناف كثيرة لا تحصى قال الله تع كلما رزقوا منها من
ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها وذكر الله شراب اهل الجنة في مواضع كثيرة
وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت قاعدا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه حبر من
احبار اليهود فذكر اسولة الى ان قال من اول الناس اجازة على الصراط فقال فقراء المهاجرين فقال
اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة فقال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم على اثره فقال ينحر لهم
ثور الجنة الذي كان ياكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين تسمى سلسبيلا فقال صدقت
وقال زيد بن ارقم جاء رجل من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القسم الست تزعم ان اهل
الجنة ياكلون فيها ويشربون وقال لاصحابه ان اقر لي بهذا خصمته فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى والذي نفسي
بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع فقال اليهودي فان الذي ياكل ويشرب
تكون له الحاجة فقال النبي صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد طهر
وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين
يديك مشويا وقال حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة طيرا امثال البخاتي فقال ابو بكر انها
لناعمة يا رسول الله فقال انعم منها الذي ياكلها وانت ممن تاكلها يا ابا بكر وقال ابن عمر في قوله تع يطاف
عليهم بصحاف قال يطاف بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس في الاخرى وقال ابن مسعود و
مزاجه من تسنيم قال تمزج لاصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفا وقال ابو الدرداء في قوله تع ختامه مسك قال
هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به آخر شربهم لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل يده فيها ثم اخرجها لم يبق
ذو روح الا وجد ريح طيبها **صفة الحور العين والولدان** قد تكرر في القرآن اوصافهم وورد
الاخبار بزيادة شرح فيه روى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال غدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها
ولقاب قوس احدكم وموضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو ان امراة من نساء اهل الجنة طلعت
الى الارض لاضاءت ولملات ما بينهما رايحة ولنصيفها على راسها خير من الدنيا بما فيها يعني الخمار وقال
ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تع كانهن الياقوت والمرجان فان النظر الى وجهها في خدرها
اصفى من المراة وان ادنى لولؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره

حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وقال انس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لما اسري بي دخلت الجنة
موضعا يسمى البيذخ عليها خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت
يا جبرئيل ما هذا النداء قال هؤلاء المقصورات في الخيام استاذن ربهن في السلام عليك فاذن لهن فطفقن يقلن نحن
الراضيات فلا نسخط ونحن الخالدات فلا نظعن ابدا وقرا النبي صلى الله عليه وسلم قوله تع حور مقصورات في الخيام وقوله تع
وازواج مطهرة من الحيض والغائط والبول والنجاسة والنخامة والمني والولد وقال الاوزاعي في شغل فاكهون ان
شغلهم افتضاض الابكار قال رجل يا رسول الله ايبا ضع اهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد افضل
من سبعين منكم قال عبد الله بن عمر ان ادنى اهل الجنة منزلة يسعى معه الف خادم وكل خادم على عمل ليس عليه صاحبه
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمس ماية حوراء واربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب
يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا قال عليه السلام ان في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شرى الا الصورة
من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وان فيها لمجتمع الحور العين يرفعن باصوات لم يسمع الخلايق
مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبوس ونحن الراضيات فلا نسخط وطوبى لمن كان لنا وكنا له و
قال يحيى بن كثير في قوله تع في روضة يحبرون قال السماع في الجنة قال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الحور في
الجنة يتغنين يقلن نحن الحور الحسان خبينا لازواج كرام وقال ابو امامة الباهلي رضي الله عنه قال النبي صلى الله
عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند راسه وعند رجله ثنتان من الحور العين تغنيانه باحسن صوت
يسمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه **بيان جمل معرفة من اوصاف**
اهل الجنة وردت الاخبار بها روى اسامة بن زيد رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه
الا هل مشمر للجنة ان الجنة لا خطر لها وهي ورب الكعبة نور يتلالا وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة
كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام ابدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة قالوا نحن المشمرون
لها يا رسول الله قال قولوا ان شاء الله تع ثم ذكر الجهاد وحض عليه وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل
في الجنة خيل فانها تعجبني قال ان احببت ذلك اتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت وقال
له رجل ان الابل تعجبني قال اذا احببت ذلك فهل في الجنة من ابل قال يا عبد الله ان ادخلت الجنة فلك فيها
ما اشتهت نفسك ولذت عيناك • وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم ان الرجل من اهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اذا استقر اهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان فيسير سرير هذا الى سرير هذا فيلتقيان فيتحدثان
ما كان بينهما في الدنيا فيقول يا اخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله تع فغفر لنا وقال النبي صلى الله عليه
وسلم اهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحلون ابناء ثلاث وثلثين سنة على خلق آدم طولهم ستون ذراعا
في عرض سبعة اذرع وقال النبي صلى الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف خادم واثنان
وسبعون زوجة وينصب له فيه من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء وان
عليهم التيجان وادنى لؤلؤة فيها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وقال عليه السلم نظرت
الى اهل الجنة فاذا الرمانة من رمانها كجلف البعير المقتب واذا طيرها كالبخت واذا فيها جارية
فقلت يا جارية لمن انت قالت لزيد بن حارثة واذا في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب

قال كعب خلق الله آدم بيده وكتب التورية بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمي فقالت
قد افلح المومنون فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم نقلناها تفصيلا وقد ذكر الحسن البصري
جملتها قال ان رمانها مثل الدلاء وان انهارها لماء غير آسن وانهارا من لبن لم يتغير طعمه و
انهارا من عسل مصفى لم يصفه الرجال وانهارا من خمر لذة للشاربين لا تسفه الاحلام و
تصدع منها الرؤس وان فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوك
ناعمون ابناء ثلاث وثلثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السماء جرد مرد قد
امنوا العذاب واطمانت بهم الدار وان انهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد
وان عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها الا الله وان ريحها لتوجد من مسيرة
خمسماية عام وان لهم خيلا وابلا هفافة رحالها وازمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون
فيها وازواجهم الحور العين كانهن بيض مكنون وان المراة لتاخذ بين اصبعها سبعين
حلة تلبسها فتلبسها فيرى مخ ساقها وراء تلك السبعين حلة قد طهر الله الاخلاق من السوء والاجساد
من الموت لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وانما هو رشح مسك وحشاء لهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا اما انه ليس ليل لكن الغدو على الرواح والرواح على الغدو وان آخر من يدخل
الجنة وادناهم منزلة ليمد له في بصره وملكه مسيرة ماية عام في قصور الذهب والفضة و
خيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه يغدى عليهم بسبعين
الف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها في كل صحفة لون ليس في الاخرى يجد طعم آخره كما
يجد طعم اوله وان في الجنة لياقوتة فيها سبعون الف دار في كل دار سبعون الف بيت
ليس فيها صدع ولا ثقب وقال مجاهد ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة
يرى اقصاه كما يرى ادناه وان منهم الذي ينظر الى ربه بالغداة والعشي قال سعيد بن
المسيب ليس احد من اهل الجنة الا في يده ثلاثة اسورة سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من
فضة وقال ابو هريرة رضي الله عنه ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت مشى عن
يمينها ويسارها سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الآمرون بالمعروف والناهون عن
المنكر وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الجنة اشد وترك الدنيا مهر الآخرة وقال
ايضا في طلب الدنيا ذل النفوس وفي طلب الجنة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى
ويترك العز في طلب ما يبقى **صفة الرؤية والنظر الى وجه الله تع** قال الله تع للذين احسنوا
الحسنى وزيادة وهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تع وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم اهل الجنة وقد ذكرنا
حقيقتها في كتاب المحبة شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده اهل البدعة وقال
جرير بن عبد الله البجلي كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فراى القمر ليلة البدر فقال انكم
ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلوة قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وهو مخرج في الصحيحين
وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال قرا النبي صلى الله عليه وسلم للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال

اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى منادٍ يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعداً ان الله يريد ان
ينجزكموه قالوا ما هذا الموعود الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة قال فيرفع الحجاب
وينظرون الى وجه الله تعالى فما اعطوا شيئاً احب اليهم من النظر اليهم وقد روى حديث الرؤية جماعة
من الصحابة وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما فصلناه من النعيم عند هذا ينسى وليس لسرور
اهل الجنة بسعادة اللقاء منتهى بل لا نسبة لشيء من لذات الجنة الى لذة اللقاء وقد اوجزنا الكلام
ههنا لما فصلناه في كتاب المحبة والشوق فلا ينبغي ان تكون همة العبد من المحبة والشوق شيء سوى لقاء
المولى فاما سائر نعيم الجنة فانه يشاركه فيه البهيمة المسرحة في المرعى **تختم الكتاب**

بيان في سعة رحمة الله على سبيل التفاؤل وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الفال وليس لنا من
الاعمال ما نرجو به المغفرة فنقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في التفاؤل فنرجو ان يختم عاقبتنا
بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله وقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً وقال ومن يعمل سوءاً او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله
غفوراً رحيماً ونحن نستغفر الله من كل ما زلت به القدم او طغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر
كتبنا ونستغفره من اقوالنا التي لا توافق اعمالنا ونستغفره مما ادعيناه واظهرناه من
العلم والبصيرة بدين الله مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه
غيره ومن كل وعد وعدناه من انفسنا ثم قصرنا في الوفاء به ونستغفره من كل نعمة ونستغفره من كل تصنع وتزين نقصان
ناقص وتقصير معصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتكلف تزايناً
للناس في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم استفدناه وافدناه ونرجو بعد الاستغفار
من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا او كتبه او سمعه ان يكرم بالرحمة والمغفرة و
التجاوز عن جميع السيئات ظاهراً وباطناً فالكرم عميم والرحمة واسعة والجود على اصناف الخلق
فايض ونحن خلق من خلق الله لا وسيلة لنا الا فضله وكرمه وقد قال عليه السلام ان لله تعالى
مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون ويتراحمون
واخر تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة ويروى انه اذا كان يوم القيمة اخرج الله
كتاباً من تحت العرش ان رحمتي سبقت غضبي وانا ارحم الراحمين فيخرج من النار مثل اهل الجنة و
قال النبي صلى الله عليه وسلم يتجلى الله لنا يوم القيمة ضاحكاً فيقول ابشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم احد الا وقد جعلت
مكانه في النار يهودياً او نصرانياً وقال صلى الله عليه وسلم يشفع الله آدم يوم القيمة من جميع ذريته
في مائة الف الف وعشرة آلاف الف وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيمة هل احببتم لقائي
فيقولون نعم يا ربنا فيقول ولم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد اوجبت لكم مغفرتي
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع اهل النار في النار ومن شاء الله معهم من اهل القبلة
قال الكفار للمسلمين الم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما اغنى عنكم اسلامكم وانتم معنا في النار فيقولون
كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فسمع الله ما قالوا فيأمر باخراج من كان في النار من اهل القبلة فيخرجون فلما رأى الكفار

ذلك قالوا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين وقال النبي صلى الله عليه وسلم لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وقال جابر
بن عبد الله من زادت حسناته على سيئاته يوم القيمة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت
حسناته وسيئاته يوم القيمة فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة وانما شفاعة النبي صلى
الله عليه وسلم لمن اوبق نفسه واثقل ظهره ويروى ان الله تعالى قال لموسى يا موسى استغاث بك قارون
فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي لاغثته وقال سعيد بن بلال يؤمر يوم القيمة باخراج
رجلين من النار فيقول الله بما قدمت ايديكما وما انا بظلام للعبيد ويأمر بردهما الى النار فيعدو
احدهما بسلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما فيقول الذي
عدا الى النار قد حذرت من وبال المعصية فلم اكن اتعرض لسخطه ثانية ويقول الذي تلكأ حسن ظني
بك كان يشعرني ان لا تردني اليها بعد ان اخرجتني منها فيأمر بهما الى الجنة وقال النبي صلى الله عليه وسلم
ينادي منادٍ من تحت العرش يوم القيمة يا امة محمد اما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات
فتواهبوا وادخلوا الجنة برحمتي ويروى ان اعرابياً سمع ابن عباس رضي الله عنه يقرأ وكنتم على
شفا حفرة من النار فانقذكم منها فقال الاعرابي والله ما انقذهم منها وهو يريد ان يوقعهم فيها فقال
ابن عباس خذوها من غير فقيه وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض
الموت فبكيت فقال مهلاً لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير
الا حدثتكموه الا حديثاً واحداً وسأحدثكموه اليوم وقد احيط بنفسي سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من شهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله حرم الله عليه النار وقال عبد الله بن عمرو بن
العاص قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يستخلص رجلاً من امتي على رؤس الخلائق يوم القيمة فينشر
عليه تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم قال اتنكر من هذا شيئاً اظلمتك كتبتي الحافظون
فيقول لا يا رب فيقول فلك عذر قال لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم
عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فيقول ما هذه البطاقة مع
هذه السجلات فيقال انك لا تظلم فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت
السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع الله شيء وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر طويل يصف
فيه القيمة والصراط ان الله عز وجل يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه من النار
فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر احداً ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه
نصف دينار فاخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر احداً ممن امرتنا ثم يقول
ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً فكان ابو سعيد
يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة
يضاعفها ويؤت من لدنه اجراً عظيماً فيقول الله شفع الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون فلم يبق الا ارحم
الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فالقاهم في نهر في
افواه الجنة يقال له نهر الحيوة فيخرجون منها كما يخرج الحبة من حميل السيل الا ترونها تكون مما يلي

الحجر او الشجر ما يكون الى الشمس اصفر واخضر وما يكون الى الظل ابيض فقالوا يا رسول الله كانك
كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة يقولون هؤلاء
عتقاء الرحمن الذين يدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة
فما رايتم فيها فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول الله لكم عندي
افضل من هذا فيقولون يا ربنا واي شي افضل من هذا فيقول رضائي فلا اسخط عليكم بعده
ابدا رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما هذا الخبر ٭ وروى البخاري ايضا عن ابن عباس رضي الله
عنه قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت علي الامم يمر النبي معه
الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه احد والنبي معه الرهط فرايت سوادا كثيرا
فرجوت ان يكون امتي فقيل لي هذا موسى وقومه ثم قيل لي انظر فرايت سوادا كثيرا قد سد الافق
فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرايت سوادا كثيرا فقيل لي هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون
الفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتذاكر ذلك اصحابه فقالوا اما نحن ولدنا في الشرك ولكن قد آمنا بالله ورسوله وهؤلاء ابناؤنا
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون
وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قام
آخر فقال مثل قول عكاشة فقال النبي عليه السلام سبقك بها عكاشة ٭ وعن عمرو بن حزم
الانصاري قال تغيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا لا يخرج الينا الا للصلوة المكتوبة
ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج الينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث
حدث فقال لم يحدث الا خير ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل الجنة من امتي سبعين الفا
لا حساب عليهم واني سالت ربي في هذه الثلاثة الايام المزيد فوجدت ربي واجدا ماجدا
كريما فاعطاني مع كل واحد من السبعين الفا سبعين الفا قال قلت يا رب اتبلغ امتي هذا قال
اكمل لك العدد من الاعراب وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض لي جبريل
في جانب الحرة فقال بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت يا جبريل وان سرق
وان زنى قال وان سرق وزنى وشرب الخمر وقال ابو الدرداء قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق يا رسول الله فقال وان رغم انف
ابي الدرداء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة دفع الى كل مومن رجل
من اهل الملل فقيل هذا فداؤك من النار ٭ وروى مسلم في الصحيح عن ابي بردة انه حدث عمر بن عبد العزيز
عن ابيه ابي موسى عن النبي عليه السلم قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله مكانه النار يهوديا
او نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا اله الا هو ثلاث مرات ان اباه حدثه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف له ٭ وروي انه وقف صبي في بعض المغازي ينادى عليه
فيمن يزيد في يوم صائف شديد الحر فبصرت امراة به في خباء القوم فاقبلت تشتد اليه واقبل
اصحابها خلفها حتى اخذت الصبي والصقته الى بطنها ثم القت ظهرها على حر البطحاء و

جعلته على بطنها تقيه الحر وقالت ابني ابني فبكى الناس وتركوا ما هم فيه فاقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى وقف عليهم فاخبروه الخبر فسر برحمتها ثم بشرهم فقال اعجبتم من
رحمة هذه لابنها قالوا نعم قال فان الله ارحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق المسلمون
على افضل السرور واعظم البشارة فهذه الاحاديث وما اوردناه في كتاب الرجاء
يبشرنا بسعة رحمة الله ونرجو الله عز وجل ان لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا كما هو اهله
بمنه وسعة رحمته ٭ تم الكتاب بحمد الله ومنه وعونه والصلوة على محمد نبيه وعلى آله واصحابه
اجمعين ٭

قد وفق لكتابة هذا الكتاب المبارك الميمون الجليل
مرة رابعة العبد الفقير الحقير العاصي
ابو اسحق بن نظام بن منصور
عفا الله عنهم اجمعين
في ذي الحجة حجة
ستين و
ثمانمائة
م

رُئي سفيان الثوري في المنام بعد وفاته فسئل عن حاله فقال

نظرت إلى ربي عياناً فقال لي — هنيئاً رضائي عنك يا ابن سعيد

لقد كنت قواماً إذا أظلم الدجى — بعبرة مشتاق وقلب عميد

فدونك فاختر أي قصر تريده — وزرني فإني عنك غير بعيد

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
إلى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور بابن عبد [illegible]
[illegible] وكفى [illegible] عبده